المجلد الاول من تفسير اللباب لابن الخازن

الجزو الاول من لباب التاويل فى معانى التنزيل للشيخ الامام
العالم العلامة علاء الدين ابى محمد علي بن محمد
بن ابراهيم البغدادى الصوفى المعروف
بابن الخازن تغمده
الله برحمته
امين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين رب يسر

الحمد لله الذي خلق الاشيا فقدرها تقديرا وصور شكل الانسان فاحسنه تصويرا ومنحه العقل وجعله سميعا بصيرا وشرفه بما عرفه من العلم ونور قلبه تنويرا وهداه الى معرفته فيا لها نعمة وفضلا كبيرا وانطق لسانه فاذعن لشكره تحميدا وتهليلا وتكبيرا وارسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى كافة الخلق بشيرا ونذيرا وانزل عليه كتابا منيرا واودعه حكمة وحكما وترغيبا وتحذيرا والهم حفاظه تلاوته تذكيرا وتخبيرا وعلم عباده علومه تفهيما وتبصيرا وضرب فيه الامثال ليزيل جهالة وجعله برهانا واضحا وصوابا بالانحا ووفر فضله توفيرا في الصدور محفوظا وبالالسنة متلوا وفي المصحف مسطورا ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وجعل البليغ على الاتيان بسورة مثله حسيرا قل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا احمده على تواتر انعامه حمدا كثيرا واتوكل عليه مفوضا امري اليه ومستجيرا واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يغدو واقلب قايلها مطمئنا مسرورا واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي كساه من فضله عزا ومهابة وتوقيرا صلى الله عليه وعلى اله الذين اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اما بعد فان الله تعالى جل ذكره وتقدست اسماؤه ارسل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين وبشيرا للمؤمنين ونذيرا للملحدين اكمل به ديوان الرسالة واتم به مكارم الاخلاق ونشر فضله في الافاق وانزل عليه نورا هدى به من الضلالة والقد به من الجهالة وحكم بالفوز والفلاح لمن تبعه وبالخسران لمن اعرض عنه بعد ما سمعه واعجز الخلايق عن معارضته حيث تحداهم على ان ياتوا بسورة من مثله في مقابلته ثم سهل على عباده المؤمنين مع اعجازه تلاوته ويسر على الالسن قراءته امر فيه وزجر وبشر وانذر وذكر المواعظ ليتذكر وضرب فيه الامثال ليتدبر وقص فيه من اخبار الماضين ليعتبر ودل فيه على ايات التوحيد ليتفكر ثم لم يرض منا بحفظ حروفه دون حفظ حدوده ولا باقامة كلماته دون العمل بمحكماته ولا بتلاوته دون تدبر اياته ولا بدراسته دون تعلم حقايقه وتفهم دقايقه والحصول لهذه المقاصد منه لا يدرك الا بدراية تفسيره واحكامه ومعرفة حلاله وحرامه واسباب نزوله واقسامه والوقوف على ناسخه ومنسوخه في خاصه وعامه فانه ارسخ العلوم اصلا واسبغها فرعا وفصلا واكرمها نتاجا وانورها سراجا فلا شرف

الا وهو

الا وهو السبيل اليه ولا خير الا وهو الدال عليه وقد نشر الله تعالى له رجالا موفقين وبالحق ناطقين حتى صنفوا في ساير علومه المصنفات وجمعوا ساير فنونه المتفرقات كل على قدر فهمه ومبلغ علمه نظرا للخلف فشكر الله سعيهم ورحم كافتهم ولما كان كتاب الله معالم التنزيل الذي صنفه الشيخ الجليل والحبر النبيل الامام العالم الكامل محيي السنة قدوة الامة وامام الايمة مفتي الفرق ناصر الحديث ظهير الدين ابو محمد الحسين بن مسعود البغوي قدس الله روحه ونور ضريحه من اجل المصنفات في علم التفسير واعلاها وانبلها واسناها جامعا للصحيح من الاقاويل عاريا عن الشبه والتصحيف والتبديل محلى بالاحاديث النبوية مطرزا بالاحكام الشرعية موشيا بالقصص الغريبة واخبار الماضين العجيبة مرصعا باحسن الاشارات مخرجا بافصح العبارات مفرغا في قالب الجمال بافصح مقال فرحم الله مصنفه واجزل ثوابه وجعل الجنة منقلبه ومابه ولما كان هذا الكتاب كما وصفت احببت ان انتخب من غرر فوايده ودرر فرايده وزواهر نصوصه وجواهر فصوصه مختصرا جامعا لمعاني التفسير ولباب التاويل والتعبير حاويا لخلاصة منقوله متضمنا لنكته واصوله مع فوايد نقلتها وفوايد لخصتها من كتب التفاسير المصنفة في ساير علومه المولفة ولم اجعل لنفسي تصرفا سوى النقل والانتخاب مجتنبا حد التطويل والاسهاب وحذفت منه الاسناد لانه اقرب لتحصيل المراد فما ورد فيه من الاحاديث النبوية والاخبار المصطفوية على تفسير اية او بيان حكم فان الكتاب يطلب بيانه من السنة وعليهما مدار الشرع واحكام الدين عزوته الى مخرجه وبينت اسم ناقله وجعلت عوض كل اسم حرفا يعرف به ليهون على الطالب طلبه فما كان من صحيح ابي عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري فعلامته قبل ذكر اسم الصحابي الراوي للحديث **خ** وما كان من صحيح ابي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري فعلامته **م** وما كان مما اتفقا عليه فعلامته **ق** وما كان من كتب السنن كسنن ابي داود والترمذي والنسائي فاني اذكر اسمه من غير علامة وما لم اجده في هذه الكتب ووجدت البغوي قد اخرجه بسند له انفرد به قلت روى البغوي بسنده وما رواه البغوي باسناد الثعلبي قلت روى البغوي باسناد الثعلبي وما كان فيه من احاديث زايدة او الفاظ متغيرة فاعتمد فاني اجتهدت في تصحيح ما اخرجته من الكتب المعتبرة عند العلما كالجمع بين الصحيحين للحميدي وكتاب جامع الاصول لابن الاثير الجزري ثم اني حذفت الاسناد وعوضت بشرح غريب الحديث وما يتعلق به ليكون اكمل فايدة في هذا الكتاب واسهل على الطلاب وسقته بابلغ ما قدرت عليه من الايجاز وحسن الترتيب مع التسهيل والتقريب وينبغي لكل مولف كتابا في فن قد سبق اليه ان لا يخلوا كتابه من خمس فوايد استنباط كل شي كان معضلا او جمعه ان كان مفرقا او شرحه ان كان غامضا او حسن نظم وتاليف او اسقاط حشو وتطويل وارجوا ان لا يخلوا هذا الكتاب عن هذه الخصال التي ذكرت **وسميته** لباب التاويل في معاني التنزيل والله تعالى اسال التوفيق لاتمام ما قصدت واليه ارغب في تيسير ما اردت وان يجعله خالصا لوجهه الكريم وان يتقبله مني انه هو السميع العليم وهو حسبي ونعم الوكيل عليه توكلت واليه انيب وقبل الشروع في الكلام على التفسير اقدم مقدمة يتضمن ثلاثة فصول

الفصل الاول في فضل القران وتلاوته وتعليمه

م عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعا خما بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه ثم اثنى وذكر ثم قال اما بعد ايها الناس انما انا بشر يوشك ان ياتيني

رسول ربي فاجيب وانى تارك فيكم ثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث
على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي زاد في رواية كتاب الله فيه الهدى والنور
من استمسك به واخذ به كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة وفي رواية الترمذي عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي احدهما اعظم من الاخر
وهو كتاب الله حبل ممدود من السما الى الارض وعترتي اهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا
كيف تخلفوني فيهما م عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال اما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال ان الله
تعالى يرفع بهذا الكتاب ويضع اخرين عن الحارث الاعور قال مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون
في الاحاديث فدخلت على علي فقلت يا امير المؤمنين الا ترى الناس قد خاضوا في الاحاديث قال اوقد
فعلوها قلت نعم قال اما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا انها ستكون فتنة فقلت
ما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبا من كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل
ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين وهو
الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهوا ولا تلتبس به الالسنة ولا يشبع منه
العلما ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه وهو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا
قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه
هدى الى صراط مستقيم خذها اليك يا اعور اخرجه الترمذي وقال حديث غريب واسناده مجهول
وفي الحارث مقال قوله هو الفصل اي الفاصل بين الحق والباطل ليس بالهزل اي هو جد كله ليس فيه
شي من الهزل والجبار في صفة الادمي هو المتسلط العالي المتكبر على الناس فقصمه الله اي اهلكه قوله هو
حبل الله المتين الحبل يرد على وجوه منها العهد ومنها الامان فاذا اعتصم به الانسان اواه الى جواره
والذكر الشرف والحكيم المحكم العاري من الاختلاف والاضطراب والصراط المستقيم الطريق الواضح ومعنى
لا تزيغ به الاهوا اي لا يميل عن الحق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل الذي
ليس في جوفه شي من القران كالبيت الخرب اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح خ عن عثمان
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القران وعلمه ق عن عايشة رضي الله عنها قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقران مع السفرة الكرام البررة والذي يقرا القران ويتتعتع
فيه وهو عليه شاق له اجران قوله الماهر هو الحاذق الكامل الحفظ الجيد التلاوة قوله مع السفرة جمع
سافر وهو الرسول من الملائكة سمي بذلك لانه يسفر برسالات الله الى انبيائه وقيل السفرة الكتبة من
الملائكة والبررة المطيعون لله تعالى فيما امر به ومعنى كونه مع الملائكة ان له منازل في الجنة يكون فيها
رفيقا لهم وقوله يتتعتع اي يتردد في تلاوته لضعف حفظه له اجران يعني يحصل له اجر بسبب القران
واجر بسبب تعبه فيها والمشقة التي تحصل له فيها وليس معناه ان له اجرا اكثر من الماهر بل الماهر افضل
منه واكثر اجرا ق عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المومن الذي
يقرا القران كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المومن الذي لا يقرا القران كمثل التمرة طعمها
طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي يقرا القران كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل الفاجر الذي لا
يقرا القران كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها فيه دليل على فضيلة حفاظ القران واستحباب ضرب
الامثال لايضاح المقاصد عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حرفا من كتاب

الله

الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وقد رفعه بعضهم عن ابن مسعود ووقفه بعضهم عليه
عن ابن عباس قال قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اي الاعمال احب الى الله
تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من اول القران الى اخره كلما حل ارتحل
اخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب
القران اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند اخر اية تقراها اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجي صاحب القران يوم القيمة
فيقول يا رب حله فيلبسه الله تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول
يا رب ارض عنه فيرضى عنه فيقال اقرا وارق ويزاد بكل اية حسنة اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن عن سهل بن معاذ الجهني عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا القران
وعمل به البس والداه تاجا يوم القيمة ضوءه احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيما
ظنكم بالذي عمل بهذا اخرجه ابو داود وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا القران فاستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله به الجنة وشفعه
في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وليس له اسناد
صحيح ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشي كاذنه
لنبي يتغنى بالقران يجهر به معنى اذن في اللغة استمع ولا يحمل على الاصغا فانه يستحيل على الله تعالى
بل هو كناية عن تقريبه قاري القران واجزال ثوابه وذلك لان سماع الله تعالى القران لا يختلف
فوجب تاويل الحديث قوله يتغنى بالقران اي يحسن صوته به ويكون ذلك مع تحزين وترقيق في
القراة وقيل معناه يستغني به عن الناس والقول الاول اولى ويدل عليه سياق الحديث وهو قوله
يجهر به خ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن
بالقران

الفصل الثاني في وعيد من قال في القران برايه من غير علم

ووعيد من اوتي القران فنسيه ولم يتعاهده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قال في القران بغير علم فليتبوا مقعده من النار وفي رواية من قال في القران برايه
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله فليتبوا مقعده فليتخذ له مباءة اي منزلا من النار عن
جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في كتاب الله عز وجل برايه فاصاب
فقد اخطا اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب وسيل ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن
قوله تعالى وفاكهة وابا فقال اي سما تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله بغير علم قال
العلما النهي عن القول في القران بالراي انما ورد في حق من تاول القران على مراد نفسه وما هو تابع
لهواه وهذا لا يخلو اما ان يكون عن علم او لا فان كان عن علم كمن يحتج ببعض ايات القران على تصحيح
بدعته وهو يعلم ان المراد من الاية غير ذلك لكن غرضه ان يلبس على خصمه بما يقوي على حجته
على بدعته كما يستعمله الباطنية والخوارج وغيرهم من اهل البدع في المقاصد الفاسدة ليغروا بذلك
الناس وان كان القول في القران بغير علم لكن عن جهل وذلك ان تكون الاية محتملة لوجه فيفسرها

بغير ما تحتمله من المعاني والوجوه فهذان القسمان مذمومان وكلاهما داخل في النهي والوعيد الوارد
في ذلك فاما التاويل وهو صرف الاية على طريق الاستنباط الى معنى يليق بها محتمل لما قبلها وما بعدها
وغير مخالف الكتاب والسنة فقد رخص فيه اهل العلم فان الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القران
واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كما قالوه سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم على قدر ما فهموا من القران
كما تكلموا في معانيه وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل
فكان اكثر ما نقل عنه التفسير والله اعلم ق عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تعاهدوا هذا القران فو الذي نفس محمد بيده لهو اشد تفلتا من الابل في عقلها
ق عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب هذا القران
كمثل صاحب الابل المعلقة ان تعاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت الابل المعلقة التي حبست
بالعقال وهذا مثل ضربه الله تعالى لصاحب القران ففيه الحث على تعاهده بكثرة التلاوة والتكرار
لئلا ينسى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس ما
لاحدهم ان يقول نسيت اية كيت وكيت بل هو نسي استذكروا القران فانه اشد تفصيا من صدور
الرجال من النعم من عقلها وفي رواية لا يقل احدكم نسيت اية كذا وكذا بل هو نسي قوله بئس ما لاحدهم
اي بئست الحالة لحال من حفظ القران ثم غفل عنه حتى نسيه قوله لا يقل احدكم نسيت كذا وكذا
معناه انما كره نسبة النسيان الى النفس لاجل ان الله تعالى هو المقدر للاشياء كلها وهو الذي انسا
اياه وقيل اصل النسيان الترك فكره ان يقول تركت القران او قصدت الى نسيانه وقوله بل هو نسي
هو بضم النون وتشديد السين وفتح اليا اي عوقب بالنسيان على ذنب صدر منه او لسوء تعهده
القران وقوله اشد تفصيا اي خروجا من صدور الرجال وفي معناه تفلتا من الابل من عقلها اي تخلصا
من العقال وهو الحبل الذي يربط به عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما من امرئ يقرا القران ثم ينساه الا لقي الله يوم القيمة اجذم اخرجه ابو داود
الاجذم قيل هو مقطوع اليد وقيل هو مقطوع الحجة وقيل هو الذي به جذام عن انس بن مالك
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت علي اجور امتي حتى القذاة يخرجها الرجل
من المسجد وعرضت علي ذنوب امتي فلم ار ذنبا اعظم من سورة من القران او اية اوتيها رجل ثم
نسيها اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب ق عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسافروا بالقران الى ارض العدو مخافة ان يناله بسوء اراد
بالقران المصحف لا يجوز حمله الى بلاد العدو وهي بلاد الكفار للنهي الوارد فيه ولو كتبت كتابا
اليهم فيه اية من القران فلا باس بذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل ملك الروم قل يا اهل
الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم عن عمران بن الحصين انه مر على رجل يقرا ثم سال فاسترجع
ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا القران فليسال الله به فانه سيجي اقوام
يقرون القران يسالون به الناس اخرجه الترمذي عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما امن بالقران من استحل محارمه اخرجه الترمذي وقال ليس اسناده بالقوي عن عقبة
ابن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجاهر بالقران كالجاهر بالصدقة
والمسر بالقران كالمسر بالصدقة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

الفصل الثالث في جمع القران وترتيب نزوله وفي كونه نزل على سبعة احرف

خ عن زيد بن ثابت قال بعث الي ابو بكر لمقتل اهل اليمامة وعنده عمر فقال ابو بكر ان عمر جاءني فقال ان
القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القران واني لاخشى ان يستحر القتل بالقراء في كل المواطن
فيذهب من القران كثير واني ارى ان تامر بجمع القران قال قلت لعمر كيف افعل شيئا لم يفعله رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي
شرح له صدر عمر ورايت في ذلك الذي راى عمر قال زيد فقال لي ابو بكر وانك رجل شاب عاقل لا
نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القران فاجمعه قال زيد
فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان اثقل علي مما امرني به من جمع القران فقلت كيف تفعلان
شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر هو والله خير فلم يزل ابو بكر يراجعني
حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر ابي بكر الذي في رواية فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري
للذي شرح له صدر ابي بكر وعمر ورايت في ذلك رايا قال فتتبعت القران اجمعه من الرقاع والعسب
واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت اخر سورة التوبة مع خزيمة او مع ابي خزيمة الانصاري
لم اجدها مع احد غيره لقد جاءكم رسول من انفسكم الى خاتمة براءة فالحقتها في سورتها قال
فكانت الصحف عند ابي بكر حياته حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله ثم عند
حفصة بنت عمر قال بعض الرواة اللخاف يعني الخزف ح عن انس رضي الله عنه ان حذيفة
ابن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي اهل الشام في فتح ارمينية واذربيجان مع اهل
العراق فافزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا امير المومنين ادرك هذه
الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فارسل عثمان الى حفصة ان
ارسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فارسلت بها اليه فامر زيد بن
ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم
فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين اذا اختلفتم في شي انتم وزيد بن ثابت
في شي من القران فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف
رد عثمان المصحف الى حفصة وارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا وامر بما سوى ذلك من
القران في كل صحيفة او مصحف ان يحرق قال ابن شهاب واخبرني خارجة بن زيد انه سمع زيد
ابن ثابت يقول فقدت اية من سورة الاحزاب حين نسخت المصحف قد كنت اسمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقراها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصاري من المومنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالحقناها في سورتها في المصحف قال في رواية ابي اليمان
مع خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين زاد في
رواية اخرى قال ابن شهاب اختلفوا يومئذ في التابوت فقال زيد التابوه وقال عبد الله بن
الزبير وسعيد بن العاص التابوت فرفع اختلافهم الى عثمان فقال اكتبوه التابوت فانه بلسان
قريش شرح غريب الفاظ الحديثين وما يتعلق بهما قوله بعث الي ابو بكر لمقتل اهل اليمامة اي لاوان
قتلهم واراد به الوقعة التي كانت باليمامة في زمن ابي بكر الصديق وهي وقعة الردة مع اصحاب

الردة فقتل فيها خلق كثير من قرا القران واليمامة مدينة باليمن على مرحلتين من الطايف وعلى اربعة
ايام من مكة ولما عما يرمي في عداد ارض نجد قوله استحر القتل اي كثر ونسب المكروه الى الحر والمحبوب
الى البرد وشرح الصدر سعته وقبوله الخير قوله فتتبعت القران اجمعه من الرقاع جمع رقعة ومنى
ما يكتب فيها والعسب بضم العين والسين المهملتين جمع عسيب وهو جريد النخل وسعفه واللخاف
حجارة بيض رقاق واحدها لخفة قوله يغازي اهل الشام اي مع اهل الشام في فتح ارمينية بكسر
الهمزة وتخفيف اليا لا غير سميت بارمين ابن لمطي بن لومن بن يافث بن نوح وهو اول من نزلها سميت
به واذربيجان بفتح الهمزة وسكون الذال وغير ذلك في ضبطها وقال ابن جبير فيها خمس موانع
من الصرف التعريف والتانيث والعجمة والتركيب والالف والنون وهي موضع من بلاد العجم تشتمل
على بلاد كثيرة قوله حتى وجدت اخر سورة التوبة مع خزيمة او مع ابي خزيمة وفي الحديث
ففقدت اية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصاري من المومنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية اعلم ان المذكور في الحديث الاول غير المذكور في الحديث الثاني
وهما قضيتان فاما المذكور في الحديث الاول فهو ابو خزيمة بن اوس بن زيد بن اصرم بن ثعلبة
ابن عمرو بن مالك بن النجار الانصاري شهد بدرا وما بعدها وتوفي في خلافة عثمان وهو الذي وجد
عنده سورة التوبة كذا ذكره ابن عبد البر واما المذكور في الحديث الثاني فهو ابو عمارة وخزيمة
ابن ثابت بن ثعلبة بن ساعدة الخطمي الاوسي الانصاري يعرف بذي الشهادتين شهد بدرا وما
بعدها وقتل يوم صفين مع علي بن ابي طالب قوله ففقدت اية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها
مع خزيمة معناه انه كان يتطلب نسخ القران من الاصل الذي كتب بامر النبي صلى الله عليه وسلم
وبين يديه فلم يجد تلك الاية الا مع خزيمة وليس فيه اثبات القران بقول الواحد لان زيدا
كان قد سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم موضعها من سورة الاحزاب بتعليم رسول
الله صلى الله عليه وسلم كما صرح به الحديث وقد كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بها
وتتبعه الرجال كان للاستظهار لا لاستحداث علم لان القران العزيز كان محفوظا عند زيد وغيره
من الصحابة فقد ثبت في الصحيح عن انس قال جمع القران على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
اربعة كلهم من الانصار ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وابو زيد وزيد يعني ابن ثابت قلت لانس من ابو
زيد قال احد عمومتي اخرجاه في الصحيحين اسم ابي زيد سعد بن عبيد واخرج الترمذي من حديث ابن
عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا القران من اربعة من ابن مسعود وابي بن كعب
ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابي حذيفة قال حديث حسن صحيح وتقدم حديث زيد بن ثابت وفيه
انه استحر القتل بقرا القران فثبت بمجموع هذه الاحاديث ان القران كان على هذا التاليف والجمع
في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ترك جمعه في مصحف واحد لان النسخ كان يرد على
بعضه ويرفع الشي بعد الشي من التلاوة كما كان ينسخ بعض احكامه فلم يجمع في مصحف واحد ثم
لو رفع بعض تلاوته ادى ذلك الى الاختلاف واختلاط امر الدين فحفظ كتابه في القلوب الى انقضا
زمان النسخ ثم وفق لجمعه الخلفا الراشدين رضي الله عنهم وثبت بالدليل الصحيح ان الصحابة
انما اجمعوا القران بين الدفتين كما انزله الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من غير ان زادوا
فيه او انقصوا منه شيا والذي حملهم على جمعه ما جا في الحديث وهو انه كان مفرقا في العسب واللخاف

وصدور

وصدور الرجال فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته ففزعوا فيه الى خليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر رضي الله عنه ودعوه الى جمعه فراى في ذلك رايهم فامر بجمعه في موضع
واحد باتفاق من جميعهم فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ان قدموا او اخروا
شيا او وضعوا له ترتيبا لم ياخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يلقن اصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القران على الترتيب الذي هو الان في مصاحفنا
بتوقيف جبريل عليه السلام اياه على ذلك واعلامه عند نزول كل اية ان هذه الاية تكتب
عقيب اية كذا في سورة كذا فثبت ان سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه
فان القران مكتوب في اللوح المحفوظ على النحو الذي هو في مصاحفنا الان وقد صح في حديث ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض القران على جبريل عليه السلام في كل عام مرة في
رمضان وانه عرضه في العام الذي توفي فيه مرتين وقيل ان زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة
التي عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام وهي العرضة التي نسخ
فيها ما نسخ وبقي ما بقي ولهذا اقام ابو بكر زيد بن ثابت في كتابة الصحف والزمه بها لانه قرا
على النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفي فيه مرتين فكان جمع القران سببا لبقائه
في الامة رحمة من الله تعالى لعباده وتحقيقا لوعده في حفظه على ما قال تعالى انا نحن نزلنا
الذكر وانا له لحافظون واعلم ان الله تعالى لما انزل القران المجيد من اللوح المحفوظ جملة
واحدة الى سما الدنيا في شهر رمضان في ليلة القدر ثم كان ينزله مفرقا على لسان جبريل عليه
السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم مدة رسالته نجوما عند الحاجة وحدوث ما يحدث على
ما يشا الله تعالى وترتيب نزول القران غير ترتيبه في التلاوة والمصحف فاما ترتيب نزوله
على رسول الله صلى الله عليه وسلم **فاول** ما نزل من القران بمكة اقرا باسم ربك الذي
خلق ثم نون والقلم ثم يا ايها المزمل ثم المدثر ثم تبت يدا ابي لهب ثم اذا الشمس كورت ثم سبح
اسم ربك الاعلى ثم والليل اذا يغشى ثم والفجر ثم والضحى ثم الم نشرح ثم والعصر ثم العاديات ثم
انا اعطيناك الكوثر ثم الهاكم ثم ارايت الذي ثم قل يا ايها الكافرون ثم الفيل ثم قل هو الله احد
ثم والنجم ثم عبس ثم سورة القدر ثم البروج ثم والتين ثم لايلاف قريش ثم القارعة ثم القيامة
ثم الهمزة ثم المرسلات ثم قاف ثم سورة البلد ثم الطارق ثم اقتربت الساعة ثم صاد ثم الاعراف
ثم الجن ثم يس ثم الفرقان ثم فاطر ثم مريم ثم طه ثم الواقعة ثم الشعرا ثم النمل ثم القصص ثم بني
اسرايل ثم يونس ثم هود ثم يوسف ثم الحجر ثم الانعام ثم الصافات ثم لقمان ثم سبا ثم الزمر ثم المومن
ثم السجدة ثم حم عسق ثم الزخرف ثم الدخان ثم الجاثية ثم الاحقاف ثم الذاريات ثم الغاشية
ثم الكهف ثم النحل ثم نوح ثم ابراهيم ثم الانبيا ثم تنزيل السجدة ثم الطور ثم الملك ثم الحاقة ثم
سال سايل ثم عم يتسالون عن النبا العظيم ثم النازعات ثم اذا السما انفطرت ثم اذا السما
انشقت ثم الروم ثم العنكبوت واختلفوا في اخر ما نزل بمكة فقال ابن عباس العنكبوت وقال
الضحاك وعطا المومنون وقال مجاهد ويل للمطففين فهذا ترتيب ما نزل من القران بمكة فذلك
ثلاث وثمانون سورة على ما استقرت عليه روايات الثقاة واما ما نزل بالمدينة فاحد وثلاثون
سورة **فاول** ما نزل بالمدينة سورة البقرة ثم الانفال ثم ال عمران ثم الاحزاب ثم الممتحنة

ثم النساء ثم اذا زلزلت الارض ثم الحديد ثم سورة محمد صلى الله عليه وسلم ثم الرعد ثم سورة الرحمن ثم هل اتى على الانسان ثم الطلاق ثم لم يكن ثم الحشر ثم الفلق ثم الناس ثم اذا جاء نصر الله والفتح ثم النور ثم الحج ثم المنافقون ثم المجادلة ثم الحجرات ثم التحريم ثم الصف ثم الجمعة ثم التغابن ثم الفتح ثم التوبة ثم المائدة ومنهم من يقدم المائدة على التوبة فهذا ترتيب ما نزل من القران بالمدينة واختلفوا في سور فقيل نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة وسنذكر في مواضعها ان شاء الله تعالى

فصل في كون القران نزل على سبعة احرف وما قيل في ذلك

ق عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت اساوره في الصلاة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من اقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها قال اقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به اقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي اقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا القران انزل على سبعة احرف فاقرؤا ما تيسر منه **قوله** فكدت اساوره في الصلاة اي اواثبه واقاتله وهو في الصلاة والتربص التثبت **قوله** فلببته بردائه هو بتشديد الباء الاولى معناه اخذت بمجامع ردائه في عنقه وجذبته به ماخوذ من اللبة وفيه بيان ما كانوا عليه من الاعتناء بالقران والذب عنه والمحافظة على لفظه كما سمعوه من غير عدول الى ما تجوزه العربية واما امر النبي صلى الله عليه وسلم عمر بارساله فلانه لم يثبت عنده ما يقتضي تعزيره ولان عمر انما نسبه الى مخالفته في القراءة والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم من جواز القراءة ووجوهها ما لا يعلمه عمر ولانه اذا قرأ وهو ملبب قال العلماء لا يمكنه من حضور القلب وتحقيق القراءة تمكن المطلق **قوله** ان هذا القران انزل على سبعة احرف فاقرؤا ما تيسر منه قال ان انزاله على سبعة احرف التخفيف والتسهيل واختلفوا في المراد بسبعة احرف فقيل هو توسعة وتسهيل ولم يقصد به الحصر وقال الاكثرون هو حصر العدد في سبعة احرف ثم قيل هي في سبع من المعاني كالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص والامثال والامر والنهي وقيل هي في صورة التلاوة وكيفية النطق بكلمات القران من ادغام واظهار وتفخيم وترقيق ومد وقصر وامالة لان العرب كانت مختلفة اللغات في هذه الوجوه فيسر الله تعالى عليهم ليقرأ كل انسان بما يوافق لغته ويسهل على لسانه وقال ابو عبيد هي سبع لغات من لغات العرب يمنها ومعدها وهي افصح لغات العرب واعلاها وقيل هي لغة قريش وهوازن وهذيل واهل اليمن وقيل السبعة كلها لمضر وحدها وهي متفرقة في القران العزيز غير مجتمعة في كلمة واحدة وقيل بل هي مجتمعة في بعض الكلمات كقوله تعالى وعبد الطاغوت ونرتع ونلعب وباعد بين اسفارنا وبعذاب بئيس وقيل هي سبع قراءات وهو

الصحيح

الصحيح الموافق للحديث لان هذه السبعة ظهرت واستفاضت عن النبي صلى الله عليه وسلم وضبطها عنه الصحابة واثبتها عثمان والجماعة في المصاحف واخبروا بصحتها وحذفوا عنها ما لم يثبت متواترا وان هذه الاحرف تختلف معانيها تارة والفاظها اخرى وليست متضادة ولا متباينة فاما من قال ان المراد الاحرف سبع معان مختلفة كالاحكام والامثال والقصص فخطأ محض لان النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وابدال حرف بحرف وقد تقرر اجماع المسلمين انه يحرم ابدال اية امثال باية احكام وقول من قال المراد خواتيم الاي فيجعل مكان غفور رحيم سميع عليم فاسد ايضا وخطأ للاجماع على انه لا يجوز تغيير نظم القران والله اعلم

ق عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرأني جبريل عليه السلام على حرف فراجعته فزادني فلم ازل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة احرف معناه الحديث لم ازل اطلب من جبريل ان يطلب من الله عز وجل الزيادة في الاحرف للتوسعة والتخفيف ويسال جبريل ربه عز وجل فيزيده حتى انتهى الى السبع م عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال كنت في المسجد دخل رجل يصلي فقرأ قراءة فانكرتها عليه فدخل اخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا قرأ قراءة انكرتها عليه ودخل اخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرءا فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شانهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا وكانما انظر الى الله عز وجل فرقا فقال لي يا ابي ارسل الي ان اقرأ على حرف واحد فرددت اليه ان هون على امتي فرد الي الثانية اقرأه على حرفين فرددت اليه ان هون على امتي فرد الي الثالثة اقرأه على سبعة احرف ولك بكل ردة رددتكها مسئلة تسالنيها فقلت اللهم اغفر لامتي اللهم اغفر لامتي واخرت الثالثة ليوم يرغب الي الناس كلهم حتى ابراهيم **قوله** فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية معناه وسوس لي الشيطان تكذيبا للنبوة اشد مما كنت عليه في الجاهلية لانه كان في الجاهلية غافلا ومتشككا فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب وقيل معناه انه اعترته حيرة ودهشة ونزغ الشيطان في نفسه تكذيبا لم يعتقده وهذه الخواطر اذا لم يستمر عليها الانسان لا يؤاخذ بها **قوله** ضرب في صدري ففضت عرقا قال القاضي عياض ضربه صلى الله عليه وسلم في صدره تثبيت له حين راه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم **قوله** وكانما انظر الى الله تعالى فرقا الفرق بالتحريك الخوف والخشية والمعنى انه غشيه من الهيبة والخوف والعظمة حين ضربه ما ازال عنه ذلك الخاطر **قوله** تعالى ولك بكل ردة رددتكها مسئلة تسالنيها معناه مسئلة مجابة قطعا واما باقي الدعوات فمرجوة الاجابة وليست قطعية الاجابة والله اعلم وروى البغوي بسنده عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انزل القران على سبعة احرف لكل اية منه ويروى لكل حرف منه ظهر وبطن ولكل حرف مطلع وقيل في معناه الظهر لفظ القران والبطن تاويله وقيل الظهر ما حدث عن اقوام انهم عصوا فعوقبوا فهو في الظاهر خبر وفي الباطن عظة وقيل الظهر التلاوة باللسان كما انزل والتدبر والبطن التفهم والتفكر بالقلب فالتلاوة باللسان تكون بالتعليم والتلقين والتدبر والتفهم يكون بصدق النية وتعظيم الحرمة واخلاص العمل وطيب المطعم من الحلال المحض وقوله ولكل حد مطلع معناه مصعد يصعد عليه من معرفة

علمه وقيل المطلع الفهم وقد يفتح الله على المتدبر والمتفكر في القران العزيز من التاويل والمعاني ما لا يفتحه على غيره وفوق كل ذي علم عليم والله اعلم

فصل في معنى التفسير والتاويل

فاما التفسير فاصله في اللغة من الفسر وهو كشف ما غطي وهو بيان المعاني المعقولة وكل ما يعرف به الشي ومعناه فهو تفسيره وقد يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ وغريبها تفسيره وقيل هو من التفسرة وهو الدليل الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن معنى الاية وشانها وقصتها واما التاويل فاشتقاقه من الاول وهو الرجوع الى الاصل يقال اول الشي الى كذا اي صرفته فانصرف وهو رد الشي الى الغاية المرادة منه وبيان غايته المقصودة منه فالتاويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الاية والفرق بين التفسير والتاويل ان التفسير يتوقف على النقل المسموع والتاويل يتوقف على الفهم الصحيح والله اعلم **القول في الاستعاذة ولفظها المختار** اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لموافقة قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومعنى اعوذ بالله التجي اليه واستنع مما اخشاه من عاذ يعوذه من الشيطان اصله من شطن اي تباعد من الرحمة وقيل من شاط يشيط اذا هلك واحترق غضبا والشيطان اسم لكل عارم عاتي من الجن والانس وشيطان الجن مخلوق من قوة النار فلذلك فيه القوة الغضبية الرجيم فعيل بمعنى فاعل اي يرجم بالوسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول اي مرجوم بالشهب عن استراق السمع وقيل مرجوم بالعذاب وقيل مرجوم بمعنى مطرود عن الرحمة وعن الخيرات وعن منازل الملا الاعلى واما الاعلى واما حكم الاستعاذة ففيه مسايل **المسالة الاولى** اتفق الجمهور على ان الاستعاذة سنة في الصلاة فلو تركها لم تبطل صلاته وسوا تركها عمدا او سهوا ويستحب لقارئ القران خارج الصلاة ان يتعوذ ايضا وحكي عن عطا وجوبها سوا كانت في الصلاة او غيرها وقال ابن سيرين اذا تعوذ الرجل في عمره مرة واحدة كفى في اسقاط الوجوب دليل الوجوب ظاهر قوله فاستعذ والامر للوجوب وان النبي صلى الله عليه وسلم واظب على التعوذ فيكون واجبا ودليل الجمهور ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم الاعرابي الاستعاذة في جملة اعمال الصلاة وتاخير البيان عن وقته غير جايز واجيب عن قوله تعالى فاستعذ بالله بان معناه عند جماهير العلما اذا اردت القراة فاستعذ بالله كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا معناه اذا اردتم القيام الى الصلاة واجيب عن مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم بانه صلى الله عليه وسلم واظب على اشيا كثيرة من افعال الصلاة ليست بواجبة كتكبيرات الانتقالات والتسبيحات في الصلاة فكان التعوذ مثلها **المسالة الثانية** وقت الاستعاذة قبل القراة عند الجمهور سوا كان في الصلاة او خارجها وحكي عن النخعي انه بعد القراة وهو قول داود واحدى الروايتين عن ابن سيرين حجة الجمهور ما روي عن ابي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة بالليل كبر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يقول الله اكبر كبيرا ثم يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه اخرجه الترمذي وقال هذا الحديث اشهر حديث في الباب وقد تكلم في بعض رجاله وقال احمد لا يصح ولابي داود والنساي عن

ابي سعيد

ابي سعيد نحوه وعن جبير بن مطعم انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو ولا ادري اي صلاة هي قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا والحمد لله كثيرا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا اعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة اخرجه ابو داود وقيل الموتة الجنون لان من جن فقد مات عقله وقيل همزه هو الذي يوسوسه في الصلاة ونفخه هو الذي يلقيه من الشبه في الصلاة ليقطع عليه صلاته واحتج مخالف الجمهور بظاهر قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله واجيب عنه بما تقدم وقال مالك لا يتعوذ في المكتوبة ويتعوذ في قيام رمضان بعد القراة لنا ما تقدم من الادلة **المسالة الثالثة** المختار من لفظ الاستعاذة عند الشافعي اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبه قال ابو حنيفة لموافقة قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولحديث جبير بن مطعم وقال احمد الاولى ان يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعا بين هذه الاية وبين قوله تعالى فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ولحديث ابي سعيد وقال الثوري والاوزاعي الاولى ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم انه هو السميع العليم وبالجملة فالاستعاذة تطهير القلب عن كل شي يشغله عن الله تعالى ومن لطايف الاستعاذة ان قوله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرار العبد بالعجز والضعف واعتراف من العبد بقدرة الباري عز وجل وانه الغني القادر على دفع جميع المضرات والافات واعتراف من العبد ايضا بان الشيطان عدو مبين ففي الاستعاذة التجا الى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان الغوي الفاجر وانه لا يقدر على دفعه عن العبد الا الله تعالى اعلم **تفسير سورة الفاتحة وهي سبع ايات بالاتفاق وسبع وعشرون كلمة ومايه واربعون حرفا** واختلف العلما في نزولها فقيل نزلت بمكة وهو قول اكثر العلما وقيل نزلت بالمدينة وهو قول مجاهد وقيل نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وسبب ذلك التنبيه على شرفها وفضلها ولها عدة اسما وكثرة الاسما يدل على شرف المسمى وفضله فاول ذلك فاتحة الكتاب سميت بذلك لانها افتتح القران وبها يفتتح كتابة المصاحف وبها يفتتح الصلاة الثاني سورة الحمد سميت بذلك لافتتاحها بالحمد الثالث ام القران وام الكتاب سميت بذلك لانها اصل القران وام كل شي اصله وقيل هي امام لما يتلوها من السور الرابع السبع المثاني سميت بذلك لانها تثنى في الصلاة ويقراها في كل ركعة وقيل لان الله تعالى استثناها لهذه الامة فذخرها لهم لم ينزلها على غيرهم وقيل لانها انزلت مرتين الخامس الوافية سميت بذلك لانها لا تنقسم في القراة في الصلاة كما ينقسم غيرها من السور السادس الكافية سميت بذلك لانها تكفي عن غيرها في الصلاة ولا يكفي عنها غيرها

فصل في ذكر فضلها خ عن ابي سعيد بن المعلا قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه ثم اتيته فقلت يا رسول الله اني كنت في الصلاة فقال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم قال لي لاعلمنك سورة هي اعظم السور في القران قبل ان تخرج من المسجد ثم اخذ بيدي فلما اراد ان يخرج قلت يا رسول الله الم تقل لاعلمنك سورة وهي اعظم سورة في القران قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته ورواه مالك في الموطا عنه وقال فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم نادى ابي بن كعب وهو يصلي وذكر نحوه وفيه حتى تعلم سورة ما انزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور مثلها ورواه الترمذي عن ابي هريرة رضي الله

عن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابي وهو يصلي وذكر نحو رواية مالك في الموطا وقال فيه
حديث حسن صحيح **عن** ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله في التوراة ولا
في الانجيل مثل ام القران وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال اخرجه
الترمذي والنسائي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب
العالمين ام القران وام الكتاب والسبع المثاني اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح
م عن ابن عباس قال بينا جبريل قاعدا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه
فرفع راسه فقال هذا باب من السما فتح اليوم ولم يفتح قط الا اليوم فنزل فيه ملك فقال هذا
ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يوتهما نبي قبلك فاتحة
الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرا بحرف الا اعطيته قوله سمع نقيضا هو بالقاف والضاد المعجمة
اي صوتا كصوت فتح الباب **م** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرا فيها
بام القران فهي خداج هي خداج غير تمام فقال فقلت يا ابا هريرة انا احيانا نكون ورا الامام فغمز
ذراعي وقال اقرا بها في نفسك يا فارسي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك
وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سال فاذا قال
العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال اثنى علي عبدي واذا قال
مالك يوم الدين قال مجدني عبدي وقال مرة فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين
قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سال **قوله** فهي خداج اي ناقصة
فغمز ذراعي اي كبس ساعدي بيده قوله قسمت الصلاة اراد بالصلاة هنا القراة فسرها بها ولان القراة
ركن من اركانها وجزء من اجزائها قوله نصفين حقيقة هذه القسمة التي جعلها بينه وبين عبده راجعة
الى المعنى لا الى اللفظ لان هذه السورة من جهة المعنى نصفها ثنا ونصفها مسئلة ودعا وقسم الثنا الذي
عند قوله تعالى اياك نعبد وقوله واياك نستعين من قسم الدعا ولهذا قال هذا بيني وبين عبدي اي
اثنى علي لان الحمد هو الثنا بجميل الفعال والتمجيد هو الثنا بصفات الجلال وقيل التمجيد التحميد
التعظيم وقوله وربما قال فوض الي عبدي وجه مطابقة هذا القول لقوله مالك يوم الدين يقال فوض
فلان امره الى فلان اذا رده اليه وعول فيه عليه وفي الحديث دليل على وجوب قراة الفاتحة فانها
متعينة وهو مذهب الشافعي وجماعة وسياتي هذه المسئلة ان شا الله تعالى بعد ذكر تفسير الفاتحة والله
اعلم **بسم الله الرحمن الرحيم** البا في بسم الله حرف خافض يخفض ما بعده مثل من وعن والمتعلق به
مضمر محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره ابدا بسم الله او بسم الله ابدا واقراه وانما طولت البا في بسم
الله واسقطت الالف طلبا للخفة وقيل لما اسقطوا الالف ردوا طوله على البا ليدل طولها على الالف
المحذوفة واثبتت الالف في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لقلة استعماله وقيل انما طولوا البا لانهم
ارادوا ان يستفتحوا كتاب الله بحرف معظم وقيل البا حرف منخفض الصورة فلما اتصلت ببسم الله
ارتفعت واستعلت وقيل ان عمر بن عبد العزيز كان يقول لكتابه طولوا البا من بسم الله واظهروا
السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله عز وجل والاسم هو المسمى عينه وذاته قال الله تعالى انا نبشرك
بغلام اسمه يحيى ثم نادى الاسم فقال يا يحيى وقال سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك وهذا القول ليس بقوي

والصحيح

والصحيح المختار ان الاسم غير المسمى وغير التسمية فالاسم ما يعرف به ذات الشي وذلك لان الاسم هو
الاصوات المقطعة والحروف المولفة الدالة على ذات ذلك الشي المسمى به فثبت بهذا ان الاسم
غير المسمى وايضا فقد تكون الاسما كثيرة والمسمى واحد كقوله تعالى ولله الاسما الحسنى وقد يكون
الاسم واحدا والمسميات به كثيرة كالاسما المشتركة وذلك يوجب المغايرة وايضا فقوله فادعوه بها
امر ان يدعا الله باسمايه فالاسم الة الدعا والمدعو هو الله تعالى فالمغايرة حاصلة بين ذات المدعو
وبين اللفظ المدعو به واجيب عن قوله انا نبشرك بغلام اسمه يحيى بان المراد ذات الشخص المعبر
عنه بيحيى لا نفس الاسم واجيب عن قوله تعالى فسبح اسم ربك وتبارك اسم ربك بان معنى هذه
الالفاظ يقتضي اضافة الاسم الى الله تعالى واضافة الشي الى نفسه محال وقيل كما يجب تنزيه ذاته
سبحانه وتعالى عن النقص فكذلك يجب تنزيه اسمايه وكون الاسم غير التسمية هو ان التسمية
عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف ذات الشي والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق
ظاهر **واختلفوا** في اشتقاق الاسم فقال البصريون من السمو وهو العلو فاسم الشي ما علاه حتى ظهر
به وعلى عليه فكانه علا على معناه وصار علما له وقال الكوفيون من السمة وهي العلامة فكانه
علامة لمسماه وحجة البصريين لو كان الاسم اشتقاقه من السمة لكان تصغيره وسيم وجمعه اوسام
واجمعوا على ان تصغيره سمي وجمعه اسما واسامي **الله** اسم هو علم خاص لله تعالى تفرد به الباري
سبحانه وتعالى ليس بمشتق ولا يشركه فيه احد وهو الصحيح المختار دليله قوله تعالى هل تعلم له سميا يعني
لا يقال لغير الله وقيل هو مشتق من اله ياله الاهة مثل عبد الرجل يعبده عبادة دليله ويذرك والهتك
اي وعبادتك ومعناه المستحق للعبادة دون غيره وقيل من الوله اي الفزع لان الخلق يولهون اليه
اي يفزعون اليه في حوايجهم **قال بعضهم**

ولهت اليكم في بلايا تنوبني ۔ فالفيتكم فيها كرايم محتدا

وقيل اصله الاه يقال اله الى فلان اي سكنت اليه فكان الخلق يسكنون اليه ويطمينون بذكره
وقيل اصله ولاه فابدلت الواو همزة سمي بذلك لان كل مخلوق واله نحوه اما بالتخيير او بالارادة ومن
هنا قيل الله محبوب كل الاشيا يدل عليه وان من شي الا يسبح بحمده ومن خصايص هذا الاسم انك اذا
حذفت منه شيا بقي الباقي يدل عليه فان حذفت الالف بقي لله وان حذفت اللام واثبت الالف بقي اله
وان حذفتهما بقي له وان حذفت الالف واللامين معا بقي هو والواو عوض عن الضمة وذهب بعضهم
الى ان هذا الاسم الاعظم لانه يدل على الذات وباقي الاسما تدل على الصفات **الرحمن الرحيم** قال
ابن عباس هما اسمان رقيقان احدهما ارق من الاخر قيل هما بمعنى مثل ندمان ونديم ومعناهما ذو
الرحمة وانما جمع بينهما للتاكيد وقيل ذكر احدهما بعد الاخر تطميعا لقلوب الراغبين اليه وقيل
الرحمن فيه معنى العموم والرحيم فيه الخصوص فالرحمن بمعنى الرازق في الدنيا وهو على العموم لكافة
الخلق المومن والكافر والرحيم بمعنى العفو الكافي للمومنين في الاخرة فهو على الخصوص ولذلك قيل رحمان
الدنيا ورحيم الاخرة ورحمة الله ارادة الخير والاحسان لاهله وقيل هي ترك عقوبة من يستحق العقاب
واسدا الخير والاحسان الى من لا يستحق فهي على الاول صفة ذات وعلى الثاني صفة فعل وقيل الرحمن
يكشف الكروب والرحيم يغفر الذنوب وقيل الرحمن بتبيين الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق

فصل في حكم البسملة وفيه مسئلتان **المسالة الاولى** في كون البسملة من الفاتحة

وغيرها من السور سوى سورة براءة واختلف العلماء في ذلك فذهب الشافعي وجماعة من العلماء الى انها
اية من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت في اولها سوى سورة براءة وهو قول ابن عباس وابن عمر وابي هريرة وسعيد
ابن جبير وعطاء وابن المبارك واحمد في احدى الروايتين عنه واسحق ونقل البيهقي هذا القول عن علي
ابن ابي طالب والزهري والثوري ومحمد بن كعب وذهب الاوزاعي ومالك وابو حنيفة الى ان البسملة ليست
باية من الفاتحة زاد ابو داود ولا من غيرها من السور وانما هي بعض اية في سورة النمل وانما كتبت
للفصل والتبرك قال مالك ولا يستفتح بها في الصلاة المفروضة وللشافعي قول انها ليست من
اوائل السور مع القطع بانها من الفاتحة فاما حجة من منع كون البسملة اية من الفاتحة ومن غيرها
حديث المسيء المشهور المخرج في الصحيحين وحديث عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين قالوا ولان اول ما نزل به جبريل اقرا
باسم ربك الذي خلق ولم يذكر البسملة في اولها فدل على انها ليست منها قالوا ولان محل القران
لا يثبت الا بالتواتر والاستفاضة ولان الصحابة اجمعوا على عد كثير من السور منها سورة الملك
ثلاثون اية وسورة الكوثر ثلاث ايات وسورة الاخلاص اربع ايات فلو كانت البسملة منها لكانت
خمسا **واما** حجة من ذهب الى اثباتها في اوائل السور من جهة النقل فقد صح عن ام سلمة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قرا البسملة في اول الفاتحة في الصلاة وعدها اية وعن ابن عباس في قوله ولقد
اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم قال هي فاتحة الكتاب قيل فاين السابعة قال بسم الله الرحمن
الرحيم اخرجهما ابن خزيمة وغيره وروي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فصل السورة
وفي رواية انقضاء السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم اخرجه ابو داود والحاكم ابو عبد الله في
مستدركه وقال فيه انه صحيح على شرط الشيخين وروى الدارقطني عن ابي هريرة **قال** قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا قراتم الحمد فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم فانها ام القران وام الكتاب والسبع المثاني
وبسم الله الرحمن الرحيم احدى اياتها قال الدارقطني في رجال اسناده كلهم ثقات وروي موقوفا وروى
الدارقطني عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرا بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
الى اخرها قطعها اية اية وعدها عد الاعراب وعد بسم الله الرحمن الرحيم اية ولم
يعد عليهم واخرج مسلم في افراده عن انس رضي الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين
اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال انزل علي انفا سورة
فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر الحديث قال البيهقي احسن ما احتج به اصحابنا في ان بسم
الله الرحمن الرحيم من القران وانها من فواتح السور سوى براءة ما رويناه في جمع الصحابة كتاب الله عز وجل
في المصاحف انهم كتبوا بسم الله الرحمن الرحيم على راس كل سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم متوهم
انهم كتبوا فيها مائة وثلاث عشرة اية ليست من القران قال وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم اية من الفاتحة وروى الشافعي بسنده عن ابن
عمر انه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لام القران والسورة التي بعدها زاد غيره عنه انه كان يقول
لم كتبت في المصحف ان لم تقرا وروى الشافعي عن ابن عباس انه كان يفعله ويقول انتزع الشيطان منهم
خير اية في القران وفي افراد البخاري من حديث انس انه سئل كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال كانت مدا ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم فقد ثبت لهذه

الادلة الصحيحة الواضحة ان البسملة من الفاتحة ومن كل موضع ذكرت فيه وايضا فاجماع الصحابة
على اثباتها في المصاحف وانهم طلبوا بكتابة المصاحف تجريد كلام الله عز وجل المنزل على محمد صلى الله
عليه وسلم قرانا وتبريه من ان يزيدوا فيه او ينقصوا منه ولهذا لم يكتبوا فيه لفظة امين وان كان قد
ورد انه كان يقولها بعد الفاتحة فلو لم تكن البسملة من القران في اوائل السور لما كتبوها وكان حكمها
حكم امين **المسالة الثانية في حكم الجهر بالبسملة والاسرار** اذا ثبت بما تقدم من الادلة ان
البسملة اية من الفاتحة ومن غيرها من السور حيث كتبت كان حكمها في الجهر والاسرار حكم الفاتحة فيجهر بها
مع الفاتحة في الصلاة الجهرية ويسر بها مع الفاتحة في الصلاة السرية وممن قال بالجهر بالبسملة من
الصحابة ابو هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومن التابعين فمن بعدهم سعيد بن جبير وابو قلابة
والزهري وعكرمة وعطاء وطاوس ومجاهد وعلي بن الحسين وسالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي وابن
سيرين وابن المنكدر ونافع مولى ابن عمر وزيد بن اسلم ومكحول وعمر بن عبد العزيز وعمرو بن دينار ومسلم بن خالد
واليه ذهب الشافعي وهو احد قولي ابن وهب صاحب مالك وحكي ايضا عن ابن المبارك وابي ثور ومن ذهب
الى الاسرار بها من الصحابة رضي الله عنهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعمار بن ياسر وابن المغفل
وغيرهم ومن بعدهم الحسن والشعبي وابراهيم النخعي وقتادة والاعمش والثوري واليه ذهب مالك وابو
حنيفة واحمد وغيرهم اما حجة من قال بالجهر فقد روى جماعة من الصحابة منهم ابو هريرة وابن عباس
وانس وعلي بن ابي طالب وسمرة بن جندب وام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم جهر بالبسملة فمنهم من
صرح بذلك ومنهم من فهم ذلك من عبارته ولم يرد في صريح الاسرار بها عن النبي صلى الله عليه وسلم الا روايتان
احداهما ضعيفة وهي رواية عبد الله بن مغفل والاخرى عن انس وهي في الصحيح وهي معللة بما اوجب
سقوط الاحتجاج بها وروى نعيم بن عبد الله المجمر قال صليت وراء ابي هريرة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم
ثم قرا بام القران وذكر الحديث وفيه ثم يقول اذا سلم اني لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم
اخرجه النسائي وابن خزيمة في صحيحه وقال اما الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فقد ثبت وصح عن النبي صلى
الله عليه وسلم ورواه الدارقطني بسنده عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا وهو
يؤم الناس افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم وذكر الحديث قال الدارقطني اسناده كلهم ثقات وعن ابن عباس
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه الدارقطني وقال ليس في روايته مجروح
واخرجه الحاكم ابو عبد الله وقال اسناده صحيح وليس له علة وفي رواية عن ابن عباس قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه الدارقطني وقال صحيح ليس في
اسناده مجروح واخرجه الترمذي وقال ليس اسناده بذاك قال الشيخ ابو شامة اي لا يماثل اسناد
ما في الصحيح ولكن اذا انضم الى ما تقدم من الادلة رجح على ما في الصحيح وعن انس قال كان النبي صلى
الله عليه وسلم يجهر بالقراءة ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه الدارقطني وقال اسناده صالح وفيه عن محمد
ابن ابي السري العسقلاني قال صليت خلف المعتمر بن سليمان ما لا احصي صلاة الصبح والمغرب
فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها وسمعت المعتمر يقول ما آلو ان اقتدي
بصلاة انس بن مالك وقال انس ما آلو ان اقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه
الدارقطني وقال كلهم ثقات واخرجه الحاكم وقال رواة هذا الحديث كلهم ثقات قلت وفي الباب
احاديث وادلة وايرادات واجوبة من الجانبين يطول ذكرها وفي هذا القدر كفاية وبالله التوفيق

والله اعلم **قوله تعالى الحمد لله** لفظه خبر كانه قال سبحانه وتعالى بجبران المستحق للحمد هو الله
تعالى ومعناه الامر اي قولوا الحمد لله وفيه تعليم الخلق كيف يحمدونه والحمد والمدح اخوان وقيل بينهما
فرق وهو ان المدح قد يكون قبل الاحسان وبعده والحمد لا يكون الا بعد الاحسان وقيل ان المدح قد
يكون منهيا عنه واما الحمد فمامور به والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثنا الجميل
الافعال تقول حمدت الرجل على علمه وكرمه والشكر لا يكون الا على النعمة فالحمد اعم من الشكر اذ لا
تقول شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامدا وقيل الحمد باللسان قولا والشكر
بالاركان فعلا والحمد ضد الذم واللام في لله لام الاستحقاق كقولك الدار لزيد يعني اي مالكه ويكون
بمعنى المستحق للحمد لانه المحسن المتفضل على كافة الخلق على الاطلاق **رب العالمين** الرب بمعنى المالك
كما يقال رب الدار ورب الشي اي مالكه ويكون بمعنى التربية والاصلاح يقال رب فلان الضيعة
يربها اذا اصلحها فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم ومصلحهم ولا يقال الرب للمخلوق معرفا بل يقال
رب الشي مضافا والعالمين جمع عالم لا واحد له من لفظه وهو اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل
فيه جميع الخلق وقال ابن عباس هم الجن والانس لانهم المكلفون بالخطاب وقيل العالم اسم لذوي العلم
من الملايكة والجن والانس ولا يقال للبهايم عالم لانها لا تعقل واختلف في مبلغ عددهم فقيل لله الف عالم
ستماية في البحر واربعماية في البر وقيل ثمانون الف عالم اربعون الف في البر ومثلهم في البحر وقيل ثمانية
عشر الف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران في الخراب الا كفسطاط في صحرا الفسطاط الخيمة واشتقاق
العالم من العلم وقيل من العلامة وانما سمي بذلك لانه دال على الخالق سبحانه وتعالى **الرحمن الرحيم**
فالرحمن هو المنعم بما يتصور صدور تلك النعمة من العباد فلا يقال لغير الله رحمن ويقال لغيره من
العباد رحيم فان قلت قد سمي مسيلمة الكذاب برحمان اليمامة وهو قول شاعرهم •
• وانت غيث الورى مازلت رحمانا • قلت هو من باب تعنتهم في كفرهم وصا لعنهم في مدح صاحبهم فلا
يلتفت الى قولهم هذا فان قلت قد ذكر الرحمن الرحيم في البسملة فما فايدة تكريره هنا مرة ثانية
قلت ليعلم ان العناية بالرحمة اكثر من غيرها من الامور وان الحاجة اليها اكثر فنبه سبحانه وتعالى
بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها وانه هو المتفضل بها على خلقه **قوله تعالى مالك يوم الدين** يعني
انه تعالى صاحب ذلك اليوم الذي يكون فيه الجزا والملك هو المتصرف بالامر والنهي وقيل هو القادر
على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى وقيل مالك اوسع
من ملك لانه يقال مالك العبد والدابة ولا يقال ملك هذه الاشيا ولانه لا يكون مالكا للشي
الا وهو يملكه وقد يكون ملكا للشي ولا يملكه وقيل ملك اولى لان كل ملك مالك وليس كل مالك
ملك وقيل هما بمعنى واحد مثل فرهين وفارهين قال ابن عباس مالك يوم الدين قاضي يوم الحساب
وقيل الدين الجزا ويقع على الخير والشر يقال كما تدين تدان وقيل هو يوم لا ينفع فيه الا الدين
وقيل الدين القهر يقال دنته فدان اي قهرته فدان فان قلت لم خص يوم الدين بالذكر مع كونه
مالكا للايام كلها قلت لان ملك الاملاك يومئذ زايلة فلا ملك ولا امر يومئذ الا لله تعالى
كما قال تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن وقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقد يسمى
في دار الدنيا احاد الناس بالملك وذلك على المجاز لا على الحقيقة قوله عز وجل **اياك نعبد**
رجع من الخبر الى الخطاب وفايدة ذلك ان من اول السورة الى هنا ثنا والثنا في الغيبة اولى

ومن

ومن قولنا اياك نعبد دعا والخطاب في الدعا اولى وقيل فيه ضمير اي قولوا اياك نعبد والمعنى
اياك نخص بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين لك والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل
وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذي يودى به الفرض لتعظيم
الله تعالى فقول العبد اياك نعبد معناه لا اعبد احدا سواك والعبادة غاية التذلل من العبد
ونهاية التعظيم للرب سبحانه لانه العظيم المستحق للعبادة ولا يستعمل العبادة الا في الخضوع
لله تعالى لانه مولى اعظم النعم وهي ايجاد العبد من العدم الى الوجود ثم هداه الى دينه فكان
العبد حقيقا بالخضوع والتذلل له **واياك نستعين** اي منك نطلب المعونة على عبادتك
وعلى جميع امورنا فان قلت الاستعانة على العمل انما يكون قبل الشروع فيه فلم اخر الاستعانة على
العبادة وما الحكمة فيه قلت ذكر فيها وجوها احدها ان هذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل
الفعل ونحن بحمد الله نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتاخير الثاني
ان الاستعانة نوع تعبد فكانه ذكر جملة العبادة اولا ثم ذكر ما هو من تفاصيلها ثانيا الثالث
كان العبد يقول شرعت في العبادة فانا استعين بك على اتمامها فلا يمنعني عن اتمامها مانع الرابع
ان العبد اذا قال اياك نعبد حصل له الفخر وذلك منزلة عظيمة فيحصل بسبب ذلك العجب
فاردف ذلك بقوله واياك نستعين ليزول ذلك العجب الحاصل بسبب تلك العبادة **اهدنا
الصراط المستقيم** اي ارشدنا وقيل ثبتنا وهو كما تقول للقايم قم حتى اعود اليك ومعناه دم
على ما انت عليه وهذا الدعا من المومنين مع كونهم على الهداية بمعنى سوال التثبيت وطلب
مزيد الهداية لان الالطاف والهدايات من الله تعالى لا تتناهى وهذا مذهب اهل السنة
والصراط الطريق قال جرير امير المومنين على صراط اذا اعوج الموارد مستقيم اي على طريقة
حسنة قال ابن عباس هو دين الاسلام وقيل هو القران وروى ذلك مرفوعا وقيل السنة
والجماعة وقيل معناه اهدنا صراط المستحقين للجنة **صراط الذين انعمت عليهم** هذا
بدل من الاول اي الذين مننت عليهم بالهداية والتوفيق وهم الانبيا والمومنون الذين ذكرهم الله
في قوله فاوليك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وقال
ابن عباس هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا وقيل هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
واهل بيته **غير المغضوب عليهم** يعني غير صراط الذين غضبت عليهم والغضب في الاصل
هو ثوران دم القلب وارادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الغضب فانه جمرة
توقد في قلب ابن ادم الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه واذا وصف الله به فالمراد منه
الانتقام فقط دون غيره وهو انتقامه من العصاة وغضب الله لا يلحق عصاة المومنين انما يلحق
الكافرين **ولا الضالين** اي وغير الضالين عن الهدى واصل الضلال الغيبوبة والهلاك يقال
ضل الما في اللبن اذا غاب فيه وهلك وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى
عن عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال اخرجه
الترمذي وذلك لان الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم
على النصارى بالضلال فقال ولا تتبعوا اهوا قوم قد ضلوا من قبل وقيل غير المغضوب
عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة والله اعلم •

فصل في آمين وحكم الفاتحة وفيه مسئلتان

الاولى السنة للقارئ بعد فراغه من الفاتحة ان يقول آمين مفصولا عنها بسكتة وهو مخفف وفيه
لغتان المد والقصر قال في المد يرحم الله عبدا قال آمينا وقال في القصر آمين وزاد الله ما بيننا
بعدا ومعنى آمين اللهم اسمع واستجب وقال ابن عباس معناه كذلك يكون وقيل هو اسم من اسماء الله
تعالى وقيل هو خاتم الله على عباده يدفع به عنهم الآفات ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا امن الامام فامنوا فانه من وافق تامينه تامين الملائكة غفر
له ما تقدم من ذنبه قال ابن شهاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين وفي رواية
للبخاري ان الامام اذا قرا غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول
آمين والامام يقول آمين فمن وافق تامينه تامين الملائكة معناه وافقهم في وقت التامين فامن
مع تامينهم وقيل وافقهم في الصفة والخشوع والاخلاص والقول الاول هو الصحيح واختلفوا في
هولاء الملائكة قيل هم الحفظة وقيل غيرهم من الملائكة وقوله غفر لهم ما تقدم من ذنبه يعني يغفر
له الذنوب الصغاير دون الكبائر وقول ابن شهاب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
آمين معناه ان هذه صيغة تامينه صلى الله عليه وسلم **المسالة الثانية** في حكم الفاتحة اختلف
العلما في وجوب قراة الفاتحة فذهب مالك والشافعي واحمد وجمهور العلما الى وجوب الفاتحة وانها
متعينة في الصلاة ولا تجزي الا بها واحتجوا بما روي عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرا فيها فاتحة الكتاب اخرجاه في الصحيحين وبحديث ابي هريرة
من صلى صلاة لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج ثلاثا غير تمام الحديث وقد تقدم في فضل
سورة الفاتحة وذهب ابو حنيفة الى ان الفاتحة لا تتعين على المصلي بل الواجب عليه قراة آية
من القران طويلة او ثلاث آيات قصار واحتج بقوله تعالى فاقروا ما تيسر منه وبقوله صلى الله
عليه وسلم في حديث الاعرابي المسيء صلاته ثم اقرا بما تيسر معك من القران اخرجاه في الصحيحين دليل
الجمهور ما تقدم من الاحاديث فان قيل المراد من حديث لا صلاة لا صلاة كاملة قلنا هذا خلاف ظاهر
لفظ الحديث ومما يدل عليه حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجزي
صلاة لمن لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب اخرجه الدارقطني وقال اسناده صحيح وعنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم امره ان يخرج فينادي لا صلاة الا بفاتحة الكتاب فما زاد اخرجه احمد
وابو داود واجيب عن حديث الاعرابي بانه محمول على الفاتحة فانها متيسرة او على ما زاد على
الفاتحة او على العاجز عن قراة الفاتحة والله اعلم

تفسير سورة البقرة

قال ابن عباس هي اول ما نزل بالمدينة قيل سوى آية وهي قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
فانها نزلت يوم النحر بمكة في حجة الوداع وهي مايتان وست وقيل سبع وثمانون آية وستة آلاف ومائة
واحدى وعشرون كلمة وخمسة وعشرون الف حرف وخمسمائة حرف

فصل في فضلها

م عن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقروا القران فانه ياتي يوم القيمة
شفيعا لاصحابه اقروا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما ياتيان يوم القيمة كانهما غمامتان
او غيايتان او كانهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما اقروا البقرة فان اخذها بركة

وتركها

وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة قال معاوية بن سلام بلغني ان البطلة السحرة **قوله** الزهراوين
سميتا بذلك لنورهما وهدايتهما ايما لكل مستنير زاهر قوله كانهما غمامتان او غيايتان قال اهل
اللغة الغمامة والغياية كل شي اظل الانسان فوق راسه من سحابة وغيرها والمعنى ان ثوابهما
ياتي كغمامتين **قوله** فرقان من طير صواف الفرق الجماعة من الطير والصواف جمع صافة وهي
التي تصف اجنحتها عند الطيران تحاجان المحاجة المجادلة والمحاجة واظهار الحجة والبطلة
السحرة كما جا في الحديث سميا بذلك لبطلهم اذ لجا بالباطل وفي الحديث دليل على جواز قول سورة البقرة
وسورة آل عمران وكذا باقي السور ولانه لا كراهة في ذلك وكرهه بعض المتقدمين وقال انما يقال
السورة التي يذكر فيها البقرة وكذا باقي السور والصواب هو الاول وبه قال الجمهور لورود النص به
م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم مقابر ان الشيطان يفر من
البيت الذي تقرا فيه سورة البقرة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شي سنام وان
سنام القران سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القران آية الكرسي اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب بسم الله الرحمن الرحيم **قوله عز وجل الم** قيل ان حروف الهجا في اوايل السور من
المتشابه الذي استاثر الله بعلمه وهي سر الله في القران فنحن نومن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى
وفايدة ذكرها طلب الايمان بها قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في كل كتاب سر وسر الله في القران
اوايل السور وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي واورد
على هذا القول بانه لا يجوز ان يخاطب الله عباده بما لا يعلمون واجيب عنه بانه يجوز ان يكلف عباده
بما لا يعقل معناه كرمي الجمار فانه مما لا يعقل معناه والحكمة فيه هو كمال الانقياد والطاعة فكذلك هذه
الحروف يجب الايمان بها ولا يلزم البحث عنها وقال اخرون من اهل العلم هي معروفة المعاني ثم اختلفوا فيها
فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من اسما الله تعالى فالالف مفتاح اسم الله واللام مفتاح اسم لطيف والميم
مفتاح اسمه مجيد وقيل الالف آلا الله واللام لطفه والميم ملكه ويويد هذا ان العرب تذكر حرفا من
كلمة تريد كلها قال الراجز ؛ قلت لها قفي فقالت قاف ؛ لا تحسبي انا نسينا الايجاف ؛
قولها قاف اي وقفت فاكتفت بجزء الكلمة عن كلها والايجاف الاسراع في السير قال ابن عباس الم انا الله
اعلم وقيل هي اسما الله مقطعة لو علم الناس تاليفها لعلموا اسم الله الاعظم الا ترى انك تقول الر وحم
ون فيكون مجموعهما الرحمن وكذلك سايرها ولكن لم نهتد الى تاليفها جميعا وقيل اسما السور وبه قال جماعة
من المحققين وقال ابن عباس هي اقسام وقيل اقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لانها مباني كتبه
المنزلة واسمائه الحسنى وصفاته العلى وانما اقتصر على بعضها وان كان المراد كلها فهو كما يقول قرات
الحمد لله وتريد انك قرات السورة بكمالها فكانه تعالى اقسم بهذه الحروف ان هذا الكتاب هو الكتاب
المثبت في اللوح المحفوظ وقيل ان الله تعالى لما تحداهم بقوله فاتوا بسورة من مثله وبعشر سور مثله فعجزوا
عنه انزل هذه الاحرف ومعناه ان القران ليس هو الا من هذه الاحرف وانتم قادرون عليها فكان
يجب ان تاتوا بمثله فلما عجزتم عنه دل ذلك على انه من عند الله لا من عند البشر وقيل انهم لما اعرضوا
عن سماع القران واراد الله صلاح بعضهم انزل هذه الاحرف فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين
اسمعوا الى ما يجي به محمد صلى الله عليه وسلم فاذا اصغوا اليه وسمعوه رسخ في قلوبهم فكان ذلك سببا
لايمانهم وقيل ان الله تعالى حير عقول الخلق في ابتدا خطابه ليعلموا ان لا سبيل لاحد الى معرفة خطابه

الا باعترافهم بالعجز عن معرفة كنه حقيقة خطابه واعلم ان مجموع الاحرف المنزلة في اوايل السور اربعة
عشر حرفا في تسع وعشرين سورة وهي الالف واللام والميم والصاد والواو والكاف والها والياء والعين
والطا والسين والحا والقاف والنون وهي نصف حروف المعجم وسياتي الكلام على باقيها في مواضعها
ان شا الله تعالى وقوله تعالى **ذلك الكتاب** اي هذا الكتاب هو القران وقيل فيه اضمار ومعنا
هذا الكتاب ذلك الذي وعدتك به وكان الله قد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليه
كتابا لا يمحوه الما ولا يخلق عن كثرة الرد فلما انزل الله تعالى القران قال هذا ذلك الكتاب الذي
وعدتك به وقيل ان الله وعد بني اسرايل ان ينزل عليهم كتابا ويرسل رسولا من بني اسمعيل فلما
هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وبها من اليهود خلق كثير انزل الله هذه الاية الم
ذلك الكتاب اي هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك به على لسان موسى ان انزله على النبي صلى الله
عليه وسلم الذي من ولد اسمعيل والكتاب مصدر بمعنى المكتوب واصله الضم والجمع ومنه يقال للجند
كتيبة لاجتماعها فسمي الكتاب كتابا لانه يجمع الحروف بعضها الى بعض والكتاب اسم من اسما القران
لا ريب فيه اي لا شك فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق وقيل هو خبر بمعنى النهي اي لا ترتابوا فيه
فان قلت قد ارتاب به قوم فما معنى لا ريب فيه قلت معناه انه في نفسه حق وصدق فمن حقق النظر
عرف حقيقة ذلك **هدى للمتقين** الهداية عبارة عن الدلالة وقيل هي دلالة بلطف وقيل الهداية
الارشاد والمعنى هو هدى للمتقين وقيل هو هاديا لا ريب في هدايته والمتقي اسم فاعل من وقاه فاتقى
والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف وقيل التقوى في عرف الشرع حفظ النفوس مما يوثم وذلك
بترك المحظور وبعض المباحات قال ابن عباس المتقي من يتقي الشرك والكباير والفواحش وهو ماخوذ
من الاتقا واصله الحجز بين الشيئين يقال اتقى بترسه اذا جعله حاجزا بينه وبين ما يقصده وفي
الحديث كنا اذا اشتد الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم معناه كنا اذا اشتد الحرب
جعلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجزا بيننا وبين العدو فكان المتقي يجعل امتثال اوامر الله
واجتناب نواهيه حاجزا بينه وبين النار وقيل المتقي هو من لا يرى نفسه خيرا من احد وقيل التقوى
ترك ما حرم الله واداء ما افترض وقيل التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة
وقيل التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك وقيل التقوى الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
وفي الحديث جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية وقيل المتقي هو الذي يترك
ما لا باس به حذرا مما به باس وخص المتقين بالذكر تشريفا لهم لان مقام التقوى مقام شريف عزيز
لانهم هم المنتفعون بالهداية ولو لم يكن للمتقين فضل الا قوله هدى للمتقين لكفاهم فان قلت
كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون قلت هو كقولك للعزيز الكريم اعزك الله واكرمك
يريد طلب الزيادة له الى ما هو ثابت فيه كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم **الذين يومنون**
بالغيب اي يصدقون بالغيب واصل الايمان في اللغة التصديق قال الله تعالى وما انت
بمومن لنا اي بمصدق فاذا فسر الايمان بهذا فانه لا يزيد ولا ينقص لان التصديق لا يتجزى حتى ينقص
كماله مرة وينقص اخرى والايمان في لسان الشرع عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان
والعمل بالاركان واذا فسر بهذا فانه يزيد وينقص وهو مذهب اهل السنة من اهل الحديث
وغيرهم وفايدة هذا الخلاف تظهر في مسيلة وهي ان المصدق بقلبه اذا لم يجمع الى تصديقه العمل

بموجب

بموجب الايمان من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك من اركان الدين هل يسمى مومنا ام لا
فيه خلاف والمختار عند اهل السنة انه لا يسمى مومنا لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين
يزني وهو مومن فنفى عنه اسم الايمان او كمال الايمان وانكر اكثر المتكلمين زيادة الايمان ونقصانه
وقالوا متى قبل الزيادة والنقص كان ذلك شكا وكفرا وقال المحققون من متكلمي اهل السنة ان
نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والايمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة الاعمال ونقصانها فبهذا
امكن الجمع بين ظواهر نصوص الكتاب والسنة التي جات بزيادة الايمان ونقصانه وبين اصله
من اللغة وقال بعض المحققين ان نفس التصديق قد يزيد وينقص بكثرة النظر في الادلة والبراهين
وقلة امعان النظر في ذلك ولهذا يكون ايمان الصديقين اقوى واثبت من ايمان غيرهم لانهم لا
يعتريهم شبهة في ايمانهم ولا تزلزل واما غيرهم من احاد الناس فليسوا كذلك اذ لا يشك عاقل ان
نفس تصديق ابي بكر لا يساويه تصديق غيره من احاد الامة وقيل انما سمي الاقرار والعمل ايمانا
لوجه من المناسبة لانه من شرايعه والدليل على ان الاعمال من الايمان ما روي عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة افضلها قول لا اله الا الله
وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحيا شعبة من الايمان اخرجاه في الصحيحين البضع بكسر
البا ما بين الثلاثة الى العشرة والشعبة القطعة من الشي واماطة الاذى عن الطريق هو عزل
الحجر والشوك ونحو ذلك عنه والحيا بالمد هو انقباض النفس عن فعل القبيح وانما جعل من الايمان
وهو اكتساب لان المستحي ينزجر باستحيايه عن المعاصي فصار من الايمان وقيل الايمان ماخوذ
من الامن فسمي المومن مومنا لانه يومن نفسه من عذاب الله والاسلام هو الانقياد والخضوع
فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا اذ لم يكن معه تصديق فيه وذلك ان الرجل قد يكون مسلما
في الظاهر غير مصدق في الباطن ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوما بارزا للناس فاتاه رجل فقال يا رسول الله ما الايمان قال ان تومن بالله وملايكته
وكتابه ولقايه ورسله وتومن بالبعث الاخر قال يا رسول الله ما الاسلام قال ان تعبد الله ولا
تشرك به شيا وتقيم الصلاة المكتوبة وتودي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال يا رسول
الله ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فانك ان لا تراه فانه يراك قال يا رسول الله
متى الساعة قال ما المسيول عنها باعلم من السايل ولكن ساحدثك عن اشراطها اذا ولدت
الامة ربها فذاك من اشراطها فاذا كانت العراة الحفاة روس الناس فذاك من اشراطها واذا
تطاول رعا البهم في البنيان فذاك من اشراطها في خمس لا يعلمهن الا الله ثم تلا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام الى قوله ان الله عليم خبير
ثم قال ادبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا علي الرجل فاخذوا ليردوه فلم يروا
شيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جا ليعلم الناس دينهم وفي افراد مسلم من حديث
عمر بن الخطاب نحو هذا الحديث وبمعناه وقد تقدم الكلام على معنى الايمان والاسلام وبقي اشيا
تتعلق بمعنى الحديث فقوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا اي ظاهرا وقوله وتومن
بالله ولقايه وتومن بالبعث الاخر هو بكسر الخا وقيل في الجمع بين قوله وتومن بلقا الله وبالبعث
فان اللقا يحصل بمجرد الانتقال الى الدار الاخرة وهو الموت والبعث هو بعده عند قيام الساعة

وفي تقييده بالاخرة وجه اخر وهو ان خروجه الى الدنيا بعث من الارحام وخروجه من القبر الى الاخرة
بعث اخر قوله ما الاحسان هو هنا الاخلاص في العمل وهو شرط في صحة الايمان والاسلام لان من اتى
بلفظ الشهادة واتى بالعمل من غير اخلاص لم يكن محسنا وقيل اراد بالاحسان المراقبة وحسن الطاعة
فان من راقب الله احسن عمله وهو المراد بقوله فان لم تكن تراه فانه يراك واشراط الساعة علاماتها
التي تظهر قبل قيامها قوله اذا ولدت الامة ربها يعني سيدها والمعنى ان الرجل يكون له الامة فتلد
له ولدا فيكون ذلك الولد ابنها وسيدها ورعاء البهم بكسر الراء وفتح الباء واسكان الهاء من البهم وهي
الصغار من اولاد الضان والمعنى ان يبسط المال على اهل البادية واشباههم حتى يتباهون
في البناء ويسودون الناس فذلك من اشراط الساعة والله اعلم قوله تعالى بالغيب الغيب مصدر
وضع موضع الاسم فقيل للغائب غيب وهو ما كان مغيبا عن العيون قال ابن عباس الغيب هنا كلما امرت
بالايمان به مما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان وقيل الغيب
هنا هو الله تعالى وقيل القران وقيل الاخرة وقيل بالوحي وقيل بالقدر وقال عبد الرحمن بن يزيد
كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما سبقونا به فقال عبد
الله بن مسعود ان امر محمد كان بينا لمن راه والذي لا اله غيره ما امن من احد قط افضل من ايمان بغيب
ثم قرا الم ذلك الكتاب الى قوله واولئك هم المفلحون ويقيمون الصلاة اي يديمونها ويحافظون عليها
في مواقيتها بحدودها واتمام اركانها وحفظها من ان يقع فيها خلل في فرايضها وسننها وادابها
والمراد بها الصلوات الخمس والصلاة في اللغة الدعاء والرحمة ومنه وصل عليهم اي ادع لهم واصله
من صليت العود اذا لينته فكان المصلي يلين ويخشع وفي الشرع اسم لافعال مخصوصة من قيام
وركوع وسجود وقعود ودعاء مع النية ومما رزقناهم اي اعطيناهم من الرزق وهو اسم لما ينتفع به
من مال وولد واصله الحظ والنصيب ينفقون اي يخرجون ويتصدقون في طاعة الله تعالى وسبيله
ويدخل فيه انفاق الواجب كالزكاة والنذر والانفاق على النفس وعلى من تجب نفقته عليه والانفاق
في الجهاد اذا وجب عليه والانفاق في المندوب وهو صدقة التطوع ومواساة الاخوان وهذه
كلها ممدوح بها وادخل من التي هي للتبعيض صيانة لهم وكفا عن السرف والتبذير المنهي عنهما في
الانفاق والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك اي يصدقون بالقران المنزل عليك
وبالكتب المنزلة على الانبياء من قبل كالتوراة والانجيل والزبور وصحف الانبياء كلها فيجب الايمان
بذلك كله وبالاخرة يعني وبالدار الاخرة سميت اخرة لتاخرها عن الدنيا وكونها بعدها هم يوقنون
من الايقان وهو العلم والمعنى يستيقنون ويعلمون انها كائنة اولئك اي الذين هذه صفتهم على هدى
من ربهم اي على رشاد ونور من ربهم وقيل على استقامة واولئك هم المفلحون اي الناجون الفائزون
فازوا بالجنة والمفلح الظافر بالمطلوب الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه
ويكون الفلاح بمعنى البقاء قال الشاعر • لو كان حي مدرك الفلاح • ادركه ملاعب الرماح •
يريد البقاء فيكون المعنى اولئك هم الباقون في النعيم المقيم والفلاح الظفر وادراك البغية من السعادة
والفوز والبقاء لغة واصل الفلاح الشق كما قيل ان الحديد بالحديد يفلح اي يقطع فعلى هذا يكون المعنى
اولئك هم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والاخرة واعلم ان الله عز وجل صدر هذه السورة باربع ايات
انزلها في المؤمنين وباثنتين انزلهما في الكافرين وبثلاث عشرة اية انزلها في المنافقين فاما التي في الكفار

فقوله

فقوله تعالى ان الذين كفروا اي جحدوا وانكروا واصل الكفر في اللغة الستر والتغطية ومنه سمي الليل
كافرا لانه يستر الاشيا بظلمته قال الشاعر • في ليلة كفر النجوم غمامها • اي سترها والكفر على اربعة
اضرب كفر انكار وهو ان لا يعرف الله اصلا ككفر فرعون وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري وكفر جحود
وهو ان يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس وكفر عناد وهو ان يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه
ولا يدين به ككفر امية بن ابي الصلت وابي طالب حيث يقول في شعر له •

ولقد علمت بان دين محمد • من خير اديان البرية دينا •
لولا الملامة او حذار مسبة • لوجدتني سمحا بذاك مبينا •

وكفر نفاق وهو ان يقر بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه فجميع هذه الانواع كفر وحاصله ان
من جحد الله او انكر وحدانيته او انكر شيئا مما انزله على رسوله او انكر نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم او احد من الرسل فهو كافر فان مات على ذلك فهو في النار خالدا فيها ولا يغفر الله له نزلت
في مشركي العرب وقيل في اليهود سواء عليهم اي متساو لديهم ءانذرتهم اي خوفتهم وحذرتهم والانذار
اعلام مع تخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا ام لم تنذرهم لا يومنون اي لا يصدقون وهذه
الاية في اقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة في سابق علم الله الازلي انهم لا يومنون ثم ذكر سبب تركهم
الايمان وقال تعالى ختم الله على قلوبهم اي طبع عليها فلا تعي خيرا ولا تفهمه واصل الختم التغطية
وحقيقته الاستيثاق من الشي لكي لا يخرج منه ما حصل فيه ولا يدخله ما خرج منه ومنه ختم الكتاب قال
اهل السنة حكم الله على قلوبهم بالكفر لما سبق من علمه الازلي فيهم وانما خص القلب بالختم لانه محل الفهم
والعلم وعلى سمعهم اي وختم على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به لانها تمجه وتنبو عن
الاصغا اليه كانها مستوثق منها بالختم ايضا وذكر السمع بلفظ التوحيد ومعناه الجمع فقيل انما وحد
لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع وعلى ابصارهم غشاوة هذا ابتدا كلام والغشاوة الغطا
ومنه غاشية السرج اي وجعل على ابصارهم غشاوة فلا يرون الحق وهو غطا التغابي عن ايات
الله ودلائل توحيده ولهم عذاب عظيم يعني في الاخرة وقيل الاسر والقتل في الدنيا والعذاب
الدائم في العقبى وحقيقة العذاب هو كل ما يولم الانسان ويغشاه ويشق عليه وقيل هو الايجاع
الشديد وقيل هو ما يمنع الانسان من مراده ومنه الماء العذب لانه يمنع من العطش والعظيم ضد
الحقير قوله عز وجل ومن الناس من يقول امنا بالله نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي
سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس واصحابهم وذلك انهم اظهروا كلمة الاسلام ليسلموا بها من النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه واضمروا الكفر فاعتقدوه واكثرهم من اليهود وصفة المنافق
ان يعترف بلسانه الايمان ويقر به وينكره في قلبه ويقر به ويصبح على حالة ويمسي على غيرها
والناس جمع انسان سمي به لانه عهد اليه فنسي قال الشاعر • وسميت انسانا لانك ناسي •
وقيل سمي انسانا لانه يستانس بمثله وباليوم الاخر اي وامنا باليوم الاخر وهو يوم القيامة سمي
بذلك لانه ياتي بعد الدنيا وهو اخر الايام المحدودة المعدودة وما بعده فلا حد له ولا اخر قال
الله تعالى ردا على المنافقين وما هم بمؤمنين نفى عنهم الايمان بالكلية يخادعون الله والذين
امنوا اي يخالفون الله والخديعة الحيلة والمكر واصله في اللغة الاخفا والمخادع يظهر ضد ما
يضمر ليتخلص فهو بمنزلة النفاق وهو خادعهم اي يظهر لهم نعيم الدنيا ويعجلها لهم بخلاف ما يغيب

عنهم من عذاب الاخرة فان قلت المخادعة مفاعلة وانما تجري في الفعل المشترك والله تعالى منزه عن
المشاركة قلت المفاعلة قد ترد لا على وجه المشاركة تقول عافاك الله وطارقت النعل وعاقبت
اللص فالمخادعة هنا عبارة عن فعل الواحد والله يتعالى عن ان يكون منه خداع فان قلت كيف
يخادع الله وهو يعلم الضماير والاسرار فمخادعة الله ممتنعة فكيف يقال يخادعون الله قلت
انه تعالى ذكر نفسه واراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك تفخيم لامره وتعظيم لشانه
وقيل اراد به المؤمنين واذا خادعوا المؤمنين فكانهم خادعوا الله تعالى وذلك انهم ظنوا ان النبي
صلى الله عليه وسلم والمومنين لم يعلموا احوالهم ولتجري عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهم على خلافه
في الباطن **وما يخادعون الا انفسهم** اي ان الله تعالى يجازيهم على ذلك ويعاقبهم عليه فلا يكونون
في الحقيقة الا خادعين انفسهم وقيل اذ وبال ذلك الخداع راجع اليهم لان الله يطلع نبيه صلى
الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى والنفس ذات
الشي وحقيقته وقيل للدم نفس لان به قوة البدن **وما يشعرون** اي لا يعلمون ان وبال خداعهم
راجع عليهم **في قلوبهم مرض** اي شك ونفاق واصل المرض الضعف والخروج عن الاعتدال الخاص
بالانسان وسمي الشك في الدين والنفاق مرضا لانه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن **فزادهم
الله مرضا** يعني ان الايات كانت تنزل تترا اية بعد اية فلما كفروا باية ازدادوا بذلك كفرا ونفاقا
ولهم عذاب اليم اي مولم يخلص وجعه الى قلوبهم **بما كانوا يكذبون** اي بتكذيبهم الله ورسوله في
السر وقرى بالتخفيف اي بكذبهم اذ قالوا امنا وهم غير مومنين **واذا قيل لهم** يعني للمنافقين
وقيل لليهود والمعنى اذ قال لهم المومنون **لا تفسدوا في الارض** اي بالكفر وتعويق الناس عن
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران **قالوا انما نحن مصلحون** يعني يقولونه كذبا **الا** كلمة
تنبيه ينبه بها المخاطب **انهم هم المفسدون** يعني في الارض بالكفر وهو اشد الفساد **ولكن
لا يشعرون** وذلك لانهم يظنون ان ما هم عليه من النفاق وابطان الكفر صلاح وهو عين الفساد
وقيل لا يشعرون ما اعد الله لهم من العذاب **واذا قيل لهم** يعني للمنافقين وقيل لليهود **امنوا
كما امن الناس** يعني المهاجرين والانصار وقيل عبد الله بن سلام واصحابه من مومني اهل الكتاب
والمعنى اخلصوا في ايمانكم كما اخلص هولاء في ايمانهم لان المنافقين كانوا يظهرون الايمان **قالوا
انومن كما امن السفهاء** اي الجهال فان قلت كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم انومن كما
امن السفهاء قلت كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المومنين فاخبر الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم والمومنين بذلك فرد الله عليهم ذلك بقوله **الا انهم هم السفهاء** يعني
الجهال واصل السفه خفة العقل ورقة العلم وانما سمى الله المنافقين سفهاء لانهم كانوا عند
انفسهم عقلاء روسا فقلب الله ذلك عليهم وسماهم سفهاء **ولكن لا يعلمون** يعني انهم كذلك قوله
تعالى **واذا لقوا الذين امنوا** يعني هولاء المنافقين اذا لقوا المهاجرين والانصار **قالوا امنا**
كايمانكم **واذا خلوا** اي رجعوا وقيل هو من الخلوة **الى** قيل بمعنى الباء اي **بشياطينهم** وقيل بمعنى مع
اي مع شياطينهم والمراد بشياطينهم روساهم وكهنتهم قال ابن عباس وهم خمسة نفر كعب بن
الاشرف من اليهود بالمدينة وابو بردة في بني اسلم وعبد الدار في جهينة وعوف بن عامر في بني اسد
وعبد الله بن السوار بالشام ولا يكون كاهن الا ومعه شيطان تابع له وقيل هم روساوهم الذين

شابهوا

شابهوا الشياطين في تمردهم **قالوا انا معكم** اي على دينكم **انما نحن مستهزئون** اي بمحمد واصحابه
انما نظهر لهم من الاسلام لنا من شرهم ونقف على سرهم وناخذ من غنايمهم وصدقاتهم قال ابن عباس
نزلت هذه الاية في عبد الله بن ابي واصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن ابي لاصحابه انظروا كيف ارد هولاء السفهاء عنكم فذهب
فاخذ بيد ابي بكر الصديق فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني
عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علي اتق الله
وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علي اتق الله يا عبد الله
ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال مهلا ابا الحسن الي تقول هذا والله
ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم تفرقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رايتموني
فعلت فاثنوا عليه خيرا **الله يستهزئ بهم** اي يجازيهم جزاء استهزائهم بالمومنين فسمي الجزاء
باسمه لانه في مقابلته قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة فاذا انتهوا اليه سد عنهم وردوا الى
النار **ويمدهم** اي يتركهم ويمهلهم والمد والامداد واحد واصله الزيادة واكثر ما ياتي المد
في الشر والامداد في الخير **في طغيانهم** اي في ضلالتهم واصل الطغيان مجاوزة الحد **يعمهون** اي يترددون
في الضلالة متحيرين **اولئك** يعني المنافقين **الذين اشتروا الضلالة بالهدى** اي استبدلوا الكفر
بالايمان وانما اخرجه بلفظ الشرى والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة لان الشرى اعطاء بدل واخذ
اخر فان قلت كيف قال اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه كانه
في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوه به والضلالة الجور عن القصد وفقد
الاهتداء **فما ربحت تجارتهم** اي فما ربحوا في تجارتهم والربح الفضل عن راس المال واضاف الربح الى
التجارة لان الربح فيها يكون **وما كانوا مهتدين** اي مصيبين في تجارتهم لان راس المال هو الايمان
فلما اضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالتهم
قوله عز وجل **مثلهم** المثل عبارة عن قول في شي يشبه ذلك القول قولا اخر بينهما مشابهة ليبين
احدهما الاخر ويصوره وهذا ضرب الله تعالى الامثال في كتابه وهو احد اقسام القران السبعة ولما
ذكر الله تعالى وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان لانه يوثر في القلوب
ما لا يوثره وصف الشي في نفسه ولان المثل تشبيه الشي الخفي بالجلي فيتاكد الوقوف على ماهيته
وذلك هو النهاية في الايضاح وشرطه ان يكون قولا فيه غرابة من بعض الوجوه **كمثل الذي استوقد
نارا** اي لينتفع بها **فلما اضاءت** يعني النار **ما حوله** يعني حول المستوقد **ذهب الله بنورهم** فان
قلت كيف وحده اولا ثم جمع ثانيا قلت يجوز وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا
وقيل انما شبه قصتهم بقصة المستوقد وقيل معناه ومثل كل واحد منهم كمثل الذي استوقد نارا **وتركهم
في ظلمات لا يبصرون** قال ابن عباس نزلت في المنافقين يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل اوقد نارا
في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفا وراى ما حوله فاستدفا وراى ما حوله فاتقى مما يخاف فبينا هو
كذلك انطفيت ناره فبقي في ظلمة حايرا متخوفا فكذلك حال المنافقين اظهروا كلمة الايمان

فآمنوا بها على انفسهم واموالهم واولادهم وناكحوا المؤمنين وقاسموهم الغنائم فذلك نورهم فلما ماتوا
عادوا الى الظلمة والخوف وقيل ذهاب نورهم ظهور عقيدتهم للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل ذهاب نورهم في القبر او على الصراط فان قلت ما وجه تشبيه الايمان بالنور والكفر
بالظلمة قلت وجه تشبيه الايمان بالنور ان النور ابلغ الاشياء في الهداية الى المحجة المقصودة والى
الطريق المستقيم وازالة الحيرة وكذلك الايمان هو الطريق الواضح الى الله تعالى والى جنانه
وشبه الكفر بالظلمة لان الضال عن الطريق المسلوكة في الظلمة لا يزداد الا حيرة وكذلك الكفر
لا يزداد صاحبه في الآخرة الا حيرة وفي ضرب المثل للمنافقين بالنار ثلاث حكم احدها ان المستضيء
بالنار يستضيء بنور غيره فاذا ذهب ذلك بقي هو في ظلمة فكانهم لما اقروا بالايمان من غير اعتقاد
قلوبهم فكان ايمانهم كالمستعار الثانية ان النار يحتاج في دوامها الى مادة الحطب لتدوم فكذلك
الايمان يحتاج الى مادة الاعتقاد لتدوم الثالثة ان الظلمة الحادثة بعد الضوء اشد على
الانسان من ظلمة لم يجد قبلها ضياء فشبه حالهم بذلك ثم وصفهم الله تعالى فقال صم اي عن سماع
الحق لانهم لا يقبلونه واذا لم يقبلوه فكانهم لم يسمعوه بكم اي خرس عن النطق بالحق فهم لا يقولونه
عمي اي لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له فهو اعمى كانت حواسهم
سليمة ولكن لما سد عن سماع الحق آذانهم وابوا ان تنطق به السنتهم وان ينظروا اليه بعيونهم جعلوا
كمن تعطلت حواسه وذهب ادراكه قال الشاعر

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ... واذكرت بسوء عندهم اذن

فهم لا يرجعون اي عن ضلالتهم ونفاقهم قوله تعالى او كصيب اي كاصحاب صيب وهو المطر وكل ما نزل من الاعلى
للاسفل فهو صيب من السماء اي من السحاب لان كل ما علاك فاظلك فهو سماء ومنه قيل لسقف البيت
سماء وقيل من السماء بعينها وانما ذكر الله تعالى السماء وان كان المطر لا ينزل الا منها ليرد على من زعم ان
المطر ينعقد من ابخرة الارض وابطل مذهب الحكماء بقوله من السماء ليعلم ان المطر ليس من ابخرة الارض
كما زعم الحكماء فيه اي في الصيب ظلمات جمع ظلمة ورعد وهو الصوت الذي يسمع من السحاب وبرق
يعني النار التي تخرج منه قال ابن عباس الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوط
من نور يزجر به السحاب وقيل الرعد اسم ملك يزجر السحاب اذا تبددت جمعها وضمها فاذا اشتد
غضبه يخرج من فيه النار فهي البرق والصواعق وقيل الرعد تسبيح الملك وقيل اسمه يجعلون
اصابعهم في آذانهم من الصواعق جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت كل من يسمعها او يغشى عليه
وقيل الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله على من يشاء عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك
وعافنا قبل ذلك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب حذر الموت اي مخافة الهلاك والله محيط
بالكافرين اي عالم بهم وقيل يجمعهم ويعذبهم يكاد البرق اي يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل يخطف
ابصارهم اي يختلسها والخطف استلاب الشيء بسرعة كلما اضاء لهم اي متى ما اضاء لهم يعني البرق
مشوا فيه اي في اضاءته ونوره واذا اظلم عليهم قاموا اي وقفوا متحيرين وهذا مثل آخر ضربه
الله تعالى للمنافقين ووجه التمثيل ان الله عز وجل شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة في
ليلة مظلمة اصابهم مطر فيه ظلمات وهي ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب من صفة تلك

الظلمات ان الساري لا يمكنه المشي فيها ورعد من صفته ان يضم سامعوه اصابعهم الى آذانهم من هوله
وبرق من صفته ان يخطف ابصارهم ويعميها من شدته فهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن وصنيع
الكافرين والمنافقين معه فالمطر هو القرآن لانه حياة القلوب كما ان المطر حياة الارض والظلمات
ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك والنفاق والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق
ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة فالكافرون والمنافقون يسدون آذانهم
عند قراءة القرآن وسماعه مخافة ان تميل قلوبهم اليه لان الايمان به عندهم كفر والكفر موت
وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للاسلام فالمطر هو الاسلام والظلمات ما فيه من البلاء والمحن
والرعد ما فيه من ذكر الوعيد والمخاوف في الآخرة والبرق ما فيه من الوعد يجعلون اصابعهم
في آذانهم يعني المنافقين اذا رأوا في الاسلام بلاء وشدة هربوا حذرا من الهلاك والله محيط
بالكافرين يعني لا ينفعهم الهرب لان الله من ورائهم يجمعهم ويعذبهم يكاد البرق يعني دلائل الاسلام
تزعجهم الى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة كلما اضاء لهم يعني للمنافقين واضاءته لهم هو تركهم
بلا ابتلاء ولا امتحان مشوا فيه يعني على المنافقين باظهار كلمة الايمان وقيل كلما نالوا غنيمة
وراحة في الاسلام ثبتوا وقالوا انا معكم واذا اظلم عليهم قاموا يعني اذا رأوا شدة وبلاء تأخروا
ولو شاء الله لذهب بسمعهم اي بصوت الرعد وابصارهم بوميض البرق وقيل لذهب باسماعهم
وابصارهم الظاهرة كما اذهب اسماعهم وابصارهم الباطنة ان الله على كل شيء قدير اي هو الفعال
لما يشاء لا منازع له فيه قوله عز وجل يا ايها الناس قال ابن عباس يا ايها الناس خطاب
لاهل مكة ويا ايها الذين آمنوا خطاب لاهل المدينة وهو هنا خطاب عام لسائر المكلفين اعبدوا
ربكم قال ابن عباس وحدوا ربكم وكل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد واصل العبودية
التذلل والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها الا من له غاية الافضال والاعظام وهو الله
تعالى الذي خلقكم اي ابتدع خلقكم على غير مثال سبق والذين من قبلكم اي وخلق الذين من قبلكم
لعلكم اي ابتدع خلقكم لعل وعسى حرفا ترج وهما من الله واجب تتقون اي لكي تنجوا من العذاب وقيل
معناه تكونوا على رجاء التقوى بان تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الذي جعل لكم الارض فراشا اي خلق لكم الارض بساطا ووطاء مذللة
ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها والحزن ما غلظ من الارض والسماء بناء اي سقفا مرفوعا
قيل اذا تأمل الانسان المتفكر في هذا العالم وجده كالبيت المعمور فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء
مرفوعة كالسقف والارض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والانسان كمالك البيت
وفيه ضروب النبات المهيأة لمنافعه واصناف الحيوان مصروفة في مصالحه فيجب على الانسان
المسخر له هذه الاشياء شكر الله تعالى عليها وانزل من السماء يعني السحاب ماء يعني المطر فاخرج
به اي بذلك الماء من الثمرات اي من الوان الثمرات واصناف النبات رزقا لكم وعلفا لدوابكم فلا
تجعلوا لله اندادا يعني امثالا تعبدونهم كعبادة الله الند المثل وانتم تعلمون يعني انكم بعقولكم
تعلمون ان هذه الاشياء والامثال لا يصح جعلها اندادا لله وانه واحد خالق لجميع الاشياء وانه
لا مثل له ولا ضد له قوله تعالى وان كنتم في ريب اي وان كنتم في شك لان الله تعالى علم انهم لشاكون
مما نزلنا على عبدنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لما تقرر اثبات الربوبية لله تعالى وانه هو الواحد

الخالق وانه لا ضد له ولا ند ابتغوه باقامة الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يزيح الشبهة في كون القران معجزة وانه من عند الله لا من عند نفسه كما يدعون فيه وقوله على عبدنا اضافة تشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم وان القران نزل عليه من عند الله **فاتوا** امر تعجيز **بسورة** والسورة قطعة من القران معلومة الاول والاخر وقيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة ومنه سور البلد لارتفاعه سميت سورة لان القاري ينال بها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القران **من مثله** اي مثل القران وقيل الضمير في مثله راجع الى عبدنا يعني مثل محمد صلى الله عليه وسلم امي لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلما ولم ياخذ العلم عن احد ورد الضمير الى القران اوجه واولى ويدل عليه ان كان ذلك مطابق لساير الايات الواردة في التحدي وانما وقع الكلام في المنزل الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القران منزل من عند الله فاتوا انتم بسورة مما تماثله وتجانسه ولو كان الضمير مردودا الى محمد صلى الله عليه وسلم لقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرانا من مثل محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على كون القران معجزا ما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة في طرفي الايجاز والاطالة فتارة ياتي بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود الاول وان فارقت اساليبه اساليب الكلام واوزانه اوزان الاشعار والخطب والرسايل ولهذا تحدت العرب به فعجزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة ولهم النظم والنثر من الاشعار والخطب والرسايل حتى قال الوليد بن المغيرة في وصف القران والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اصله لمغدق وان اعلاه لمثمر **وادعوا شهداكم من دون الله** اي استعينوا بالهتكم التي تعبدونها من دون الله والمعنى ان كان الامر كما تقولون انها تستحق العبادة فاجعلوا الاستعانة بها في دفع ما نزل من امر محمد صلى الله عليه وسلم والا فاعلموا انكم مبطلون في دعواكم انها الهة وقيل معناه وادعوا ناسا يشهدون لكم **ان كنتم صادقين** ان محمدا صلى الله عليه وسلم تقوله من تلقا نفسه **فان لم تفعلوا** اي فيما مضى **ولن تفعلوا** فيما بقي وهذه الاية دالة على عجزهم وانهم لم ياتوا بمثله ولا بمثل شي منه وذلك لان النفوس الابية اذا قرعت بمثل هذا التقريع استفرغت الوسع في الاتيان بمثل القران او بمثل سورة منه ولو قدروا على ذلك لاتوا به بحيث لم ياتوا بشي ظهرت المعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وبان عجزهم وهم اهل الفصاحة والبلاغة والقران من جنس كلامهم وكانوا حراصا على اطفا نوره وابطال امره ثم مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة من احدهم ورضوا بسبي الذراري واخذ الاموال والقتل واذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك وجب ترك العناد وهو **قوله تعالى فاتقوا النار** اي فامنوا واتقوا بالايمان النار **التي وقودها** اي حطبها **الناس والحجارة** قال ابن عباس يعني حجارة الكبريت لانها اكثر التهابا وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها وقيل اراد بها الاصنام لان اكثر اصنامهم كانت من حجارة وانما قرن الناس مع الحجارة لانهم كانوا يعبدونها معتقدين فيها انها تنفعهم وتشفع لهم فجعلها الله عذابهم في نار جهنم **اعدت** اي هيئت **للكافرين** قوله عز وجل **وبشر الذين امنوا** اي اخبر المومنين وهذا امر للنبي صلى الله عليه وسلم والبشارة ايراد الخبر السار على سامع يستبشر به ويظهر السرور في بشرة وجهه لان الانسان اذا فرح بشي وسر به ظهر ذلك على بشرة وجهه

ثم كثر

ثم كثر حتى وضع موضع الخبر سرا وسا ومنه قوله وبشرهم بعذاب اليم ولكن هو من السرور والخير اغلب **وعملوا الصالحات** اي الفعلات الصالحات يعني الطاعات قيل العمل الصالح ما كان فيه اربعة اشيا العلم والنية والصبر والاخلاص وقال عثمان بن عفان وعملوا الصالحات اي اخلصوا الاعمال يعني عن الريا **ان لهم جنات** جمع جنة وهي البستان الذي فيه اشجار مثمرة سميت جنة لاجتنانها وتسترها بالاشجار وبالاوراق وقيل الجنة ما فيه نخل والفردوس ما فيه كرم **تجري من تحتها الانهار** اي من تحت اشجارها ومساكنها اي تجري المياه في الانهار لان الانهار لا تجري وقيل معناه تجري بامرهم وفي الحديث ان انهار الجنة تجري من غير اخدود اي في غير شقوق والخد الشق **كلما رزقوا** اي اطعموا **منها** اي من الجنة **من ثمرة رزقا** اي طعاما **قالوا هذا الذي رزقنا من قبل** اي في الدنيا وقيل ان ثمار الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم فان ارزقوا ثمرة بعد اخرى ظنوا انها الاولى **واتوا به** اي بالرزق **متشابها** قال ابن عباس مختلفا في المطعوم وقيل يشبه بعضه بعضا في الجودة ولا رداوة فيها وقيل يشبه ثمار الدنيا في الاسم لا في الطعم **م** عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة ياكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبزقون يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس طعامهم جشا ورشحهم كرشح المسك وفي رواية ورشحهم المسك قوله يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس اي تجري على السنتهم كما يجري النفس لا يشغلهم عن شي كما ان النفس لا يشغل عن شي قوله طعامهم جشا يعني ان فضول طعامهم يجري من الجشا وتنفس المعدة والرشح العرق وقوله تعالى **ولهم فيها** اي في الجنات **ازواج** اي من الحور العين **مطهرة** يعني من البول والغايط والحيض والولد وساير الاقذار وقيل [illegible] طهرت من قذارات الدنيا وقيل طهرت من مساوي الاخلاق قيل ان في الجنة جماع ما شيت ولا ولد **وهم فيها خالدون** اي لا يخرجون منها ولا يموتون والخلد البقا الدايم الذي لا انقطاع له **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على اشد كوكب دري في السما اضاءة لا يبصقون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون امشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة الا لنجوج عود الطيب ازواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة ابيهم ادم ستون ذراعا في السما وفي رواية ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من ورا اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا **ق** عن ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للمومن في الجنة لخيمة من لولوة واحدة مجوفة طولها في السما ستون ميلا للمومن فيها اهلون يطوف عليهم المومن فلا يرى بعضهم بعضا عن ابي هريرة قال قلت يا رسول الله مم خلق الله الخلق قال من الما قلت الجنة ما بناوها قال لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الاذفر وحصباوها اللولو والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يباس ويخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم اخرجه الترمذي بزيادة وقال ليس اسناده بذلك القوي عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السما والارض والفردوس اعلاها درجة ومنها تنفجر انهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا سالتم الله فاسالوه الفردوس اخرجه الترمذي **م** عن انس ان رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال ان في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثوا في وجوههم وثيابهم فيزدادوا
حسنا وجمالا فيرجعون الى اهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم اهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا
حسنا وجمالا عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن
باصوات لم يسمع الخلايق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نباس ونحن الراضيات
فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له اخرجه الترمذي وقال حديث غريب **قوله تعالى** ان الله
لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها سبب نزول هذه الاية ان الله تعالى لما ضرب المثل
بالذباب والعنكبوت وذكر النحل والنمل قالت اليهود ما اراد الله بذكر هذه الاشيا الخسيسة وقيل قال
المشركون انا لا نعبد الها يذكر هذه الاشيا وذلك لان الكفار واليهود كانوا متعنتين على ايذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذلك فانزل الله تعالى ان الله لا يستحيي الحيا تغير وانكسار يعتري الانسان
من خوف ما يعاب به ويذم عليه وقيل هو انقباض النفس عن القبايح هذا اصله في وصف الانسان والله
تعالى منزه عن ذلك كله فاذا وصف الله تعالى به يكون معناه الترك وذلك لان لكل فعل بداية ونهاية
فبداية الحيا هو التغير الذي يلحق الانسان من خوف ان ينسب اليه ذلك الفعل القبيح ونهايته ترك ذلك
الفعل القبيح فاذا ورد وصف الحيا في حق الله تعالى فليس المراد به بدايته وهو التغير والخوف بل المراد
منه ترك الفعل الذي هو نهاية الحيا وغايته فيكون معنى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا اي لا يترك
المثل لقول الكفار واليهود ما قيل ما صلة فيكون المعنى ان يضرب مثلا بعوضة وقيل ليس هي بصلة
بل هي للابهام والنكرة والبعوض صغار البق وهو من عجيب خلق الله فانه في غاية الصغر وله خرطوم
مجوف وهو مع صغره يغوص خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية حتى ان الجمل
يموت من قرصته فما فوقها يعني الذباب والعنكبوت وما هو اعظم منها في الجثة وقيل معناه فما دونها
واصغر منها وهذا القول اشبه بالاية لان الغرض بيان ان الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشي الصغير
الحقير وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا بجناح البعوضة وهو اصغر منها وقد ضربت العرب
المثل بالمحقرات فقيل هو احقر من ذرة واجمع من نملة واطيش من ذبابة والح من ذبابة فاما الذين امنوا
يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران فيعلمون انه يعني ضرب المثل الحق يعني الصدق من ربهم الثابت الذي
لا يجوز انكاره لان ضرب المثل من الامور المستحسنة في العقل عند العرب واما الذين كفروا فيقولون
ماذا اراد الله بهذا مثلا اي بهذا المثل يضل به كثيرا من الكفار وذلك انهم يكذبونه فيزدادون به
ضلالا ويهدي به كثيرا يعني المومنين يصدقونه ويعلمون انه حق وما يضل به الا الفاسقين
يعني الكافرين وقيل المنافقين وقيل اليهود والفسوق الخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصفهم
فقال تعالى الذين ينقضون اي يخالفون ويتركون واصل النقض الفسخ وفك المركب عهد الله اي
امر الله واصل العهد حفظ الشي ومراعاته حالا بعد حال من بعد ميثاقه اي من بعد عقده وتوكيده
وفي معنى هذا العهد اقوال احدها انه الذي اخذه عليهم يوم الميثاق وهو قوله تعالى الست بربكم
قالوا بلى الثاني المراد به الذي اخذه على احبار اليهود في التوراة ان يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
ويبينوا نعته وصفته الثالث المراد به الكفار والمنافقين الذين نقضوا عهدا ابرمه الله تعالى في الحكمه
بما انزل في كتابه من الايات الدالة على توحيده ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يعني الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل فامنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود وقيل اراد به قطع الارحام

التي امر الله

التي امر الله بوصلها ويفسدون في الارض يعني بالمعاصي وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم والقران اولئك هم الخاسرون اي المغبونون واصل الخسار النقصان ثم قال تعالى لمشركي العرب على
وجه التعجب لكن فيه تبكيت وتعنيف لهم كيف تكفرون بالله يعني بعد نصب الدلايل ووضع البراهين
الدالة على وحدانيته ثم ذكر الدليل فقال تعالى وكنتم امواتا يعني نطفا في اصلاب ابايكم فاحياكم يعني
في الارحام والدنيا ثم يميتكم عند انقضا اجالكم ثم يحييكم بعد الموت للبعث ثم اليه ترجعون اي تردون
في الاخرة فيجزيكم باعمالكم **قوله عز وجل** هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا يعني من المعادن
والنبات والحيوان والجبال والبحار والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما في الارض جميعا
لتنتفعوا به في مصالح الدين والدنيا اما مصالح الدين هو الاعتبار والفكر في عجايب مخلوقات الله
الدالة على وحدانيته واما مصالح الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها ثم استوى الى السما اي قصد وا
قبل على خلقها وقيل عمد وقال ابن عباس ارتفع وفي رواية عنه صعد قال الازهري معناه صعد امره
وكلما ذكره صاحب المحكم وذلك ان الله خلق الارض اولا ثم عمد الى خلق السما فان قلت كيف الجمع بين
هذه وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها قلت الدحو البسط فيحتمل ان الله تعالى خلق جرم
الارض ولم يبسطها ثم خلق السما وبسط جرم الارض بعد ذلك فان قلت هذا اشكل ايضا لان
قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا يقتضي ان ذلك لا يكون الا بعد الدحو قلت يحتمل انه ليس هنا
ترتيب وانما هو على سبيل تعديد النعم كقول الرجل لمن يذكره لما انعم عليه به الم اعطك الم ارفع قدرك
الم ادفع عنك ولعل بعض هذه النعم متقدم على بعض والله اعلم فسواهن سبع سموات خلقهن سبع
سموات مستويات لا صدع فيها ولا فطور وسياتي ذكر خلق الارض والسما عند قوله قل اينكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين في سورة حم السجدة ان شا الله تعالى واذ قال ربك اي واذكر يا محمد اذ قال
ربك وكلما ورد في القران من هذا النحو فهذا سبيله وقيل اذ زايده والاول اوجه للملايكة جمع ملك
واصله مالك وهي الرسالة واراد بالملايكة الذين كانوا في الارض وذلك ان الله تعالى خلق الارض والسما
وخلق الملايكة والجن فاسكن الملايكة السما واسكن الجن الارض فعبدوا دهرا طويلا ثم ظهر فيهم الحسد
والبغي فافسدوا واقتتلوا فبعث الله اليهم جندا من الملايكة يقال لهم الجان وراسهم ابليس وهم خزان
الجنان فهبطوا الى الارض وطردوا الجن الى جزاير البحور وشعوب الجبال وسكنوا هم الارض وخفف الله
عنهم العبادة واعطى الله ابليس ملك الارض وملك السما الدنيا وخزانة الجنة وكان ابليس رئيسهم
ومرشدهم واكثرهم علما فكان يعبد الله تارة في الارض وتارة في السما وتارة في الجنة فدخله العجب
وقال في نفسه ما اعطاني الله هذا الملك الا لاني اكرم الملايكة عليه فقال له ولجنده اني جاعل في الارض
خليفة اي خالق خليفة يعني بدلا منكم ورافعكم الي فكرهوا ذلك لانهم كانوا اهون الملايكة عبادة والمراد
بالخليفة هنا ادم لانه خلف الجن وجا بعدهم وقيل لانه يخلفه غيره والصحيح انه انما سمي خليفة لانه
خليفة الله في ارضه لاقامة حدوده وتنفيذ قضاياه قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها اي بالمعاصي
ويسفك الدما يعني بغير حق كما فعل بنو الجان فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى قالوا هذا القول
قلت يحتمل ان يكون ذلك باخبار الله اياهم او قاسوا الشاهد على الغايب وقيل انهم لما راوا ان ادم
خلق من اخلاط مركبة علموا انه يكون فيه الحلم والغضب ومنهما يتولد الفساد وسفك الدما فلهذا
قالوا ذلك وقيل لما خلق الله تعالى النار خافت الملايكة وقالوا لمن خلقت هذه النار قال لمن عصاني

فلما قال اني جاعل في الارض خليفة قالوا ذلك فان قلت الملئكة معصومون فكيف وقع منهم هذا
الاعتراض قلت ذهب بعضهم الي انهم غير معصومين واستدلوا على ذلك بوجوه فيها قوله اتجعل فيها
من يفسد فيها ومن ذهب الى عصمتهم اجاب عنه بان هذا السوال انما وقع على سبيل التعجب لا على
سبيل الانكار والاعتراض فانهم تعجبوا من كمال حكم الله تعالى واحاطة علمه بما خفي عليهم ولهذا اجابهم
بقوله اني اعلم ما لا تعلمون وقيل ان العبد المخلص في حب سيده يكره ان يكون له عبد اخر يعصيه فكان
سوالهم على وجه المبالغة في اعظام الله عز وجل **ونحن نسبح بحمدك** اي نقول سبحان الله وبحمده
وهي صلاة الخلق وعليها يرزقون م عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اي الكلام افضل قال
ما اصطفى الله للملئكة او لعباده سبحان الله وبحمده قال ابن عباس كل ما جا في القران من التسبيح فالمراد منه
الصلاة فيكون المعنى ونحن نصلي لك وقيل اصل التسبيح تنزيه الله عما لا يليق بجلاله فيكون المعنى ونحن
ننزهك عن كل سوء ونقيصة ومعنى بحمدك حامدين لك او متلبسين بحمدك وقيل نسبح بحمدك فانه لولا
انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك **ونقدس لك** اصل التقديس التطهير اي نطهرك عن النقايص
وكل سوء ونصفك بما يليق بعزك وجلالك من العلو والعظمة واللام صلة وقيل معناه نطهر انفسنا
لطاعتك وعبادتك **قال اني اعلم ما لا تعلمون** قيل انه جواب لقول الملئكة اتجعل فيها فقال تعالى
اعلم من وجوه المصلحة والحكمة ما لا تعلمون وقيل اعلم ان فيهم من يعبدني ويطيعني وهم الانبيا والاوليا
والصالحون ومن يعصيني منكم وهو ابليس وقيل اعلم انهم يذنبون ويستغفرون فاغفر لهم

فصل في ماهية الملئكة وقصة خلق ادم عليه السلام

قيل ان الملئكة اجسام لطيفة هوائية خلقوا من النور تقدر ان تتشكل باشكال مختلفة مسكنهم
في السموات عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون
اطت السما وحق لها ان تيط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا اخرجه
الترمذي بزيادة وقال حديث حسن غريب واما صفة خلق ادم عليه السلام فقال وهب بن منبه
لما اراد الله ان يخلق ادم اوحى الله الى الارض اني خالق منك خليفة منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني
فمن اطاعني ادخلته الجنة ومن عصاني ادخلته النار قالت الارض اتخلق مني خلقا يكون للنار قال
نعم فبكت الارض فانفجرت منها العيون الى يوم القيمة فبعث الله اليها جبريل لياتيه بقبضة
منها من احمرها واسودها وطيبها وخبيثها فلما اتاها ليقبض منها قالت اعوذ بالله بعزة الله
الذي ارسلك ان لا تاخذ مني شيا فرجع جبريل الى مكانه وقال يا رب استعاذت بك مني فكرهت
ان اقدم عليها فقال الله لميكائيل انطلق فاتني بقبضة منها فلما اتاها ليقبض منها قالت له
مثل ما قالت لجبريل فرجع الى ربه فقال ما قالت له فقال لعزرائيل انطلق فاتني بقبضة من
الارض فلما اتاها قالت له الارض اعوذ بعزة الله الذي ارسلك ان لا تاخذ مني شيا فقال وانا
اعوذ بعزته ان اعصي له امرا وقبض منها قبضة من جميع بقاعها من عذبها ومالحها وحلوها
ومرها وطيبها وخبيثها وصعد بها الى السما فسأله ربه عز وجل وهو اعلم عما صنع فاخبر
بما قالت الارض وبما رد عليها فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لاخلقن مما جيت به خلقا
ولاسلطنك على قبض ارواحهم لقلة رحمتك ثم جعل الله تلك القبضة نصفها في الجنة ونصفها
في النار ثم تركها ما شا الله ثم اخرجها فعجنها طينا لازبا مدة ثم حما مسنونا مدة ثم صلصالا

ثم جعلها

ثم جعلها جسدا والقاه على باب الجنة فكانت الملئكة يعجبون من صفة صورته لانهم لم يكونوا راوا
مثله وكان ابليس يمر عليه ويقول لامر ما خلق هذا ونظر اليه فاذا هو اجوف فقال هذا خلق
لا يتمالك وقال يوما للملئكة ان فضل هذا عليكم ما تصنعون قالوا نطيع ربنا ولا نعصيه
فقال ابليس في نفسه لين فضل علي لاعصينه ولين فضلت عليه لاهلكنه فلما اراد الله تعالى
ان ينفخ فيه الروح امرها ان تدخل في جسد ادم فنظرت فرات مدخلا ضيقا فقالت يا رب كيف ادخل هذا
الجسد قال الله عز وجل لها ادخليه كرها وستخرجين منه كرها فدخلت في يافوخه فوصلت الى عينيه
فجعل ينظر الى ساير جسده طينا فسارت الى ان وصلت منخريه فعطس فلما بلغت لسانه قال الحمد لله
رب العالمين وهي اول كلمة قالها فناداه الله تعالى يرحمك ربك يا ابا محمد ولهذا خلقتك ولما بلغت
الروح الى الركبتين هم ليقوم فلم يقدر قال الله تعالى خلق الانسان من عجل فلما بلغت الى الساقين
والقدمين استوى قايما بشرا سويا لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا واحشا وكسي لباسا من ظفر
يزداد جدة وحسنا كل يوم وجعل في جسده تسعة ابواب سبعة في راسه وهي الاذنان يسمع بهما
والعينان يبصر بهما والمنخران يشم بهما والفم واللسان ليتكلم والاسنان يطحن بهما ما ياكل ويجد
لذة المطعومات وبابان في اسفل جسده وهما القبل والدبر يخرج منهما ثقل طعامه وشرابه وجعل
عقله في دماغه وفكرته وصرامته في قلبه وشرهه في كليته وغضبه في كبده ورعبه في ريته وضحكه في طحاله
وفرحه وحزنه في وجهه فسبحان من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم وركب فيه الشهوة
وحجزه بالحيا ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال خلق الله تعالى ادم عليه السلام وطوله ستون ذراعا
ثم قال اذهب فسلم على اوليك نفر من الملئكة فاستمع ما يحيونك فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال
السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة ادم
قال فلم يزل الخلق ينقص حتى الان م عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صور الله ادم
تركه ما شا الله ان يتركه فجعل ابليس يطيف به ينظر ما هو فلما راه اجوف عرف انه لا يتمالك عن ابي موسى
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى خلق ادم من قبضة قبضها من
جميع الارض فجا بنو ادم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث
والطيب اخرجه الترمذي وابو داود وقوله عز وجل **وعلم ادم الاسما كلها** سمي ادم لانه خلق من اديم
الارض وقيل لانه كان ادم اللون وكنيته ابو محمد وقيل ابو البشر ولما خلق الله ادم وتم خلقه علمه اسما
الاشيا وذلك ان الملئكة قالوا ليخلق ربنا ما شا فلن يخلق خلقا اكرم عليه منا وان كان فنحن اعلم
منه لانا خلقنا قبله وراينا ما لم يره فاظهر الله فضل ادم عليهم بالعلم وفيه دليل لمذهب اهل السنة
ان الانبيا افضل من الملئكة وان كانوا رسلا قال ابن عباس علمه اسم كل شي حتى القصعة والقصيعة
وقيل خلق الله كل شي من الحيوان والجماد وغير ذلك وعلم ادم اسماها كلها فقال يا ادم هذا بعير
وهذا فرس وهذه شاة حتى اتى على اخرها وقيل علم ادم اسما الملئكة وقيل اسما ذريته وقيل علمه
اللغات كلها **ثم عرضهم** يعني تلك الاشخاص وانما قال عرضهم ولم يقل عرضها لان المسميات اذا
جمعت من يعقل ومما لا يعقل عبر عنه بلفظ من يعقل لتغليب العقلا عليهم كما يعبر عن الذكور
والاناث بلفظ الذكور **على الملئكة فقال** يعني تعجيزا لهم **انبيوني** اي اخبروني **باسما هولا** يعني
تلك الاشخاص **ان كنتم صادقين** اي اني لم اخلق خلقا الا كنتم افضل منهم واعلم **قالوا** يعني الملئكة

سُبحانك تنزيها لك وذلك لما ظهر عجزهم **لا علم لنا الا ما علمتنا** اي انا لا نحيط بشي
من علمك الا ما علمتنا **انك انت العليم** اي بخلقك وهو من اسما الصفات التامة ويعني المحيط
بكل المعلومات **الحكيم** اي في امرك وله معنيان احدهما انه الماضي في العدل والثاني الحكم للامر كي لا يتطرق
اليه الفساد **قال** يعني الله تعالى **يا ادم انبئهم باسمائهم** وذلك لما ظهر عجز الملائكة فسمى كل شي
باسمه وذكر وجه الحكمة التي خلق لها فقال **فلما انباهم باسمائهم قال** يعني الله تعالى **الم اقل لكم**
يعني يا ملائكتي **اني اعلم غيب السموات والارض** يعني ما كان وما سيكون وذلك انه سبحانه وتعالى
علم احوال ادم قبل ان يخلقه فلهذا قال لهم اني اعلم ما لا تعلمون **واعلم ما تبدون** يعني قول الملائكة
اتجعل فيها **وما كنتم تكتمون** يعني قولكم لن يخلق الله خلقا اكرم عليه منا وقال ابن عباس اعلم ما
تبدون من الطاعة وما كنتم تكتمون يعني ابليس من المعصية **قوله تعالى واذ قلنا للملائكة**
اسجدوا لادم قيل هذا الخطاب مع الملائكة الذين كانوا سكان الارض والاصح ان الخطاب مع جميع الملائكة
بدليل قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس **فسجدوا** يعني الملائكة وفي هذا السجود قولان
اصحهما انه كان لادم على الحقيقة ولم يكن فيه وضع الجبهة على الارض انما هو الانحنا تحية
وتعظيم لا سجود عبادة كسجود اخوة يوسف له في قوله وخروا له سجدا فلما جا الاسلام ابطل ذلك
بالسلام وقيل سجود ونحو سجود الملائكة لادم بمعنى الطاعة لله تعالى وامتثال الامر والقول الثاني ان
ادم كان كالقبلة وكان السجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله تعالى وفي هذه
الاية دليل لمذهب اهل السنة في تفضيل الانبيا على الملائكة **الا ابليس** سمي به لانه ابلس من رحمة الله
تعالى اي يئس وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحارث فلما عصى غير اسمه فسمي ابليس
وغيرت صورته قال ابن عباس كان ابليس من الملائكة بدليل انه استثناه منهم وقيل انه من الجن لانه خلق
من النار والملائكة خلقوا من النور ولانه اصل الجن كما ان ادم عليه السلام اصل الانس والاول اظهر لانه
كان مع الملائكة فهو داخل فيهم ثم استثناه منهم **ابى** اي امتنع من السجود فلم يسجد **واستكبر** اي تكبر وتعظم
عن السجود لادم **وكان من الكافرين** اي في علم الله تعالى وانه وجبت له النار السابق في علم الله تعالى
م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد
اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله وفي رواية يا ويلي امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت
بالسجود فعصيت فلي النار **قوله تعالى وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة** اي اتخذها
ماوى ومنزلا وليس معناه الاستقرار لانه لم يقل اسكنك في الجنة لانه خلق لعمارة الارض ولما اسكن ادم
في الجنة بقي وحده ليس معه من يستانس به ويجالسه فالقى الله عليه النوم ثم اخذ ضلعا من اضلاع
جنبه الايسر وهو القصير فخلق منه زوجته حوا ووضع مكان الضلع لحما من غير ان يحس بذلك ادم ولم
يجد الما ولو وجد الما لما عطف رجل على امراة قط وسميت حوا لانها خلقت من حي فلما استيقظ ادم
من نومه راها جالسة كاحسن ما خلق الله فقال لها من انت قالت انا زوجتك حوا قال ولما ذا
خلقت قالت لتسكن الي واسكن اليك واختلفوا في الجنة التي امر ادم بسكناها فقيل انها جنة
كانت تحت الارض بدليل انه لو كانت الجنة التي هي دار الجزا والثواب لما اخرج منها واجاب هذا
القول عن قوله قال اهبطا بان المراد من الهبوط التحول والانتقال فهو كقوله اهبطوا مصرا والقول
الصحيح انها الجنة التي هي دار الجزا والثواب لان الالف واللام للعهد والجنة بين المسلمين وفي

عرفهم

عرفهم انها التي هي دار الجزا والثواب وقيل كلا القولين ممكن فلا وجه للقطع **وكلا منها رغدا** اي واسعا
كثيرا **حيث شئتما** اي كيف شئتما ومتى شئتما واين شئتما والمقصود منه الاطلاق في الاكل من الجنة بلا
منع الا ما نهي عنه وهو قوله تعالى **ولا تقربا هذه الشجرة** يعني بالاكل قيل انما وقع هذا النهي على
جنس من الشجرة وقيل على شجرة مخصوصة قال ابن عباس هي السنبلة وقيل الكرمة وقيل هي شجرة التين
وقيل شجرة العلم وقيل الكافور وقيل ليس في ظاهر الكلام ما يدل على التعيين اذ لا حاجة اليه لانه ليس
المقصود تعرف عين تلك الشجرة وما لا يكون مقصودا لا يجب بيانه **فتكونا من الظالمين** يعني
ان اكلتما من هذه الشجرة ظلمتما انفسكما فمن جوز ارتكاب الذنوب على الانبيا قال ظلم نفسه بالتقصير
واصل الظلم وضع الشي في غير موضعه ومن لم يجوز ذلك على الانبيا حمل الظلم على انه فعل ما كان
الاولى ان لا يفعله وقيل انه محمول على انه فعل هذا قبل النبوة فان قلت هل يجوز وصف الانبيا بالظلم
والظلم القسم قلت لا يجوز ان يطلق عليهم ذلك لما فيه من الذم **قوله تعالى فازلهما الشيطان**
اي استزل ادم وحوى ودعاهما الى الزلة وهي الخطيئة وسياتي الكلام ان شا الله تعالى على عصمة الانبيا
والجواب عما صدر منهم عند قوله عز وجل وعصى ادم ربه فغوى في سورة طه **فاخرجهما مما كانا فيه**
يعني من النعم وذلك ان ابليس اراد ان يدخل الجنة ليوسوس لادم وحوى فمنعته الخزنة فاتى الحية
وكانت صديقة لابليس وكانت من احسن الدواب لها اربعة قوايم كقوايم البعير وكانت من خزان
الجنة فسالها ان تدخله الجنة في فيها فادخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون وقيل انما
راهما على باب الجنة لانهما كانا يخرجان منها وكان ابليس بقرب الباب فوسوس لهما وذلك ان ادم
لما دخل الجنة وراى ما فيها من النعيم قال لو ان خلدا فاغتنم ذلك الشيطان منه واتاه من قبل
الخلد وقيل لما دخل الجنة وقف على ادم وحوا وهما لا يعلمان انه ابليس فبكا وناح نياحة احزنتهما
وهو اول من ناح فقالا ما يبكيك قال ابكي عليكما لانكما تموتان فتفارقان ما انتما فيه من النعمة فوقع
ذلك في انفسهما واغتما ومضى ابليس ثم اتاهما بعد ذلك وقال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد
فابى ان يقبل منه فقاسمهما بالله انه لهما لمن الناصحين فاغترا وما ظنا ان احدا يحلف بالله كاذبا
فبادرت حوى الى اكل الشجرة ثم ناولت ادم فاكل منها قال ابراهيم بن ادهم اورثتنا تلك الاكلة
حزنا طويلا قال ابن عباس قال الله تعالى يا ادم الم يكن فيما ابحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة
قال بلى يا رب وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض
ثم لا تنال العيش فيها الا كدا فاهبط من الجنة وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وزرع وسقى
حتى اذا بلغ واشتد حصده ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه وخبزه ثم اكله فلم يبلغه حتى بلغ منه
الجهد وفي رواية اخرى عن ابن عباس ان ادم لما اكل من الشجرة التي نهي عنها قال الله تعالى يا ادم ما
حملك على ما صنعت قال يا رب زينته لي حوى قال فاني اعقبتها ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا
كرها وادميتها في الشهر مرتين فرنت حوى عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك والرنة الصوت
فلما اكلا من الشجرة تهافت عنهما ثيابهما وبدت سواتهما واخرجا من الجنة فذلك قوله تعالى
وقلنا اهبطوا يعني انزلوا الى الارض يعني ادم وحوى وابليس والحية فهبط ادم في سرنديب
من الارض الهند على جبل يقال له نود واهبطت حوى بجدة وابليس بالابلة من اعمال البصرة
والحية باصبهان **بعضكم لبعض عدو** يعني العداوة التي بين المومنين من ذرية ادم وبين

عنها اي في الجنة

ابليس والى الاشارة بقوله عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا والعداوة التي بين ذرية ادم والحية من ابليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس منا ما سالمنا منذ حاربنا هن اخرجه ابو داود وله عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الحيات كلهن فمن خاف من ثارهن فليس مني وفي رواية اقتلوا الكبار كلها الا الجان الابيض الذي كانه قضيب فضة عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بالمدينة جنا قد اسلموا فاذا رايتم منهم شيا فاذنوه ثلاثة ايام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان وفي رواية ان لهذه البيوت عوامر فاذا رايتم منها شيا فحرجوا عليها ثلاثا فان ذهبت والا فاقتلوه فانه كافر **ولكم في الارض مستقر** اي موضع قرار **ومتاع** وبلغة ومستمتع **الى حين** اي الى وقت انقضا اجالكم قوله عز وجل **فتلقى ادم** اي فتلقن والتلقي هو قبول عن وطن وفهم وقيل هو التعليم **من ربه كلمات** اي كانت سبب توبته وقيل ان تلك الكلمات هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل قال لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت سوا وظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت سوا وظلمت نفسي فاغفر لي انك انت الغفور الرحيم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت سوا وظلمت نفسي فارحمني انك انت ارحم الراحمين وقيل قال ادم يا رب رايت ما اتيت اشي ابتدعته من تلقا نفسي ام شي قدرته علي قبل ان تخلقني قال بل شي قدرته عليك قبل ان اخلقك قال يا رب فكما قدرته علي فاغفر لي وقيل ان الله تعالى امر ادم بالحج وعلمه اركانه فطاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ربوة حمرا ثم صلى ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سولي وتعلم ما في نفسي فاغفر ذنوبي فاوحى الله اليه يا ادم قد غفرت لك ذنوبك وقيل ان ادم لما اهبط الى الارض مكث ثلثماية سنة لا يرفع راسه الى السما حيا من الله تعالى وقيل هي ثلاثة اشيا الحيا والدعا والبكا قال ابن عباس بكى ادم وحوى على ما فاتهما من نعيم الجنة مايتين سنة ولم ياكلا ولم يشربا اربعين يوما وقيل لو ان دموع اهل الارض جمعت لكانت دموع داود اكثر حيث اصاب الخطية ولو ان دموع داود ودموع اهل الارض جمعت لكانت دموع ادم اكثر حيث اخرجه الله من الجنة **فتاب عليه** اي فتجاوز عنه وغفر له واصل التوبة من تاب يتوب اذا رجع فكان التايب رجع عن ذلك الذنب الذي كان عليه ولا يتحقق التوبة منه الا بثلاثة امور علم وحال وعمل اما العلم فهو ان يعلم العبد ضرر الذنب وانه حجاب عن الله تعالى فاذا حصل هذا العلم تالم القلب فعند ذلك يحصل الندم وهو الحال فيترك العبد الذنب ويعزم في المستقبل ان لا يعود اليه وهو العمل فاذا تحققت هذه الثلاثة امور حصلت التوبة وسياتي بسط هذا عند قوله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا في سورة التحريم ان شا الله تعالى **انه هو التواب** اي الرجاع على عباده بقبول التوبة والتواب في وصف الله تعالى المبالغة في قبول توبة عباده **الرحيم** اي بخلقه ووصف سبحانه وتعالى نفسه مع كونه توابا بانه رحيم **قلنا اهبطوا منها جميعا** يعني هولا الاربعة وقيل ان الهبوط الاول من الجنة الى سما الدنيا والهبوط الثاني من سما الدنيا الى الارض وفيه ضعف لانه قال في الهبوط الاول ولكم في الارض مستقر فدل على انه كان من الجنة الى الارض والاصح انه للتاكيد **فاما ياتينكم مني هدى** فيه تنبيه على عظم نعم الله على ادم وحوى كانه قال وان اهبطتكم من الجنة الى الارض فقد انعمت عليكم بهدايتي التي تؤديكم الى الجنة مرة اخرى على الدوام الذي لا ينقطع وقيل

ثم ذرية ادم يعني يا ذرية ادم اما ياتينكم مني رشد وبيان وشريعة وقيل كتاب ورسول **فمن تبع هداي فلا خوف عليهم** يعني فيما يستقبلهم **ولا هم يحزنون** اي على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الاخرة **والذين كفروا** اي جحدوا **وكذبوا باياتنا** اي بالقران **اولئك اصحاب النار** اي يوم القيمة **هم فيها خالدون** اي لا يخرجون منها ولا يموتون فيها قوله تعالى **يا بني اسرائيل** اتفق المفسرون ان اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلى الله عليهم وسلم اجمعين ومعنى اسرائيل عبد الله وقيل هو صفوة الله والمعنى يا اولاد يعقوب **اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** اي اذكروا نعمتي وانما عبر عنها بالذكر لان من ذكر النعمة فقد شكرها ومن جحدها فقد كفرها وقيل الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان وحد النعمة انها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير ومعناه ان المضرة المحضة لا تكون نعمة ولو فعل الانسان منفعة وقصد نفسه بها لا تسمى نعمة اذا لم يقصد بها الغير ثم ان النعمة ثلاثة نعمة تفرد بها الله تعالى وهي ايجاد الانسان ورزقه ونعمة وصلت الى الانسان بواسطة الغير لكن الله مكنه من ذلك فالمنعم بها في الحقيقة هو الله تعالى ونعمة حصلت للانسان بسبب الطاعة وهي ايضا من الله تعالى فالله هو المنعم المطلق في الحقيقة لان اصول النعم كلها منه واما النعم المختصة ببني اسرائيل فكثيرة ولان قوله اذكروا نعمتي لفظها واحد ومعناه الجمع فمن النعم ان الله انقذهم من فرعون وفلق البحر لهم واغراق فرعون وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى في التيه عليهم وانزال التوراة في نعم غير هذه كثيرة فان قلت اذا فسرت النعمة بهذا فما كانت على المخاطبين بها بل كانت على ابايهم فكيف تكون نعمة عليهم حتى يذكروها قلت انما ذكر المخاطبين بها لان فخر الابا فخر الابنا ولان الابنا اذا تيقنوا ان الله قد انعم على ابايهم بهذه النعم فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها وقيل ان هذه النعمة هي ادراك المخاطبين بها زمن محمد صلى الله عليه وسلم وذكرها الايمان به **واوفوا بعهدي** اي امتثال امري **اوف بعهدكم** اي بالقبول والثواب واصل العهد حفظ الشي ومراعاته حالا بعد حال ومنه سمي الموثق الذي تلزم مراعاته عهدا قيل اراد بالعهد جميع ما امر الله به من غير تخصيص ببعض التكليف دون بعض وقيل اراد به ما ذكر في سورة المايدة وهو قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله لاكفرن عنكم سياتكم فهكذا قوله اوف بعهدكم وقيل هو قوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة يعني شريعة التوراة وقيل هو قوله واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وقيل اراد بهذا العهد ما اثبته في كتب الانبيا المتقدمين من وصف محمد صلى الله عليه وسلم وانه مبعوث في اخر الزمان وذلك ان الله عهد الى بني اسرائيل على لسان موسى عليه السلام اني باعث من بني اسمعيل نبيا اميا فمن تبعه وصدق النور الذي ياتي به غفرت له ذنبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اثنين وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس يعني امر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته **واياي فارهبون** اي خافوني في نقضكم للعهد **وامنوا بما انزلت** يعني القران **مصدقا لما معكم** يعني ان القران موافق لما في التوراة من التوحيد والنبوة والاخبار وبعث محمد صلى الله عليه وسلم فالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران تصديقا للتوراة لان التوراة فيها الاشارة الى بعث النبي صلى الله عليه وسلم وانه مبعوث فمن امن به فقد امن بما في التوراة ومن كذب به وكفر به فقد كذب بالتوراة وكفر بها **ولا تكونوا اول كافر به** الخطاب لليهود نزلت في كعب بن الاشرف ورؤسا اليهود والمعنى ولا تكونوا يا معشر اليهود اول من كفر به فان قلت كيف

جعلوا اول من كفر به وقد سبقهم بالكفر به مشركوا العرب من اهل مكة وغيرهم قلت هذا تعريض لهم
والمعنى كان يجب ان يكونوا اول من امن به لانكم تعرفون صفته ونعته بخلاف غيركم وكنتم تستفتحون به
على الكفار فلما بعث كان امر اليهود بالعكس وقيل معناه ولا تكونوا اول كافر به من اليهود فيتبعكم غيركم
على ذلك فتبوؤا باثمكم واثم غيركم ممن تبعكم على ذلك **ولا تشتروا** اي ولا تستبدلوا **باياتي** اي ببيان صفة
محمد صلى الله عليه وسلم التي في التوراة **ثمنا قليلا** اي عوضا يسيرا من الدنيا لان الدنيا بالنسبة الى
الاخرة كالشيء اليسير الحقير الذي لا قيمة له والذي كانوا ياخذونه من الدنيا كالشيء اليسير بالنسبة
الى جميعها فهو قليل القليل فلهذا قال الله تعالى ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا وذلك ان كعب بن الاشرف
ورؤسا اليهود وعلماءهم كانوا يصيبون الماكل من سفلتهم وجهالهم فكانوا ياخذون منهم في كل سنة
شيئا معلوما من زروعهم وثمارهم ونقودهم وضروعهم فخافوا انهم ان بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم
وتابعوه ان تفوتهم تلك الماكل فغيروا نعته وكتموا اسمه واختاروا الدنيا على الاخرة واصروا على
الكفر **واياي فاتقون** اي فخافون في امر محمد صلى الله عليه وسلم والتقوى قريب من معنى الرهبة والفرق
بينهما ان الرهبة خوف مع حزن واضطراب والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف قوله عز وجل
ولا تلبسوا الحق بالباطل اي ولا تكتبوا في التوراة ما ليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم
وقيل معناه ولا تخلطوا الحق الذي انزلت عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة بالباطل
الذي تكتبونه بايديكم من تغيير صفته وقيل لا تخلطوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي الحق
بالباطل اي بصفة الدجال وذلك انه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسده اليهود وقالوا
ليس هو هذا الذي ننتظره وانما هو المسيح بن داود يعنون الدجال وكذبوا فيما قالوا **وتكتموا الحق**
يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم ونعته **وانتم تعلمون** يعني ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبي مرسل وفيه
تنبيه لساير الخلق وتحذير من مثله فصار هذا الخطاب وان كان خاصا في الصورة لكنه عام في المعنى
فعلى كل احد ان لا يلبس الحق بالباطل ولا يكتم الحق لما فيه من الضرر والفساد وفيه دلالة ايضا على
ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه **واقيموا الصلاة** يعني الصلوات الخمس بمواقيتها
وحدودها وجميع اركانها **واتوا الزكاة** اي ادوا الزكاة المفروضة عليكم في اموالكم **واركعوا مع الراكعين**
اي صلوا مع المصلين يعني محمدا صلى الله عليه واصحابه وعبر عن الصلاة بالركوع لانه ركن من اركانها
وهذا خطاب لليهود ولان صلاتهم ليس فيها ركوع فكانه قال لهم صلوا صلاة ذات ركوع فلهذا المعنى
اعاده بعد قوله واقيموا الصلوة لان الاول خطاب الكافة والثاني خطاب قوم مخصوصين وهم
اليهود وفيه حث على اقامة الصلاة في الجماعة كانه قال صلوا مع المصلين في الجماعة **قوله تعالى**
اتامرون الناس بالبر الاستفهام فيه للتقرير مع التقريع والتعجب من حالهم والبر اسم جامع لجميع
اعمال الخير والطاعات نزلت هذه الاية في علما اليهود وذلك ان الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه
من المسلمين اذا ساله عن امر محمد صلى الله عليه وسلم اثبت على دينه فان امره حق وقوله صدق وقيل ان
جماعة من اليهود قالوا لمشركي العرب ان رسولا سيظهر فيكم ويدعوكم الى الحق وكانوا يرغبونهم في اتباعه
فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به فبكتهم الله ووبخهم بذلك حيث انهم
كانوا يامرون الناس باتباعه قبل ظهوره فلما ظهر تركوه واعرضوا عنه وقيل كانوا يامرون الناس
بالطاعة والصلاة والزكاة وانواع البر ولا يفعلونه فوبخهم بذلك **وتنسون انفسكم** اي

وتعدلون

وتعدلون عما لها فيه نفع والنسيان عبارة عن السهو الحادث بعد حصول العلم والمعنى اتتركون انفسكم
ولا تتبعون محمدا صلى الله عليه وسلم **وانتم تتلون الكتاب** يعني تقرون التوراة وتدرسونها وفيها
نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وفيها ايضا الحث على الافعال الحسنة والاعراض عن الافعال
القبيحة والاثم **افلا تعقلون** يعني انه حق فتتبعونه والعقل قوة لنهي قبول العلم ويقال للعلم الذي
يستفيده الانسان بتلك القوة عقل ومنه قول علي بن ابي طالب العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع
مطبوع اذا لم يك مسموع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع واصل العقل الامساك لانه ماخوذ من عقال
الدابة كعقل البعير بالعقال يمنعه من الشرود فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود والافعال
القبيحة ومعنى الاية ان المقصود من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو ارشاد الغير الى تحصيل
المصلحة وتحذيره عما يوقعه في المفسدة والاحسان الى النفس اولى من الاحسان الى الغير وذلك ان
الانسان اذا وعظ غيره ولم يتعظ هو فكانه اتى بفعل متناقض لا يقبله العقل فلهذا قال افلا تعقلون
وقيل ان من وعظ الناس يجتهد ان تنفذ موعظته الى القلوب فاذا خالف قوله فعله كان ذلك سبب
لتنفير القلوب عن قبول موعظته **ق** عن اسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور
الحمار في الرحا فيجتمع اليه اهل النار فيقولون يا فلان ما لك الم تكن تامر الناس بالمعروف وتنهى عن
المنكر فيقول بلى كنت امر بالمعروف ولا اتيه وانهى عن المنكر واتيه قوله فتندلق اي تخرج اقتاب بطنه
اي امعا بطنه واحدها قتب وروى البغوي بسنده عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رايت ليلة اسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هولاء يا جبريل قال هولاء خطبا
من امتك يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم وهم يتلون الكتاب افلا يعقلون قيل مثل الذي يعلم
الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضي للناس ويحرق نفسه وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ
بفعله نفذت سهامه وقال بعضهم ابدا بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنه فانت حكيم فهناك
يسمع ما تقول ويقتدى بالفعل منك وينفع التعليم قوله عز وجل **واستعينوا بالصبر والصلاة**
قيل ان المخاطبين بهذا هم المومنون لان من ينكر الصلاة والصبر على دين محمد صلى الله عليه وسلم لا يقال
له استعن بالصبر والصلاة فلا جرم وجب صرفه الى من صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وامن به
وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لبني اسرائيل لان صرف الخطاب الى غيرهم يوجب تفكيك نظم القران
ولان اليهود لم ينكروا اصل الصلاة والصبر لكن صلاتهم غير صلاة المومنين فعلى هذا القول ان الله
لما امرهم بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتزام شريعته وترك الرياسة وحب الجاه والمال
فقال لهم استعينوا بالصبر اي بحبس النفس عن اللذات وضمتهم الى ذلك الصلاة هان عليكم ترك
ما انتم فيه من حب الرياسة والجاه والمال وعلى القول الاول يكون معنى الاية واستعينوا على حوائجكم الى
الله وقيل على ما يشغلكم من انواع البلا وقيل على طلب الاخرة بالصبر وهو حبس النفس عن اللذات
وترك المعاصي وقيل بالصبر على اداء الفرائض وقيل الصبر هو الصوم لان فيه حبس النفس عن المفطرات
وعن ساير اللذات وفيه انكسار النفس والصلاة اي اجمعوا بين الصبر والصلاة وقيل معناه واستعينوا
بالصبر على الصلاة وعلى ما يجب فيها من تصحيح النية واحضار القلب ومراعات الاركان والاداب
مع الخشوع والخشية فان من اشتغل بالصلاة ترك ما سواها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا حزنه امر فزع الى الصلاة اي اذا اهمه امر لجا الى الصلاة وعن ابن عباس انه نعي له اخوه قثم وهو
في سفر فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما السجود ثم قام الى راحلته وهو يقول
استعينوا بالصبر والصلاة **وانها** يعني الصلاة وقيل الاستعانة **لكبيرة** اي ثقيلة **الا على الخاشعين**
يعني المومنين وقيل الخايفين وقيل المطيعين المتواضعين لله تعالى واصل الخشوع السكون والخاشع
ساكن الى الطاعة وقيل الخشوع الضراعة واكثر ما يستعمل في الجوارح وانما كانت الصلاة ثقيلة
على غير الخاشعين لان من لا يرجو لها ثوابا ولا يخاف على تركها عقابا فهي ثقيلة عليه والخاشع الذي
يرجو لها ثوابا ويخاف على تركها العقاب فهي سهلة عليه **الذين يظنون** اي يستيقنون وقيل يعلمون
انهم ملاقوا ربهم يعني في الاخرة وفيه دليل على ثبوت روية الله تعالى في الاخرة **وانهم اليه راجعون**
يعني بعد الموت فيجزيهم باعمالهم قوله تعالى **يا بني اسرايل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** انما اعاد
هذا الكلام مرة اخرى توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم **واني
فضلتكم على العالمين** يعني على عالمي زمانكم وهذا التفضيل وان كان في حق الابا ولكن يحصل به
الشرف للابنا **واتقوا يوما** اي واخشوا عذاب يوم **لا تجزي** اي لا تقضي **نفس عن نفس شيا** يعني
حقا لزمها وقيل معناه لا تنوب نفس عن نفس يوم القيمة ولا تدفع عنها شيا مما اصابها بل يفر المرء
من اخيه وامه وابيه **ولا يقبل منها شفاعة** اي في ذلك اليوم والمعنى لا تقبل الشفاعة اذا
كانت النفس كافرة وذلك ان اليهود قالوا يشفع لنا اباونا فرد الله عليهم ذلك بقوله ولا تقبل
منها شفاعة وقيل ان طاعة المطيع لا تقضي عن العاصي ما كان واجبا عليه وقيل معناه ان النفس
الكافرة لو جاءت بشفيع لا يقبل منها **ولا يوخذ منها عدل** اي فدية وسمي مماثلة الشي بالشي **ولا هم
ينصرون** اي لا يمنعون من العذاب قوله عز وجل **واذ نجيناكم** اي واذكروا اذ خلصنا اسلافكم
واجدادكم فاعدها نعمة عليهم لانهم نجوا بنجاة اسلافهم **من ال فرعون** اي من اتباعه واهل
دينه وفرعون اسم علم لمن كان يملك مصر من القبط والعماليق وكان اسمه الوليد بن مصعب بن الريان
وعمر اكثر من اربعمائة سنة **يسومونكم** اي يكلفونكم ويذيقونكم **سوء العذاب** اي اشد العذاب واسوه
وقيل يصرفونكم في العذاب مرة كذا ومرة كذا وذلك ان فرعون جعل بني اسرايل خدما وخولا وصنفهم
في الاعمال اصنافا فاصنف يبنون وصنف يزرعون وصنف يخدمونه ومن لم يكن في عمل وضع عليه الجزية وقال
وهب كانوا اصنافا في اعمال فرعون فذوو القوة يسلخون السواري من الجبال حتى قرحت ايديهم
واعناقهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها وصنف ينقلون الحجارة والطين يبنون له القصور
وطايفة يضربون اللبن ويطبخون الاجر وطايفة نجارون وحدادون والضعفة منهم يضرب عليهم
الخراج يعني الجزية ضريبة يودونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل ان يودي ضريبته غلت يمينه
الى عنقه شهرا والنسا يغزلون الكتان وينسجونه وقيل تفسير يسومونكم سوء العذاب ما بعده
وهو قوله تعالى **يذبحون ابناكم ويستحيون نساكم** اي يتركوهن احيا وذلك ان فرعون راى
في منامه كان نارا اقبلت من بيت المقدس واحاطت بمصر واحرقت كل قبطي بها ولم يتعرض لبني اسرايل
فهاله ذلك وسال الكهنة عن روياه فقالوا يولد غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك
فامر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرايل ووكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قتل في طلب موسى
اثني عشر الفا وقيل سبعين الفا واسرع الموت في مشيخة بني اسرايل فدخل روسا القبط على فرعون

وقال

وقالوا ان الموت قد وقع ببني اسرايل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون
ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون في السنة لا يذبح فيها وولد موسى في السنة التي يذبح فيها **وفي
ذلكم بلاء من ربكم عظيم** اي اختبار وامتحان والبلا يطلق على النعمة العظيمة وعلى المحنة الشديدة ليختبر
الله العبد على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر فان نحمل قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم على صنيع فرعون
كان من البلا المحنة وان حمل على الانجا كان من النعمة **قوله تعالى** **واذ فرقنا بكم البحر** اي فصلنا بعضه
من بعض وجعلنا فيه مسالك بسبب دخولكم البحر وسمي بحرا لاتساعه ذكر سياق القصة وذلك انه لما دنا
هلاك فرعون امر الله عز وجل موسى ان يسري ببني اسرايل من مصر بالليل فامر موسى قومه ان يسرجوا في
بيوتهم السرج الى الصباح وان يستعيروا حلي القبط لتبقى لهم وليبيعوه لاجل المال واخرج الله كل ولد زنا
كان في القبط من بني اسرايل الى بني اسرايل وكل ابن ولد زنا كان في بني اسرايل من القبط الى القبط حتى
يرجع كل ولد الى ابيه والقى الله تعالى الموت على القبط فمات كل بكر لهم فاشتغلوا بدفنهم وقيل بلغ ذلك
فرعون فقال لا اخرج في طلبهم حتى يصيح الديك فما صاح تلك الليلة ديك وخرج موسى في بني اسرايل
وهم ستمائة الف وعشرون الفا لا يعدون ابن عشرين سنة لصغره ولا ابن ستين سنة لكبره وكان يوم دخلوا
مصر مع يعقوب اثنان وسبعون انسانا ما بين رجل وامراة فلما ارادوا المسير ضرب عليهم التيه فلم يدروا
اين يذهبوا فدعا موسى مشيخة بني اسرايل وسالهم عن ذلك فقالوا ان يوسف لما حضره الموت اخذ على
اخوته عهدا ان لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك استد علينا الطريق فسالهم عن موضع قبره
فلم يعلموه فقام موسى ينادي انشد الله كل من يعلم اين قبر يوسف الا اخبرني به ومن لم يعلم صمت اذناه عن
سماع قولي فكان يمر بالرجل وهو ينادي فلا يسمع صوته حتى سمعته عجوز منهم فقالت له ارايتك ان دللتك
على قبره اتعطيني كل ما اسالك فابى عليها وقال حتى اسال ربي فامره ان يعطيها سولها فقالت اني عجوز
لا استطيع المشي فاحملني معك واخرجني من مصر هذا في الدنيا واما في الاخرة فاسالك ان لا تنزل غرفة من غرف
الجنة الا نزلتها معك قال نعم قالت انه في النيل في جوف الما فادع الله ان يحسر عنه الما فدعا الله ان يحسر
عنه الما ودعا الله ان يوخر عنه طلوع الفجر حتى يفرغ من امر يوسف ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستخرجه وهو
في صندوق من مرمر وحمله معه حتى دفنه بالشام فعند ذلك فتح لهم الطريق فسار موسى ببني اسرايل
موسى في ساقتهم وهارون في مقدمتهم ثم خرج فرعون في طلبهم في الف الف وسبعمائة الف وكان فيهم سبعون الفا
من دهم الخيل سوى ساير الشيات وقيل كان معهم مائة الف حصان ادهم وكان فرعون في الدهم وكان على مقدمة
عسكره هامان وكان فرعون في سبعة الف الف وكان بين يديه مائة الف ناشب ومائة الف حراب ومائة
الف معهم الاعمدة وسار بنو اسرايل حتى وصلوا البحر والما في غاية الزيادة ونظروا حين اشرقت الشمس
فاذا هم بفرعون في جنوده فبقوا متحيرين وقالوا يا موسى اين ما وعدتنا به كيف نصنع هذا فرعون
خلفنا ان ادركنا قتلنا والبحر امامنا ان دخلناه غرقنا فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر
فضربه فلم يطعه فاوحى الله اليه ان كنه فضربه وقال انفلق ابا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود
العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط منهم طريق وارتفع الما بين كل طريقين كالجبل وارسل الله
الريح والشمس على قعر البحر حتى صارت يبسا وخاضت بنو اسرايل البحر كل سبط في طريق عن جوانبهم الما
كالجبال الضخم لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط منهم قد هلك اخواننا فاوحى الله تعالى الى جبال
الما ان تشبكي فصار الما كالشباك يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا

البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم يعني من فرعون واغرقنا آل فرعون وذلك ان
فرعون لما وصل الى البحر فراه منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر كيف انفلق من هيبتي حتى ادرك عبيدي
الذين ابقوا مني ادخلوا البحر فهاب قومه ان يدخلوا وقيل قالوا له ان كنت ربا فادخل البحر كما دخل موسى وكان
فرعون على حصان ادهم ولم يكن في خيل فرعون فرس انثى فجا جبريل عليه السلام على فرس انثى وديق فتقدمهم
وخاض البحر فلما شم ادهم فرعون ريحها اقتحم البحر في اثرها ولم يملك فرعون من امره شيا فاقتحمت الخيول
خلفه في البحر وجا ميكائيل عليه السلام خلفهم يسوقهم وهو على فرس ويقول الحقوا باصحابكم حتى صاروا كلهم
في البحر فخرج جبريل من البحر وهم اولهم بالخروج امر الله البحر ان ياخذهم فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين وكان بين
طرفي البحر اربع فراسخ وهو بحر القلزم وهو طرف من بحر فارس وقيل هو بحر من ورا مصر يقال له اساف وكان اغراق
آل فرعون بمراى من بني اسرايل فذلك قوله تعالى وانتم تنظرون يعني الى هلاكهم وقيل الى مصارعهم وقيل ان البحر
قذفهم حتى نظروا اليهم ووافق ذلك يوم عاشورا فصام موسى عليه السلام ذلك اليوم شكرا لله تعالى قوله
عز وجل واذ وعدنا موسى من المواعدة وهو من الله الامر ومن موسى القبول وذلك ان الله وعده المجي للميقات
موسى اسم عبري معرب فهو بالعبرية الما والشجر مو الما وشي الشجر سمي موسى لانه اخذ من بين الما والشجر ثم قلبت الشين سينا
فسمي موسى اربعين ليلة اي انقضا اربعين ليلة ثلاثين من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة وقرن التاريخ
بالليل دون النهار لان اشهر العربية وضعت على سير القمر وقيل لان الظلمة اقدم من الضوء وذكر القصة
في ذلك قال العلما لما انجا الله بني اسرايل من البحر واغرق عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون
اليهما وعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة فقال موسى اني ذاهب الى ميقات ربي لاتيكم منه بكتاب فيه بيان
ما تاتون وما تذرون ووعدهم اربعين ليلة واستخلف عليهم اخاه هارون فلما جا الوعد اتاه جبريل
عليه السلام على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيا الا حيي به ليذهب بموسى الى ميقات ربه فراه السامري
وكان صايغا اسمه ميخا وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وقيل كان من اهل باجرمي وقيل كرمان وقيل من
بني اسرايل من قبيلة يقال لها سامرة وكان منافقا يظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فلما راى جبريل
على ذلك الفرس وراى موضع قدم الفرس يخضر في الحال فقال في نفسه ان لهذا لشانا وقيل راى جبريل حين دخل
البحر قدام فرعون فقبض قبضة من تراب فرسه والقي في روعه انه اذا القي في شي حيي ولما ذهب موسى الى الميقات
ومكث على الطور اربعين ليلة وانزل الله عليه التوراة في الالواح وكانت الالواح من زبرجد وقربه نجيا واسمعه
صرير الاقلام قيل انه بقي اربعين ليلة لم يحدث فيها حدثا حتى هبط من الطور وكانت بنو اسرايل قد استعاروا
حليا كثيرا من القبط حين ارادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم فلما هلك فرعون وقومه بقي ذلك الحلي في ايديهم
فلما فصل موسى قال لهم السامري ان الحلي الذي استغنمتموها من القبط غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفيرة وادفنوها
فيها حتى يرجع موسى ويرى فيها رايه وقيل ان هارون امرهم بذلك فلما اجتمعت الحلي اخذها السامري
وصاغ منها عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر وخار خوارة وقيل كان يخور ويمشي وقال لهم السامري هذا الهكم
واله موسى فنسي اي فتركه ها هنا وخرج يطلبه وكانت بنو اسرايل قد اخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة
يومين فلما مضى عشرون يوما ولم يرجع موسى وقعوا في الفتنة وقيل كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت
العشر فكانت فتنتهم في تلك العشرة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا انه قد مات وراوا العجل
وسمعوا قول السامري عكف عليه ثمانية الاف رجل يعبدونه وقيل عبدوه كلهم الا هارون مع اثني عشر
رجلا وهذا اصح فذلك قوله تعالى ثم اتخذتم العجل يعني الها من بعده اي من بعد موسى وانتم ظالمون

اي وانتم

اي وانتم ضارون لانفسكم بالمعصية حيث وضعتم العبادة في غير موضعها ثم عفونا عنكم اي محونا ذنوبكم
وتجاوزنا عنكم من بعد ذلك اي من بعد عبادتكم العجل لعلكم تشكرون اي لكي تشكروا عفوي عنكم وحسن
صنيعي اليكم واصل الشكر هو تصور النعمة واظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها والشكر
على ثلاثة اضرب شكر القلب وهو تصور النعمة وشكر اللسان وهو الثنا على المنعم وشكر ساير الجوارح
وهو مكافاة النعمة بقدر استحقاقها وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية وقيل
حقيقة الشكر العجز عن الشكر وحكي ان موسى عليه السلام قال الهي انعمت علي النعم السوابغ وامرتني بالشكر
وانما شكري اياك نعمة منك فاوحى الله تعالى اليه يا موسى تعلمت العلم الذي لا فوقه علم حسبي من عبدي
ان يعلم ان ما به من نعمة فهي مني وقال داود عليه السلام سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره
شكرا كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة وقال الفضيل شكر كل نعمة ان لا يعصى الله بعدها بتلك
النعمة وقيل شكر النعمة ذكرها وقيل شكر النعمة ان لا تراها البتة وترى المنعم وقيل الشكر لمن فوقك بالطاعة
والثنا ولنظيرك بالمكافات ولمن دونك بالاحسان والافضال قوله عز وجل واذ اتينا موسى الكتاب
يعني التوراة والفرقان قيل هو نعت الكتاب والواو زايدة والمعنى الكتاب الفرق بين الحلال والحرام
والكفر والايمان وقيل الفرقان هو النصر على الاعدا والواو على اصلها لعلكم تهتدون يعني بالتوراة
واذ قال موسى لقومه يعني الذين عبدوا العجل يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل يعني
الها تعبدونه فكانهم قالوا ايش تصنع قال فتوبوا الى باريكم اي ارجعوا الى خالقكم بالتوبة قالوا كيف نتوب
قال فاقتلوا انفسكم يعني ليقتل البري منكم المجرم فان قلت التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح والعزم على
ان لا يعود اليه وهذا مغاير للقتل فكيف يجوز تفسير التوبة بالقتل قلت ليس المراد تفسير التوبة
بالقتل بل بيان ان توبتهم لا تتم الا بالقتل وانما كان كذلك لان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام
ان توبة المرتد لا تتم الا بالقتل فان قلت التايب من الردة لا يقتل فكيف استحقوا القتل وقد تابوا من
الردة قلت ذلك مما يختلف فيه الشرايع فلعل شرع موسى كان يقتضي ان يقتل التايب عن الردة اما
عاما في حق الكل او خاصا في حق الذين عبدوا العجل ذلكم خير لكم عند باريكم يعني القتل وتحمل في
هذه الشدة لان الموت لا بد منه فلما امرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لامر الله تعالى فجلسوا محتبين من
الحبوة وهو ضم الساق الى البطن بثوب وقيل لهم من حل حبوته او مد طرفه الى قاتله او اتقاه بيد او رجل
فهو ملعون مردودة توبته فاصلت القوم الخناجر والسيوف واقبلوا عليهم فكان الرجل يرى ابنه واباه
واخاه وقريبه وصديقه وجاره فيرق له فلم يمكنهم المضي لامر الله تعالى فقالوا يا موسى كيف نفعل فارسل
الله عليهم سحابة سودا لا يبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتلون الى المسا فلما كثر القتل دعا موسى وهارون
الله وبكيا وتضرعا اليه وقالا يا رب هلكت بنو اسرايل البقية البقية فكشف الله السحابة عنهم وامرهم
ان يكفوا عن القتل فكشفت عن الوف من القتلى قال علي بن ابي طالب كان عدد القتلى سبعين الفا فاشتد
ذلك على موسى فاوحى الله تعالى اليه اما يرضيك ان ادخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم
شهيدا ومن بقي مكفرا عنه ذنوبه فذلك قوله فتاب عليكم اي فعلتم ما امرتم به فتجاوز عنكم انه هو
التواب اي الرجاع بالمغفرة القابل للتوبة الرحيم بخلقه قوله عز وجل واذ قلتم يا موسى لن نومن
لك اي لن نصدقك حتى نرى الله جهرة اي عيانا وذلك ان الله عز وجل امر موسى ان ياتيه في ناس
من بني اسرايل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى من قومه سبعين رجلا من خيارهم وقال

لهم هو او تطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا وخرج بهم موسى الى طور سينا لميقات ربه فقالوا لموسى اطلب
لنا ان نسمع كلام ربنا قال افعل فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل كله فدخل موسى في
الغمام وقال للقوم ادنوا حتى دخلوا في الغمام وخروا سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه
نور ساطع فلا يستطيع احد ان ينظر اليه فضرب دونهم الحجاب وسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه واسمعهم
الله تعالى اني انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من ارض مصر بيد شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيري
فلما فرغ موسى وانكشف الغمام اقبل اليهم فقالوا لن نومن لك حتى نرى الله جهرة وانما قالوا جهرة توكيد
للروية لئلا يتوهم متوهم ان المراد بالروية العلم فاخذتكم الصاعقة قيل هي الموت وقيل ضعف لان
قوله وانتم تنظرون يرده اذ لو كان المراد منها الموت لامتنع كونهم ناظرين اليها وقيل ان الصاعقة
هي سبب الموت واختلفوا في ذلك السبب فقيل ان نارا نزلت من السما فاحرقتهم وقيل جاءت صيحة من
السما وقيل ارسل جنودا من الملائكة فسمعوا حسهم فخروا صاعقين وانتم تنظرون اي ينظر بعضكم
الى بعض كيف ياخذه الموت فلما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع ويقول الهي ماذا اقول لبني اسرائيل اذا
اتيتهم وقد هلك خيارهم لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل يناشد ربه
حتى احياهم الله رجلا بعد رجل بعدما ماتوا يوما وليلة ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فذلك قوله
تعالى ثم بعثناكم اي احييناكم من بعد موتكم اي لتستوفوا بقية اجالكم وارزاقكم ولو انهم كانوا قد
ماتوا لانقضاء اجالهم لم يبعثوا الا يوم القيمة لعلكم تشكرون قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام
يعني في التيه يقيكم حر الشمس وذلك انه لم يكن لهم في التيه شي يسترهم ولا يستظلون به فشكوا الى
موسى فارسل الله غماما ابيض رقيقا يسترهم من الشمس وجعل لهم عمودا من نور يضي لهم بالليل اذا
لم يكن قمر وانزلنا عليكم المن والسلوى في التيه والاكثرون على ان المن هو الترنجبين وقيل هو شي
كالصمغ يقع على الشجر طعمه كالشهد وقال وهب هو الخبز الرقاق واصل المن هو ما يمن الله به من
غير تعب ق عن سعيد بن زيد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الكماة من المن وماوها شفا للعين
ومعنى الحديث ان الكماة شي انبته الله من غير سعي لاحد ولا مونة فهو بمنزلة المن الذي كان ينزل على بني
اسرائيل وقوله وماوها شفا للعين معناه ان يخلط مع الادوية فينتفع به لا انه يقطر ماوها مجردا في العين
وقيل ان تقطيره في العين ينفع لكن لوجع مخصوص وليس يوافق لكل وجع في العين وكان هذا المن ينزل
على اشجارهم في التيه في كل ليلة من وقت السحر الى طلوع الشمس كالثلج لكل انسان صاع فقالوا يا موسى
قد قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك ان يطعمنا اللحم فارسل الله عليهم السلوى والسلوى
هو طاير يشبه السماني وقيل هو السماني بعينه فكان الرجل منهم ياخذ ما يكفيه يوما وليلة فاذا كان
يوم الجمعة اخذ ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل ليوم السبت شي كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات
اي حلالات ما رزقناكم اي لا تدخروا لغد فخبوا لغد وادخروا فدود وفسد فقطع الله عنهم ذلك ق وعن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخبث الطعام ولم
يخنز اللحم ولولا حوا لم تخن انثى زوجها الدهر قوله لم يخنز اللحم اي لم ينتن فلم يتغير وما ظلمونا اي
وما بخسوا حقنا ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني باخذهم اكثر مما حد لهم فاستحقوا بذلك
عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مونة ولا تعب في الدنيا ولا حساب في العقبى
قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية سميت قرية لاجتماع الناس فيها قال ابن عباس هي

اريحا وهي قرية الجبارين وكان فيها قوم من بقية قوم عاد يقال لهم العمالقة وراسهم عوج بن عنق فعلى
هذا يكون القايل يوشع بن نون لانه هو الذي فتح اريحا بعد موت موسى لان موسى مات في التيه وقيل
هي بيت المقدس فعلى هذا يكون القايل موسى والمعنى اذا خرجتم من التيه بعد مضي الاربعين سنة
ادخلوا بيت المقدس فكلوا منها حيث شيتم رغدا اي موسعا عليكم وادخلوا الباب فمن قال ان
القرية اريحا قال ادخلوا اي باب كان من ابوابها وكان لها سبعة ابواب ومن قال ان القرية هي
بيت المقدس قال هو باب حطة سجدا منحنين خضعا متواضعين كالراكع ولم يرد به نفس السجود
وقولوا حطة اي حط عنا خطايانا امروا بالاستغفار وقال ابن عباس قولوا لا اله الا الله لانها
تحط الذنوب والخطايا على تقدير مسالتنا حطة نغفر لكم خطاياكم اي نسترها عليكم من الغفر
وهو الستر لان المغفرة تستر الذنوب وسنزيد المحسنين يعني ثوابا فبدل اي فغير الذين ظلموا
قولا غير الذي قيل لهم اي قالوا قولا غير ما قيل لهم وذلك انهم بدلوا قول الحطة بالحنطة فقالوا
بلسانهم هطا سمقاثا اي حنطة حمرا وذلك استخفافا منهم بامر الله تعالى وقيل طوطي لهم الباب
ليخفضوا رووسهم فابوا ذلك ودخلوا زحفا على استاههم فخالفوا في الفعل كما خالفوا في القول وبدلوا
ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب
سجدا وقولوا حطة فبدلوا ودخلوا يزحفون على استاههم وقالوا حبة في شعيرة فانزلنا على الذين
ظلموا رجزا من السما يعني عذابا من السما قيل ارسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة
سبعون الفا بما كانوا يفسقون اي يعصون ويخرجون عن امر الله تعالى قوله تعالى واذ استسقى
موسى لقومه اي طلب السقيا لقومه وذلك انهم عطشوا في التيه فسالوا موسى ان يستسقي لهم
ففعل فاوحى الله اليه كما قال نبينا فقلنا اضرب بعصاك قال وكانت العصا من آس الجنة طولها
عشرة اذرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا واسمها عليق وقيل نبعة حملها ادم
معه من الجنة فتوارثها الانبيا حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى الحجر قال وهب لم يكن حجرا
معينا بل كان موسى يضرب الى اي حجر كان فيتفجر عيونا لكل سبط عين وكانوا اثني عشر سبطا وقيل كان
حجرا معينا بدليل انه عرفه بالالف واللام قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا على قدر راس الرجل وكان
موسى يضعه في مخلاته فاذا احتاجوا الى الما وضعه وضربه بعصاه وقيل كان للحجر اربعة وجوه في كل
وجه ثلاثة اعين لكل سبط عين وقيل كان من الرخام وقيل كان من الكذان وهي الحجارة اللينة وقيل
هو الحجر الذي وضع موسى عليه ثوبه ليغتسل ففر به فاتاه جبريل وقال له ان الله يامرك ان ترفع هذا
الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة فوضعه في مخلاته فلما سالوه السقيا قيل اضرب بعصاك الحجر فكان
اذا احتاجوا الى الما وضعه وضربه بعصاه فينفجر منه عيونا لكل سبط عين تسيل اليهم في جدول
وكان اذا اراد حمله ضربه بعصاه فيذهب الما وييبس الحجر وذلك قوله تعالى فانفجرت منه اثنتا
عشرة عينا يعني على عدد اسباط بني اسرائيل والمعنى فضربه فانفجرت قال المفسرون انفجرت
وانبجست بمعنى واحد وقيل انبجست اي عرقت وانفجرت سالت قد علم كل اناس مشربهم اي موضع
شربهم لا يدخل سبط مع غيره كلوا واشربوا اي وقلنا لهم كلوا واشربوا من رزق الله يعني المن والسلوى
والما فهذا كله من رزق الله كان ياتيهم بلا مشقة ولا كلفة ولا تعثوا في الارض مفسدين العيث اشد
اشد الفساد في هذه الاية معجزة عظيمة لموسى عليه السلام حيث انفجر من الحجر الصغير ما روى منه

الجمع الكثير ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اعظم لانه انفجر الماء من بين اصابعه فروى منه الجمع الغفير لان انفجار الماء من اللحم والدم اعظم من انفجاره من الحجارة قوله عز وجل **واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد** وذلك انهم سئموا من المن والسلوى وملوه فاشتهوا غيره من لان المواظبة على الطعام الواحد يكون سببا لنقصان الشهوة فان قلت هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد قلت اراد بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل عدة الوان يداوم عليها في كل يوم لا يبدلها كانت بمنزلة الطعام الواحد **فادع لنا ربك** اي فاسئل لنا ربك **يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها** قال ابن عباس الفوم الخبز وقيل هو الحنطة وقيل هو الثوم **وعدسها وبصلها** انما طلبوا هذه الانواع لانها تعين على تقوية الشهوة اولانهم ملوا من البقاء في التيه فسألوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في البلاد وكان غرضهم الوصول الى البلاد لا لتلك الاطعمة **قال** يعني موسى **اتستبدلون الذي هو ادنى** اي الذي هو اخس واردى وهو الذي طلبوه **بالذي هو خير** يعني بالذي هو اشرف وافضل وهو ما انتم فيه **اهبطوا مصرا** يعني فان ابيتم الا ذلك فأتوا مصرا من الامصار وقيل بل هو مصر البلد الذي كانوا فيه ودخوله لتنوين عليه كدخوله على نوح ولوط والقول هو الاول **فان لكم ما سألتم** يعني من نبات الارض **وضربت عليهم الذلة** اي جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم والزموا الذل والهوان وقيل الذلة الجزية وزي اليهودية وفيه بعد لانه لم يكن ضربت عليهم الجزية بعد **والمسكنة** اي الفقر والفاقة وسمي الفقير مسكينا لان الفقر اسكنه واقعده عن الحركة فترى اليهود وان كانوا اغنياء مياسير كانهم فقراء فلا ترى احدا من اهل الملل اذل ولا احرص على المال من اليهود **وباؤا** اي رجعوا ولا يقال باء الا بشر **بغضب من الله** وغضب الله ارادة الانتقام ممن عصاه **ذلك** اي الغضب **بانهم كانوا يكفرون بآيات الله** اي بصفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم التي في التوراة ويكفرون بالانجيل والقرآن **ويقتلون النبيين** النبي معناه المخبر من انبأ ينبئ وقيل هو بمعنى الرفيع ماخوذ من النبوة وهو المكان المرتفع **بغير الحق** اي بغير جرم فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير حق فما فائدة ذكره قلت ذكره وصفا للقتل والقتل يوصف تارة بالحق وهو ما امر الله به وتارة بغير الحق وهو قتل العدوان فهو كقوله قل رب احكم بالحق فالحق وصف للحكم لا ان حكمه ينقسم الى حق وجور يروى ان اليهود قتلت سبعين نبيا في اول النهار وقامت سوق بقلها في آخره وقتلوا زكريا ويحيى وشعيبا وغيرهم من الانبياء **ذلك بما عصوا** اي ذلك القتل والكفر بما عصوا امري **وكانوا يعتدون** اي يتجاوزون امري ويرتكبون محارمي قوله تعالى **ان الذين آمنوا والذين هادوا** يعني اليهود وسموا بذلك لقولهم انا هدنا اليك اي ملنا اليك وقيل هادوا اي تابوا من عبادة العجل وقيل انهم مالوا عن دين الاسلام وعن دين موسى **والنصارى** سموا بذلك لقول الحواريين نحن انصار الله وقيل لاعتزائهم الى قرية يقال لها ناصرة وكان المسيح ينزلها **والصابئين** اصله من صبأ اذا خرج من دين الى دين آخر سموا بذلك لخروجهم من الدين قال عمر وابن عباس هم قوم من اهل الكتاب قال عمر ذبائحهم ذبائح اهل الكتاب وقال ابن عباس لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم وقيل هم قوم بين اليهود والمجوس لا تحل ذبائحهم ومناكحتهم وقيل هم بين اليهود والنصارى يحلقون اوساط رؤسهم وقيل هم قوم يقرون بالله ويقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون الى الكعبة اخذوا من كل دين شيئا والاقرب انهم قوم يعبدون الكواكب وذلك انهم يعتقدون ان الله تعالى خلق هذا العالم وجعل الكواكب مدبرة

له فيجب

له فيجب على البشر عبادتها وتعظيمها وانها هي التي تعبد الله تعالى ولما ذكر الله هذه الطوائف قال **من آمن بالله واليوم الآخر** فان قلت كيف قال في اول الآية ان الذين آمنوا وقال في آخرها من آمن بالله فما فائدة التعميم اولا ثم التخصيص آخرا قلت اختلف العلماء في حكم الآية فلهم فيه طريقان احدهما ان المراد ان الذين آمنوا على التحقيق ثم اختلفوا فيهم فقيل هم الذين آمنوا في زمن الفترة وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وبحيرا الراهب وابي ذر الغفاري وسلمان الفارسي فمنهم من ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم يدركه فكانه قال تعالى ان الذين آمنوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل المبدل من اليهود والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وبمحمد صلى الله عليه وسلم فلهم اجرهم عند ربهم وقيل هم المؤمنون من الامم الماضية وقيل هم المؤمنون من هذه الامة والذين هادوا يعني الذين كانوا على دين موسى فلم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى فلم يغيروا والصابئين يعني في زمن استقامة امرهم من آمن منهم ومات وهو مؤمن لان حقيقة الايمان يكون بالوفاة واما الطريقة الثانية فقالوا ان المذكورين بالايمان في اول الآية انما هو على طريق المجاز دون الحقيقة وهم الذين آمنوا بالانبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل هم المنافقون الذين آمنوا بالسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصابئين فكانه قال تعالى هؤلاء المبطلون كل من آمن منهم الايمان الحقيقي صار مؤمنا عند الله وقيل ان المراد بقوله تعالى ان الذين آمنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة حين الماضي وثبتوا على ذلك في المستقبل وهو المراد من قوله تعالى من آمن بالله واليوم الآخر **وعمل صالحا** اي في ايمانهم **فلهم اجرهم عند ربهم** اي جزاء اعمالهم **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** اي في الآخرة قوله تعالى **واذ اخذنا ميثاقكم** اي عهدكم يا معشر اليهود **ورفعنا فوقكم الطور** يعني الجبل العظيم قال ابن عباس امر الله جبلا من جبال فلسطين فانقلع من اصله حتى قام على رؤسهم وسبب ذلك ان الله تعالى لما انزل التوراة على موسى وامرهم ان يعملوا باحكامها فأبوا ان يقبلوها لما فيها من الآصار يعني الاثقال والتكاليف الشاقة امر الله تعالى جبريل عليه السلام ان يقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان قدره فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤسهم قدر قامة كالظلة وقيل لهم ان لم تقبلوا ما في التوراة والا ارسلت هذا الجبل عليكم **خذوا** اي وقلنا لهم خذوا **ما آتيناكم** اي ما اعطيناكم **بقوة** اي بجد واجتهاد **واذكروا ما فيه** اي ادرسوا ما فيه **لعلكم تتقون** اي لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى والا رضخت رؤسكم بهذا الجبل فلما رأوا ان ذلك نازل بهم قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار ذلك سنة في سجود اليهود لا يسجدون الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود دفع عنا العذاب **ثم توليتم** اي اعرضتم **من بعد ذلك** اي من بعد ما قبلتم التوراة **فلولا فضل الله عليكم ورحمته** اي بالامهال **لكنتم من الخاسرين** اي المغبونين بذهاب الدنيا والعذاب في العقبى قوله عز وجل **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم** اي جاوزوا الحد **في السبت** يقال سبتت اليهود لانهم يعظمونه ويقطعون فيه اعمالهم واصل السبت القطع ذكر الاشارة الى القصة قال العلماء بالاخبار انهم كانوا في زمن داود عليه السلام بقرية بارض ايلة وحرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك حتى لا يرى الماء من كثرتها فاذا مضى السبت تفرقت الحيتان ولزمن قعر البحر فذلك قوله تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ثم ان الشيطان وسوس اليهم وقال انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فلم

تنهوا عن اخذها في غيره فعمد رجال فيهم نحو واحيا ضا كبارا حول البحر وشرعوا منه اليها انهارا فاذا كانت عشية يوم الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج في البحر بالحيتان الى تلك الحياض فيقعن فيها ولا يقدرن على الخروج منها لعمقها فاذا كان يوم الاحد اخذوها وقيل انهم كانوا ينصبون الشصوص والحبايل يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا ولم ينزل بهم عقوبة فتجروا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد احل لنا فاخذوا وملحوا واكلوا وباعوا واثروا فلما فعلوا ذلك صار اهل القرية ثلاثة اصناف وكانوا نحوا من سبعين الفا صنف امسك عن الصيد ونهى عن الاصطياد وصنف امسك ولم ينه وصنف انهمكوا في الذنب وهتكوا الحرمة وكان الصنف الناهون اثنى عشر الفا فلما ابى المجرمون قبول نصحهم قالوا والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار فعبروا على ذلك سنتين ثم لعنهم داود وغضب الله عليهم ولعنهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين احد ولم يفتحوا الباب فلما ابطاوا تسوروا عليهم الجدار فاذا هم جميعا قردة لهم اذناب وهم يتعاوون وقيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة ولم يتوالدوا قال الله تعالى فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين امر تحويل وتكوين ومعنى خاسئين مبعدين مطرودين وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره كونوا خاسئين قردة ولهذا لم يقل خاسيات فجعلناها يعني عقوبتهم بالمسخ نكالا اي عقوبة وعبرة لما بين يديها وما خلفها قيل معناه عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم وقيل جعلنا عقوبة قرية اصحاب السبت عبرة لما بين يديها من القرى التي كانت عامرة في الحال وما خلفها اي ما يحدث بعدها من القرى ليتعظوا بذلك وتم قوله تعالى وموعظة للمتقين اي المؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم لئلا يفعلوا مثل فعلهم قوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة البقرة واحدة البقر يعني الانثى واصلها البقر وهو الشق سميت بذلك لانها تشق الارض للحراثة الاشارة الى القصة في ذلك قال علماء السير والاخبار انه كان رجل غني في بني اسرائيل وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية اخرى والقاه على بابها ثم اصبح يطلب ثاره وجاء باناس الى موسى يدعي عليهم بالقتل فجحدوا واشتبه امر القتيل على موسى فسالوا موسى ان يدعو الله تعالى يبين لهم ما اشكل عليهم فسال موسى ربه في ذلك فامره ربه بذبح بقرة وامره ان يضربه ببعضها فقال لهم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا اي نحن نسالك عن امر القتيل وانت تستهزئ بنا وتامرنا بذبح بقرة اي وانما قالوا ذلك لبعد ما بين الامرين في الظاهر ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه قال يعني موسى اعوذ بالله اي امتنع بالله ان اكون من الجاهلين اي من المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال فلما علموا ان ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه اياها ولو انهم عمدوا الى اي بقرة كانت فذبحوها لاجزت عنهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم وكان في ذلك حكمة لله عز وجل وذلك انه كان رجل صالح في بني اسرائيل وله ابن طفل وله عجلة فاتى بها غيضة وقال اللهم اني استودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات ذلك الرجل وصارت العجلة في الغيضة عوانا وكانت تهرب من الناس فلما كبر ذلك الطفل وكان بارا بامه وكان يقسم ليله ثلاثة اجزاء يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند راس امه ثلثا فاذا اصبح انطلق فيحتطب ويأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله فيتصدق بثلثه وياكل ثلثه ويعطي امه ثلثه فقالت له امه يوما يا بني ان اباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادع اله ابراهيم واسمعيل واسحق ان يردها عليك وعلامتها انك

اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فاتى الفتى الغيضة فراها ترعى فصاح بها فقال اعزم عليك باله ابراهيم واسمعيل واسحق فاقبلت البقرة حتى وقفت بين يديه فقبض على قرنها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت ايها الفتى البار بامه اركبني فانه اهون عليك فقال الفتى ان امي لم تامرني بذلك فقالت البقرة والله لو ركبتني ما كنت تقدر علي ابدا فانطلق فانك لو امرت الجبل ان ينقلع من اصله لانقلع لبرك بامك فسار الفتى بها الى امه فقالت له امه انك رجل فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع البقرة فقال بكم ابيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق الفتى بها الى السوق وبعث الله ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره امه وهو اعلم فقال له الملك بكم هذه البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضى امي فقال له الملك ستة دنانير ولا تستاور امك فقال له الفتى لو اعطيتني وزنها ذهبا لم اخذه الا برضى امي ورجع الفتى الى امه فاخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير ولا تبعها الا برضاي فرجع بها الى السوق واتى الملك فقال استامرت امك فقال الفتى نعم انها امرتني ان لا انقصها من ستة على رضاها فقال الملك اني اعطيك اثنى عشر دينارا ولا تستامرها فابى الفتى ورجع الى امه فاخبرها بذلك فقالت له ان الذي ياتيك ملك في صورة ادمي ليختبرك فاذا اتاك فقل له اتامرنا ان نبيع هذه البقرة ام لا فقال له الملك اذهب الى امك وقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل في بني اسرائيل فلا تبيعها الا بملء مسكها ذهبا والمسك الجلد فامسكتها وقدر الله تعالى على بني اسرائيل ذبح البقرة بعينها فما زالوا يستوصفون البقرة حتى وصفت لهم تلك البقرة بعينها مكافاة لذلك الفتى على بره بامه فضلا من الله ورحمة فذلك قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما سنها قال يعني موسى انه يقول يعني الله عز وجل انها بقرة لا فارض ولا بكر اي لا كبيرة ولا صغيرة والفارض المسنة التي لا تلد والبكر الفتية التي لم تلد عوان اي نصف بين ذلك اي بين الشيئين فافعلوا ما تؤمرون اي من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها قال ابن عباس شديدة الصفرة وقيل صاف لونها وقيل الصفراء السوداء والاول اصح لانه يقال اصفر فاقع واسود حالك تسر الناظرين اي تعجبهم حسنها وصفاء لونها قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي اسائمة ام عاملة ان البقر تشابه علينا اي التبس واشتبه امرها علينا وانا ان شاء الله لمهتدون اي الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم لاخر الدهر قال انه يقول انها بقرة لا ذلول اي لم يذللها العمل تثير الارض تقلبها للزراعة ولا تسقي الحرث اي ليست بسانية والسانية هي التي تسقي الماء من البير لسقي الارض مسلمة اي بريئة من العيوب لا شية فيها اي لا لون فيها غير لونها قالوا الان جئت بالحق اي بالبيان التام الذي لا اشكال فيه فطلبوها فلم يجدوا بقرة بكمال وصفها الا بقرة ذلك الفتى فاشتروها بملء مسكها ذهبا فذبحوها وما كادوا يفعلون اي وما قاربوا ان يفعلوا ما امروا به قيل لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة وقيل لعزة وجودها بهذه الاوصاف جميعا قوله تعالى واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة بذلك لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها قال ابن عباس اي اختلفتم واختصمتم من الدرء وهو الدفع لان المتخاصمين يدفع بعضهم بعضا والله

يخرج ما كنتم تكتمون اي مظهر ما كتمتم من امر القتيل لا محالة ولا يترك مكتوما **فقلنا اضربوه** يعني القتيل **ببعضها** اي ببعض البقرة قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل ضربوه بلسانها وقيل بعجب الذنب وقيل بفخذها اليمنى والاقرب انهم كانوا مخيرين في ذلك البعض وانهم اذا ضربوه باي جزء منها اجزا وحصل المقصود ولانه ليس في القران ما يدل على ذلك البعض ما هو وذلك يقتضي التخيير وفي الاية اضمار تقديره فضربوه فحيي فقام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان يعني ابن عمه ثم سقط ميتا مكانه فحرم قاتله الميراث وفي الخبر ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة **كذلك** اي كما احيا الله عاميل صاحب البقرة **يحيي الله الموتى** يعني يوم القيمة **ويريكم اياته لعلكم تعقلون** اي تمنعون انفسكم عن المعاصي فان قلت كان حق هذه القصة ان يقدم ذكر القتيل اولا ثم ذكر ذبح البقرة بعد ذلك فما وجه ترتيب هذه القصة على هذا الترتيب قلت وجهه ان الله تعالى لما ذكر من قصص بني اسرائيل وما وجد من جنايا تهم تقريعا لهم على ذلك وما وجد فيهم من الايات العظيمة وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين في نفس الامر فالاولى لتقريعهم على ترك المسارعة الى امتثال الامر وما يتبعه والثانية لتقريعهم على قتل النفس المحرمة فلو قدم ذكر قصة القتيل على قصة الذبح لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض من تثنية التقريع فلهذا قدم ذكر الذبح اولا ثم عقبه بذكر القتيل فان قلت ما فائدة ضرب القتيل ببعض البقرة والله تعالى القادر على ان يحييه ابتداء من غير ضرب بشي قلت الفائدة فيه ان تكون الحجة اوكد وعن الحيلة ابعد لاحتمال ان يتوهم متوهم ان موسى انما احياه بضرب من السحر او الحيلة فاذا احي القتيل عندما ضرب ببعض البقرة وبما فعلوه هم انتفت الشبهة وعلم ان ذلك من عند الله وبامره كان ذلك فان قلت هلا امر ان يذبح غير البقرة قلت الكلام في غير البقرة لو امر به كالكلام في البقرة ثم في ذبح البقرة فوايد منها التقرب بالقربان على ما كانت العادة جايزة عندهم ومنها ان هذا القربان كان عندهم من اعظم القرابين ومنها تحمل المشقة العظيمة في تحصيلها بتلك القيمة ومنها حصول ذلك المال العظيم الذي اخذه صاحبها في ثمنها **فصل** في حكم هذه المسالة في شريعة الاسلام اذا وقعت وذلك انه اذا وجد قتيل في موضع ولا يعرف قاتله فان كان ثم لوث على انسان ادعي به واللوث ان يغلب على الظن صدق المدعي بان اجتمع جماعة في بيت او صحرا ثم تفرقوا عن قتيل فيغلب على الظن ان القاتل فيهم او وجد قتيل في محلة او قرية وكلهم اعدا القتيل لا يخالطهم غيرهم فيغلب على الظن انهم قتلوه فان ادعى الولي على بعضهم حلف خمسين يمينا على من يدعي عليه وان كان الاوليا جماعة توزع الايمان عليهم فاذا حلفوا اخذوا الدية من عاقلة المدعى اذا ادعوا قتل خطا وان ادعوا قتل عمد فمن مال المدعى عليه ولا قود عليه في قول الاكثرين وذهب عمر بن عبد العزيز الى وجوب القود وبه قال مالك واحمد فان لم يكن ثم لوث فالقول قول المدعى عليه لان الاصل براة ذمته من القتل وهل يحلف يمينا واحدة ام خمسين يمينا فيه قولان احدهما انه يحلف يمينا واحدة كما في ساير الدعاوي والثاني يحلف خمسين يمينا تغليظا لامر القتل وعند ابي حنيفة لا حكم للوث ولا يبدى بيمين المدعي بل اذا وجد قتيل في محلة يختار الامام خمسين رجلا من صلحا اهلها فيحلفهم انهم ما قتلوه ولا يعرفون له قاتلا فان حلفوا اخذ الدية من سكانها والدليل على ان البداية بيمين المدعي عند وجود اللوث ما روي عن سهل بن ابي خيثمة قال انطلق عبد الله بن

سهل ومحيصة بن مسعود الى خيبر وهو يومئذ صلح فتفرقا فاتى محيصة الى عبد الله بن سهل وهو يتشحط في دمه قتيلا فدفنه ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة ابنا مسعود الى النبي صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر كبر وهو احدث القوم سنا فسكت فتكلما فقال اتحلفون وتستحقون قاتلكم او قال صاحبكم قالوا وكيف نحلف ولم نشهد ولم نر قال فتبريكم يهود بايمان خمسين منهم قالوا وكيف ناخذ بايمان قوم كفار فعقله النبي صلى الله عليه وسلم من عنده وفي رواية يقسم خمسين منكم على رجل منهم فيدفع بذمته وذكر نحوه اخرجاه في الصحيحين ووجه الدليل من هذا الحديث وزاد في رواية فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبطل دمه فوداه بماية من ابل الصدقة اخرجاه في الصحيحين ووجه الدليل من هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم بدا بايمان المدعين ليقوى جانبهم باللوث لان اليمين ابدا يكون لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوث يكون من جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل براة ذمته فكان القول قوله مع يمينه والله اعلم **قوله تعالى ثم قست قلوبكم** اي يبست وجفت وقساوة القلب انتزاع الرحمة منه وقيل معناه غلظت واسودت **من بعد ذلك** اي من بعد ظهور الدلالات التي جاء بها موسى وقيل هو اشارة الى احيا القتيل بعد ضربه ببعض البقرة **فهي** يعني القلوب في الغلظ والشدة **كالحجارة** اي كالشي الصلب الذي لا يتخلل فيه **أو** قيل او بمعنى بل وقيل بمعنى الواو اي **واشد قسوة** فان قلت لم شبه قلوبهم بالحجارة ولم يشبهها بالحديد وهو اشد من الحجارة واصلب قلت لان الحديد قابل للين بالنار وقد لان لداود عليه السلام والحجارة ليست قابلة للين فلا تلين قط ثم فضل الحجارة على القلب القاسي فقال **وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار** وقيل اراد به جميع الحجارة وقيل اراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى ليسقي الاسباط والتفجير التفتح بالسعة والكثرة **وان منها لما يشقق فيخرج منه الما** يعني العيون الصغار التي هي دون الانهار **وان منها لما يهبط من خشية الله** اي ينزل من اعلا الجبل الى اسفله وخشيتها عبارة عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع عما يريد فيها وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تخشع فان قلت الحجر جماد لا يعقل ولا يفهم فكيف يخشى قلت ان الله قادر على افهام الحجر والجماد والحيوانات علما وحكمة لا يقف عليه غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية يدل عليه قوله وان من شي الا يسبح بحمده وقال تعالى والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه فيجب على المرء الايمان به ويكل علمه الى الله تعالى (م) عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث واني لاعرفه الان عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن جابر بن عبد الله قال كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جذع في قبلته يقوم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته فلما وضع له المنبر سمعت للجذع مثل اصوات العشار حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وفي رواية صاحت النخلة صياح الصبي فنزل النبي صلى الله عليه وسلم حتى اخذها فضمها اليه فجعلت تئن انين الصبي الذي يسكت حتى استقرت قال بكت على ما كانت تسمع من الذكر قال مجاهد ما تنزل حجر من اعلا الى اسفل الا من خشية الله وذلك يشهد لما قلنا **وما الله بغافل عما تعملون** فيه وعيد وتهديد والمعنى ان الله بالمرصاد لهولا القاسية قلوبهم وحافظ لاعمالهم حتى يجازيهم بها في الاخرة

قوله عز وجل أفتطمعون خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لانه هو الداعي الى الايمان وانما ذكره بلفظ
الجمع تعظيما له وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لانهم كانوا يدعونهم الى الايمان
ايضا ومعنى افتطمعون افترجون ان يؤمنوا لكم اي تصدقكم اليهود بما تخبرونهم وقيل معناه افتطمعون
ان يؤمنوا لكم مع انهم لم يؤمنوا بموسى عليه السلام وكان هو السبب في خلاصهم من الذل وظهور المعجزات
على يده وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله قيل المراد بالفريق هم الذين كانوا مع موسى يوم الميقات
وهم الذين سمعوا كلام الله تعالى وقيل المراد بهم الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الاقرب
لان الضمير راجع اليهم في افتطمعون ان يؤمنوا لكم فعلى هذا يكون معنى يسمعون كلام الله يعني التوراة
لانه يصح ان يقال لمن يسمع التوراة يسمع كلام الله ثم يحرفونه اي يغيرون كلام الله ويبدلونه فمن فسر
الفريق الذين يسمعون كلام الله بالفريق الذين كانوا مع موسى استدل بقول ابن عباس انها نزلت في
السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه وذلك انهم لما رجعوا الى قومهم بعد ما سمعوا كلام الله
اما الصادقون منهم فادوا كما سمعوا وقالت طائفة منهم سمعنا الله يقول في اخر كلامه ان استطعتم
ان تفعلوا فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فكان هذا تحريفهم ومن فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله
بالذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان تحريفهم وتبديلهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم
واية الرجم من التوراة من بعد ما عقلوه اي علموا صحة كلام الله ومراده فيه ثم بعد ذلك خالفوه
وهم يعلمون اي فساد مخالفته ويعلمون ايضا انهم كاذبون قوله تعالى واذا لقوا الذين امنوا
قالوا امنا نزلت في اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس انه منافقي
اليهود كانوا اذا لقوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم امنا بالذي امنتم به وان
صاحبكم صادق وقوله حق وانا نجد نعته وصفته في كتابنا واذا خلا بعضهم الى بعض يعني كعب بن
الاشرف وكعب بن اسد ووهب بن الهود ارؤسا اليهود لاموا منافقي اليهود على ذلك و قالوا اتحدثونهم
بما فتح الله عليكم يعني قضى الله عليكم في كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا عليكم بقولكم
فيقولون لكم قد اقررتم انه نبي حق في كتابكم ثم لا تتبعونه وذلك ان اليهود قالوا لاهل المدينة حين شاوروهم
في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم امنوا به فانه نبي حق ثم لام بعضهم بعضا وقالوا اتحدثونهم بما فتح الله
عليكم لتكون لهم الحجة عليكم عند ربكم اي في الدنيا والاخرة وقيل هو قول يهود بني قريظة بعضهم لبعض
حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا اخوان القردة والخنازير قالوا من اخبر محمدا بهذا هذا ما خرج
الا منكم وقيل ان اليهود اخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به على الجنايات فقال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما
فتح الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لانفسهم عليكم عند الله افلا تعقلون اي ذلك لا يليق بما
انتم عليه اولا يعلمون يعني اليهود ان الله يعلم ما يسرون اي ما يخفون وما يعلنون اي ما يبدون وما
يظهرون قوله عز وجل ومنهم اي من اليهود اميون اي لا يحسنون الكتابة ولا القراءة جمع امي وهو المنسوب
الى امه كانه باق على ما انفصل من الام لم يتعلم كتابة ولا قراءة لا يعلمون الكتاب الا اماني جمع امنية وهي
التلاوة ومنه قول الشاعر ؛ تمنى كتاب الله اول ليلة ؛ تمنى داود الزبور على رسل ؛
اي تلا كتاب الله وقال ابن عباس معناه غير عارفين بمعاني كتاب الله تعالى وقيل الاماني الاحاديث
الكاذبة المختلقة وهي الاشياء التي كتبها علماؤهم من عند انفسهم واضافوها الى الله وذلك من
تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك وقيل هو من التمني وهو قولهم لن تمسنا النار

وانه حق وقوله صدق
ليحاجوكم اي ليخاصمكم
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
مع

الا اياما معدودة وغير ذلك مما تمنوه فعلى هذا يكون المعنى لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اشياء
لا تحصل لهم وان هم الا يظنون اي ليسوا على يقين فويل الويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع في هلكة
واصلها في اللغة العذاب والهلاك وقال ابن عباس الويل شدة العذاب وعن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا
قبل ان يبلغ قعره اخرجه الترمذي وقال حديث غريب الخريف سنة للذين يكتبون الكتاب بايديهم
تاكيد الكتابة لانه يحتمل ان يأمر غيره بان يكتب فقال بايديهم لنفي هذه الشبهة والمراد بالذين
يكتبون الكتاب اليهود وذلك ان رؤسا اليهود خافوا ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم حين قدم
النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق سفلتهم عن الايمان به فعمدوا الى صفته في التوراة
فغيروها وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة فغيروا ذلك وكتبوا مكانه
طوال ازرق العينين سبط الشعر فكان اذا سالهم سفلتهم عن صفته قرؤا عليهم ما كتبوا ثم يقولون
هذا من عند الله يعني هذه الصفة التي كتبوها فاذا نظروا الى النبي صلى الله عليه وسلم والى
تلك الصفة فيجدونه مخالفا لها فيكذبونه ويقولون انه ليس به ليشتروا به اي بما كتبوا ثمنا
قليلا اي الماكل والرشى التي كانوا ياخذونها من سفلتهم قال الله تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم
وويل لهم مما يكسبون قوله تعالى وقالوا اي اليهود لن تمسنا اي لن تصيبنا النار الا اياما
معدودة اي قدرا مقدرا ثم يزول عنا العذاب قال ابن عباس قالت اليهود مدة الدنيا سبعة
الاف سنة وانما نعذب بكل الف سنة يوما ثم ينقطع عنا العذاب بعد سبعة ايام وقيل انهم عنوا بالايام
الاربعين يوما التي عبدوا فيها العجل وقيل ان اليهود زعموا ان الله عتب عليهم في امر فاقسم ليعذبنا
اربعين يوما تحلة القسم فقال الله ردا عليهم وتكذيبا لهم قل اي يا محمد قل لليهود اتخذتم عند الله
عهدا يعني موثقا ان لا يعذبكم الا هذه المدة فلن يخلف الله عهده اي وعده ام تقولون على
الله ما لا تعلمون بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا والمعنى بل تمسكم النار ابدا من كسب
سيئة السيئة اسم تتناول جميع المعاصي كبيرة كانت او صغيرة والسيئة هنا الشرك في قول
ابن عباس واحاطت به خطيئته اي احدقت به من جميع جوانبه قال ابن عباس هي الشرك يموت عليه
صاحبه وقيل احاطت به اي اهلكته خطيئته واحبطت ثواب طاعاته فعلى مذهب اهل السنة
يتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الاية بالكفر والشرك كقوله اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون فان الخلود في النار هو للكافرين والمشركين والذين امنوا وعملوا الصالحات
فان قلت العمل الصالح خارج عن اسم الايمان لانه تعالى قال والذين امنوا وعملوا الصالحات فلو
دل الايمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح بعد الايمان تكرارا قلت اجاب بعضهم بان
الايمان وان كان يدخل فيه جميع الاعمال الصالحة الا ان قوله امنوا لا يفيد الا انه فعل فعلا واحدا
من اعمال الايمان فلهذا حسن ان يقول والذين امنوا وعملوا الصالحات وقيل ان قوله امنوا
يفيد الماضي وعملوا الصالحات يفيد المستقبل فكانه تعالى قال امنوا اولا ثم داموا عليه اخرا
ويدخل فيه جميع الاعمال الصالحة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون قوله عز وجل واذ
اخذنا ميثاق بني اسرائيل يعني في التوراة والميثاق العهد الشديد لا تعبدون الا الله اي امر الله تعالى
بعبادته فيدخل تحته النهي عن عبادة غيره لان الله تعالى هو المستحق للعبادة لا غيره وبالوالدين

احسانا اي برا بهما ورحمة لهما ونزولا عند امرهما فيما لا يخالف امر الله تعالى ويوصل اليهما ما
يحتاجان اليه ولا يؤذيهما البتة وان كانا كافرين بل يجب عليه الاحسان اليهما ومن الاحسان اليهما
ان يدعوهما الى الايمان بالرفق واللين وكذا ان كانا فاسقين يامرهما بالمعروف بالرفق واللين
من غير عنف وانما عطف بر الوالدين على الامر بعبادته لان شكر المنعم واجب ولله على عبده اعظم النعم
لانه هو الذي خلقه واوجده بعد العدم فيجب تقديم شكره على شكر غيره ثم ان للوالدين على الولد نعمة
عظيمة لانهما السبب في كون الولد ووجوده ثم ان لهما عليه حق التربية ايضا فيجب شكرهما ثانيا
وذي القربى اي القرابة لان حق القرابة تابع لحق الوالدين والاحسان اليهم انما هو بواسطة الوالدين
فلهذا الحسن عطف القرابة على الوالدين واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه وهو طفل فاذا بلغ
الحلم زال عنه اليتم ويجب رعاية حقوق اليتيم لثلاثة امور لصغره ويتمه ولخلوه عمن يقوم بمصلحته
اذ لا يقدر هو ان ينتفع بنفسه ولا يقوم بحوائجه والمساكين جمع مسكين وسياتي بيانه ان شاء الله
تعالى وانما اخرت درجة المساكين عن اليتامى لانه قد يمكن ان ينتفع بنفسه وينفع غيره بالخدمة وقولوا
للناس حسنا فيه وجهان احدهما ان الخطاب للحاضرين من اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فلهذا
عدل من الغيبة الى الحضور والمعنى قولوا حقا وصدقا في شان محمد صلى الله عليه وسلم فمن سالكم عنه
فاصدقوه وبينوا صفته ولا تكتموه قاله ابن عباس الوجه الثاني ان المخاطبين هم الذين كانوا في زمن
موسى واخذ عليهم الميثاق وانما عدل من الغيبة الى الحضور على طريق الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم وقيل فيه حذف تقديره وقلنا لهم في الميثاق وقولوا للناس حسنا ومعناه امروهم بالمعروف
وانهوهم عن المنكر وقيل هو اللين في القول والعشرة وحسن الخلق واقيموا الصلوة واتوا الزكاة ولما
امرهم الله تعالى بهذه التكاليف الثمانية ليكون لهم المنزلة عنده بما التزموه به اخبر عنهم انهم ما وفوا
بذلك بقوله تعالى ثم توليتم اي اعرضتم عن العهد الا قليلا منكم يعني من الذين امنوا منكم كعبد الله بن
سلام واصحابه فانهم وفوا بالعهد وانتم معرضون اي كاعراض ابائكم قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم
قيل هو خطاب لمن كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وقيل هو خطاب لابائهم وفيه تقريع لهم
لا تسفكون دماءكم اي لا تريقون دماءكم اي لا يسفك بعضكم دم بعض وقيل معناه لا تسفكوا دماء غيركم فتسفك
دماؤكم فكانكم سفكتم دماء انفسكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم اي لا يخرج بعضكم بعضا من داره وقيل
لا تفعلوا شيئا تخرجوا بسببه من دياركم ثم اقررتم اي بهذا العهد انه حق وانتم تشهدون يعني انتم يا معشر
اليهود اليوم تشهدون على ذلك ثم انتم هؤلاء يعني يا هؤلاء اليهود تقتلون انفسكم اي يقتل بعضكم بعضا
وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اي يخرج بعضكم بعضا من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان
اي تتعاونون عليهم بالمعصية والظلم وان ياتوكم اسارى جمع اسير تفدوهم اي بالمال وهو استنقاذهم
بالشرا وقيل تفادوهم اي تبادلوهم وهو مفاداة الاسير بالاسير ومعنى الاية ان الله تعالى اخذ على بني اسرائيل
في التوراة ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد وامة من بني اسرائيل وجدتموه
فاشتروه بما قام من ثمنه واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج وكان بين الاوس
والخزرج حروب فكانت بنو النضير تقاتل مع حلفائهم وبنو قريظة تقاتل مع حلفائهم فاذا غلب احد
الفريقين اخرجوهم من ديارهم واخربوها وكان اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا يفدونه به فعيرتهم
العرب وقالوا كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فقالوا انا امرنا ان نفديهم فقالوا فكيف تقاتلونهم فقالوا

انا نستحي

انا نستحي ان يستذل حلفاؤنا فعيرهم الله تعالى فقال ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وفي الاية تقديم وتاخير
تقديره وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وهو محرم عليكم اخراجهم وان
ياتوكم اسارى تفدوهم فكان الله تعالى اخذ عليهم اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة
مع اعدائهم وفك اسراهم فاعرضوا عن الكل الا الفك قال الله تعالى افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون
ببعض معناه ان وجدتموهم في يد غيركم فديتموهم وانتم تقتلونهم بايديكم فكان ايمانهم الفدا وكفرهم
قتل بعضهم بعضا فذمهم على مناقضة افعالهم لانهم اتوا ببعض ما وجب عليهم وتركوا البعض
فما جزاء من يفعل ذلك منكم يا معشر اليهود الا خزي في الحياة الدنيا اي عذاب وهوان فكان خزي
بني قريظة القتل والسبي وخزي بني النضير الاجلاء والنفي من منازلهم الى اريحا واذرعات من ارض الشام
ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب يعني عذاب النار وما الله بغافل عما تعملون فيه وعيد
وتهديد عظيم اولئك الذين اشتروا اي استبدلوا الحياة الدنيا بالاخرة لان الجمع بين لذات الدنيا
والاخرة غير ممكن فمن اشتغل بتحصيل لذات الدنيا فاتته لذات الاخرة فلا يخفف عنهم العذاب
اي فلا يهون عليهم ولا هم ينصرون اي ولا يمنعون من عذاب الله تعالى قوله عز وجل ولقد اتينا اي اعطينا
موسى الكتاب يعني التوراة جملة واحدة وقفينا اي واتبعنا من التقفية وهو ان يتبع الاثر الاثر
من بعده اي من بعد موسى بالرسل يعني رسولا بعد رسول وكانت الرسل من بعد موسى الى زمن عيسى عليهما
السلام متواترة يظهر بعضهم في اثر بعض والشريعة واحدة قيل ان الرسل بعد موسى يوشع بن نون واشمويل
وداود وسليمان وارميا وحزقيل والياس ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وكانوا يعملون ويحكمون بشريعة
موسى الى ان بعث الله تعالى عيسى عليه السلام فجاءهم بشريعة جديدة وغير بعض احكام التوراة فذلك
قوله تعالى واتينا عيسى ابن مريم البينات اي الدلالات الواضحات وهي المعجزات من احياء الموتى وابرا
الاكمه والابرص وقيل هي الانجيل واسم عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل هو اسم علم
لها كزيد من الرجال وايدناه اي وقويناه بروح القدس قيل اراد بالروح الذي نفخ فيه والقدس هو
الله تعالى واضاف روح عيسى اليه تشريفا وتكريما وتخصيصا له كما يقول عبد الله وبيت الله وناقة الله
وقال ابن عباس هو اسم الله الاعظم الذي كان عيسى يحيي به الموتى قيل هو الانجيل لانه به حياة القلوب
سماه روحا كما سمي القران روحا وقيل هو جبريل ووصف بالقدس وهو الطهارة لانه لم يقترف ذنبا قط
وقيل القدس هو الله تعالى والروح جبريل كما يقول عبد الله سمي جبريل روحا للطافته لانه روحاني خلق
من النور وقيل سمي روحا لما كان من الوحي الذي هو سبب حياة القلوب وحمل روح القدس هنا على جبريل اولى
لانه تعالى قال وايدناه اي قويناه بجبريل وذلك انه امر ان يكون مع عيسى ويسير معه حيث سار فلم يفارقه
حتى صعد به الى السما فلما سمعت اليهود بذكر عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما تقص علينا
من اخبار الانبيا فعلت فاتنا بما اتى به عيسى ان كنت صادقا قال الله تعالى افكلما جاءكم يعني يا معشر
اليهود رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم اي تعظمتم عن الايمان به ففريقا كذبتم يعني مثل عيسى ومحمد
صلى الله عليهما وسلم وفريقا تقتلون يعني مثل زكريا ويحيى وساير من قتلوه وذلك ان اليهود كانوا اذا جاءهم
رسول بما لا يهوون كذبوه فان تهيا لهم قتله قتلوه وانما كانوا كذلك لارادتهم الدنيا وطلب الرياسة فيها
وقالوا يعني اليهود قلوبنا غلف جمع اغلف وهو الذي عليه غشاوة فلا يعي ولا يفقه وقال ابن عباس
غلف بضم اللام جمع غلاف والمعنى ان قلوبنا اوعية للعلم فلا يحتاج الى علمك وقيل اوعية مملوة اي

لانسمع حديثا الا وعته الاحاديث فانها لا نفقه ولا نفقد ولو كان خيرا لفهمته ووعته قال الله تعالى بل
لعنهم الله بكفرهم اي طردهم وابعدهم من كل خير وسبب كفرهم انهم اعترفوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم
ثم انهم انكروه وجحدوه فلهذا لعنهم الله فقليلا ما يومنون اي لم يومن منهم الا قليل لان من امن من المشركين
كان اكثر منهم قوله تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القران مصدق لما معهم يعني التوراة
وهذا التصديق في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان نبوته وصفته ثابتة في التوراة وكانوا يعني
اليهود من قبل اي من قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون اي يستنصرون به على الذين كفروا
يعني مشركي العرب وذلك انهم كانوا اذا احزنهم امر او دهمهم عدو يقولون اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث
في اخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل
زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا يعني اي الذي عرفوا
محمدا صلى الله عليه وسلم عرفوا نعته وصفته وانه من غير بني اسرائيل كفروا به اي جحدوه وانكروه بغيا
وحسدا فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به انفسهم اي بئس شيا الذي اختاروا لانفسهم
حين استبدلوا الباطل بالحق واشتروا بمعنى باعوا والمعنى بئس ما باعوا به حظ انفسهم ان يكفروا بما
انزل الله يعني القران بغيا اي حسدا ان ينزل الله من فضله يعني الكتاب والنبوة على من يشاء من
عباده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فباءوا اي فرجعوا بغضب على غضب اي مع غضب قال ابن عباس
الغضب الاول بتضييعهم التوراة وتبديلها والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاول بكفرهم
بعيسى والانجيل والثاني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وللكافرين يعني الجاحدين نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم من الناس كلهم والقران وقيل الاول بعبادتهم العجل والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
عذاب مهين اي يهانون به واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله يعني بالقران وقيل يعني بكل ما انزل الله
على انبيائه قالوا نومن بما انزل علينا يعني بالتوراة وما انزل على انبيائهم ويكفرون بما وراءه اي
بما سواه من الكتب وقيل بما بعده يعني الانجيل والقران وهو الحق يعني القران مصدقا لما معهم يعني التوراة
قل يا محمد فلم تقتلون انبياء الله من قبل انما اضاف القتل الى المخاطبين من اليهود وان كان سلفهم قتلوا
لانهم رضوا بفعلهم قيل اذا عملت المعصية في الارض فمن كرهها وانكرها برئ منها ومن رضيها كان من اهلها
ان كنتم مومنين اي بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتل الانبياء قوله عز وجل ولقد جاءكم موسى بالبينات
اي بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة ثم اتخذتم العجل من بعده اي من بعد موسى لما ذهب
الى الميقات وانتم ظالمون انما كرره تبكيتا لهم وتاكيدا للحجة عليهم واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا
فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا اي استجيبوا واطيعوا اي فيما امرتم به قالوا سمعنا
يعني قولك وعصينا يعني امرك قيل انهم لم يقولوا هذا بالسنتهم ولكن لما سمعوه وتلقوه تلقوه
بالعصيان بسبب ذلك اليهم واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم اي قد ادخل حبه في قلوبهم والحرص
على عبادته كما يتداخل الصبغ في الثوب وقيل ان موسى امر ان يبرد العجل ويذر في النهر وامرهم ان يشربوا
منه فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهرت سحالة الذهب على شاربه قل بئسما يامركم به ايمانكم
اي ان تعبدوا العجل والمعنى بئس الايمان ايمان يامر بعبادة العجل ان كنتم مومنين اي بزعمكم
وذلك انهم قالوا نومن بما انزل علينا فكذبهم الله تعالى بذلك قوله تعالى قل ان كانت لكم الدار
الاخرة عند الله خالصة من دون الناس وذلك ان اليهود ادعوا دعاوى باطلة منها قولهم

لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه فكذبهم الله تعالى والزمهم الحجة فقال قل يا محمد
لليهود ان كانت لكم الدار الاخرة يعني الجنة خالصة اي خاصة لكم من دون الناس فتمنوا الموت اي فاطلبوه
واسالوه لان من علم ان الجنة ماواه وانها له حن اليها ولا سبيل الى دخولها الا بعد الموت فاستعجلوه بالتمني
ان كنتم صادقين اي في قولكم ودعواكم روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو تمنوا الموت
لغص كل انسان بريقه وما بقي على وجه الارض يهودي الا مات قال الله تعالى ولن يتمنوه ابدا اي لعلمهم انهم
في دعواهم كاذبون بما قدمت ايديهم يعني من الاعمال السيئة وانما اضاف الاعمال الى اليد لان اكثر
جنايات الانسان تكون من يده والله عليم بالظالمين فيه تخويف وتهديد لهم وانما خصهم بالظلم لانه اعم
من الكفر لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافر فلهذا كان اعم وكانوا اولى به ولتجدنهم اللام للقسم والنون
للتوكيد تقديره والله لتجدنهم يا محمد يعني اليهود احرص الناس على حياة اي حياة متطاولة
والحرص اشد الطلب ومن الذين اشركوا قيل هو متصل بما قبله ومعطوف عليه والمعنى واحرص من
الذين اشركوا فان قلت الذين اشركوا قد دخلوا تحت الناس في قوله احرص الناس فلم افردهم بالذكر
قلت افردهم بالذكر لشدة حرصهم وفيه توبيخ عظيم لليهود لان الذين لا يومنون بالمعاد
ولا يعرفون الا الحياة الدنيا لا يستبعد حرصهم عليها فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر
بالبعث والجزاء كان حقيقا بالتوبيخ العظيم وقيل ان الواو واو استيناف تقديره ومن الذين اشركوا
اناس يود احدهم هم المجوس سموا بذلك لانهم يقولون بالنور والظلمة يود اي يتمنى احدهم لو يعمر الف
سنة اي تعمير الف سنة وانما خص الالف لانها نهاية العقود وقيل لانها تحية المجوس فيما بينهم
يقولون زه هزار سال اي عش الف سنة او الف نيروز او الف مهرجان فهذه تحيتهم والمعنى ان اليهود
احرص من المجوس الذين يقولون ذلك وما هو بمزحزحه اي بمباعده من العذاب اي النار
ان يعمر اي لو عمر طول عمره لا ينقذه من العذاب والله بصير بما يعملون اي لا يخفى عليه خافية من احوالهم
قوله عز وجل قل من كان عدوا لجبريل قال ابن عباس سبب نزول هذه الاية ان عبد الله بن صوريا
حبر من احبار اليهود قال للنبي صلى الله عليه وسلم اي ملك ياتيك من السماء قال جبريل قال ذاك
عدونا ولو كان ميكائيل لامنا بك ان جبريل ينزل بالعذاب والشدة والخسف وانه عادانا مرارا واشد
ذلك علينا ان الله انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له بخت نصر فلما كان وقته
بعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فاخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال ان كان الله امره
بهلاككم فلن يسلط عليه وان لم يكن هو فعلى اي حق تقتله فلما كبر ذلك الغلام غزانا وخرب بيت المقدس
فلهذا نتخذه عدوا فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل قالوا ان الله امره ان يجعل النبوة فينا فجعلها في
غيرنا فاتخذناه عدوا وقيل ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان له ارض باعلى المدينة وكان ممره على
مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يوما ما في اصحاب محمد احب الينا منك وانا لنطمع
فيك فقال عمر والله ما اتيتكم لحبكم ولا اسالكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد
صلى الله عليه وسلم وارى اثاره في كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذي ياتيه من الملائكة فقال جبريل قالوا
ذاك عدونا يطلع محمدا على سرنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وشدة وان ميكائيل يجيء بالخصب
والسلامة فقال لهم تعرفون جبريل وتنكرون محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا نعم قال فاخبروني عن منزلة
جبريل وميكائيل من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر

اشهد انه من كان عدوا لاحد بما كان عدوا للاخر ومن كان عدوا لهما كان الله عدوا له ثم رجع عمر الى النبي
صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الايات وقال
لقد وافقك ربك يا عمر والله لقد رايتني بعد ذلك في دين الله اصلب من الحجر والاقرب ان سبب هذه العداوة كون
جبريل كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي قوله فانه نزله على قلبك شعر بذلك وقوله **فانه**
نزله يعني جبريل نزل بالقران كناية عن غير مذكور **على قلبك** يا محمد وانما خص القلب بالذكر لانه محل الحفظ **باذن**
الله اي بامره **مصدقا** اي موافقا **لما بين يديه** اي لما قبله من الكتب **وهدى وبشرى للمومنين** اي في القران
هداية للمومنين الى الاعمال الصالحة التي يترتب عليها الثواب وبشرى لهم بثوابها اذا اتوا بها **من كان عدوا**
لله وملئكته ورسله وجبريل وميكال لما بين في الاية الاولى ان من كان عدوا لجبريل لاجل انه نزل بالقران
على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وجب ان يكون عدوا لله لان الله تعالى هو الذي نزله على محمد صلى الله عليه
وسلم فبين في هذه الاية ان كل من كان عدوا لاحد هولاء فانه عدو الجميع وبين ان الله عدوه بقوله **فان**
الله عدو للكافرين فاما عداوته لله فانها لا تضره ولا تؤثر وعداوته لهم تؤديهم الى العذاب الدايم
الذي لا ضرر اعظم منه وقيل المراد من عداوتهم لله عداوة اوليايه واهل طاعته فهو كقوله ان الذين
يحادون الله ورسوله اي يحادون اولياء الله واهل طاعته وقوله وملئكته ورسله يعني من عادا واحدا
من هولاء فقد عادا جميعهم ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بجميعهم وجبريل وميكال انما خصهما الله بالذكر وان كانا
داخلين في جملة الملئكة لبيان شرفهما وفضلهما وعلو منزلتهما وقدم جبريل على ميكايل لفضله عليه ولان
جبريل ينزل بالوحي الذي هو غذا الارواح وميكايل ينزل بالمطر الذي هو سبب غذا الابدان وجبريل وميكايل
اسمان اعجميان ومعناهما عبد الله وعبد الله لان جبر وميك بالسريانية هو العبد وايل هو الله قال تعالى **ولقد**
انزلنا اليك ايات بينات قال ابن عباس هذا جواب لابن صوريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم يا محمد ما جيتنا بشي نعرفه وما انزل عليك من اية بينة فنتبعك بها فانزل الله هذه الايات ومعنى
بينات اي واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والاحكام **وما يكفر بها** اي وما يجحد بهذه الايات
الا الفاسقون اي الخارجون عن طاعتنا وما امروا به **اوكلما عاهدوا عهدا** قال ابن عباس لما ذكرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخذ عليهم من العهود في محمد صلى الله عليه وسلم وان يومنوا به قال مالك
ابن الصيف والله ما عهد الينا في محمد صلى الله عليه وسلم عهدا فانزل الله هذه الاية اوكلما استفهام
انكار عاهدوا عهدا اي مواثقهم انه قد اوعدهم ليومنن بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل انهم عاهدوا الله
عهودا كثيرة ثم نقضوها **نبذه** اي طرح العهد ونقضه **فريق منهم** يعني من اليهود **بل اكثرهم لا يومنون**
يعني كفر فريق منهم بنقض العهد وكفر فريق منهم بالجحد للحق **ولما جاءهم رسول من عند الله** يعني محمد صلى الله عليه
وسلم **مصدق لما معهم** يعني مصدق بحقيقة التوراة ونبوة موسى وقيل التوراة بشرت بنبوة محمد
صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم وجدوه مصدقا للتوراة **نبذ فريق من الذين**
اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم قيل اراد بالكتاب القران وقيل التوراة ولم يتمسكوا لان النبذ
لا يكون الا بعد التمسك ولم يتمسكوا بالقران فانهم نبذوا التوراة فانهم كانوا يقرونها ولا يعملون بها وقيل
انهم ادرجوها في الحرير وحلوها بالذهب ولم يعملوا بما فيها **كانهم لا يعلمون** يعني انهم نبذوا كتاب
الله ورفضوه عن علم به ومعرفة وانما حملهم على ذلك عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وهم خطا
اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكتموا امره وكان اوليك النفر قيل قوله تعالى

واتبعوا

واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني ان اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين وتعني تتلوا
تقرا من التلاوة وقيل تعني اتبعه وتفتري وتكذب **على ملك سليمان** وتقولهم ان سليمان ملك الناس بالسحر
وقيل على ملك سليمان اي على عهده وزمانه وقصة ذلك ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات
على لسان اصف هذا ما علم اصف بن برخيا سليمان الملك وكتبوا ودفنوه تحت كرسيه وذلك
حين نزع الله عنه الملك ولم يشعر بذلك وقيل ان بني اسرائيل اشتغلوا بتعليم السحر في زمانه فنعهم من
ذلك سليمان واخذ كتبه ودفنها تحت سريره فلما مات استخرجها الشياطين وقالوا للناس انما ملككم
سليمان بهذا فتعلموه فاما صلحا بني اسرائيل وعلماؤهم فانكروا ذلك وقالوا معاذ الله ان يكون هذا
من علم سليمان واقبلوا على تعليمه وتركوا كتب انبيائهم واما السفلة منهم فقالوا هذا هو من علم
سليمان واقبلوا على تعليمه وتركوا كتب انبيائهم وفشت الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم الى ان
بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل عليه براة سليمان عليه السلام فقال تعالى واتبعوا
ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان **وما كفر سليمان** يعني بالسحر ولم يعمل به وفيه تنزيه سليمان
عن السحر وذلك ان اليهود انكروا نبوة سليمان وقالوا انما حصل له هذا الملك وسخرت له الجن والانس له
بسبب السحر وقيل ان السحرة من اليهود زعموا انهم اخذوا السحر عن سليمان فبراه الله عن ذلك وقيل
ان بعض احبار اليهود قال الا تعجبون من محمد يزعم ان سليمان كان نبيا وما كان الا ساحرا فانزل الله وما
كفر سليمان يعني ان كون سليمان نبيا ينافي كونه ساحرا كافرا ثم بين تعالى ان الذي براه منه لاحق بغيره
فقال **ولكن الشياطين كفروا** يعني ان الذين اتخذوا السحر لانفسهم هم الذين كفروا ثم بين سبب كفرهم
فقال تعالى **يعلمون الناس السحر** يعني ما كتب لهم الشياطين من كتب السحر وقيل يحتمل ان يكون يعلمون
يعني اليهود الذين عنوا بقوله واتبعوا وسمي السحر سحرا لخفا سببه ولانه يفعل في خفية وقيل معنى السحر
الازالة وصرف الشي عن وجهه تقول العرب ما سحرك عن كذا اي ما صرفك عنه فكان الساحر لما اري الباطل
في صورة الحق فقد سحر الشي عن وجهه اي صرفه هذا اصله من حيث اللغة واما حقيقته فقد قيل
انه عبارة عن التمويه والتخييل ومذهب اهل السنة ان له وجود وحقيقة والعمل به كفر وذلك اذا
اعتقد ان الكواكب هي المؤثرة في قلب الاعيان وروي عن الشافعي انه قال السحر يخيل ويمرض وقد يقتل
حتى اوجب القصاص على من قتل به وقيل ان السحر يؤثر في قلب الاعيان فيجعل الانسان على صورة الحمار
والحمار على صورة الكلب وقد يطير الساحر في الهوى وهذا القول ضعيف عند اهل السنة لانهم قالوا
ان الله تعالى هو الخالق الفاعل لهذه الاشيا عند عمل الساحر لذلك لان الساحر هو الفاعل لها المؤثر فيها
والاصح ان السحر يخيل ويؤثر في الابدان بالامراض والجنون والموت ويدل على ذلك ان للكلام تاثير في الطباع
فقد يسمع الانسان ما يكره فيحم وقد مات اقوام بكلام سمعوه فالسحر بمنزلة العلل في الابدان واما
حكمه فانها من الكباير التي نهي عنها ويحرم تعلمه لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الاشراك بالله والسحر وقتل النفس
التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم والربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات
المؤمنات اخرجاه في الصحيحين فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر من الكباير وثناه بالشرك
وامر باجتنابه وقوله الموبقات يعني المهلكات والسحر على قسمين احدهما يكفر به صاحبه وهو ان
يعتقد ان القدرة لنفسه في ذلك وهو المؤثر ويعتقد ان الكواكب هي المؤثرة الفعالة فاذا انتهى به

السحر الى هذه الغاية صار كافرا بالله ويجب قتله لما روي عن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
حد الساحر ضربه بالسيف اخرجه الترمذي والقسم الثاني من السحر وهو التخييل الذي يشاكل النيرنجات والشعبذة
ولا يعتقد صاحبه ان لنفسه فيه قدرة ولا ان الكواكب هي المؤثرة ويعتقد ان القدرة لله تعالى وانه هو المؤثر
فهذا القدر لا يكفر به صاحبه ولكنه معصية وهو من الكبائر ويحرم فعله فان قتل بسحره قتل قصاصا لما روي
عن مالك انه بلغه ان حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها وقد كانت دبرتها فامرت
بها فقتلت اخرجه في الموطا قوله عز وجل **وما انزل على الملكين** اي ويعلمون الذي انزل على الملكين والانزال
هنا بمعنى الالهام والتعليم اي ما الهما وعلما وقرئ في الشاذ الملكين بكسر اللام قيل هما رجلان ساحران
كانا ببابل وقيل علجان ووجهه ان الملائكة لا يعلمون السحر والقراءة المشهورة بفتح اللام فان قلت كيف
يجوز ان يضاف الى الله تعالى انزال ذلك على الملائكة وكيف يجوز للملائكة تعليم السحر قلت قال ابن جرير
الطبري ان الله تعالى عرف عباده جميع ما امرهم به وجميع ما نهاهم عنه ثم امرهم ونهاهم بعد العلم منهم
بما يؤمرون به وينهون عنه ولو كان الامر على غير ذلك لما كان للامر والنهي معنى مفهوم والسحر مما نهى عباده
من بني آدم عنه فغير ممكن ان يكون ان الله تعالى علمه الملكين اللذين سماهما في تنزيله وجعلهما فتنة لعباده
من بني آدم كما اخبر عنهما انهما يقولان لمن جاء يتعلم ذلك منهما انما نحن فتنة فلا تكفر ليجتنب بهما عباد الله
بما نهى عنه من السحر وعن التفريق بين المرء وزوجه فيتمحض المؤمن بتركه التعلم منهما ويخزى الكافر بتعلمه السحر
والكفر منهما ويكون الملكان في تعليمهما ما علما من ذلك مطيعين لله تعالى اذ كانا عملا عن اذن الله تعالى
لهما بتعليم ذلك وغير ضارهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما بعد نهيهما اياه عنه بقولهما انما نحن
فتنة فلا تكفر اذ كانا قد اديا ما امرا به وقال غيره انهما لا يتعمدان ذلك بل يصفان السحر ويذكران
بطلانه ويامران باجتنابه فالشقي من ترك نصحهما وتعلم السحر من وصفهما والسعيد من قبل نصحهما
وترك تعلم السحر منهما وقيل ان الله تعالى امتحن الناس بهما في ذلك الزمان فالشقي من تعلم السحر منهما فيكفر به
والسعيد من تركه فيبقى على ايمانه ولله تعالى ان يمتحن عباده بما يشاء كما امتحن بني اسرائيل بنهر طالوت بقوله
فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني **ببابل** قيل هي بابل العراق بارض الكوفة سميت بذلك لتبلبل الالسنة
بها عند سقوط صرح نمرود وقيل انها بابل دنباوند والاول اصح واشهر **هاروت وماروت** اسمان سريانيان
وقصة الآية على ما ذكره ابن عباس وغيره قالوا ان الملائكة لما راوا ما يصعد الى السماء من
اعمال بني آدم الخبيثة في زمن ادريس عليه السلام فعيروهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم في الارض واخترتهم
وهم يعصونك فقال الله عز وجل لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتم مثل ما ركبوا قالوا
سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض فاختاروا
هاروت وماروت وكانا من اصلح الملائكة واعبدهم وكان اسم هاروت عزا وماروت عزايا فغير اسمهما
لما قارفا الذنب وركب الله فيهم الشهوة واهبطهما الى الارض وامرهما ان يحكما بين الناس بالحق ونهاهما
عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فكانا يقضيان بين الناس يومهما فاذا امسيا ذكرا اسم الله
الاعظم وصعدا الى السماء فما مر عليهما شهر حتى افتتنا وقيل بل افتتنا في اول يوم وذلك انه اختصم
اليهما امراة يقال لها الزهرة وكانت من اجمل اهل فارس وقيل كانت ملكة فلما رأياها اخذت بقلوبهما
فقال احدهما لصاحبه هل يسقط في قلبك مثل الذي يسقط في نفسي قال نعم فراوداها عن نفسها فابت
وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فابت وقالت لا الا ان تعبدا هذا الصنم وتقتلا

النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فان الله تعالى قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في
اليوم الثالث ومعها قدح خمر وفي انفسهما من الميل اليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما
ما قالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم واهون الثلاثة شرب الخمر فشربا فلما
انتشيا وقعا بالمراة فزنيا بها فرآهما انسان فقتلاه خوف الفضيحة وقيل انهما سجدا للصنم وقيل
جاءتهما امراة من احسن الناس تخاصم زوجها فقال احدهما للآخر هل سقط في نفسك مثل الذي سقط
في نفسي قال نعم قال هل لك ان تقضي على زوجها قال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب
فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فسالاها نفسها فقالت لا الا ان تقضيا لي على
زوجي فقضيا ثم سالاها نفسها فقالت لا الا ان تقتلاه فقال احدهما لصاحبه اما تعلم ما عند الله من
العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من الرحمة والعفو فقتلاه ثم سالاها نفسها
فقالت لا الا ان لي صنما نعبده ان انتما صليتما معي عنده فعلت فقال احدهما لصاحبه مثل القول
الاول فرد عليه مثله فصليا معها عنده فمسخت شهابا وقال علي بن ابي طالب قالت لهما انكما لن تدركاني
حتى تخبراني بالذي تصعدان به الى السماء فقالا باسم الله الاكبر قالت فما انتما مدركي حتى تعلمانيه
اياه فقال احدهما للآخر علمها فقال اني اخاف الله فقال الآخر فاين رحمة الله فعلماها ذلك فتكلمت
به وصعدت الى السماء فمسخها الله كوكبا فذهب بعضهم الى انها هي الزهرة بعينها وانكره آخرون
هذا وقالوا ان الزهرة من الكواكب السيارة السبعة التي اقسم الله بها فقال فلا اقسم بالخنس الجوار
الكنس والتي فتنت هاروت وماروت كانت امراة تسمى الزهرة لجمالها وحسنها فلما بغت مسخها الله
تعالى شهابا قالوا فلما امسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما
اجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا ادريس النبي صلى الله عليه وسلم واخبراه بامرهما وسالاه ان يشفع
لهما الى الله عز وجل فقالا له انا راينا ما يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع اهل الارض فاشفع لنا
الى ربك ففعل ذلك ادريس فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا
اذ علما انه ينقطع فهما ببابل يعذبان قيل انهما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقيل انهما منكوسان
يضربان بسياط الحديد وقيل ان رجلا قصدهما ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة اعينهما
مسودة جلودهما ليس بين السنتهما وبين الماء الا قدر اربع اصابع وهما يعذبان بالعطش فلما راى ذلك
هاله فقال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا من انت قال رجل من الناس فقالا من اي امة انت قال
من امة محمد صلى الله عليه وسلم قالا او قد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فقالا الحمد لله واظهرا
الاستبشار فقال الرجل مم استبشاركما قالا انه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا

فصل في القول بعصمة الملائكة

اجمع المسلمون على ان الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق ائمة المسلمين على
ان حكم الرسل من الملائكة حكم النبيين سواء في العصمة في باب البلاغ عن الله عز وجل وفي كل شيء ثبتت
فيه عصمة الانبياء فكذلك الملائكة وانهم مع الانبياء في التبليغ اليهم كالانبياء مع اممهم ثم اختلفوا في غير المرسلين
من الملائكة فذهب طائفة من المحققين وجميع المعتزلة الى عصمة جميع الملائكة عن جميع الذنوب والمعاصي
واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية وذهب طائفة الى ان غير المرسلين من الملائكة غير معصومين
واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية منها قصة هاروت وماروت عن علي وما نقله اهل الاخبار
والسير ونقله ابن جرير الطبري في تفسيره عن جماعة من الصحابة والتابعين فنقل قصة هاروت

وماروت بالفاظ متقاربة عن علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس وكعب الاحبار والسدي والربيع
ومجاهد واجاب من ذهب الي عصمة جميع الملايكة عن قصة هاروت وماروت بان ما نقله المفسرون
واهل الاخبار في ذلك لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شي وهذه الاخبار انما اخذت
من اليهود وقد علم افتراوهم على الانبيا والملايكة وقد ذكر الله عز وجل في هذه الايات افترا اليهود على
سليمان عليه السلام اولا ثم عطف على ذلك قصة هاروت وماروت ثانيا قالوا ومعنى الاية وما كفر
سليمان يعني بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعهم في ذلك اليهود فاخبر عن افترايهم وكذبهم
وذكروا ايضا في الجواب عن هذه القصة وانها باطلة وجوها الاول ان في القصة ان الله تعالى قال
للملايكة لو ابتليتكم بما ابتليت بني ادم لعصيتموني قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك وفيه رد على
الله تعالى وذلك كفر وقد ثبت انهم كانوا معصومين قبل ذلك فلا يقع هذا منهم الوجه الثاني انهما خيرا
بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة وذلك فساد لان الله تعالى لا يخير من اشرك وان كانت قد صحت توبتهما فلا
عقوبة عليهما الوجه الثالث ان المراة الفاجرة كيف يعقل انها صعدت الي السما وصارت كوكبا وعظم
الله قدرها بحيث اقسم بها في قوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس فبان بهذه الوجوه ركة هذه القصة والله
اعلم بصحة ذلك وسقمه والاولي تنزيه الملايكة عن كل ما لا يليق بمنصبهم وقوله تعالى **وما يعلمان من احد**
يعني احدا **حتى** يبيحا له اولا و**يقولا انما نحن فتنة** اي ابتلا ومحنة **فلا تكفر** اي لا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر وقيل
يقولان انما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات فان ابي قبول نصحهما وصمم على التعليم يقولان له ايت هذا الرماد
فبل عليه فاذا فعل ذلك خرج منه نور ساطع في السما فذلك الايمان والمعرفة وينزل شي اسود شبه الدخان
حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله **فيتعلمون منهما** يعني من الملكين **ما يفرقون به بين المرء وزوجه**
اي علم السحر الذي يكون سببا في التفرق بين الزوجين كالتمويه والتخييل والنفث في العقد ونحو ذلك
مما يحدث الله تعالى عنده البغضا والنشوز والخلاف بين الزوجين ابتلا من الله تعالى لا ان السحر له
تاثير في نفسه بدليل قوله **وما هم** يعني السحرة **بضارين به** اي بالسحر **من احد** اي احدا **الا باذن الله**
اي بعلمه وقضايه وتكوينه فالساحر يسحر والله تعالى يقدر ويكون وذلك بقضا الله وقدرته ومشيته
ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم يعني السحر لانهم يقصدون به الشر **ولقد علموا** يعني اليهود **لمن اشتراه** اي
اختار السحر **ما له في الاخرة من خلاق** يعني ما له نصيب في الجنة **ولبيس ما شروا به انفسهم** اي باعوا
حظ انفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق **لو كانوا يعلمون** فان قلت كيف اثبت الله لهم
العلم اولا في قوله تعالى ولقد علموا على التاكيد ثم نفاه عنهم اخرا في قوله لو كانوا يعلمون قلت خالفوا
واشتغلوا بالسحر وتركوا العمل بكتاب الله وما جات به الرسل عنادا منهم وبغيا وذلك على معرفة منهم بما من فعل
ذلك من العقاب فجعلهم حين لم يعملوا بعلمهم كانهم منسلخين منه **ولو انهم** يعني اليهود **امنوا** يعني بمحمد صلى الله
عليه وسلم والقران **واتقوا** يعني اليهودية والسحرة وما يوثمهم **لمثوبة من عند الله** اي لكان ثواب الله اياهم
خيرا لهم يعني الثواب **لو كانوا يعلمون** يعني ذلك قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا**
سبب نزول هذه الاية ان المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول الله من المراعاة اي ارعنا سمعك وفرغه
لكلامنا وكانت هذه اللفظة سبا قبيحا بلغة اليهود ومعناها عندهم اسمع لا سمعت وقيل من الرعونة
اذا ارادوا ان يحمقوا انسانا قالوا راعنا يعني احمق فلما سمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين قالوا
فيما بينهم كنا نسب محمدا سرا فاعلنوا به الان فكانوا ياتونه ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم

فسمعها

فسمعها سعد بن معاذ رضي الله عنه ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود لين سمعتها من احد منكم يقولها
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تقولوا
راعنا اي لكي لا يجد اليهود بذلك سبيلا الي شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقولوا انظرنا** اي انظر الينا
وقيل معناه انتظرنا وتان بنا وفهمنا **واسمعوا** اي ما تومرون به واطيعوا نهي الله تعالى لعباده المومنين
ان يقولوا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم راعنا ليلا يتطرق احد الي شتمه وامرهم بتوقيره وتعظيمه وان
يتخيروا لخطابه صلى الله عليه وسلم من الالفاظ احسنها ومن المعاني ارقها وان سالوه لينالوه
بتبجيل وتعظيم ولين لا بخطابه بما يسر اليهود **وللكافرين** يعني اليهود **عذاب اليم ما يود** اي ما يحب
الذين كفروا من اهل الكتاب يعني اليهود **ولا المشركين** يعني عبدة الاوثان لان الكفر اسم جنس
تحته نوعان اهل كتاب وهم الذين بدلوا كتابهم وكذبوا الرسل وعبدة الاوثان ومن عبد غير الله
ان ينزل عليكم من خير من ربكم يعني ما انزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم من الوحي والنبوة
وانما كرهت اليهود واتباعهم من المشركين ذلك حسدا وبغيا منهم على المومنين وذلك ان المسلمين
قالوا لحلفايهم من اليهود امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا الذي تدعونا اليه بخير مما
نحن فيه ولوددنا لو كان خيرا فانزل الله هذه الاية تكذيبا لهم **والله يختص برحمته من يشا** يعني انه
تعالى يختص بنبوته ورسالته من يشا من عباده ويتفضل بالايمان والهداية على من احب من خلقه رحمة منه
لهم **والله ذو الفضل العظيم** يعني ان كل خير يناله عباده في دينهم ودنياهم فانه منه ابتدا وتفضلا
عليهم من غير استحقاق منهم لذلك بل له الفضل والمنة على خلقه قوله تعالى **ما ننسخ من اية او ننساها**
الاية وسبب نزولها ان المشركين قالوا ان محمدا يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول
اليوم قولا ويرجع عنه غدا ما يقول الا من تلقا نفسه كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله واذا بدلنا اية مكان
اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر وانزل ما ننسخ من اية فبين بهذه الاية وجه الحكمة في النسخ
وانه من عنده لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم واصل النسخ في اللغة يكون بمعنى النقل والتحويل ومنه نسخ
الكتاب وهو ان ينقل من كتاب الي كتاب اخر وذلك لا يقتضي ازالة الصورة الاولي بل يقتضي اثبات مثله في كتاب
اخر فعلى هذا المعنى يكون القران كله منسوخا وذلك انه نسخ من اللوح المحفوظ ونزل جملة واحدة الي
سما الدنيا وقد يكون النسخ بمعنى الرفع والازالة وهو ازالة شي بشي يعقبه كنسخ الشمس الظل والشيب
الشباب فعلى هذا المعنى يكون بعض القران منسوخا وبعضه ناسخا وهو المراد من حكم هذه الاية وهو
ازالة الحكم بحكم يعقبه **فصل في حكم النسخ** في اصطلاح العلما عبارة عن رفع الحكم الشرعي
بدليل شرعي متاخر عنه والنسخ جايز عقلا وواقع سمعا خلافا لليهود فان منهم من لم ينكره عقلا لكنه منعه سمعا
وشذت طايفة قليلة من المسلمين فانكرت النسخ احتج الجمهور من المسلمين على جواز النسخ ووقوعه بان
الدلايل قد دلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لا تصح الا مع القول بالنسخ وهو نسخ شرع من قبله
فوجب القطع بالنسخ ولنا على اليهود الزامات منها ان الله تعالى حرم عليهم العمل في السبت ولم يحرمه
على من كان قبلهم ومنها انه جا في التوراة ان الله تعالى قال لنوح عليه السلام عند خروجه من الفلك اني
جعلت لك كل دابة ماكولا لك ولذريتك واطلقت ذلك لكم ثم انه تعالى حرم على موسى وعلى بني اسرايل
كثيرا من الحيوانات ومنها ان ادم عليه السلام كان يزوج الاخ للاخت وقد حرمه الله تعالى على من
بعده وعلى موسى عليه السلام فثبت بهذا جواز النسخ وحيث ثبت جواز النسخ فقد اختلفوا فيه على

وجوه احدها ان القران نسخ جميع الشرايع والكتب القديمة كالتوراة والانجيل وغيرهما والوجه الثاني
المراد بالنسخ هو نسخ القران ونقله من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا الوجه الثالث وهو الصحيح الذي
عليه الجمهور من العلماء ان المراد من النسخ هو رفع حكم بعض الايات بدليل اخر ياتي بعده وهو المراد بقوله
تعالى ما ننسخ من اية او ننسها **نات بخير منها او مثلها** لان الاية اذا اطلقت فالمراد بها ايات القران
لانه هو المعهود عندنا **مسئلة** قال الشافعي رضي الله عنه الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة واستدل
بهذه الاية وهو انه تعالى قال ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها وذلك يفيد انه هو الاتي
والاتي به هو من جنس القران وما كان من جنس القران فهو قران وقوله نات بخير منها يفيد انه هو المنفرد
بالاتيان بذلك الخير وهو القران الذي هو كلام الله دون السنة ولان السنة لا تكون خيرا من القران
ولا مثله واحتج الجمهور على جواز نسخ الكتاب بالسنة بان اية الوصية للاقربين منسوخة بقوله
صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث واجاب الشافعي بان هذا ضعيف لان كون الميراث حقا للوارث
يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان اية الميراث مانعة من الوصية وتقرير هذا او بسطه معروف في اصول
الفقه ثم النسخ في القران على وجوه احدها ما رفع حكمه وتلاوته كما روي عن ابي امامة بن سهل ان قوما من
الصحابة قاموا ليلة ليقروا سورة فلم يذكروا منها الا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبي صلى الله
عليه وسلم فاخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك سورة رفعت بتلاوتها وحكمها اخرجه
البغوي بغير سند وقيل ان سورة الاحزاب كانت مثل سورة البقرة فرفع بعضها تلاوة وحكما **الوجه
الثاني** ما رفع تلاوته وبقي حكمه مثل اية الرجم روي عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعث محمدا بالحق وانزل عليه الكتاب فكان فيما انزل الله عليه
اية الرجم فقرأناها ووعيناها وعقلناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخشى
ان طال بالناس زمان ان يقول قايل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله وان
الرجم في كتاب الله حق على من زنا اذا احصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة او كان الحمل او
الاعتراف اخرجه مسلم والبخاري **الوجه الثالث** ما رفع حكمه وثبت خطه وتلاوته وهو كثير في القران
مثل اية الوصية للاقربين نسخت باية الميراث عند الشافعي وبالسنة عند غيره واية عدة الوفاة بالحول
نسخت باية اربعة اشهر وعشر واية القتال وهي قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين الاية
نسخت بقوله الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا الاية ومثل هذا كثير في القران واما معنى الاية
فقوله ما ننسخ من اية اي نرفعها او نرفع حكمها او ننسها بضم النون وكسر السين ومعناه نمحها من
قلبك وقال ابن عباس نتركها لا ننسخها وقيل معناه نامر بتركها فعلى هذا يكون النسخ الاول رفع الحكم
واقامة غيره مقامه والانسا نسخها من غير اقامة غيره مقامه وقرئ ننساها بفتح النون والسين
وبالهمزة ومعناه نوخرها فلا نتركها او نرفع تلاوتها ونوخر حكمها كاية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الاول
رفع التلاوة والحكم وقال سعيد بن المسيب وعطا ما ننسخ من اية فهو ما نزل من القران جعلاه من نسخت
الكتاب اذا نقلته الى كتاب اخر وننساها اي نوخرها ونتركها في اللوح المحفوظ فلا ننزلها نات بخير منها
اي بما هو انفع لكم واسهل عليكم واكثر لاجوركم وليس معناه ان اية خير من اية لان كلام الله تعالى كله واحد
ومثلها اي في المنفعة والثواب فما نسخ الى الايسر كان اسهل في العمل كالذي كان على المومنين من فرض قيام
الليل ثم نسخ ذلك فكان خيرا لهم في عاجلهم لسقوط التعب والمشقة عليهم وما نسخ الى الاشق كان اكمل في

الثواب كالذي كان عليهم من صيام ايام معدودات في السنة فنسخ ذلك وفرض صيام شهر رمضان
فكان صوم شهر كامل في كل سنة اثقل على الابدان واشق من صيام ايام معدودات فكان ثوابه اكمل واكثر
واما المثل فكنسخ التوجه الى بيت المقدس وصرفه الى المسجد الحرام واستوا الاجر في ذلك لان على المصلي
التوجه الى حيث امره الله تعالى **الم تعلم ان الله على كل شي قدير** اي من النسخ والتبديل والمعنى الم تعلم
يا محمد اني قادر على تعويضك مما نسخت من احكامي وغيرته من فرايضي التي كنت افترضتها عليك ما اشا
مما هو خير لك ولعبادي المومنين وانفع لك ولهم عاجلا واجلا **الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض**
يعني انه تعالى هو المتصرف في السموات والارض فله سلطانهما دون غيره يحكم فيهما وفيما فيهما بما يشا من امر
ونهي ونسخ وتبديل هذا الخبر وان كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لكن فيه تكذيب لليهود الذين انكروا
النسخ وجحدوا نبوة عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم فاخبرهم الله ان له ملك السموات والارض وان
الخلق كلهم عبيده وتحت تصرفه يحكم فيهم بما يشا وعليهم السمع والطاعة **وما لكم** يعني يا معشر الكفار عند نزول العذاب
من دون الله اي مما سوى الله **من ولي ولا نصير** اي من قريب وصديق وقيل من وال وهو القيم بالامور اي ناصر
يمنعكم من العذاب وقيل في معنى الاية وليس لكم ايها المومنون بعد الله من قيم بامركم ولا نصير يويدكم ويقويكم
على اعدايكم قوله تعالى **ام تريدون ان تسالوا رسولكم** نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا يا محمد ايتنا بكتاب
من السما جملة كما اتى موسى بالتوراة وقيل انهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن نومن لك حتى
تاتي بالله والملايكة قبيلا كما سال قوم موسى فقالوا ارنا الله جهرة فانزل الله تعالى هذه الاية والمعنى اتريدون
وقيل بل تريدون ان تسالوا رسولكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **كما سيل موسى من قبل** وذلك ان موسى
سأله قومه فقالوا ارنا الله جهرة ففي الاية منعهم ونهيهم عن السوالات المقترحة بعد ظهور الدلالات
والمعجزات وثبوت الحجج والبراهين على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم **ومن يتبدل** اي يستبدل
الكفر بالايمان فقد ضل سوا السبيل اي اخطا قصد الطريق وقيل ان قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان
خطاب للمومنين واعلمهم ان اليهود اهل غش وحسد وانهم يتمنون للمومنين المكاره فنهاهم الله تعالى ان
يقبلوا من اليهود شيا ينصحونهم به في الظاهر واخبرهم ان من ارتد عن دينه فقد اخطا قصد السبيل قوله عز
وجل **ود كثير من اهل الكتاب** نزلت هذه الاية في نفر من اليهود وذلك انهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار
ابن ياسر بعد وقعة احد لو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فنحن اهدى سبيلا منكم فقال عمار بن ياسر
كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد فقال اني عاهدت ان لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت قالت
اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا
وبالاسلام دينا وبالقران اماما وبالكعبة قبلة وبالمومنين اخوانا ثم انهما اتيا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبراه بذلك فقال اصبتما الخير وافلحتما فانزل الله تعالى ود كثير اي تمنى كثير من اهل الكتاب
يعني اليهود **لو يردونكم** اي يا معشر المومنين **من بعد ايمانكم كفارا** اي ترجعون الى ما كنتم عليه من الكفر
حسدا اي يحسدونكم حسدا واصل الحسد تمني زوال النعمة عمن يستحقها وربما يكون مع ذلك سعي في
ازالتها والحسد مذموم لما روي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحسد فان الحسد
ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال العشب اخرجه ابو داود فاذا انعم الله على عبد نعمة فتمنى اخر
زوالها فهذا هو الحسد وهو حرام فان استعان بتلك النعمة على الكفر والمعاصي فتمنى اخر زوالها عنه
فليس بحسد ولا يحرم ذلك فانه لم يحسده على تلك النعمة من حيث انها نعمة بل من حيث انه يتوصل بتلك

النعمة الى الشر والفساد وقوله من عند انفسهم اي من تلقا انفسهم لما يامرهم الله بذلك من بعد ما تبين
لهم الحق يعني في التوراة ان قول محمد صلى الله عليه وسلم ودينه حق لا يشكون فيه فكفروا به حسدا وبغيا فاعفوا
واصفحوا اي فتجاوزوا عما كان منهم من اساة وحسد وكان هذا الامر بالعفو والصفح قبل ان يومر بالقتال
حتى ياتي الله بامره اي بعذابه وهو القتل والسبي لبني قريظة والاجلا والنفي لبني النضير قال ابن عباس
هو امر الله له بقتالهم في قوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر الاية ان الله على كل شي قدير
فيه وعيد وتهديد لهم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة لما امر الله المومنين بالعفو والصفح عن اليهود
امرهم بما فيه صلاح انفسهم من اقام الصلاة وايتا الزكاة الواجبتين ونبه بذلك على ساير الواجبات
ثم قال تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير اي من طاعة وعمل صالح وقيل اراد بالخير المال يعني صدقة
التطوع لان الزكاة تقدم ذكرها تجدوه عند الله يعني ثوابه واجره حتى التمرة واللقمة مثل احد ان
الله بما تعملون بصير اي لا يخفى عليه شي من قليل الاعمال وكثيرها ففيه ترغيب في الطاعات واعمال
البر وزجر عن المعاصي قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا اي يهوديا وقيل هو جمع
هايد او نصارى وذلك ان اليهود قالوا لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا ولا دين الا دين اليهودية
وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ولا دين الا دين النصرانية قيل نزلت في وفد نجران
وكانوا نصارى اجتمعوا مع اليهود في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذب بعضهم بعضا في دعواه
قال الله تعالى تلك امانيهم اي شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله من غير حق قل يعني يا محمد هاتوا
برهانكم اي حجتكم على دعواكم ان الجنة لا يدخلها الا من كان يهوديا او نصرانيا دون غيرهم ان كنتم
صادقين يعني فيما تدعون قال الله تعالى ردا عليهم بلى اي ليس الامر كما زعمتم ولكن من اسلم وجهه
لله وهو محسن فانه الذي يدخل الجنة وينعم فيها ومعنى اسلم اخلص دينه لله وقيل اخلص عبادته
لله وقيل خضع وتواضع لله لان اصل الاسلام الاستسلام وهو الخضوع وانما خص الوجه بالذكر
لانه اشرف الاعضا وانه اذا جاد الانسان بوضع وجهه على الارض في السجود فقد جاد بجميع اعضايه قال عمرو
ابن نفيل • واسلمت وجهي لمن اسلمت • له الارض تحمل صخرا ثقالا •
• واسلمت وجهي لمن اسلمت • له المزن تحمل عذبا زلالا •
يعني بذلك استسلمت لطاعة من استسلم لطاعته الارض والمزن وهو محسن في عمله لله فله اجره
عند ربه اي ثواب عمله ولا خوف عليهم اي في الاخرة ولا هم يحزنون اي على ما فاتهم من الدنيا قوله
عز وجل وقالت اليهود ليست النصارى على شي وقالت النصارى ليست اليهود على شي نزلت
في يهود المدينة ونصارى نجران وذلك ان وفد نجران لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار
اليهود وتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود للنصارى ما انتم على شي من الدين وكفروا بعيسى
والانجيل وقالت النصارى لليهود ما انتم على شي من الدين وكفروا بموسى والتوراة فانزل الله تعالى
وقالت اليهود ليست النصارى على شي وقالت النصارى ليست اليهود على شي وهم يتلون الكتاب
يعني وكلا الفريقين يقرون الكتاب وليس في كتابهم هذا الاختلاف فدل تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم لما
فيه على كفرهم وكونهم على الباطل وقيل ان الانجيل الذي تدين بصحته النصارى يحقق ما في التوراة من
نبوة موسى وما فرض الله فيها على بني اسرايل من الفرايض وان التوراة التي تدين بصحتها اليهود تحقق
نبوة عيسى وما جا به من عند ربه من احكام ثم كلا الفريقين قالوا ما اخبر الله عنهم بقوله وقالت اليهود

ليست

ليست النصارى على شي وقالت النصارى ليست اليهود على شي مع علم كل واحد من الفريقين ببطلان
ما قاله كذلك قال الذين لا يعلمون يعني مشركي العرب قالوا في نبيهم محمد واصحابه انهم ليسوا على شي
مثل قولهم يعني مثل قول اليهود للنصارى والنصارى لليهود وقيل امم كانت قبل اليهود والنصارى مثل
قوم نوح وهود ولوط وصالح وشعيب قالوا في انبيايهم ليسوا على شي فالله يحكم بينهم اي يقضي بينهم
يعني بين المحق والمبطل يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون يعني من امر الدين قوله تعالى ومن اظلم
ممن منع مساجد الله نزلت في خراب بيت المقدس وذلك ان ططوس الرومي غزا بني اسرايل فقتل
مقاتلتهم وسبى ذراريهم وحرق التوراة وخرب بيت المقدس فلم يزل خرابا الى ان بناه واعتنى ممن منع
مساجد الله يعني بيت المقدس ومحاريبه ان يذكر فيها اسمه اي يعبد ويصلى فيها وسعى في خرابها
وقيل ان بخت نصر المجوسي من اهل بابل هو الذي غزا بني اسرايل وخرب بيت المقدس واعانه على ذلك
النصارى من اجل ان اليهود قتلوا يحيى بن زكريا اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خايفين
وذلك ان بيت المقدس موضع حج النصارى وزيارتهم قال ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها رومي او
نصراني الا خايفا ان علم به قتل وقيل اخيفوا بالجزية والقتل فالجزية على الذمي والقتل على الحربي وقيل
خوفهم فتح مداينهم الثلاث قسطنطينية ورومية وعمورية لهم في الدنيا خزي يعني الصغار والذل
والقتل والسبي ولهم في الاخرة عذاب عظيم يعني النار وقيل ان الاية نزلت في مشركي مكة واراد
بالمساجد المسجد الحرام وذلك انهم منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ان يصلوا فيه
في ابتدا الاسلام ومنعوهم من حجه والصلاة فيه عام الحديبية واذا منعوا من يعمره بذكر الله تعالى
والصلاة فيه فقد سعوا في خرابه يعني مشركي مكة يقول الله تعالى افتحها عليكم ايها المسلمون حتى
تدخلوها وتكونوا اولى بها منهم ففتحها عليهم وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان ينادى في الموسم لما نزلت
سورة براة الا لا يحجن البيت بعد هذا العام مشرك فكان هذا خوفهم وثبت في الشرع ان لا يمكن مشرك
من دخول الحرم فان قلت كيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو اما
بيت المقدس او المسجد الحرام قلت يجوز ان يجي الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن اذى
صالحا واحدا ومن اظلم ممن اذى الصالحين فان قلت اي القولين ارجح قلت رجح الطبري القول الاول
وقال ان النصارى هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس بدليل ان مشركي مكة لم يسعوا في خراب
المسجد الحرام وان كانوا قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات من الصلاة فيه
وايضا فان الاية التي قبلها وبعدها في ذم اهل الكتاب ولم يجر لمشركي مكة ذكر ولا للمسجد الحرام
فتعين ان يكون المراد بهذه بيت المقدس ورجح غيره القول الثاني بدليل ان النصارى يعظمون بيت
المقدس اكثر من اليهود فكيف يسعون في خرابه وهو موضع حجهم وذكر ابن العربي في احكام القران قولا
ثالثا وهو انه كل مسجد قال وهو الصحيح لان اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض
المساجد او ببعض الازمنة محال قوله عز وجل ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله
سبب نزول هذه الاية قال ابن عباس خرج نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قبل
تحويل القبلة الى الكعبة فاصابهم الضباب وحضرت الصلاة فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب
الضباب استبان لهم انهم لم يصيبوا فلما قدموا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فنزلت هذه الاية وعن عامر بن ربيعة عن ابيه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر

في ليلة مظلمة فلم ندر اين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله فلما اصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزلت **فاينما تولوا فثم وجه الله** اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال ابن عمر نزلت
في المسافر يصلي التطوع حيث ما توجهت به راحلته ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه يومي وكان ابن عمر يفعله وفي رواية لمسلم كان النبي صلى الله
عليه وسلم يصلي على دابته وهو مقبل من مكة الى المدينة حيث ما توجهت وفيه نزلت فاينما تولوا
فثم وجه الله الاية وقيل نزلت في تحويل القبلة الى الكعبة وذلك ان اليهود عيرت المؤمنين وقالوا
ليست لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة يستقبلون هكذا فانزل الله هذه الاية
وقيل انها نزلت في تخيير النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ليصلوا حيث شاوا من النواحي ثم انها
نسخت بقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام ومعنى الاية ان لله المشرق والمغرب وما بينهما خلقا
وملكا وانما خص المشرق والمغرب اكتفا عن جميع الجهات لان له كلها وما بينهما خلقه وعبيده المشرق
والمغرب اكتفا عن جميع الجهات لان له كلها وما بينهما خلقه وعبيده وان على جميعهم طاعته فيما امرهم
به ونهاهم عنه فما امرهم باستقباله فهو القبلة فان القبلة ليست قبلة لذاتها بل ان الله تعالى
جعلها قبلة وامر بالتوجه اليها **فاينما تولوا فثم وجه الله** اي فهنالك قبلة الله التي وجهكم اليها
وقيل معناه فثم وجه الله تعالى بعلمه وقدرته والوجه صفة ثابتة لله تعالى لا من حيث الصورة
وقيل فثم رضا الله اي تريدون بالتوجه اليه رضاه **ان الله واسع** من السعة وهو الغني اي يسع خلقه
كلهم بالكفاية والافضال والجود والتدبير وقيل هو واسع المغفرة **عليم** اي باعمالكم ونياتكم حيث
ما صليتم ودعوتم لا يغيب عنه منها شي مسيلة تتعلق بحكم الاية وهي ان المسافر اذا كان في مفاز او بلاد
الشرك واشتبهت عليه القبلة فانه يجتهد في طلبها بنوع من الدلايل ويصلي الى الجهة التي ادى اليها
اجتهاده ولا اعادة عليه وان لم يصادف القبلة فان جهة الاجتهاد قبلة وكذا الغريق في البحر اذا بقي
على اللوح فانه يصلي على حسب حاله وتصح صلاته وكذا المشدود على جذع بحيث لا يمكنه الاستقبال
قوله تعالى **وقالوا اتخذ الله ولدا** نزلت في يهود المدينة حيث قالوا عزير ابن الله وفي نصارى نجران
حيث قالوا المسيح ابن الله وفي مشركي العرب حيث قالوا الملايكة بنات الله **سبحانه** اي تنزيها لله
فنزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد وعن قولهم وافترايهم عليه خ عن ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك
فاما تكذيبه اياي فزعم اني لا اقدر ان اعيده كما كان واما شتمه اياي فقوله لي ولد فسبحاني ان اتخذ
صاحبة او ولدا **بل له ما في السموات والارض** يعني عبيدا وملكا فكيف ينسب اليه الولد وهو داخل
فيهما وقيل ان الولد لا بد وان يكون من جنس الوالد والله تعالى منزه عن الشبيه والنظير وقيل
ان الولد انما يتخذ للحاجة اليه والانتفاع به عند عجز الوالد وكبره والله تعالى منزه عن ذلك
كله فاضافة الولد اليه محال **كل له قانتون** يعني ان اهل السموات والارض مطيعون لله
ومقرون له بالعبودية واصل القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع وقيل اصله القيام ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم افضل الصلوة طول القنوت فعلى هذا يكون معنى الاية كل له قانتون
بالشهادة مقرون له بالوحدانية وقيل قانتون اي مذللون مسخرون لما خلقوا له واختلف
العلما في حكم الاية فقال بعضهم هو خاص ثم سلكوا في تخصيصه طريقين احدهما قالوا هو راجع

الى عزير

الى عزير والمسيح والملايكة الثاني قال ابن عباس هو راجع الى اهل طاعته دون ساير الكفار وذهب جماعة الى ان حكم
الاية عام لان لفظة كل تقتضي الشمول والاحاطة ثم سلكوا في الكفار طريقين احدهما ان ظلالهم تسجد لله
وتطيعه الثاني ان هذه الطاعة تكون في يوم القيمة ومن ذهب الى تخصيص حكم الاية اجاب عن لفظة كل بانها
لا تقتضي الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى واوتيت من كل شي ولم يوت ملك سليمان فدل على ان لفظة
كل لا تقتضي ذلك قوله تعالى **بديع السموات والارض** اي خالقها ومنشيها على غير مثال سبق وقيل البديع
الذي يبتدع الاشيا اي يحدثها بما لم يكن **واذا قضى امرا** اي قدره واراد خلقه وقيل اذا احكم امرا وحتمه
واتقنه واصل القضا الحكم والفراغ والقضا في اللغة على وجوه كلها يرجع الى انقطاع الشي وتمامه والفراغ
منه **فانما يقول له كن فيكون** اي اذا احكم امرا وحتمه فانما يقول لذلك كن فيكون ذلك الامر على ما
اراد الله تعالى وجوده فان قلت المعدوم لا يخاطب فكيف قال فانما يقول له كن فيكون قلت ان الله
تعالى عالم بكل ما هو كاين قبل تكوينه واذا كان كذلك كانت الاشيا التي لم تكن كانها كاينة لعلمه بها فجاز ان
يقول لها كوني ويامرها بالخروج من حال العدم الى حال الوجود وقيل اللام في قوله له لام اجل فيكون المعنى
واذا قضى امرا فانما يقول له لاجل تكوينه واراد ته كن فيكون فعلى هذا ذهب الخطاب قوله تعالى **وقال
الذين لا يعلمون** قال ابن عباس هم اليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هم
النصارى وقيل هم مشركوا العرب **لولا** اي هلا **يكلمنا الله** اي عيانا بانك رسوله **او تاتينا اية** اي
دلالة وعلامة على صدقك **كذلك قال الذين من قبلهم** اي كفار الامم الخالية **مثل قولهم** وذلك ان
اليهود سالوا موسى ان يريهم الله جهرة وان يسمعهم كلام الله وسالوا من الايات ما ليس لهم مسالته فاخبر
الله عن الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا مثل ما قال من كان قبلهم **تشابهت
قلوبهم** يعني ان المكذبين للرسل تشابهت اقوالهم وافعالهم وقيل تشابهت في الكفر والقسوة
والتكذيب وطلب المحال **قد بينا الايات** اي الدلالات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم **لقوم
يوقنون** يعني ان ايات القران وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات الباهرات كافية لمن كان
طالب اليقين وانما خص اهل الايقان بالذكر لانهم هم اهل التثبت في الامور ومعرفة الاشيا على يقين قوله
عز وجل **انا ارسلناك بالحق** اي بالصدق وقال ابن عباس بالقران وقيل بالاسلام وقيل معناه انا لم نرسلك
عبثا بل ارسلناك بالحق **بشيرا** اي مبشرا لاوليايي واهل طاعتي بالثواب العظيم **ونذيرا** اي منذرا ومخوفا
لاعدايي واهل معصيتي بالعذاب الاليم **ولا تسال** قرى بفتح التا اي على النهي قال ابن عباس وذلك ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعري ما فعل ابواي فنزلت هذه الاية والمعنى انا ارسلناك
لتبليغ ما ارسلت به لا لتسال عن اصحاب الجحيم وقرى ولا تسال بضم التا وضم اللام على الخبر وقيل على
النفي والمعنى انا ارسلناك بالحق لتبلغ ما ارسلت به فانما عليك البلاغ ولست مسولا عمن كفر **عن
اصحاب الجحيم** اي عن اهل الجحيم سميت النار جحيما لشدة تاججها وقيل الجحيم معظم النار قوله تعالى
ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وذلك انهم كانوا يسالون النبي صلى الله عليه
وسلم الهدنة ويطمعونه انه ان امهلهم اتبعوه فانزل الله هذه الاية والمعنى انك وان هادنتهم فلا يرضون بها
وانما يطلبون ذلك تعللا ولا يرضون منك الا باتباع ملتهم وقال ابن عباس هذا في امر القبلة وذلك
ان يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي الى بيت المقدس فلما
صرف الله القبلة الى الكعبة ايسوا منه ان يوافقهم على دينهم فانزل الله تعالى ولن ترضى عنك اليهود يعني

الا باليهودية ولا النصارى يعني الا بالنصرانية وهذا شي لا يتصور اذ لا يجتمع في رجل واحد شيان في وقت واحد وتنوفرلحتى تتبع ملتهم يعني دينهم وطريقتهم **قل** اي يا محمد **ان هدى الله** يعني دين الله الذي هو الاسلام **هو الهدى** اي يصح ان يسمى هدى **ولين اتبعت** يا محمد **اهواهم** يعني اهوا اليهود والنصارى فيما يرضيهم عنك وقيل اهواهم اقوالهم التي هي اهوا وبدع **بعد الذي جاك من العلم** اي البيان بان دين الله هو الاسلام وان القبلة هي قبلة ابراهيم عليه السلام وهي الكعبة **ما لك من الله من ولي** يعني يلي امرك ويقوم به **ولا نصير** اي ينصرك ويمنعك من عقابه وقيل في قوله ولين اتبعت اهواهم انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته والمعنى لياكم اخاطب ولكم اودب وانهى فقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد جاكم بالحق والصدق وقد عصمته فلا تتبعوا انتم اهوا الكافرين ولين اتبعتم اهواهم بعد الذي جاكم من العلم والبيان ما لكم من دون الله من ولي ولا نصير قوله عز وجل **الذين اتيناهم الكتاب** قال ابن عباس نزلت في اهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن ابي طالب وكانوا اربعين رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا الراهب وقيل هم مومنوا اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل المومنون عامة **يتلونه حق تلاوته** اي يقرونه كما انزل لا يغيرونه ولا يحرفونه ولا يبدلون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل معناه يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بحكمه ويومنون بمتشابهه ويقفون عنده ويكلون علمه الى الله تعالى وقيل معناه تدبروه حق تدبره وتفكروا في معانيه وحقايقه واسراره **اوليك** يعني الذين يتلونه حق تلاوته **يومنون به** اي يصدقون به فان قلنا ان الاية في اهل الكتاب فيكون المعنى ان المومن بالتوراة الذي يتلوها حق تلاوتها هو المومن بمحمد صلى الله عليه وسلم لان في التوراة نعته وصفته وان قلنا انها نزلت في المومنين عامة فظاهر **ومن يكفر به** اي يجحد بما فيه من فرايض الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم **فاوليك هم الخاسرون** اي خسروا انفسهم حيث استبدلوا الكفر بالايمان قوله تعالى **يا بني اسرايل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** اي اياديّ لديكم وصنعي بكم واستنقاذي اياكم من ايدي عدوكم في نعم كثيرة انعمت بها عليكم **واني فضلتكم على العالمين** اي واذكروا تفضيلي اياكم على عالمي زمانكم وفي هذه الاية عظة لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكررها في اول السورة وهنا للتوكيد وتذكير النعم **واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيا** وفي هذه الاية ترهيب لهم والمعنى يا معشر بني اسرايل المبدلين كتابي المحرفين له خافوا عذاب يوم لا تقضي فيه نفس عن نفس شيا **ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة** اي ولا يقبل منها فدية ولا يشفع لها شافع وهذا من العام الذي يراد به الخاص كقوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ومعنى الاية ولا تنفعها شفاعة اذا وجب عليها العذاب ولم تستحق سواه وقيل انه رد على اليهود في قولهم ان اباءنا يشفعوا لنا **ولا هم ينصرون** اي ولا ناصر لهم ينصرهم من دون الله اذا انتقم منهم قوله عز وجل **واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن** ابراهيم اسم اعجمي ومعناه اب رحيم وهو ابراهيم بن تارخ وهو ازر بن تاروخ بن شاروع بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وكان مولد ابراهيم بالسوس من ارض الاهواز وقيل ببابل وقيل بكوثى وهي قرية من سواد الكوفة وقيل بحران ولكن اباه نقله الى ارض بابل وهي ارض نمرود الجبار وابراهيم عليه السلام يعترف بفضله جميع الطوايف قديما وحديثا فاما اليهود والنصارى فانهم مقرون بفضله ويتشرفون بالنسبة اليه وانهم من اولاده

العرب في الجاهلية فانهم ايضا يعترفون بفضله ويتشرفون على غيرهم به لانهم من اولاده ومن ساكني حرمه وخدام بيته ولما جا الاسلام زاده شرفا وفضلا فحكى الله تعالى عن ابراهيم امورا توجب على المشركين واليهود والنصارى قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه لان ما اوجبه الله على ابراهيم هو من خصايص دين محمد صلى الله عليه وسلم وفي ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركي العرب في وجوب الانقياد لمحمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وتصديقه واصل الابتلا الامتحان والاختبار ليعرف حال الانسان وسمي التكليف بلا لانه يشق على الابدان وقيل ليختبر به حال الانسان فاذا قيل ابتلى فلان بكذا انتظم امرين احدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من امره والثاني ظهور جودته ورداته وابتلا الله العباد ليس ليعلم احوالهم والوقوف على ما يجهل منها لانه عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد ولكن ليعلم العباد احوالهم من ظهور جوده ورداه وعلى هذا ينزل قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات واختلفوا في تلك الكلمات التي ابتلا الله بها ابراهيم عليه السلام فقال ابن عباس هي ثلاثون سهما هن شرايع الاسلام لم يبتلى بها احدا فاقامها كلها الا ابراهيم فكتب له البراة فقال وابراهيم الذي وفى ومعنى هذا الكلام انه لم يبتلى احدا قبل ابراهيم فاما بعده فقد ابتلى الانبيا بجميع ما امر به من الدين خصوصا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد اتى بجميع ما امر به وهي عشرة مذكورة في سورة براة وهي قوله التايبون العابدون الاية وعشر في سورة الاحزاب في قوله ان المسلمين والمسلمات الاية وعشر في سورة المومنون في قوله قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الايات وهي مذكورة ايضا في سورة سال سايل وعن ابن عباس ايضا قال ابتلاه الله بعشرة اشيا هن الفطرة خمسة في الراس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الراس وخمسة في الجسد تقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجا بالما **ق** وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفطرة خمس وفي رواية خمس من الفطرة الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط **م** عن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفا اللحية والسواك والاستنشاق بالما وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الما قال مصعب ونسيت العاشرة الا ان تكون المضمضة وقال وكيع انتقاص الما يعني الاستنجا قال العلما الفطرة السنة وقيل الملة وقيل الطريقة وهذه الاشيا المذكورة في الحديث وانها من الفطرة قيل كانت على ابراهيم عليه السلام فرضا وهي لنا سنة واتفقت العلما الايمة على انها من الملة واما معانيها فقد قيل قص الشارب واعفا اللحية فمخالفة للاعاجم فانهم كانوا يقصون لحاهم ويوفرون شواربهم ويوفرونهما معا وذلك عكس الجمال والنظافة واما السواك والمضمضة والاستنشاق فلتنظيف الفم والانف من الطعام والقلح والوسخ واما قص الاظفار فللجمال والزينة فانها اذا طالت قبح منظرها واحتوى الوسخ فيها واما غسل البراجم وهي العقد التي في ظهور الاصابع فانه يجتمع فيها الوسخ وتشين المنظر واما حلق العانة ونتف الابط فللتنظيف عما يجتمع من الوسخ في الشعر واما الاستنجا فلتنظيف ذلك المحل عن الاذى واما الختان فلتنظيف القلفة عما يجتمع فيها من البول واختلف العلما في وجوبه فذهب الشافعي الى ان الختان واجب لانه تنكشف له العورة ولا يباح ذلك الا في الواجب وذهب غيره الى انه سنة واول من اختتن ابراهيم عليه السلام ولم يختتن احد قبله **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن ابراهيم بالقدوم

يروى القدوم بالتخفيف والتشديد فمن خفف فقد ذهب الى انه اسم للآلة التي يقطع بها ومن شدده قال
هو اسم موضع عن يحيى بن سعيد انه سمع سعيد بن المسيب يقول كان ابراهيم خليل الرحمن اول الناس ضيف
الضيف واول الناس قص شاربه واول الناس راى الشيب فقال يا رب ما هذا قال الرب تبارك وتعالى
وقار يا ابراهيم قال رب زدني وقارا اخرجه مالك في الموطا وقيل في الكلمات انها مناسك الحج وقيل ابتلاه
الله تعالى بسبعة اشيا بالكوكب والقمر والشمس فاحسن النظر فيهن وبالنار والهجرة والذبح ولده والختان
فصبر عليها وقيل ان الله اختبر ابراهيم بكلمات اوحاها اليه وامره ان يعمل بهن فاتمهن اي اداهن حق
التادية وقام بموجبهن حق القيام وعمل بهن من غير تفريط وتوان ولم ينقص منهن شيا واختلفوا
هل كان هذا الابتلا قبل النبوة او بعدها فقيل كان قبل النبوة بدليل قوله في سياق الاية اني جاعلك
للناس اماما والسبب يتقدم المسبب وقيل بل كان هذا الابتلا بعد النبوة لان التكليف لا يعلم الا من
جهة الوحي الالهي وذلك بعد النبوة والصواب انه ان فسر الابتلا بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل
النبوة وان فسر بما وجب عليه من شرايع الدين كان ذلك بعد النبوة وقوله تعالى **قال اني جاعلك**
للناس اماما اي يقتدى بك في الخير ويأتمون بسنتك وهديك والامام هو الذي يؤتم به **قال ومن**
ذريتي اي قال ابراهيم واجعل من ذريتي واولادي ايمة يقتدى بهم **قال الله لا ينال** اي لا يصيب **عهدي**
اي نبوتي وقيل الامامة **الظالمين** يعني من ذريتك والمعنى لا ينال ما عهدت اليك من النبوة والامامة
من كان ظالما من ذريتك وولدك قوله تعالى **واذ جعلنا البيت** يعني البيت الحرام وهو الكعبة ويدخل
فيه الحرم فانه تعالى وصفه بكونه امنا وهذا صفة جميع الحرم **مثابة للناس** اي مرجعا من ثاب يثوب اذا
رجع والمعنى يثوبون اليه من كل جانب يحجونه **وامنا** اي موضعا ذا امن يامنون فيه من اذى المشركين فانهم كانوا
لا يتعرضون لاهل مكة ويقولون هم اهل الله وقال ابن عباس معاذا وملجا **ق** عن ابن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة
الله الى يوم القيمة وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبلي ولم يحل لي الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله الى يوم
القيمة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا تلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاه فقال العباس
يا رسول الله الا الاذخر فانه لقينهم وبيوتهم فقال الا الاذخر معنى الحديث انه لا يحل لاحد ان ينصب القتال
او الحرب في الحرم وانما احل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقط ولا يحل لاحد بعده وقوله
ولا يعضد شوكه اي لا يقطع شوك الحرم واراد به ما لا يؤذي فاما المؤذي منه كالعوسج فلا باس بقطعه
قوله ولا ينفر صيده اي لا يتعرض له بالاصطياد ولا يهاج قوله ولا يلتقط لقطتها الا من عرفها اي ينشدها
والمنشد رافع الصوت بالتعريف واللقطة في جميع الارض لا تحل الا لمن عرفها حولا فان جا صاحبها اخذها
والا انتفع بها الملتقط بشرط الضمان وحكم مكة في اللقطة ان يعرفها على الدوام بخلاف غيرها من البلاد
فانه محدود بسنة ولا يختلى خلاه الخلا مقصور الرطب من النبات الذي يرعى وقيل هو اليابس من الحشيش
وخلاه وقطعه قوله لقينهم القين الحداد قوله **واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى** قيل الحرم كله مقام ابراهيم
وقيل اراد بمقام ابراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة والمزدلفة والرمي وساير المشاهد والصحيح ان
مقام ابراهيم هو الحجر الذي يصلي عنده الايمة وذلك الحجر الذي قام ابراهيم عليه عند بنا البيت وقيل
كان اثر اصابع رجلي ابراهيم عليه السلام فيه فاندرس بكثرة المسح بالايدي وقيل انما امروا بالصلاة
عنده ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله **ق** عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عمر وافقت

ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى
الحديث وكان بدو قصة المقام على ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال اول ما اتخذت
النسا المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جا بها ابراهيم وبابنها اسمعيل
وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلا المسجد وليس بمكة يومئذ احد
وليس بها ما فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقا فيه ما ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته
ام اسمعيل فقالت يا ابراهيم الى اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شي فقالت
له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت
فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلا الدعوات
ورفع يديه فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل
ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الما حتى اذا نفد ما في السقا عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر
اليه يتلوى او قال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها
فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادي
رفعت طرف درعها وسعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها
فنظرت هل ترى احدا فلم ترى احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعي
الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا
فقالت لقد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال
بجناحه حتى ظهر الما فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الما في سقايها وهو يفور
بعدما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسمعيل لو تركت زمزم او قال لو لم
تغرف من الما لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا
الضيعة فان هاهنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا
من الارض كالرابية تاتيه السيول فتاخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم
او اهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كدى فنزلوا في اسفل مكة فراوا طايرا عايفا فقالوا ان هذا الطاير
ليدور على ما لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ما فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالما فرجعوا فاخبروهم
فاقبلوا وام اسمعيل عند الما فقالوا لها اتاذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الما
قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسمعيل وهي تحب الانس فارسلوا
الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا بها اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم
حين شب فلما ادرك زوجوه امراة منهم وماتت ام اسمعيل فجا ابراهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع
تركته فلم يجد اسمعيل فسال امراته عنه فقالت خرج يبتغي لنا وفي رواية ذهب يصيد لنا ثم سالها عن
عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة وشكت اليه فقال اذا جا زوجك اقرئي عليه السلام
وقولي له يغير عتبة بابه فلما جا اسمعيل كانه انس شيا فقال هل جاكم من احد قالت نعم جانا شيخ كذا
وكذا فسالنا عنك فاخبرته فسالني كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة قال فهل اوصاك بشي قالت
نعم امرني ان اقرا عليك السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذاك ابي وقد امرني ان افارقك الحقي باهلك
فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث ابراهيم عنهم ما شا الله ان يلبث ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل على

امراته فسال عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف انتم وسالها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت
على الله تعالى فقال ما طعامكم قالت اللحم قال فما شرابكم قالت الما قال اللهم بارك لهم في اللحم والما قال النبي
صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يوميذ حب ولو كان لهم حب دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو عليهما احد بغير مكة
الا لم يوافقاه وفي رواية فجا فقال اين اسمعيل فقالت امراته ذهب يتصيد فقالت امراته الا تنزل فتطعم
وتشرب قال وما طعامكم وما شرابكم قالت طعامنا اللحم وشرابنا الما قال اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم
قال فقال ابو القاسم بركة دعوة ابراهيم قال فاذا جا زوجك فاقري عليه السلام ومريه يثبت عتبة
بابه فلما جا اسمعيل قال هل اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت عليه فسالني عنك
فاخبرته فسالني كيف عيشنا فاخبرته انا بخير قال فاوصاك بشي قالت نعم يقرا عليك السلام ويامرك
ان تثبت عتبة بابك قال ذاك ابي وانت العتبة امرني ان امسكك ثم لبث عنهم ما شا الله ثم جا بعد ذلك
واسمعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما راه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد
بالوالد ثم قال يا اسمعيل ان الله امرني بامر قال فاصنع ما امرك ربك قال وتعينني قال واعينك قال
فان الله امرني ان ابني بيتا هاهنا واشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من
البيت فجعل اسمعيل ياتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البنا جا ابراهيم بهذا الحجر فوضعه
له فقام عليه وهو يبني واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان **ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم**
قال فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وفي رواية
حتى اذا ارتفع البنا وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان ربنا
تقبل منا انك انت السميع العليم وقيل ان امراة اسمعيل قالت لابراهيم انزل اغسل راسك فلم ينزل
فجاته بالمقام فوضعته عن شقه الايمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق راسه الايمن ثم حولته
الى شقه الايسر فغسلت شق راسه الايسر فبقي اثر قدميه عليه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي
الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت
الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لاضاتا ما بين المشرق والمغرب اخرجه الترمذي وقال هذا
يروى عن ابن عمر موقوفا واختلفوا في قوله مصلى فمن فسر المقام بجميع مشاهد الحج ومشاعره قال مصلى مدعى
من الصلاة التي هي الدعا ومن فسر المقام بالحجر قال معناه واتخذوا من مقام ابراهيم قبلة امروا بالصلاة
عنده وهذا القول هو الصحيح لان لفظ الصلاة اذا اطلق لا يعقل منه الا الصلاة المعهودة ذات
الركوع والسجود ولان مصلى الرجل هو الموضع الذي يصلي فيه **وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل** اي
امرناهما والزمناهما واوحينا عليهما قيل انما سمي اسمعيل لان ابراهيم كان يدعو الله ان يرزقه ولدا
ويقول في دعايه اسمع يا ايل وايل بالسريانية هو الله فلما رزق الولد سماه به **ان طهرا بيتي** يعني
الكعبة اضافه اليه تشريفا وتفضيلا وتخصيصا اي ابنياه على الطهارة والتوحيد وقيل طهراه من
ساير الاقذار والانجاس وقيل طهراه من الشرك والاوثان وقول الزور **للطايفين** يعني الزايرين حوله
والعاكفين يعني المقيمين به المجاورين له **والركع السجود** جمع راكع وساجد وهم المصلون وقيل الطايفين
اعني الغربا الواردين الى مكة والعاكفين يعني اهل مكة المقيمين بها قيل ان الطواف للغربا افضل
والصلاة لاهل مكة بمكة افضل قوله تعالى **واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا** اشارة الى مكة وقيل
الى الحرم **بلدا امنا** اي ذا امن يامن فيه اهله وانما دعا ابراهيم لهم بالامن لانه بلد ليس فيه زرع ولا

ثمرا فاذا

ثمرا اذا لم يكونا امنا لم يجلب اليه شي من النواحي فيتعذر المقام به فاجاب الله تعالى دعا ابراهيم وجعله
بلدا امنا فما قصده جبار الا قصمه الله تعالى كما فعل باصحاب الفيل وغيرهم من الجبابرة فان قلت
قد غزا مكة الحجاج وخرب الكعبة قلت لم يكن قصده بذلك مكة ولا اهلها ولا خراب الكعبة وانما
كان قصده خلع ابن الزبير من الخلافة ولم يتمكن من ذلك الا بذلك فلما حصل قصده اعاد بنا الكعبة
فبناها وشيدها وحرم حرمتها واحسن الى اهلها واختلفوا هل كانت مكة محرمة قبل دعوة ابراهيم
عليه السلام او حرمت بدعوته على قولين احدهما انها كانت محرمة قبل دعوة ابراهيم عليه السلام
بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وقول ابراهيم عليه
السلام اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم فهذا يقتضي ان مكة كانت محرمة قبل
دعوة ابراهيم والقول الثاني انها حرمت بدعوة ابراهيم بدليل قوله عليه السلام ان ابراهيم حرم
مكة واني حرمت المدينة وهذا يقتضي ان مكة كانت حلالا قبل دعوة ابراهيم كغيرها من البلاد وانما
حرمت بدعوة ابراهيم ووجه الجمع بين القولين وهو الصواب ان الله تعالى حرم مكة يوم خلقها
كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولكن لم يظهر
ذلك التحريم على لسان احد من انبيايه ورسله وانما كان تعالى يمنعها ممن ارادها بسو ويدفع عنها
وعن اهلها الافات والعقوبات فلم يزل ذلك من امرها حتى بواها الله تعالى ابراهيم واسكن بها
اهله فحينيذ سال ابراهيم ربه عز وجل ان يظهر تحريم مكة لعباده على لسانه فاجاب الله دعوته
والزم عباده تحريم مكة فصارت مكة اما بدعوة ابراهيم وفرض على الخلق تحريمها والامتناع
من استحلالها واستحلال صيدها وشجرها فهذا وجه الجمع بين القولين وهو الصواب والله
اعلم **وارزق اهله من الثمرات** انما سال ابراهيم ذلك لان مكة لم يكن بها زرع ولا ثمر فاستجاب الله تعالى
له وجعل مكة حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شي **من امن منهم بالله واليوم الاخر** يعني ارزق المومنين
من اهله خاصة وسبب هذا التخصيص ان ابراهيم عليه السلام لما سال ربه عز وجل ان يجعل النبوة
والامامة في ذريته فاجاب الله بقوله لا ينال عهدي الظالمين فصار ذلك تاديبا له في المسالة
فلاجل ذلك خصها هنا بدعايه المومنين دون الكافرين ثم اعلمه ان الرزق في الدنيا يستوي فيه المومن
والكافر بقوله **قال ومن كفر فامتعه** اي سارزق الكافر ايضا **قليلا** اي في الدنيا الى منتهى اجله وذلك
قليل لانه ينقطع **ثم اضطره الى عذاب النار** اي الجيه واكرهه وارفعه الى عذاب النار والمضطر لا يملك الذي
لا يملك لنفسه الامتناع مما اضطر اليه **وبيس المصير** اي وبيس المكان الذي يصير اليه الكافر وهو
العذاب قوله عز وجل **واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل** وكانت قصة بنا البيت على
ما ذكره العلما واصحاب السير ان الله لما خلق موضع البيت قبل ان يخلق الارض بالفي عام فكانت زبدة
بيضا على وجه الما فدحيت الارض من تحتها فلما اهبط الله تعالى ادم عليه السلام الى الارض استوحش
فشكا الى الله تعالى فانزل الله عز وجل البيت المعمور وهو ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد
اخضر باب شرقي وباب غربي فوضعه على موضع البيت وقال يا ادم اني اهبطت لك بيتا تطوف به كما
يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما تصلي عند عرشي وانزل عليه الحجر الاسود وكان ابيض فاسود من لمس
الحيض في الجاهلية فتوجه ادم من الهند ماشيا الى مكة وارسل الله اليه ملكا يدله على البيت فحج ادم
البيت واقام المناسك فلما فرغ تلقته الملايكة وقالوا له بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت

تلك بالفي عام قال ابن عباس حج ادم اربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ايام الطوفان فرفعه الله الى السماء الرابعة وهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه وبعث الله جبريل حتى خبا الحجر الاسود في جبل ابي قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى امر ابراهيم بعدما ولد له اسمعيل واسحق ببناء بيت يذكر فيه ويعبد فيه فسال الله ان يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهي ريح خجوج لها راسان تشبه الحية والخجوج من الرياح هي الشديدة السريعة الهبوب وقيل هي المتلوية في هبوبها وامر ابراهيم ان يبني حيث تستقر السكينة فتبعها ابراهيم حتى اتت موضع البيت فتطوقت عليه كتطويق الحجفة وقال ابن عباس بعث الله تعالى سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم يمشي في ظلها الى ان وقفت على موضع البيت ونودي منها يا ابراهيم ابن على قدر ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل ان الريح كنست له ما حول الكعبة حتى ظهر له اساس البيت الاول فذلك قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت فبنى ابراهيم واسمعيل البيت فكان ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت جمع قاعدة وهي اس البيت وقيل جدره من البيت قال ابن عباس بنى ابراهيم البيت من خمسة اجبل من طور سينا وطور زيتا وجبل لبنان جبل الشام والجودي جبل بالجزيرة وبنا قواعده من حرا جبل بمكة فلما انتهى ابراهيم الى موضع الحجر الاسود قال لاسمعيل ايتني بحجر اسود يكون للناس علما فاتاه بحجر فقال ايتني باحسن منه فمضى اسمعيل ليطلب حجرا احسن منه فصاح ابو قبيس يا ابراهيم ان لك عندي وديعة فخذها فقذف بالحجر الاسود فاخذه ابراهيم فوضعه مكانه وقيل ان الله تعالى امر ابراهيم واسمعيل بسبعة املاك يعينونهما في بنا البيت فلما فرغا من بنائه قالا ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وفي الاية اضمار تقديره **ربنا تقبل منا** اي ما عملنا لك وتقبل طاعتنا اياك وعبادتنا لك **انك انت السميع** اي لدعائنا **العليم** يعني بنياتنا قوله تعالى **ربنا واجعلنا مسلمين لك** يعني موحدين مخلصين مطيعين خاضعين لك فان قلت الاسلام اما ان يكون المراد منه الدين او الاعتقاد او الاستسلام والانقياد وقد كانا كذلك حالة هذا الدعا فما فايدة هذا الطلب قلت فيه وجهان احدهما ان الاسلام عرض قايم بالقلب وقد لا يبقى فقوله واجعلنا مسلمين لك يعني في المستقبل وذلك لا ينافي حصوله في الحال الوجه الثاني يحتمل ان يكون المراد منه طلب الزيادة في الايمان فكانهما طلبا زيادة اليقين والتصديق وذلك لا ينافي حصوله في الحال **ومن ذريتنا** اي ومن اولادنا **امة** اي جماعة **مسلمة** اي خاضعة منقادة **لك** وانما ادخل من التي هي للتبعيض لان الله تعالى اعلمهما بقوله لا ينال عهدي الظالمين ان في ذريتهما الظالم فلهذا اخص بعض الذرية بالدعا فان قلت لم خص ذريتهما بالدعا قلت لانهما احق بالشفقة والنصيحة قال الله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا وان اولاد الانبيا اذا صلحوا اصلح بهم غيرهم الا ترى ان المتقدمين من العلما والكبرا اذا كانوا على السداد كيف يتسببون السداد من وراءهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله وابعث فيهم رسولا منهم **وارنا** اي علمنا وبصرنا **مناسكنا** اي شرايع ديننا واعلام حجنا وقيل مناسكنا يعني مذابحنا والنسك الذبيحة وقيل متعبداتنا واصل النسك العبادة والناسك العابد فاجاب الله دعاهما وبعث جبريل فاراهما المناسك في يوم عرفة واذا بلغ عرفات قال عرفت قال قال ابراهيم نعم فسمي ذلك الوقت عرفة والموضع عرفات فلما بلغ عرفات **وتب علينا** اي وتجاوز عنا **انك انت**

التواب

التواب اي المتجاوز عن عباده **الرحيم** بهم واحتج بقوله وتب علينا من جوز الذنوب على الانبيا ووجهه ان التوبة لا تطلب الا بعد تقدم الذنب فلولا تقدم الذنب لم يكن لطلب التوبة وجه واجيب عنه بان العبد وان اجتهد في طاعة ربه عز وجل فانه لا ينفك عن تقصير في بعض الاوقات اما على سبيل السهو او ترك الاولى والافضل فكان هذا الدعا لاجل ذلك وقيل يحتمل ان الله تعالى لما اعلم ابراهيم ان في ذريته من هو ظالم فلا جرم سال ذريته التوبة لاولئك الظلمة والمعنى وتب على الظلمة من اولادنا حتى يرجعوا الى طاعتك فيكون ظاهر الكلام الدعا لانفسهما والمراد به ذريتهما وقيل يحتمل انهما لما رفعا قواعد البيت وكان ذلك المكان احرى الاماكن بالاجابة دعوا الله تعالى بذلك الدعا ليجعلا ذلك سنة وليتعبد من بعدهما بهما في ذلك الدعا لان ذلك المكان هو موضع التنصل من الذنوب وسوال التوبة والمغفرة من الله تعالى بقوله عز وجل **ربنا وابعث فيهم رسولا منهم** يعني وابعث في الامة المسلمة او الذرية وهم العرب من ولد اسمعيل ابن ابراهيم عليهما السلام وقوله رسولا منهم يعني ليدعوهم الى الاسلام ويكمل الدين والشرع واذا كان الرسول منهم يعرفون نسبه ومولده ومنشاه كان اقرب لقبول قوله ويكون هو اشفق عليهم من غيره واجمع المفسرون على ان المراد بقوله رسولا منهم محمدا صلى الله عليه وسلم لان ابراهيم عليه السلام انما دعا لذريته وهو بمكة ولم يبعث من ذريته بمكة غير محمد صلى الله عليه وسلم فدل على ان المراد به محمدا صلى الله عليه وسلم وروى البغوي باسناده عن عرباض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني عند الله مكتوب خاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وسأخبركم باول امري انا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى ورويا امي التي رات حين وضعتني وقد خرج لها نور سطع اضاءت منه قصور الشام قوله لمنجدل في طينته معناه انه مطروح على وجه الارض صورة من طين لم تجر فيه الروح واراد بدعوة ابراهيم قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاستجاب الله دعا ابراهيم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم في اخر الزمان وانقذهم به من الكفر والظلم واراد ببشارة عيسى عليه السلام قوله في سورة الصف ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد **يتلوا عليهم** اي يقرا عليهم **اياتك** يعني ما يوحيه اليه وهو القران الذي انزل على محمد صلى الله عليه وسلم لان الذي كان يتلوا عليهم هو القران فوجب حمله عليه **ويعلمهم الكتاب** يعني معاني الكتاب وحقايقه لان المقصود الاعظم تعليم ما في القران من دلايل التوحيد والنبوة والاحكام الشرعية فلما ذكر الله تعالى اولا امر التلاوة وهي حفظ القران ودراسته ليبقى مصونا عن التحريف والتبديل ذكر بعده تعليم حقايقه واسراره **والحكمة** اي ويعلمهم الحكمة وهي الاصابة في القول والعمل ولا يسمى الرجل حكيما الا اذا اجتمع فيه الامران وقيل الحكمة هي التي ترد عن الجهل والخطا وذلك انما يكون بما ذكرناه من الاصابة في القول والعمل ووضع كل شي موضعه وقيل الحكمة معرفة الاشيا بحقايقها واختلف المفسرون في المراد بالحكمة ها هنا فروى ابن وهب قال قلت لمالك ما الحكمة قال المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له وقال قتادة الحكمة هي السنة وذلك لان الله تعالى ذكر تلاوة الكتاب وتعليمه ثم عطف عليه بالحكمة فوجب ان يكون المراد بها شيا اخر وليس كذلك الا السنة وقيل الحكمة هي العلم باحكام الله التي لا يدرك علمها الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم والمعرفة بها منه وقيل الحكمة هي الفصل بين الحق والباطل وقيل هي معرفة الاحكام والقضا وقيل هي فهم القران والمعنى ويعلمهم ما في القران من الاحكام والحكمة وهو ما فيه من المصالح الدينية والاحكام الشرعية وقيل كل كلمة وعظتك او دعتك الى مكرمة او نهتك عن قبيح فهي حكمة **ويزكيهم** اي ويطهرهم من الشرك وعبادة الاوثان وساير الارجاس والرذايل والنقايص وقيل يزكيهم من التزكية اي يشهد لهم يوم القيمة بالعدالة اذا شهدوا للانبيا بالبلاغ

ثم ختم ابراهيم الدعا بالثنا على الله تعالى انك انت العزيز قال ابن عباس الذي لا يوجد مثله وقيل هو
الذي يقهر ولا يقهر وقيل هو المنيع الذي لا تناله الايدي وقيل العزيز القوي والعزة القوة من قولهم ارض
عزاز صلبة قوية الحكيم اي العالم الذي لا يخفى عليه خافية وقيل هو العالم بالاشيا وايجادها على غاية
الاحكام قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه سبب نزول هذه الاية ان عبد الله
ابن سلام دعا ابني اخيه الى الاسلام مهاجرا وسلمة وقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة اني
باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى ومن لم يومن به فهو ملعون فاسلم
سلمة وابى مهاجر ان يسلم فانزل الله ومن يرغب عن ملة ابراهيم اي يترك دينه وشريعته وفيه تعريض
باليهود والنصارى ومشركي العرب لان اليهود والنصارى يفتخرون بالانتساب الى ابراهيم والوصلة اليه
لانهم من بني اسرائيل وهو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والعرب يفتخرون به لانهم من ولد اسمعيل بن ابراهيم
واذا كان كذلك فان ابراهيم هو الذي طلب بعثة هذا الرسول في اخر الزمان فمن رغب عن الايمان
بهذا الرسول الذي هو دعوة ابراهيم فقد رغب عن ملة ابراهيم ومعنى يرغب عن ملة ابراهيم اي
يترك دينه وشريعته يقال رغب في الشي اذا اراده ورغب عنه اذا تركه الا من سفه نفسه قال ابن
عباس خسر نفسه وقيل اهلك نفسه وقيل امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة وقيل الجهل
وضعف الراي فكل سفيه جاهل لان من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعرف بان الله خالقها وقد جا
من عرف نفسه فقد عرف ربه ومعناه ان يعرف نفسه بالذل والضعف والعجز والفنا ويعرف ربه بالعز
والقدرة والقوة والبقا ويدل على هذا ان الله تعالى اوحى الى داود اعرف نفسك واعرفني قال يا رب كيف
اعرف نفسي وكيف اعرفك قال اعرف نفسك بالضعف والعجز والفنا واعرفني بالقوة والقدرة والبقا
ولقد اصطفيناه اي اخترناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين يعني الفايزين وقيل مع الانبيا
في الجنة اذ قال له ربه اسلم اي استقم على الاسلام واثبت عليه لانه كان مسلما لان الانبيا انما نشاوا
على الاسلام والتوحيد قال ابن عباس قال له ذلك حين خرج من السرب وذلك عند استدلاله بالكوكب
والقمر والشمس واطلاعه على امارات الحدوث فيها وافتقارها الى محدث مدبر فلما عرف ذلك قال
له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين اي قال ابراهيم خضعت بالطاعة واخلصت العبادة لمالك
الخلايق ومدبرها ومحدثها وقيل يعني اسلم اخلص دينك وعبادتك لله واجعلها سليمة وقيل الايمان
من صفات القلب والاسلام من صفة الجوارح وان ابراهيم كان مومنا بقلبه عارفا بالله فامره ان يعمل بجوارحه
وقيل معناه اسلم نفسك الى الله وفوض امرك اليه قال اسلمت اي فوضت امري لرب العالمين قال ابن عباس
وقد حقق ذلك حيث لم يستعن باحد من الملايكة حين القي في النار قوله عز وجل ووصى بها ابراهيم
بنيه يعني بكلمة الاخلاص وهي لا اله الا الله ويقال بالسنة الحنيفية وكان لابراهيم ثمانية اولاد
اسمعيل وامه هاجر القبطية واسحق وامه سارة ومدين ومداين ويقشان وزمران ونيشق وشوح وامهم
قنطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها ابراهيم حين وفاة سارة فان قلت لم قال ووصى بها ابراهيم بنيه
ولم يقل امرهم قلت لان لفظة الوصية اوكد من لفظ الامر لان الوصية انما تكون عند الخوف من الموت
وفي ذلك الوقت يكون احتياط الانسان لولده اشد واعظم وكانوا هم الى قبول وصيته اقرب وانما
خص بنيه بهذه الوصية لان شفقة الرجل على بنيه اكثر من شفقته على غيرهم وقيل لانهم كانوا ايمة
يقتدى بهم فكان صلاحهم صلاح لغيرهم ويعقوب اي ووصى يعقوب بمثل ما اوصى به ابراهيم وسمي يعقوب

لانه هو والعيص كانا توامين في بطن واحدة فتقدم العيص وقت الولادة في الخروج من بطن امه وخرج يعقوب
على اثره اخذا بعقبه قاله ابن عباس وقيل سمي يعقوب لكثرة عقبه وكان له من الولد اثنى عشر وهم روبيل
وشمعون ولاوي ويهوذا وقالون ويسخر ودان ونفتالي وجاد واشر ويوسف وبنيامين ثم خاطب يعقوب
بنيه فقال يا بني ان الله اصطفى لكم الدين اي اختار لكم دين الاسلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون
اي مومنون مخلصون والمعنى دوموا على الاسلام حتى ياتيكم الموت وانتم مسلمون لانه لا يعلم في اي وقت
ياتي الموت على الانسان وقيل في معنى وانتم مسلمون اي محسنون الظن بالله عز وجل يدل عليه ما روي
عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة ايام يقول لا يموتن احدكم الا وهو
يحسن الظن بربه اخرجاه في الصحيحين قوله تعالى ام كنتم شهدا جمع شهيد وهو بمعنى الحاضر اي
ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت اي حين احتضر وقرب من الموت نزلت في اليهود وذلك انهم
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية فانزل الله هذه الاية تكذيبا
لهم والمعنى ان كنتم يا معشر اليهود شهود يعقوب اذ حضر الموت اي انكم تحضروا ذلك فلا تدعوا على
انبيايي ورسلي الاباطيل وتنسبوهم الى اليهودية فاني ما ابتعثت خليلي ابراهيم وولده واولادهم
الا بدين الاسلام وبذلك وصوا اولادهم وبه عهدوا اليهم ثم بين ما قال يعقوب لبنيه فقال تعالى
اذ قال يعني يعقوب لبنيه يعني لاولاده الاثنى عشر ما تعبدون من بعدي اي اي شي تعبدون من
بعدي قيل ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الحياة والموت فلما خير يعقوب وكان قد راى
اهل مصر يعبدون الاوثان والنيران فقال انظروني حتى اسال ولدي واوصيهم فامهله فجمع
ولده وولد ولده وقال لهم ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابايك ابراهيم واسمعيل
واسحق انما قدم اسمعيل لانه كان اكبر من اسحق وادخله في جملة الابا وان كان عما لهم لان العرب تسمي
العم ابا والخالة اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه وقال في عمه العباس ردوا
علي ابي الها واحدا ونحن له مسلمون اي مخلصون العبودية تلك امة اشارة الى الامة المذكورة يعني
ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وولدهم قد خلت اي مضت لسبيلها والمعنى يا معشر اليهود
والنصارى اي دعوا ذكر ابراهيم واسمعيل واسحق والمسلمين من اولادهم ولا تقولوا عليهم ما ليس فيهم
لها ما كسبت يعني من العمل ولكم يعني يا معشر اليهود والنصارى ما كسبتم اي من العمل ولا تسئلون
عما كانوا يعملون يعني كل فريق يسال عن عمله لا عن عمل غيره قوله عز وجل وقالوا كونوا هودا او نصارى
تهتدوا قال ابن عباس نزلت في رؤسا اليهود كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وابي
ياسر بن اخطب وفي نصارى نجران السيد والعاقب واصحابهما وذلك انهم خاصموا المومنين في الدين فكل
فريق منهم يزعم انه احق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى افضل الانبيا وكتابنا التوراة افضل
الكتب وديننا افضل الاديان وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد والقران وقالت النصارى كذلك
وقال كل واحد من الفريقين للمومنين كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك فانزل الله عز وجل قل يعني يا محمد
بل ملة ابراهيم يعني اذا كان لا بد من الاتباع فنتبع ملة ابراهيم لانه مجمع على فضله حنيفا اصله من
الحنف وهو ميل واعوجاج يكون في القدم قال ابن عباس الحنيف هو المايل عن الاديان كلها الى دين الاسلام
قال الشاعر • ولكنا خلقنا اذ خلقنا • حنيف ديننا عن كل دين • والعرب تسمي كل من حج
او اختتن حنيفا تنبيها على انه على دين ابراهيم وقيل الحنيفية الختان واقامة المناسك مسلما يعني ان

الحنيفية هي دين الاسلام وهو دين ابراهيم عليه السلام **وما كان من المشركين** يعني ابراهيم وفيه تعريض
باليهود والنصارى وغيرهم ممن يدعي اتباع ملة ابراهيم وهو على الشرك ثم علم المومنين طريق الايمان
فقال تعالى **قولوا امنا بالله** يعني قولوا ايها المومنون لهولاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم كونوا هودا
او نصارى تهتدوا قولوا امنا بالله اي صدقنا بالله **وما انزل الينا** يعني القران **وما انزل الى ابراهيم**
اي وامنا بما انزل الى ابراهيم وهي عشر صحايف **واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط** وهم اولاد يعقوب
الاثنى عشر واحدهم سبط وكانوا انبيا وقيل السبط هو ولد الولد وهو الحافد ومنه قيل للحسن والحسين
سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط في بني اسرائيل كالقبائل في العرب من بني اسمعيل وكان في
الاسباط انبيا **وما اوتي موسى** يعني التوراة وما اوتي **وعيسى** يعني الانجيل **وما اوتي النبيون من ربهم** والمعنى
امنا ايضا بالتوراة والانجيل والكتب التي اوتي جميع النبيين وصدقنا ان ذلك كله حق وهدى ونور وان
الجميع من عند الله وان جميع من ذكر الله من انبيائه كانوا على هدى وحق **لا نفرق بين احد منهم** اي لا نومن
ببعض الانبيا ونكفر ببعض كما تبرات اليهود من عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم واقرت ببعض الانبيا
وكما تبرات النصارى من محمد صلى الله عليه وسلم واقرت ببعض الانبيا بل نومن بكل الانبيا وان جميعهم كانوا
على حق وهدى **ونحن له مسلمون** اي ونحن لله تعالى خاضعون بالطاعة مذعنون له بالعبودية خ عن
ابي هريرة قال كان اهل الكتاب يقرون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وما انزل الينا
الاية قوله تعالى **فان امنوا** يعني اليهود والنصارى **بمثل ما امنتم به** اي بما امنتم به وقيل صلة
فهو كقوله ليس كمثله شي اي ليس مثله شي وقيل فان اتوا بايمان كايمانكم وتوحيد كتوحيدكم فقد اهتدوا
والمعنى ان حصلوا دينا اخر مثل دينكم في الصحة والسداد فقد اهتدوا ولكن لما استحال ان يوجد دين اخر
يساوي هذا الدين في الصحة والسداد استحال الاهتدا بغيره لان هذا الدين مبناه على التوحيد
والاقرار بكل الانبيا وما انزل اليهم وقيل معناه فان امنوا بكتابكم كما امنتم بكتابهم **فقد اهتدوا**
وان تولوا اي اعرضوا **فانما هم في شقاق** اي في خلاف ومنازعة وقيل في عداوة ومحاربة وقيل في ضلال
واصله من الشق كانه صار في شق غير شق صاحبه بسبب عداوته وقيل هو من المشقة لان كل واحد منهما
يحرص على ما يشق على صاحبه ويوذيه **فسيكفيكهم الله** اي يكفيك الله يا محمد شر اليهود والنصارى وهو
ضمان من الله تعالى لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اذا تكفل بشي انجزه وهو اخبار بغيب فيه
معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد انجز الله وعده بقتل بني قريظة وسبيهم واجلا بني النضير وضرب
الجزية على اليهود والنصارى **وهو السميع** لاقوالهم **العليم** باحوالهم يسمع جميع ما ينطقون به ويعلم جميع
ما يضمرون من الحسد والغل وهو مجازيهم ومعاقبهم عليه قوله تعالى **صبغة الله** قال ابن عباس دين الله
وانما سماه صبغة لان اثر الدين يظهر على المتدين كما يظهر اثر الصبغ على الثوب وقيل فطرت الله وقيل
سنة الله وقيل اراد به الختان لانه يصبغ المختتن بالدم قال ابن عباس ان النصارى اذا ولد لاحدهم
مولود واتى عليه سبعة ايام غمسوه في ما لهم اصفر يسمونه ما المعمودية وصبغوه به ليطهروه به مكان
الختان فاذا فعلوا ذلك به قالوا الان صار نصرانيا حقا فاخبر الله ان دينه الاسلام لا ما تفعله
النصارى **ومن احسن من الله صبغة** اي دينا وقيل تطهيرا لانه يطهر من اوساخ الكفر **ونحن له عابدون**
اي مطيعون **قل** يعني يا محمد لليهود والنصارى الذين قالوا ان دينهم خير من دينكم وامروكم باتباعهم **اتحاجوننا**

في الله اي تخاصموننا وتجادلوننا في دين الله الذي امرنا ان نتدين به والمحاجة المجادلة لاظهار الحجة
وذلك انهم قالوا ان ديننا اقدم من دينكم وان الانبيا منا وعلى ديننا فنحن اولى بالله منكم فامر الله المومنين
بان يقولوا لهم اتحاجوننا في الله **وهو ربنا وربكم** اي نحن وانتم في الله سوا فانه ربنا وربكم **ولنا اعمالنا**
ولكم اعمالكم يعني ان لكل احد جزا عمله **ونحن له مخلصون** اي مخلصو الطاعة والعبادة لله وفيه
توبيخ لليهود والنصارى والمعنى وانتم به مشركون والاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله لله تعالى
فلا يشرك في دينه ولا يرائي بعمله قال الفضيل بن عياض ترك العمل من اجل الناس ريا والعمل من اجل الناس
شرك والاخلاص ان يعافيك الله عنهما وهذه الاية منسوخة باية السيف قوله عز وجل **ام تقولون**
يعني اليهود والنصارى وهو استفهام ومعناه التوبيخ **ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب**
والاسباط كانوا هودا او نصارى يعني اتزعمون ان ابراهيم وبنيه كانوا على دينكم وملتكم وانما حدثت
اليهودية والنصرانية بعدهم فثبت كذبكم يا معشر اليهود والنصارى على ابراهيم وبنيه **قل** يا محمد **ا انتم**
اعلم يعني بدينهم **ام الله** اي الله اعلم بذلك وقد اخبر ان ابراهيم وبنيه لم يكونوا على اليهودية والنصرانية
ولكن كانوا مسلمين حنفا يعني اخفى **شهادة عنده من الله** وهي علمهم بان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين
وان محمدا الحق بعثته وصفته يجدون ذلك في كتبهم فكتموه وجحدوه والمعنى ومن اظلم ممن كتم شهادة
جاته من عند الله فكتمها واخفاها **وما الله بغافل عما تعملون** يعني من كتمانكم الحق فيما الزمكم به في كتابه
من ان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين حنفا وان الدين هو الاسلام لا اليهودية والنصرانية والمعنى وما الله
بساه عن عملكم بل هو محصيه عليكم ثم يجازيكم عليه في الاخرة **تلك امة قد خلت** يعني ابراهيم وبنيه
لها ما كسبت اي جزا ما كسبت **ولكم ما كسبتم** اي جزا ما كسبتم **ولا تسئلون عما كانوا يعملون** يعني ان
كل انسان انما يسال يوم القيمة عن كسبه وعمله لا عن كسب غيره وعمله وفيه وعظ وزجر لليهود ولمن
يتكل على فضل الابا وشرفهم اي لا تتكلوا على فضل الابا فكل يوخذ بعمله وانما كررت هذه الاية لانها اذا تضمنت
مواطن الحجاج والجادلة حسن تكريرها للتذكير بها وتاكيدها وقيل انما كررها تنبيها لليهود لئلا يغتروا بشرف
ابائهم قوله تعالى **سيقول السفها من الناس** اي الجهال من الناس والسفه خفة في النفس لنقصان العقل
في الامور الدينية والدنيوية ولا يشك ان ذلك في باب الدين اعظم لان العادل عن الامر الواضح في امر
دنياه يعد سفيها فمن كان كذلك في امر دينه كان اولى بهذا الاسم فلا كافر الا وهو سفيه ولهذا امكن حمل
هذا اللفظ على اليهود والمشركين والمنافقين فقيل نزلت هذه الاية في اليهود وذلك انهم طعنوا في تحويل
القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة لانهم لا يرون النسخ وقيل نزلت في مشركي مكة وذلك انهم قالوا قد تردد
على محمد امره واشتاق مولده وقد توجه نحو بلدكم فلعله يرجع الى دينكم وقيل نزلت في المنافقين وانما قالوا
ذلك استهزا بالاسلام وقيل يحتمل ان لفظ السفها للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود
ويحتمل وقوع هذا الكلام من كلهم اذ لا فايدة في التخصيص ولان الاعدا يبالغون في الطعن والقدح
فاذا وجدوا مقالا قالوا او مجالا جالوا **ما ولاهم** يعني اي شي صرفهم **عن قبلتهم التي كانوا عليها** يعني
بيت المقدس والقبلة هي الجهة التي يستقبلها الانسان وانما سميت قبلة لان المصلي يقابلها وتقابله
ولما قال السفها ذلك رد الله عليهم بقوله **قل** يا محمد **لله المشرق والمغرب** يعني ان له قطري المشرق
والمغرب وما بينهما ملكا فلا يستحق شي ان يكون لذاته قبلة لان الجهات كلها شي واحد وانما تصير قبلة
لان الله هو الذي جعلها قبلة فلا اعتراض عليه وهو قوله **يهدي من يشا** يعني من عباده **الى صراط**

ومن اظلم ممن كتم صح

مستقيم يعني الجهة الكعبة وهي قبلة ابراهيم عليه السلام قوله عز وجل وكذلك جعلناكم امة وسطا
الكاف في قوله وكذلك كاف التشبيه والمشبه به وفيه وجوه احدها انه معطوف على ما تقدم من قوله
في حق ابراهيم ولقد اصطفيناه في الدنيا فكذلك جعلناكم امة وسطا الثاني انه معطوف على قوله
والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم فكذلك هديناكم وجعلناكم امة وسطا الثالث قيل معناه كما
جعلنا قبلتكم وسطا بين المشرق والمغرب كذلك جعلناكم امة وسطا يعني عدولا خيارا وخير الامور اوسطها
قال زهير • هم وسط يرضى الانام بحكمهم • اذا نزلت احدى الليالي بمعظم •
وقيل متوسطة والمعنى اهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان في امر الدين لا كغلو
النصارى في عيسى ولا كتقصير اليهود في الدين وتحريفهم وتبديلهم وسبب نزول هذه الاية ان
روسا اليهود قالوا لمعاذ بن جبل ما ترك محمد قبلتنا الا حسدا وان قبلتنا قبلة الانبيا ولقد علم محمد انا اعدل
الناس فقال معاذ انا على حق وعدل فانزل الله هذه الاية وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال الا وان هذه الامة توفي سبعين امة هي اخرها وخيرها واكرمها على الله عز وجل وقوله تعالى
لتكونوا شهدا على الناس يعني يوم القيمة ان الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم وقيل ان امة محمد صلى
الله عليه وسلم شهدا على من ترك الحق من الناس اجمعين ويكون الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
عليكم شهيدا يعني عدلا مزكيا لكم وذلك ان الله تعالى يجمع الاولين والاخرين في صعيد واحد ثم يقول
لكفار الامم الم ياتكم نذير فينكرون ويقولون ما جانا من نذير فيسال الله الانبيا عن ذلك فيقولون
كذبوا قد بلغناهم فيسالهم البينة وهو اعلم بهم اقامة للحجة فيقولون امة محمد تشهد لنا فيوتى بامة
محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم انهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من اين علموا وانما اتوا
بعدنا فيسال هذه الامة فيقولون ارسلت الينا رسولا وانزلت عليه كتابا اخبرتنا فيه بتبليغ
الرسل وانت صادق فيما اخبرت ثم يوتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسال عن حال امته فيزكيهم
ويشهد بصدقهم خ عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجا بنوح وامته
يوم القيمة فيقال له هل بلغت فيقول نعم اي رب فيسال امته هل بلغكم فيقولون ما جانا من نذير فيقال لنوح
من يشهد لك فيقول محمد وامته فيجا بكم فتشهدون ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا زاد الترمذي وسطا قال عدلا قوله تعالى وما جعلنا
القبلة التي كنت عليها اي وما جعلنا صرفك عن القبلة التي كنت عليها وهي بيت المقدس وانما حذف ذكر
ذكر الصرف اكتفا بدلالة اللفظ عليه وقيل معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة وقيل معناه
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها وهي الكعبة الا لنعلم من يتبع الرسول فان قلت ما معنى قوله الا لنعلم
وهو عالم بالاشيا كلها قبل كونها قلت اراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب فانه لا يتعلق بما هو عالم به
في الغيب انما يتعلق بما يوجد والمعنى لنعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب وقيل العلم هنا
بمعنى الروية اي لنرى ونميز من يتبع الرسول في القبلة ممن ينقلب على عقبيه وقيل معناه الا لنعلم رسلي
وحزبي واوليائي من المومنين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكان من شان العرب اضافة ما فعله
الاتباع الى الكبير كقولهم فتح عمر العراق وجبى خراجها وانما فعل ذلك اتباعه عن امره وقيل انما قال الا لنعلم
وهو بذلك عالم قبل كونه على وجه الرفق بعباده ومعناه الا لتعلموا انتم اذ كنتم جهالا به قبل كونه فاضاف العلم
الى نفسه رفقا بعباده المخاطبين وقيل معناه لعلمنا كان انه تعالى سبق في علمه ان تحويل القبلة سبب لهداية

قوم

قوم وضلالة اخرين ومعنى من يتبع الرسول اي يطيعه في امر القبلة وتحويلها ممن ينقلب على عقبيه اي يرجع الى
ما كان عليه من الكفر فيرتد وفي الحديث انه لما تحولت القبلة الى الكعبة ارتد قوم الى اليهودية وقالوا رجع
محمد الى دين ابائه وان كانت اي وقد كانت لكبيرة يعني تولية القبلة ثقيلة شاقة وقيل هي التولية من بيت
المقدس الى الكعبة وقيل الكبيرة هي القبلة التي وجهه اليها قبل التحويل وهي بيت المقدس وانث الكبيرة
لتانيث القبلة وقيل لتانيث التولية الا على الذين هدى الله يعني الصادقين في اتباع الرسول وما
كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس وذلك ان حيي بن اخطب واصحابه من اليهود قالوا
للمسلمين اخبرونا عن صلاتكم الى بيت المقدس ان كانت على هدى فقد تحولتم عنه وان كانت ضلالة فقد
دنتم الله بها مدة ومن مات عليها فقد مات على ضلالة فقال المسلمون انما الهدى فيما امر الله به والضلالة
فيما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا وكان قد مات قبل ان تحول القبلة الى الكعبة
اسعد بن زرارة من بني النجار والبرا بن معرور من بني سلمة وكانا من النقبا ورجال اخرون فانطلق عشايرهم
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله قد صرفك الله الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا الذين
ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم الى بيت المقدس
ان الله بالناس لروف رحيم يعني لا يضيع اجورهم والرافة اخص من الرحمة وارق وقيل الرافة اشد
الرحمة وقيل الرافة الرحمة وقيل في الفرق بين الرافة والرحمة ان الرافة مبالغة في رحمة خاصة وهي
دفع المكروه وازالة الضرر واما الرحمة فانها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه ايضا جميع الافضال
والانعام فذكر الله الرافة اولا بمعنى انه لا يضيع اعمالهم ثم ذكر الرحمة ثانيا لانها اعم واشمل قوله
عز وجل قد نرى تقلب وجهك في السما سبب نزول هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة احب ان يستقبل بيت المقدس يتالف بذلك اليهود وقيل
ان الله تعالى امره بذلك ليكون اقرب الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون من نعته
وصفته في التوراة فصلى الى بيت المقدس بعد الهجرة ستة عشر او سبعة عشر شهرا وكان يحب ان يوجه
الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم وقيل كان يحب ذلك من اجل ان اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا
ويتبع قبلتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل وددت لو حولني الله الى الكعبة فانها قبلة ابي
ابراهيم فقال جبريل عليه السلام انما انا عبد مثلك وانت كريم على ربك فسال انت ربك فانك عند الله
بمكان ثم عرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السما رجا ان ينزل جبريل بما يحب
من امر القبلة فانزل الله تعالى قد نرى تقلب وجهك يعني تردد وجهك وتصرف نظرك الى السما الى جهة السما
وهذه الاية وان كانت متاخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى لانها راس القصة واول ما نسخ من احكام
الشرع امر القبلة فلنولينك اي فلنحولنك ولنصرفنك قبلة اي فلنصرفنك عن بيت المقدس الى قبلة
ترضاها اي تحبها وتميل اليها فول وجهك شطر المسجد الحرام اي نحوه وتلقاه واراد به الكعبة ق عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى
خرج منه فلما خرج ركع ركعتين قبل الكعبة وقال هذه القبلة يعني ان امر القبلة قد استقر على هذا البيت
فلا ينسخ بعد اليوم فصلوا الى الكعبة ابدا فهي قبلتكم ق عن البرا ان النبي صلى الله عليه كان اول ما
قدم المدينة نزل على اجداده او قال اخواله من الانصار وانه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر او سبعة عشر
شهرا وكان يعجبه ان تكون قبلته قبل البيت وانه صلى اول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج

رجل ممن كان صلى معه فمر على اهل مسجد قبا وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبل الكعبة فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد اعجبهم اذ كان يصلي قبل بيت المقدس وهي
قبلة اهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت انكروا ذلك قال البرا في حديثه هذا وانه مات على القبلة قبل
ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم واختلف العلما في وقت تحويل
القبلة فقال الاكثرون كان في يوم الاثنين بعد الزوال للنصف من رجب على راس سبعة عشر شهرا من مقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقيل كان يوم الثلاثا لثمانية عشر شهرا وقيل كان لستة عشر شهرا
وقيل لثلاثة عشر شهرا وقيل نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين
من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النسا والنسا مكان الرجال فسمي
ذلك المسجد مسجد القبلتين ووصل الخبر الى اهل قبا في صلاة الصبح (ق) عن ابن عمر قال بينما الناس بقبا في
صلاة اذ جاهم ات فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قران وقد امر ان يستقبل
القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة وقوله تعالى وحيث ما كنتم يعني
من بر او بحر شرق او غرب فولوا وجوهكم شطره اي نحو البيت وتلقاه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبلة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قيل
اراد بالمشرق مشرق الشتا في اقصى يوم من السنة وبالمغرب مغرب الصيف في اطول يوم من السنة فمن
جعل مغرب الصيف في هذا الوقت عن يمينه ومشرق الشتا عن يساره كان مستقبلا للقبلة وهذا في حق اهل
المشرق لان المشرق الشتوي جنوبي متباعد عن خط الاستوا بمقدار الميل والمغرب الصيفي شمالي متباعد
عن خط الاستوا والذي بينهما فهو سمتها مكة والغرض لمن بمكة في القبلة اصابة عين الكعبة ولمن بعد
عن مكة اصابة الجهة ويعرف ذلك بدلايل القبلة وليس هذا موضع ذكرها ولما تحولت القبلة الى الكعبة
قالت اليهود يا محمد ما هو الا شي ابتدعته من تلقا نفسك فتارة تصلي الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة
ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان تكون صاحبنا الذي ننتظره فانزل الله تعالى وان الذين اوتوا الكتاب
يعني اليهود ليعلمون انه الحق من ربهم يعني امر القبلة وتحويلها الى الكعبة ثم هددهم فقال الله تعالى وما
الله بغافل عما تعملون يعني وما انا بساه عما يفعل هولا اليهود فانا اجازيهم عليه في الدنيا والاخرة وقرى
تعملون بالتا قال ابن عباس يريد انكم يا معشر المومنين تطلبون مرضاتي وما انا بغافل عن ثوابكم وجزايكم
فانا اثيبكم على طاعتكم افضل الثواب واجزيكم احسن الجزا قوله تعالى ولين اتيت الذين اوتوا الكتاب
يعني اليهود والنصارى بكل اية اي بكل معجزة وقيل بكل حجة وبرهان وذلك انهم قالوا ايتنا باية على ما
تقول فانزل الله تعالى هذه الاية ما تبعوا قبلتك يعني الكعبة وما انت بتابع قبلتهم يعني ان اليهود
تصلي الى بيت المقدس والنصارى الى الشرق وانت يا محمد تصلي الى الكعبة فكيف يكون سبيل الى اتباع قبلة
احدهم مع اختلاف جهتهما فالزم انت قبلتك التي امرت بالصلاة اليها وما بعضهم بتابع قبلة بعض
يعني وما اليهود بتابعة قبلة النصارى ولا النصارى بتابعة قبلة اليهود لان اليهود والنصارى لا يجتمعون
على قبلة واحدة ولين اتبعت اهواهم يعني مرادهم ورضاهم لو رجعت الى قبلتهم من بعد ما جاك من العلم
اي في امر القبلة وقيل معناه من بعد ما وصل اليك من العلم بان اليهود والنصارى مقيمون على باطل وعناد
للحق انك اذا لمن الظالمين يعني انك ان فعلت ذلك كنت بمنزلة من ظلم نفسه وضرها قيل هذا الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة لانه صلى الله عليه وسلم لا يتبع اهواهم ابدا وقيل هو خطاب له خاصة

فيكون

فيكون ذلك على سبيل التذكير والتنبيه قوله عز وجل الذين اتيناهم الكتاب يعني علما اليهود والنصارى
وقيل اراد به مومني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه يعرفونه قيل يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم
معرفة جلية بالوصف المعين الذي يجدونه عندهم كما يعرفون ابناهم اي لا يشكون فيه ولا يشتبه عليهم
كما لا يشتبه عليهم ابناهم من ابنا غيرهم روي ان عمر بن الخطاب قال لعبد الله بن سلام انزل على نبيه
صلى الله عليه وسلم الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد
الله يا عمر لقد عرفته حين رايته كما اعرف ابني ومعرفتي بمحمد صلى الله عليه وسلم اشد من معرفتي بابني فقال
عمر فكيف ذاك فقال اشهد انه رسول الله صلى الله عليه وسلم حق من الله وقد نعته الله في كتابنا ولا
ادري ما تصنع النسا فقبل عمر راس عبد الله وقال وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت وقيل الضمير
في يعرفونه يعود الى امر القبلة والمعنى ان علما اليهود والنصارى يعرفون ان القبلة التي صرفتك اليها
هي قبلة ابراهيم وقبلة الانبيا قبلك كما يعرفون ابناهم لا يشكون في ذلك وان فريقا منهم اي من
علما اهل الكتاب ليكتمون الحق يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل امر القبلة وهم يعلمون يعني
ان كتمان الحق معصية وقيل يعلمون ان صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم في التوراة والانجيل
وهم مع ذلك يكتمونه الحق اي الذي يكتمونه هو الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اي من الشاكين في ان الذين
تقدم ذكرهم علموا صحة نبوتك وقيل يرجع الى امر القبلة والمعنى ان بعضهم عاند وكتم الحق فلا يشك في
ذلك فان قلت النبي صلى الله عليه وسلم لم يمتر ولم يشك فما معنى هذا النهي قلت هذا الخطاب وان كان
للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد به غيره والمعنى فلا تشكون انتم ايها الموسون وقد تقدم نظير
هذا قوله تعالى ولكل وجهة اي ولكل اهل ملة قبلة والوجهة اسم للمتوجه اليه وقيل الوجهة الهيئة
والحالة في التوجه الى القبلة وقيل في قوله ولكل وجهة ان المراد به جميع المسلمين ولكل اهل جهة من الافاق
وجهة من الكعبة يصلون اليها وقيل المراد بالوجهة المنهاج والشرع والمعنى ولكل قوم شريعة وطريقة
لان الشرايع مصالح للعباد فلهذا اختلفت الشرايع بحسب اختلاف الازمان والاشخاص هو موليها
اي هو مستقبلها والمعنى ان لكل اهل ملة وجهة هو مولي وجهه اليها وقيل موليها اي مختارها وقيل ان
هو عايد الى اسم الله تعالى والمعنى ان الله تعالى هو موليها اياه وقرى مولاها اي مصروفا اليها فاستبقوا
الخيرات اي بادروا بالطاعات وقبول الاوامر وفيه حث على المبادرة الى الاولية والافضلية فعلى هذا
تكون الاية دليلا لمذهب الشافعي في ان الصلاة في اول الوقت افضل لقوله فاستبقوا الخيرات لان
ظاهر الامر للوجوب فاذا لم يتحقق الوجوب فلا اقل من الندب اينما تكونوا يعني انتم واهل الكتاب
يات بكم الله جميعا يعني يوم القيمة فهو وعد لاهل الطاعة بالثواب ووعيد لاهل المعصية بالعقاب
ان الله على كل شي قدير اي على الاعادة بعد الموت والاثابة لاهل الطاعة والعقوبة لمستحق العقوبة
قوله عز وجل ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام اي من اي موضع خرجت في سفر وغيره
فول وجهك يا محمد قبل المسجد الحرام ونحوه وانه يعني التوجه اليه للحق من ربك اي الحق الذي لا شك فيه
فحافظ عليه وما الله بغافل عما تعملون اي ليس هو بساه عن اعمالكم ولكنه محصيها لكم وعليكم فيجازيكم
بها يوم القيمة ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره
فان قلت هل في هذا التكرار فايدة قلت فيه فايدة عظيمة جليلة وهي ان هذه الواقعة اول الوقايع
التي ظهر النسخ فيها في شرعنا فدعت الحاجة الى التكرار لاجل التاكيد والتقرير وازالة الشبهة والايضاح

البيان فحسن التكرار فيه لتقلهم من جهة الى جهة **لئلا يكون للناس عليكم حجة** قيل اراد بالناس اهل الكتاب وقيل هو على العموم وقيل هم قريش واليهود فاما قريش فقالت رجع محمد الى الكعبة لانه علم انها الحق وانها قبلة ابيه وسيرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا وقالت اليهود لم ينصرف محمد عن بيت المقدس مع علمه انه حق الا انه يعمل برايه فعلى هذا يكون الاستثنا في قوله **الا الذين ظلموا منهم** متصلا صحيحا والمعنى لا حجة لاحد عليكم الا مشركوا قريش واليهود فانهم يجادلونك بالباطل والظلم وانما سمى الاحتجاج بالباطل حجة لان اشتقاقها من حجه اذا غلبه فكما تكون صحيحة فكذلك قد تسمى حجة وقد تكون باطلة قال الله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وقيل هذا الاستثنا منقطع عن الكلام الاول ومعناه لكن الذين ظلموا منهم يجادلونك بالباطل قال النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتايب

اي لكن سيوفهم بهن فلول وليس بعيب وقيل هو في معنى الاية ان اليهود عرفوا ان الكعبة قبلة ابراهيم ووجدوا في التوراة ان محمدا صلى الله عليه وسلم سيحول اليها فتكون حجتهم انهم يقولون ان النبي الذي نجده في كتابنا سيحول الى الكعبة ولم تحول انت فلما حول الى الكعبة ذهبت حجتهم الا الذين ظلموا اي الا ان يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق **فلا تخشوهم** اي فلا تخافوهم في انصرافكم الى الكعبة في تظاهرهم عليكم بالمجادلة الباطلة فاني وليكم وناصركم اظهركم عليهم بالحجة والنصرة **واخشوني** اي احذروا عقابي ان انتم عدلتم عما الزمتكم به وفرضته عليكم **ولاتم نعمتي عليكم** اي ولكي اتم نعمتي عليكم بهدايتي اياكم الى قبلة ابراهيم لتتم لكم الملة الحنيفية وقيل تمام النعمة الموت على الاسلام ثم دخول الجنة **ولعلكم تهتدون** اي لكي تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب قوله تعالى **كما ارسلنا فيكم** كاف التشبيه تحتاج الى شي ترجع اليه فقيل ترجع الى ما قبلها ومعناه ولاتم نعمتي عليكم كما ارسلنا فيكم وقيل ان ابراهيم قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك تبعث فيهم رسولا منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعده اجابة الدعوة الثانية بان يجعل في ذريته امة مسلمة والمعنى كما اجيب دعوته ببعثة الرسول لذلك اجبت دعوته بان اهديكم لدينه واجعلكم مسلمين واتم نعمتي عليكم ببيان شرايع الملة الحنيفية وقيل ان الكاف متعلقة بما بعدها وهو قوله فاذكروني اذكركم والمعنى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني ووجه التشبيه ان النعمة بالذكر جارية مجرى النعمة بارسال الرسول وان قلنا انها متعلقة بما قبلها كان وجه التشبيه ان النعمة في امر القبلة كالنعمة بالرسالة فيكم خطاب لاهل مكة والعرب وكذا قوله منكم وفي ارساله رسولا منهم نعمة عظيمة عليهم لما فيه من الشرف لهم ولان المعروف من حال الانفة الشديدة من الانقياد للغير فكان بعثة الرسول منهم وفيهم اقرب الى قبول قوله والانقياد له والمعنى كما ارسلنا فيكم يا معشر العرب **رسولا منكم** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **يتلوا عليكم اياتنا** يعني القران وذلك من اعظم النعم لانه معجزة باقية على الدهر **ويزكيكم** اي ويطهركم من دنس الشرك والذنوب وقيل يعلمكم ما اذا فعلتموه صرتم ازكيا مثل محاسن الاخلاق ومكارم الافعال **ويعلمكم الكتاب** يعني احكام الكتاب ونحو القران وقيل ان التعليم غير التلاوة فليس بتكرار **والحكمة** يعني السنة والفقه في الدين **ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** يعني يعلمكم من اخبار الامم الماضية والقرون الخالية وقصص الانبيا والخبر عن الحوادث المستقبلة ما لم تكونوا تعلمون ذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم **فاذكروني** قيل الذكر يكون باللسان ونحو ان يسبحه ويحمده ويمجده ونحو ذلك من الاذكار ويكون بالقلب ونحو ان يتفكر في عظمة الله وفي الدلايل

الدالة على وحدانيته ويكون بالجوارح ونحو ان تكون مستغرقة في الاعمال التي امروا بها مثل الصلاة وساير الطاعات التي للجوارح فيها فعل **اذكركم** اي بالثواب والرضى عنكم قال ابن عباس اذكروني بطاعتي اذكركم بمعونتي وقيل اذكروني في النعمة والرخا اذكركم في الشدة والبلا وقال اهل المعاني اذكروني بالتوحيد والايمان اذكركم بالجنان والرضوان وقيل اذكروني بالاخلاص اذكركم بالخلاص اذكروني بالقلوب اذكركم بغفران الذنوب اذكروني بالدعا اذكركم بالعطا **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة قوله عز وجل انا عند ظن عبدي بي قيل معناه بالغفران اذا استغفر وبالقبول والاجابة اذا دعا وبالكفاية اذا طلب الكفاية وقيل المراد منه تحقيق الرجا وتاميل العفو وهذا اصح قوله وانا معه حين يذكرني يعني بالرحمة والتوفيق والهداية والاعانة وقوله فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي النفس في اللغة لها معان منها ذات الشي والله تعالى له ذات حقيقة ومنها الغيب فعلى هذا يكون المعنى فان ذكرني خاليا ذكرته بالاثابة والمجازاة مما لا يطلع عليه احد قوله وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم الملا اشراف الناس وعظماوهم الذين يرجع الى رايهم وهذا مما استدلت به المعتزلة ومن وافقهم على تفضيل الملايكة على الانبيا واجيب عنه بان الذكر غالبا يكون في جماعة لا نبي فيهم قوله وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا الخ وهذا من احاديث الصفات ويستحيل ارادة ظاهره ولا بد من التاويل فعلى هذا يكون ذكر الشبر والذراع والباع والمشي والهرولة استعارة ومجازا فيكون المراد بقرب العبد من الله القرب بالذكر والطاعة والعمل الصالح والمراد بقرب الله من العبد قرب نعمه والطافه وبره وكرمه واحسانه اليه وفيض مواهبه ورحمته عليه والمعنى كلما زاد بالطاعة والذكر زدت بالبر والاحسان وان اتاني يمشي بطاعتي اتيته هرولة اي صببت اليه الرحمة صبا وسبقته بها **ق** عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه **ق** عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر كمثل الحي والميت عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات المفردون الذين ذهب القرن الذي كانوا فيه وبقوا وهم يذكرون الله ويقال تفرد الرجل اذا تفقه واعتزل وقوله تعالى **واشكروا لي** يعني بالطاعة **ولا تكفرون** اي بالمعصية فمن اطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلاة** انما خصهما بذلك لما فيهما من المعونة على العبادات اما الصبر فهو حبس النفس على احتمال المكاره في ذات الله وتوطينها على تحمل المشاق في العبادات وساير الطاعات وتجنب الجزع وتجنب المحظورات ومن الناس من حمل الصبر على الصوم وفسره به ومنهم من حمله على الجهاد واما الاستعانة بالصلاة فلانها يجب ان تفعل على طريق الخضوع والتذلل للمعبود والاخلاص له وقيل استعينوا على طلب الاخرة بالصبر على الفرايض وبالصلوات الخمس في مواقيتها على تمحيص الذنوب **ان الله مع الصابرين** اي بالعون والنصر **ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات** نزلت فيمن قتل ببدر من المسلمين وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وعمير بن ابي وقاص وذو الشمالين واسمه عمير بن عبد عمرو بن فضلة بن عمرو من خزاعة

ثم بني عبشان وعاقل بن البكير من بني سعد بن ليث من كنانة ومهجع مولى لعمر بن الخطاب وصفوان بن بيضا من بني
الحارث بن فهر ومن الانصار ثمانية وهم سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر ويزيد بن الحارث بن فسحم وعمير
ابن الحمام ورافع بن المعلى وحارثة بن سراقة وعوف ومعوذ ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد وهما ابنا عفرا وهي امهما
كان الناس يقولون لمن قتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فانزل الله هذه الاية
وقيل ان الكفار والمنافقين قالوا ان الناس يقتلون انفسهم طلبا لمرضات محمد من غير فايدة فنزلت هذه الاية
واخبر ان من قتل في سبيل الله بانه حي بقوله **بل احيا** وانما احياهم الله عز وجل في الوقت لا يصال الثواب اليهم
وعن الحسن ان الشهدا احيا عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم ويصل اليهم الروح والريحان والفرح كما تعرض
النار على ال فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع ففيه دليل على ان المطيعين لله يصل اليهم ثوابهم
وهم في قبورهم في البرزخ وكذا العصاة يعذبون في قبورهم فان قلت نحن نراهم موتى فما معنى قوله بل احيا وما
وجه النهي في قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات قلت معناه لا تقولوا اموات بمنزلة غيرهم من الاموات
بل هم احيا تصل ارواحهم الى الجنان كما ورد ان ارواح الشهدا في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة فهم احيا من هذه
الجهة وان كانوا امواتا من جهة خروج الروح من اجسادهم وجواب اخر وهو انهم احيا عند الله تعالى في عالم
الغيب لانهم صاروا الى الاخرة فنحن لا نشاهدهم كذلك ويدل على ذلك قوله تعالى **ولكن لا تشعرون** اي لا ترونهم
احيا فتعلموا ذلك حقيقة وانما يعلمون باخباري اياكم به فان قلت اليس ساير المطيعين من المسلمين لله يصل
اليهم من نعيم الجنة في قبورهم فلم خصص الشهدا بالذكر قلت انما خصهم لان الشهدا افضلوا على غيرهم بيمن
بمزايد النعيم وهو انهم يرزقون من مطاعم الجنة وماكلها وغيرهم ينعمون بما دون ذلك وجواب اخر وهو انه
رد على من قال ان من قتل في سبيل الله مات وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فاخبر الله تعالى بقوله بل احيا بانهم
في نعيم دايم قوله تعالى **ولنبلونكم** اي ولنختبرنكم يا امة محمد واللام جواب القسم تقديره والله لنبلونكم
والابتلا لاظهار المطايع من العاصي لا ليعلم شيا لم يكن عالما به فانه سبحانه وتعالى عالم بجميع الاشيا قبل كونها
وحدوثها **بشي** انما قال بشي ولم يقل باشيا لئلا يوهم ان اشيا تدل على ضروب من الخوف وكذا الباقي فلما قال
بشي كان التقدير بشي من الخوف وبشي من الجوع وقيل معناه بشي قليل من هذه الاشيا **من الخوف** قال ابن
عباس يعني خوف العدو والخوف توقع مكروه يحصل منه الم في القلب **والجوع** يعني القحط وتعذر حصول القوت
ونقص من الاموال يعني بالهلاك او بالخسران **والانفس** اي ونقص من الانفس بالموت والقتل **والثمرات**
يعني الجوايح في الثمار وقيل قد يكون بالجدب ايضا وبترك العمل والعمارة في الاشجار وحكي عن الشافعي في تفسير
هذه الاية قال الخوف خوف الله عز وجل والجوع صيام شهر رمضان ونقص من الاموال يعني اخراج الزكاة والصدقات
والانفس يعني بالامراض والثمرات يعني بموت الاولاد لان الولد ثمرة القلب عن ابي موسى الاشعري رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملايكته اقبضتم ولد عبدي
قالوا نعم قال اقبضتم ثمرة فواده قالوا نعم قال فما قال عبدي قالوا حمدك واسترجع قال ابنوا له بيتا
في الجنة وسموه بيت الحمد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن فان قلت ما الحكمة في تقديم تعريف
هذا الابتلا في قوله ولنبلونكم قلت فيه حكم منها ان العبد اذا علم انه مبتلى بشي وطن نفسه على الصبر
فاذا نزل به ذلك البلا لم يجزع ومنها ان الكفار اذا شاهدوا المومنين مقيمين على دينهم ثابتين عند نزول
البلا صابرين له علموا بذلك صحة الدين فيدعوهم ذلك الى متابعته والدخول فيه ومنها ان الله تعالى
اخبر بهذا الابتلا قبل وقوعه فاذا وقع كان ذلك اخبارا عن غيب فيكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم

ومنها

ومنها ان المنافقين انما اظهروا الايمان طمعا في المال وسعة الرزق من الغنايم فلما اخبر الله انه مبتلي عباده
فعند ذلك يتميز المومن من المنافق والصادق من الكاذب ومنها ان الانسان في حال الابتلا اشد اخلاصا
لله من حال الرخا فاذا علم انه مبتلى دام على التضرع والابتهال الى الله تعالى لينجيه مما عسى ان ينزل به
من البلا ثم قال الله تعالى **وبشر الصابرين** يعني عند نزول البلا والمعنى وبشر يا محمد الصابرين على امتحا
بما امتحنتهم به من الشدايد والمكاره ثم وصفهم بقوله تعالى **الذين اذا اصابتهم مصيبة** اي نايبة وابتلا
قالوا انا لله يعني عبيدا وملكا **وانا اليه راجعون** يعني في الاخرة م عن ام سلمة قالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في
مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اجره الله في مصيبته واخلف له خيرا منها قيل ما اعطي احد ما اعطيت هذه
الامة يعني الاسترجاع عند المصيبة ولو اعطيها احد لاعطي يعقوب الا تسمع الى قوله عند فقد يوسف يا اسفا
على يوسف وقيل في قول العبد انا لله وانا اليه راجعون تفويض منه الى الله وانه راض بكل ما نزل به من المصايب
اوليك يعني من هذه صفته **عليهم صلوات من ربهم** قال ابن عباس اي مغفرة من ربهم ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى اي اغفر لهم وارحمهم وانما جمع الصلوات لانه عنى مغفرة بعد مغفرة ورحمة
بعد رحمة **ورحمة** قال ابن عباس ونعمة والرحمة من الله انعامه وافضاله واحسان من الادميين وقيل
رقة وتعطف وقيل انما ذكر الرحمة بعد الصلاة لان الصلاة من الله الرحمة لاتباع المعنى واتباع اللفظ
وتفعل ذلك العرب كثيرا اذا اختلف اللفظ واتفق المعنى وقيل كررتها للتاكيد اي عليهم رحمة بعد رحمة
واوليك هم المهتدون يعني الاسترجاع وقيل الى الجنة الفايزون بالثواب وقيل المهتدون الى الحق
والصواب وقال عمر بن الخطاب نعم العدلان ونعمت العلاوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعلاوة الهداية

فصل في ذكر احاديث وردت في ثواب اهل البلا واجر الصابرين ح عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه يعني يبتليه بالمصايب حتى ياجره على
ذلك ق عن ابي سعيد وابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا
حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله عنه بها خطاياه النصب التعب والاعيا والوصب المرض
ق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصيبه اذى من مرض فما سواه الا حط
الله به عنه سياته كما تحط الشجرة ورقها ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المومن
كمثل الزرع لا تزال الريح تفيه ولا يزال المومن يصيبه البلا ومثل المنافق كمثل شجرة الارز لا يهتز حتى تستحصد
الارزة شجر معروف بالشام ويعرف في العراق بالصنوبر والصنوبر ثمرة الارز وقيل الارزة الثابتة في الارض
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد
بعبد الشر امسك عنه حتى يوافي به يوم القيمة وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عظم
الجزا مع عظم البلا وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط اخرجه الترمذي
وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يود اهل العافية يوم القيمة حين يعطى اهل
البلا الثواب لو ان جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض وله عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما يزال البلا بالمومن والمومنة في نفسه وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيية وقال
حديث حسن صحيح خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ما لعبدي
المومن عندي جزا اذا قبضت صفيه من اهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة عن سعيد بن ابي وقاص قال

قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلآ قال الانبيا ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان
في دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة هون عليه فما يبرح بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما
عليه خطيئة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل **ان الصفا والمروة من شعاير الله**
الصفا جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة الملسا وقيل هي الحجارة الصافية والمروة الحجر الرخو وجمعها
مرو ومروات وهذا اصلهما في اللغة وانما عنى الله بهما الجبلين المعروفين بمكة في طرفي المسعى وكذلك
ادخل فيهما الالف واللام وشعاير الله اعلام دينه واصلها من الاشعار وهو الاعلام واحدتها
شعيرة وكلما كان معلما للقربان يتقرب به الى الله من صلاة ودعا وذبيحة فهو شعيرة من شعاير
الله ومشاعر الحج معالمه الظاهرة للحواس ويقال شعاير الحج فالمطاف والموقف والمنحر كلها شعاير
والمراد بالشعاير هنا المناسك التي جعلها الله اعلاما لطاعته فالصفا والمروة منها حيث يسعى
بينهما **فمن حج البيت** اي قصد البيت هذا اصله في اللغة وفي الشرع عبارة عن افعال مخصوصة لاقامة
المناسك **او اعتمر** اي زار البيت والعمرة الزيارة ففي الحج والعمرة المشروعين قصد وزيارة **فلا جناح عليه**
اي فلا اثم عليه واصله من جنح اذا مال عن القصد المستقيم **ان يطوف بهما** اي يدور بهما ويسعى بينهما
وسبب نزول هذه الاية انه كان على الصفا والمروة صنمان يقال لهما اساف ونايلة فكان اساف على
الصفا ونايلة على المروة وكان اهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين فلما جا
الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون عن السعي بين الصفا والمروة فانزل الله هذه الاية واذن في
السعي بينهما واخبر انه من شعاير الله **ق** عن عاصم بن سليمان الاحول قال قلت لانس اكنتم تكرهون
السعي بين الصفا والمروة فقال نعم لانها كانت من شعاير الجاهلية حتى انزل الله تعالى ان الصفا
والمروة من شعاير الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما وفي رواية قال كانت الانصار
يكرهون ان يطوفوا بين الصفا والمروة حتى نزلت ان الصفا والمروة من شعاير الله **فصل**
اختلف العلما في حكم السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة فذهب جماعة الى وجوبه وهو قول ابن عمر
وجابر وعايشة وبه قال الحسن واليه ذهب مالك والشافعي وذهب قوم الى انه تطوع وهو قول ابن
عباس وبه قال ابن سيرين وذهب الثوري وابو حنيفة الى انه ليس بركن وعلى من تركه دم وروي عن ابن
الزبير ومجاهد وعطا ان من تركه فلا شي عليه واختلفت الرواية عن احمد في ذلك فروي عنه ان من ترك
السعي بين الصفا والمروة لم يجزه حجه وروي عنه انه لا شي في تركه عمدا ولا سهوا ولا ينبغي ان يتركه ونقل
الجمهور عنه انه تطوع وسبب هذا الاختلاف ان قوله تعالى فلا جناح عليه يصدق عليه انه لا اثم في فعله
فدخل تحته الواجب والمندوب والمباح فظاهر هذه الاية لا يدل على ان السعي بين الصفا والمروة
واجب وليس بواجب لان اللفظ الدال على القدر المشترك بين الاقسام الثلاثة لا دلالة فيه على
خصوصية احدها فاذا لا بد من دليل خارج يدل على ان السعي واجب وغير واجب فحجة الشافعي ومن
وافقه في ان السعي بين الصفا والمروة ركن من اركان الحج والعمرة ما روى الشافعي بسنده عن صفية
بنت شيبة قالت اخبرتني بنت ابي تجراه واسمها حبيبة احدى نسا بني عبد الدار قالت دخلت مع نسوة
من قريش دار ال ابي حسين ننظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرايته
يسعى وان مئزره ليدور من شدة السعي حتى لا اقول اني ارى ركبته وسمعته يقول اسعوا فان الله كتب
عليكم السعي وصححه الدارقطني **ق** عن عروة بن الزبير قال قلت لعايشة زوج النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم ارايت قول الله تعالى ان الصفا والمروة من شعاير الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف
بهما فما ارى على احد شيا ان لا يطوف بهما فقالت عايشة كلا لو كان كما تقول كانت فلا جناح عليه الا يطوف
بهما انما انزلت هذه الاية في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون ان
يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جا الاسلام سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى
ان الصفا والمروة من شعاير الله الاية **م** عن جابر في حديثه الطويل في صفة حجة الوداع قال ثم خرج
من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرا ان الصفا والمروة من شعاير الله ابدا بما بدا الله به فبدا
بالصفا الحديث فاذا ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم سعى وجب علينا السعي لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله
عليه السلام خذوا عني مناسككم والامر للوجوب ومن القياس ان السعي اشواط شرعت في بقعة
من بقاع الحرم ويوتى به في احرام كامل فكان ركنا كطواف الزيارة واحتج ابو حنيفة ومن لا يرى وجوب
السعي بقوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما وهذا لا يقال في الواجبات ثم انه تعالى اكد ذلك بقوله
ومن تطوع خيرا فبين انه تطوع وليس بواجب واجيب عن الاول بانه قوله تعالى فلا جناح عليه ليس
فيه الا انه لا اثم على فاعله وهذا القدر مشترك بين الواجب وغيره كما تقدم بيانه فلا يكون فيه دلالة
على نفي الوجوب وعن الثاني وهو التمسك بقوله ومن تطوع خيرا فضعيف لان هذا لا يقتضي ان
يكون المراد من هذا التطوع هو الطواف المذكور اولا بل يجوز ان يكون المقصود منه شيا اخر يدل على
ذلك قول الحسن ان المراد بقوله ومن تطوع خيرا جميع الطاعات في الدين يعني فعل فعلا زايدا على
ما افترض عليه من صلاة وصدقة وصيام وحج وعمرة وطواف وغير ذلك من انواع الطاعات وقال
مجاهد ومن تطوع خيرا بالطواف بهما وهذا على قول من لا يرى الطواف بهما فرضا وقيل معناه ومن تطوع
خيرا فزاد في الطواف بعد الواجب والقول الاول اولى للعموم **فان الله شاكر** اي مجاز على الطاعة **عليم**
اي بنيته وحقيقة الشاكر في اللغة هو المظهر للانعام عليه والشكر هو تصور النعمة واظهارها والله تعالى
لا يوصف بذلك لانه لا تلحقه المنافع والمضار فالشاكر في صفة الله تعالى مجاز فاذا وصف به اريد به انه
المجازي على الطاعة بالثواب الا ان اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد مظاهرة في الاحسان اليهم قوله
تعالى **ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى** نزلت في علما اليهود الذين كتموا صفة محمد
صلى الله عليه وسلم واية الرجم وغيرها من الاحكام التي كانت في التوراة وقيل ان الاية على العموم فيمن كتم
شيا من امر الدين لان اللفظ عام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن قال بالقول الاول
وانها في اليهود قال ان الكتم لا يصح الا منهم لانهم كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الكتمان ترك
اظهار الشي مع الحاجة الى بيانه واظهاره فمن كتم شيا من امر الدين فقد عظمت مصيبته **ق** عن ابي
هريرة قال لولا ايتان انزلهما الله في كتابه ما حدثت شيا ابدا ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات
والهدى الى اخر الايتين وهل اظهار علوم الدين فرض كفاية او فرض عين فيه خلاف والاصح انه اذا اظهره
البعض بحيث يتمكن كل احد من الوصول اليه لم يبق مكتوما وقيل متى سيل العالم عن شي يعلمه من امر الدين
يجب عليه اظهاره والا فلا **من بعد ما بيناه للناس في الكتاب** يعني في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه
وسلم فعلى هذا يكون المراد بالناس علما بني اسرائيل ومن قال ان المراد بالكتاب جميع ما انزل الله على
انبيايه من الاحكام قال المراد بالناس اهل الكافة **اولئك** يعني الذين يكتمون ما انزل الله من البينات
والهدى **يلعنهم الله** اي يبعدهم الله من رحمته واصل اللعن في اللغة الطرد والابعاد **ويلعنهم**

اللاعنون قال ابن عباس جميع الخلايق الا الجن والانس وذلك ان البهايم تقول انما منعنا القطر بمعاصي بني ادم وقيل اللاعنون هم الجن والانس لانه وصفهم بوصف من يعقل وقيل ما تلاعن اثنان من المسلمين الا رجعت الى اليهود والنصارى الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم استثنى فقال تعالى **الا الذين تابوا** اي ندموا على ما فعلوا ورجعوا عن الكفر الى الاسلام **واصلحوا** يعني الاعمال فيما بينهم وبين الله تعالى **وبينوا** يعني ما كتموا من العلم **فاولئك اتوب عليهم** اي اتجاوز عنهم واقبل توبتهم **وانا التواب** اي المتجاوز عن عبادي الرجاع بقلوبهم المنصرفة عني الي **الرحيم** يعني بهم بعد اقبالهم علي قوله عز وجل **ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملئكة والناس اجمعين** قيل هذا اللعن يكون يوم القيمة يوتى بالكافر فيوقف فيلعنه الله ثم تلعنه الملئكة ثم تلعنه الناس اجمعون فان قلت الكافر لا يلعن نفسه ولا يلعنه اهل دينه وملته فما معنى قوله والناس اجمعين قلت فيه اوجه احدها انه اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المومنون الثاني ان الكفار يلعن بعضهم بعضا يوم القيمة الثالث انهم يلعنون الظالمين والكفار من الظالمين فيكون قد لعن نفسه **خالدين فيها** اي مقيمين في اللعنة وقيل في النار وانما اضمرت لعظم شانها **لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون** اي لا يمهلون ولا يوجلون وقيل لا ينتظرون ليعتذروا وقيل لا ينظرون اليهم نظر رحمة **فصل**

فيما يتعلق بهذه الاية من الحكم قال العلما لا يجوز لعن كافر معين لان حاله عند الوفاة لا تعلم فلعله يموت على الاسلام وقد شرط الله تعالى في هذه الاية اطلاق اللعنة على من مات على الكفر ويجوز لعن الكفار بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وذهب بعضهم الى جواز لعن انسان معين من الكفار بدليل جواز قتاله واما العصاة من المومنين فلا يجوز لعنة احد منهم على التعيين واما على الاطلاق فيجوز لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة والحبل فتقطع يده ولعن رسول الله الواشمة والمستوشمة واكل الربا وموكله ولعن من غير منار الارض ومن انتسب لغير ابيه وكل هذه في الصحيح قوله تعالى **والهكم اله واحد** سبب نزول هذه الاية ان كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فانزل الله هذه الاية وسورة الاخلاص ومعنى الواحد الانفراد وحقيقة الواحد هو الشي الذي لا يتبعض ولا ينقسم والواحد في صفة الله انه واحد لا نظير له وليس كمثله شي وقيل في الهيته وربوبيته ليس له شريك لان المشركين اشركوا معه الالهة فكذبهم الله بقوله والهكم اله واحد يعني لا شريك له في الالهية ولا نظير له في الربوبية والتوحيد هو نفي الشريك والقسيم والتشبيه فالله تعالى واحد في افعاله لا شريك له يشاركه في مصنوعاته وواحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا يشبهه شي من خلقه **لا اله الا هو** تقرير للوحدانية بنفي غيره من الالوهية واثباتها له سبحانه وتعالى **الرحمن الرحيم** يعني انه المولى لجميع النعم اصولها وفروعها فلا شي سواه بهذه الصفة لان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه وهو المنعم على خلقه الرحيم بهم عن اسما بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الاعظم في هاتين الايتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث صحيح وقيل لما نزلت هذه الاية قال المشركون ان محمدا يقول الهكم اله واحد فليا تنا باية ان كان صادقا فانزل الله ان في خلق السموات والارض وعلمهم كيفية الاستدلال على وحدانية الصانع وردهم الى التفكر في

اياته

اياته والنظر في عجايب مصنوعاته واتقان افعاله ففي ذلك دليل على وحدانيته اذ لو كان في الوجود صانعان لهذه الافعال لاستحال اتفاقهما على امر واحد ولامتنع في افعالهما التساوي في صفة الكمال فثبت بذلك ان خالق هذا العالم والمدبر له واحد قادر مختار فبين سبحانه وتعالى من عجايب مخلوقاته ثمانية انواع اولها قوله **ان في خلق السموات والارض** وانما جمع السموات لانها اجناس مختلفة كل سما من جنس غير جنس الاخرى ووحد الارض لانها جنس واحد وهو التراب والاية في السما سمكها وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والاية في الارض مدها وبسطها على الما وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والانهار والاشجار والثمار والنبات النوع الثاني قوله تعالى **واختلاف الليل والنهار** اي تعاقبهما في المجي والذهاب وقيل اختلافهما في الطول والقصر والزيادة والنقصان والنور والظلمة وانما قدم الليل على النهار لان الظلمة اقدم والاية في الليل والنهار ان انتظام احوال العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة يكون في النهار وطلب النوم والراحة يكون في الليل فاختلاف الليل والنهار انما هو لتحصيل مصالح العباد النوع الثالث قوله **والفلك التي تجري في البحر** اي السفن واحده وجمعه سوا وسمي البحر بحرا لاتساعه وانبساطه والاية في الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الما وهي موقرة بالاثقال والرجال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة وتسخير البحر لحمل الفلك مع قوة سلطان الما وهيجان البحر فلا يجري بها الا الله تعالى النوع الرابع قوله تعالى **بما ينفع الناس** يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات لطلب الارباح والاية في ذلك ان الله تعالى لو لم يقو قلوب من يركب هذه السفن لما تم الغرض في تجاراتهم ومنافعهم وايضا فان الله تعالى خص كل قطر من اقطار العالم بشي معين واحوج الكل الى الكل فصار ذلك سببا يدعوهم الى اقتحام الاخطار في الاسفار من ركوب السفن وخوض البحر وغير ذلك فالحامل ينتفع لانه يربح والمحمول اليه ينتفع بما حمل اليه النوع الخامس قوله **وما انزل الله من السما من ماء** يعني المطر قيل اراد بالسما السحاب سمي سما لان كل ما علاك فاظلك فهو سما خلق الله الما في السحاب ومنه ينزل الى الارض وقيل اراد السما بعينها خلق الله الما في السما ومنه ينزل الى السحاب ثم منه الى الارض **فاحيا به** اي بالما **الارض بعد موتها** اي بعد يبسها وجدوبها سماه موتا مجازا لانها اذا لم تنبت شيا ولم يصبها المطر فهي كالميتة والاية في انزال المطر واحيا الارض به ان الله تعالى جعله سببا لحياة الجميع من حيوان ونبات ونزوله عند وقت الحاجة اليه بمقدار المنفعة وعند الاستسقا والدعا وانزاله بمكان دون مكان النوع السادس قوله تعالى **وبث** اي فرق **فيها** اي في الارض **من كل دابة** قال ابن عباس يريد كل ما دب على وجه الارض من جميع الخلق وغيرهم والاية في ذلك ان جنس الانسان يرجعون الى اصل واحد وهو ادم ثم ما فيهم من الاختلاف في الصور والاشكال والالوان والالسنة والطبايع والاخلاق والاوصاف الى غير ذلك ثم يقاس على بني ادم ساير الحيوان النوع السابع قوله **وتصريف الرياح** يعني في مهابها قبولا ودبورا وشمالا وجنوبا ونكبا وهي الريح التي تاتي من غير مهب صحيح فكل ريح تختلف مهابها تسمى نكبا وقيل تصريفها في احوال مهابها لينة وعاصفة وحارة وباردة وسميت ريحا لانها تريح قال ابن عباس اعظم جنود الله الريح وقيل ما هبت ريح الا لشفا سقيم او ضده وقيل البشارة في ثلاث رياح الصبا والشمال والجنوب والدبور هي الريح العقيم التي اهلكت بها عاد فلا بشارة فيها والاية في الريح انها جسم لطيف لا يمسك ولا يرى وهي مع ذلك في غاية القوة تقلع الشجر والصخر وتخرب البنيان العظيم وهي مع ذلك حياة الوجود فلو امسكت طرفة عين لمات كل ذي روح ولنتن ما على وجه الارض النوع الثامن قوله **والسحاب المسخر بين السما والارض** اي الغيم المذلل سمي سحابا لسرعة سيره كانه يسحب

والاية في ذلك ان السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الاودية العظيمة يبقى معلقا بين السما
والارض ففي هذه الانواع الثمانية المذكورة في هذه الاية دلالة عظيمة على وجود الصانع القادر المختار وانه
الواحد في ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد من قوله والهكم اله واحد لا اله الا هو وقوله لايات اي فيما ذكر
من دلايل مصنوعاته الدالة على وحدانيته قيل انما جمع ايات لان في كل واحدة مما ذكر من هذه الانواع ايات
كثيرة يدل على ان لها خالقا مدبرا مختارا **لقوم يعقلون** اي ينظرون بعين عقولهم ويتفكرون بقلوبهم
فيعلمون ان لهذه الاشيا خالقا ومدبرا مختارا وصانعا قادرا على ما يريد قوله عز وجل **ومن الناس**
يعني المشركين **من يتخذ من دون الله اندادا** يعني اصناما يعبدونها والند المثل والمنازع فعلى هذا الاصنام
انداد بعضها لبعض وليست اندادا لله تعالى الله ان يكون له ند وله مثل منازع وقيل الانداد الاكفا
من الرجال وهم رؤساؤهم وكبراؤهم الذين يطيعونهم في معصية الله **يحبونهم** اي يودونهم ويميلون
اليهم والحب نقيض البغض واحببت فلانا اي جعلت قلبي معرضا بان يحبه والمحبة الارادة **كحب الله** اي كحب
المومنين الله والمعنى يحبون الاصنام كما يحب المومنون ربهم عز وجل وقيل معناه يحبونهم كحبهم الله فيكون
المعنى انهم يسوون بين الاصنام وبين الله في المحبة فمن قال بالقول الاول لم يثبت للكفار محبة لله تعالى
ومن قال بالقول الثاني اثبت للكفار محبة لله لكن جعلوا الاصنام شركا له في الحب **والذين امنوا اشد
حبا لله** اي اثبت وادوم على محبته لانهم لا يختارون مع الله سواه والمشركون اذا اتخذوا صنما ثم راوا اخر
احسن منه طرحوا الاول واختاروا الثاني وقيل ان الكفار يعدلون عن اصنامهم في الشدايد ويقبلون الى
الله تعالى كما اخبر عنهم فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمومنون لا يعدلون عن الله
تعالى في السرا ولا في الضرا ولا في الشدة ولا في الرخا وقيل ان المومنين يوحدون ربهم والكفار يعبدون
اصناما كثيرة فتنقص المحبة لصنم واحد وقيل انما قال والذين امنوا اشد حبا لله لان الله احبهم اولا ثم احبوه
ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته اتم وسياتي بسط الكلام في معنى المحبة عند قوله يحبهم ويحبونه
ولو يرى الذين ظلموا قرى بالتا والمعنى ولو ترى يا محمد الذين ظلموا يعني اشركوا في شدة العذاب لرايت امرا
عظيما وقرى باليا ومعناه ولو يرى الذين ظلموا انفسهم عند روية العذاب حين يقذف بهم في النار لعرفوا
مضرة الكفر وان ما اتخذوه من الاصنام لا ينفعهم **اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا** معناه لو راى
الذين كانوا يشركون في الدنيا عذاب الاخرة لعلموا حين يرون العذاب ان القوة ثابتة لله جميعا والمعنى
انهم شاهدوا من قدرة الله تعالى ما تيقنوا معه ان القوة له جميعا وان الامر ليس على ما كانوا عليه من
الشرك والجحود **وان الله شديد العذاب** قوله تعالى **اذ تبرا** اي تنزه وتباعد **الذين اتبعوا من الذين
اتبعوا وراوا العذاب** اي القادة من مشركي الانس من الاتباع وذلك يوم القيامة حين يجمع القادة والاتباع
فيتبرا بعضهم من بعض عند نزول العذاب بهم وعجزهم عن دفعه عن انفسهم فكيف عن غيرهم وقيل
هم الشياطين يتبرون من الانس والقول هو الاول **وتقطعت بهم الاسباب** يعني الوصلات
التي كانت بينهم يعلونها في الدنيا وقيل العهود والحلف التي كانت بينهم اي بينهم يتوادون عليها واصل
السبب في اللغة الحبل الذي يصعد به النخل وهي كل ما يتوصل به الى الشي من ذريعة وقرابة او
مودة سببا تشبيها بالحبل الذي يصعد به **وقال الذين اتبعوا** يعني الاتباع **لو ان لنا كرة**
اي رجعة الى الدنيا **فنتبرا منهم** اي من المتبوعين **كما تبروا منا** اليوم **كذلك يريهم الله** اي كما
اراهم العذاب يريهم الله **اعمالهم حسرات عليهم** لانهم ايقنوا بالهلاك والحسرة الغم على ما فاته

وشدة

وشدة الندم عليه كانه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه والمعنى ان الله تعالى يريهم السيات
التي عملوها وارتكبوها في الدنيا فيتحسرون لم عملوها وقيل يريهم ما تركوا من الحسنات فيندمون على
تضييعها وقيل ترفع لهم منازلهم من الجنة فيقال لهم تلك مساكنكم لو اطعتم الله ثم يقسم بين المومنين
فذلك حين يتحسرون ويندمون على ما فاتهم ولا ينفعهم الندم **وما هم بخارجين من النار** قوله
عز وجل **يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا** نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة
وبني مدلج فيما حرموا على انفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسايبة والوصيلة والحام والحلال المباح
الذي احله الشرع وانحلت عقدة الحظر عنه واصله من الحل الذي هو نقيض العقد والطيب ما يستلذ
والمسلم لا يستطيب الا الحلال ويعاف الحرام وقيل الطيب هو الطاهر لان النجس تكرهه النفس
وتعافه **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** اي لا تسلكوا سبيله وقيل معناه لا تتبعوا اثاره ولا تتبعوا
اثاره وزلاته والمعنى احذروا ان تتعدوا ما احل لكم الى ما يدعوكم اليه الشيطان قيل هي النذور في المعاصي
وقيل هي المحقرات من الذنوب ثم بين علة هذا التحذير بقوله تعالى **انه لكم عدو مبين** اي ظاهر العداوة
وقد اظهر الله عداوته باباية السجود لادم ثم بين عداوته ما هي فقال تعالى **انما يامركم بالسو** يعني
بالاثم والسو ما يسو صاحبه ويحزنه **والفحشا** يعني المعاصي وما قبح من قول وفعل قال
ابن عباس السو ما لا حد فيه والفحشا ما يجب فيه الحد وقيل معناه الفحشا الزنا وقيل هي
البخل **وان تقولوا على الله ما لا تعلمون** يعني من تحريم الحرث والانعام وقيل هو ذلك جميع
المذاهب الفاسدة التي لم ياذن فيها الله ولم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان امر
الشيطان ووسوسته عبارة عن هذه الخواطر التي يجدها الانسان في قلبه وماهية هذه
الخواطر حروف واصوات منتظمة خفية تشبه الكلام في الخارج ثم ان فاعل هذه الخواطر
هو الله تعالى والمحدث لها في باطن الانسان وانما الشيطان كالعرض والله هو المقدر له على
ذلك وقد ورد في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم
وانما قدر على ذلك لايصاله هذه الخواطر الى باطن الانسان قوله تعالى **واذا قيل لهم اتبعوا
ما انزل الله** هذه قصة مستانفة والضمير في لهم على غير مذكور قال ابن عباس دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع ما الفينا
عليه اباءنا فهم كانوا خيرا منا واعلم منا فانزل الله هذه الاية وقيل ان الاية متصلة بما قبلها
والضمير في لهم يعود على قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وهم مشركوا العرب قالوا
بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا يعني من عبادة الاصنام وقيل بل الضمير في لهم يعود على قوله
يا ايها الناس كلوا والمعنى اذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله يعني في تحليل ما حرموا على انفسهم
قالوا بل نتبع ما الفينا يعني وجدنا **عليه اباءنا** يعني من التحريم والتحليل قال الله تعالى
اولو كان اباؤهم يعني الذين يتبعونهم **لا يعقلون شيا** يعني لا يعلمون شيا من امر الدين
لفظه عام ومعناه خاص وذلك انهم كانوا يعقلون امر الدنيا **ولا يهتدون** اي الى الصواب
ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى **ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعا
ونداء** النعيق صوت الراعي بالغنم ولا يقال نعق الا للراعي بالغنم وحدها ومعنى الاية ومثلك
يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم الى الله كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي لا تسمع الا صوتا

فصار الداعي الى الله وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الراعي وصار الكفار بمنزلة الغنم
المنعوق بها ووجه المثل ان الغنم تسمع الصوت ولا تفطن للمراد وكذلك الكفار يسمعون صوت
الرسول صلى الله عليه وسلم ولا تفطن للمراد وكذلك الكفار يسمعون صوت الرسول صلى الله
عليه وسلم ولكن لا ينتفعون به وقيل معناه ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله
ورسوله كمثل المنعوق به من البهايم التي لا تفهم من الامر والنهي الا الصوت فيكون المعنى بالمثل
المنعوق به من البهايم التي لا تفهم من الامر والنهي الا الصوت فيكون المعنى بالمثل المنعوق به
خارج عن الناعق وقيل معناه ومثل الذين كفروا في دعايهم الاصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل
الناعق بالغنم فهو لا ينتفع من نعيقه بشي غير انه عيا من الدعا والندا فكذلك الكافر ليس له من
دعا الاصنام وعبادتها الا العنا والبلا والفرق بين هذا القول والقول الذي قبله ان
المحذوف هنا مثل المدعو وهي الاصنام وفي القول الاول المحذوف هو الداعي وهو الرسول صلى
الله عليه وسلم **صم بكم عمي** لما شبههم بالبهايم زاد في تبكيتهم فقال صم لانهم اذا لا يسمع بناله
لمن لا يسمع ولا يعقل كانه اصم ابكم او عن النطق بالخير عمي اي عن طريق الهدى **فهم لا يعقلون** قيل المراد
به العقل الكسبي لان العقل الطبعي كان حاصل فيهم قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا كلوا من
طيبات ما رزقناكم** قيل ان الامر في قوله كلوا قد يكون للوجوب كالاكل لحفظ النفس ورفع
الضرر عنها وقد يكون للندب كالاكل مع الضيف وقد يكون للاباحة اذا خلا من هذه العوارض
والطيب هو الحلال **م عن** ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب وان الله امر المومنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها
الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يده الى السما يا رب يا رب ومطعمه
حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فاني يستجاب لذلك قوله اشعث اغبر هو
البعيد العهد بالدهن والغسل والنظافة وقيل الطيب المستلذ من الطعام فلعل قوما
تنزهوا عن اكل المستلذ من المطاعم فاباح الله لهم ذلك **واشكروا لله** يعني على نعمه
ان كنتم اياه تعبدون اي اشكروا الله الذي رزقكم هذه النعم ان كنتم تخصونه بالعبادة
وتقرون انه الهكم لا غيره وقيل ان كنتم عارفين بالله وبنعمه فاشكروه عليها قوله تعالى
انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير لما امرنا الله تعالى في الاية التي تقدمت باكل الطيبات
التي هي الحلالات بين في هذه الاية انواعا من المحرمات اما الميتة فكل ما فارقته الروح
من غير ذكاة مما يذبح واما الدم فهو الجاري وكانت العرب تجعل الدم في المصارين ثم تشويه
وتاكله فحرم الله الدم واما الخنزير فانه اراد بلحمه جميع اجزايه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود
لذاته بالاكل **وما اهل به لغير الله** يعني وما ذبح للاصنام والطواغيت واصل الاهلال رفع
الصوت وذلك انهم كانوا يرفعون اصواتهم بذكر الهتهم اذا ذبحوا لها فجرى ذلك من امرهم
وحالهم حتى قيل لكل ذابح مهل وان لم يجهر بالتسمية **فمن اضطر** يعني الى اكل الميتة واحوج
اليها **غير باغ** اصل البغي الفساد **ولا عاد** اصله من العدوان وهو الظلم ومجاوزة الحد
فلا اثم عليه اي فاكل فلا اثم عليه اي فلا حرج في اكلها **ان الله غفور رحيم** اي لمن اكله

في حال الضرورة **رحيم** يعني حيث رخص لعباده في ذلك **فصل في حكم الاية**
وفيه مسايل الاولى في حكم الميتة اجمعت الامة على تحريم اكل الميتة وانها نجسة واستثنا الشرع
منها السمك والجراد اما السمك فلقوله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماوه الحل ميتته
اخرجه الجماعة غير البخاري ومسلم قال الترمذي فيه حديث حسن صحيح واما الجراد فلما روي
عن ابن ابي اوفى قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات او ستا وكنا ناكل الجراد
ونحن معه اخرجاه في الصحيحين واختلف في السمك الميت الطافي على الماء فقال مالك والشافعي
لا باس به وقال ابو حنيفة واصحابه والحسن بن صالح بن حي انه مكروه وروي عن علي بن ابي طالب انه قال
ما طفا من صيد البحر فلا تاكله وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله مثله وروي عن ابي بكر الصديق وابي
ايوب اباحته واختلف في الجراد فقال الشافعي وابو حنيفة لا باس باكل الجراد كله ما اخذته وما وجدته
ميتا وروي مالك ان ما وجد ميتا فلا يحل وما اخذ حيا يذكى ذكاة مثله بان يقطع راسه ويشوى
فان غفل عنه حتى يموت فلا يحل **المسيلة** الثانية في حكم الدم اتفق العلما على ان الدم حرام نجس
لا يوكل ولا ينتفع به قال الشافعي يحرم جميع الدما سوا كان مسفوحا او غير مسفوح وقال ابو
حنيفة دم السمك ليس بحرام وقال لانه اذا يبس ابيض واستثنى الشارع من الدم الكبد والطحال
وروى الدارقطني عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال احل لنا من الدم دمان ومن الميتة ميتتان الحوت والجراد ومن الدم الكبد
والطحال وفي لفظ احلت لنا ميتتان ودمان فاما الميتتان فالجراد والحوت **واما** الدمان
فالطحال والكبد واخرجه ابن ماجة واحمد بن حنبل قال احمد وعلي بن المديني عبد الرحمن بن زيد ضعيف
واخوه عبد الله بن زيد قوي ثقة وقد اخرج الدارقطني هذا الحديث من رواية عبد الله بن زيد
عن ابيه عن ابن عمر مرفوعا وضعف ابو بكر بن العربي هذا الحديث وقال يروى عن ابن عمر بما يصح
سنده **وقال** البيهقي يروى هذا الحديث عن ابن عمر موقوفا ومرفوعا والصحيح الموقوف
واختلف في تخصيص هذا العموم في الكبد والطحال فقال مالك لا تخصيص لان الكبد والطحال
لحم ويشهد لذلك العيان الذي لا يفتقر الى برهان وقال الشافعي هما دمان ويشهد له الحديث
فهو مخصص من العموم **المسيلة** الثالثة في الخنزير اجمعت الامة على ان الخنزير بجميع اجزايه
محرم وانما ذكر الله تعالى لحمه لان معظم الانتفاع متعلق به ثم اختلفوا في نجاسته فقال الجمهور
العلما انه نجس وقال مالك انه طاهر وكذا كل حيوان عنده لان علة الطهارة هي الحياة وللشافعي
قولان في ولوغ الخنزير الجديد انه كالكلب والقديم يكفي في ولوغه غسلة واحدة والفرق بينهما ان
التغليظ في الكلب لان العرب كانت تالفه بخلاف الخنزير وقيل ان التغليظ في الكلب تعبد لا يعقل
معناه فلا يتعدى الى غيره **المسيلة** الرابعة في حكم قوله وما اهل به لغير الله من الناس من زعم
ان المراد بذلك ذبايح عبدة الاوثان الذين كانوا يذبحونه لاصنامهم واجاز ذبيحة النصارى
اذا سمي عليها باسم المسيح وهو مذهب عطا ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب لعموم
قوله وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم **وقال** مالك والشافعي وابو حنيفة لا يحل ذلك والحجة
فيه انهم اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد اهلوا به لغير الله فوجب ان يحرم وروي عن علي بن ابي طالب
انه قال اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تاكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا فان الله

قد لحق بأبيهم ونحو ذلك مما يقولون **المسئلة** الخامسة في حكم المضطر المضطر هو المكلف بالشيء الملجأ إليه المكره عليه والمراد بالمضطر في قوله فمن اضطر أي خاف التلف حتى قيل من اضطر إلى أكل الميتة فلم يأكل منها حتى مات دخل النار والمضطر على ثلاثة أقسام إما بإكراه أو بجوع في مخمصة أو بفقر لا يجد شيئا البتة فإن التحريم يرتفع مع وجود هذه الأقسام بحكم الاستثناء في قوله فلا إثم عليه وتباح له الميتة فأما الإكراه فيبيح ذلك إلى زوال الإكراه وأما المخمصة فلا تخلو أن تكون دائمة فلا خلاف في جواز الشبع منها وإن كانت نادرة فاختلف العلماء فيه والشافعي في قول أن أحدهما أنه يأكل ما يسد به الرمق وبه قال أبو حنيفة والثاني يأكل قدر الشبع وبه قال مالك **المسئلة** السادسة في قوله غير باغ ولا عاد قال ابن عباس يعني غير باغ غير خارج على السلطان ولا عاد أي متعد يعني العاصي بسفره بأن يخرج لقطع الطريق أو أبق من مولاه فلا يجوز للعاصي بسفره أن يأكل من الميتة إذا اضطر إليها ولا يترخص برخص المسافرين حتى يتوب وبه قال الشافعي لأن إباحة الميتة له إعانة له على فساده وذهب قوم إلى أن البغي والعدوان يرجعان إلى الأكل وبه قال أبو حنيفة وأباح أكل الميتة للمضطر وإن كان عاصيا وقيل في معنى قوله غير باغ أي غير طالب الميتة وهو يجد غيرها ولا عاد أي غير متعد ما حد له وقيل غير مستحل لها ولا متزود منها والله أعلم قوله عز وجل **إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب** نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم وذلك أنهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو من غيرهم خافوا على ذهاب مأكلهم وزوال رياستهم فعمدوا إلى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتموها فأنزل الله إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب أي الكتاب من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعته ووقت نبوته هذا قول المفسرين قال الإمام فخر الدين الرازي وعند المتكلمين هذا ممتنع لأن التوراة والإنجيل قد بلغا من الشهرة والتواتر إلى حيث يتعذر ذلك فيهما بل كانوا يكتمون التأويل لأنه قد كان منهم من يعرف الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا يذكرون لها تأويلا باطلة ويصرفونها عن محاملها الصحيحة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهذا هو المراد بالكتمان فيصير المعنى أن الذين يكتمون معاني ما أنزل الله من الكتاب **ويشترون به** أي بالكتمان وقيل يعود الضمير إلى ما أنزل الله من الكتاب **ثمنا قليلا** أي عوضا يسيرا وهي المآكل التي كانوا يأخذونها من سفلتهم **أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار** يعني ما يؤديهم إلى النار وهو الرشى والحرام فلما كان يفضي ذلك بهم إلى النار فكأنهم أكلوها **ولا يكلمهم الله** أي كلام رحمة وما يسرهم بل يكلمهم بالتوبيخ وهو قوله اخسئوا فيها وقيل أراد به الغضب يقال فلان لا يكلم فلانا إذا غضب عليه **ولا يزكيهم** أي ولا يطهرهم من دنس الذنوب **ولهم عذاب أليم** أي وجيع يصل ألمه إلى قلوبهم **أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة** معناه أنهم اختاروا الضلالة على الهدى واختاروا العذاب على المغفرة لأنهم كانوا عالمين بالحق ولكن كتموه وأخفوه وكانوا في إظهاره الهدى والمغفرة وفي كتمانه الضلالة والعذاب فلما أقدموا على إخفاء الحق وكتمانه كانوا بائعين الهدى بالضلالة والمغفرة بالعذاب **فما أصبرهم على النار** أي ما الذي أصبرهم وأي شيء جرأهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل فهو استفهام بمعنى التوبيخ وقيل إنه بمعنى التعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم فلما أقدموا على ما يوجب النار مع علمهم بذلك صاروا كالراضين بالعذاب

والقاهرين

والقاهرين عليه تعجب من حالهم بقوله فما أصبرهم على النار **ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق** يعني ذلك العذاب بسبب أن الله نزل الكتاب بالحق فكفروا به وأنكروه وقيل معناه فعلنا بهم ذلك لأن الله نزل الكتاب فحرفوه فعلى هذا يكون المراد بالكتاب التوراة **وإن الذين اختلفوا في الكتاب** يعني اختلفوا في معانيه وتأويله فحرفوها وبدلوها وقيل آمنوا ببعض وكفروا ببعض **لفي شقاق** أي خلاف ومنازعة **بعيد** يعني عن الحق قوله عز وجل **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب** هذا خطاب لأهل الكتاب لأن النصارى تصلي قبل المشرق واليهود قبل المغرب إلى بيت المقدس وزعم كل طائفة منهم أن البر في ذلك فأخبر الله تعالى أن البر ليس فيما زعموا ولكن فيما بينه في هذه الآية وقال ابن عباس هو خطاب للمؤمنين وذلك أن الرجل كان في ابتداء الإسلام إذا أتى بالشهادتين وصلى إلى أي جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرائض وصرفت القبلة إلى الكعبة أنزل الله هذه الآية فقال تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم أي في صلاتكم قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا ذلك **ولكن البر** يعني ما بينته لكم والبر اسم جامع لكل الطاعات وأعمال الخير المقربة إلى الله الموجبة للثواب المؤدية إلى الجنة ثم بين خصال البر فقال تعالى **من آمن بالله واليوم الآخر** أي ولكن البر من آمن بالله فالمراد بالبر هنا الإيمان بالله والتقوى من آمن بالله واليوم الآخر وإنما ذكر الإيمان باليوم الآخر لأن عبدة الأوثان كانوا ينكرون البعث بعد الموت **والملائكة** أي ومن البر الإيمان بالملائكة كلهم لأن اليهود قالوا إن جبريل عدونا **والكتاب** قيل أراد به القرآن وقيل جميع الكتب المنزلة لسياق ما بعده وهو قوله **والنبيين** يعني أجمع وإنما خص الإيمان بهذه الأمور الخمسة لأنه يدخل تحت كل واحد منها أشياء كثيرة مما يلزم المؤمن أن يصدق بها **وآتى المال على حبه** يعني من أعمال البر إيتاء المال على حبه قيل إن الضمير راجع إلى المال فالتقدير على هذا وآتى المال على حب المال **ق** وعن أبي هريرة قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجرا قال أن تصدق وأنت شحيح صحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان قوله حتى إذا بلغت الحلقوم يعني الروح وإن لم يتقدم لها ذكر وقوله لفلان كذا هو كناية عن الموصى له وقوله وقد كان لفلان كناية عن الوارث وقيل الضمير في حبه راجع على الله أي وآتى المال على حب الله وطلب مرضاته **ذوي القربى** يعني أهل قرابة المعطي وإنما قدمهم لأنهم أحق بالإعطاء عن سلمان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة أخرجه النسائي **ق** أن ميمونة أعتقت وليدة ولم تستأذن النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت أشعرت يا رسول الله أني أعتقت وليدتي قال أوفعلت قالت نعم قال أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك الوليدة الجارية **واليتامى** اليتيم هو الذي لا أب له مع الصغر وقيل يقع على الصغير والبالغ أي وآتى الفقراء من اليتامى **والمساكين** جمع المسكين سمي بذلك لأنه دائم السكون إلى الناس لأنه لا شيء له **وابن السبيل** يعني المسافر المنقطع عن أهله سمي المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل لأنه إنما وصل إليه من السبيل وهو الطريق والأول أشبه لأن ابن السبيل اسم جامع جعل للمسافر **والسائلين** يعني الطالبين المستطعمين **عن** علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسائل حق

ولو جاء على فرس اخرجه ابو داود وعن زيد بن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطوا
السائل ولو جاء على فرس اخرجه مالك في الموطا عن ام بجيد قالت قلت يا رسول الله ان المسكين
ليقوم على بابي فما اجد شيئا اعطيه اياه قال ان لم تجدي الا ظلفا محرقا فادفعيه اليه في يده اخرجه
ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية مالك في الموطا عنها ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ردوا المسكين ولو بظلف محرق قوله ردوا المسكين لم يرد به رد الحرمان وانما اراد به
رده بشيء تعطوه اياه ولو كان ظلفا وهو حق الشاة وفي كونه محرقا مبالغة في قلة ما يعطى **وفي**
الرقاب يعني المكاتبين وقيل يعني فك النسمة وعتق الرقبة وفداء الاسارى **واقام الصلاة** يعني
المفروضة في اوقاتها **واتى الزكاة** يعني الواجبة **والموفون بعهدهم** يعني ما اخذه الله من العهود على
عباده بالقيام بحدوده والعمل بطاعته وقيل اراد بالعهد ما يجعله الانسان على نفسه ابتداء
من نذر وغيره وقيل العهد الذي كان بينه وبين الناس مثل الوفاء بالمواعيد واداء الامانات **اذا**
عاهدوا يعني اذا وعدوا انجزوا واذا نذروا اوفوا واذا حلفوا بروا في ايمانهم واذا قالوا صدقوا
في اقوالهم وان ائتمنوا ادوا **والصابرين في الباساء** اي في الشدة والفقر والفاقة **والضراء** يعني المرض
والزمانة **وحين الباس** يعني القتال والحرب في سبيل الله وسمي الحرب باسا لما فيه من الشدة عن البرا
قال كنا والله اذا احمر الباس نتقي به وان الشجاع منا الذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم
قوله احمر الباس اي اشتد الحرب ونتقي به اي نجعله وقاية لنا من العدو **اولئك الذين صدقوا** اي اهل
هذه الاوصاف هم الذين صدقوا في ايمانهم **واولئك هم المتقون** قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا**
كتب عليكم القصاص في القتلى نزلت في حيين من احيا العرب اقتتلوا في الجاهلية بسبب قتيل فكان
بينهم قتلى وحروب وجراحات كثيرة ولم ياخذ بعضهم من بعض حتى جا الاسلام وقيل نزلت في الاوس
والخزرج وكان لاحد الحيين طول على الاخر في الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساهم بغير مهر واقسموا
لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمراة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم ضعف
جراحات اوليك فرفعوا امرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وامر بالمساواة فرضوا
وسلموا وقيل انما نزلت هذه الاية لازالة الاحكام التي كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وذلك
ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط بلا عفو والنصارى يوجبون العفو بلا قتل والعرب في الجاهلية
كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون اخذ الدية تارة وكانوا يتعدون في الحكمين فان وقع القتل على
شريف قتلوا به عددا وياخذون دية الشريف اضعاف دية الخسيس فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه
وسلم اوجب رعاية العدل وسوى بين عباده في حكم القصاص فانزل الله يا ايها الذين امنوا كتب
اي فرض عليكم القصاص في القتلى فان قلت كيف يكون القصاص فرضا والولي مخير بين العفو
والقصاص واخذ الدية قلت ان القصاص فرض على القاتل للولي لا على الولي وقيل اذا اردتم
القصاص فقد فرض عليكم والقصاص المساواة والمماثلة في القتل والدية والجراح من قص الاثر
اذا اتبعه فالمفعول به يتبع ما فعل به فيفعل مثل ذلك فلو قتل رجل رجلا بعصا او خنقه او شدخ
راسه بحجر فمات فيقتل القاتل بمثل الذي قتل به وهو قول مالك والشافعي واحدى الروايتين عن
احمد وقيل يقتل بالسيف وهو قول ابي حنيفة والرواية عن احمد **الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى**
بالانثى ومعناه اذا تكافا الدمان من الاحرار المسلمين او العبيد من المسلمين او الاحرار من

المعاهدين

المعاهدين والعبيد منهم فيقتل كل صنف اذا قتل بمثله الذكر بالذكر والانثى بالانثى وبالذكر ولا يقتل مومن
بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولد ويقتل الذمي بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد هذا مذهب مالك والشافعي
واحمد ويدل عليه ما روى البخاري في صحيحه **عن** ابي جحيفة قال سالت عليا هل عندكم من النبي صلى
الله عليه وسلم شي سوى القران قال لا والذي فلق الحبة وبرا النسمة الا ان ياتي الله عبدا فهما في القران
وما في هذه الصحيفة قلت وما في الصحيفة قال العقل وفك الاسير وان لا يقتل مومن بكافر وقد
اخرج مسلم عن نحو هذا من غير رواية ابي جحيفة العقل هنا هو الدية والعاقلة الجماعة من اوليا
القاتل الذين يعقلون **عن** ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقام الحدود
في المساجد ولا يقتل الوالد بالولد اخرجه الترمذي وذهب اصحاب الراي الى ان المسلم يقتل بالذمي
والحر بالعبد وهذه الاية مع الاحاديث حجة لمذهب الشافعي ومن وافقه ويقولون هي مفسرة لما
ابهم في قوله النفس بالنفس وان تلك واردة لحكاية ما كتب على بني اسرايل في التوراة وهذه الاية خطاب
للمسلمين بما كتب عليهم وذهب اصحاب الراي الى ان هذه منسوخة بقوله النفس بالنفس ويقتل
الجماعة بالواحد يدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر ان غلاما قتل غيلة فقال عمر لو اشترك
فيها اهل صنعا لقتلتهم قال البخاري وقال المغيرة بن حكيم عن ابيه ان اربعة قتلوا صبيا فقال عمر
مثله **وروى** مالك في الموطا عن ابن المسيب ان عمر قتل نفرا خمسة او سبعة برجل واحد قتلوه غيلة
وقال لو تمالا عليه اهل صنعا لقتلتهم جميعا الغيلة ان يقتل الرجل خديعة ومكرا من غير ان يعلم
ما يراد به وقوله لو تمالا اي تعاونوا واجتمعوا عليه وقوله تعالى **فمن عفي له من اخيه شي** اي ترك
له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد ورضي بالدية والعفو هنا قبول الدية
في قتل العمد من اخيه اي من دم اخيه واراد بالاخ ولي المقتول وانما قيل له اخ لانه لابسه من قبل انه ولي
الدم والمطالب به وقيل انما ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بما هو ثابت بينهما من
الجنسية واخوة الاسلام وفي قوله شي دليل على ان بعض الاوليا اذا عفا سقط القود وتثبت الدية
لان شيا من الدم قد بطل **فاتباع بالمعروف** اي فليتبع الولي القاتل بالمعروف فلا ياخذ اكثر من حقه
ولا يعنته **واداء اليه باحسان** اي على القاتل اداء الدية الى ولي الدم من غير مماطلة امر كل واحد منهما
بالاحسان فيما له وعليه وقيل في تقدير الاية واذا عفا ولي الدم عن شي يتعلق بالقاتل وهو وجوب
القصاص فليتبع القاتل ذلك العفو بمعروف وليود ما وجب عليه من الدية الى ولي الدم باحسان من
غير مطل ولا مدافعة وفي الاية دليل على ان القاتل لا يصير كافرا وان الفاسق مومن بقوله يا ايها الذين
امنوا كتب عليكم القصاص فسماه مومنا حال ما وجب عليه القصاص وانما وجب عليه بعد صدور
القتل منه وقتل العمد العدوان من الكباير بالاجماع فدل على ان صاحب الكبيرة مومن ووجه ذلك
من وجوه الاول ان الله تعالى خاطبه بعد القتل بالايمان وسماه مومنا الوجه الثاني انه تعالى اثبت
الاخوة بين القاتل وولي الدم بقوله فمن عفي له من اخيه شي واراد بالاخوة اخوة الايمان فلولا ان الايمان
باق على القاتل لم يثبت الاخوة الوجه الثالث انه تعالى ندب الى العفو عن القاتل والعفو لا يليق الا عن
المومن لا عن الكافر وقوله تعالى **ذلك تخفيف من ربكم ورحمة** يعني الذي ذكر من الحكم بشرع القصاص
والعفو عن القصاص واخذ الدية تخفيف من ربكم في حقكم ورحمة وذلك لان العفو واخذ الدية كان
حراما على اليهود وكان القصاص حتما في التوراة وكان في شرع النصارى اخذ الدية ولم يكتب عليهم القصاص

وقيل كان عليهم العفو دون القصاص واخذ الدية فخير الله هذه الامة بين القصاص او العفو واخذ الدية
توسعة عليهم وتيسيرا وتفضيلا لهم على غيرهم **فمن اعتدى بعد ذلك** يعني بعد هذا التخفيف فقتل
الجاني بعد العفو وقبول الدية **فله عذاب اليم** وهو ان يقتل قصاصا ولا يقبل منه دية ولا يعفى عنه وقيل المراد
بالعذاب الاليم عذاب الاخرة قوله تعالى **ولكم في القصاص حياة** اي بقاء وذلك ان القاصد للقتل اذا علم
انه اذا قتل قتل ترك القتل وامتنع عنه فيكون فيه بقاؤه وبقاء من هم بقتله وقيل ان النفس القصاص سبب
للحياة وذلك ان القاتل اذا اقتص منه ارتدع غيره ممن كان يهم بالقتل واعلم ان هذا الحكم ليس مختصا
بالقصاص الذي هو القتل بل يدخل فيه جميع الجراح والشجاج وغير ذلك وذلك لان الجارح اذا علم انه اذا
جرح جرح لم يجرح فيصير ذلك سببا لبقاء الجارح والمجروح وربما افضت الجراحة الى الموت فيقتص من الجارح
وقيل في معنى الاية ان الحياة سلامته من قصاص الاخرة فانه اذا اقتص منه في الدنيا اقتص منه في الاخرة
يا اولي الالباب اي يا ذوي العقول الذين يعرفون الصواب لان العاقل لا يريد اتلاف نفسه باتلاف
غيره **لعلكم تتقون** يعني لعلكم تنتهون عن القتل خوف القصاص قوله عز وجل **كتب عليكم** اي فرض واوجب
عليكم **اذا حضر احدكم الموت** اي قرب ودنا منه وظهرت اثاره عليه من العلل والامراض المخوفة وليس المراد
منه معاينة الموت لان في ذلك الوقت يعجز عن الايصا **ان ترك خيرا** يعني مالا وقيل يطلق على القليل والكثير
وهو قول الزهري فتجب الوصية في الكل وقيل ان لفظة الخير لا تطلق الا على المال الكثير وهو قول الاكثر
واختلفوا في مقدار الكثير الذي تقع فيه الوصية فقيل الف درهم فما زاد عليها وقيل سبعماية فما فوقها
وقيل ستون دينارا فما فوقها وقيل انه من خمسماية الى الف وقيل انه المال الكثير الفاضل عن العيال
روي ان رجلا قال لعايشة اني اريد ان اوصي فقالت كم مالك قال ثلاثة الاف درهم قالت كم عيالك
قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وهذا شي يسير فاتركه لعيالك **الوصية** اي الايصا والوصية
التقدم الى الغير بما يعمل به وقيل هي القول المبين لما يستانف من العمل والقيام به بعد الموت **للوالدين
والاقربين** كانت الوصية في ابتدا الاسلام فريضة للوالدين والاقربين على من مات وله مال وسبب
ذلك ان اهل الجاهلية كانوا يوصون للابعدين طلبا للفخر والشرف والريا ويتركون الاقربين فقرا
فاوجب الله تعالى الوصية للاقربين ثم نسخت هذه الاية باية المواريث **ولما روي** عن عمرو بن خارجة قال
كنت اخذا بزمام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فسمعته يقول ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا
وصية لوارث اخرجه النساي وللترمذي نحوه وذهب ابن عباس الى ان وجوبها صار منسوخا في حق من يرث
وبقي وجوبها في حق من لا يرث من الوالدين والاقربين وهو قول الحسن ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم
ابن يسار وحجة هولا ان الاية دالة على وجوب الوصية للوالدين والاقربين ثم نسخ ذلك الوجوب في حق من
يرث باية الميراث وبالحديث المتقدم فوجب ان تبقى الاية دالة على وجوب الوصية للقريب الذي لا يرث
فعلى قول هولا النسخ يتناول بعض احكام الاية وذهب الاكثرون من المفسرين والعلما وفقها الحجاز والعراق الى
ان وجوبها صار منسوخا في حق الكافة وهي مستحبة في حق من لا يرث ويدل على استحباب الوصية والحث
عليها **ما روي** عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امري مسلم له شي يوصي فيه وفي رواية
له شي يريد ان يوصي به ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت
عبد الله بن عمر يقول ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا ووصيتي
مكتوبة عندي اخرجه الجماعة قوله ما حق امري الحق يشتمل معناه على الواجب والندب والحث يحمل هنا

على الحث في الوصية لانه لا يدري متى يا تيه الموت فربما اتاه بغتة فيمنعه عن الوصية وقوله تعالى **بالمعروف**
اي بالعدل الذي لا وكس فيه ولا شطط فلا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويدع الفقير **ق** عن سعد بن
ابي وقاص قال جاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت يا رسول
الله اني قد بلغ بي من الوجع ما ترى وانا ذو مال ولا يرثني الا ابنة لي افا تصدق بثلثي مالي قال لا قلت فالشطر
يا رسول الله فقال لا قلت فالثلث قال الثلث والثلث كثير او قال كبير انك ان تذر ورثتك اغنيا خير من ان تذرهم
عالة يتكففون الناس العالة الفقرا وقوله يتكففون الناس التكفف المسئلة من الناس كانه من الطلب
بالاكف **ق** عن ابن عباس قال في الوصية لو ان الناس غضوا من الثلث الى الربع فان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لسعد والثلث كثير وقال علي بن ابي طالب لان اوصي بالخمس احب الي من ان اوصي بالربع
وان اوصي بالربع احب الي من ان اوصي بالثلث فمن اوصى بالثلث فلم يترك وقيل يوصي بالسدس او الخمس
او الربع **حقا** اي ثابتا ثبوت ندب لا ثبوت فرض ووجوب **على المتقين** اي المومنين الذين يتقون الشرك
فمن بدله اي غير الوصية من الاوليا والاوصيا وذلك التغيير يكون اما في الكتابة او قسمة الحقوق
او الشهود بان يكتموا الشهادة او يغيروها وانما ذكر الكناية في بدله مع ان الوصية مونثة لان
الوصية بمعنى الايصا كقوله فمن جاه موعظة اي وعظ والتقدير فمن بدل قول الميت او ما اوصى به
بعد ما سمعه اي من الموصي وتحققه **فانما اثمه على الذين يبدلونه** اي ان اثم ذلك التبديل لا يعود الا
على المبدل والموصي والموصى له بريان منه **ان الله سميع** يعني لما وصى به الموصي **عليم** يعني بتبديل المبدل
فمن خاف اي علم وهو خطاب عام لجميع المسلمين **من موص جنفا** اي جورا في الوصية وعدولا عن الحق والجنف
الميل **او اثما** اي ظلما **فاصلح بينهم** وقيل الجنف الخطا في الوصية والاثم العمد وقيل في معنى الاية انه اذا حضر
الرجل مريضا وهو يوصي فراه يميل في وصيته اما بتقصير او اسراف او وضع الوصية في غير موضعها فلا حرج
على من حضره ان يامره بالعدل في وصيته وينهاه عن الجنف والميل وقيل ان المراد انه اذا اخطا الميت في وصيته او جاف
متعمدا فلا حرج على وليه او وصيه او والي امور المسلمين ان يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم
ويرد الوصية الى العدل والحق **فلا اثم عليه** اي فلا حرج عليه في الصلح **ان الله غفور رحيم** اي لمن اصلح
وصيته بعد الجنف والميل عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل
ليعمل والمراة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ثم قرا
ابو هريرة من بعد وصية يوصى بها او دين الى قوله ذلك الفوز العظيم اخرجه ابو داود والترمذي قوله
فيضاران المضارة ايصال الضرر الى شخص ومعنى المضارة في الوصية ان لا تمضي او ينقص بعضها او
يوصي لغير اهلها او يحيف في الوصية ونحو ذلك قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا كتب** اي فرض **عليكم الصيام**
والصوم في اللغة الامساك يقال صام النهار اذا اعتدل وقام قايم الظهيرة ومنه قوله تعالى اني نذرت
للرحمن صوما اي صمتا لانه امساك عن الكلام والصوم في الشرع عبارة عن الامساك عن الاكل والشرب
والجماع في وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع النية **كما كتب على الذين من قبلكم** يعني
من الانبيا والامم من لدن ادم الى عهدكم والمعنى ان الصوم عبادة قديمة ما اخلى الله امة لم يفرضه
عليهم كما فرضه عليكم وذلك لان الصوم عبادة شاقة والشي الشاق اذا عم سهل عمله وقيل ان صيام
شهر رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فصاموا رمضان زمانا فربما وقع الحر الشديد والبرد
الشديد وكان يشق ذلك عليهم في اسفارهم ويضرهم في معايشهم فاجتمع راي علمايهم ورؤسايهم ان يجعلوه

في فصل من السنة معتدل بين الصيف والشتاء يجعلوه في فصل الربيع ثم زادوا فيه عشرة ايام كفارة لما
صنعوا فصاموا اربعين يوما ثم بعد زمان اشتكى ملكهم فمه فجعل لله عليه ان هو برا من وجعه ان يزيد
في صومهم اسبوعا فبرا فزاد فيه اسبوعا ثم مات ذلك الملك بعد زمان ووليهم ملك اخر فقال ما شان
هذه الثلاثة ايام اتموا خمسين يوما فاتموه وقيل اصابهم موتان فقالوا زيدوا في صيامكم فزادوا عشرا
قبله وعشرا بعده وقيل ان النصارى فرض عليهم صوم رمضان فصاموا قبله يوما وبعده يوما ثم لم
يزالوا يزيدونه يوما بعد يوم حتى بلغ خمسين فلذلك نهي عن صوم يوم الشك **لعلكم تتقون** يعني ما
حرم عليكم في صيامكم لان الصوم وصلة الى التقوى لما فيه من كسر النفس وترك الشهوات من الاكل والجماع
وغيرها وقيل معناه لعلكم تتقون ما فعله النصارى من تغيير الصوم وقيل لعلكم تنتظمون في زمرة
المتقين لان الصوم من شعارهم **اياما معدودات** اي مقدرات وقيل قليلات قيل انه كان في ابتدا
الاسلام صوم ثلاثة ايام من كل شهر واجبا وصوم يوم عاشورا ثم نسخ ذلك بفريضة صوم شهر رمضان
قال ابن عباس اول ما نسخ بعد الهجرة امر القبلة ثم الصوم **ق** عن عايشة قالت كان يوم عاشورا تصومه
قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينة صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشورا فمن شا صامه ومن
شا تركه وقيل ان المراد من قوله اياما معدودات ايام شهر رمضان ووجهه ان الله تعالى قال اولا كتب
عليكم الصيام وهذا احتمل صوم يوم او يومين ثم بينه بقوله معدودات على انه اكثر من ذلك لكنها
غير محصورة بعد ثم بين حصرها بقوله شهر رمضان فاذا امكن ذلك فلا وجه لحمل الايام المعدودات
على غير رمضان فتكون الاية غير منسوخة يقال ان فريضة رمضان نزلت في السنة الثانية من الهجرة
وذلك قبل غزوة بدر بشهر وايام وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان على راس
ثمانية عشر شهرا من الهجرة **فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة** اي فافطر فعليه عدة **من ايام اخر**
يعني غير ايام مرضه وسفره **وعلى الذين يطيقونه** اي يطيقون الصوم واختلف العلما في حكم هذه
الاية فذهب الاكثرون الى انها منسوخة وهو قول عمر بن الخطاب وسلمة بن الاكوع وغيرهما وذلك
انهم كانوا في ابتدا الاسلام مخيرين بين ان يصوموا وبين ان يفطروا ويفدوا وانما خيرهم الله تعالى لئلا يشق
عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه
فصارت هذه الاية ناسخة للتخيير **ق** عن سلمة بن الاكوع قال لما نزلت هذه الاية وعلى الذين يطيقونه
فدية طعام مسكين كان من اراد ان يفطر ويفتدي حتى نزلت هذه الاية التي بعدها فنسختها وفي رواية
حتى نزلت هذه الاية فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقال قتادة هي خاصة في حق الشيخ الكبير الذي يطيق
الصوم ولكن يشق عليه رخص له ان يفطر ويفدي ثم نسخ ذلك وقال الحسن هذا في المريض الذي يقع عليه
اسم المرض وهو يستطيع الصوم خير بين الصيام وبين ان يفطر ويفدي ثم نسخ وذهب جماعة منهم ابن عباس
الى ان الاية محكمة غير منسوخة ومعناها وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب ثم عجزوا عنه عند
الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم وقرا ابن عباس وعلى الذين يطوقونه بضم اليا وفتح الطا وبالواو
المشددة المفتوحة عوض اليا ومعناه يكلفون الصوم عن عطا انه سمع ابن عباس يقرا وعلى الذين يطوقونه
فدية طعام مسكين قال ابن عباس ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمراة الكبيرة لا يستطيعان ان يصوما
فيطعمان مكان كل يوم مسكينا **فدية طعام مسكين** الفدية الجزا وهو القدر الذي يبذله الانسان يقي به

نفسه من تقصير وقع منه في عبادة ونحوها ويجب على من افطر في رمضان ولم يقدر على القضا لكبر ان يطعم
مكان كل يوم مسكينا مدا من غالب قوت البلد وهذا قول فقها الحجاز وقال بعض فقها العراق عليه لكل
مسكين نصف صاع عن كل يوم وقال نصف صاع من البر وصاعا من غيره وقال ابن عباس يعطي كل مسكين
عشاه وسحوره **فمن تطوع خيرا فهو خير له** يعني زاد على مسكين واحد فاطعم عن كل يوم مسكينين
فاكثر وقيل فمن زاد على القدر الواجب فاطعم صاعا فعليه مدا فهو خير له **وان تصوموا خير لكم** قيل
هو خطاب مع الذين يطيقونه فيكون المعنى وان تصوموا ايها المطيقون وتحملوا المشقة فهو خير
لكم من الافطار والفدية وقيل هو خطاب مع الكافة وهو الاصح لان اللفظ عام فرجوعه الى الكل اولى
ان كنتم تعلمون يعني ان الصوم خير لكم وقيل معناه اذا علمتم ما في الصوم من المعاني المورثة
للخير والتقوى واعلم انه لا رخصة لاحد من المسلمين المكلفين في افطار رمضان بغير عذر والاعذار
المبيحة للفطر ثلاثة احدها السفر والمرض والحيض والنفاس فهولا اذا افطروا فعليهم القضا
دون الكفارة الثاني الحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما افطرتا وعليهما القضا والكفارة واليه
ذهب الشافعي وذهب اصحاب الراي الى انه لا فدية عليهما الثالث الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة
والمريض الذي لا يرجى برؤه فعليهم الكفارة دون القضا قوله عز وجل **شهر رمضان** يعني وقت صيامكم
شهر رمضان سمي الشهر شهرا لشهرته يقال اشتهر الشي اذا ظهر وسمي الهلال شهرا لشهرته وبيانه وقيل
سمي الشهر شهرا باسم الهلال واما رمضان فاشتقاقه من الرمضا وهي الحجارة المحماة في الشمس وقيل
انه لما نقلوا اسما الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر
ايام رمض الحر فسموه به وقيل ان رمضان اسم من اسما الله تعالى فيكون معناه شهر الله والاصح ان
رمضان اسم لهذا الشهر كشهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان **الذي انزل فيه القران** لما خص الله
تعالى شهر رمضان بهذه العبادة العظيمة بين سبب تخصيصه بانزال اعظم كتبه فيه والقران اسم
لهذا الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي عن الشافعي انه كان يقول القران اسم
وليس بمهموز وليس بماخوذ من القراة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والانجيل فعلى هذا القول انه
ليس بمشتق وذهب الاكثرون الى انه مشتق من القرء وهو الجمع فسمي قرانا لانه يجمع السور والايات الدالة
على وحدانية الله تعالى قال ابن عباس انزل القران جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من
شهر رمضان فوضع في بيت العزة في سما الدنيا ثم نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم نجوما في نحو
ثلاث وعشرين سنة فذلك قوله فلا اقسم بمواقع النجوم وروى ابو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال انزلت صحف ابراهيم في ثلاث ليال مضين من رمضان وفي رواية في اول ليلة من رمضان
وانزلت توراة موسى في ست ليال مضين من رمضان وانزل انجيل عيسى في ثلاث عشرة ليلة مضت
من رمضان وانزل زبور داود في ثمان عشرة ليلة بقين بعدها فعلى هذا يكون ابتدا نزول القران
على محمد صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان وهو قول ابن اسحق وابي سليمان الدمشقي وقيل في معنى الاية
شهر رمضان الذي نزل بفرض صيامه القران كما تقول نزلت هذه الاية في الصلاة والزكاة ونحو
ذلك من الفرايض يروى ذلك عن مجاهد والضحاك وهو اختيار الحسين بن الفضل **هدى للناس**
يعني من الضلال **وبينات من الهدى والفرقان** فان قلت هذا فيه اشكال وهو انه يقال ما معنى
قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت انه تعالى ذكر اولا انه هدى ثم الهدى على قسمين

تارة يكون هدى جليا وتارة لا يكون كذلك فكانه قال هو هدى ثم قال هو البين من الهدى الفارق بين
الحق والباطل وقيل ان القران هدى في نفسه فكانه قال ان القران هدى للناس على الاجمال وبينات من الهدى
والفرقان على التفصيل لان البينات هي الدلالات الواضحات التي تبين الحلال والحرام والحدود
والاحكام ومعنى الفرقان الفارق بين الحق والباطل قوله تعالى **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** اي من
كان منكم حاضرا مقيما غير مسافر فادركه الشهر فليصمه والشهود الحضور وقيل هو محمول على العادة
بمشاهدة الشهر وهو رؤية الهلال ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وافطروا
لرؤيته اخرجاه في الصحيحين ولا خلاف انه يصوم رمضان من راى الهلال ومن اخبر به واختلف
العلماء في وجه الخبر عنهم منهم من قال يجري خبر الواحد قال ابو ثور ومنهم من اجراه مجرى الشهادة في سائر
الحقوق قاله مالك ومنهم من اجرى اوله مجرى الاخبار فقبل فيه خبر الواحد واجرى اخره مجرى الشهادات
فلا يقبل في اخره اقل من اثنين قاله الشافعي وهذا الاحتياط في امر العبادة دخولها وخروجها **ومن كان
مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر** انما كرره لان الله تعالى ذكر في الاية الاولى تخيير المريض والمسافر
والمقيم الصحيح ثم نسخ تخيير المقيم الصحيح بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلو اقتصر على هذا لاحتمل
ان يشمل النسخ الجميع فاعاد بعد ذكر الناسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم ان الحكم باق على ما كان
عليه **فصل في حكم الاية** وفيه مسائل المسألة الاولى اختلفوا في المرض المبيح للفطر على
ثلاثة اقوال احدها وهو قول اهل الظاهر اي مرض كان وهو ما يطلق عليه اسم المرض فله ان يفطر
تنزيلا للفظ المطلق على اقل احواله واليه ذهب الحسن وابن سيرين القول الثاني وهو قول الاصم
ان هذه الرخصة مختصة بالمريض الذي لو صام لوقع في مشقة عظيمة تنزيلا للفظ المطلق على
اكمل احواله القول الثالث وهو قول اكثر الفقهاء ان المرض المبيح للفطر هو الذي يؤدي الى ضرر في النفس
او زيادة علة غير محتملة كالمحموم اذا خاف انه لو صام اشتدت حماه وصاحب وجع العين يخاف لو
صام ان يشتد وجع عينه فالمراد بالمرض ما يؤثر في تقويته قال الشافعي اذا اجهده الصوم افطر والا
فهو كالصحيح المسألة الثانية الفطر في السفر مباح والصوم جائز وبه قال عامة العلماء وقال ابن
عباس وابو هريرة وبعض اهل الظاهر لا يجوز الصوم في السفر ومن صام فعليه القضاء واحتجوا بقوله
صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر وحمله عامة العلماء على من يجهده الصوم في السفر
فالاولى له الفطر ويدل على ذلك ما روي عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فراى
زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال ما هذا قالوا صائم قال ليس من البر الصيام في السفر اخرجه البخاري
ومسلم وحجة الجمهور على جواز الصوم والفطر والفطر في السفر ما روي عن انس رضي الله عنه قال
سافرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم اخرجاه
في الصحيحين المسألة الثالثة اختلف العلماء في قدر السفر المبيح للفطر وقال الاوزاعي يوم واحد
وقال الشافعي واحمد ومالك اقله مسيرة ستة عشر فرسخا يومان وقال ابو حنيفة واصحابه اقله
مسيرة ثلاثة المسألة الرابعة اذا استهل الشهر وهو مقيم ثم انشا السفر في اثنائه جاز له ان يفطر
حالة السفر ويجوز له ان يصوم في بعض السفر وان يفطر في بعضه ان احب يدل عليه ما روي عن ابن
عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد
ثم افطر وافطر الناس معه وكانوا ياخذون بالاحدث فالاحدث من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم

اخرجاه

اخرجاه في الصحيحين الكديد اسم موضع وهو على ثمانية واربعين ميلا من مكة **المسألة** الخامسة
اختلفوا في الافضل فذهب الشافعي الى ان الصوم افضل من الفطر في السفر وبه قال مالك وابو
حنيفة وقال احمد الفطر اولى وافضل من الصوم في السفر وقالت طائفة من العلماء سواء وافضل
الامرين ايسرهما لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر **المسألة** السادسة يبيح
الفطر كل سفر مباح ليس سفر معصية فلا يجوز للعاصي بسفره ان يترخص برخص الشرع وقوله تعالى
فعدة من ايام اخر يعني ناه فافطر فعليه عدة من ايام اخر فظاهر هذا انه يجوز قضاء اليوم متفرقا وان
كان التتابع اولى وفيه ايضا وجوب القضاء من غير تعيين لزمن القضاء فيدل على جواز التراخي في القضاء
ويدل عليه ايضا ما روي عن عائشة قالت كان يكون علي الصوم من رمضان فما استطيع ان
اقضي الا في شعبان ذلك الشغل بالنبي صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين **يريد الله بكم
اليسر** اي التسهيل في هذه العبادة وهو اباحة الفطر للمسافر والمريض **ولا يريد بكم العسر** اي وقد
نفى عنكم الحرج في امر الدين قيل ما خير رجل بين امرين فاختار ايسرهما الا كان ذلك احب الى الله تعالى
ولتكملوا العدة اي عدة الايام التي افطرتم فيها بعذر المرض والسفر والحيض لتقضوا بعددها
وقيل اراد عدد ايام الشهر **ق** عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون
ليلة فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا له وفي رواية فاكملوا
له العدة ثلاثون **ولتكبروا الله** فيه قولان احدهما ان تكبير ليلة العيد قال ابن عباس حق على المسلمين
اذا راوا هلال شوال ان يكبروا وقال واجب اظهار التكبير في العيدين وبه قال مالك واحمد وابو
يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة لا يكبر في عيد الفطر ويكبر في عيد الاضحى وحجة الشافعي ومن وافقه
قوله تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم قالوا معناه ولتكملوا عدة صوم رمضان
ولتكبروا الله على ما هداكم الى اخر هذه العبادة القول الثاني في معنى ولتكبروا الله اي ولتعظموا
الله شكرا على ما انعم به عليكم ووفقكم للقيام بهذه العبادة **على ما هداكم** اي ارشدكم الى طاعته
والى ما يرضى به عنكم **ولعلكم تشكرون** الله على نعمته **فصل في فضل** شهر رمضان
وفضل صيامه **ق** عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل رمضان صفدت الشياطين
وفتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار الصفد الغل اي شدت بالاغلال **ق** عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر
ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه قوله ايمانا واحتسابا اي طلبا لوجه الله وثوابه
وقيل ايمانا بانه فرض عليه واحتسابا لثوابه عند الله وقيل معناه نية وعزيمة وهو ان يصوم على
التصديق به والرغبة في ثوابه طيبة به نفسه غير كارهة **ق** عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال كل عمل ابن ادم يضاعف الحسنة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف قال الله تعالى الا الصوم
فانه لي وانا اجزي به يدع شهوته وطعامه من اجلي للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة
عند لقاء ربه ولخلوف فيه اطيب عند الله من ريح المسك زاد في رواية والصيام جنة فاذا كان يوم
صوم احدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب فان شاتمه احد او قاتله فليقل اني صائم قوله
كل عمل ابن ادم له معناه ان له فيه حظا لاطلاع الخلق عليه الا الصوم فانه لا يطلع عليه احد وانما خص
الصوم بقوله تعالى وان كانت جميع الاعمال الصالحة له وهو يجزي عليها لان الصوم لا يظهر من ابن ادم

بقوله ولا نعل حتى تكتبه الحفظة وانما هو من اعمال القلوب بالنية ولا يطلع عليه احد الا الله يقول الله
تعالى انا اتولى جزاوه على ما احب لا على حساب ولا كتاب له قوله للصايم فرحتان فرحة عند فطره بالطعام
لما بلغ من الجوع لتاخذ النفس حاجتها منه وقيل فرحة بما وفق له من اتمام الصوم الموعود عليه بادا ثوابه
قوله وفرحة عند لقا ربه لما يرى من جزيل ثوابه قوله ولخلوف بضم الخا وفتحها لغتان وهو تغير طعم الفم
وريحه لتاخير الطعام ومعنى كونه اطيب عند الله من ريح المسك هو الثنا على الصايم والرضا بفعله
لئلا يمتنع من المواظبة على الصوم الجالب للخلوف والمعنى ان خلوف فم الصايم ابلغ عند الله في القبول
من ريح المسك عند احدكم قوله الصيام جنة اي حصن من المعاصي لان الصوم يكسر الشهوة فلا يواقع
المعاصي قوله فلا يرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الانسان من المراة وقيل هو التصريح بذكر الجماع والقبلة
الضجة والحيلة والصياح ق وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة بابا
يقال له الريان يدخل منه الصايمون يوم القيمة يقال اين الصايمون فيقومون لا يدخل منه احد غيرهم
فاذا دخلوا اغلق فلم يدخل منه احد وفي رواية ان في الجنة ثمانية ابواب منها باب يسمى الريان لا يدخله
الا الصايمون عن ابي امامة قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله امرني بامر
ينفعني الله به قال عليك بالصوم فانه لا مثل له وفي رواية اي العمل افضل فقال عليك بالصوم فانه
لا عدل له اخرجه النساي قوله عز وجل **واذا سالك عبادي عني فاني قريب** قال ابن عباس قال
يهود المدينة يا محمد كيف يسمع ربنا دعانا وانت تزعم ان بيننا وبين السما خمسماية عام وان غلظ
كل سما مثل ذلك فنزلت هذه الاية وقيل سال بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اقريب
ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه وقيل انهم سالوه في اي ساعة ندعوا ربنا فنزلت وقيل انهم قالوا اين
ربنا فنزلت هذه الاية وهذا السوال لا يخلوا اما ان يكون عن ذات الله او عن صفاته او عن افعاله
اما السوال عن ذات الله تعالى فهو سوال عن القرب والبعد بحسب الذات واما السوال عن صفاته
تعالى فهو ان يكون السايل سال هل يسمع ربنا دعانا اذا دعوناه فقوله تعالى واذا سالك عبادي عني
يحتمل هذه الوجوه كلها قوله فاني قريب فمعناه قريب بالعلم والحفظ لا يخفى عليه شي وفيه اشارة الى
سهولة اجابته لمن دعاه وانجاح حاجة من ساله ق وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال لما غزا رسول
الله صلى الله عليه وسلم خيبر او قال توجه الى خيبر اشرف الناس على واد فرفعوا اصواتهم بالتكبير الله اكبر
لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصما
ولا غايبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم قوله اربعوا على انفسكم اي ارفقوا بها معناه امسكوا عن الجهر
فانه قريب يسمع دعاكم قوله تعالى **اجيب دعوة الداعي اذا دعان** اي اسمع دعا عبدي الداعي اذا دعاني
وقيل الدعا عبارة عن التوحيد والثنا على الله تعالى كقول العبد يا الله لا اله الا انت فقولك يا الله
فيه دعا وقولك لا اله الا انت فيه توحيد وثنا على الله تعالى فسمي هذا دعا بهذا الاعتبار وسمي قوله
اجابة لتجانس اللفظ وفيه اشارة الى ان العبد يعلم ان له ربا ومدبرا يسمع دعاه اذا دعاه ولا يخيب
رجا من رجاه وذلك ظاهر فان العبد اذا دعا ربه تعالى بالاخلاص والتضرع اجاب الله دعوته فان قلت
انا نرى الداعي يبالغ في الدعا والتضرع ولا يجاب فما وجه قوله اجيب دعوة الداعي وقوله ادعوني استجب
لكم قلت ذكر العلما فيه اجوبة احدها ان هذه الاية مطلقة وقد وردت اية اخرى مقيدة وهي قوله
بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شا والمطلق يحمل على المقيد وثانيها ان معنى الدعا هنا

سؤال الطاعة ومعنى الاجابة هو الثواب وذلك في الاخرة وثالثها ان معنى الايتين خاص وان كان لفظهما
عاما فيكون المعنى اجيب دعوة الداعي اذا وافق القضا او اجيبه ان كانت الاجابة خيرا له او اجيبه
ان لم يسال اثما او محالا ورابعها ان معناهما عام اي اسمع وهو معنى الاية المذكورة في الاية واما اعطا
الامنية فليس بمذكور فالاجابة حاصلة عند وجود الدعوة وقد يجب لسيد عبده ولا يعطيه
سوله وخامسها ان للدعا ادابا وشرايط وهي اسباب الاجابة فمن استكملها واتى بها كان من اهل
الاجابة ومن اخطاها كان من اهل الاعتدا في الدعا فلا يستحق الجواب والله اعلم وقوله تعالى
فليستجيبوا لي يعني اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوايجهم والاجابة في اللغة
الطاعة فالاجابة من العبد الطاعة ومن الله الاثابة والعطا **وليومنوا بي لعلهم يرشدون** اي لكي
يهتدوا الى مصالح دينهم ودنياهم **فصل** في فضل الدعا وادابه ق عن ابي هريرة رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سما الدنيا حين يبقى ثلث الليل
الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له هذا الاحاديث من
احاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلما احدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض
المتكلمين انه يجب الايمان به وانه حق على ما يليق بالله ويكل علمه الى الله تعالى ورسوله وان ظاهر المتعاون
في حقنا غير مراد ولا نتكلم في تاويله مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات
والمذهب الثاني مذهب اكثر المتكلمين وجماعة من السلف انها تاول على ما يليق به فعلى هذا انقل
عن مالك وغيره ان معناه ينزل رحمته وامره او ملايكته وقيل انه على الاستعارة ومعناه الاقبال على
الداعين بالاجابة واللطف وفي الحديث الحث على الدعا والترغيب فيه عن سلمان قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم حي كريم يستحي من عبده اذا رفع اليه يديه ان يردهما صفرا خايبتين
اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب الصفر الخالي يقال بيت صفر ليس فيه متاع
عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما على الارض مسلم يدعوا الله بدعوة الا اتاه
الله اياها او صرف عنه من السو مثلها ما لم يدع باثم او قطيعة رحم فقال رجل من القوم اذن نكثر قال
الله اكثر اخرجه الترمذي قوله الله اكثر معناه الله اكثر اجابة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعا من قلب غافل
لاه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شي
اكرم على الله من الدعا اخرجه الترمذي وله عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعا مخ العبادة
وله عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتح له باب من الدعا فتحت له ابواب الرحمة
وما سيل الله شيا احب اليه من ان يسال العافية وان الدعا ينفع مما نزل ومما لم ينزل وله عن سلمان
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرد القضا الا الدعا ولا يزيد في العمر الا البر وله عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يسال الله يغضب عليه ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول قد دعوت ربي فلم يستجب لي ولمسلم قال لا يزال يستجاب
للعبد ما لم يدع باثم او قطيعة رحم ما لم يستعجل فقلت يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت
فلم ار يستجيب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعا قوله يستحسر اي يستنكف عن السوال واصله من حسر
الطرف اذا كل وضعف ق وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا احدكم

فلا يقل اللهم اغفرلي ان شيت اللهم ارحمني ان شيت ولكن ليعزم المسيلة فان الله تعالى لامكره له زاد البخاري
ارزقني ان شيت ليعزم مسالته فانه يفعل ما يشا لامكره له ليعزم المسالة اي لا يكن في دعايك ربك مترددا
بل اعزم وجد في المسيلة م عن فضالة بن عبيد قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته
فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره
اذا صلى احدكم فليبدا بحمد الله والثنا عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعده بما
شا اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح قوله تعالى احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسايكم سبب
نزول هذه الاية انه كان في ابتدا الامر اذا افطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع الى ان يصلي العشا
الاخرة او يرقد قبلها فاذا صلى ورقد حرم عليه ذلك كله الى الليلة القابلة ثم ان عمر بن الخطاب واقع
اهله بعد ما صلى العشا فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسو
الله اعتذر الى الله واليك من هذه نفسي الخاطية اني رجعت الى اهلي بعد ما صليت العشا فوجدت
رايحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت اهلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر
فقام رجال فاعترفوا بمثل ذلك فنزلت في عمر واصحابه احل لكم اي ابيح لكم ليلة اراد بالليلة ليالي الصيام
الرفث الى نسايكم الرفث كلام يستفحش ذكره من ذكر الجماع ودواعيه ونحوها كناية عن الجماع قال
ابن عباس ان الله تعالى حيي كريم يكني فما ذكره من المباشرة والملامسة وغير ذلك انما هو الجماع هن لباس
لكم اي سكن لكم وانتم لباس لهن اي سكن لهن قيل لا يسكن شي الى شي كسكون احد الزوجين الى الاخر
وسمي كل واحد من الزوجين لباسا لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد وقيل اللباس اسم لما
يواري فيكون كل واحد منهم استر لصاحبه عما لا يحل كما جا في الحديث من تزوج فقد احرز ثلثي دينه علم الله
انكم كنتم تختانون انفسكم قال ابن عباس رضي الله عنه يريد فيما ايتمنكم عليه وخيانتهم انهم كانوا
يباشرون ليالي الصوم والمعنى تظلمونها بالمباشرة بعد العشا وهو من الخيانة واصل الخيانة ان يوتمن
الرجل على شي فلا يودي فيه الامانة ويقال للعاصي خاين لانه موتمن على دينه فتاب عليكم اي فتجاوز عنكم فتاب
عليكم وتجاوز عنكم وعفا عنكم اي محي ذنوبكم خ عن البرا ابن عازب لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون
النسا رمضان كله كان رجال يخونون انفسهم فانزل الله تعالى علم الله انكم تختانون انفسكم فتاب عليكم
وعفى عنكم الاية قال ابن عباس هذا مما نفع الله به الناس ورخص لهم وتيسر فالان باشروهن اي جامعوهن
فهو حلال لكم في ليالي الصوم وسميت المجامعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد بصاحبه وابتغوا ما
كتب الله لكم اي ما قضا لكم في اللوح المحفوظ يعني الولد وقيل وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم باجابة
باباحة الاكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ وقيل اطلبوا ليلة القدر وكلوا واشربوا حتى يتبين
لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود نزلت في صرمة بن قيس بن صرمة الانصاري ويقال قيس بن صرمة
وذلك انه ظل يعمل في ارض له وهو صايم فلما امسى رجع الى اهله بتمر وقال لاهله قدمي الطعام فارادت
المراة ان تطعمه شيا سخنا فاخذت تعمل له ذلك فلما فرغ فاذا هو قد نام وكان قد اعيا من التعب
فايقظته فكره ان يعصي الله ورسوله وابى ان ياكل واصبح صايما مجهودا فلم ينتصف النهار حتى غشي
عليه فلما افاق اتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما راه قال يا ابا قيس ما لك امسيت طليحا فذكر له
حاله فاغتم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وقوله طليحا اي مهزولا مجهودا
خ عن البرا قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صايما فحضر الافطار فنام قبل ان يفطر

لم ياكل

لم ياكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وان قيس بن صرمة الانصاري كان صايما فلما حضر الافطار اتى امراته
فقال اعندك طعام قالت لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه فجاءت امراته فلما
راته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت
هذه الاية احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسايكم ففرحوا بها فرحا شديدا ونزلوا وكلوا واشربوا
حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود يعني بياض النهار من سواد الليل وسميا خيطا لان كل
منهما يبدو في الافق ممتدا كالخيط قال الشاعر

وكما اضات لنا سدفة ۞ ولاح من الصبح خيط انارا

السدف اختلاط الظلام السدف الفجر اضا ق عن سعد بن سهل قال لما نزلت وكلوا واشربوا حتى
يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر فكانوا رجالا اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في
رجله الخيط الابيض والخيط الاسود ولا يزال ياكل حتى يتبين له رويتهما فانزل الله عز وجل بعده
من الفجر فعلموا انه انما يعني الليل والنهار ق عن عدي بن حاتم لما نزلت حتى يتبين لكم الخيط الابيض من
الخيط الاسود عمدت الى عقال اسود وعقال ابيض فجعلتهما تحت وسادي وجعلت انظر في الليل
فلا يتبين لي فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال انما ذلك سواد الليل
وبياض النهار ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بلالا يوذن بليل فكلوا واشربوا حتى
يوذن ابن ام مكتوم قال وكان ابن ام مكتوم رجلا اعمى لا ينادي حتى يقال له اصبحت اصبحت واعلم ان الفجر
الذي يحرم به على الصايم الطعام والشراب والجماع هو الفجر الصادق المستطير المنتشر في الافق سريعا
لا الفجر الكاذب المستطيل فان قلت كيف شبه الصبح الصادق بالخيط والخيط مستطيل والصبح الصادق
ليس بمستطيل قلت ان القدر الذي يبدو من البياض هو اول الصبح يكون دقيقا صغيرا ثم ينتشر
فلهذا اشبهه بالخيط والفرق بين الفجر الصادق والفجر الكاذب وان الفجر الكاذب يبدو في الافق مرتفعا
مستطيلا ثم يضمحل ويذهب ثم يبدو الفجر الصادق بعده منتشرا في الافق مستطيرا م عن سمرة بن
جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغرنكم من سحوركم اذان بلال ولا بياض الافق المستطيل
هكذا حتى يستطير هكذا وحكاه حماد بيديه قال يعني معترضا وفي رواية الترمذي لا يمنعكم من سحوركم
اذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الافق فاذا تحقق طلوع الفجر الثاني وهو الصادق حرم على
الصايم الطعام والشراب والجماع الى غروب الشمس وهو قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل يعني منتهى
الصوم الى الليل فاذا دخل الليل حصل الفطر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا اقبل الليل من ها هنا واذا اقبل النهار من ها هنا فقد افطر الصايم وهل يلزم الصايم ان
يفطر عند تحقق غروب الشمس شيا فيه وجهان احدهما نعم يلزم ذلك لنهيه صلى الله عليه وسلم عن
الوصال والثاني لا لانه قد حصل الفطر بمجرد دخول الليل سوا اكل ام لم ياكل وتمسكت الحنفية بهذه
الاية في ان صوم النفل يجب تمامه قالوا لان قوله تعالى واتموا الصيام الى الليل امر وهو للوجوب
وهو يتناول كل الصيام اجاب اصحاب الشافعي عنه بان هذا انما ورد في بيان احكام صوم الفرض
وكان المراد منه صوم الفرض ويدل على اباحة الفطر من النفل ما روي عن عايشة قالت دخل النبي
صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل عندكم شي قلنا لا قال فاني اذا صايم ثم اتانا يوما اخر فقلنا
يا رسول الله اهدي لنا حيس قال ارينيه فلقد اصبحت صايما فاكل زاد في رواية مسلم الحيس هو خلط الاقط

والتمر والسمن وقد يجعل عوض الأقط دقيق أو فتيت وقيل هو التمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والأول
أعرف قوله عز وجل **ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد** الاعتكاف هو الإقبال على الشيء والملازمة
له على سبيل التعظيم وهو في الشرع عبارة عن الإقامة في المساجد على عبادة الله تعالى وسبب نزول هذه
الآية أن نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون في المسجد فإذا عرضت لرجل منهم حاجة
إلى أهله خرج إليها فجامعها ثم اغتسل ورجع إلى المسجد فنهوا عن ذلك حتى يفرغوا اعتكافهم وأعلم الله
تعالى بين أن الجماع يحرم على الصائم بالنهار ويباح له في الليل فكان يحتمل أن يكون حكم الاعتكاف
كحكم الصوم فبين الله تعالى في هذه الآية أن الجماع يحرم على المعتكف في النهار والليل حتى يخرج من اعتكافه

فصل في حكم الاعتكاف والاعتكاف سنة ولا يجوز في غير المسجد وذلك لأن المسجد
يتميز عن سائر البقاع بالفضل لأنه بني لإقامة الطاعات والعبادات فيه ثم اختلفوا فنقل عن علي أنه
لا يجوز إلا في المسجد الحرام لقوله وطهر بيتي للطائفين والعاكفين فخصه به وقال عطاء لا يجوز إلا في المسجد
الحرام ومسجد المدينة وقال حذيفة يجوز في هذين المسجدين ومسجد بيت المقدس وقال الزهري
لا يصح إلا في الجامع وقال أبو حنيفة لا يجوز إلا في مسجد له إمام ومؤذن وقال الشافعي وأحمد ومالك
يجوز في سائر المساجد لعموم قوله وأنتم عاكفون في المساجد إلا أن المسجد الجامع أفضل حتى لا يحتاج
إلى الخروج من معتكفه لصلاة الجمعة (ق) عن عايشة عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر
الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى ثم اعتكف أزواجه بعده (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان **فروع** الفرع الأول يجوز الاعتكاف
بغير صوم والأفضل أن يصوم معه وقال أبو حنيفة الصوم شرط في الاعتكاف ولا يصح إلا به وحجة
الشافعي ما روي عن عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد
الحرام قال فأوف بنذرك أخرجاه في الصحيحين ومعلوم أنه لا يصح الصوم في الليل **الفرع الثاني** لا يتقدر
للاعتكاف زمان عند الشافعي وأقله لحظة ولا حد لأكثره فلو نذر اعتكاف ساعة صح نذره ولو نذر
أن يعتكف مطلقا يخرج عن نذره باعتكاف ساعة قال الشافعي وأحب أن يعتكف يوما وإنما قال ذلك
للخروج عن الخلاف فإن أقل زمن الاعتكاف عند مالك وأبي حنيفة يوم بشرط أن يدخل قبل طلوع الفجر
ويخرج بعد غروب الشمس **الفرع الثالث** الجماع حرام في حال الاعتكاف ويفسد به وأما ما دون الجماع كالقبلة
ونحوها فمكروه ولا يفسد به عند أكثر العلماء وهو أظهر قولي الشافعي والثاني يبطل به وهو قول مالك وقيل
إن أنزل بطل اعتكافه وإن لم ينزل فلا وهو قول أبي حنيفة وأما الملامسة بغير شهوة فجائز ولا يفسد
به الاعتكاف لما روي عن عايشة أنها كانت ترجل النبي صلى الله عليه وسلم وهي حائض وهو معتكف
في المسجد وهي في حجرتها يناولها رأسه زاد في رواية وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة إذا كان معتكفا وفي
رواية وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان أخرجاه في الصحيحين الترجيل تسريح الشعر وقولها إلا
لحاجة حوائج الإنسان كثيرة والمراد منها هنا كل ما يضطر الإنسان إليه مما لا يجوز له فعله في المسجد
وموضع معتكفه وقوله تعالى **تلك حدود الله** يعني تلك الأحكام التي ذكرت في الصيام والاعتكاف
من تحريم الأكل والشرب والجماع حدود الله وقيل حدود الله فرائض الله وأصل الحد في اللغة المنع والحد
الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر وحد الشيء الوصف المحيط بمعناه المميز له عن
غيره وقيل معنى حدود الله المقادير التي قدرها ومنع من مخالفتها **فلا تقربوها** فلا تأتوها ولا

تغشوها

تغشوها فإن قلت في الآية إشكالان أما الأول فإنه قال تلك حدود الله وهو إشارة لما تقدم
من الأحكام وبعضها فيه إباحة وبعضها فيه حظر فكيف قال في الجميع فلا تقربوها **الإشكال** الثاني
وهو أنه تعالى قال في هذه الآية تلك حدود الله فلا تقربوها وقال في آية أخرى تلك حدود الله فلا
تعتدوها وقال في آية أخرى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده فكيف الجمع بين هذه الآيات
قلت الجواب عن السؤالين من وجهين أما السؤال الأول فجوابه أن الأحكام التي تقدمت فيما قبل
وإن كانت كثيرة إلا أن أقربها إلى هذه الآية قوله تعالى ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد
وذلك يوجب تحريم الجماع في حال الاعتكاف وقال قبلها ثم أتموا الصيام إلى الليل وذلك يوجب
تحريم الأكل والشرب في النهار فلما كان أقرب إلى هذه الآية جانب التحريم قال تعالى تلك حدود الله
فلا تقربوها والجواب عن الإشكال الثاني أن من كان في طاعة الله تعالى والعمل بشرائعه فهو متصرف
في حيز الحق فنهي أن يتعداه لأن من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي أن يقرب الحد الذي
هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل فيقع فيه فهو كقوله صلى الله عليه وسلم كالراعي يرعى
حول الحمى يوشك أن يقع فيه وقيل أراد بحدوده هنا محارمه ومناهيه لقوله تعالى ولا تباشروهن
وأنتم عاكفون في المساجد ونحو هذا المثل للتحريم فهي حدود لا تقرب كذلك أي كما بين لكم ما أمركم به ونهاكم
عنه **كذلك يبين الله آياته** أي معالم دينه وأحكام شريعته **للناس** مثل هذا البيان الشافي الوافي
لعلهم يتقون أي لكي يتقوا ما حرم عليهم فينجوا من العذاب قوله تعالى **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**
نزلت في امرئ القيس بن عابس الكندي ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمي عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم في أرض فقال النبي صلى الله عليه وسلم للحضرمي ألك بينة قال لا قال فلك يمينه فانطلق
ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إن حلف على ماله ليأكله ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض
فأنزل الله هذه الآية والمعنى لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل أي من غير الوجه الذي أباحه الله
وأصل الباطل الشيء الذاهب **فصل** أما حكم الآية فأكل المال بالباطل على وجوه
الأول أن يأكله بطريق التعدي والنهب والغصب الثاني أن يأكله بطريق اللهو كالقمار وأجرة المغني
وثمن الخمر والملاهي ونحو ذلك الثالث أن يأكله بطريق الرشوة في الحكم وشهادة الزور الرابع الخيانة
وذلك في الوديعة والأمانة ونحو ذلك وإنما عبر عن أخذ المال بالأكل لأنه المقصود الأعظم ولهذا
وقع في التعارف فلان يأكل أموال الناس بمعنى يأخذها بغير حقها **وتدلوا بها إلى الحكام** أي وتلقوا
أمور تلك الأموال التي فيها الحكومة إلى الحكام قال ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه مال وليس
عليه بينة فيجحد ويخاصم إلى الحاكم وهو يعلم أن الحق عليه وأنه آثم بمنعه وقيل هو أن يقيم شهادة
الزور عند الحاكم وهو يعلم ذلك وقيل معناه ولا تأكلوا المال بالباطل وتنسبوه إلى الحاكم وقيل
تدلي بمال أخيك إلى الحاكم وأنت تعلم أنك ظالم فإن قضاءه لا يحل حراما وكان شريح القاضي يقول إني
لأقضي لك وإني لأظنك ظالما ولكن لا يسعني إلا أن أقضي بما يحضرني من البينة وإن قضائي لا يحل
لك حراما (ق) عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج إليهم فقال
إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض وفي رواية ألحن بحجته من بعض فأحسب
أنه صادق فأقضي له فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليحملها أو ليذرها قولها سمع
جلبة خصم يعني أصوات خصم وقوله ألحن بحجته يقال فلان ألحن بحجته من فلان أي أقوم بها منه

واقدر عليهما من الحق بفتح الحاء وتنوا المنطقة لتاكلوا فريقا اي طايفة وقطعة من اموال الناس يعني بالاثم والظلم وقال ابن عباس باليمين الكاذبة وقيل بشهادة الزور وانتم تعلمون يعني انكم على الباطل

قوله عز وجل يسئلونك اي يا محمد عن الاهلة نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يمتلي نورا ثم لا يزال ينتقص حتى يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حال واحدة فانزل الله يسئلونك عن الاهلة وكان هذا سوال منهم على وجه الفايدة عن وجه الحكمة في تبيين حال الهلال في الزيادة والنقصان والاهلة جمع هلال وهو اول حال القمر حين يراه الناس اول ليلة من الشهر قل هي مواقيت للناس جمع ميقات والمعنى انا فعلنا ذلك لمصالح دينية ودنيوية ليعلم الناس اوقات حجهم وصومهم وافطارهم ومحل ديونهم واجاريهم وعدد النسا واوقات الحيض وغير ذلك من الاحكام المتعلقة بالاهلة ولهذا خالف بينه وبين الشمس التي هي دايمة على حالة واحدة والحج اي وللحج وانما افرد الحج بالذكر لانه كان داخلا في جملة العبادات لفايدة عظيمة وهو ان العرب في الجاهلية كانت تحج بالعدد وتبدل الشهور فابطل الله ذلك من فعلهم واخبر ان الحج مقصور على الاشهر الذي عينها لفرض الحج بالاهلة وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر التي عينها الله له كما كانت العرب تفعل في النسي وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ق قال البرا نزلت هذه الاية فينا كانت الانصار اذا حجوا فجاوا لم يدخلوها من قبل ابواب البيوت فجا رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكانه عير بذلك فنزلت وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها وفي رواية كانوا اذا احرموا في الجاهلية اتوا البيت من ظهره فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل كان الناس في الجاهلية وفي اول الاسلام اذا احرم الرجل منهم لم يدخل حايطا ولا دارا ولا فسطاطا من بابه فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما فيصعد منه وان كان من اهل الوبر دخل وخرج من خلف الخبا ولا يدخل ولا يخرج من الباب ويرون ذلك برا وكانت الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة ومن دان بدينهم سموا احمسا لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة فكانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيتا البتة ولم يستظلوا ابطل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حايطا فدخل رجل من الانصار معه وقيل كانت الحمس لا يبالون بذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم بيتا فدخل على اثره رجل من الانصار يقال له رفاعة بن التابوت من الباب وهو محرم فانكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب وانت محرم فقال رايتك دخلت فدخلت على اثرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني احمسي فقال الرجل ان كنت احمسيا فانا احمسي رضيت بهديك وسمتك ودينك فانزل الله تعالى هذه الاية وقال الزهري كان ناس من الانصار اذا اهلوا بالعمرة لم يحل بينهم وبين السماء شي وكان الرجل يخرج مهلا بالعمرة فتبدو له الحاجة بعدما خرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من اجل سقف الباب ان يحول بينه وبين السما فيفتح الجدار من ورايه ثم يقوم في حجرته فيامر بحاجته حتى بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل من الانصار من بني سلمة على اثره فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم فعلت ذلك قال لاني رايتك دخلت فقال عليه الصلاة والسلام اني احمسي فقال الانصاري وانا احمسي يقول انا على دينك فانزل الله تعالى وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر يعني من اتقى واتوا البيوت من ابوابها يعني في حال الاحرام وغيره واتقوا الله لعلكم

تفلحون

تفلحون قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله اي في طاعة الله وطلب رضوانه ق عن ابي موسى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل ريا اي ذلك في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله الذين يقاتلونكم كان في ابتدا الاسلام امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر الى المدينة امر بقتال من قاتله منهم بهذه الاية قال الربيع بن انس هذه اول اية نزلت في القتال ثم امر الله بقتال المشركين كافة قاتلوا او لم يقاتلوا بقوله تعالى اقتلوا المشركين كافة وبقوله اقتلوهم حيث ثقفتموهم فصارت اية السيف ناسخة لهذه الاية وقيل انها محكمة ومعناها على هذا القول وقاتلوا في سبيل الله الذين اعدوا انفسهم للقتال فاما من لم يعد نفسه للقتال كالرهبان والشيوخ والزمنى والمكافيف والمجانين فلا تقاتلوهم فانهم لم يقاتلوكم وهو قوله تعالى ولا تعتدوا قال ابن عباس اي لا تقتلوا النسا والصبيان والشيوخ والرهبان ولا من القى اليكم السلام عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر اميرا على جيش او سرية اوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا قوله ولا تغلوا الغلول الخيانة وهو ما يخفيه احد الغزاة من الغنيمة وقوله ولا تعتدوا اي ولا تنقضوا العهد وقيل في معنى الاية ولا تعتدوا اي لا تبدوهم بالقتال فعلى هذا القول تكون الاية منسوخة باية القتال قال ابن عباس لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام يطوف بالبيت فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه لعمرة القضا خافوا ان لا تفي قريش بما قالوا ويصدوهم عن البيت وكره المسلمون قتالهم في الشهر الحرام والحرم فانزل الله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فاطلق قتال الذين يقاتلونهم في الشهر الحرام وفي الحرم ورفع عنهم الحرج والجناح في ذلك وقال ولا تعتدوا بابتدا القتال ان الله لا يحب المعتدين قوله عز وجل واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي حيث وجدتموهم وادركتموهم في الحل والحرم وتحقيق القول فيه ان الله تعالى امر بالجهاد معهم في الاية الاولى بشرط اقدام الكفار على القتال وفي هذه الاية امر بالجهاد معهم سوا قاتلوهم او لم يقاتلوهم واستثنى منه المقاتلة عند المسجد الحرام واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي واخرجوهم من ديارهم كما اخرجوكم من دياركم والفتنة اشد من القتل يعني ان شرككم بالله اشد واعظم من قتلكم اياهم في الحرم والحرام وانما سمي الشرك بالله فتنة لانه فساد في الارض يودي الى الظلم وانما جعل اعظم من القتل لان الشرك ذنب يستحق صاحبه الخلود في النار وليس القتل كذلك والكفر يخرج صاحبه من الامة وليس القتل كذلك فثبت ان الفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه اختلف العلما في هذه الاية فذهب مجاهد في جماعة من العلما الى انها محكمة وانه لا يحل ان يقاتل في المسجد الحرام الا من قاتل فيه وهو قوله فان قاتلوكم فاقتلوهم اي فقاتلوهم وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان مكة لم تحل لاحد قبلي ولم تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيمة فثبت بهذا تحريم القتال في الحرم الا ان يقاتلوا فيقاتلوا ويكون دفعا لهم وذهب قتادة الى ان هذه الاية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فامر بقتالهم في الحل

والحرم وقيل انها منسوخة بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة كذلك جزا الكافرين فان انتهوا
يعني عن القتال وقيل عن الشرك والكفر فان الله غفور يعني لما سلف رحيم يعني بعباده حيث
لم يعاجلهم بالعقوبة وقاتلوهم اي وقاتلوا المشركين حتى لا تكون فتنة اي شرك والمعنى قاتلوهم
حتى يسلموا ولا يقبل من الوثني الا الاسلام او القتل بخلاف الكتابي والفرق بينهما ان اهل الكتاب
معهم كتب منزلة وفيها شرايع واحكام يرجعون اليها وان كانوا قد حرفوا وبدلوا فامهلهم الله تعالى
بحرمة تلك الكتب من القتل وامر باصغارهم واخذ الجزية منهم لينظروا في كتبهم ويتدبروها فيقفوا
على الحق منها فيتبعوه كفعل مومن اهل الكتاب الذين عرفوا الحق فاسلموا واما عبدة الاصنام فلم يكن
كتاب يرجعون اليه ويرشدهم الى الحق فكان امهالهم زايدا في شركهم وكفرهم فابى الله عز وجل ان يرضى منهم
الا بالاسلام او القتل ويكون الدين لله اي الطاعة والعبادة لله وحده فلا يعبد من دونه شي
فان انتهوا يعني عن القتال وقيل الشرك والكفر فلا عدوان اي فلا سبيل الا على الظالمين قاله
ابن عباس فعلى القول الاول تكون الاية منسوخة باية السيف وعلى القول الثاني الاية محكمة
وقيل معناه فلا تظلموا الا الظالمين سمى جزا الظالمين ظلما على سبيل المشاكلة وسمى الكافر ظالما
لوضعه العبادة في غير موضعها قوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام نزلت في عمرة القضا وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا في ذي القعدة سنة ست من الهجرة فصده المشركون
عن البيت بالحديبية فصالح اهل مكة على ان ينصرف عامه ذلك ويرجع من قابل فيقضي عمرته
فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع في ذي القعدة سنة سبع فقضى عمرته فذلك قوله
تعالى الشهر الحرام يعني ذا القعدة الذي دخلتم فيه مكة وقضيتم عمرتكم بالشهر الحرام الذي صددتم
فيه عن البيت والحرمات جمع حرمة وانما جمعت لانه اراد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الاحرام
قصاص والقصاص المساواة والمماثلة وهو ان يفعل بالفاعل مثل فعله والمعنى انهم لما منعوكم
عن العمرة واضاعوا هذه الحرمات في سنة ست فقد وفقتكم حتى قضيتموها على رغمهم في سنة سبع وقيل
هذا في القتال ومعناه فان بدوكم بالقتال في الشهر الحرام فاقتلوهم فيه فانه قصاص فمن اعتدى
عليكم اي بالقتال فاعتدوا عليه اي فقاتلوه بمثل ما اعتدى عليكم سمى الجزا بالاعتدا على
سبيل المشاكلة واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين قوله عز وجل وانفقوا في سبيل الله
يعني بالجهاد وذلك ان الله تعالى لما امر بالقتال والاشتغال به يحتاج الى الانفاق فامر به والانفاق
هو صرف المال في وجوه المصالح الدينية كالانفاق في الحج والعمرة وصلة الرحم والصدقة في الجهاد
وتجهيز الغزاة وعلى النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة الى الله تعالى لان كل ذلك مما هو في
سبيل الله لكن اطلاق هذه اللفظة ينصرف الى الجهاد خ عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان
شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات عن خريم ابن فاتك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة في سبيل الله كتب له بسبعماية ضعف اخرجه
الترمذي والنساي ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قيل البا زايدة ومعناه ولا تلقوا ايديكم
الى التهلكة والمراد بالايدي الانفس والمعنى ولا تلقوا انفسكم الى التهلكة عبر بالايدي عن النفس
وقيل البا على اصلها وفي الكلام حذف تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة كما يقال

اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب في هلاكها وقيل التهلكة كل شي يصير عاقبته الى الهلاك وقيل
التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه ومعنى الاية النهي عن ترك الانفاق في سبيل
الله لانه سبب الهلاك قال ابن عباس انفق في سبيل الله وان لم يكن الا سهم او مشقص ولا يقولن احدكم
لا اجد شيا السهم هنا ما يرمى به والمشقص سهم فيه نصل عريض وقيل كان رجال يخرجون في البعوث
بغير نفقة فاما ان ينقطع بهم واما ان يكونوا عالة فامرهم الله تعالى بالانفاق على انفسهم في سبيل
الله ومن لم يكن عنده شي ينفق عليه في الغزو فلا يخرج لئلا يلقي نفسه في التهلكة وهو ان يهلك
نفسه من الجوع والعطش والمشي وقيل نزلت في ترك الجهاد عن ابي عمران واسمه اسلم قال كنا في مدينة
الروم فاخرجوا الينا صفا عظيما من الروم فخرج اليهم من المسلمين مثلهم واكثر وعلى اهل مصر عقبة بن
عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس
سبحان الله يلقي بيده الى التهلكة فقام ابو ايوب الانصاري فقال ايها الناس انكم لتتاولون هذه
الاية هذا التاويل وانما نزلت هذه الاية فينا معشر الانصار لما اعز الله الاسلام وكثر ناصروه
فقال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اموالنا قد ضاعت وان الله
قد اعز الاسلام وكثر ناصروه فلو اقمنا في اموالنا فاصلحنا ما ضاع منها فانزل الله تعالى على نبيه
صلى الله عليه وسلم يرد علينا ما قلنا وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وكانت
التهلكة الاقامة على الاموال واصلاحها وتركنا الغزو فما زال ابو ايوب شاخصا في سبيل الله
حتى دفن بارض الروم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح مات ابو ايوب في اخر غزوة غزاها
بارض قسطنطينية ودفن في اصل سورها فهم يتبركون بقبره ويستسقون به م عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة
من النفاق قال ابن المبارك فنرى ان ذلك كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الالقا
على التهلكة هو ان يقنط من رحمة الله وهو ان الرجل يصيبه الذنب فيقول قد هلكت ليس لي توبة
فييأس من رحمة الله فينهمك في المعاصي فهو القنوط فنهى الله عن ذلك وقيل في معنى الاية انفقوا في سبيل
الله ولا تقولوا نخاف الفقر ان انفقنا فنهلك وهو ان يجعلوا انفسهم هالكين بالانفاق خ عن حذيفة
وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قال نزلت في النفقة واحسنوا اي في الانفاق على
من يلزمكم مؤنته ونفقته وقيل واحسنوا في الانفاق ولا تسرفوا ولا تقتروا وانهوا عن الاسراف والاقتار
في الانفاق وقيل معناه واحسنوا في اداء فرايض الله تعالى واتموا الحج والعمرة لله قال ابن عباس هو ان
يتمهما بمناسكهما وحدودهما وسننهما وقيل اتمامهما ان يحرم بهما من دويرة اهلك وقيل هو ان
تفرد لكل واحد منهما سفرا وقيل اتمامهما ان تكون النفقة حلالا وينتهي عما نهى الله عنه وقيل ان
تخرج من بيتك لهما لا لتجارة ولا لحاجة وقيل اذا شرع فيهما وجب عليه الاتمام فصل
واتفقت الامة على وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال خطبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل اكل عام يا رسول
الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم
وفي رواية وفي وجوب العمرة قولان للشافعي اصحهما انها واجبة وهو قول علي وابن عمر وابن عباس والحسن
وابن سيرين وعطا وطاوس وسعيد بن جبير ومجاهد واليه ذهب احمد بن حنبل والقول الثاني انها

سنة ويروى ذلك عن ابن مسعود وجابر وابراهيم والشعبي واليه ذهب مالك وابو حنيفة وحجة
من اوجب العمرة ما في حديث الصبي بن معبد انه قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه اني وجدت الحج والعمرة
مكتوبين علي واني اهللت بهما قال هديت لسنة نبيك صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود والنسائي
باطول من هذا وجه الدليل انه اخبر عن وجوبهما عليه وصوبه عمر وبين انه مهتد بهما رواه في وجوبهما
عليه لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها لقرينتها في كتاب الله
واتموا الحج والعمرة لله وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال الحج والعمرة فريضتان وعنه ليس احد من
خلق الله الا وعليه حجة وعمرة واجبتان من استطاع الى ذلك سبيلا وعن ابن عباس رضي الله عنهما
العمرة واجبة كوجوب الحج وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة
وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة اخرجه النسائي والترمذي وزاد ما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت
الشمس بذنوبه وقال حديث حسن صحيح وجه الدليل انه امر بالمتابعة بين الحج والعمرة والامر للوجوب
ولانها قد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة كالحج وحجة من قال انها سنة ما روي عن جابر
رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة اواجبة هي قال لا وان تعتمروا
خير لكم اظهره الترمذي واجيب عنه بان هذا الحديث يرويه حجاج بن ارطاة وحجاج ليس ممن يقبل
منه ما تفرد به لسوء حفظه وقلة مراعاته لما يحدث به واجمعت الامة على جواز الحج والعمرة على
ثلاثة انواع افراد وتمتع وقران فصورة الافراد ان يحج ثم بعد فراغه منه يعتمر من ادنى الحل او يعتمر
قبل اشهر الحج ثم يحج في تلك السنة وصورة التمتع ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج ويأتي باعمالها فاذا فرغ
من اعمالها احرم بالحج من مكة في تلك السنة وانما سمي تمتعا لانه يستمتع بمحظورات الاحرام بعد
التحلل من العمرة الى ان يحرم بالحج وصورة القران ان يحرم بالحج والعمرة معا في اشهر الحج فينويهما بقلبه
وكذلك لو احرم بالعمرة في اشهر الحج ثم ادخل عليها الحج قبل ان يفتتح الطواف فيصير قارنا واختلفوا
في الافضل فذهب مالك والشافعي الى ان الافراد افضل ثم التمتع ثم القران يدل عليه ما روي عن
عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افرد الحج اخرجه مسلم وله عن ابن عمر رضي
الله عنهما قال اهللنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج مفردا وله عن جابر رضي الله عنه
قال قدمنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نصرخ بالحج صراخا وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال افصلوا
بين حجكم وعمرتكم فان ذلك اتم لحجكم واتم لعمرة ان تعتمر في غير اشهر الحج اخرجه مالك في الموطا وذهب
الثوري وابو حنيفة الى ان القران افضل يدل عليه ما روي عن انس رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعا وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لبيك عمرة وحجا اخرجاه في الصحيحين وذهب احمد بن حنبل واسحق بن راهويه الى ان التمتع
افضل يدل عليه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو
بكر وعمر وعثمان فاول من نهى عنه معاوية اخرجه الترمذي ق عن ابن عمر رضي الله عنهما قال تمتع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج واهدى فساق معه الهدي من ذي الحليفة
وبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج وتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالعمرة الى الحج وكان من الناس من اهدى ومنهم من لم يهد فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم

مكة قال للناس من كان منكم اهدى فلا يحل من شيء حرم منه حتى يقضي حجه ومن لم يكن منكم اهدى فليطف
بالبيت والصفا والمروة وليقصر وليحلل ثم ليهل بالحج وليهد فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة ايام
وسبعة اذا رجع الى اهله وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة فاستلم الركن اول
شيء ثم خب ثلاثة اطواف من السبع ومشى اربعة اطواف ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام
ركعتين ثم سلم فانصرف فاتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة اشواط ثم لم يحل من شيء حرم
منه حتى قضى حجه ونحر هديه يوم النحر وافاض فطاف بالبيت ثم حل من كل شيء حرم منه وفعل مثل
ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهدى فساق الهدي من الناس اختلفت الروايات في حجة
النبي صلى الله عليه وسلم هل كان مفردا او متمتعا او قارنا وهي ثلاثة اقوال للعلماء بحسب مذاهبهم
السابقة ورجحت كل طائفة نوعا وادعت ان حجة النبي صلى الله عليه وسلم كذلك وطريق الجمع
بين روايات الصحابة واختلافهم في حجته صلى الله عليه وسلم انه كان اولا مفردا ثم انه صلى الله عليه
وسلم احرم بالعمرة بعد ذلك وادخلها على الحج فصار قارنا فمن روى انه كان مفردا فهو الاصل
ومن روى القران اعتمد اخر الامر ومن روى التمتع اراد التمتع اللغوي وهو الانتفاع والارتفاق
وقد ارتفق بالقران كارتفاق التمتع وزيادة وهو الاقتصار على فعل واحد وبهذا امكن الجمع
بين الاحاديث المختلفة في صفة حجة الوداع وهو الصحيح وذكر الشافعي في كتاب اختلاف الحديث
كلاما موجزا في ذلك فقال ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن
والمتمتع وكل كان ياخذ منه امر نسكه ويصدر عن تعليمه فاضيف الكل اليه على معنى انه امر به
واذن فيه ويجوز في لغة العرب اضافة الفعل الى الامر به كما يجوز اضافته الى فاعله كما يقال بنى فلان
دارا واريد به انه امر ببنائها وكما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا فانما امر برجمه
واختار الشافعي الافراد واحتج في ترجيحه انه صح ذلك من رواية جابر وابن عمر وابن عباس وعائشة
وهؤلاء لهم مزية في حجة الوداع على غيرهم فاما جابر فهو احسن الصحابة سياقا لرواية حديث حجة
الوداع فانه ذكرها من حين خروج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى اخرها فهو اضبط لها من
غيره واما ابن عمر فصح عنه انه كان اخذا بخطام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم في حجته وانه سمعه
يلبي بالحج واما ابن عباس فمحله من العلم والفقه في الدين معروف مع كثرة بحثه عن احوال رسول
الله صلى الله عليه وسلم واما عائشة فقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف واطلاعها
على باطن امره وظاهره مع كثرة فقهها وعلمها ومن دلائل ترجيح الافراد ان الخلفاء الراشدين
افردوا الحج وواظبوا عليه واركان الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعي بين
الصفا والمروة وحلق الراس او التقصير وبهذه الاركان تمام الحج قوله تعالى **فان احصرتم** اصل
الحصر في اللغة الحبس والتضييق ثم اختلف اهل اللغة في الحصر والاحصار فقيل اذا رد الرجل عن
وجه يريده فقد احصر واذا حبس فقد حصر وقال ابن السكيت احصره المرض اذا منعه من السفر
او حاجة يريدها وحصره العدو اذا ضيق عليه وقال الزجاج الرواية عن اهل اللغة يقال
للذي يمنعه الخوف والمرض احصر وللمحبوس حصر وقال ابن قتيبة في قوله فان احصرتم هو ان يعرض للرجل
ما يحول بينه وبين الحج من مرض او كسر او عدو يقال احصر فهو محصر فان حبس في دار او سجن قيل حصر فهو
محصور وذهب قوم الى انهما بمعنى واحد قال الزجاج يقال للرجل من حصرك هنا ومن احصرك وقال

احمد بن يحيى الحصر في الاحصار الحبس وحصر في الحبس اقوى من احصر وقيل الاحصار يقال في المنع للظاهر
كالعدو وفي المنع الباطن كالمرض والحصر لا يقال الا في المنع الباطن وقوله فان احصرتم
محمول على الامرين وبحسب اختلاف اهل اللغة في معناهما اختلف الفقهاء في حكمهما فذهب قوم الى ان
كل مانع من عدو او مرض او ذهاب نفقة فانه يبيح له التحلل من احرامه وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة
وهو مذهب ابي حنيفة ويدل عليه ما روى عن عكرمة قال حدثني الحجاج بن عمرو قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه حجة اخرى قال عكرمة فذكرت ذلك لابي هريرة وابن عباس
فقالا صدق اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن وذهب قوم الى انه لا يبيح
له التحلل الا بحبس العدو وهو قول ابن عمر وابن عباس وانس وبه قال مالك والليث والشافعي واحمد
وقالوا الحصر والاحصار بمعنى واحد واحتجوا بان نزول الاية كان في قصة الحديبية في سنة ست
وكان ذلك حبسا من جهة العدو لان كفار مكة منعوا النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من الطواف
بالبيت فنزلت هذه الاية فحل النبي صلى الله عليه وسلم من عمرته ونحر هديه وقضاها من قابل ويدل
عليه ايضا سياق الاية وهو قوله فاذا امنتم والامن لا يكون الا من خوف وثبت عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال لا حصر الا حصر العدو فثبت بذلك ان المراد بالاحصار هو حصر العدو دون المرض وغيره
واجيب عن حديث الحجاج ابن عمرو بانه محمول على من شرط التحلل بالمرض ونحوه حال احرامه ويدل على
جواز الاشتراط في الاحرام ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ضباعة بنت الزبير رضي الله عنها
اتت النبي صلى الله عليه وسلم قالت يا رسول الله اني اريد الحج افاشترط قال نعم قالت كيف اقول فقال
قولي لبيك اللهم لبيك محلي من الارض حيث تحبسني اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وغيره
ان ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حجي واشترطي وقولي
اللهم محلي حيث حبستني فذهب الشافعي واحمد واسحق الى انه اذا اشترط في الحج فعرض له مرض او عذر
ان يتحلل ويخرج من احرامه ثم المحصر يتحلل بذبح الهدي وحلق الراس وهو المراد من قوله تعالى **فما
استيسر من الهدي** ومعنى الاية فان احصرتم دون تمام الحج او العمرة فحللتم فعليكم ما استيسر
من الهدي والهدي ما يهدى الى البيت واعلاه بدنة واوسطه بقرة وادناه شاة قال ابن عباس
شاة لانه اقرب الى اليسر ومحل ذبح هدي المحصر حيث احصر واليه ذهب الشافعي لان النبي صلى
الله عليه وسلم ذبح الهدي عام الحديبية بها وذهب ابو حنيفة الى انه يقيم على احرامه ويبعث
بهديه الى الحرم ويواعد من يذبحه هناك ثم يحل في ذلك الوقت **ولا تحلقوا رءوسكم حتى
يبلغ الهدي محله** اي مكانه الذي يجب ان يذبح فيه وفيه قولان احدهما انه الحرم فان كان
حاجا فمحله يوم النحر وان كان معتمرا فمحله يوم يبلغ هديه الى الحرم وهو قول ابي حنيفة
والقول الثاني محل ذبحه حيث احصر سواء كان في الحل او في الحرم ومعنى محله حيث يحل ذبحه
واكله وهو قول مالك والشافعي واحمد يدل عليه ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرين فحال كفار قريش دون البيت فنحر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحلق راسه اخرجه البخاري قوله تعالى **فمن كان منكم مريضا او به
اذى من راسه** معناه ولا تحلقوا رءوسكم في حال الاحرام الا ان تضطروا الى حلقه لمرض او اذى
وهو القمل والصداع ففدية فيه اضمار تقديره فحلق راسه فعليه فدية نزلت هذه الاية

في

في كعب بن عجرة **ق** عن كعب بن عجرة قال اتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اوقد تحت قدر لي والقمل
يتناثر على وجهي فقال ايؤذيك هوام راسك قال قلت نعم قال فاحلق وصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين
او انسك نسيكة لا ادري باي ذلك بدأ وفي رواية قال في نزلت هذه الاية فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه
ففدية من صيام او صدقة او نسك وذكر نحوه وفي اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو
بالحديبية قبل ان يدخل مكة وهو محرم وذكره وفي اخرى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما كنت ارى ان
الوجع بلغ بك ما ارى او ما كنت ارى ان الجهد بلغ بك ما ارى تجد شاة قلت لا قال فصم ثلاثة ايام
او اطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع قال كعب نزلت في خاصة وهي لكم عامة ومعنى قوله تعالى
ففدية من صيام اي صوم ثلاثة ايام او صدقة يعني الطعام ثلاثة ستة مساكين لكل مسكين نصف
صاع او نسك واحدتها نسيكة اي ذبيحة فاعلاها بدنة واوسطها بقرة وادناها شاة وهذه
الفدية على التخيير ان شاء ذبح او صام او تصدق وكل هدي او اطعام يلزم المحرم فانه لمساكين الحرم
الا هدي المحصر فانه يذبحه حيث احصر واما الصوم فله ان يصوم حيث شاء قوله تعالى **فاذا امنتم**
يعني من خوفكم وبرأتم من مرضكم وقيل اذا امنتم من الاحصار **فمن تمتع بالعمرة الى الحج** قال ابن الزبير
هو من احصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة يخرج من احرامه بعمل عمرة فاستمتع باحلاله ذلك بتلك
العمرة الى السنة المقبلة ثم حج فيكون متمتعا بذلك الاحلال الى احرامه الثاني في العام القابل وقيل
معناه فاذا امنتم وقد حللتم من احرامكم بعد الاحصار ولم تعتمروا في تلك السنة ثم اعتمرتم في السنة القابلة
في اشهر الحج ثم حللتم فاستمتعتم باحلالكم الى الحج ثم احرمتم بالحج فعليكم ما استيسر من الهدي وقال ابن
عباس هو الرجل يقدم معتمرا من افق من الافاق في اشهر الحج فقضى عمرته واقام بمكة حلالا حتى انشأ منها الحج فحج
من عامه ذلك فيكون متمتعا باحلاله من العمرة الى احرامه بالحج ومعنى التمتع في اللغة هو الاستمتاع بعد
الخروج من العمرة والتلذذ بما كان محظورا عليه في حال الاحرام الى احرامه بالحج **فما استيسر من الهدي**
يعني فعليه ما استيسر من الهدي وهو شاة يذبحها يوم النحر فلو ذبح قبله بعد ما احرم بالحج اجزأه
كدم الجبرانات ولا يجزئه ذبحه عند ابي حنيفة قبل يوم النحر كدم الاضحية ولوجوب دم التمتع خمس شرائط
احدها ان يقدم العمرة على الحج الثاني ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج الثالث ان يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه
السنة الرابع ان يحرم بالحج من مكة ولا يعود الى ميقات بلده فلو رجع الى الميقات واحرم منه لم يكن متمتعا
الخامس ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام فهذه الشروط في وجوب دم التمتع ومتى فقد شيء منها لم يكن
متمتعا ودم التمتع دم جبران عند الشافعي فلا يجوز ان ياكل منه وقال ابو حنيفة هو دم نسك فيجوز ان ياكل
منه وقوله **فمن لم يجد** يعني الهدي **فصيام ثلاثة ايام في الحج** اي فعليه صيام ثلاثة ايام في وقت
اشتغاله بالحج قيل يصوم يوما قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة وقيل بل المستحب ان يصوم في ايام الحج
بحيث يكون يوم عرفة مفطرا فان لم يصم قبل يوم النحر فقيل يصوم ايام التشريق وبه قال مالك
واحمد وهو احد قولي الشافعي وقيل يصوم بعد ايام التشريق وهو رواية عن احمد والقول الاخر للشافعي
وسبعة اذا رجعتم يعني وصوموا سبعة ايام اذا رجعتم الى اوطانكم قاله ابن عباس وبه قال الشافعي
فلو صام قبل الرجوع الى اهله لم يجزه عنده وقيل المراد من الرجوع الفراغ من اعمال الحج والاخذ في الرجوع
الى اهله قال ابو حنيفة **تلك عشرة كاملة** يعني في الثواب والاجر وقيل كاملة في قيامها مقام الهدي
لانه يحتمل ان يظن ظان ان الثلاثة قائمة مقام الهدي فاعلم الله ان العشرة بكمالها هي القائمة

مقام الهدي وقيل فايدة التكرار التوكيد كقول الفرزدق ثلاثة واثنان فهي خمس وسادسة يميل
الى سهام وكان القران نزل بلغة العرب والعرب تكرر الشي تريد به التوكيد وقيل فايدة ذلك
العذ لكتّي علم الحساب وهو ان يعلم العدد مفصلا ثم يعلمه جملة ليحتاط به من جهتين فكذلك قوله
تعالى فصيام ثلاثة ايام وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة وقيل ان العرب لما كانوا لا يعلمون
وكانوا يحتاجون الى زيادة بيان وايضاح فلذلك قال تلك عشرة كاملة وقيل لفظه خبر ومعناه
امر اي اكملوها ولا تنقصوها **ذلك** اي هذا الحكم الذي تقدم **لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام**
قيل حاضروا المسجد الحرام هم اهل مكة وهو قول مالك وقيل هم اهل الحرم وبه قال طاوس وقال ابن
جريج هم اهل عرفة والرجيع وضجنان ونخلة وقال الشافعي كل من كان وطنه من مكة على اقل من مسافة
القصر فهو من حاضري المسجد الحرام وقيل هو من دون الميقات وقال ابو حنيفة حاضروا المسجد الحرام
اهل الميقات والمواقيت ذو الحليفة والجحفة وقرن ويلملم وذات عرق فمن كان من اهل هذه المواضع
فما دونها الى مكة فهو من حاضري المسجد الحرام وقيل حاضروا المسجد الحرام من تلزمه الجمعة فيه ومعنى
الاية ان المشار اليه في قوله ذلك يرجع الى اقرب مذكور وهو لزوم الهدي او بدله على التمتع وهو
الافاقي فاما المكي اذا تمتع او قرن فلا هدي عليه ولا بدل له لانه لا يجب عليه ان يحرم من الميقات فاقدامه
على التمتع لا يوجب خللا في حجه فلا يجب عليه الهدي ويدل على ذلك ما اخرجه البخاري تعليقا من
حديث عكرمة قال سيل ابن عباس عن متعة الحج فقال اهل المهاجرون والانصار وازواج رسول الله
صلى الله عليه وسلم لحجة الوداع واهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة في حجة الوداع واهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدي طفنا بالبيت وبالصفا والمروة
واتينا النسا ولبسنا الثياب وقال من قلد الهدي فانه لا يحل من شي حتى يبلغ الهدي محله ثم امرنا
عشية التروية ان نهل بالحج فاذا فرغنا من المناسك جينا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وقد تم
حجنا وعلينا الهدي كما قال الله تعالى فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة
اذا رجعتم اي الى امصاركم الشاة تجزي فجمعوا بين نسكين في عام بين الحج والعمرة فان الله انزله في كتابه وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم واباحه للناس غير اهل مكة قال الله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد
الحرام وفي الحديث زيادة قال الحميدي قال ابو مسعود الدمشقي هذا حديث عزيز ولم اجده الا عند
مسلم بن الحجاج ولم يخرجه في صحيحه من اجل عكرمة فانه لم يرو عنه في صحيحه وعندي ان البخاري انما اخذه
من مسلم وقوله تعالى **واتقوا الله** فيما فرضه عليكم ونهاكم عنه في الحج وفي غيره **واعلموا ان الله شديد
العقاب** يعني لمن خالف امره وتهاون في حدوده وارتكب مناهيه قوله عز وجل **الحج اشهر معلومات** يعني
اشهر الحج اشهر معلومات وقيل وقت الحج اشهر معلومات وهي شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي
الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر وبه قال عبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله وعبد الله بن الزبير
ومن التابعين الحسن وابن سيرين والشعبي وهو قول الشافعي والثوري وابي ثور وحجة الشافعي ومن
وافقه ان الحج يفوت بطلوع الفجر الثاني من يوم النحر والعبادة لا تفوت مع بقاء وقتها فدل على ان يوم
النحر ليس من اشهر الحج وايضا ان الاحرام فيه لا يجوز فدل على انه وما بعده ليس من اشهر الحج وقال ابن
عباس اشهر الحج شوال وذو القعدة وعشرة ايام من ذي الحجة اخرها يوم النحر وبه قال ابن عمر وعروة بن
الزبير وعطا وطاوس والنخعي وقتادة ومكحول والضحاك والسدي وابو حنيفة واحمد بن حنبل

وهو احد

وهو احد الروايتين عن مالك وحجة هذا القول ان يوم النحر هو يوم الحج الاكبر ولان فيه يقع طواف
الافاضة وهو تمام اركان الحج وقيل ان اشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله وهو رواية عن
ابن عمر وبه قال الزهري وهو الرواية الاخرى عن مالك وحجة هذا القول ان الله تعالى ذكر اشهر الحج
بلفظ الجمع واقل الجمع المطلق ثلاث ولان كل شهر كان اوله من اشهر الحج كان اخره كذلك فان قلت
هنا اشكال وهو ان الله تعالى قال قبل هذه الاية ويسلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس
والحج فجعل الاهلة كلها مواقيت للحج قلت قوله هي مواقيت للناس والحج عام وهذه الاية وهي قوله
تعالى الحج اشهر معلومات خاص والخاص مقدم على العام وقيل ان الاية الاولى مجملة وهذه الاية مفسرة
لها فان قلت انما قال اشهر بلفظ الجمع وعند الشافعي اشهر الحج شهران وعشر ليال وعند ابي حنيفة
وعشرة ايام فما وجه هذا قلت ان لفظ الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت
قلوبكما وقيل انه نزل بعض الشهر منزلة جميعه كقوله رايتك سنة كذا وانما راه في ساعة منها ولا
اشكال فيه على القول الثالث وهو قول من قال ان اشهر الحج ثلاثة شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله **فمن فرض
فيهن الحج** يعني فمن الزم نفسه واوجب عليها فيهن الحج والمراد بهذا الفرض ما يصير به حاجا وهو فعل
يفعله ثم اختلفوا في ذلك الفعل فقال الشافعي ينعقد الاحرام بمجرد النية من حاجة الى التلبية
ووجهه ان فرض الحج عبارة عن النية فوجب ان تكون النية كافية في انعقاد الحج وقال ابو حنيفة
لا يصح الشروع في الاحرام بمجرد النية حتى ينضم اليه التلبية او سوق الهدي ووجهه ان الحج عبادة
لها تحليل وتحريم فلا بد من انضمام شي اخر الى النية كتكبيرة الاحرام مع النية في الصلاة وفي
الاية دليل على ان الاحرام بالحج لا ينعقد الا في اشهره وهو قول ابن عباس واليه ذهب الشافعي
واحمد واسحق لان الله تعالى خصص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا
التخصيص وجه ولا فايدة وقال مالك والثوري وابو حنيفة ينعقد احرامه بالحج في جميع شهور السنة
ووجهه ان الاحرام التزام الحج فجاز تقديمه على الوقت كالنذر ولان الله تعالى جعل الاهلة كلها مواقيت
للناس والحج وقد تقدم الجواب عنه وقوله تعالى **فلا رفث** قال ابن عباس الرفث الجماع وفي رواية
عنه ان الرفث غشيان والقبل والغمز وان يعرض لها بالفحش من الكلام فعلى هذا التلفظ بحضرة
النسا لا يكون رفثا قال حصين بن قيس اخذ ابن عباس بذنب بعيره يلويه وهو يحدو ويقول

وهن يمشين بنا هميسا ۞ ان يصدق الطير ننك لميسا

فقلت اترفث وانت محرم فقال انما الرفث ما قيل عند النسا وقوله لميسا هو اسم امراة وقيل
الرفث كلام تتضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه فقوله فلا رفث يحتمل ان يكون
نهيا عن تعاطي الجماع وان يكون نهيا عن الحديث في ذلك لانه من دواعيه وقيل الرفث هو الفحش
والخنا والقول القبيح وقيل الرفث الفحش من الكلام ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم
اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث يوميذ ولا يصخب **ولا فسوق** اصله الخروج عن الطاعة
قال ابن عباس هو المعاصي كلها وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهري
والربيع والقرظي وقال ابن عمر هو ما نهي عنه المحرم في حال الاحرام من قتل الصيد وتقليم الاظفار
واخذ الشعر وما اشبه ذلك وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب **و**عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته

انه **ولا جدال في الحج** قال ابن عباس الجدال في الحج المراء وهو ان يماري الرجل صاحبه ويخاصمه حتى يغيظه
وقيل هو قول الحاج الحج اليوم ويقول الاخر غدا وقيل هو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع وقد
احرموا بالحج اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدي قالوا كيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج فهذا
كان جدالهم وقيل هو ما كان عليه اهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بالمزدلفة وكان بعضهم
يحج في ذي القعدة وبعضهم في ذي الحجة وكل يقول الصواب فيما فعلته فانزل الله تعالى ولا جدال
في الحج واخبر ان امر الحج قد استقر على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا اختلاف فيه بعده وذلك
معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان الزمان استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض
وقيل لا شك في الحج انه في ذي الحجة فابطل النسيء وقيل ظاهر الاية خبر ومعناه نهي اي لا ترفثوا ولا تفسقوا
ولا تجادلوا في الحج وانما نهى عن ذلك وامرنا باجتنابه في الحج وان كان اجتناب ذلك في كل الاحوال والازمان
واجب لان الرفث والفسوق والجدال في الحج اشنع واقطع منه في غيره **وما تفعلوا من خير يعلمه الله**
اي لا يخفى عليه شيء من اعمالكم وهو الذي يجازيكم عليها حث على فعل الخير عقيب النهي عن الشر وهو ان
تستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق
الجميلة وقيل جعل فعل الخير عبارة عن ضبط الانفس عن الشر حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وقيل انما ذكر الخير
وان كان عالما بجميع افعال العباد من الخير والشر لفائدة وهو انه تعالى اذا علم من العبد الخير ذكره واشهره
واذا علم منه الشر ستره واخفاه فاذا كان هذا فعله مع عبده في الدنيا فكيف في العقبى وهو ارحم الراحمين
واكرم الاكرمين **وتزودوا فان خير الزاد التقوى** نزلت في ناس من اهل اليمن كانوا يخرجون الى الحج
بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحج بيت ربنا افلا يطعمنا فاذا قدموا مكة سالوا الناس
وربما افضى بهم الحال الى النهب والغصب فانزل الله تعالى وتزودوا اي ما تتبلغون وتكفون به وجوهكم
واتقوا الابرام والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى وقيل في معنى الاية وتزودوا من التقوى فان
الانسان لا بد له من سفر في الدنيا ولا بد له فيه من زاد ويحتاج فيه الى الطعام والشراب والمركب وسفر
من الدنيا الى الاخرة ولا بد فيه من زاد ايضا وهو تقوى الله والعمل بطاعته وهو الزاد افضل من الزاد
الاول فان زاد الدنيا يوصل الى مراد النفس وشهواتها وزاد الاخرة يوصل الى النعيم المقيم في الاخرة
وفي هذا المعنى قال الاعشى

اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ان لا تكون كمثله ... وانك لم ترصد كما كان ارصدا

واتقون اي خافوا عقابي وقيل معناه واشتغلوا بتقواي وفيه تنبيه على كمال عظمة الله جل جلاله
يا اولي الالباب اي يا ذوي العقول الذين يعلمون حقائق الامور قوله عز وجل **ليس عليكم جناح
ان تبتغوا فضلا من ربكم** يعني رزقا ونفعا وهو الربح في التجارة خ عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا في الجاهلية فلما كان الاسلام فكانهم تاثموا ان يتجروا في المواسم
فنزلت ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج وقراها ابن عباس هكذا وفي رواية ان يبتغوا
في مواسم الحج فضلا من ربكم عكاظ معروفة بقرب مكة ومجنة بفتح الميم وكسرها سوق بقرب مكة ايضا قال
الازرقي هي باسفل مكة على بريد منها وذو المجاز سوق عند عرفة وكانت العرب في الجاهلية يتجرون في هذه الاسواق
والمواسم وكانوا يقيمون بعكاظ عشرين يوما من ذي القعدة ثم ينتقلون الى مجنة فيقيمون بها ثمانية

عشر يوما

عشر يوما عشرة ايام من اخر ذي القعدة وثمانية ايام من اول ذي الحجة ثم يخرجون الى عرفة في يوم التروية
وقال الداودي مجنة عند عرفة وعن ابي امامة التيمي قال كنت اكري في هذا الوجه وكان الناس يقولون
انه ليس لك حج فقال ابن عمر اليس تحرم وتلبي وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات وترمي الجمار قلت بلى
قال فان لك حجا جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن مثل ما سالتني عنه فسكت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه حتى نزلت هذه الاية ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم
فارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراها عليه وقال لك حج اخرجه ابو داود وقال
بعض العلماء اذا اوقعت نقصانا في اعمال الحج لم يكن مباحا وان لم توقع نقصا فيكون التجارة من المباحات
التي الاولى تركها لتجريد العبادة عن غيرها الا ان الحج بدون التجارة اكمل وافضل قوله تعالى **فاذا افضتم**
اي دفعتم والافاضة دفع بكثرة **من عرفات** جمع عرفة سميت بذلك وان كانت بقعة واحدة لان كل
موضع من تلك المواضع عرفة فسمي مجموع تلك المواضع عرفات وقيل اسم الموضع واسم اليوم عرفة
قال عطاء كان جبريل يري ابراهيم المناسك ويقول له عرفت فيقول عرفت فسمي ذلك المكان عرفات
واليوم عرفة وقال الضحاك ان ادم لما اهبط وقع بالهند وحوى بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب
صاحبه فاجتمعا بعرفات في يوم عرفة فتعارفا فسمي اليوم عرفة والموضع عرفات وقال السدي ان
ابراهيم عليه السلام لما اذن في الناس بالحج واجابوه بالتلبية واتاه من اتاه امره الله ان يخرج الى عرفات
ونعتها له فخرج فلما بلغ الشجرة استقبله الشيطان يرده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار
فوقع على الجمرة الثانية فرماه وكبر فطار فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فلما راى الشيطان
انه لا يطيعه ذهب فانطلق ابراهيم حتى اتى ذا المجاز فلما نظر اليه لم يعرفه فجاز فسمي ذا المجاز ثم انطلق
ابراهيم حتى وقف بعرفات فلما نظر اليها عرفها بالنعت فسمي الوقت عرفة والموضع عرفات حتى اذا امسى ازدلف
الى جمع فسمي ذلك الموضع مزدلفة وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ابراهيم راى ليلة
التروية في منامه انه يؤمر بذبح ابنه فلما اصبح تروى يومه اجمع اي يتفكر هل هذه الرؤيا من الله
ام من الشيطان فسمي يوم التروية ثم راى ذلك ليلة عرفة فلما اصبح عرف ان ذلك من الله فسمي
اليوم عرفة وقيل سمي بذلك لان الناس يعترفون في ذلك اليوم بذنوبهم وقيل سمي عرفة من العرف
وهو الطيب وسمي منى لانه يمنى فيه الدماء اي تصب فيكون فيه الفروث والدماء فلا يكون الموضع
طيبا وعرفات طاهر عن مثل هذا فتكون طيبة واعلم ان الوقوف بعرفة ركن من اركان الحج ويدرك
الحج به ومن فاته الوقوف في وقته فقد فاته الحج ويدخل وقت الوقوف بعرفة بزوال الشمس
من يوم عرفة ويمتد الى طلوع الفجر الثاني من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة فلو وقف
بعرفات في هذا الوقت ولو لحظة واحدة من ليل او نهار فقد حصل الوقوف ويجمع وقال احمد
وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوع الفجر يوم النحر ووقت الافاضة من عرفات بعد
غروب الشمس فاذا غربت الشمس دفع من عرفات واخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بمزدلفة
ق عن اسامة بن زيد قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل
فبال ثم توضأ ولم يسبغ الوضوء فقلت الصلاة يا رسول الله فقال الصلاة امامك فركب فلما
جاء المزدلفة نزل فتوضأ فاسبغ الوضوء ثم اقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم اناخ كل انسان بعيره
في منزله ثم اقيمت العشاء فصلى ولم يصل بينهما شيئا قوله تعالى **فاذكروا الله عند المشعر الحرام**

سمي مشعرا من الشعار وهي العلامة لانه من معالم الحج واصل الحرام المنع فهو ممنوع من ان يفعل فيه ما لم
يوذن فيه والمشعر الحرام هو ما بين جبلي مزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر وليس المازمان ولا
وادي محسر من المشعر الحرام وقيل المشعر الحرام هو المزدلفة وسماه الله بذلك لان الصلاة والمبيت
به والدعا عنده من معالم الحج وقيل المشعر الحرام هو قزح وهو اخر حد المزدلفة والاول اصح وسميت
المزدلفة من الازدلاف وهو الاقتراب لانها منزلة من الله وقربة وقيل لنزول الناس زلف الليل
وقيل لاجتماع الناس بها وتسمى المزدلفة جمعا لانه يجمع فيها بين المغرب والعشا وقيل المراد بالذكر
عند المشعر الحرام هو الجمع بين صلاتي المغرب والعشا هناك ويدل عليه قوله واذكروا الله
لامر وهو للوجوب ولا يجب هناك الا الصلاة والذي عليه جمهور العلما ان المراد بالذكر هو الدعا
والتلبية والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ق عن ابن عباس ان اسامة بن زيد كان ردف
النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة ثم اردف الفضل من المزدلفة الى منى وكلاهما قال
لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبة عن جابر قال دفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى اتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشا باذان واحد واقامتين فلم يسبح بينهما
شيا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له باذان واقامة ثم ركب القصوى حتى اتى
المشعر الحرام فاستقبل القبلة ودعا وكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفا حتى اسفر جدا ودفع قبل
ان تطلع الشمس هذا الحديث ذكره البغوي بغير سند ولم اجده في الاصول قال طاووس كان اهل
الجاهلية يدفعون من عرفة قبل ان تغيب الشمس ومن مزدلفة بعد طلوعها وكانوا يقولون اشرق
ثبير كيما نغير فنسخ الله احكام الجاهلية فاخر الافاضة من عرفة الى بعد الغروب وقدم الافاضة
من مزدلفة الى قبل طلوعها وثبير جبل بمكة ومعنى قولهم اشرق ثبير ادخل ايها الجبل في الشروق
وهو نور الشمس وهو قولهم كيما نغير اي ندفع للنحر يقال اغار اذا اسرع ودفع في عدوه خ عن عمرو
ابن ميمون قال قال عمر كان اهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس وكانوا يقولون
اشرق ثبير فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم فافاض قبل طلوع الشمس وقوله واذكروه كما هداكم
اي واذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية فهداكم لدينه ومناسك حجه وان كنتم من قبله
لمن الضالين اي لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه والهاء من قبله راجعة الى الهدى وقيل الى الرسول
اي من قبل ارسال الرسول لمن الضالين وهو كناية عن غير مذكور وقيل يرجع الى القران والمعنى واذكروه
كما هداكم لكتابه الذي انزله عليكم وان كنتم من قبل انزاله لمن الضالين قوله تعالى ثم افيضوا من حيث
افاض الناس اي لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس وفي المخاطبين بهذا قولان احدهما انه خطاب
لقريش قال اهل التفسير كانت قريش ومن دان بدينها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن اهل
الله وقطان حرمه فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه ويتعاظمون ان يقفوا مع سائر الناس بعرفات وكان سائر
الناس يقفون فاذا افاض الناس من عرفات افاض الحمس من المزدلفة فامرهم الله ان يقفوا بعرفات
مع سائر الناس ثم يفيضوا منها الى جمع واخبرهم انه سنة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ق عن عائشة
رضي الله عنها قالت كان قريش ومن دان بدينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وسائر العرب يقفون
بعرفة فلما جا الاسلام امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياتي عرفات فيقف بها ثم يفيض منها فذلك
قوله ثم افيضوا من حيث افاض الناس قولها كانوا الحمس وهم جمع احمس واصله من الشدة والشجاعة وانما سمي

قريش

قريش وكنانة حمسا لتشددهم في دينهم فعلى هذا القول الناس معناه جميع العرب سوى الحمس القول
الثاني انه خطاب لسائر المسلمين امرهم الله ان يفيضوا من حيث افاض ابراهيم وهو المراد بقوله من حيث
افاض الناس وقيل الناس هنا ادم وحده بدليل قراة سعيد بن جبير ثم افيضوا من حيث افاض الناسي
بالياء وقيل هو انه عليه السلام عهد اليه فنسي ووجه هذا ان الوقوف بعرفات والافاضة منها شرع
قديم وما سواه مبتدع محدث وقيل المراد من هذه الاية الافاضة من مزدلفة الى منى يوم النحر قبل
طلوع الشمس للرمي والنحر واراد بالناس ابراهيم واسمعيل واتباعهما لانه كانت افاضتهم من المزدلفة
قبل طلوع الشمس ووجه هذا القول ان الافاضة من عرفات قد تقدم ذكرها في قوله فاذا افضتم من
عرفات ثم قال بعد ذلك ثم افيضوا من حيث افاض الناس فدل على ان هذه الافاضة من المزدلفة
الى منى لكن القول الاول هو الاصح الذي عليه الجمهور المفسرين فان قلت على القول الذي هو قول جمهور
المفسرين اشكال وهو ان ظاهر الكلام لا يقتضي ذلك لان قوله تعالى فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله
والافاضة من عرفات قبل الافاضة من جمع فكيف قال ثم افيضوا من حيث افاض الناس فكانه قال
فاذا افضتم من عرفات فافيضوا من عرفات وذلك غير جائز قلت اجيب عن هذا الاشكال بان فيه
تقديما وتاخيرا وتقديره ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ليس
عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا فعلى هذا الترتيب يصح ان تكون
هذه الافاضة تلك الافاضة بعينها وقيل ان ثم في قوله ثم افيضوا بمعنى الواو اي وافيضوا كقوله ثم
كان من الذين امنوا الدفع والافاضة الدفع ق عن هشام بن عروة عن ابيه قال سيل اسامة بن زيد
وانا جالس كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في حجة الوداع قال كان يسير العنق فاذا
وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق والعنق بفتح العين ضرب من السير السريع حتى يستخرج
من الناقة اقصى وسعها خ عن ابن عباس رضي الله عنهما انه دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة
فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وراه زجرا شديدا وضربا للابل فاشار بسوطه اليهم وقال يا ايها الناس
عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع الايضاع السير السريع الشديد وقوله تعالى واستغفروا
الله اي من مخالفتكم في الموقف ولجميع ذنوبكم ان الله غفور رحيم يعني ان الله هو الساتر لذنوب
عباده برحمته والغفور يفيد المبالغة في الغفر وكذا الرحيم وفيه دليل على انه يقبل التوبة من عباده
التائبين ويغفر لهم لانه تعالى لما امر المذنب بالاستغفار ثم انه تعالى وصف نفسه بانه كثير الغفران
كثير الرحمة دل ذلك على انه يغفر للمستغفرين ويرحم المذنبين بمنه وكرمه عز وجل قوله تعالى فاذا
قضيتم مناسككم اي فرغتم من حجكم وعبادتكم وذبحتم نسايككم اي ذبايحكم وذلك بعد رمي جمرة العقبة
والاستقرار بمنى فاذكروا الله يعني بالتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير والثنا عليه كذكركم
اباكم قال اهل التفسير كانت العرب في الجاهلية اذا فرغوا من حجهم يقفون بين المسجد بمنى وبين الجبل وقيل
عند البيت فيذكرون مفاخر ابايهم ومآثرهم وفضايلهم ومحاسنهم ومناقبهم فيقول احدهم كان ابي كبير
الجفنة رحب الفنا يقري الضيف وكان كذا وكذا يعد مفاخره ومناقبه ويتناشدون في ذلك الاشعار
ويتكلمون بالمنثور والمنظوم من الكلام الفصيح وغرضهم بذلك الشهرة والسمعة والرفعة بذكر مناقب
سلفهم وابايهم فلما من الله عليهم بالاسلام امرهم ان يكون ذكرهم لله لا لابايهم وقال اذكروني فانا الذي فعلت
ذلك بكم وبهم واحسنت اليكم واليهم وقال ابن عباس معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الاباء وذلك

ان الصبي اول ما يفصح بالكلام يقول ابه امه لا يعرف غير ذلك فامرهم ان يذكروه كذكر الصبيان الصغار
الابا **او اشد ذكرا** اي بل اشد ذكرا وقيل او بمعنى الواو اي فاشد ذكرا اي واكثر ذكرا من الابا لانه هو المنعم
على الابا فهو المستحق للذكر والحمد مطلقا وسئل ابن عباس عن هذه الاية وقيل له قد ياتي على الرجل
اليوم لا يذكر فيه اباه فقال ليس كذلك ولكن ان تغضب لله اذا عصي اشد من غضبك لوالديك
اذا شتما **فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا** يعني ان المشركين كانوا يسالون الله تعالى في حجهم
الدنيا ونعيمها وكانوا يقولون اللهم اعطنا غنما وابلا ونفرا وعبيدا واما وكان احدهم يقوم فيقول
اللهم ان ابي كان عظيم القبة كبير الجفنة كثير المال فاعطني مثل ما اعطيته قال قتادة هذا عبد
نيته الدنيا لها انفق ولها عمل ونصب خ عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال تعس عبد الدنيا وعبد الدرهم وعبد الخميصة ان اعطي رضي وان لم يعط سخط تعس وانتكس
واذا شيك فلا انتقش قوله تعس عبد الدنيا هذا دعا عليه ومعناه الوقوع على الوجه من العثار
والخميصة ثوب من خز او صوف معلم قوله وانتكس هذا دعا عليه ايضا لان من انتكس على راسه
او في امره فقد خاب وخسر قوله واذا شيك هذا فعل ما لم يسم فاعله يقال شاكته الشوكة اذا دخلت
في جسمه والانتقاش اخراج الشوكة من الجسم وانما كان سوال المشركين الدنيا ولم يطلبوا التوبة
والمغفرة ونعيم الاخرة لانهم كانوا ينكرون البعث **وما له في الاخرة من خلاق** من حظ ولا نصيب
ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة يعني المومنين واعلم ان الله تعالى
قسم الداعين فريقين فريق اقتصروا في الدعا على طلب الدنيا وهم الكفار لانهم كانوا لا يعتقدون البعث
والاخرة والفريق الثاني وهم المومنون الذين جمعوا في الدعا بين طلب الدنيا والاخرة وذلك
لان الانسان خلق ضعيفا محتاجا لا طاقة له بالام الدنيا ومتاعبها فالاولى له ان يستعيذ بالله
من شرها والامها لانه لو اضطرب على الانسان عرق من عروقه لتشوش عليه حياته في الدنيا وتعطل
عن الاشتغال بطاعة الله تعالى فثبت بذلك ان طلب الدنيا في الدعا من امر الدين فكذلك قال
تعالى اخبارا عن المومنين ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة قيل الحسنة
في الدنيا عبارة عن الصحة والامن والكفاية والتوفيق الى الخير والنصر على الاعدا والولد الصالح
والزوجة الصالحة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال متاع الدنيا وخير متاعها الزوجة الصالحة وقيل الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة
الجنة وقيل الحسنة في الدنيا الرزق الحلال والعمل الصالح وفي الاخرة المغفرة والثواب وقيل من
اتاه الله الاسلام والقران واهلا ومالا فقد اوتي في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقيل في الدنيا
حسنة يعني عافية وفي الاخرة عافية م عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من
المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تدعو الله
بشي او تساله اياه قال نعم كنت اقول اللهم ما كنت معاقبي به في الاخرة فعجله لي في الدنيا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه افلا قلت اللهم اتنا في الدنيا حسنة
وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار قال فدعا الله به فشفاه ق عن انس بن مالك رضي الله عنه
قال كان اكثر دعا النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا
عذاب النار عن عبد الله بن السايب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين الركنين

ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار اخرجه ابو داود **اولئك** اشارة
الى المومنين الداعين بالحسنيين ووجه هذا القول ان الله ذكر حكم الفريق الاول بكماله فقال وما
له في الاخرة من خلاق وقيل يرجع الى الفريقين جميعا **لهم** اي لكل فريق من هولا **نصيب** اي حظ **مما كسبوا**
يعني من الخير والدعا والثواب والجزا على الدعا بالدنيا من جنس ما كسب ودعا **والله سريع الحساب**
ذكروا في معنى الحساب ان الله يعلم العباد بما لهم وعليهم وبمعنى انه تعالى يخلق العلوم الضرورية
في قلوبهم بمقادير اعمالهم وكمياتها وكيفياتها وبمقادير ما لهم من الثواب وعليهم من العقاب وقيل
ان المحاسبة عبارة عن المجازاة ويدل عليه قوله تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله
فحاسبناها حسابا شديدا وقيل ان الله تعالى يكلم عباده ويعرفهم احوال اعمالهم وما لهم من الثواب
والعقاب وقيل انه تعالى اذا حاسب عباده فحسابه سريع لانه تعالى لا يحتاج الى عقد يد ولا روية فكر
ووصف نفسه سبحانه وتعالى بسرعة الحساب مع كثرة الخلايق وكثرة اعمالهم ليدل بذلك على
كمال قدرته لانه تعالى لا يشغله شان عن شان ولا يحتاج الى الة ولا مادة ولا مساعدة لا جرم
قد كان قادرا على ان يحاسب جميع الخلايق في اقل من لمحة البصر روي انه تعالى يحاسب الخلايق في
قدر حلب شاة وقيل في معنى كونه سريع الحساب اي سريع القبول لدعا عباده والاجابة لهم وذلك
انه تعالى يسيله السايلون في الوقت الواحد كل واحد منهم اشيا مختلفة من امور الدنيا والاخرة
فيعطي كل واحد مطلوبه من غير ان يشتبه عليه شي من ذلك لانه تعالى عالم بجميع احوال عباده واعمالهم
وقيل في معنى الاية ان اتيان القيمة قريب لان كل ما هو كاين وات فهو قريب لا محالة وفيه اشارة
الى المبادرة بالدعا والذكر وساير الطاعات وطلب الاخرة قوله تعالى **واذكروا الله** يعني بالتوحيد
والتعظيم والتكبير في ادبار الصلوات وعند رمي الجمار وذلك انه يكبر مع كل حصاة من حصى الجمار فقد ورد
في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم كبر مع كل حصاة **في ايام معدودات** يعني ايام التشريق وهي
ايام منى ورمي الجمار سميت معدودات لقلتهن وهي ثلاثة ايام بعد يوم النحر اولها اليوم الحادي عشر
من ذي الحجة وهو قول ابن عمر وابن عباس والحسن وعطا ومجاهد وقتادة ومذهب الشافعي وقيل ان
الايام المعدودات يوم النحر ويومان بعده وهو قول علي بن ابي طالب ويروى عن ابن عمر ايضا وهو مذهب
ابي حنيفة عن نبيشة الهذلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايام التشريق ايام اكل وشرب
وذكر الله تعالى ومن الذكر في هذه الايام التكبير خ عن ابن عمر رضي الله عنهما كان يكبر بمنى تلك الايام وخلف
الصلوات وعلى فراشه وفي فسطاطه وفي ممشاه في تلك الايام جميعا وفي رواية انه كان يكبر في قبته فيسمعه
اهل المسجد فيكبرون ويكبر اهل الاسواق حتى ترتج اخرجه البخاري بغير اسناد اجمع العلما على ان المراد بهذا
هو التكبير عند رمي الجمار وهو ان يكبر مع كل حصاة يرمي بها في جميع ايام التشريق واجمعوا ايضا على ان
التكبير في عيد الاضحى وفي هذه الايام في ادبار الصلوات سنة واختلفوا في وقت التكبير فقيل يبتدي
من صلاة الظهر يوم النحر الى صلاة الصبح من اخر ايام التشريق فيكون التكبير على هذا القول في خمس
عشرة صلاة وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال الشافعي في اصح اقواله قال الشافعي لان الناس فيه تبع
للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت هو التلبية وياخذون في التكبير يوم النحر من صلاة الظهر
وقيل انه يبتدي به من صلاة المغرب ليلة النحر ويختم بصلاة الصبح من اخر ايام التشريق فيكون
التكبير على هذا القول في ثلاث وعشرين صلاة وهو قول علي بن ابي طالب ومكحول وبه قال ابو يوسف ومحمد

وقال ابن مسعود يبتدئ به من صبح يوم عرفة ويختم بصلاة العصر من يوم النحر فعلى هذا القول يكون
التكبير في ثمان صلوات وبه قال ابو حنيفة وقال احمد بن حنبل ان كان حلالا كبر عقب ثلاث وعشرين صلاة
اولها صلاة الصبح من يوم عرفة واخرها صلاة العصر من اخر ايام التشريق وان كان محرما كبر عقيب
سبعة عشر صلاة اولها الظهر من يوم النحر واخرها عصر اخر ايام التشريق ولفظ التكبير عند الشافعي
ثلاثا نسقا الله اكبر الله اكبر الله اكبر وهو قول سعيد بن جبير والحسن وهو قول اهل المدينة
قال الشافعي وما زاد من ذكر الله فحسن ويروى عن ابن مسعود انه يكبر مرتين فيقول الله اكبر الله اكبر
وهو قول اهل العراق وقوله تعالى **فمن تعجل في يومين** اي فمن تعجل النفر الاول وهو في الثاني من ايام
التشريق **فلا اثم عليه** اي فلا جناح عليه وذلك انه يجب على الحاج المبيت بمنى الليلة الاولى والثانية
من ليالي ايام التشريق ليرمي كل يوم بعد الزوال احدى وعشرين حصاة يرمي عند كل جمرة سبع حصيات
ثم حتى رمى في اليوم الثاني واراد ان ينفر ويدع البيتوتة الليلة الثالثة ورمي يومها فذلك واسع
له لقوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه يعني فلا اثم على من تعجل فنفر في اليوم الثاني في تعجله
ومن تاخر فلا اثم عليه يعني ومن تاخر الى النفر الثاني وهو اليوم الثالث من ايام التشريق
فلا اثم عليه في تاخره واعلم انه انما يجوز التعجيل لمن نفر بعد الزوال من اليوم الثاني من ايام التشريق
وقبل غروب الشمس من ذلك اليوم فان غربت عليه الشمس وهو بمنى لزمه المبيت ورمي اليوم الثالث
هذا مذهب الشافعي واكثر الفقهاء وقال ابو حنيفة يجوز له ان ينفر ما لم يطلع الفجر لانه لم يدخل وقت الرمي
بعد ورخص لرعاة الابل واهل سقاية الحاج ترك المبيت بمنى ليالي منى فان قلت قوله ومن تاخر
فلا اثم عليه انما يخاف من الاثم من قصر فيما يلزمه قلت فيه اجوبة احدها انه تعالى لما اذن في
التعجيل على سبيل الرخصة احتمل ان يخطر ببال قوم ان من لم يجر على موجب هذه الرخصة فانه يأثم فازال
الله تعالى الشبهة وبين انه لا اثم عليه في الامرين فان شاء عجل وان شاء اخر الجواب الثاني ان من الناس
من كان يتعجل ومنهم من كان يتاخر وكل فريق يصوب فعله على فعل الفريق الاخر فبين الله تعالى
ان كل واحد من الفريقين مصيب على فعله وانه لا اثم عليه الجواب الثالث انما قال ومن تاخر فلا
اثم عليه لمشاكلة اللفظ الاول فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ومعلوم ان جزاء السيئة
ليس بسيئة الجواب الرابع ان فيه دلالة على جواز الامرين فكانه تعالى قال فتعجلوا او تاخروا فلا اثم في
التعجيل ولا اثم في التاخير **لمن اتقى** اي ذلك التخيير ونفي الاثم للحاج المتقي وقيل لمن اتقى ان يصيب في حجه
شيئا مما نهاه الله عنه من قتل صيد وغيره مما هو محظور في الحج وقيل معناه انه ذهب اثمه ان اتقى فيما بقي من
عمره وذلك ان الحاج يرجع مغفورا له بشرط ان لا يرتكب ما نهي عنه فيما بقي من عمره وهو قوله **واتقوا الله**
اي في المستقبل والتقوى عبارة عن فعل الواجبات وترك المحظورات **واعلموا انكم اليه تحشرون** اي فيجازيكم
باعمالكم وفيه حث على التقوى قوله عز وجل **ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا** نزلت في الاخنس
ابن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه ابي وانما سمي الاخنس لانه خنس يوم بدر بثلاث مائة رجل من بني
زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه اشار على بني زهرة بالرجوع يوم بدر وقال
لهم ان محمدا ابن اختكم فان يك كاذبا كفاكموه الناس وان يك صادقا كنتم اسعد الناس به قالوا نعم ما رايت
قال اني ساخنس بكم فاتبعوني فخنس فسمي الاخنس بذلك وكان الاخنس حلو الكلام حلو المنظر وكان ياتي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجالسه ويظهر الاسلام ويقول اني لاحبك ويحلف بالله على ذلك وكان

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم يدني مجلسه وكان الاخنس منافقا فنزل فيه ومن الناس من يعجبك
قوله اي يروقك وتستحسنه ويعظم في قلبك في الحياة الدنيا يعني ان حلاوة كلامه فيما يتعلق بامر
الدنيا **ويشهد الله على ما في قلبه** يعني به في قلبه والله اني بك مؤمن ولك محب **وهو الد الخصام**
اي شديد الجدال في الباطل وقيل كاذب القول وقيل شديد القسوة في المعصية جدل بالباطل
يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة (ق) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ابغض
الرجال الى الله تعالى الالد الخصم يعني الشديد في الخصومة **واذا تولى** اي ادبر واعرض عنك بعد
لين القول وحلاوة المنطق **سعى في الارض** اي سار ومشى في الارض **ليفسد فيها** يعني يقطع الارحام
ويسفك دماء المسلمين **ويهلك الحرث والنسل** وذلك ان الاخنس بن شريق كان بينه وبين ثقيف
فبيتهم ليلا فاحرق زرعهم واهلك مواشيهم وقيل خرج الى الطائف مقتضيا دينا له على غريم فاحرق له
كدسا وعقر له اتانا وقيل معناه اذا تولى صار واليا وملك الامر سعى في الارض ليفسد فيها يعني
بالظلم والعدوان كما يفعله ولاة السوء والظلمة وقيل يظهر ظلمه حتى يمنع الله بظلمه المطر فيهلك
الحرث والنسل بسبب منع المطر وقيل ان الاية في حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات **والله لا يحب
الفساد** قال ابن عباس لا يرضى بالمعاصي واحتجت المعتزلة بهذه الاية على ان المحبة عبارة عن الارادة
واجيب عنه بان الارادة معنى غير المحبة فان الانسان قد يريد شيئا ولا يحبه وذلك بان يتناول
الدواء المر ولا يحبه فبان الفرق بين المحبة والارادة وقيل ان المحبة مدح الشيء وتعظيمه والارادة
بخلاف ذلك **واذا قيل له اتق الله** اي خف الله في سرك وعلانيتك **اخذته العزة بالاثم** اي حملته
العزة وحمية الجاهلية على فعل الاثم وقيل بان يعمل الاثم وهو الظلم وترك الالتفات الى الوعظ وعدم
الاصغاء اليه واصل العزة المنع والتكبر **فحسبه جهنم** اي كافيه لجهنم جزاء وعذابا وجهنم من اسماء النار
التي يعذب بها الكفار في الاخرة قيل هو اسم اعجمي وقيل بل هو عربي سميت النار بذلك لبعد قعرها **ولبئس
المهاد** اي الفراش والمهاد التوطئة ايضا والمعنى ان المعذب بالنار يجعل تحته وفوقه قال ابن مسعود
رضي الله عنه من اكبر الذنوب عند الله تعالى ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك وروي
انه قيل لعمر اتق الله فوضع خده على الارض تواضعا لله تعالى قوله تعالى **ومن الناس من يشري نفسه
ابتغاء مرضات الله** قال ابن عباس نزلت هذه الاية في سرية الرجيع وكانت بعد احد عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية عينا وامر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم
ابن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى اذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم
بقريب من مائة رام فاقتصوا اثارهم حتى اتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة
فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا اثارهم حتى لحقوهم فلما احس بهم عاصم واصحابه لجاوا الى فدفد وجاء
القوم فاحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا الا نقتل منكم رجلا فقال عاصم اما انا
فلا انزل في ذمة كافر اللهم اخبر عنا رسولك فقاتلوهم فرموهم حتى قتلوا عاصما في سبعة نفر بالنبل
وبقي خبيب وزيد ورجل اخر فاعطوهم العهد والميثاق فلما اعطوهم العهد والميثاق نزلوا اليهم فاستمكنوا
منهم وحلوا اوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث معهم هذا اول الغدر فابى ان يصحبهم فلم
يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل
وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر فمكث عندهم اسيرا حتى اذا اجمعوا قتله استعار موسى من بعض

بنات الحارث ليستحد بها فاعارته قالت فغفلت عن صبي لي فدرج اليه حتى اتاه فوضعه على فخذه
فلما رايته فزعت فزعة عرف ذلك مني وفي يده الموسى فقال اتخشين ان اقتله ما كنت لافعل ذلك
ان شا الله وكانت تقول ما رايت اسيرا قط خيرا من خبيب لقد رايته ياكل من قطف عنب وما بمكة
يوميذ ثمرة وانه لموثق في الحديد وما كان الا رزق رزقه الله خبيبا فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه
قال دعوني اصلي ركعتين ثم انصرف اليهم فقال لولا ان تروا ان ما بي من الجزع من الموت لزدت فكان اول
من سن الركعتين عند القتل وقال اللهم احصهم عددا وقال

فلست ابالي حين اقتل مسلما ، على اي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشا ، يبارك على اوصال شلو ممزع

ثم قام اليه عقبة ابن الحارث فقتله وبعثت قريش الى عاصم ليوتوا بشي من جسده بعد موته
وكان قتل عظيما من عظمايهم يوم بدر فبعث الله عليهم مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم
يقدروا منه على شي زاد في رواية واخبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه يوم اصيبوا خبرهم
الغد فد الموضع الذي فيه غلظ وارتفاع وقوله وعالجوه اي مارسوه وارادوا انهم خادعوه ليتبعهم فابى
وقوله ليستحد اي ليحلق العانة والقطف العنقود من العنب قوله على اوصال شلو الشلو
العضو من الاعضا والممزع المفرق والظلة الشي الذي يظل الانسان والدبر
جماعة من النحل والزنابير قال اهل التفسير ان كفار قريش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بالمدينة انا قد اسلمنا فابعث الينا نفرا من علما اصحابك يعلمونا دينك وكان ذلك مكرا منهم
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب بن عدي الانصاري ومرثد بن مرثد الغنوي وخالد بن بكير
وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوي وزيد بن الدثنة وامر عليهم عاصم بن ثابت بن ابي افلح الانصاري
وذكروا نحو حديث البخاري وزادوا عليه فقالوا انصلبوا خبيبا حيا فقال اللهم انك تعلم انه ليس لي احد
حولي يبلغ سلامي رسولك فابلغه سلامي وقام اليه ابو سروعة عقبة بن الحارث فقتله ويقال
كان رجل من المشركين يقال له ابو ميسرة سلامان معه رمح فوضعه بين ثديي خبيب فقال له خبيب
اتق الله فما زاده ذلك الا عتوا فطعنه فانفذه بذلك قوله تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته
العزة بالاثم يعني سلامان واما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن امية ليقتله بابيه امية
ابن خلف فبعثه مع مولى له يسمى نسطاس الى التنعيم ليقتله في الحل واجتمع رهط من قريش فيهم ابو
سفيان بن حرب فقال له ابو سفيان حين قدم ليقتل انشدك الله يا زيد اتحب ان محمدا عندنا الان
تضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي فيه تصيبه
شوكة توذيه وانا جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا ثم
قتله نسطاس فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال لاصحابه ايكم يحتمل خبيبا عن خشبته
وله الجنة فقال الزبير انا يا رسول الله وصاحبي المقداد بن الاسود فخرجا يمشيان الليل ويكمنان
النهار حتى اتيا التنعيم ليلا فاذا حول الخشبة اربعون من المشركين نيام نشاوى فانزلاه
من خشبته فاذا هو رطب ينثني ولم يتغير منه شي بعد اربعين يوما ويده على جراحته وهي تبض دما
اللون لون الدم والريح ريح المسك فحمله الزبير على فرسه وساروا فلحقهم الكفار وقد فقدوا خبيبا
فاخبروا قريشا فركب منهم سبعون فارسا فلما لحقوهم قذف الزبير خبيبا فابتلعته الارض فسمي

بليع

بليع الارض وقال الزبير ما جراكم علينا يا معشر ثم رفع العمامة عن راسه فقال انا الزبير بن العوام
وامي صفية بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الاسود اسدان ضاربان يدفعان عن اشبالهما فان شيتم
ناضلتكم وان شيتم نازلتكم وان شيتم انصرفتم فانصرفوا الى مكة وقدم الزبير وصاحبه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده فقال يا محمد ان الملايكة لتباهي بهذين من اصحابك
ونزل في الزبير والمقداد ومن الناس من يشري نفسه ابتغا مرضات الله حين شريا انفسهما بانزال
خبيب عن خشبته وقال اكثر المفسرين نزلت في صهيب بن سنان الرومي وانما نسب الى الروم لان
منازلهم كانت بارض الموصل فاغارت الروم عن تلك الناحية فسبته وهو غلام صغير فنشا بالروم
وانما هو من العرب من النمر ابن قاسط قال سعيد بن المسيب وعطا اقبل صهيب مهاجرا الى النبي صلى
الله عليه وسلم فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته ونثل ما كان في كنانته فقال والله
لا تصلون الي او ارمي بكل سهم ثم اضرب بسيفي ما بقي في يدي وان شيتم دللتكم على مال دفنته بمكة وخليتم
سبيلي قالوا نعم ففعل فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت ومن الناس من يشري نفسه
ابتغا مرضات الله الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع ابا يحيى وتلا عليه هذه الاية
وقال الحسن اتدرون فيم نزلت هذه الاية نزلت في المسلم يلقى الكافر فيقول له قل لا اله الا الله
فاذا ابى ان يقولها فيقول المسلم والله لاشرين نفسي لله فتقدم فقاتل وحده حتى قتل وقيل نزلت
هذه الاية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ابن عباس اي يشتري نفسه ابتغا مرضات الله
يقوم فيامر هذا بتقوى الله فاذا لم يقبل واخذته العزة بالاثم قال هذا وانا اشري نفسي لله فقاتله
وكان علي اذا قرا هذه الاية يقول اقتتلا ورب الكعبة وسمع عمر رجلا يقرا هذه الاية ومن الناس
من يشري نفسه ابتغا مرضات الله فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون قام رجل فامر بالمعروف
ونهى عن المنكر فقتل عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعظم الجهاد كلمة عدل
عند سلطان جاير اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب واما تفسير الاية فذكر المفسرون
ان المراد بهذا الشرا البيع ومنه قوله وشروه اي وباعوه والمعنى ان المسلم باع نفسه بثواب الله
تعالى في الدار الاخرة وهذا البيع هو ان يبذل نفسه في طاعة الله من صلاة وصيام وحج وجهاد
وامر بمعروف ونهي عن منكر فكان ما يبذله من نفسه كالسلعة فصار كالبايع والله تعالى المشتري
والثمن ثواب الله في الارض ابتغا مرضات الله اي طلب رضا الله والله رءوف بالعباد اي
من رافة الله في عباده ان جعل النعيم الدايم في الجنة جزا على العمل القليل المنقطع ومن رافته
ان يقبل توبة عبده ومن رافته ان النفس للعباد والاموال لهم ثم انه تعالى يشتري ملكه بملكه فضلا
منه ورحمة واحسانا قوله عز وجل يايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة نزلت في مومني
اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وذلك لما اسلموا اقاموا على تعظيم شرايع دين موسى
فعظموا السبت وكرهوا لحوم الابل والبانها وان ترك هذه الاشيا مباح في الاسلام وواجب
في التوراة وقالوا ايضا يا رسول الله ان التوراة كتاب الله فدعنا فلنقم به في صلاتنا بالليل
فانزل الله هذه الاية وامرهم ان يدخلوا في السلم اي في شرايع الاسلام ولا يتمسكوا بالتوراة فانها
منسوخة والمعنى استسلموا لله واطيعوه فيما امركم به وقيل هو خطاب لمن لم يومن بمحمد صلى الله
عليه وسلم من اهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين امنوا بموسى وعيسى ادخلوا في السلم اي الاسلام

وروى جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حين اتاه عمر فقال انا نسمع احاديث من يهود فتعجبنا
افترى ان نكتب بعضها فقال النبي صلى الله عليه وسلم امتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى لقد
جيتكم بها بيضا نقية ولو ان عيسى حيا ما وسعه الا اتباعي قوله متهوكون اي متحيرون انتم في دينكم
حتى تاخذوه من اليهود والنصارى وقوله لقد جيتكم بها يعني بالملة الحنيفية بيضا نقية اي لا تحتاج
الى شي وقيل يحتمل ان يكون خطابا للمنافقين من المومنين والمعنى يا يها الذين امنوا بالسنتهم ادخلوا
في السلم اي في الانقياد والطاعة لان اصل السلم الاستسلام وهو الانقياد كافة اي باجمعكم ولا تتفرقوا
وقيل يحتمل ان يرجع الى الاسلام والمعنى ادخلوا في احكام الاسلام وشرايعه كافة وهذا المعنى اليق
بظاهر التفسير لانهم امروا بالقيام بها كلها قال حذيفة بن اليمان في هذه الاية الاسلام ثمانية
اسهم فعل الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال وقد
خاب من لا سهم له **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** يعني اثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم
الابل وغير ذلك وقيل ولا تلتفتوا الى الشبهات التي يلقيها اليكم اصحاب الضلالة والغواية والاهوا المضلة
لان من اتبع سنة انسان فقد تبع اثره **انه لكم عدو مبين** يعني الشيطان فان قلت عداوته بايصال
الضرر والقا الوسوسة فكيف يصح ذلك مع الاعتقاد بان الله هو الفاعل لجميع الاشيا انه حاول
ايصال الضرر والبلا الينا ولكن الله منعه عن ذلك واما الوسوسة فمعلوم انه يزين المعاصي والقا
الشبهات وكل سبب لوقوع الانسان في مخالفة الله تعالى فيصده بذلك عن الثواب فهذا من اعظم
جهات العداوة فان قلت كيف وصف الشيطان بانه مبين مع انا لا نراه قلت ان الله بين عداوته لكم
فكانه بين وان لم يشاهد **فان زللتم** اي ملتم وضللتم وقال ابن عباس اشركتم **من بعد ما جاتكم البينات**
اي الدلالات الواضحات **فاعلموا ان الله عزيز** اي في نقمته ممن خالفه غالب لا يعجزه شي **حكيم** يعني
انه لا ينتقم الا بحق والحكيم ذو الاصابة في الامور كلها وفي الاية وعيد وتهديد يدل لمن في قلبه شك ونفاق او
عنده شبهة في الدين قوله تعالى **هل ينظرون** اي ينتظرون التاركون للدخول في السلم والمتبعون
خطوات الشيطان **الا ان ياتيهم الله في ظلل** جمع ظلة **من الغمام** يعني السحاب الابيض الرقيق سمي غماما
لانه يغم اي يستر وقيل هو شي غير السحاب ولم يكن الا لبني اسرايل في تيههم وهو كهيئة الضباب الابيض والملكة
اي وتاتيهم الملايكة وروى الطبري في تفسيره بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من الغمام طاقات ياتي الله عز وجل فيها محفوفا وذلك قوله هل ينظرون الا
ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام **والملايكة وقضي الامر** قال عكرمة والملايكة حوله وقيل معناه حول الغمام
وقيل حول الرب تبارك وتعالى واعلم ان هذه الاية من ايات الصفات وللعلما في ايات الصفات واحاديث
الصفات مذهبان احدهما وهو مذهب هذه الامة واعلام اهل السنة الايمان والتسليم بما
جا في ايات الصفات واحاديث الصفات وانه يجب علينا الايمان بظاهرها ونومنها كما جات ونكل علمها
الى الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم مع الايمان والاعتقاد بان الله منزه عن سمات الحدث
وعن الحركة والسكون قال الكلبي هذا من الذي لا يفسر وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه
في كتابه فتفسيره قراته والسكوت عليه ليس لاحد ان يفسره الا الله ورسوله وكان الزهري والاوزاعي
ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد واحمد بن حنبل واسحق بن راهوية يقولون في
هذه الاية وامثالها امروها كما جات بلا كيف ولا تشبيه ولا تاويل هذا مذهب اهل السنة ومعتقد سلف

الامة

الامة وانشد بعضهم في المعنى

عقيدتنا ان ليس مثل صفاته ... ولا ذاته شي عقيدة صايب
نسلم ايات الصفات باسرها ... واخبارها للظاهر المتقارب
ونويس عنها كنه فهم عقولنا ... وتاويلها فعل اللبيب المطالب
ونركب للتسليم سفنا فانها ... لتسليم دين المرء خير المراكب

المذهب الثاني وهو قول جمهور المتكلمين وذلك انه اجمع جميع المتكلمين من العقلا والمعتبرين من اصحاب
النظر انه تعالى منزه عن المجي والذهاب ويدل على ذلك ان كل ما يصح عليه المجي والذهاب لا ينفك عن
الحركة والسكون وهما محدثان وما لا ينفك عن المحدث فهو محدث والله تعالى منزه عن ذلك
فيستحيل ذلك في حقه تعالى فثبت بذلك ان ظاهر الاية ليس مرادا فلا بد من التاويل على سبيل التفصيل
فعلى هذا قيل في معنى الاية هل ينظرون الا ان ياتيهم الله بالايات فيكون مجي الايات مجيا لله على سبيل التفخيم
لشان الايات وقيل معناه الا ان ياتيهم امر الله ويرجح هذا التاويل ان الله تعالى ذكره في اية اخرى فقال
هل ينظرون الا ان تاتيهم الملايكة او ياتي امر ربك فصار هذا المحكم مفسرا لهذا المجمل في هذه الاية
وقيل معناه ياتيهم الله بما وعد من الحساب والعقاب فحذف ما ياتي به تهويلا عليهم اذ لو ذكر ما ياتي به
كان اسهل عليهم من باب الوعيد واذا لم يذكر كان ابلغ وقيل يحتمل ان يكون الفا بمعنى البا لان بعض
الحروف مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله بظلل من الغمام والملايكة والمراد العذاب
الذي ياتي من الغمام مع الملايكة وقيل معناه ينظرون الا ان ياتيهم قهر الله وعذابه في ظلل من الغمام فان
قلت لم كان اتيان العذاب في الغمام قلت لان الغمام مظنة الرحمة ومنه ينزل المطر فاذا نزل منه
العذاب كان اعظم واقطع وقيل ان نزول الغمام علامة لظهور احوال القيمة واهوالها وقضي الامر
اي وجب العذاب وفرغ من الحساب وذلك فصل الله القضا بين العباد في يوم القيمة **والى الله**
ترجع الامور اي الى الله تصير امور العباد في الاخرة فان قلت هل كانت ترجع الى غيره قلت ان امور جميع
العباد ترجع اليه في الدنيا والاخرة لكن المراد من هذا اعلام الخلق انه المجازي على الاعمال بالثواب والعقاب
وجواب اخر وهو انه لما عبد قوم غيره في الدنيا واضافوا افعاله الى سواه ثم اذا كان يوم القيمة
انكشف الغطا ردوا الى الله ما اضافوه الى غيره في الدنيا قوله عز وجل **سل بني اسرايل** الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم امره ان يسال يهود المدينة وليس المراد بهذا السوال العلم بالايات لانه كان
صلى الله عليه وسلم قد علمها باعلام الله اياه ولكن المراد بهذا السوال التوبيخ والتقريع والمبالغة
في الزجر عن الاعراض عن دلايل الله وترك الشك وقيل المراد بهذا السوال التقرير وتذكير النعم التي
انعم الله بها على سلفهم **كم اتيناهم من اية بينة** اي من دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل
العصا واليد البيضا وفلق البحر وانزال المن والسلوى **ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاته**
يعني يغير الايات التي جاته من الله لانها سبب الهدى والنجاة من الضلالة وقيل حجج الله الدالة
على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم انكروها وبدلوها وقيل المراد بنعم الله عهده الذي
عهد اليهم فلم يوفوا به **فان الله شديد العقاب** يعني لمن بدل نعمة الله قوله عز وجل **زين للذين**
كفروا الحياة الدنيا نزلت في مشركي العرب ابي جهل واصحابه لانهم كانوا يتنعمون لما بسط لهم في الدنيا
من المال ويكذبون بالمعاد وقيل نزلت في المنافقين عبد الله واصحابه وقيل نزلت في رؤسا اليهود

ويحتمل انها نزلت في الكل والمزين هو الله تعالى بدليل قراءة من قرأ زين بفتح الزاي وذلك لا يمتنع ان
يكون الله تعالى هو المزين لهم بما اظهره في الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وخلق الاشيا
العجيبة والمناظر الحسنة وانما فعل ذلك ابتلاء لعباده وذلك انه جعل الدنيا دار ابتلاء وامتحان
وركب في الطبائع الميل الى اللذات وحب الشهوات لا على سبيل الالجاء والقسر الذي لا يمكن تركه
بل على سبيل التحبيب الذي تميل النفس اليه مع امكان ردها عنه فنظر الخلق الى الدنيا اكثر من قدرها
فاعجبهم حسنها وزهرتها وزينتها فاحبوها وفتنوا بها وقيل ان المراد من التزيين انه تعالى امهلهم
في الدنيا حتى اقبلوا عليها واحبوها فكان هذا الامهال هو التزيين وقيل ان المزين هو الشيطان
وغواة الجن والانس وذلك انهم زينوا للكفار الحرص على الدنيا وطلبها وقبحوا لها امر الاخرة وقيل
اوهموهم ان لا اخرة ليقبلوا على لذات الدنيا والحرص عليها وهذا التاويل ضعيف لان قوله تعالى
زين للذين كفروا يتناول جميع الكفار فيدخل فيه الشيطان وغواة الجن والانس وان كلهم مزين زين
لهم وهذا المزين لا بد وان يكون مغايرا لهم فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة **ويسخرون من الذين
امنوا** يعني ان الكفار يستهزئون بفقراء المؤمنين قال ابن عباس مثل عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر
وصهيب وبلال وقيل كانوا يقولون انظروا الى هولاء الذين يزعم محمد انه يغلب بهم **والذين اتقوا**
يعني فقراء المؤمنين **فوقهم** اي فوق الكفار **يوم القيمة** لان الفقراء في عليين والكفار والمنافقين في اسفل
السافلين **ق** عن حارثة بن وهب سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا اخبركم باهل الجنة
كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ جعظري مستكبر العتل
الفظ الغليظ الشديد في الخصومة الذي لا ينقاد لخير والجواظ الفاجر المختال في مشيه وقيل هو القصير
البطن والجعظري الفظ الغليظ وقيل هو الذي يتمدح بما ليس فيه او عنده **ق** عن اسامة بن زيد عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين واصحاب الجد
محبوسون غير ان اصحاب النار قد امر بهم الى النار وقمت على باب النار فكان عامة من دخلها النسا
الجد بفتح الجيم هو الحظ والغنى وكثرة المال **والله يرزق من يشا بغير حساب** قال ابن عباس يعطي كثيرا
بغير هبة اي لان كل ما يدخل عليه الحساب فهو قليل والمعنى انه يوسع على من يشا من عباده وقيل يرزقه
في الدنيا ولا يحاسبه في الاخرة وقيل معناه انه يرزق من يشا من حيث لا يحتسب وقيل معناه انه يرزقه
بغير استحقاق وقيل معناه انه تعالى لا يخاف نفاد ما في خزائنه حتى يحتاج الى حساب ما يخرج منها لان
الحساب انما يكون ليعلم قدر ما يعطي فالله غني عالم بما يعطي لا يخاف نفاد خزائنه لانها بين الكاف والنون
وقيل معناه ان الله تعالى يقتر الرزق على من يشا ويبسط الرزق على من يشا ولا يعطي كل احد على قدر
حاجته بل يعطي الكثير لمن لا يحتاج اليه ولا معارض له في حكمه ولا يحاسب فيما رزق ولا يقال له لم اعطيت هذا
وحرمت هذا ولم اعطيت هذا اكثر من ذلك لانه تعالى لا شريك له في ملكه ينازعه ولا يسال عما يفعل
وقيل يحتمل ان يكون المراد منه ما يعطي الله المتقين في الاخرة من الثواب والكرامة بغير محاسبة منه
لهم على من به عليهم وذلك ان نعيم الجنة لا نفاذ له ولا انقطاع وقيل انه تعالى يعطي اهل الجنة الثواب
والاجر بقدر اعمالهم ثم يتفضل عليهم فذلك الفضل منه عليهم بغير حساب قوله تعالى **كان الناس
امة واحدة** اي على دين واحد قيل هو ادم وذريته كانوا مسلمين على دين واحد الى ان قتل قابيل هابيل
وقيل كان الناس على شريعة واحدة من الحق والهدى من وقت ادم الى مبعث نوح ثم اختلفوا فبعث الله

لوحا

نوحا وهو اول رسول بعث ثم بعث بعده الرسل وقيل هم اهل السفينة الذين كانوا مع نوح كانوا
مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاته وقيل كانت العرب على دين ابراهيم عليه السلام الى ان غيره عمرو
ابن لحي وقيل كان الناس امة واحدة حين اخرجوا من ظهر ادم عليه السلام لاخذ الميثاق فقال
الست بربكم قالوا بلى فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا امة واحدة غير ذلك اليوم ثم لما ظهروا
الى الوجود اختلفوا بسبب البغي والحسد وقيل ان ادم وحده كان امة واحدة يعني اماما وقدوة
يقتدى به وانما ظهر الاختلاف بعده وقيل كان الناس امة واحدة على الكفر والباطل بدليل قوله
فبعث الله النبيين فان قيل اليس قد كان فيهم من هو مسلم نحو هابيل وشيث وادريس ونحوهم فالجواب
ان الغالب في ذلك الزمان كان الكفر والحكم للغالب وقيل ان الاية دلت على ان الناس امة واحدة
وليس فيها ما يدل على ايمان وكفر فهو موقوف على دليل من خارج **فبعث الله النبيين** وجملتهم مائة
الف واربعة وعشرون الفا الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر المذكورون منهم في القران باسما
الاعلام ثمانية وعشرون نبيا **مبشرين** يعني بالثواب لمن امن واطاع **ومنذرين** يعني مخوفين بالعقاب
لمن كفر وعصى وانما قدم البشارة على الانذار لان البشارة تجري مجرى حفظ الصحة للابدان والانذار
يجري مجرى ازالة المرض ولا شك ان المقصود هو الاول فكان اولى بالتقديم **وانزل معهم الكتاب**
اي الكتب ويكون التقدير وانزل مع كل واحد الكتاب **بالحق** اي بالعدل والصدق وجملة الكتب
المنزلة من السما مائة واربعة كتب انزل على ادم عشر صحائف وعلى ادريس خمسين صحيفة وعلى نوح
عشرين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وعلى موسى عشر صحائف والتوراة وعلى داود الزبور وعلى
عيسى الانجيل وعلى محمد صلى الله عليه وسلم القران **ليحكم بين الناس** يعني الكتاب وانما اضيف
الحكم الى الكتاب وان كان الحاكم هو الله تعالى لانه انزله والمعنى ليحكم الله بالكتاب الذي انزله وقيل
معناه ليحكم بين الناس كل نبي بكتابه المنزل عليه فاسناد الحكم الى الكتاب او النبي مجاز والله هو الحاكم
على الحقيقة **فيما اختلفوا فيه** اي في الحق الذي اختلفوا فيه بعد ما كانوا متفقين عليه **وما اختلف
فيه** اي في الحق **الا الذين اوتوه** اي اعطوا الكتاب والمراد به التوراة والانجيل الذي اوتوه اليهود
والنصارى واختلافهم هو تكفير بعضهم بعضا بغيا وحسدا وقيل اختلافهم هو تحريفهم وتبديلهم
وقيل الكناية فيه راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اختلف في امر محمد صلى الله عليه وسلم
بعد وضوح الدلالات على صحة نبوته الا اليهود الذين اوتوا الكتاب بغيا بينهم وحسدا **من بعد
ما جاءتهم البينات** اي الدلالات الواضحات على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم **بغيا بينهم**
يعني انهم لم يبق لهم عذر في العدول عنه وترك ما جاء به وانما تركوا اتباعه بغيا وحسدا وهو طلب
الدنيا وطلب الرياسة **فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه** اي لما اختلفوا فيه من الحق والمعنى
فهدى الله الذين امنوا للحق الذي اختلفوا فيه وكان اختلافهم الذي اختلفوا فيه الجمعة فهدى
الله هذه الامة الاسلامية اليها **ق** عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم نحن الاخرون السابقون يوم القيمة اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فهذا
اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله فغدا لليهود وبعد غد للنصارى وفي رواية م قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن الاخرون السابقون بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا
ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فيه فاختلفوا فيه فهدانا الله له زاد النسائي يعني يوم الجمعة

ثم اتفقنا فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد م عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجا
الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الله الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيمة
نحن الاخرون من اهل الدنيا الاولون يوم القيمة المقضي لهم يوم القيمة قبل الخلايق وقيل اختلفوا
في شان القبلة فصلت اليهود نحو الغرب الى بيت المقدس وصلت النصارى الى المشرق وهدانا
الله الى الكعبة وقيل اختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا في ابراهيم فقالت
اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهدانا الله الى الحق فقلنا كان حنيفا مسلما
واختلفوا في عيسى ابن مريم عليه السلام ففرطوا فيه والنصارى افرطوا فيه فهدانا الله في ذلك كله
للحق والمعنى فهدى الله الذين امنوا الى الحق الذي اختلف فيه من اختلف **باذنه** يعني بعلمه وامره
وارادته **والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم** قوله تعالى **ام حسبتم ان تدخلوا الجنة** نزلت
في غزوة الاحزاب وهي غزوة الخندق وذلك ان المسلمين اصابهم ما اصابهم من الجهد والشدة والخوف
والبرد وضيق العيش الذي كانوا فيه يومئذ وقيل نزلت في غزوة احد وقيل لما دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه المدينة في اول الهجرة اشتد عليهم لانهم خرجوا بلا مال وتركوا اموالهم
وديارهم بايدي المشركين واثروا رضا الله ورسوله واظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم واسر قوم النفاق فانزل الله هذه الاية تطييبا لقلوبهم ومعنى الاية احسبتم والميم
صلة وقيل هل حسبتم والمعنى اظننتم ايها المومنون ان تدخلوا الجنة بمجرد الايمان ولم يصبكم مثل ما
اصاب من كان قبلكم من اتباع الانبيا والرسل من الشدايد والمحن والابتلا والاختبار وهو قوله **ولما
ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم** اي شبه الذين مضوا من قبلكم من النبيين واتباعهم من المومنين ومثل
محنتهم **مستهم الباساء** اي اصابهم الفقر والشدة والمسكنة وهو اسم من البوس **والضرا** يعني المرض
والزمانة وضروب الخوف **وزلزلوا** اي وحركوا بانواع البلايا والرزايا واصل الزلزلة الحركة وذلك
لان الخايف لا يستقر بل لا يزال يضطرب ويتحول لقلقه **حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر
الله** وذلك لان الرسول اثبت من غيرهم واصبر واضبط للنفس عند نزول البلا وكذلك اتباعهم من
المومنين والمعنى انه بلغ بهم الجهد والشدة والبلا ولم يبق لهم صبر وذلك هو الغاية القصوى في الشدة
فلما بلغ الحال في الشدة الى هذه الغاية واستبطا والنصر قيل لهم **الا ان نصر الله قريب** اجابة لهم
الى طلبتهم والمعنى هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلا والشدة عن دينهم الى ان ياتيهم نصر الله فكونوا
يا معشر المومنين كذلك وتحملوا الاذى والشدة والمشقة في طلب الحق فان نصر الله قريب **خ** عن خباب
ابن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا
الا يستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يوتى
بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده
ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعا الى حضرموت لا يخاف الا الله والذيب
على غنمه ولكنكم تستعجلون قوله تعالى **يسئلونك ماذا ينفقون** نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخا
كبيرا ذا مال فقال يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى من ننفق فانزل الله تعالى يسئلونك ماذا
ينفقون **قل ما انفقتم من خير** اي مال والمعنى من انفاق شي من المال قل او كثر **فللوالدين** وانما قدم

الانفاق

الانفاق على الوالدين لوجوب حقهما على الولد لانهما كانا السبب في اخراجه من العدم الى الوجود
والاقربين وانما ذكر بعد الوالدين لان الانسان لا يقدر ان يقوم بمصالح جميع الفقرا فتقديم
القرابة اولى من غيرهم **واليتامى** وانما ذكر بعد الاقربين اليتامى لصغرهم ولانهم لا يقدرون على
الاكتساب ولا لهم من ينفق عليهم **والمساكين** وانما اخرهم لان حاجتهم اقل من حاجة غيرهم **وابن
السبيل** يعني المسافر فانه بسبب انقطاعه عن بلده قد يقع في الحاجة والفقر فانظر الى هذا الترتيب
الحسن العجيب في كيفية الانفاق ثم لما فصل الله تعالى هذا التفصيل الحسن الكامل اتبعه بالاجمال
فقال تعالى **وما تفعلوا من خير فان الله به عليم** والمعنى وما تفعلوا من خير مع هولا او غيرهم لوجه
الله ورضوانه فان الله به عليم فيجازيكم عليه ذكر اكثر العلما المفسرين ان هذه منسوخة قال ابن
مسعود نسخها اية الزكاة وقال الحسن انها محكمة ووجه احكامها ان الله ذكر فيها لمن تجب النفقة
عليه مع نفقة وهما الوالدان وقال ابن زيد هذا في النفل وهو ظاهر الاية فمن احب التقرب الى الله
تعالى بالانفاق فالاولى به ان ينفق في الوجوه المذكورة في الاية فيقدم الاولى فالاولى بقي في الاية
سوال وهو انه كيف طابق السوال الجواب وهو انهم سالوا عن بيان ما ينفقون فاجيبوا ببيان
المصروف واجيب عن هذا السوال بانه قد تضمن قوله وما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه
وهو المال ثم ضم الى جواب السوال ما يحل به المقصود وهو بيان المصروف لان النفقة لا تعد
نفقة الا ان تقع موقعها قال الشاعر

ان الصنيعة لا تعد صنيعة ۔ حتى يصاب طريق المصنع

قوله عز وجل **كتب عليكم القتال** اي فرض عليكم الجهاد واختلف العلما في حكم الاية فقال عطا
الجهاد تطوع والمراد من الاية رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم واليه ذهب الثوري
وحكي عن الاوزاعي نحوه وحجة من ذهب الى هذا ان الخطاب كان على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليكم
يقتضي تخصيص هذا الخطاب بالموجودين في ذلك الوقت وقيل بل الاية على ظاهرها والجهاد
فرض على كل مسلم ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الجهاد واجب عليكم مع كل امير برا او كان فاجرا اخرجه ابو داود بزيادة فيه عن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية
واذا استنفرتم فانفروا وقيل ان الجهاد فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط الفرض عن
الباقين وهذا القول هو المختار الذي عليه جمهور العلما قال الزهري كتب الله القتال على الناس
جاهدوا او لم يجاهدوا فمن غزى فيها ونعمت ومن قعد فهو عده ان استعين به اعان وان
استنفر نفر وان استغني عنه قعد قال الله تعالى وفضل الله المجاهدين على القاعدين درجة
وكلا وعد الله الحسنى ولو كان القاعد تاركا فرضا لم يعده بالحسنى واختلف علما الناسخ في هذه
الاية على ثلاثة اقوال احدها انها محكمة ناسخة للعفو عن المشركين القول الثاني انها
منسوخة لان فيها وجوب الجهاد على الكافة ثم نسخ بقوله تعالى وما كان المومنون لينفروا
كافة القول الثالث انها ناسخة من وجه ومنسوخة من وجه فالناسخ منها ايجاب الجهاد مع
المشركين بعد المنع منه والمنسوخ ايجاب الجهاد على الكافة وقوله **وهو كره لكم** اي القتال شاق عليكم
وهذا الكره انما حصل من حيث نفور الطبع عن القتال لما فيه من مونة المال ومشقة النفس

وخطر الروح والخوف لانهم كرهوا امر الله وقيل نسخ هذا الكره بقوله اخبارا عنهم وقالوا سمعنا واطعنا وقيل انما كان كراهتهم للقتال قبل ان يفرض عليهم لما فيه من الخوف والشدة وكثرة الاعدا فبين الله تعالى ان الذين تكرهونه من القتال هو خير لكم من تركه لئلا يكرهونه بعد ان فرض عليهم **وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم** لفظة عسى توهم الشك مثل لعل وهي من الله اليقين وقيل انها كلمة مطمعة فهي لا تدل على حصول الشك للمستمع والمعنى ان الغزو فيه احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة او الشهادة والجنة وقيل ربما كان الشي شاقا في الحال وهو سبب المنافع الجليلة في المستقبل ومثل شرب الدوا المر فان ينفر عنه الطبع في الحال ويكرهه لكن يتحمل هذه الكراهة والمشقة لتوقع حصول الصحة في المستقبل **وعسى ان تحبوا شيا** يعني القعود عن الغزو **وهو شر لكم** يعني لما فيه فوت الغنيمة والاجر وطمع العدو فيكم لانه اذا علم ميلكم الى الراحة والدعة والسكون قصد بلادكم وحاول قتالكم واذا علم ان فيكم شهامة وجلادة على القتال كف عنكم **والله يعلم** يعني ما في الجهاد من الاجر والغنيمة والخير **وانتم لا تعلمون** يعني ذلك والمعنى ان العبد اذا علم قصور علمه وكمال علم الله ثم ان الله تعالى امره بامر كان ذلك الامر فيه مصلحة عظيمة فيجب على العبد امتثال امر الله وان كان يشق على النفس في الحال قوله تعالى **يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه** سبب نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمته في سرية في جمادى الاخر قبل قتال بدر بشهرين وامره على السرية وكتب له كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب واقراه على اصحابك ثم امض لما امرتك ولا تستكرهن احدا منهم على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل ففتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله بما معك من اصحابك حتى تنزل بطن نخلة فارصد بها عير قريش لعلك تاتينا منها بخبر فقال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه نهاني ان استكره احدا منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كره فليرجع ثم مضى ومضى اصحابه وكانوا ثمانية رهط لم يتخلف عنه احد منهم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز فقال له بحران اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يتعقبانه فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله ببقية اصحابه حتى نزل بطن نخلة بين مكة والطايف فبينما هم كذلك مرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطايف وفي العير عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان ابن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما راوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا راس رجل منكم وليتعرض لهم فاذا راوه محلوقا امنوا فحلقوا راس عكاشة بن محصن ثم اشرف عليهم فلما راوه قالوا قوم عمار فلا باس علينا وكان ذلك في اخر يوم من جمادى الاخرة وكانوا يرون انه من جمادى وهو من رجب فتشاور القوم فيهم وقالوا متى تركتموهم هذه الليلة دخلوا الحرم وليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله فكان اول قتيل من المشركين واسر الحكم وعثمان فكانا اول اسيرين في الاسلام فافلت نوفل فاعجزهم واستاق المسلمون العير والاسير حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام وسفك الدما واخذ الحرايب يعني المال وعير بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعبد الله بن جحش

واصحابه ما امرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان ياخذ شيا من ذلك وعنف المسلمون اصحاب السرية فيما صنعوا وقالوا لم صنعتم ما لم تومروا به فعظم ذلك على اصحاب وظنوا ان قد هلكوا وسقط في ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا فنظرنا هلال رجب فلا ندري افي رجب اصبناه ام في جمادى واكثر الناس في ذلك فانزل الله هذه الاية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس فكان اول خمس في الاسلام واول غنيمة قسمت فقسم الباقي على اصحاب السرية وبعث اهل مكة في فدا اسيريهم فقال بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بير معونة شهيدا واما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية فاما تفسير الاية فقوله تعالى يسئلونك يعني يا محمد عن الشهر الحرام يعني رجبا سمي بذلك لتحريم القتال فيه وفي السائلين رسول الله صلى الله عليه وسلم قولان احدهما انهم المسلمون سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل اخطاوا ام اصابوا وقيل ان المسلمين كانوا يعلمون ان القتال في الحرم وفي الاشهر الحرم لا يحل فلما كتب عليهم القتال سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال في الشهر الحرام فنزلت هذه الاية والقول الثاني ان السائلين هم المشركون وانما سالوه على وجه العيب على المسلمين فنزلت هذه الاية يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه **قل** اي يا محمد **قتال فيه كبير** اي عظيم مستنكر واختلف العلما في حكم هذه الاية على قولين احدهما انها محكمة وانه لا يجوز الغزو في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه فيقاتلوا على سبيل الدفع روي عن عطا انه كان يحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الشهر الحرام ولا ان يقاتلوا فيه وما نسخت والقول الثاني الذي عليه جمهور العلما وهو الصحيح انها منسوخة قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار القتال جائز في الشهر الحرام وهذه الاية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله قاتلوا المشركين كافة يعني في الاشهر الحرم وغيرها **وصد عن سبيل الله** هذا ابتدا كلام والمعنى وصدكم المسلمين عن الحج او وصدوكم عن الاسلام من يريده **وكفر به** اي بالله **والمسجد الحرام** اي وصدكم عن المسجد الحرام **واخراج اهله منه** يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين حين اذوهم حتى هاجروا وتركوا مكة وانما جعلهم اهله لانهم كانوا هم القايمين بحقوق المسجد الحرام دون المشركين **اكبر عند الله** اي اعظم وزرا عند الله من القتال في الشهر الحرام **والفتنة** اي الشرك الذي انتم عليه **اكبر من القتل** يعني قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام فلما نزلت هذه الاية كتب عبد الله بن انيس وقيل عبد الله بن جحش الى مومني مكة ان عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم انتم بالكفر وباخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة والمسلمين ومنعكم اياهم من البيت **ولا يزالون** يعني مشركي مكة **يقاتلونكم** يعني يا معشر المومنين **حتى يردوكم عن دينكم** يعني الى دينهم وهو الكفر **ان استطاعوا** يعني ان قدروا على ذلك وفيه استبعاد لاستطاعتهم فهو كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق انه لا يظفر به **ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر** يعني ومن يطاوعهم منكم فيرجع الى دينهم فيمت على ردته قبل ان يتوب **فاولئك حبطت اعمالهم** اي بطلت اعمالهم **في الدنيا** وهو ان المرتد يقتل وتبين زوجته

منه ولا يستحق الميراث من اقاربه المومنين ولا ينصران انتصر ولا يمدح ولا يثنى عليه ويكون ماله فيا للمسلمين
هذا في الدنيا ولا يستحق والاخرة الثواب على اعماله ويحبط اجرها في الاخرة وظاهر الاية يقتضى ان
الارتداد انما يتفرع عليه الاحكام اذا مات المرتد على الكفر اما اذا اسلم بعد الردة لم يثبت عليه شي
من احكام الردة وفيه دليل للشافعي ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت المرتد على ردته وعند ابي حنيفة
ان الردة تحبط العمل وان اسلم واوليك اصحاب النار يعني الذين ماتوا على الردة والكفر هم اصحاب
النار هم فيها خالدون اي لا يخرجون منها ابدا ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل
الله نزلت في عبد الله بن جحش واصحابه وذلك ان اصحاب السرية قالوا يا رسول الله هل نوجد
على وجهنا هذا او نطمع ان يكون لنا غزو فانزل الله هذه الاية وعن جندب بن عبد الله قال لما كان
من امر عبد الله بن جحش واصحابه وامر ابن الحضرمي ما كان قال بعض المسلمين ان لم يكونوا اصابوا في
سفرهم وزرا فليس لهم فيه اجر فانزل الله هذه الاية ان الذين امنوا والذين هاجروا اي فارقوا مساكنهم
وعشايرهم واموالهم وفارقوا مساكنة المشركين في امصارهم ومجاورتهم في ديارهم فتحولوا عن المشركين
وعن بلادهم الى غيرها وجاهدوا يعني المشركين في سبيل الله اي في طاعة الله فجعل الله لاصحابه هذه
السرية جهادا اوليك يرجون رحمة الله اي يطمعون في نيل رحمة الله اخبرانهم على رجا الرحمة وقيل
المراد من الرجا هنا القطع في اصل الثواب وانما دخل الظن في كميته ووقته قال قتادة اثنى الله تعالى
على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم احسن الثنا فقال ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في
سبيل الله اوليك يرجون رحمة الله سوالا هم خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجا كما تسمعون وانه
من رجا طلب ومن خاف هرب والله غفور اي لذنوب عباده رحيم بهم يعني انه تعالى غفر لعبد الله بن جحش
واصحابه ما لم يعلموا قوله عز وجل يسئلونك عن الخمر والميسر نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ومعاذ بن جبل وجماعة من الانصار اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله افتنا
في الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل مسلبة للمال فانزل الله هذه الاية واصل الخمر في اللغة الستر والتغطية
وسميت الخمر خمرا لانها تخامر العقل اي تخالطه وقيل لانها تستره وتغطيه وجملة القول في تحريم الخمر ان الله
عز وجل انزل في الخمر اربع ايات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون
يشربونها في اول الاسلام وهي لهم حلال ثم نزلت بالمدينة جواب سوال عمر ومعاذ رضي الله عنهما يسئلونك
عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير فتركها قوم لقوله اثم كبير وشربها قوم لقوله ومنافع للناس ثم ان عبد الرحمن
ابن عوف صنع طعاما ودعا اليه ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطعمهم وسقاهم الخمر وحضرت
صلاة المغرب فقدموا احدهم ليصلي بهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون بحذف حرف لا الى اخر
السورة فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
فحرم السكر في اوقات الصلاة فترك قوم شربها في اوقات الصلاة فكان الرجل يشربها بعد صلاة العشا
فيصبح وقد زال سكره فيصلي الصبح ويشربها بعد صلاة الصبح فيصحو وقت الظهر ثم ان عتبان بن
مالك اتخذ صنيعا يعني وليمة ودعا رجالا من المسلمين وفيهم سعد بن ابي وقاص وكان قد شوى لهم راس
بعير فاكلوا وشربوا الخمر حتى اخذت منهم فافتخروا عند ذلك وانتشوا وتناسبوا وتناشدوا الاشعار فانشد
سعد قصيدة فيها فخر قومه وهجا الانصار فاخذ رجل من الانصار لحي البعير فضرب به راس سعد فشجه
موضحة فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى اليه الانصار فقال عمر اللهم بين لنا

في الخمر

في الخمر بيانا شافيا ويروى ان حمزة بن عبد المطلب شرب يوما وخرج فلقي رجلا من الانصار وبيده
ناضح والانصاري يتمثل ببيتين لكعب بن مالك يمدح قومه وهما

جمعنا مع الايوا نصرا وهجرة ** فلم ير حي مثلنا في المعاشر
فاحياونا من خير احيا من مضى ** واموانتا من خير اهل المقابر

فقال حمزة اوليك المهاجرون وقال الانصاري بل نحن الانصار فتنازعا فجرد حمزة سيفه وعدى
على الانصاري فهرب الانصاري وترك ناضحه فقطعه حمزة وجا الانصاري مستعديا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم واخبره بفعل حمزة فعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم لدنا صحا فقال
عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فانزل الله تعالى الاية التي في المايدة الى قوله فهل انتم منتهون
فقال عمر انتهينا يا رب وذلك بعد غزوة الاحزاب بايام والحكمة في وقوع التحريم على هذا الترتيب
ان الله تعالى علم ان القوم كانوا قد الفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فعلم انه لو منعهم من
الخمر دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فلا جرم استعمل هذا التدريج وهذا الرفق قال انس حرمت
الخمر فلم يكن يومئذ للعرب عيش اعجب اليهم منها وما حرم عليهم شي اشد من الخمرة وعن انس رضي الله
عنه قال ما كان لنا خمر غير فضيخكم واني لقايم اسقي ابا طلحة وابا ايوب وفلانا وفلانا اذ جا رجل فقال
حرمت الخمر فقالوا اهرق هذه القلال يا انس فما سالوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل الفضيخ
بالضاد والخا المعجمتين شراب يتخذ من بسر مطبوخ والمفضوخ المكسور والاهراق الصب في القلال
جمع قلة وهي الجرة الكبيرة **فصل** في تحريم الخمر ووعيد من شربها اجمعت الامة على تحريم الخمر
وانه يحد شاربها ويفسق بذلك مع اعتقاد تحريمها فان استحلها كفر ويجب قتله ق عن ابن عمر رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات
وهو يدمنها لم يتب منها لم يشربها في الاخرة لفظ مسلم م عن جابر رضي الله عنه ان رجلا قدم من جيشان
وجيشان من اليمن فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بارضهم من الذرة
يقال له المزر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مسكر هو قال نعم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل مسكر حرام وان على الله عهدا لمن يشرب الخمر المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قالوا
يا رسول الله وما طينة الخبال قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مخمر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا لم يحسب صلاته
اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة كان حقا على الله ان يسقيه من طينة
الخبال قيل وما طينة الخبال يا رسول الله قال صديد اهل النار اخرجه ابو داود وعن عبد الله
ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر فجعلها في
بطنه لم يقبل منه صلاة سبعا وان مات فيها مات كافرا فان اذهبت عقله عن شي من الفرايض وفي
رواية عن القران لم تقبل صلاة اربعين يوما وان مات فيها مات كافرا فان اذهبت عقله عن شي
من الفرايض اخرجه النساي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال اجتنبوا الخمر فانها ام الخبايث
فوالله لا يجتمع الايمان وادمان الخمر الا يوشك ان يخرج احدهما صاحبه اخرجه النساي موقوفا
عليه وفيه قصة عن انس رضي الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة عاصرها
ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة اليه وبايعها ومبتاعها وواهبها واكل ثمنها اخرجه

الترمذي **فصل** في احكام تتعلق بالخمر وفيه مسائل الاولى في ماهيتها قال الشافعي الخمر عبارة
عن عصير العنب النيء الشديد الذي قذف بالزبد وكذلك نقيع الزبيب والتمر والمتخذ من العسل والحنطة
والشعير والارز والذرة وكل ما اسكر فهو خمر وقال ابو حنيفة الخمر من العنب والرطب ونقيع التمر والزبيب
فان طبخ حتى ذهب ثلثاه حل شربه والمسكر منه حرام واحتج على ذلك بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه انه كتب الى بعض عماله ان ارزق المسلمين من الطلا ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه وفي رواية اما بعد
فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحد اخرجه النسائي الطلا بكسر الطا
والمد الشراب المطبوخ من عصير العنب الذي ذهب ثلثاه وبقي ثلثه واحتج ايضا بما روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها والمسكر من كل شراب اخرجه النسائي واستدل ايضا على
ان السكر حرام بما روي عن ابي الاحوص عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي بردة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اشربوا ولا تسكروا وعن عايشة رضي الله عنها نحوه اخرجه النسائي وقال هذا حديث ثابت واستدل
الشافعي على كون الخمر من عدة اشيا بما روي عن عمر انه قال على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بعد
ايها الناس انه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل
ثلاث وددت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهي اليه الجد والكلالة وابواب
من ابواب الربا اخرجه البخاري ومسلم ق عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سئل عن البتع فقال كل شراب اسكر فهو حرام البتع شراب يتخذ من العسل كان اهل اليمن يشربونه
عن النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من العنب خمرا وان من التمر خمرا وان من البر خمرا
وان من الشعير خمرا اخرجه ابو داود وزاد في رواية والذرة واني انهاكم عن كل مسكر وللترمذي نحوه وزاد
وان من العسل خمرا خ عن ابن عباس رضي الله عنهما سئل عن الباذق فقال سبق محمد الباذق فما اسكر
فهو حرام عليك بالشراب الحلال الطيب ليس بعد الحلال الطيب الا الحرام الخبيث قال صاحب المطالع
الباذق بفتح الذال المعجمة وهو الطلا المطبوخ من عصير العنب كان اول من صنعه وسماه بنو امية لينقلوه
عن اسم الخمر وكل ما اسكر فهو خمر لان الاسم لا ينقله عن معناه الموجود فيه وقال ابن الاثير في النهاية الباذق
الخمر تعريب باده وهو اسم الخمر بالفارسية وقوله سبق محمد الباذق اي لم يكن في زمانه او سبق قوله فيها وفي غيرها من جنسها
وقيل معناه سبق حكم محمد صلى الله عليه وسلم ان ما اسكر فهو حرام عن ام سلمة رضي الله عنها قالت نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر اخرجه ابو داود المفتر كل شراب احمى الجسد وصار فيه فتور
وضعف وانكسار واستدل الشافعي على ما اسكر كثيره فقليله حرام بما روي عن جابر بن عبد الله
رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اسكر كثيره فقليله حرام اخرجه الترمذي
وابو داود وعن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما اسكر منه
الفرق فملء الكف منه حرام اخرجه ابو داود والترمذي وفي رواية له والحسوة منه حرام الفرق بالتحريك مكيال
يسع ستة عشر رطلا بالبغدادي واجيب عن حديث عمر في الطلا بانه معارض بما روي عن السايب
ابن يزيد ان عمر قال وجدت من فلان ريح شراب وزعم انه شرب الطلا واني سائل عنه فان كان يسكر
جلدته فسال عنه فقيل له انه يسكر فجلده عمر الحد تاما اخرجه مالك في الموطا واما حديث
ابن عباس فموقوف عليه ومعارض بما روي عنه في الباذق وقوله والسكر من كل شراب فقد
رواه الحفاظ السكر بفتح السين قال صاحب الغريبين السكر خمر الاعاجم ويقال لما يسكر السكر

وروى هذا الحديث احمد بن حنبل وقال فيه والمسكر من كل شراب وقال موسى بن هارون وهو الصواب
واما حديث ابي الاحوص ففيه وهمان احدهما في سنده حيث قال عن ابي بردة وانما يرويه سماك عن ابي بردة
عن ابيه والوهم الثاني في متنه حيث قال اشربوا ولا تسكروا وانما يرويه الناس ولا تشربوا مسكرا ويدل
على صحة هذا ما روى مسلم في صحيحه عن محارب بن دثار عن ابي بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن الاشربة في ظروف الادم فاشربوا في كل وعاء غير ان لا تشربوا مسكرا
وقال النسائي في حديث ابي الاحوص هذا حديث منكر غلط فيه ابو الاحوص سلام بن سليم لا نعلم
ان احدا تابعه عليه من اصحاب سماك واما حديث عايشة رضي الله عنها فهو غير ثابت كما تقدم
من قول النسائي المسالة الثانية في الحكم بنجاسة الخمر والخمر وما يلتحق به نجسة العين ويدل
على نجاستها قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه
والرجس في اللغة النجس والشيء المستقذر ولقوله تعالى فاجتنبوه فامر باجتنابه فكانت نجسة
العين ويدل على نجاستها ايضا انها محرمة التناول لا للاحترام ولان الناس مشغوفون بها فحكم بنجاستها
تاكيدا للزجر عنها **المسالة الثالثة** في تحريم بيعها والانتفاع به اجمعت الامة على تحريم بيع
الخمر والانتفاع به وتحريم ثمنها ويدل على ذلك ما روي عن جابر رضي الله عنه قال سمعنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول عام الفتح ان الله حرم بيع الخمر والميتة ولحم الخنزير والاصنام اخرجاه في
الصحيحين مع زيادة اللفظ ق عن عايشة رضي الله عنها قالت خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال حرمت التجارة في الخمر ق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بلغ عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ان فلانا باع خمرا فقال قاتل الله فلانا الم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها عن المغيرة بن شعبة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من باع الخمر فليشقص الخنازير اخرجه ابو داود قوله فليشقص الخنازير
اي فليقطعها قطعا كما يقطع الشاة للبيع والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنازير
فانهما في التحريم سواء عن ابي طلحة قال يا نبي الله اني اشتريت خمرا لايتام في حجري فقال اهرق
الخمر واكسر الدنان اخرجه الترمذي وقال وقد روي عن انس رضي الله عنه ان ابا طلحة كان عنده
خمر لايتام وهو اصح فان قلت فما وجه قوله تعالى ومنافع للناس قلت منافعها اللذة التي توجد
عند شربها والفرح والطرب معها وما يصيبون من الربح في ثمنها وكان ذلك قبل التحريم فلما
حرمت الخمر حرم ذلك كله **فصل** واما الميسر فهو القمار واشتقاقه من الميسر
لانه اخذ مال بسهولة من غير تعب ولذا قال ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على
اهله وماله فايهما قمر صاحبه ذهب باهله وماله فانزل الله هذه الاية واصل الميسر ان
اهل الثروة من العرب كانوا في الجاهلية كانوا يشترون جزورا وينحرونها ثمانية وعشرين جزءا ثم
يسهمون عليها بعشر قداح يقال لها الازلام والاقلام واسماؤها الفذ والتوأم والرقيب
والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد وكانوا يسهمون لسبعة
منها انصباء فللفذ سهم وللتوأم سهمين وللرقيب ثلاثة اسهم وللحلس اربعة وللنافس خمسة
وللمسبل ستة وللمعلى سبعة وثلاثة من القداح لا انصباء لها وهي المنيح والسفيح والوغد
قال بعضهم في الدنيا سهام ليس فيهن ربح سهمي وغد ومنيح وسفيح ثم يجمعون القداح في خريطة

القمار

يسمونها الربابة ويضعونها على يد رجل عدل عندهم يسمونه المجيل والمفيض فعتلها في الخريطة ويخرج منها قدحا باسم رجل منهم فايهم خرج اسمه اخذ نصيبه على قدر ما يخرج من القداح وان خرج له قدح من الثلاثة التي لا انصبا لها لم يا خذ شيا وغرم ثمن الجزور كله وقيل لا ياخذ ولا يغرم ويسمون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور الى الفقرا ولا ياكلون منه شيا وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لا يفعله ويسمونه البرم يعني البخيل الذي لا يخرج شيا بين الاصحاب لبخله واما حكم الاية فالمراد به جميع انواع القمار فكل شي فيه قمار فهو ميسر وروي عن ابن سيرين ومجاهد وعطا كل شي فيه خطر يعني الرهن فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب واما النرد فيحرم اللعب به سوا كان بخطر ام لا ويدل على تحريمه ما روي عن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لعب بالنردشير فكانما صبغ يده في دم خنزير اخرجه مسلم وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب بنرد او نردشير فقد عصى الله ورسوله اخرجه ابو داود وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال النرد والشطرنج من الميسر واختلفوا في الشطرنج فمذهب ابي حنيفة انه يحرم اللعب به سوا كان برهن او بغير رهن ومذهب الشافعي قال اذا خلا الشطرنج عن الرهان واللسان عن الطغيان ويروى عن الهذيان والصلاة عن النسيان لم يكن حراما وهو خارج عن الميسر لان الميسر ما يوجب رفع مال واخذ مال وهذا ليس كذلك قوله تعالى **قل فيهما** يعني في الخمر والميسر **اثم كبير** اي وزر عظيم وقيل ان الخمر عدو للعقل فاذا غلبت على عقل الانسان ارتكب كل قبيح ففي ذلك اثم كبير منها اقدامه على شرب المحرم ومنها فعل ما لا يحل فعله واما الاثم الكبير في الميسر فهو اكل المال الحرام بالباطل وما يجري بينهما من الشتم والمخاصمة والمعاداة وكل ذلك فيه اثام كثيرة **ومنافع للناس** يعني انهم كانوا يربحون في بيع الخمر قبل تحريمها واما منافع الميسر فهو اخذ مال من غير كد ولا تعب فيل ربما ان الواحد منهم كان يقمر في المجلس الواحد ماية بعير فيحصل له المال الكثير وربما كان يصرفه في المحتاجين فكسب بذلك المدح والثنا وهو المنفعة **واثمهما اكبر من نفعهما** يعني اثمهما بعد التحريم اكبر من نفعهما قبل التحريم وقيل اثمهما قوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون وكل هذه ذنوب يترتب عليها اثاما كثيرة بسبب الخمر والميسر قوله تعالى **ويسألونك ماذا ينفقون** وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حضهم على الصدقة فقالوا ماذا ننفق فقال الله تعالى **قل العفو** يعني الفضل والعفو ما فضل عن قدر الحاجة فكانت الصحابة رضي الله عنهم يكسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل بحكم هذه الاية ثم نسخ ذلك باية الزكاة وقيل هو التصدق عن ظهر غنى ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدا بمن تعول وقيل هو الوسط في الانفاق من غير اسراف ولا اقتار وقيل هو في صدقة التطوع ان لو كان المراد بهذا الانفاق الواجب لبين الله قدره فلما لم يبينه دل ذلك على ان المراد صدقة التطوع **كذلك يبين الله لكم الايات** اي يبين لكم الامور التي سالتم عنها من وجوه الانفاق ومصارفه **لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة** يعني فتاخذون ما يصلحكم في الدنيا وتنفقون الباقي فينفعكم في

الاخرة

الاخرة وقيل لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا فتزهدوا فيها وفي اقبال الاخرة وبقايها فترغبوا فيها قوله عز وجل **ويسألونك عن اليتامى** قال ابن عباس لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما تحرج المسلمون من اموال اليتامى تحرجا شديدا حتى عزلوا اموالهم عن اموالهم وتركوا مخالطتهم وربما كان يصنع لليتيم الطعام فيفضل منه فيتركوه ولا ياكلوه فاشتد ذلك عليهم فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ويسألونك عن اليتامى **قل اصلاح لهم خير** اي اصلاح اموال اليتامى من غير اخذ اجرة ولا عوض خير لكم اي اعظم اجرا وقيل هو ان يوسع على اليتيم من طعام نفسه ولا يتوسع من طعام اليتيم **وان تخالطوهم** يعني في الطعام والخدمة والسكنى وهذا فيه اباحة المخالطة اي شاركوهم في اموالهم واخلطوها باموالكم ونفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من اموالهم عوضا من قيامكم باموره او تكافيوهم على ما تصيبون من اموالهم **فاخوانكم** اي فهم اخوانكم والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال بعض على وجه الاصلاح والرضا **والله يعلم المفسد من المصلح** يعني المفسد لمال اليتيم والمصلح له ويعلم الذي يقصد بالمخالطة الخيانة واكل مال اليتيم بغير حق والذي يقصد الاصلاح **ولو شاء الله لاعنتكم** اي لضيق عليكم وما اباح لكم مخالطتهم واصل العنت الشدة والمشقة والمعنى لكلفكم في كل شي ما يشق عليكم **ان الله عزيز حكيم** اي غالب يقدر على ان يشق على عباده ويعنتهم ولكنه حكيم لا يكلف عباده الا ما يتسع في طاقتهم قوله تعالى **ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن** نزلت في ابي مرثد بن ابي مرثد الغنوي واسم ابي مرثد كناز بن حصين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امراة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته في الجاهلية فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك يا عناق ان الاسلام حال بيني وبينك ذلك فقالت هل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم استامره فقالت ابي تتبرم واستغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه بما كان من امره وامر عناق وما لقي بسببها وقال يا رسول الله ايحل لي ان اتزوجها فانزل الله هذه الاية واصل النكاح في اللغة الوطء ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح وقيل الاية ولا تنكحوا ايها المومنون المشركات حتى يؤمن اي يصدقن بالله ورسوله وهو الاقرار بالشهادة والتزام احكام المسلمين واختلف العلما في حكم هذه الاية فقيل انها تدل على ان كل مشركة يحرم نكاحها على كل مسلم من اي اجناس الشرك كانت كالوثنية والمجوسية والنصرانية او غيرهم من اصناف المشركات ثم استثنى الله تعالى نكاح الحراير الكتابيات بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فاباح الله تعالى نكاحهن بهذه الاية قال ابن عباس في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ثم استثنى نساء اهل الكتاب فقال والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وقيل انه حكم الاية في مشركات العرب الوثنيات خاصة ولم ينسخ منها شي ولم يستثن وانما عام مخصوص قال قتادة في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن يعني مشركات العرب اللاتي ليس فيهن كتاب يقرانه وبيان هذا في مسئلة وهي ان لفظ الشرك على من يطلق فالاكثرون من العلما وهو القول الصحيح المختار ان لفظ الشرك يندرج فيه اهل الكتاب

من اليهود والنصارى وكذلك عبدة الاصنام والمجوس وغيرهم ويدل على ان اليهود والنصارى
يطلق عليهم اسم الشرك قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
ثم قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا
الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون فهذه الاية صريحة في شرك اليهود والنصارى **وقيل**
كل كافر من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وان زعم ان الله تعالى واحد فهو مشرك وذلك ان من كفر بالنبي
صلى الله عليه وسلم مع صحة نبوته وظهور معجزاته فقد زعم ان ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم
هو من عند غير الله فقد اشرك مع الله غيره فعلى هذا القول ايضا يدخل فيه اليهود والنصارى
لانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان اسم الشرك لا يتناول الا عبدة الاوثان فقط
والاول اصح لما تقدم من الادلة فعلى قول من قال اسم الشرك لا يتناول الا الوثنيات تكون الاية
محكمة وعلى قول الاكثرين ان اسم الشرك يتناول الوثنيات والكتابيات وغيرهن تكون
الاية محكمة في حق الوثنيات منسوخة في حق الكتابيات **ولامة مومنة خير** يعني انفع
واصلح وافضل **من مشركة** يعني حرة **ولو اعجبتكم** يعني بجمالها ومالها ونسبها فالامة المومنة
خير وافضل عند الله من الحرة المشركة نزلت في خنساء وليدة كانت لحذيفة بن اليمان قال يا خنساء
قد ذكرت في الملا الاعلى على سوادك ودمامتك ثم اعتقها وتزوجها وقيل نزلت في عبد الله
ابن رواحة كانت عنده امة سوداء فغضب عليها يوما فلطمها ثم فزع فاتى النبي صلى الله
عليه وسلم فاخبره فقال وما هي يا عبد الله قال هي تشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله
وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلي قال هذه مومنة قال عبد الله فوالذي بعثك
بالحق لاعتقنها ولاتزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا اتنكح امة وعرضوا
عليه حرة مشركة فانزل الله هذه الاية **ولا تنكحوا المشركين حتى يومنوا** هذا خطاب
لاوليا المراة اي لا تزوجوا المسلمة من المشركين حرم على المومنات ان ينكحن مشركا من اي اصناف
الشرك كان وانعقد الاجماع على انه لا يجوز للمسلمة ان تتزوج بالمشرك **ولعبد مومن خير
من مشرك ولو اعجبكم** يعني بحسبه وجماله وماله **اولئك يدعون الى النار** يعني يدعون
الى الشرك الذي يودي الى النار **والله يدعو الى الجنة والمغفرة** يعني انه تعالى لما بين هذه
الاحكام واباح بعضها وحرم بعضها قال اعملوا بما امركم به وانتهوا عما نهاكم عنه فانه من عمل
ذلك استحق الجنة والمغفرة **باذنه** اي بتيسيره وارادته وتوفيقه **ويبين اياته
للناس** اي يوضح ادلته وحججه في اوامره ونواهيه واحكامه **لعلهم يتذكرون** اي فيتعظون
قوله عز وجل **ويسالونك عن المحيض** عن انس رضي الله عنه ان اليهود كانوا اذا
حاضت المراة فيهم لم يواكلوها ولم يجامعوها في البيوت فسال اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ويسالونك عن المحيض قل هو
اذى فاعتزلوا النساء في المحيض الى اخر الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا
كل شي الا النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل ان يدع من امرنا شيا الا خالفنا
فيه فجاء اسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يا رسول الله ان اليهود تقول كذا وكذا فلا نجامعهن
فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا ان قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلتهما هدية

من لبن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل في اثارهما فسقاهما فعرفنا انه لم يجد عليهما
الوجد الغضب واصل الحيض السيلان والانفجار يقال حاض الوادي اذا سال وفاض ماؤه **قل
هو اذى** اي شي قذر والاذى في اللغة ما يكره من كل شي **فاعتزلوا النساء في المحيض** اي فاجتنبوا
مجامعتهن **ولا تقربوهن** يعني بالوطي والمجامعة فهو كالتوكيد لقوله فاعتزلوا النساء في المحيض
حتى يطهرن يعني من المحيض والمعنى ولا تقربوهن حتى ينقطع عنهن الدم وقرئ يطهرن بتشديد
الطاء ومعناه حتى يغتسلن فاذا تطهرن اي اغتسلن من حيضهن ولا تعدوا الى غيره فانه هو
الذي امر الله به ولا تاتوهن في غير المأتى وقيل فاتوهن من الوجه الذي امركم به وهو الطهر وقيل
معناه فاتوهن من حيث يحل لكم غشيانهن وذلك ان لا يكن صايمات ولا معتكفات ولا محرمات

فصل في حكم الاية وفيه مسايل المسيلة الاولى اجمع المسلمون على تحريم الجماع في زمن
الحيض ومستحله كافر عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اتى
حايضا او امراة في دبرها او كاهنا فقد كفر بما انزل على محمد اخرجه الترمذي وقال انما معنى هذا
عند اهل العلم على التغليظ ومن فعله وهو عالم بالتحريم عزره الامام وفي وجوب الكفارة قولان
احدهما انه يستغفر الله ويتوب اليه ولا كفارة عليه وهو قول ابي حنيفة والشافعي في الجديد
والقول الثاني انه تجب عليه الكفارة وهو القول القديم للشافعي وبه قال احمد بن حنبل لما روي عن
ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يقع على امراته وهي حايض قال
يتصدق بنصف دينار وفي رواية قال اذا كان دما احمر فدينار وان كان دما اصفر فنصف دينار
اخرجه الترمذي وقال رفعه بعضهم ووقفه بعضهم عن ابن عباس **المسيلة الثانية** اجمع
العلما على جواز الاستمتاع بالمراة الحايض بما فوق السرة ودون الركبة وجواز مضاجعتها وملامستها
ويدل على ذلك ما روي عن عايشة رضي الله عنها قالت كانت احدانا اذا كانت حايضا
واراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يباشرها امرها ان تتزر بازار في فور حيضها ثم
يباشرها وايكم يملك اربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك اربه وفي رواية قالت
كنت اغتسل انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من اناء واحد وكلانا جنب وكان يامرني
فاتزر فيباشرني وانا حايض اخرجاه في الصحيحين المراد بالمباشرة هنا الاستمتاع بما دون
الفرج وفور كل شي اوله وابتداوه وقولها يملك اربه بسكون الراء هو العضو وبفتحها هو الحاجة
عن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناوليني الخمرة من المسجد قالت فقلت
اني حايض قال ان حيضتك ليست في يدك الخمرة حصير صغير من سعف النخل او غيره بقدر
الكف وقولها من المسجد يعني ناوليها من المسجد لانه صلى الله عليه وسلم كان معتكفا في
المسجد وعايشة في حجرتها وطلب منها الخمرة وهي حايض **المسيلة الثالثة** يحرم على
الحايض الصوم والصلاة ودخول المسجد وقراءة القران ومس المصحف وحمله ولو امنت الحايض
من التلويث في عبورها المسجد جاز في احد الوجهين قياسا على الجنب والثاني لا لان
حدثها اغلظ ويجب على الحايض قضا الصوم دون الصلاة لما روي عن معاذة العدوية
قالت سالت عايشة فقلت ما بال الحايض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة قالت احرورية
انت قلت لست بحرورية ولكني اسال قالت كان يصيبنا ذلك فنومر بقضا الصوم

ولانه مر بنصا الصلاة اخرجاه في الصحيحين **المسئلة الرابعة** لا يرتفع شي منه الحايض بانقطاع الدم ما لم تغتسل او تتيمم عند عدم الما الا الصوم فانها اذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فانه يصح وان اغتسلت في النهار وذهب ابو حنيفة الى انه يجوز للزوج غشيانها اذا انقطع الدم لاكثر الحيض وهو عشرة ايام عنده قبل الغسل ومذهب الشافعي وغيره من العلما انه لا يجوز للزوج غشيانها ما لم تغتسل او تتيمم عند عدم الما لان الله تعالى علق جواز وطي الحايض بشرطين احدهما انقطاع الدم والثاني الغسل فقال ولا تقربوهن حتى يطهرن يعني من الحيض فاذا تطهرن يعني اغتسلن فاتوهن من حيث امركم الله فدل ذلك على ان الوطي لا يحل قبل الغسل قوله تعالى **ان الله يحب التوابين** يعني من الذنوب والتواب الذي كلما اذنب جدد توبته وقيل التواب هو الذي لا يعود الى الذنب **ويحب المتطهرين** يعني من الاحداث وساير النجاسات بالما وقيل المتطهرين من الشرك وقيل هم الذين لم يصيبوا الذنوب قوله تعالى **نساوكم حرث لكم** الاية **ق** عن جابر رضي الله عنه قال كانت اليهود اذا جامعها من ورايها جا الولد احول فنزلت نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شيتم وفي رواية الترمذي كانت اليهود تقول من اتى امراة في قبلها من دبرها وذكر الحديث وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال جا عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله هلكت قال وما اهلكك قال حولت رحلي الليلة قال فلم يرد عليه شيا قال فاوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شيتم اقبل وادبر واتق الدبر والحيضة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله حولت رحلي هو كناية عن الاتيان في غير المحل المعتاد هذا ظاهره ويجوز انه يريد انه اتاها في المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان هذا الحي من الانصار وهم اهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم اهل كتاب فكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من شان اهل الكتاب ان لا ياتون النسا الا على حرف وذلك استر ما تكون المراة فكان هذا الحي من الانصار قد اخذوا بذلك من فعلهم وكان من شان هذا الحي من قريش يشرحون النسا شرحا منكرا ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك موضع الولد اخرجه ابو داود الوثن الصنم وقيل الصورة التي لا جثة لها وقوله على حرف الحرف الجانب وحرف كل شي جانبه وقوله يشرحون النسا يقال شرح فلان جاريته اذا وطيها على قفاها واصل الشرح البسط وقوله شري امرهما اي ارتفع وعظم وتفاخم واصله من شري البرق اذا لج في اللمعان عن ام سلمة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شيتم في صمام واحد ويروى في سمام بالسين اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله حرث لكم معناه زرع لكم ومنبت للولد وهذا على سبيل التشبيه فجعل فرج المراة كالارض والنطفة كالبذر والولد كالنبات الخارج **فاتوا حرثكم انى شيتم** يعني كيف شيتم وحيث شيتم والمعنى كيف شيتم مقبلة ومدبرة وعلى كل حال اذا كان في الفرج وفي الاية دليل على تحريم اتيان النسا في ادبارهن لان محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر ويويد ذلك ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امراة في دبرها اخرجه ابو داود وقال سعيد بن المسيب هذا في العزل فقال احرثك ان شيت فعطش وان شيت فروي

ويروى

ويروى عنه انه قال تستامر الحرة في العزل ولا تستامر الجارية وبه قال احمد وكره جماعة العزل وقالوا هو الواد الخفي وروى نافع قال كنت امسك على ابن عمر المصحف فقرا هذه الاية نساوكم حرث لكم قال تدري فيم نزلت هذه الاية قلت لا قال نزلت في رجل اتى امراة في دبرها فشق ذلك عليه فنزلت هذه الاية وروى عبد الله بن الحسن انه لقي سالم بن عبد الله بن عمر فقال له يا عم ما حديث يحدث نافع عن عبد الله انه لم يكن يرى باسا باتيان النسا في ادبارهن فقال كذب العبد واخطا انما قال عبد الله يوتون في فروجهن من ادبارهن ويحكى عن مالك اباحة ذلك وانكره اصحابه واجمع جمهور العلما على تحريم اتيان النسا في ادبارهن وقالوا لان الله حرم الفرج في حال الحيض لاجل النجاسة العارضة وهو الدم فاولى ان يحرم الدبر لاجل النجاسة اللازمة ولان الله تعالى نص على ذكر الحرث والحرث به يكون الولد فلا يحل العدول منه الى غيره قوله تعالى **وقدموا لانفسكم** يعني الولد وقيل قدموا التسمية والدعا عند الجماع **ق** عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم اذا اراد ان ياتي اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان يقدر ولد في ذلك لم يضره الشيطان ابدا وقيل اراد به تقديم الافراط وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم يعني الا قدر ما يبر الله قسمه فيه وهو قوله تعالى وان منكم الا واردها فاذا وردها جاوزها فقد بر قسمه وقيل قدموا لانفسكم يعني الخير والعمل الصالح بدليل سياق الاية **واتقوا الله** اي احذروا ان تاتوا شيا مما نهاكم الله عنه **واعلموا انكم ملاقوه** اي صايرون اليه في الاخرة فيجزيكم باعمالكم **وبشر المومنين** يعني بالكرامة من الله تعالى قوله عز وجل **ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم** نزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين ختنه بشير بن النعمان شي فحلف عبد الله لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصم له فكان اذا قيل له فيه يقول قد حلفت بالله ان لا افعل فلا يحل لي الا ان تبر يميني فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في ابي بكر الصديق حين حلف ان لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الافك والعرضة ما يجعل عرضا للشي وقيل العرضة الشدة والقوة وقيل وكل ما يعترض فيمنع عن الشي فهو عرضة والمعنى ولا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعى احدكم الى بر او صلة رحم فيقول قد حلفت بالله لا افعله فيعتل بيمينه في ترك البر والاصلاح **ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس** عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فلياتها وليكفر عن يمينه وقيل معناه لا تكثروا الحلف بالله ان كنتم بارين متقين مصلحين فان كثرة الحلف بالله ضرب من الجراة عليه **والله سميع** اي لحلفكم **عليم** اي بنياتكم قوله تعالى **لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم** اللغو كل ساقط مطرح من الكلام وما لا يعتد به وهو الذي يورد لا عن روية وفكر واللغو في اليمين هو الذي لا عقد معه كقول القايل لا والله بلى والله على سبق اللسان من غير قصد ونية وبه قال الشافعي ويعضده ما روي عن عايشة رضي الله عنها قالت نزل قوله لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم في قول الرجل لا والله بلى والله اخرجه البخاري موقوفا ورفعه ابو داود وقال قالت عايشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل في بيته كلا والله وبلى والله ورواه عنها ايضا موقوفا وقيل في معنى اللغو هو

ان يحلف الرجل على شي يرى انه صادق ثم يتبين له خلاف ذلك وبه قال ابو حنيفة ولا كفارة ولا اثم عليه عنده
قال مالك في الموطا احسن ما سمعت في ذلك ان اللغو حلف الانسان على الشي يستيقن انه كذلك
ثم يوجد بخلافه فلا كفارة فيه قال والذي يحلف على الشي وهو يعلم انه فيه اثم كاذب ليرضي به احدا او يعتذر
لمخلوق او يقتطع به مالا فهذا اعظم من ان يكون فيه كفارة وانما الكفارة على من حلف ان لا يفعل
الشي المباح له فعله ثم يفعله او ان يفعله ثم لا يفعله مثل ان حلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم
يبيعه بذلك او حلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه وفايدة الخلاف الذي بين الشافعي وابي حنيفة
في لغو اليمين ان الشافعي لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله وبلى والله ويوجبها فيما اذا حلف على
شي انه يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وابو حنيفة يحكم بضد ذلك ومذهب الشافعي هو قول عايشة والشعبي
وعكرمة ومذهب ابو حنيفة هو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعي والزهري وسليمان بن
يسار وقتادة ومكحول وقيل في معنى اللغو انه اليمين في الغضب وقيل هو ما يقع سهوا من غير قصد
البتة ومعنى لا يواخذكم اي لا يعاقبكم بلغو اليمين وقيل لا يواخذكم اي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين **ولكن
يواخذكم بما كسبت قلوبكم** يعني لكن يواخذكم بما عزمتم عليه وقصدتم له وكسب القلب هو القصد
والنية **فصل** في بيان حكم الاية وفيه مسايل الاولى لا ينعقد اليمين الا بالله
وباسمايه وصفاته فاما اليمين بالله فهو قول الرجل والذي نفسي بيده والذي اعبده ونحو ذلك
والحلف باسمايه كقوله والله والرحمن والمهيمن ونحوه والحلف بصفاته فهو كقوله وعزة الله وقدرة
الله وعظمة الله ونحو ذلك فاذا حلف بشي من ذلك ثم حنث فعليه الكفارة **المسيلة الثانية**
لا يجوز الحلف بغير الله كقوله والكعبة والنبي والابي ونحو ذلك فان حلف بشي من ذلك لا ينعقد
يمينه ولا كفارة عليه ويكره الحلف به لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ادرك عمر وهو يسير في ركب وهو يحلف بابيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم ان
تحلفوا بابايكم فمن كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت اخرجاه في الصحيحين **المسيلة الثالثة**
اذا حلف على امر في المستقبل فحنث وعليه الكفارة وان كان امرا ماضيا ولم يكن ادعى انه لم يكن فكان فان
كان عالما به حال حلفه بان يقول والله ما فعلت وقد فعل او لقد فعلت وما فعل فهذه اليمين
الغموس وهي من الكباير سميت غموسا لانها تغمس صاحبها في الاثم ويجب فيها الكفارة عند
الشافعي سوا كان عالما او جاهلا وذهب ابو حنيفة الى انه لا كفارة عليه فان كان عالما فهي كبيرة
وان كان جاهلا فهي من لغو اليمين **والله غفور** يعني لعباده فيما لغوا من ايمانهم التي اخبر انه
لا يواخذهم عليها ولو شاء لواخذهم والزمهم الكفارة في العاجل والعقوبة عليها في الاجل **حليم**
يعني بترك معاجلة اهل العصيان بالعقوبة قال الحليمي في معنى الحليم انه الذي لا يحبس انعامه
وافضاله عن عباده لاجل ذنوبهم ولكنه يرزق العاصي كما يرزق المطيع ويبقيه وهو منهمك في
معاصيه كما يبقي البر المتقي وهو يقيه الافات والبلايا وهو غافل لا يذكره فضلا عن ان
يدعوه كما يقيها الناسك الذي يدعوه ويساله وقال ابو سليمان الخطابي الحليم ذو الصفح
والاناة الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل ولا عصيان عاص ولا يستحق
الصافح مع العجز اسم الحلم انما الحليم الصفوح مع القدرة على الانتقام المتاني الذي لا يعجل
بالعقوبة قوله تعالى **للذين يولون من نسايهم** يولون اي يحلفون والالية اليمين قال الكبير

قليل

قليل الالايا حافظ ليمينه وان صدرت منه الالية برت والالا يا في عرف الشرع هو اليمين على ترك
الوطي كما اذا قال والله لا اجامعك او لا اباضعك او لا اقربك قال ابن عباس كان اهل الجاهلية اذا
طلب الرجل من امراته شيا فابت ان تعطيه حلف لا يقربها السنة والسنتين والثلاث فيدعها لا ايما
ولا ذات بعل فلما كان الاسلام جعل الله ذلك للمسلمين اربعة اشهر وانزل هذه الاية وقال سعيد
ابن المسيب كان الايلا ضرار اهل الجاهلية وكان الرجل لا يريد امراته ولا يحب ان يتزوجها غيره فيحلف
ان لا يقربها ابدا فيتركها لا ايما ولا ذات بعل وكانوا عليه في ابتدا الاسلام فجعل الله تعالى له الاجل
الذي يعلم به ما عند الرجل في المراة اربعة اشهر وانزل هذه الاية للذين يولون من نسايهم **تربص** انتظار
اربعة اشهر والتربص التثبت والانتظار **فان فاوا** اي رجعوا عن اليمين بالوطي والمعنى فان رجعوا
عما حلفوا عليه من ترك جماعها **فان الله غفور رحيم** للزوج اذا تاب من اضراره بامراته فانه غفور
رحيم لكل التايبين فروع تتعلق بحكم الاية الفرع الاول اذا حلف انه لا يقرب زوجته ابدا او مدة
هي اكثر من اربعة اشهر فهو مول فاذا مضت اربعة اشهر يوقف الزوج ويامر بالفي وهو الرجوع
او الطلاق وذلك بعد مطالبة الزوجة فان رجع عما قال بالوطي ان قدر عليه وبالقول مع
العجز ان عجز عنه فان لم يفي ولم يطلق طلق عليه الحاكم واحدة وهو قول عمر وعثمان وابي الدردا
وابن عمر قال سليمان بن يسار ادركت بضعة وعشرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلهم يقول يوقف المولي وذهب سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك
والشافعي واحمد واسحق وقال ابن عباس وابن مسعود اذا مضت مدة اربعة اشهر يقع عليها
طلقة باينة وبه قال سفيان الثوري وابو حنيفة وقال سعيد بن المسيب والزهري يقع عليها
طلقة رجعية الفرع الثاني لو حلف ان لا يطاها اقل من اربعة اشهر فليس بمول بل هو حالف
فان وطيها قبل مضي المدة لزمه كفارة يمين الفرع الثالث لو حلف انه لا يطاها اربعة
اشهر فليس بمول بعد مضي المدة عند الشافعي لان بقا المدة شرط للوقوف وثبوت المطالبة بالفي
او الطلاق وقد مضت المدة وعند ابي حنيفة يكون موليا ويقع الطلاق بمضي المدة الفرع الرابع
مدة الايلا اربعة اشهر في حق الحر والعبد جميعا عند الشافعي لانها مدة ضربت لمعنى يرجع الى الطبع
وهو قلة صبر المراة عن الزوج فيستوي فيه الحر والعبد كمدة العنة وعند مالك وابي حنيفة
تتنصف مدة الايلا بالرق غير ان عند ابي حنيفة تتنصف المدة برق المراة وعند مالك برق الزوج
كما قال في الطلاق الفرع الخامس اذا وطي خرج عن الايلا ويجب عليه كفارة يمين وهذا قول اكثر
العلما وقيل لا كفارة عليه لان الله وعد المغفرة فقال فان فاوا فان الله غفور رحيم ومن قال
بوجوب الكفارة عليه قال ذلك باسقاط العقوبة عنه لا في الكفارة قوله تعالى **وان عزموا
الطلاق** اي حققوه بالايقاع **فان الله سميع** لاقوالهم **عليم** يعني بنياتهم وفيه دليل على
انها لا تطلق ما لم يطلقها زوجها لانه تعالى شرط فيه العزم قوله تعالى والمطلقات اي المخليات
من حبال ازواجهن والمطلقة هي التي اوقع الزوج عليها الطلاق **يتربصن بانفسهن**
اي ينتظرن فلا يتزوجن **ثلاثة قروء** جمع قرء والقرء اسم يقع على الحيض والطهر قال ابو
عبيدة الاقرا من الاضداد كالشفق اسم للحمرة والبياض وقيل انه حقيقة في الحيض مجاز في الطهر
وقيل بالعكس واختلفوا في اصله فقيل اصله الجمع من قرا اي جمع لانه وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم

وفي وقت الطهر تجمع في البطن وقيل اصله الوقت يقال رجع فلان لوقته الذي كان فيه لان
الحيض ياتي لوقت والطهر ياتي لوقت وبحسب اختلاف اهل اللغة في الاقرا اختلف الفقها على قولين
احدهما ان الاقرا هي الحيض يروى ذلك عن عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وابي موسى وعبادة بن
الصامت وابي الدردا وبه قال عكرمة والضحاك والسدي والاوزاعي وسفيان الثوري وابو
حنيفة واصحابه وقال احمد بن حنبل كنت اقول ان الاقرا هي الاطهار وانا اليوم اذهب الى انها
الحيض **القول الثاني** انها الاطهار يروى ذلك عن زيد بن ثابت وابن عمر وعايشة وبه قال
الزهري وابان بن عثمان ومالك والشافعي وحجة من يقول ان الاقرا هي الحيض قوله صلى الله عليه وسلم
للمستحاضة دعي الصلاة ايام اقرايك يعني ايام حيضتك لان المراة لا تدع الصلاة الا ايام
حيضها وحجة من يقول بانها الاطهار ان ابن عمر لما طلق امراته وهي حايض قال النبي صلى الله عليه وسلم
لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم ان شاء امسكها وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله
ان يطلق لها فاخبر ان زمان العدة هو الطهر لا الحيض ويعضده من اللغة قول الاعشى

ففي كل عام انت جاشم غزوة ، تشد لاقصاها عزيم عزايكا

مورثة مالا وفي الحي رفعة ، لما ضاع فيها من قروء نسايكا

اراد انه يخرج للغزو ولم يغش نسا فيضيع اقراهن وانما يضيع بالسفر زمان الطهر لا زمان الحيض
وفايدة الخلاف ان مدة العدة عند الشافعي اقصر وعند غيره اطول وذلك ان المعتدة اذا شرعت في
الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للازواج ويحسب بقية الطهر الذي وقع فيه
الطلاق قرا على قول من يجعل الاقرا الاطهار قالت عايشة رضي الله عنها اذا دخلت المطلقة
في الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها وحلت للازواج وروي عنها انها قالت القرء
الطهر ليس بالحيضة قال الشافعي والنسا بهذا اعلم لان هذا مما يبتلى به النسا وان طلقها
في حال الحيض فاذا شرعت في الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعلى قول من يجعل الاقرا حيضا
وهو مذهب ابي حنيفة لا تنقضي عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة ان كان وقع الطلاق في حال
الطهر او من الحيضة الرابعة ان وقع في حال الحيض فان قلت ما معنى الاخبار عنهن بالتربص
في قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن قلت هو خبر في صورة معنى الامر واصل الكلام
ولتتربص المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى
بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونظيره قولهم في الدعا
يرحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاجابة فكانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها

فصل في احكام العدد وفيه مسايل المسئلة الاولى عدة الحامل تنقضي بوضع
الحمل سوا المطلقة والمتوفى عنها زوجها وسوا في ذلك الحرة والامة المسئلة الثانية عدة المتوفى
عنها زوجها قبل الدخول وبعده سوا في ذلك الحايض والايسة اربعة اشهر وعشرا المسئلة الثالثة المطلقة المدخول
بها وهن ضربان احدهما الحيض فعدتها وهي ثلاثة اقرا والضرب الثاني الايسات من الحيض اما لكبر
او لم تكن تحيض قط فعدتها ثلاثة اشهر واما عدة المطلقة قبل الدخول فلا عدة عليها المسئلة الرابعة
عدة الاما نصف عدة الحراير فيما له نصف وفي الاقرا قران لا يتنصف قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ينكح العبد اثنتين وتطلق تطليقتين وتعتد الامة حيضتين وقوله تعالى **ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق**

الله

الله في ارحامهن قال ابن عباس يعني الولد وقيل الحيض والمعنى انه لا يحل للمراة كتمان ما خلق الله
في رحمها من الحيض لتبطل بذلك الكتمان حق الزوج من الرجعة والولد **ان كن يومن بالله واليوم
الاخر** هذا وعيد شديد لتاكيد تحريم الكتمان وايجاب ادا الامانة في الاخبار عما في الرحم من الحيض او
الولد والمعنى ان هذا من فعل المومنات فان كانت المومنة والكافرة فيه سوا فهو كقولك ادحقي ان
كنت مومنا يعني ادا الحق من افعال المومنين وتقول للذي يظلم ان كنت مومنا فلا تظلمني
ينبغي ان يمنعك ايمانك من الظلم وفي سبب الوعيد بهذا قولان احدهما انه لاجل ما يستحقه الزوج
من الرجعة قال ابن عباس لاجل الحاق الولد بغير ابيه قاله قتادة وقيل لان المراة اذا رغبت في
زوجها تقول لحايض وان كان قد طهرت ليراجعها وان كانت زاهدة فيه كتمت حيضها وتقول قد
طهرت لتفوته فنهاهن الله عن ذلك وامرهن باد الامانة **وبعولتهن احق بردهن في ذلك**
يعني ازواجهن سمي الزوج بعلا لقيامه بامر زوجته واصل البعل السيد والمالك والمعنى وازواجهن
اولى برجعتهن وردهن اليهم في ذلك اي في حال العدة فاذا انقضى وقت العدة فقد بطل حق الرجعة
ان ارادوا اصلاحا يعني ان اراد الزوج بالرجعة الاصلاح وحسن العشرة لا الاضرار
بهن وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يراجعون ويريدون بذلك الاضرار فنهى الله المومنين عن ذلك
وامرهم بالاصلاح وحسن العشرة بعد الرجعة **ولهن** يعني وللنسا على الازواج **مثل الذي
عليهن** يعني للازواج **بالمعروف** وذلك ان حق الزوجية لا يتم الا اذا كان كل واحد منهما يراعي حق
الاخر فيما له وعليه فيجب على الزوج ان يقوم بجميع حقها ومصالحها ويجب على الزوجة الانقياد
والطاعة قال ابن عباس في معنى الاية اني احب ان اتزين لامراتي كما احب ان تتزين لي لان الله
تعالى قال ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف م عن جابر رضي الله عنه انه ذكر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم
في حجة الوداع وقال فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله في النسا فانكم اخذتموهن
بامانة واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ان لا يوطين فرشكم احدا تكرهونه فان فعلن
ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف قوله فاتقوا الله في النسا
فيه الحث على الوصية بهن ومراعاة حقوقهن ومعاشرتهن بالمعروف قوله فانكم اخذتموهن
بامان الله ويروى بامانة الله قوله واستحللتم فروجهن بكلمة الله معناه باباحة الله والكلمة
هي قوله فانكحوا ما طاب لكم من النسا وقيل الكلمة هي قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان
وقيل الكلمة هي كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله محمد رسول الله اذ لا تحل مسلمة لغير مسلم وقوله
ولا يوطين فرشكم احدا تكرهونه معناه ولا ياذن لاحد ان يتحدث اليهن وكان من عادة العرب
ان تتحدث الرجال مع النسا ولا يرون ذلك عيبا ولا يعدونه ريبة الى ان نزلت اية الحجاب
فنهوا عن ذلك وليس المراد بوطي الفرش نفس الزنا فان ذلك محرم على كل الوجوه فلا معنى لاشتراط
الكراهة فيه ولو كان المراد ذلك لم يكن الضرب فيه ضربا غير مبرح انما كان فيه الحد والضرب المبرح
هو الشديد وقوله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف يعني بالعدل وفيه وجوب نفقة
الزوجة وكسوتها وذلك ثابت بالاجماع وقوله تعالى **وللرجال عليهن درجة** اي منزلة
ورفعة قال ابن عباس بما ساق اليها من المهر وانفق عليها من المال وقيل ان فضيلة الرجال
على النسا منها العقل والشهادة والميراث والدية وصلاحية الامامة والقضا وللرجل ان يتزوج

عليهن ويشترى ويبيع لها ذلك ويبدأ الرجل بالطلاق فهو قادر على تطليقها واذا طلقها رجعية فهو
قادر على رجعتها وليس شيء من ذلك بيدها **والله عزيز** اي غالب لا يمتنع عليه شيء **حكيم** اي في جميع احواله
واحكامه روى البغوي بسنده عن ابي ظبيان ان معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيها ثم خرج فراى رجالا يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها قوله تعالى **الطلاق
مرتان** عن عروة بن الزبير قال كان الرجل اذا طلق زوجته ثم ارتجعها قبل ان تنقضي عدتها كان له ذلك
وان طلقها الف مرة فعمد رجل الى امراته فطلقها حتى اذا شارفت انقضاء عدتها ارتجعها ثم قال والله لا اويك
الي ولا تحلين ابدا فانزل الله الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان فاستقبل الناس
الطلاق جديدا من ذلك اليوم من كان طلق او لم يطلق اخرجه الترمذي وله عن عائشة رضي الله عنها
قالت كان الرجل يطلق امراته ما شاء ان يطلقها وهي امراته اذا ارتجعها وهي في العدة وان طلقها مائة او
اكثر حتى قال رجل لامراته والله لا اطلقك فتبينين مني ولا اويك ابدا قالت وكيف ذلك قال
اطلقك فكلما همت عدتك ان تنقضي راجعتك فذهبت المراة حتى دخلت على عائشة فاخبرتها
فسكتت عائشة حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى
نزل القران الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان قالت عائشة فاستانف الطلاق
مستقبلا من كان طلق ومن لم يطلق ومعنى الاية ان الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد
الثالثة الا ان تنكح زوجا اخر وهذا التفسير هو قول من جوز الجمع بين الطلاق الثلاث في دفعة
واحدة وهو قول الشافعي وقيل في معنى الاية ان التطليق الشرعي يجب ان يكون تطليقة بعد تطليقة على
التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة وهذا التفسير هو قول من قال ان الجمع بين الثلاث
حرام الا ان ابا حنيفة قال يقع الثلاث وان كان حراما وقيل ان الاية دالة على عدد الطلاق
الذي يكون للرجل فيه الرجعة على زوجته والعدد الذي تبين به زوجته منه والمعنى ان عدد الطلاق
الذي لكم الرجعة على ازواجكم اذا كن مدخولا بهن تطليقتان وانه لا رجعة له بعد التطليقتين ان سرحها
فطلقها الثالثة **فامساك بمعروف** يعني بعد الرجعة وذلك انه اذا راجعها بعد التطليقة
الثانية فعليه ان يمسكها بالمعروف وهو كل ما عرف في الشرع من اداء حقوق النكاح وحسن الصحبة
او تسريح باحسان يعني انه يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها من غير مضارة وقيل انه اذا
طلقها ادى اليها جميع حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها فروع
تتعلق باحكام الطلاق **الفرع الاول** صريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلاث
الطلاق والفراق والسراح وعند ابي حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق فقط **الفرع الثاني**
الحر اذا طلق زوجته طلقة او طلقتين بعد الدخول بها فله مراجعتها من غير رضاها ما دامت
في العدة فاذا لم يراجعها حتى انقضت او طلقها قبل الدخول بها او خالعها فلا تحل له الا بنكاح
جديد باذنها واذن وليها **الفرع الثالث** العبد يملك على زوجته الامة طلقتين واختلف
فيما اذا كان احد الزوجين حرا فالحر يملك على زوجته الامة ثلاث تطليقات والعبد
يملك على زوجته الحرة طلقتين والاعتبار بحال الزوج في عدد الطلاق وبه قال الشافعي
ومالك واحمد وذهب ابو حنيفة الى ان الاعتبار بالمراة فالعبد يملك على زوجته الحرة ثلاث طلقات

والحر

والحر يملك على زوجته الامة طلقتين **ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن** يعني اعطيتموهن **شيا**
يعني من مهر او غيره ثم استثنى الخلع فقال تعالى **الا ان يخافا الا يقيما حدود الله** نزلت في جميلة
بنت عبد الله بن ابي ويقال حبيبة بنت سهل الانصاري كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت
تبغضه وهو يحبها فكان بينهما كلام فاتت اباها تشكو اليه زوجها وقالت انه يسيء الي ويضربني فقال
ارجعي الى زوجك فاني اكره للمراة ان تزال رافعة يديها تشكو زوجها قال فرجعت اليه الثالثة وبها اثر الضرب
فقال لها ارجعي الى زوجك فلما رات ان اباها لا يشكيها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت
اليه زوجها وارته اثارا بها من ضربه وقالت يا رسول الله لا انا ولا هو فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى ثابت فقال ما لك ولاهلك فقال والذي بعثك بالحق ما على وجه الارض احب الي منها غيرك
فقال لها ما تقولين فكرهت ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سالها فقالت صدق
يا رسول الله ولكن قد خشيت ان يهلكني فاخرجني منه وقالت يا رسول الله ما كنت احدثك
حديثا ينزل عليك خلافه هو اكرم الناس حبا لزوجته ولكن ابغضه فلا انا ولا هو فقال ثابت
اعطيتها حديقة نخل فقل فلترد والخلي سبيلها فقال لها تردين عليه حديقته وتملكين امرك
قالت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل
خ عن ابن عباس رضي الله عنهما ان امراة ثابت بن قيس اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله ان ثابت بن قيس ما اعتب عليه في خلق ولا دين ولكني اكره الكفر في الاسلام قال ابو
عبد الله يعني تبغضه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين عليه حديقته قالت نعم قال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الحديقة وطلقها تطليقة قولها اعتب عليه يعني ما ابد
عليه والعتب الموجدة والحديقة البستان من النخل اذا كان عليه الحائط ومعنى قوله تعالى الا ان يخافا
اي يعلما الزوجان من انفسهما الا يقيما حدود الله والمعنى تخاف المراة ان تعصي الله في امر زوجها
ويخاف الزوج انه اذا لم تطعه ان يعتدي عليها فنهى الله الرجل ان ياخذ من امراته شيا مما اعطاها
الا ان يكون النشوز من قبلها وذلك ان تقول لا اطيع لك امرا ولا اطا لك مضجعا ونحو ذلك وقرئ
يخافا بضم الياء ومعناه الا ان يعلم ذلك من حالهما يعني يعلم القاضي والولي **فان خفتم** يعني فان
خشيتم فاشفقتم وقيل معناه فان ظننتم **الا يقيما حدود الله** يعني ما اوجب الله
على كل واحد منهما من طاعته فيما امره الله به من حسن الصحبة والمعاشرة بالمعروف وقيل
هو يرجع الى المراة وهو سوء خلقها واستخفافها بحق زوجها **فلا جناح عليهما فيما افتدت
به** اي لا جناح على المراة في النشوز اذا خافت الهلاك والمعصية فيما افتدت به نفسها واعطت
من المال لانها ممنوعة من اتلاف المال بغير حق ولا على الزوج فيما اخذ من المال اذا اعطته المراة
طائعة راضية **فصل** في حكم الخلع وفيه مسائل المسالة الاولى قال الزهري
والنخعي وداود لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله فان وقع الخلع
في غير هذه الحالة فهو فاسد وحجة هؤلاء القول ان الاية صريحة في انه لا يجوز للزوج ان ياخذ من
المراة عند طلاقها شيا ثم استثنى الله تعالى حالة مخصوصة فقال الا ان يخافا الا يقيما
حدود الله فكانت هذه صريحة في انه لا يجوز الاخذ في غير حالة الغضب والخوف من ان لا
يقيما حدود الله وذهب جمهور العلماء الى انه يجوز الخلع من غير نشوز ولا غضب غير انه يكره لما فيه

من قطع الوصلة بلا سبب عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امراة سالت زوجها الطلاق
من غير ما باس فحرام عليها رائحة الجنة اخرجه ابو داود وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم ابغض الحلال الى الله الطلاق اخرجه ابو داود ودليل الجمهور على جواز الخلع من غير
نشوز قوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فاذا جاز لها ان تهب مهرها
من غير ان يحصل لها شيا بازاء ما بذلت كان ذلك في الخلع الذي تصير بسببه مالكة نفسها اولى واجيب
عن الاستثنا المذكور في هذه الاية انه محمول على الاستثنا المنقطع المسئلة الثانية الخلع جائز
على اكثر مما اعطاها وبه قال اكثر العلما وقيل لا يجوز ان ياخذ اكثر مما اعطاها وهو قول علي وبه قال
الشعبي والزهري والحسن وعطا وطاوس وقال سعيد بن المسيب بل ياخذون ما اعطاها
حتى يكون الفضل له وحجة الجمهور ان الخلع عقد على معاوضة فوجب ان لا يتقيد بمقدار معين
كما ان المراة ان لا ترضى عند عقد النكاح الا بالتكثير فكذلك للزوج ان لا يرضى عند المخالعة الا
بالبذل الكثير لا سيما وقد اظهرت الاستخفاف بالزوج حيث اظهرت بغضه وكراهته
المسئلة الثالثة اختلف العلما في الخلع هل هو فسخ او طلاق فقال الشافعي في القديم
انه فسخ وهو قول ابن عباس وطاوس وعكرمة وبه قال احمد واسحق وابو ثور وقال الشافعي في
الجديد انه طلاق وهو الاظهر وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود القول القديم ان الله تعالى ذكر
الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة فقال فان طلقها فلا تحل له من
بعد حتى تنكح زوجا غيره ولو كان الخلع طلاق لكان الطلاق اربعا وحجة القول الجديد انه
لو كان فسخا لما صح بالزيادة على المهر المسمى كالاقالة في البيع وايضا لو كان الخلع فسخا
فاذا خالعها ولم يذكر وجب ان يجب المهر عليها كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكره فثبت
ان الخلع ليس بفسخ واذا بطل ذلك ثبت انه طلاق وايضا فان الطلقة الثالثة قوله او تسريح
باحسان وفايدة الخلاف انا اذا جعلناه تنقضي به عدد الطلاق فان تزوجها كانت معه
على طلقتين وان جعلناه فسخا بانت منه بثلاث قوله تعالى تلك حدود الله يعني هذه
اوامر الله ونواهيه وهو ما تقدم من احكام الطلاق والرجعة والخلع وحدود الله ما منع من
مجاوزتها وقوله فلا تعتدوها اي فلا تجاوزوها ومن يتعد حدود الله اي يجاوزها
فاولئك هم الظالمون قوله تعالى فان طلقها يعني الطلقة الثالثة فلا تحل له من بعد
اي لا تحل له رجعتها بعد الثلاث حتى تنكح زوجا غيره يعني حتى تتزوج زوجا اخر غير المطلق
فيجامعها والنكاح يتناول العقد والوطي جميعا والمراد هنا الوطي نزلت في تميمة وقيل
عايشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي وكانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي
طلقها ثلاثا ق عن عايشة رضي الله عنها قالت جات امراة رفاعة القرظي الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت اني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير
وانما معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتريدين ان ترجعي الى رفاعة
لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته قولها فبت طلاقي اي قطعه والبت القطع وقولها
مثل هدبة الثوب اي طرفه وهو كناية عن استرخا الذكر وقوله حتى يذوق عسيلتك بضم العين
تصغير العسل شبه لذة الجماع بالعسل وهو كناية عنه وانما انث العسل لان من العرب من يونثه

وقيل

وقيل انه حملاه على المعنى لان المراد منها النطفة وعبد الرحمن المذكور ابن الزبير بكسر البا وفتح الزاي
وروي انها لبثت ما شا الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي قد مسني
فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلن اصدقك في الاخر فلبثت حتى
قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتت ابا بكر فقالت يا خليفة رسول الله ارجع الى زوجي الاول
فان زوجي الاخر قد مسني وطلقني فقال لها ابو بكر رضي الله عنه قد شهدت النبي صلى الله عليه وسلم
حين اتيته وقال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر رضي الله عنه اتت عمر رضي الله عنه
وقالت له مثل ما قالت لابي بكر فقال لها لئن رجعت اليه لارجمنك وقوله تعالى فان طلقها
يعني الزوج الثاني بعد وطيها فلا جناح عليهما يعني على المراة والزوج الاول ان يتراجعا
يعني بنكاح جديد ان ظنا اي علما وايقنا وقيل ان رجا لان احدا لا يعلم ما هو كاين الا الله تعالى
ان يقيما حدود الله يعني بينهما بينهما الصلاح وحسن الصحبة والعشرة وقيل معناه
ان علما ان نكاحهما على غير دلسة والمراد بالدلسة التحليل فرعان الاول مذهب جمهور العلما
ان المطلقة بالثلاث لا تحل للزوج المطلقة فيه بالثلاث الا بشرايط وهي ان تعتد منه
ثم تتزوج اخر ويطاها ثم يطلقها ثم تعتد منه فاذا حصلت هذه الشرايط فقد حلت
للاول والا فلا وقال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب تحل بمجرد العقد والمذهب الاول وهو
الصحيح واختلف العلما في اشتراط الوطي هل ثبت بالكتاب او بالسنة على ثلاثة اقوال
الثالث وهو المختار انه ثبت بهما الثاني اذا تزوج بالمطلقة ثلاثا ليحلها للاول فهذا
نكاح باطل وعقد فاسد وبه قال مالك واحمد لما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه لعن المحلل والمحلل له اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وروي انه قال هو التيس المستعار
ولو تزوجها ولم يشترط في النكاح انه يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل اذا طلقها
وانقضت العدة غير انه يكره اذا كان في عزمهما ذلك وبه قال الشافعي وابو حنيفة ودليل ذلك
ان الاية دلت على ان الحرمة تنتهي بوطي مسبوق بعقد وقد وجد ذلك فوجب القول بانتهاء الحرمة
وقال نافع اتى رجل الى عمر رضي الله عنه فقال ان رجلا طلق امراته ثلاثا فانطلق اخ له من غير
مؤامرة فتزوجها ليحلها للاول فقال لا الا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون يعني يعلمون ما امرهم
به ونهاهم وانما خص العلما لانهم هم الذين ينتفعون بذلك البيان قوله عز وجل واذا طلقتم
النسا فبلغن اجلهن نزلت في ثابت بن يسار رجل من الانصار طلق امراته حتى اذا قرب
انقضا عدتها راجعها ثم طلقها يقصد بذلك مضارتها فبلغن اجلهن اي قاربن انقضا
عدتهن وشارفن منتهاها ولم يرد انقضا العدة لانه لو انقضت عدتها لم يكن للزوج امساكها
فالبلوغ هنا بلوغ مقاربة كما يقال بلغ فلان البلد اذا قاربه وشارفه وهذا من باب المجاز الذي
يطلق عليه اسم الكل فيه على الاكثر وقيل ان الاجل اسم للزمان فيحمل على الزمان الذي هو اخر زمان
يمكن ايقاع الرجعة فيه فاذا فات لا يبقى بعده مكنة الرجعة وعلى هذا التاويل فلا حاجة الى المجاز
فامسكوهن اي راجعوهن بمعروف وهو ان يشهد على رجعتها وان يراجعها بالقول لا بالوطي
او سرحوهن بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن انفسهن ولا تمسكوهن ضرارا اي

لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس وقيل كانوا يضاروهن لتفتدي المرأة منه بما لها
لتعتدوا اي لتظلموهن بلجا وزنكم في امرهن حدود الله التي بينها لكم وقيل معناه لا تقضوا وهن
على قصد الاعتدا عليهن ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه اي ضر نفسه بمخالفة امر الله
وتعريضها عذاب الله ولا تتخذوا ايات الله هزوا يعني بيّن لكم من حلاله وحرامه وامره
ونهيه في وحيه وتنزيله فلا تتخذوا ذلك استهزاء ولعبا فمن وجب عليه طاعة الله وطاعة رسوله
ثم وصل اليه هذه الاحكام التي تقدم ذكرها في العدة والرجعة والخلع وترك المضارة فلا
تتخذوها هزوا فغيه تهديد ووعيد شديد وقيل هو راجع الى قوله فامساك بمعروف او تسريح
باحسان فكل من خالف امرا من امور الشرع فهو متخذا ايات الله هزوا وقيل كان الرجل
يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنهوا عن ذلك عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة اخرجه
ابو داود والترمذي وقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم اي واذكروا نعمه فيما
انزل عليكم من الكتاب يعني القران والحكمة يعني السنة التي علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسنها لكم وقيل اراد بالحكمة مواعظ القران يعظكم به اي بالكتاب الذي انزله على نبيه
صلى الله عليه وسلم واتقوا الله اي خافوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه واعلموا ان الله
بكل شي عليم يعني انه تعالى يعلم ما اخفيتم من طاعة ومعصية في سر وعلن لا يخفى عليه شي من
ذلك قوله تعالى واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن نزلت في معقل بن يسار المزني عضل
اخته جميلة وكانت تحت ابي البداح عاصم بن عدي فطلقها عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال كان لي
اخت تخطب الي وامنعها من الناس فاتاني ابن عم لي فانكحتها اياه فاصطحبا ما شا الله ثم طلقها
طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبها الي اتاني يخطبها مع الخطاب فقلت له
خطبت الي فمنعتها الناس واثرتك بها فزوجتك ثم طلقتها طلاقا لك رجعة ثم تركتها حتى انقضت
عدتها فلما خطبت الي اتيتني تخطبها مع الخطاب والله لا انكحها ابدا ففي نزلت هذه الاية واذا
طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن الاية فكفرت عن يميني
وانكحتها اياه اخرجه البخاري وقيل ان جابر بن عبد الله كانت له ابنة عم فطلقها زوجها
تطليقة فلما انقضت عدتها اراد ان يرتجعها فابى جابر وقال طلقت ابنة عمنا ثم تريد ان تنكحها
الثانية وكانت المراة تريد زوجها قد رضيته فنزلت هذه واراد ببلوغ الاجل في قوله فبلغن
اجلهن انقضا العدة بخلاف الاية التي قبل هذه قال الشافعي واختلاف الكلامين على افتراق
البلوغين فلا تعضلوهن خطاب للاوليا والمعنى لا تضيقوا عليهن ايها الاوليا فتمنعوهن
من مراجعة ازواجهن بنكاح جديد ان ينكحن ازواجهن اي تبتغون بذلك مضارتهن فهو
خطاب عام لجميع الاوليا وان كان سبب الاية خاصا واصل العضل المنع والتضييق ومنه
قول اوس بن حجر • وليس اخوك الدايم العهد بالذي • يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا •
• ولكنه النائي اذا كنت امنا • وصاحبك الادنى اذا الامر اعضلا •
يعني اذا ضاق الامر وفي الاية دليل للشافعي ومن وافقه في ان المراة لا تلي عقد النكاح ولا تاذن فيه
اذ لو كانت تملك ذلك لم يكن عضل ولا انهي لولي عن العضل معنى وقوله اذا تراضوا بينهم بالمعروف
يعني

يعني اذا تراضا الخطاب والنسا والمعروف هنا ما وافق الشرع من عقد حلال ومهر جايز وقيل ان
يرضى كل واحد منهما بما التزمه لصاحبه بحق العقد حتى يحصل الصحبة الحسنة والعشرة الجميلة
ذلك اي ذلك الذي ذكر من النهي يوعظ به من كان منكم يومن بالله واليوم الاخر
يعني ان المومن هو الذي ينتفع بالوعظ دون غيره ذلكم ازكى لكم واطهر يعني انه خير لكم واطهر
لقلوبكم واطيب عند الله والله يعلم يعني ما في ذلك من الزكاة والتطهير وانتم لا تعلمون
يعني ذلك قوله عز وجل والوالدات يعني المطلقات اللاتي لهن اولاد من ازواجهن
وقيل المراد بهن جميع الوالدات سوا كانت مطلقات او مزوجات ويدل عليه ان اللفظ عام وما
قام دليل التخصيص فوجب تركه على عمومه ولانه ظاهر اللفظ يرضعن اولادهن هذا خبر
بمعنى الامر والتقدير والوالدات يرضعن اولادهن في حكم الله الذي اوجبه وهذا الامر ليس امر ايجاب وانما هو
امر ندب واستحباب لان تربية الطفل بلبن الام اصلح له من لبن غيرها ولكمال شفقتها عليه ويدل على انه
لا يجب على الوالدة ارضاع ولدها قوله فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن ولو وجب الرضاع لما استحق
الاجرة وقال تعالى وان تعاسرتم فسترضع له اخرى وهذا نص صريح في ذلك فان لم يوجد من يرضع
الطفل او لم يقبل غير لبن امه وجب عليها ارضاعه كما يجب على كل احد مواساة المضطر وان رغبت
الام في ارضاع ولدها فهي اولى به من غيرها حولين كاملين الحول السنة واصله من حال يحول اذا
انقلب وانما قال كاملين للتوكيد لانه مما يتسامح فيه تقول اقمت عند فلان حولا وان لم تستكمله
فبين الله انهما حولان كاملان اربعة وعشرون شهرا وهذا التحديد بالحولين ليس تحديد ايجاب
ويدل على ذلك قوله بعد لمن اراد ان يتم الرضاعة فلما علق الاتمام بارادتنا علمنا ان هذا
الاتمام غير واجب فتبين ان المقصود من هذا التحديد قطع التنازع بين الزوجين في مقدار
زمن الرضاعة فقدر الله تعالى ذلك بالحولين حتى يرجعا اليه عند التنازع قال ابن عباس في
رواية عكرمة اذا وضعت الولد لستة اشهر ارضعته حولين وان وضعته لسبعة اشهر
ارضعته ثلاثة وعشرين شهرا وان وضعته لتسعة اشهر ارضعته احدى وعشرين شهرا
كل ذلك ثلاثين شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال في رواية الوارد عنه
هو حد لكل مولود في اي وقت ولد لا ينقص رضاعه من حولين الا باتفاق من الابوين فايهما اراد
فطام الولد قبل الحولين فليس له ذلك الا اذا اتفقا عليه يدل على ذلك قوله فان ارادا فصالا
عن تراض منهما وقيل فرض الله على الوالدات ارضاع الولد حولين ثم انزل التخفيف فقال
لمن اراد ان يتم الرضاعة اي هذا منتهى الرضاع لمن اراد اتمام الرضاعة وليس فيما دون ذلك
حد محدود وانما هو على مقدار اصلاح الطفل وما يعيش به وعلى المولود له يعني الاب وانما
عبر بهذا لان الوالدات انما ولدن للاب ولذلك ينسب الولد للاب دون الام قال بعضهم
• فانما امهات الناس اوعية • مستودعات وللاباء ابناء •
وقيل ان هذا تنبيه على ان الولد انما يلتحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه فكانه قال اذا ولدت
المراة الولد لاجل الرجل وعلى فراشه وجب عليه رعاية مصالحه رزقهن يعني طعامهن
وكسوتهن اي لباسهن بالمعروف اي على قدر الميسرة لا تكلف نفس الا وسعها
يعني طاقتها والمعنى ان ابا الولد لا يكلف في الانفاق عليه وعلى امه الا قدر ما يتسع به مقدرته

ولا يبلغ اسراف لقدرة **لا تضار والدة بولدها** يعني لا يوخذ الولد من امه بعد ان رضيت بارضاعه
ولا يدفع الى غيرها وقيل معناه لا تكره الام على ارضاع الولد وقبل الصبي لبن غيرها لان ذلك ليس بواجب عليها
ولا مولود له بولده يعني لا تلقي المراة الولد الى ابيه وقت لقيها تضاره بذلك وقيل معناه لا يلزم الاب
ان يعطي ام الولد اكثر مما يجب عليه اذا لم يرضع الولد من غير امه فعلى هذا يرجع الاضرار الى الوالدين فيكون المعنى لا يضار
كل واحد صاحبه بسبب الولد وقيل يحتمل ان يكون الضرار راجعا الى الولد والمعنى لا يضار كل واحد من الابوين الولد
فلا ترضعه حتى يموت فيتضرر بذلك ولا ينفق عليه الاب وينزعه من امه فيضره بذلك فعلى هذا تكون البا
صلة والمعنى لا تضار والدة ولدها ولا اب ولده **وعلى الوارث مثل ذلك** يعني وعلى وارث الولد
اذا مات مثل ما كان يجب على ابيه من النفقة والكسوة فيلزم وارث الاب ان يقوم مقامه في القيام بحق الولد
وقيل المراد بالوارث وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه فعلى هذا الوارث مثل ما كان على ابي الصبي
في حال حياته واختلف في اي وارث هو فقيل هم عصبة الصبي كالجد والاخ والعم وابنه وقيل هو كل وارث
من الرجال والنسا وبه قال احمد فيجبروا على نفقة الصبي على قدر سهمه وقيل هو كل وارث محرم من الرجال والنسا
من كان ذا رحم محرم منه وبه قال ابو حنيفة وقيل المراد بالوارث الصبي نفسه فعلى هذا تكون اجرة رضاع الصبي في
ماله فان لم يكن له مال فعلى الام ولا يجبر على نفقة الصبي غير الابوين وبه قال مالك والشافعي وقيل معناه
وعلى الوارث ترك المضارة **فان ارادا** يعني الوالدين **فصالا** يعني فطام الولد قبل الحولين فلا بد **عن**
تراض منهما اي على اتفاق من الوالدين في ذلك **وتشاور** اي يشاورون اهل العلم بذلك حتى يخبروا ان
الفطام قبل الحولين لا يضر بالولد والمشاورة استخراج الراي بما فيه مصلحة **فلا جناح عليهما** اي فلا حرج ولا اثم
على الوالدين في الفطام قبل الحولين اذا لم يضر بالولد **وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم** اي لاولادكم مراضع
غير امهاتهم اذا ابت امهاتهم ارضاعهم وتعذر ذلك لعلة بهن من انقطاع لبن وغير ذلك وارادت التزوج
فلا جناح عليكم اذا سلمتم يعني الى المراضع **ما اتيتم** يعني لهن من اجرة الرضاع وقيل اذا سلمتم الى امهاتهم
من اجرة الرضاع بقدر ما ارضعن **بالمعروف** اي بالاحسان والاجمال وامروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة
مستبشرين الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يومن من تفريطهن
بقطع معاذيرهن **واتقوا الله** اي خافوا الله فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما اوجب عليكم لاولادكم
واعلموا ان الله بما تعملون بصير يعني لا يخفى عليه خافية من جميع اعمالكم سرها وعلانيتها فانه تعالى يجازيها
وبعلها قوله تعالى **والذين يتوفون منكم** اي يموتون واصل التوفي اخذ الشي وافيا فمن مات فقد
استوفى عمره كاملا ويقال توفي فلان بمعنى قبض واخذ **ويذرون** اي ويتركون **ازواجا** والمراد بالازواج
هنا النسا لان العرب تطلق اسم الزوج على الرجل والمراة **يتربصن** اي ينتظرن **بانفسهن اربعة**
اشهر وعشرا يعني قدر هذه المدة وانما قال عشرا بلفظ التانيث لان العرب اذا ابهمت في العدد
من الليالي والايام غلبوا الليالي على ان احدهم يقول صمت عشرا من الشهر لكثرة تغليبهم الليالي على الايام
فاذا اظهروا الايام قالوا صمنا عشرة ايام وقيل هذه الايام ايام حزن ولبس حداد فشبهها بالليالي على
سبيل الاستعارة ووجه الحكمة في ان الله تعالى حد العدة بهذا القدر لان الولد يركض في بطن امه
لنصف مدة الحمل يعني يتحرك وقيل ان الروح تنفخ في الولد في هذه العشرة الايام ويدل على ذلك ما روي
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم
يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب رزقه

واجله

واجله وعمله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح الحديث اخرجاه في الصحيحين بزيادة فدل هذا الحديث ان خلق الولد
يجتمع في اربعة اشهر ويتكامل خلقه بنفخ الروح فيه في هذه الايام الزائدة **فصل** في عدة المتوفى عنها
زوجها والاحداد وفيه مسائل **المسالة الاولى** عدة المتوفى عنها زوجها اربعة اشهر وعشرا وعدة الامة على نصف عدة
الحرة شهران وخمسة ايام وبه قال جمهور العلما وقال ابو بكر الاصم عدة الامة كعدة الحراير وتمسك بظاهر هذه الاية
وعدة الحامل بوضع الحمل سوا فيه الحرة والامة ولو وضعت بعد وفاة زوجها بلحظة حل لها ان تتزوج ويدل على
ذلك ما روي عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لوي وكان ممن شهد
بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها
تجملت للخطاب فدخل عليها ابو السنابل بن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال لها ما لي اراك تجملت للخطاب
لعلك ترجين النكاح وانك والله ما انت بناكح حتى تمر عليك اربعة اشهر وعشرا قالت سبيعة فلما
قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين امسيت واتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك
فافتاني باني قد حللت حين وضعت حملي وامرني بالتزويج ان بدا لي اخرجاه في الصحيحين وفيه قال
ابن شهاب ولا ارى باسا ان تتزوج حين وضعت وان كانت في دمها غير انه لا يقربها حتى تطهر فعلى هذا
يكون حكم الاية عاما في كل من توفي عنها زوجها بان تعتد اربعة اشهر وعشرا ثم خصص من هذا العموم
اولات الاحمال بهذا الحديث وبقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن **المسالة الثانية**
يجب على المتوفى عنها زوجها الاحداد وهو ترك الزينة والطيب ودهن الراس بكل دهن والكحل المطيب
فان اضطرت الى كحل فيه زينة فيرخص لها وبه قال مالك وابو حنيفة وقال الشافعي تكتحل به بالليل
وتمسحه بالنهار عن ام سلمة قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفي ابو سلمة وقد
جعلت علي صبرا فقال ما هذا يا ام سلمة فقلت انما هو صبر يا رسول الله ليس فيه طيب فقال انه يشب
الوجه فلا تجعليه الا بالليل وتنزعينه بالنهار ولا تمتشطي بالطيب ولا بالحنا فانه خضاب
قلت باي شي امتشط يا رسول الله قال بالسدر تغلفين به راسك اخرجه ابو داود والنسائي
نحوه قوله فانه يشب الوجه اي يوقده ويحسنه وينوره من شب النار اذا اوقدها قوله تغلفين
به راسك والتغليف هو الغمرة على وجه المراة وكذا راسها اذا لطخته بشي فاكثرت منه ولا يجوز
لها لبس الديباج والحرير والحلي والمصبوغ للزينة كالاحمر والاصفر ويجوز ما صبغ لغير الزينة كالاسود
والازرق ويجوز ان تلبس البياض من الثياب والصوف والوبر **ق** عن زينب بنت ابي سلمة قالت
دخلت على ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي ابوها ابو سفيان بن حرب فدعت ام
حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله
ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامراة
تومن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا **م** عن عايشة
رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامراة تومن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت
فوق ثلاث الا على زوجها **ق** عن ام عطية قالت كنا ننهى ان نحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة
اشهر وعشرا ولا نكتحل ولا نتطيب ولا نلبس ثوبا مصبوغا الا ثوب عصب وقد رخص لنا عند الطهر
اذا اغتسلت احدانا من حيضتها في نبذة من كست اظفار قولها الا عصب العصب بالعين
والصاد المهملتين من البرود التي صبغ غزله قبل النسج قولها نبذة من كسته النبذة الشي اليسير

والكست لغة في القسط وهو شيء معروف يتبخر به عن ام سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تلبس المتوفى عنها زوجها المعصفر من الثياب ولا الممشقة ولا الحلي ولا تختضب ولا تكتحل اخرجه ابو داود قولها
ولا الممشقة الثياب الممشقة هي المصبوغة بالمشق وهي المغرة عن نافع ان صفية بنت ابي عبيد اشتكت عينها وهي
حاد على زوجها ابن عمر فلم تكتحل حتى كادت عيناها ترمصان اخرجه مالك في الموطا **المسئلة الثالثة**
اختلفوا في ان هذه المدة سببها الوفاة او العلم بالوفاة فقال بعضهم ما لم تعلم بوفاة زوجها لا تعتد
بانقضا الايام في العدة واحتجوا على ذلك بان الله تعالى قال يتربصن بانفسهن وذلك لا يحصل الا بالقصد
الى التربص ولا يحصل ذلك الا مع العلم وقال الجمهور السبب هو الموت فلو انقضت المدة او اكثرها او بعضها
ثم بلغها خبر موت الزوج وجب ان تعتد بما انقضى ويدل على ذلك ان الصغيرة التي لا علم لها يكفي في انقضا
عدتها انقضا هذه المدة **المسئلة الرابعة** اجمع العلما على ان هذه الاية ناسخة لما بعدها
من الاعتداد بالحول وان كانت هذه الاية متقدمة في التلاوة وسنذكر تمام الكلام عليه بعد في موضعه
ان شا الله تعالى والله اعلم قوله تعالى **فاذا بلغن اجلهن** اي انقضت عدتهن **فلا جناح عليكم** خطاب
للاوليا لانهم الذين يتولون العقد **فيما فعلن في انفسهن بالمعروف** يعني من التزين والتطيب
والنقلة من المسكن الذي كانت معتدة فيه ونكاح من يجوز لها نكاحه وقيل انما اعني بذلك النكاح
خاصة وقيل معنى قوله بالمعروف هو النكاح الحلال الطيب واحتج اصحاب ابي حنيفة على جواز النكاح
بغير ولي بهذه الاية لان اضافة الفعل الى الفاعل محمول على المباشرة واجاب اصحاب الشافعي بان قوله تعالى
فلا جناح عليكم خطاب للاوليا ولو صح العقد بغير ولي لما كان مخاطبا واجيب عن قوله فيما فعلن في انفسهن
انما هو التزين والتطيب بعد انقضا العدة لا انها تزوج نفسها **والله بما تعملون خبير** يعني انه تعالى
لا يخفى عليه خافية والخبير في صفة الله تعالى هو العالم بكنه الشيء وحقيقته من غير شك والخبير
في صفة المخلوقين انما يستعمل في نوع العلم وهو الذي يتوصل اليه بالاجتهاد والفكر والله تعالى منزه عن ذلك
قوله تعالى **ولا جناح** اي لا حرج **عليكم فيما عرضتم** اي لوحتم واشرتم به والتعريض ضد التصريح ومعناه
ان يضمن كلامه ما يصلح للدلالة على مقصوده ويصلح للدلالة على غير مقصوده ولكن اشعاره
بجانب المقصود اتم وارجح وقيل هو الاشارة الى الشيء بما يفهم السامع مقصوده من غير تصريح به وقيل
التعريض من الكلام ما له ظاهر وباطن **من خطبة النسا** يعني المعتدات في عدتهن والخطبة بالكسر
طلب النكاح والتماسه وقيل هو ذكر النسا والخطبة بالضم كلام منظوم له اول واخر ومعنى الاية فيما
عرضتم به من ذكر النسا عندهن والتعريض بالخطبة في العدة مباح وهو ان يقول انك لجميلة وانك
لصالحة ومن غرضي التزويج واني فيك لراغب وعسى الله ان ييسر لي امراة صالحة ونحو ذلك من الكلام
الموهم من غير تصريح بان يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك ونحو ذلك ويدل على صحة هذا التاويل
ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى فيما عرضتم به من خطبة النسا هو ان يقول اني اريد التزويج
وان النسا لمن حاجتي ولوددت انه ييسر لي امراة صالحة اخرجه البخاري وروي ان سكينة بنت
حنظلة تايمت فدخل عليها ابو جعفر محمد بن علي الباقر في عدتها فقال قد علمت قرابتي من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقالت سكينة غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت
يوخذ عنك فقال انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ام سلمة وهي في عدة زوجها ابي سلمة فذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يده

حتى

حتى اثر الحصير في يده صلى الله عليه وسلم من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة **او اكننتم** يعني اضمرتم
في انفسكم يعني من نكاحهن وقيل هو ان يدخل ويسلم ويهدي ان شا ولا يتكلم بشيء والمقصود انه لا حرج عليكم
في التعريض للمراة في عدة الوفاة ولا فيما يضمر الرجل في نفسه من الرغبة فيها **علم الله انكم ستذكرونهن**
يعني بقلوبكم لان شهوة النفس والتمني لا يخلو منه احد فلما كان هذا الخاطر كالشيء الشاق اسقط عنه الحرج
ولكن لا تواعدوهن سرا اختلفوا في معنى هذا السر المنهي عنه فقيل الزنا كان الرجل يدخل على
المراة يعرض بالنكاح ومراده الزنا ويقول دعيني فاذا وفيت عدتك اظهرت نكاحك فنهوا عن ذلك
وقيل هو قول الرجل للمراة لا تفوتيني نفسك فاني ناكحك وقيل هو ان ياخذ عليها العهد والميثاق ان
لا تتزوج غيره وقيل هو ان يخطبها في العدة وقال الشافعي السر الجماع وهو رواية عن ابن عباس قال الكلبي
لا تصفوا انفسكم لهن بكثرة الجماع ويدل على ان لفظ السر كناية عن الجماع قول امرئ القيس •
• الا زعمت بسباسة القوم انني • كبرت وان لا يحسن السر امثالي •
بسباسة اسم امراة
وانما وقعت الكناية عن الجماع بالسر لانه مما يسر والله تعالى حيي كريم فكنى به عن لفظ الجماع الصريح ومعنى الاية
لا تواعدوهن مواعدة سرية او لا تواعدوهن بالشيء الموصوف بالسر وقيل في معنى الاية ان الله تعالى اذن
في اول الاية في التعريض في الخطبة ومنع في اخرها عن التصريح بالخطبة **الا ان تقولوا قولا معروفا**
يعني هو ما ذكر من التعريض بالخطبة وقيل هو اعلام ولي المراة انه راغب في نكاحها **ولا تعزموا**
عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله اي لا تحققوا العزم على عقد النكاح في العدة حتى تنقضي
وانما سماها الله كتابا لانها فرضه **واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه** اي خافوه
واعلموا ان الله غفور حليم لا يعجل بالعقوبة قوله تعالى **لا جناح عليكم ان طلقتم النسا**
ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة اي ولم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة يعني ولم
تعينوا لهن صداقا ولم توجبوه عليكم نزلت في رجل من الانصار تزوج امراة من بني حنيفة ولم يسم
لها صداقا ثم طلقها قبل ان يمسها فنزلت هذه الاية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
امتعها ولو بقلنسوتك فان قلت هل على من طلق امراته جناح بعد المسيس حتى يوضع عنه الجناح
قبل المسيس فما وجه نفي الحرج والجناح عنه قلت فيه قطع سبب الوصلة وما جا في الحديث ان ابغض
الحلال الى الله الطلاق فنفى الله عنه الجناح اذا كان الفراق ارج من الامساك وقيل معناه لا جناح
عليكم في تطليقهن قبل المسيس في اي وقت شيتم حايضا كانت المراة او طاهرا لانه لا سنة في
طلاقهن قبل الدخول **ومتعوهن** اي اعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمتعة والمتاع ما يتبلغ
به من الزاد **على الموسع قدره** اي الغني الذي يكون في سعة من غناه قدره اي قدر امكانه
وعلى المقتر اي الفقير الذي هو في ضيق من فقره **قدره** اي قدر امكانه وطاقته **متاعا بالمعروف**
يعني من غير ظلم ولا حيف **حقا** اي ذلك التمتع حقا واجبا لازما **على المحسنين** يعني الى المطلقات
بالتمتع وانما خص المحسنين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون بهذا البيان وقيل معناه من اراد
ان يكون من المحسنين فهذا شانه وطريقه والمحسن هو المومن **فصل** في بيان
حكم الاية وفيه فروع الاول اذا تزوج امراة ولم يفرض لها مهرا ثم طلقها قبل المسيس يجب لها
عليه المتعة وبه قال الشافعي وابو حنيفة واحمد وقال مالك المتعة مستحبة ولو طلقها قبل
الدخول وقد فرض لها مهرا وجب لها نصف المهر المفروض ولا متعة لها **الفرع الثاني** المطلقة المدخول

لا فيها قولان قال في القديم لا متعة لها لانها تستحق المهر كاملا وبه قال ابو حنيفة وهو احدى الروايتين
عن احمد وقال في الجديد لها المتعة لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وهو الرواية الاخرى عن
احمد وقال في الجديد لها المتعة لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمتعة قال ابن عمر لكل مطلقة متعة الا التي
فرض لها المهر ولم يدخل بها زوجها فحسبها نصف المهر الفرع الثالث في قدر المتعة قال ابن عباس
اعلاها خادم وأوسطها ثلاثة اثواب درع وخمار وازار واقلها دون ذلك وقاية او مقنعة
او شيء من الورق وهو مذهب الشافعي لانه قال اعلاها على الموسع خادم واوسطها ثوب واقلها ما له
ثمن وحسن ثلاثون درهما وروي ان عبد الرحمن طلق امراته وحممها يعني متعها جارية سودا ومتع الحسن
ابن علي امراته بعشرة الاف درهم فقالت متاع قليل من حبيب مفارق وقال ابو حنيفة مبلغها اذا اختلف
الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوز وقال في الروايتين يتقدر بما يجزي فيه الصلاة وقال في
الرواية الاخرى بتقدير الحاكم والاية نزلت على ان المتعة تعتبر بحال الزوج في اليسر والعسر وانه
مفوض الى الاجتهاد لانها كالنفقة التي اوجبها الله للزوجات وبين ان حال الميسر يخالف حال
المعسر في ذلك الفرع الرابع في حكم الايذان من تزوج امراة بالغة برضاها على غير مهر صح النكاح
ولها مطالبته بان يفرض لها صداقا فان دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وان طلقها
قبل الفرض والدخول فلها المتعة قوله عز وجل **وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن**
يعني تجامعوهن وهذا في المطلقة بعد تسمية المهر وقبل الدخول حكم الله بنصف المهر ولا عدة عليها
وهو قوله **وقد فرضتم لهن فريضة** اي سميتم لهن مهرا **فنصف ما فرضتم** اي فلهن
نصف المهر المسمى ومذهب الشافعي ان الخلوة من غير مسيس لا توجب الا نصف المهر المسمى لان
المسيس اما حقيقة في المس باليد وجعل كناية عن الجماع وايهما كان فقد وجد الطلاق قبله وقال ابو
حنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر ومعنى الخلوة الصحيحة ان يخلو بها وليس هناك مانع
حسي ولا شرعي فالحسي نحو الرتق والقرن او يكون معهما ثالث والشرعي نحو الحيض والنفاس
وصوم الفرض وصلاة الفرض والاحرام وسوا كان فرضا او نفلا والاية حجة لمذهب الشافعي
قال شريح لم اسمع ذكر الله في كتابه بابا ولا سترا اذا زعم انه لم يمسها فلها نصف الصداق وقال ابن عباس
اذا خلا بها ولم يمسها فلها نصف المهر **فرع** لو مات احد الزوجين بعد التسمية وقبل المسيس
فلها المهر كاملا وعليها العدة ان كان الزوج هو الميت وقوله **الا ان يعفون** يعني النسا المطلقات
والمعنى الا ان تترك المراة نصيبها من الصداق فتهبه للزوج فيعود جميع الصداق الى الزوج
او يعفو الذي بيده عقدة النكاح فيه قولان احدهما الولي وهو قول ابن عباس في رواية عنه
والحسن وعلقمة وطاوس والشعبي والنخعي والزهري والسدي وبه قال الشافعي في القديم
ومالك والقول الثاني انه الزوج وهو قول علي وابن عباس في الرواية الاخرى وجبير بن مطعم وسعيد
ابن المسيب وابن جبير ومجاهد والربيع وقتادة ومقاتل والضحاك ومحمد بن كعب القرظي وهو قول ابي
حنيفة والشافعي في الجديد واحمد وجمهور الفقها فعلى القول الاول يكون معنى الاية الا ان تعفو المراة
اذا كانت ثيبا بالغة من اهل العفو عن نصيبها للزوج او يعفو وليها اذا كانت المراة بكرا صغيرة
او غير جائزة التصرف فيجوز عفو وليها فيترك نصيبها للزوج وانما يجوز عفو الولي بشروط وهي
ان تكون بكرا صغيرة ويكون الولي ابا او جدا لان غيرهما لا يزوج الصغيرة وعلى القول الثاني ان الذي
بيده

بيده عقدة النكاح هو الزوج وصحح هذا القول الطبري والواحدي فيكون معنى الاية او يعفو الذي بيده
عقدة النكاح يعني الزوج فيعطي المراة الصداق كاملا لان الله تعالى لما ذكر عفو المراة عن النصيب
الساقط عنه فيحسن للمراة ان تعفو ولا تطالب بشيء من الصداق وللرجل ان يعفو فيوفي لها المهر
كاملا روي ان جبير بن مطعم تزوج امراة ثم طلقها قبل الدخول بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق
بالعفو ولان المهر حق المراة فليس لوليها ان يهب من مالها شيا فكذلك المهر لانه مالها **وان
تعفوا اقرب للتقوى** هذا خطاب للرجال والنسا جميعا وانما غلب جانب التذكير لان
الذكورة هي الاصل والتانيث فرع عليه والمعنى وعفو بعضكم عن بعض ايها الرجال والنسا اقرب الى
حصول التقوى وقيل هو خطاب للزوج والمعنى وليعف الزوج فيترك حقه الذي ساق من المهر اليها
قبل الطلاق فهو اقرب للتقوى **ولا تنسوا الفضل بينكم** يعني ليتفضل بعضكم على بعض فيعطي
الرجل الصداق كاملا وتترك المراة نصيبها من الصداق حثهما جميعا على الاحسان ومكارم الاخلاق
ان الله بما تعملون يعني من عفو بعضكم لبعض عما وجب له عليه من حق **بصير** اي لا يخفى عليه شيء من ذلك
قوله عز وجل **حافظوا على الصلوات** اي داوموا وواظبوا على الصلوات يعني الخمس المكتوبات
امر الله عز وجل عباده بالمحافظة على الصلوات الخمس بجميع شروطها وحدودها واتمام اركانها
وفعلها في اوقاتها المختصة بها **والصلاة الوسطى** تانيث الاوسط ووسط كل شي خياره
واعدله وقيل الوسطى يعني الفضلى من قولهم للافضل اوسط وانما افردت وعطفت
على الصلوات لانفرادها بالفضل وقيل سميت وسطى لانها اوسط الصلوات **فصل**
في ذكر اختلاف العلما في الصلاة الوسطى وقد اختلف العلما من الصحابة فمن بعدهم في الصلاة
الوسطى على مذاهب الاول ان الصلاة الوسطى هي صلاة الفجر وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ
وجابر وعطا وعكرمة ومجاهد والربيع بن انس وبه قال مالك والشافعي ويدل على ذلك ما
بلغه ان علي بن ابي طالب وابن عباس كانا يقولان الصلاة الوسطى صلاة الفجر اخرجه مالك في
الموطا واخرجه الترمذي عن ابن عباس وابن عمر تعليقا ولانها بين صلاتي جمع فالظهر والعصر
يجمعان وهما صلاتا نهار والمغرب والعشا يجمعان وهما صلاتا ليل وصلاة الفجر لا تقصر ولا تجمع
الى غيرها ولانها تاتي في وقت مشقة بسبب برد الشتا وطيب النوم في الصيف وفتور الاعضا
وكثرة النعاس وغفلة الناس عنها فخصت بالمحافظة عليها لانها معرضة للضياع ولان الله تعالى قال
عقيبها وقوموا لله قانتين والقنوت هو طول القيام ولان الله تعالى خصها بالذكر بقوله وقران
الفجر ان قران الفجر كان مشهودا يعني يشهده ملايكة الليل وملايكة النهار فهي مكتوبة في ديوان حفظة
الليل وديوان حفظة النهار فدل ذلك على مزيد فضلها المذهب الثاني انها صلاة الظهر وهو
قول زيد بن ثابت واسامة بن زيد وابي سعيد الخدري ورواية عن عايشة وبه قال عبد الله بن
شداد وهو رواية عن ابي حنيفة ويدل على ذلك ما روي عن زيد بن ثابت وعايشة قالا الصلاة
الوسطى صلاة الظهر اخرجه مالك في الموطا عن زيد والترمذي عنهما تعليقا واخرجه ابو
داود عن زيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلي صلاة
هي اشد على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فنزلت حافظوا على الصلوات والصلاة
الوسطى وقال ان قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ولان صلاة الظهر تاتي وسط النهار وفي شدة

الحرة لانها تاتي بين البردين يعني صلاة الفجر وصلاة العصر المذهب الثالث انها صلاة العصر وهو قول
عبيدة السلماني والحسن البصري وابراهيم النخعي وقتادة والضحاك والكلبي ومقاتل وبه قال ابو
حنيفة واحمد وداود وابن المنذر وقال الترمذي هو قول اكثر الصحابة فمن بعدهم وقال الماوردي من
اصحابنا هذا مذهب الشافعي لصحة الاحاديث فيه قال وانما نص على انها الصبح لانه لم يبلغه الاحاديث
الصحيحة في العصر ومذهبه اتباع الحديث ويدل على صحة هذا المذهب ما روي عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب وفي رواية يوم الخندق ملا الله قبورهم وبيوتهم
نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس وفي رواية شغلونا عن الصلاة
الوسطى صلاة العصر وذكر نحوه وزاد في اخره ثم صلاها بين المغرب والعشا اخرجاه في الصحيحين
م عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر
حتى احمرت الشمس او اصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر
ملا الله اجوافهم وقبورهم نارا او حشا الله اجوافهم وقبورهم نارا عن سمرة بن جندب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الصلاة الوسطى صلاة العصر اخرجه الترمذي وله عن ابن مسعود
مثله وقال في كل واحد منهما حسن صحيح م عن ابي يونس مولى عائشة قال امرتني عائشة
ان اكتب لها مصحفا وقالت اذا بلغت هذه الاية فاذني حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى
قال فلما بلغتها اذنتها فاملت علي حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر
وقوموا لله قانتين قالت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويروى عن حفصة نحو ذلك
ولان صلاة العصر تاتي في وقت اشتغال الناس بمعايشهم فكان الامر بالمحافظة عليها اولى
ولانها بين صلاتي نهار وهي الفجر والظهر وصلاتي ليل وهي المغرب والعشا وقد خصت
بمزيد التاكيد والامر بالمحافظة والتغليظ لمن ضيعها ويدل على ذلك ما روي عن ابي المليح قال
كنا مع بريدة في غزوة فقال في يوم ذي غيم بكروا بالصلاة العصر فان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله اخرجه البخاري وقوله بكروا بالصلاة العصر
اي قدموها في اول وقتها ق عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الذي تفوته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله قوله وتر اي نقص وسلب اهله وماله
فبقي فردا بلا اهل ولا مال ومعنى الحديث ليكن حذره من فوت صلاة العصر كحذره من ذهاب
اهله وماله المذهب الرابع انها صلاة المغرب قاله قبيصة بن ذويب وحجة هذا المذهب ان صلاة
المغرب تاتي بين بياض النهار وسواد الليل ولانها ازيد من ركعتين كما في الصبح واقل من اربع
ولا تقصر في السفر وهي وتر النهار ولان صلاة الظهر تسمى الاولى لان ابتدا جبريل كان بها واذا كانت
الظهر اول الصلوات كانت المغرب هي الوسطى المذهب الخامس انها صلاة العشا ولم ينقل
عن احد من السلف فيها شي وانما ذكرها بعض المتاخرين وحجة هذا المذهب انها متوسطة
بين صلاتين لا تقصران وهما المغرب والصبح ولانها اثقل صلاة على المنافقين المذهب السادس
ان الصلاة الوسطى هي احدى الصلوات الخمس لا بعينها لان الله امر بالمحافظة على الصلوات
الخمس ثم عطف بالصلاة الوسطى ولم يشرع في الاية ذكرها بعينها واذا كان كذلك امكن ان يقال في كل
واحدة من الصلوات الخمس انها هي الصلاة الوسطى ابهمها الله على عباده مع ما خصها بمزيد التوكيد

تحريضا

تحريضا لهم في المحافظة على ادا جميع الصلوات على صفة الكمال والتمام ولهذا السبب اخفى الله
ليلة القدر في شهر رمضان واخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة واخفى اسمه الاعظم في جميع اسمائه
ليحافظوا على ذلك كله وهذا مذهب اختاره جميع العلما قال محمد بن سيرين ان رجلا سال
زيد بن ثابت عن الصلاة الوسطى فقال حافظ على الصلوات الخمس كلها تصبها وسئل الربيع
ابن خثيم عن الصلاة الوسطى فقال للسائل الوسطى واحدة منهن فحافظ على الكل تكن محافظا
على الوسطى ثم قال ارايت لو علمتها بعينها كنت محافظا عليها ومضيعا سايرهن فقال السايل
لا قال الربيع انك ان حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى والصحيح من هذه الاقوال
قولان قول من قال انها الصبح وقول من قال انها العصر واصح الاقوال كلها انها العصر
للاحاديث الصحيحة الواردة فيها والله اعلم قوله تعالى وقوموا لله قانتين اي طايعين
وهو عبارة عن اكمال الطاعة واتمامها والاحتراز عن ايقاع الخلل في اركانها وسننها قيل لكل
اهل دين صلاة يقومون فيها عاصين فقوموا انتم لله في صلاتكم طايعين وقيل القنوت هو الدعا
والذكر بدليل امن هو قانت ولما امر بالمحافظة على الصلوات فوجب ان يحمل هذا القنوت
على ما فيها من الذكر والدعا فمعنى الاية وقوموا لله داعين ذاكرين وقيل انما خص القنوت
بصلاة الصبح والوتر لهذا المعنى وقيل القنوت هو السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة
ويدل عليه ما روي عن زيد بن ارقم قال كنا نتكلم في الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه في
الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام اخرجاه في الصحيحين
وقيل القنوت هو طول القيام في الصلاة ويدل عليه ما روي عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة طول القنوت اخرجه مسلم ومن القنوت ايضا
طول الركوع والسجود وغض البصر والهدو في الصلاة وخفض الجناح والخشوع فيها وكان
العلما اذا قام احدهم يصلي يهاب الرحمن ان يلتفت او يقلب الحصى او يعبث بشي او يحدث
نفسه بشي من امور الدنيا الا ناسيا قوله تعالى فان خفتم فرجالا اي رجالة او ركبانا يعني على
الدواب جمع راكب والمعنى ان لم يمكنكم ان تصلوا قانتين موفين حقوق الصلاة من اتمام الركوع
والسجود والخضوع والخشوع لخوف عدو او غيره فصلوا مشاة على ارجلكم او ركبانا على دوابكم
مستقبلي القبلة وغير مستقبلها وهذا في حال المقاتلة والمسايفة في وقت الحرب وصلاة
الخوف قسمان احدهما ان يكون في حال القتال وهو المراد بهذه الاية وقسم في غير حال القتال
وهو المذكور في سورة النسا في قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت الصلاة وسياتي الكلام عليها ان شا
الله تعالى في موضعه فاذا التحم القتال ولم يمكن تركه لاحد فمذهب الشافعي انهم يصلون ركبانا
على الدواب ومشاة على الارجل الى القبلة والى غير القبلة يومون بالركوع والسجود ويكون
السجود اخفض من الركوع ويحترزون عن الصياح فانه لا حاجة اليه وقال ابو حنيفة لا يصلي الماشي
بل يوخر الصلاة ويقضيها لان النبي صلى الله عليه وسلم اخر الصلاة يوم الخندق فصلى الظهر والعصر
والمغرب بعدما غربت الشمس فيجب علينا الاقتدا به في ذلك واحتج الشافعي لمذهبه بهذه الاية
واجيب عن تاخير النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق بانه لم يكن نزل حكم صلاة الخوف فلما نزلت
صلاة الخوف لم يوخر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صلاة قط اما الخوف الحاصل لا في القتال

بل لسبب اخر كالهارب من العدو او قصده سبع هايج او غشيه سيل يخاف على نفسه الهلاك لو صلى
صلاة امن فله ان يصلي صلاة شدة الخوف بالايماء في حال العدو ولان قوله تعالى فان خفتم مطلق يتناول الكل فان
قلت قوله تعالى فرجالا او ركبانا يدل على ان المراد منه خوف العدو وحال القتال قلت هو كذلك
الا انه هنالك ثابت لدفع الضرر وهذا المعنى موجود هنا فوجب ان يكون الحكم كذلك هاهنا وروى
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر
اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة اخرجه مسلم وقد عمل بظاهر هذا جماعة من السلف منهم
الحسن البصري وعطاء وطاوس ومجاهد وقتادة والضحاك واسحق بن راهويه قالوا يصلي في حال
شدة الخوف ركعة وقال الشافعي ومالك والاوزاعي وجمهور العلماء صلاة الخوف كصلاة الامن في عدد الركعات
فان كان الخوف في الحضر وجب عليه ان يصلي اربع ركعات وان كان في السفر صلى ركعتين ولا يجوز
الاقتصار على ركعة واحدة في حال من الاحوال وتأولوا حديث ابن عباس هذا ان المراد به ركعة
مع الامام وركعة اخرى يأتي بها منفردا كما جاءت الاحاديث الصحيحة في صفة صلاة النبي صلى
الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم في صلاة الخوف وهذا التأويل لا بد منه للجمع بين الاحاديث
وقوله تعالى فاذا امنتم يعني من خوفكم فاذكروا الله اي فصلوا لله الصلوات الخمس تامة باركانها
وسننها كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون فيه اشارة الى انعام الله تعالى علينا بالعلم ولولا هدايته
وتعليمه ايانا لم نعلم شيئا ولم نصل الى معرفة شيء فله الحمد على ذلك قوله عز وجل والذين
يتوفون منكم يعني يا معشر الرجال ويذرون ازواجا يعني زوجات وصية لازواجهم قرئ
بالنصب على معنى فليوصوا وصية وبالرفع على معنى كتب عليكم الوصية متاعا اي متعوهن متاعا
وقيل جعل الله ذلك لهن متاعا والمتاع نفقة سنة لطعامها وكسوتها وما تحتاج اليه
الى الحول غير اخراج اي غير مخرجات من بيوتهن نزلت هذه الاية في رجل من الطائف يقال له حكيم
ابن الحارث هاجر الى المدينة ومعه ابواه وامرأته وله اولاد فمات فرفع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم
فانزل الله تعالى هذه الاية فاعطى النبي صلى الله عليه وسلم ابويه واولاده ميراثه ولم يعط زوجته
شيئا وامرهم ان ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا وكان الحكم في ابتداء الاسلام انه اذا مات الرجل اعتدت
زوجته حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام الحول وكانت نفقتها وسكناها
واجبة في مال زوجها تلك السنة وليس لها من الميراث شيء ولكنها تكون مخيرة فان شاءت اعتدت
في بيت زوجها ولها النفقة والسكنى وان شاءت خرجت قبل تمام الحول وليس لها سكنى ولا نفقة
وكان يجب على الرجل ان يوصي بذلك فدلت هذه الاية على مجموع امرين احدهما ان لها النفقة
والسكنى من مال زوجها سنة والثاني ان عليها عدة سنة ثم ان الله تعالى نسخ هذين الحكمين
اما الوصية بالنفقة والسكنى فنسخ باية الميراث فجعل لها الربع والثمن عوضا عن النفقة
والسكنى ونسخ عدة الحول باربعة اشهر وعشرا فان قلت كيف نسخت الاية المتقدمة
المتأخرة قلت قد تكون الاية المتقدمة متقدمة في التلاوة متأخرة في التنزيل كقوله تعالى
سيقول السفهاء من الناس مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء قوله تعالى فان خرجن فلا
جناح عليكم يعني يا معشر اولياء الميت فيما فعلن في انفسهن من معروف يعني التزين
للنكاح ولرفع الحرج عن الورثة وجهان احدهما انه لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن اذا خرجن

قبل

قبل انقضاء الحول والوجه الثاني لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لان مقامها في بيت زوجها حولا غير
واجب عليها خيرها الله تعالى بين ان تقيم في بيت زوجها حولا ولها النفقة والسكنى وبين ان تخرج ولا
نفقة لها ولا سكنى ثم نسخ الله تعالى ذلك باربعة اشهر وعشرا والله عزيز اي غالب قوي في انتقامه
ممن خالف امره ونهيه وتعدى حدوده حكيم يعني فيما شرع من الشرائع وبين من الاحكام قوله تعالى
وللمطلقات متاع بالمعروف انما اعاد الله ذكر المتعة هنا لزيادة معنى وهو ان في غير هذه الاية
بيان حكم جميع المطلقات في المتعة وقيل لانه لما نزل قوله تعالى ومتعوهن على الموسع قدره الى قوله حقا على
المحسنين فقال رجل من المسلمين ان فعلت احسنت وان لم ارد ان افعل لم افعل فانزل الله تعالى وللمطلقات
متاع بالمعروف فجعل المتعة لهن بلام التمليك وقال تعالى حقا على المتقين يعني المؤمنين الذين
يتقون الشرك وقد تقدم احكام المتعة كذلك يبين الله لكم اياته يعني يبين لكم ما يلزمكم ويلزم
ازواجكم ايها المؤمنون وعرفتكم احكامي والحق الذي يجب لبعضكم على بعض في هذه الايات كذلك
ابين لكم سائر احكامي في اياتي التي انزلها على محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب لعلكم تعقلون
اي لكي تعقلوا ما بينت لكم من الفرائض والاحكام وما فيه صلاحكم وصلاح دينكم قوله عز وجل
الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم قال اكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون
فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فسلم الذين خرجوا وهلك اكثر من بقي بالقرية فلما ارتفع الطاعون
رجع الذين خرجوا سالمين فقال الذين بقوا كان اصحابنا احزم منا رأيا لو صنعنا ما صنعوا لبقينا
كما بقوا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى ارض لا وباء فيها فرجع الطاعون من قابل فهرب عامة
اهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا افيح فلما نزلوا المكان يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من اسفل
الوادي وملك من اعلاه ان موتوا فماتوا جميعا ق ان عمر خرج الى الشام فلما جاء سرغ بلغه ان الوباء قد وقع
بالشام فاخبره عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم به بارض فلا تقدموا
عليه واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه فحمد الله عمر ثم انصرف وقيل انما فروا من الجهاد وذلك ان
ملكا من ملوك بني اسرائيل امرهم ان يخرجوا الى قتال عدوهم فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا
لملكهم ان الارض التي نأتيها بها وباء فلا نخرج حتى ينقطع منها الوباء فارسل الله عليهم الموت فخرجوا فرارا منه
فلما رأى الملك ذلك منهم قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فارهم اية في انفسهم
حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال لهم الله موتوا عقوبة لهم فماتوا وماتت
دوابهم كموت رجل واحد فاتى عليهم ثمانية ايام حتى انتفخوا واروحت اجسادهم فخرج الناس اليهم
فعجزوا فحظروا حظيرة دون السباع فذلك قوله تعالى الم تر يعني الم تعلم يا محمد باعلامي اياك وهو من رؤية القلب
قال اهل المعاني هو تعجيب له تقول هل رأيت مثل هذا كما تقول الم تر الى صنيع فلان وكل ما في القرآن من قوله
الم تر ولم يعاينه النبي صلى الله عليه وسلم فهذا معناه الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف قيل هو من
العدد واختلفوا في مبلغ عددهم فقيل ثلاثة الاف وقيل سبعون الفا واصح الاقاويل قول من قال
انهم كانوا زيادة على عشرة الاف لان الله تعالى قال وهم الوف والالوف جمع الكثير وجمع القليل الاف وقيل
معنى الوف مؤتلفون جمع الف والاول اصح قالوا فمر عليهم مدة فبليت اجسادهم وعريت عظامهم فمر
عليهم حزقيل بن بوذي وهو ثالث خلفاء بني اسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون ثم بعده كالب بن
يوفنا ثم قام بعده حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لان امه كانت عجوزا فسألت الله الولد بعدما كبرت وعقمت

نوشا الله لها حزقيل ويقال له ذو الكفل سمي به لانه تكفل سبعين نبيا وانجاهم من القتل فلما مر حزقيل
على اولئك الموتى وقف عليهم وجعل يتفكر فيهم فاوحى الله اليه اتريد ان اريك اية قال نعم يا رب فاحياهم الله
تعالى وقيل دعا حزقيل ربه ان يحييهم فاحياهم الله تعالى وقيل انهم كانوا قومه احياهم الله تعالى بعد ثمانية
ايام وذلك انهم لما اصابهم ذلك خرج في طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال يا رب كنت في قوم يعبدونك
ويذكرونك فبقيت وحيدا لا قوم لي فاوحى الله اليه اني قد جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيوا
باذن الله تعالى فعاشوا وقيل انهم كانوا حين احيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا اله الا انت ثم رجعوا الى قومهم
وعاشوا دهرا طويلا وسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد دسما مثل الكفن حتى ماتوا
لاجالهم التي كتبت لهم قال ابن عباس وانها لتوجد اليوم تلك الريح في ذلك السبط من اليهود قال قتادة
ومقتهم الله على فرارهم من الموت فاماتهم عقوبة لهم ثم بعثهم ليستوفوا بقية اجالهم لما بعثوا فان
قلت كيف اميت هؤلاء مرتين في الدنيا وقد قال الله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى
قلت ان موتهم عقوبة لهم كما قال قتادة موتهم واحياؤهم كان معجزة من معجزات ذلك النبي ومعجزات
الانبيا خوارق للعادات ونوادر فلا يقاس عليها فيكون تقدير قوله تعالى الا الموتة الاولى عام مخصوص
بمعجزات الانبيا فيكون تقدير قوله الا الموتة الاولى التي ليست من معجزات الانبيا ولا من خوارق
العادات وفي هذه الاية احتجاج على اليهود ومعجزة عظيمة لنبينا صلى الله عليه وسلم حيث اخبرهم
بامر ولم يشاهدوه وهم يعلمون صحة ذلك وفيه احتجاج على منكري البعث ايضا اذ قد اخبر تعالى وهو
الصادق في خبره انه اماتهم ثم احياهم في الدنيا فهو تعالى قادر على ان يحييهم يوم القيمة قوله تعالى
حذر الموت اي مخافة الطاعون وكان قد نزل بهم وقيل انهم امروا بالجهاد ففروا منه حذر الموت **فقال**
لهم الله موتوا يحتمل انهم ماتوا عند قوله تعالى موتوا ويحتمل ان يكون ذلك امر تحويل فهو كقوله كونوا
قردة خاسئين **ثم احياهم** يعني بعد موتهم **ان الله لذو فضل على الناس** يعني انه تعالى تفضل
على اولئك الذين اماتهم باحيائهم لانهم ماتوا على معصية فتفضل عليهم باعادتهم الى الدنيا ليتوبوا وقيل
هو على العموم فهو تعالى متفضل على كافة الخلق في الدنيا ويخص المؤمنين يوم القيمة **ولكن اكثر**
الناس لا يشكرون يعني ان اكثر من انعم عليه لا يشكره اما الكافر فانه لا يشكر اصلا واما المؤمنون فلم
يبلغوا غاية شكره قوله تعالى **وقاتلوا في سبيل الله** قيل هو خطاب للذين احيوا احياهم الله ثم امرهم
بالجهاد فعلى هذا القول فيه اضمار تقديره وقيل لهم قاتلوا في سبيل الله وقيل هو خطاب لامة محمد صلى
الله عليه وسلم ومعناه لا تهربوا من الموت كما هرب هؤلاء فلم ينفعهم ذلك ففيه تحريض للمؤمنين على
الجهاد **واعلموا ان الله سميع** يعني لما يقوله المتعلل عن القتال **عليم** بما يضمره قوله عز
وجل **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا** القرض كل ما يعطيه الانسان ليجازى عليه فسمى الله
تعالى عمل المؤمنين قرضا على رجا ما وعدهم به من الثواب لانهم يعملون لطلب الثواب وقيل القرض
ما اسلفت من عمل صالح او سيء قال امية بن ابي الصلت

كل امرئ سوف يجزى قرضه حسنا • او سيئا او مدينا كالذي دانا

واصل القرض في اللغة القطع سمي به لان المقرض يقطع من ماله شيئا فيعطيه ليرجع اليه مثله ومعنى
الاية من ذا الذي يقدم لنفسه الى الله ما يرجو ثوابه عنده وهذا تلطف من الله تعالى في استدعا عباده
الى اعمال البر والطاعة وقيل في الاية اختصار تقديره من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين

من

من خلقه فهو كقوله ان الذين يؤذون الله اي يؤذون عباد الله وكما جاء في الحديث الصحيح عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيمة يا ابن ادم استطعمتك فلم تطعمني قال
يا رب كيف اطعمك وانت رب العالمين قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك
عندي الحديث واختلفوا في المراد بهذا القرض فقيل هو الانفاق في سبيل الله وقيل هو الصدقة الواجبة وقيل هو
صدقة التطوع لان الله تعالى سماه قرضا والقرض لا يكون الا تبرعا ولما روى الطبري بسنده عن ابن مسعود
رضي الله عنه قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال ابو الدحداح وان الله يريد منا القرض
قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم يا ابا الدحداح قال ارني يدك قال فناوله يده قال فاني اقرضت ربي حايطي
حايطا فيه ستمائة نخلة ثم جا يمشي حتى اتى الحايط وام الدحداح فيه في عيالها فناداها يا ام الدحداح قالت
لبيك قال اخرجي من الحايط فاني قد اقرضته لربي زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم من عذق رداح
لابي الدحداح وقيل في معنى يقرض الله ينفق في طاعته فيدخل فيه الواجب والتطوع وهو الاقرب **حسنا** يعني
محتسبا طيبة بها نفسه وقيل هو الانفاق من المال الحلال في وجوه البر وقيل هو ان لا يمن بالقرض ولا يؤذي
وقيل هو الخالص لله تعالى ولا يكون فيه ريا ولا سمعة **فيضاعفه له** يعني ثواب ما انفق **اضعافا كثيرة**
قيل هو بما عنه الى سبعماية ضعف وقال السدي هذا التضعيف لا يعلمه الا الله وهذا هو الاصح وانما ابهم ذلك
لان ذكر المبهم في باب الترغيب اقوى من ذكر المحدود **والله يقبض ويبسط** قيل يقبض بامساك الرزق والتقتير
على من يشا ويبسط يعني يوسع على من يشا وقيل يقبض بقبول الصدقة ويبسط بالخلف والثواب وقيل انه
تعالى لما امرهم بالصدقة وحثهم على الانفاق اخبر انه لا يمكنهم ذلك الا بتوفيقه وارادته واعانته والمعنى والله تعالى
يقبض بعض القلوب حتى لا تقدر على الانفاق في الطاعة وعمل الخير ويبسط بعض القلوب حتى تقدر
على فعل الطاعات والانفاق في البر روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه
حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك اخرجه مسلم
وهذا الحديث من احاديث الصفات التي يجب الايمان بها والسكوت عنها وامرارها كما جاءت من غير
تكييف ولا تشبيه ولا اثبات جارحة هذا مذهب اهل السنة وسلف هذه الامة **واليه ترجعون**
يعني في الاخرة فيجزيكم باعمالكم قوله تعالى **الم تر الى الملا من بني اسرائيل** الملا اشراف القوم ووجوههم واصله
من الناس ملا لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط **من بعد موسى** اي من بعد موت موسى او من بعد زمنه **اذ قالوا**
يعني اولئك الملا **لنبي لهم** اختلفوا في ذلك النبي فقيل هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يعقوب وقيل
هو شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوي بن يعقوب وانما سمي شمعون لان امه دعت الله ان يرزقها
غلاما فاستجاب الله لها فولدت غلاما فسمته سمعون ومعناه سمع الله دعاي وتبدل السين بالعبرانية
شينا وقال اكثر المفسرين هو اشمويل بن بال وقيل ابن هلقانا قيل انه من ولد هارون ومعرفة حقيقة ذلك
النبي بعينه ليست مرادة من القصة انما المراد منها الترغيب في الجهاد وحاصل ذكر الاشارة الى القصة كان سبب
مسئلة الملا لذلك النبي انه لما مات موسى عليه السلام وخلف من بعده في بني اسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم
امر الله ويحكم بالتوراة حتى قبضه الله ثم خلف من بعده كالب بن يوفنا كذلك ثم حزقيل كذلك حتى قبضه الله
فعظمت الاحداث بعده في بني اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم الياس نبيا
فدعاهم الى الله تعالى وكانت الانبيا من بني اسرائيل من بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما نسوا من التوراة

وبامرونهم بالعمل باحكامها ثم خلف من بعد الياس اليسع فكان فيهم ما شا الله تعالى ثم قبضه الله تعالى ثم خلف
من خلوف وعظمت فيهم الخطايا وظهر لهم عدو يقال لهم البلساثا وهم قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل
بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فيظهروا على بني اسرائيل وغلبوا على كثير من ارضيهم وسبوا كثيرا
من ذراريهم واسروا من ابنا ملوكهم اربعمائة واربعين غلاما فضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم ولقي
بنوا اسرائيل منهم بلا وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا كلهم الا امراة حبلى
فحبسوها في بيت رهبة ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها وجعلت
المراة تدعوا الله ان يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل ومعناه بالعبرية اسمعيل تقول
سمع الله دعاي فلما كبر الغلام اسلمته التوراة في بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما
بلغ الغلام اتاه جبريل عليه السلام وهو نايم الى جنب الشيخ وكان الشيخ لا يامن عليه احدا فدعاه جبريل
بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام فزعا الى الشيخ وقال يا ابتاه رايتك دعوتني فكره الشيخ ان يقول لا فيفزع
الغلام فقال يا بني ارجع فنم فرجع فنام فدعاه الثانية فقال الغلام دعوتني فقال نم فان دعوتك فلا تجبني
فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل عليه السلام وقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله
قد بعثك فيهم نبيا فلما اتوه كذبوه وقالوا له استعجلت بالنبوة ولم تنالك وقالوا له ان كنت صادقا
فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اية على نبوتك وانما كان قوام امر بني اسرائيل بالاجتماع على الملوك
وطاعة الملوك انبيايهم وكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي هو الذي يقيم امره ويشير عليه ويرشده
وياتيه بالخبر من ربه قال وهب فبعث الله اشمويل نبيا فلبثوا اربعين سنة باحسن حال ثم كان من امر
جالوت والعمالقة ما كان فذلك قوله تعالى **اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله**
جزم على جواب الامر فلما قالوا له ذلك **قال** يعني قال النبي **هل عسيتم** هذا استفهام بشك يقول **ان كتب**
عليكم اي فرض عليكم **القتال** اي مع ذلك الملك **ان لا تقاتلوا** يعني ان لا تفوا بما قلتم وتجبنوا عن القتال
معه **قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله** فان قلت ما وجه دخول ان والعرب تقول ما لك ان لا تفعل
كذا قلت دخول ان وحذفها لغتان صحيحتان فالاثبات كقوله ما لك ان لا تكون مع الساجدين
والحذف كقوله ما لكم لا تومنون وقيل معناه وما لنا في ان لا نقاتل فحذف حرف الجر وقيل ان هنا زايدة
ومعناه لا نقاتل في سبيل الله **وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا** اي اخرج من غلب عليهم من ديارهم
فظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لان الذين قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا كانوا في ديارهم واوطانهم
وانما اخرج من اسر منهم ومعنى الاية انهم قالوا لنبي لهم انا انما كنا تركنا الجهاد لانا كنا ممنوعين في بلادنا
لا يظهر علينا عدونا فاذا بلغ ذلك منا فنطيع ربنا في جهاد عدونا ونمنع نساءنا واولادنا قال الله
تعالى **فلما كتب عليهم القتال** في الكلام حذف تقديره فسال الله ذلك النبي فبعث لهم ملكا وكتب عليهم
القتال **تولوا** اي اعرضوا عن الجهاد وضيعوا امر الله **الا قليلا منهم** يعني لم يتولوا عن الجهاد وهم الذين
عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة على ما سياتي قصتهم ان شا الله تعالى **والله عليم بالظالمين**
يعني هو عالم بمن ظلم نفسه حين خالف امر ربه ولم يف بما قال قوله تعالى **وقال لهم نبيهم ان الله قد**
بعث لكم طالوت ملكا وذلك ان اشمويل سال الله عز وجل ان يبعث لهم ملكا فاتى بعصى وقرن فيه دهن
القدس وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا يكون طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذي فيه
الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن راسه بالدهن

وملكه

وملكه عليهم واسمه طالوت بالعبرانية شاول بن قيس من سبط بنيامين بن يعقوب وانما سمي طالوت
لطوله وكان اطول من جميع الناس براسه ومنكبيه وكان طالوت رجلا دباغا يدبغ الاديم قاله وهب
وقيل سقا يستقي الما على حمار فضل حماره فخرج يطلبه وقال وهب ضلت حمر لابي طالوت فارسله ابوه
ومعه غلام في طلبها فمر على بيت اشمويل النبي فقال الغلام لطالوت لو دخلت على هذا النبي
فسالناه عن امر الحمر ليرشدنا ويدعو لنا فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له حاجتهما اذ نش
الدهن في القرن فقام اشمويل فقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال لطالوت قرب راسك
فقربه اليه فدهنه بدهن القدس وقال له انت ملك بني اسرائيل الذي امرني الله تعالى ان املكه
عليهم فقال طالوت اوما علمت ان سبطي ادنى من سبط بني اسرائيل قال بلى قال فباي اية قال باية
انك ترجع وقد وجد ابوك حمره فكان كذلك ثم قال لبني اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا
وقيل انه جلس عنده وقال الناس ملك طالوت فاتت عظما بني اسرائيل الى نبيهم اشمويل وقالوا
له ما شان طالوت يملك علينا وليس هو من بيت النبوة ولا المملكة وقد عرفت ان النبوة في سبط
لاوي بن يعقوب والمملكة في سبط يهوذا بن يعقوب فقال لهم نبيهم اشمويل ان الله قد بعث لكم طالوت
ملكا **قالوا انى يكون له الملك علينا** اي من اين يكون له الملك وكيف يستحقه **ونحن احق بالملك**
منه انما قالوا ذلك لانه كان في بني اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة فسبط النبوة سبط
لاوي بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من احدهما وانما كان من بنيامين
فلهذا السبب انكروا كونه ملكا وزعموا انهم احق بالملك منه ثم اكدوا ذلك بقولهم **ولم يوت سعة من**
المال يعني انه فقير والملك يحتاج الى المال **قال** يعني اشمويل النبي **ان الله اصطفاه عليكم** اي
اختاره عليكم وخصه بالملك وفي هذه الاية دليل على بطلان قول من زعم من الشيعة ان الامامة
موروثة وذلك لان بني اسرائيل انكروا ان يكون ملكهم من لا يكون من بيت المملكة فرد الله عليهم
واعلمهم ان هذا شرط فاسد وان المستحق للملك من خصه الله به **وزاده بسطة** اي فضيلة وسعة
في العلم وذلك انه كان اعلم بني اسرائيل وقيل انه اوحي اليه حين اوتي الملك وقيل هو العلم في الحرب
والجسم يعني بالطول وذلك انه كان اطول الناس براسه ومنكبيه وقيل بالجمال وكان طالوت
من اجمل بني اسرائيل وقيل المراد منه القوة لان العلم بالحروب والقوة على الاعدا مما فيه حفظ الملك
والله يوتي ملكه من يشا يعني انه تعالى واسع الفضل والرزق والرحمة وسعت رحمته كل شي ووسع فضله
ورزقه كل خلقه والمعنى انكم طعنتم في طالوت بكونه فقيرا **والله واسع** الفضل والرزق فاذا فوض اليه
الملك فتح عليه ابواب الرزق والمال من فضله وسعته وقيل الواسع ذو السعة وهو الذي يعطي
عن غنى **عليم** يعني انه تعالى مع قدرته على اغنا الفقير عالم بما يحتاج اليه في تدبير نفسه وملكه
والعليم هو العالم بما يكون وما كان قوله عز وجل **وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت**
وذلك انهم سالوا اشمويل فقالوا ما اية ملكه فقال ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت وكانت قصة
التابوت على ما ذكره علما السير والاخبار ان الله تعالى انزل على ادم عليه السلام تابوتا فيه
صورة الانبيا وكان التابوت من خشب الشمشار طوله ثلاثة اذرع في عرض ذراعين فكان عند ادم
ثم صار الى شيث ثم توارثه اولاد ادم الى ان بلغ الى ابراهيم عليه السلام ثم كان عند اسمعيل لانه
كان اكبر اولاده ثم صار الى يعقوب ثم كان في بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى عليه السلام فكان يضع

فيه التوراة ومتاعًا من متاعه فكان عنده الى ان مات ثم تداوله انبيا بني اسرائيل الى وقت اشمويل وكان في التابوت ما ذكره الله وهو قوله **فيه سكينة من ربكم** واختلفوا في تلك السكينة ما هي فقال علي بن ابي طالب هي ريح هجوج هفافة لها راسان ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد هي تشبه الحرة لها راس كراس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد وكان اذا سمعوا صوته تيقنوا النصر فكانوا اذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم فاذا سار ساروا واذا وقف وقفوا وقال ابن عباس هي طشت من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبيا وقال وهب هي روح من الله تعالى تتكلم اذا اختلفوا في شي فتخبرهم ببيان ما يريدون وقال عطا بن ابي رباح هي ما تعرفون من الايات التي يسكنون اليها وقال قتادة والكلبي هي فعيلة من السكون اي طمانينة من ربكم ففي اي مكان كان التابوت اطمانوا وسكنوا اليه وهذا القول اولى بالصحة فعلى هذا كل شي كانوا يسكنون اليه فهو سكينة فيحمل على جميع ما قيل فيه لان كل شي يسكن القلب اليه فهو سكينة ولم يرد فيه نص صريح فلا يجوز تصويب قول وتضعيف اخر وقوله تعالى **وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون** يعني موسى وهارون انفسهما بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري لقد اوتيت مزمارًا من مزامير داود والمراد به داود نفسه واختلفوا في تلك البقية التي ترك آل موسى وآل هارون فقيل هي رضاض من الالواح وعصى موسى قال ابن عباس وقيل عصى موسى وعصى هارون وشي من الواح التوراة وقيل كانت العلم والتوراة وقيل كان فيه عصى موسى ونعلاه وعصى هارون وعمامته وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل فكان التابوت عند بني اسرائيل يتوارثونه قرنًا بعد قرن وكانوا اذا اختلفوا في شي تحاكموا اليه فيتكلم ويحكم بينهم وكانوا اذا احضروا القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون به على عدوهم فينصرون فلما عصوا وافسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت واخذوه منهم وكان السبب في ذلك انه كان لعيلي وهو الشيخ الذي ربى اشمويل ابنان شابان وكان عيلي حبر بني اسرائيل وصاحب قربانهم في زمنه فاحدث ابناه في القربان شيا لم يكن فيه وذلك انه كان مسوط القربان الذي يسوطونه به كلابين فما اخرجاه كان للكاهن الذي يسوطه فجعل ابناه كلاليب وكان النسا يصلين في بيت المقدس فيتشبثان بهن فاوحى الله الى اشمويل ان انطلق الى عيلي وقل له منعك حب الوالدان تزجر ابنيك عن ان يحدثا في قرباني وقدسي شيا وان يعصياني فلانزعن الكهانة منك ومن ولدك ولاهلكنك واياهما فاخبره اشمويل بذلك ففزع وسار اليهم عدوهم من حولهم فامر عيلي ابنيه ان يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا واخرجا معهما التابوت فلما تهيوا للقتال جعل عيلي يتوقع الخبر فجاءه رجل فاخبره ان الناس قد انهزموا وقتل ابناه قال فما فعل التابوت قال اخذه العدو وكان عيلي قاعدًا على كرسيه فشهق ووقع على قفاه فمات فمرج امر بني اسرائيل وتفرقوا الى ان بعث الله طالوت ملكًا فسالوا اشمويل البينة على ملك طالوت فقال لهم نبيهم يعني اشمويل ان اية ملكه يعني علامة ملكه التي تدل على صحته ان ياتيكم التابوت وكانت قصة رجوع التابوت على ما ذكره اصحاب الاخبار ان الذين اخذوا التابوت من بني اسرائيل اتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدود فجعلوه في بيت اصنام لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فاصبحوا من الغد والصنم تحته فاخذوه ووضعوه فوقه وسمروا قدمي الصنم على التابوت فاصبحوا وقد قطعت يد الصنم ورجلاه واصبح الصنم ملقى تحت التابوت واصبحت اصنامهم منكسة فاخرجوا التابوت من بيت الاصنام ووضعوه في ناحية من مدينتهم فاخذ اهل تلك الناحية وجع في اعناقهم حتى هلك اكثرهم فقال بعضهم لبعض اليس قد علمتم ان اله بني اسرائيل لا يقوم له شي فاخرجوه الى قرية اخرى فبعث الله تعالى على اهل تلك الناحية فارًا فكانت

الفارة

الفارة تبيت مع الرجل فيصبح ميتًا قد اكلت ما في جوفه فاخرجوه الى الصحرا ودفنوه في مخراة لهم فكان كل من تبرز هناك اخذه الباسور والقولنج فتحيروا فيه فقالت لهم امراة من بني اسرائيل كانت عندهم وهي من بنات الانبيا لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم فاخرجوه عنكم فاتوا بعجلة باشارة تلك المراة وحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بالثورين اربعة املاك يسوقونهما فاقبلا حتى وقفا على ارض بني اسرائيل فكسرا نيريهما وقطعا حبالهما ووضعا التابوت في ارض فيها حصاد لبني اسرائيل ورجعا الى ارضهما فلم يرع بني اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى **تحمله الملائكة** وقال ابن عباس جات الملائكة بالتابوت تحمله بين السما والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت وقال الحسن كان التابوت مع الملائكة في السما فلما ولي طالوت الملك حملته الملائكة ووضعته بينهم وقال قتادة بل كان التابوت في التيه خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقي هناك فاقبلت الملائكة تحمله حتى وضعته في دار طالوت فاصبح في داره فاقروا بملكه **ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مومنين** يعني قال لهم نبيهم اشمويل ان مجي التابوت تحمله الملائكة يعني قال لهم نبيهم اشمويل ان مجي التابوت تحمله الملائكة لاية لكم يعني علامة ودلالة على صدقي فيما اخبرتكم به ان الله قد بعث طالوت ملكًا ان كنتم مومنين يعني مصدقين بذلك قال المفسرون فلما جاءهم التابوت واقروا بالملك لطالوت تاهب للخروج الى الجهاد فاسرعوا في طاعته وخرجوا معه فذلك قوله تعالى **فلما فصل طالوت بالجنود** اي خرج واصل الفصل القطع يعني قطع مستقره شاخصًا الى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم سبعون الف مقاتل وقيل ثمانون الفًا وقيل مايه وعشرون الفًا فلم يتخلف عنه الا كبير لكبره او مريض لمرضه او معذور لعذره وذلك انهم لما راوا التابوت لم يشكوا في النصر فسارعوا الى الخروج في الجهاد وكان مسيرهم في حر شديد فشكوا الى طالوت قلة الما بينهم وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا فادع الله ان يجري لنا نهرًا فقال طالوت **ان الله مبتليكم بنهر** اي مختبركم به ليبين طاعتكم وهو اعلم بذلك قال ابن عباس هو نهر فلسطين وقيل هو نهر عذب بين الاردن وفلسطين **فمن شرب منه فليس مني** اي فليس من ديني وطاعتي **ومن لم يطعمه** اي لم يذقه يعني الما **فانه مني** يعني من اهل طاعتي **الا من اغترف غرفة بيده** قرى بفتح الغين وضمها لغتان وقيل الغرفة بالضم الذي يحصل في الكف من الما والغرفة بالفتح الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر **فشربوا منه** يعني من النهر **الا قليلًا منهم** قيل هم اربعة الاف لم يشربوا منه وقيل ثلثماية وبضعة عشر رجلًا وهو الصحيح ويدل على ذلك ما روي عن البرا بن عازب رضي الله عنه قال كان اصحاب محمد يتحدثون ان عدة اصحاب بدر على عدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه مومن الا بضعة عشر وثلثماية اخرجه البخاري وقيل البضع هنا ثلاثة عشر فلما وصلوا الى النهر التي عليهم العطش فشرب منه الكل الا هذا العدد القليل وكان من اغترف غرفة كما امره الله تعالى كفته لشربه وشرب دوابه وقوي قلبه وصح ايمانه وعبر النهر سالمًا والذين شربوا النهر منه وخالفوا امر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم العطش ولم يرووا وجبنوا وبقوا على شط النهر ولم يجاوزوه وقيل جاوزوا كلهم ولكن الذين شربوا لم يحضروا القتال وانما قاتل اوليك القليل الذين لم يشربوا وهو قوله تعالى **فلما جاوزه هو** يعني جاوز النهر طالوت **والذين امنوا معه** يعني اوليك القليل **قالوا** يعني الذين شربوا وخالفوا امر الله وكانوا اهل شك ونفاق على

هذا يكون جاوز النهر مع طالوت المومن والمنافق والمطايع والعاصي فلما راوا العدو قالوا المنافقون **لا طاقة
لنا اليوم بجالوت وجنوده** فاجابهم المومنون بقولهم كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة وقيل لم يجاوز
النهر مع طالوت الا المومنون خاصة لقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين امنوا معه فان قلت فعلى
هذا القول من القايل لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قلت يحتمل ان يكونوا اهل الايمان وهم
الثلاثماية وبضعة عشر انقسموا الى قسمين حين راوا العدو فقسم قالوا لما راوا العدو وكثرته وقلة
المومنين لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فاجابهم القسم الاخر بقولهم كم من فية قليلة غلبت فية
كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومعنى لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده اي لا قدرة لنا عليهم
قال الذين يظنون اي يستيقنون ويعلمون **انهم ملاقوا الله** اي ملاقوا ثواب الله ورضوانه في الدار
الاخرة **كم من فية قليلة** الفية الجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط **غلبت فية كثيرة باذن
الله** اي بقضا الله وارادته **والله مع الصابرين** يعني بالنصر والمعونة قوله عز وجل **ولما برزوا**
يعني طالوت وجنوده المومنين **لجالوت وجنوده** يعني المشركين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض
وهو ما ظهر واستوى منها **قالوا** يعني المومنين اصحاب طالوت **ربنا افرغ** اي اصبب **علينا صبرا وثبت
اقدامنا** اي قوي قلوبنا لتثبت اقدامنا **وانصرنا على القوم الكافرين** وذلك ان جالوت وقومه
كانوا يعبدون الاصنام فسال المومنون الله ان ينصرهم على القوم الكافرين **فهزموهم باذن الله** يعني
ان الله تعالى استجاب دعا المومنين فافرغ عليهم الصبر وثبت اقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين حين
التقوا فهزموهم باذن الله يعني بقضايه وارادته واصل الهزم في اللغة الكسر اي كسروهم وردوهم **وقتل
داود جالوت** وكانت قصة قتله على ما ذكر اهل التفسير واصحاب الاخبار انه عبر النهر فيمن عبر مع
طالوت ايشا ابو داود في ثلاثة عشر ابنا له وكان داود اصغرهم وكان يرمي بالقذافة فقال داود
لابيه يوما يا ابتاه ما ارمي بقذافتي شيا الا صرعته فقال له ابوه ابشر يا بني فان الله تعالى قد جعل رزقك في
قذافتك ثم اتاه مرة اخرى فقال يا ابتاه قد دخلت بين الجبال فوجدت اسدا رابضا فركبته واخذت
باذنه فلم يهجني فقال له ابوه ابشر يا بني فان هذا خير يريده الله بك ثم اتاه يوما اخر فقال يا ابتاه اني لامشي بين
الجبال فاسبح فما بقي جبل الا سبح معي فقال يا بني ابشر فان هذا خير اعطاكه الله تعالى قالوا فارسل جالوت الجبار الى
طالوت ملك بني اسرايل ان ابرز الي او ابرز اليك او ابرز الي من يقاتلني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم
فشق ذلك على طالوت ونادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته فهاب الناس جالوت فلم يجبه
احد فسال طالوت نبيهم ان يدعو الله فدعا الله فاتي بقرن فيه دهن القدس وتنور حديد وقيل له ان
صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي وضع هذا القرن على راسه فغلى حتى يدهن منه راسه ولا يسيل على
وجهه بل يكون على راسه كهيية الاكليل ويدخل التنور فيملاه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت بني اسرايل فجربهم
فلم يوافقه احد منهم فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان في ولد ايشا من يقتل جالوت فدعا طالوت ايشا وقال له
اعرض علي بنيك فاخرج له اثني عشر رجلا امثال السواري فجعل يعرض واحدا واحدا على القرن فلا يرى شيا
فقال لايشا هل بقي لك ولد غير هولا قال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا رب انه قد زعم ان لا ولد له
غيرهم فقيل له كذب فقال له النبي ان ربي قد كذبك فقال ايشا صدق ربي يا نبي الله ان لي ولدا صغيرا مسقاما
اسمه داود استحييت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته فجعلته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكان
عليه السلام رجلا قصيرا مسقاما ازرق امعر فدعا به طالوت ويقال انه خرج اليه فوجده في الوادي

وقد سال الوادي ماء وهو يحمل شاتين يعبر بهما السيل الى الربية التي يريح فيها غنمه فلما راه طالوت قال هذا
هو الرجل المطلوب لا شك فيه فهذا يرحم البهايم فهو بالناس ارحم فدعاه طالوت ووضع القرن على راسه ففاض
وفاض فقال له طالوت هل لك ان تقتل جالوت وازوجك ابنتي واجري خاتمك في ملكي قال نعم انا ارعى الغنم
فيجي الاسد او النمر او الذيب فياخذ شاة من الغنم فاقوم فافتح لحييه عنها واخرقهما الى قفاه فاخذ طالوت
داود ورده الى العسكر فمر داود عليه السلام في طريقه بحجر فناداه يا داود احملني فاني حجرك الذي تقتل
به جالوت فحمله في موضع الثلاثة في مخلاته فلما رجع طالوت الى العسكر ومعه داود وتصافوا للقتال برز
جالوت يطلب المبارزة ابتدر له داود عليه السلام فاعطاه طالوت فرسا وسلاحا فلبس السلاح
وركب الفرس وسار قريبا ثم رجع الى طالوت فقال من حوله جبن الغلام فجا فوقف على طالوت فقال له
ما شانك فقال داود عليه السلام ان لم ينصرني الله لم يغن هذا السلاح عني شيا وان نصرني فلا حاجة
لي به فدعني اقاتل كما اريد قال نعم فاخذ داود مخلاته فتقلدها واخذ المقلاع بيده ومضى نحو جالوت
وكان جالوت من اشد الناس واقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة حديد وزنها ثلثماية
رطل فلما نظر الى داود وهو يريه وقع الرعب في قلبه فقال له جالوت وانت تبرز الي قال نعم وكان جالوت
على فرس ابلق عليه السلاح التام فقال اتيتني بالمقلاع والحجر كما يوتى الكلب فقال نعم انت شر من الكلب
قال جالوت لا جرم لاقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السما فقال داود عليه السلام او يقسم الله
لحمك ثم قال يا داود باسم اله ابرهيم واخرج حجرا ثم قال باسم اله اسحق واخرج حجرا ثم قال باسم اله يعقوب واخرج
حجرا ووضعها في مقلاعه فصارت الثلاثة حجرا واحدا وادار داود المقلاع ورمى به جالوت فسخر الله له الريح
فحملت الحجر حتى اصابت انف البيضة فخالط دماغ جالوت وخرج من قفاه وقتل من ورايه ثلاثين رجلا
وخر جالوت صريعا قتيلا فاخذه داود فجره حتى القاه بين يدي طالوت ففرح بنو اسرايل بذلك
فرحا شديدا وهزم الله الجيش فرجع طالوت بالناس الى المدينة سالمين غانمين وجعل الناس
يذكرون داود فجا داود الى طالوت وقال له انجز لي ما وعدتني به فقال اتريد ابنة الملك بغير صداق
فقال داود ما شرطت علي صداقا وليس لي شي فقال لا اكلفك الا ما تطيق انت رجل جري وفي جبالنا
اعدا لنا غلف فان قتلت منهم مايتي رجل وجيتني بغلفهم زوجتك ابنتي فاتاهم فجعل كلما قتل واحدا
منهم نظم قلفته في خيط حتى نظم مايتي غلفة فجا بها الى طالوت والقاها بين يديه وقال ادفع
لي امراتي فزوجه ابنته واجرى خاتمه في ملكه فمال الناس الى داود عليه السلام واحبوه واكثروا ذكره
فحسده طالوت واراد قتله فاخبر بذلك ابنة طالوت رجل يقال له ذو العينين فاخبرت بذلك
داود وقالت له انك مقتول الليلة قال ومن يقتلني قالت ابي قال وهل اجرمت جرما يوجب
القتل قالت حدثني بذلك من لا يكذب ولا عليك ان تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال
ان كان يريد ذلك فلا استطيع خروجا لكن ايتيني بزق خمر فاتته به فوضعه في مضجعه على سريره وسجاه
ودخل داود تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته اين بعلك قالت هو نايم على
سريره فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال يرحم الله داود ما اكثر شربه للخمر وخرج فلما
اصبح علم انه لم يفعل شيا فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لحقيق الا يدعني حتى يدرك ثاره
مني فاشتد حجابه وحراسه واغلق دونه ابوابه ثم ان داود اتاه ليلة وقد هدات العيون واعمى
الله عنه الحجبة ففتح الابواب ودخل عليه وهو نايم على فراشه فوضع سهمين عند راسه وسهمين

عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله وخرج واستيقظ طالوت فبصر بالسهام فعرفها فقال يرحم
الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني ولو شاء لوضع هذا السهام في حلقي وما
انا بالذي امنه فلما كان من الليلة القابلة اتاه ثانيا فاعمى الله عنه الحجاب فدخل وهو نايم فاخذ ابريق
وضوءه وكوزه الذي يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيا من طرف ثوبه ثم خرج وتوارى فلما اصبح طالوت
وراى ذلك سلط على داود العيون وطلبه اشد الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوما فوجد
داود يمشي في البرية فقال اليوم اقتله وركض في اثره فاشتد داود في عدوه وكان اذا فزع لم يدرك فدخل
غارا فاوحى الله الى العنكبوت فنسجت عليه فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت قال لو
كان هنا لتخرق هذا النسج وانطلق طالوت وتركه فخرج داود حتى اتى جبل المتعبدين فتعبد معهم وطعن
العلماء والعباد حتى اتى بامراة تعلم الاسم الاعظم فامر خبازا بقتلها فرحمها الخباز فلم يقتلها وقال لعلنا
نحتاج الى عالم فتركها فوقع في قلب طالوت التوبة والندم على ما فعل واقبل على البكاء حتى رحمه الناس
وكان كل ليلة يخرج الى القبور ويبكي وينادي انشد الله عبدا يعلم لي توبة الا اخبرني بها فلما كثر ذلك
منه ناداه مناد من القبور يا طالوت اما ترضى ان قتلتنا حتى تؤذينا امواتا فازداد حزنا وبكاء فرجع
الخباز الى طالوت لما راى من حاله فقال ما لك ايها الملك فاخبره وقال هل تعلم توبة او تعلم في الارض
عالما اساله عن توبتي فقال له الخباز ايها الملك ان دللتك على عالم يوشك ان تقتله فقال لا فتوثق
منه باليمين فاخبره ان تلك المراة العالمة عنده فقال انطلق بي اليها لاسالها عن توبتي قال نعم
فانطلق به فلما قربا من الباب فقال له الخباز ايها الملك اذا راتك فزعت ولكن ائت خلفي فلما دخلا
عليها قال لها الخباز يا هذه الست تعلمين حقي عليك قالت بلى قال فان لي اليك حاجة فتقضيها
قالت نعم قال هذا طالوت قد جاءك يسالك هل له من توبة فلما سمعت بذكر طالوت غشي عليها فلما
افاقت قال والله لا اعلم له توبة ولكن دلوني على قبر نبي فانطلقوا بها الى قبر اشمويل فوقفت عليه
ودعت وكانت تعلم الاسم الاعظم نادت يا صاحب القبر فخرج ينفض التراب عن راسه فلما نظر الى
ثلاثتهم قال ما لكم اقامت القيامة قالت لا ولكن هذا طالوت قد جاء يسالك هل له من توبة فقال
اشمويل يا طالوت ما فعلت بعدي قال لم ادع من الشر شيا الا فعلته وجيت اطلب التوبة فقال
اشمويل يا طالوت كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ما اعلم لك من توبة الا ان تتخلى من ملكك وتخرج
انت وولدك في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل انت حتى تقتل اخرهم ثم ان
اشمويل سقط ميتا ورجع طالوت احزن ما كان عليه ان لا يتابعه بنيه على ما يريد وقد بكا بكاء شديدا
حتى سقطت اشفار عينيه ونحل جسمه فجمع اولاده وقال لهم ارايتم لو دفعت الى النار هل كنتم تفدوني
منها فقالوا بلى نفديك بما نقدر عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما امركم به قالوا اعرض علينا ما اردت
فذكر لهم القصة قالوا وانك لمقتول قال نعم قالوا فلا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت انفسنا بالذي
سالت فتجهز هو وولده وخرج طالوت مجاهدا في سبيل الله فقدم اولاده فقاتلوا حتى قتلوا ثم
شهد هو من بعدهم فقاتل حتى قتل وجاء قاتل طالوت الى داود فبشره بقتله وقال له قد قتلت عدوك
فقال داود ما انت باق بعده وقتله فكان ملك طالوت الى ان قتل مدة اربعين سنة واتوا بنوا
اسرائيل الى داود فملكوه عليهم واعطوه خزاين طالوت الكلبي والضحاك ملك داود بعد قتل جالوت
بسبع سنين ولم يجتمع بنوا سرايل على ملك واحد الا على داود فذلك قوله تعالى **واتاه الله الملك والحكمة**

يعني النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل بل كانت النبوة في سبط والملك
في سبط وقيل الحكمة هي العلم مع العمل به **وعلمه مما يشاء** اي وعلم الله داود صنعة الدروع فكان
يصنعها ويبيعها وكان لا ياكل الا من عمل يده وقيل علمه منطق الطير وقيل علمه الزبور وقيل هو الصوت
الطيب والالحان فلم يعط الله احدا من خلقه مثل صوت داود فكان اذا قرا الزبور تدنو منه الوحوش
حتى تؤخذ باعناقها وتظله الطير مصيخة له وتركد الماء الجاري وتسكن الريح عند قراته وقيل علمه الله
سياسة الملك وضبطه وذلك لانه لم يكن من بيت الملك حتى يتعلمه من ابايه وقال ابن عباس هو ان الله
اعطاه سلسلة موصولة بالمجرة وراسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النور وحلقها
مستديرة مفصلة بالجوهر مدسرة بقضبان اللولو الرطب فكان لا يحدث في الهوى حدث الا صلصلت
السلسلة فيعلم داود ذلك الحدث ولا يمسها ذو عاهة الا برا وكانوا يتحاكمون اليها بعد داود الى ان
رفعت فمن تعدى على صاحبه او انكره حقا اتى السلسلة فمن كان صادقا مد يده الى السلسلة فنالها
ومن كان كاذبا لم ينلها فكانت كذلك الى ان ظهر فيهم المكر والخبث فبلغنا ان بعض ملوكهم اودع رجلا
جوهرة ثمينة فلما طلبها بالوديعة انكره اياها فتحاكما الى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة الى
عكازه فنقرها وجعل الجوهرة فيها واعتمد عليها حتى اتى السلسلة فقال صاحب الجوهرة رد علي
الوديعة فقال صاحبه ما اعرف لك عندي وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها
بيده وقيل للمنكر قم انت ايضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة امسك عكازي فاخذها الرجل
منه وقام المنكر الى السلسلة وقال اللهم ان كنت تعلم ان الوديعة التي يدعيها قد وصلت اليه
فقرب لي السلسلة مني ومد يده فتناولها فتعجب القوم من ذلك وشكوا فيها فاصبحوا وقد رفع الله
السلسلة قوله تعالى **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض** يعني ولولا ان الله يدفع ببعض الناس
وهم اهل الايمان والطاعة له بعضا وهم اهل الكفر والمعاصي قال ابن عباس ولولا دفع الله بجنود المسلمين
لغلب المشركون على الارض فقتلوا المومنين وخربوا المساجد والبلاد وقيل معناه ولولا دفع الله بالمومنين
والابرار عن الكفار والفجار **لفسدت الارض** اي لهلكت بمن فيها ولكن يدفع الله بالمومن عن الكافر
وبالصالح عن الفاجر روى احمد بن حنبل عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله ليدفع بالمومن الصالح عن ماية اهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرا ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الارض **ولكن الله ذو فضل على العالمين** يعني ان دفع الفساد بهذا الطريق انعام وافضال
عم الناس كلهم **تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق** يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف
واماتتهم واحيايهم وتمليك طالوت واظهاره بالاية وتيان التابوت واهلاك الجبابرة على يد صبي **وانك**
لمن المرسلين يعني حيث تخبر بهذه الاخبار العجيبة والقصص القديمة من غير ان تعرف بقراة كتاب ولا
اسماع اخبار فدل ذلك على انك من المرسلين وان الذي تخبر به وحي من الله تعالى قوله عز وجل **تلك**
الرسل يعني جماعة الرسل الذي تقدم ذكرهم في هذه السورة **فضلنا بعضهم على بعض** فيه دليل على
زوال الشبهة لمن اوجب التسوية بين الانبيا في الفضيلة لاستوايهم في القيام بالرسالة واجمعت الامة
على ان الانبيا بعضهم افضل من بعض وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم افضلهم لعموم رسالته وهو
قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا **منهم من كلم الله** اي كلمه الله وهو موسى عليه السلام
ورفع بعضهم درجات يعني محمدا صلى الله عليه وسلم رفع الله منصبه ومرتبته على ساير الانبيا بما فضله

عليهم من الايات البينات والمعجزات الباهرات فما اوتي نبي من الانبيا اية او معجزة الا واوتي نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم مثل ذلك وفضل محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبيا بايات ومعجزات اخر مثل انشقاق
القمر باشارته وحنين الجذع اليه عند مفارقته وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهايم له شهادة برسالته
ونبع الما من بين اصابعه وغير ذلك من الايات والمعجزات التي لا تحصى كثرة واعظمها واظهرها معجزة واية
القران العظيم الذي عجز اهل الارض عن معارضته والاتيان بمثله فهو معجزة ثابتة الى يوم القيمة
ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبيا الا وقد اعطي
من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجوا ان اكون اكثرهم
تابعا يوم القيمة ق عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم
يعطهن احد من الانبيا قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من
امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي صلى
الله عليه وسلم يبعث الي قومه خاصة وبعثت الي الناس عامة م عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبيا بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي
الغنايم وجعلت الارض مسجدا وطهورا وارسلت الي الخلق كافة وختم بي النبيون فان قلت لم ذكره على سبيل
الرمز والاشارة ولم يصرح باسمه صلى الله عليه وسلم قلت في هذا الابهام والرمز من تفخيم فضله واعلا
قدره صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى لما فيه من الشهادة بانه العلم الذي لا يشتبه ولا يلتبس فهو كما يقول
الرجل وقد فعل شيا فعله بعضكم او احدكم ويريد نفسه فيكون افخم من التصريح به كما سيل الحطية عن اشعر
الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شيت لذكرت الثالث اراد نفسه قوله تعالى **واتينا عيسى ابن
مريم البينات** يعني الحجج والادلة الباهرة والمعجزات الظاهرة الدالة على نبوته مثل ابرا الاكمه والابرص واحيا
الموتى **وايدناه بروح القدس** اي قويناه بجبريل عليه السلام وكان معه الى ان رفعه الى السما فان قلت
لم خص موسى وعيسى بالذكر من بين ساير الانبيا قلت لما اوتيا من الايات العظيمة والمعجزات الباهرة
ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو اية عظيمة وتاييد عيسى بروح القدس
اية عظيمة ايضا فلما اوتي موسى وعيسى من الايات العظيمة خصا بالذكر في باب التفضيل فعلى هذا كل من
كان من الانبيا اعظم ايات واكثر معجزات كان افضل ولهذا احرز نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قصبات
السبق في الفضل لانه اعظم الايات واكثرهم معجزات فهو افضلهم صلى الله عليه وسلم اجمعين **ولو شاء
الله** اي ولو اراد الله واصل المشية الارادة **ما اقتتل الذين من بعدهم** يعني بعد الرسل الذين وصفهم
الله **من بعد ما جاءتهم البينات** اي الدلالات الواضحات من الله بما فيه مزدجر لمن هداه الله ووفقه
ولكن اختلفوا اي اختلف هولا الذين من بعد الرسل **فمنهم من امن** اي ثبت على ايمانه بالله ورسوله
بفضل الله **ومنهم من كفر** اي ومنهم من جحد الكفر بعد قيام الحجة وبعثة الرسل **ولو شاء الله ما اقتتلوا**
يعني ولو اراد الله ان يحجزهم عن الاقتتال والاختلاف لحجزهم من ذلك **ولكن الله يفعل ما يريد** يعني انه
تعالى يوفق من يشا لطاعته والايمان به فضلا منه ورحمة ويخذل من يشا عدلا منه لا اعتراض عليه في ملكه
وفعله سال رجل علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن القدر فقال يا امير المومنين اخبرني عن القدر فقال
طريق مظلم فلا تسلكه فاعاد السوال فقال سر قد خفي عليك فلا تفتشه فاعاد السوال فقال بحر
عميق فلا تلجه قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم** قيل اراد به الزكاة الواجبة وقيل

اراد به صدقة التطوع والانفاق من وجوه الخير **من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه** اي لا فدية فيه وانما سماه
فدا لان الفدا شرا النفوس من الهلاك والمعنى قدموا لانفسكم اليوم مما مولكم قبل ان ياتي يوم لا تجارة
فيه فيكسب الانسان ما يفتدي به من العذاب **ولا خلة** اي لا مودة ولا صداقة **ولا شفاعة** وظاهر هذا
نفي الخلة والشفاعة وقد دلت النصوص على ثبوت المودة والشفاعة بين المومنين فيكون هذا
عام مخصوص **والكافرون هم الظالمون** لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها **الله لا اله الا هو الحي
القيوم**

فصل في فضل هذه الاية الكريمة عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شي سنام وان سنام القران البقرة وفيها اية هي سيدة اي القران
اية الكرسي اخرجه الترمذي قوله ان لكل شي سناما سنام كل شي اعلاه تشبيها بسنام البعير والمراد
منه تعظيم هذه السورة والسيد الفاضل والشريف والكريم واصله من ساد يسود وقوله هي سيدة اي
القران اي فضله عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا المنذر
اتدري اي اية في كتاب الله معك اعظم قلت الله لا اله الا هو الحي القيوم فضرب في صدري وقال
ليهنك العلم ابا المنذر م عن واثلة بن الاسقع ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم في صفة المهاجرين فساله
انسان اي اية في القران اعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله لا اله الا هو الحي القيوم
اخرجه ابو داود وقال العلما انما تميزت اية الكرسي بكونها اعظم انه في القران لما جمعت من اصول
الاسما والصفات من الالهية والوحدانية والحياة والعلم والقيومية والملك والقدرة والارادة
فهذه اصول الاسما والصفات وذلك لان الله تعالى اعظم مذكورا فما كان ذكرا له من توحيده وتعظيمه
كان اعظم الاذكار وفي هذا الحديث حجة لمن يقول بجواز تفضيل بعض القران على بعض وتفضيله
على ساير كتب الله المنزلة ومنع من جواز تفضيل بعض القران على بعض ابو الحسن الاشعري وابو بكر
الباقلاني قالا لان تفضيل بعضه على بعض يقتضي نقص المفضول وليس في كلام الله عز وجل نقص
وتاول هولا ما ورد من اطلاق لفظ اعظم وافضل في بعض الايات والسور بمعنى عظيم وفاضل ومن اجاز
تفضيل بعض القران على بعض من العلما والمتكلمين قالوا هذا التفضيل راجع الى عظم اجر القاري
وجزيل ثوابه وقوله ان هذه الاية او هذه السورة اعظم وافضل بمعنى ان الثواب المتعلق بها اكثر
وهذا هو المختار وهو معنى الحديث والله اعلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا حين يصبح اية الكرسي وايتين من اول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ
يومه ذلك حتى يمسي ومن قراهما حين يمسي حفظ ليلته تلك حتى يصبح اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب واما التفسير فقوله عز وجل الله لا اله الا هو نفي الالهية كل ما سواه واثبت الالهية له سبحانه
وتعالى فهو كقولك لا كريم الا زيد فانه ابلغ من قولك زيد كريم الحي يعني الباقي على الابد الدايم بلا زوال
والحي في صفة الله هو الذي لم يزل موجودا بالحياة موصوفا لم تحدث له الحياة بعد موته ولا يعترضه
الموت بعد حياة وساير الاحيا سواه يعتريهم الموت او العدم فكل شي هالك الا وجهه سبحانه وتعالى
القيوم قال مجاهد القيوم القايم بلا زوال الموجود الذي يمتنع عليه التغير وقيل هو القايم على كل نفس
بما كسبت والقيوم فيعول من القيام وهو نعت للقايم على الشي **لا تاخذه سنة ولا نوم** السنة ما
يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى نعاسا وهو النوم الخفيف والوسنان بين النايم واليقظان والنوم
هو الثقيل المزيل للعقل والقوة وقيل السنة في الراس والنعاس في العين والنوم في القلب فالسنة

سي اول النوم والنوم هو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالاشيا والمعنى لا تاخذه سنة
فضلا عن ان ياخذه نوم لان النوم والشهوة والغفلة محال على الله تعالى لان هذه الاشيا عبارة عن
عدم العلم وذلك نقص وافة والله تعالى منزه عن النقص والافات ولان ذلك تغير والله تعالى منزه
عن التغير م عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس
كلمات فقال ان الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل
قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور وفي رواية النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه
ما انتهى اليه بصره من خلقه شرح ما يتعلق بلفظ هذا الحديث منقول من شرح مسلم للشيخ محيي الدين النووي
قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام فمعناه الاخبار انه سبحانه وتعالى لا ينام
وانه مستحيل في حقه لان النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به الاحساس والله منزه عن ذلك
قوله يخفض القسط ويرفعه اراد بالقسط الرزق الذي هو قسط كل مخلوق ومعنى يخفض ويضيق
على من يشا ويرفعه اي يوسعه على من يشا وقوله يرفع اليه عمل الليل قبل النهار يعني ان الحفظة
من الملائكة يصعدون باعمال العباد في الليل بعد انقضائه في اول النهار ويصعدون باعمال النهار
بعد انقضائه في اول الليل قوله حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من
خلقه سبحات بضم السين المهملة والبا الموحدة مخففة وبضم التاء في اخره جمع سبحة ومعنى سبحات وجهه نوره
وجلاله وبهاؤه والحجاب اصله في اللغة المنع وحقيقة الحجاب انما يكون للاجسام المحدودة والله تعالى منزه عن
الجسم والحد فالمراد به هنا الشي المانع من الروية فسمي ذلك الشي المانع نورا او نارا لانهما يمنعان من الادراك في العادة
والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى اليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لان بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع
الكائنات ولفظة من في قوله من خلقه لبيان الجنس لا للتبعيض ومعنى الحديث لو زال المانع وهو الحجاب المسمى
نورا او نارا وتجلى لخلقه لاحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته هذا اخر كلام الشيخ على هذا الحديث والله اعلم وروى
الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله لا تاخذه سنة ولا نوم ان موسى عليه السلام سال
الملائكة هل ينام الله فاوحى الله الى الملائكة وامرهم ان يورقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم اعطوه
قارورتين فامسكهما ثم تركوه وحذروه ان يكسرهما فجعل ينعس وهما في يده في كل يد واحدة قال فجعل ينعس
وينتبه حتى نعس نعسة فضرب احداهما بالاخرى فكسرهما قال معمر انما هو مثل ضربه الله تعالى له يقول
فكذلك السموات والارض ورواه عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحكي موسى على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله وذكر نحو حديث ابن عباس قال بعض العلما الاصح
هذا الحديث فيحمل على ان هذا السوال كان من جهال قوم موسى كطلب الروية من موسى لان الانبيا عليهم
السلام اعلم بالله من غيرهم فلا يجوز ان ينسب الى موسى مثل هذا السوال والله اعلم قوله تعالى **له ما في
السموات وما في الارض** يعني ان الله تعالى مالك جميع ذلك بغير شريك ولا منازع وهو خالقهم وهم عبيده
وفي ملكه فان قلت لم قال له ما في السموات ولم يقل من في السموات قلت لما كان اضافة كل ما سواه اليه بالخلق
والملك وكان الغالب من لا يعقل اجرى الغالب مجرى الكل يعبر عنه بلفظ ما **من ذا الذي يشفع عنده الا
باذنه** اي بامره وهذا استفهام انكار والمعنى لا يشفع عنده احد الا بامره وارادته وذلك ان المشركين زعموا
ان الاصنام تشفع لهم فاخبر انه لا شفاعة لاحد عنده الا ما استثناه بقوله الا باذنه يريد بذلك شفاعة
النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعة بعض الانبيا والملائكة وشفاعة المومنين بعضهم لبعض **يعلم ما بين**

ايديهم

ايديهم وما خلفهم يعني ما بين ايديهم من الدنيا وما خلفهم من الاخرة وقيل بعكسه لانهم يقدمون على
الاخرة ويخلفون الدنيا ورا ظهورهم وقيل يعلم ما كان قبلهم وما كان بعدهم وقيل يعلم ما قدموه بين ايديهم من
خير او شر وما خلفهم مما هم فاعلوه والمقصود من هذا انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه
شي من احوال الخلق **ولا يحيطون بشي من علمه** يقال احاط بالشي اذا علمه وهو ان يعلم وجوده وجنسه
وقدره وحقيقته فاذا علم ووقف عليه وجمعه في قلبه قيل قد احاط به والمراد بالعلم المعلوم والمعنى ان
احدا لا يحيط بمعلومات الله تعالى **الا بما شا** يعني ان يطلعهم عليه وهم الانبيا والرسل ليكون ما يطلعهم
عليه من علم غيبه دليلا على نبوتهم كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول **وسع
كرسيه السموات والارض** يقال فلان يسع الشي سعة اذا احتمله واطاقه وامكنه القيام به واصل الكرسي
في اللغة من تركب الشي بعضه على بعض ومنه الكراسة لتركب بعضها على بعض والكرسي في العرف
اسم لما يقعد عليه سمي به لتركب خشباته بعضها على بعض واختلفوا في المراد بالكرسي هنا على اربعة اقوال
احدها ان الكرسي هو العرش نفسه قاله الحسن لان العرش والكرسي اسم للسرير الذي يصح التمكن عليه
القول الثاني ان الكرسي غير العرش وهو امامه وهو فوق السموات السبع ودون العرش قال السدي ان
السموات السبع في الكرسي كدراهم سبعة القيت في ترس وقيل كل قائمة من قوائم الكرسي طولها مثل السموات
والارض وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي اربعة املاك لكل ملك اربعة وجوه اقدامهم على الصخرة
التي تحت الارض السابعة السفلى ملك على صورة ابي البشر ادم وهو يسال الرزق والمطر لبني ادم من
السنة الى السنة وملك على صورة السبع وهو يسال الرزق للوحوش من السنة الى السنة وملك على
صورة النسر وهو يسال الرزق للطير من السنة الى السنة وفي بعض الاخبار ان بين حملة العرش وبين
حملة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسماية عام لولا ذلك
لاحترقت حملة الكرسي من نور حملة العرش القول الثالث ان الكرسي هو العلم لان العلم يعتمد عليه
كما ان الكرسي يعتمد عليه قال ابن عباس كرسيه علمه القول الرابع المراد بالكرسي الملك والسلطان
والقدرة لان الكرسي موضع الملك والسلطان فلا يبعد ان يكنى عن الملك بالكرسي على سبيل المجاز **ولا يوده
حفظهما** اي لا يثقله ولا يجهده ولا يشق عليه حفظهما اي حفظ السموات والارض **وهو العلي** اي الرفيع
فوق خلقه الذي ليس فوقه شي فما يجب له ان يوصف به من معاني الجلال والكمال فهو العلي بالاطلاق المتعالي
عن الاشباه والانداد والاضداد وقيل العلي بالملك والسلطنة والقهر فلا اعلى منه احد وقيل معنى العلو
في صفة الله تعالى منقول الى اقتداره وقهره واستحقاق صفات المدح جميعها على كل وجه وقيل معناه
انه يعلو ان يحيط به وصف الواصفين **العظيم** يعني انه ذو العظمة والكبريا الذي لا شي اعظم منه
قال ابن عباس العظيم الذي قد كمل في عظمته وقيل العظيم هو ذو العظمة والجلال والكمال وهو في صفة
الله تعالى ينصرف الى عظم الشان وجلالة القدرة دون العظم الذي هو من نعت الاجسام قوله
تعالى **لا اكراه في الدين** وسبب نزول هذه الاية فيما روي عن ابن عباس كانت المراة من الانصار تكون
مقلاة وهي التي لا يعيش لها ولد فكانت تنذر لئن عاش لها ولد لتهودنه فاذا عاش جعلته في اليهود فجا
الاسلام وفيهم منهم فلما اجليت بنو النضير كان فيهم عدد من اولاد الانصار فارادت الانصار استردادهم
وقالوا ابناونا واخواننا فنزلت لا اكراه في الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خير اصحابكم
فان اختاروكم فهو منكم وان اختاروهم فاجلوهم معهم وقيل كان لرجل من الانصار من بني سالم بن عوف

يقال لهما ابو الحصين ابنان فتنصرا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الزيت فلزمهما ابوهما وقال لا ادعكما حتى تسلما فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فانزل الله تعالى لا اكراه في الدين فخلى سبيلهما وقيل نزلت في اهل الكتاب اذا قبلوا بذل الجزية لم يكرهوا على الاسلام وذلك لان العرب كانت امة امية ولم يكن لهم كتاب يرجعون اليه فلم يقبل منهم الا الاسلام او القتل ونزل في اهل الكتاب لا اكراه في الدين يعني اذا قبلوا الجزية فمن اعطى الجزية منهم لم يكره على الاسلام فعلى هذا القول تكون الاية محكمة ليست بمنسوخة وقيل ان الاية منسوخة وكان ذلك في ابتدا الاسلام قبل ان يومر بالقتال ثم نسخت باية القتال وهو قول ابن مسعود وقال الزهري سالت زيد بن اسلم عن قول الله تعالى لا اكراه في الدين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين لا يكره احدا في الدين فابى المشركون الا ان يقاتلوه فاستاذن الله في قتالهم فاذن له والمعنى لا اكراه في الدين اي دين الاسلام ليس فيه اكراه عليه **قد تبين الرشد من الغي** يعني ظهر ووضح وتميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الايات والبراهين الدالة على صحته **فمن يكفر بالطاغوت** يعني الشيطان وقيل هو الساحر والكاهن وقيل هو كل ما يطغي الانسان فهو طاغوت فاعول من الطغيان **ويؤمن بالله** اي ويصدق بالله انه ربه ومعبوده من دون كل شي كان يعبده وفيه اشارة الى انه لا بد للكافر ان يتوب اولا عن الكفر ويتبرا منه ثم يومن بعد ذلك بالله فمن فعل ذلك صح ايمانه وهو قوله تعالى **فقد استمسك بالعروة الوثقى** اي فقد تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين والوثقى تانيث الاوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي يوصل الى رضى الله تعالى وهو دين الاسلام **لا انفصام لها** اي لا انقطاع لها حتى توديه الى الجنة والمعنى ان المتمسك بالدين الصحيح الذي هو دين الاسلام كالمتمسك بالشي الوثيق الذي لا يمكن كسره ولا انقطاعه **والله سميع عليم** يعني انه تعالى يسمع قول من كفر بالطاغوت واتى بالشهادتين عليم بما في قلبه من الايمان وقيل معناه سميع لدعايك اياهم الى الاسلام حريص عليهم حرصك على اسلامهم قوله عز وجل **الله ولي الذين امنوا** اي ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم ومتولي امورهم فلا يكلهم الى غيره وقيل هو متولي هدايتهم **يخرجهم من الظلمات الى النور** اي من الكفر الى الايمان وكل ما في القران من ذكر الظلمات والنور فالمراد به الكفر والايمان غير الذي في سورة الانعام وهو قوله تعالى وجعل الظلمات والنور فالمراد به الليل والنهار وانما سمي الكفر ظلمة لالتباس طريقه ولان الظلمة تحجب الابصار عن ادراك الحقايق فكذلك الكفر يحجب القلب عن ادراك حقايق الاسلام وسمي الاسلام نورا لوضوح طريقه وبيان ادلته **والذين كفروا اولياوهم الطاغوت** يعني كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب وساير رؤوس الضلالة **يخرجونهم من النور الى الظلمات** اي من الهدى الى الضلالة فان قلت كيف يخرجونهم من النور الى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قط قلت هم اليهود كانوا مومنين بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته قبل ان يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته وصفته فلما بعث كفروا به وجحدوا نبوته وقيل هو على العموم في حق جميع الكفار ومنع الطاغوت اياهم عن الدخول فيه اخراج من الايمان بمعنى صدهم الطاغوت عنه وحرمانهم خيره وان لم يكونوا دخلوا فيه قط فهو كقول الرجل لابيه اخرجتني من مالك اذا اقر به لغيره في حياته وحرمه منه وكقول الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام اني تركت ملة قوم لا يومنون بالله ولم يكن قط في ملتهم **اوليك اصحاب النار هم فيها خالدون** يعني الكفار والطاغوت اهل النار الذين

يخلدون فيها دون غيرهم قوله تعالى **الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه** يعني هل انتهى اليك يا محمد خبر الذي خاصم ابراهيم وجادله لان الم تر كلمة يوقف بها المخاطب على تعجب منها ولفظها استفهام فهو كما يقال الم تر الى فلان كيف يصنع فلان معناه هل رايت فلانا في صنعه والذي حاج ابراهيم هو نمرود بن كنعان الجبار وهو اول من وضع التاج على راسه وتجبر في الارض وادعى الربوبية **ان اتاه الله الملك** اي لان اتاه الملك فطغى وتجبر في الارض بسببه وكانت تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه قال مجاهد ملك الارض مومنان وكافران فاما المومنان فسليمان وذو القرنين واما الكافران فنمرود وبخت نصر واختلفوا في وقت هذه المحاجة فقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه نمرود ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعونا اليه قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت وقيل بل كان بعد القايه في النار وذلك ان الناس قحطوا على عهد نمرود وكان الناس يمتارون من عنده الطعام وكان اذا اتاه احد يمتار يقول له من ربك فيقول انت فيميره فخرج ابراهيم صلى الله عليه وسلم اليه يمتار لاهله الطعام فاتاه فقال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر فرده بغير طعام فرجع ابراهيم الى اهله فمر على كثيب رمل اعفر فاخذ منه تطييبا لقلوب اهله اذا دخل عليهم فلما اتى اهله ووضع متاعه ثم نام فقامت زوجته سارة الى رحله ففتحته فاذا هو طعام اجود ما راه احد فصنعت منه خبزا فلما انتبه قربته اليه فقال ابراهيم من اين هذه او كان عهد اهله وليس عندهم طعام فقالت من الطعام الذي جيت به فعلم ابراهيم ان الله قد رزقه فحمد الله تعالى ثم ان الله تعالى بعث الى نمرود الجبار ان امن بي واتركك في ملكك قال وهل رب غيري فجاءه الثانية فقال له مثل ذلك ثم اتاه الثالثة فرد عليه مثل ذلك فقال له الملك اجمع جموعك فجمع الجبار جموعه فامر الله الملك ففتح عليه بابا من البعوض حتى سترت الشمس فلم يروها فبعثها الله عليهم فاكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق الا العظام ونمرود ينظر لم يصبه شي من ذلك ثم بعث الله عز وجل بعوضة فدخلت في منخره فمكث في راسه اربعماية سنة مدة ملكه حتى اماته الله عز وجل ومعنى **اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت** هذا جواب سوال غير مذكور تقديره قال له نمرود من ربك قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت **قال** يعني نمرود **انا احيي واميت** قال اكثر المفسرين دعا نمرود برجلين فقتل احدهما واستحيا الاخر فجعل ترك القتل احياء فانتقل ابراهيم صلى الله عليه وسلم الى حجة اخرى لا عجزا عن نصر حجته الاولى فانها كانت لازمة لانه اراد بالاحيا احيا الميت فكان لابراهيم ان يقول لنمرود فاحي من امت ان كنت صادقا ولكن انتقل الى حجة اخرى اوضح من الاولى لما راى من قصور فهم نمرود وضعف رايه فانه عارض اللفظ بمثله ونسي اختلاف الفعلين **قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر** يعني تحير نمرود ودهش وانقطعت حجته ولم يرجع اليه شيا وعرف انه لا يطيق ذلك فان قلت كيف بهت الذي كفر وكان يمكنه ان يقول لابراهيم سل انت ربك حتى ياتي بها من المغرب قلت انما لم يقله لانه خاف انه لو سال ذلك دعا ابراهيم ربه فكان ذلك زيادة في فضيحة نمرود وانقطاعه وقيل ان الله تعالى صرفه عن تلك المعارضة اظهارا للحجة عليه ومعجزة لابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح **والله لا يهدي القوم الظالمين** يعني لا يرشدهم الى حجة يدحضون بها حجج اهل الحق عند المحاجة والمخاصمة وعنى بالظالمين نمرود وقوله عز وجل **او كالذي مر على قرية** هذه معطوفة على الاية التي قبلها والمعنى الم تر الى الذي حاج ابراهيم او كالذي مر على قرية

فيكون هذا اعطفا على المعنى وقيل تقديره هل رايت كالذى حاج ابراهيم او كالذى مر على قرية
واختلفوا فى ذلك المار فروي عن مجاهد انه كان كافرا شك فى البعث وهذا القول ضعيف لقوله تعالى قال
كم لبثت والله تعالى لا يخاطب الكافر ولقوله تعالى ولنجعلك اية للناس وهذا اللفظ لا يستعمل فى
حق الكافر انما يستعمل فى حق الانبيا وقال قتادة وعكرمة والضحاك والسدى هو عزير بن سرحيا
وقال وهب بن منبه هو ارميا بن حلقيا من سبط هارون وهو الخضر ومقصود القصة تعريف
منكرى البعث قدرة الله تعالى على احيا خلقه بعد اماتتهم لا تعريف اسم ذلك المار على القرية
فجايز ان يكون ذلك المار هو عزير وجايز ان يكون ارميا وفى هذه القصة دلالة عظيمة لنبوة
محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر اليهود بما يجدونه فى كتبهم ويعرفونه وهو نبى لم يقرا الكتب القديمة
واختلفوا فى تلك القرية فقيل هى بيت المقدس وذلك لما خربها بخت نصر والمراد بالاحيا هنا
عمارتها وقيل هى القرية التى اهلك الله اهلها الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وقيل هى دير
سيراباذ وقيل هى دير هرقل وهى قرية العنب وقيل على فرسخين من بيت المقدس **وهى خاوية**
على عروشها اى ساقطة على سقوطها وذلك ان السقوف سقطت اولا ثم وقعت الحيطان عليها
بعد ذلك **قال** يعنى ذلك المار **انى يحيى هذه الله بعد موتها** فمن قال ان ذلك المار كان كافرا وهو
ضعيف انما حمله على الشك فى قدرة الله تعالى ومن قال نبيا حمله على سبيل الاستبعاد بحسب مجارى
العرف والعادة لا على سبيل الانكار لقدرة الله تعالى او كان المقصود منه طلب زيادة الدلايل
لاجل التاكيد كما قال ابراهيم عليه السلام رب ارنى كيف تحيى الموتى ومعنى انى يحيى هذه الله من ان
يحيى هذه القرية والمراد بالاحيا عمارتها فاحب الله ان يريه اية فى نفسه وفى احيا تلك القرية
وكان سبب القصة فى ذلك ما روي عن وهب بن منبه ان الله تعالى بعث ارميا الى ناشيه بن اموص
ملك بنى اسرائيل ليسدده وياتيه بالخبر من الله تعالى فعظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وركبوا المعاصى
فاوحى الله تعالى الى ارميا ان ذكر قومك نعمى عليهم وعرفهم احداثهم وادعهم الى فقال ارميا يا رب انى
ضعيف ان لم تقونى عاجز ان لم تبلغنى مخذول ان لم تنصرنى فقال الله تعالى انى الهمك فقام ارميا
فيهم ولم يدر ما يقول فالهمه الله فى الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب
المعصية وقال فى اخرها عن الله عز وجل انى احلف بعزتى لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم لاسلطن
عليهم جبارا فارسيا البسه الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم
اوحى الله تعالى انى مهلك بنى اسرائيل بيافث وهم اهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما
سمعا ارميا بذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على راسه فلما راى الله تضرعه وبكاه ناداه
يا ارميا اشق عليك ما اوحيت اليك قال نعم يا رب اهلكنى قبل ان ارى فى بنى اسرائيل ما لا اسر به فقال
الله عز وجل وعزتى وجلالى لا اهلك بنى اسرائيل حتى يكون الامر فى ذلك من قبلك ففرح ارميا بذلك
وطابت نفسه وقال لا والذى بعث موسى بالحق لا ارضى بهلاك بنى اسرائيل ثم اتى الملك فاخبره بذلك
وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح وقال ان يعذبنا الله ربنا فبذنوبنا وان يعف عنا فبرحمته ثم انهم
مكثوا بعد ذلك الوحى ثلاث سنين لم يزدادوا الا معصية وتماديا فى الشر قبل الوحى وذلك حين
اقترب هلاكهم فدعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بخت نصر البابلى فخرج فى
ستمائة الف راية يريد اهل بيت المقدس فلما فصل سايرا واتى الخبر الى ملك بنى اسرائيل قال

لارميا

لارميا اين زعمت ان الله تعالى اوحى اليك فقال ارميا ان الله لا يخلف الميعاد وانا به واثق فلما
قرب الاجل بعث الله تعالى الى ارميا ملكا قد تمثل له فى صورة رجل من بنى اسرائيل فقال له ارميا من انت
قال انا رجل من بنى اسرائيل اتيتك استفتيك فى اهل رحمى وصلت ارحامهم ولم ات اليهم الا حسنا ولا
يزيدهم اكرامى اياهم الا اسخاطا لى فافتنى فيهم فقال له ارميا احسن فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر
بخير فانصرف الملك فمكث اياما ثم اقبل اليه فى صورة الرجل فقعد بين يديه فقال له ارميا
من انت قال انا الذى اتيتك استفتيك فى رحمى فقال له ارميا اما طهرت اخلاقهم بعد لك فيهم
فقال يا نبى الله والذى بعثك بالحق ما اعلم كرامة ياتيها احد من الناس الى رحمه الا قدمتها
اليهم وافضل فقال ارميا ارجع اليهم فاحسن اليهم اسال الله الذى يصلح عباده الصالحين ان
يصلحهم فقام الملك فمكث اياما ثم ان بخت نصر نزل بجنوده بيت المقدس ففزع منهم بنى اسرائيل
فقال ملكهم لارميا يا نبى الله اين ما وعدك الله تعالى فقال انى بربى واثق ثم اقبل ذلك الملك الى
ارميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر الله تعالى الذى وعده فقعد بين
يديه فقال له ارميا من انت قال انا الذى جيتك فى شان اهلى مرتين فقال له ارميا اما ان لهم ان
يفيقوا من الذى هم فيه فقال الملك يا نبى الله ان كل شى كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت اصبر
عليه فاليوم رايتهم على عمل لا يرضى الله تعالى فقال ارميا على اى عمل رايتهم قال على عمل عظيم يسخط
الله تعالى فغضبت لله عز وجل فاتيتك لاخبرك وانى اسالك بالله الذى بعثك بالحق ان تدعو
الله عليهم ليهلكوا فقال ارميا يا مالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا
على عمل لا ترضاه فاهلكهم فلما خرجت الكلمة من فيه حتى ارسل الله عز وجل صاعقة من السما على بيت
المقدس فالتهب مكان القربان واحرقت سبعة ابواب من ابوابه فلما راى ذلك ارميا صاح وشق
ثيابه ونبذ الرماد على راسه فقال يا مالك السموات والارض اين ميعادك الذى وعدتنى
به فنودى انه لم يصبهم ما اصابهم الا بفتياك ودعايك عليهم فاستيقن ارميا انها فتياه وان
ذلك السايل كان رسولا من الله اليه فخرج ارميا حتى خالط الوحوش ودخل بخت نصر وجنوده
بيت المقدس ووطى الشام وقتل بنى اسرائيل حتى افناهم وخرب بيت المقدس وامر جنوده ان يملا
كل رجل منهم ترسه ترابا ويقذفه فى بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملاوه ثم امرهم ان يجمعوا من كان
بقى فى بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده من كان بقى من بنى اسرائيل من صغير وكبير فاختار منهم سبعين
الف صبى فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل اربعة غلمة وكان فى اوليك الغلمان
دانيال وحنانيا وعزير وفرق من بقى من بنى اسرائيل ثلاث فرق فثلثا قتلهم وثلثا سباهم وثلثا اقرهم
بالشام فكانت هذه الواقعة الاولى التى انزلها الله ببنى اسرائيل بظلمهم فلما ولى بخت نصر راجعا
الى بابل ومعه سبايا بنى اسرائيل اقبل ارميا على حمار له ومعه عصير عنب فى ركوة وسلة تين حتى
غشى ايليا ومنى ارض بيت المقدس فلما راى خرابها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها ومن قال ان
المار كان عزير قال ان بخت نصر لما خرب بيت المقدس واقدم بسبى بنى اسرائيل وكان فيهم عزير ودانيال
وسبع الف من اهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار حتى نزل دير هرقل على شط دجلة
فطاف فى القرية فلم ير احدا وعامة شجرها حامل فاكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه
وجعل فضل الفاكهة فى سلة وفضل العصير فى زق فلما راى خراب القرية وهلاك اهلها قال انى

يحيي هذه الله بعد موتها وانما قال ذلك تعجبا لا شكا في البعث رجعنا الى الحديث وذهب قال ثم ان ارميا
ربط حماره بحبل جديد والقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح مائة عام واماتت
حماره وبقي عصيره وتينه عنده واعمى الله عنه العيون فلم يره احد وذلك ضحى ومنع لحمه من السباع
والطير فلما مضى من وقت موته سبعين سنة ارسل الله تعالى ملكا الى ملك من ملوك فارس
يقال له نوشك وقال له ان الله يامرك ان تنفذ بقومك فتعمر بيت المقدس وايليا حتى يعود اعمر
ما كان فانتدب الملك الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثماية الف عامل وجعلوا يعمرونها واهلك
الله بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرائيل وردهم جميعا الى بيت
المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا كاحسن ما كانوا فلما مضت المائة احيا الله
منه عينيه وسائر جسده ميت ثم احيا الله جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا حماره عظاما
تلوح بيضا متفرقة فسمع صوتا من السما ايتها العظام البالية ان الله يامرك ان تجتمعي فاجتمع
بعضها الى بعض ثم نودي ان الله يامرك ان تكتسي لحما وجلدا فكان كذلك ثم نودي ان الله يامرك
ان تحيي فقام الحمار باذن الله ثم نهق وعمر الله ارميا فهو يدور في الفلوات فذلك قوله تعالى **فاماته**
الله مائة عام اصل العام من العوم وهو السباحة سميت السنة لان الشمس تعوم في جميع بروجها **ثم بعثه**
الله اي ثم احياه واصله من بعثت الناقة اذا اقمتها من مكانها **قال كم لبثت** يعني قال له كم قدر الزمان
الذي مكثت فيه ميتا قبل ان ابعثك من مماتك حيا ويقال ان الله تعالى لما احياه بعث اليه ملكا فساله
كم لبثت **قال** يعني ذلك المبعوث بعد مماته **لبثت يوما** وذلك ان الله تعالى اماته ضحى في اول النهار واحيا
بعد مائة سنة في اخر النهار قبل ان تغيب الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غابت ثم التفت
فراى بقية من الشمس فقال **او بعض يوم قال** يعني قال الله وقيل قال الملك له **بل لبثت مائة عام فانظر**
الى طعامك يعني التين الذي كان معه قبل موته **وشرابك** يعني ذلك العصير **لم يتسنه** يعني لم تغيره السنون
التي اتت عليه فكان التين كانه قد قطف من ساعته والعصير كانه قد عصر من ساعته لم يتغير ولم ينتن **وانظر**
الى حمارك اي وانظر الى احيا حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض فركب الله تعالى العظام بعضها على بعض
ثم كساه اللحم والجلد واحياه وهو ينظر **ولنجعلك اية للناس** قيل الواو زائدة مقحمة وقيل دخول الواو
فيه دلالة على انها شرط لفعل بعدها والمعنى وفعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحيا لنجعلك اية للناس
اي عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله اكثر المفسرين وقيل انه عاد الى قريته وهو شاب اسود الراس
واللحية واولاده واولاد اولاده شيوخ وعجائز شمط فكان ذلك اية للناس **وانظر الى العظام كيف ننشرها**
قرئ بالراء ومعناه كيف نحييها يقال انشر الله الميت انشارا يعني احياه وقرئ بالزاي ومعناه كيف
نرفعها من الارض ونردها الى اماكنها من الجسد ونركب بعضها على بعض والنشاز الشي رفعه وازعاجه
يقال نشزته فنشز اي دفعته فارتفع واختلفوا في معنى الاية فقال الاكثرون انه اراد عظام الحمار وقيل
ان الله لما احيا الله عزيرا او ارميا على اختلاف المتولين فيه ثم قال له انظر الى حمارك قد هلك وبليت عظامه
فنظر وبعث الله ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل فاجتمعت فركب بعضها على بعض حتى الكرة
من العظم رجعت الى موضعها فصار حمارا من عظام ليس عليه لحم ولا فيه دم ثم كساه الله تلك العظام
اللحم والعروق والدم فصار حمارا ذا لحم ودم لا روح فيه ثم بعث الله ملكا فاقبل اليه يمشي حتى اخذ بمنخر
الحمار فنفخ فيه الروح فقام الحمار حيا باذن الله تعالى ثم نهق وقيل اراد بالعظام عظام هذا الرجل

نفسه

نفسه وذلك ان الله تعالى اماته ثم بعثه ولم يمت حماره ثم قيل له انظر الى حمارك فنظر وراى حماره حيا
قائما كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب مائة عام وينظر الى الرمة في عنقه جديدة ولم تتغير ثم قيل له انظر
الى العظام وذلك ان الله اول ما احيا منه عينيه فنظر فراى سائر جسده ميت وفي الاية تقديم
وتاخير تقديره وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف ننشزها ولنجعلك اية للناس وعن ابن عباس
رضي الله عنهما وغيره من المفسرين لما احيا الله عزيرا بعد ما اماته مائة سنة ركب حماره حتى اتى
محلته فانكره الناس وانكرهم وانكر منازله فانطلق على وهم حتى اتى منزله فاذا بعجوز عمياء مقعدة
قد اتى عليها مائة وعشرون سنة كانت امة له فلما خرج عزير عنهم كانت بنت عشرين سنة وكانت قد
عرفته وعقلته فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير فقالت نعم وبكت وقالت ما رايت احدا يذكر عزيرا
منذ كذا وكذا فقال انا عزير فقالت سبحان الله ان عزيرا فقدناه من مائة سنة ولم نسمع له بذكر فقال
انى عزير ان الله قد اماتني مائة سنة ثم احياني فقالت ان عزيرا كان رجلا مجاب الدعوة وكان يدعو للمريض
وصاحب البلايا بالعافية فادع الله ان يرد على بصري حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ثم مسح يده
على عينيها فصحتا واخذ بيدها وقال لها قومي باذن الله فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة فنظرت
اليه وقالت اشهد انك عزير وانطلقت الى بني اسرائيل وهم في انديتهم ومجالسهم وابن العزير ابن مائة
سنة وثماني عشر سنة وبنو ابنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انا فلانة
مولاتكم فدعا لي عزير ربه فرد على بصري واطلق رجلي وزعم ان الله كان قد اماته مائة سنة ثم بعثه
قال فنهض الناس اليه وقال ابنه كان لابي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فنظر
اليها فراها فعرف انه عزير وقيل لما رجع عزير الى قريته وقد احرق بخت نصر التوراة ولم يكن من الله
عهد بين الخلق بكى عزير على التوراة فاتاه ملك باناء فيه ما فسقاه من ذلك الما فمثلت التوراة
في صدره فرجع الى بني اسرائيل وقد علمه الله التوراة وبعثه نبيا فقال انا عزير فلم يصدقوه فقال
اني عزير قد بعثني الله اليكم لاجدد لكم توراتكم قالوا فاملها علينا فاملاها عليهم من ظهر قلبه فقالوا
ما جعل الله التوراة في قلب رجل بعد ما ذهبت الا انه ابنه فقالوا عزير ابن الله وسياتي القصة في
سورة التوبة ان شا الله تعالى وقوله عز وجل **فلما تبين له** يعني فلما اتضح له عيانا ما كان ينكره
من احيا القرية ورواه عيانا في نفسه **قال اعلم** قرئ مجزوما موصولا على الامر يعني قال الله
اعلم وقرئ اعلم على قطع الالف ورفع على الخبر عن الذي قال انى يحيي هذه الله والمعنى فلما تبين له
وراى ذلك عيانا قال اعلم ان الله على كل شئ قدير يعني الاماتة والاحيا قوله تعالى **واذ قال ابراهيم**
رب ارني كيف تحيي الموتى اختلفوا في سبب هذا السؤال من ابراهيم عليه السلام فقيل انه مر على
دابة ميتة وهي جيفة حمار وقيل بل كانت حوتا ميتة وقيل كان رجلا ميتا بساحل البحر وقيل بحر طبرية
فراها قد توزعها دواب البحر والبر فاذا مد البحر جاءت الحيتان فاكلت منها واذا جزر البحر جاءت
السباع فاكلت منها فاذا ذهبت السباع جاءت الطير فاكلت منها فلما راى ابراهيم ذلك تعجب
منها وقال يا رب قد علمت انك لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير واجواف دواب البحر فارني
كيف تحييها لاعاين ذلك فازداد يقينا فعاتبه الله تعالى **قال اولم تؤمن** يعني اولم تصدق **قال بلى**
يا رب قد علمت وامنت **ولكن ليطمئن قلبي** اي ليسكن قلبي عند المعاينة اراد ابراهيم ان يصير له علم
اليقين وعين اليقين لان الخبر ليس كالمعاينة وقيل لما راى الجيفة على البحر وتناولها السباع والطير

ودواب البحر تتفكر كيف يجتمع ما تفرق من تلك الجيفة وتطلعت نفسه الى مشاهدة ميت يحييه ربه
ولم يكن ابراهيم عليه السلام شاكا في احيا الله الموتى ولا دافعا له ولكنه احب ان يرى ذلك عيانا كما ان
المؤمنين يحبون ان يروا نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم ويحبون روية الله تعالى والجنة ويطلبونه
ويتمنونه في دعايهم مع الايمان بصحة ذلك وزوال الشك عنهم فكذلك ابراهيم احب ان يصير
الخبر له عيانا وقيل كان سبب هذا السوال من ابراهيم انه لما احتج على نمرود فقال ابراهيم ربي الذي
يحيي ويميت فقال نمرود انا احيي واميت فقتل احدى الرجلين واطلق الاخر فقال ابراهيم ان الله تعالى
يقصد الى جسد ميت فيحييه فقال نمرود انت عاينته فلم يقدر ابراهيم ان يقول نعم فانتقل الى حجة
اخرى ثم سال ابراهيم ربه ان يريه كيف يحيي الموتى قال اولم تومن قال بلى ولكن ليطمين قلبي بقوة
حجتي فاذا قيل انت عاينته فاقول نعم وقال سعيد بن جبير لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سال ملك
الموت ربه ان ياذن له فيبشر ابراهيم بذلك فاذن له فاتى ابراهيم ولم يكن في الدار فدخل داره
وكان ابراهيم من اغير الناس كان اذا خرج اغلق بابه فلما جا وجد في الدار رجلا فثار اليه لياخذه
وقال من اذن لك ان تدخل داري فقال اذن لي رب الدار فقال ابراهيم صدقت وعرف انه ملك
فقال له من انت فقال انا ملك الموت جيت ابشرك ان الله قد اتخذك خليلا فحمد الله عز وجل
وقال ما علامة ذلك فقال ان يجيب الله دعاك ويحيي الموتى بسوالك فحينيذ قال ابراهيم رب
ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تومن قال بلى ولكن ليطمين قلبي بانك اتخذتني خليلا وتجيبني
اذا دعوتك وتعطيني اذا سالتك وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال نحن احق بالشك من ابراهيم اذ قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تومن قال بلى ولكن ليطمين
قلبي ويرحم الله لوطا لقد كان ياوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لاجبت الداعي
القول على معنى الحديث وما يتعلق به اختلف العلما في قوله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك
من ابراهيم على اقوال كثيرة واحسنها واصحها ما نقل المزني وغيره من العلما ان الشك يستحيل في حق
ابراهيم فان الشك في احيا الموتى لو كان متطرقا الى الانبيا لكنت انا احق به من ابراهيم وقد علمتم اني
لم اشك فاعلموا ان ابراهيم لم يشك وانما خص ابراهيم بالذكر لكون الاية قد يسبق الى بعض الاذ
هان الفاسدة منها احتمال الشك فنفى ذلك عنه وقال الخطابي ليس في قوله نحن احق بالشك من ابراهيم
اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابراهيم لكن فيه نفي الشك عنهما يقول اذا لم اشك انا في قدرة الله تعالى
على احيا الموتى فابراهيم اولى بان لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس وكذلك
قوله لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لاجبت الداعي وفيه الاعلام بان المسالة من ابراهيم لم تعرض
من جهة الشك لكن من قبل زيادة العلم بالعيان يفيد من المعرفة والطمانينة ما لا يفيد بالاستدلال
وقيل لما نزلت هذه الاية قال قوم شك ابراهيم ولم يشك نبينا صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم ومعناه ان هذا الذي تظنونه شكا انا اولى به فانه
ليس بشك وانما هو طلب لمزيد اليقين وانما رجح ابراهيم على نفسه تواضعا منه وادبا صلى الله عليه
وسلم وقيل انه يعلم انه صلى الله عليه وسلم خير ولد ادم واما تفسير الاية فقوله تعالى واذ قال ابراهيم
اي واذكر يا محمد اذ قال ابراهيم وقيل انه معطوف على قوله الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه اذ قال
ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال يعني قال الله لابراهيم اولم تومن الالف في اولم الف اثبات وايجاب

كقول

كقول جرير ، الستم خير من ركب المطايا ، اي انتم كذلك والمعنى اولست قد امنت وصدقت باني احيي
الموتى قال بلى قد امنت وصدقت ولكن ليطمين قلبي يعني سالتك ذلك ارادة طمانينة القلب
وزيادة اليقين وقوة الحجة وقال ابن عباس معناه ولكن لارى من اياتك واعلم انك قد اجبتني
قال فخذ اربعة من الطير قيل اخذ طاووسا وديكا وحمامة وغرابا وقيل نسرا بدلا لحمامة فان
قلت لم خص الطير من جملة الحيوانات لهذه الحالة قلت لان الطير صفته الطيران في السما والارتفاع
في الهوى وكانت همة ابراهيم عليه السلام كذلك ونحو العلو في الوصول الى الملكوت فكانت معجزة
مشاكلة لهمته فان قلت لم خص هذه الاربعة اجناس من الطير بالامر قلت فيها اشارة ففي الطاووس
اشارة الى ما في الانسان من حب الزينة والجاه وفي النسر اشارة الى شدة الشغف بحب النكاح وفي الغراب
اشارة الى شدة الحرص فهذه الطيور مشابهة لما في الانسان من حب هذه الاوصاف وفيه اشارة
الى ان الانسان اذا ترك هذه الشهوات الذميمة لحق باعلا الدرجات في الجنة وفاز بنيل السعادة
فصرهن اليك قرئ بكسر الصاد ومعناه قطعهن ومزقهن وقرئ بضم الصاد ومعناه املهن اليك
ووجههن اليك وقيل اجمعهن واضممهن اليك فمن فسره بالامالة والضم قال فيه اضمار ومعناه فصرهن
اليك ثم قطعهن فحذف اكتفا بقوله **ثم اجعل على كل جبل منهن جزا** لانه يدل عليه قال المفسرون
امر الله تعالى ابراهيم صلى الله عليه وسلم ان يذبح تلك الطيور وينتف ريشها وان يخلط ريشها
ولحمها ودمها بعضه ببعض ففعل ثم امره ان يجعل على كل جبل منهن جزا واختلفوا في عدد الاجزا
والاجبال فقال ابن عباس امر ان يجعل كل طاير اربعة اجزا وان يجعلها على اربعة اجبل على كل جبل
ربعا من كل طاير فقيل جبل على جهة الشرق وجبل على جهة الغرب وجبل على جهة الشمال وجبل على
جهة الجنوب وقيل جزاه سبعة اجزا ووضعها على سبعة اجبل وامسك روسهم بيده ثم دعاهن فقال
تعالين باذن الله فجعل كل قطرة من دم طاير تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الريشة
الاخرى وكل عظم يطير الى العظم الاخر وكل بضعة تطير الى الاخرى وابراهيم ينظر حتى لقيت كل جثة
بعضها ببعض في السما بغير روس ثم اقبلن سعيا الى روسهن كلما جا طاير قال براسه فان كان راسه
دنا منه وان لم يكن تاخر عنه حتى التقى كل طاير براسه فذلك قوله تعالى **ثم ادعهن ياتينك سعيا**
وقيل المراد بالسعي الاسراع والعدو وقيل المشي والحكمة في سعي الطيور اليه دون الطيران لان ذلك
ابعد من الشبه لانه لو طارت لتوهم متوهم انها غير تلك الطير وان ارجلها غير سليمة فنفى الله
تعالى هذه الشبهة بقوله ياتينك سعيا وقيل المراد بالسعي الطيران وفيه ضعف لانه لا يقال
للطاير اذا طار سعى وقيل السعي هو الحركة الشديدة **واعلم ان الله عزيز حكيم** يعني انه تعالى
غالب على جميع الاشيا لا يعجزه شي حكيم يعني في جميع اموره قوله تعالى **مثل الذين ينفقون اموالهم**
في سبيل الله قيل اراد به الانفاق في الجهاد وقيل هو الانفاق في جميع ابواب الخير ووجوه البر فيدخل فيه
الواجب والتطوع وفيه اضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون اموالهم **كمثل حبة** اي كمثل
زارع حبة **انبتت** يعني اخرجت تلك الحبة **سبع سنابل** جمع سنبلة **في كل سنبلة مائة حبة** فان قلت
هل رايت سنبلة فيها مائة حبة حتى يضرب المثل قلت ذلك غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا فضرب
المثل به جايز وان لم يوجد فالمعنى في كل سنبلة مائة حبة ان جعل الله ذلك فيها وقيل هو موجود في
الدخن وقيل ان المقصود من الاية لانه اذا اعلم الانسان الطالب للزيادة والربح انه اذا بذر

حبة واحدة اخرجت لرسبعماية حبة ما كان ينبغي له ترك ذلك ولا التقصير فيه فكذلك ينبغي لمن
طلب الاجر عند الله في الاخرة ان لا يترك الانفاق في سبيل الله اذ اعلم انه يحصل له بالواحد عشرة
وماية وسبعماية **والله يضاعف لمن يشا** يعني انه تعالى يضاعف هذه المضاعفة لمن يشا وقيل
معناه يضاعف على هذا او يزيد لمن يشا من سبع الى سبعين الى سبعماية الى ما يشا من الاضعاف
مما لا يعلمه الا الله **والله واسع** اي غني يعطي لغني عن سعة وقيل واسع القدرة على المجازاة
وعلى الجود والافضال **عليم** يعني بنية من ينفق في سبيله وقيل عليم بمقادير الانفاق وانما يستحق
المنفق من الجزا والثواب عليه قوله عز وجل **الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله** قيل نزلت في
عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف اما عثمان فجهز المسلمين في غزوة تبوك بالف بعير باقتابها
واحلاسها فنزلت هذه الاية وقال عبد الرحمن بن سمرة جا عثمان بالف دينار في جيش العسرة
فصبها في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايته يدخل يده فيها ويقلبها ويقول ما ضر عثمان
ما عمل بعد اليوم فانزل الله تعالى الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله واما عبد الرحمن فجا باربعة
الاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كان عندي ثمانية الاف فامسكت
لنفسي ولعيالي اربعة الاف واربعة الاف اقرضتها لربي عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت والمعنى الذين يعينون المجاهدين في سبيل الله بالانفاق
عليهم في حوايجهم ومونتهم **ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى** اي يتبع نفقته الذي انفقها عليهم
بالمن والاذى والمن هو ان يمن عليه بعطايه فيقول قد اعطيتك كذا وكذا فيعدد نعمه عليه فيكدرها
عليه والاذى هو ان يعيره فيقول كم تسال وانت فقير ابدا وقد بليت بك اراحني الله منك واماثال
ذلك والمن في اللغة الانعام والمنة النعمة المثقلة يقال من فلان على فلان اذا اثقله بالنعمة
ويكون ذلك بالقول ايضا ومنه قول الشاعر
• فمن علينا بالسلام فانما • كلامك ياقوت ودر منظم •
ومن المن بالقول ما هو مستقبح بين الناس مثل ان يمن على الانسان بما اعطاه قال عبد الرحمن
ابن يزيد كان ابي يقول اذا اعطيت رجلا شيا ورايت ان سلامك يثقل عليه فلا تسلم عليه والعرب
تمدح بترك المن وكتم النعمة وتذم على اظهاره والمن به قال قايلهم في المدح بترك المن
زاد معروفك عندي عظما انه عندك مستور حقير تتناساه كانه لم تاته وهو في العالم مشهور كبير وقال قايلهم
يذم المنان بالعطا • اتيت قليلا ثم اسرعت منه • فمثلك ممنون كذاك قليل •
واما الاذى فهو ما يصل الى الانسان من ضرر بقول او فعل اذا عرفت هذا فيقول هو اظهار
المعروف الى الناس والمن عليهم به والاذى هو ان يشينك منهم بسبب ما اعطاهم فحرم الله تعالى
على عباده المن بالمعروف والاذى فيه وذم فاعله فان قلت قد وصف الله تعالى نفسه بالمنان فما
الفرق قلت المنان في صفة الله تعالى معناه المتفضل فمن الله افضال على عباده واحسان اليهم وتذكير
ما هم فيه منه سبحانه وتعالى ومن العباد تعيير وتكدير فظهر الفرق بينهما وقوله تعالى **لهم اجرهم
عند ربهم** يعني ثوابهم عند ربهم يعني في الاخرة **ولا خوف عليهم** يعني يوم القيمة **ولا هم يحزنون** يعني
على ما خلفوا من الدنيا **قول معروف** اي كلام حسن ورد جميل على الفقير السايل وقيل عدة حسنة
تو عده بها وقيل دعا صالح تدعو له بظهر الغيب **ومغفرة** اي تستر عليه خلته وفقده ولا تهتك ستره

وقيل

وقيل هو ان يتجاوز عن الفقير اذا استطال عليه حال رده **خير من صدقة** يعني هذا القول المعروف خير من
الصدقة التي تدفعها الى الفقير **يتبعها اذى** وهو ان يعطي الفقير الصدقة ويمن عليه بها بقول او يوذيه
بفعل **والله غني** اي مستغن عن صدقة العباد والغني الكامل الغني الذي لا يحتاج الى احد وليس كذلك الا
الله تعالى **حليم** يعني انه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة على من يمن على عباده ويوذي بصدقته قوله تعالى **يا ايها
الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم** يعني اجور صدقاتكم **بالمن والاذى** يعني على السايل الفقير وقال ابن
عباس بالمن على الله والاذى لصاحبها ثم ضرب الله لذلك مثلا فقال تعالى **كالذي** اي كابطال الذي
ينفق ماله رياء الناس اي مراياة لهم وسمعة ليروا نفقته ويقولوا انه سخي كريم **ولا يومن بالله واليوم
الاخر** يعني ان الريا يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الريا من افعال المومنين لكن من فعل المنافقين
لان الكافر معلن بكفره غير مراء به **فمثله** اي مثل المراي بصدقته وساير اعماله **كمثل صفوان** هو الحجر الاملس
الصلب وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا قال واحده صفوانة ومن جعله واحدا قال جمعه صفي **عليه تراب**
اي على ذلك الصفوان تراب **فاصابه وابل** يعني المطر الشديد العظيم القطر **فتركه صلدا** يعني
ترك المطر ذلك الصفوان صلدا املس لا شي عليه من ذلك التراب فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة
المنافق والمراي والمومن المنان بصدقته ويوذي الناس يرى الناس ان لهولا اعمالا في الظاهر كما يرى التراب
على هذا الصفوان فاذا جا المطر اذهبه وازاله وكذلك حال هولا يوم القيمة تبطل اعمالهم وتضمحل
لانها لم تكن لله تعالى كما اذهب الوابل على ما على الصفوان من التراب **لا يقدرون على شي مما كسبوا**
اي لا يقدرون على ثواب شي مما عملوا في الدنيا **والله لا يهدي القوم الكافرين** يعني الذين سبق في
علمه انهم يموتون على الكفر روى البغوي بسنده عن محمود بن لبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف
ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الريا يقول لهم يوم يجازي العباد
باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراوون لهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركا عن
الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه قوله عز وجل **ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغا
مرضات الله** اي طلب رضا الله **وتثبيتا من انفسهم** يعني على الانفاق في طاعة الله وتصديقا بثوابه
قيل معناه ان انفسهم موقنة مصدقة بوعد الله اياها فيما انفقت وقيل احتسابا وقيل تصديقا
والمعنى انهم يخرجون زكاة اموالهم وينفقون اموالهم في ساير وجوه البر والطاعات طيبة انفسهم بما انفقوا
على يقين بثواب الله وتصديق بوعده يعلمون ان ما انفقوا خير لهم مما تركوا وقيل معناه على يقين باخلاف
الله عليهم وقيل معناه يتثبتون في الموضع الذي يضعون فيه صدقاتهم قيل كان الرجل اذا هم بصدقة
تثبت فان كانت لله خالصة امضاها وان خالطت شكا او ريا امسك **كمثل جنة** اي بستان قال الفرا
اذا كان في البستان نخل فهو جنة وان كان فيه كرم فهو فردوس **بربوة** هي المكان المرتفع من الارض المستوي
ولان ما ارتفع من الارض عن مسيل الماء والاودية كان ثمرها احسن وازكى اذا كان لها من الماء ما يرويها
وقيل هي الارض المستوية الجيدة القلبية اذا اصابها المطر انتفخت وربت فاذا كانت الارض بهذه
الصفة كثر ريعها وحملت اشجارها **اصابها وابل** وهو المطر الكثير الشديد وقال بعضهم
• ما روضة من رياض الحسن معشبة • خضر اجاد عليها وابل هطل •
اي فاعطت ثمرها مثلين قيل انها حملت في سنة من الريع ما يحمله غيرها في سنتين وقيل اضعفت فحملت

في السنة مرتين **فان لم يصبها وابل فطل** اي طش وهو المطر الخفيف الضعيف والمعنى ان لم يكن اصابها وابل
واصابها طل فتلك هذه الجنة في تضاعف ثمرها فانها لا تنقص بالمطر عن مقدار ثمرها بالوابل هذا مثل
ضربه الله تعالى لعمل المومن المخلص في النفقة وساير اعماله يقول الله تعالى كما ان هذه الجنة تربح وتزكوا
في كل حال ولا تخلف سوا كان المطر قليلا او كثيرا فكذلك يضعف الله صدقة المومن المخلص في صدقته
والنفقة الذي لا يمن ولا يوذى سوا قلت نفقته او كثرت **والله بما تعملون بصير** يعني انه تعالى لا يخفى
عليه نفقة المخلص في صدقته الذي لا يمن بها ولا يوذى والذي يمن بصدقته ويوذى قوله تعالى **ايود
احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب** هذه متصلة بما قبلها وهو قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى ايود يعني ايحب احدكم ان تكون له جنة بستان من نخيل واعناب انما خصهما بالذكر لانه
اشرف الفواكه واحسنها فيهما من الغذاء والتفكه **تجري من تحتها الانهار** يعني انجري الانهار فيهما من تمام
حسنها وسببا لزيادة ثمرتها **له فيها من كل الثمرات** لان ذلك من تمام كمال البستان وحسنه **واصابه
الكبر** يعني لصاحب هذه الجنة وكثرت جهات حاجاته ولم يكن له كسب غيرها فحينئذ يكون في غاية الاحتياج
الى تلك الجنة فان قلت كيف عطف واصابه الكبر على ايود وكيف يجوز عطف الماضي على المستقبل قلت
فيه وجهان احدهما ان تكون له جنة حال ما اصابه الكبر والوجه الثاني انه عطف على المعنى فكانه قيل
ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر **وله ذرية ضعفا** يعني له اولاد اصغار عجزة عن الحركة لسبب
اضعف والصغر **فاصابها** يعني اصاب تلك الجنة **اعصار فيه نار فاحترقت** الاعصار ريح ترتفع
الى السما وتستدير كانها عمود وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المنافق والمرائي يقول مثل عمل المنافق
والمرائي بعمله في حسنه كحسن جنة ينتفع بها صاحبها فلما كبر وضعف وصار له اولاد ضعاف اصاب جنته
اعصار فيه نار فاحرقتها وهو احوج ما يكون اليها فحصل في قلبه من الغم والحسرة ما لا يعلمه الا الله لكبره
وضعفه واولاده فهو لا يجد ما يعود به على اولاده وهم لا يجدون ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين
عجزة لا حيلة بايديهم فكذلك حال من اتى يوم القيمة باعمال حسنة ولم يقصد بها وجه الله تعالى وهو
في غاية الحاجة اليها حين لا يستعتب له ولا توبة وقال عبيدة بن عمير قال عمر يوما لاصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم فيمن ترون نزلت هذه الاية ايود احدكم قالوا الله اعلم فغضب عمر وقال قولوا نعلم او لا نعلم
فقال ابن عباس في نفسي منها شي يا امير المومنين فقال عمر قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك فقال ضرب الله
مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل بطاعة الله تعالى ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي
حتى احرق اعماله كلها **كذلك يبين الله لكم الايات** يعني كما بين لكم الله تعالى امر النفقة المقبولة
وغير المقبولة كذلك يبين الله لكم الايات سوى ذلك **لعلكم تتفكرون** اي فتتعظون وقال ابن عباس
لعلكم تتفكرون يعني في زوال الدنيا واقبال الاخرة قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات
ما كسبتم** اي من خيار ما كسبتم وجيده وقيل من حلالات ما كسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دليل على
اباحة الكسب وانه ينقسم الى طيب وخبيث عن خولة الانصارية قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان هذا المال خضر حلو من اصابه بحقه بورك له فيه ورب متخوض فيما شاءت نفسه
من مال الله ورسوله ليس له يوم القيمة الا النار اخرجه الترمذي المتخوض الذي ياخذ المال من غير وجهه
كما يخوض الانسان في الما يمينا وشمالا ح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ياتي على الانسان زمن لا يبالي المرء ما اخذ منه امن حلال ام من حرام خ عن المقدام ان رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم قال ما اكل احد طعاما قط خيرا من ان ياكل من عمل يده وان نبي الله داود
كان ياكل من عمل يده عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اطيب ما
اكلتم من كسبكم اخرجه الترمذي والنساي واختلفوا في المراد بقوله تعالى انفقوا فقيل المراد به الزكاة
المفروضة لان الامر للوجوب والزكاة واجبة فوجب صرف الاية اليها وقيل المراد به صدقة التطوع
وقيل انه يتناول الفرض والنفل جميعا لان المفهوم من هذا الامر ترجيح جانب الفعل على الترك
وهذا المفهوم قدر مشترك بين الفرض والنفل فوجب ان يدخل تحت هذا الامر فعلى القول الاول
المراد من هذا الانفاق هو الزكاة فيتفرع عليه مسايل **المسيلة الاولى** ظاهر الاية يدل على
وجوب الزكاة في كل مال يكتسبه الانسان فيدخل فيه زكاة الذهب والفضة والنعم وعروض التجارة
لان ذلك يوصف بانه مكسب وذهب جمهور العلما الى وجوب الزكاة في مال التجارة وقال داود الظاهري
لا تجب الزكاة بحكم التجارة في العروض الا ان ينوى به التجارة في حال تملكه ودليل الجمهور ما روي عن سمرة
ابن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنا باخراج الصدقة من الذي يعد للبيع اخرجه
ابو داود عن ابي عمرو بن حماس ان اباه قال مررت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى عنقي ادمة احملها
فقال عمر الا تودى زكاتك يا حماس فقلت ما لي غير هذا واهب في القرض قال ذاك مال فضع فوضعتها
فحسبها فاخذ منها الزكاة فاذا حال الحول على عروض التجارة قوم فان بلغ قيمته عشرون دينارا
او مايتا درهم اخرج منه ربع العشر المسيلة الثانية في قوله **ومما اخرجنا لكم من الارض** وظاهر الاية
يدل على وجوب الزكاة في كل ما خرج من الارض من النبات مما يزرع الادميون لكن جمهور العلما خصصوا
هذا العموم فاوجبوا الزكاة في النخيل والكروم وفيما يقتات ويدخر من الحبوب واوجب ابو حنيفة
الزكاة في كل ما يقصد من نبات الارض كالفواكه والبقول والخضراوات كالبطيخ والقثا والخيار ونحو
ذلك دليل الجمهور ما روي عن معاذ انه كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم يساله عن الخضراوات وهي
البقول فقال ليس فيها شي اخرجه الترمذي وقال هذا الحديث ليس بصحيح وليس يصح عن النبي
صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شي وانما يروى هذا عن موسى بن طلحة عن النبي صلى الله عليه وسلم
مرسلا والعمل على هذا عند اهل العلم انه ليس في الخضراوات صدقة قلت وحديث موسى بن طلحة اخرجه
الشيخ مجد الدين ابو البركات عبد السلام ابن عبد الله بن تيمية الحراني في احكامه عن عطاء بن السايب
قال اراد عبد الله بن المغيرة ان ياخذ من ارض موسى بن طلحة من الخضراوات صدقة فقال له موسى بن
طلحة ليس لك ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ليس في ذلك صدقة رواه الاثرم في
سننه وهو اقوى المراسيل لاحتجاج من ارسله به وقال الزهري والاوزاعي ومالك تجب الزكاة في الزيتون
وتجب الزكاة في الثمار عند بدو الصلاح وهو ان يحمر البسر او يصفر ووقت الاخراج بعد الاجتناء والجفاف
وفي الحبوب عند الاشتداد ووقت الاخراج بعد الدراس والتصفية المسيلة الثالثة يجب
اخراج العشر فيما سقي بالمطر والانهار والعيون ونصف العشر فيما سقي بنضح او سانية ويدل
على ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما سقت السما والعيون
او كان عثريا العشر وما سقي بالنضح نصف العشر اخرجه البخاري ولابي داود والنساي قال فيما
سقت السما والانهار والعيون او كان بعلا العشر وما سقي بالسواني والنضح نصف العشر وقال ابو
داود البعل ما شرب بعروقه ولم يتعن في سقيه وقال وكيع هو الذي ينبت من ما السما قوله او كان

عشريا اراد به العدى من الزرع وبنو البعل وقد فسره في لفظ الحديث والنضح سو الاستقا وكذلك السانية
وهي الدابة التي يستقى عليها سوا كانت من الابل او البقر ولا يجب العشر في الثمار والمزروع حتى تبلغ خمسة
اوسق والوسق ستون صاعا وقال ابو حنيفة يجب العشر في كل قليل او كثير من الثمار والمزروع واحتج
الجمهور في ايجاب النصاب بما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال ليس فيما دون خمسة اوسق من تمر او حب صدقة اخرجاه في الصحيحين ومن قال ان المراد بقوله
انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض صدقة التطوع احتج بما روي عن انس بن
مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يغرس غرسا او يزرع زرعا فياكل منه طير
او انسان او بهيمة الا كان له به صدقة اخرجاه في الصحيحين قوله تعالى **ولا تيمموا الخبيث**
اي ولا تقصدوا الخبيث يعني الردي من اموالكم **منه تنفقون** اي من الخبيث عن البرا بن عازب رضي
الله عنه في قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال نزلت فينا معشر الانصار كنا اصحاب نخل فكان
الرجل ياتي من نخله على قدر كثرته وقلته وكان الرجل ياتي بالقنو والقنوين فيعلقه في المسجد وكان
اهل الصفة ليس لهم طعام فكان احدهم اذا جاع اتى القنو فضربه بعصاه فسقط البسر والتمر
فياكل فكان ناس من الانصار ممن لا يرغب في الخير ياتي بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد انكسر
فيعلقه فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا
الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه قال لو ان احدكم اهدي اليه مثل ما اعطى لم
ياخذه الا على اغماض وحيا قال فكنا بعد ذلك ياتي احدنا بصالح ما عنده اخرجه الترمذي وقال
هذا حديث حسن صحيح غريب وقيل كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة اموالهم ويعزلون الجيد
لانفسهم فانزل الله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون يعني الردي منه تنفقون يعني تتصدقون **ولستم
باخذيه** يعني ذلك الشي الخبيث الردي **الا ان تغمضوا فيه** الاغماض في اللغة غمض البصر واطباق
الجفن والمراد به هنا التجويز والمساهلة وذلك ان الانسان اذا راى ما يكره اغمض عينيه لئلا يرى
ذلك قال ابن عباس معناه لو ان لاحدكم على رجل حق فجاءه بهذا لم ياخذه الا وهو يرى انه قد اغمض عن
حقه وتركه وقال البرا لو اهدى ذلك لكم ما اخذتموه الا على استحيا من صاحبه وغيظ فكيف ترضون
لي ما لا ترضون لانفسكم اذا كان المال كله جيد فليس له اعطا الردي لان اهل السهمان شركاؤه فيما
عنده وان كان كله رديا فلا باس باعطا الردي **واعلموا ان الله غني** يعني عن صدقاتكم لم يامركم بالتصدق
لعوز واحتياج اليها **حميد** اي محمود في افعاله وقيل حميد بمعنى حامد اي لجركم على ما تفعلونه من الخير
قوله عز وجل **الشيطان يعدكم الفقر** اي يخوفكم بالفقر يقال في الخير وعدته وفي الشر اوعدته والفقر سو
الحال وقلة ذات اليد واصله من كسر فقار الظهر ومعنى الاية ان الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول
للرجل امسك عليك مالك فانك اذا تصدقت افتقرت **ويامركم بالفحشا** يعني يوسوس لكم ويحسن
لكم البخل ومنع الزكاة والصدقة قال الكلبي كل فحشا في القران فهي الزنا الا هذا الموضع وفي هذه
الاية لطيفة وهي ان الشيطان يخوف الرجل اولا بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف الى ان يامره بالفحشا
وهو البخل وذلك لان البخل صفة مذمومة عند كل احد فلا يستطيع الشيطان ان يحسن له البخل
الا بتلك المقدمة وهو التخويف من الفقر فلهذا قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشا
والله يعدكم مغفرة منه يعني مغفرة لذنوبكم **وفضلا** يعني رزقا وخلفا فالمغفرة اشارة الى منافع الاخرة

والفضل اشارة الى منافع الدنيا وما يحصل من الرزق والخلف عن ابن مسعود رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة فاما لمة الشيطان
فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم
انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرا الشيطان
يعدكم الفقر ويامركم بالفحشا اخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب قوله ان للشيطان
لمة بابن ادم اللمة الخطرة الواحدة من الالمام وهو القرب من الشي والمراد بهذه اللمة التي تقع
في القلب من فعل خير او شر والعزم فاما لمة الشيطان فوسوسة واما لمة الملك فالهام من الله
تعالى **والله واسع** اي غني قادر على اعطائكم والاخلاف مما تنفقونه **عليم** بما تنفقونه لا يخفى عليه
خافية ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى انفق
ينفق عليك وفي رواية يد الله ملاى لا يغيضها نفقة سحا الليل والنهار ارايتم ما انفق منذ
خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في يده وفي رواية فانه لم ينقص ما في يمينه وكان عرشه على
الما وبيده الميزان يخفض ويرفع وبيده الاخرى القبض والبسط يرفع ويخفض ق عن اسما بنت ابي
بكر الصديق رضي الله عنهما قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انفقي ولا تحصي فيحصي
عليك ولا توعي فيوعي الله عليك قوله ولا توعي اي لا تشحي فيشح عليك اي فيجازيك بالتقتير في رزقك
ولا تخلي عليك ولا بايارك والمعنى ولا تجمعي وتمنعي بل العفي ولا تبري ولا تشحي قوله تعالى **يوتي الحكمة
من يشا** قال ابن عباس يعني علم القران ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله
وحرامه وقال الضحاك القران والفهم فيه وانما قال ذلك لان في القران الحكمة وقال في القران
ماية وتسع ايات ناسخة ومنسوخة والف اية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركهن حتى يتعلموهن ولا
يكونوا كاهل النهروان يعني الخوارج تاولوا ايات من القران في اهل القبلة وانما نزلت في اهل الكتاب
جهلوا علمها فسفكوا بها الدما وانتهبوا الاموال وشهدوا على اهل السنة بالضلالة فعليكم بعلم
القران فانه من علم فيم نزل لم يختلف في شي منه وقيل يعني الفهم في القران وقيل الاصابة في القول
والفعل وحاصل هذه الاقوال الى شيئين العلم والاصابة فيه ومعرفة الاشيا بذواتها واصل الحكمة
المنع ومنه حكمة الدابة لانها تمنعها قال الشاعر ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اي امنعوا سفهاءكم
وقال السدي الحكمة النبوة لان النبي يحكم بين الناس فهو حاكم وقيل الحكمة الورع في دين الله والورع يمنع
صاحبه من ان يقع في الحرام وما لا يجوز له فعله **ومن يوت الحكمة** يعني ومن يوته الله الحكمة **فقد اوتي خيرا
كثيرا** التنكير تعظيم معناه فقد اوتي خيرا كثيرا **وما يذكر الا اولو الالباب** اي وما يتعظ بما وعظ الله الا
ذوو العقول الذين عقلوا عن الله امره ونهيه قوله عز وجل **وما انفقتم من نفقة** يعني فيما افترضه
الله عليكم من اعطا زكاة وغيرها **او نذرتم من نذر** يعني ما اوجبتموه على انفسكم في طاعة الله تعالى
فوفيتم به والنذر ما يوجبه الانسان على نفسه شيا ليس بواجب يقال نذرت لله نذرا واصل النذر الخوف
لان الانسان انما يعقده على نفسه خوف التقصير في الامر المهم والنذر في الشرع على ضربين مفسر
وغير مفسر فالمفسر ان يقول لله علي صوم او حج او عتق او صدقة فيلزمه الوفا به فلا يجزيه غيره وغير
المفسر ان يقول نذرت لله ان افعل كذا ثم لم يفعله او يقول لله علي نذر من غير تسمية شي فيلزمه كفارة
يمين خ عن عايشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر ان يطيع

الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصيه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من نذر نذرا لم يسمه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا في معصية فكفارته كفارة يمين
ومن نذر نذرا لا يطيقه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا اطاقه فليف به اخرجه ابو داود وعن
عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذر في معصية ولا فيما لا يملك ابن ادم
اخرجه النساى ق عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال
انه لا ياتي بخير وانما يستخرج به من البخيل م عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان النذر لا يقرب من ابن ادم شيا لم يكن الله قدره له ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من
البخيل شيا لم يكن البخيل يريد ان يخرج قال بعض العلما يحتمل ان يكون سبب النهي عن النذر كون
الناذر يصير ملتزما له فياتي به متكلفا بغير نشاط او يكون سببه كونه ياتي به على سبيل
المعاوضة عن الامر الذي طلبه فينقص اجره وشان العبادة ان تكون متمحضة لله تعالى قال
بعضهم يحتمل ان يكون النهي لكونه قد يظن بعض الجهلة ان يرد القدر او يمنع من حصول المقدور فنهى
عنه خوفا من اعتقاد ذلك وسياق الحديث يوكد هذا وقوله في بعض روايات الحديث انه لم ياتي
بخير فمعناه لا يرد شيا من القدر وقوله فيخرج ذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد ان يخرج معناه انه
لا ياتي بهذا القربة تطوعا محضا مبتدا وانما ياتي بها في مقابلة شي يريده كقوله ان شفى مريضي فعلي
كذا وكذا ونحو ذلك مما حصل منه بالنذر والله اعلم قوله تعالى **فان الله يعلمه** اي يعلم ما انفقتم ونذرتم
فيجازيكم به وانما قال يعلمه ولم يقل يعلمهما لانه رد الضمير على الاخر منهما فهو كقوله ومن يكسب خطيئة
او اثما ثم يرم به بريا وقيل ان الكناية عادت على ما في قوله وما انفقتم لانها اسم فهو كقوله وما انزل
عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ولم يقل بهما **وما للظالمين** يعني الواضعين الصدقة في غير موضعها
وقيل الذين يريدون بصدقاتهم الريا والسمعة وقيل هم الذين يتصدقون بالمال الحرام **من انصار**
اي اعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى فيه وعيد عظيم لكل ظالم قوله تعالى **ان تبدوا الصدقات**
اي تظهروا الصدقات والصدقة ما يخرجه الانسان من ماله على وجه القربة فيدخل فيه الزكاة الواجبة
وصدقة التطوع **فنعما هي** اي فنعمت الخصلة هي وقيل معناه فنعم الشي هي وقيل معناه فنعم شي ابدا
الصدقات **وان تخفوها** اي تسروا الصدقة **وتوتوها الفقرا** اي وتعطوها الفقرا في السر **فهو
خير لكم** يعني اخفا الصدقة افضل من العلانية وكل مقبول اذا كانت النية صادقة واختلفوا في
المراد بالصدقة المذكورة في الاية فقال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع واتفق العلما على ان
كتمان صدقة التطوع افضل واخفاوها خير من اظهارها لان ذلك ابعد من الريا واقرب الى الاخلاص
ولان فيه بعدا عما تورثه النفس من اظهار الصدقة وفي صدقة السر ايضا فايدة ترجع الى الفقير
الاخذ وهي انه اذا اعطي في السر زال عنه الذل واذا اعطي في العلانية يحصل له الذل والانكسار ويدل
على ان صدقة السر افضل ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشا في عبادة الله ورجل
قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وافترقا
عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امراة ذات منصب وجمال فقال اني
اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه اخرجاه في الصحيحين

ووجه

ووجه جواز اظهار الصدقة يكون ذلك ممن قد امن على نفسه من مداخلة الريا في عمله او يكون
ممن يقتدى به في افعاله فاذا اظهر الصدقة تابعه غيره على ذلك واما الزكاة فاظهار اخراجها
افضل من كتمانها كالصلاة المكتوبة في الجماعة افضل وصلاة التطوع في البيت افضل ولان
في اظهار الزكاة نفي التهمة عن المزكي وقيل ان الاية واردة في زكاة الفرض وكان اخفاوها خيرا على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا لا يظنون باحد انه يمنع الزكاة فاما اليوم في زماننا
فاظهار الزكاة افضل حتى لا يسا الظن به وقيل ان الاية عامة في جميع الصدقات الواجبة
والتطوع والاخفا افضل في كل صدقة من زكاة وغيرها قوله تعالى **ويكفر عنكم من سياتكم** قيل
ان من صلة زايدة تقديره ويكفر عنكم قال ابن عباس جميع سياتكم وقيل ادخل من للتبعيض ليكون
العباد وجلين ولا يتكلوا والمعنى ونكفر عنكم الصغاير من سياتكم واصل التكفير في اللغة التغطية
والستر **والله بما تعملون خبير** يعني من اظهار الصدقات واخفايها قوله تعالى **ليس عليك هداهم**
قيل سبب نزول هذه الاية ان ناسا من المسلمين كان لهم قرابات واصهار في اليهود وكانوا ينفعونهم
وينفقون عليهم قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وارادوا بذلك ان يسلموا وقيل كانوا
يتصدقون على فقرا اهل المدينة فلما كثر المسلمون نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق
على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام لحرصه صلى الله عليه وسلم على اسلامهم فنزل
ليس عليك هداهم ومعناه ليس عليك هداية من خالفك حتى يمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا في
الاسلام فحينيذ تتصدق عليهم فاعلمه الله انه انما بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه فاما
كونهم مهتدين فليس ذلك اليك **ولكن الله يهدي من يشا** يعني ان الله تعالى يوفق من يشا فيهديه
الى الاسلام واراد بالهداية هنا هداية التوفيق واما هداية البيان والدعوة فكانت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الاية اعطوهم وتصدقوا عليهم **وما تنفقوا من خير** اي من مال
فلانفسكم اي تفعلونه لانفسكم تنتفعون به **وما تنفقون الا ابتغا وجه الله** ظاهره خبر ومعناه نهي اي
ولا تنفقوا الا ابتغا وجه الله وقال الزجاج هذا خاص للمومنين اعلمهم الله انه قد علم مرادهم بنفقتهم
ما عنده وقيل معناه ولستم في صدقتكم على اقاربكم من المشركين تقصدون الا وجه الله وقد علم الله
هذا من قلوبكم فانفقوا عليهم اذا كنتم تبتغون بذلك وجه الله في صلة الرحم وسد خلة المضطر قال
بعض العلما لو انفقت على شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واجمع العلما على انه لا يجوز صرف الزكاة
الا الى المسلمين وهم اهل السهمان المذكورون في سورة التوبة وجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر
الى اهل الذمة وخالفه سايرا العلما في ذلك فعلى هذا تكون الاية مختصة بصدقة التطوع اباح
الله تعالى ان تصرف الى فقرا المسلمين وفقرا اهل الذمة فاما زكاة الفرض فلا يجوز صرفها الى اهل
الذمة بحال **وما تنفقوا من خير يوف اليكم** اي يوفر لكم جزاوه وقال ابن عباس يجازيكم به يوم القيمة
ومعناه يودي اليكم يوم القيمة ولهذا احسن ادخال الى مع التوفية لانها تضمنت معنى التادية **وانتم
لا تظلمون** اي لا تنقصون شيا من ثواب اعمالكم قوله عز وجل **للفقرا الذين احصروا** اختلفوا في موضع
اللام في قوله للفقرا فقيل هو مردود على موضع اللام من قوله فلانفسكم كانه قال وما تنفقوا من خير فللفقرا
وانما تنفقون لانفسكم وقيل معناه الصدقات التي سبق ذكرها للفقرا وقيل خبره محذوف تقديره
للفقرا الذين من صفتهم كذا وكذا حق واجب وهم فقرا المهاجرين كانوا نحوا من اربعماية رجل لم يكن لهم

بالمدينة مساكن ولا عشاير وكانوا يأوون الى صفة في المسجد يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى
بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم اصحاب الصفة فحث الله
تعالى الناس على مواساتهم فكان من عنده فضل اتاهم به اذا امسى وقوله الذين احصروا في سبيل الله
يعني الذين حبسوا انفسهم على الجهاد في سبيل الله وقيل حبسوا انفسهم على طاعة الله لا يستطيعون
ضربا في الارض يعني لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش والكسب وهم اهل الصفة الذين تقدم ذكرهم
وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله وقيل هم قوم اصابتهم جراحات في الجهاد مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فصاروا زمنى حصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله يحسبهم الجاهل
اغنياء من التعفف اي يظن من لا يختبر حالهم انهم اغنياء من التعفف وهو تفعل من العفة وهي ترك الشيء
والكف عنه يقال تعفف اذا ترك السؤال ولزم القناعة والمعنى يظنهم من لم يعرف حالهم اغنياء لاظهارهم
التجمل وتركهم المسالة تعرفهم بسيماهم السيما والسيمياء والسمة العلامة التي يعرف بها الشيء واختلفوا
في معناها هنا فقيل هي الخشوع والتواضع وقيل هي اثر الجهد من الحاجة والفقر وقيل صفرة الوانهم من
الجوع ورثاثة ثيابهم من الضر لا يسالون الناس الحافا يعني الحاحا قيل اذا كان عنده غدا لا يسال عشا
واذا كان عنده عشا لا يسال غدا وقيل لا يسالون الناس اصلا لانه قال يحسبهم الجاهل اغنياء من
التعفف ومن ترك المسالة فقد علم بذلك انهم لا يسالون البتة ولانه قال تعرفهم بسيماهم ولو كانت
المسالة من شانهم لما كانت الى معرفتهم بالعلامة حاجة فمعنى الاية ليس يصدر منهم سؤال حتى يقع فيه
الحاف فهم لا يسالون الناس الحافا ولا غير الحاف ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس ق عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي
لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسال الناس لفظ البخاري خ عن الزبير
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان ياخذ احدكم احبله ثم ياتي الجبل فياتي
بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خير له من ان يسال الناس اعطوه او منعوه عن ابن مسعود رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال الناس وله ما يغنيه جا يوم القيمة ومسالته
في وجهه خموش او خدوش او كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب
اخرجه ابو داود والترمذي والنساي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من سال وله قيمة اوقية فقد الحف اخرجه ابو داود وقال زاد هشام في حديثه
وكانت الاوقية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال وله اربعون درهما فهو ملحف
اخرجه النساي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال الناس
تكثرا فانما يسال جمرا فليستقل او ليستكثر قوله تعالى وما تنفقوا من خير فان الله به عليم يعني انه
تعالى يعلم مقادير الانفاق ويجازي عليه ففيه حث على الصدقة والانفاق في الطاعة قوله تعالى
الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية قال ابن عباس في رواية عنه نزلت هذه
الاية في علي بن ابي طالب رضي الله عنه كانت عنده اربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم
ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وفي رواية عنه قال لما نزل للفقرا الذين احصروا في
سبيل الله بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة الى اهل الصفة وبعث علي بن ابي طالب في الليل

بوسق

بوسق من تمر فانزل الله تعالى فيهما الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار يعني بنفقة الليل نفقة
علي وبالنهار نفقة عبد الرحمن وفي الاية اشارة الى ان صدقة السر افضل من صدقة العلانية
لانه تعالى قدم نفقة الليل على نفقة النهار وقدم نفقة السر على العلانية وقيل نزلت الاية في
الذين يربطون الخيل للجهاد في سبيل الله لانهم ينفقون عليها بالليل والنهار والسر والعلانية خ عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتبس فرسا في سبيل الله
ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيمة يعني
حسنات وقيل ان الاية عامة في الذين ينفقون اموالهم في جميع الاوقات ويعمون بها اصحاب
الحاجات والفاقات فلهم اجرهم عند ربهم اي جزاء اعمالهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعني في
الاخرة قوله عز وجل الذين ياكلون الربا اي يعاملون به وانما خص الاكل لانه معظم الامر المقصود
من المال لان المال لا يؤكل انما يصرف في الماكول ثم يؤكل فمنع الله التصرف في الربا بما ذكر فيه من الوعيد
م عن جابر رضي الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه
وقال هم سواء واصل الربا في اللغة الزيادة يقال ربا الشيء يربو اذا زاد وكثر فالربا زيادة في
المال لا يقومون يعني من قبورهم يوم القيمة الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان اي يصرعه واصل
الخبط الضرب والوطء وهو ضرب على غير استوا يقال ناقة خبوط اي تضرب الارض بقوائمها وتطا
الناس باخفافها ومنه قولهم يخبط الرجل الذي يتصرف في الامور على غير اهتدا وتخبطه الشيطان
اذا مسه بخبل وجنون من المس يعني من الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس اذا كان مجنونا ومعنى
الاية ان آكل الربا يبعث يوم القيمة مثل المصروع الذي لا يستطيع الحركة الصحيحة لان الربا
في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الاسراع قال سعيد بن جبير تلك علامة آكل الربا اذا استحله
يوم القيمة وروى البغوي بسند الثعلبي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في قصة الاسرا فانطلق بي جبريل الى رجال كثير كل رجل بطنه مثل البيت الضخم منضدين
على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا فيقبلون مثل الابل المنهومة يخبطون
الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون فاذا احس بهم اصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم
فيصرعون ثم يقوم احدهم فتميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون ان يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون
فيردونهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والاخرة قال وآل فرعون يقولون
اللهم لا تقم الساعة ابدا قال ويوم القيمة يقال ادخلوا آل فرعون اشد العذاب قلت يا جبريل
من هؤلا قال هؤلا الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قوله
بطنه مثل البيت الضخم اي العظيم الكبير الغليظ وقوله منضدين اي موضوعين بعضهم على
بعض والسابلة الطريق وقوله مثل الابل المنهومة النهم بالتحريك افراط في الشهوة في الطعام
من الجوع قوله تعالى ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا اي ذلك الذي نزل بهم من العذاب
بقولهم هذا واستحلالهم اياه وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا حل ماله على غريمه فطالبه
به فيقول الغريم لصاحب الحق زدني في الاجل حتى ازيدك في الربح فيفعلان ذلك وكانوا يقولون
سوا علينا الزيادة في اول البيع في الربح او عند المحل لاجل التاخير فكذبهم الله تعالى ورد عليهم
ذلك بقوله واحل الله البيع وحرم الربا يعني واحل الله الارباح في التجارة بالبيع والشرا

وحرم الربا الذي هو زيادة في المال لاجل تاخير الاجل وذلك لان الله تعالى خلق الخلق فهم عبيده وهو
مالكهم يحكم فيهم ما يشاء ويستعبدهم بما يريد ليس لاحد ان يتعرض عليه في شيء مما احل وحرم وانما على
كافة الخلق الطاعة والتسليم لحكمه وامره ونهيه وذكر بعض العلماء الفرق بين البيع والربا فقال
اذا باع ثوبا يساوي عشرة بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلا للعشرين فلما حصل التراضي على
هذا التقابل صار كل واحد منهما مقابلا للاخر في المالية عندهما فلم يكن اخذ من صاحبه شيئا بغير
عوض اما اذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد اخذ العشرة الزائدة بغير عوض ولا يمكن ان يقال
ان العوض هو الامهال في مدة الاجل لان الامهال ليس مالا او سببا يشار اليه حتى يجعله عوضا عن
العشرة الزائدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين **فصل** في حكم الربا وفيه مسائل
المسئلة الاولى ذكروا في تحريم الربا وجوها احدها ان الربا يقتضي اخذ مال الغير بغير عوض لان
من يبيع درهما بدرهمين نقدا كان او نسيئة فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام
الوجه الثاني انما حرم عقد الربا لانه يمنع الناس عن الاشتغال بالتجارة لان صاحب الدراهم اذا
تمكن من عقد الربا خف عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة فيفضي ذلك الى انقطاع منافع
الناس وطلب الارباح الوجه الثالث ان الربا هو السبب لانقطاع المعروف بين الناس من القرض
فلما حرم الربا طابت النفوس بقرض الدراهم للمحتاج واسترجاع مثله لطلب الاجر من الله تعالى
الوجه الرابع ان تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يجب ان يكون حكم جميع التكاليف معلومة للخلق فوجب
القطع بتحريم الربا وان كنا لا نعلم وجه الحكمة في ذلك المسئلة الثانية اعلم ان الربا في اللغة هو
الزيادة وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام فطلب ان الزيادة المحرمة هو الربا وهو على
صفة مخصوصة في مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالورق ربا الا هاء وهاء والبر بالبر ربا الا هاء وهاء
والشعير بالشعير ربا الا هاء وهاء والتمر بالتمر الا هاء وهاء وفي رواية الورق بالورق ربا الا هاء وهاء والذ[هب]
بالذهب ربا الا هاء وهاء م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب
بالذهب وزنا بوزن مثلا بمثل والفضة بالفضة وزنا بوزن مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد او استزاد
فقد اربى الا ما اختلفت الوانه م عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا
بمثل سواء بيد فاذا اختلفت هذه الاوصاف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد فنص رسول الله
صلى الله عليه وسلم على جريان الربا في هذه الستة الاشياء وهي النقدين واربعة اصناف من المطعومات
وهي البر والشعير والتمر والملح فذهب عامة اهل العلم الى ان حكم الربا ثبت في هذه الاشياء لاوصاف
فيها فيتعدى الى كل ما يوجد تلك الاوصاف فيه ثم اختلفوا في تلك الاوصاف فذهب قوم الى ان المعنى
في جميعها هو واحد وهو النفع فاثبتوا الربا في جميع الاموال وذهب الاكثرون الى ان الربا ثبت في
الدراهم والدنانير بوصف النقدية وذهب اصحاب الراي الى انه ثبت بعلة الوزن فاثبتوا الربا
في جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحو ذلك واما الاربعة الاشياء المطعومة فذهب
اصحاب الراي الى ان الربا ثبت فيها بعلة الوزن والكيل فاثبتوا الربا في جميع المكيلات والموزونات
مطعوما او غير مطعوم كالجص والنورة ونحوهما وذهب جماعة الى ان العلة فيها الطعم مع الكيل

والوزن

والوزن فكل مطعوم مكيل او موزون يثبت فيه الربا ولا يثبت فيما سوى ذلك مما ليس بمكيل او موزون
وهو قول سعيد بن المسيب والشافعي في القديم وقال في الجديد ثبت الربا فيها بوصف الطعم فاثبت
الربا في جميع الاشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والادوية مكيلة كانت او موزونة لما روي
عن معمر بن عبد الله ارسل غلامه بصاع قمح فقال بعه ثم اشتر به شعيرا فذهب الغلام اخذ صاعا
وزيادة بعض صاع فلما جاء معمر اخبره بذلك فقال له معمر لم فعلت ذلك انطلق فرده ولا تاخذن الا
مثلا بمثل فاني كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل وكان طعامنا
الشعير قيل له فانه ليس بمثله فقال اني اخاف ان يضارع اخرجه مسلم فجملته ما لا ربا عند الشافعي ما كان
ثمنا او مطعوما **المسئلة الثالثة** الربا نوعان ربا فضل وهو الزيادة وربا نسيئة وهو
الاجل فان باع ما يدخل فيه الربا بجنسه مثل ان باع احد النقدين بجنسه كالذهب بالذهب
او المطعوم بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحو ذلك فيشترط فيه التماثل والمساواة بمعيار الشرع
فان كان موزونا كالدراهم والدنانير فيشترط فيه المساواة في الوزن وان كان مكيلا كالحنطة
والشعير يشترط في بيعه بجنسه المساواة في الكيل ويشترط التقابض في مجلس العقد وان باع ما
يدخل فيه الربا بغير جنسه نظر فان باع بما لا يوافقه في وصف الربا مثل ان باع الدراهم بالدنانير
او باع الحنطة بالشعير او كان مطعوما بمطعوم اخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا التفاضل فيجوز
بيعه متفاضلا ويثبت فيه ربا النسيئة فيشترط في بيعه التقابض في المجلس بقوله صلى الله
عليه وسلم الا يدا بيد وقوله هاء وهاء ففيه اشتراط التقابض في المجلس وتحريم النسيئة وقوله صلى الله
عليه وسلم الا سواء بسواء مثلا بمثل فيه ايجاب المماثلة وتحريم التفاضل عند اتفاق الجنس وقوله صلى
الله عليه وسلم فاذا اختلفت هذه الاجناس فبيعوا كيف شئتم فيه اطلاق التبايع مع التفاضل عند
اختلاف الجنس مع اشتراط التقابض في المجلس وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يدا بيد والله
اعلم **المسئلة الرابعة** في القرض من اقرض شيئا وشرط عليه ان يرد افضل منه فهو قرض جر منفعة
فهو ربا يدل عليه ما روي عن مالك قال بلغني ان رجلا اتى ابن عمر فقال اني اسلفت رجلا سلفا واشترطت
عليه افضل مما اسلفته فقال عبد الله فذلك الربا اخرجه مالك في الموطا فان لم يشترط فضلا في وقت
القرض فرد المستقرض افضل مما اخذ جاز ويدل عليه ما روي عن مجاهد ان ابن عمر رضي الله عنهما استلف
دراهم فقضى صاحبها خيرا منها فابى ان ياخذها وقال هذه خير من دراهمي فقال ابن عمر قد علمت ولكن
نفسي بذلك طيبة اخرجه مالك في الموطا وقوله تعالى **فمن جاءه موعظة من ربه** اي تذكير وتخويف وانما
ذكر الفعل لان تانيثه غير حقيقي فجاز تذكيره وذلك لان الوعظ والموعظة شيء واحد **فانتهى** اي عن اكل
الربا **فله ما سلف** اي ما مضى من ذنبه قبل النهي مغفور له **وامره الى الله** يعني بعد النهي ان شاء عصمه حتى
يثبت على الانتهاء وان شاء خذله يعود الى اكل الربا وقيل معناه وامره الى الله فيما يامره وينهاه ويحل له
ويحرم عليه وليس اليه من امر نفسه شيء وقيل الاية فيمن يعتقد تحريم الربا ثم ياكله فامره الى الله ان شاء عفا
عنه وان شاء عذبه **ومن عاد** يعني الى اكل الربا بعد التحريم مستحلا له **فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون**
قوله عز وجل **يمحق الله الربا** اي ينقصه ويهلكه ويذهب ببركته قال ابن عباس لا يقبل الله منه صدقة
ولا حجا ولا جهادا ولا صلة **ويربي الصدقات** اي يزيدها ويثمرها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف اجرها
في الاخرة ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق احد بصدقة

من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا اخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة تربو في كف الرحمن
حتى تكون اعظم من الجبل كما يربي احدكم فلوه او فصيله لفظ مسلم وللبخاري من تصدق بعدل تمرة من كسب
طيب ولا يصعد الى الله الا الطيب وفي رواية لا يقبل الله الا الطيب فان الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها
لصاحبها كما يربي احدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل والله لا يحب كل كفار اي كل مصر على كفره مقيم عليه
مستحل لاكل الربا اثيم يعني متماد في الاثم وفيما نهي عنه من اكل الربا لا ينزجر عنه ولا يتركه وقيل يحتمل ان
يكون الكفار راجعا الى مستحل الربا والاثيم راجعا الى من يفعله مع اعتقاد التحريم فتكون الاية جامعة
للفريقين قوله تعالى ان الذين امنوا يعني صدقوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات يعني التي امرتهم
الله بها واقاموا الصلاة اي المفروضة باركانها وحدودها في اوقاتها واتوا الزكاة يعني المفروضة
عليهم في اموالهم لهم اجرهم عند ربهم يعني لهم ثواب اعمالهم في الاخرة ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
اي يوم القيمة قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا قيل نزلت في العباس
ابن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد اسلفا في التمر فلما حضر وقت الجذاذ قال صاحب التمر
لهما ان انتما اخذتما حقكما لم يبق لي ما يكفي عيالي فهل لكما ان تاخذا النصف واضعف لكما ففعلا فلما
حل الاجل طلبا منه الزيادة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنهاهما وانزل الله عز وجل هذه
الاية فسمعا واطاعا واخذا رؤوس اموالهما وقيل نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين
في الجاهلية يسلفان في الربا الى بني عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة في الربا
فانزل الله تعالى هذه الاية وقال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع فيما رواه جابر بن
افراد مسلم الا كل شيء من امر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وان اول دم اضع من
دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوع واول
ربا اضع ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله وقيل نزلت في اربعة اخوة من ثقيف وهم مسعود
وعبد ياليل وحبيب وربيعة بن عمرو ابن عمير بن عوف الثقفي كانوا يرابيون بني المغيرة بن عبد الله بن عمر
وابن مخزوم وكانوا يربون فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف اسلم هؤلاء الاخوة بنو عمرو الثقفي
وطلبوا رباهم من بني المغيرة فقال بنو المغيرة ما نعطي الربا في الاسلام وقد وضعه الله عن المؤمنين
فاختصموا الى عتاب بن اسيد وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فكتب عتاب الى النبي صلى
الله عليه وسلم بقصة الفريقين وكان ذلك مالا عظيما فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله اي خافوا الله فيما امركم به والانتهاء عما نهاكم عنه وذروا اي ودعوا واتركوا ما بقي من الربا والمعنى
اتركوا طلب ما بقي لكم من فضل على رؤوس اموالكم ان كنتم مؤمنين اي ان كنتم محققين لايمانكم قولا وفعلا
فان لم تفعلوا اي تتركوا ما بقي من الربا بعد نزول تحريمه فاذنوا قرئ بكسر الذال والمد على وزن امنوا ومعناه
فاعلموا انتم وايقنوا بحرب من الله ورسوله قال ابن عباس يقال لاكل الربا يوم القيمة خذ سلاحك
للحرب قال اهل المعاني حرب الله النار وحرب رسوله السيف واختلفوا في معنى هذه المحاربة فقيل المراد
به المبالغة في الوعيد والتهديد دون نفس الحرب وقيل بل المراد منه نفس الحرب وذلك ان من اصر على
اكل الربا وعلم به الامام قبض عليه واجرى فيه حكم الله من التعزير والحبس الى ان تظهر منه التوبة وان
اكل الربا ذو شوكة وصاحب عسكر حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية قال ابن عباس من كان مقيما
على اكل الربا لا ينزع منه فحق على امام المسلمين ان يستتيبه فان نزع اي تاب والا ضرب عنقه

فان

فان تبتم اي فان تركتم اكل الربا ورجعتم عنه فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون يعني لا تظلمون
انتم الغريم بطلب زيادة على راس المال ولا تظلمون انتم بنقصان راس المال فلما نزلت هذه الاية
قالوا بنو عمرو الثقفي ومن كان يعامل بالربا من غيرهم بل نتوب الى الله فانه لا يدان لنا يعني لا قوة لنا
بحرب الله ورسوله ورضوا برؤوس اموالهم فشكى بنو المغيرة العسرة ومن كان عليه دين وقالوا اخرونا
الى ان تدرك الغلات فابوا ان يؤخروهم فانزل الله تعالى وان كان ذو عسرة يعني وان كان الذي
عليه الحق من غرمائكم معسرا والعسر نقيض اليسر وهو تعذر وجدان المال واعسر الرجل اذا ضاق فلم
يجد ما يؤديه في دينه فنظرة اي فامهال وتاخير الى ميسرة اي الى زمن اليسار وهو ضد الاعسار وهو
وجدان المال الذي يؤديه في دينه واختلفوا في حكم الاية وهل الانظار يختص بالربا ام هو عام في كل
دين على قولين القول الاول وهو قول ابن عباس وشريح والضحاك والسدي ان الاية في الربا وذكر
عن شريح ان رجلا خاصم رجلا اليه فقضى عليه وامر بحبسه فقال رجل كان عند شريح انه معسر والله
تعالى يقول في كتابه وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة فقال شريح انما ذلك في الربا وان الله تعالى
قال في كتابه ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل
ولا يامرنا الله بشيء ثم يعذبنا عليه القول الثاني وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين ان الحكم في الاية
عام في كل دين على معسر واحتجوا بان الله تعالى قال وان كان ذو عسرة ولم يقل ذا عسرة ليكون الحكم عاما
في جميع المعسرين وان تصدقوا خير لكم يعني وان تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين فتتركوا رؤوس
اموالكم للمعسرين خير لكم وانما جاز هذا الحذف للعلم به لانه قد جرى ذكر المعسر وذكر راس المال فعلم
ان التصدق راجع اليهما ان كنتم تعلمون يعني ان التصدق خير لكم وافضل لان فيه الثناء الجميل في
الدنيا والثواب الجزيل في العقبى **فصل** في ثواب انظار المعسر والوضع عنه والتشديد
امر الدين والامر بقضائه م عن ابي قتادة انه طلب غريما له فتوارى عنه ثم وجده فقال اني معسر قال
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان ينجيه الله من كرب يوم القيمة فلينفس
عن معسر او يضع عنه م عن ابي اليسر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من انظر معسرا
او وضع عنه اظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال كان فيمن قبلكم تاجر يداين الناس فاذا راى معسرا قال لفتيانه تجاوزوا عنه
لعل الله ان يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه عن ابي موسى رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان اعظم الذنوب عند الله ان يلقاه به عبد بعد الكبائر التي نهى الله عنها ان يموت رجل وعليه
دين لا يدع له قضاء اخرجه ابو داود خ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اخذ اموال الناس يريد اداءها ادى الله عنه ومن اخذ اموال الناس يريد اتلافها
اتلفه الله ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطل الغني ظلم واذا
في رواية فاذا اتبع احدكم على ملي فليتبع ق عن كعب بن مالك رضي الله عنه انه تقاضى ابن ابي حدرد دينا كان
له في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتفعت اصواتهما حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو في بيته فخرج اليهما حتى كشف سجف حجرته فنادى فقال يا كعب قلت لبيك يا رسول الله فاشار
بيده ان ضع الشطر من دينك قال ما لك قد فعلت يا رسول الله قال قم فاقضه ق عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال كان لرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سن من الابل فجاءه يتقاضاه فقال اعطوه

فطلبوا سنه فلم يجدوا الا سنا فوقها قال اعطوه فقال اوفيتني وفاك الله فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ان خيركم احسنكم قضا وفي رواية انه اغلظ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين استقضاه حتى
هم به يعني اصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا ثم امر له بافضل من سنه م عن ابي قتادة الانصاري
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام فيهم فذكر لهم ان الجهاد في سبيل الله والايمان بالله افضل الاعمال
فقام رجل فقال يا رسول الله ارايت ان قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم نعم ان قتلت في سبيل الله وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف قلت قال ارايت ان قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر الا الدين فان جبريل قال لي ذلك عن محمد بن جحش قال
كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع راسه الى السما ثم وضع راحته على جبهته ثم قال
سبحان الله ماذا انزل من التشديد فسكتنا وفزعنا فلما كان من الغد سالته يا رسول الله ما هذا
التشديد الذي نزل فقال والذي نفسي بيده لو ان رجلا قتل في سبيل الله ثم احيي ثم قتل ثم احيي وعليه
دين ما دخل الجنة حتى يقضي عنه دينه اخرجه النسائي قوله تعالى **واتقوا** اي وخافوا **يوما ترجعون فيه الى**
الله قرئ بفتح التا اي تصيرون فيه الى الله وقرئ بضم التا وفتح الجيم اي تردون فيه الى الله **ثم توفى**
كل نفس ما كسبت يعني من خير او شر **وهم لا يظلمون** اي في ذلك اليوم وفي هذه الاية وعيد شديد وزجر
عظيم قال ابن عباس هذه اخر اية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل ضعها على راس
مايتين وثمانين من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا وعشرين يوما وقيل
تسع ليال وقيل سبع ومات صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا من ربيع الاول في يوم الاثنين سنة احدى
عشرة من الهجرة وروى الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اخر اية نزلت اية الربا قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين قال ابن عباس لما حرم الله الربا اباح السلم وقال اشهد ان
السلف المضمون الى اجل مسمى قد احله الله في كتابه واذن فيه وقوله اذا تداينتم اي تعاملتم بالداين او
داين بعضكم بعضا والتداين تفاعل من الدين يقال داينته اذا عاملته بالدين وانما قال بدين بعد
قوله تداينتم لان المداينة قد تطلق على المجازاة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ ويخلص احد
المعنيين من الاخر وقيل انما قال بدين ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا
الدين فلا يحسن النظم بذلك وقيل انما ذكره تاكيدا **الى اجل مسمى** يعني الى مدة معلومة الاول والاخر مثل
السنة والشهر ولا يجوز الى غير مدة معلومة كما لو قال الى الحصاد او نحوه والاجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم
حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محل الاجل بخلاف القرض فانه لا يلزم فيه الاجل عند اكثر اهل العلم ق
عن ابن عباس رضي الله عنهما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في التمر العام
والعامين فقال لهم من اسلف في تمر ففي كيل معلوم ووزن معلوم الى اجل معلوم وقوله تعالى **فاكتبوه**
اي الذي تداينتم به بيعا كان ذلك او سلما او قرضا واختلفوا في هذه الكتابة فقيل هي واجبة وهو
مذهب عطا وابن جريج والنخعي واختاره محمد بن جرير الطبري وقيل الامر محمول على الندب والاستحباب فان
ترك فلا باس وهو قول جمهور العلما وقيل بل كانت الكتابة والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ بقوله
تعالى فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وهو قول الحسن والشعبي والحكم بن عيينة
ثم بين الله كيفية الكتابة فقال **وليكتب بينكم كاتب** اي ليكتب الدين بين الطالب والمطلوب

بالعدل اي بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم اجل ولا تاخيره قيل ان فايدة الكتابة حفظ
المال من الجانبين لان صاحب الدين اذا علم ان حقه مقيد بالكتابة تعذر عليه طلب زيادة او
تقديم المطالبة قبل حلول الاجل ومن عليه الدين اذا عرف ذلك تعذر عليه الجحود او النقص من اصل الدين
الذي عليه فلما كانت هذه الفايدة في الكتابة امر الله تعالى بها **ولا ياب** اي ولا يمتنع **كاتب ان يكتب** واختلفوا
في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فقيل بوجوبها لان ظاهر الكلام نهي عن الامتناع
عن الكتابة وايجابها على كل كاتب فاذا طولب بالكتابة وتحمل الشهادة من سوى اهلها وجب عليه
ذلك وقيل هو فرض كفاية وهو قول الشعبي فان لم يوجد الا واحد وجب عليه ذلك وقيل هو على الندب
والاستحباب وذلك ان الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بها استحب له ان يكتب ليقضي حاجة
اخيه المسلم وشكر تلك النعمة التي انعم الله بها عليه وقيل كانت الكتابة وتحمل الشهادة واجبتان
على الكاتب والشاهد ثم نسخها الله بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد **كما علمه الله** اي كما شرعه الله
وامر به **فليكتب** وذلك ان يكتب بحيث لا يزيد ولا ينقص ويكتب ما يصلح ان يكون حجة عند الحاجة ولا يخص
احد الخصمين بالاحتياط له دون الاخر وان يكون كل واحد منهما امنا من ابطال حقه وان يكون ما يكتبه
متفقا عليه عند العلما وان يحترز من الالفاظ التي يقع النزاع فيها وهذه الامور لا تحصل الا لمن هو فقيه
عالم باللغة ومذاهب **وليملل الذي عليه الحق** يعني ان المطلوب الذي عليه الحق يقر على نفسه بلسانه
ليعلم ما عليه من الحق فيذكر قدره وجنسه وصفته الاجل ونحو ذلك والاملال والاملا لغتان فصيحتان
معناهما واحد **وليتق الله ربه** يعني المملي **ولا يبخس** اي ولا ينقص **منه** اي من الحق الذي وجب **شيا فان كان**
الذي عليه الحق سفيها اي جاهلا بالاملا وقيل هو الطفل الصغير وقال الشافعي السفيه هو المبذر
المفسد لماله ودينه **او ضعيفا** اي شيخا كبيرا وقيل هو ضعيف العقل بعته او جنون **او لا يستطيع**
ان يمل هو يعني الخرس او عي او عجمة في كلامه او حبس او غيبة لا يمكنه الحضور عند الكاتب او يجهل
بما له وعليه فهولا كلهم لا يصح اقرارهم فلا بد ان يقوم غيرهم مقامهم وهو قوله تعالى **فليملل وليه**
يعني ولي كل واحد من هولا الثلاثة المحجور عليهم لانه مقامه في صحة الاقرار وقال ابن عباس اراد بالولي صاحب
الدين ان عجز الذي عليه الحق من الاملا فليملل صاحب الحق لانه اعلم بحقه **بالعدل** اي بالصدق **واستشهدوا**
شهيدين من رجالكم يعني واشهدوا على حقوقكم شاهدين لان المقصود من الكتابة هو الاشهاد من
رجالكم يعني من اهل ملتكم يعني من المسلمين الاحرار دون العبيد والصبيان وهذا قول اكثر اهل
العلم واجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد وحجة هذا القول ان قوله رجال يتناول العبيد وغيرهم
وذلك لان عقل الانسان ودينه وعدالته تمنعه عن الكذب فاذا اجتمعت هذه الشرايط فيه
كانت شهادته معتبرة وحجة جمهور العلما ولا ياب الشهدا اذا ما دعوا فهذا نص يقتضي ان تحمل الشهادة
وجب عليه الادا اذا طولب بها والعبد ليس كذلك فان السيد اذا لم ياذن له في ذلك حرم عليه الذهاب
الى ادا الشهادة فوجب ان لا يكون العبد من اهل الشهادة **فان لم يكونا رجلين** فان لم يكن الشاهدان
رجلان **فرجل وامراتان** اي فليشهد رجل وامراتان واجمع الفقها على ان شهادة النسا مع الرجال جايزة
في الاموال فيثبت الحق بشهادة رجل وامراتين واختلفوا في غير الاموال فذهب سفيان الثوري واصحاب
الراي الى انه يجوز شهادة النسا مع الرجال في ساير الحقوق غير العقوبات وذهب جماعة الى ان غير المال
لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب الشافعي الى ان ما يطلع النسا عليه غالبا كالولادة والرضاع والبكارة

والنيابة ونحوها يجوز شهادة رجل وامرأتين او شهادة اربع نسوة واتفقوا على ان شهادة النسا
غير جائزة ولا مقبولة في العقوبات والحدود وقوله تعالى **ممن ترضون من الشهدا** يعني من كان مرضيا
عندكم في دينه وامانته والشرايط المعتبرة في العدالة وقبول الشهادة عشرة وهي الاسلام والحرية
والعقل والبلوغ والعدالة والمروة وان لا يجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع عنه بها مضرة
ولا يكون معروفا بكثرة الغلط والسهو وان لا يكون بينه وبين من شهد عليه عداوة فشهادة الكافر
مردودة لان الكذاب لا تقبل شهادته فالذي يكذب على الله تعالى اولى بان ترد شهادته وجوز اصحاب
الراي شهادة اهل الذمة بعضهم على بعض ولا تقبل شهادة العبيد واجازها شريح وابن سيرين
وهو قول انس وقول المجنون معتبر حتى تصح شهادته ولا تجوز شهادة الصبيان وسيل ابن عباس
عن ذلك فقال لا تجوز لان الله تعالى قال ممن ترضون من الشهدا والعدالة شرط وهو ان يكون
الشاهد مجتنبا عن الكباير غير مصر على الصغاير والمروة شرط وهي ما يتصل بآداب النفس مما يعلم ان
تاركه من نفسه شي مما ينبغي امثاله من اظهاره الاغلب علم بذلك قلة مروته وترد شهادته فانتفا التهمة
شرط فلا تقبل شهادة العدو على العدو وان كان مقبول الشهادة على غيره لانه متهم في حق عدوه ولا في
حق غيره ولا تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وتقبل شهادته عليهما ولا تقبل شهادة من يجر
بشهادته الى نفسه نفعا عن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجوز
شهادة خاين وخاينة ولا مجلود حدا ولا ذي غمر على اخيه ولا مجرب شهادة ولا القانع اهل البيت لهم
ولا ظنين في ولا ولا قرابة قال الفزاري القانع التابع اخرجه الترمذي قوله لا يجوز شهادة خاين اراد بالخيانة
الخيانة في الدين والمال والامانة فان من ضيع شيا من اوامر الله تعالى او ارتكب شيا مما نهى الله عنه لا يكون
عدلا والغمر بكسر الغين الحقد والقانع السايل المستطعم وقيل هو المنقطع الى قوم يخدمهم فترد شهادتهم
للتهمة في جر النفع الى نفسه لان التابع لاهل البيت ينتفع بما يصير اليهم والظنين بكسر الظا المتهم قوله
تعالى **ان تضل احداهما** اي تنسى احدى المراتين **فتذكر احداهما الاخرى** لان الغالب على طباع النسا النسيان
فاقيمت المراتان مقام الرجل الواحد حتى لو نسيت احداهما فتذكرها الاخرى فتقول لها حضرنا مجلس كذا
وسمعنا كذا فيحصل لها بذلك الذكرى وحكي عن سفيان بن عيينة انه قال هو من الذكرى تجعل احداهما
الاخرى ذكرى فالمعنى ان شهادتهما تصير كشهادة ذكر والقول الاول اصح لانه معطوف على تضل وهو النسيان
وقوله تعالى **ولا يأبى الشهدا اذا ما دعوا** يعني اذا دعوا لتحمل الشهادة وسماهم شهدا لانهم يكونوا شهدا
وهذا امر ايجاب عند بعضهم فقال قوم يجب اذا لم يكن غيره فان كان غيره فهو مخير وقيل امر ندب فهو
مخير في جميع الاحوال وقال بعضهم هذا في اقامة الشهادة وادايها ومعنى الاية ولا يابى الشهدا اذا
ما دعوا لادا الشهادة التي تحملوها وقيل الاية في الامرين جميعا يعني في التحمل والادا والاقامة اذا كان
عارفا وقيل الشاهد بالخيار ما لم يشهد فاذا شهد وجب عليه الادا **ولا تساموا** اي ولا تملوا ولا تضجروا
ان تكتبوه الضمير راجع الى الحق والدين **صغيرا او كبيرا** اي قليلا كان الحق او الدين او كثيرا **الى اجله**
يعني الى محل الحق والدين **ذلكم** يعني ذلك الكتاب **اقسط عند الله** يعني اعدل عند الله لانه امر به واتباع
امره اعدل من تركه **واقوم للشهادة** يعني ان الكتابة تذكر الشهود **وادنى ان لا ترتابوا** يعني واحرى
واقرب ان لا تشكوا في الشهادة **الا ان تكون تجارة حاضرة** اي الا ان يقع تجارة حاضرة يدا بيد **تديرونها**
بينكم فيما بينكم ليس فيها اجل **فليس عليكم جناح** اي لا ضرر عليكم **ان لا تكتبوها** يعني التجارة الحاضرة

والتجارة

والتجارة تقليب الاموال وتصريفها لطلب النما والزيادة بالارباح وانما رخص الله تعالى في الكتابة
والاشهاد في هذا النوع من التجارة لكثرة ما يجري بين الناس فلو كلفوا فيها الكتابة والاشهاد لشق
ذلك عليهم ولانه اذا اخذ كل واحد من المتبايعين حقه من صاحبه في ذلك المجلس لم يكن هناك خوف
التجاحد فلا حاجة الى الكتابة والاشهاد **واشهدوا اذا تبايعتم** يعني فيما جرت العادة بالاشهاد
فيه واختلفوا في هذا الامر فقيل هو للوجوب فيجب ان يشهد في صغير الحق وكبيره ونقده ونسيه وقيل
امر ندب واستحباب وهو قول الجمهور وقيل انه منسوخ بقوله فان امن بعضكم بعضا فليود الذي اوتمن
امانته قوله تعالى **ولا يضار كاتب ولا شهيد** هذا نهي عن المضارة واصله يضارر بكسر الرا الاولى
ومعناه لا يضار الكاتب فيابى ان يكتب او الشاهد فيابى ان يشهد او يضار الكاتب فيزيد او ينقص
او يحذف ما املي عليه فيضر صاحب الحق او من عليه الحق وكذا الشاهد وقيل اصله يضارر بفتح الرا
الاولى ومعناه ان يدعو الرجل الكاتب والشاهد وهما مشغولان فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا
فيقول الداعي ان الله امركما ان تجيبا اذا دعيتما ويلح عليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهى عن مضارتهما
وامر ان يطلب غيرهما **وان تفعلوا** يعني ما نهيتكم عنه من الضرار **فانه فسوق بكم** اي معصية وخروج عن
الامر **واتقوا الله** اي خافوا الله واحذروه فيما نهاكم عنه من المضارة وغيرها **ويعلمكم الله** يعني ما يكون
ارشادا لكم في امر الدنيا كما يعلمكم ما يكون ارشادا لكم في امر الدين **والله بكل شي عليم** يعني ان الله عليم
بمصالح عباده لا يخفى عليه شي من ذلك قوله تعالى **وان كنتم على سفر** اي في سفر **ولم تجدوا كاتبا** يعني ولم
تجدوا آلات الكتابة **فرهن** جمع رهن وقرى فرهان **مقبوضة** يعني فارتهنوا ممن تداينونه رهونا منه
ليكون وثيقة لكم باموالكم واصل الرهن من الدوام يقال رهن الشي اذا دام وثبت والرهن ما وضع
عند الانسان مما ينوب مناب ما اخذ منه دينا فان قلت لم شرط الارتهان في السفر مع عدم الكاتب
ولا يختص به سفر دون حضر وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند ابي الشحم اليهودي
على طعام اخذه الى اجل ولم يكن ذلك في سفر ولا عند عدم كاتب قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر
خاصة دون الحضر ولكن لما كان السفر مظنة لاعواز الكاتب والاشهاد امر الله تعالى به على سبيل الارشاد
الى حفظ الاموال لمن كان على سفر بان يقيم الوثيق بالارتهان مقام الكتابة والاشهاد واتفق العلما
على جواز الرهن في الحضر والسفر جميعا ومع وجود الكاتب وعدمه وقال مجاهد لا يجوز الا في السفر عند
عدم الكاتب لظاهر الاية واجاب الجمهور عن ظاهر الاية ان الكلام انما خرج على الاعم الاغلب لا على سبيل
الشرط واتفق العلما على ان الرهن لا يتم الا بالقبض وهو قوله فرهن مقبوضة يعني ارتهنوا واقبضوا
لان المقصود من الرهن هو استيثاق جانب صاحب الحق وذلك لا يتم الا بالقبض فلو رهن ولم يسلم لم يجبر
الراهن على التسليم فاذا سلم الرهن لزم من جهته حتى لا يجوز ان يسترجعه ما دام شي من الحق باقيا
قوله تعالى **فان امن بعضكم بعضا** يعني فان كان الذي عليه الحق امينا عند صاحب الحق ولم يرتهن منه شيا
لحسن ظنه به **فليود الذي ايتمن** يعني فليود المديون الذي عليه الحق الذي كان امينا في ظن الدائن الذي
الذي هو صاحب الحق **امانته** يعني حقه سمي الدين امانة وان كان مضمونا لايتمانه عليه حيث امن من جحوده
فلم يكتب ولم يشهد عليه ولم ياخذ منه رهنا حث المديون على ان يكون عند ظن الداين الذي ايتمنه وان
يود اليه حقه الذي ايتمنه عليه ولم يرتهن منه عليه شيا ثم زاد ذلك توكيدا بقوله **وليتق الله ربه** اي المديون
في ادا الحق عند حلول الاجل من غير مماطلة ولا جحود بل يعامله المعاملة الحسنة كما احسن ظنه فيه ثم

رجع الى خطاب الشهود فقال تعالى **ولا تكتموا الشهادة** يعني اذا دعيتم الى اقامتها وادايها وذلك لان الشاهد متى امتنع من ادا الشهادة وكتمها فقد ابطل بذلك حق صاحب الحق فلهذا نهى عن كتمان الشهادة وبالغ في الوعيد عليه فقال تعالى **ومن يكتمها** يعني الشهادة **فانه اثم قلبه** اي فاجر قلبه والاثم الفاجر وانما اضيف الاثم الى القلب لان الافعال من الدواعي والصوارف انما تحدث في القلب فلما كان الامر كذلك اضيف الاثم الى القلب وقيل ما اوعد الله على شي كايعاده على كتمان الشهادة فانه تعالى قال فانه اثم قلبه واراد به مسخ القلب نعوذ بالله من ذلك **والله بما تعملون عليم** يعني من بيان الشهادة وكتمانها ففيه وعيد وتحذير لمن كتم الشهادة ولم يظهرها قوله تعالى **لله ما في السموات وما في الارض** ملكا وملكا واهلها له عبيد وهو مالكهم **وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله** وهذا يتناول حديث النفس والخواطر الفاسدة التي ترد على القلب ولا يتمكن من دفعها فالمواخذة بها تجري مجرى تكليف ما لا يطاق واجيب عن هذا بان الخواطر الحاصلة في القلب على قسمين فمنها ما يوطن الانسان نفسه عليه ويعزم على اظهاره الى الموجود فهذا مما يواخذ الانسان به والقسم الثاني ما يخطر بالبال ولا يمكن دفعه ولكن يكرهه ولا يعزم على فعله ولا اظهاره الى الوجود فهذا ممنوع عنه بدليل قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقال قوم ان هذه الاية خاصة ثم اختلفوا في وجه تخصيصها فقال بعضهم هي متصلة بالاية التي قبلها وانما نزلت في كتمان الشهادة او تخفوه اي تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهذا ضعيف لان اللفظ عام وان كان وارد عقيب قضية فلا يلزم صرفه اليها وقال بعضهم ان الاية نزلت فيمن يتولى الكافرين من المومنين والمعنى ان تبدوا اي تظهروا ما في انفسكم يعني من ولاية الكفار او تخفوه فلا تظهروه يحاسبكم به الله وذهب اكثر العلما الى ان الاية عامة ثم اختلفوا فقال قوم هي منسوخة بالاية التي بعدها ويدل عليه ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه الاية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والقيام والجهاد والصدقة وقد انزلت عليك هذه الاية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتاب من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقتراها القوم وذلت بها السنتهم انزل في اثرها امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون كل امن بالله وملايكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فانزل الله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم اخرجه مسلم وله عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه وفيه قد فعلت بدل نعم (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تجاوز لامتي ما حدثت به انفسها ما لم يعملوا به او يتكلموا وفي رواية ما وسوست به صدورها وقال قوم ان الاية غير منسوخة لان النسخ لم يرد الا على الامر والنهي ولا يرد على الاخبار وقوله تعالى يحاسبكم به الله خبر فلا يرد عليه النسخ ثم اختلفوا في تاويلها فقال قوم قد

اثبت الله تعالى للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبكم وليس لله عبد اسر عملا او اعلنه من حركة جارحة او همة قلب الا يعلمه الله ثم يخبره به ويحاسبه عليه ثم يغفر ما يشا ويعذب بما يشا وقال اخرون في معنى الاية ان الله تعالى يحاسب خلقه بجميع ما ابدوا من اعمالهم او اخفوه ويعاقبهم عليه غير ان معاقبتهم على ما اخفوه اخف مما لم يعملوا به وهو ما يحدث لهم في الدنيا من النوايب والمصايب والامور التي يحزنون عليها وهذا قول عايشة عن امية انها سالت عايشة رضي الله عنها عن قول الله عز وجل ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وعن قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به فقالت ما سالني عنها احد منذ سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى البضاعة يضعها في يد قميصه فيفقدها فيفزع لها حتى ان العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا فاذا اراد بعبده الشر امسك عليه بذنبه حتى يوافيه يوم القيمة وقال قوم في معنى الاية وان تبدوا ما في انفسكم يعني ما عزمتم عليه او تخفوه اي لا تبدوه وانتم عازمون عليه يحاسبكم به الله فاما حديث النفس مما لم تعزموا عليه فان ذلك مما لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا يواخذ به قال عبد الله بن المبارك قلت لسفيان ايواخذ العبد بالهمة فقال اذا كانت عزما اخذ بها وقيل معنى المحاسبة الاخبار والتعريف فيرجع معنى هذه المحاسبة الى كونه تعالى عالما بما في الضماير والسراير مما ظهر او خفي ومعنى الاية وان تبدوا ما في انفسكم فتعملوا به او تخفوه مما اضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله اي يخبركم به ويعرفكم اياه ثم يغفر للمومنين اظهارا لفضله ويعذب الكافرين اظهارا لعدله ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ويدل عليه انه قال يحاسبكم به الله ولم يقل يواخذكم به لان المحاسبة غير المواخذة ويدل عليه ايضا ما روي عن صفوان بن محرز المازني قال بينما ابن عمر يطوف اذ عرض له رجل فقال يا ابا عبد الرحمن اخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنى المومن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول اعرف رب اعرف مرتين فيقول سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسناته واما الاخرون او الكفار فينادى بهم على رووس الخلايق هولاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى **فيغفر لمن يشا ويعذب من يشا** قال ابن عباس يغفر لمن يشا الذنب العظيم ويعذب من يشا على الذنب الصغير لا يسال عما يفعل وهم يسالون **والله على كل شي قدير** يعني انه تعالى قادر على كل شي كامل القدرة فيغفر للمومنين فضلا ويعذب الكافرين عدلا قوله عز وجل **امن الرسول بما انزل اليه من ربه** عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت هذه الاية وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله دخل قلوبهم منه شي لم يدخل من شي فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون الاية لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا قال قد فعلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج لما ذكر الله في هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والحيض والجهاد واقاصيص الانبيا وما ذكر من كلام الحكما ختم السورة بذكر تصديق

بنبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين بجميع ذلك ومعنى امن الرسول صدق الرسول يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم والمعنى صدق الرسول ان القران وجملة ما فيه من الشرايع والاحكام منزل من عند الله
عز وجل **والمومنون** يعني وصدق المومنون بذلك ايضا **كل** اي كل واحد من المومنين **امن بالله وملئكته
وكتبه ورسله** فهذه اربع مراتب من اصول الايمان وضرورياته فاما الايمان بالله فهو ان يعلم بانه
الله واحد احد لا شريك له ولا نظير له ويومن بجميع اسمائه الحسنى وصفاته العليا وانه حي عالم قادر
على كل شي واما الايمان بالملئكة فهو ان يومن بوجودهم وانهم معصومون مطهرون وانهم السفرة
الكرام البررة وانهم الوسايط بين الله تعالى وبين رسله واما الايمان بكتبه فهو ان يومن بان
الكتب المنزلة من عند الله هي وحي الله تعالى الى رسله وانها حق وصدق من عند الله تعالى بغير شك
ولا ارتياب وان القران لم يحرف ولم يبدل ولم يغير وانه مشتمل على المحكم والمتشابه وان محكمه يكشف
عن متشابهه واما الايمان بالرسل فهو ان يومن بانهم رسل الله الى عباده وامناه على وحيه وانهم معصومون
وانهم افضل الخلق وان بعضهم افضل من بعض وقد انكر بعضهم ذلك وتمسك بقوله تعالى لا نفرق
بين احد من رسله واجيب عنه بان المقصود من هذا الكلام شي اخر وهو اثبات نبوة الانبيا والرد
على اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد
ثبت بالنص الصريح تفضيل بعض الانبيا على بعض بقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ومعنى
قوله لا نفرق بين احد من رسله فنومن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى بل نومن بجميع
رسله وفي الاية اضمار تقديره وقالوا يعني المومنين **لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا**
يعني سمعنا قولك واطعنا امرك والمعنى قال المومنون سمعنا قول ربنا فيما امرنا به واطعنا فيما
الزمنا من فرايضه واستعبدنا به من طاعته وسلمنا اليه فيما امرنا به ونهانا عنه **غفرانك ربنا**
اي نسالك غفرانك ربنا او يكون المعنى اغفر لنا ربنا غفرانك **واليك المصير** يعني قالوا واليك يا ربنا
مرجعنا ومعادنا اليك فاغفر لنا ذنوبنا روى البغوي بغير سند عن حكيم بن جابر ان جبريل عليه السلام
قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد اثنى عليك وعلى امتك فسل تعطه فسال بتلقين الله
تعالى غفرانك ربنا واليك المصير قوله تعالى **لا يكلف الله نفسا الا وسعها** قيل يحتمل ان يكون ابتدا خبر
من عند الله تعالى ويحتمل ان يكون حكاية عن المومنين وفيه اضمار كانه قال تعالى عنهم وقالوا لا يكلف
الله نفسا الا وسعها يعني طاقتها والوسع اسم لما يسع الانسان ولا يضيق عليه قال ابن عباس واكثر المفسرين
ان هذه الاية نسخت حديث النفس والوسوسة وذلك انه لما نزل ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
ضج المومنون منها وقالوا يا رسول الله نتوب من عمل اليد والرجل واللسان فكيف نتوب من الوسوسة
وحديث النفس فنزلت هذه الاية والمعنى انكم لا تستطيعون ان تمتنعوا من الوسوسة وحديث النفس
كان ذلك مما لا تطيقوه وقال ابن عباس في رواية عنه هم المومنون وسع الله امر دينهم ولم يكلفهم ما لا
يستطيعون كما قال يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج وسيل
سفيان بن عيينة عن قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولم يكلفها فوق طاقتها وهذا قول
حسن لان الوسع ما دون الطاقة وقيل معناه ان الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها فلا يتعبدها
بما لا تطيق **لها ما كسبت** يعني للنفس ما عملت من الخير فلها اجره وثوابه **وعليها ما اكتسبت** يعني من
الشر وعليها وزره وعقابه وقيل في معنى الاية ان الله تعالى لا يواخذ احدا بذنب غيره قوله عز وجل

ربنا

ربنا لا تواخذنا وهذا تعليم من الله عباده المومنين كيف يدعونه ومعناه قولوا ربنا لا تواخذنا
اي لا تعاقبنا وانما جا بلفظ المفاعلة وهو فعل واحد لان المسي قد امكن من نفسه وطرق السبيل
اليها بفعله فكانه اعان عليه من يعاقبه عليه بذنبه ويواخذه به **ان نسينا** فيه وجهان احدهما انه
من النسيان الذي هو السهو وهو ضد التذكر وقيل كان بنو اسرايل اذا نسوا شيا مما امروا به او اخطاوا
عجلت لهم فحرم عليهم شيا مما كان حلالا لهم من مطعم ومشرب على حسب ذلك الذنب فامر الله المومنين
ان يسالوه ترك مواخذتهم بذلك فان قلت اليس فعل الناسي في محل العفو بدليل قوله صلى الله عليه
وسلم رفع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه فاذا كان النسيان في محل العفو قطعا فما
معنى طلب العفو عنه بالدعا قلت الجواب عنه من وجوه الاول ان النسيان على ضربين اما الاول
فهو ما كان من العبد على وجه التضييع والتفريط وهو ترك ما امر بفعله كمن راى على ثوبه دما
فاخر ازالته عنه ثم نسي فصلى فيه وهو على ثوبه فيعد مقصرا اذ كان يلزمه المبادرة الى ازالته اما
ان لم يره فيعذر فيه وكذا اذا ترك ما امر بفعله على وجه السهو او ارتكب منهيا عنه من غير قصد اليه
كما اكل ادم عليه السلام من الشجرة التي نهي عنها على وجه النسيان من غير عزم على المخالفة كما قال
تعالى ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما فمثل هذا يجب ان يسال الله العفو
عنه واما الضرب الثاني فهو كمن ترك صلاة ثم نسيها او ترك دراسة القران بعد ان حفظه حتى
نسيه فهذا لا يعذر بنسيانه وسهوه لانه فرط فثبت ان النسيان على قسمين واذا كان كذلك
صح طلب العفو والغفران عن النسيان الوجه الثاني من الجواب ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا
من المتقين الله حق تقاته فان صدر منهم ما لا ينبغي فلا يكون الا على سبيل السهو والنسيان فطلبهم
العفو والغفران لما يقع منهم على سبيل السهو والنسيان انما هو لشدة خوفهم وتقواهم الوجه الثالث
المقصود من هذا الدعا هو التضرع والتذلل لله تعالى واما الخطا في قوله او اخطانا ففيه وجهان ايضا
احدهما ان ياتي العبد ما نهي عنه بقصد وارادة فذلك الخطا منه وهو به مواخذ فيحسن طلب العفو
والغفران لذلك الفعل الذي ارتكبه الوجه الثاني ان يكون الخطا على سبيل الجهل والظن بان له
فعله كمن ظن ان وقت الصلاة لم يدخل وهو في يوم غيم فاخرها حتى خرج وقتها فهذا من الخطا
الموضوع عن العبد لكن طلب العفو والغفران بسبب تقصير وقوله **ربنا ولا تحمل علينا اصرا** يعني
عهدا ثقيلا وميثاقا غليظا فلا نستطيع القيام فتعذبنا بنقضه وتركه **كما حملته على الذين من
قبلنا** يعني اليهود فلم يقوموا به فعذبتهم عليه وقيل معناه ولا تشدد علينا كما شددت على اليهود
من قبلنا وذلك ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وامرهم باداء ربع اموالهم زكاة ومن اصاب
منهم ثوبه نجاسة قطعها ومن اصاب منهم ذنبا اصبح ذنبه مكتوبا على بابه ونحو هذا من الاثقال
والاصار التي كتبت عليهم فسال المومنون ربهم ان يصونهم من امثال هذه التغليظات والعهود
الثقيلة وقد اجاب الله تعالى دعاهم برحمته وخفف عنهم بفضله وكرمه فقال تعالى ما جعل عليكم
في الدين من حرج وقيل الاصر ذنب لا توبة له فسال المومنون ربهم ان يعصمهم من مثله **ربنا ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به** يعني لا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيق القيام به لثقل حمله وتكليف ما لا يطاق على
وجهين احدهما ما ليس في قدرة العبد احتماله كتكليف الاعمى النظر والزمن العدو فهذا النوع من
التكليف لا يكلف الله عبده به بحال الوجه الثاني من تكليف ما لا يطاق هو ما في قدرة العبد احتماله

مع المشقة الشديدة والكلفة العظيمة كتكليف الاعمال الشاقة والفرايض الثقيلة كما كان في
ابتدا الاسلام صلاة الليل واجبة ونحوه فهذا الذي سال المومنون ربهم لا يحملهم ما لا طاقة لهم به
واستدل بهذه الاية من يقول ان تكليف ما لا يطاق جايز اذ لو لم يكن جايزا لما حسن طلب تخفيفه
بالدعا من الله تعالى وقيل في قوله ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو حديث النفس والوسوسة
وقيل هو هيجان الغلمة وقيل هو الحب وقيل هو شماتة الاعدا وقيل هو الفرقة والقطيعة وقيل
هو مسخ القردة والخنازير نعوذ بالله من ذلك كله قوله تعالى **واعف عنا** اي تجاوز عن ذنوبنا
وامحها عنا **واغفر لنا** اي استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا **وارحمنا** اي تغمدنا برحمة تنجينا بها
من عقابك فانه ليس بناج من عقابك الا من رحمته وقيل انا لا ننال العمل الا بطاعتك ولا نترك
معصيتك الا برحمتك واصل الرحمة رقة تقتضي الاحسان الى المرحوم واذا وصف بها الله تعالى
فليس يراد بها الا الاحسان المجرد والتفضيل على العباد دون الرقة وقيل ان طلب العفو لان
يسقط عنه عقاب ذنوبه وطلب المغفرة لان يستر عليه صونا له عن الفضيحة كان العبد يقول
اطلب منك العفو واذا عفوت عني فاستره علي فاذا عفا الله عن العبد وستره طلب الرحمة التي
هي الانعام والاحسان ليفوز بالنعيم والثواب **انت مولانا** اي ناصرنا وحافظنا وولينا ومتولي
امرنا **فانصرنا على القوم الكافرين** يعني الجاحدين الذين عبدوا غيرك وجحدوا وحدانيتك قال
ابن عباس في قوله تعالى غفرانك ربنا قال قد غفرت لكم وفي قوله لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا
قال لا اواخذكم ذنبا ولا تحمل علينا اصرا قال لا احملكم ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال ولا احملكم
فاعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت
لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين كان معاذ اذا ختم سورة البقرة قال امين **م** عن عبد
الله بن مسعود رضي الله عنه قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهي به الى سدرة المنتهى
وهي في السادسة واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض
منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثا اعطي الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك من امته شيا المقحمات قوله
المقحمات الذنوب العظام التي تولج مرتكبها النار واصل الاقتحام الولوج **ق** عن ابي مسعود الانصاري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايتان من اخر سورة البقرة من قرا بهما في ليلة كفتاه معناه
كفتاه من كل ما يحذر من هامة وشيطان فلا يقربه تلك الليلة وقيل كفتاه من قيام الليل **م** عن ابن
عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل عليه السلام اذ سمع نقيضا من فوقه
فرفع جبريل بصره الى السما فقال هذا باب من السما فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك
فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يوتهما نبي
قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرا بحرف منهما الا اعطيته عن النعمان بن بشير
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام انزل
منه ايتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقران في دار ثلاث ليال فيقربه شيطان اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب اخر تفسير سورة البقرة والله اعلم باسرار كتابه

تفسير سورة ال عمران

مدنية وهي مايتا اية وثلاثة الاف واربعماية وثمانون كلمة واربعة عشر الفا وخمسماية وخمسة

عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **الم الله لا اله الا هو الحي
القيوم** قال المفسرون نزلت هذه الايات في وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم منهم ثلاثة نفر اليهم يوول امرهم وهم العاقب واسمه امير القوم وصاحب
مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رايه والسيد واسمه الايهم وهو ثمالهم وصاحب رحلهم الذي يقوم بامر
طعامهم وشرابهم وابو حارثة بن علقمة وهو اسقفهم وحبرهم وكان ملوك الروم يكرمونه لما بلغهم عن علمه
واجتهاده في دينهم فدخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يصلي العصر وعليهم ثياب الحبرات
واردية في جمال رجال الحارث بن كعب يقول من راهم ما راينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا الى الصلاة
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق
فلما فرغوا كلم السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسلما قالا قد اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعواكما لله ولدا وعبادتكما الصليب واكلكما
الخنزير قالا ان لم يكن عيسى ولد الله فمن ابوه وخاصموه جميعا في عيسى فقال النبي صلى الله عليه وسلم الستم
تعلمون انه لا يكون ولدا الا وهو يشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى ياتي عليه
الموت قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شي يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من
ذلك شيا قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السما قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى
من ذلك شيا الا ما علم قالوا لا قال الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شا وربنا لا ياكل ولا
يشرب قالوا بلى قال الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل الانثى ثم وضعته كما تضع المراة ولدها
ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون الها كما زعمتم فسكتوا
فانزل الله صدر سورة ال عمران الى بضع وثمانين اية منها زاد بعضهم فقالوا يا محمد الست تزعم
ان عيسى كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا حسبنا ثم ابوا الا الجحود فانزل الله ردا عليهم الم الله لا اله
الا هو يعني ان ما زعمتم يا معشر النصارى في معرفة الاله فهو الله لا اله الا هو فكيف تثبتون له ولدا
فبين تعالى ان الحقا لا يستحق العبادة سواه لانه الواحد الاحد ليس معه اله ولا له ولد ثم اتبع
ذلك بما يجري مجرى الدلالة عليه فقال تعالى الحي القيوم اما الحي في صفة الله تعالى فهو الدايم الباقي
الذي لا يصح عليه الموت واما القيوم فهو القايم بذاته والقايم بتدبير الخلق ومصالحهم فيما يحتاجون
اليه في معاشهم ومعادهم **نزل عليك الكتاب** يعني القران **بالحق** اي بالصدق والعدل **مصدقا
لما بين يديه** يعني لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوات والاخبار وبعض الشرايع وقوله لما
بين يديه من مجاز الكلام وذلك ان ما بين يديه فهو امامه فقيل لكل شي تقدم على الشي فهو بين
يديه لغاية ظهوره واشتهاره **وانزل التوراة والانجيل من قبل** اي من قبل القران فان قلت لم
قيل نزل الكتاب وانزل التوراة والانجيل قلت لان القران نزل منجما مفصلا في اوقات كثيرة
ونزل هي للتكثير وانزل التوراة والانجيل جملة واحدة **هدى للناس** يعني ان التوراة والانجيل
قبل القران كان هدى للناس فان قلت كيف وصف القران في البقرة بانه هدى للمتقين ووصف
هنا التوراة والانجيل بانهما هدى للناس قلت انما وصف القران بانه هدى للمتقين لانهم هم
الذين انتفعوا به واتبعوه ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما هدى للناس لان المناظرة كانت
مع نصارى نجران وهم يعتقدون صحة التوراة والانجيل فلهذا السبب قال هنا هدى للناس

وقيل ان قوله هدى للناس يعود الى الكتب الثلاثة يعني القران المتقدم ذكره والتوراة والانجيل وانما وصف
هذه الكتب بانها هدى للناس لما فيها من الشرايع والاحكام **وانزل الفرقان** يعني الفارق بين الحق
والباطل وقيل اراد به القران وانما اعاد ذكره تعظيما لشانه ومدحا لكونه فارقا بين الحق والباطل وقيل
انما اعاد ذكره ليبين انه تعالى انزله بعد التوراة والانجيل ليجعله فارقا بينهما اختلفوا فيه اليهود والنصارى
في امر عيسى عليه السلام وقيل المراد به الكتب الثلاثة لان كلها هدى للناس ومفرقة بين الحلال والحرام
والحق والباطل وقال السدي في الاية تقديم وتاخير تقديره وانزل التوراة والانجيل والفرقان هدى
للناس **ان الذين كفروا بايات الله** يعني الكتب المنزلة وغيرها قيل اراد بهم نصارى وفد نجران
كفروا بالقران وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ فهو يتناول كل
من كفر بشي من ايات الله **لهم عذاب شديد والله عزيز** اي غالب لا يغلب **ذو انتقام** يعني ممن كفر به
والانتقام المبالغة في العقوبة قوله تعالى **ان الله لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السما** اي لا يخفى عليه شي
من امر العالم وهو المطلع على احوالهم فقوله ان الله لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السما اشارة الى كمال علمه
المتعلق بجميع المعلومات **هو الذي يصوركم في الارحام** التصوير جعل الشي على صورة والصورة هيئة
يكون عليها الشي بالتاليف والارحام جمع رحم **كيف يشا** يعني الصور المختلفة المتفاوتة في الخلقة ذكر
وانثى ابيض واسود حسنا او قبيحا كاملا او ناقصا والمعنى انه الذي يصوركم في ظلمات الارحام مختلفة
في الشكل والطبع واللون وذلك من نطفة ق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون
علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث اليه ملكا باربع كلمات يكتب رزقه واجله وعمله وشقي
او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فو الذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا
ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه
وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها ق عن انس رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة فاذا اراد الله
ان يقضي خلقها قال يا رب اذكر ام انثى اشقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك في بطن امه وقيل ان
الاية واردة في الرد على النصارى وذلك ان عيسى عليه السلام كان يخبر ببعض الغيب فيقول اكلت في دارك
كذا وصنعت كذا وانه احيى الموتى وابرا الاكمه والابرص وخلق من الطين طيرا فادعت النصارى فيه الالهية وقالوا
ما قدر على ذلك الا انه اله فرد الله تعالى عليهم ذلك واخبر ان الاله المستحق لهذا الاسم هو الذي لا يخفى عليه
شي في الارض ولا في السما وانه المصور في الارحام كيف يشا وان عيسى عليه السلام ممن صوره في الرحم على انه
عبد مخلوق كغيره وانه يخفى عليه ما لا يخفى على الله عز وجل **لا اله الا هو العزيز الحكيم** وهذا ايضا في الرد
على النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله كانه قال كيف يكون ولدا لله وقد صوره في الرحم قوله عز وجل **هو
الذي انزل عليك الكتاب** يعني القران **منه ايات محكمات** يعني مبينات مفصلات احكمت عبارتها من
احتمال التاويل والاشتباه سميت محكمات من الاحكام لانه تعالى احكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها
ووضوح معناها **هن ام الكتاب** يعني هن اصل الكتاب الذي يعول عليه في الاحكام ويعمل بها في الحلال
والحرام فان قلت كيف قال هن ام الكتاب ولم يقل امهات الكتاب قلت لان الايات في تكاملها واجتماعها
كالاية الواحدة وكلام الله كله شي واحد وقيل ان كل اية منهن ام الكتاب كما قال وجعلنا ابن مريم وامه

اية يعني

اية يعني ان كل واحد منهما اية **واخر** جمع اخرى **متشابهات** يعني ان لفظه يشبه لفظ غيره ومعناه يخالف
معناه فان قلت قد جعله هنا محكما ومتشابها فقال تعالى نزل احسن الحديث كتابا متشابها فكيف
الجمع بين هذه الايات قلت حيث جعله كله محكما اراد ان كله حق وصدق وليس عبث ولا هزل وحيث
جعله كله متشابها اراد ان بعضه يشبه بعضا في الحسن والحق والصدق وحيث جعله هنا بعضه
محكما وبعضه متشابها فقد اختلفت عبارات العلما فيه فقال ابن عباس المحكمات الثلاث ايات التي في
اخر سورة الانعام وهي قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ونظيرها في بني اسرائيل وقضى ربك
ان لا تعبدوا الا اياه الايات وعنه ان المحكمات هي الناسخة والمتشابهات هي الايات المنسوخة وبه قال
ابن مسعود وقتادة والسدي وقيل ان المحكمات ما فيه احكام الحلال والحرام والمتشابهات ما سوى ذلك
يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا وقيل ان المحكمات ما اطلع الله عباده على معناه والمتشابه
ما استاثر الله بعلمه فلا سبيل لاحد الى معرفته نحو الخبر عن اشراط الساعة مثل الدجال وياجوج وماجوج
ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وفنا الدنيا وقيام الساعة فجميع هذا مما
استاثر الله بعلمه وقيل ان المحكم ما لا يحتمل من التاويل الا وجها واحدا والمتشابه يحتمل اوجها روي
ذلك عن الشافعي وقيل المحكم ساير القران والمتشابه هي الحروف المقطعة في اوايل السور قال ابن عباس
ان رهطا من اليهود منهم حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف ونظراوهما اتوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له حيي بلغنا انه انزل عليك الم فانشدك الله انزل عليك قال نعم قال ان ذلك حقا فاني اعلم
مدة امتك وهي احدى وسبعون سنة فهل انزل عليك غيرها قال نعم المص قال فهذه اكثر هي احدى
وستون ومائة فهل انزل عليك غيرها قال نعم الر قال فهذه اكثر هي مايتان واحدى وثلاثون سنة فهل
من غيرها قال نعم المر قال هي اكثر هي مايتان واحدى وسبعون سنة ولقد خلط علينا فلا ندري ابكثيره
ناخذ ام بقليله ونحن ممن لا يومن بهذا فانزل الله هذه الاية قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ
فيتبعون ما تشابه منه وقيل ان المحكم ما لم تكرر الفاظه والمتشابه ما تكررت الفاظه وقيل ان المحكم ما استقل
بنفسه ولم يحتج الى بيان والمتشابه ما احتاج الى بيان وقيل ان المحكم هو الامر والنهي والوعد والوعيد
والمتشابه هو القصص والامثال فان قلت انما انزل القران لبيان الدين وارشاد العباد وهدايتهم
فما فايدة المتشابه وهلا كان كله محكما قلت ذكر العلما عن هذا السوال اجوبة احدها ان القران
نزل بلفظ العرب ولغاتهم وكلام العرب على ضربين احدهما الايجاز للاختصار والموجز الذي لا يخفى
على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره والاطالة لبيان المراد والتوكيد الضرب الثاني المجاز والكنايات والاشارات
والتلويحات واغماض بعض المعاني وهذا الضرب هو المستحسن عند العرب والبديع في كلامهم فانزل
الله تعالى القران على هذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله فكانه قال عارضوه باي الضربين
شيتم ولو نزل كله محكما واضحا لقالوا هلا نزل بالضرب المستحسن عندنا الجواب الثاني ان الله تعالى
انزل المتشابه لفايدة عظيمة وهي ان يشتغل اهل العلم والنظر برد المتشابه الى المحكم فيطول
بذلك فكرهم ويتصل بالبحث عن معانيه اهتمامهم فيثابون على تعبهم كما اثيبوا على عبادتهم ولو انزل
القران كله محكما لاستوى في معرفته العالم والجاهل ولم يفضل العالم على غيره ولماتت الخواطر وخمدت
الفكرة ومع الغموض تقع الحاجة الى الفكرة والحيلة الى استخراج المعاني وقد قيل في عيب لغتنا انه يورث
البلادة وفي فضيلة الفقر انه يبعث على الحيلة لانه اذا احتاج احتال الجواب الثالث ان اهل كل علم يجعلون

في علومهم معان غامضة ومسايل دقيقة ليختبروا بذلك اذهان المتعلمين منهم على انتزاع الجواب لانهم
اذا قدروا على انتزاع المعاني الغامضة كانوا على الواضح اقدر فلما كان ذلك حسنا عند العلما جاز
ان يكون ما انزل الله تعالى من المتشابه به هذا النحو الجواب الرابع ان الله تعالى انزل المتشابه في
كتابه مختبرا به عباده ليقف المومن عنده ويرد علمه الى عالمه فيعظم بذلك ثوابه ويرتاب به المنافق
فيداخله الزيغ فيستحق بذلك العقوبة كما ابتلى بنو اسرائيل بالنهر والله اعلم بمراده قوله تعالى فاما
الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق وقيل الزيغ الكيل واختلفوا في المعني بهم والمشار اليهم فقيل هم وفد
نجران الذين خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام وقالوا الست تزعم ان عيسى
روح الله وكلمته قالوا بلى قالوا حسبنا فانزل الله هذه الاية وقيل هم اليهود لانهم طلبوا معرفة بقا هذه
الامة واستخراجه بحساب الجمل من الحروف المقطعة في اوايل السور وقيل هم المنافقون وقيل هم الخوارج
وكان قتادة يقول ان لم يكونوا الحرورية والسبايية فلا ادري منهم وقيل هم جميع المبتدعة فيتبعون
ما تشابه منه يعني يحيلون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم ويقولون ما بال هذه الاية عمل بها
كذا وكذا ثم نسخت وقيل كل من احتج لباطله بالمتشابه فهو المعني بهذه الاية ق عن عايشة رضي الله عنها
قالت تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات الى وما يذكر الا
اولوا الالباب فقال اذا رايتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاوليك الذين سماهم الله فاحذروهم
وقوله تعالى ابتغا الفتنة اي طلب الشرك والكفر وقيل طلب الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم وقيل
طلب افساد ذات البين وابتغا تاويله اي تفسيره واصل التاويل في اللغة المرجع والمصير يقول آل
الامر الى كذا اذا رجع اليه وتسمى العاقبة تاويلا لان الامر يصير اليه قال ابن عباس في وابتغا تاويله
اي طلب بقا ملك محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بهم الكفار طلبوا متى يبعثون وكيف احياهم بعد
الموت وقيل هو تفسير المتشابه وعلمه وما يعلم تاويله الا الله يعني تاويل المتشابه وقيل لا يعلم انقضا
ملك هذه الامة الا الله لان انقضا ملكها مع قيام الساعة وذلك لا يعلمه الا الله وقيل يجوز ان يكون
للقران تاويل استاثر الله بعلمه لم يطلع عليه احد من خلقه كعلم قيام الساعة ووقت طلوع الشمس
من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم وعلم الحروف المقطعة واشباه ذلك مما استاثر الله بعلمه
فالايمان به واجب وحقايق علومه مفوضة الى الله تعالى وهذا قول اكثر المفسرين وهو مذهب ابن مسعود
وابن عباس في رواية عنه وابي بن كعب وعايشة واكثر التابعين فعلى هذا القول تم الكلام عند قوله
الا الله فيوقف عليه ثم ابتدا فقال تعالى والراسخون في العلم اي الثابتون في العلم وهم الذين اتقنوا
علمهم بحيث لا يدخل في علمهم شك يقولون امنا به قال ابن عباس سماهم الله راسخين في العلم بقولهم امنا
به فرسوخهم في العلم هو الايمان به وقال عمر بن عبد العزيز في هذه الاية انتهى علم الراسخين في العلم بتاويل القران
الى ان قالوا امنا به كل من عند ربنا يعني المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما علمنا منه وما لم نعلم فنحن نعتقد
في المتشابه بالايمان به ونكل معرفته الى الله تعالى وفي المحكم يجب علينا الايمان به والعمل بمقتضاه وروي
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال تفسير القران على اربعة اوجه فمنه تفسير لا يسع احد جهله وتفسير
تعرفه العرب بالسنتها وتفسير يعلمه العلما وتفسير لا يعلمه الا الله وقيل ان الواو في قوله والراسخون
في العلم واو عطف يعني ان تاويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم يقولون
امنا به وروي عن ابن عباس انه كان يقول انا من الراسخين في العلم وعن مجاهد عنه انا ممن يعلم تاويله وحكي

هذا القول ان الله تعالى انزل كتابه لينتفع به عباده ولا يجوز ان يكون في القران شي لا يعرفه احد من الامة
وفي المراد بالراسخين في العلم قولان احدهما انهم مومنوا اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه دليله
قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم والقول الثاني ان الراسخين هم العلما العاملين بعلمهم سيل مالك بن انس
رضي الله عنه عن الراسخين في العلم فقال العالم العامل بما علم المتبع له وقيل الراسخ في العلم من وجد في
علمه اربعة اشيا التقوى فيما بينه وبين الله تعالى والتواضع فيما بينه وبين الناس والزهد فيما بينه
وبين الدنيا والمجاهدة فيما بينه وبين النفس وما يذكر الا اولوا الالباب اي وما يتعظ بما في القران
الا ذووا العقول فهذا ثنا من الله عز وجل على الذين قالوا امنا به كل من عند ربنا قوله تعالى ربنا لا تزغ
قلوبنا اي ويقول الراسخون في العلم ربنا لا تزغ قلوبنا اي لا تملها عن الحق والهدى كما ازغت الذين في
قلوبهم زيغ بعد اذ هديتنا اي وفقتنا لدينك والايمان بالمحكم والمتشابه من كتابك وهب لنا من لدنك
رحمة اي اعطنا توفيقا وتثبيتا للذي نحن عليه من الايمان والهدى وقيل هب لنا تجاوزا ومغفرة
انك انت الوهاب الهبة العطية الخالية عن الاعواض والاغراض والوهاب في صفة الله تعالى انه
يعطي كل احد على قدر استحقاقه م عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قلوب بني ادم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف شا ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك هذا من احاديث الصفات
وللعلما فيه قولان احدهما الايمان به وامراره كما جا من غير تعرض لتاويل ولا تكييف ولا المعرفة معناه بل
نومن به وانه حق ونكل علمه الى مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هذا القول هو مذهب اهل السنة
من سلف الامة وخلفها من اهل الحديث وغيرهم والقول الثاني انه يتاول بحسب ما يليق به وان ظاهره
غير مراد قال تعالى ليس كمثله شي فعلى هذا المراد هو المجاز كما يقال فلان في قبضتي وفي كفي يريد انه تحت
قدرته وفي تصرفه لا انه حال في كفه فمعنى الحديث انه سبحانه وتعالى متصرف في قلوب عباده وغيرها
كيف شا لا يمتنع عليه منها شي ولا يفوته ما اراده منها كما لا يمتنع على الانسان ما بين اصبعيه فخاطب
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بما يفهمونه ويعقلونه من انفسهم فاما تثنية لفظ الاصبعين والقدرة
واحدة لانه جرى على المعهود من التمثيل بحسب ما اعتاده وان كان غير مقصود به التثنية والجمع وهذا
مذهب جمهور المتكلمين وغيرهم من المتاخرين وانما خص القلوب بالذكر لما بيناه وهي ان الله تعالى جعل
القلوب محلا للخواطر والارادات والنيات وهي مقدمات الافعال ثم جعل ساير الجوارح تابعة للقلوب
في الحركات والسكنات والله اعلم قوله عز وجل ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه اي ليوم القضا
وقيل اللام بمعنى في اي في يوم لا ريب فيه اي لا شك فيه انه كاين وهو يوم القيمة ان الله لا يخلف
الميعاد هذا من بقية دعا الراسخين في العلم وذلك انهم لما طلبوا من الله ان يصرف قلوبهم عن
الزيغ وان يخصهم بالهداية والرحمة وذلك من مصالح الدين والدنيا ثم انهم اتبعوا ذلك بقولهم ربنا
انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ومعناه انا نعلم انك جامع الناس للجزا في يوم القيمة ونعلم ان وعدك
حق وانك لا تخلف الميعاد فمن ازغت قلبه فهو هالك ومن مننت عليه بالهداية والرحمة فهو ناج
من العذاب سعيد قوله تعالى ان الذين كفروا قال ابن عباس هم قريظة وبني النضير لن تغني عنهم
اي لن تنفع ولن تدفع اموالهم ولا اولادهم من الله شيا اي من عذاب الله شيا وقيل من بمعنى عند
اي عند الله شيا واوليك هم وقود النار كداب آل فرعون قال ابن عباس كفعل آل فرعون وصنيعهم

في الكفر وقيل كسنة آل فرعون وقيل كعادة آل فرعون والمعنى ان عادة هولا الكفار في تكذيب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجحود الحق كعادة آل فرعون فانهم كذبوا موسى وصدقوا فرعون **والذين من قبلهم** يعني كفار الامم
الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم **كذبوا باياتنا** يعني المعجزات التي جا بها الرسل **فاخذهم الله بذنوبهم** اي فعاقبهم
بسبب تكذيبهم **والله شديد العقاب** وقيل في معنى الاية ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
عند حلول النقمة والعقوبة مثل آل فرعون وكذا بالامم الخالية فاخذناهم فلن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
قوله عز وجل **قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون** قرئ باليا والتا فمن قرا باليا المنقوطة تحت فمعناه بلغهم
يا محمد انهم سيغلبون ويحشرون ومن قرا بالتا المنقوطة فوق فمعناه قل لهم ستغلبون وتحشرون الى جهنم قيل
اراد بالذين كفروا مشركي قريش والمعنى قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون في الآخرة الى جهنم قال
لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وقيل ان ابا سفيان جمع جماعة من قومه
بعد وقعة بدر فانزل الله هذه الاية وقيل ان هذه الاية نزلت في اليهود وقال ابن عباس ان يهود المدينة
قالوا لما هزم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا والله الذي بشر به موسى الذي لا ترد له راية وارادوا اتباعه
ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى تنظروا وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكب اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم شكوا وغلب عليهم الشقا فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوا
العهد وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى مكة ليستنفرهم فاجمعوا امرهم على قتال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وقال ابن عباس وغيره لما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا
يوم بدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل الذي انزل
بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد
لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة وانا لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس
فانزل الله عز وجل قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون اي ستهزمون وتحشرون يعني في الآخرة **الى جهنم**
وبئس المهاد اي الفراش والمعنى بئس ما مهد لهم في النار قوله تعالى **قد كان لكم اية في فئتين التقتا** قيل الخطاب
للمؤمنين يروي ذلك عن ابن مسعود والحسن وقيل هو خطاب للكفار فيكون عطفا على الذي قبله ويخرج
على قول ابن عباس وقيل هو خطاب لليهود قال ابن جرير فان قلت لم قال قد كان لكم اية ولم يقل قد كانت لان
الاية مؤنثة قلت كلما كان ليس بمؤنث حقيقي يجوز تذكيره وقيل انه رد المعنى الى البيان فمعناه قد كان
كان لكم بيان فذهب الى المعنى وترك اللفظ وقال الفرا انما ذكر لانه حالت الصفة بين الفعل والاسم
المؤنث فذكر الفعل وكل ما جاء من هذا فهذا وجهه ومعنى الاية قد كان لكم اية اي عبرة ودلالة على صدق ما اقول
انكم ستغلبون في فئتين اي فرقتين واصلها في الحرب لان بعضهم يفي الى بعض اي يرجع التقتا يعني يوم بدر
فئة تقاتل في سبيل الله اي في طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وكانوا ثلثماية وثلاثة
عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين وماتان وستة وثلاثون رجلا من الانصار وكان صاحب راية
المهاجرين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة رضي الله عنه وكان فيهم سبعون
بعيرا وفرسان وكان معهم من السلاح ستة اذرع وثمانية سيوف قوله تعالى **واخرى كافرة** اي وفرقة اخرى
كافرة وهم مشركوا مكة وكانوا تسعماية وخمسون رجلا من المقاتلة وكان راسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان
فيهم ماية فرس وكانت وقعة بدر اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة قوله تعالى
يرونهم مثليهم قرئ بالتا يعني ترون يا اهل مكة ضعفي المسلمين يا معشر اليهود وذلك ان جماعة من اليهود

كانوا قد حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الداىرة ولمن النصر فراوا المشركين مثلي عدد المسلمين وراوا
النصر للمسلمين فكان ذلك معجزة وقرئ باليا واختلفوا في وجه قراة اليا فجعل بعضهم الروية للمسلمين
ثم له تاويلات احدها يرى المسلمون المشركين مثليهم كما هم فان قلت كيف قال مثليهم وانما كانوا ثلاثة امثالهم
قلت هذا مثل قول الرجل وعنده درهم انا محتاج الى مثل هذا الدرهم يعني الى مثليه سواه فيكون ثلاثة دراهم
ووجه اخر وهو ان الله تعالى اظهر للمسلمين من عدد المشركين القدر الذي يعلم المومنون انهم يغلبونهم لازالة
الخوف من قلوبهم وهذا التاويل الثاني هو الاصح قلل الله المشركين في اعين المسلمين حتى راوهم مثليهم فان
قلت كيف الجمع بين قوله تعالى يرونهم مثليهم وبين قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم
في اعينهم وكيف يقال ان المشركين استكثروا المسلمين او المسلمين استكثروا المشركين وان الفيتين استويا في
الاستقلال احدهما الاخرى قلت ان التقليل والتكثير كان في حالتين مختلفتين فان قلنا ان الفية
الرايية هم المسلمون فانهم راوا عدد المشركين في اعين المسلمين حتى اجترؤا عليهم فصبروا على قتالهم بذلك
السبب قال ابن مسعود نظرنا الى المشركين فرايناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رايناهم يزيدون
علينا رجلا واحدا وفي رواية اخرى عنه قال لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي كم تراهم قال اراهم
ماية فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا وان قلنا ان الفية الراية هم المشركون على قول بعضهم ان
الروية راجعة الى المشركين يعني المشركون المسلمين مثليهم قلل الله المسلمين في اعين المشركين في اول القتال
ليجترؤا عليهم ولا ينصرفوا فلما اخذوا في القتال كثر الله المسلمين في اعين المشركين ليجبنوا فيكون ذلك
سبب خذلانهم وقد روي ان المشركين لما اسروا يوم بدر قالوا للمسلمين كم كنتم قالوا كنا ثلثماية وثلاثة عشر
رجلا قالوا يعني المشركين ما كنا نراكم الا تضعفون علينا فكان في وقعة بدر احوال في التكثير والتقليل
وما ذلك الا اظهار للقدرة التامة قوله تعالى **راي العين** اي في راي العين **والله يؤيد** اي يقوي **بنصره**
من يشاء ان في ذلك يعني الذي ذكر من النصر وقيل روية الجيش مثليهم **لعبرة** اي لاية والعبرة الدلالة الموصلة
الى اليقين المودية الى العلم واصلها من العبور كانه طريق يعبرونه فيوصلهم الى مرادهم وقيل العبرة هي التي يعبر
منها من منزلة الجهل الى منزلة العلم **لاولي الابصار** لذوي العقول والبصاير قوله عز وجل **زين للناس**
قال اهل السنة المزين هو الله تعالى لانه تعالى خالق جميع افعال العباد وان الله خلق جميع ملاذ الدنيا
واباحها لعبيده واباحتها للعبد تزيين لها قال الله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقال الله
تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض
زينة لها وقال تعالى كلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا فكل ذلك يدل على ان المزين هو الله تعالى ومما يويد
ذلك قراة زين بفتح الزاي على تسمية الفاعل وقال الحسن المزين هو الشيطان وهو قول طايفة من المعتزلة
ويدل على ذلك ان الله تعالى زهد في هذه الاشيا بان اعلم عباده زوالها وان الله تعالى اطلق حب
الشهوات فيدخل فيه الشهوات المحرمة والمزين لذلك هو الشيطان ولان الله تعالى ذكر هذه الاشيا في
في معرض الذم للدنيا ويدل عليه اخر الاية وهو قوله والله عنده حسن الماب ونقل عن ابي الجبايي من المعتزلة
ان ما كان حراما كان المزين له هو الشيطان وكل ما كان مباحا من ذلك كان المزين له هو الله تعالى والصحيح ما
ذهب اليه اهل السنة لان الله تعالى خالق كل شي ولا شريك له في ملكه وقوله تعالى **حب الشهوات** يعني المشتهيات
لان الشهوة توقان النفس الى المشتهى **من النسا** انما بدا بذكر النسا لان الالتذاذ بهن اكثر والاستيناس بهن
اتم ولانهن حبايل الشيطان واقرب الى الافتتان **والبنين** انما خص البنين بالذكر لان حب الولد الذكر

اكثر من الانثى ووجه حبه ظاهر لانه يتكثر به ويعضده ويقوم مقامه وقد جعل الله في قلب الانسان حب الزوجة
والولد لحكمة بالغة وبقا النوالد ولولا تلك المحبة لما حصل ذلك والقناطير المقنطرة جمع قنطار
وسمي قنطارا من الاحكام والعقد يقال قنطرته اذا احكمته ومنه القنطرة اي المحكمة الطاق واختلفوا
في القنطار هل هو محدود او غير محدود على قولين احدهما انه محدود ثم اختلفوا في حده فروي عن معاذ
ابن جبل ان القنطار الف ومايتا اوقية وقال ابن عباس الف ومايتا مثقال وعنه انه اثني عشر الف درهم
او الف دينار دية احدكم وبه قال الحسن وقال سعيد بن جبير هو مائة الف وماية من وماية رطل وماية
مثقال وماية درهم ولقد جا الاسلام يوم جا وبمكة ماية رجل قد قنطروا وقال سعيد بن المسيب وقتادة
هو ثمانون الفا وقال مجاهد سبعون الفا وقال السدي هو اربعة الاف مثقال والقول الثاني ان
القنطار ليس بمحدود وقال الربيع بن انس القنطار المال الكثير بعضه على بعض وهو اختيار ابن جرير الطبري وغيره وقال
وقال الحاكم القنطار ما بين السما والارض من مال وقال ابو نضرة القنطار مل مسك ثور ذهبا او فضة
وقيل القنطار من المال ما فيه عبور الحياة تشبيها بعبور القنطرة المقنطرة اي المجموعة وقيل المضاعفة
لان القناطير جمع واقله ثلاثة والمقنطرة المضاعفة فيحتمل ان يكون ستة او تسعة وقيل المقنطرة
المسكوكة المنقوشة من الذهب والفضة انما بدا بهما من بين اصناف الاموال لانهما قيم الاشيا وانما
كانا محبوبين لان المالك لهما مالك قادر على ما يريده وهذه صفة كمال وهي محبوبة وقيل سمي الذهب
ذهبا لانه يذهب ولا يبقى والفضة لانها تنفض اي تتفرق والخيل المسومة الخيل جمع لا واحد له من
لفظه كالقوم والرهط سميت الافراس خيلا لاختيالها في مشيتها وقيل لان الخيل لا يركبها احد الا وجد
في نفسه مخيلة يعني عجبا واختلفوا في معنى المسومة على ثلاثة اقوال الاول انها من السمة وهي
العلامة ثم القايلون بهذا القول اختلفوا في تلك العلامة فقيل هي الغرة والتحجيل التي تكون في
الخيل وقيل هي الخيل البلق وقيل هي المعلمة بالكي والقول الثالث المطهمة الحسان والثاني المسومة الراعية والانعام
جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس منها نعم الا الابل خاصة فانه غلب عليها والحرث يعني الزرع
ذلك يعني الذي ذكر من هذه الاصناف متاع الحياة الدنيا اي الذي يستمتع به في الحياة الدنيا وهي زايلة
فانية تشير الى ان الحياة الدنيا متاع يفنى والله عنده حسن المآب اي المرجع ففيه اشارة الى التزهد
في الدنيا والترغيب في الاخرة وقيل فيه اشارة الى ان من اتاه الله الدنيا كان الواجب عليه ان يصرفها
فيما يكون فيه صلاحه في الاخرة لانها السعادة القصوى قوله تعالى قل أؤنبئكم اي اخبركم بخير من ذلكم
يعني الذي ذكر من متاع الدنيا للذين اتقوا قال ابن عباس في رواية عنه يريد المهاجرين والانصار اراد
ان يعرفهم ويشوقهم الى الاخرة قال العلما يدخل في هذا الخطاب كل من اتقى الشرك عند ربهم معناه انه تعالى
اخبر انما عنده خير مما كان في الدنيا وان كان محبوبا ليحثهم على ترك ما يحبون لما يرجون فسر ذلك الخير فقال
تعالى جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله ق عن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة
فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد
اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واي شي افضل
من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا وقيل ان العبد اذا علم ان الله تعالى قد
رضي عنه كان اتم لسروره واعظم لفرحه والله بصير بالعباد يعني انه تعالى عالم بمن يوثر ما عنده ممن

يوثر شهوات الدنيا فيجازي كلا على عمله فيثيب ويعاقب على قدر الاعمال وقيل انه تعالى بصير بالذين
اتقوا فلذلك اعد لهم الجنات قوله عز وجل الذين يقولون ربنا اننا امنا اي صدقنا فاغفر لنا
ذنوبنا اي استر علينا وتجاوز عنا وقنا عذاب النار قوله تعالى الصابرين يعني على ادا الواجبات
والمحرمات والمنهيات وفي البأسا والضرا وحين البأس وقيل الصابرين على دينهم وعلى ما اصابهم
والصادقين يعني في ايمانهم وقال قتادة هم قوم صدقت نياتهم واستقامت السنتهم وقلوبهم
في السر والعلانية والصدق يكون في القول والفعل والنية فاما صدق القول في مجانبة الكذب
والصدق في الفعل هو الانصراف عنه قبل تمامه والصدق في النية العزم على الفعل حتى يبلغه والقانتين
يعني المطيعين لله وقيل هم المصلون وهو عبارة عن دوام الطاعة والمواظبة عليها والمنفقين يعني
اموالهم في طاعة الله تعالى ويدخل فيه نفقة الرجل على نفسه وعلى اهله واقاربه وصلة رحمه والزكاة
والنفقة في جميع القربات والمستغفرين بالاسحار يعني المصلين بالسحر وهو الوقت بعد ظلمة الليل
الى طلوع الفجر وقيل كانوا يصلون بالليل حتى اذا كان وقت السحر اخذوا في الدعا والاستغفار فكان
هذا دابهم في ليلهم قال نافع كان ابن عمر يحيي الليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلاة فاذا
قلت نعم قعد يستغفر الله ويدعو حتى يصلي الصبح وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سما الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر فيقول
من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وفي لفظ مسلم فيقول انا الملك
انا الملك من ذا الذي يدعوني الحديث وله في رواية اخرى فيقول هل من سايل يعطى هل من داع فيستجاب
له هل من مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح هذا الحديث من احاديث الصفات وللعلما فيه وفي امثاله مذهبان
معروفان مذهب السلف الايمان به واجراوه على ظاهره ونفي الكيفية عنه والمذهب الثاني هو مذهب
من تاول احاديث الصفات قال ابو سليمان الخطابي انما ينكر هذا الحديث من يقيس الامور على ما يشاهده
من النزول الذي هو التدلي من اعلى الى اسفل والانتقال من فوق الى تحت وهذه صفة الاجسام فان
هذه المعاني غير متوهمة فيه وانما هو خبر عن قدرته ورافته بعباده وعطفه عليهم واستجابة دعايهم
ومغفرته لهم يفعل ما يشا لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على افعاله كمية سبحانه ليس كمثله شي وهو
السميع البصير وقيل في قوله والمستغفرين بالاسحار وصف الله تعالى هولا بما وصف ثم بين انهم مع ذلك
لشدة خوفهم ووجلهم انهم يستغفرون بالاسحار وروي ان لقمان قال لابنه يا بني لا تكن اعجز من الديك
فانه يصوت بالاسحار وانت نايم على فراشك وقيل هم الذين يصلون صلاة الصبح في جماعة فعلى
هذا القول انما سميت الصلاة استغفارا لانهم طلبوا بفعلها المغفرة قوله عز وجل شهد الله انه
لا اله الا هو قيل في سبب نزول هذه الاية ان حبرين من احبار الشام قدما على النبي صلى الله عليه
وسلم فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي
يخرج في اخر الزمان فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة فقالا له انت محمد قال نعم
قالا وانت احمد قال نعم قالا فانا نسالك عن شي فان انت اخبرتنا به امنا بك وصدقناك قال
سلاني قالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فانزل الله هذه الاية فاسلم الحبران وقيل
ان هذه الاية نزلت في نصارى نجران فيما ادعوا في عيسى عليه السلام فقوله تعالى شهد الله يعني بين
الله واظهر لان معنى الشهادة تبيين واظهار وقيل معنى شهد الله حكم الله وقضى وقيل معناه اعلم الله

انه لا اله الا هو وذلك ببيان الدلايل لما امكن التوصل الى معرفة الوحدانية ونبه تعالى ارشد عباده
الى معرفة توحيده بما بين من عجايب مصنوعاته وغرايب مبتدعاته سيل بعض الاعراب ما الدليل
على وجود الصانع فقال ان البعرة تدل على البعير واثار القدم تدل على المسير فهيكل علوي بهذه
اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة اما يدلان على وجود الصانع الخبير قال ابن عباس خلق الله تعالى
الارواح قبل الاجساد باربعة الاف سنة فشهد لنفسه بنفسه قبل ان يخلق الخلق حين كان ولم يكن
سما ولا ارض ولا بر ولا بحر فقال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو **والملايكة** اي وشهد الملايكة فمعنى شهادة
الله الاخبار والاعلام ومعنى شهادة الملايكة والمومنين الاقرار والاعتراف بانه لا اله الا هو ولما
كان كل واحد من هذين الامرين يسمى شهادة اطلاق لفظ الشهادة عليهما **واولوا العلم** اي وشهدوا
اولوا العلم بانه لا اله الا هو واختلفوا في اولي العلم فقيل هم الانبيا عليهم السلام لانهم اعلم الخلق بالله
تعالى وقيل هم علما اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار وقيل هم علما مومني
اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وقيل هم جميع المومنين **قايما بالقسط** اي بالعدل نصب على الحال
والقطع والمدح ومعناه انه تعالى قايم بتدبير خلقه كما يقال فلان قايم بامر فلان يعني انه مدبر له متعهد
لاسبابه وفلان قايم بحق فلان اي مجازله فالله مدبر امر خلقه وقايم بارزاقهم ومجازيهم باعمالهم
لا اله الا هو وانما كرره للتاكيد وقيل ان الاول وصف وتوحيد والثاني رسم وتعليم اي قولوا لا اله الا هو
وقيل فايدة التكرير الاعلام بان هذه الكلمة اعظم الكلام واشرفه ففيه حث للعباد على تكريرها
والاشتغال بها فان من اشتغل بها فقد اشتغل بافضل العبادات **العزيز** اي الغالب الذي لا يقهر **الحكيم**
يعني في جميع افعاله **ان الدين عند الله الاسلام** يعني ان الدين المرضي عند الله هو الاسلام كما قال
ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه رد على اليهود والنصارى وذلك لما ادعت اليهود انه لا دين افضل
من اليهودية وادعت النصارى انه لا دين افضل من النصرانية فرد الله عليهم ذلك فقال ان الدين عند
الله الاسلام وقرى ان الدين بفتح الهمزة ردا على ان الاولى والمعنى شهد الله انه لا اله الا هو وشهد
ان الدين عند الله الاسلام واصل الدين في اللغة الجزا يقال كما تدين تدان ثم صار اسما للملة والشريعة
ومعناه الانقياد للطاعة والشريعة قال الزجاج الدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وامرهم بالاقامة
عليه والاسلام هو الدخول في السلم وهو الاستسلام والانقياد والدخول في الطاعة روى البغوي بسنده الثعلبي
عن غالب القطان قال اتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا من الاعمش فكنت اختلف اليه فلما كان ذات ليلة
اردت ان انحدر الى البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه الاية شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة
واولوا العلم قايما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم قال الاعمش وانا اشهد بما شهد الله به لنفسه
واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا فقلت
سمع فيها شيا فصليت الصبح معه وودعته ثم قلت اني سمعتك ترددها فما بلغك فيها قال والله لا
احدثك بها الى سنة فكتبت على بابه ذلك اليوم واقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد قد
مضت السنة فقال حدثني ابو وايل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجا بصاحبها
يوم القيمة فيقول الله عز وجل ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفا بالعهد ادخلوا عبدي
الجنة قوله تعالى **وما اختلف الذين اوتوا الكتاب** قال الكلبي نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا
الاسلام والمعنى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم **الا من بعد ما جاهم**

العلم

العلم يعني بيانه نعته وصفته في كتبهم وقال الربيع ان موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين
رجلا من خيار بني اسرايل واودعهم التوراة واستخلف يوشع بن نون فلما مضى القرن الاول والثاني والثالث
وقع الفرقة والاختلاف بينهم وهم الذين اوتوا الكتاب من ابنا اوليك السبعين حتى اهرقوا الدما
ووقع الشر والاختلاف وذلك بعد ما جاهم العلم يعني ما في التوراة من الاحكام بغيا بينهم اي طلبا
للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة وقيل نزلت في نصارى نجران ومعناه وما اختلف الذين
اوتوا الكتاب يعني الانجيل واختلافهم كان في امر عيسى عليه السلام وما ادعوا فيه من الالهية الا من
بعد ما جاهم العلم يعني بان الله واحد احد وان عيسى عبده ورسوله **بغيا بينهم** يعني المعاداة والمخالفة
ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب فيه وعيد وتهديد لمن اصر على الكفر من اليهود
والنصارى قالوا السنا على ما سميتنا به يا محمد انما اليهودية والنصرانية نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه
فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يحتج عليهم بانه اتبع امر الله الذي هم مقرون به بقوله **فان حاجوك فقل**
اسلمت وجهي لله اي انقدت له بقلبي ولساني وجميع جوارحي وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف جوارح الانسان
الظاهرة فاذا خضع وجهه لشي فقد خضع له ساير جوارحه وقيل اراد بالوجه العمل اي اخلصت عملي لله وقصدي
بعبادتي الى الله **ومن اتبعني** يعني ومن اسلم كما اسلمت انا **وقل للذين اوتوا الكتاب** يعني اليهود والنصارى
والاميين يعني مشركي العرب **ااسلمتم** لفظه استفهام ومعناه امر اي اسلموا **فان اسلموا فقد اهتدوا** يعني
الى الفوز والنجاة في الاخرة فلما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية على اهل الكتاب قالوا قد
اسلمنا فقال لليهود اتشهدون ان موسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال للنصارى
اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عبدا قال الله تعالى **وان تولوا**
اي اعرضوا **فانما عليك البلاغ** يعني تبليغ الرسالة وليس عليك هدايتهم واختلف علما الناسخ والمنسوخ
في الاية فذهب طايفة الى انها محكمة والمراد بها تسلية النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان يحرص على ايمانهم
ويتالم لتركهم الاجابة وذهب طايفة الى انها منسوخة باية السيف لان المراد بها الاقتصار على التبليغ
وهذا منسوخ باية السيف **والله بصير بالعباد** يعني انه تعالى عالم بمن يومن وبمن لا يومن قوله عز وجل
ان الذين يكفرون بايات الله اي يجحدون القران وينكرونه وهم اليهود والنصارى **ويقتلون النبيين**
بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس كان انبيا بني اسرايل ياتيهم الوحي ولم يكن ياتيهم كتاب
لانهم كانوا ملتزمين باحكام التوراة فكانوا يذكرون قومهم فيقتلون انبياهم فيقوم رجال ممن امن بهم وصدقهم
فيذكرونهم ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فيقتلونهم ايضا فهم الذين يامرون بالقسط يعني بالعدل من
الناس روى البغوي بسند الثعلبي عن ابي عبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا
يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجل امر بالمنكر ونهى عن المعروف ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون
النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس الى ان انتهى الى قوله وما لهم من ناصرين ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرايل ثلاثة واربعون نبيا من اول النهار في
ساعة واحدة فقام مايه واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرايل فامروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم
جميعا من اخر النهار في ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله في كتابه وانزل الاية فيهم **فبشرهم بعذاب اليم**
انما دخلت الفا في قوله فبشرهم مع انه خبر ان لانه في معنى الجزا والتقدير من كفر فبشرهم بعذاب اليم يوم القيمة
وهذا محمول على الاستعارة وهو ان انذار الكفار بالعذاب قام مقام بشرى المحسنين بالثواب وفي هذه

توبيخ لليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وان كان اسلافهم الذين قتلوا الانبيا لانهم رضوا
بفعلهم اوليك الذين حبطت اي بطلت اعمالهم في الدنيا والاخرة وبطلان العمل هو ان لا يقبل في الدنيا
ولا يجازى عليه في الاخرة وما لهم من ناصرين يعني يمنعونهم من العذاب قوله تعالى الم تر الي الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب نزلت في اليهود يدعون الي كتاب الله يعني القران وذلك ان اليهود دعوا الي حكم القران فاعرضوا
عنه قال ابن عباس ان الله جعل القران حكما فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم القران على
اليهود والنصارى انهم على غير الهدى فاعرضوا عنه وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدارس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو
والحارث بن زيد على اي دين انت يا محمد فقال على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هلموا الي التوراة فهي بيننا وبينكم فابيا عليه فانزل الله هذه الاية فعلى هذا القول
يكون المراد بكتاب الله التوراة وروي عنه ايضا ان رجلا وامراة من اهل خيبر زنيا وكان في كتابهم الرجم فكرهوا
رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا امرهما الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا ان يكون عنده رخصة فحكم عليهما
بالرجم فقال النعمان بن اوفى وبحري بن عمرو جرت عليهما يا محمد وليس عليهما الرجم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيني وبينكم التوراة فقالوا قد انصفت فقال من اعلمكم بالتوراة قالوا رجل اعور يقال
له عبد الله بن صوريا يسكن فدك فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه للنبي صلى الله
عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود بالتوراة
قال كذلك يزعمون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة فقال له اقرا فقرا فلما اتى على اية
الرجم وضع يده عليها وقرا ما بعدها فقال عبد الله يا رسول الله قد جاوزها ثم قام فرفع كفه عنها
وقراها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود وفيها ان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت
عليهما البينة رجما وان كانت المراة حبلى تربص بها حتى تضع حملها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين
فرجما فغضب اليهود لذلك فانزل الله عز وجل الم تر الي الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني علمهم الذي
علموه من التوراة يدعون الي كتاب الله يعني القران او التوراة على اختلاف الروايتين ليحكم بينهم اي ليقضي
بينهم واضافة الحكم الي الكتاب هو على سبيل المجاز ثم يتولى فريق منهم يعني الروسا والعلما وهم معرضون
يعني عن الحق وقيل الذين تولوا هم العلما والذين اعرضوا هم الاتباع ذلك بانهم يعني ذلك التولي والاعراض
انما حصل بسبب انهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات تقدم تفسيره في سورة البقرة وغرهم اي اطمعهم
في دينهم ما كانوا يفترون اي يختلقون ويكذبون وقيل هو قولهم نحن ابنا الله واحباوه وقيل هو قولهم لن
تمسنا النار الا اياما معدودات وقيل غرهم قولهم نحن على الحق وانتم على الباطل فكيف اذا جمعناهم اي فكيف
يكون حالهم اذا جمعناهم ليوم اي في يوم لا ريب فيه اي لا شك فيه انه كاين وواقع وهو يوم القيمة وفيه تهديد
واستعظام لما اعد لهم في ذلك اليوم وانهم يقعون فيما لا حيلة لهم فيه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه
عليها تعللا بما طمع فيما لا يكون ولا يحصل قيل ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية
اليهود فيفضحهم على روس الاشهاد ثم يومر بهم الي النار ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون اي لا ينقص
من حسناتهم ان كانت لهم حسنة ولا يزاد على سياتهم قوله عز وجل قل اللهم مالك الملك قال قتادة ذكر لنا
ان نبي الله صلى الله عليه وسلم سال ربه عز وجل ان يجعل ملك فارس والروم في امته فانزل الله هذه الاية
وقال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ووعد امته ملك فارس والروم قال المنافقون

واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك الم يكف محمدا مكة والمدينة
حتى طمع في ملك فارس والروم فانزل الله هذه الاية وقيل ان اليهود قالوا والله لا نطيع رجلا جا ينقل النبوة
من بني اسرايل الي غيرهم فنزلت هذه الاية قل اللهم معناه يا الله لما حذف حرف النداء زيد الميم في اخره
وقيل ان الميم فيه معنى اخر وهو يا الله امنا بخير اي اقصدنا مالك الملك اي مالك العباد وما ملكوا وقيل
مالك ملك السموات والارض وقيل معناه بيده الملك يوتيه من يشا وقيل معناه مالك الملوك
ووارثهم يوم لا يدعي الملك احد غيره وفي بعض كتب الله المنزلة انا الله ملك الملوك ومالك الملك
قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان هم عصوني جعلتهم عليهم عقوبة
فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا اعطفهم عليكم وقيل الملك هو القدرة والمالك هو القادر والمعنى
انه تعالى قادر على كل شي ومالك على كل مالك ومملوك وقادر ومقدور وقيل معناه مالك الملك اي جنس
الملك يتصرف فيه كيف يشا توتي الملك من تشا يعني النبوة لانها اعظم مراتب الملك وذلك لان النبي
له الامر على بواطن الخلق وظواهرهم والملك ليس له امر الا على ظواهر بعض الخلق وهو من يطيعه منهم وطاعة
النبي صلى الله عليه وسلم واجبة على الكافة وتنزع الملك ممن تشا يعني بذلك نزع النبوة من بني
اسرايل واتيانها محمدا صلى الله عليه وسلم فانه لا نبي بعده ولا يشركه في نبوته ورسالته احد وقيل توتي
الملك من تشا يعني محمدا واصحابه وتنزع الملك ممن تشا يعني من ابي جهل وصناديد قريش وقيل توتي
الملك من تشا يعني امة محمد صلى الله عليه وسلم وتنزع الملك ممن تشا يعني فارس والروم وقيل توتي
الملك من تشا يعني ادم وذريته وتنزع الملك ممن تشا يعني ابليس وجنوده الذين كانوا في الارض
قبل ادم وتعز من تشا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة وتذل من تشا يعني اليهود
باخذ الجزية منهم ونزع النبوة عنهم وقيل تعز المهاجرين والانصار وتذل فارس والروم وقيل تعز من تشا
يعني محمدا واصحابه حين دخلوا مكة في عشرة الاف ظاهرين عليها وتذل من تشا يعني ابا جهل واصحابه
حين قتلوا والقوا في قليب بدر يوم بدر وقيل تعز من تشا بالطاعة وتذل من تشا بالمعصية وقيل
تعز من تشا بالغنى وتذل من تشا بالفقر وقيل تعز من تشا بالقناعة والرضا وتذل من تشا بالحرص
والطمع بيدك الخير يعني النصر والغنيمة وقيل الالف لتفيد العموم والمعنى بيدك كل الخيرات فان قلت
كيف قال بيدك الخير دون الشر قلت انما الكلام وقع في الخير الذي يسوقه الله الي عباده المومنين وهو الذي
انكرته اليهود والمنافقين فقال بيدك الخير توتيه اولياك على رغم اعدايك وقيل ان قوله بيدك الخير لا
ينافي ان يكون بيده غيره فيكون المعنى بيدك الخير وبيدك ما سواه الا انه خص الخير بالذكر لانه المنتفع
به والمرغب فيه انك على كل شي قدير يعني من ايتا الملك من تشا واعزاز من تشا واذلال من تشا قوله
تعالى تولج الليل في النهار الاية ذكر الله تعالى انه مالك الملك اردفه بذكر قدرته الباهرة في حال الليل
والنهار في المعاقبة بينهما وحال اخراج الحي من الميت ثم عطف عليه انه يرزق من يشا بغير حساب وفي ذلك
دلالة على انه من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة لذوي الافهام والعقول قادر على ان ينزع الملك
من فارس والروم واليهود ويذلهم ويوتيه العرب ويعزهم فقوله تعالى تولج الليل في النهار يعني يدخل الليل
في النهار وهو ان يجعل الليل قصيرا وما نقص منه زاد في النهار حتى يكون النهار خمسة عشر ساعة وذلك
غاية طوله ويكون الليل تسع ساعات وذلك غاية قصر الليل وتولج النهار في الليل حتى يكون الليل خمسة
عشر ساعة وذلك غاية طوله ويكون النهار تسع ساعات وذلك غاية قصره وقيل المراد انه تعالى ياتي بسواد

الليل عقيب ضوء النهار ويأتي بضوء النهار بعد ظلمة الليل القول الاول اصح واقرب الى معنى الاية لانه
اذا انتقص الليل كان ذلك القدر زيادة في النهار وبالعكس وهو معنى الولوج **وتخرج الحي من الميت وتخرج
الميت من الحي** يعني انه تعالى يخرج الانسان الحي من النطفة وهي الميتة ويخرج النطفة من الانسان ويخرج الفرخ
وهو حي من البيضة وهي ميتة وبالعكس وكذلك سائر الحيوان وقيل يخرج النبات الغض الاخضر من الحب
اليابس ويخرج النخلة من النواة وبالعكس وقيل معناه انه تعالى يخرج المومن من الكافر والكافر من المومن لان
المومن حي الفواد والكافر ميتة **وترزق من تشاء بغير حساب** يعني من غير تضييق ولا تقتير بل يبسط الرزق
لمن يشاء ويوسعه عليه قوله تعالى **لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء من دون المومنين** قال ابن عباس كان
الحجاج ابن عمرو بن ابي الحقيق وقيس بن زيد يبطنون بنفر من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة
ابن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هولاء لا يفتنوكم عن دينكم فابى اولئك
النفر الا مباطنتهم فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وغيره ممن كان يظهر المودة
لكفار مكة وقيل نزلت في عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتولون المشركين واليهود ويأتونهم بالاخبار
يرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية ونهى المومنين عن مثل
ذلك وقيل ان عبادة بن الصامت كان له حلفاء من اليهود فقال يوم الاحزاب يا رسول الله ان معي خمسمائة
من اليهود وقد رايت ان استظهر بهم على العدو فنزلت هذه الاية قوله لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء
يعني انصارا واعوانا من دون المومنين يعني من غير المومنين والمعنى لا يجعل المومن ولايته لمن هو غير مومن
نهى الله المومنين ان يوالوا الكفار او يلاطفوهم لقرابة بينهم او محبة او معاشرة والمحبة في الله والبغض
في الله باب عظيم واصل من اصول الايمان **ومن يفعل ذلك** يعني موالاة الكفار من نقل الاخبار اليهم
واظهار عورة المسلمين او يودهم ويحبهم **فليس من الله في شيء** اي فليس من دين الله في شيء وقيل معناه
فليس في ولاية الله في شيء وهذا امر معقول من ولاية المولى معاداة اعدائه وموالاة الكفار ضدان لا
يجتمعان **الا ان تتقوا منهم تقاة** اي الا ان تخافوا منهم مخافة ومعنى الاية ان الله نهى المومنين عن موالاة
الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم الا ان يكون الكفار غالبين ظاهرين او يكون المومن في قوم كفار فيداهنهم
بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان دفعا عن نفسه من غير ان يستحل دما حراما او مالا حراما وغير ذلك
من المحرمات او يظهر الكفار على عورة المسلمين والتقية لا يكون مع خوف القتل مع سلامة النية قال
الله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ثم هذه التقية رخصة فلو صبر على اظهار ايمانه حتى
قتل كان له بذلك اجر عظيم وانكر قوم التقية وقالوا انما كانت التقية في جدة الاسلام قبل استحكام
الدين وقوة المسلمين فاما اليوم فقد اعز الله الاسلام والمسلمين فليس لاهل الاسلام ان يتقوا
من عدوهم قال يحيى البكا قلت لسعيد بن جبير في ايام الحجاج ان الحسن يقول لكم التقية باللسان
والقلب مطمئن بالايمان فقال سعيد ليس في الاسلام تقية انما التقية في الحرب وقيل انما يجوز التقية
لصون النفس عن الضرر لان دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان **ويحذركم الله نفسه** اي ويخوفكم
الله ان تعصوه بان ترتكبوا المنهي او تخالفوا المامور او توالوا الكفار فتستحقوا عقابه على ذلك كله
والى الله المصير يعني ان الله يحذركم عقابه اذا صرتم اليه في الاخرة قوله عز وجل **قل ان تخفوا ما في
صدوركم** يعني ما في قلوبكم من موالاة الكفار ومودتهم وانما ذكر الصدر لانه وعاء القلب **او تبدوه** يعني
تبدوا مودة الكفار قولا وفعلا وقيل معناه ان تخفوا ما في قلوبكم من تكذيب رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم او تبدوه اي تظهروه بالحرب والمقاتلة له **يعلمه الله** اي يحفظه عليكم ويجازيكم به **ويعلم ما في السموات
وما في الارض** يعني انه تعالى اذا كان لا يخفى عليه شيء في السموات ولا في الارض فكيف يخفى عليه حالكم ومولاتكم
الكفار وميلكم اليهم بقلوبكم **والله على كل شيء قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا** يعني تجد كل نفس
جزاء ما عملت محضرا يوم القيمة لم ينقص ولم يبخس منه شيء **وما عملت من سوء** اي تجد ما عملت من الخير
محضرا فتسر به وما عملت من سوء **تود** اي تتمنى **لو ان بينها وبينه** اي وبين ما عملت من السوء **امدا بعيدا** اي
مكانا بعيدا قيل كما بين المشرق والمغرب والامد الاجل والغاية وقيل معناه تود انها لم تعمله ويكون بينها
وبينه امدا بعيدا **ويحذركم الله نفسه** انما كرره لتاكيد الوعيد **والله روف بالعباد** قيل معناه انه روف
بهم حيث حذرهم نفسه وعرفهم كمال قدرته وعلمه وانه يمهل ولا يهمل وقيل معناه انه روف بالعباد حيث
امهلهم للتوبة وللتدارك العمل الصالح وقيل انه تعالى لما قال ويحذركم الله نفسه وهو وعيد اتبعه بقوله
والله روف بالعباد وهو وعيد ليعلم العبد المومن ان رحمته ووعده غلبت وعيده وسخطه قوله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا نحن ابناء الله واحباوه
فنزلت هذه الاية فعرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فلم يقبلوها وقال ابن عباس وقف
رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم وعلقوا عليها بيض
النعام وجعلوا في اذانها السيوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة ابيكم
ابراهيم واسمعيل فقالت قريش انما نعبدها حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فنزلت هذه الاية وقيل
نصارى نجران قالوا انما نقول هذا القول في عيسى حبا لله وتعظيما له فانزل الله قل يا محمد ان كنتم
تحبون الله فيما تزعمون فاتبعوني يحببكم الله لانه قد ثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالدلائل
الظاهرة والمعجزات الباهرة فوجب على كافة الخلق متابعته والمعنى ان كنتم صادقين في ادعاء محبة
الله فكونوا منقادين لاوامره ومطيعين له فاتبعوني فان اتباع من محبة الله وطاعته قال العلماء ان
محبة العبد لله عبارة عن اعظامه واجلاله وايثار طاعته واتباع امره ومجانبة نهيه ومحبة الله للعبد
ثناؤه عليه ورضاه عنه وثوابه وعفوه عنه فذلك قوله تعالى **ويغفر لكم ذنوبكم** يعني ان من غفر له فقد
ازال عنه العذاب **والله غفور رحيم** يعني انه تعالى يغفر ذنوب من احبه ويرحمه بفضله وكرمه ولما
نزلت هذه الاية قال عبد الله بن ابي بن سلول راس المنافقين لاصحابه ان محمدا يجعل طاعته كطاعة
الله ويامرنا ان نحبه كما احبت النصارى عيسى ابن مريم فانزل الله عز وجل **قل اطيعوا الله والرسول**
يعني ان طاعة الله متعلقة بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان طاعته لا تتم مع عصيان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الشافعي رحمة الله كل امر ونهي ثبت عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم جرى ذلك في الفريضة واللزوم مجرى ما امر الله به في كتابه او نهى عنه وقال ابن عباس
فان طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعتكم لي فاما ان يطيعوني ويعصوا محمدا فلن اقبل منكم **فان تولوا**
اي اعرضوا عن طاعة الله ورسوله **فان الله لا يحب الكافرين** اي لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم **خ** عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا
ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى **ق** عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص الامير
فقد عصاني قوله عز وجل **ان الله اصطفى ادم ونوحا** قال ابن عباس قالت اليهود نحن ابناء ابراهيم

واسحق ويعقوب ونحن على دينهم فانزل الله هذه الاية والمعنى ان الله اصطفى هولا بالاسلام وانتم يا معشر
اليهود على غير دين الاسلام ومعنى اصطفى اختار من الصفوة وهي الخالص من كل شي ادم هو ابو البشر ادم عليه
السلام ونوح هو نوح بن الملك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام وحكى ابن الجوزي في تفسيره عن
ابي سليمان الدمشقي ان اسم نوح السكن وانما سمي نوحا لكثرة نوحه على نفسه **وال ابراهيم** قيل اراد بال ابراهيم
ابراهيم نفسه وقيل ال ابراهيم اسمعيل واسحق ويعقوب وذلك ان الله تعالى جعل ابراهيم عليه السلام اصلا
لشعبتين فجعل اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام اصلا للعرب ومحمد صلى الله عليه وسلم منهم فهو داخل في هذا
الاصطفا وجعل اسحق اصلا لبني اسرائيل وجعل فيهم النبوة والملك الى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم
جعل له ولامته الملك الى يوم القيمة وقيل اراد بابراهيم من كان على دينه **وال عمران** واختلفوا في عمران هذا
فقيل هو عمران بن يصهر ابن فاهث ابن لاوي بن يعقوب وهو والد موسى وهارون فيكون ال عمران موسى وهارون
او نفسه وقيل هو عمران بن اشيم بن اموت وقيل ابن ماتان وهو من ولد سليمان بن داود عليهما السلام
وعمران هذا هو والد مريم وابنها عيسى فعلى هذا يكون المراد بال عمران مريم وابنها عيسى عليهما السلام وانما
خص هولا بالذكر لان الانبيا والرسل من نسلهم **على العالمين** اي اختارهم واصطفاهم على العالمين بما خصهم
من النبوة والرسالة **ذرية** اي اصطفى ذرية واصلها من ذرا بمعنى خلق وقيل من الذر لان الله استخرجهم من
ظهر ادم كالذر وانما سمي الابا والابنا ذرية لان الله خلق بعضهم من بعض فالابنا من ذرية الابا والابا من
ذرية ادم عليه السلام وهو من ذرا الله اي خلقه **بعضها من بعض** اي بعضها من ولد بعض وقيل بعضها
من بعض في التناصر والتفاضل وقيل بعضها على دين بعض **والله سميع عليم** يعني انه تعالى سميع لاقوال
العباد عليم بنياتهم وانما يصطفي لنبوته ورسالته من يعلم استقامته قولا وفعلا قوله تعالى **اذ قالت امراة
عمران** هي حنة بنت فاقود ام مريم وعمران بن ماتان وقيل ابن اشيم وليس بعمران ابي موسى لان بينهما الف وثمانماية
سنة وكان بنو ماتان رؤوس بني اسرائيل في ذلك الزمان واحبارهم وملوكهم **رب اني نذرت لك ما في بطني
محررا** اي جعلت الحمل الذي في بطني نذرا مني اليك والنذر ما يوجبه الانسان على نفسه ومعنى محررا
اي عتيقا خالصا متفرغا لعبادة الله وخدمة الكنيسة لا اشغله بشي من امور الدنيا قيل كان المحرر
عندهم اذا حرر جعل في الكنيسة فيقوم عليها ويخدمها ولا يبرح مقيما فيها حتى يبلغ الحلم ثم يخير ان احب
اقام فيها وان احب ذهب حيث شا فان اراد الخروج بعد ان اختار الاقامة في الكنيسة لم يكن له ذلك
ولم يكن احد من انبيا بني اسرائيل علمايهم الا ومن اولاده محرر لخدمة بيت المقدس ولم يكن محررا الا الغلمان
ولا تصلح الجارية لخدمة بيت المقدس لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت ام مريم ما في بطنها وكانت القصة
في ذلك على ما ذكره اصحاب السير والاخبار ان زكريا وعمران تزوجا اختين فكانت ايشاع بنت فاقود وهي ام
يحيى عند زكريا وكانت حنة بنت فاقود اخت ايشاع عند عمران وهي ام مريم وكان قد امسك عن حنة الولد
حتى ايست وكبرت وكانوا اهل بيت صالحين وهم من الله بمكان فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطاير يطعم
فرخا فتحركت نفسها بذلك للولد فدعت الله ان يهب لها ولدا وقالت اللهم لك علي ان رزقتني ولدا
ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فلما حملت مريم حررت ما في بطنها ولم تعلم
ما هو فقال لها زوجها ويحك ما صنعت ارايت ان كان ما في بطنك انثى فلا يصلح لذلك فوقعا جميعا
في هم شديد من اجل ذلك ومات عمران قبل ان تضع حنة حملها ثم قال تعالى حاكيا عنها **فتقبل مني** يعني
نذري والتقبل اخذ الشي على الرضى واصله من المقابلة لانه يقابل بالجزا وهو سوال الطلب لا يريد بما نعله

الا الطلب لرضا الله تعالى والاخلاص في دعايه وعبادته **انك انت السميع** يعني لتضرعي ودعايي **العليم** يعني
بنيتي وما في ضميري قوله عز وجل **فلما وضعتها** اي ولدت حملها وانما قال وضعتها لانه كان في علم الله انها
جارية وكانت حنة ترجو ان يكون غلاما **قالت** يعني حنة **رب اني وضعتها انثى** تريد بذلك اعتذار
الى الله تعالى من اطلاقها النذر المتقدم فذكرت ذلك على سبيل الاعتذار لا على سبيل الاعلام لان الله
تعالى عالم بما في بطنها قبل ان تضعه **والله اعلم بما وضعت** قرى بجزم التا اخبارا عن الله تعالى والمعنى
انه تعالى قال والله اعلم بالشي الذي وضعت وقرى وضعت برفع التا وهو من كلام ام مريم على تقدير انها
لما قالت رب اني وضعتها انثى خافت ان يكون اخبرت الله تعالى بذلك فازالت هذه الشبهة بقولها
والله اعلم بما وضعت **وليس الذكر كالانثى** يعني في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها وفي الكلام
تقديم وتاخير تقديره وليس الانثى كالذكر والمراد منه تفضيل الذكر على الانثى لان الذكر يصلح للخدمة
في الكنيسة ولا تصلح الانثى لذلك لضعفها وما يحصل لها من الحيض ولانها عورة ولا يجوز لها الحضور مع
الرجال وقيل في معنى الاية ان المقصود منها هو تفضيل هذه الانثى على الذكر كانها قالت كان الذكر
مطلوبي لخدمة المسجد وهذه الانثى هي موهبة الله تعالى وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي هي
موهبة الله تعالى وكانت مريم من اجمل النسا وافضلهن في وقتها **واني سميتها مريم** يعني العابدة والخادمة
وهي بلغتهم واردت بهذه التسمية ان يفضلها الله على اناث الدنيا **واني اعيذها بك وذريتها** اي
امنعها واجيرها بك وذريتها **من الشيطان الرجيم** يعني اللعين الطريد وذلك ان حنة ام مريم
لما فاتها ما كانت تطلب من ان يكون ولدها ذكرا فاذا هي انثى تضرعت الى الله تعالى ان يحفظها ويعصمها
من الشيطان الرجيم وان يجعلها من الصالحات العابدات **وعن** ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من بني ادم من مولود الا نخسه الشيطان حين يولد فيستهل
صارخا من نخسته اياه الا مريم وابنها يقول ابو هريرة اقروا ان شيتم واني اعيذها بك وذريتها من
الشيطان الرجيم وللبخاري عنه قال كل ابن ادم يطعن الشيطان في جنبيه باصبعه حين يولد غير
عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب قوله تعالى **فتقبلها ربها بقبول حسن** يعني تقبل الله مريم
من حنة مكان الذكر المحرر بمعنى قبل ورضي قال الزجاج الاصل في العربية تقبلها بتقبل ولكن قبول محمول
على قبلها قبولا كما يقال قبلت الشي قبولا ويجوز قبولا اذا رضيه وقال ابو عمرو وليس في المصادر فعول بفتح
الفا الا هذا ولم اسمع فيه الضم وقيل معنى التقبل والقبول واحد وهما سوا وهو ان يرتدي الشي وكاخذه وقيل
معنى التقبل التكفل في التربية والقيام بشانها وانما قال بقبول للجمع بين الامرين يعني التقبل الذي
بمعنى التكفل والقبول الذي هو بمعنى الرضى **وانبتها نباتا حسنا** ومعناه انبتها فنبتت هي نباتا
حسنا قال ابن عباس في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن اي سلك بها طريق السعدا وانبتها نباتا
حسنا اي سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام **وكفلها
زكريا** قال اهل الاخبار لما ولدت حنة مريم اخذتها فلفتها في خرقة وحملتها الى المسجد فوضعتها عند
الاحبار ابنا هارون وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلون الحجبة من الكعبة وقالت دونكم النذيرة
فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا انا احق بها لان خالتها
عندي فقالت له الاحبار لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها التي ولدتها ولكن نقترع عليها فتكون عند
من خرج سهمه بها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار قيل هو الاردن فالقوا اقلامهم في الما

على ان من ثبت قلمه في الما وصعد فهو اولي بها من غيره وكان على كل قلم مكتوب اسم واحد منهم وقيل بل كانوا
يكتبون التوراة فالقوا اقلامهم التي كانت بايديهم فارتفع قلم زكريا فوق الما ووقف والحدرت اقلامهم ثم
رسبت في النهر وقيل جرى قلم زكريا مصعدا الى اعلى وجرت اقلامهم مع جري الما الى اسفل فسهمهم زكريا
وقرعهم وكان زكريا راس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا وقري بتشديد الفا وضمها الله زكريا
وضمها اليه بالقرعة وقري بتخفيف الفا ومعناه وضمها زكريا الى نفسه بالقرعة وقام بامرها وهو زكريا
ابن اذن بن مسلم بن صدوق من اولاد سليمان بن داود عليهم السلام فلما ضم زكريا مريم الى نفسه بنا لها
محرابا في المسجد وجعل بابه في سطحه ولا يرقى اليه الا بسلم ولا يصعد اليها غيره وكان ياتيها بطعامها وشرابها
كل يوم فذلك قوله تعالى **كلما دخل عليها زكريا المحراب** يعني الغرفة والمحراب اشرف المجالس ومقدمها
وكذلك هو من المسجد وقيل المحراب ما يرقى اليه بدرج وقيل كان زكريا يغلق عليها سبعة ابواب فاذا دخل
عليها المحراب **وجد عندها رزقا** يعني فاكهة في غير وقتها فكان يجد عندها فاكهة الشتا في الصيف
وفاكهة الصيف في الشتا **قال** يعني زكريا **يا مريم انى لك هذا** اي من اين لك هذه الفاكهة **قالت**
يعني قالت مريم مجيبة لزكريا **هو من عند الله** يعني من الجنة وقيل ان مريم من حين ولدت لم تلقم ثديا
بل كان ياتيها رزقها من الجنة فيقول زكريا يا مريم انى لك هذا فقالت هو من عند الله تكلمت وهي
صغيرة في المهد كما تكلم ولدها عيسى عليه السلام وهو صغير في المهد وقال محمد بن اسحق اصابت
بني اسرائيل ازمة وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها وكفالتها فخرج على بني اسرائيل
فقال يا بني اسرائيل تعلمون والله لقد كبرت سني وضعفت عن حمل بنت عمران فايكم يكفلها بعدي
فقالوا والله لقد جهدنا واصابنا من السنة ما ترى فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا فاقترعوا
عليها بالاقلام فخرج السهم لرجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم لمريم فحملها فعرفت مريم
في وجهه شدة ذلك عليه فقالت له يا يوسف احسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فصار يوسف
يرزق لمكانها منه فكان ياتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا ادخله عليها في المحراب انماه الله وزاده
فيدخل زكريا عليها فيقول يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله **ان الله يرزق من يشا بغير حساب**
وهذا يحتمل ان يكون من تمام كلام مريم وابتدا كلام من الله عز وجل ومعناه انه تعالى يرزق من يشا بغير
تقدير لكثرته او من غير سبب وفي هذه الاية دليل على جواز كرامات الاوليا وظهور خوارق العادات
على ايديهم قال اهل الاخبار فلما راى زكريا ذلك قال ان الذي قدر على ان ياتي مريم بالفاكهة في غير
وقتها وحينها من غير سبب لقادر على ان يصلح زوجي ويهب لي ولدا في غير حينه من الكبر فطمع في الولد
وذلك ان اهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا قد كبر وشاخ وايس من الولد فذلك قوله تعالى
هنالك دعا زكريا ربه يعني انه عليه السلام دخل محرابه واغلق الابواب وسال ربه الولد **قال رب**
هب لي من لدنك ذرية طيبة يعني انه قال يا رب اعطني من عندك ولدا مباركا تقيا صالحا رضيا والذرية
تطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد بها هاهنا الواحد وانما قال طيبة لتانيث لفظ الذرية
انك سميع الدعا اي سامعه ومجيبه قوله عز وجل **فنادته الملئكة** يعني جبريل عليه السلام وانما اخبر
عنه بلفظ الجمع تعظيما لشانه ولانه رئيس الملئكة وقل ان يبعث الا ومعه جمع من الملئكة فجرى ذلك على
مجرى العادة **وهو قائم يصلي في المحراب** في المسجد وذلك ان زكريا عليه السلام كان الحبر الكبير الذي يقرب
القربان ويفتح لهم الباب فلا يدخلون حتى ياذن لهم في الدخول فبينما هو قائم يصلي في محرابه عند المذبح

والناس ينتظرون ان ياذن في الدخول اذ هو برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع زكريا منه فناداه جبريل
عليه السلام يا زكريا **ان الله يبشرك بيحيى** اي بولد اسمه يحيى قال ابن عباس سمي يحيى لان الله تعالى احيى
به عقر امه وقيل لان الله احيا قلبه بالايمان وقيل لان الله تعالى احياه بالطاعة حتى لم يهم بمعصية
قط **مصدقا بكلمة من الله** يعني عيسى ابن مريم وانما سمي عيسى عليه السلام كلمة الله لان الله تعالى
قال له كن فكان من غير اب دلالة على كمال القدرة فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها كان وقيل سمي كلمة لان
عيسى عليه السلام كان يرشد الخلق الى الحقايق والاسرار الالهية ويهتدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى
فسمي كلمة بهذا الاعتبار وقيل سمي كلمة لان الله بشر به مريم على لسان جبريل وقيل لان الله تعالى اخبر
الانبيا الذين قبله في كتبه المنزلة عليهم انه يخلق نبيا من غير واسطة فلما جا قيل هذا هو تلك الكلمة
يعني الوعد الذي وعد انه يخلقه كذلك وقال يحيى اول من امن بعيسى وصدقه وكان يحيى اكبر من عيسى
بستة اشهر وكانا ابني خالة وقتل يحيى قبل ان يرفع عيسى عليهما السلام وقيل ان ام يحيى لقيت ام عيسى
وهما حاملتان فقالت ام يحيى لام عيسى يا مريم اشعرت اني حامل فقالت مريم وانا ايضا حامل فقالت
ام يحيى اني لاجد ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله يعني ان يحيى امن بعيسى
وصدق به **وسيدا** من ساد يسود والسيد هو الرئيس الذي يتبع وينتهى الى قوله وكان يحيى عليه السلام
سيد المومنين ورئيسهم في الدين والعلم والحلم وقيل السيد هو الحسن الخلق وقيل هو الذي يطيع ربه وقيل
هو الفقيه العالم وقيل سيدا في العلم والعبادة والورع وقيل السيد هو الحليم الذي لا يغضبه شي
وقيل السيد هو الذي يفوق قومه في جميع خصال الخير وقيل هو السخي قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سيدكم يا بني سلمة قالوا جد بن قيس على انا نبخله قال واي دا ادوى من البخل لكن سيدكم عمرو
ابن الجموح **وحصورا** قال ابن عباس وغيره من المفسرين الحصور الذي لا ياتي النسا ولا يقربهن فعلى
هذا هو فعول بمعنى فاعل يعني انه حصر نفسه عن الشهوات او اصله من الحصر وهو الحبس وقيل هو
العنين وقيل هو الفقير الذي لا مال له فيكون الحصور بمعنى المحصور يعني الممنوع من النسا قال
سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع ذلك ليغض بصره وفيه قول اخر وهو ان
الحصور هو الممتنع عن الوطي مع القدرة عليه وانما تركه للعفة والزهد فيه وهذا القول هو
الصحيح وهو قول جماعة من المحققين وهو اليق بمنصب الانبيا لان الكلام خرج مخرج المدح والثنا
وذكر صفة النقص في معرض المدح لا يجوز وايضا فان منصب النبوة يجل من ان يضاف الى احد منهم نقص
او افة فحمل الكلام على منع النفس عن الوطي مع القدرة عليه اولى من حمله على ترك الوطي مع العجز عنه
ونبيا من الصالحين يعني من اولاد الانبيا الصالحين قوله تعالى **قال** يعني زكريا **رب** اي يا رب قيل هو
خطاب مع جبريل لان الاية المتقدمة دلت على ان الذين نادوه هم الملئكة فعلى هذا القول يكون الرب
هنا بمعنى السيد والمربي اي يا سيدي وقيل انه خطاب مع الله تعالى فيكون الرب بمعنى المالك وذلك
ان الملئكة لما بشروه بالولد تعجب ورجع في ازالة التعجب الى الله تعالى فقال **قال رب انى يكون لي غلام**
يعني من اين يكون وكيف يكون لي غلام **وقد بلغني الكبر** قيل هو من المقلوب ومعناه وقد بلغت الكبر
وشخت وقيل معناه وقد نالني الكبر واذركني الضعف فان قلت كيف انكر زكريا الولد مع تبشير
الملئكة اياه به وما معنى هذه المراجعة ولم تعجب من ذلك بعد وعد الله اياه به اكان شاكا في
وعد الله او في قدرته قلت لم يشك زكريا عليه السلام في وعد الله وفي قدرته وانما قال ذلك على سبيل

الاستفهام والاستعلام والمعنى من اي جهة يكون لي الولد أيكون بازالة العقر عن زوجتي ورد شبابي عليّ
او يكون ونحن على حالنا من الكبر والضعف فاجابه بقوله كذلك الله يفعل ما يشا وقال عكرمة والسدي
لما سمع زكريا ندا الملايكة جاه الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت الذي سمعت ليس هو من الله وانما
هو من الشيطان ولو كان من الله لاوحاه اليك كما يوحى اليك في ساير الامور فقال ذلك زكريا دفعا
للوسوسة واعترض على ان الجواب بانه لا يجوز ان يشتبه على الانبيا كلام الملايكة بكلام الشيطان
اذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق باخبارهم عن الوحي السماوي واجيب عن هذا الاعتراض بانه
لما دلت الدلايل على صدق الانبيا فيما يخبرون عن الله تعالى بواسطة الملك فلا مدخل للشيطان
وذلك فيما يتعلق بالدين والشرايع فاما ما يتعلق بمصالح الدنيا وبالولد فقد يحتمل فيه حصول
الوسوسة فسال زكريا ذلك لتزول هذه الوسوسة من خاطره قال الكلبي كان زكريا يوم بشر
بالولد ابن اثنين وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين سنة وقال ابن عباس في رواية الضحاك
كان ابن مائة وعشرين سنة وكانت امراته بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله تعالى وقد بلغني
الكبر **وامراتي عاقر** اي عقيم لا تلد **قال كذلك الله يفعل ما يشا** لا يعجزه شي قوله عز وجل **قال**
يعني زكريا **رب اجعل لي آية** اي علامة اعلم بها وقت حمل امراتي فازيد في العبادة والشكر لك **قال آيتك**
اي علامتك على الذي طلبت معرفة علمه **ان لا تكلم الناس** اي لا تقدر على تكليم الناس **ثلاثة ايام**
اي مدة ثلاثة ايام بلياليها قال جمهور المفسرين عقل لسانه عن تكليم الناس ثلاثة ايام مع ابقايه
على قدرة التسبيح والذكر ولذلك قال في اخر الاية واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في
ايام منعك من تكليم الناس وهذه من الايات الباهرة والمعجزات الظاهرة لان قدرته على التسبيح
والذكر مع عجزه عن تكليم الناس بامور الدنيا وذلك مع صحة الجسم وسلامة الجوارح من اعظم المعجزات
وانما منع الكلام مع الناس ليخلص في هذه الايام لعبادة الله وذكره ولا يشغل لسانه بشي اخر توفيرا
منه على قضا حق هذه النعمة الجسيمة ويشكر الله على اجابته فيما طلب الاية من اجله وان يكون ذلك
دليلا له على وجود الحمل ليتم سروره بذلك وقال قتادة انما امسك لسانه عن الكلام عقوبة لسواله
الاية بعد مشافهة الملايكة اياه ببشارة الولد فلم يقدر على الكلام ثلثة ايام **الا رمزا** يعني الاشارة
والاشارة قد تكون باليد وبالعين وبالايما بالراس وكانت اشارته بالاصبع المسبحة وقيل الرمز
قد يكون باللسان من غير تبيين كلام وهو الصوت الخفي شبه الهمس وقيل اراد به صوم ثلاثة ايام
لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا والقول الاول اصح لموافقة اهل اللغة عليه **واذكر ربك كثيرا** وذلك
لما منعه الله من الكلام في تلك المدة امره بالذكر فقال واذكر ربك كثيرا فانك لا تمنع من ذلك ولا
يحال بينك وبينه **وسبح** اي وعظم ربك ونزهه عن النقايص وقيل وصل لربك وسميت الصلاة سبحة
لان فيها تنزيها للرب سبحانه وتعالى **بالعشي والابكار** فاما العشي فهو ما بين زوال الشمس الى غروبها
ومنه سمي صلاتا الظهر والعصر صلاتي العشي والابكار ما بين طلوع الفجر الى الضحى قوله تعالى **واذ قالت
الملايكة** يعني جبريل عليه السلام **يا مريم ان الله اصطفاك** اي اختارك **وطهرك** يعني من مسيس
الرجال وقيل من الحيض والنفاس وكانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب **واصطفاك** اي واختارك
على نسا العالمين اي على عالمي زمانها وقيل على جميع نسا العالمين فان قلت هل فرق بين الاصطفا
الاول والثاني قلت ذكر العلما في معناهما وجوها يحصل بينهما الفرق فقيل في معنى الاصطفا الاول

ان الله اختار مريم وقبلها منذورة محررة ولم يحرر قبلها انثى ولم يجعل ذلك لغيرها من النسا وان الله
بعث اليها رزقها من عنده وكفلها زكريا ومعنى الاصطفا الثاني ان الله تعالى وهب لها عيسى من
غير اب واسمعها كلام الملايكة ولم يحصل ذلك لغيرها من النسا (ق) عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسايها مريم بنت عمران وخير نسايها خديجة
بنت خويلد قال ابو كريب واشار وكيع الى السما والارض وقيل اراد بهذه الاشارة تفسير الضمير في قوله
خير نسايها ومعناه انه خير كل نسا بين السما والارض قال الشيخ محي الدين النووي والاظهر ان معناه ان
كل واحدة منهما خير نسا الارض في عصرها واما التفضيل بينهما فمسكوت عنه (ق) عن ابي موسى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النسا الا مريم بنت عمران واسية امراة فرعون
وفضل عايشة على النسا كفضل الثريد على ساير الطعام قال العلما معناه ان الثريد من كل طعام
افضل من المرق وثريد اللحم افضل من مرقه بلا ثريد وثريد ما لا لحم فيه افضل من مرقه بغير ثريد وفضل
عايشة على النسا كزيادة فضل الثريد على غيره وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم واسية
لاحتمال ان المراد تفضيلها على نسا هذه الامة عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حسبك من نسا العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية امراة فرعون
اخرجه الترمذي قوله عز وجل **يا مريم اقنتي لربك** اي قالت الملايكة لها شفاها اطيعي ربك وقيل
معناه اطيلي القيام في الصلاة لربك قال الاوزاعي لما قالت الملايكة لها ذلك قامت حتى تورمت
قدماها وسالت دما وقيحا وحكي عن مجاهد نحوه **واسجدي واركعي مع الراكعين** انما قدم السجود
على الركوع لان الواو لا تقتضي الترتيب بل هي للجمع كانه قيل لها افعلي الركوع والسجود وقيل انما
قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك في شريعتهم وقال ابن الانباري امرها امرا وحضها على فعل
الخير فكانه قال استعملي السجود في حال والركوع في حال ولم يرد تقديم السجود على الركوع بل اراد العموم
بالامر على اختلاف الحالين وانما قال اركعي مع الراكعين ولم يقل مع الراكعات لان لفظ الراكعين اعم فيدخل
فيه الرجال والنسا والصلاة مع الرجال افضل واتم وقيل معناه افعلي كفعل الراكعين وقيل المراد به
الصلاة في جماعة اي صلي مع المصلين في جماعة قوله تعالى **ذلك من انبا الغيب** يقول الله عز وجل لمحمد
صلى الله عليه وسلم الذي ذكرت من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى من اخبار الغيب **نوحيه اليك** اي
نلقيه اليك يا محمد لانه لا يمكنك ان تعلم اخبار الماضين الا بوحي منا اليك وانما قال نوحيه لانه رد
الضمير الى ذلك فلذلك ذكر اللفظ **وما كنت** يعني يا محمد **لديهم** هنالك عندهم **اذ يلقون اقلامهم** التي
كانوا يكتبون بها في الما لاجل الاقتراع **ايهم يكفل مريم** يعني يربيها ويقوم بمصالحها قيل بسبب منازعتهم
في كفالة مريم حتى اقترعوا على ذلك انها كانت بنت عمران وكان رييسهم وكبيرهم فلاجل ذلك رغبوا في
كفالتها **وما كنت لديهم اذ يختصمون** يعني في كفالتها وتربيتها قوله عز وجل **اذ قالت الملايكة يا مريم
ان الله يبشرك بكلمة منه** معناه وما كنت لديهم يا محمد اذ يختصمون وما كنت لديهم اذ قالت الملايكة
يعني جبريل عليه السلام يا مريم ان الله يبشرك والبشارة اخبار المرء بما يسره من خير بكلمة منه يعني
برسالة من الله وخبر من عنده فهو كقول القايل القي الي فلان كلمة سرني بها واخبرني خبرا فرحت به
معنى الاية اذ قالت الملايكة لمريم يا مريم ان الله يبشرك ببشرى من عنده وهي ولد يولد لك من غير
بعل ولا فحل وذلك الولد **اسمه المسيح عيسى ابن مريم** وقال قتادة في قوله تعالى بكلمة منه هو قوله

لكن نسماه الله كلمة لانه كان عن كلمة التي هي كن كما يقال لما قدر الله من شي هذا قدر الله وقضا الله يعني ان
هذا الامر عن قدرة الله وقضائه حدث وقال ابن عباس الكلمة هي عيسى عليه السلام وانما سماه كلمة لانه وجد
عن الكلمة التي هي كن فان قلت ان كل مخلوق انما هو بواسطة الكلمة التي هي كن فلم خص عيسى عليه السلام
بهذا الاسم وسماه كلمة دون غيره قلت ان كل مخلوق وان وجد حدوثه وخلقه بواسطة الكلمة الا ان
هذا السبب ما هو المتعارف ولما كان حدوث عيسى عليه السلام بمجرد الكلمة من غير واسطة اخرى فلا
جرم كان اضافة حدوثه الى الكلمة اتم واكمل وبهذا التاويل حسن ان يسمى عليه السلام نفس الكلمة لانه حدث
عنها فان قلت الضمير في قوله اسمه عايدا الى الكلمة وهي مؤنثة فلم ذكر الضمير قلت لان المسمى بها مذكر
فهذا ذكر الضمير فان قلت لم قال اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة الاسم منها واحد وهو عيسى
واما المسيح فلقب وابن صفة قلت الضمير في قوله اسمه يرجع الى عيسى والمسمى علامة يرفع بها ويتميز
عن غيره فكانه الذي يعرف به ويتميز به عمن سواه هو مجموع هذه الثلاثة واختلفوا لم سمي عيسى عليه
السلام مسيحا وهل هو اسم مشتق او موضوع فقيل انه موضوع واصله بالعبرانية مشيحا فغيرته العرب
واصل عيسى ايسوع كما قالوا موسى واصله موشى او ميشى وقال الاكثرون انه اسم مشتق ثم ذكروا فيه
وجوها قال ابن عباس سمي عيسى مسيحا لانه ما مسح ذا عاهة الا برا منها وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لانه
مسح من الاقذار وطهر من الذنوب وقيل انه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن وقيل لان جبريل عليه السلام
مسحه بجناحه حتى لا يكون للشيطان عليه سبيل وقيل لانه كان يسيح في الارض ولا يقيم بمكان فكانه
يمسح الارض اي يقطعها مساحة فعلى هذا القول تكون الميم زايدة وقيل سمي مسيحا لانه كان مسيح القدمين
لا اخمص له وسمي الدجال لانه ممسوح احدى العينين وقيل المسيح هو الصديق وبه سمي عيسى عليه السلام
وقد يكون المسيح بمعنى الكذاب وبه سمي الدجال فعلى هذا تكون هذه الكلمة من الاضداد وقوله تعالى
وجيها اي شريفا رفيعا ذا قدر وجاه في الدنيا والاخرة اما وجاهته الدنيا فبسبب النبوة وانه كان يبري
الاكمه والابرص ويحيي الموتى واما وجاهته في الاخرة فبسبب علو منزلته عند الله وهو قوله تعالى ومن
المقربين يعني يوم القيمة عند الله لان اهل الجنة منازل ودرجات ومنازل الانبيا ودرجاتهم اعلى من
سواهم وقيل فيه تنبيه على علو منزلته وانه رفعه الى السما ويكلم الناس في المهد يعني ويكلم الناس
صغيرا وهو في المهد وذلك قبل اوان الكلام ووقته والكلام الذي يكلم به هو ما ذكره الله عنه في سورة
مريم وهو قوله اني عبد الله اتاني الكتاب الاية وتكلم ببراة امه لما رموها به اهل الفرية من القذف وحكي ان
مريم قالت كنت اذا خلوت انا وعيسى حدثني وحدثته فاذا اشغلني عنه انسان سبح وهو في بطني وانا
اسمع ولما تكلم ببراة امه سكت بعد ذلك فلم يتكلم الا في الوقت الذي يتكلم فيه الصغير قال ابن عباس تكلم
عيسى ساعة ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق وكهلا يعني ويكلم الناس في حال الكهولة والكهل في اللغة
هو الذي اجمع وكمل شبابه والكهل عند العرب الذي جاوز الثلاثين وقيل هو الذي خطه الشيب وهو السن
الذي يستحكم فيه العقل وينبأ فيه الانبيا قال ابن قتيبة لما كان لعيسى ثلاثون سنة ارسله الله تعالى
فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى وقال وهب بن منبه جاءه الوحي على راس ثلاثين سنة
فمكث في نبوته ثلاث سنين ثم رفعه الله فمعنى الاية انه يكلم الناس وهو في المهد ببراة امه وهو معجزة عظيمة
ويكلم الناس في حال الكهولة بالدعوة والرسالة وقيل فيه بشارة لمريم اخبرها بانه يبقى حتى يكتهل وقيل
فيه اخبار بانه يتغير من حال الى حال ولو كان الها كما زعمت النصارى لم يدخل عليه التغير ففيه رد على

للنصارى

النصارى الذين يدعون فيه الالهية وقال الحسين بن الفضل وكهلا يعني ويكلم الناس كهلا بعد نزوله من
السما وفي هذه نص على انه ينزل من السما الى الارض ويقتل الدجال وقال مجاهد الكهل الحليم والعرب
تمدح الكهولة لانها الحالة الوسطى في احتناك السن واستحكام العقل وجودة الراي والتجربة ومن
الصالحين يعني انه من العباد الصالحين مثل ابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وغيرهم من الانبيا وانما
ختم اوصاف عيسى عليه السلام بكونه من الصالحين بعدما وصفه بالاوصاف العظيمة لان الصلاح
من اعظم المراتب واشرف المقامات لانه لا يسمى المرء صالحا حتى يكون مواظبا على النهج الاصلح والطريق
الاكمل في جميع اقواله وافعاله وصفه الله تعالى بكونه وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين وانه يكلم في المهد
وكهلا اردفه بقوله ومن الصالحين ليحصل له اعلى الدرجات واشرف المقامات قوله تعالى قالت يعني مريم
اني يكون لي ولد اي من اين يكون لي ولد ولم يمسسني بشر اي ولم يصبني رجل وانما قالت ذلك تعجبا
لا شكا في قدرة الله تعالى اذ لم تكن العادة جرت ان يولد ولد من غير اب قال كذلك الله يخلق ما يشا
يعني هكذا يخلق الله منك ولدا من غير ان يمسك بشر فيجعله اية للناس وغيره فانه يخلق ما يشا ويصنع
ما يريد قوله تعالى وهو قوله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون يعني كما يريد ويعلمه الكتاب
والحكمة يعني الكتابة والخط باليد والحكمة يعني العلم والسنة واحكام الشرايع والتورية يعني التي انزلت على
موسى والانجيل يعني الذي انزل عليه وهذا اخبار من الله تعالى لمريم ما هو فاعل بالولد الذي بشرها به من
الكرامة وعلو المنزلة ورسولا الى بني اسرائيل اي رسولا الى بني اسرائيل وكان اول انبيا بني اسرائيل يوسف
ابن يعقوب واخرهم عيسى ابن مريم عليهم السلام فلما بعث اليهم قال اني قد جئتكم باية من ربكم اي بعلامة من
ربكم على صدق قولي وانما قال باية وقد جا بايات كثيرة لان الكل دل على شي واحد وهو صدقه في الرسالة
فلما قال عيسى ذلك لبني اسرائيل قالوا وما هذه الاية قال اني اخلق اي اصور واقدر لكم من الطين
كهيئة الطير والهيئة الصورة المهياة من قولهم هيات الشي اذا قدرته واصلحته فانفخ فيه اي في
الطين المهيا المصور فيكون طيرا قرئ بلفظ الجمع لان الطير اسم جنس يقع على الواحد والاثنين والجمع
وقرئ فيكون طايرا على التوحيد على معنى يكون ما انفخ فيه طايرا على التوحيد على ما معنى يكون ما
انفخ فيه طايرا او ما اخلقه يكون طايرا وقيل انه لم يخلق غير الخفاش وهو الذي يطير في الليل وانما خص
الخفاش لانه من اكمل الطير خلقا وذلك لانه يطير بلا ريش وله اسنان ويقال ان الانثى منه لها ثدي وتحيض
ذكروا ان عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر لهم المعجزات اخذوا يتعنتون عليه فطلبوا منه ان
يخلق لهم خفاشا واخذ طينا وصوره كهيئة الخفاش ثم نفخ فيه فاذا هو طير بين السما والارض قال
وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق
وهو الله تعالى وليعلم ان الكمال لله تعالى باذن الله معناه بتكوين الله وتخليقه والمعنى اني اعمل هذا
التصوير انا فاما خلق الحياة فيه فهو من الله تعالى على سبيل اظهار المعجزة على يد عيسى عليه السلام وابرئ
الاكمه والابرص اي واشفي الاكمه والابرص واصححهما واختلفوا في الاكمه فقال ابن عباس هو الذي ولد اعمى
وقيل هو الاعمى وان كان ابصر وقيل هو الاعمش وقيل هو الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل والابرص هو
الذي به وضح وكان الغالب على زمان عيسى عليه السلام الطب فاراهم المعجزة من جنس ذلك الا انه
ليس في علم الطب ابرا الاكمه والابرص فكان ذلك معجزة له ودليلا على صدقه قال وهب ربما اجتمع
على عيسى عليه السلام من المرضى في اليوم الواحد خمسين الفا من اطاق ان يمشي اليه ومن لم يطق مشي

عيسى عليه السلام اليه وكان يداويهم بالدعا على شرط الايمان برسالته واحيي الموتى باذن الله قال ابن عباس
قد احيا اربعة انفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام ابن نوح وكلهم بقي وولد له الا سام بن نوح اما
عازر فكان صديقا لعيسى عليه السلام فارسلت اليه اخت عازر ان اخاك عازر يموت وكان بينهما مسيرة
ثلاثة ايام فاتاه عيسى واصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة ايام فقال لاخته انطلقي بنا الى قبره فدعا
الله عيسى فقام عازر حيا باذن الله فخرج من قبره وعاش وولد له واما ابن العجوز فانه مر به وهو
ميت على عيسى عليه السلام يحمل على سريره فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن اعناق الرجال
ولبس ثيابه واتى اهله وولد له واما ابنة العاشر فكان ياخذ العشور من الناس ماتت بنت له بالامس
فدعا الله عيسى فاحياها بدعوته فعاشت وولدت واما ابن نوح فان عيسى عليه السلام جا الى قبره
ودعا الله باسمه الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف راسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا
يشيبون في ذلك الزمان فقال قد قامت القيامة فقال عيسى لا ولكن دعوتك باسم الله الاعظم ثم قال
له مت فقال بشرط ان يعيذني من سكرات الموت مرة اخرى فدعا الله عيسى ففعل وانبيكم يعني واخبركم بما
تاكلون اي بما لم اعاينه وما تدخرون في بيوتكم اي وما ترفعونه فتخبونه في بيوتكم لتاكلوه فيما بعد ذلك
قيل كان عيسى عليه السلام يخبر الرجل بما اكل البارحة وبما ياكل اليوم وبما يدخره للعشا وقيل كان في
الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع اباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد اكل اهلك كذا وكذا وقد رفعوا لك
كذا فينطلق الصبي الى اهله فيبكي حتى يعطوه ذلك الشي فيقولون من اخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا
صبيانهم عنه وقالوا لا تقعدوا مع هذا الساحر وجمعوهم في بيت فجا عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا هنا فقال
وما في البيت قالوا خنازير قال كذلك يكونون ففتحوا عليهم الباب فاذا هم خنازير ففشى ذلك في بني
اسرائيل وظهر وهموا به فخافت عليه امه فحملته على حمير لها وخرجت هاربة الى مصر وقال قتادة وانما كان
هذا في نزول المائدة وكانت خوانا ينزل عليهم اينما كانوا فيه من طعام الجنة وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا
لغد فخانوا وادخروا فجعل عيسى عليه السلام يخبرهم بما اكلوا من المائدة وما ادخروا منها فمسخهم الله خنازير
وفي هذا دليل قاطع على صحة نبوة عيسى عليه السلام ومعجزة عظيمة وهو اخباره عن المغيبات مع ما
تقدم له من الايات الباهرات من ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى باذن الله واخباره عن الغيوب باعلام
الله اياه ذلك وهذا مما لا سبيل لاحد من البشر عليه الا الانبيا عليهم السلام فان قلت قد يخبر المنجم
عن مثل ذلك فما الفرق قلت المنجم والكاهن لا بد لكل واحد منهما من مقدمات يرجع اليها ويعتمد في اخباره
عليها اما المنجم فانه يستعين على ذلك بواسطة معرفة الكواكب وامتزاجاتها او بواسطة حساب الرمل
ونحو ذلك وقد يخطي في كثير مما يخبر به واما الكاهن فانه يستعين برويته من الجن وقد يخطي ايضا في كثير مما
يخبر به واما اخبار الانبيا عليهم السلام عن المغيبات فليس الا بالوحي السماوي وهو من الله تعالى فليس
باستعانة بواسطة حساب ولا غيره فحصل الفرق ان في ذلك يعني الذي تقدم ذكره من خلق الطير من الطين
باذن الله وابرا الاكمه والابرص والاخبار عن المغيبات لاية لكم اي لعبرة ودلالة على صدقي اني رسول من
الله اليكم ان كنتم مومنين يعني مصدقين بذلك ومصدقا لما بين يدي من التوراة قيل انما عطف
على قوله رسولا وقيل هو عطف على اني قد جيتكم باية من ربكم والمعنى وجيتكم مصدقا لما بين يدي من التوراة
وذلك لان الانبيا عليهم السلام يصدق بعضهم بعضا فكل واحد منهم يصدق الذي قبله ويصدق بما انزل
اليه من الكتب والشرايع والاحكام فلهذا قال عيسى عليه السلام ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل

لكم بعض الذي حرم عليكم قال وهب بن منبه ان عيسى كان على شريعة موسى عليه السلام وكان يسبت
ويستقبل بيت المقدس وقال لبني اسرائيل اني لم ادعكم الى خلاف حرف مما في التوراة الا لاحل لكم بعض الذي
حرم عليكم واضع عنكم الاصار وذلك ان الله تعالى كان قد حرم على اليهود بعض الاشيا عقوبة لهم على بعض
ما صدر منهم من الجنايات كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم فبقي ذلك التحريم
مستمرا على اليهود الى ان جا عيسى عليه السلام فرفع عنهم تلك التشديدات التي كانت عليهم وقال قتادة كان
الذي جا به عيسى الين مما جا به موسى وكان قد حرم عليهم فيما جا به موسى لحوم الابل والثروب والشحوم واشيا
من الطير والحيتان زاد غيره فجاءهم عيسى بالتخفيف واحلها لهم وقال اخرون ان عيسى عليه السلام رفع كثيرا
من احكام التوراة ورفع السبت ووضع الاحد وكان ذلك كله بامر الله فكان ذلك ناسخا لتلك الاحكام
والشرايع والناسخ والمنسوخ حق وصدق وجيتكم باية من ربكم اي بحجة واضحة شاهدة على صحة رسالتي ثم
خوفهم بقوله فاتقوا الله يعني يا معشر بني اسرائيل فيما امركم به ونهاكم عنه واطيعون يعني فيما ادعوكم اليه
لان طاعة الرسول من توابع تقوى الله وفيما ادعوكم اليه هو قولي ان الله ربي وربكم فاعبدوه لان جميع الرسل
كانوا على دين واحد وهو التوحيد ولم يختلفوا في الله تعالى وفي هذه الاية حجة بالغة على نصارى وفد نجران ومن
قال بقولهم من ساير النصارى باخبار الله عن عيسى عليه السلام انه كان بريا مما نسبه اليه النصارى وانه
كان عبدا لله وخصه بنبوته ورسالته ثم ختم ذلك بقوله هذا صراط مستقيم يعني التوحيد قوله تعالى
فلما احس عيسى منهم الكفر اي وجد وعرف وقيل وراى والاحساس عبارة عن وجدان الشي بالحاسة
والمعنى انهم تكلموا بكلمة الكفر فاحس عيسى ذلك منهم وعرف اصرارهم عليه وعزمهم على قتله ذكر سبب القصة
قال اهل الاخبار والسير لما بعث الله عيسى عليه السلام الى بني اسرائيل وامره باظهار رسالته والدعا
اليه نفوه واخرجوه من بينهم فخرج هو وامه يسيحان في الارض فنزل في قرية على رجل فاضافهم واحسن اليهم
وكان لتلك القرية ملك جبار متعد فجا ذلك الرجل في بعض الايام وهو مهموم حزين فدخل منزله ومريم
عند امراته فقالت مريم ما شان زوجك اراه كئيبا حزينا قالت لا تسالي قالت مريم اخبريني لعل الله
ان يفرج كربته قالت المراة لنا ملك جبار وقد جعل على كل رجل منا يوما يطعمه هو وجنوده ويسقيهم
الخمر وان لم يفعل عاقبه واليوم نوبتنا وليس عندنا سعة لذلك فقالت قولي له لا يهتم لذلك فاني امرت
ابني يدعو له ثم قالت مريم لعيسى في ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شر قالت مريم لا تبالي فانه قد
احسن الينا واكرمنا فقال عيسى قولي له اذا اقترب ذلك الوقت فاملا قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمني
ففعل الرجل ثم دعا الله عيسى عليه السلام فتحول ما في القدور مرقا ولحما وما في الخوابي خمرا لم ير الناس مثله
فلما جا الملك واكل من ذلك الطعام وشرب من ذلك الخمر قال من اين لك هذا الخمر فقال الرجل هو من ارض
كذا فقال الملك ان خمري من تلك الارض وليست مثل هذه فقال هي من ارض اخرى فلما راه الملك قد اخلط
شدد عليه فقال الرجل انا اخبرك ان عندي غلاما لا يسال الله شيا الا اعطاه اياه وانه دعا الله تعالى
فجعل الما خمرا وكان للملك ابن يريد ان يستخلفه في ملكه وقد مات قبل ذلك بايام وكان يحبه حبا شديدا
فقال الملك ان رجلا دعا الله حتى صار الما خمرا بدعوته ليستجيبن له في احيا ابني فطلب عيسى فكلمه في
ذلك فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا ابالي اليس اراه فقال عيسى ان انا
احييته تتركني وامي نذهب حيث نشا قال نعم فدعا الله عيسى فعاش الغلام فلما راه اهل مملكته الملك
قد عاش فبادروا الى السلاح وقالوا قد اكلنا هذا الملك حتى اذا دنا اجله يريد ان يستخلف علينا

ابنه فيا كلنا كما اكلنا ابوه فقاتلوه وظهر امر عيسى وقصد واقتله وكفروا به وقيل ان اليهود كانوا عارفين
بانه المسيح المبشر به في التوراة وانه ينسخ دينهم فلما اظهر عيسى الدعوة اشتد ذلك عليهم واخذوا في اذاه
وطلبوا قتله وكفروا به فاستنصر عليهم كما اخبر الله عز وجل عنه بقوله **قال** يعني عيسى عليه السلام **من انصاري**
الى الله اي مع الله وقيل معناه الي انا بين امر الله واظهر دينه وقيل الي بمعنى في اي في ذات الله وسبيله وقيل
من في موضعها والمعنى من يضم نصرته الى نصرة الله **قال الحواريون نحن انصار الله** وذلك ان عيسى عليه
السلام لما دعا بني اسرائيل الى الله تعالى تمردوا عليه وكفروا به خرج يسيح في الارض فمر بجماعة يصطادون
السمك وكانوا اثني عشر رجلا ورئيسهم شمعون ويعقوب فقال عليه السلام ما تصنعون قالوا نصيد
السمك قال افلا تمشون حتى نصيد الناس قالوا ومن انت قال انا عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله فسالوه
اية تدل على صدقه فكان شمعون قد رمى بشبكته في الماء فدعا الله عيسى فاجتمع في تلك الشبكة من السمك
ما كادت تتمزق من كثرته فاستعانوا باهل سفينة اخرى وملوا السفينتين من السمك فعند ذلك
امنوا به وانطلقوا معه واختلفوا في الحواريين فقيل كانوا يصطادون السمك فلما اسوا بعيسى صاروا
يصطادون الناس ويهدونهم الى الدين سموا حواريين لبياض ثيابهم يقال حورت الشيء بمعنى بيضته
وقيل كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب اي يبيضونها وقيل ان مريم سلمت عيسى الى
اعمال شتى فكان اخر من سلمته الى الحواريين فكانوا قصارين وصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه
فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الصنعة وانا خارج الى سفر ولا ارجع
الى عشرة ايام وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد اعلمت على كل واحد منها بخيط على اللون الذي يصبغ
به فاريد ان تفرغ منها وقت قدومي وخرج المعلم الى سفره فطبخ عيسى جبا واحدا على لون واحد وادخل
فيه جميع الثياب وقال كوني باذن الله على ما اريد منك ثم قدم الحواري والثياب كلها في الجب فقال
لعيسى ما فعلت فقال لقد فرغت منها فقال واين هي قال في الجب قال كلها قال نعم قال لقد افسدت
على الثياب قال عيسى لا ولكن قم فانظر وقام عيسى واخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر وثوبا
اسود حتى اخرجها كلها على الالوان التي يريدها الحواري فجعل الحواري يتعجب من ذلك وعلم ان ذلك من الله
تعالى فقال للناس تعالوا فانظروا فامن به هو واصحابه وهم الحواريون وقيل سموا حواريين لصفاء قلوبهم
ولما ظهر عليهم من اثر العبادة ونورها وقيل الحواريون الاصفياء وكانوا اصفياء عيسى وخاصته وقيل الحواريون
هم الخلفاء وقيل هم الوزراء وكانوا خلفاء عيسى ووزراءه وقيل الحواريون هم الانصار والحواري الناصر والحواري
الرجل الذي يستعان به (ق) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال ندب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق
فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ان لكل نبي حواريا وحواري الزبير **قال الحواريون نحن انصار الله** يعني انصار دين الله
ورسوله واعوانه **امنا بالله** اي صدقنا بان الله ربنا ورب كل شيء **واشهد** يعني انت يا عيسى **بانا مسلمون**
قيل معناه واشهد بانا منقادون لما تريد من نصرك والذب عنك ومستسلمون لامر الله عز وجل وقيل هو
اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين عيسى وكل الانبياء قبله لا اليهودية والنصرانية **ربنا امنا بما انزلت**
يعني قال الحواريون بعد اشهادهم عيسى عليهم بانهم مسلمون ربنا امنا بما انزلت يعني بكتابك الذي انزلته
على عيسى عليه السلام **واتبعنا الرسول** يعني عيسى عليه السلام **فاكتبنا مع الشاهدين** يعني
الذين شهدوا لانبيائك بالصدق واتبعوا امرك ونهيك فاثبت اسماءنا مع اسمائهم واجعلنا في

عدادهم

عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به وهذا يقتضي ان يكون للشاهدين الذين سالوا الحواريون ان يكونوا معهم
مزيد فضل عليهم فلهذا قال ابن عباس في قوله فاكتبنا مع الشاهدين اي مع محمد صلى الله عليه وسلم
وامته لانهم هم المخصوصون بتلك الفضيلة فانهم يشهدون للرسل بالبلاغ وقيل مع الشاهدين يعني النبيين
لان كل نبي شاهد على امته قوله عز وجل **ومكروا** يعني كفار بني اسرائيل الذين احس عيسى منهم الكفر واصل المكر
صرف الغير عما يقصده بضرب من الحيلة وقيل هو السعي بالفساد في الخفية فاما مكرهم بعيسى فانهم دبروا في قتله
وهموا به وذلك ان عيسى عليه السلام بعد ان اخرجه قومه هو وامه رجع مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة
واظهر رسالته اليهم فهموا بقتله والفتك به فذلك مكرهم والمكر من الخلق الخبث والخديعة والحيلة **ومكر**
الله اي جازاهم الله على مكرهم فسمي الجزاء باسم الابتداء لانه في مقابلته وقيل مكر الله استدراج العبد واخذه
بغتة من حيث لا يحتسب ومكر الله في هذه الاية خاصة هو القاء الشبه على صاحبهم الذي دلهم على عيسى
حين ارادوا قتله حتى قتل قال ابن عباس ان عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما راوه قالوا
قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة وقذفوه وامه فلما راى عيسى ذلك دعا عليهم ولعنهم
فمسخهم الله خنازير فلما راى ذلك يهودا راس اليهود وملكهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة
اليهود على قتل عيسى وثاروا اليه ليقتلوه فبعث الله عز وجل جبريل عليه السلام فادخله خوخة في سقفها
روزنة فرفعه الله من تلك الروزنة وامر الملك يهودا رجلا من اصحابه يقال له طيطانوس ان يدخل
الخوخة فيقتله فيها فلما دخل فلم ير عيسى وابطا عليهم فظنوا انه يقاتله فيها والقى الله عليه شبه
عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فاخذوه وقتلوه وصلبوه قال وهب بن منبه ان اليهود طرقوا عيسى
في بعض الليل ونصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فاظلمت الارض وارسل الله عز وجل الملائكة فحالت
بينهم وبينه فجمع عيسى عليه السلام الحواريين تلك الليلة واوصاهم وقال ليكفرن بي احدكم قبل ان
يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احد الحواريين الى اليهود
وقال ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه فلما دخل البيت
الذي فيه المسيح القى الله عليه شبه عيسى عليه السلام ورفع الله عيسى واخذ الذي دل عليه فقال انا الذي
دللتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب الذي القي عليه شبه
عيسى جاءت مريم وامراة اخرى وكان عيسى دعا لها فابراها الله من الجنون بدعوته فجعلتا يبكيان عند
المصلوب فجاءهما عيسى عليه السلام وقال علام تبكيان ان الله عز وجل قد رفعني فلم يصبني الا خير
وهذا شبه لهم فلما كان بعد سبعة ايام قال الله لعيسى اهبط الى مريم المجدلانية وهو اسم موضع فهو نسبة
اليه فانه لم يبك عليك احد بكاها ولم يحزن عليك احد حزنها ثم ليجمع لك الحواريين فبثهم في الارض دعاة
الى الله عز وجل فاهبطه الله عز وجل عليها فاشتعل الجبل نورا حين هبط فجمعت له الحواريين فبثهم دعاة
في الارض ثم رفعه الله في تلك الليلة التي تدخن النصارى فلما اصبح الحواريون تكلم كل واحد بلغة من
ارسله عيسى اليهم فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله **والله خير الماكرين** يعني وهو افضل المجازين
بالسيئة العقوبة وقال السدي ان اليهود حبست عيسى في بيت ومعه عشرة من الحواريين فدخل عليهم
رجل منهم وكان قد نافق فالقي عليه شبه عيسى فاخذ وقتل وصلب وقال قتادة ذكر لنا ان نبي الله
عيسى عليه السلام قال لاصحابه ايكم يلقى عليه شبهي فانه مقتول فقال رجل منهم انا يا نبي الله فقتل ذلك
الرجل ومنع الله عيسى ورفعه اليه فكساه الريش والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فطار

مع الملائكة فهو معهم حول العرش وصار انسيا ملكيا ارضيا سماويا قال اهل التاريخ حملت مريم بعيسى ولها ثلاث
عشرة سنة وولدته ببيت لحم من ارض اورشليم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل واوحى
الله الى عيسى على راس ثلاثين سنة ورفعه الله من بيت المقدس ليلة القدر من رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين
سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت امه مريم بعد رفعه ست سنين قوله تعالى اذ قال الله يا عيسى
اني متوفيك ورافعك الي اختلفوا في معنى التوفي هنا على طريقين والطريق الاول ان الاية على ظاهرها
من غير تقديم ولا تاخير وذكروا في معناها وجوها الاول معناه اني قابضك ورافعك الي من غير موت
من قولهم توفيته الشيء واستوفيته اذا اخذته وقبضته تاما والمقصود منه ان لا يصل اعداؤه من اليهود
اليه بقتل ولا غيره الوجه الثاني ان المراد بالتوفي النوم ومنه قوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها
والتي لم تمت في منامها فجعل النوم وفاة وكان عيسى قد نام فرفعه الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف فمعنى الاية
اني منيمك ورافعك الي الوجه الثالث ان المراد بالتوفي حقيقة الموت قال ابن عباس معناه اني مميتك
قال وهب بن منبه ان الله تعالى توفى عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم رفعه اليه وقيل ان النصارى يزعمون
ان الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم احياه ورفعه اليه الوجه الرابع ان الواو في قوله ورافعك الي
لا تفيد الترتيب والاية تدل على ان الله تعالى يفعل به ما ذكر فاما كيف يفعل ومتى يفعل فالامر فيه موقوف
على الدليل وقد ثبت في الحديث ان عيسى سينزل ويقتل الدجال وسنذكره ان شاء الله تعالى الوجه الخامس
قال ابو بكر الواسطي معناه اني متوفيك عن شهواتك وعن حظوظ نفسك ورافعك الي وذلك ان عيسى
عليه السلام لما رفع الى السماء صارت حالته حالة الملائكة في زوال الشهوة الوجه السادس ان معنى التوفي اخذ
الشيء وافيا ولما علم الله تعالى ان من الناس من يخطر بباله ان الذي رفعه اليه هو روحه دون جسده كما زعمت
النصارى ان المسيح رفع لاهوته يعني روحه وبقي في الارض ناسوته يعني جسده فرد الله تعالى عليهم بقوله
اني متوفيك ورافعك الي فاخبر الله تعالى انه رفعه بتمامه الى السماء بروحه وجسده جميعا الطريق الثاني
ان في الاية تقديما وتاخيرا تقديره اني رافعك الي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك الى
الارض وقيل لبعضهم هل تجد نزول عيسى في القران قال نعم قوله تعالى وكهلا وذلك انه لم يكتهل في الدنيا
وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية
ويفيض المال حتى لا يقبله احد زاد في رواية حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة
اقرؤوا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وفي رواية كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم فامكم منكم
قال ابن ابي ذئب تدري ما امكم منكم قلت تخبرني قال فامكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم محمد صلى الله عليه
وسلم وفي افراد مسلم من حديث النواس بن سمعان قال فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه
السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ليس بيني وبينه يعني عيسى نبي وانه نازل فاذا رايتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل
بين ممصرتين كان راسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل
الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك المسيح الدجال ثم يمكث في الارض
اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون اخرجه ابو داود ونقل بعضهم ان عيسى عليه السلام يدفن في
حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقوم ابو بكر وعمر يوم القيامة بين نبيين محمد وعيسى صلى الله عليهما وسلم

وقوله

وقوله تعالى ومطهرك من الذين كفروا اي مخرجك من بينهم ومنجيك منهم وجاعل الذين اتبعوك فوق
الذين كفروا الى يوم القيامة يعني وجاعل الذين اتبعوك في التوحيد وصدقوا قولك وهم اهل الاسلام
من امة محمد صلى الله عليه وسلم فوق الذين كفروا بالعز والنصر والغلبة بالحجة الظاهرة وقيل هم الحواريون
الذين اتبعوا عيسى على دينه وقيل هم النصارى فوق اليهود وذلك لان ملك اليهود قد ذهب فلم يبق لهم
مملكة وملك النصارى باق فعلى هذا القول يكون الاتباع بمعنى المحبة والادعاء لا اتباع الدين لان النصارى
وان اظهروا متابعة عيسى عليه السلام فهم اشد مخالفة له وذلك ان عيسى عليه السلام لم يرض بما هم
عليه من الشرك والقول الاول اصح لان الذين اتبعوه هم الذين شهدوا بانه عبد الله ورسوله وكلمته وهم
المسلمون وملكهم باق الى يوم القيامة ثم الي مرجعكم يعني بقول الله عز وجل الى مرجع الفريقين في الاخرة الذين
اتبعوا عيسى وصدقوا به والذين كفروا به فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون يعني من الحق في امر عيسى عليه
السلام ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى فاما الذين كفروا يعني جحدوا نبوة عيسى وخالفوا ملته وقالوا فيه
ما قالوا من الباطل ووصفوه بما لا ينبغي من سائر اليهود والنصارى فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا
يعني بالقتل والسبي والذلة واخذ الجزية منهم والاخرة اي واعذبهم في الاخرة بالنار وما لهم من ناصرين
يعني مانعين يمنعونهم من عذابنا واما الذين امنوا يعني بعيسى عليه السلام وصدقوا بنبوته وانه
عبد الله ورسوله وكلمته وعملوا الصالحات يعني عملوا بما فرضت عليهم وشرعت لهم فيوفيهم اجورهم
اي جزاء اعمالهم لا ينقص منه شيء والله لا يحب الظالمين اي لا يحب من ظلم غيره حقا له او وضع شيئا في غير
موضعه والمعنى انه تعالى لا يرحمهم ولا يثني عليهم بجميل ثم قال تعالى ذلك يعني الذي ذكرته لك من اخبار عيسى
وامه مريم والحواريين وغير ذلك من القصص نتلوه عليك اي نخبرك به يا محمد على لسان جبريل وانما
اضاف ما يتلوه جبريل الى نفسه سبحانه وتعالى لانه من عنده وبامره من غير تفاوت اصلا فاضافه اليه
من الايات يعني من القران وقيل الايات يعني العلامات الدالة على نبوتك يا محمد لانها اخبار لا يعلمها
من يقرا او يكتب او نبي يوحى اليه وانت امي لا تقرا ولا تكتب فثبت ان ذلك من الوحي السماوي الذي انزله
عليك والذكر الحكيم اي المحكم الممنوع من الباطل قيل المراد من الذكر الحكيم القران لانه حاكم يستفاد
منه جميع الاحكام وقيل الذكر الحكيم اللوح المحفوظ الذي منه نزل جميع كتب الله على رسله وهو لوح من درة
بيضاء معلق بالعرش قوله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب الاية اجمع اهل التفسير
على ان هذه الاية نزلت في محاجة نصارى وفد نجران قال ابن عباس ان رهطا من اهل نجران قدموا على
النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما شانك تذكر صاحبنا
فقال من هو فقالوا عيسى تزعم انه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجل انه عبد الله فقالوا فهل رايت
له مثلا او انبئت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل عليه السلام فقال قل لهم ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم
خلقه من تراب وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم العذراء
البتول فغضبوا وقالوا يا محمد هل رايت انسانا قط من غير اب فانزل الله ان مثل عيسى عند الله اي في
الخلق والانشاء في كونه خلقه من غير اب كمثل ادم في كونه خلقه من تراب من غير اب وام فمن اقر بان الله خلق
ادم من التراب اليابس وهو ابلغ في القدرة فلا يمتري بان الله خلق عيسى ابن مريم من غير اب بل الشان
في خلق ادم اعجب واغرب وتم الكلام عند قوله كمثل ادم لانه تشبيه كامل ثم قال تعالى خلقه من تراب فهو خبر
مستانف على جهة التفسير لحال خلق ادم في كونه خلقه من تراب اي قدره جسدا من طين ثم قال له كن اي انشاه

خلقا بالكلمة وكذلك عيسى انشاه خلقا بالكلمة فعلى هذا القول ذكروا في الاية اشكالا وهو انه تعالى قال خلقه
من تراب ثم قال له كن فهذا يقتضي ان يكون خلق ادم متقدما على قوله كن ولا يكون تقدم الخلق واجيب عن هذا
الاشكال بان الله اخبرانه خلقه من تراب لامن ذكر وانثى ثم ابتدا خبرا اخر فقال اني اخبركم ايضا اني قلت له كن فكان
من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة ويحتمل ان يكون المراد انه تعالى خلقه جسدا من تراب ثم قال له كن بشرا
فكان فيصح النظم وقيل الضمير في قوله كن يرجع الى عيسى عليه السلام وعلى هذا فلا اشكال في الاية فان قلت
كيف شبه عيسى بادم وقد وجد عيسى من غير اب ووجد ادم من غير اب ولا ام قلت هو مثله في الطرفين فلا
يمنع اختصاصه دونه بالطرف الاخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبه به
في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران لان الوجود من غير اب وام اغرب في
العادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر
فيما هو اغرب مما استغربه وحكي ان بعض العلما اسر في بعض بلاد الروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا
لانه لا اب له قال فادم اولى لانه لا اب له ولا ام قالوا وكان يحيي الموتى فقال فحزقيل اولى لان عيسى احيى اربعة
واحيا حزقيل اربعة الاف قالوا وكان يبري الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام
سليما وقوله **كن فيكون** قال ابن عباس معناه كن فكان فاريد المستقبل بالماضي وقيل معناه ثم قال له كن واعلم
يا محمد ان ما قال له ربك كن فانه يكون لا محالة **الحق من ربك** الذى اخبرتك به من تمثيل عيسى بادم هو الحق
من ربك **فلا تكون من الممترين** اي الشاكين ان ذلك كذلك وهذا خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به
امته لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فهو كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النسا والمعنى فلا تكون من الممترين
يا ايها السامع كاينا من كان لهذا التمثيل والبرهان الذى ذكر فهو من باب التهيج لزيادة الثبات والطانينة
قوله تعالى **فمن حاجك فيه** اي فمن جادلك في عيسى وقيل في الحق **من بعد ما جاك من العلم** يعني بان عيسى عبد
الله ورسوله **فقل تعالوا** اي هلموا والمراد منه المجي واصله من العلو بالراي والعزم كما تقول تعال تفكر هذه المسالة
ندع ابناءنا وابناءكم اي يدع كل منى ومنكم ابناه **ونسانا ونساكم وانفسنا وانفسكم** قيل اراد بالابنا الحسن
والحسين وبالنسا فاطمة وبالنفس نفسه صلى الله عليه وسلم وعليا رضي الله عنه وقيل هو على العموم لجماعة
اهل الدين **ثم نبتهل** قال ابن عباس نتضرع في الدعا وقيل معناه نجتهد ونبالغ في الدعا وقيل معناه نلتعن
والابتهال الالتعان يقال عليه بهلة الله اي لعنة الله **فنجعل لعنة الله على الكاذبين** يعني منا ومنكم
في امر عيسى قال المفسرون لما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية على وفد نجران قالوا حتى نرجع
وننظر في امرنا ثم ناتيك غدا فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رايهم ما ترى يا عبد
المسيح قال لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولين فعلتم ذلك لتهلكن فان ابيتم الا الاقامة على
ما انتم من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد احتضن
الحسن واخذ بيد الحسين وفاطمة تمشي خلفه وعلي يمشي خلفها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم اذا دعوت
فامنوا فقال راسهم اسقف نجران قال يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله
فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة قالوا يا ابا القاسم قد راينا ان لا نباهلك
وان نتركك على دينك وتتركنا على ديننا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ابيتم المباهلة
فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا ذلك فقال اني انابذكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة
ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا وان نودي اليك في كل سنة الفي حلة الف

في صفر والف في رجب زاد في رواية وثلاثا وثلاثون درعا عادية وثلاثة وثلاثون بعيرا واربعا وثلاثين
فرسا عارية فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذى نفسي بيده ان العذاب تدلا
على اهل نجران لو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستاصل الله نجران
واهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا فان قلت ما كان دعاوه الى
المباهلة الا لتبيين الصادق من الكاذب منه ومن خصمه وذلك يختص به وبمن يباهله فما معنى ضم
الابنا والنسا في المباهلة قلت ذلك اكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرا
على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه فلذلك ضمهم في المباهلة ولم يقتصر على تعريض نفسه
لذلك وعلى ثقته يكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك استيصال ان تمت
المباهلة وانما خص الابنا والنسا لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلب وربما فداهم الرجل بنفسه
وحارب دونهم حتى يقتل وانما قدمهم في الذكر على النفس لينبه بذلك على لطف مكانهم وقرب منزلتهم
وفيه دليل قاطع وبرهان واضح على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق ومخالف
انهم اجابوا الى المباهلة لانهم عرفوا صحة نبوته وما يدل عليها في كتبهم فقوله تعالى **ان هذا** يعني الذى
قص عليك يا محمد من خبر عيسى وانه عبد الله ورسوله **لهو القصص الحق** واصله من القص وهو تتبع
الاثر والقصص الخبر الذى يتتابع فيه المعاني **وما من اله الا الله** انما دخلت من لتوكيد النفي والمعنى
ان عيسى ليس باله كما زعمت النصارى ففيه رد عليهم وعلى جميع من ادعى من المشركين انهم الهة واثبات الالهية
لله تعالى وحده لا شريك له في الالهية **وان الله لهو العزيز الحكيم** اي الغالب المنتقم ممن عصاه
وخالف امره وادعى معه الها اخر الحكيم يعني في تدبيره وفيه رد على النصارى لان عيسى لم يكن كذلك
فان تولوا يعني فان اعرضوا عن الايمان فلم يقبلوه **فان الله عليم بالمفسدين** اي الذين يعبدون
غير الله ويدعون الناس الى عبادة غيره وفيه وعيد وتهديد قوله تعالى **قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سوا بيننا وبينكم** قال المفسرون لما قدم وفد نجران المدينة اجتمعوا باليهود فاختصموا
في ابراهيم صلى الله عليه وسلم فزعمت النصارى انه كان نصرانيا وهم على دينه واولى الناس به وقالت
اليهود بل كان يهوديا وهم على دينه واولى الناس به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين
بري من ابراهيم ودينه بل كان ابراهيم حنيفا مسلما وانا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فقالت اليهود
ما تريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا ان نقول
فيك ما قالت اليهود في عزير فانزل الله عز وجل قل يا اهل الكتاب تعالوا اي هلموا الى كلمة يعني فيها
انصاف ولا ميل فيها لاحد على صاحبه والعرب تسمي كل قصة وقصيدة لها اول واخر وشرح كلمة سوا اي
عدل لا يختلف فيها التوراة والانجيل والقران وتفسير الكلمة قوله **ان لا نعبد الا الله ولا نشرك
به شيا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله** وذلك ان النصارى عبدوا غير الله وهو المسيح
واشركوا به وهو قولهم اب وابن وروح القدس فجعلوا الواحد ثلاثة واتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله وذلك انهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من الشرك ويسجدون لهم فهذا معنى اتخاذ
بعضهم اربابا من دون الله فثبت ان النصارى قد جمعوا بين هذه الثلاثة اشيا ومعنى الاية قل
يا محمد لليهود والنصارى هلموا الى امر عدل نصف وهو ان لا تقولوا عزير ابن الله ولا تقولوا المسيح ابن
الله لان كل واحد منهما بشر مخلوق مثلنا ولا نطيع احبارنا ورهباننا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من

غير رجوع الى ما شرع ولا يسجد بعضنا لبعض فان السجود لغير الله حرام فلا نسجد لغير الله وقيل معناه ولا
نطيع احدا في معصية الله **فان تولوا** قال فان اعرضوا عن ما امرتم به **فقولوا** انتم لهم **اشهدوا بانا مسلمون**
اي مخلصون بالتوحيد لله والعبادة له **ق** وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ابا سفيان اخبره ان هرقل ارسل
اليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد ابا سفيان
وكفار قريش فاتوه وهم بايليا فدعاهم في مجلسه وحوله عظما الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي بعث مع دحية الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقراه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد بن عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية
الاسلام اسلم تسلم اسلم يوتك الله اجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين ويا اهل
الكتاب تعالوا الى كلمة سوا بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا
من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون لفظ الحديث لاحد روايات البخاري وقد
اخرجه باطول من هذا وفيه زيادة وقوله الاريسيين وفي رواية الاريسيين والاريس الاكار وهو الزراع
والفلاح وقيل هم اتباع عبد الله بن اريس رجل كان في الزمن الاول بعث الله نبيا فخالفه قومه وقيل هم
الاروسيون وهم نصارى اتباع عبد الله بن اروس وهم الاروسية وقيل هم الاريسيون بضم الهمزة وهم
الملوك الذين يخالفون انبياءهم وقيل هم المتجبرون وقيل هم اليهود والنصارى الذين صدوا عن
الاسلام واتبعوك على كفرك قوله تعالى **يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم** قال ابن عباس اجتمع
عند النبي صلى الله عليه وسلم نصارى نجران واحبار اليهود فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ما كان ابراهيم
الا يهوديا وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا فانزل الله فيهم يا اهل الكتاب لم تحاجون
في ابراهيم **وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده** ومعنى الاية ان اليهود والنصارى لما اختصموا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في شان ابراهيم عليه السلام وادعت كل طايفة انه كان منهم
وعلى دينهم فرد الله عز وجل ابراهيم مما ادعوا فيه واخبر ان اليهودية والنصرانية انما حدثتا بعد
نزول التوراة والانجيل وانما نزلا بعد ابراهيم بزمان طويل فكان بين ابراهيم وموسى ونزول التوراة
عليه خمسمائة وخمس وسبعون سنة وبين موسى وعيسى الف سنة وثمانية واثنان وثلاثون سنة
وبين موسى وعيسى الف وتسعماية وعشرون سنة واورد على هذا التاويل بان الاسلام ايضا انما حدث
بعد ابراهيم وموسى وعيسى بزمان طويل وكذلك انزل القران انما انزل بعد التوراة والانجيل فكيف
يصح ما ادعيتم في ابراهيم انه كان حنيفا مسلما واجيب عنه بان الله عز وجل اخبر في القران ان ابراهيم
كان حنيفا مسلما وليس في التوراة والانجيل ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا فصح وثبت ما ادعاه
المسلمون وبطل ما ادعاه اليهود والنصارى وتم قوله **افلا تعقلون** يعني بطلان قولكم يا معشر
اليهود والنصارى حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال **هانتم هولا** ها للتنبيه وانتم موضع النداء
يعني هولا والمراد بهم اهل الكتابين يعني يا معشر اليهود والنصارى **حاججتم** اي جادلتم وخاصمتم **فيما
لكم به علم** يعني فيما وجدتم في كتبكم وانزل عليكم بيانه في امر موسى وعيسى وادعيتم انكم على دينهما
وقد انزلت التوراة والانجيل **فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم** يعني انه ليس في كتابكم ان ابراهيم
كان يهوديا او نصرانيا **والله يعلم** يعني ما كان ابراهيم عليه من الدين **وانتم لا تعلمون** يعني ذلك
والمعنى وانتم جاهلون بما تقولون في ابراهيم ثم براه الله عز وجل عما قالوا فيه واعلمهم ان ابراهيم بري

من دينهم فقال تعالى **ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا** يعني لم يكن كما ادعوه فيه ثم وصفه بما كان
عليه من الدين فقال تعالى **ولكن كان حنيفا مسلما** يعني مايلا عن الاديان كلها الى الدين المستقيم
وهو الاسلام وقيل الحنيف الذي يوحد ويحج ويضحي ويستقبل الكعبة في صلاته وهو احسن
الاديان واسهلها واحبها الى الله عز وجل **وما كان من المشركين** يعني الذين يعبدون الاصنام
وقيل فيه تعريض بكون النصارى مشركين لقولهم بالالهية المسيح وعبادتهم له قوله عز وجل **ان اولى
الناس بابراهيم** يعني اخصهم به واقربهم منه **للذين اتبعوه** يعني الذين كانوا في زمانه واسوا به
واتبعوا شريعته **وهذا النبي** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **والذين امنوا** يعني هذه الامة الاسلامية
والله ولي المومنين يعني بالنصر والمعونة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان لكل نبي ولاة من النبيين وانا ولي ابي وخليل ربي ابراهيم ثم قرا ان اولى الناس
بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المومنين اخرجه الترمذي وروى الكلبي
عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ورواه محمد بن اسحق عن ابن شهاب باسناده حديث
هجرة الحبشة قال لما هاجر جعفر بن ابي طالب واناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ارض
الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فكان من امر بدر ما كان فاجتمعت
قريش في دار الندوة وقالوا ان لنا في الذين عند النجاشي من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثارا
ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا واهدوه الى النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب
لذلك رجلان من ذوي رايكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن ابي معيط معهما الهدايا الادم وغيره
فركبا البحر حتى اتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا له ان قومنا لك ناصحون
شاكرون ولصاحبك محبون وانهم بعثوا اليك ليحذرك هولا الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل
كذاب قد خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه احد منا الا السفها وانا كنا قد ضيقنا عليهم
الامر والجاناهم الى شعب بارضنا لا يدخل عليهم احد ولا يخرج منهم احد قد قتلهم الجوع والعطش فلما
اشتد عليه الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم
الينا لنكفيكهم قالا وآية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي
يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب
يستاذن عليك حزب الله تعالى فقال النجاشي مروا هذا الصايح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا
بامان الله وذمته فنظر عمرو الى صاحبه وقال الا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به الملك فساءهما
ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الا ترى انهم يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي
ما منعكم ان تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من اتاني من الافاق قالوا نسجد لله الذي خلقك وملكك
وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا فامرنا بالتحية التي رضيها الله
وهي السلام تحية اهل الجنة فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التوراة والانجيل قال ايكم الهاتف يستاذن
عليك حزب قال جعفر انا قد تكلم قال انك ملك من ملوك الارض من اهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام
ولا الظلم وانا احب ان اجيب عن اصحابي فمر هذين الرجلين فليتكلم احدهما ولينصت الاخر فتسمع محاورتنا
فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذين الرجلين اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا
فردنا عليهم فقال النجاشي اعبيد هم ام احرار فقال احرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية قال جعفر

سلهما هل ارقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة فقال جعفر سلهما هل اخذنا اموال الناس
بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي ان كان قنطارا فعلي قضاؤه فقال عمرو ولا قيراط فقال النجاشي
فما تطلبون منهم قال كنا وهم على دين واحد وامر واحد على دين ابائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا
قومنا لتدفعهم الينا فقال النجاشي وما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعتموه فقال جعفر
اما الدين الذي كنا عليه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة واما الدين الذي تحولنا اليه
فهو دين الله الاسلام جاءنا به من عند الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي
تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشي بضرب الناقوس فضرب فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا
عنده قال النجاشي انشدكم الله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيمة نبيا
مرسلا قالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال من امن به فقد امن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي
لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يامركم به وما ينهاكم عنه فقال يقرا علينا كتاب الله ويامرنا بالمعروف
وينهانا عن المنكر ويامر بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويامرنا ان نعبد الله وحده ولا نشرك به فقال
اقرا علي مما يقرا عليكم فقرا عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي واصحابه من الدمع
وقالوا زدنا من هذا الحديث الطيب فقرا عليهم سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم
يشتمون عيسى وامه فقال النجاشي فما تقولون في عيسى وامه فقرا عليهم سورة مريم فلما اتى على ذكر
مريم وعيسى رفع النجاشي من سواكه قدر ما تقذى العين وقال والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذا
ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا انتم سيوم بارضي يقول امنون في سبكم واذاكم غرم ثم قال ابشروا
ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابراهيم فقال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم
الذي جاءوا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا دين ابراهيم ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه
المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم ياخذ مني رشوة قال جعفر
فانصرفنا فكنا في خير جوار وانزل الله عز وجل في ذلك اليوم على رسوله صلى الله عليه وسلم في خصومتهم
في ابراهيم وهو في المدينة ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي
المومنين قوله تعالى **ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم** نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان
وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود الى اليهودية فنزلت فيهم ودت طايفة اي تمنت جماعة من الكتاب يعني اليهود
لو يضلونكم يعني عن دينكم ويردونكم الى الكفر **وما يضلون الا انفسهم** لان المومنين لا يقبلون قولهم
فيحصل عليهم الاثم بتمنيهم اضلال المومنين **وما يشعرون** يعني ان وبال الضلال يعود عليهم لان العذاب
يضاعف لهم بسبب ضلالهم واضلال المسلمين وما يقدرون على ذلك انما يضلون امثالهم واتباعهم
واشياعهم **يا اهل الكتاب** الخطاب لليهود **لم تكفرون بايات الله** يعني القران وقيل المراد بايات الله
الواردة في التوراة والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وسبب كفرهم بالتوراة والانجيل على هذا
القول تحريفهم وتبديلهم ما فيهما من بيان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته والبشارة بنبوته لانهم
ينكرون ذلك **وانتم تشهدون** يعني ان نعته وصفته مذكورة في التوراة والانجيل وذلك ان احبار
اليهود كانوا يكتمون الناس نعته وصفته فاذا خلا بعضهم ببعض اظهروا ذلك فيما بينهم وشهدوا انه حق
يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وذلك ان علماء اليهود والنصارى كانوا يعلمون بقلوبهم ان
محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله وان دينه حق وكانوا ينكرون ذلك بالسنتهم وكانوا

يجتهدون

يجتهدون في القاء الشبهات والتشكيكات وذلك ان الساعي في اخفاء الحق لا يقدر على ذلك الا بهذه
الامور فقوله تعالى لم تلبسون الحق بالباطل معناه تحريف التوراة وتبديلها فتخلطون الحرف الذي كتبوه
بايديهم بالحق المنزل وقيل هو خلط الاسلام باليهودية والنصرانية وذلك انهم تواطؤوا على اظهار
الاسلام في اول النهار والرجوع عنه في اخره والمراد بذلك تشكيك الناس وقيل انهم كانوا يقولون ان
محمدا صلى الله عليه وسلم معترف بصحة نبوة موسى وانه حق ثم ان التوراة دالة على ان شرع موسى لا ينسخ
فهذا من تلبيساتهم على الناس **وتكتمون الحق** يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته في التوراة
وانتم تعلمون يعني انه رسول من عند الله وان دينه حق وانما كتمتم الحق عنادا وحسدا وانتم تعلمون ما تستحقون
على كتمان الحق من العذاب قوله عز وجل **وقالت طايفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا
وجه النهار واكفروا اخره** وهذا نوع من تلبيسات اليهود وقيل تواطؤوا اثنى عشر حبرا من يهود خيبر
وقرى عرينة فقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد واظهار باللسان دون اعتقاد القلب ثم اكفروا
اخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا ان محمدا ليس هو بذلك المبعوث وظهر
لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك اصحاب محمد في دينه واتهموه وقالوا انهم اهل كتاب واعلم به منا فيرجعون
عن دينهم وقيل هذا في شان القبلة وذلك انه لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن
الاشرف لاصحابه امنوا بالذي انزل على محمد في امر الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم اكفروا وارجعوا الى
قبلتكم اخر النهار **لعلهم يرجعون** فيقولون هولاء اهل كتاب وهم اعلم فيرجعون الى قبلتنا فاطلع الله رسوله
صلى الله عليه وسلم على سرهم وانزل هذه الاية ووجه النهار اوله والوجه مستقبل كل شي لانه اول ما يواجه
منه وانشدوا في معناه ۞ من كان مسرورا بمقتل مالك ۞ فليات نسوتنا بوجه نهار ۞
وقوله لعلهم يرجعون يعني عنه ولما دبروا هذه الحيلة اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بها فلم تتم
لهم ولم يحصل لها اثر في قلوب المومنين ولولا هذا الاعلام من الله تعالى لكان ربما اثر ذلك في قلوب بعض
من كان في ايمانه ضعف قوله تعالى **ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم** هذا متصل بالاول وهو من قول اليهود يقول
بعضهم لبعض ولا تومنوا اي لا تصدقوا الا لمن تبع دينكم اي وافق ملتكم التي انتم عليها وهي اليهودية واللام
في لمن صلة كقوله ردف لكم اي ردفكم **قل ان الهدى هدى الله** اي الدين دين الله والبيان بيانه وهذا
خبر من الله تعالى ثم اختلفوا فيه فمنهم من قال هذا كلام معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الاول
وهو اخبار اليهود عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعنى الاية ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم ولا تومنوا **ان يوتى
احد مثل ما اوتيتم** من العلم والحكمة والايات من فلق البحر وانزال المن والسلوى عليكم وغير ذلك من الكرامات
ولا تومنوا ان يحاجوكم عند ربكم لانكم اصح دينا منهم فلما اخبر الله تعالى عن اليهود بذلك قال في اثناء ذلك
قل ان الهدى هدى الله والمعنى ان الذي انتم عليه انما صار دينا بحكم الله وامره فاذا امر بدين اخر وجب اتباعه
والانقياد لحكمه لانه هو الذي هدى اليه وامر به وقيل معناه قل لهم يا محمد ان الهدى هدى الله قد جيتكم به ولن
ينفعكم في دفعه هذا الكيد الضعيف وقرا الحسن والاعمش ان يوتى بكسر الالف فيكون قول اليهود تاما عند
قوله الا لمن تبع دينكم وما بعده من قول الله تعالى والمعنى قل يا محمد ان الهدى هدى الله ان يوتى احد مثل ما
اوتيتم وتكون ان بمعنى الجحد اي ما يوتى احد مثل ما اوتيتم يا امة محمد من الدين والهدى **او يحاجوكم عند ربكم**
يعني ان يحاجوكم اليهود بالباطل فيقولوا نحن افضل منكم وقولوا عند ربكم فعل ربكم ذلك بكم وقيل او في قوله او
يحاجوكم بمعنى حتى ومعنى الاية ما اعطى الله احدا مثل ما اعطيتم يا امة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند

ربكم وقرا ابن كثير ان يؤتى بالمد على الاستفهام وحينئذ يكون في الكلام اختصار تقديره ان يؤتى احد مثل
ما اوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة فتحسدونه ولا تؤمنون به هذا قول قتادة والربيع قالا
هذا من قول الله تعالى يقول قل يا محمد ان الهدى هدى الله ونحن عليه ويحتمل ان يكون الجميع خطابا للمؤمنين
ويكون نظم الاية ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم يا معشر المؤمنين فان حسدوكم فقل ان الفضل بيد الله فان حاجوكم
فقل ان الهدى هدى الله ويحتمل ان يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله لعلهم يرجعون وقوله ولا تؤمنوا
من كلام الله يثبت به قلوب المؤمنين لئلا يكسلوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم في دينهم يقول الله لا تصدقوا
يا معشر المؤمنين الا من تبع دينكم ولا تصدقوا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من الدين والفضل ولا تصدقوا ان
يحاجوكم عند ربكم او يقدروا على ذلك فان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله
واسع عليم فتكون الاية كلها خطابا للمؤمنين عن تلبيس اليهود لئلا يرتابوا ولا يشكوا وقوله تعالى قل
ان الفضل بيد الله يعني قل لهم يا محمد ان التوفيق للايمان والهداية للاسلام بيد الله اي انه مالك له قادر
عليه دونكم ودون سائر خلقه يؤتيه من يشاء يعني الفضل الذي هو دين الاسلام يعطيه من يشاء من عباده
ويوفق له من اراد من خلقه وفيه تكذيب لليهود في قولهم ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم فقال الله تعالى ردا
عليهم قل لهم ليس ذلك اليهم فانما الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء واصل الفضل في اللغة الزيادة واكثر
ما يستعمل في زيادة الاحسان والفاضل الزائد على غيره في خصال الخير **والله واسع** اي ذو سعة يتفضل
على من يشاء **عليم** اي بمن يتفضل عليه وهو اهل للفضل **يختص برحمته** يعني بنبوته ورسالته وقيل
بدينه الذي هو الاسلام وقيل بالقران **من يشاء** يعني من خلقه وفيه دليل على ان النبوة لا تحصل الا بالاختصاص
والفاعل ان يفعل ما يشاء الى من يشاء بغير استحقاق **والله ذو الفضل العظيم** قوله عز وجل **ومن
اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك** الاية
نزلت في اليهود اخبر عز وجل ان فيهم امانة وخيانة وقسمهم قسمين والقنطار عبارة عن المال الكثير
والدينار عبارة عن المال القليل يقول منهم من يؤدي الامانة وان كثرت مثل عبد الله بن سلام واصحابه
ومنهم من لا يؤديها وان قلت وهم كفار اهل الكتاب مثل كعب بن الاشرف واصحابه قال ابن عباس في
هذه الاية اودع رجل من قريش عبد الله بن سلام الفا ومائتي اوقية من ذهب فاداها اليه فذلك
قوله ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك يعني
فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فخانه وجحده فلم يؤده اليه وقيل اهل الامانة هم النصارى
واهل الخيانة هم اليهود لان من مذهبهم انه يحل قتل من خالفهم في الدين واخذ ماله باي طريق كان **الا ما دمت عليه
قائما** قال ابن عباس يريد تقوم عليه وتطالبه بالالحاح والخصومة والملازمة وقيل معناه الا مدة دوامك
عليه يا صاحب الحق قائما على راسه متوكلا عليه بالمطالبة له والتعنيف بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه
وقيل اراد انه اودعته شيئا ثم استرجعته منه في الحال وانت قائم على راسه لم تفارقه رده عليك وان اخرت
استرجاع ما اودعته انكره ولم يرده عليك **ذلك** اي سبب ذلك الاستحلال والخيانة **بانهم قالوا** يعني اليهود
ليس علينا في الاميين سبيل يعني انهم يقولون ليس علينا اثم ولا حرج في اخذنا اموال العرب وذلك ان اليهود قالوا
اموال العرب حلال لنا لانهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم في كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم
وقيل ان اليهود قالوا نحن ابناء الله واحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل علينا اذا اكلنا مال عبيدنا
وقيل انهم قالوا ان الاموال كلها كانت لنا فما في يد العرب فهو لنا وانما ظلمونا وغصبوها منا فلا سبيل علينا

في اخذها

في اخذها منهم باي طريق كان وقيل اليهود كانوا بايعوا رجالا من المسلمين في الجاهلية فلما اسلموا تقاضوهم
بقية اثمانهم فقالوا ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لانكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا
انهم وجدوا ذلك في كتابهم فاكذبهم الله تعالى فقال **ويقولون على الله الكذب** يعني اليهود **وهم يعلمون** يعني
انهم كاذبون ثم انه تعالى رد على اليهود قولهم فقال **بلى** اي ليس الامر كما قالوا بل عليهم سبيل ولفظ بلى يحرد نفي
ما قبلها فعلى هذا يحسن الوقوف عليها ثم يبتدى **من اوفى** اي ولكن من اوفى **بعهده** اي بعهد الله الذي
عهد اليه في التوراة من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران الذي انزل عليه واداء الامانة التي
ائتمنه عليها وقيل الهاء في قوله بعهده راجعة الى الموفي **واتقى** يعني الكفر والخيانة ونقض العهد **فان الله
يحب المتقين** يعني الذين يتقون الشرك ق عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من
كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا
حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وفي رواية اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر
قوله تعالى **ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا** قال عكرمة نزلت هذه الاية في احبار اليهود
ورؤسائهم في ابي رافع وكنانة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب الذين كتموا ما عهد الله اليهم في التوراة في شان
محمد صلى الله عليه وسلم فبدلوه وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله لئلا تفوتهم الرشى والماكل التي
كانوا ياخذونها من اتباعهم وسفلتهم وقيل نزلت في ادعاء اليهود انه ليس علينا في الاميين سبيل وكتبوا ذلك
بايديهم وحلفوا انه من عند الله وقيل نزلت في الاشعث بن قيس وخصم له ق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان قال عبد
الله ثم قرا علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم
ثمنا قليلا الى اخر الاية وفي رواية قال من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فانزل
الله تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الاية فدخل الاشعث بن قيس الكندي فقال
ما يحدثكم عبد الرحمن قلنا كذا وكذا قال صدق في نزلت كان بيني وبين رجل خصومة في يمين فاختصمنا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهداك او يمينه قلت انه اذا يحلف ولا يبالي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان
ونزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى اخر الاية اخرجه الترمذي وابو داود وقال ان
الحكومة كانت بين الاشعث وبين رجل يهودي وقيل نزلت هذه الاية في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد
اعطي بها ما لم يعطه خ عن عبد الله بن ابي اوفى ان رجلا اقام سلعة في السوق فحلف بالله لقد اعطي بها ما لم يعط
ليوقع فيها من المسلمين فنزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى اخر الاية وقيل الاقرب حمل
الاية على فقوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا يدخل فيه جميع ما امر الله به ويدخل فيه
العهود والمواثيق الماخوذة من جهة الرسل ويدخل فيه ما يلزم الرجل نفسه من عهد وميثاق فكل ذلك من عهد
الله الذي يجب الوفاء به ومعنى ان الذين يشترون اي يستبدلون بعهد الله يعني الامانة وايمانهم يعني الكاذبة
ثمنا قليلا يعني شيئا يسيرا من حطام الدنيا وذلك لان المشتري ياخذ شيئا ويعطي فكل واحد من المعطى والماخوذ
ثمن للاخر فهذا معنى الشراء **اولئك** يعني من هذه صفته **لا خلاق لهم في الاخرة** اي لا نصيب لهم في الاخرة ونعيمها
وجميع منافعها **ولا يكلمهم الله** يعني كلاما يسرهم به او ينفعهم وقيل هو بمعنى الغضب **ولا ينظر اليهم يوم القيمة**

اي لا يرحمهم ولا يحسن اليهم ولا ينيلهم خيرا ولا يزكيهم اي لا يطهرهم من الذنوب ولا يثني عليهم بجميل ولهم عذاب
اليم يعني في الاخرة وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيمة
ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم رجل حلف على سلعة لقد اعطى بها اكثر مما اعطى وهو كاذب ورجل حلف
على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرء مسلم ورجل منع فضل ماء فيقول الله اليوم امنعك فضلي كما منعت
فضل ما لم تعمل يداك م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله
يوم القيمة ولا ينظر اليهم ولهم عذاب اليم قال فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقلت
خابوا وخسروا من هم يا رسول الله قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب وللنسائي المنان
بما اعطى والمسبل ازاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب م عن ابي امامة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرء مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة واوجب له النار قالوا يا رسول الله
وان كان شيا يسيرا قال وان كان قضيبا من اراك قوله عز وجل وان منهم يعني اليهود لفريقا يعني طايفة وجماعة
وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وابو ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر يلوون يعني يعطفون
ويميلون واصل اللي الفتل من قولك لويت يده اذا فتلتها السنتهم بالكتاب اي بالتحريف والتغيير والتبديل
وتحريف الكلام تقليبه عن وجهه لان المحرف يلوي لسانه عن سنن الصواب بما ياتي به من عند نفسه قال الواحدي
ويحتمل ان يكون المعنى يلوون بالسنتهم الكتاب لانهم يحرفون الكتاب عما هو عليه بالسنتهم فياتون به على القلب
ونقل الامام فخر الدين عن القفال قال يلوون بالسنتهم معناه ان يعمدوا الى اللفظة فيحرفونها في حركات
الاعراب تحريفا يتغير به المعنى وهذا كثير في لسان العرب فلا يبعد مثله في العبرانية فلما فعلوا ذلك في الاية
الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التورية كان ذلك هو المراد من قوله يلوون السنتهم بالكتاب
وقيل انهم غيروا صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التورية وبدلوها واية الرجم وغير ذلك مما بدلوا وغيروا
لتحسبوه من الكتاب يعني لتظنوا ان الذي حرفوه وبدلوه من الكتاب الذي انزله الله على انبيايه وما هو
من الكتاب يعني ذلك الذي يزعمون انه من الكتاب وما هو منه ويقولون هو من عند الله وما هو من
عند الله يعني الذي يقولونه ويروونه وانما كرر هذا بلفظين مختلفين مع اتحاد المعنى لاجل التاكيد ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون يعني انهم كاذبون وقال ابن عباس ان الاية نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك
انهم حرفوا التورية والانجيل والحقوا في كتاب الله ما ليس فيه قوله تعالى ما كان لبشر ان يوتيه الله الكتاب
والحكم والنبوة قيل ان نصارى نجران قالوا ان عيسى امرهم ان يتخذوه ربا فقال الله تعالى ردا عليهم ما كان
لبشر يعني عيسى عليه السلام ان يوتيه الله الكتاب يعني الانجيل وقال ابن عباس في قوله تعالى ما كان لبشر
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ان يوتيه الله الكتاب يعني القران وذلك ان ابا رافع من اليهود والسيد من
نصارى نجران قالا يا محمد تريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان آمر بعبادة غير الله وما بذلك بعثني
فانزل الله هذه الاية ما كان لبشر اي ما ينبغي لبشر وهو جمع بني ادم لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط
وقد يوضع موضع الواحد والجمع ان يوتيه الله الكتاب والحكم يعني الفهم والعلم وقيل هو امضا الحكم عن الله تعالى
والنبوة يعني المنزلة الرفيعة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ومعنى الاية انه لا يجتمع لرجل
نبوة مع القول للناس كونوا عبادا لي من دون الله وكيف يدعو الناس الى عبادة نفسه دون الله وقد اتاه
الله ما اتاه من الكتاب والحكم والنبوة وذلك ان الانبيا موصوفون بصفات لا يحصل معها ادعا الالهية
والربوبية منها ان الله تعالى اتاهم الكتب السماوية ومنها اتيا النبوة ولا تكون الا بعد كمال العلم وكل هذه

تمنع من هذه الدعوى ولكن كونوا ربانيين يعني ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فاضمر القول على حسب
مذهب العرب في جواز الاضمار اذا كان في الكلام ما يدل عليه واختلفوا في معنى الرباني فقال ابن عباس
معناه كونوا فقها علما وعنه كونوا فقها معلمين وقيل معناه حكما علما وقيل الرباني الذي يربي الناس بصغار
العلم قبل كباره وقيل الرباني العالم الذي يعمل بعلمه وقيل الرباني العالم بالحلال والحرام والامر والنهي وقيل
الرباني الذي جمع بين علم البصيرة والعلم بسياسة الناس ولما مات ابن عباس رضي الله عنه قال محمد
ابن الحنفية اليوم مات رباني هذه الامة قال سيبويه الرباني المنسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به ومواظبا
على طاعته وزيادة الالف والنون فيه للدلالة على كمال هذه الصفة وقال المبرد الربانيون ارباب العلم
واحدهم رباني وهو الذي يرب العلم ويرب الناس اي يعلمهم ويصلحهم والالف والنون للمبالغة فعلى قول
سيبويه الرباني منسوب الى الرب على معنى التخصيص بمعرفة الرب وطاعته وعلى قول المبرد الرباني
ماخوذ من التربية وقيل الربانيون هم ولاة الامر والعلما وهما الفريقان اللذان يطاعان ومعنى
الاية على هذا التاويل لا ادعوكم الى ان تكونوا عبادا لي ولكن ادعوكم الى ان تكونوا ملوكا وعلما ومعلمين
الناس الخير ومواظبين على طاعة الله وعبادته وقال ابو عبيدة احسب ان هذه الكلمة ليست عربية
انما هي عبرية او سريانية وسوا كانت عربية او عبرانية فهي تدل على الذي علم وعمل بما علم وعلم الناس
طريق الخير قوله تعالى بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اي كونوا ربانيين بسبب كونكم
عالمين ومعلمين وبسبب دراستكم الكتاب فدلت الاية على ان العلم والتعليم والدراسة توجب كونه
ربانيا فمن اشتغل بالعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع علمه وخاب سعيه قوله عز وجل ولا يامركم قرئ
بنصب الراء عطفا على قوله ثم يقول فيكون مردودا على البشر وقيل على اضمار ان اي ولا ان يامركم وقرئ برفع
الراء على الاستيناف وهو ظاهر ومعناه ولا يامركم الله وقيل ولا يامركم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ولا يامركم
عيسى وقيل ولا يامركم الانبيا ان تتخذوا الملايكة والنبيين اربابا يعني كفعل قريش والصابيين حيث
قالوا الملايكة بنات الله وكفعل اليهود والنصارى حيث قالوا في المسيح والعزير ما قالوا وانما خص الملايكة
والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله عز وجل من اهل الكتاب لم يحك عنهم الا عبادة الملايكة
وعبادة المسيح وعزير فلهذا المعنى خصهم بالذكر ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون انما قاله على طريق
التعجب والانكار يعني لا يقول هذا ولا يفعله قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين قال الزجاج موضع
اذ نصب المعنى واذكر في اقاصيصك اذ اخذ الله وقال الطبري معناه واذكروا يا اهل الكتاب اذ اخذ الله
يعني حين اخذ ميثاق النبيين واصل الميثاق في اللغة عهد يوكد بيمين ومعنى ميثاق النبيين ما وثقوا به على
انفسهم من طاعة الله فيما امرهم به ونهاهم عنه وذكروا في معنى اخذ الميثاق وجهين احدهما انه ماخوذ من
الانبيا والثاني انه ماخوذ لهم من غيرهم فلهذا السبب اختلفوا في المعنى بهذه الاية فذهب قوم الى ان الله
تعالى اخذ الميثاق من النبيين خاصة قبل ان يبلغوا كتاب الله ورسالاته الى عباده ان يصدق بعضهم بعضا
واخذ العهد على كل نبي ان يومن بمن ياتي بعده من الانبيا وينصره ان ادركه وان لم يدركه ان يامر قومه بنصرته
ان ادركوه فاخذ الميثاق من موسى ان يومن بعيسى ومن عيسى ان يومن بمحمد صلى الله عليه وسلم اجمعين وهذا قول
سعيد بن جبير والحسن وطاوس وقيل انما اخذ الميثاق من النبيين في امر محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وهو
قول علي وابن عباس وقتادة والسدي فعلى هذا القول اختلفوا فقيل انما اخذ الله الميثاق على اهل

الكتاب الذي ارسل اليهم النبيين ويدل عليه قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وانما
كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى اهل الكتاب دون النبيين وانما اطلق هذا اللفظ عليهم لانهم كانوا
يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم لانا اهل كتاب والنبيون منا وقيل اخذ الله الميثاق على
النبيين واممهم جميعا في امر محمد صلى الله عليه وسلم فاكتفى بذكر الانبيا لان العهد مع المتبوع عهد مع الاتباع
وهو قول ابن عباس وقال علي بن ابي طالب ما بعث الله نبيا ادم فمن بعده الا اخذ عليه في امر محمد صلى الله عليه
وسلم واخذ هو العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم احيا لينصرنه وقيل ان المراد من الاية ان الانبيا
كانوا ياخذون العهد والميثاق على اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا به وينصروه وهذا
قول كثير من المفسرين وقوله لما اتيتكم من كتاب وحكمة قرئ بفتح اللام من لما وبكسرها مع التخفيف في القراتين
فمن قرا بفتح اللام قال معنى الاية واذ اخذ الله ميثاق النبيين من اجل الذي اتاكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم
رسول يعني ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في التورية لتؤمنن به للذي عندكم في التورية من ذكره ومن قرا بكسر
اللام جعل قوله لتؤمنن به من اخذ الميثاق كما يقال اخذت ميثاقك لتفعلن لان اخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف
فكان معنى الاية فاذا استحلف الله النبيين للذي اتاهم من كتاب وحكمة متى جاءهم رسول مصدق لما معهم
ليؤمنن به ولينصرنه وقوله ثم جاءكم رسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم مصدق لما معكم وذلك ان الله
وصفه في كتب الانبيا المتقدمة وشرح فيها احواله فاذا جاءت صفاته واحواله مطابقة لما في كتبهم المنزلة
فقد صار مصدقا لها فيجب الايمان به والانقياد لقوله لتؤمنن به ولام في قوله لتؤمنن لام القسم تقديره
والله لتؤمنن ولتنصرنه قال البغوي قال الله عز وجل للانبيا حين استخرج الذرية من صلب ادم والانبيا
فيهم كالمصابيح اخذ عليهم الميثاق في امر محمد صلى الله عليه وسلم وقال الامام فخر الدين الرازي يحتمل ان يكون
هذا الميثاق ما قرر في عقولهم من الدلايل الدالة على ان الانقياد من الله واجب فاذا جا رسول وظهرت المعجزات
الدالة على صدقه فاذا اخبرهم بعد ذلك ان الله امر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه فتقرير هذا
الدليل في عقولهم فهذا هو المراد من الميثاق قال اقررتم يعني قال الله اقررتم فان فسرنا ان اخذ الميثاق
كان من النبيين كان معناه قال الله للنبيين اقررتم بالايمان به والنصرة وان فسرنا بانه اخذ الميثاق كان
على الامم كان معناه قال كل نبي لامته اقررتم وذلك انه تعالى اضاف اخذ الميثاق الى نفسه وان كان النبيون
اخذوه على الامم فكذلك طلب هذا الاقرار اضافه الى نفسه وان وقع من الانبيا والمقصود ان الانبيا
بالغوا في اثبات هذا الميثاق وتاكيده على الامم وطالبوه بالقبول واكدوا ذلك بالاشهاد واخذتم على
ذلكم اصري اي عهدي والاصر العهد الثقيل وقيل سمي العهد اصرا لانه مما يوصر اي يشد ويعقد قالوا
اقررنا اي قال النبيون اقررنا بما التزمنا من الايمان بالرسل الذين ترسلهم مصدقين لما معنا من
كتبك قال فاشهدوا يعني قال الله عز وجل للنبيين فاشهدوا يعني انتم على انفسكم وقيل على اممكم
واتباعكم الذين اخذتم عليهم الميثاق وقيل قال الله للملايكة فاشهدوا فهو كناية عن غير مذكور وقيل
معناه فاعلموا وبينوا لان اصل الشهادة العلم والبيان وانا معكم من الشاهدين يعني قال الله يا معشر
الانبيا وانا معكم من الشاهدين عليكم وعلى اتباعكم او قال للملايكة وانا معكم من الشاهدين عليهم
فمن تولى اي اعرض عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصرته بعد ذلك الاقرار فاوليك هم الفاسقون
اي الخارجون عن الايمان والطاعة قوله عز وجل افغير دين الله يبغون وذلك ان اهل الكتاب

فادعى كل فريق منهم انه على دين ابراهيم عليه السلام واختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بري من دين ابراهيم فغضبوا وقالوا لا نرضى بقضايك
ولا ناخذ بدينك فانزل الله افغير دين الله الهمزة للاستفهام والمراد منه الانكار والتوبيخ يعني ابعد
اخذ الميثاق عليهم ووضوح الدلايل لهم ان دين ابراهيم هو دين الله الاسلام تبغون قرئ بالتا على خطاب
الحاضر اي افغير دين الله تطلبون يا معشر اليهود والنصارى وقرئ باليا على الغيبة ردا على قوله
فمن تولى بعد ذلك فاوليك هم الفاسقون وله اسلم اي خضع وانقاد من في السموات والارض طوعا
وكرها فالطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره ما كان من ذلك بمشقة وابا من النفس واختلفوا
في معنى قوله طوعا وكرها فقيل اسلم اهل السموات طوعا واسلم بعض اهل الارض طوعا وبعضهم كرها
من خوف القتل والسبي وقيل اسلم المومن طوعا وانقاد كل الكافر كرها وقيل هذا في يوم اخذ الميثاق حين
قال الست بربكم قالوا بلى فمن سبقت له السعادة قال ذلك طوعا ومن سبقت له الشقاوة قال ذلك
كرها وقيل اسلم المومن طوعا فنفعه اسلامه يوم القيمة والكافر يسلم كرها عند الموت في وقت الياس
فلم ينفعه ذلك في القيمة وقيل انه لا سبيل لاحد من الخلق الى الامتناع على الله في مراده فاما المسلم فينقاد
لله تعالى امره به او نهاه عنه طوعا واما الكافر فينقاد لله كرها في جميع ما يقضي عليه ولا يمكنه دفع
قضايه وقدره عنه واليه يرجعون قرئ باليا والتا والمعنى ان مرجع الخلق كلهم الى يوم القيمة فيه وعيد
عظيم لمن خالف في الدنيا قوله تعالى قل امنا بالله لما ذكر الله عز وجل في الاية المتقدمة اخذ الميثاق على الانبيا
في تصديق الرسول الذي مصدق لما معهم بين في هذه الاية ان من صفة محمد صلى الله عليه وسلم كونه مصدقا لما
معهم فقال تعالى امنا بالله وانما وحد الضمير في قوله قل وجمع في قوله امنا لانه انما خاطبه بلفظ الوحدان
ليدل هذا الكلام على انه لا يبلغ هذا التكليف عن الله تعالى الى الخلق الا هو ثم قال امنا تنبيها على انه
حين قال هذا القول وافقه اصحابه فحسن الجمع في قوله امنا ومعنى الاية قل يا محمد صدقنا بالله ربنا
والهنا لا اله لنا غيره ولا رب لنا سواه وانما قدم الايمان بالله على غيره لانه الاصل وما انزل علينا
يعني وقل يا محمد وصدقنا ايضا بما انزل علينا من وحيه وتنزيله وانما قدم ذكر القران لانه اشرف الكتب
ولانه لم يحرف ولم يبدل وغير محرف ومبدل وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وما اوتي موسى وعيسى انما خص هولا بالذكر لان اهل الكتاب يعترفون بوجودهم ولم يختلفوا في نبوتهم والاسباط
هم اولاد يعقوب الاثنى عشرة كانوا انبيا ثم جمع جميع الانبيا فقال والنبيون اي وما اوتي النبيون من ربهم
لا نفرق بين احد منهم وذلك ان اهل الكتاب يؤمنون ببعض النبيين ويكفرون ببعض فامر الله عز
وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يخبر عن نفسه وعن امته انه يؤمن بجميع الانبيا فان قلت لم عدي انزل
في هذه الاية بحرف الاستعلا وفيما تقدم من مثلها في البقرة بحرف الانتها قلت لوجود المعنيين جميعا
لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجا تارة باحد المعنيين وتارة بالمعنى الاخر ونحن له مسلمون
اي موحدون ونخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتنا قوله عز وجل ومن يبتغ غير الاسلام دينا
فلن يقبل منه يعني ان الدين المقبول عند الله هو دين الاسلام وان كل دين سواه غير مقبول عنده
لان الدين الصحيح ما يامر الله به ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه وهو في الاخرة من الخاسرين يعني
الذين وقعوا في الخسار وهو حرمان الثواب وحصول العقاب وروى ابن جرير الطبري عن عكرمة في قوله
ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود فنحن مسلمون فقال الله لنبيه عز وجل لنبيه

صلى الله عليه وسلم قل لهم ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا قوله تعالى **كيف يهدى الله قوما كفروا بعد**
ايمانهم نزلت في اثني عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة واتوا مكة كفارا منهم الحارث بن سويد
الانصاري وطعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت وقال ابن عباس نزلت في اليهود والنصارى وذلك ان
اليهود كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون به على الكفار ويقرون به ويقولون قد اظل زمان
نبي مبعوث فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به بغيا وحسدا او تعني كيف يهدى الله كيف يرشد الله
للصواب ويوفقك للايمان قوما كفروا اي جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم اي بعد تصديقهم
اياه واقرارهم به وبما جاء به من عند ربه **وشهدوا ان الرسول حق** يعني وبعد ان اقروا وشهدوا ان
محمدا رسول الله الى خلقه وانه حق وصدق **وجاءهم البينات** يعني بالحجج والبراهين والمعجزات الدالة على صحة
نبوته التي بمثلها تثبت النبوة **والله لا يهدى القوم الظالمين** اي لا يوفقهم للصواب لما سبق في علمه
تعالى انهم ظالمون وقيل لا يهديهم في الاخرة الى الجنة والثواب فان قلت كيف قال في اول الاية كيف يهدى
الله قوما كفروا وقال في اخرها والله لا يهدى القوم الظالمين وهذا التكرار قلت ليس فيه تكرار لان قوله
كيف يهدى الله قوما كفروا انما هو مختص باولئك المرتدين عن الاسلام ثم انه تعالى عمم ذلك الحكم في اخر
الاية فقال والله لا يهدى القوم الظالمين يعني جميع الكفار المرتدين والكافر الاصلي وانما سمي الكافر ظالما
لانه وضع العبادة في غير موضعها **اولئك جزاؤهم** يعني الذين كفروا بعد ايمانهم **ان عليهم لعنة الله**
والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها اي في عذاب اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الاية في سورة
البقرة **لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون** اي لا يؤخرون عن وقت العذاب ولا يؤخر عنهم من وقت الى
وقت ثم استثنى سبحانه وتعالى فقال **الا الذين تابوا من بعد ذلك** يعني من بعد ارتدادهم وكفرهم
وذلك ان الحارث بن سويد الانصاري لما لحق بالكفار ندم على ذلك فارسل الى قومه ان سلوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ففعلوا فانزل الله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا
الاية فبعث بها اليه اخوه الجلاس مع رجل من قومه فاقبل الى المدينة تائبا وقبل رسول الله صلى الله عليه
وسلم توبته وحسن اسلامه **واصلحوا** اي ضموا الى التوبة الاعمال الصالحة فبين ان التوبة وحدها
لا تكفي حتى يضاف اليها العمل الصالح وقيل معناه واصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق
بالعبادات والطاعات **فان الله غفور** لقبائحهم في الدنيا بالستر **رحيم** في الاخرة بالعفو وقيل غفور
بازالة العذاب رحيم باعطاء الثواب قوله عز وجل **ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا** نزلت
في اليهود وذلك انهم كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى وغيره من انبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعني كفرهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وقيل نزلت في اليهود والنصارى وذلك انهم كفروا بمحمد صلى الله عليه
وسلم لما راوه بعد ايمانهم به قبل مبعثه لما ثبت عندهم من نعته وصفته في كتبهم ثم ازدادوا كفرا يعني ذنوبا
في حال كفرهم وقيل نزلت في جميع الكفار وذلك انهم اشركوا بالله بعد اقرارهم بان الله خالقهم ثم ازدادوا
كفرا يعني باقامتهم على كفرهم حتى هلكوا عليه وقيل زيادة كفرهم هو قولهم نتربص بمحمد ريب المنون وقيل نزلت
في الاحد عشر رجلا من اصحاب الحارث بن سويد الذين ارتدوا عن الاسلام فلما رجع الحارث الى الاسلام
اقاموا على كفرهم بمكة قالوا نقيم على الكفر ما بدا لنا ومتى اردنا الرجعة ينزل فينا مثل ما نزل في الحارث
فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فمن دخل منهم في الاسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم على
كفره ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الاية فان قلت قد وعد الله قبول التوبة ممن تاب فما معنى قوله

تعالى **لن تقبل توبتهم** قلت اختلفوا المفسرون في قوله تعالى لن تقبل توبتهم فقال الحسن وقتادة وعطا
والسدي لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت وبلغت الحشرجة لان الله تعالى قال وليست التوبة
للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان فان الذي يموت على الكفر لا تقبل
توبته كانه قال لليهود او الكفار او المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا ثم ماتوا على ذلك لن تقبل توبتهم
وقال ابن عباس انهم الذين ارتدوا وعزموا على اظهار التوبة لستر احوالهم والكفر في ضمائرهم وقال
ابو العالية هم قوم تابوا من ذنوب عملوها في حال الشرك ولم يتوبوا من الشرك فان توبتهم في حال الشرك
غير مقبولة وقال مجاهد لن تقبل توبتهم اذا ماتوا على الكفر وقال ابن جرير الطبري معنى لن تقبل توبتهم
مما ازدادوا من الكفر على كفرهم بعد ايمانهم لا من كفرهم لان الله تعالى وعد ان يقبل التوبة عن عباده وانه
قابل التوبة كل تائب من كل ذنب بقوله الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم علم ان
المعنى الذي لا يقبل منه توبته ما اقام على كفره لان الله لا يقبل عمل مشرك ما اقام على شركه فاذا تاب من شركه
وكفره واصلح فان الله كما وصف نفسه غفور رحيم قوله تعالى **واولئك هم الضالون** يعني هؤلاء الذين
كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا انهم الذين ضلوا عن سبيل الحق واخطاوا منهاجه قوله تعالى **ان الذين**
كفروا وماتوا وهم كفار قال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دخل من كان من
اصحاب الحارث بن سويد حيا في الاسلام فنزلت هذه الاية فيمن مات منهم على الكفر وقيل نزلت فيمن
مات كافرا من جميع اصناف الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام والاية عامة في جميع من
مات على الكفر **فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا** اي قدر ما يملا الارض من مشرقها الى مغربها
ولو افتدى به قيل معناه لو افتدى به والواو زائدة مقحمة وقيل الواو على حالها وفائدتها انها
للعطف والتقدير لو تقرب الى الله تعالى بملء الارض ذهبا وقد مات على كفره لم ينفعه ذلك ولو افتدى
من العذاب بملء الارض ذهبا لن يقبل منه وكذا اكد في التغليظ لانه تصريح بنفي القبول من جميع الوجوه
فان قلت الكافر لا يملك شيئا في الاخرة فما وجه قوله فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا قلت الكلام
ورد على سبيل الفرض والتقدير والمعنى لو كان للكافر قدر ملء الارض ذهبا يوم القيمة لبذله في تخليص
نفسه من العذاب ولكن لا يقدر على شيء من ذلك وقيل معناه لو ان الكافر انفق في الدنيا ملء الارض
ذهبا ثم مات على كفره لم ينفعه ذلك لان الطاعة مع الكفر غير مقبولة **اولئك** اشارة الى من مات على الكفر
لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين يعني مانعين يمنعونهم من العذاب **ق** عن انس بن مالك رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لاهون اهل النار عذابا يوم القيمة لو ان لك ما
في الارض من شيء اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقول اردت منك اهون من هذا وانت في صلب ادم ان لا تشرك بي شيئا
فابيت الا الشرك لفظ مسلم قوله عز وجل **لن تنالوا البر** قال ابن عباس يعني الجنة وقيل البر هو التقوى
وقيل هو الطاعة وقيل معناه لن تنالوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا حتى تنفقوا مما تحبون وقيل
معناه لن تنالوا بر الله وهو ثوابه واصل البر التوسع في فعل الخير يقال بر العبد ربه اي توسع في طاعته
فالبر من الله الثواب ومن العبد الطاعة وقد يستعمل في الصدق وحسن الخلق لانهما من الخير المتوسع
فيه **ق** عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي
الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي
الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا **م** عن النواس بن سمعان

قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك
وكرهت ان يطلع عليه الناس منك فعلى هذا يكون المعنى عليكم بالاعمال الصالحة حتى تكونوا ابرارا
وتدخلوا في زمرة الابرار ومن قال ان لفظ البر هو الجنة قال معنى الاية لن تنالوا ابواب البر المؤدي الى الجنة
حتى تنفقوا مما تحبون يعني من جيد اموالكم وانفسها عندكم قال الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون
وقيل هو ان تنفق من مالك ما انت محتاجا اليه قال الله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله اي الصدقة افضل قال ان تصدق وانت
صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الا وقد كان واختلفوا
في هذا الانفاق فقال ابن عباس هو الزكاة المفروضة والمعنى لن تنالوا البر حتى تخرجوا زكاة اموالكم فعلى هذا القول
قيل الاية منسوخة باية الزكاة وفيه بعد لانه ترغيب في اخراج الزكاة وقال ابن عمر المراد بها ساير الصدقات
قال الحسن كل شي انفقه المسلم من ماله مما يبتغي به وجه الله ويطلب ثوابه حتى الثمرة فانه يدخل في قوله لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال كان ابو طلحة اكثر الانصار بالمدينة مالا
وكان احب ماله اليه بيرحا وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب
من ماء فيها طيب قال انس فلما نزلت هذه الاية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام ابو طلحة الى
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الله تعالى يقول في كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون وان احب اموالي الي بيرحا وانها صدقة لله عز وجل ارجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول
الله حيث شيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال رابح وقال ذلك رابح ارى ان تجعلها
في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها ابو طلحة في اقاربه وبني عمه قوله بخ بخ هي كلمة تقال
عند المدح والرضى وتكريرها للمبالغة وهي مبنية على السكون فاذا وصلت حركت ونونت فقلت بخ بخ
وقيل بخ قوله مال رابح اي ذو ربح وهي في الرواية الاخرى ذلك مال رايح بالياء معناه يروح عليك نفعه وثوابه
وبيرحا اسم موضع بالمدينة وهو كان حايط كان لابي طلحة وروي عن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب رضي الله
عنه الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان يبتاع له جارية من سبي جلولا يوم فتحت فلما جات اعجبته فقال عمر
ان الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها عمر وعن حمزة بن عبد الله ان عبد الله
ابن عمر خطرت على قلبه هذه الاية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال عبد الله فذكرت ما اعطاني
الله تعالى فما كان شي احب الي من فلانة فقلت هي حرة لوجه الله تعالى قال ولولا اني لا اعود في شي جعلته لله
لنكحتها ولما نزلت لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جا زيد بن حارثة بفرس يقال لها سبل الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق بهذه يا رسول الله فاعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة
ابن زيد بن حارثة فقال يا رسول الله انما اردت ان اتصدق بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد قبلت صدقتك وفي رواية كان زيدا وجد في نفسه فلما راى ذلك منه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اما
ان الله قد قبلها وروي ان ابا ذر نزل به ضيف فقال للراعي ايتني بخير ابلي فجا بناقة مهزولة فقال للراعي
خنتني فقال الراعي وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع
في حفرتي وقوله تعالى وما تنفقوا من شي يعني من اي شي كان من طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله
به عليم اي يعلمه ويجازيكم عليه قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرايل الا ما حرم اسرايل على
نفسه من قبل ان تنزل التوراة سبب نزول هذه الاية ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم

انك تزعم انك على ملة ابراهيم وكان ابراهيم لا ياكل لحوم الابل والبانها وانت تاكل ذلك كله فلست
على ملته فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لابراهيم قالوا كلما نحرمه اليوم كان ذلك حراما
على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فانزل الله عز وجل كل الطعام كان حلا لبني اسرايل الا ما حرم اسرايل
على نفسه وهو يعقوب من قبل ان تنزل التوراة يعني ليس الامر على ما تدعيه اليهود من تحريم لحوم الابل
على ابراهيم بل كان ذلك حلالا على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وانما حرمه يعقوب بسبب
من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في اولاده فانكروا اليهود ذلك فامرهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم باحضار التوراة وطلب منهم ان يستخرجوا منها ان ذلك حراما على ابراهيم فعجزوا عن ذلك وافتضحوا
وبان كذبهم فيما ادعوا من حرمة هذه الاشيا على ابراهيم وقيل ان اليهود انكروا شرع محمد صلى الله
عليه وسلم وادعوا ان النسخ غير جايز فابطل الله ذلك عليهم واخبر ان كل الطعام كان حلا لبني
اسرايل الا ما حرم اسرايل على نفسه فذلك الذي حرمه على نفسه كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى
اولاده فقد حصل النسخ وبطل قول اليهود بان النسخ غير جايز فانكرت اليهود ذلك وقالوا بل كان
حراما من زمن ادم الى هذا الوقت فالزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وقال
ان التوراة ناطقة بان بعض الطعام انما حرم بسبب ان اسرايل حرمه على نفسه فخاف اليهود من الفضيحة
وامتنعوا من احضار التوراة فحصل بذلك كذبهم فانهم ينسبون الى التوراة ما ليس فيها وبطل قولهم
ان النسخ غير جايز وفي هذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم
كان رجلا اميا لم يقرا الكتب ولم يعرف ما في التوراة فلما اخبر ان ذلك ليس في التوراة علم ان الذي اخبر به
صلى الله عليه وسلم انه وحي من الله تعالى وقوله تعالى كل الطعام كل انواع الطعام او ساير المطعومات
كان حلا اي حلالا لبني اسرايل الا ما حرم اسرايل على نفسه اسرايل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم
السلام واختلفوا في الذي حرم يعقوب على نفسه فقيل حرم لحوم الابل والبانها وروى الطبري بسنده
عن ابن عباس ان عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم اخبرنا
اي الطعام حرم اسرايل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم
بالذي انزل التوراة على موسى هل تعلمون ان يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله لين
عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام اليه لحمان الابل واحب الشراب
اليه البانها فقالوا اللهم نعم وقال ابن عباس هي العروق وكان سبب ذلك انه اشتكى عرق النسا وكان اصل
وجعه فيما روي عن الضحاك كان نذر لين وهب الله له اثنى عشر ولدا واتى بيت المقدس صحيحا ان يذبح
احدهم وفي رواية اخرى ثم فتلقاه ملك من الملايكة وقال يا يعقوب انك رجل قوي فهل لك في المصارعة فعالجه
فلم يصرع احد منهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال اما اني لو شيت ان
اصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لانك نذرت انك ان اتيت بيت المقدس صحيحا ذبحت اخر
ولدك فجعل الله بهذه الغمزة من ذلك مخرجا فلما قدم يعقوب بيت المقدس اراد ذبح ولده ونسي ما قال
له الملك فاتاه الملك وقال له انما غمزتك للمخرج وقد وفي نذرك فلا سبيل لك الى ذبح ولدك وقال ابن
عباس في اخرين اقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس حين هرب من اخيه العيص وكان يعقوب رجلا بطشا
قويا فلقيه ملك في صورة رجل فظن يعقوب انه لص فعالجه ان يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب وصعد
الى السما ويعقوب ينظر فهاج به عرق النسا ولقي منه شدة فكان لا ينام الليل من الوجع ويبيت وله زقا

اي صياح فحلف يعقوب لين شفاه الله ان لا ياكل عرقا ولا طعاما فيه عرق فحرمه على نفسه فكان بنوه بعد
ذلك يتتبعون العروق فيخرجونها من اللحم ولا ياكلونها وقيل لما اصاب يعقوب ذلك وصف له الاطبا تجنب لحمان
الابل فحرمها يعقوب على نفسه وقيل انما حرم يعقوب لحوم الجزور تعبدا لله تعالى وسال ربه ان يجيز ذلك فحرمه
الله على ولده ومنوط هذه الاية لان الله تعالى قال كل الطعام كان حلا لبني اسرايل ثم استثنا ما حرمه اسرايل
على نفسه فوجب بحكم الاسلام ان يكون ذلك حراما على بني اسرايل اما قوله من قبل ان تنزل التوراة فمعناه
من قبل انزال التوراة كان كل انواع الطعام كانت حلا لبني اسرايل سوى ما حرمه اسرايل على نفسه اما بعد نزول
التوراة فقد حرم الله تعالى عليهم اشيا كثيرة من انواع الطعام ثم اختلفوا في حال هذا الطعام المحرم
على بني اسرايل بعد نزول التوراة فقال السدي حرم الله عليهم في التوراة ما كانوا حرموه على انفسهم قبل
نزولها وقال عطية انما كان حراما عليهم بتحريم اسرايل فانه قال ان عافاني الله تعالى لا اكله ولذلك ولم يكن
ذلك محرما عليهم في التوراة وقال الكلبي لم يحرمه الله في التوراة وانما حرم عليهم بعد نزول التوراة بظلمهم
كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا
الى ان قال ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فكانت بنو اسرايل اذا اصابوا ذنبا عظيما حرم الله
عليهم طعاما طيبا او صب عليهم رجزا وهو الموت وقال الضحاك لم يكن شي من ذلك حراما عليهم ولا حرمه
الله في التوراة وانما حرموه على انفسهم اتباعا لابيهم ثم اضافوا تحريمه الى الله تعالى فكذبهم الله فقال تعالى
قل فاتوا بالتوراة يعني قل لهم يا محمد فاتوا بالتوراة فاتلوها اي فاقروها وما فيها حتى يتبين ان الامر
كما قلتم ان كنتم صادقين يعني فيما ادعيتم فلم ياتوا بها وخافوا الفضيحة فقال تعالى فمن افترى على الله
الكذب الافترا الاختلاق الكذب والافترا الكذب والفرية الفساد واصله من فري الاديم اي قطعه لان
الكاذب يقطع القول من غير حقيقة له في الوجود من بعد ذلك اي من بعد ظهور الحجة بان التحريم انما كان من
جهة يعقوب ولم يكن محرما قبله فاولئك هم الظالمون اي هم المستحقون للعذاب لان كفرهم ظلم منهم لانفسهم
ولمن اضلوه عن الدين من بعدهم وهذا رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براة ساحتهم فيما نعى عليهم
مما نطق به القران من تحديد مساويهم التي كانوا يرتكبونها قل صدق الله يعني قل يا محمد صدق الله فيما اخبر
ان ذلك النوع من الطعام صار حراما على بني اسرايل واولاده بعد ان كان حلالا لهم فصح القول بالنسخ وبطل
قول اليهود وقيل معناه صدق الله في قوله ان لحوم الابل والبانها كانت محللة لابراهيم عليه السلام وانما حرمت
على بني اسرايل بسبب تحريمها اسرايل على نفسه وقيل صدق في بني اسرايل الاطعمة كانت محللة على بني اسرايل
وانما حرمت على اليهود جزاء على قبايح افعالهم ففيه تعريض بكذب اليهود والمعنى ثبت ان الله تعالى صادق
فيما انزل واخبر وانتم كاذبون يا معشر اليهود فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا اي اتبعوا ما يدعوكم اليه محمد صلى
الله عليه وسلم من ملة ابراهيم وهي الاسلام وهو الدين الصحيح وهو الذي عليه محمد ومن امن معه وانما
دعاهم الى ملة ابراهيم لانها ملة محمد صلى الله عليه وسلم وما كان من المشركين اي لم يدع مع الله الها اخر ولا
عبد سواه قوله عز وجل ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة سبب نزول هذه الاية ان اليهود قالوا للمسلمين
بيت المقدس قبلتنا وهو افضل من الكعبة واقدم وهو مهاجر الانبيا وقبلتهم وارض المحشر وقال المسلمون بل الكعبة
افضل فانزل الله هذه الاية وقيل لما ادعت اليهود والنصارى انهم على ملة ابراهيم فاكذبهم الله تعالى واخبر
ان ابراهيم كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وامرهم باتباعه فقال تعالى في الاية المتقدمة واتبعوا ملة
ابراهيم حنيفا وكان من اعظم شعاير ملة الحج الى الكعبة ذكر في هذه الاية فضيلة البيت ليتفرع ايجاب

الحج وقوله ان اول بيت وضع للناس الاول هو الفرد السابق المتقدم على ما سواه وقيل هو اسم للشي الذي
يوجد ابتدا سوا حصل عقيبه شي اخر او لم يحصل والمعنى ان اول بيت وضع اي وضعه الله موضعا للطاعات
والعبادات وقبلة للصلوات وموضعا للحج والطواف وتزداد فيه الخيرات وثواب الطاعات وكونه موضع
للناس يعني يشترك فيه جميع الناس كما قال سوا العاكف فيه والبادي فان قلت كيف اضافه الى نفسه مرة
في قوله وطهر بيتي واضافه الى الناس اخرى بقوله وضع للناس قلت اما اضافته الى نفسه فعلى سبيل
التشريف والتعظيم كقوله ناقة الله واما اضافته الى الناس فلانه يشترك فيه جميع الناس لانه موضع حجهم
وقبلة صلاتهم للذي ببكة قيل هي مكة بنفسها والعرب تعاقب بين البا والميم فيقولون ضربة لازب ولازم
وقيل بكة اسم لموضع البيت ومكة اسم للبلد وفي اشتقاق بكة وجهان احدهما انه من البك الذي هو عبارة
عن الدفع يقال بكه يبكه اذا دفعه وزاحمه فلهذا قال سعيد بن جبير سميت بكة لان الناس يتباكون
فيها اي يزدحمون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر ومجاهد وقتادة الوجه الثاني سميت بكة لانها
تبك اعناق الجبابرة اي تدقها فلم يقصدها جبار بسو الا قصمه الله تعالى وهذا قول عبد الله بن
الزبير واما مكة فسميت بذلك لقلة مايها من قول العرب مك الفصيل ضرع امه وامتكه اذا مص كل ما فيه
من اللبن وقيل لانها تمك الذنوب اي تزيلها وسميت ام رحم لان الرحمة تنزل بها والحاطمة لانها تحطم من استخف
بحرمتها ولان الناس يحطم بعضهم بعضا من الزحمة وسميت ام القرى لانها اصل كل بلدة ومن تحتها دحيت
الارض واختلف العلما في كون البيت اول بيت وضع للناس على قولين احدهما انه اول في الوضع والبنا
قال مجاهد خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيا من الارضين بالفي عام وفي رواية عنه ان الله خلق
موضع البيت قبل ان يخلق شيا من الارض بالفي عام وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الما عند خلق السموات
والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان درة بيضا على وجه الما فدحيت الارض من تحته وهذا قول ابن
عمر ومجاهد وقتادة والسدي وقيل اول بيت بني على الارض وروي عن علي بن الحسين بن علي ان الله تعالى
وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وامر الملايكة ان يطوفوا به ثم امر الملايكة الذين في الارضين
ان يبنوا بيتا في الارض على مثاله وقدره فبنوا هذا البيت واسمه الضراح وامر اهل الارض ان يطوفوا به كما
يطوف اهل السما بالبيت المعمور وروي ان الملايكة بنوه قبل خلق ادم بالفي عام وكانوا يحجونه فلما حجه ادم
قالت الملايكة بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وقال ابن عباس انه اول بيت بناه ادم
في الارض وقيل ان ادم لما هبط الى الارض استوحش وشكى الوحشة فامره الله تعالى ببنا الكعبة فبناها
وطاف بها وبقي ذلك البنا الى زمان نوح فلما كان الطوفان رفع الله البيت الى السما وبقي موضع البيت اكمة
بيضا الى ان بعث الله ابراهيم عليه السلام فامره ببنايه القول الثاني ان المراد من الاولية كون
هذا اول بيت وضع للناس مباركا ويدل عليه سياق الاية وهو قوله تعالى للذي ببكة مباركا روي ان رجلا
قام الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال الا تخبرني عن البيت اهو اول بيت وضع في الارض قال لا قد
كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا وهدى وفيه مقام ابراهيم ومن دخله كان امنا وقال
الحسن هو اول مسجد عبد الله فيه وقال مطرف هو اول بيت وضع للعبادة وقال الضحاك هو اول بيت
وضع فيه البركة واول بيت وضع للناس يحج اليه واول بيت جعل للناس قبلة ق عن ابي ذر قال سالت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن اول مسجد وضع في الارض قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت
كم بينهما قال اربعون عاما ثم الارض لك مسجد فحيثما ادركت الصلاة فصل زاد البخاري فان الفضل فيه

وقوله **مباركا** يعني ذا بركة واصل البركة النمو والزيادة وقيل هو ثبوت الخير الالهي فيه وقيل هو اول بيت ظهر بالبركة وزيادة الخير وقيل لان الطاعات وسائر العبادات تتضاعف ويزداد ثوابها عنده ق وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام **وهدى للعالمين** يعني انه قبلة للمؤمنين يهتدون به الى جهة صلاتهم وقيل لان فيه دلالة على وجود الصانع المختار لما فيه من الايات التي لا يقدر عليها غيره وقيل هو هدى للعالمين الى الجنة لان من قصده بان صلى اليه او حج فقد اوجب الله له الجنة برحمته قوله تعالى **فيه ايات بينات** اي فيه دلالات واضحات على حرمته ومزيد فضله ثم اختلفوا في تفسير تلك الايات فقيل هو قوله مقام ابراهيم ومن دخله كان امنا وقيل الايات غير مذكورة ومنها ما يدل على فضل هذا البيت منها ان الطير لا يطير فوق الكعبة في الهوا بل ينحرف عنها اذا وصلت اليه يمينا وشمالا ومنها ان الوحش لا يوذي بعضها بعضا في الحرم حتى الكلاب لا تهيج الضبا ولا تصطاد ومنها ان الطير اذا مرض منها شي استشفى بالكعبة ومنها ان العقوبة لمن انتهك حرمة البيت وما قصده جبار بسوء الا اهلكه الله كما اهلك اصحاب الفيل وغيرهم ومن الايات التي فيها الحجر الاسود والملتزم والحطيم وزمزم ومشاعر الحج التي فيها كلها من الايات ومنها ان الامر ببنا هذا البيت من الجليل والمهندس له جبريل والباني هو ابراهيم الخليل والمساعد في بنايه هو اسمعيل فهذه فضيلة لهذا البيت قوله تعالى **مقام ابراهيم** يعني الحجر الذي كان يقوم عليه عند بنا البيت وكان فيه اثر قدمي ابراهيم فاندرس من كثرة المسح بالايدي **ومن دخله كان امنا** قيل لما كانت الايات المذكورة عقيب قوله ان اول بيت وضع للناس موجودة في جميع الحرم علم ان المراد بقوله ومن دخله كان امنا جميع الحرم ويدل عليه ايضا دعوة ابراهيم حيث قال رب اجعل هذا البلد امنا يعني من ان يهاج فيه وكانت العرب يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكان من دخل الحرم امن من القتل والغارة وهو المراد من حكم الاية على قول اكثر المفسرين قال الله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم وقيل في معنى الاية ومن دخله عام عمرة القضا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان امنا وقيل هو خبر بمعنى الامر تقديره ومن دخله فامنوه وهو قول ابن عباس حتى ذهب ابو حنيفة الى ان من وجب عليه القتل قصاصا كان او حدا فالتجا الى الحرم فانه لا يستوفى منه القصاص او الحد في الحرم لكنه لا يطعم ولا يبايع ولا يشارى ولا يكلم ويضيق عليه حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد خارج الحرم وقال الشافعي اذا وجب عليه القصاص خارج الحرم ثم التجا الى الحرم استوفي منه في الحرم واجمعوا على انه لو قتل في الحرم او سرق او زنى فانه يستوفى منه الحد في الحرم عقوبة له وقيل في معنى الاية ومن دخله معظما متقربا بذلك الى الله تعالى كان امنا من العذاب يوم القيمة وقيل ومن دخله كان امنا من الذنوب التي اكتسبها قبل ذلك قوله عز وجل **ولله على الناس حج البيت** اي ولله على الناس فرض حج البيت والحج احد اركان الاسلام ق وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتا الزكاة والحج وصوم رمضان فعد النبي صلى الله عليه وسلم الحج من اركان الاسلام الخمسة **من استطاع اليه سبيلا** يعني وفرض الحج واجب على من استطاع من اهل التكليف ووجد السبيل الى حج البيت الحرام **فصل** في فضل البيت والحج والعمرة ق وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول بيت وضع للناس مباركا يصلى فيه الكعبة قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاما عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الحجر الاسود من الجنة وهو اشد بياضا من اللبن وانما سودته خطايا بني ادم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر

والله

والله ليبعثنه يوم القيمة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق وله عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس الله نورهما لاضاءا ما بين المشرق والمغرب قال الترمذي وهذا يروى عن ابن عمر موقوفا ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول ومسجد الاقصى ق وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم عن ابن عمر قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما يوجب الحج قال الزاد والراحلة اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن وابراهيم بن يزيد الخوزي المكي قد تكلم فيه بعض اهل العلم من قبل حفظه ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزا الا الجنة وفي رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج لله عز وجل وفي لفظ من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه واخرجه الترمذي وقال غفر له ما تقدم من ذنبه عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة وما من مومن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن صحيح وله عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يلبي الا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر او شجر او مدر حتى تنقطع الارض من هاهنا وهاهنا قال الترمذي هذا حديث غريب وله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه قال الترمذي حديث غريب **فصل** في احكام تتعلق بالحج قال العلما الحج واجب على كل مسلم وهو احد الاركان الخمسة ولوجوب الحج خمس شرايط الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والاستطاعة ولا يجب على الكافر والمجنون ولو حجا لم يصح لان الكافر ليس من اهل القربة ولا حكم لقول المجنون ولا يجب على الصبي والعبد ولو حج صبي يعقل او عبد صح حجهما تطوعا ولا يسقط الفرض فاذا بلغ الصبي وعتق العبد واجتمع فيهما شرايط الحج وجب عليهما ان يحجا ثانيا ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فلو تكلف غير المستطيع الحج وحج صح حجه وسقط عنه فرض حجة الاسلام والاستطاعة نوعان احدهما ان يكون مستطيعا بنفسه والاخر ان يكون مستطيعا بغيره فاما المستطيع بنفسه فهو ان يكون قويا قادرا على الذهاب ووجد الزاد والراحلة لما تقدم من حديث ابن عمر في الزاد والراحلة وقال ابن المنذر حديث الزاد والراحلة لا يثبت لانه ليس بمتصل واما المرفوع انما رواه ابراهيم بن يزيد عن محمد بن عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم وابراهيم متروك الحديث قال يحيى بن معين ابراهيم ليس بثقة قال ابن المنذر واختلف العلما في قوله من استطاع اليه سبيلا فقالت طايفة الاية على العموم اذ لا يعلم خبرا ثابتا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا اجماعا لاهل العلم يوجب ان يستثنى من ظاهر الاية بعضا فعلى كل مستطيع للحج يجد اليه السبيل باي وجه كانت الاستطاعة للحج على ظاهر الاية قال وروينا عن عكرمة انه قال الاستطاعة الصحة وقال الضحاك اذا كان شابا صحيحا فليوجر نفسه باكله وعقبه حتى يقضي نسكه وقال مالك الاستطاعة على اطاقة الناس الرجل يجد الزاد

والراحلة ولا يقدر على المشي والاخر يقدر على المشي على رجليه وقالت طايفة الاستطاعة الزاد والراحلة
كذلك قال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد واحمد بن حنبل فاحتجوا بحديث ابن عمر المتقدم وقال الشافعي
الاستطاعة وجهان احدهما ان يكون الرجل مستطيعا ببدنه واجدا من ماله ما يبلغه الحج فتكون استطاعة
تامة تعليه فرض الحج والثاني لا يقدر ان يثبت على الراحلة وهو قادر على من يطيعه اذا امره ان يحج عنه او قادر
على مال ويجد من يستاجره فيحج عنه فيكون هذا ممن لزمه فرض الحج اما حكم الزاد والراحلة فهو ان يجد راحلة
تصلح لمثله ووجد من الزاد ما يكفيه لذهابه ورجوعه فاضلا عن نفقته ونفقة من تلزمه نفقتهم وكسوتهم
وعن دين ان كان عليه ووجد رفقة يخرجون في وقت جرت العادة بخروج اهل البلد في ذلك الوقت فان
خرجوا قبله او اخر الخروج الى وقت لا يصلون الا ان يقطع اكثر من مرحلة لا يلزمه الخروج معهم ويشترط ان يكون
امنا فان كان فيه خوف من عدو مسلم او كافر او رصدي يطلب الخفارة لا يلزمه ويشترط ان تكون المنازل
الماهولة معمورة يجد فيها ما جرت العادة بوجوده من الماء والزاد فان تعذر اهلها لجدب او غارت مياهها
فلا يلزمه الحج ولو لم يجد الراحلة وهو قادر على المشي او لم يجد الزاد وهو قادر على الاكتساب لا يلزمه
الحج عنده من جعل وجدان الزاد والراحلة شرطا لوجوب الحج ويستحب له ان يفعل ذلك ويلزمه الحج عند
مالك واما المستطيع بغيره فهو ان يكون الرجل عاجزا بنفسه بان كان زمنا او كان به مرض لا يرجى برؤه
ولو مال يمكنه ان يستاجر من يحج عنه وان لم يكن له مال وبذل له ولده او اجنبي الطاعة في ان يحج عنه
لزمه الحج ان كان يعتمد على صدقه لان وجوب الحج متعلق بالاستطاعة وعند ابي حنيفة لا يجب الحج
ببذل الطاعة وعند مالك لا يجب على من عضب ما لم يحجه من اوجب الحج ببذل الطاعة ما روي عن
ابن عباس قال كان الفضل بن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امراة من خثعم تستفتيه
فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الاخر
قالت يا رسول الله ان فريضة الله على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة
افاحج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع اخرجاه في الصحيحين قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين
يعني ومن جحد ما الزمه الله من فرض حج بيته وكفر به فان الله غني عنه وعن حجه وعمله وعن جميع خلقه
وقيل نزلت فيمن وجد ما يحج به ثم مات ولم يحج فهو كفر به لما روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا
او نصرانيا وذلك ان الله تعالى يقول ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا اخرجه الترمذي
وقال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وفي اسناده مقال وهلال بن عبد الله مجهول والحرث
يضعف في الحديث وقيل سوا الذي ان حج لم يره برا وان قعد لم يره اثما وقيل نزلت في اليهود وغيرهم من اصحاب
الملل حيث قالوا انا مسلمون فنزلت ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا وقالوا الحج الى مكة غير واجب وكفروا
به فنزلت ومن كفر فان الله غني عن العالمين فعلى هذه الاقوال تكون هذه متعلقة بما قبلها وقيل انها
كلام مستانف ومعناه من كفر بالله واليوم الاخر فان الله غني عن العالمين قوله تعالى قل يا اهل الكتاب
الخطاب لعلماء اهل الكتاب الذين علموا صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب بجميع اهل الكتاب
اليهود والنصارى الذين انكروا نبوته لم تكفرون بايات الله يعني الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم وقيل المراد بايات الله القران ومحمد صلى الله عليه وسلم والله شهيد على ما تعملون اي والله
شهيد على اعمالكم فيجازيكم عليها قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن يعني تصرفون

عن دين

عن دين الله من امن وكان صدهم عن سبيل الله بالقاء الشبهة والشكوك وذلك بانكارهم صفة محمد صلى الله
عليه وسلم في كتبهم تبغونها عوجا يعني زيغا وميلا عن الحق والعوج بالكسر الزيغ والميل عن الاستواء في الدين
والقول والعمل وكل ما لا يرى فاما الشي الذي يرى كالحائط والقناة ونحو ذلك فيقال فيه عوج بفتح العين
والها في قوله تبغونها عائدة على السبيل والمعنى لم تطلبون الزيغ والميل في سبيل الله بالقاء الشبهة
في قلوب الضعفة وانتم شهدا قال ابن عباس يعني وانتم تشهدون ان في التوراة مكتوبا نعت محمد صلى الله
عليه وسلم وصفته وان دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام وقيل معناه وانتم تشهدون المعجزات
التي تظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته وما الله بغافل عما تعملون فيه وعيد وتهديد
لهم وذلك انهم كانوا يجتهدون ويحتالون بالقاء الشبهة في قلوب الناس ليصدوهم عن سبيل الله وهو التصديق
بمحمد صلى الله عليه وسلم فلذلك قال الله تعالى وما الله بغافل عما تعملون قوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب الاية قال زيد بن اسلم مر شاس بن قيس اليهودي
وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين فمر بنفر من الاوس والخزرج وهم في مجلس يتحدثون فيه
فغاظه ما راى من الفتهم وصلاح ذات بينهم في الاسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية وقال
قد اجتمع ملا بني قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود كان معه
فقال له اعمد اليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وانشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من
الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل فتكلم
القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب وهما اوس بن قيظي احد
بني حارثة من الاوس وجبار بن صخر احد بني سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئتم
والله رددناها الان جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة
وهي الحرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضهم الى بعض على دعواهم في الجاهلية فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم وقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجاهلية
وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع عنكم امر الجاهلية والف بينكم ترجعون الى ما كنتم
كفارا الله الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح من ايديهم وبكوا
واعتنق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قال جابر فما
رايت يوما اقبح واحسن احدا من ذلك اليوم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا
من الذين اوتوا الكتاب يعني شاسا اليهودي واصحابه يردوكم بعد ايمانكم كافرين والكفر يوجب
الهلاك في الدنيا بوقوع العداوة والبغضاء وهيجان الفتنة والحرب وسفك الدماء وفي الاخرة النار
ثم قال تعالى وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله وكلمة كيف تعجب والتعجب انما يليق
بمن لا يعلم السبب وذلك على الله محال فالمراد منه المنع والتغليظ وذلك لان تلاوة ايات الله وهي القران
حالا بعد حال وكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم يرشدكم الى مصالحكم وذلك يمنع وقوع الكفر فكان
وقوع الكفر منهم بعيدا على هذا الوجه قال قتادة في الاية علمان بينان كتاب الله ونبي الله صلى الله عليه
وسلم اما نبي الله فقد مضى واما كتاب الله فقد ابقاه الله بين اظهركم رحمة منه ونعمة م عن زيد بن ارقم
قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله
واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال اما بعد ايها الناس انما انا بشر يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيب

واني تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب
فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي قوله تعالى **ومن يعتصم بالله** اي يمتنع بالله ويتمسك
بدينه وطاعته واصل العصمة الامتناع من الوقوع في آفة وفيه حث لهم في الالتجا الى الله تعالى في دفع شر الكفار
عنهم **فقد هدي الى صراط مستقيم** اي الى طريق واضح وهو طريق الحق المودي الى الجنة قوله تعالى **يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله حق تقاته** قال مقاتل بن حيان كان بين الاوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال فلما هاجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اصلح بينهم فافتخر منهم بعد ذلك رجلان وهما ثعلبة بن غنم من الاوس
واسعد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملايكة ومنا
عاصم بن ثابت بن افلح حمي الدبر ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة وقال
الخزرجي منا اربعة احكموا القران ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب
الانصار ورييسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وانشدا الاشعار وتفاخرا فجا الاوس والخزرج ومعهم السلاح
فاتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم فانزل الله عز وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال
ابن عباس هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقال مجاهد هو ان تجاهدوا في الله حق جهاده
ولا تاخذكم في الله لومة لايم وتقوموا لله بالقسط ولو على انفسكم وابايكم وابنايكم وعن انس قال لا يتقي الله عبد
حق تقاته حتى يخزن لسانه وقيل حق تقاته يعني واجب تقواه وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم واختلف
العلما في هذا القدر من هذه الاية هل هو منسوخ ام لا على قولين احدهما انه منسوخ وذلك انه لما نزلت هذه الاية
شق ذلك على المسلمين وقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا فانزل الله تعالى الناسخ وهو قوله تعالى من سورة
التغابن فاتقوا الله ما استطعتم وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد والسدي والقول الثاني
انها محكمة غير منسوخة وهو رواية عن ابن عباس ايضا وبه قال طاووس وموجب هذا الاختلاف يرجع الى معنى الاية
فمن قال انها منسوخة قال حق تقاته هو ان ياتي العبد بكل ما يجب لله ويستحقه فهذا يعجز العبد عن الوفا به
فتحصيله ممتنع ومن قال بانها محكمة قال ان حق تقاته ادا ما يلزم العبد على قدر طاقته فكان قوله فاتقوا الله
ما استطعتم مفسر لحق تقاته لا ناسخا ولا مخصصا فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقواه وقيل معنى حق
تقاته كما يحق ان يتقى وذلك بان يجتنب جميع معاصيه وقيل في معنى قول ابن عباس هو ان يطاع فلا يعصى هذا صحيح
والذي يصدر من العبد على سبيل السهو والنسيان غير قادح فيه لان التكليف في تلك الحال مرفوع عنه وكذلك
قوله وان يذكر فلا ينسى فان هذا انما يجب عند الدعا والعبادة لا عند السهو والنسيان وقوله تعالى **ولا تموتن
الا وانتم مسلمون** لفظ النهي واقع على الموت والمعنى واقع على الامر بالاقامة على الاسلام والمعنى كونوا على الاسلام
فاذا ورد عليكم الموت صادفكم وانتم على الاسلام لانه لما كان يمكنهم الثبات على الاسلام حتى اذا اتاهم الموت
اتاهم وهم على الاسلام صار الموت على الاسلام بمنزلة ما قد دخل في امكانهم وقيل معناه ولا تموتن الا وانتم مسلمون
مفوضون الى الله اموركم محسنون الظن به عز وجل عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قرا هذه الاية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون فقال لو ان قطرة من الزقوم قطرت في دار
الدنيا لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
قوله عز وجل **واعتصموا بحبل الله جميعا** اي تمسكوا بحبل الله والحبل هو السبب الذي يتوصل به الى البغية وسمي
الايمان حبلا لانه سبب يتوصل به الى زوال الخوف وقيل حبل الله هو السبب الذي به يتوصل اليه فعلى هذا اختلفوا
في معنى الاية فقال ابن عباس معناه تمسكوا بدين الله لانه سبب يتوصل اليه وقيل حبل الله هو القران لانه

ايضا سبب يوصل اليه وفي افراد مسلم من حديث زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا واني
تارك فيكم ثقلين احدهما كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة
الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القران هو حبل الله المتين
وهو النور المبين والشفا النافع عصمة لمن تمسك به ذكره البغوي بغير سند وقال ابن مسعود هو الجماعة
وقال عليكم بالجماعة فانها حبل الله الذي امر به وان ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في
الفرقة وقيل بحبل الله يعني بامر الله وطاعته **ولا تفرقوا** يعني كما تفرقت اليهود والنصارى وقيل ولا تفرقوا
يعني كما كنتم متفرقين في الجاهلية مدابرين يعادي بعضكم بعضا وقيل معناه لا تحدثوا ما يكون عنه التفرق
ويزول معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها ففيه النهي عن التفرق والاختلاف والامر بالاتفاق والاجتماع
لان الحق لا يكون الا واحدا وما عداه يكون جهلا وضلالا واذا كان كذلك وجب النهي عن الاختلاف في الدين
وعن الفرقة لان كل ذلك كان عادة اهل الجاهلية فنهوا عنه وروى البغوي بسنده عن ابي هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم ان تعبدوه
ولا تشركوا به شيا وان تعتصموا بحبل الله جميعا وان تناصحوا من ولاه الله امركم ويسخط لكم قيل وقال واضاعة
المال وكثرة السوال قوله تعالى **واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعدا فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته
اخوانا** قال محمد بن اسحق وغيره من اهل الاخبار كان الاوس والخزرج اخوين لاب وام فوقعت بينهما عداوة
وقتل ثم تطاولت تلك العداوة والحروب بينهم ماية وعشرين سنة الى ان اطفا الله ذلك بالاسلام والف
بينهم بنبيه عليه الصلاة والسلام وسبب ذلك ان سويد بن الصامت اخا بني عمرو بن عوف وكان شريفا يسميه
قومه الكامل لجلده ونسبه فقدم مكة حاجا او معتمرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وامر
بالدعوة فتصدى له حين سمع به ودعاه الى الله عز وجل والى الاسلام فقال له سويد فلعل الذي
معك مثل الذي معي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذي معك قال مجلة لقمان يعني حكمة لقمان
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها علي فعرضها عليه فقال ان هذا الكلام حسن والذي معي افضل من هذا
قران انزله الله عز وجل علي نور وهدى فتلى عليه القران ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا
القول حسن ثم انصرف الى المدينة فلم يلبث ان قتلته الخزرج يوم بعاث وان قومه يقولون قد قتل
وهو مسلم ثم قدم ابو الحيسر انس بن رافع ومعه فتية من بني عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف
من قريش على قومهم من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم وجلس اليهم وقال لهم هل لكم
الى خير مما جيتم له قالوا وما هو قال انا رسول الله بعثني الله الى العباد ادعوهم الى ان لا يشركوا بالله شيا
وانزل علي الكتاب ثم ذكر الاسلام وتلى عليهم القران فقال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا اي قوم هذا
والله خير مما جيتم له فاخذ ابو الحيسر حفنة من البطحا فضرب بها وجه اياس وقال دعنا منك فلعمري لقد جينا
لغير هذا فصمت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعاث
بين الاوس والخزرج ثم لم يلبث اياس بن معاذ ان هلك فلما اراد الله عز وجل اظهار دينه واعزاز نبيه صلى
الله عليه وسلم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه النفر من الانصار فعرض نفسه
على قبايل العرب كما كان يصنع في كل موسم فلقي عند العقبة رهطا من الخزرج اراد الله بهم خيرا وهم ستة
نفر سعد بن زرارة وعوف بن الحارث وهو ابن عفرا ورافع بن مالك العجلاني وقطبة بن عامر بن حديدة وجابر
ابن عبد الله رضي الله عنهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من انتم قالوا نفر من الخزرج قال أمن

مو الي يهود قالوا نعم قال افلا تجلسون حتى اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام
وتلى عليهم القران قال وكان مما صنع الله لهم به في الاسلام ان يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا اهل كتاب وعلم وهم
اهل اوثان وشرك وكانوا اذا كان بينهم شي قالوا ان نبيا الان مبعوث قد اظل زمانه نتبعه ونقتلكم معه
قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اوليك النفر ودعاهم الى الله عز وجل قال بعضهم لبعض
تعلمون والله انه النبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فاجابوه وصدقوه واسلموا وقالوا انا قد تركنا
قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى الله ان يجمعهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم الى امرك
وان يجمعهم الله عليك فلا رجل اعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم
فلما قدموا المدينة وذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق
دار من دور الانصار وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار
اثنى عشر رجلا وهم اسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا عفرا ورافع بن مالك العجلاني وذكوان بن عبد القيس
وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة وعباس بن عبادة وعقبة بن عامر فهولا خزرجيون وابو الهيثم بن
التيهان وعويم بن ساعدة من الاوس فلقوه بالعقبة وهي العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم على بيعة النسا على ان لا يشركوا بالله شيا ولا يسرقوا ولا يزنوا الاية فان وفيتم فلكم الجنة وان
غشيتم شيا من ذلك فاخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة وان ستر عليكم فامركم الى الله عز وجل ان شا عذبكم
وان شا غفر لكم قال وذلك قبل ان يفرض الحرب قال فلما انصرف القوم بعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم
ابن عبد مناف وامره ان يقريهم القران ويعلمهم الاسلام ويفقههم وكان يسمى مصعب بالمدينة المقرى وكان
منزله على اسعد بن زرارة ثم ان اسعد بن زرارة خرج ومصعب فدخل به حايطا من حوايط بني ظفر فجلسا في الحايط
واجتمع اليهما رجال ممن اسلم فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين الرجلين اللذين اتيا دارنا
ليسفها ضعفانا فازجرهما فان اسعد بن خالتي ولولا ذلك لكفيتك وكان سعد بن معاذ واسيد بن حضير
سيدي قومهما من بني عبد الاشهل وهما مشركان فاخذ اسيد بن حضير حربته ثم اقبل الى مصعب وهما جالسان
في الحايط فلما راه اسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس
اكلمه قال فوقف عليهما متشتما فقال ما جاكما الينا تسفهان ضعفانا اعتزلا ان كان لكما في انفسكما حاجة
فقال له مصعب او تجلس فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره قال انصفت ثم ركز حربته
وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرا عليه القران قالا والله لعرفنا الاسلام في وجهه قبل ان يتكلم به في اشراقه
وتسهله ثم قال ما احسن هذا واجمله ثم قال كيف تصنعون اذا اردتم ان تدخلوا في هذا الدين قالا تغتسل
وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق وركع ركعتين ثم قال ان ورايي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه
وسارسله اليكما الان سعد بن معاذ ثم اخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر سعد
الى اسيد مقبلا قال احلف بالله لقد جاكم اسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف اسيد على النادي
فقال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رايت بهما باسا وقد نهيتهما فقالا لا نفعل الا ما احببت
وقد حدثت ان بني حارثة خرجوا الى اسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم عرفوا انه ابن خالتك ليحقروك فقام
سعد مغضبا للذي ذكره من بني حارثة فاخذ الحربة وقال والله ما اراك اغنيت عني شيا فانصرف اليهما
فلما راهما مطمينين عرف ان اسيدا انما اراد ان يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة لولا
ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني تغشانا في دارنا بما نكره وقد كان قال اسعد لمصعب جاك والله

سيد قومه

سيد قومه ان يتبعك لم يتخلف عنك احد منهم فقال له مصعب او تقعد فتسمع فان رضيت امرا ورغبت فيه قبلته
وان كرهته عزلنا عنك ما تكره فقال سعد انصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه مصعب الاسلام وقرا
عليه القران قالا فعرفنا والله الاسلام في وجهه قبل ان يتكلم به في اشراقه وتسهله ثم قال كيف تصنعون اذا
اسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام واغتسل
وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق وركع ركعتين ثم اخذ حربته واقبل عامدا الى نادي قومه ومعه اسيد بن حضير
فلما راوه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع سعد اليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم
قال يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون امري فيكم قالوا سيدنا وافضلنا رايا وايمننا نقيبة قال فان كلام رجالكم
ونسايكم علي حرام حتى تومنوا بالله ورسوله قال فما امسى في دار بني عبد الاشهل رجل ولا امراة الا مسلم ومسلمة
ورجع اسعد بن زرارة ومصعب بن عمير الى منزل اسعد فاقام عنده يدعو الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار
من دور الانصار الا وفيها رجال ونسا مسلمون ومسلمات الا ما كان من دار ابن زيد وخطمة ووايل وواقف
وذلك انه كان فيهم ابو قيس بن الاسلت الشاعر وكانوا يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر واحد والخندق قالوا ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة
وخرج معه من الانصار من المسلمين سبعون رجلا مع حجاج قومهم من اهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من اوسط ايام التشريق وهي بيعة العقبة الثانية قال كعب بن
مالك وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعنا عبد الله بن عمرو ابن حرام ابو جابر اخبرناه وكنا نكتم من معنا من المشركين من قومنا امرنا فكلمناه وقلنا
يا ابا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من اشرافنا وانا نرغب بك عما انت فيه ان يكون حطبا للنار غدا
ودعوناه الى الاسلام فاسلم فاخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة وكان نقيبا
فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه
وسلم نتسلل مستخفين تسلل القطا حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امراتان
من نسايهم نسيبة بنت كعب ام عمارة احدى نسا بني النجار واسما بنت عمرو بن عدي ام منيع احدى نسا بني
سلمة فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جانا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب
وهو يومئذ على دين قومه الا انه احب ان يحضر امر ابن اخيه ويتوثق له فلما جلس اول من تكلم العباس بن عبد
المطلب فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب يسمون هذا الحي من الانصار الخزرج خزرجها واوسها ان محمدا منا
حيث علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل راينا وهو في عز من قومه ومنعة في بلده وانه قد ابى الا الانقطاع
اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من
ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الان فدعوه فانه في عز ومنعة قال فقلنا
قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما شيت قال فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتلا القران ودعا الى الله عز وجل ورغب في الاسلام ثم قال ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم
ونسايكم وابنايكم قال فاخذ البرا بن معرور بيده ثم قال والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعك مما نمنع منه ازرنا
فبايعنا يا رسول الله فنحن اهل الحرب واهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر فاعترض القول والبرا يكلم النبي
صلى الله عليه وسلم ابو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا يعني عهودا وانا
قاطعوها فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى

الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم انتم مني وانا منكم احارب من حاربتم واسالم من سالمتم وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا كفلا على قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم
فاخرجوا اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس قال عاصم بن عمر وابن قتادة ان القوم لما اجتمعوا
لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصاري يا معشر الخزرج هل
تدرون على ما تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاسود والاحمر فان كنتم ترون انكم اذا نهكت اموالكم
مصيبة واشرافكم قتلا اسلمتموه فمن الان فهو والله خزي في الدنيا والاخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما
دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والاخرة قالوا فانا ناخذه على
مصيبة الاموال وقتل الاشراف فما لنا بذلك ان نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه
واول من ضرب على يده البرا بن معرور ثم تتابع القوم قال فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ
الشيطان من راس العقبة بانفذ صوت سمعته قط يا اهل الجباجب هل لكم في مذمم والصباة معه قد
اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عدو الله هذا ازب العقبة يعني شيطان العقبة
اسمع اي عدو الله اما والله لافرغن لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انفضوا الى رحالكم فقال
العباس بن عبادة بن نضلة والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن على اهل منى باسيافنا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لن نؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم قال فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها حتى
اصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤونا في منازلنا فقالوا يا معشر الخزرج بلغنا انكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه
من بين اظهرنا وتبايعونه على حربنا وانه والله ما حي من العرب ابغض الينا ان تنشب الحرب بيننا وبينكم منكم قال
فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما كنا علمنا وصدقوا لم يعلموا وبعضنا
ينظر الى بعض وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان جديدتان قال فقلت
كلمة كاني اريد ان اشرك القوم بها فيما قالوا يا جابر اما تستطيع ان تتخذ وانت سيد من سادتنا مثل نعلي
هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحارث فخلعهما من رجليه ورمى بهما الي وقال والله لتنعلنهما قال ابو جابر مه والله
احفظت الفتى فاردد اليه نعليه قال قلت لا اردهما قال والله صالح لئن صدق الفال لاسلبنه قال ثم انصرف
الانصار الى المدينة وقد شددوا العقد فلما قدموا اظهروا الاسلام بها وبلغ ذلك قريشا فاذوا اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد جعل لكم اخوانا ودارا تامنون
فيها فامرهم بالهجرة الى المدينة واللحوق باخوانهم من الانصار فاول من هاجر الى المدينة ابو سلمة بن عبد
الاسد المخزومي ثم عامر بن ربيعة ثم عبد الله بن جحش ثم تتابع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا
الى المدينة ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجمع الله عز وجل اهل المدينة اوسها وخزرجها
بالاسلام واصلح ذات بينهم بنبيه صلى الله عليه وسلم وانزل الله عز وجل واذكروا يعني يا معشر الانصار نعمة
الله عليكم يعني بالاسلام اذ كنتم اعدا يعني قبل الاسلام فالف بين قلوبكم يعني بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا
يعني برحمته وبدينه الاسلام اخوانا يعني في الدين والولاية بعد العداوة **وكنتم** يعني يا معشر الاوس
والخزرج **على شفا حفرة من النار** مثل شفا البير ليس بينكم وبين الوقوع في النار الا ان تموتوا على كفركم **فانقذكم**
منها اي فخلصكم بالايمان من الوقوع في النار **كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون** قوله عز وجل **ولتكن**
منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر اللام في قوله ولتكن لام الامر اي لتكن منكم امة
دعاة الى الخير منكم قيل ان كلمة من في قوله منكم للتبيين لا للتبعيض وذلك ان الله عز وجل اوجب الامر بالمعروف

والنهي

والنهي عن المنكر عن الامة في قوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فيجب على
كل مكلف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اما بيده او بلسانه او بقلبه م عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم
يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان فعلى هذا يكون معنى الاية كونوا امة دعاة الى الخير امرين بالمعروف
ناهين عن المنكر ومن قال بهذا القول يقول ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية اذا قام به
واحد سقط الفرض عن الباقين وقيل ان من هنا للتبعيض وذلك لان في الامة من لا يقدر على الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر لعجزوا وضعف فحسن ادخال لفظة من في قوله ولتكن منكم امة وقيل ان الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر انما يختص بالعلما وولاة الامر فعلى هذا يكون المعنى ليكن بعضكم امرا بالمعروف
وناهيا عن المنكر خ عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل القائم في حدود الله والواقع
فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فاصاب بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها فكان الذين في اسفلها اذا استقوا
من الما مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما ارادوا هلكوا
جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا والخير المذكور في الاية هو كل شيء يرغب فيه من الافعال الحسنة
وقيل هو ها هنا كناية عن الاسلام والمعنى لتكن امة اي جماعة دعاة الى الاسلام والى كل فعل حسن يستحسن
في الشرع والعقل وقيل الدعوة الى فعل الخير يندرج تحتها نوعان احدهما الترغيب في فعل ما ينبغي وهو
الامر بالمعروف والثاني الترغيب في ترك ما لا ينبغي وهو النهي عن المنكر فذكر الجنس اولا وهو الخير ثم اتبعه
بنوعيه مبالغة في البيان والمعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر ضد ذلك وهو
ما عرف بالعقل والشرع قبحه وقوله تعالى **واولئك هم المفلحون** تقدم تفسيره قوله عز وجل **ولا تكونوا**
كالذين تفرقوا اي ولا تكونوا يا معشر المؤمنين كالذين تفرقوا يعني يا اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى
في قول اكثر المفسرين **واختلفوا** اي في دين الله وامره ونهيه وقيل تفرقوا واختلفوا بمعنى واحد وانما ذكرهما
للتاكيد وقيل تفرقوا بسبب العداوة واتباع الهوى واختلفوا في الدين فصاروا فرقا مختلفين قال الربيع
في هذه الاية هم اهل الكتاب نهى الله اهل الاسلام ان يتفرقوا ويختلفوا كما تفرق واختلف اهل الكتاب
وقال ابن عباس امر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة واخبرهم انما هلك من كان قبلهم
بالمراء والخصومات في الدين وقال بعضهم هم المبتدعة من هذه الامة وقال ابو امامة هم الحرورية قال
عبد الله بن شداد وقف ابو امامة وانا معه على راس الحرورية على درج جامع دمشق فذرفت عيناه ثم
قال كلاب اهل النار كونوا مؤمنين فكفروا بعد ايمانهم شر قتيل تحت اديم السما وخير قتيل تحت اديم السما
الذي قتلهم هولا قلت فما شانك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا بعد ايمانهم
ثم اخذ بيدي وقال ان بارض منكم كثير وفي رواية فقرا بعد قوله فكفروا بعد ايمانهم ولا تكونوا كالذين تفرقوا
واختلفوا الى قوله اكفرتم بعد ايمانكم ورواه الترمذي عن ابي غالب قال راى ابو امامة روسا منصوبة على
درج دمشق فقال ابو امامة كلاب اهل النار شر قتيل تحت اديم السما خير قتيل من قتلوه ثم قرا يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه الى اخر الاية قلت لابي امامة انت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو لم
اسمعه الا مرة او مرتين او ثلاثا او اربع حتى عد سبعا ما حدثتكموه وقال فيه هذا حسن قوله تعالى **من بعد**
ما جاءهم البينات يعني الحجج الواضحات فعلموها ثم خالفوها وانما قال جاءهم ولم يقل جاءتهم لجواز حذف
علامة التانيث من الفعل في التقديم ثم تشبيها بعلامة التثنية والجمع **واولئك لهم عذاب**

عظيم يعني لهؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا عذاب عظيم في الآخرة وفيه زجر عظيم للمؤمنين عن التفرقة والاختلاف
عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه
أخرجه أبو داود أراد بربقة الاسلام عقد الاسلام وأصله أن الربق حبل فيه عدة عرى يشد بها الغنم
الواحدة من العرى ربقة وروى البغوي بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من سره بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة فإن الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد
بحبوحة الجنة وسطها والفذ هو الواحد قوله تعالى **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه** يعني اذكروا يوم
تبيض فيه وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة
وقيل تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين وفي بياض الوجوه وسوادها قولان أحدهما أن البياض
كناية عن الفرح والسرور والسواد كناية عن الغم والخوف وهذا مجاز مستعمل يقال لمن نال بغيته وظفر
بمطلوبه ابيض وجهه يعني من الفرح فعلى هذا ابياض الوجوه إشراقها وسرورها واستبشارها بعملها
وذلك أن المؤمن إذا ورد القيامة على ما قدم من خير وعمل صالح استبشر بثواب الله ونعمه عليه فإذا
كان كذلك وسم وجهه ببياض اللون وإشراقه واستنارته وابيضت صحيفته وأشرقت ويسعى النور
بين يديه وعن يمينه وشماله وأما الكافر والظالم إذا ورد القيامة على ما قدم من قبيح عمل أحزنه واغتم
لعلمه بعذاب الله فإن كان كذلك وسم وجهه سواد اللون وكمودته واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت
به الظلمة من كل جانب نعوذ بفضل الله وسعة رحمته من الظلمات يوم القيامة والقول الثاني بياض الوجوه
وسوادها حقيقة يحصل في الوجه فيبيض وجه المؤمن ويكسى نورا ويسود وجه الكافر ويكسى ظلمة لأن لفظ
البياض والسواد حقيقة فيهما والحكمة في بياض الوجوه وسوادها أن أهل الموقف إذا رأوا بياض المؤمن
عرفوا أنه من أهل السعادة وإذا رأوا سواد وجه الكافر عرفوا أنه من أهل الشقاوة **فأما الذين اسودت
وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** أي فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ
والتقريع فإن قلت كيف قال أكفرتم بعد إيمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين فمن المراد بهؤلاء الذين كفروا بعد
إيمانهم قلت اختلف العلماء في ذلك فروي عن أبي بن كعب أنه قال أراد به الإيمان يوم أخذ الميثاق حين
قال لهم ألست بربكم قالوا بلى فآمن الكل فكل من كفر في الدنيا فقد كفر بعد الإيمان وقال الحسن هم المنافقون
وذلك أنهم تكلموا بالإيمان بألسنتهم وأنكروه بقلوبهم وقال عكرمة هم أهل الكتاب وذلك أنهم آمنوا بمحمد
صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث أنكروه وكفروا به وقيل هم الذين ارتدوا زمن أبي بكر الصديق وهم
أهل الردة ق عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض
وليرفعن إلي رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول أي رب أصحابي فيقال إنك لا
تدري ما أحدثوا بعدك ق عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض
رجال ممن صاحبني حتى إذا رفعوا إلي اختلجوا دوني فلأقولن أي رب أصحابي أصحابي فليقالن لي إنك لا تدري
ما أحدثوا بعدك زاد في رواية فأقول سحقا لمن بدل بعدي ق عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي أو قال من أمتي فيحلؤون عن الحوض فأقول
يا رب أصحابي فيقول إنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى وقيل هم الخوارج
الذين خرجوا على علي بن أبي طالب وقتلهم وهم الحرورية م عن زيد بن وهب أنه كان في الجيش الذين كانوا
مع الذين ساروا إلى الخوارج فقال أيها الناس إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم

من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء
يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم
من الرمية وفي رواية سويد بن غفلة عنه يقرؤون القرآن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين
كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة ق عن يسير بن عمرو
قال قلت لسهل بن حنيف هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الخوارج شيئا قال سمعته
يقول وأهوى بيده إلى العراق يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام مروق
السهم من الرمية وقيل هم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة كالقدرية ونحوهم ومن قال بهذا القول
كفرهم بعد إيمانهم بخروجهم من الجماعة ومفارقتهم في الاعتقاد م عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا
ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا وقال الحارث الأعور سمعت علي بن أبي طالب يقول
على المنبر إن الرجل ليخرج من أهله فما يؤوب إليهم حتى يعمل عملا يستوجب به الجنة وإن الرجل ليخرج من أهله
فما يعود إليهم حتى يعمل عملا يستوجب به النار ثم قرأ يوم تبيض وجوه الآية ثم نادى هم الذين كفروا بعد
الإيمان ورب الكعبة وقوله تعالى **وأما الذين ابيضت وجوههم** يعني المؤمنين المطيعين لله عز وجل
ففي رحمة الله يعني ففي جنة الله وإنما سميت الجنة رحمة لأنها دار رحمة وفيه إشارة إلى أن العبد وإن
عمل الطاعات لا يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى **هم فيها خالدون** قيل إنما كرر كلمة في لأن كل واحد معنى
غير الآخر أنهم في رحمة الله وأنهم في الرحمة خالدون **تلك آيات الله** يعني القرآن وقيل هذه الآيات التي
تقدمت **نتلوها عليك بالحق** أي بالمعنى الحق لأن المتلو حق **وما الله يريد ظلما للعالمين** يعني لا يعاقب
أحدا بغير جرم واستحقاق للعقوبة وإنما ذكر الظلم هنا لأنه قد تقدم ذكر العقوبة في قوله فأما
الذين اسودت وجوههم إلى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون أخبر أنهم وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب
أفعالهم المنكرة وأنه لا يظلم أحدا من خلقه **ولله ما في السموات وما في الأرض** لما ذكر الله أنه لا يريد ظلما
للعالمين لأنه لا حاجة به إلى الظلم وذلك أن الظالم إنما يظلم غيره ليزداد مالا أو عزا أو سلطانا
أو ليتم نقصا فيه بما يظلم غيره ولما كان الله عز وجل مستغنيا عن ذلك وله صفة الكمال أخبر أن له ما في
السموات وما في الأرض وأن جميع ما فيهما ملكه وأهلهما عبيده وإذا كان ذلك كذلك يستحيل في حقه
سبحانه وتعالى أن يظلم أحدا من خلقه لأنهم عبيده وفي قبضته ثم قال **وإلى الله ترجع الأمور** يعني وإليه
مصير جميع الخلائق المؤمن والكافر والطائع والعاصي فيجازي الكل على قدر استحقاقهم ولا يظلم منهم أحدا
قوله عز وجل **كنتم خير أمة** سبب نزول هذه الآية أن مالك بن الضيف ووهب بن يهوذا اليهوديين
قالا لعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة نحن أفضل منكم وديننا خير من
دينكم الذي تدعوننا إليه فأنزل هذه الآية واختلف في لفظة كان فقيل هي بمعنى الحدوث والوقوع والمعنى
حدثتم ووجدتم وخلقتم خير أمة وقيل كان هنا ناقصة وهي عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض ولا يدل
على انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما فعلى هذا التقدير يكون المعنى كنتم في علم الله خير
أمة وقيل كنتم مذكورين في الأمم الماضية خير أمة وقيل كنتم في اللوح المحفوظ موصوفين بأنكم خير أمة وقيل
معناه كنتم مذ كنتم خير أمة وقيل قوله خير أمة تابع لقوله فأما الذين ابيضت وجوههم والتقدير أنه يقال
لهم عند دخول الجنة كنتم في دنياكم خير أمة فلهذا استحققتم ما أنتم فيه من بياض الوجوه والنعيم المقيم وقيل

كنتم بمعنى انتم وقيل يحتمل ان يكون كان بمعنى صار فتوله كنتم اي صرتم خير امة فاتا المخاطبون بهذا منهم
فيه خلاف قال ابن عباس في قوله خير امة هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير عن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لو شاء الله لقال انتم فكنا كلنا ولكن في خاصة من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومن صنع مثل ما صنعتم كانوا خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
قال الضحاك هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني به كانوا هم الرواة الدعاة الذين امرهم الله
عز وجل باتباعهم وطاعتهم ق عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني
ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثة ثم ان بعدهم قوم يشهدون ولا
يستشهدون ويخونون ولا يوتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن زاد في رواية ويحلفون ولا
يستحلفون ق عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين
يلونهم ثم يجي قوم تسبق شهادة احدهم يمينه ويمينه شهادته قوله خير الناس قرني يعني اصحابي والقرن
اهل كل زمان ماخوذ من الاقتران فكانه المقدار الذي يقترن فيه اهل ذلك الزمان في اعمارهم واحوالهم
وقيل اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة ق عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدا انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه النصيف
النصف وقال ابن عباس في رواية عطا في قوله كنتم خير امة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم ولكنه عام
في كل الامة ونظيره قوله كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص فان كل ذلك خطاب مع الحاضرين
بحسب اللفظ ولكنه عام في حق الكل كذا ها هنا عن بهز ابن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبي صلى
الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس قال انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها
واكرمها على الله تعالى اخرجه الترمذي وقال حديث حسن واهل الامة الجماعة المجتمعة على النبي
وامة محمد صلى الله عليه وسلم ثم الجماعة الموصوفون بالايمان بالله عز وجل محمد صلى الله عليه وسلم خ عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا
ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى عن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان الله لا يجمع امتي او قال امة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ
في النار اخرجه الترمذي عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل امتي كمثل المطر لا يدرى
اخيره خير ام اوله اخرجه الترمذي وله عن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون
ومائة صنف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من ساير الامم وله عن ابن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم باب امتي التي يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المسرع المجد ثلاثا ثم انهم
ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول قال الترمذي سالت محمدا يعني البخاري عن هذا الحديث فلم يعرفه
وقال لخالد بن ابي بكر مناكير عن سالم بن عبد الله زاد غيره في الحديث وهم شركا الناس في ساير الابواب
عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امتي من يشفع في القيمة من الناس
ومنهم من يشفع في القبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للواحد اخرجها الترمذي خ عن سهل
ابن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من امتي سبعون الفا او سبعمائة الف
سماطين اخذا بعضهم ببعض حتى يدخل اولهم واخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر عن ابي
امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدني ربي ان يدخل من امتي الجنة سبعون الفا

لاحساب

لاحساب عليهم ولا عذاب ومع كل الف سبعون الفا وثلاث حثيات من حثيات ربي اخرجه الترمذي وروى البغوي
باسناد الثعلبي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة حرمت على الانبيا
كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي وقوله تعالى اخرجت للناس معناه كنتم خير الامم الخارجة
للناس في جميع الاعصار ومعنى اخرجت اظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وقيل معناه كنتم للناس خير امة
اخرجه خ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كنتم خير امة اخرجت للناس قال خير الناس للناس ياتون بهم
في السلاسل في اعناقهم حتى يدخلون في الاسلام وقيل اخرجت صلة والتقدير كنتم خير امة للناس وقيل
معناه ما اخرج امة خير من امة محمد صلى الله عليه وسلم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر هذا الكلام
مستانف والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية وكونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم
ويقوم بمصالحهم والمعروف هو التوحيد والمنكر هو الشرك والمعنى تامرون الناس بقول لا اله الا الله وتنهون
عن الشرك وتومنون بالله اي وتصدقون بالله وتخلصون له بالتوحيد والعبادة فان قلت لم قدم
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الايمان بالله في الذكر مع ان الايمان يلزم ان يكون مقدما على كل الطاعات
قلت الايمان بالله امر مشترك فيه جميع الامم المومنة وانما فضلت هذه الامة الاسلامية بالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر على ساير الامم واذا كان كذلك كان المؤثر في هذه الخيرية هو الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر واما الايمان بالله فهو شرط في هذا الحكم لانه ما لم يوجد الايمان لم يصر شي من الطاعات مقبولة
فثبت ان الموجب لهذه الخيرية لهذه الامة كونهم آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر فلهذا السبب حسن
تقديم ذكر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر الايمان وقوله تعالى ولو آمن اهل الكتاب يعني ولو آمن
اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالدين الذي جا به لكان خيرا لهم يعني مما هم عليه من اليهودية
والنصرانية وانما حملهم على ذلك حب الرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لحصلت لهم الرياسة في الدنيا
والثواب العظيم في الاخرة ودخول الجنة منهم يعني من اهل الكتاب المومنون يعني عبد الله بن سلام
واصحابه الذين اسلموا من اليهود والنجاشي واصحابه الذين اسلموا من النصارى واكثرهم الفاسقون
اي المتمردون في الكفر وقيل ان الكافر قد يكون عدلا في دينه وهولاء مع كفرهم فاسقون قوله تعالى لن يضروكم
الا اذى سبب نزول هذه الاية ان روسا اليهود عمدوا الى من امن منهم مثل عبد الله بن سلام واصحابه
فاذوهم لاسلامهم فانزل الله تعالى لن يضروكم الا اذى يعني لن يضروكم ايها المومنون هولاء اليهود الا اذى
يعني باللسان من طعن في دينكم او تهديد او القا شبهة وتشكيك في القلوب وكل ذلك يوجب الاذى والغم
وان يقاتلوكم يولوكم الادبار يعني منهزمين مخذولين ثم لا ينصرون يعني لا يكون لهم النصر عليكم بل تنصرون
عليهم وفيه تثبيت لمن اسلم من اهل الكتاب لانهم كانوا يوذونهم بالقول ويهددونهم ويخوفونهم فاعلمهم
الله انهم لا يقدرون عليكم ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى غيره من الضرر ثم وعدهم الغلبة والانتقام منهم
فان عاقبتهم الخذلان والذل وقال تعالى ضربت عليهم الذلة يعني جعلت الذلة ملصقة بهم كالشي
يضرب على الشي فيلتصق به والمراد بالذلة قتلهم وغنيمة اموالهم وقيل الذلة ضرب الجزية عليهم لانها
ذلة وصغار وقيل ان ذلتهم انك لا ترى في اليهود ملكا قاهرا ولا رئيسا معتبرا بل هم مستضعفين في جميع
البلاد اينما ثقفوا اي حيث ما وجدوا وصودفوا الا بحبل من الله يعني الا بعهد من الله وهو ان يسلموا
فتزول عنهم الذلة وحبل من الناس يعني المومنين ببذل الجزية والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال
الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس وهو ذمة الله وعهده وذمة المسلمين وعهدهم لا عز لهم

الا بهذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من بذل الجزية وانما سمي العهد حبلا لانه سبب يوصل الى
الامن وزوال الخوف وباءوا بغضب من الله اي رجعوا بغضب من الله واستوجبوه وقيل اصله البواء وهو المكان والمعنى
انهم تمكنوا في غضب من الله وحلوا فيه وضربت عليهم المسكنة يعني كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة
غير خارجين قال الحسن المسكنة هي الجزية وذلك ان الله اخرج المسكنة عن الاستثناء وذلك يدل على انها
باقية عليهم والباقي عليهم هو الجزية فدل على ان المسكنة هي الجزية وقيل المراد بالمسكنة ان اليهودي يظهر
من نفسه الفقر وان كان غنيا موسرا ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم
اي بسبب انهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي
ذلك نزل بهم بسبب عصيانهم لله عز وجل واعتدائهم حدوده فنزل بهم ما نزل قوله عز وجل ليسوا سواء قال
ابن عباس لما اسلم عبد الله بن سلام واصحابه قالت احبار اليهود ما امن بمحمد صلى الله عليه وسلم الا اشرارنا ولولا
ذلك ما تركوا دين ابائهم فانزل الله تعالى هذه الاية وفي قوله ليسوا سواء قولان احدهما انه كلام تام موقوف عليه
والمعنى ان اهل الكتاب الذي سبق ذكرهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون ليسوا سواء وقيل معناه لا تستوي
اليهود وامة محمد صلى الله عليه وسلم القائمة بامر الله الثابتة على الحق والقول الثاني ان قوله ليسوا سواء
متعلق بما بعده ولا يوقف عليه وقوله من اهل الكتاب امة قائمة فيه اختصار واضمار تقديره ليسوا سواء
من اهل الكتاب امة قائمة ومنهم امة مذمومة غير قائمة فترك ذكر الامة الاخرى اكتفاء بذكر احدى
الفريقين وهذا من مذهب العرب ان ذكر احد الضدين يغني عن ذكر الاخر قال ابو ذؤيب دعاني اليها القلب اني
لامرها مطيع فلا ادري ارشد طلابها اراد ام غير رشيد فاكتفى بذكر احدى المرشدين دون الاخر وقال الزجاج
لا حاجة الى اضمار الامة المذمومة لانه قد جرى ذكر اهل الكتاب بقوله كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون
الانبياء بغير حق فاعلم الله ان منهم امة قائمة فلا حاجة بنا الى ان نقول وامة غير قائمة انما ذكر فعل الاكثر منهم وهو
الكفر والمشاقة ثم ذكر من كان مباينا لهم في فعلهم فقال ليسوا من اهل الكتاب امة قائمة قال ابن عباس قائمة اي
مهتدية قائمة على امر الله تعالى لم يضيعوه فلم يتركوه اي عادلة وقيل قائمة على كتاب الله وحدوده وقيل
قائمة في الصلاة يتلون ايات الله اي يقرءون كتاب الله عز وجل اناء الليل يعني ساعاته وهم يسجدون يعني
يصلون عبر بالسجود عن الصلاة لان التلاوة لا تكون في السجود وقيل هي صلاة التهجد بالليل وقيل هي صلاة العشاء
لان اليهود لا يصلونها وقيل يحتمل انه اراد بالسجود الخضوع والخشوع لان العرب تسمي الخشوع سجودا وقال عطاء
في قوله ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يريد اربعين رجلا من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية
من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وامنوا به وكان عدة نفر من الانصار
منهم اسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن سلمة ومحمود بن سلمة وابو قيس صرمة بن انس كانوا قبل الاسلام
موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى جاءهم الله عز وجل بالنبي صلى الله
عليه وسلم فامنوا به وصدقوه ثم وصفهم الله تعالى بصفات ما كانت في اليهود فقال يؤمنون بالله واليوم
الاخر وذلك لان ايمان اهل الكتاب فيه شرك ويصفون اليوم الاخر بغير ما يصفه المؤمنون وقيل ان الايمان
بالله يستلزم الايمان بجميع انبيائه ورسله واليهود يؤمنون ببعض الانبياء ويكفرون ببعض والايمان
الاخر يستلزم الحذر من فعل المعاصي واليهود لا يحترزون منها فلم يحصل الايمان الخالص بالله واليوم الاخر
ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر يعني غير مداهنين كما يداهن اليهود بعضهم بعضا وقيل يامرون
بالمعروف يعني بتوحيد الله والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وينهون عن المنكر يعني الشرك وكتم

صفة محمد صلى الله عليه وسلم ويسارعون في الخيرات اي يبادرون اليها خوف الفوت وذلك لان
من رغب في امر سارع اليه وقام به غير متوان عنه وقيل يسارعون في الخيرات غير متثاقلين ولا كسالى
واولئك اشارة الى الموصوفين بما وصفوا به من الصالحين اي من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم
عند الله عز وجل ورضي عنهم واستحقوا ثناءه عليهم وذلك لان الصلاح ضد الفساد فاذا حصل الصلاح
للانسان فقد حصل له اعلى الدرجات واكمل المقامات وقيل يحتمل انه يريد بالصالحين المسلمين
والمعنى واولئك الذين تقدم وصفهم من جملة المسلمين قوله تعالى وما تفعلوا من خير فلن تكفروه
قرئ بالياء لان الكلام متصل بما قبله من ذكر مؤمني اهل الكتاب وذلك ان اليهود لما قالوا لعبد الله بن سلام
واصحابه انكم خسرتم بسبب هذا الذي دخلتم فيه فاخبر الله انهم فازوا بالدرجات العلى وما فعلوه من
خير يجازيهم به ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فيه كل فاعل للخير وقرئ بالتاء على انه ابتداء كلام
وهو خطاب لجميع المؤمنين ويدخل فيه مؤمنو اهل الكتاب ايضا ومعنى الاية وما تفعلوا من خير ايها المؤمنون
فلن تكفروه اي فلن تعدموا ثوابه ولن تحرموه او تمنعوه بل يشكره ويجازيكم به والله عليم بالمتقين فيه
بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل الايمان والتقوى قوله عز وجل ان الذين
كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا قال ابن عباس يريد بني قريظة والنضير وذلك ان
رؤساء اليهود مالوا الى تحصيل المال في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان مقصودهم
بمعاداته تحصيل الرياسة والاموال فقال الله عز وجل لن تغني عنهم اموالهم وقيل نزلت في مشركي قريش
فان ابا جهل كان كثير الافتخار بالاموال وانفق ابو سفيان مالا كثيرا في يوم بدر واحد على المشركين
وقيل ان الاية عامة في حق جميع الكفار لان اللفظ عام ولا دليل يوجب التخصيص فوجب اجراء اللفظ
على عمومه ومعنى الاية ان الذين كفروا لن تغني اي تدفع عنهم اموالهم بالفدية او افتدوا بها من عذاب
الله ولا اولادهم بالنصرة وانما خص الاموال والاولاد بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بفداء
المال وتارة بالاستعانة بالاولاد فاعلم الله ان الكافر لا ينفعه شيء من ذلك في الاخرة ولا مخلص
له من عذاب الله وهو قوله واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا يخرجون منها ولا يفارقونها
قوله تعالى مثل الذين ينفقون في هذه الحياة الدنيا قيل اراد نفقة ابي سفيان واصحابه ببدر واحد
في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اراد نفقات جميع الكفار وصدقاتهم في الدنيا وقيل
اراد نفقة المرائي الذي لا يريد بما ينفق وجه الله وذلك لان انفاقهم اما ان يكون لمنافع الدنيا
او لمنافع الاخرة فان كان لمنافع الدنيا لم يكن له اثر في الاخرة في حق المسلم فضلا عن الكافر وان كان
لمنافع الاخرة كمن يتصدق ويعمل اعمال البر فان كان كافرا فان الكفر محبط لجميع اعمال البر فلا ينتفع
في الدنيا لاجل الاخرة وكذلك المرائي الذي لا يريد بما ينفق وجه الله فانه لا ينتفع بنفقته في الاخرة
ثم ضرب لذلك مثلا فقال تعالى كمثل ريح فيها صر فيه وجهان احدهما وهو قول اكثر المفسرين واهل اللغة
ان الصر البرد الشديد وبه قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد والوجه الثاني ان الصر هو السموم
الحارة التي تقتل وهو رواية عن ابن عباس وبه قال ابن الانباري من اهل اللغة على الوجهين فالتشبيه صحيح
والمقصود منه حاصل لانه سواء كان فيها برد فهو مهلك او حر فهو مهلك ايضا اصابت يعني الريح التي
فيها صر حرث قوم اي زرع قوم ظلموا انفسهم يعني بالكفر والمعاصي ومنع حق الله تعالى منه فاهلكته
يعني فاهلكت الريح الزرع ومعنى الاية مثل نفقات الكفار في ذهابها وقت الحاجة اليها كمثل زرع اصابته

ريح باردة فاهلكته او نار فاحرقته فلم ينتفع به اصحابه فانتقلت الغرض في تشبيه ما انفقوا وابطال ثوابه وعدم
الانتفاع به الحرث الذي هلك بالريح فكيف شبهه بالريح المهلكة للحرث قلت هو من التشبيه المركب وهو ما حصلت
فيه المشابهة بين ما هو المقصود من الجملتين وان لم يحصل المشابهة بين اجزاء الجملتين فعلى هذا زال الاشكال
ومن التشبيه ما حصلت المشابهة بين المقصود من الجملتين اجزاء كل واحد منهما فان جعلت هذا المثل من هذا
القسم ففيه وجهان احدهما ان يكون التقدير مثل الكفر في هلاك ما ينفقون كمثل الريح المهلكة للحرث الوجه الثاني
مثل ما ينفقون كمثل مهلك الريح وهو الحرث والمقصود من هذا المثل هو تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب بالكلية
ولا يبقى منه شيء وقوله تعالى **وما ظلمهم الله** يعني بان لم يقبل نفقاتهم **ولكن انفسهم يظلمون** يعني انهم عصوا
الله فاستحقوا عقابه في بطل نفقاتهم واهلك حرثهم وقيل ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بنفقاتهم مستحقة
للقبول قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم** الاية قال ابن عباس كان رجال من
المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فانزل الله عز وجل
هذه الاية ونهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم ويدل على صحة هذا القول ان الايات المتقدمة
فيها ذكر اليهود فتكون هذه الاية كذلك وقيل كان قوم من المؤمنين يصادقون المنافقين ويفشون اليهم
الاسرار ويطلعونهم على الاحوال الخفية فنهاهم الله عن ذلك وحجة هذا القول ان الله ذكر في سياق
هذه الاية قوله واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهذه صفة المنافقين
لا صفة اليهود وقيل المراد بهذه جميع اصناف الكفار ويدل على صحة هذا القول نفي الاية لان الله تعالى
قال لا تتخذوا بطانة من دونكم فمنع المؤمنين ان يتخذوا بطانة غير المؤمنين فيكون ذلك نهيا عن جميع الكفار
والبطانة خاصة الرجل المطلع على سره واشتقاقه من بطانة الثوب بدلالة قولهم لبست فلانا اذا
اختصصته ويقال فلان شعاري ودثاري والشعار الذي يلي الجسد وكذا البطانة والحاصل ان الذي
يخصه الانسان بمزيد القرب يسمى بطانة لانه يستبطن امره ويطلع منه على ما لا يطلع عليه غيره من دونكم
قيل من صلة زائدة والتقدير لا تتخذوا بطانة دونكم وقيل من للتبيين اي لا تتخذوا بطانة من دون اهل
ملتكم والمعنى لا تتخذوا اولياء واصفياء من غير اهل ملتكم ثم بين سبحانه وتعالى علة النهي عن مباطنتهم فقال تعالى
لا يالونكم خبالا يعني لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد وهو الخبال لان اصل الخبال الفساد
والضرر الذي يلحق الانسان فيورثه نقصان العقل **ودوا ما عنتم** اي يودون عنتكم وهو ما يشق عليكم من الضرر
والشر والهلاك والعنت المشقة **قد بدت البغضاء من افواههم** اي ظهرت العداوة من افواههم بالشتيمة
والوقيعة بين المسلمين **وما تخفي صدورهم** يعني من العداوة والغيظ **اكبر قد بينا لكم الايات** يعني الدالة
على وجوب الاخلاص في الدين من موالاة المؤمنين ومعادات الكافرين **ان كنتم تعقلون** يعني ما بين لكم فتعملون
به قوله تعالى **ها انتم** ها للتنبيه وانتم كناية للمخاطبين من الذكور **اولاء** اسم لمشار اليهم في قوله **تحبونهم** والمعنى
انتم ايها المؤمنون تحبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للاسباب التي بينكم وبينهم من القرابة
والرضاع والمصاهرة والحلف **ولا يحبونكم** يعني اليهود لما بينكم وبينهم من المخالفة في الدين وقيل تحبونهم يعني
تريدون لهم الاسلام وهو خير الاشياء ولا يحبونكم لانهم يريدون لكم الكفر وهو شر الاشياء لان فيه هلاك الابد
وقيل هم المنافقون تحبونهم لما اظهروا من الايمان وانتم لا تعلمون ما في قلوبهم ولا يحبونكم لان الكفر ثابت في
قلوبهم وقيل تحبونهم وذلك بان تفشوا اليهم اسراركم ولا يحبونكم اي لا يفعلون مثل ذلك معكم **وتؤمنون بالكتاب
كله** يعني وهم لا يؤمنون وانما ذكر الكتاب بلفظ الواحد والمراد به الجمع لانه ذهب به الى الجنس كقولهم

كثر الدرهم في ايدي الناس والمعنى انكم تؤمنون بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم **واذا لقوكم قالوا
امنا** يعني الذين وصفهم في هذه الاية بهذه الصفات اذا لقوا المؤمنين قالوا امنا كايمانكم وصدقنا
كتصديقكم وهذه صفة المنافقين وقيل هم اليهود **واذا خلوا** اي خلا بعضهم الى بعض **عضوا عليكم الانامل
من الغيظ** الانامل جمع انملة وهي طرف الاصبع والمعنى انه اذا خلا بعضهم ببعض اظهروا العداوة وشدة
الغيظ على المؤمنين لما يرون من ائتلافهم واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم وعض الانامل عبارة عن
شدة الغيظ وهذا من مجاز الامثال وان لم يكن هناك عض كما يقال عض يده من الغيظ والغضب **قل
موتوا بغيظكم** وهذا دعاء عليهم ان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به وذلك لما يرون من قوة الاسلام وعزة
اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والمعنى ابقوا الى الممات بغيظكم **ان الله عليم بذات الصدور**
يعني بالخواطر القائمة بالقلوب والدواعي والصوارف الموجودة وهي لكونها حالة في القلب منتسبة
اليه كني عنها بذات الصدور والمعنى انه تعالى عالم بكل ما يحصل في قلوبكم في الخواطر فاخبرهم انه عليم بما
يسرونه من عض الانامل غيظا اذا خلوا وانه عليم بما هو اخفى منه وهو ما يسرونه في قلوبهم قوله عز وجل
ان تمسسكم اي يصبكم ايها المؤمنون واصل المس باليد ثم يسمى كل ما يصل الى الشيء ماسا له على سبيل التشبيه كما يقال
مسه نصب وتعب اي اصابه **حسنة** المراد بالحسنة هنا منافع الدنيا مثل ظهور على عدو واصابة غنيمة منهم وتتابع
الناس في الدخول في دينكم وخصب في معايشكم **تسؤهم** اي تحزنهم وتغمهم والسوء ضد الحسنى **وان تصبكم سيئة** اي ساءة من
اجفا سرية لكم او اصابة عدو منكم والاختلاف بينكم او جدب ونكبة ومكروه يصيبكم **يفرحوا بها** اي بما اصابكم من ذلك المكروه
وان تصبروا يعني على اذاهم وقيل ان تصبروا على طاعة الله وما ينالكم فيها من شدة **وتتقوا** اي تخافوا ربكم وقيل وتتقوا
ما نهاكم عنه وتتوكلوا عليه **لا يضركم** اي لا ينقصكم **كيدهم** اي عداوتهم ومكرهم **شيئا** اي لانكم في عناية الله وحفظه **ان
الله بما يعملون** قرئ بالياء على الغيبة والمعنى انه عالم بما يعملون في عداوتكم واذاكم فيجازيهم عليه **محيط** اي عالم
بجميع ذلك حافظ له لا يعزب عنه شيء منه قوله تعالى **واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال**
قال جمهور المفسرين ان هذا كان في يوم احد وهو قول عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عباس والزهري
وقتادة والسدي والربيع وابن اسحق وقال الحسن ومجاهد ومقاتل انه يوم الاحزاب ونقل عن الحسن ايضا
انه يوم بدر قال ابن جرير الطبري الاول اصح لقوله تعالى اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا وقد اتفق العلماء
ان ذلك كان يوم احد قال مجاهد والكلبي والواقدي غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة
فمشى على رجليه الى احد فجعل يصف اصحابه للقتال كما يقوم القدح قال محمد بن اسحق والسدي عن رجالهما ان
المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار اصحابه ودعا عبد
الله بن ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله بن ابي واكثر الانصار يا رسول الله اقم
بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف
وانت فينا فدعهم يا رسول الله فان اقاموا اقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم
النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا
الراي وقال بعض اصحابه يا رسول الله اخرج بنا الى هذه الاكلب لئلا يرون انا قد جبنا عنهم وضعفنا وخفنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني رايت في منامي بقرا فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولتها
هزيمة ورايت اني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فان
اقاموا اقاموا بشر وان دخلوا علينا المدينة قاتلناهم فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه ان يدخلوا

عليه المدينة فيقاتلهم في الازقة فقال رجل من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد
اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من حبهم لقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم منزله ولبس لامته فلما راوه قد لبس السلاح ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى
الله عليه وسلم والوحي ياتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا يا رسول الله اصنع ما شئت فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل وكان قد اقام المشركون باحد يوم الاربعاء
والخميس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وكان قد مات في ذلك اليوم رجل من الانصار فصلى
عليه ثم خرج اليهم فاصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة وقيل كان نزوله
في جانب الوادي وجعل ظهره واصحابه الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال ادفعوا عنا بالنبل حتى
لا ياتونا من ورائنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبتوا في هذا المقام فاذا عاينوكم ولوا الادبار فلا
تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ولما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم راي عبد الله بن ابي
ابن سلول شق عليه ذلك وقال لاصحابه اطاع الولدان وعصاني ثم قال لاصحابه ان محمدا يظفر بعدوه بكم وقد
وعد اصحابه ان اعداءهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رايتم اعداءهم فانهزموا انتم فيتبعوكم فيصير الامر على
خلاف ما قاله محمد لاصحابه فلما التقى الجمعان وكان عسكر المسلمين الفا وكان المشركون ثلاثة الاف فانخذل
عبد الله بن ابي بن سلول بثلثمائة من اصحابه من المنافقين وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو سبعمائة
من اصحابه فقواهم الله وثبتهم حتى هزموا المشركين فلما راى المومنون انهزام المشركين طمعوا في ان يكون
هذه الواقعة كواقعة بدر فطلبوا المدبرين وخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد الله ان
يقطعهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مثله في مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلموا ان ظفرهم يوم
بدر انما كان ببركة طاعة الله وطاعة رسوله ثم ان الله نزع الرعب من قلوب المشركين فكروا راجعين على
المسلمين فانهزم المسلمون وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من اصحابه منهم ابو بكر وعلي والعباس
وطلحة وسعد وكسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم وشج وجهه يومئذ وكان من امر غزوة احد ما
كان فذلك قوله تعالى واذ غدوت من اهلك يعني من منزل عائشة ففيه منقبة عظيمة لعائشة رضي
الله عنها لقوله من اهلك فنص الله تعالى على انها من اهله تبوئ المومنين اي تنزل المومنين مقاعد للقتال
اي مواضع ومقاعد للقتال وقيل تتخذ معسكرا للقتال والله سميع يعني لاقوالكم عليم يعني بنياتكم وما في
ضمائركم قوله عز وجل اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا اي تجبنا وتضعفا عن القتال والطائفتان بنو سلمة
من الخزرج وبنو حارثة من العسكر وكانا جناحي العسكر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى احد
في الف رجل وقيل في تسعمائة وخمسين رجلا وكان المشركون ثلاثة الاف فلما بلغوا الشوط انخزل عبد الله بن ابي
ابن سلول بثلث الناس ورجع في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم ابو جابر السلمي وقال
انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله بن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهمت الطائفتان بالانصراف مع
عبد الله بن ابي فعصمهم الله فلبثوا ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس اضمروا ان يرجعوا
فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا فذكرهم الله عظيم نعمته فقال اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما
اي ناصرهما وحافظهما ومتولي امرهما بالتوفيق والعصمة فان قلت الهم العزم على فعل الشيء والاية تدل
على ان الطائفتين عزمتا على الفشل وترك القتال وذلك معصية فكيف مدحهم الله بقوله والله وليهما
قلت الهم قد يراد به العزم وقد يراد به حديث النفس واذا كان كذلك فحمل الهم على حديث النفس في هذه

الاية

الاية اولى والله تعالى لا يواخذ بحديث النفس ويعضده قول ابن عباس انهم اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم
على الرشد وثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمدحهم الله بقوله والله وليهما ق عن جابر رضي الله عنه
قال فينا نزلت اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما قال نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو
سلمة وما يسرني انها لم تنزل لقول الله والله وليهما ففيه استبشار بما حصل لهم من الشرف العظيم وانزال
فيهم اية ناطقة مفصحة بان الله وليهم وان تلك الهمة التي هموا بها ما اخرجتهم عن ولاية الله تعالى قوله
تعالى وعلى الله فليتوكل المومنون التوكل تفعل من وكل امره الى غيره اذا اعتمد عليه في كفايته والقيام
به وقيل التوكل هو العجز والاعتماد على الغير وقيل هو تفويض الامر الى الله تعالى ثقة بحسن تدبيره فامر
الله عباده المومنين الا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه قوله عز وجل ولقد نصركم الله
ببدر بدر اسم موضع بين مكة والمدينة معروف وقيل هو اسم لبير هناك وكانت البير لرجل يقال له بدر
فسميت به ذكر الله المومنين منته عليهم بالنصر يوم بدر وانتم اذلة جمع ذليل وهو جمع قلة واراد به
قلة العدد فان المسلمين كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وفي رواية وثلاثة عشر رجلا والمراد بذلتهم ضعف الحال
وقلة السلاح والمركوب والمال وعدم القدرة على مقاومة العدو وذلك انهم خرجوا على نواضح وكان النفر
منهم يعتقب على البعير الواحد واكثرهم رجالة ولم يكن معهم الا فرس واحد وكان عدوهم من كفار قريش في حال
الكثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس وكان معهم السلاح والشوكة فنصر الله المومنين مع قلتهم على عدوهم
مع كثرتهم فاتقوا الله يعني في الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلكم تشكرون يعني بتقواكم ما انعم
به عليكم من نصرته قوله تعالى اذ تقول للمومنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملئكة منزلين
اختلف المفسرون في ان هذا الوعد بانزال الملئكة هل حصل يوم بدر او يوم احد على قولين احدهما انه
كان يوم بدر قال قتادة كان هذا يوم بدر امدهم الله بالف من الملئكة كما قال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب
لكم اني ممدكم بالف من الملئكة مردفين ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة الاف كما ذكرها هنا
بلى ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملئكة فصبروا يوم
بدر واتقوا فامدهم الله بخمسة الاف كما وعد قال ابن عباس لم تقاتل الملئكة في المعركة الا يوم بدر وفيما
سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون انما يكونون عددا او مددا وقال الحسن هولاء الخمسة الاف
ردء للمومنين الى يوم القيمة وقال الشعبي بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم بدر ان كرز بن
جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين فشق ذلك عليهم فانزل الله الن يكفيكم الى قوله مسومين فبلغ كرزا الهزيمة
فرجع ولم ياتهم فلم يمدهم الله بالخمسة الاف وكانوا قد امدوا بالف من الملئكة وفي صحيح البخاري من حديث
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل اخذ براس فرسه عليه اداة الحرب
واحتج لصحة هذا القول ايضا بان الله تعالى قال قبل هذه الاية ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة
وظاهر هذا يقتضي ان الله نصرهم حين قال النبي صلى الله عليه وسلم للمومنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم
الاية وان العدد والعدد كانت يومئذ قليلة فكان الاحتياج الى الامر اكثر القول الثاني ان هذا الوعد
بايراد الملئكة كان يوم احد وهو قول عكرمة والضحاك ومقاتل قال محمد بن اسحق لما كان يوم احد
انجلى القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقي سعد بن مالك يرمي وفتى شاب ينبل له كلما فني النبل
اتاه به وقال ارم ابا اسحق ارم ابا اسحق مرتين فلما انجلت المعركة سئل عن ذلك الرجل فلم يعرف ق
عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال رايت على يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم

احد تجلى عليهما ثياب بيض ريقا تلان عنه كاشد القتال ما رايتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل واحتج
لصحة هذا القول بان المدد كان يوم بدر بالف من الملئكة كما نص عليه في سورة الانفال ولم يكن بثلاثة
الاف وبخمسة الاف وايضا فان الكفار كانوا يوم بدر الفا وما يقرب منه وكان المسلمون على الثلث
من ذلك فانهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر فانزل الله يوم بدر الفا من الملئكة في مقابلة عدد الكفار فوقع
النصر يومئذ للمسلمين والهزيمة للكفار وكان عدد المسلمين يوم احد الفا وعدد الكفار ثلاثة الاف
فناسب ان يكون المدد يومئذ للمسلمين ثلاثة الاف من الملئكة ليكون ذلك مقابلا لعدد الكفار كما في يوم
بدر واجيب عن الاحتجاج الاول لهذا القول بانه تعالى لما امدهم يوم بدر بالف كما ذكر في سورة الانفال
ثم لما سمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بامداد كرز للكفار قريش شق عليهم وعدوا بان
يمدوا بثلاثة الاف وبخمسة الاف لتقوى قلوبهم بذلك واجيب عن الثاني وهو ان الكفار كانوا يوم
بدر الفا فانزل الله الفا وفي يوم احد كانوا ثلاثة الاف فانزل الله ثلاثة الاف بان هذا تقريب حسن
ونقدان يزيد ما شاكلهم لم يتقوا يوم احد فلم يمدوا ولو امدوا لم يهزموا يومئذ وقيل لم يصبروا ولم يتقوا
الا في يوم الاحزاب فامدهم الله بالملئكة حين حاصروا قريظة ق عن عائشة رضي الله عنها قالت
لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل اتاه جبريل فقال قد وضعت
السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم قال فالى اين قال ها هنا واشار الى بني قريظة فخرج النبي
صلى الله عليه وسلم اليهم خ عن انس رضي الله عنه قال كاني انظر الى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم موكب
جبريل حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة وقال عبد الله بن ابي اوفى كنا محاصري
قريظة والنظير ما شاء الله فلم يفتح علينا فرجعنا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل فهو
يغسل راسه اذ جاءه جبريل عليه السلام فقال اوضعتم اسلحتكم ولم تضع الملئكة اوزارها فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة فلف بها راسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا حتى اتينا
قريظة والنظير فيومئذ امدنا الله بثلاثة الاف من الملئكة ففتح لنا فتحا يسيرا وقال ابن جرير الطبري
واولى الاقوال بالصواب ان الله تعالى اخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم انه قال للمؤمنين الن يكفيكم
ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملئكة فوعدهم بثلاثة الاف من الملئكة مددا لهم ثم وعدهم بخمسة الاف
ان صبروا لاعدائهم واتقوا الله ولا دلالة في الاية على انهم امدوا بهم ولا على انهم لم يمدوا بهم فقد يجوز ان
الله امدهم وقد يجوز ان لا يكون امدهم ولا يثبت ذلك الا بنص تقوم به الحجة في ذلك وقد ثبت
بنص القران انهم امدوا يوم بدر بالف من الملئكة كما في سورة الانفال فاما يوم احد فالدلالة على انهم
لم يمدوا ابين منها بانهم امدوا وذلك انهم لو امدوا لم يهزموا ولم ينل منهم ما نيل منهم فان قلت فما تصنع
بحديث سعد بن ابي وقاص المتقدم في يوم احد وانه راى ملكين عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وشماله
قلت انما كان ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لانه صبر ولم ينهزم كما انهزم اصحابه يوم احد واما
التفسير فقوله تعالى اذ تقول للمؤمنين ومن قال هذا يوم احد يقول نظم الاية ان الله ذكر نعمته
احد ثم اتبعه بقوله تعالى اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ومعنى الكفاية سد الخلة والقيام بالامر
مع بلوغ المراد ان يمدكم ربكم المراد اعانة الجيش فما كان على جهة القوة والاعانة يقال له امده امدادا
وما كان على جهة الزيادة يقال فيه مده مددا وقيل المد في الشر والامداد في الخير بثلاثة الاف من الملئكة
منزلين انما وعدهم بنزول الملئكة لتقوى قلوبهم ويثقوا بنصر الله ويعزموا على الثبات بل تصديق لوعد

الله

الله اي بلى يمدكم وقيل بلى ايجاب لما بعد ان يعني يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ان تصبروا اي على لقاء
عدوكم وتتقوا يعني معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله عليه وسلم ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا
قال ابن عباس ابتداء الامر يوجد فيه ثم يوصل باخر فمن قال معنى من فورهم من وجههم اراد ابتداء مخرجهم يوم بدر
ومن قال معناه من غضبهم اراد ابتداء غضبهم لقتلاهم يوم بدر لانهم رجعوا للحرب يوم احد من غضبهم ليوم
بدر يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملئكة لم يرد خمسة الاف سوى الثلاثة المتقدمة بل اراد معهم فمن قال
ان هذا الامداد كان يوم بدر قال ان الله تعالى امدهم بالف ثم لما سمعوا ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد
المشركين فشق ذلك على المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم الن يكفيكم ان يمدكم ربكم الاية على تقدير ان يجيء
للمشركين المدد فلما لم يجد والم يمد الله المؤمنين بغير الالف وروى ابن الجوزي في تفسيره عن جبير بن مطعم عن
علي بن ابي طالب قال بينا انا امتح من قليب بدر جاءت ريح شديدة لم ار اشد منها ثم جاءت ريح شديدة لم ار
اشد منها الا التي قبلها ثم جاءت ريح شديدة لم ار اشد منها الا التي كانت قبلها فكانت الريح الاولى جبريل
نزل في الفين من الملئكة وكان بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل في الفين
من الملئكة وكان عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم والريح الثالثة اسرافيل نزل في الف من الملئكة عن
يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت عن يساره وهزم الله اعداءه ومن الناس من ضم العدد القليل
الى الكثير فقال لان الله تعالى ذكر الالف في سورة الانفال وذكر هنا ثلاثة الاف وخمسة الاف فيكون
المجموع تسعة الاف وان حملناه على غزوة احد فيكون المجموع ثمانية الاف لانه ليس فيها ذكر الالف
المفردة مسومين قرئ بفتح الواو وكسرها فمن فتح الواو اراد ان الله سومهم ومعناه معلمين قد
سوموا انهم مسومين والمسومة والسيما العلامة وهذه العلامة يعلمها الفارس يوم اللقاء ليعرف
بها قال عنترة تعرفوني انني انا ذلكم شاكي سلاحي في الحوادث معلم ومن كسر الواو نسب الفعل الى الملئكة
والمعنى انهم اعلموا انفسهم بعلامات مخصوصة او اعلموا خيلهم واختلفوا في تلك العلامة فقال عروة
ابن الزبير كانت الملئكة على خيل بلق وعليهم عمائم صفر وقال علي وابن عباس كان عليهم عمائم بيض
قد ارسلوها بين اكتافهم وقال هشام بن عروة والكلبي كانت عمائم صفر مرخاة على اكتافهم وقال قتادة
والضحاك كانوا قد اعلموا بالعهن يعني بالصوف المصبوغ في نواصي خيلهم واذنابها وروي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملئكة قد تسومت بالصوف الابيض في قلانسهم
ومغافرهم ذكره البغوي بغير سند وقيل كانت عمامة الزبير يوم بدر اصفر فنزلت الملئكة كذلك وقيل
كانوا قد سوموا انفسهم بسيما القتال قوله تعالى وما جعله الله يعني هذا الوعد بالمدد الا بشرى
يعني بشارة بانكم تنصرون فتستبشرون به ولتطمئن اي ولتسكن قلوبكم به اي فلا تجزع من كثرة
عدوكم وما النصر الا من عند الله يعني لا تحيلوا النصر على الملئكة والجند وكثرة العدد فان النصر
من الله لا من غيره والغرض ان يكون توكلهم على الله لا على الملئكة الذين امدوا بهم وفيه تنبيه على
الاعراض عن الاسباب والاقبال على مسبب الاسباب العزيز الحكيم يعني فاستعينوا به وتوكلوا عليه
لان العزيز هو كمال القدرة والقوة والحكيم هو كمال العلم له فلا يخفى عليه مصالح عباده ليقطع طرفا
من الذين كفروا هذا متعلق بقوله ولقد نصركم الله ببدر والمعنى ان المقصود من نصركم ببدر ليقطع طرفا
اي ليهلك طائفة من الذين كفروا وقيل معناه ليهدم ركنا من اركان الشرك بالاسر والقتل فقتل يوم بدر
من قادتهم وسادتهم سبعون واسر سبعون ومن حمل الاية على غزوة احد قال قد قتل منهم ستة عشر

وكان النصرة فيه للمسلمين حتى خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم **او يكبتهم** اصل الكبت في اللغة صرع الشيء على وجهه والمعنى انه يصرعهم على وجوههم والمراد منه القتل والهزيمة او الاهلاك او اللعن والخزي **فينقلبوا خائبين** اي بالخيبة لم ينالوا شيا مما كانوا املوه من الظفر بكم قوله عز وجل **ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم** اختلفوا في سبب نزول هذه الاية فقيل انها نزلت في اهل بير معونة وهم سبعون رجلا من القرا بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بير معونة وهي بين مكة وعسفان وارض هذيل وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة على راس اربع اشهر من احد بعثهم ليعلموا الناس القران والعلم وامر عليهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقنت شهرا في الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبايل باللعن **خ** عن ابن عمر رضي الله عنهما انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع في الركعة الاخرة من الفجر قال اللهم العن فلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فانزل الله عليه ليس لك من الامر شيء الى قوله فانهم ظالمون **ق** عن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف زاد في رواية اللهم العن فلانا وفلانا لاحيا من العرب حتى انزل الله ليس لك من الامر شيء الاية سماهم في رواية يونس اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله قال ثم بلغنا انه ترك ذلك لما انزل الله ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وقيل انها نزلت يوم احد ثم اختلفوا في سببها فقيل ان عتبة بن ابي وقاص شج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسر رباعيته **ق** عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته وشج في جمجمة راسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم الى الله فانزل الله ليس لك من الامر شيء وقيل اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو عليهم بالاستيصال فنزلت هذه الاية وذلك لعلمه ان اكثرهم يسلمون وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وقف على جثة حمزة وراي بما صنعوا به من المثلة فاراد ان يدعو عليهم فانزلت هذه الاية قال العلما هذه الاشيا كلها محتملة فلا يبعد حمل الاية في النزول على كلها ومعنى الاية ليس لك من امر مصالح عبادي الا ما اوحي اليك وان الله تعالى هو مالك امرهم فاما ان يتوب عليهم ويهديهم فيسلموا او يهلكهم ويعذبهم ان اصروا على الكفر وقيل ليس لك مسيلة هلاكهم والدعا عليهم لانه تعالى اعلم بمصالحهم فربما تاب على من يشاء منهم وقيل معناه ليس لك من امر خلقي شيء الا ما وافق امري انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان قوله او يتوب عليهم معطوف على قوله ليقطع طرفا وقوله ليس لك من الامر شيء كلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شيء بل الامر امري في ذلك كله قال بعض العلما والحكمة في منعه صلى الله عليه وسلم من الدعا عليهم ولعنهم ان الله تعالى علم من حال بعض الكفار انه سيسلم فيتوب عليه او سيولد منه ولد يكون مسلما برا تقيا فلاجل هذا المعنى منعه الله تعالى من الدعا عليهم لان دعوته صلى الله عليه وسلم مجابة فلو دعا عليهم بالهلاك لهلكوا جميعا لكن اقتضت حكمة الله وما سبق في علمه ابقاهم ليتوب على بعضهم ويستخرج من بعضهم ذرية مومنة صالحة ويهلك بعضهم بالموت او القتل ومن قوله او يعذبهم يحتمل ان يكون المراد بعذابهم في الدنيا ومن القتل والاسر وفي الاخرة ومن عذاب النار **فانهم ظالمون**

ثم كالتعليل لعذابهم والمعنى انما يعذبهم لانهم ظالمون ثم قال تعالى **ولله ما في السموات وما في الارض** هو تاكيد لما قبله من قوله ليس لك من الامر شيء والمعنى انما يكون لمن له ما في السموات وما في الارض وليس ذلك الا الله تعالى وليس لاحد معه امر **يغفر لمن يشا** بفضله ورحمته **ويعذب من يشا** بعدله يحكم فيهم بما يشا لا منازع له في حكمه ولا معارض له في فعله **والله غفور رحيم** يعني انه تعالى يستر ذنوب عباده ويغفرها لهم ويرحمهم بترك العقوبة عنهم عاجلا وانما يفعل ذلك على سبيل التفضل والاحسان الى عباده لا على سبيل الوجوب عليه لانه تعالى لو ادخل جميع خلقه الجنة كان ذلك برحمته ولو ادخل جميع خلقه النار كان ذلك بعدله لكن جانب المغفرة والرحمة غالب قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة** اراد به ما كانوا يفعلونه في الجاهلية عند حلول الدين من زيادة المال وتاخير الاجل كان الرجل في الجاهلية اذا كان له على انسان دين فاذا جا الاجل ولم يكن للمديون ما يودي قال له صاحب الدين زدني في المال حتى ازيدك في الاجل فربما فعلوا ذلك مرارا فيصير الدين اضعافا مضاعفة فنهى الله عز وجل عن ذلك وحرم اصل الزيادة ومضاعفته **واتقوا الله** يعني في امر الربا فلا تاكلوه **لعلكم تفلحون** اي لكي تسعدوا بثوابه في الاخرة وقيل ان الفلاح يتوقف على التقوى فلو اكل ولم يتق لم يحصل الفلاح وفيه دليل على ان الربا من الكباير ولهذا اعقبه بقوله **واتقوا النار التي اعدت للكافرين** يعني واتقوا ايها المومنون ان تستحلوا شيا مما حرم الله فان من استحل شيا مما حرم الله فهو كافر بالاجماع ويستحق النار بذلك قال ابن عباس هذا تهديد للمومنين ان يستحلوا ما حرم الله عليهم من الربا وغيره مما اوجب الله فيه النار قال بعضهم هذه الاية اخوف اية في القران حيث اوعد الله المومنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه ويجتنبوا محارمه وقال الواحدي في هذه الاية تقوية لرجا المومنين رحمة من الله تعالى لانه قال اعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين دون المومنين **واطيعوا الله** يعني فيما امركم به ونهاكم عنه من اكل الربا وغيره **والرسول** اي واطيعوا الرسول ايضا فان طاعته طاعة الله قال محمد بن اسحق في هذه الاية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد **لعلكم ترحمون** اي لكي ترحموا ولا تعذبوا اذا اطعتم الله ورسوله فان طاعة الله مع معصية الله ورسوله ليست بطاعة الله قوله عز وجل **وسارعوا الى مغفرة من ربكم** يعني وبادروا وسابقوا الى ما يوجب المغفرة من ربكم وهي الاعمال الصالحة المامور بفعلها قال ابن عباس الى الاسلام ووجهه ان الله ذكر المغفرة على سبيل التنكير والمراد منه المغفرة العظيمة وذلك لا يحصل الا بسبب الاسلام لانه يجب ما قبله وعن ابن عباس ايضا الى التوبة لان التوبة من الذنوب توجب المغفرة وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الى ادا الفرايض لان اللفظ مطلق فيعم الكل وكذا وجه من قال الى جميع الطاعات وروي عن انس رضي الله عنه وسعيد بن جبير انها التكبيرة الاولى يعني تكبيرة الاحرام وقيل الى الاخلاص في الاعمال لان المقصود من جميع العبادات هو الاخلاص وقيل الى الهجرة وقيل الى الجهاد **وجنة** اي وسارعوا الى جنة وانما فصل بين المغفرة والجنة لان المغفرة هي ازالة العقاب والجنة هي حصول الثواب وفيه اشعار بانه لا بد من المسارعة الى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات والمسارعة الى الاعمال الصالحة المودية الى الجنة **عرضها** اي عرض الجنة **السموات والارض** يعني كعرض السموات والارض لان السموات والارض ليس عرضا للجنة والمراد سعتها وانما خص العرض بالذكر للمبالغة لان الطول في العادة يكون اكثر من العرض يقول هذه صفة عرضها فكيف بطولها والمراد وصف الجنة بالسعة

والبسطة فشبهت باوسع شي علمه الناس وذلك انه لو جعلت السموات والارض طبقا ثم وصل البعض
بالبعض حتى تكون طبقا واحدا كان ذلك مثل عرض الجنة فاما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى وقيل المراد
بالعرض السعة كما تقول العرب بلاد عريضة اي واسعة عظيمة قال الشاعر كان بلاد الله وهي عريضة
على المطلوب كفه حابل والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يضق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض
كناية عن السعة وروي ان هرقل ارسل الى النبي صلى الله عليه وسلم انك كتبت تدعوني الى جنة عرضها السموات
والارض فاين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جا النهار وقيل معناه والله
اعلم بذلك انه اذا دار الفلك حصل النهار في جانب والليل في ضد ذلك الجانب فكذلك الجنة في جهة العلو والنار
في جهة السفل وروى طارق بن شهاب ان ناسا من اليهود سالوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنده اصحابه
قالوا ارايتم قولكم وجنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال عمر ارايتم اذا جا الليل فاين يكون النهار
واذا جا النهار فاين يكون الليل فقالوا انه لمثلها في التوراة ومعناه حيث يشا الله تعالى فان قلت قال
الله تعالى وفي السما رزقكم وما توعدون واراد بالذي وعدنا به الجنة ومذهب اهل السنة انها في السموات
واذا كانت الجنة في السما فكيف يكون عرضها السموات والارض قلت المراد من قوله انها في السموات انها
فوق السموات وتحت العرش كما سئل انس بن مالك رضي الله عنه عن الجنة اهي في السما ام في الارض فقال اي ارض
وسما تسع الجنة قيل له فاين هي فقال فوق السموات تحت العرش وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
الفردوس فقال وسقفها عرش الرحمن وقال قتادة كانوا يرون الجنة فوق السموات السبع وان جهنم تحت
الارضين السبع وقيل ان باب الجنة في السما وعرضها كعرض السموات والارض اعدت للمتقين اي هيئت
للمتقين وفيه دليل على ان الجنة والنار مخلوقتان الان قوله تعالى الذين ينفقون في السرا والضرا
يعني في اليسر والعسر لا يتركون الانفاق في كلتي الحالتين في الغنى والفقر والرخا والشدة ولا في حال فرح
وسرور ولا في حال محنة وبلا وسوا الان لو احد منهم في عرس او في حبس فانهم لا يدعون الاحسان الى الناس
فاول ما ذكر الله من اخلاقهم الموجبة للجنة السخا لانه اشق على النفس وكانت الحاجة الى اخراج المال في ذلك
الوقت اعظم الاحوال للحاجة اليه في مجاهدة الاعدا ومواساة الفقرا من المسلمين عن ابي هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار
والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار والجاهل السخي احب الى الله من عابد بخيل
اخرجه الترمذي ق عن ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل البخيل والمنفق
كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق نفقة الا وسعت او وفرت
على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو اثره واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيا الا لزقت كل حلقة مكانها فهو
يوسعها فلا تتسع الجبة الدرع من الحديد ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر
اللهم اعط ممسكا تلفا ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق ينفق عليك
ق عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة
باب اي فل هلم فقال ابو بكر يا رسول الله ذلك الذي لا توى عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني
لارجو ان تكون منهم قوله اي فل يعني يا فلان وليس بترخيم والتوى الهلاك يعني الذي لا هلك عليه وقوله
تعالى والكاظمين الغيظ يعني والجارعين الغيظ عند امتلا نفوسهم منه والكظم حبس الشي عند امتلايه وكظم

الغيظ

الغيظ هو ان يمتلي غيظا فيرده في جوفه ولا يظهره بقول ولا فعل ويصبر عليه ويسكت عنه ومعنى الاية انهم يكفون
غيظهم على الملما ويردون غيظهم في اجوافهم وهذا الوصف من اقسام الصبر والحلم عن سهل بن معاذ بن
انس الجهني عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله
تعالى يوم القيمة على رووس الخلايق حتى يخيره من اي الحور شا اخرجه الترمذي وابو داود ق عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه
عند الغضب وروي عن عايشة رضي الله عنها ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي
غيظ شفا والعافين عن الناس يعني اذا جنى عليهم احد لم يواخذوه فتكون الاية على العموم وقيل اراد
بالناس المماليك لسوء الادب يقع منهم فيكون على الخصوص وقيل يعفون عمن ظلمهم واسا اليهم وهو قريب من القول
الاول والله يحب المحسنين يحتمل ان يكون اللام للجنس فيتنا ول كل محسن ويحتمل ان يكون للعهد فيكون
اشارة الى المذكورين في الاية والاحسان الى الغير اما ان يكون بايصال النفع اليه او بدفع الضرر عنه وقيل الاحسان
ان تحسن الى من اسا اليك فان الاحسان الى المحسن متاجرة وقيل المحسن هو الذي يعم باحسانه كل احد كالشمس
وللطر والريح وقيل الاحسان وقت الامكان وليس عليك في كل وقت احسان وقيل الاحسان هذه الخصال
المذكورة في هذه الاية فمن فعلها فهو محسن ولما كانت هذه الخصال احسانا الى الغير ذكر الله ثوابها
والله يحب المحسنين فان محبة الله تعالى للعبد اعظم درجات الثواب قوله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة
قال ابن مسعود قال المومنون للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله كانت بنو اسرايل اكرم على الله منا كان
احدهم اذا اذنب ذنبا اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه اجدع انفك اذنك افعل كذا فسكت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وروي عطا عن ابن عباس انها نزلت في نبهان التمار اتته
امراة حسنا تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته
فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له
ذلك فنزلت هذه الاية وفي رواية ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخا
بين رجلين احدهما انصاري والاخر ثقفي فخرج الثقفي في غزوة واستخلف اخاه الانصاري على اهله فاشترى
لهم ذات يوم لحما فلما ارادت المراة ان تاخذه منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب
على راسه وهام على وجهه فلما رجع الثقفي لم يستقبله الانصاري وسال امراته عن حاله فقالت لا اكثر الله
في الاخوان مثله وذكرت له الحال والانصاري يسيح في الجبال تايبا مستغفرا فطلبه الثقفي حتى وجده
فاتى به الى ابي بكر رجا ان يجد عنده راحة وفرجا فقال الانصاري هلكت وذكر القصة فقال ابو بكر ويحك
اما علمت ان الله يغار للغازي ما لا يغار للمقيم ثم لقيا عمر فقال لهما مثل ذلك فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لهما مثل مقالتهما فانزل الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة يعني فعلة فاحشة خارجة عما اذن
الله فيه والفاحشة ما عظم قبحه من الاقوال والافعال واصل الفحش القبح والخروج عن الحد قال جابر الفاحشة
الزنا وقوله او ظلموا انفسهم وظلم النفس هو ما دون الزنا مثل القبلة والمعانقة واللمس والنظر وقيل الفاحشة
الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة وقيل الفاحشة ما يكون فعله كاملا في القبح وظلم النفس هو اي ذنب كان
ذكروا الله اي ذكروا وعيد الله وعقابه وان الله يسالهم عن ذلك يوم العرض الاكبر وقيل ذكروا جلال
الله الموجب للحيا منه وقيل ذكروا الله باللسان عند الذنوب وهو قوله فاستغفروا لذنوبهم يعني لاجل
ذنوبهم فتابوا منها واقلعوا عنها نادمين على فعلها عازمين على ان لا يعودوا اليها وهذه شروط صحة

التوبة المقبولة **ومن يغفر الذنوب الا الله** وصف نفسه بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب من الذنب
عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا الى فضله وكرمه واحسانه وعفوه ورحمته وفيه تنبيه على
ان العبد لا يطلب المغفرة الا منه **ولم يصروا على ما فعلوا** يعني ولم يقيموا على الذنوب ولم يثبتوا عليها
ولكن تابوا منها وانابوا واستغفروا واصل الاصرار هو ترك الاستغفار عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة اخرجه ابو داود
وقال الحديث غريب وعنده عوض ولو عاد ذو فصل **وهم يعلمون** قال ابن عباس وهم يعلمون انها معصية
وقيل وهم يعلمون ان الاصرار ضار وقيل معناه ان الله يملك مغفرة الذنب وان لهم ربا يغفرها وقيل وهم
يعلمون ان الله لا يتعاظمه العفو عن الذنوب وان كثرت وقيل معناه وهم يعلمون انهم ان استغفروه
غفر لهم قال ثابت البناني بلغني ان ابليس بكى حين نزلت هذه الاية والذين اذا فعلوا فاحشة الى
آخرها **فصل** في فضل الاستغفار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال كنت اذا سمعت
حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعني الله منه بما شاء ان ينفعني واذا حدثني احد من اصحابه
استحلفته فاذا حلف صدقته وانه حدثني ابو بكر وصدق ابو بكر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من عبد مومن او قال ما من رجل يذنب ذنبا فيقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله الا غفر الله له
ثم قرا هذه الاية والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله الى آخر الاية اخرجه ابو داود
والترمذي وقال هذا حديث قد رواه غير واحد من عثمان بن المغيرة فرفعوه ورواه مسعر وسفيان
عن عثمان بن المغيرة فوقفاه ولم يرفعاه ولا يعرف لاسما الا هذا الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا
ورزقه من حيث لا يحتسب اخرجه ابو داود **م** عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم
ق عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه تبارك وتعالى قال اذنب عبد ذنبا فقال اللهم
اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى اذنب عبدي ذنبا علم ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب ثم
عاد فاذنب فقال اي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يغفر
الذنب ويأخذ بالذنب وفي رواية اعمل ما شئت فقد غفرت لك قال عبد الاعلى لا ادري اقال في الثالثة
او الرابعة اعمل ما شئت عن انس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال
الله تبارك وتعالى يا ابن ادم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي يا ابن ادم
لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن ادم لو اتيتني بقراب الارض
خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيا لاتيتك بقرابها مغفرة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن عنان السما
بفتح العين قيل هو السحاب وقيل هو ما عن لك منها اي ما ظهر لك منها وقراب الارض بضم القاف وروي
بكسرها والضم اشهر وهو ما يقارب ملاها عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه غفرت ذنوبه وان كان قد
فر من الزحف اخرجه ابو داود والترمذي والحاكم وقال حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم عن ابي
الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ذنب عسى الله ان يغفره وقال عسى ان يغفره
الله الا من مات مشركا او مومن قتل مومنا متعمدا اخرجه ابو داود قوله تعالى **اولئك** اشارة الى من تقدم

ذكره في قوله والذين اذا فعلوا فاحشة الاية **جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار**
يعني الاية ان المطلوب بالتوبة امران احدهما الامن من العقاب واليه الاشارة بقوله مغفرة من ربهم
والثاني ايصال الثواب واليه الاشارة بقوله وجنات تجري من تحتها الانهار اي ذلك لهم ذخرا لا يبخس
واجرا لا يوكس **خالدين فيها** اي في الجنات **ونعم اجر العاملين** اي ونعم ثواب المطيعين يعني الجنة قوله عز وجل
قد خلت من قبلكم سنن يعني قد انقضت من قبلكم سنة الله في الامم الماضية بالهلاك والاستيصال
لانهم خالفوا الانبيا والرسل للحرص على الدنيا وطلب لذاتها والبقا فيها فانقرضوا ولم يبق منهم احد وقيل
في معنى السنة الطريقة المستقيمة والمثال المتبع لكل امة سنة ومنهاج اذا اتبعوه رضي الله عنهم
بذلك وقيل سنن اي شرايع وقيل سنن اي امم والسنة الامة ومعنى الاية قد مضت وسلفت مني سنة
فيمن كان قبلكم من الامم الماضية الكافرة بامهالي واستدراجي اياهم حتى يبلغ الكتاب اجله فيهم الذي
اجلته لاهلاكهم **فسيروا في الارض** امر ندب على سبيل الوجوب بل المقصود تعرف احوال الماضين
بقوله **فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** فرغب امة محمد صلى الله عليه وسلم في تامل احوال الامم
الماضية ليصير ذلك داعيا لهم الى الايمان بالله ورسوله والاعراض عن الدنيا ولذاتها وفيه ايضا
زجر للكافر عن كفره لانه اذا تامل احوال الكفار واهلاكهم صار ذلك داعيا له الى الايمان لان النظر
الى آثار المتقدمين له اثر في النفس كما قيل ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار وفي هذه
الاية تسلية لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جرى لهم في غزوة احد يقول فاني امهلت
الكفار حتى يبلغ الكتاب اجله فيهم الذي اجلت لهم في اهلاكهم وتنصر محمدا صلى الله عليه وسلم واوليايه وهلاك
اعدايه قوله تعالى **هذا** يعني القران وقيل هو اشارة الى ما تقدم من امره ونهيه ووعده ووعيده **بيان
للناس** يعني عامة **وهدى** يعني من الضلالة **وموعظة للمتقين** يعني خاصة وقيل في الفرق بين البيان
والهدى والموعظة لان العطف يقتضي المغايرة فالبيان هو الدلالة التي تفيد ازالة الشبهة
بعد ان كانت حاصلة والهدى هو طريق الرشد المامور بسلوكه دون طريق الغي والموعظة هي الكلام
الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين فالحاصل ان البيان جنس تحته نوعان احدهما الكلام
الهادي الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى والثاني الكلام الزاجر عما لا ينبغي في الدين وهو الموعظة
وانما خص المتقين بالموعظة والهدى لانهم هم المنتفعون بهما دون غيرهم قوله عز وجل **ولا تهنوا
ولا تحزنوا** نزلت بعد يوم احد حين امر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بطلب القوم مع ما اصابهم من الجراح
فاشتد ذلك على المسلمين فانزل الله تعالى هذه الاية وحث بها اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
على الجهاد على ما اصابهم من الجراح والقتل وكان قد قتل يوم احد من الانصار سبعون رجلا ومن المهاجرين
خمسة رجال منهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصعب بن عمير ومعنى الاية
ولا تهنوا اي ولا تضعفوا عن الجهاد ولا تحزنوا على من قتل منكم لانهم في الجنة **وانتم الاعلون** يعني بالنصر
والغلبة عليهم وان العاقبة لكم وقال ابن عباس انهزم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب
فاقبل خالد بن الوليد في خيل المشركين يريدان يعلوا عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلون
علينا اللهم لا قوة لنا الا بك وثار نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى انهزموا
وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله وانتم الاعلون وقيل وانتم الاعلون لان حالكم خير من حالهم لان قتلاكم
في الجنة وقتلاهم في النار وانتم فيما تلون على الحق وهم فيما تلون على الباطل وقيل وانتم الاعلون في العاقبة

لانكم تظهرون بهم وتستولون عليهم ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم وقيل معناه ان كنتم مصدقين بان
ناصركم هو الله تعالى فصدقوا بذلك فانه حق وصدق قوله تعالى ان يمسسكم قرح قرئ بضم القاف وفتحها
وهما لغتان ومعناهما واحد وقيل انه بالفتح مصدر وبالضم اسم وقيل انه بالفتح اسم للجراحة وبالضم
الم الجراحة والاية خطاب للمسلمين حين انصرفوا من احد مع الحزن والكآبة يقول ان يمسسكم ايها
المسلمون قرح يوم احد فقد مس القوم يعني الكفار قرح مثله يعني في يوم بدر وقيل ان الكفار قد نالهم
يوم احد مثل ما نالكم من الجراح والقتل فقد قتل منهم نيف وعشرون رجلا وكثرت الجراحات فيهم وتلك الايام
نداولها بين الناس المداولة نقل الشيء من واحد الى اخر يقال تداولته الايدي اذا انتقل من واحد الى اخر
ويقال الدنيا دول اي تنتقل من قوم الى اخرين ثم منهم الى غيرهم والمعنى ان ايام الدنيا هي دول بين الناس
فيوم لهؤلاء ويوم لهؤلاء فكانت الدولة للمسلمين على المشركين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين رجلا
واسروا سبعين وادال المشركون من المسلمين يوم احد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين خ
عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم احد وكانوا خمسين
رجلا وهم الرماة عبد الله بن جبير فقال ان رايتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتى ارسل اليكم
وان رايتمونا هزمنا القوم واوطأناهم فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم فهزموهم قال فانا والله رايت النساء
يشتددن قد بدت خلاخلهن واسوقهن رافعات ثيابهن فقال اصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة
اي القوم الغنيمة اي القوم ظهر اصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير انسيتم ما قال لكم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما اتوهم صرفت وجوههم
فاقبلوا منهزمين فذلك قوله والرسول يدعوكم في اخراكم فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثني
عشر رجلا فاصابوا منا سبعين رجلا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اصاب من المشركين يوم بدر اربعين
ومائة سبعين اسيرا وسبعين قتيلا فقال ابو سفيان افي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله
عليه وسلم ان يجيبوه ثم قال افي القوم ابن ابي قحافة ثلاث ثم قال افي القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات ثم
رجع الى اصحابه فقال اما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله يا عدو الله ان الذين
عددت لاحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك قال يوم بيوم بدر والحرب سجال انكم ستجدون في القوم مثلة
لم امر بها ولم تسؤني ثم اخذ يرتجز اعل هبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تجيبوه فقالوا يا رسول
الله ما نقول قال قولوا الله اعلى واجل قال ابو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
الا تجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال البغوي وقد روي هذا المعنى
عن ابن عباس وفي حديثه قال ابو سفيان يوم بيوم وان الايام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء
قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار قال الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله تعالى وان جندنا
لهم الغالبون فكانت يوم للكفار على المسلمين لمخالفتهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وليعلم
الله الذين امنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم اي ليعرفهم باعيانهم الا ان سبب العلم وهو ظهور
الصبر حذف هنا وقيل معناه ليعلم الله الواقع منهم لان الله تعالى يعلم الشيء قبل وجوده ولا يحتاج الى سبب
حتى يعلم والمعنى ليقع ما علمه عيانا ومشاهدة للناس والمجازاة انما تقع على الواقع دون المعلوم الذي
لم يوجد وقيل معناه ليعلم اولياء الله فاضاف علمهم الى نفسه تفخيما وقيل معناه ليحكم الله بالامتياز بين
المؤمن والمنافق فوضع العلم موضع الحكم لان الحكم لا يحصل الا بعد العلم ويتخذ منكم شهداء اي وليكرم

قوما

قوما منكم بالشهادة من اراد ان يكرمه بها وذلك لان قوما من المسلمين فاتهم يوم بدر فكانوا يتمنون
لقاء العدو وان يكون لهم يوم كيوم بدر يقاتلون فيه العدو ويلتمسون فيه الشهادة والشهداء جمع شهيد
وهو من قتل من المسلمين بسيف من الكفار في المعركة واختلفوا في معنى الشهيد فقيل الشهيد لقوله تعالى
بل احياء عند ربهم فارواحهم حضرت دار السلام وشهدتها وارواح غيرها لا تشهدها وقيل سمي شهيدا
لان الله شهد له بالجنة وقيل سموا شهداء لانهم يشهدون يوم القيمة مع الانبياء والصديقين على
الامم لان الشهادة تكون للافضل فالافضل من الامة ولان منصب الشهادة منصب عظيم ودرجة
عالية والله لا يحب الظالمين يعني المشركين وقيل هم الذين ظلموا انفسهم بالمعاصي وقيل هم المنافقون
الذين يظهرون الايمان بالسنتهم ويسرون الكفر والمعنى والله لا يحب من لا يكون ثابتا على الايمان
صابرا على الجهاد وليمحص الله الذين امنوا اي وليطهرهم من ذنوبهم ويزيلها عنهم واصل المحص في
اللغة التنقية والازالة ويمحق الكافرين اي يفنيهم ويهلكهم ومعنى الاية ان قتلكم الكافرون فهو شهادة
وتطهير لكم وان قتلتموهم انتم فهو محقهم واستيصالهم قوله عز وجل ام حسبتم اي بل حسبتم وظننتم
والمراد به الانكار والمعنى لا تحسبوا ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة وتنالوا كرامتي وثوابي ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم قال الامام فخر الدين الرازي ظاهر الاية يدل على وقوع النفي على العلم والمراد
وقوعه على نفي المعلوم والتقدير ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يصدر الجهاد عنكم وتقديره ان العلم
متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت هذه المطابقة لا جرم حسن اقامة كل واحد منهما مقام الاخر
وقال الواحدي النفي في الاية واقع على العلم والمعنى على الجهاد دون العلم وذلك لما فيه من الايجاز
في انتفاء الجهاد لولا انه يعلمه والتقدير ولما يكون المعلوم من الجهاد الذي اوجب عليكم فجرى النفي على العلم
للايجاز على سبيل التوسع اذ المعنى مفهوم من غير اخلال وقال الزجاج المعنى ولما يقع العلم بالجهاد
والعلم بصبر الصابرين اي لما يعلم الله ذلك واقعا منكم لانه يعلمه غيبا وانما يجازيهم على عملهم وقال
الطبري يقول ولما يتبين لعبادي المؤمنين المجاهد منكم على ما امر به ويعلم الصابرين يعني في الحرب وعلى
ما نالهم في ذات الله عز وجل من جراح والم ومكروه وفي هذه الاية معاتبة لمن انهزم يوم احد والمعنى
ام حسبتم ايها المنهزمون ان تدخلوا الجنة كما دخلها الذين قتلوا وبذلوا مهجهم لربهم عز وجل وصبروا
على الم الجراح والضرب وثبتوا لعدوهم من غير ان تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم قوله تعالى ولقد
كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه قال ابن عباس لما اخبر الله عز وجل المؤمنين على لسان نبيه صلى
الله عليه وسلم بما فعل بشهداء يوم بدر من الكرامة رغبوا في ذلك فتمنوا قتالا يستشهدون فيه
فيلحقون باخوانهم فاراهم الله يوم احد فلم يلبثوا ان انهزموا الا من شاء الله منهم فانزل الله هذه
الاية وقيل ان قوما من المسلمين تمنوا يوما كيوم بدر ليقاتلوا فيه وليستشهدوا فاراهم الله يوم
احد ومعنى قوله تمنون اي تطلبون اسباب الموت وهو القتال والجهاد من قبل ان تلقوه يعني
من قبل ان تلقوه يوم احد فقد رايتموه يعني رايتم ما كنتم تتمنون والهاء في رايتموه عائدة على الموت
وهو القتال والجهاد اي رايتم اسبابه معاينين له حيث قتل من قتل من اخوانكم بين ايديكم وانتم
تنظرون قيل ذكره تاكيدا قال الزجاج معناه فقد رايتموه وانتم بصراء كما تقول رايت كذا وكذا وليس
في عينك علة اي رايته رؤية حقيقة وقيل معناه وانتم تنظرون ما تمنيتم فلم انهزمتم قوله عز وجل
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل قال اهل المغازي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

حتى نزل بالشعب من احد في سبعماية رجل وجعل عبد الله بن جبير على الرجالة وكانوا خمسين رجلا وقال
اقيموا باصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من خلفنا فان كانت لنا او علينا لا تبرحوا
من مكانكم حتى ارسل اليكم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وكانت قريش وعلى ميمنتهم خالد بن
الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابي جهل ومعهم النسا يضربن بالدفوف وينشدون الاشعار فقاتلوا
حتى حميت الحرب وحمل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه على المشركين فهزموهم وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد اخذ سيفا وقال من ياخذ السيف بحقه ويضرب به العدو حتى ينحني فاخذ
ابو دجانة سماك بن خرشة الانصاري فلما اخذه اعتم بعمامة حمرا وجعل يتبختر في مشيته فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انها المشية يبغضها الله ورسوله الا في هذا الموضع فلما نظر الرماة
الى المشركين وقد انكشفوا وراوا اصحابهم خالية صاح في خيله وحمل على اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم فهزموهم ورمى عبد الله بن قمية رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر انفه ورباعيته وشج
وجهه فاثقله وتفرق عنه اصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة ليعلوها فلم
يستطع وكان ظاهر بين درعين فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى على الصخرة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة ووقعت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم يجدعن الاذان والانوف حتى اتخذت من ذلك قلايد واعطتها وحشيا وبقرت عن كبد
حمزة رضي الله عنه وكان قد قتل يومئذ فاخذت منها قطعة فلاكتها فلم تسغها فلفظتها واقبل
عبد الله بن قمية يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب راية رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قمية وهو يرى انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع وقال
اني قتلت محمدا وصاح صارخ الا ان محمدا قد قتل ويقال ان الصارخ ابليس اللعين فانكفأ الناس وجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الي عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا
عنه المشركين ورمى سعد بن ابي وقاص حتى اندقت سية قوسه ونثل له رسول الله صلى الله عليه وسلم
كنانته وقال ارم فداك ابي وامي وكان ابو طلحة رجلا راميا شديد النزع كسر يومئذ قوسين او ثلاثة وكان
الرجل يمر معه جعبة النبل فيقول انثرها لابي طلحة وكان اذا رمى تشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر
مواضع نبله واصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصيبت عين
قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادت كاحسن ما
كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ادركه ابي بن خلف الجمحي وهو يقول لا نجوت ان نجوت فقال
القوم يا رسول الله الا يعطف عليه رجل منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه حتى اذا دنا
منه وكان ابي قبل ذلك يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول عندي رمكة اعلفها كل يوم فرق ذرة اقتلك
عليها فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بل انا اقتلك ان شا الله فلما دنا منه تناول رسول الله صلى
الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ثم استقبله وطعنه في عنقه وخدشه خدشة فتدهدا عن فرسه
وهو يخور كما يخور الثور ويقول قتلني محمد فاحتمله اصحابه وقالوا ليس عليك باس فقال بل لو كانت هذه
الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم اليس قال لي انا اقتلك فلو بزق علي بعد تلك المقالة لقتلني بها فلم يلبث
بعد ذلك الا يوما حتى مات بموضع يقال له سرف خ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من قتله نبي في سبيل الله اشتد غضب الله على قوم ادموا وجه

لنبي الله

لنبي الله قالوا وفشا في الناس ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا الى
عبد الله بن ابي فياخذ لنا امانا من ابي سفيان وجلس بعض الصحابة والقوا بايديهم وقال اناس من المنافقين
ان كان محمدا قد قتل فالحقوا بدينكم الاول وقال انس بن النضر عم انس بن مالك رضي الله عنهما يا قوم
ان كان محمدا قد قتل فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا
على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اعتذر اليك مما يقول هولا يعني المسلمين وابرا
اليك مما جا به هولا يعني المشركين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الصخرة وهو يدعو الناس فاول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال عرفت
عينيه تزهران تحت المغفر فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاشار الي ان اسكت فانحازت اليه طايفة من اصحابه فلامهم النبي صلى الله عليه وسلم على الفرار فقالوا
يا نبي الله فديناك بابائنا وامهاتنا اتانا الخبر انك قد قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فانزل الله
عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ومعنى الاية فسيخلو محمد كما خلت الرسل من قبله فكما ان
اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلو انبيايهم فعليكم انتم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة
الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين ظهراني قومه ومحمد اسم علم لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وفيه اشارة الى وصفه بذلك وتخصيصه بمعناه وهو الذي كثرت خصاله المحمودة والمستحق لجميع المحامد
لانه الكامل في نفسه صلى الله عليه وسلم فاكرم الله نبيه عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وسماه باسمين
مشتقين من اسمه المحمود سبحانه وتعالى فسماه محمدا وفي ذلك يقول حسان بن ثابت

الم تر ان الله ارسل عبده	ببرهانه والله اعلا وامجد
اغر عليه للنبوة خاتم	من الله مشهور يلوح ويشهد
وشق له من اسمه ليجله	فذو العرش محمود وهذا محمد

ق عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي
الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس بعده
نبي وسماه الله رؤوفا رحيما م عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يسمي لنا نفسه اسما فقال انا محمد وانا احمد والمقفي ونبي التوبة قوله المقفي هو اخر الانبيا الذي
لا نبي بعده والرسول المرسل ويكون بمعنى الرسالة والمراد به هنا المرسل بدليل قوله وانك لمن المرسلين
افاين مات او قتل انقلبتم على اعقابكم يعني اتنقلبون على اعقابكم ان مات محمد او قتل وترجعون الى
دينكم الاول يقال لكل من رجع الى ما كان عليه رجع وراه ونكص على عقبه وحاصل الكلام ان الله تعالى
بين ان موته صلى الله عليه وسلم او قتله لا يوجب ضعفا في دينه ولا الرجوع عنه بدليل موت ساير الانبيا
قبله وان اتباعهم ثبتوا على دين انبيايهم بعد موتهم ومن ينقلب على عقبيه يعني فيرتد عن دينه ويرجع
الى الكفر فلن يضر الله شيا يعني بارتداده لان الله لا يضره كفر الكافرين لانه غني عن العالمين وانما يضر
المرتد والكافر نفسه وسيجزي الله الشاكرين يعني الثابتين على دينهم الذي لم ينقلبوا عنه لانهم شكروا
نعمة الله عليهم بالاسلام وثباتهم عليه فسماهم الله شاكرين لما فعلوا والمعنى وسيثيب الله من شكره
على توفيقه وهدايته وروى ابن جبير عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في قوله وسيجزي الله الشاكرين
قال الثابتين على دينهم ابا بكر واصحابه وكان علي يقول ابو بكر امين الشاكرين وامين احبار الله وكان

اشكوتم واحتهم الي الله تعالى قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله اي بامر الله وبقضايه وقدره وعلمه وذلك ان يامر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت احد الا باذن الله وامره والمراد من الاية تحريض المسلمين على الجهاد وتشجيعهم على لقا العدو واعلامهم بان الحذر لا ينفع وان الحذر لا يدفع المقدور وان احدا لا يموت قبل اجله وان خاض المهالك واقتحم المعارك وان جا الاجل لم يندفع الموت بحيلة فلا فايدة في الخوف والجبن وفي الاية ايضا ذكر حفظ رسوله صلى الله عليه وسلم عند غلبة العدو وتخليصه منهم عند التفافهم عليه واسلام اصحابه له فانجاه الله تعالى من عدوه سالما مسلما لم يضره شي كتابا موجلا يعني موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر والمعنى ان الله تعالى كتب لكل نفس اجلا لا يقدر احد على تغيره وتقديمه او تاخيره وقيل الكتاب هو اللوح المحفوظ لان فيه اجال جميع الخلق ومن يرد ثواب الدنيا نوته منها يعني من يرد بعمله وطاعته الدنيا ويعمل لها نوته منها ما يكون جزا لعمله والمعنى نوته ما نشا مما قدرناه له نزلت في الذين تركوا المركز يوم احد وطلبوا الغنيمة ومن يرد ثواب الاخرة نوته منها يعني من اراد بعمله الاخرة نوته ثواب الله فيها نزلت في الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واعلم ان هذه الاية نزلت في الجهاد خاصة لكنها عامة في جميع الاعمال وذلك لان الاصل في ذلك كله يرجع الى نية العبد فان كان يريد بعمله الدنيا فليس له جزا الا فيها وكذلك من اراد بعمله الدار الاخرة تجزاه ايضا فيها ق عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وفي رواية بالنية وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها وفي رواية ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه وروى البغوي بسنده عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان نيته طلب الاخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه امره ولا ياتيه الا ما كتب له قوله تعالى وسنجزي الشاكرين يعني المومنين المطيعين الذين لم يشغلهم شي عن الجهاد ولم يريدوا باعمالهم الا الله والدار الاخرة قوله عز وجل وكاين من نبي اي وكم من نبي قتل معه وقرى قاتل معه فمن قرا قتل بضم القاف فله وجهان احدهما ان يكون القتل راجعا على النبي وحده فعلى هذا يكون الوقف على قتل لانه كلام تام وفيه اضمار تقديره قتل ومعه ربيون كثير والمعنى ان كثيرا من الانبيا قتلوا والذين بقوا بعدهم فما وهنوا في دينهم ولا استكانوا بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغي لكم ان تكونوا مثلهم الوجه الثاني ان القتل نال النبي ومن معه من الربيين ويكون المراد البعض ويكون قوله فما وهنوا راجعا الى الباقين والمعنى وكاين من نبي قتل بعض من كان معه فما ضعف الباقون لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم فكان ينبغي لكم ان تكونوا كذلك الوجه الثالث ان يكون القتل نالا الربيين لا النبي والمعنى وكاين من نبي قتل من كان معه وعلى دينه ربيون كثير ومن قرا قاتل معه ربيون كثير فالمعنى وكاين من نبي قاتل معه العدد الكثير من اصحابه فاصابهم من عدوهم قروح وجراحات فما وهنوا لما اصابهم بل استمروا على جهاد عدوهم لان الذي اصابهم انما هو في سبيل الله وطاعته واقامة دينه ونصرة نبيه فكان ينبغي لكم ان تفعلوا مثل ذلك يا امة محمد وحجة هذه القراة ما روي عن سعيد بن جبير انه قال سمعنا ان نبيا قتل في القتال وقوله ربيون كثير قال ابن عباس جموع كثيرة وقيل الربانيون الالوف

الربية الواحدة عشرة الاف وقيل الف وقيل ربيون يعني فقها علما وقيل الربيون هم الاتباع فما وهنوا اي فما جبنوا عن الجهاد في سبيل الله لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا يعني عن مجاهدة عدوهم بما نالهم من الم الجراح وقتل الاصحاب وما استكانوا يعني وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم ولكنهم صبروا على ما امرهم نبيهم وجهاد عدوهم وهذا تعريض لما اصابهم يوم احد من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعفهم عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حتى ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان والمقصود من الاية حكاية ما جرى لساير الانبيا واتباعهم ليقتدي هذه الامة بهم وترغيب الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد والله يحب الصابرين يعني في الجهاد والمعنى من صبر على تحمل الشدايد في طلب الاخرة ولم يظهر الجزع والعجز فان الله يحبه ومحبة الله للعبد عبارة عن ارادة اكرامه واعزازه وايصال الثواب له وادخاله الجنة مع اوليايه واصفيايه ثم قال تعالى وما كان قولهم يعني قول الربيين الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا فيدخل فيه جميع الذنوب الصغاير والكباير واسرافنا في امرنا يعني وما اسرفنا فيه فتخطينا الى العظام من الذنوب لان الاسراف الافراط في الشي ومجاوزة الحد فيه فيكون المعنى اغفر لنا ذنوبنا الصغاير منها والكباير وثبت اقدامنا يعني لكي لا نزول عند لقا العدو وذلك يكون بازالة الخوف والرعب من قلوبهم وانصرنا على القوم الكافرين لان النصر على الاعدا لا يكون الا من عند الله بين الله تعالى انهم كانوا مستعدين عند لقا العدو بالدعا والتضرع وطلب الاعانة من الله تعالى والغرض منه ان يقتدي بهم في هذه الطريقة الحسنة امة محمد صلى الله عليه وسلم يقول هلا فعلتم مثل ما فعلوا وقلتم مثل ما قالوا فاتاهم الله ثواب الدنيا يعني النصر والغنيمة وقهر الاعدا والثنا الجميل وغفران الذنوب والخطا وحسن ثواب الاخرة يعني الجنة وما فيها من النعيم المقيم وانما خص ثواب الاخرة بالحسن تنبيها على جلالة وعظمته لانه غير زايل ولا يشوبه تنغيص ولا يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلته ولانه سريع الزوال مع ما يشوبه من التنغيص والله يحب المحسنين يعني الذين يفعلون مثل الذي فعل هولا وهذا التعليم من الله تعالى لعباده المومنين ان يقولوا مثل هذا عند لقا العدو وفيه دقيقة لطيفة وهي انهم لما اعترفوا بذنوبهم وكونهم مسيبين سماهم الله محسنين قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يعني اليهود والنصارى وقيل المنافقين وذلك في قولهم للمومنين عند الهزيمة يوم احد ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وقيل معناه ان تطيعوهم فيما يامرونكم به من ترك الجهاد يردوكم على اعقابكم يعني يرجعوكم الى امركم الاول وهو الكفر والشرك بالله تعالى بعد الايمان به لان قبول قولهم في الدعوة الى الكفر كفر فتنقلبوا خاسرين يعني مغبونين في الدنيا والاخرة اما خسارة الدنيا فهو طاعة الكفار والتذلل للاعدا واما خسارة الاخرة فهو دخول النار وحرمان دار القرار بل الله مولاكم اي وليكم وناصركم وحافظكم فاستعينوا وهو خير الناصرين يعني انه تعالى قادر على نصركم والمعنى انكم انما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم وهم عاجزون عن نصر انفسهم فضلا عن غيرهم فاطلبوا النصر من الله تعالى فهو خير الناصرين قوله عز وجل سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب وذلك ان ابا سفيان ومن معه لما ارتحلوا يوم احد متوجهين الى مكة فلما بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بيس ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشديد تركناهم ارجعوا اليهم فاستاصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله في قلوبهم الرعب يعني الخوف الشديد حتى رجعوا عما هموا به فعلى هذا القول يكون الوعد بالقا

الرعب في الذين كفروا مخصوص بيوم احد وقيل انه عام وان كان السبب خاصا لقوله صلى الله عليه وسلم
نصرت بالرعب مسيرة شهر فكانه تعالى قال سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب منكم حتى تقهروهم ويظهر
دينكم على سائر الاديان والملل كما قال تعالى ليظهره على الدين كله **بما اشركوا بالله** يعني انما كان القاء
الرعب في قلوبهم في سبب اشراكهم بالله **ما لم ينزل به سلطانا** يعني حجة وبرهانا سميت الحجة سلطانا
لان السلطان مشتق من التسليط ونورا يستضيء به وقيل السلطان القدرة والقوة وسميت الحجة
سلطانا لقوتها على دفع الباطل **ومأواهم النار** لما بين الله حال الكفار في الدنيا وتقوله الرعب والخوف
في قلوبهم بين حالهم في الاخرة فقال تعالى ومأواهم النار اي مسكنهم **وبئس مثوى الظالمين** اي المسكن
الذي يستقرون به ويقيمون فيه وكلمة بئس تستعمل في جميع المذام والمعنى بئس مقام الظالمين الذين
ظلموا انفسهم باكتسابهم ما اوجب لهم عذاب النار والاقامة فيها قوله تعالى **ولقد صدقكم الله وعده**
قال محمد بن كعب القرظي لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الى المدينة من احد وقد اصابهم
ما اصابهم قال ناس من الصحابة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فانزل الله تعالى ولقد
صدقكم الله وعده يعني بالنصر والظفر وذلك ان الظفر كان للمسلمين في الابتداء وقيل ان الله
وعد المؤمنين النصر باحد فنصرهم فلما خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا الغنيمة
هزموا **اذ تحسونهم** يعني اذ تقتلون الكفار قتلا ذريعا وقيل معنى تحسونهم تستاصلونهم بالقتل
باذنه اي بعلم الله وامره وقيل بقضاء الله وقدره **حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم** قال الفراء
تقديم وتاخير تقديره حتى اذا تنازعتم في الامر وعصيتم فشلتم وقيل معناه ولقد صدقكم الله وعده بالنصر
الى ان كان منكم الفشل والتنازع والمعصية وقيل فيه معنى الشرط وجوابه محذوف تقديره حتى اذا فشلتم
ضعفتم والفشل الضعف مع جبن ومعنى التنازع الاختلاف وكان اختلافهم وتنازعهم ان الرماة الذين
كانوا مع عبيد الله بن جبير لما انهزم المشركون قال بعضهم لبعض اي قوم ما نصنع بمقامنا ههنا وقد انهزم
المشركون ثم اقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم لا نجاوز امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبد الله بن
جبير امير القوم في نفر يسير دون العشرة ممن كان معه فلما راى خالد بن الوليد وعكرمة بن ابي جهل ذلك
حملوا على الرماة الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير واصحابه رضي الله عنهم واقبلوا على المسلمين وتحولت
الريح دبورا بعدما كانت صبا وانتقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتتلون على غير شعارهم
بعضهم بعضا وما يشعرون بذلك من الدهش ونادى ابليس ان محمدا قد قتل فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين
قوله وعصيتم يعني امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امركم به من لزوم المركز **من بعد ما اراكم ما تحبون**
يعني من النصر والظفر والغنيمة يا معشر المسلمين **منكم من يريد الدنيا** يعني الذين تركوا المركز واقبلوا
على النهب **ومنكم من يريد الاخرة** يعني الذين ثبتوا مع اميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه ما شعرت ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم
احد ونزلت هذه الاية **ثم صرفكم عنهم** يعني يا معشر المسلمين عنهم يعني عن المشركين بالهزيمة **ليبتليكم**
يعني ليمتحنكم وقيل لينزل عليكم البلاء لتتوبوا اليه وتستغفروه وقيل معناه ليختبركم وهو اعلم فيتميز المؤمن من
المنافق ومن يريد الدنيا ممن يريد الاخرة **ولقد عفا عنكم** يعني ولقد عفا الله عنكم ايها المخالفون امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم يستاصلكم بعد المخالفة والمعصية وقيل عفا عن عقوبتكم ايها المخالفون **والله
ذو فضل على المؤمنين** وهذا من تمام نعمه على عباده المؤمنين لانه نصرهم اولا ثم عفى عن المذنبين منهم

ثانيا

ثانيا لانه ذو الفضل والطول والاحسان وفي الاية دليل على ان صاحب الكبيرة مؤمن وان الله يعفو عنه
بفضله وكرمه لان الله سماهم مؤمنين مع ما ارتكبوه من مخالفة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو كبيرة وعفا عنهم بعد ذلك قوله عز وجل **اذ تصعدون** قيل هو متعلق بما قبله والتقدير ولقد
عفا عنكم اذ تصعدون لان عفوه عنهم لا بد وان يتعلق بامر اقترفوه وذلك الامر هو ما بينه بقوله اذ
تصعدون يعني هاربين في الجبل وقيل هو ابتداء كلام لا تعلق له بما قبله والمعنى اذكروا اذ تصعدون
قراءة الجمهور بضم التاء وكسر العين من الاصعاد وهو الذهاب في الارض والابعاد وقرا الحسن تصعدون
بفتح التاء من الصعود والارتقاء من اسفل الى الاعلى كالصعود في الجبل عند الهزيمة والثاني انه الابعاد
في الارض حال الهزيمة ووقت الهرب **ولا تلوون على احد** اي لا تعرجون ولا تقيمون على احد ولا يلتفت
بعضكم الى بعض من شدة الهرب **والرسول يدعوكم في اخراكم** اي في اخركم ومن ورائكم يقول الي عباد
الله انا رسول الله من كر اي رجع فله الجنة **فاثابكم غما بغم** يعني فجازاكم بفراركم عن نبيكم صلى الله عليه
وسلم وفشلكم عن عدوكم غما بغم فسمى العقوبة التي عاقبهم بها ثوابا على سبيل المجاز لان لفظ الثواب
لا يستعمل في الاغلب الا في الخير وقد يجوز استعماله في الشر لانه ماخوذ من باب اذا رجع فاصل الثواب كل ما
يعود الى الفاعل من جزاء فعله سواء كان خيرا او شرا فمتى حملنا لفظ الثواب على اصل اللغة كان الكلام صحيحا
ومتى حملناه على الاغلب كان على سبيل المجاز فهو كقول الشاعر

اخاف زيادا ان يكون عطاؤه ... اداهم سودا او محدرجة سمرا

فجعل العطاء مكان العقاب لان الاداهم السود القيود الثقال والمحدرجة هي السياط والباء في قوله
غما بغم بمعنى مع او بمعنى على لان حروف الجر ينوب بعضها عن بعض وقيل الباء على بابها والمعنى غما متصلا
بغم واختلفوا في معنى الغمين فقيل الغم الاول ما اصابهم من القتل والجراح والغم الثاني هو ما سمعوا ان
محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فانساهم غمهم الاول وقيل الغم الاول هو انهم غموا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمخالفة امره فجازاهم الله بذلك الغم القتل والهزيمة وقيل ان غمهم الاول هو سبب اشراف خالد بن
الوليد مع خيل المشركين عليهم والغم الثاني حين اشرف ابو سفيان عليهم وذلك ان ابا سفيان واصحابه
وقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون اليهم غمهم ذلك وظنوا انهم يميلون عليهم فيقتلونهم فاهمهم ذلك
قوله تعالى **لكيلا** في لفظ لا قولان احدهما انها باقية على اصلها ومعناها النفي فعلى هذا يكون الكلام
متصلا بقوله ولقد عفا عنكم والمعنى ولقد عفا عنكم لكيلا **تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم** لان عفوه
يذهب كل هم وحزن وقيل معناه فاثابكم غما انساكم الحزن على ما فاتكم وما اصابكم وقد روي انهم لما
سمعوا ان النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل نسوا ما اصابهم وما فاتهم والقول الثاني الذي فاتهم الغنيمة
والذي اصابهم القتل والهزيمة **والله خبير بما تعملون** اي هو عالم بجميع اعمالكم خيرها وشرها فيجازيكم
عليها قوله تعالى **ثم انزل عليكم** يا معشر المسلمين **من بعد الغم** الذي اصابكم **امنة نعاسا** يعني امنا والامنة
والامن واحد وقيل الامن يكون مع زوال الخوف والامنة مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف بعد باق
والنعاس اخف النوم والمعنى اعقبكم بما نالكم من الخوف والرعب ان امنكم امنا تنامون معه لان الخائف
لا يكاد ينام فامنهم بعد خوفهم **يغشى طائفة منكم** قال ابن عباس امنهم يومئذ بنعاس يغشاهم وانما ينعس
ياس والخائف لا ينام (خ) عن انس بن ابي طلحة رضي الله عنهما قال كنت فيمن تغشاه النعاس يوم احد
حتى سقط سيفي من يدي مرارا يسقط واخذه ويسقط واخذه واخرجه الترمذي عنه قال غشينا النعاس

وهو في مصافنا يوم احد وذكر عن رواية البخاري وراد الطايفة الاخرى المنافقين ليس لهم الا انفسهم
احبن قوم وارعبه واخذله للحق وفي رواية اخرى له قال رفعت راسي يوم احد فجعلت انظر وما منهم يوميذ
احد الا يميد تحت حجفته من النعاس فذلك قوله ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا وقال الزبير
ابن العوام لقد رايتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف ارسل الله تعالى
علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما اسمع الا كالحلم يقول لو كان لنا
من الامر شي ما قتلنا ها هنا فقوله تعالى يغشى طايفة منكم يعني المومنين وطايفة قد اهمتهم انفسهم يعني
المنافقين اراد الله ان يميز المومنين من المنافقين فاوقع النعاس على المومنين حتى امنوا ولم يوقع النعاس
على المنافقين فبقوا في الخوف وفي القا النعاس على المومنين دون المنافقين اية عظيمة ومعجزة باهرة
لان النعاس كان سبب امن المومنين وعدم النعاس عن المنافقين كان سبب خوفهم وهو قوله تعالى **وطايفة**
قد اهمتهم انفسهم يعني حملتهم انفسهم على الهم لان اسباب الخوف وهو قصد الاعدا كانت حاصلة عندهم
يظنون بالله غير الحق يعني يظنون ان الله لا ينصر محمدا او قتل وان امره قد يضمحل والمعنى يظنون بالله
غير الحق الذي يجب ان يظنون به **ظن الجاهلية** اي كظن الجاهلية **يقولون** يعني المنافقين **هل لنا** اي ما لنا
من الامر من شي وذلك انهم لما شاوروا النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي بن سلول راس المنافقين في
هذه الواقعة واشار عليه ان لا يخرج من المدينة فلما خالفه النبي صلى الله عليه وسلم وخرج وقتل من
قتل قيل لعبد الله بن ابي قد قتل بنو الخزرج قال هل لنا من الامر من شي وهو استفهام على سبيل الانكار اي
ما لنا امر يطاع وقيل المراد بالامر النصر والظفر يعني ما لنا من هذا الذي يعدنا محمد به من النصر والظفر
من شي انما هو للمشركين **قل** يعني يا محمد لهولا المنافقين **ان الامر كله لله** يعني النصر والظفر والقضا
والقدر كله لله وبيده وهو يتصرف حيث شا ويدبره كيف احب **يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك** يعني
في الكفر والشك في وعد الله عز وجل وقيل يخفون الندم على خروجهم مع المسلمين وقيل الذي اخفوه هو قوله
تعالى حكاية عنهم **يقولون لو كان لنا من الامر شي ما قتلنا ها هنا** وذلك ان المنافقين قال بعضهم
لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد الى قتال اهل مكة ولم يقتل روساونا وقيل كانوا يقولون لو كنا على
الحق ما قتلنا ها هنا وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى يظنون بالله غير الحق يعني التكذيب
بالقدر وهو قولهم لو كان لنا من الامر شي ما قتلنا ها هنا قيل ان الذي قال هل لنا من الامر من شي هو
عبد الله بن ابي بن سلول والذي قال لو كان لنا من الامر شي هو معتب بن قشير **قل** اي يا محمد لهولا المنافقين
لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل اي قضي عليهم القتل وقدر عليهم **الى مضاجعهم** يعني
مصارعهم التي يصرعون بها وقت القتل ومعنى الاية ان الحذر لا ينفع مع القدر والتدبير لا يقاوم
التقدير فالذي قدر عليهم القتل وقضاه وحكم به عليهم لا بد وان يقتلوا والمعنى لو جلستم في بيوتكم
لخرج منها وظهر الذين قضى الله عليهم القتل الى حيث يقتلوا فيه **وليبتلي الله ما في صدوركم** اي وليختبر
ما في صدوركم ليعلمه مشاهدة كما علمه غيبا لان المجازاة انما تقع على ما علمه مشاهدة وقيل معناه
وليعاملكم معاملة المبتلي المختبر لكم وقيل معناه ليبتلي اوليا الله ما في صدوركم فاضاف الابتلا اليه
تعظيما لشان اوليايه المومنين **وليمحص ما في قلوبكم** قال قتادة اي يطهرها من الشك والارتياب
بما يريكم من عجايب صنعه في القا الامنة وصرف العدو واظهار سراير المنافقين فعلى هذا يكون الخطاب
للمومنين خاصة وقيل معناه وليتبين وليظهر ما في قلوبكم يعني من الاعتقاد لله ولرسوله وللمومنين

من العداوة فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين خاصة **والله عليم بذات الصدور** يعني بالاشيا
الموجودة في الصدور وهي الاسرار والضماير لانه عالم بجميع المعلومات قوله عز وجل **ان الذين تولوا منكم**
يوم التقى الجمعان اي انهزموا وهربوا يا معشر المسلمين فهو خطاب لمن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم
من المومنين يوم احد باحد وكان انهزم اكثر المسلمين ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة عشر
رجلا وقيل اربعة عشر من المهاجرين سبعة ومن الانصار سبعة فمن المهاجرين ابو بكر وعلي وطلحة بن عبيد
الله وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنهم يوم التقى الجمعان **انما استزلهم**
الشيطان اي طلب زلتهم كما يقال استعجلته اي طلبت عجلته وقيل حملهم على الزلة وهي الخطية وذلك
بالقا الوسوسة في قلوبهم لانه امرتهم بها **ببعض ما كسبوا** يعني بمعصيتهم النبي صلى الله عليه وسلم وتركهم
المركز وقيل استزلهم الشيطان بتذكير خطايا سبقت لهم فكرهوا ان يقتلوا قبل اخلاص التوبة
منها وهذا اختيار الزجاج لانه قال لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على الفرار من الزحف رغبة في الدنيا
وانما ذكرهم الشيطان خطايا سبقت لهم فكرهوا لقا الله الا على حالة يرضاها **ولقد عفا الله عنهم**
يعني ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا يوم التقى الجمعان فلم يعاقبهم بذلك وغفر لهم قيل ان عثمان
عوتب في هزيمة يوم احد فقال ان ذلك وان كان خطا لكن الله قد عفا عنه وقرا هذه الاية
ان الله غفور يعني لمن تاب واناب **حليم** لا يعجل بالعقوبة ولم يستاصلهم بالقتل قوله تعالى **يا ايها**
الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه **وقالوا لاخوانهم**
يعني في النفاق والكفر وقيل لاخوانهم في النسب وكانوا مسلمين **اذا ضربوا في الارض** يعني اذا سافروا
في الارض لتجارة وغيرها **او كانوا غزا** جمع غاز اي في غزاة في الكلام حذف دل المعنى على ذلك الحذف
وهو اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزا فقتلوا **لو كانوا عندنا** يعني مقيمين **ما ماتوا وما**
قتلوا ليجعل الله ذلك يعني قولهم وظنهم **حسرة في قلوبهم** يعني غما واسفا **والله يحيي ويميت**
هذا رد لقول المنافقين لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا والمعنى ان الامر بيد الله وان المحيي المميت
هو الله فقد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد عن الغزو كما يشا فكيف ينفع الجلوس في
البيت وهل يحمي احدا من الموت **والله بما تعملون بصير** يعني ان الله تعالى مطلع على ما تعملون خيرا او شرا
فيجازيكم به فاتقوه ولا تكونوا مثل المنافقين لان مقصودهم تنفير المومنين عن الجهاد بقولهم لو كانوا
عندنا ما ماتوا وما قتلوا فان الله هو المحيي المميت فمن قدر له البقا لم يقتل في الجهاد ومن قدر له
الموت لم يبق وان اقام ببيته عند اهله فلا تقولوا انتم ايها المومنون لمن يريد الخروج الى الجهاد لا تخرج
فتقتل فلا يموت في الجهاد فيستوجب الثواب فان ذلك خير له من ان يموت في بيته بلا فايدة واليه
الاشارة بقوله تعالى **ولين قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة** يعني في العاقبة **خير**
مما يجمعون يعني من الغنايم والمعنى ولين تم عليكم ما تخافونه من القتل في سبيل الله او الهلاك بالموت
فان ما تنالونه بالمغفرة والرحمة بالموت والقتل في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها
لو لم تموتوا **ولين متم او قتلتم لالى الله تحشرون** يعني الى الله الرحيم الواسع الرحمة والمغفرة
والمثيب العظيم الثواب تحشرون في الاخرة فيجازيكم باعمالكم وقد قسم بعض مقامات العبودية
ثلاثة اقسام فمن عبد الله خوفا من ناره امنه مما يخاف واليه الاشارة بقوله تعالى لمغفرة من الله
ومن عبد الله شوقا الى جنته اناله ما يرجوا واليه الاشارة بقوله ورحمة لان الرحمة من اسماء

الجنة ومن عبد الله شوقا الى وجهه الكريم لا يريد غيره فهذا هو العبد المخلص الذي يتجلى له الحق سبحانه
وتعالى في دار كرامته والى الاشارة بقوله تعالى لي الله عشرون قوله عز وجل **فبما رحمة من الله**
لنت لهم اي فبرحمة من الله وما صلة لنت لهم اي سهلت لهم اخلاقك وكثرت احتمالك ولم تسرع اليهم
بتعنيف على ما كان منهم يوم احد ومعنى فبما رحمة من الله هو توفيق الله عز وجل نبيه صلى الله عليه
وسلم للرفق والتلطف بهم وان الله تعالى القى في قلب نبيه صلى الله عليه وسلم داعية الرحمة واللطف
حتى فعل ذلك معهم **ولو كنت فظا** يعني جافيا **غليظ القلب** يعني قاسي القلب سيء الخلق قليل الاحتمال
لانفضوا من حولك اي لتفرقوا عنك وتفرقوا احتى لا يبقى منهم احد عندك **فاعف عنهم** اي تجاوز عن
زلاتهم وما اتوا يوم احد **واستغفر لهم** اي واسال الله المغفرة لهم حتى تشفعك فيهم وقيل فاعف عنهم
فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحقوق الله وذلك من تمام الشفقة عليهم **وشاورهم في الامر**
اي استخرج اراءهم واعلم ما عندهم واختلف العلما في المعنى الذي من اجله امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم
بالمشاورة لهم مع كمال عقله وجزالة رايه ونزول الوحي عليه ووجوب طاعته على كافة الخلق فيما
احبوا وكرهوا فقيل هو عام مخصوص والمعنى وشاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد وذلك
في امر الحرب ونحوه من امور الدنيا لتستظهر برايهم فيما تشاورهم فيه وقيل امر الله عز وجل نبيه محمدا صلى
الله عليه وسلم بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم فان ذلك اعطف لهم عليه واذهب لاضغانهم فان سادات
العرب كانوا اذا لم يشاوروا في الامور شق ذلك عليهم وقال الحسن قد علم الله تعالى انه ما به الى مشاورتهم
حاجة ولكن اراد ان يستن به من بعده من امته وقيل انما امر بمشاورتهم ليعلم مقادير عقولهم وافهامهم
لا ليستفيد منهم رايا وروى البغوي بسنده عن عايشة رضي الله عنها انها قالت ما رايت رجلا اكثر
استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفق العلما ان كل ما انزل فيه وحي من الله
عز وجل لم يجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشاور فيه الامة وانما امر ان يشاور فيما سوى
ذلك من امر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك وقيل ان يشاورهم في امر الدين والدنيا فلم ينزل عليه فيه شي لان
النبي صلى الله عليه وسلم شاورهم في اسارى بدر وهو من امر الدين قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الاستشارة
عين الهداية وقد خاطر من استغنى برايه والتدبير قبل العمل يؤمنك الندم وقال بعض الحكما استنبط الصواب
بمثل المشاورة انه قد يعزم الانسان على امر فيشاور فيه فيتبين له الصواب في قول غيره فيعلم بذلك عجز نفسه
عن الاحاطة بفنون المصالح ومنها انه اذا لم ينجح امره علم ان امتناع النجاح محض قدر فلم يلم نفسه وقال
بعضهم في مدح المشاورة

وشاور اذا شاورت كل مهذب	لبيب اخا حزم لترشد في الامر
ولا تك ممن يستبد برايه	فتعجز او لا تستريح من الفكر
الم تر ان الله قال لعبده	وشاورهم في الامر حتما بلا نكر

وقوله تعالى **فاذا عزمت** يعني على المشاورة **فتوكل على الله** اي فاستعن بالله في امورك كلها وثق به و
لا تعتمد الا عليه فانه ولي الاعانة والعصمة والتسديد والمقصود ان لا يكون للعبد اعتماد على شي الا على
الله تعالى في جميع اموره وان المشاورة لا تنافي التوكل **ان الله يحب المتوكلين** يعني المتوكلين عليه في جميع
امورهم قوله تعالى **ان ينصركم الله** يعني ان يعنكم الله بنصره ويمنعكم من عدوكم كما فعل يوم بدر **فلا غالب**
لكم يعني من الناس لان الله هو المتولي لنصركم **وان يخذلكم** كما فعل يوم احد فلم ينصركم ووكلكم الى انفسكم لمخالفتكم
امره وامر رسوله صلى الله عليه وسلم **فمن ذا الذي ينصركم من بعده** اي من بعد خذلانه **وعلى الله فليتوكل**

المومنون

المومنون لا على غيره لان الامر كله لله ولا راد لقضايه ولا دافع لحكمه فيجب ان يتوكل العبد في كل اموره على الله
تعالى لا على غيره وقيل التوكل ان لا تعصي الله من اجل رزقك ولا تطلب لنفسك ناصرا غيره ولا لعملك شاهدا
سواه عن عمران بن حصين قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب
قالوا ومن هم يا رسول الله قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام
عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق
الطير تغدو خماصا وتروح بطانا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل **وما كان لنبي ان يغل**
الاية قال ابن عباس نزلت هذه الاية وما كان لنبي ان يغل في قطيفة حمرا فقدت يوم بدر فقال بعض القوم
لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فانزل الله الاية الى اخرها اخرجه ابو داود والترمذي وقال
حديث حسن غريب وروي عن الضحاك قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلايع فغنم النبي صلى الله
عليه وسلم فلم يقسم للطلايع فانزل الله تعالى وما كان لنبي ان يغل وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس
في قوله وما كان لنبي ان يغل يقول ما كان لنبي ان يقسم لطايفة من المسلمين ويترك طايفة ويجور في القسم
ولكن يقسم بالعدل ويأخذ فيه بامر الله ويحكم فيه بما انزل الله يقول ما كان الله ليجعل نبيا يغل من اصحابه
فاذا فعل ذلك النبي استنوا به وقال مقاتل والكلبي نزلت في غنايم احد حين ترك الرماة المركز للغنيمة
وقالوا نخشى ان يقول النبي صلى الله عليه وسلم من اخذ شيا فهو له وان لا يقسم الغنايم كما لم يقسم يوم بدر
فتركوا المركز ووقعوا في الغنايم فقال النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم
امري قالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ظننتم ان نغل فلا نقسم فانزل
الله هذه الاية وقال قتادة ذكر لنا انها نزلت في طايفة غلت من اصحابه وقيل ان الاقويا الحوا عليه يسالونه
من المغنم فانزل الله وما كان لنبي ان يغل يعني فيعطي قوما ويمنع اخرين بل عليه ان يقسم بينهم بالتسوية
وقال محمد بن كعب القرظي ومحمد بن يسار هذا في شان الوحي يقول وما كان لنبي ان يكتم شيا من الوحي رغبة
او رهبة او مداهنة الغلول هو الخيانة واصله اخذ الشي في خفية يقال غل فلان يغل فمن قرا يغل بفتح اليا
وضم الغين اي وما كان لنبي ان يخون لان النبوة والخيانة لا يجتمعان لان منصب النبوة اعظم المناصب
واشرفها واعلاها فلا يليق به الخيانة لانها في نهاية الرذالة والخسة والجمع بين الضدين محال فثبت بذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخن امته في شي لا من الغنايم ولا من الوحي وقيل المراد به الامة لانه قد ثبتت براءة
ساحة النبي صلى الله عليه وسلم من الغلول والخيانة فدل ذلك على ان المراد بالغلول غيره وقيل اللام
فيه منقولة معناه ما النبي ليغل على نفي الغلول عن الانبيا وقيل معناه ما كان لنبي الغلول اراد ما غل نبي
قط فنفى عن الانبيا الغلول وقيل معناه وما كان يحل لنبي الغلول وان لم يحل لم يفعله ووجه هذه القراءة
انهم نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم الى الغلول في بعض الروايات فبين الله تعالى بهذه الايات ان هذه
الخصلة لا تليق به ونفى عنه ذلك بقوله وما كان لنبي ان يغل ومن قرا بضم اليا وفتح الغين فلها معنيان
احدهما ان يكون من الغلول ايضا ومعناه وما كان لنبي ان يخان اي تخونه امته والثاني ان يكون من الاغلال
ومعناه وما كان لنبي ان يخون اي ينسب اليه الخيانة **ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة** يعني بالشي الذي
غله بعينه يحمله على ظهره يوم القيمة ليزداد فضيحة بما يحمله يوم القيمة وقيل يمثل ذلك الشي في النار
ثم يقال له انزل فخذه فينزل فيحمله على ظهره فاذا بلغ موضعه وقع ذلك الشي في النار فيكلف ان ينزل اليه

فيخرجه يفعل به ذلك ما شاء الله تعالى وقيل معناه يأت بإثم ما غل فيجازى به يوم القيمة وثم قوله تعالى
ثم توفى كل نفس ما كسبت يعني من خير او شر والمعنى ان لكل كاسب خيرا كان ذلك الكسب او شرا فهو مجزى به يوم
القيمة ويوفى جزاء عمله وهم لا يظلمون يعني بل يعدل بينهم يوم القيمة في الجزاء فيجازى كل على عمله **فصل**
في ذكر احاديث وردت في الغلول ووعيد الغال وقد تقدم ان اصل الغلول هو اخذ الشي في خفية وهو الخيانة
الا انه قد صار في العرف مخصوصا بالخيانة في الغنيمة وبهذا اوردنا الاحاديث ق عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره حتى قال لا الفين احدكم
يجي يوم القيمة على رقبته بعير له رغا يقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيا قد ابلغتك لا الفين
احدكم يجي يوم القيمة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك شيا لا الفين احدكم
يجي يوم القيمة على رقبته شاة لها ثغا يقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك من الله شيا قد ابلغتك
لا الفين احدكم يجي يوم القيمة رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله فاقول لا املك لك من الله شيا
لا الفين احدكم يجي يوم القيمة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك من الله
شيا قد ابلغتك لفظ مسلم الرغا صوت البعير والثغا صوت الشاة والرقاع الثياب والصامت الذهب
والفضة ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر ففتح الله علينا
فلم نغنم ذهبا ولا ورقا غنمنا المتاع والطعام والثياب ثم انطلقنا الى الوادي يعني وادي القرى ومع
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بني الضبيب
فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمي بسهم فكان فيه حتفه فقلنا هنيا له
الشهادة يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفس محمد بيده ان الشملة لتلتهب
عليه نارا اخذها من الغنايم يوم خيبر لم تصبها المقاسم قال ففزع الناس فجا رجل بشراك او شراكين فقال
اصبتهما يوم خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شراك من نار او شراكان من نار وفي رواية نحوه ومنه
ومعه عبد يقال له مدعم اهداه له احد بني الضباب وفيه اذ جاءه سهم عاير الشراك سير النعل الذي يكون
على ظهر القدم ومثله شسع النعل والسهم العاير هو السهم الذي لا يدرى من رماه خ عن عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنهما قال كان على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة فمات فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هو في النار فذهبوا ينظرون اليه فوجدوا عباءة قد غلها عن زيد بن خالد الجهني
ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم توفي فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على
صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم غل في سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا
من خرز يهود لا يساوي درهمين اخرجه ابو داود والنسائي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من غل فاحرقوا متاعه واضربوه اخرجه ابو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو
ابن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر حرقوا متاع الغال وضربوه زاد
في رواية ومنعوه سهمه اخرجه ابو داود وقوله تعالى افمن اتبع رضوان الله يعني بترك الغلول فلم يغل كمن
باء اي رجع بسخط من الله يعني بغضب من الله والمعنى بفعل والسخط الغضب الشديد المقتضي للعقوبة وهو
من الله انزال العقوبة لمن سخط عليه وقيل في معنى الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر المسلمين بالقتال
والخروج معه يوم احد اتبعه المؤمنون وتخلف عنه جماعة من المنافقين فاخبر الله تعالى ان من اتبعه بقوله
افمن اتبع رضوان الله وبحال من تخلف عنه كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير يعني الغال

المتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم هم درجات عند الله يعني ذو درجات عند الله قال ابن عباس يعني
من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفوا المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم
ولمن باء بسخط من الله العذاب الاليم والمعنى امن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ليسوا سواء بل هم
درجات عند الله على حسب اعمالهم وقيل الضمير في قوله هم درجات عايد على قوله افمن اتبع رضوان الله
فقط لان الغالب في العرف استعمال الدرجات لاهل الثواب والدركات لاهل العذاب ولانه الله وصف
من باء بسخط من الله ان مأواه جهنم وبئس المصير فدل على ان الضمير في قوله هم درجات عند الله والله
بصير بما يعملون فيه تحريض على العمل بطاعته وتحذير من العمل بمعاصيه قوله عز وجل لقد من الله على
المؤمنين يعني احسن اليهم وتفضل عليهم والمنة النعمة العظيمة وذلك في الحقيقة لا يكون الا الله تعالى
ومنه قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يعني من جنسهم عربيا مثلهم ولد ببلدهم
ونشا بينهم يعرفون نسبه وليس من احياء العرب الا وقد ولده وله فيهم نسب الا بني تغلب فانهم كانوا نصارى
وثبتوا على النصرانية فطهر الله رسول الله صلى الله عليه وسلم من ان يكون له فيهم نسب وقيل اراد بالمؤمنين
جميع المؤمنين ومعنى قوله تعالى من انفسهم اي بالايمان والشفقة لا بالنسب ومن جنسهم ليس بملك ولا
احد من غير بني ادم وقيل من انفسهم يعني من ولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام ووجه
المنة والانعام على المؤمنين ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه داعيا لهم الى ما يخلصهم من العذاب
العظيم ويوصلهم الى الثواب في جنات النعيم وكونه من انفسهم ومن جنسهم لانه اذا كان اللسان واحدا
سهل الاخذ عنه فيما يجب عليهم وكانوا واقفين على جميع احواله وانهم يعرفون صدقه وامانته فكان
ذلك اقرب الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم وكان فيما خطب به ابو طالب حين زوج
النبي صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وقد حضر ذلك بنو هاشم ورؤسا مضر فقال
الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضيضي معد وعنصر مضر وجعلنا سدنة بيته وسواس
حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام على الناس وابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به
فتى الا رجح وهو والله بعد هذا له نبا عظيم وخطب جليل وقيل في وجه المنة ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم
ان الخلق جبلوا على الجهل ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية فمن الله على خلقه وانعم عليهم واحسن
اليهم بان بعث فيهم رسولا من انفسهم انقذهم به من الضلالة وبصرهم به من الجهالة وهداهم به الى صراط
مستقيم وانما خص المؤمنين لانهم هم المنتفعون بما جاء به دون غيرهم يتلوا عليهم اياته يعني يقرا عليهم
كتابه الذي انزل عليه بعد ان كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شي من الوحي السماوي ويزكيهم اي
ويطهرهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات والخبايث ويعلمهم الكتاب والحكمة يعني القران والسنة التي
سنها لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وان كانوا من قبل اي من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه
وسلم لفي ضلال مبين يعني لفي جهالة وحيرة عن الهدى عميا لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فهداهم
الله بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى اولما اصابتكم يعني ما اصابهم يوم احد قد اصبتم مثليها
يعني يوم بدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم احد سبعين وقتل المسلمون من المشركين سبعين
واسروا سبعين وقيل ان المسلمين هزموا المشركين يوم بدر وهزموهم في اول الامر يوم احد فلما عصوا
الله ورسوله هزمهم المشركون فحصل انهزام المشركين مرتين وانهزام المسلمين مرة واحدة قلتم انى
هذا اي من اين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا وهو

استفهام انكار قل هو من عند انفسكم يعني انما وقعتم فيما وقعتم بشوم ذنوبكم وشوم مخالفتكم امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم اختار الاقامة في المدينة على الخروج الى العدو و
اختاروا هم الخروج اليه وايضا امر الرماة بالاقامة في الموضع الذي عينه لهم فخالفوه وتركوا المركز
لاجل الغنيمة فكان ذلك سبب القتل والهزيمة وروى عبيدة السلماني عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد كره ما صنع قومك في اخذهم الفدا
من الاسارى وقد امرك ان تخيرهم بين ان يضربوا اعناق الاسارى وبين ان ياخذوا الفدا على ان يقتل
منهم عدتهم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله عشايرنا واخواننا
بل ناخذ فداهم فنتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم فقتل منهم يوم احد سبعون عدد اسارى
اهل بدر رواه البغوي واسنده ابن جرير الطبري فذلك معنى قوله قل هو من عند انفسكم يعني باخذكم الفدا
واختياركم القتل لانفسكم ان الله على كل شيء قدير يعني من نصركم مع الطاعة وخذلكم مع المخالفة قوله عز
وجل وما اصابكم يعني من القتل والجراح والهزيمة يوم التقى الجمعان يعني جمع المومنين وجمع المشركين
وذلك يوم احد فباذن الله يعني فبعلمه وقضائه وقدره وحكمه وفيه تسلية للمومنين بما حصل
لهم يوم احد من القتل والهزيمة ولا تقع التسلية الا اذا علموا ان ذلك كان واقعا بقضا الله وقدره
فحينئذ يرضون بما قضى الله عليهم وليعلم المومنين وليعلم الذين نافقوا اي ليظهر ايمان المومنين
بثبوتهم على ما نالهم ويظهر نفاق المنافقين بقلة صبرهم على ما نزل بهم فالمراد من العلم المعلوم والتقدير
ليتبين المومن من المنافق وليتميز احدهما من الاخر والمنافق هو الذي اظهر الايمان بلسانه واضمر
خلافه واشتقاقه من النفق وهو السرب في الارض النافقا ومنه نافقا اليربوع لان له جحرين في الارض له
بابان اذا طلب من احدهما خرج من الاخر فكذلك المنافق صنع له طريقان احدهما اظهار الايمان
بلسانه والاخر اضمار الكفر بقلبه من ايهما طلب خرج من الاخر وقيل لانه دخل في الايمان من باب اخر
والنفاق اسم اسلامي لم تكن العرب تعرفه قبل الاسلام وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا
المنزول عبد الله بن ابي بن سلول المنافق واصحابه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى
احد وكان بالشوط بين احد والمدينة انخذل عبد الله بن ابي بن سلول بثلث الناس
وقال لا ندري علينا نقتل انفسنا فرجع بمن معه من المنافقين فتبعهم ابو جابر عبد الله بن عمرو بن حزم
الانصاري اخو بني سلمة وهو يقول يا قوم اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم عند حضور عدوهم فذلك قوله
تعالى وقيل لهم يعني المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه تعالوا قاتلوا في سبيل الله اي لاجل دين الله
وطاعته او ادفعوا يعني عن اموالكم واهليكم وقيل معناه تعالوا اكثروا سواد المسلمين ان لم تقاتلوا
ليكون ذلك دفعا وقمعا للعدو قالوا يعني المنافقين لو نعلم قتالا لاتبعناكم اي لو نعلم ان اليوم
يجري فيه قتال لاتبعناكم ولم نرجع ولو علموا انا اتبعوهم وقيل معناه لو نحسن قتالا لاتبعناكم هم للكفر
يعني المنافقين الى الكفر يومئذ اقرب منهم للايمان اي الى الايمان وانما قال تعالى يومئذ لانهم
قبل ذلك اليوم لم يظهروا ما اظهروه من المعاندة والرجوع عن المسلمين وقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم
وانما كانوا قبل ذلك يظهرون كلمة الاسلام ويظهرون الكفر يقولون بافواههم ما ليس في
قلوبهم يعني يظهرون بالسنتهم الايمان وليس هو في قلوبهم انما في قلوبهم الكفر والنفاق وهذه صفة
المنافقين لا صفة المومنين لان صفة المومن المخلص مواطاة القلب للسان على شيء واحد وهو التوحيد

والله

والله اعلم بما يكتمون يعني من النفاق الذين قالوا لاخوانهم نزلت في عبد الله بن ابي المنافق
واصحابه وفي المراد باخوانهم قولان احدهما ان المراد باخوانهم الذين استشهدوا باحد فيكون اخوانهم في
النسب لا في الدين والقول الثاني ان المراد باخوانهم المنافقين فعلى القول الاول يكون معنى الاية الذين
قالوا في اخوانهم او عن اخوانهم الذين قتلوا باحد لو اطاعونا ما قتلوا لانهم بعد ان قتلوا لا يخاطبون
وعلى القول الثاني يكون معنى الاية الذين قالوا وهم عبد الله بن ابي واصحابه لانهم يعني في النفاق وقعدوا
يعني عن الجهاد لو اطاعونا يعني هولاء الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني يوم احد فرد الله تعالى
عليهم بقوله قل يعني قل لهم يا محمد فادرؤوا اي فادفعوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين يعني ان الحذر ينفع
من القدر وفي الاية دليل على ان المقتول يموت باجله خلافا للمعتزلة فانه يزعم ان القتل قطع على المقتول اجله قوله عز وجل
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا قيل نزلت في شهدا بدر وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين
وثمانية من الانصار وقال اكثر المفسرين انما نزلت في شهدا احد ويدل على ذلك ما روي عن ابن عباس رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انه لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم
في جوف طير خضر ترد انهار الجنة تاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا
طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا احيا في الجنة لئلا يزهدوا في الجنة ولا ينكلوا
عند الحرب فقال الله تعالى انا ابلغهم عنكم وانزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا
عند ربهم الى اخر الاية اخرجه ابو داود م عن مسروق قال سالنا عبد الله عن هذه الاية ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون فقال اما انا قد سالنا عن ذلك فقال
ارواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شات ثم تاوي الى تلك القناديل
فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيا قالوا اي شي نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شينا ففعل
ذلك بهم ثلاث مرات فلما راوا انهم لم يتركوا من ان يسالوا قالوا يا رب نريد ان ترد ارواحنا في اجسادنا
حتى نقتل في سبيلك مرة اخرى فلما راى ان ليس لهم حاجة تركوا ذكر ما يتعلق بهذا الحديث قول مسروق
سالنا عبد الله كذا جا عبد الله غير منسوب ونسبه بعض الناس فقال عبد الله بن عمر وقد ذكره
ابن مسعود الدمشقي والحميدي في مسنده عبد الله بن مسعود وهو الصحيح وهذا الحديث مرفوع
لقوله اما انا قد سالنا عن ذلك فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث دليل على ان الجنة
مخلوقة الان خلافا للمعتزلة لقوله صلى الله عليه وسلم تسرح من الجنة حيث شات وهو مذهب اهل
السنة وفيه دليل على ان الارواح باقية لا تفنى بفنا الجسد وان المحسن ينعم ويجازى بالثواب وان المسي
يعذب ويجازى بالعقاب قبل يوم القيمة وهو مذهب اهل السنة ايضا قوله ارواحهم في جوف طير خضر
اي يجعل الله ارواح الشهدا في اجواف طير خضر وهذا ليس ببعيد لا سيما مع القول بان الارواح
اجسام لطيفة وقيل ان المنعم والمعذب من الارواح جزء من الجسد يبقى فيه الروح وهو الذي يتلذذ
بالنعيم ويتالم بالعذاب فغير مستحيل ان يصور الله ذلك الجزء طائرا ويجعل في جوف طير فتسرح في الجنة
وتاوي الى تلك القناديل وقد تعلق بهذا الحديث من يقول بالتناسخ من المبتدعة ويقول بانتقال
الارواح وتنعيمها في الصور الحسان المرفهة وتعذيبها في الصور القبيحة المنتنة ويزعمون ان
هذا هو الثواب والعقاب وهذا ضلال بين وقول سخيف وبدعة باطلة لما في هذا القول من
ابطال ما جاءت به الشرايع من الحشر والنشر والمعاد والجنة والنار وقد جا في بعض روايات هذا الحديث

ما يرد عليهم وتتوفوله حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه ويتوفونه مرا لغنيمة والله اعلم عن جابر
قال لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مهتم فقال ما لي اراك منكسرا قلت يا رسول الله استشهد
ابي يوم احد وترك عيالا ودينا فقال الا ابشرك بما لقي الله به اباك قلت بلى قال ما كلم الله احدا قط الا من ورا
حجاب وانه احيا اباك وكلمه كفاحا وقال عبدي تمن علي اعطيك قال يا رب تحييني فاقتل ثانية قال سبحانه
الله سبق مني انهم لا يرجعون فانزلت ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الاية اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب وقيل ان الاية نزلت في شهدا بير معونة وبير معونة بين ارض بني عامر وحرة بني سليم بين مكة وعسفان وارض هذيل قال محمد بن
اسحق عن اشياخه من اهل العلم قال قدم ابو برا عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بني
عامر بن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له هدية فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يقبلها وقال لا اقبل هدية مشرك ثم عرض عليه الاسلام واخبره بما له فيه وما اعد الله للمؤمنين وقرا عليه
القران فلم يسلم ولم يبعد وقال يا محمد ان الذي تدعوا اليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من اصحابك الى
اهل نجد فدعوهم الى امرك رجوت ان يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اخشى عليهم اهل
نجد فقال ابو برا انا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى امرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن
عمرو اخا بني ساعدة في سبعين رجلا من خيار المسلمين وكان يقال لهم القرا منهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان
وعروة بن اسما بن الصلت ونافع بن يزيد بن ورقا الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى ابي بكر وذلك في صفر
سنة اربع من الهجرة بعد احد باربعة اشهر فساروا حتى نزلوا بير معاوية وبير معونة بين ارض بني عامر وحرة
بني سليم فلما نزلوها قال بعضهم لبعض ايكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل هذا الما فقال
حرام بن ملحان انا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل[٣] في كتاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال حرام بن ملحان يا اهل بير معونة اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم واني اشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا عبده ورسوله فامنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضربه في جنبه حتى
خرج من الشق الاخر فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بني عامر على المسلمين فابوا ان
يجيبوه الى ما دعاهم اليه وقالوا لا نخفر ابا برا فقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبايل بني سليم عصية ورعل
وذكوان فاجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم في رحالهم فلما راوهم اخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا
عن اخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو
بن امية الضمري ورجل من الانصار احد بني عمرو بن عوف فلم ينبههما بمصاب اصحابهما الا الطير تحوم على العسكر
فقالا والله ان لهذا الطير لشانا فاقبلا لينظرا فاذا القوم في دمايهم واذا الخيل التي اصابتهم واقفة فقال
الانصاري لعمرو بن امية ما ترى قال نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ونخبره فقال الانصاري لكني لا ارغب
عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل واخذوا عمرو بن امية اسيرا فلما اخبرهم انه من مضر
اطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على امه فقدم عمرو بن امية على رسول
الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل ابي برا وقد كنت لهذا كارها
متخوفا فبلغ ذلك ابا برا فشق عليه اخفار عامر بن الطفيل اياه وما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسببه وكان فيمن اصيب عامر بن فهيرة مولى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فروى محمد بن اسحق عن هشام
بن عروة عن ابيه ان عامر بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل رايته رفع بين السما والارض حتى رايت
السما من دونه قالوا هو عامر بن فهيرة قالوا وبلغ ربيعة بن ابي برا ان عامر بن الطفيل اخفر ذمة ابيه

[٣] وكان على ذلك الما فلما اتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل مع

تحمل

تحمل على عامر بن الطفيل فطعنه فخر عن فرسه قلت وذكر ابن الاثير الجزري في كتاب جامع الاصول له في
تسمية الاسماء في ترجمة عامر بن الطفيل ان عامر بن الطفيل قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن بضع
وثمانين سنة ولم يسلم وعاد من عنده فخرج له خراج في اصل اذنه اخذه منه مثل النار فاشتد عليه ومات منه
(ق) عن انس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اقواما من بني سليم الى بني عامر في سبعين وفي رواية ان
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خاله اخا لام سليم واسمه حرام في سبعين راكبا فلما قدموا قال لهم
خالي اتقدمكم فان امنوني حتى ابلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والا كنتم مني قريبا فتقدم فامنوه
فبينما يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اومأوا الى رجل منهم فطعنه فانفذه فقال الله اكبر فزت
ورب الكعبة ثم مالوا على بقية اصحابه فقتلوهم الا رجلا اعرج صعد الجبل قال همام واراه اخر معه فاخبر
جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم انهم قد لقوا ربهم فرضي عنهم وارضاهم فقال فكنا نقرا
ان بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ثم نسخ بعد فدعا عليهم اربعين صباحا على رعل وذكوان
ومن عصيه الذين عصوا الله ورسوله وفي رواية ان رعلا وذكوان وبني لحيان استمدوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامدهم بسبعين رجلا من الانصار كنا نسميهم القرا في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار
ويصلون بالليل حتى اذا كانوا ببير معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقنت
عليهم شهرا يدعو في الصبح على احيا من العرب على رعل وذكوان وعصيه وبني لحيان قال انس فقرانا فيهم
قرانا ثم ان ذلك رفع بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ولمسلم قال جا ناس الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقالوا ان ابعث معنا رجالا يعلمونا القران والسنة فبعث اليهم سبعين رجلا من الانصا
وذكر نحو ما تقدم وقيل ان اوليا الشهدا واهليهم كانوا اذا اصابتهم نعمة وخير تحسروا على الشهدا وقالوا
نحن في النعمة والرخا واباؤنا وابناؤنا واخواننا في القبور فانزل الله هذه الاية تطييبا لقلوبهم وتنفيسا
عنهم واخبارا عن حال قتلاهم فقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله اي ولا تظنن الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل احد من امته والمعنى لا يظنن ظان ان الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
يعني كاموات غيرهم ممن لم يقتل في سبيل الله **بل احيا** بل هم احيا وظاهر الاية يدل على كون من قتل في الله
حي فاما ان يكون المراد بانهم سيصيرون احيا في الاخرة او يكون المراد انهم احيا في الحال وعلى تقدير انهم
احيا في الحال هل يكون المراد اثبات الحياة الروحانية او اثبات الحياة الجسمانية فهذه ثلاثة اوجه في
معنى احتمال الحياة فمن قال بالوجه الاول وهو انهم سيصيرون احيا في الاخرة قال معنى الاية بل هم
احيا في الذكر وانهم يذكرون بخير اعمالهم وانهم استشهدوا في سبيل الله وقيل بل انهم احيا في الدين وهذا
القول ليس بالصواب لان الله تعالى اثبت لهم الحياة في الحال بقوله بل احيا يعني في الحال ما يقتلوا فانهم
يحيون وهو الاحتمال الثاني واختلفوا في معنى هذه الحياة هل هي للروح او للجسم والروح معا فمن اثبت
الحياة للروح دون الجسم قال يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ارواح الشهدا في حواصل طير
خضر فخص الارواح دون الاجساد وقال بعض المفسرين ان ارواح الشهدا تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش
الى يوم القيمة ومن اثبت الحياة للروح والجسم معا قال يدل عليه سياق الاية وهو قوله عند ربهم يرزقون
فاخبر سبحانه وتعالى انهم يرزقون وياكلون ويتنعمون كالاحيا وقيل ان الشهيد لا يبلى في قبره ولا تاكله
الارض كغيره وروي انه لما اراد معاوية ان يجري الما على قبور الشهدا امر بان ينادي من كان له قتيل فليخرجه
وليحوله من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم رطابا لابدان فاصاب المسحاة اصبع رجل

منهم فانبعثت دما وذكر البغوي بغير سند عن عبيد الله بن عمير قال لما رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف
من احد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرا من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه وسلم اشهد ان هولاء شهدا عند الله يوم القيمة فاتوهم وزوروهم وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده
لا يسلم عليهم احد الى يوم القيمة الا ردوا عليه **عند ربهم** في محل كرامته وفضله **يرزقون** يعني من ثمار
الجنة وتحفها **فرحين بما اتاهم الله من فضله** يعني بما اعطاهم من الثواب والكرامة والاحسان
والافضال في دار النعيم **ويستبشرون** اي يفرحون والاستبشار هو الفرح والسرور الذي يحصل للانسان
عند البشارة **بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم** يعني من اخوانهم الذين تركوهم احيا في الدنيا على منهج الايمان
والجهاد لعلمهم بانهم اذا استشهدوا ولحقوا بهم ونالوا من الكرامة مثل ما نالوا فهم بذلك مستبشرون
وقيل ان الشهدا سالوا الله عز وجل ان يخبر اخوانهم بما نالوا من الخير والكرامة ليرغبوا في الجهاد فاخبرهم
الله عز وجل اني قد انزلت على نبي محمد صلى الله عليه وسلم واخبرته بحالكم وما صرتم اليه من الكرامة وان
محمدا صلى الله عليه وسلم قد اخبر اخوانكم بذلك ففرحوا بذلك واستبشروا **الا خوف عليهم** يعني في الاخرة
ولا هم يحزنون يعني على ما فاتهم من نعيم الدنيا **يستبشرون بنعمة من الله وفضل** لما بين الله تعالى ان الشهدا
يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم فهم ايضا يستبشرون لانفسهم بما رزقوا من النعيم والفضل
والاستبشار الاول كان بغيرهم والاستبشار الثاني لانفسهم خاصة **وان الله لا يضيع اجر المومنين** يعني كما
انه تعالى لا يضيع اجر المجاهدين والشهدا كذلك لا يضيع اجر المومنين **فصل** في فضل الجهاد والشهادة
في سبيل الله ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج
في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن ان ادخله الجنة وارجعه الى
مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله الا
جا يوم القيمة كهيئته حين كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا ان اشق على
المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله ابدا ولكن لا اجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعة ويشق
عليهم ان يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت اني اغزو في سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل ثم
اغزو فاقتل لفظ مسلم ق عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة في سبيل الله
او روحة خير من الدنيا وما فيها ق عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم
في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها عن فضالة
ابن عبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا المرابط في سبيل الله فانه ينمى
له عمله الى يوم القيمة ويومن من فتنة القبر اخرجه ابو داود والترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة ومن سال
الله القتل في سبيل الله صادقا من نفسه ثم مات او قتل كان له اجر شهيد ومن جرح جرحا في سبيل الله
او نكب نكبة فانه يجي يوم القيمة كاغزر ما كانت لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك ومن خرج به خراج
في سبيل الله فان عليه طابع الشهدا اخرجه ابو داود والنسائي واخرجه الترمذي مفرقا في موضعين
ق عن ابي سعيد رضي الله عنه قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي الناس افضل قال
مومن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال رجل في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية
يتقي الله ويدع الناس من شره ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من

احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم
يعني حسنات ق عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما احد يدخل الجنة
فيحب ان يرجع الى الدنيا وله ما على الارض من شي الا الشهيد يتمنى ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات
لما يرى من الكرامة وفي رواية لما يرى من فضل الشهادة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغفر للشهيد كل ذنب الا الدين عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما يجد الشهيد من مس القتل الا كما يجد احدكم من القرصة اخرجه ابو داود
والنسائي بنحوه عن ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع الشهيد في سبعين من اهل
بيته اخرجه ابو داود وقوله تعالى **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح** الاية قال
اكثر المفسرين ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحا ندموا على انصرافهم قال وبئس
ما فعلتم لا محمدا قتلتم ولا الكواعب اردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركتموهم ارجعوا
فاستاصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهب العدو ويريهم من نفسه ومن اصحابه
قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من الم الجراح والقرح
الذي اصابهم يوم احد ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يخرجن معنا احد الا من حضر يومنا
بالامس وكلمه جابر بن عبد الله فقال يا رسول الله ان ابي كان خلفني على اخوات لي سبع وقال لي
يا بني انه لا ينبغي لي ولا لك ان نترك هولاء النسوة ولا رجل فيهن ولست بالذي اوثرك على نفسي
بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخلف على اخواتك فتخلفت عليهن فاذن له رسول الله صلى الله عليه
وسلم فخرج معه وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم انه خرج في طلبهم فيظنوا به
قوة وان الذي اصابهم لم يوهنهم فينصرفوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي
وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان
في سبعين رجلا من اصحابه حتى بلغوا حمرا الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال ق عن عايشة رضي الله
عنها في قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم قالت
لعروة يا ابن اختي كان ابواك منهم الزبير وابو بكر لما اصاب نبي الله صلى الله عليه وسلم ما اصاب يوم احد فانصرف
المشركون خافت ان يرجعوا فقال من يذهب في اثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا كان فيهم ابو بكر والزبير قالوا
فمر برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعي بحمرا الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيا كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد
عز علينا ما اصابك في اصحابك ولوددنا ان الله قد اعفاك فيهم ثم خرج معبد من عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى لقي ابا سفيان ومن معه بالروحا وقد اجمعوا على الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا
قد اصبنا جل اصحابه وقادتهم لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم فلما راى ابو سفيان معبدا قال له ما وراك يا معبد
قال محمد قد خرج في اصحابه يطلبكم في جمع لم ار مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه
في يومكم وندموا على صنيعهم وفيهم من الحنق عليكم شي لم ار مثله قط فقال ابو سفيان ويلك ما تقول قال والله
ما اراك ترحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستاصل بقيتهم فقال والله اني انهاك
عن ذلك فوالله لقد حملني ما رايت على ان قلت ابياتا قال وما قلت قال **قلت**

كادت تهد من الاصوات راحلتي ۞ اذ سالت الارض بالجرد الابابيل

تردي باسد كرام لا تنابلة * عند اللقاء ولا ميل معازيل
فقلت ويل ابن حرب من لقائكم * اذا تغطمطت البطحاء بالجيل
اني نذير لاهل البسل ضاحية * لكل ذي اربة منهم ومعقول
من جيش احمد لا وخش تقابله * وليس يوصف ما انذرت بالقيل

قالوا فثنى ذلك ابا سفيان ومن معه ومر ركب من عبد القيس فقال اين تريدون قالوا نريد المدينة
لاجل الميرة قال فهل انتم مبلغون عني محمدا رسالة واحمل لكم ابلكم زبيبا بعكاظ اذا وافيتموها قالوا نعم
قال اذا وافيتموه فاخبروه انا قد اجمعنا السير اليه والى اصحابه لنستاصل بقيتهم وانصرف ابو سفيان الى
مكة ومر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة بعد ثالثة وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الاية في غزوة بدر
الصغرى وذلك ان ابا سفيان يوم احد حين اراد ان ينصرف قال يا محمد موعد ما بيننا وبينك موسم بدر
الصغرى لقابل ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بيننا وبينك ان شاء الله فلما كان
العام المقبل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران ثم القى الله الرعب في قلبه
فبدا له الرجوع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال له ابو سفيان يا نعيم اني قد واعدت
محمدا واصحابه ان نلتقي بموسم بدر الصغرى وهذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب اللبن
وقد بدا لي ان لا اخرج اليها واكره ان يخرج محمد ولا اخرج انا فيزيدهم ذلك جراة ولان يكون الخلف من قبلهم احب
الي من ان يكون من قبلي فالحق بالمدينة فثبطهم واعلمهم اني في جمع كثير لا طاقة لهم بنا ولك عندي عشرة من الابل
اضعها على يد سهيل بن عمرو ويضمنها لك قال وجاء سهيل فقال له نعيم يا ابا يزيد اتضمن لي هذه القلايص
وانطلق الى محمد واثبطه قال نعم قال فخرج نعيم حتى اتى المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد ابي سفيان
فقال لهم اين تريدون قالوا واعدنا ابا سفيان ان نلتقي بموسم بدر الصغرى فقال نعيم بيس الراي رايتم
اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا الشريد افتريدون ان تخرجوا اليهم وقد جمعوا لكم عند الموسم والله
لا يفلت منكم احد فكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لاخرجن اليهم ولو وحدي اما الجبان فانه رجع واما الشجاع فانه تاهب للقتال وقالوا
حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه حتى وافوا بدر الصغرى فجعلوا يلقون
المشركين فيسالونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يريدون بذلك ان يرهبوا المسلمين فيقول المومنون
حسبنا الله ونعم الوكيل حتى بلغوا بدر الصغرى وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها كل عام
ثمانية ايام فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ينتظر ابا سفيان وقد انصرف ابو سفيان من مجنة
الى مكة فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه احدا من المشركين ووافوا السوق وكان معهم تجارات
ونفقات فاصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين فذلك قوله تعالى الذين استجابوا
لله والرسول اي اجابوا الله واطاعوه في جميع اوامره واطاعوا الرسول ايضا من بعد ما اصابهم القرح يعني من
بعد ما نالهم من الم الجراح للذين احسنوا منهم واتقوا يعني احسنوا بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
واجابوه الى الغزو واتقوا معصيته والتخلف عنه اجر عظيم يعني لهم ثواب جزيل وهو الجنة قوله عز وجل
الذين قال لهم الناس هذه الاية متعلقة بالاية التي قبلها لان المراد بالذين من تقدم ذكرهم وهم الذين
استجابوا لله والرسول وفي المراد بالناس وجوه احدها انه نعيم بن مسعود الاشجعي فيكون اللفظ عاما

اريد

اريد به الخاص وانما جاز اطلاق لفظ الناس على الانسان الواحد لان ذلك الواحد اذا فعل فعلا او قال
قولا ورضي به غيره حسن اضافة ذلك الفعل والقول الى الجماعة وان كان الفاعل واحدا فهو كقوله تعالى
واذ قتلتم نفسا والقاتل واحد الوجه الثاني ان المراد بالناس الركب من عبد القيس قاله ابن عباس ومحمد
ابن اسحق الوجه الثالث ان المراد بالناس المنافقين وذلك انهم لما راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتجهز لميعاد ابي سفيان نهوا اصحابه عن الخروج معه وقالوا لهم ان القوم قد اتوكم في دياركم فقتلوا الاكثر
منكم فان خرجتم اليهم لم يبق منكم احد ان الناس يعني ابا سفيان واصحابه من روسا المشركين قد جمعوا لكم يعني جموعا
كثيرة لان العرب تسمي الجيش جمعا ويجمعونه جموعا فاخشوهم اي فخافوهم واحذروهم فانه لا طاقة لكم بهم فزادهم
ايمانا يعني فزاد المومنين ذلك التخويف تصديقا ويقينا وقوة في دينهم وثبوتا على نصر نبيهم صلى الله عليه وسلم
وفي هذه الاية دليل لمن يقول بزيادة الايمان ونقصانه لان الله تعالى نص على وقوع الزيادة في الايمان وقالوا
حسبنا الله ونعم الوكيل اي كافينا الله هو الذي يكفينا امرهم فهو كقول امرئ القيس حسبك من غنى شبع وري
اي يكفيك الشبع والري ونعم الوكيل يعني الموكل اليه في جميع الامور كلها وقيل الوكيل هو الكافي والمعنى يكفينا الله
ونعم الكافي هو وقيل الوكيل هو الكفيل ووكيل الرجل في ماله هو الذي كفله وقام به والوكيل في صفة الله هو الوكيل
بارزاق العباد ومصالحهم وانه الذي يستقل باموريهم كلها خ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله تعالى ان
الناس قد جمعوا لكم الى قوله وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين القي في النار وقالها محمد صلى الله
عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قوله تعالى فانقلبوا اي فانصرفوا ورجعوا بعد خروجهم
والمعنى وخرجوا فانقلبوا فحذف الخروج لان الانقلاب يدل عليه بنعمة من الله اي بعافية لم يلقوا عدوا
وفضل اي تجارة وربح وهو ما اصابوا في سوق بدر من الربح وقيل النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الاخرة
لم يمسسهم سوء اي لم يصبهم اذى ولا مكروه من قتل وجراح واتبعوا رضوان الله يعني في طاعة الله وطاعة
رسوله وقيل انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم بخروجهم مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم والله ذو فضل عظيم يعني انه تعالى تفضل عليهم بالتوفيق لما فعلوا وقيل تفضل عليهم
بالقاء الرعب في قلوب المشركين حتى رجعوا قوله عز وجل انما ذلكم الشيطان يعني انما ذلكم الخوف والتثبيط
هو الشيطان يخوف بالوسوسة بان القى ذلك في افواههم ليرهبوا المومنين ويجبنوهم يخوف اولياءه يعني
الشيطان يخوفكم يا معشر المومنين باوليائه وقيل معناه يعظم اولياءه في صدوركم لتخافوهم وقيل معناه يخوف
اولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين واولياء الشيطان هم الكفار والمنافقون الذين يطيعونه
ويوثرون امره واولياء الله هم المومنون الذين لا يخافون الشيطان ان اخوفهم ولا يطيعونه ان امرهم فلا تخافوهم
يعني فلا تخافوا اولياء الشيطان ولا تقعدوا عن قتالهم ولا تجبنوا عنهم وخافون اي فجاهدوا في سبيلي مع
رسولي فاني وليكم وناصركم ان كنتم مومنين مصدقين بوعدي اني متكفل لكم بالنصر والظفر قوله تعالى ولا
يحزنك الذين يسارعون في الكفر قيل هم كفار قريش وقيل هم المنافقون وروسا اليهود وقيل هم قوم ارتدوا
عن الاسلام والمعنى ولا يحزنك يا محمد من يسارع في الكفر ويجمع الجموع لمحاربتك فان هذا المقصود لا يحصل لهم
وقيل مسارعتهم في الكفر مظاهرتهم الكفار على النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى يسارعون في نصرة الكفر فلا يحزنك
فعلهم فانك منصور عليهم انهم لن يضروا الله شيا يعني بمسارعتهم في الكفر انما يضرون انفسهم بذلك وقيل
معناه لن يضروا اولياء الله شيا يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة يعني لا يجعل لهم نصيبا في ثواب
الاخرة فلذلك خذلهم حتى سارعوا في الكفر وفي الاية دليل على ان الخير والشر بارادة الله تعالى وفيه رد

على القدرية والمعتزلة **ولهم عذاب عظيم** يعني في الآخرة **إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان** يعني المنافقين آمنوا ثم كفروا والمعنى أنهم استبدلوا الكفر بالإيمان فكأنهم أعطوا الإيمان وأخذوا الكفر كما يفعل المشتري من إعطاء شيء وأخذ غيره بدلا عنه **لن يضروا الله شيئا** باستبدالهم الكفر بالإيمان وإنما ضروا أنفسهم بذلك **ولهم عذاب أليم** يعني في الآخرة قوله تعالى **ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم** قرئ تحسبن بالتاء والياء فمن قرأ بالتاء فمعناه ولا تحسبن يا محمد أن إملاءنا للكفار خير لأنفسهم نزلت في مشركي مكة وقيل نزلت في يهود بني قريظة والنضير إنما نملي لهم الإملاء الإمهال والتأخير وأصله من الملوة وهي المدة من الزمان والمعنى ولا يظنن الذين كفروا أن إمهالنا إياهم بطول العمر والإنساء في الأجل خير لأنفسهم ثم قال تعالى **إنما نملي لهم ليزدادوا إثما** يعني إنما نمهلهم ونؤخر في آجالهم ليزدادوا إثما **ولهم عذاب مهين** يعني في الآخرة روى البغوي بسنده عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه رضي الله عنهما قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قيل فأي الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وروى ابن جرير الطبري بسنده عن الأسود قال عبد الله ما من نفس برة ولا فاجرة إلا والموت خير لها وقرأ ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما وقرأ نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار قال ابن الأنباري قال جماعة من أهل العلم أنزل الله هذه الآية في قوم يعاندون الحق سبق في علمه أنهم لا يؤمنون فقال إنما نملي لهم ليزدادوا إثما بمعاندتهم الحق وخلافهم الرسول صلى الله عليه وسلم إذا رأيت الله يعطي على المعاصي فإن ذلك استدراج من الله لخلقه ثم تلا هذه الآية وقال الزجاج هؤلاء قوم أعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم أنهم لا يؤمنون أبدا وأن بقاءهم يزيدهم كفرا وإثما وهذه الآية حجة ظاهرة على القدرية حيث أخبر الله تعالى أنه يطيل أعمار قوم ويمهلهم ليزدادوا كفرا وإثما وغيا قوله تعالى **ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب** اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فقال الكلبي قالت قريش يا محمد تزعم أن من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وأن من أطاعك وتبعك على دينك فهو في الجنة والله عنه راض فأخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك فأنزل الله هذه الآية وقال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على أمتي في صورها في الطين كما عرضت على آدم وأعلمت من يؤمن بي ومن يكفر بي فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد أنه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما بال أقوام طعنوا في علمي لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة إلا أنبأتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من أبي يا رسول الله قال حذافة فقام عمر يا رسول الله رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما وبك نبيا فاعف عفا الله عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهل أنتم منتهون فهل أنتم منتهون ثم نزل عن المنبر فأنزل الله هذه الآية وقيل إن المؤمنين سألوا أن يعطوا آية يفرقون بها بين المؤمن والمنافق فنزلت هذه الآية وقيل إن قوما من المنافقين ادعوا أن إيمانهم كإيمان المؤمنين فأظهر الله نفاقهم يوم أحد وأنزل هذه الآية واختلفوا في معنى الآية فقال ابن عباس وأكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين والمعنى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه يا معشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق حتى يميز الخبيث من الطيب وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمن والمنافق والتباس بعضهم ببعض حتى يميز الخبيث من الطيب يعني المنافق من المؤمن المخلص فميز الله المؤمنين من المنافقين يوم أحد فأظهر المنافقون النفاق وتخلفوا عن رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم وقيل إنما حصل التمييز يوم أحد بالمحنة الجميع في الخوف والقتل والهزيمة فمن كان مؤمنا ثبت على إيمانه ونصره وتصديقه فلم يتزلزل ومن كان منافقا ظهر نفاقه وكفره وقيل في معنى الآية حتى يميز المؤمن من المنافق والكافر بالجهاد وقيل في معنى الآية ما كان الله ليذر المؤمنين في أصلاب الرجال المشركين وأرحام النساء المشركات والمعنى ما كان الله ليدع أولادكم الذي جرى لهم الحكم بالإيمان على ما أنتم عليه من الشرك حتى يميز الخبيث من الطيب يعني يفرق بينكم وبين من في أصلابكم وأرحام نسائكم من المؤمنين فيحكم لأهل الإيمان بالجنة ولأهل الشرك والكفر والنفاق بالنار **وما كان الله ليطلعكم على الغيب** الخطاب في قوله ليطلعكم لكفار قريش الذين قالوا يا محمد أخبرنا عمن يؤمن بك ومن لا يؤمن والمعنى وما كان الله ليبين لكم أيها الكفار المؤمن من الكافر فيقول فلان مؤمن وفلان كافر ومنافق لأنه لا يعلم الغيب أحد غيره وإن سنة الله جارية أنه لا يطلع على غيبه آحاد الناس فلا سبيل إلى معرفة المؤمن من الكافر والمنافق إلا بالامتحانات والمصائب فيتميز المؤمن المخلص بثباته على إيمانه وتزلزل المنافق عند المحن والبلايا وقيل في معنى الآية وما كان الله ليطلع محمدا على الغيب فيخبركم بالمؤمن من الكافر **ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء** يعني ولكن الله يصطفي ويختار من رسله من يشاء فيطلعه على ما يشاء من غيبه **فآمنوا بالله ورسله** يعني أنه لما قامت الدلائل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يبق إلا الإيمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وإنما قال ورسله على الجمع ولم يقل ورسوله على التوحيد لقوله والله يجتبي من رسله من يشاء ولأنه إذا آمن بجميع الرسل كان مقرا بأحدهم وهذه صفة المؤمنين لأنهم آمنوا بجميع الرسل **وإن تؤمنوا وتتقوا** يعني وإن تصدقوا بأن من اجتبيته برسالتي وأطلعته على ما أشاء من غيبي وأعلمته بالمنافق منكم والمؤمن والمخلص وتتقوا ربكم فيما أمركم به ونهاكم عنه **فلكم أجر عظيم** يعني فلكم بإيمانكم واتقائكم ثواب جزيل وهو الجنة قوله تعالى **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم** يعني ولا يحسبن الذين يبخلون البخل خيرا لهم **بل هو** يعني البخل **شر لهم** والبخل هو إمساك المقتنيات عما لا يجوز حبسها عنه والبخيل هو الذي يكثر منه البخل والآية دالة على ذم البخل عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالفجور ففجروا أخرجه أبو داود وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب واختلف العلماء فيما نزلت هذه الآية فقال عبد الله بن مسعود وأبو هريرة وابن عباس رضي الله عنهم وأبي صالح عنه والشعبي ومجاهد نزلت هذه الآية في الذين يبخلون أن يؤدوا زكاة أموالهم ووجه هذا القول أن أكثر العلماء ذهبوا إلى أن البخل عبارة عن منع الواجب وأن منع التطوع لا يكون بخلا ويدل عليه الوعيد الشديد في سياق الآية وهو قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به وهذا لا يكون إلا في ترك الواجب لا في التطوع وقال ابن عباس في رواية عطية عنه وابن جريج عن مجاهد إنها نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وهذا القول هو اختيار الزجاج ووجه هذا القول أن البخل عبارة عن منع الخير والنفع ويدخل فيه العلم كما يقال فلان بخل بعلمه وصحح الطبري القول الأول واختاره وهو قوله تعالى **سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة** أي سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق فإن حملنا معنى الآية على منع الزكاة والبخل بها فقال ابن مسعود وابن عباس

يجعل ما منعه من الزكاة حية تطوق في عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه ويدل على صحة
هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا
فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيمة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيمة ثم ياخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول
انا مالك انا كنزك ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله الاية اخرجه البخاري قوله زبيبتان قيل
هما النكتتان السوداوان فوق عيني الحية وقيل هما نقطتان يكتنفان فاها وقيل انهما مضغتان في اصل
الحنك وقيل هما عند سحتي المحيين اسفل من الاذنين وكله متقارب **ق** عن ابي ذر رضي الله عنه قال انتهيت
الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما راني قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجيت حتى
جلست فلم اتقار ان قمت فقلت يا رسول الله فداك ابي وامي من هم قال هم الاكثرون اموالا الا من قال هكذا
وهكذا او هكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم من صاحب ابل ولا
بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها الا جاءت يوم القيمة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطاه باظلافها
كلما نفدت اخراها عادت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس لفظ مسلم وفرقه البخاري بمعناه في موضعين
وقيل في معنى الاية انه يجعل في اعناقهم اطواق من نار وقيل يكلفون يوم القيمة ان ياتوا بما بخلوا من اموالهم
في الدنيا وان حملنا تفسير البخل على البخل بالعلم وكتمانه فقال ابن عباس في قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم
اي يحملون وزره واثمه فيكون على طريق التمثيل كما يقال قلدتك هذا الامر وجعلته في عنقك وقيل يجعل في
رقابهم طوقا من نار ويدل عليه ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سئل علما يعلمه فكتمه الجم بلجام من نار اخرجه الترمذي وفي رواية ابي داود من سئل عن علم فكتمه الجمه الله
بلجام من نار يوم القيمة وقيل في معنى الحديث انهم لما سئلوا عن العلم فكتموه ولم ينطقوا به بالسنتهم ولم
يخرجوه من افواههم عوضوا عن ذلك بلجام من نار في افواههم عقوبة لهم والله اعلم قوله تعالى **ولله ميراث**
السموات والارض يعني انه سبحانه وتعالى الباقي الدايم بعد فنا خلقه وزوال املاكهم فيموتون وتبقى املاكهم
فيرثها سبحانه والمقصود من الاية انه يبطل ملك جميع المالكين ويبقى الملك لله سبحانه وتعالى وقيل في معنى الاية
وله ما فيهما مما يتوارثونه اهلهما من مال وعلم وغير ذلك فما لهؤلاء البخلاء يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله
والله بما تعملون خبير وقرئ يعملون بالياء على الغيبة على طريقة الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والمعنى
والله بما يعملون يعني البخلاء من منعهم الحقوق خبير فيجازيهم عليها وقرئ بالتاء على خطاب الحاضرين قوله
تعالى **لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا** قال الحسن وقتادة لما نزلت هذه
الاية من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن اغنيا وذكر الحسن ان
القايل لهذه المقالة حيي بن اخطب وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن اسحق كتب النبي صلى الله عليه
وسلم مع ابي بكر الصديق رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة وايتا
الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل ابو بكر ذات يوم مدارسهم فوجد ناسا كثيرا اجتمعوا على فنحاص
ابن عازورا وكان من علمايهم ومعه حبر اخر يقال له اشيع فقال ابو بكر لفنحاص اتق الله واسلم فوالله انك
لتعلم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة
فامن وصدق واقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص يا ابا بكر
تزعم ان ربنا يستقرض اموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغني فان كان ما تقول حقا فان الله اذا فقير
ونحن اغنيا فغضب ابو بكر رضي الله عنه وضرب وجه فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربة

شديدة وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فنحاص
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان هذا
عدو الله قال قولا عظيما وزعم ان الله فقير وانهم اغنيا فغضبت لله وضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص فانزل
الله تصديقا لابي بكر رضي الله وتكذيبا لفنحاص وردا عليه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير
ونحن اغنيا وهذه المقالة وان كانت قد صدرت من واحد من اليهود ولكنهم يرضوا بمقالته هذه
فنسبت الى جميعهم ولا يخلوا ان يكونوا قالوا هذه المقالة عن اعتقاد لذلك القول او قالوه استهزا
وايما كان فهذه المقالة عظيمة القبح لا تصدر عن عاقل وانما صدرت عن كافر متمرد في كفره وضلاله
سنكتب ما قالوا يعني قولهم ان الله فقير ونحن اغنيا لان ذلك كذب وافترا والمعنى سنحفظ عليهم
ما قالوا وقيل سنثبت ذلك في صحايف اعمالهم التي تكتبها الحفظة عليهم حتى يوافوا بها يوم القيمة فهو وعيد
وتهديد لهم **وقتلهم الانبيا بغير حق** قيل سنكتب كما قال هولا اليهود ونكتب ما فعله اسلافهم فنجازي كلا
الفريقين بما هو اهله وانما نسب قتل الانبيا الى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانما فعله
اسلافهم واوايلهم لانهم رضوا بفعلهم فنسب اليهم وقيل في معنى الاية سنكتب على هولا ما قالوه بانفسهم ونكتب
عليهم ايضا رضاهم بقتل ابايهم الانبيا لانهم رضوا بفعلهم والفايدة في ضم قتلهم الانبيا الى ما وصفوا الله تعالى
اعلاما بذلك انهما اخوان في العظم وان هذا القول منهم ليس باول ما ارتكبوه من العظايم وانهم اصلا في
الكفر والجهل والضلال ولهم في ذلك سوابق وان من قتل الانبيا لا يبعد منه الاجترا على مثل هذا القول العظيم
الفحش والقبح **ونقول** يعني لهولا الذين قالوا هذه المقالة **ذوقوا عذاب الحريق** اي ننتقم منهم بان نقول
لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص في الدنيا **ذلك** اي ذلك العذاب المحرق جزا
فعلكم حيث وصفتم الله بالفقر واقدمتم على قتل الانبيا **بما قدمت ايديكم** انما ذكر الايدي على سبيل المجاز
لان الفاعل هو الانسان لا اليد الا ان اليد لما كانت الة الفعل حسن اسناد الفعل اليها ولان اكثر الاعمال
يكون باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب **وان الله ليس بظلام للعبيد** اي فيعذب
بغير ذنب بل هو سبحانه وتعالى عادل ومن العدل ان يعاقب المسي ويثيب المحسن قوله عز وجل **الذين قالوا**
ان الله عهد الينا قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن الضيف ووهب بن يهودا وزيد بن التابوه
وفنحاص بن عازورا وحيي بن اخطب من اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد تزعم ان الله
بعثك الينا رسولا وانزل عليك كتابا وان الله عهد الينا في التوراة ان لا نومن لرسول يزعم انه جا من عند
الله حتى ياتينا بقربان تاكله النار فان جيتنا به صدقناك فانزل الله الذين قالوا ان الله عهد الينا
يعني قد سمع قول الذين قالوا ان الله عهد الينا يعني امرنا واوصانا في كتبه **ان لا نومن لرسول** يزعم انه
جا من عند الله **حتى ياتينا بقربان تاكله النار** فان جيتنا به صدقناك فانزل الله الذين قالوا يعني
قد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا يعني امرنا واوصانا في كتبه ان لا نومن لرسول حتى ياتينا
بقربان تاكله النار فيكون ذلك دليلا على صدقه وذكر الواحدي عن السدي انه قال ان الله تعالى امر بني
اسرايل في التوراة من جاكم يزعم انه رسول فلا تصدقوه حتى ياتيكم بقربان تاكله النار حتى ياتيكم المسيح
ومحمد فاذا اتياكم فامنوا بهما فانهما ياتيان بغير قربان زاد غير الواحدي عنه قال وكانت هذه العادة
باقية فيهم الى مبعث المسيح عليه السلام ثم ارتفعت وزالت وقيل ان ادعا هذا الشرط كذب على التوراة
وهو من كذب اليهود وتحريفهم ويدل على ذلك ان المقصود في الدلالة على صدق النبي هو ظهور المعجزة

الخارقة للعادة فهي معجزة اتى بها النبي قبلت منه وكانت دليلا على صدقهم وقد اتى النبي صلى الله عليه وسلم
بالمعجزات الباهرات الدالة على صدقه فوجب على كافة الخلق اتباعه وتصديقه والقربان كل ما يتقرب
به العبد الى الله عز وجل من اعمال البر من نسك وصدقة وذبح وكل عمل صالح ويدل على ذلك قوله صلى الله
عليه وسلم الصوم جنة والصلاة قربان يعني انها مما يتقرب به الى الله عز وجل وكانت القرابين والغنايم
لا تحل لبني اسرايل وكانوا اذا قربوا قربانا او غنموا غنيمة جمعوا ذلك وجات نار بيضا من السما لا دخان
لها ولها دوي وحفيف فتاكل ذلك القربان والغنيمة فتحرقه فيكون ذلك دليلا وعلامة على القبول
واذا لم يقبل بقي على حاله فلم تنزل النار وقال عطا كانت بنوا اسرايل يذبحون لله فياخذون الثروب واطايب
اللحم فيضعون في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم نبيهم عليه السلام في البيت ويناجي ربه عز وجل
وبنوا اسرايل خارجون حول البيت فتنزل نار بيضا لها دوي وحفيف ولا دخان لها فتاكل ذلك القربان
ثم قال الله عز وجل مجيبا عن هذه الشبهة التي ذكرها هولا اليهود واقامة الحجة عليهم قل اي قل يا محمد لهولا اليهود
قد جاكم يعني يا معشر اليهود رسل من قبلي يعني مثل زكريا ويحيى عليهم السلام بالبينات يعني بالدلالات الواضحات
الدالة على صدقهم وبالذي قلتم يعني ما طلبتموه من القربان فلم قتلتموهم يعني فقتلتم الانبيا الذين اتوا بما طلبتم
منهم مثل زكريا ويحيى وساير من قتلوه من الانبيا واراد بذلك فعل اسلافهم وانما خاطب بذلك اليهود الذين كانوا
في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا راضين بفعل اسلافهم ان كنتم صادقين يعني في دعواكم ومعناه تكذيبهم اياك
يا محمد مع علمهم بصدقك كقتل ابايهم الانبيا مع اتيانهم بالقربان ثم قال تعالى مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم فان
كذبوك يعني هولا اليهود فقد كذب رسل من قبلك يعني مثل نوح وهود وصالح وابراهيم وغيرهم من الرسل
جاوا بالبينات يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات والزبر اي الكتب واحدها زبور وكل كتاب
فيه حكمة فهو زبور واصله من الزبر وهو الزجر وسمي الكتاب الذي فيه حكمة زبورا لانه يزبر اي يزجر عن الباطل
ويدعوا الى الحق والكتاب المنير اي الواضحات المضي وانما عطف الكتاب المنير على الزبر لشرفه وفضله وقيل
اراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التوراة والانجيل قوله تعالى كل نفس ذايقة الموت يعني ان كل نفس مخلوقة
ذايقة الموت ولا بد لها منه قيل لما نزلت قل يتوفاكم ملك الموت قالوا يا رسول الله انما نزل في بني ادم فاين
ذكر الموت للجن والانعام والوحش والطير فنزلت هذه الاية وقيل لما خلق الله ادم عليه السلام اشتكت الارض
الى ربها عز وجل لما اخذ منها فوعدها ان يرد فيها ما اخذ منها فما احد يموت الا ويدفن في التربة التي خلق منها
فان قلت الحور والولدان نفوس مخلوقة في الجنة لا يذوق الموت فما حكم لفظة كل في قوله كل نفس ذايقة الموت
قلت لفظة كل تقتضي الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى واوتيت من كل شي ولم تؤت ملك سليمان
فتكون الاية من العام المخصوص ويحتمل ان يكون المراد بهم المكلفين بدليل سياق الاية وهو قوله تعالى
وانما توفون اجوركم يعني توفون جزا اعمالكم يوم القيمة ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر فمن زحزح
عن النار وادخل الجنة فقد فاز يعني فمن نحي وابعد عن النار وادخل الجنة فقد ظفر بالنجاة ونجي من الخوف
وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور يعني ان العيش في هذه الدار الفانية يغر الانسان بما يمناه من
طول البقا وسينقطع عن قريب فوصف بانها متاع الغرور لانها تغر ببذل المحبوب وتخيل للانسان انه يدوم
وليس بدايم والمتاع كل ما استمتع به الانسان من مال وغيره وقيل المتاع كالفاس والقدر والقصعة ونحوه
والغرور ما يغر الانسان مما لا يدوم وقيل الغرور الباطل ومعنى الاية ان منفعة الانسان الدنيا المنتفعة
بهذه الاشيا التي يستمتع بها ثم تزول عن قريب وقيل متاع متروك يوشك ان يضمحل ويزول فخذوا من

هذا المتاع واعملوا فيه بطاعة الله ما استطعتم قال سعيد بن جبير هي متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب
الاخرة فاما من اشتغل بطلب الاخرة فهي له متاع وبلاغ الى ما هو خير منها ق عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقروا ان شيتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين زاد الترمذي
وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها ماية عام لا يقطعها واقروا ان شيتم وظل ممدود وموضع سوط في
الجنة خير من الدنيا وما فيها واقروا ان شيتم فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا
الا متاع الغرور قوله عز وجل لتبلون اللام لام القسم تقديره والله لتختبرن فيوقع عليكم المحن ليعلم المومن
من غيره والاختبار طلب المعرفة ليعرف الجيد من الردي وذلك في وصف الله محال لان الله عالم بحقايق الاشيا
قبل ان يخلقها فعلى هذا يكون معنى الاختبار في وصف الله تعالى انه يعامل العبد معاملة المختبر في اموالكم
يعني بالابتلا في الاموال بالنقصان منها وقيل باداء ما فرض فيها من الحقوق وانفسكم يعني بالمصايب
والامراض والقتل وفقد الاقارب والعشاير خوطب بهذه الاية المسلمون ليوطنوا انفسهم على احتمال
الاذى وما سيلقون من الشدايد والمصايب ليصبروا على ذلك حتى اذا لقوها وهم مستعدون بالصبر
لها لا يرهقهم ما يرهقهم من نصبة الشدة بغتة فينكرها ويشمئزوا منها ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا قال عكرمة نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وفنحاص بن عازورا وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر الى فنحاص سيد بني قينقاع ليستمده وكتب اليه معه كتابا وقال
لابي بكر لا تفتاتن علي بشي حتى ترجع فجا ابو بكر وهو متوشح بالسيف الى فنحاص فاعطاه الكتاب فلما قراه قال
فنحاص قد احتاج ربك حتى نمده فهم ابو بكر ان يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفتاتن
علي بشي حتى ترجع فنزلت الاية وقال الزهري نزلت هذه الاية في النبي صلى الله عليه وسلم وكعب بن الاشرف
اليهودي وذلك انه كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ويحرض المشركين على قتالهم في شعره
ق عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الاشرف فقد اذى الله ورسوله
قال محمد بن مسلمة اتحب ان اقتله قال نعم قال ايذن لي فلاقل قال قل فاتاه فقال له وذكر ما بينهم وقال
ان هذا الرجل قد اراد الصدقة وقد عنانا فلما سمعه قال وايضا والله لتملنه قال انا قد اتبعناه ونكره
الان ان ندعه حتى ننظر الى اي شي يصير امره قال وقد اردت ان تسلفني سلفا قال فما ترهنني ارهنني
نساكم قال نجعل انت اجمل العرب انرهنك نساءنا قال ترهنون اولادكم قال يسب ابن احدنا فيقال رهن في
وسقين من تمر ولكن نرهنك اللامة يعني السلاح قال نعم وواعده ان ياتيه بالحارث وابي عبس بن جبير
وعباد بن بشر فجاوا فدعوه ليلا فنزل اليهم قالت امراته اني لاسمع صوتا كانه صوت دم قال انما هو محمد ورضيعي
ابو نايلة ان الكريم لو دعي الى طعنة ليلا لاجاب قال محمد اني اذا جا فسوف امد يدي الى راسه فاذا استمكنت
منه فدونكم فلما نزل نزل وهو متوشح فقالوا نجد منك ريح الطيب قال نعم تحتي فلانة اعطر نسا العرب قال
فتاذن لي ان اشم منه قال نعم فشم فتناول فشم ثم قال اتاذن لي ان اعود قال نعم فاستمكن من راسه ثم قال
دونكم فقتلوه زاد في رواية ثم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه وزاد اصحاب السير والمغازي فاختلف
عليه اسيافهم فلم تغن شيا قال محمد بن مسلمة فذكرت معولا في سيفي فاخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق
حولنا حصن الا واوقدت عليه نار فوضعته في ثندوته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ووقع عدو الله
واصيب الحارث بن اوس بجرح في راسه اصابه بعض اسيافنا فخرجنا وقد ابطا علينا صاحبنا الحارث ونزفه

الدم نوقفنا له ساعة حتى اتانا يتبع اثارنا فحملنا وجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو
قايم يصلي فسلمنا عليه فخرج علينا فاخبرناه بقتل كعب بن الاشرف وجئنا براسه اليه وتفل على جرح صاحبنا ورجعنا
الى اهلنا فاصبحنا وقد خافت اليهود وقعتنا بعدو الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به
من رجال اليهود فاقتلوه وانزل الله عز وجل في شان كعب بن الاشرف اليهودي لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن يعني اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا يعني مشركي العرب اذى كثيرا يعني
بالاذى قول اليهود ان الله فقير ونحن اغنياء وما اشبه ذلك من افترايهم وكذبهم على الله ورسوله وما كان
كعب بن الاشرف يهجو النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين فهذا هو الاذى الكثير وان تصبروا وتتقوا الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين يعني على اذاهم وتتقوا فيما امركم به ونهاكم عنه لان الصبر عبارة عن
احتمال الاذى والمكروه والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغي فان ذلك من عزم الامور اي من صواب
التدبير الذي لا شك ان الرشد فيه ولا ينبغي لعاقل تركه واصله من قولك عزمت عليك ان تفعل كذا اي
الزمتك ان تفعله لا محالة ولا تتركه وقيل معناه فان ذلك مما قد عزم عليكم فعله اي الزمتم الاخذ به قوله
تعالى واذ اخذ الله اي واذكر يا محمد وقت اذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى
والمراد منهم العلماء خاصة وقيل المراد بالذين اوتوا الكتاب العلماء والاحبار من اليهود خاصة واخذ الميثاق
توكيد الالزام ببيان ما اتوه من الكتاب وهو قوله عز وجل لتبيننه للناس يعني لتبينن ما في الكتاب
وليظهرنه للناس حتى يعلموه وذلك ان الله اوجب على علماء التوراة والانجيل ان يشرحوا للناس ما في
هذين الكتابين من الدلايل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يكتمونه يعني ولا يخفون
ذلك عن الناس فنبذوه يعني الكتاب وقيل الميثاق وراء ظهورهم اي طرحوه وضيعوه وتركوا العمل
به واشتروا به ثمنا قليلا اي المآكل والرشا التي كانوا ياخذونها من عوامهم وسفلتهم فبيس ما يشترون
ذمهم الله على فعلهم ذلك واعلم ان ظاهر الاية وان كان مخصوصا بعلماء اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى
فلا يبعد ان يدخل فيه علماء هذه الامة الاسلامية لانهم اهل كتاب وهو القران وهو اشرف الكتب قال قتادة
هذا ميثاق اخذه الله تعالى على اهل العلم فمن علم شيا فليعلمه واياكم وكتمان العلم فانه هلكة قال ايضا
مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم لا ياكل ولا يشرب وقال ايضا طوبى لعالم
ناطق ومستمع واع هذا علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فوعاه وقبله عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيل علما فكتمه الجمه الله بلجام من نار اخرجه الترمذي ولابي داود
من سيل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيمة وقال ابو هريرة رضي الله عنه لولا ما اخذ الله عز
وجل على اهل الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الاية واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الاية
وقال الحسن بن عمارة اتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فالفيته على بابه فقلت ارايت ان تحدثني فقال
اما علمت اني قد تركت الحديث فقلت اما ان تحدثني واما ان احدثك قال حدثني فقلت حدثني الحاكم بن عيينة
عن يحيى بن الخزاز قال سمعت علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى
اخذ على اهل العلم ان يعلموا قال فحدثني اربعين حديثا قوله عز وجل ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا قرئ
بالتاء على الخطاب اي ولا تحسبن يا محمد الفارحين وقرئ بالياء على الغيبة يعني ولا يحسبن الفارحون والمعنى ولا
يحسبن الذين يفرحون فرحهم منجيا لهم من العذاب نزلت هذه الاية في المنافقين ق عن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه ان رجالا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اذا خرج رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وحلفوا واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت
ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا الاية وقيل نزلت في اليهود ق عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ان مروان
قال اذهب يا رافع لبوابه الى ابن عباس فقل لين كان كل امرء منا فرح بما اتى واحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا
ليعذبن اجمعون فقال ابن عباس ما لكم ولهذه الاية انما نزلت هذه الاية في اهل الكتاب ثم تلا ابن عباس
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس الاية وتلا ابن عباس ولا تحسبن الذين يفرحون
بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا وقال ابن عباس سالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء
فكتموه اياه واخبروه بغيره فخرجوا وقد اروه ان قد اخبروه بما سالهم عنه واستحمدوا بذلك اليه
وفرحوا بما اتوا من كتمانهم اياه ما سالهم عنه بما اتوا يعني يفرحون بما فعلوا ويحبون ان يحمدوا بما
لم يفعلوا اي ويحبون ان يحمدهم الناس على شيء لم يفعلوه وقيل غير ذلك قوم من احبار اليهود كانوا
يفرحون باضلالهم الناس وبنسبة الناس اليهم الى العلم قال ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب الى قوله ولهم عذاب اليم يعني فنحاص واشيع واشباههما من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون
من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ان يقول الناس لهم علماء وليسوا
باهل علم وقيل هم اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كتبوا
الى يهود العراق والشام واليمن ومن يبلغهم كتابهم من اليهود في الارض كلها ان محمدا ليس بنبي فاثبتوا
على دينكم فاجتمعت كلمتهم على الكفر ففرحوا بذلك وقالوا نحن اهل الصوم والصلاة واحبوا ان يحمدوا على
ذلك وقيل فرحوا بما اتوا من تبديلهم التوراة واحبوا ان يحمدهم الناس على ذلك وقيل ان يهود خيبر اتت الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وقالوا لاصحابه نحن على رايك ونحن لكم ردء وليس
ذلك في قلوبهم واحبوا ان يحمدهم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون على ذلك فلا تحسبنهم بمفازة
من العذاب فلا تظننهم بنجاة من العذاب الذي اعده الله لهم في الدنيا من القتل والاسر وضرب الجزية
والذلة والصغار ولهم عذاب اليم يعني في الاخرة وهذه الاية وان كانت نزلت في اليهود او المنافقين
او المنافقين خاصة فان حكمها في كل من احب ان يحمد بما لم يفعل من الخير والصلاح او ينسب الى العلم وليس
هو كذلك قوله عز وجل ولله ملك السموات والارض يعني انه تعالى مالك لما فيهما جميعا يتصرف فيه
كيف شاء وفيه تكذيب لمن قال ان الله فقير ونحن اغنياء ليقول الله عز وجل من له جميع السموات والارض
من شيء فكيف يكون من هذا ملكه فقيرا والله على كل شيء قدير يعني انه تعالى قادر على تعجيل العقوبة
لهم على ذلك القول ولكنه تفضل على خلقه بامهالهم قوله عز وجل ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لايات لاولي الالباب قال ابن عباس ان اهل مكة سالوا النبي صلى الله عليه وسلم ان
ياتيهم باية فنزلت هذه الاية والمعنى تفكروا واعتبروا ايها الناس فيما خلقته وانشاته من السموات
والارض لمعاشكم وارزاقكم وفيما عقبت من ذلك بين الليل والنهار واختلافهما في الطول والقصر فجعلتهما
يختلفان ويتعقبان عليكم لكي تتصرفوا فيهما لمعاشكم وطلب ارزاقكم في النهار وتسكنون بالليل لراحة
اجسادكم فاعتبروا وتفكروا يا اولي الالباب يعني يا ذوي العقول الصافية الذين يفتحون بصايرهم
للنظر والاستدلال والاعتبار لا ينظرون اليها نظر البهايم غافلين عما فيها من عجايب مخلوقاته وغرايب
مبتدعاته ق ابن عباس رضي الله عنهما انه بات عند ميمونة ام المومنين وهي خالته قال فقلت لانظرن

الي صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واهله في طولها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل او قبله بقليل او بعده بقليل ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس يمسح النوم عن وجهه بيديه ثم قرا العشر ايات الخواتم من سورة ال عمران ثم قام الى شن معلق فتوضا منها فاحسن وضوءه ثم قام يصلي قال عبد الله بن عباس ثم قمت وصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فقمت الى جنبه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على راسي واخذ باذني ففتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم اوتر ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح وفي رواية فقمت عن يساره فاخذني فجعلني عن يمينه وفي رواية قال بت في بيت خالتي ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الاخر قعد فنظر الى السما فقال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب وذكره قوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن مسعود وابن عباس وقتادة هذا في الصلاة يعني الذين يصلون قياما فان عجزوا فقعودا فان عجزوا فعلى جنوبهم والمعنى انهم لا يتركون الصلاة في حال من الاحوال بل يصلون في كل حال خ عن عمران بن حصين قال كانت بي بواسير فسالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب واخرجه الترمذي قال فيه سالته عن صلاة المريض وذكر نحوه قال الشافعي رضي الله عنه اذا صلى المريض مضطجعا وجب عليه ان يصلي على جنب ويومي براسه ايماء وقال ابو حنيفة رحمه الله بل يصلي مستلقيا على ظهره فاذا وجد خفة قعد وحجة الشافعي ظاهر الاية وهو قوله وعلى جنوبهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين فان لم تستطع فعلى جنب فنص على الجنب دون غيره وقال اكثر المفسرين اراد به المداومة على الذكر في غالب الاحوال لان الانسان قل ان يخلو من احدى هذه الثلاث حالات يعني القيام والقعود وكونه نائما على جنبه م عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله عز وجل في كل احيانه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضجعا لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة وما مشى احد ممشى لا يذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة اخرجه ابو داود الترة النقص وقيل هي هنا التبعة قوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض اصل الفكر من اعمال الخاطر في الشي وتردد القلب في ذلك الشي وهو قوة مطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل ولا يمكن التفكر الا فيما له صورة في القلب ولهذا قيل تفكروا في الا الله ولا تفكروا في الله اذ كان الله منزها ان يوصف بصورة فلذلك اخبر عن عباده الصالحين بانهم يتفكرون في خلق السموات والارض وما ابدع فيهما من عجايب مصنوعاته وغرايب مبتدعاته ليدلهم ذلك على كمال قدرة الصانع سبحانه وتعالى ويعلمون ان لها خالقا قادرا مدبرا حكيما لان عظم اثاره وافعاله تدل على عظم خالقها سبحانه وتعالى كما قيل وفي كل شي له اية تدل على انه واحد وقيل ان الفكر مقلوب على الفرك لان الفكر مستعمل في المعاني وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها وقيل ان الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الما للزرع النما وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة ربنا اي ويقولون ربنا وقيل معناه ويتفكرون في خلق السموات والارض قايلين ربنا ما خلقت هذا باطلا يعني عبثا

وهزلا

وهزلا بل خلقته دليلا على وحدانيتك وكمال قدرتك سبحانك اي تنزيها لك عن ان تخلق شيا عبثا بغير حكمة فقنا عذاب النار يعني انا قد صدقنا بوحدانيتك وان لك جنة ونارا فقنا عذاب النار والمقصود من قوله سبحانك فقنا عذاب النار تعليم عباده كيفية الدعا فمن اراد ان يدعو فليقدم الثنا على الله اولا ويدل عليه قوله سبحانك وبعد ذلك الثاني الدعا ويدل عليه قوله فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اي اهنته واذللته وقيل اهلكته وقيل فضحته وابلغت في اخزايه والخزي ضرب من الاستخفاف او انكسار يلحق الانسان وهو الحيا المفرط فان قلت قد تمسكت المعتزلة بهذه الاية وقالوا قد اخبر الله انه لا يخزي النبي والذين امنوا معه فوجب ان كل من يدخل النار لا يكون مومنا لقوله انك من تدخل النار فقد اخزيته والمومن لا يخزى قلت قد ذكر العلما في الجواب وجوها احدها ما روي عن انس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى انك من تدخل النار فقد اخزيته قال من تخلده وروي نحوه عن سعيد ابن المسيب قال هي خاصة لمن لا يخرج منها وهو الجواب انما يصح على مذهب اهل السنة الذين يرون اخراج الموحدين من النار اما على مذهب المعتزلة فلا يصح هذا الجواب لان مذهبهم ان الفاسق مخلد في النار وهو داخل في قوله فقد اخزيته الوجه الثاني في الجواب ان المدخل في النار مخزى في حال دخوله وان كانت عاقبته ان يخرج منها ومعنى الاية على هذا فقد اخزيته بدخوله فيها وتعذيبه بها ويدل على صحة هذا المعنى ما روي عن عمرو بن دينار قال قدم علينا جابر بن عبد الله في عمرة فانتهيت اليه انا وعطا فسالته عن هذه الاية ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته فقال وما اخزاه حين احرقه بالنار ان دون ذا الخزي لخزيا وهذا الوجه هو اختيار ابن جرير الطبري لان من ادخل النار فقد خزي بدخوله اياها وان خرج منها وذلك هو الخزي هو هتك المخزى وفضيحته وقال ابن الانباري حمل الاية على العموم اولى من نقلها الى الخصوص لا دليل عليه الوجه الثالث في الجواب ما قاله اهل المعاني وهو ان الخزي يحتمل معان منها الاهانة والاهلاك والابعاد وهذا للكفار ومنها الاخجال يقال خزي المومن الذي يدخل النار الحيا من المومنين بدخوله النار الى ان يخرج منها وخزي الكفار الهلاك بالخلود في النار وحاصل هذا الجواب ان لفظ الاخزا مشترك بين التخجيل والاهلاك واللفظ المشترك لا يمكن حمله في جانبي النفي والاثبات على معنييه جميعا وهذا يسقط الاستدلال الوجه الرابع في الجواب وهو الذي اختاره الفخر الرازي وصححه ان قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه لا يقتضي نفي الاخزا مطلقا وانما يقتضي ان لا يحصل الاخزا حال ما يكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهذا النفي لا ينافيه اثبات الاخزا في الجملة لاحتمال ان يحصل ذلك الاثبات في وقت اخر والله اعلم وقوله تعالى وما للظالمين يعني المشركين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها من انصار ينصرونهم يوم القيمة ويمنعونهم من العذاب قوله عز وجل ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان قال ابن عباس واكثر المفسرين المنادي هو محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة وقوله وداعيا الى الله باذنه وقال محمد بن كعب القرظي المنادي هو القران قال اذ ليس كل احد يلقى النبي صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان كل احد يسمع القران ويفهمه فاذا وفقه الله تعالى للايمان به فقد فاز به وذلك لان القران مشتمل على الرشد والهدى وانواع الدلايل الدالة على الوحدانية فصار كالداعي اليها واللام في للايمان بمعنى الى يعني ينادي الى الايمان ان امنوا بربكم فامنا اي صدقنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا اي كبائر ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا اي صغاير ذنوبنا وقيل ان الغفر هو الستر والتغطية وكذلك التكفير فهما بمعنى واحد وانما ذكرهما للتاكيد لان الالحاح في الدعا

والمبالغة فيه مندوب اليه وقيل معناه اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا في المستقبل وقيل نريد بالغفران ما يزول بالتوبة من الذنوب ومن التكفير ما يكفر بالطاعات من الذنوب **وتوفنا مع الابرار** يعني في جملتهم وزمرتهم والابرار هم الانبيا والصالحون والمعنى توفنا على مثل اعمالهم حتى يكون في درجتهم يوم القيمة وقيل توفنا في جملة اتباعهم واشياعهم **ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك** يعني على السنة رسلك وقيل معناه وآتنا ما وعدتنا على تصديق رسلك فان قلت كيف سالوا الله انجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه انهم طلبوا من الله التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد وقيل هو من باب اللجا الى الله والتذلل له واظهار الخضوع والعبودية كما ان الانبيا عليهم السلام يستغفرون الله مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم سبحانه وتعالى والتضرع اليه واللجا اليه الذي هو سيما العبودية وقيل معناه ربنا واجعلنا ممن يستحق ثوابك وتوتيهم ما وعدتهم على السنة رسلك لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم لتلك الكرامة فسالوه ان يجعلهم مستحقين لها وقيل انما سالوه تعجيل ما وعدتهم من النصر على الاعدا قالوا قد علمنا انك لا تخلف الميعاد ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجل هلاكهم وانصرنا عليهم **ولا تخزنا يوم القيمة** يعني ولا تهلكنا ولا تفضحنا ولا تهنا في ذلك اليوم فان قلت قوله وآتنا ما وعدتنا على رسلك يدل على طلب الثواب ومتى حصل الثواب اندفع العقاب لا محالة فما معنى قوله ولا تخزنا وهو طلب دفع العقاب عنهم قلت المقصود من الاية طلب التوفيق للطاعة والعصمة عن فعل المعصية كانهم قالوا وفقنا للطاعات واذا وفقتنا لها فاعصمنا عن فعل ما يبطلها ويوقعنا في الخزي وهو الهلاك ويحتمل ان يكون قوله ولا تخزنا يوم القيمة سبب لقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فانه ربما يظن الانسان انه على عمل صالح فاذا كان يوم القيمة ظهر انه على غير ما يظن فيحصل الخجل والحسرة والندامة في موقف القيمة فسالوا الله تعالى ان يزيل ذلك عنهم فقالوا ولا تخزنا يوم القيمة **انك لا تخلف الميعاد** قوله تعالى **فاستجاب لهم ربهم** يعني اجاب دعاهم واعطاهم ما سالوه **اني** اي وقال لهم اني **لا اضيع عمل عامل منكم** يعني لا احبط عملكم ايها المومنون بل اثيبكم عليها واجزيكم بها **من ذكر او انثى** يعني لا اضيع عمل عامل ذكر كان او انثى عن ام سلمة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله لا اسمع الله تعالى ذكر النسا في الهجرة بشي فانزل الله تعالى اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض الى والله عنده حسن الثواب اخرجه الترمذي قوله تعالى **بعضكم من بعض** يعني في الدين والنصرة والموالاة وقيل كلكم من ادم وحوى وقيل من بمعنى الكاف اي بعضكم كبعض في الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية فهو كما يقال فلان مني يعني على خلقي وسيرتي وقيل ان الرجال والنسا في الطاعة على شكل واحد **فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي** يعني المهاجرين الذين هجروا اوطانهم واهليهم واذاهم المشركون بسبب اسلامهم ومتابعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا مهاجرين الى الله ورسوله وتركوا اوطانهم وعشايرهم لله ورسوله ومعنى في سبيلي في طاعتي وديني وابتغاء مرضاتي وهم المهاجرون الذين اخرجهم المشركون من مكة فهاجر طايفة الى الحبشة وطايفة الى المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد هجرته فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة رجع اليه من كان هاجر الى الحبشة من المسلمين **وقاتلوا وقتلوا** يعني وقاتلوا العدو واستشهدوا في جهاد الكفار **لاكفرن عنهم سيآتهم** يعني لامحون عنهم ذنوبهم ولاغفرها **ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله** يعني ذلك الذي اعطاهم الله من تكفير سيآتهم وادخالهم الجنة ثوابا من فضل الله واحسانه اليهم **والله عنده حسن الثواب** وهذا تاكيد لكون ذلك الثواب الذي اعطاهم من فضله وكرمه لانه جواد كريم روى ابن جرير الطبري بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم يقول ان اول ثلة تدخل الجنة فقرا المهاجرين الذين يتقى بهم المكاره اذا امروا سمعوا واطاعوا وان كانت لرجل منهم حاجة الى السلطان لم تقض له حتى يموت وهي في صدره فان الله عز وجل يدعو يوم القيمة الجنة فتاتي بزخرفها وزينتها فيقول اي عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقتلوا واوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب فتاتي الملايكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من هولا الذين اثرتهم علينا فيقول الرب عز وجل هولا عبادي الذين قاتلوا في سبيلي واوذوا في سبيلي فتدخل الملايكة عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقال بعضهم في هذه الايات تعليم من الله لعباده كيف يدعونه وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وقال جعفر الصادق من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراده وقرا هذه الايات وقال الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم قوله عز وجل **لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد** نزلت في المشركين وذلك انهم كانوا في رخا ولين من العيش يتجرون ويتنعمون فقال بعض المومنين ان اعدا الله فيما نرى من الخير ونحن في الجهد فانزل الله هذه الاية لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة لانه صلى الله عليه وسلم لم يغتر قط والمعنى لا يغرنك ايها السامع تقلب الذين كفروا في البلاد يعني ضربهم في الارض وتصرفهم في البلاد للتجارات وطلب الارباح والمكاسب **متاع قليل** اي ذلك متاع قليل وبلغة فانية ونعمة زايلة **ثم ماواهم** اي مصيرهم في الاخرة **جهنم وبيس المهاد** اي وبيس الفراش هي قوله تعالى **لكن الذين اتقوا ربهم** فيما امرهم به من العمل بطاعته واتباع مرضاته واجتناب ما نهاهم عنه من معاصيه **لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله** اي جزا وثوابا النزل ما يهيا للضيف عند قدومه من عند الله يعني من فضل الله وكرمه واحسانه **وما عند الله** يعني من الخير والكرامة والنعيم الدايم الذي لا ينقطع **خير للابرار** يعني ذلك والفضل والنعمة التي اعد الله للمطيعين الابرار خير مما يتقلب فيه هولا الكفار من نعيم الدنيا ومتاعها فانه قليل زايل ق عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال جيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو في مشربة وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شي وتحت راسه وسادة من ادم حشوها ليف وان عند رجليه قرظا مصبورا وعند راسه اهب معلقة فرايت اثر الحصير في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك قلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هم فيه وانت رسول الله فقال اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة لفظ البخاري المشربة الغرفة والعلية والمشارب العلالي قوله عز وجل **وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم** قال ابن عباس نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه اصحمة ومعنى بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعاه جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم النجاشي فخرج الى البقيع وكشف له الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي فصلى عليه وكبر عليه اربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في اربعين رجلا من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم وكانوا على دين عيسى صلى الله عليه وسلم فامنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وصدقوه وقيل نزلت في جميع مومني اهل الكتاب وهذا القول اولى لانه لما ذكر احوال الكفار واحوال اهل الكتاب وان مصيرهم الى النار ذكر حال من آمن من اهل الكتاب وان مصيره الى الجنة فقال تعالى وان من اهل الكتاب يعني بعض اليهود

والنصارى اهل التوراة والانجيل لمن يؤمن بالله يعني من يقر بوحدانية الله تعالى وما انزل اليكم يعني من القرآن وما انزل اليهم يعني من الكتب المنزلة مثل التوراة والانجيل والزبور **خاشعين لله** يعني خاضعين لله ومتواضعين له غير مستكبرين **لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا** يعني كتبهم ولا يحرفونها ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لاجل الرياسة والماكل والرشى كما يفعله غيرهم من روسا اليهود **اولئك** اشارة الى من هذه صفته من اهل الكتاب **لهم اجرهم عند ربهم** يعني لهم ثواب اعمالهم التي عملوها لله ذلك الثواب لهم ذخر عند الله يوفيهم اليهم يوم القيمة **ان الله سريع الحساب** يعني انه تعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شي من اعمال عباده فيجازي كل احد على قدر عمله لانه سريع الحساب قوله تعالى **يايها الذين امنوا اصبروا** يعني على دينكم الذي انتم عليه ولا تدعوه لشدة ولا لغيرها واصل الصبر حبس النفس عما لا يقتضيه شرع ولا عقل والصبر لفظ عام تحته انواع من المعاني قال بعض الحكما الصبر على ثلاثة اقسام ترك الشكوى وقبول القضا وصدق الرضا وقيل في معنى الاية اصبروا على طاعة الله وقيل ادا الفرايض وقيل تلاوة القران وقيل اصبروا على احكام الكتاب والسنة **وصابروا** يعني الكفار والاعدا وجاهدوهم **ورابطوا** يعني داوموا على جهاد المشركين واثبتوا عليه واصل المرابطة ان يربط هولا خيولهم وهولا خيولهم بحيث يكون كل من الخصمين مستعدا لقتال الاخر ثم قيل لكل مقيم بثغر يدفع عن من وراه مرابط وان لم يكن له مركب مربوط ق عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله او الغدوة خير من الدنيا وما عليها م عن سلمان الخير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمله واجري عليه رزقه وامن من الفتان وقيل المراد بالمرابطة انتظار الصلاة بعد الصلاة قال ابو سلمة بن عبد الرحمن لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكن انتظار الصلاة خلف الصلاة ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط اخرجه مسلم **واتقوا الله لعلكم تفلحون** قال محمد بن كعب القرظي يقول الله عز وجل واتقوا الله فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون غدا اذا لقيتموني وقال اهل المعاني في معنى هذه الاية يايها الذين امنوا اصبروا على بلائي وصابروا على نعمائي ورابطوا على مجاهدة اعدائي واتقوا محبة سواي لعلكم تفلحون بلقائي وقيل اصبروا على النعما وصابروا على البأساء والضراء ورابطوا في دار الاعدا واتقوا اله الارض والسماء لعلكم تفلحون في دار البقا وقيل اصبروا على مجاهدة الدنيا ومحنها رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا على مجاهدة النفس اللوامة واتقوا ما يعقبكم الندامة لعلكم تفلحون غدا في دار الكرامة والله اعلم بمراده واسراركتابه

بسم الله الرحمن الرحيم **تفسير سورة النساء**

مدنية وهي مائة وخمس وسبعون اية وثلاثة الاف وخمس واربعون كلمة وستة عشر الف حرف وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **يايها الناس** خطاب للكافة فهو كقوله يا بني ادم **اتقوا ربكم** اي اخذروا ربكم ان تخالفوه فيما امركم به او نهاكم عنه ثم وصف نفسه بكمال القدرة فقال تعالى **الذي خلقكم من نفس واحدة** يعني من اصل واحد وهو ادم ابو البشر عليه السلام وانما انث الوصف على لفظ النفس وان كان المراد به الذكر فهو كما قال بعضهم

ابوك خليفة ولدته اخرى ۝ وانت خليفة ذاك الكمال ۝

انما قال ولدته اخرى لتانيث الخليفة **وخلق منها زوجها** يعني حوى وذلك ان الله تعالى لما خلق ادم عليه السلام القى عليه النوم ثم خلق حوى من ضلع من اضلاعه اليسرى وهو قصير فلما استيقظ راها جالسة عند راسه فقال لها ما انت قالت امراة قال لما خلقت قالت خلقت لتسكن الي فمال اليها والفها لانها خلقت منه واختلفوا في اي وقت خلقت حوى فقال كعب الاحبار ووهب وابن اسحق خلقت قبل دخوله الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس انما خلقت في الجنة بعد دخوله اياها **وبث منهما** يعني نشر واظهر من ادم وحوى **رجالا كثيرا ونسا** انما وصف الرجال بالكثرة دون النسا لان حال الرجال اتم واكمل وهذا كالتنبيه على ان اللايق بحال الرجال الظهور والاشتهار وبحال النسا الاختفا والخمول **واتقوا الله الذي تساءلون به** انما كرر ذلك التقوى للتاكيد وان اهل ان يتقى وان التساول بالله هو كقوله اسالك بالله واحلف عليك بالله واستشفع اليك بالله **والارحام** قرى بفتح الميم ومعناه واتقوا الارحام ان تقطعوها وقرى بكسر الميم فهو كقولك سالتك بالله وبالرحم ونا شدتك بالله وبالرحم لان العرب كان من عادتهم ان يقولوا ذلك والرحم القرابة وانما استعير اسم الرحم للقرابة لانهم خرجوا من رحم واحدة وقيل هو مشتق من الرحمة لان القرابة يتراحمون ويعطف بعضهم على بعض وفي الاية دليل على تعظيم حق الرحم والنهي عن قطعها ويدل على ذلك ايضا الاحاديث الواردة في ذلك ق عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط عليه من رزقه وينسا في اثره فليصل رحمه قوله ينسا في اثره اي يوخر له في اجله ق عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان في روايته يعني قاطع رحم وعن الحسن قال من سالك بالله فاعطه ومن سالك بالرحم فاعطه عن ابن عباس قال الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت عنه **ان الله كان عليكم رقيبا** يعني حافظا والرقيب في صفة الله تبارك وتعالى هو الذي لا يغفل عما خلق فيلحقه نقص ويدخل عليه خلل وقيل هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شي من امر خلقه فبين بقوله ان الله كان عليكم رقيبا انه يعلم السر واخفى واذا كان كذلك فهو جدير بان يخاف ويتقى قوله تعالى **واتوا اليتامى اموالهم** نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم كان في حجره فلما بلغ اليتيم طلب المال الذي له فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير ودفع الى اليتيم ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الصبي ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا كيف بقي الوزر قال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على والده والخطاب في قوله تعالى واتوا للاوليا والاوصيا واليتامى جمع يتيم وهو الصبي الذي مات ابوه واليتم في اللغة الانفراد ومنه الدرة اليتيمة لانفرادها واسم اليتيم يقع على الصغير والكبير لغة لبقا معنى الانفراد عن الابا لكن في العرف اختص اسم اليتيم بمن لم يبلغ مبلغ الرجال فاذا بلغ الصبي وصار يستغني بنفسه عن غيره زال عنه اسم اليتيم قال اذا اونس منه الرشد وانما سماهم يتامى بعد البلوغ على مقتضى اللغة او لقرب عهدهم باليتم وان كان قد زال عنهم بالبلوغ وقيل المراد باليتامى الصغار الذين لم يبلغوا والمعنى واتوا اليتامى اموالهم بعد البلوغ وتحقق الرشد وقيل معناه واتوا اليتامى الصغار ما يحتاجون اليه من نفقة وكسوة والقول الاول هو الصحيح ان المراد باليتامى البالغين

لانه لا يجوز دفع المال الى اليتيم الا بعد البلوغ وتحقق الرشد **ولا تتبدلوا** اي ولا تستبدلوا **الخبيث بالطيب**
يعني بالخبيث الذي هو حرام عليكم بالحلال من اموالكم واختلفوا في هذا التبدل فقال سعيد بن المسيب
والنخعي والزهري والسدي كان اوليا اليتامى ياخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الردي فربما
كان احدهم ياخذ الشاة السمينة ويجعل مكانها المهزولة وياخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف ويقول شاة بشاة ودرهم
بدرهم فذلك تبديلهم فنهوا عنه وقال عطا هو الربح في مال اليتيم وهو عنه لا علم له بذلك وقيل ليس بابدال
حقيقة وانما هو اخذه مستهلكا وذلك ان اهل الجاهلية كانوا لا يورثون النسا والصغار وانما كان ياخذ
الميراث الاكابر من الرجال وقيل هو اكل مال اليتيم عوضا عن اكل اموالهم فنهوا عن ذلك **ولا تاكلوا اموالهم
الى اموالكم** يعني مع اموالكم وقيل معناه ولا تضموا اموالهم الى اموالكم في الانفاق واعلم ان الله تعالى نهى
عن اكل مال اليتيم واراد به جميع التصرفات المهلكة للمال وانما ذكر عن الاكل لانه معظم المقصود **انه كان
حوبا كبيرا** يعني ان اكل مال اليتيم بغير حق اثم عظيم والحوب الاثم قوله عز وجل **وان خفتم ان لا تقسطوا في
اليتامى** يعني وان خفتم يا اوليا اليتامى ان لا تعدلوا فيهن اذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرايب **ق** عن
عروة انه سال عايشة عن قوله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النسا الى قوله
او ما ملكت ايمانكم قالت يا ابن اختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد ان ينتقص
صداقها فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا بنكاح من سواهن قالت عايشة فاستفتى
الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله عز وجل ويستفتونك في النسا الى وترغبون ان
تنكحوهن فبين الله لهم في هذه الاية ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها
بسنتها في اكمال الصداق واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النسا
قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها
حقها الاوفى من الصداق وقال الحسن كان الرجل من اهل المدينة يكون عنده الايتام وفيهن من يحل له نكاحها
فيتزوجها لاجل مالها وهي لا تعجبه كراهية ان يدخل غريب فيشاركه في مالها ثم يسي صحبتها ويتربص بها ان
تموت فيرثها فعاب الله ذلك عليهم وانزل هذه الاية وقال عكرمة في رواية عن ابن عباس كان الرجل من قريش
يتزوج العشر من النسا او اكثر فاذا صار معدما من مون نسايه مال الى مال يتيمه الذي في حجره فانفقه فقيل
لهم لا تزيدوا على اربع لا يحوجكم الى اخذ اموال اليتامى وقيل كانوا يتحرجون عن اموال اليتامى ويترخصون في النسا
فيتزوجون ما شاوا فربما عدلوا وربما لم يعدلوا فلما انزل الله تعالى في اموال اليتامى واتوا اليتامى اموالهم انزل
هذه الاية وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى يقول فكما خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النسا
ان لا تعدلوا فيهن فلا تتزوجوا اكثر مما يمكنكم القيام بحقهن لان النسا في الضعف كاليتامى وهذا قول سعيد
ابن جبير وقتادة والضحاك والسدي ثم رخص الله في نكاح اربع فقال تعالى **فانكحوا ما طاب لكم من النسا**
يعني ما احل لكم من النسا واستدلت الظاهرية بهذه الاية على وجوب النكاح قالوا لان قوله فانكحوا امر
والامر للوجوب واجيب عنه بان قوله تعالى فانكحوا انما هو بيان لما يحل من العدد في النكاح وتمسك الشافعي
في بيان ان النكاح ليس بواجب بقوله فمن لم يستطع منكم طولا ان ينكح الى قوله ذلك لمن خشي العنت منكم وان
تصبروا خير لكم الاية فحكم في هذه السورة بان ترك النكاح خير من فعله وذلك يدل على انه ليس بواجب ولا مندوب
وقوله تعالى **مثنى وثلاث ورباع** معناه اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا وهو غير منصرف لانه اجتمع
فيها امران العدل والوصف والواو بمعنى او في هذا الفصل لانه لما كانت او بمنزلة واو النسق جاز ان تكون

الواو بمنزلة او وقيل ان الواو افادت انه يجوز لكل احد ان يختار لنفسه قسما من هذه الاقسام بحسب حاله
فان قدر على نكاح اثنتين فاثنتين وان قدر على ثلاث فثلاث وان قدر على اربع فاربع لانه نص عددا واجتمعت
الامة انه لا يجوز لاحد ان يزيد على اربع نسوة وان الزيادة على اربع من خصايص رسول الله صلى الله عليه
وسلم الذي لا يشاركه فيه احد من الامة ويدل على ان الزيادة على اربع غير جايزة وانه حرام ما روي عن الحرث
ابن قيس او قيس بن الحرث قال اسلمت وعندي ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اختر منهن اربعا اخرجه ابو داود عن ابن عمر ان غيلان بن سلمة الثقفي اسلم وله عشر نسوة في الجاهلية
فاسلمن معه فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يتخير منهن اربعا اخرجه الترمذي قال العلما فيجوز للحر ان يجمع
بين اربع نسوة حراير ولا يجوز للعبد ان ينكح اكثر من امراتين وهو قول اكثر العلما لانه خطاب لمن ولي وملك وذلك
للاحرار دون العبيد وقال مالك في احدى الروايتين عنه وربيعة يجوز للعبد ان يتزوج باربع نسوة واستدل
بهذه الاية واجاب الشافعي بان هذه مختصة بالاحرار ويدل عليه اخر الاية وهو قوله فان خفتم ان لا تعدلوا
فواحدة او ما ملكت ايمانكم والعبد لا يملك شيا فثبت بذلك ان المراد من حكم الاية الاحرار دون العبد وقوله
تعالى **فان خفتم** يعني فان خشيتم وقيل فان علمتم **ان لا تعدلوا** يعني بين الازواج الاربع **فواحدة** يعني فانكحوا
واحدة **او ما ملكت ايمانكم** يعني وما ملكت من السراري لانه لا يلزم فيهن من الحقوق مثل ما يلزم في الحراير
ولا قسم **ذلك ادنى** اي اقرب **ان لا تعولوا** معناه ذلك اقرب من ان لا تعولوا وحذف لفظة من لدلالة الكلام
عليه ومعنى ان لا تعولوا اي لا تميلوا ولا تجوروا وهو قول اكثر المفسرين لان اصل العول الميل يقال عال الميزان
اذا مال وقيل معناه لا تجاوزوا ما فرض الله عليكم ومنه عول الفرايض اذا جاوزت سهامها وقيل معناه ذلك
ادنى ان لا تضلوا وقال الشافعي رحمه الله معناه ان لا تكثر عيالكم وقد انكر على الشافعي من ليس له احاطة
بلغة العرب فقال انما يقال من كثرة العيال اعال الرجل يعيل اعالة اذا اكثر عياله قال وهذا من خطا الشافعي
لانه تفرد به ولم يوافقه عليه احد وانما قال هذه المقالة من انكر على الشافعي وخطاه من لا علم له بلغة
العرب فقد روى الازهري في كتابه تهذيب اللغة عن عبد بن زيد بن اسلم في قوله ان لا تعولوا اي لا تكثر عيالكم
وروى الازهري عن الكساي قال عال الرجل اذا افتقر واعال اذا اكثر عياله قال ومن العرب الفصحا
من يقول عال يعول اذا اكثر عياله قال الازهري وهذا يقوي قول الشافعي فنفسه حجة لان الكساي لا يحكي
عن العرب الا ما حفظه وضبطه وهو قول الشافعي نفسه حجة لانه عربي فصيح والذي اعترض عليه وخطاه
عجل ولم يتثبت فيما قال ولا ينبغي للحضري ان يعجل الى انكار ما لا يحفظه من لغات العرب هذا اخر كلام الازهري
وبسط الامام فخر الدين العبارة في هذا الموضع من تفسيره ورد على ابي بكر الرازي وقال الطعن لا يصدر
الا عن كثرة الغباوة وقلة المعرفة وحكى البغوي عن ابي حاتم قال كان الشافعي اعلم بلسان العرب منا ولعله
لغة ويقال هي لغة حمير وعن طلحة بن مصرف ان لا تعيلوا وهي حجة للشافعي **واتوا النسا صدقاتهن نحلة**
قال الكلبي وجماعة هذا خطاب للاوليا قال ابو صالح كان الرجل اذا زوج ايمة اخذ صداقها دونها
فنهاهم الله عن ذلك وقيل ان ولي المراة كان اذا زوجها فان كانت معهم في العشيرة لم يعطها من مهرها
قليلا ولا كثيرا وان كان زوجها غريبا حملوها اليه على بعير ولا يعطيها من مهرها غير ذلك فنهاهم الله عن
ذلك وامرهم ان يدفعوا الحق الى اهله وقال الحضرمي كان اوليا النسا يعطي هذا اخته على ان يعطيه الاخر
اخته ولا مهر بينهما وهذا هو الشغار فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بتسمية المهر في العقد **ق** عن ابن عمر ان النبي
صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار والشغار ان يزوج ابنته على ان يزوجه الرجل ابنته وليس بينهما صداق

وقيل الخطاب للازواج وهذا اصح وهو قول الاكثرين لان الخطاب فيما قبل مع الناكحين وهم الازواج امرهم الله بايتا نسايهم الصداق والصدقات المهور واحدها صدقة بفتح الصاد وضم الدال نحلة يعني فريضة مسماة وقيل عطية وهبة وقيل نحلة يعني عن طيب نفس واصل النحلة العطية على سبيل التبرع وهو اخص من الهبة وسمي الصداق نحلة من حيث انه لا يجب في مقابلته غير التمتع دون عوض مالي ق عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احق الشروط ان توفوا بها ما استحللتم به الفروج وقوله تعالى **فان طبن** يعني النسا المتزوجات **لكم** يعني للازواج **عن شي منه** يعني من الصداق ومن هنا لبيان الجنس لا للتبعيض لانها لو وهبت المراة لزوجها جميع صداقها جاز **نفسا** نصب على التمييز والمعنى فان طابت نفوسهن عن شي من ذلك الصداق المعنى فوهبن ذلك لكم فنقل الفعل من النفوس الى اصحابها فخرجت النفس مفسرا فلذلك وحد النفس وقيل لفظه واحد ومعناه الجمع **فكلوه** يعني ما وهبنه لكم **هنيا مريا** يعني طيبا سايغا وقيل الهني الطيب المساغ الذي لا ينغصه شي والمري المحمود العاقبة وفي الاية دليل على اباحة هبة المراة صداقها وانها تملكه ولاحق للمولى فيه قوله تعالى **ولا تؤتوا السفها اموالكم** اختلفوا في هولا السفها من هم فقيل هم النسا سماهن الله سفها لان الجاهل يؤتوا النسا اموالهن سوا كن ازواجا او بنات او امهات وقيل هو الاولاد خاصة يقول لا تعط ولدك السفيه مالك الذي هو قيامك بعد الله فيفسده عليك وقيل هي امراتك وابنتك السفيه قال ابن عباس لا تعمد الى مالك الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه لامراتك وابنتك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ثم تنظر الى ما في ايديهم امسك مالك واصلحه وكن انت الذي تنفق عليهم في رزقهم ومؤنتهم وقال الكلبي اذا علم الرجل ان امراته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد لا ينبغي له ان يسلط واحدا منهما على ماله فيفسده وقال سعيد بن جبير هو مال اليتيم يكون عندك يقول لا تؤته اياه وانفق عليه منه حتى يبلغ وانما اضاف المال الى الاوليا لانهم قوامها ومدبروها واصل السفه الخفة واستعمل في خفة النفس لنقصان العقل في الامور الدنيوية والدينية والسفيه المستحق للحجر هو الذي يكون مبذرا في ماله ومفسدا في دينه فلا يجوز لوليه ان يدفع اليه ماله وقيل ان السفه المذكور في هذه الاية ليس هو صفة ذم لهم وانما سموا سفها لخفة عقولهم ونقصان تمييزهم وضعفهم عن القيام بحفظ المال فقوله تعالى ولا تؤتوا السفها يعني الجهال بموضع الحق اموالكم **التي جعل الله لكم قياما** يعني قوام معايشكم تقول المال هو قوام الناس وقوام معايشهم كن انت فيه اهلك انفق عليهم ولا تعط مالك امراتك وولدك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ولما كان المال سببا للقيام بالمعاش سمي به اطلاقا لاسم المسبب على السبب على سبيل المبالغة لان به قيام الحج والجهاد واعمال البر وفكاك الرقاب من النار **وارزقوهم فيها** اي اطعموهم **واكسوهم** يعني لمن يجب عليكم رزقه وكسوته وذلك لما نهى الله عن ايتا المال للسفيه امران يجرى رزقه وكسوته وانما قال وارزقوهم فيها ولم يقل منها لانه اراد اجعلوا لهم فيها رزقا والرزق من الله تعالى هو العطية من غير حد ولا قطع ومعنى الرزق من العباد هو الاجر الموظف المعلوم لوقت معلوم محدود **وقولوا لهم قولا معروفا** يعني قولا جميلا لان القول الجميل يؤثر في القلب ويزيل السفه وقيل معناه عدوهم عدة جميلة من البر والصلة قال عطا يقول اذا ربحت اعطيتك وان غنمت قسمت لك حظا وقيل معناه الدعا اي ادعوا لهم قال ابن زيد ان لم يكن ممن يجب عليك نفقته فقل له عافانا الله واياك بارك الله فيك وقيل معناه قولوا لهم قولا تطيب به انفسهم وهو ان يقول الولي لليتيم السفيه مالك عندي وانا امين عليه فاذا بلغت ورشدت

اعطيتك مالك وقال الزجاج معناه علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم امر دينهم وما يصلحهم مما يتعلق بالعلم والعمل قوله عز وجل **وابتلوا اليتامى** الاية نزلت في ثابت بن رفاعة وفي عمه وذلك ان رفاعة مات وترك ابنه ثابتا وهو صغير فجاء عمه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ان ابن اخي يتيم في حجري فما يحل لي من ماله ومتى ادفع اليه ماله فانزل الله هذه الاية وابتلوا اليتامى يعني اختبروهم في عقولهم واديانهم وحفظهم اموالهم **حتى اذا بلغوا النكاح** اي مبلغ الرجال والنسا **فان انستم** اي ابصرتم وعرفتم **منهم رشدا** يعني عقلا وصلاحا في الدين وحفظا للمال وعلما بما يصلحه **فصل** في احكام تتعلق بالحجر وفيه مسايل **المسئلة الاولى** الابتلا يختلف باختلاف احوال اليتامى فان كان ممن يتصرف بالبيع والشرا في الاسواق يدفع اليه شيا يسيرا من المال وينظر في تصرفه وان كان ممن لا يتصرف في الاسواق فيختبر بنفقته على اهله وعبيده وجرايه وتصرفه في احوال داره ويختبر المراة في امر بيتها وحفظ متاعها واستغزالها فاذا راى حسن تدبير اليتيم وحسن تصرفه في الامور مرارا يغلب على الظن رشده دفع اليه ماله بعد بلوغه ولا يدفع اليه ماله وان كان شيخا يغلب عليه السفه حتى يونس منه الرشد **المسئلة الثانية** قال الامام ابو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة وقال الشافعي هي غير صحيحة واحتج ابو حنيفة على قوله بهذه الاية وذلك لان قوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح يقتضي ان هذا الابتلا انما يحصل قبل البلوغ والمراد من هذا الابتلا اختبار حاله في جميع تصرفاته فثبت ان قوله وابتلوا اليتامى امر للاوليا بالاذن لهم في البيع والشرا قبل البلوغ اجاب الشافعي بان قال ليس المراد بقوله وابتلوا اليتامى الاذن لهم في التصرف حال الصغر بدليل قوله فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وانما يدفع اليهم اموالهم بعد البلوغ وايناس الرشد فثبت بموجب هذه الاية انه لا يدفع اليه ماله حال الصغر فوجب ان لا يصح تصرفه حال الصغر وانما المراد من الابتلا هو اختبار عقله واستبرا حاله في معرفة المصالح والمفاسد **المسئلة الثالثة** في بيان البلوغ وذلك باربعة اشيا اثنان يشترك فيهما الرجال والنسا واثنان يختصان بالنسا اما الذي يشترك فيه الرجال والنسا فاحدهما السن فاذا استكمل المولود خمسة عشر سنة حكم ببلوغه غلاما كان او جارية ويدل عليه ما روي عن ابن عمر قال عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام احد وانا ابن اربع عشر سنة فردني ثم عرضت عليه عام الخندق وانا ابن خمس عشرة سنة فاجازني اخرجاه في الصحيحين وهذا قول اكثر اهل العلم وقال ابو حنيفة بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة سنة وبلوغ الغلام باستكمال ثماني عشر سنة والثاني الاحتلام فهو انزال المني الدافق سوا انزل باحتلام او جماع فاذا وجد ذلك من الصبي والجارية حكم ببلوغه لقوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ خذ من كل حالم دينارا واما انبات الشعر الخشن حول الفرج فهو يدل على البلوغ في اولاد المشركين لما روي عن عطية القرظي قال كنت من سبي قريظة فكانوا ينظرون فمن انبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت ممن لم ينبت وهل يكون ذلك علامة على البلوغ في اولاد المسلمين فيه قولان احدهما ان يكون بلوغا كما في اولاد المشركين والثاني لا يكون ذلك بلوغا في حق اولاد المسلمين لانه يمكن الوقوف على مواليد اولاد المسلمين والرجوع الى قول ابايهم بخلاف الكفار لانه لا يوقف على مواليدهم ولا يقبل في ذلك قول ابايهم لكفرهم فجعل الانبات الذي هو امارة البلوغ بلوغا في حقهم واما الذي يختص بالنسا فهو الحيض والحبل فاذا حاضت الجارية بعد استكمال تسع سنين حكم ببلوغها وكذا ان ولدت حكم ببلوغها قبل الوضع بستة اشهر لانها اقل مدة الحمل **المسئلة الرابعة** في بيان الرشد وهو ان يكون

مصلحاً في دينه وماله فالصلاح في الدين هو اجتناب الفواحش والمعاصي التي تسقط بها العدالة والصلاح
في المال هو ان لا يكون مبذراً والتبذير ان ينفق ماله فيما لا يكون فيه محمدة دنياوية ولا مثوبة اخروية او لا
يحسن التصرف فيغبن في البيع والشرا فاذا بلغ الصبي وهو مفسد لماله ودينه لم ينفك عنه الحجر ولا ينفذ تصرفه
في ماله وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة اذا كان مصلحاً لماله زال عنه الحجر وان كان مفسداً لدينه واذا كان
مفسداً لماله لا يدفع اليه المال حتى يبلغ خمسة وعشرين سنة غير انه ينفذ تصرفه قبله والقران حجة للشافعي
في استدامة الحجر عليه لان الله تعالى قال فان انستم منهم رشداً فادفعوا اليهم اموالهم امر بدفع المال بعد
البلوغ وايناس الرشد والفاسق لا يكون رشيداً وبعد بلوغه خمساً وعشرين سنة وهو مفسد لماله بالاتفاق
غير رشيد فوجب ان لا يجوز دفع المال اليه كما قبل بلوغ هذا السن المسئلة الخامسة اذا بلغ الصبي الجارية
وانس منه الرشد زال عنه الحجر ودفع اليه ماله سوا تزوج او لم يتزوج وقال مالك ان كانت امراة لا يدفع
اليها المال ما لم تتزوج فاذا تزوجت دفع اليها مالها ولا ينفذ تصرفها الا باذن الزوج ما لم تكبر وتجرب
المسئلة السادسة اذا بلغ الصبي رشيداً وزال عنه الحجر فلو عاد سفيهاً ينظر فان كان مبذراً لماله حجر
عليه وان كان مفسداً في دينه فعلى وجهين احدهما انه يعاد عليه الحجر كما يستدام اذا بلغ وهو بهذه الصفة
والثاني لا يحجر عليه لان حكم الدوام اقوى من حكم الابتدا وعن ابي حنيفة لا حجر على الحر العاقل البالغ بحال
والدليل على اثبات الحجر من اتفاق الصحابة ما روي عن هشام بن عروة عن ابيه ان عبد الله بن جعفر ابتاع
ارضاً سبخة بستين الف درهم فقال علي لآتين عثمان ولاحجرن عليك فاتى ابن جعفر الزبير فاعلمه بذلك
فقال الزبير انا شريكك في بيعك فاتى علي عثمان فقال احجر على هذا فقال الزبير انا شريكه فقال عثمان
كيف احجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير فكان اتفاقاً منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير لدفعه وقوله تعالى
فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها اسرافاً الخطاب للاوليا يعني يا معشر الاوليا لا تاكلوا اموال اليتامى
بغير حق وبداراً ان يكبروا يعني لا تبادروا كبرهم ورشدهم فتفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل
ان يكبروا فيلزمكم تسليمها اليهم ثم بين تعالى حال الاوليا وقسمهم قسمين فقال تعالى ومن كان غنياً فليستعفف
اي فليمتنع من اكل مال اليتيم ولا يرزأه قليلاً ولا كثيراً ومن كان فقيراً يعني محتاجاً الى مال اليتيم وهو يحفظه
فلياكل بالمعروف روى ابو داود عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رجلاً اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني فقير وليس لي شي ولي يتيم فقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبادر ولا متاثل واختلف العلما في حكم
هذه الاية فروي عن عمر بن عباس وابن جبير وابي العالية وعبيدة السلماني وابي وايل ومجاهد ومقاتل
انه ياخذ من مال اليتيم على وجه القرض واختلفوا في انه هل يلزمه القضا فذهب قوم الى انه يلزمه القضا
اذا ايسر وهو المراد من قوله تعالى فلياكل بالمعروف والمعروف القرض اي يستقرض من مال اليتيم اذا احتاج اليه
فاذا ايسر قضاه وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب اني انزلت نفسي من مال الله تعالى بمنزلة
مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف فاذا ايسرت قضيت وقال قوم لا ضمان
عليه ولا قضا بل يكون ما ياكله كالاجرة له على عمله وهو قول الحسن والشعبي والنخعي وقتادة قال الشعبي لا ياكله
الا ان يضطر اليه كما يضطر الى الميتة ثم القايلون بجواز الاكل من مال اليتيم اختلفوا في قوله فلياكل بالمعروف
فقال عطا وعكرمة ياكل باطراف اصابعه ولا يسرف ولا يكتسي منه ولا يلبس الكتان ولا الحلل لكن ياكل ما يسد
به الجوع ويلبس ما يستر به العورة وقال الحسن ياكل من ثمر نخله ولبن مواشيه بالمعروف ولا قضا عليه فاما الذهب
والفضة فلا ياخذ منه شيا فان اخذ وجب عليه رده وقال الكلبي المعروف هو ركوب الدابة وخدمة الخادم

وليس

وليس له ان ياكل من ماله شيا وروي ان رجلاً قال لابن عباس ان لي يتيماً وان له ابلاً افاشرب من لبن ابله
فقال ابن عباس ان كنت تبغي ضالة ابله وتهنا جرباها وتلط حوضها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر
بنسل ولا ناهك في الحلب وقال قوم المعروف ان ياخذ من ماله بقدر قيامه واجرة عمله ولا قضا عليه وهو قول
عايشة وجماعة من اهل العلم وقوله تعالى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم هذا امر ارشاد وليس
بواجب امر الله تعالى الولي بالاشهاد على دفع المال الى اليتيم بعد البلوغ لتزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة
لانه اذا كانت عليه بينة كان ابعد من ان يدعي عليه المنفعة وتظهر بذلك امانة الوصي ويسقط عنه اليمين
عند انكار اليتيم القبض وكفى بالله حسيباً يعني محاسباً ومجازياً وشاهداً وقوله تعالى للرجال نصيب
مما ترك الوالدان والاقربون نزلت هذه الاية في اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امراة يقال لها
ام كحه وثلاث بنات منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرفجة فاخذا ماله
فلم يعطيا امراته ولا بناته شيا من ماله وذلك انهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النسا ولا الصغير من الذكور
وانما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا نعطي الارث الا من قاتل وحاز الغنيمة وحمى الحوزة فجات ام كحه
امراة اوس الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله مات اوس بن ثابت وترك ثلاث بنات وانا
امراته وليس عندي ما انفق عليهن وقد ترك ابوهن مالاً حسناً وهو عند سويد وعرفجة فلم يعطياني ولا بناته
شيا وهن في حجري ولا يطعمن ولا يسقين فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ان ولدها لا يركبن
فرساً ولا يحملن كلا ولا ينكين عدواً فانزل الله عز وجل هذه الاية وبين ان الارث غير مختص بالرجال بل هو
امر يشترك فيه الرجال والنسا فقال تعالى للرجال يعني الذكور من اولاد الميت وعصبته نصيب اي حظ مما
ترك الوالدان والاقربون يعني من الميراث وللنسا نصيب يعني وللاناث من اولاد الميت حظ مما قل منه
او كثر يعني من المال المخلف عن الميت نصيباً مفروضاً يعني معلوماً والفرض ما فرضه الله تعالى وهو اكد من
الواجب فلما نزلت هذه الاية مجملة ولم يبين كم هو النصيب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة
لا تفرقا من المال شيا فان الله تعالى قد جعل لبناته نصيباً مما ترك ولم يبين كم هو حتى انظر ما ينزل فيهن فانزل الله
تعالى يوصيكم الله في اولادكم الاية فلما نزلت ارسل الله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة ان ادفعا
الى ام كحه الثمن مما ترك والى بناته الثلثين ولكما باقي المال قوله عز وجل واذا حضر القسمة يعني قسمة الميراث
فعلى هذا القول يكون الخطاب للوارثين واذا حضر القسمة اولوا القربى يعني القرابة الذين لا يرثون
واليتامى والمساكين انما قدم اليتامى لشدة ضعفهم وحاجتهم فارزقوهم منه اي فارضخوا لهم من المال
قبل القسمة واختلف العلما في حكم هذه الاية فقال قوم هذه الاية منسوخة باية المواريث وهذا قبل نزول اية المواريث
فلما نزلت اية المواريث جعلت لاهلها ونسخت هذه الاية وهو رواية مجاهد عن ابن عباس وقول سعيد بن المسيب
وعكرمة والضحاك وقتادة وقال قوم هي محكمة غير منسوخة وهو الرواية الاخرى عن ابن عباس وهو قول ابي موسى
الاشعري والحسن وابي العالية والشعبي وعطا بن ابي رباح وسعيد بن جبير ومجاهد والنخعي والزهري ثم اختلف
العلما بعد القول بانها محكمة بهل هذا الامر امر وجوب ام ندب على قولين احدهما انه واجب فقيل ان كان الوارث كبيراً
وجب عليه ان يرضخ لمن حضر القسمة شيا من المال بقدر ما تطيب به نفسه وان كان الوارث صغيراً وجب على الولي ان يعتذر
اليهم ويقول اني لا املك هذا المال وهو لهولا الضعفا قال ابن عباس ان كان الورثة كباراً رضخوا لهم وان كان الورثة
صغاراً اعتذر اليهم فيقول الولي او الوصي اني لا املك هذا المال وانما هو للصغار ولو كان لي منه شي لاعطيتكم وان يكبروا
فسيعرفون حقكم هذا هو القول المعروف وقال بعضهم ذلك حق واجب في مال الصغار والكبار فان كان الورثة كباراً تولوا

اعطاهم بانفسهم وان كانوا صغارا اعطى وليهم روى محمد بن سيرين ان عبيدة السلمانى قسم اموال الايتام فامر بشاة
فذبحت وصنعت طعاما لاجل هذه الاية وقال لولا هذه الاية لكان هذا مالى وقال الحسن والنخعى هذا الرضخ
مختص بقسمة الاعيان فاذا الامر الى قسمة الارضين والرقيق وما اشبه ذلك **فقولوا لهم قولا معروفا**
وقيل كانوا يعطون التابوت والاوانى ورث الثياب والمتاع الذى يستحيى من قسمته والقول الثانى ان
هذا الامر ندب واستحباب على سبيل الفرض والايجاب وهذا القول هو الاصح الذى عليه العمل اليوم
واحتجوا لهذا القول بانه لو كان لهولاء حق معين لبينه الله تعالى كما بين ساير الحقوق فحيث لم يبين
علمنا ان ذلك غير واجب وقيل فى معنى الاية ان المراد بالقسمة الوصية فاذا حضر الوصية من لا يرث من الاقربا
واليتامى والمساكين امر الله الموصى ان يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا
معروفا ومواتا لا يتبع العطية بالمن والاذى قوله تعالى **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا**
يعنى اولادا صغارا **خافوا عليهم** يعنى الفقر وقيل هذا الخطاب للذين يجلسون عند المريض وقد
حضره الموت فيقولون له انظر لنفسك فان اولادك وورثتك لا يغنون عنك شيا قدم لنفسك اعتق
وتصدق واعط فلا يزالون به حتى يأتى على عامة ماله فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بان يامروه بالنظر
لولده ولا يزيد على الثلث فى وصيته ولا يجحف والمعنى كما انكم تكرهون بقا اولادكم فى الضعف والجوع من
غير مال فاخشوا الله ولا تحملوا المريض على ان يحرم اولاده الضعفا من ماله وحاصل هذا الكلام كما انك
لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضه لاخيك المسلم وكما انه لو كان هذا القايل هو الموصى لسره
ان يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده ولا يدعهم عالة يتكففون الناس مع ضعفهم وعجزهم وقيل
هو الرجل يحضره الموت ويريد ان يوصى بشى فيقول له من حضره من الرجال اتق الله وامسك مالك
لولدك فيمنعوه من الوصية لاقاربه المحتاجين وقيل يحتمل ان تكون الاية خطابا بالمن قرب اجله ويكون
المقصود نهيه عن تكثير الوصية لئلا تبقى ورثته فقرا ضعفا ضايعين بعد موته ثم ان كانت هذه الاية
نزلت قبل تقدير الثلث كان المراد منها ان لا يجعل الوصية مستغرقة للتركة وان كانت قد نزلت بعد تقرير
الثلث كان المراد منها ان يوصى بالثلث او باقل منه اذا خاف على ورثته كما روى عن كثير من الصحابة انهم وصوا
بالقليل لاجل ذلك وكانوا يقولون الخمس فى الوصية افضل من الربع والربع افضل من الثلث وقد ورد فى
الصحيح الثلث والثلث كثير انك ان تذر ورثتك اغنيا خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس يعنى
يسالونهم باكفهم وقيل هو خطاب للاوليا اليتامى والمعنى وليخش من يخاف على ولده من بعد موته ان يضيع مال اليتيم
الضعيف الذى هو ذرية غيره اذا كان فى حجره والمقصود من الاية ان من كان فى حجره يتيم فليحسن اليه وليفعل
به ما يجب ان يفعل باولاده من بعده **فليتقوا الله** يعنى فى الامر الذى تقدم ذكره **وليقولوا قولا سديدا** يعنى عدلا
وصوابا فالقول السديد من الجالسين عند المريض هو ان يامروه بان يتصدق بدون الثلث ويترك الباقى لولده
وورثته وان لا يحيف فى وصيته والقول السديد من الاوصيا واوليا اليتامى ان يكلموهم كما يكلمون اولادهم ولا يوذونهم
بقول ولا فعل قوله عز وجل **ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما** قال مقاتل بن حيان نزلت فى رجل من غطفان يقال
له مرثد بن زيد ولى مال اليتيم وكان اليتيم ابن اخيه فاكله فانزل الله هذه الاية ان الذين ياكلون اموال اليتامى
ظلما يعنى حراما بغير حق **انما ياكلون فى بطونهم نارا** يعنى سياكلون يوم القيمة نارا فسمى الذى ياكلون نارا لانه
يوول اليه امرهم يوم القيمة قال السدى يبعث اكل مال اليتيم ظلما يوم القيمة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه
واذنيه وعينيه وانفه يعرفه من راه باكل مال اليتيم وفى حديث ابى سعيد الخدرى قال حدثنا النبى

صلى الله

صلى الله عليه وسلم عن ليلة اسرى به قال نظرت فاذا انا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من ياخذ
بمشافرهم ثم يجعل فى افواههم صخرا من نار تخرج من اسافلهم قلت يا جبريل قلت من هولا قال هولا الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا وقيل انما ذكر اكل النار على سبيل التمثيل والتوسع فى الكلام والمراد
ان اكل مال اليتيم ظلما يفضى به الى النار وانما خص الاكل بالذكر وان كان المراد ساير انواع الاتلافات وجميع
التصرفات الردية المتلفة للمال لان الضرر يحصل بكل ذلك لليتيم فعبر عن جميع ذلك بالاكل لانه معظم
المقصود وانما ذكر البطون للتاكيد فهو كقولك رايت بعينى وسمعت باذنى **وسيصلون سعيرا** يعنى بالظلم
اموال اليتامى ظلما والسعير النار الموقدة المسعرة ولما نزلت هذه الاية ثقل ذلك على الناس واحترزوا من
مخالطة اليتامى واموالهم بالكلية فشق ذلك على اليتامى فنزل قوله وان تخالطوهم فاخوانكم وقد توهم
بعضهم ان قوله وان تخالطوهم ناسخ لهذه الاية وهذا غلط ممن توهمه لان هذه الاية وردت فى المنع
من اكل اموال اليتامى ظلما وهذا لا يصير منسوخا لان اكل مال اليتيم بغير حق من اعظم الاثام وقوله وان
تخالطوهم فاخوانكم فانها واردة على سبيل الاصلاح فى اموال اليتامى والاحسان اليهم وهو من اعظم القرب
قوله تعالى **يوصيكم الله فى اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين** اختلف العلما فى سبب نزول هذه الاية فروى
عن جابر قال مرضت فاتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى وابو بكر وهما ماشيان فوجدانى اغمى
على فتوضا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اصب وضوءه على فافقت فاذا النبى صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله كيف اصنع فى مالى كيف اقضى فى مالى فلم يجبنى بشى حتى نزلت اية الميراث وفى رواية فقلت
لا يرثنى الا كلالة كيف الميراث فنزلت اية الفرايض وفى رواية اخرى فنزلت يوصيكم الله فى اولادكم وفى رواية
اخرى فلم يرد على شيا حتى نزلت اية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم اخرجه البخارى ومسلم وقال مقاتل
والكلبى نزلت فى ام كحة امراة اوس بن ثابت وبناته وقال عطا نزلت فى سعد بن الربيع النقيب استشهد
يوم احد وترك امراة وبنتين واخا عن جابر رضى الله عنه قال جات امراة سعد بن الربيع بابنتها من
سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل ابوهما معك
يوم احد شهيدا وان عمهما اخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا ينكحان الا ولهما مال قال يقضى الله فى
ذلك فنزلت اية الميراث فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمهما فقال اعط ابنتى سعد الثلثين
واعط امهما الثمن وما بقى فهو لك اخرجه الترمذى وقال السدى كان اهل الجاهلية لا يورثون الجوارى
ولا الضعفا من الغلمان لا يرث الرجل من ولده الا من اطاق القتال فمات عبد الرحمن اخو حسان الشاعر
وترك امراة وخمس بنات فجات الورثة واخذوا ماله فشكت امراته الى النبى صلى الله عليه وسلم فانزل
الله هذه الاية وقبل الشروع فى تفسير هذه الاية الكريمة نقدم فصولا تتضمن احكام الفرايض واصول
قواعدها **فصل** فى الحث على تعليم الفرايض اعلم ان علم الفرايض من اعظم العلوم قدرا
واشرفها ذخرا وافضلها ذكرا وهى ركن من اركان الشريعة وفرع من فروعها فى الحقيقة اشتغل الصدر
الاول من الصحابة بتحصيلها وتكلموا فى فروعها واصولها ويكفى فى فضلها ان الله عز وجل تولى قسمتها
بنفسه وانزلها فى كتابه مبينة من محل قدسه وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليمها فيما
رواه ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرايض والقران وعلموا الناس فانى
مقبوض اخرجه الترمذى وقال فيه اضطراب واخرجه احمد بن حنبل وزاد فيه فانى امرؤ مقبوض والعلم
مرفوع ويوشك ان يختلف اثنان فى الفريضة فلا يجدان احدا يخبرهما عن ابى هريرة قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض وعلموها فانه نصف العلم وهو اول علم ينسى واول شيء ينزع
من امتي اخرجه ابن ماجه والدارقطني **فصل** في بيان احكام الفرائض اذا مات الميت وله مال
يبدا بتجهيزه من ماله ثم بقضاء ديونه ان كان عليه دين ثم انفاذ وصاياه وما فضل بعد ذلك من ماله يقسم بين
ورثته والوارثون من الرجال عشرة الابن وابن الابن وان سفل والاب والجد وان علا والاخ سواء كان لاب وام
او لام وابن الاخ للاب والام او للاب وان سفل والعم للاب والام او للاب وابناهما وان سفلوا والزوج والمعتق
والوارثات من النساء سبع البنت وبنت الابن وان سفلت والام والجدة وان علت والاخت من كل الجهات والمعتقة
وستة من هؤلاء لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير وهم الابوان والولدان والزوجان لانه ليس بينهم وبين الميت واسطة
ثم الورثة ثلاثة اصناف صنف يرث بالفرض المجرد وهم الزوجان والبنات والاخوات والامهات والجدات واولاد
الام وصنف يرث بالتعصيب وهم البنون والاخوة وبنوهم والاعمام وبنوهم وصنف يرث بالتعصيب تارة
وبالفرض اخرى وهم الاب والجد فيرث بالتعصيب اذا لم يكن للميت ولد فان كان له ابن ورث الاب بالفرض السدس
وان كانت بنت ورث السدس بالفرض واخذ الباقي بالتعصيب والعصبة اسم لمن ياخذ جميع المال اذا انفرد
وياخذ ما فضل عن اصحاب الفرائض **فصل** واسباب الارث ثلاثة نسب ونكاح وولاء فاهل النسب
القرابة يرث بعضهم بعضا والنكاح سواء يرث احد الزوجين من صاحبه بسبب النكاح والولاء ان المعتق وعصبته
يرثون المعتق والاسباب التي تمنع الميراث اربعة اختلاف الدين فالكافر لا يرث المسلم ولا المسلم يرث الكافر
لما روي عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم اخرجاه
في الصحيحين فاما الكفار فيرث بعضهم بعضا مع اختلاف مللهم واديانهم لان الكفر كله ملة واحدة وذهب
بعضهم الى ان اختلاف الملل في الكفر يمنع التوارث ايضا حتى لا يرث اليهودي من النصراني ولا النصراني من المجوسي
والى هذا ذهب الزهري والاوزاعي واحمد واسحق لما روي عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا توارث بين اهل ملتين اخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا يتوارث اهل ملتين شتى اخرجه ابو داود وحمله الاخرون على الاسلام والكفر لان
الكفر عندهم ملة واحدة فيورث بعضهم من بعض لا يكون فيه اثبات التوارث بين ملتين شتى والرق يمنع الارث
لان الرقيق ملك ولا ملك له فلا يرث ولا يورث والقتل يمنع الارث عمدا كان القتل او خطا لما روي عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاتل لا يرث اخرجه الترمذي وقال هذا حديث لا يصح والعمل عليه عند
اهل العلم ان القاتل لا يرث سواء كان القتل عمدا او خطا وقال بعضهم اذا كان القتل خطا فانه يرث وهو قول
مالك وعمى الموت وهو ان يخفى موت المتوارثين وذلك بان غرقا او انهدم عليهما بناء فلم يدر ايهما سبق موته
فلا يرث احدهما الاخر بل يكون ميراث كل واحد منهما لمن كان في حياته يقينا بعد موته من ورثته **فصل**
والسهام المحدودة في الفرائض المذكورة في كتاب الله عز وجل ستة النصف والربع والثمن والثلثان والثلث
والسدس فالنصف فرض خمسة فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب او بنت الابن
عند عدم بنت الصلب وفرض الاخت الواحدة للاب والام اذا لم يكن ولد لاب وام وفرض الاخت للاب
عند عدم الشقيقة والربع فرض الزوج مع الولد وفرض الزوجة مع عدم الولد والثمن فرض الزوجة
مع الولد والثلثان فرض البنتين فصاعدا او لبنات الابن مع عدم ولد الصلب وفرض الاختين فصاعدا
للاب والام او للاب والثلث فرض ثلاثة فرض الام اذا لم يكن للميت ولد ولا اثنان من الاخوة والاخوات الا في
مسئلتين احدهما زوج وابوان والاخرى زوجة وابوان فان للام فيهما ثلث الباقي بعد نصيب الزوج او الزوجة

وفرض

وفرض الاثنين فصاعدا من اولاد الام ذكرهم واناثهم فيه سواء وفرض الجد مع الاخوة اذا لم يكن في المسالة صاحب
فرض فكان الثلث خيرا للجد من المقاسمة مع الاخوة والسدس فرض سبعة فرض الاب اذا كان للميت ولد
وفرض الام اذا كان للميت ولد او ولد ابن او اثنان من الاخوة والاخوات وفرض الجد اذا كان للميت ولد ومع الاخوة
اذا كان في المسالة صاحب فرض وكان السدس خيرا للجد من المقاسمة مع الاخوة وفرض الجدة والجدات وفرض
الواحد من اولاد الام ذكرا كان او انثى وفرض بنات الابن مع بنت الصلب تكملة للثلثين **ق** عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فهو لاولى رجل ذكر **خ** عن ابن عباس قال كان المال للولد
والوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما احب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل للابوين لكل واحد منهما
السدس والثلث وجعل للمراة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع **فصل** روي عن زيد بن ثابت
قال ولد الابناء بمنزلة الابناء اذا لم يكن دونهم ابن ذكرهم كذكورهم واناثهم كاناثهم يرثون كما يرثون ويحجبون كما
يحجبون ولا يرث ولد ابن مع ابن ذكر فان ترك ابنة وابن ابن ذكرا كان للبنت النصف ولابن الابن ما بقي لقوله صلى
الله عليه وسلم الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فهو لاولى رجل ذكر ففي هذا الحديث دليل على ان بعض الورثة
تحجب البعض والحجب حجبان حجب نقصان وحجب حرمان اما الاول وهو حجب النقصان فهو ان الولد وولد الابن
تحجب الزوج من النصف الى الربع والزوجة من الربع الى الثمن والام من الثلث الى السدس وكذلك الاثنان
من الاخوة والاخوات يحجبون الام من الثلث الى السدس واما الثاني وهو حجب الحرمان فهو ان الام تسقط الجدات
واولاد الام وهم الاخوة للام يسقطون باربعة بالاب والجد وان علا وبالولد وولد الابن واولاد الاب والام
وهم الاخوة للاب والام يسقطون بثلاثة بالاب والابن وابن الابن وان سفلوا ولا يسقطون بالجد على مذهب
زيد بن ثابت وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وبه قال مالك والاوزاعي والشافعي واحمد واولاد الاب
يسقطون بهؤلاء الثلاثة وبالاخ للاب والام وذهب قوم الى ان الاخوة جميعا يسقطون بالجد كما يسقطون
بالاب وهو قول ابي بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وابي الدرداء وعائشة وبه قال الحسن وعطاء وطاوس
وابو حنيفة والاقرب من العصبات يسقط الابعد منهم فاقربهم الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد
وان علا فان كان مع الجد احد من الاخوة والاخوات للاب والام او للاب يشتركان في الميراث فان لم يكن جد
فالاخ للاب والام ثم الاخ للاب ثم بنو الاخوة يقدم اقربهم سواء كان لاب وام او لاب فان استويا في الدرجة
فالذي بنو لاب وام اولى ثم العم لاب وام ثم العم لاب ثم بنوهم على ترتيب بني الاخوة ثم عم الاب ثم عم الجد على هذا
الترتيب فان لم يكن احد من عصبات النسب وعلى الميت ولاء فالميراث للمعتق فان لم يكن حيا فلعصبات
المعتق واربعة من الذكور يعصبون الاناث الابن وابن الابن والاخ للاب والام والاخ للاب فلو مات عن
ابن وبنت او عن اخ واخت لاب وام او لاب يكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ولا يفرض للبنت والاخت
وكذلك ابن الابن يعصب من في درجته من الاناث ومن فوقه اذا لم ياخذ من الثلثين شيئا حتى لو مات عن
بنتين وبنت ابن فللبنتين الثلثان ولا شيء لبنت الابن فان كان في درجتها ابن ابن او اسفل منها ابن ابن
ابن كان الباقي بينهما للذكر مثل حظ الانثيين والاخت للاب والام او للاب تكون مع البنت عصبة حتى لو
مات عن بنت واخت كان للبنت النصف والباقي وهو النصف للاخت ولو مات عن بنتين واخت كان للبنتين
الثلثان والباقي للاخت ويدل على ذلك ما روي عن هذيل بن شرحبيل قال سئل ابو موسى عن ابنة وابنة
ابن واخت فقال للابنة النصف وللاخت النصف وائت ابن مسعود فسيتابعني فسئل ابن مسعود واخبر
بقول ابي موسى فقال ابن مسعود لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين ثم قال اقضي فيها بقضاء رسول الله صلى

الله عليه وسلم للابنة النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللاخت فاخبر ابو موسى بقول ابن
ابن مسعود فقال لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم اخرجه البخاري واما التفسير فقوله تعالى يوصيكم الله اي
يعهد اليكم ويفرض عليكم في اولادكم يعني في امر اولادكم اذا متم والوصية من الله ايجاب وانما بدأ الله تعالى بذكر
ميراث الاولاد لان تعلق قلب الانسان بولده اشد من تعلقه بغيره فلهذا قدم الله ذكر ميراثهم للذكر مثل
حظ الانثيين يعني ان المولود الذكر له من الميراث ضعفي سهام الانثى فللذكر سهمان وللانثى سهم فلو حصل
مع الاولاد غيرهم من الورثة من اهل الفروض كالابوين اخذوا فروضهم وما بقي بعد ذلك كان بين الاولاد للذكر
مثل حظ الانثيين فان كن يعني المتروكات من الاولاد نساء فوق اثنتين يعني بنتين فصاعدا واجمعت الامة على
ان للبنتين الثلثين الا ما روي عن ابن عباس انه ذهب الى ظاهر الاية وقال ان الثلثان فرض الثلاث من البنات
لان الله تعالى قال فان كن نساء فوق اثنتين فجعل الثلثين للنساء اذا زدن على البنتين وعنده ان فرض البنتين
النصف كفرض الواحدة واجيب عنه بوجوه فيها حجة لمذهب الجمهور ايضا الوجه الاول ان الله تعالى قال وان
كانت واحدة فلها النصف فجعل النصف للواحدة وذلك ينفي حصول النصف نصيبا للبنتين الوجه
الثاني ان في الاية تقديما وتاخيرا فالتقدير فان كن نساء اثنتين فما فوقهما فلهن الثلثان الوجه الثالث
ان لفظة فوق هاهنا صلة والتقدير فان كن نساء اثنتين فهو كقوله فاضربوا فوق الاعناق يعني فاضربوا
الاعناق وانما سمي الاثنتين نساء بلفظ الجمع لان العرب تطلق على الاثنين جماعة بدليل قوله تعالى فقد صغت
قلوبكما الوجه الرابع قال علماء الجمهور انما اعطينا البنتين الثلثين بتأويل القرآن لان الله تعالى جعل للبنت
الواحدة النصف بقوله وان كانت واحدة فلها النصف وجعل للاخت الواحدة النصف بقوله ان امرؤ هلك
ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ثم جعل للاختين الثلثين بقوله وان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فلما
جعل للاختين الثلثين علمنا ان للبنتين الثلثين قياسا على الاختين الوجه الخامس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قضى بالثلثين لابنتي سعد بن الربيع وهذا نص واضح في المسئلة وقوله تعالى وان كانت واحدة يعني البنت
الواحدة فلها النصف يعني فرضا لها ولابويه يعني ابوي الميت كناية عن غير مذكور وهما والداه لكل واحد
منهما السدس مما ترك ان كان له ولد يعني ان للاب والام مع وجود الولد وولد الابن لكل واحد منهما سدس الميراث
واعلم ان اسم الولد يقع على الذكر والانثى فاذا مات الميت وترك ابوين وولدا ذكرا واحدا كان او اكثر او ترك بنات
فان للام السدس بالفرض وللاب السدس مع الولد الذكر بالفرض ومع البنات له السدس بالفرض والسدس
بالتعصيب وهو الباقي من التركة وله مع البنت الواحدة السدس بالفرض والباقي بالتعصيب فان لم يكن له
ولد يعني للميت وورثه ابواه فلامه الثلث يعني ان الميت اذا مات عن ابويه وليس له وارث سواهما فان الام تاخذ
الثلث بالفرض وياخذ الاب باقي المال بالفرض والتعصيب فيكون المال بينهما اثلاثا للذكر مثل حظ الانثيين
فان كان مع الابوين احد الزوجين فيفرض للام ثلث الباقي بعد نصيب الزوج والزوجة فان كان له يعني للميت اخوة
يعني ذكورا واناثا فلامه السدس يعني لام الميت سدس التركة اذا كان معها اب واجمع العلماء على ان الثلاثة يحجبون
الام من الثلث الى السدس وان الاخ الواحد او الاخت الواحدة لا تحجب الام من الثلث الى السدس واختلفوا في
الاخوين فالاكثرون من الصحابة يقولون ان الاخوين يحجبان الام من الثلث الى السدس وهذا قول عمر وعثمان
وعلي وزيد بن ثابت والجمهور وقال ابن عباس لا يحجب الاخوة الام من الثلث الى السدس الا ان يكونوا ثلاثة قال
ابن عباس لعثمان لم صار الاخوان يردان الام من الثلث الى السدس وانما قال الله تعالى فان كان له اخوة
والاخوان في لسان قومك ليسا باخوة فقال عثمان يا ابن اخي ان قومك حجبوها باخوين ولا استطيع نقض امر

قد كان قبلي وانما نشأ هذا الاختلاف لانهم اختلفوا في اقل الجمع وفيه قولان احدهما ان اقل الجمع اثنان وهو قول
القاضي ابي بكر الباقلاني وحجة هذا القول انك اذا جمعت واحدا الى واحد فهما جماعة لان اصل الجمع ضم شيء
الى شيء وقال ابن الانباري التثنية عند العرب اول الجمع ومشهور في كلامهم ايقاع الجمع على التثنية فمن ذلك
قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين وهما داود وسليمان ومنه قوله تعالى فقد صغت قلوبكما يريد قلبيكما والقول
الثاني ان اقل الجمع ثلاثة وهو قول جمهور العلماء وهو الاصح انما حجب العلماء الام بالاخوين لدليل اتفقوا عليه
وهو ان لفظة الاخوة تطلق على الاخوين فما زاد وذلك جائز في اللغة كما تقدم ثم ان الاخوة انما يحجبون
الام من الثلث الى السدس فانهم لا يرثون شيئا البتة بل ياخذ الاب الباقي كرجل مات عن ابوين واخوين
فان للام السدس والباقي وهو خمسة اسداس للاب سدس بالفريضة والباقي بالتعصيب قال قتادة
وانما حجب الاخوة الام من غير ان يرثوا مع الاب شيئا معونة للاب لانه يقوم بشأنهم وينفق عليهم دون الام
من بعد وصية يوصي بها او دين يعني ان هذه الانصبة والسهام انما تقسم بعد قضاء الدين وانفاذ
وصية الميت في ثلثه وذكر الوصية مقدم على الدين في اللفظ لا في الحكم لان لفظة او لا توجب الترتيب
وانما هي لاحد الشيئين كانه قال من بعد احد هذين مفردا او مضموما الى الاخر قال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه انكم تقرؤون الوصية قبل الدين وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية
وهذا اجماع ان الدين مقدم على الوصية والارث مؤخر عنهما لان الدين حق على الميت والوصية
حق له وهما يتقدمان على حق الورثة قوله تعالى اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا قيل
هذا الكلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين قوله فريضة من الله ولا تعلق له بمعنى الاية
ومعنى هذا الكلام في قول ابن عباس ان الله عز وجل يشفع المؤمنين بعضهم في بعض فاطوعهم لله تعالى
من الاباء والابناء ارفعهم درجة فان كان الوالد ارفع درجة من ولده رفع الله اليه ولده وان كان الولد ارفع من والديه رفع
الله اليه والديه لتقر بذلك اعينهم فقال تعالى لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا لان احدهما لا يعرف منفعة
صاحبه له في الجنة وسبقه الى منزلة عالية يكون سببا لرفعه اياها وقيل ان هذا الكلام معترض بينهما وانما
تعلق بمعنى الاية بقوله اباؤكم وابناؤكم يعني الذين يرثونكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون
ايهم انفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من يظن ان الاب انفع له ومنكم من يظن ان الابن انفع له فيكون الابن انفع له
ولكن الله تعالى هو الذي دبر امركم على ما فيه المصلحة لكم فاتبعوه ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم انفع لكم فتعطون
من لا يستحق من الميراث وتمنعون من يستحق من الميراث فريضة من الله يعني ما قدر من المواريث لاهلها
فريضة واجبة ان الله كان عليما حكيما يعني كان عالما بالاشياء قبل خلقها حكيما فيما قدر من الفرائض
وفرض من الاحكام وقيل معناه كان عليما بخلقه قبل ان يخلقهم حكيما حيث فرض للصغار مع الكبار ولم
يخص الكبار بالميراث كما كانت العرب تفعل وفي معنى لفظة كان ثلاثة اقوال احدها ان الله تعالى كان عليما
بالاشياء قبل خلقها ولم يزل كذلك الثاني حكى الزجاج عن سيبويه انه قال ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة
ومغفرة وتفضلا فقيل لهم ان الله كان كذلك ولم يزل الله على ما شاهدتم الثالث قال الخليل الخبر عن
الله عز وجل بمثل هذه الاشياء كالخبر بالحال والاستقبال لان صفات الله لا يجوز عليها الزوال والتغير
قوله عز وجل ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن
من بعد وصية يوصين بها او دين هذا ميراث الازواج من الزوجات وقال تعالى في ميراث الزوجات
من الازواج ولهن يعني للزوجات الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم

فيكون الابن انفع له

من بعد وصية توصون بها او دين لما جعل الله في الموجب للنسبي حظ الرجل مثل حظ الانثيين جعل في الموجب
السببي للرجل مثل حظ الانثيين واعلم ان الواحدة من النسا لها الربع او الثمن وكذلك لو كن اربع زوجات فانهن
يشتركن في الربع او الثمن واسم الولد يطلق على الذكر والانثى ولا فرق بين الولد وولد الابن وولد البنت في ذلك
وسوا كان الولد للرجل من الزوجة او من غيرها قوله تعالى وان كان رجل يورث كلالة او امراة تقدير الاية وان
كان رجل او امراة يورث كلالة واختلفوا في الكلالة فذهب اكثر الصحابة الى ان الكلالة من لا ولد له ولا والد
روي الشعبي قال سئل ابو بكر الصديق عن الكلالة فقال سا قول فيها قولا برايي فان كان صوابا فمن الله وان
كان خطا فمني ومن الشيطان اراه ما خلا الوالد والولد فلما استخلف عمر قال اني لاستحي الله ان ارد شيا قاله
ابو بكر وهذا قول علي وابن مسعود وزيد بن ثابت واحدى الروايتين عن عمر وابن عباس وهذا القول
هو الصحيح المختار ويدل على صحته ان اشتقاق الكلالة من كلت الرحم بين فلان وفلان اذا تباعدت القرابة
بينهم فسميت القرابة البعيدة كلالة من هذا الوجه وقيل ان الكلالة في اصل اللغة عبارة عن الاحاطة
ومنه الاكليل لاحاطته بالراس فمن عدا الوالد والولد من القرابة انما سموا كلالة لانهم كالدايرة المحيطة
بالانسان اما نسبة الولادة فليست كذلك لان فيها تفرع البعض عن البعض وتولد البعض من البعض
نحو كالشي الواحد الذي يتزايد على نسق واحد فاما القرابة المغايرة لقرابة الولادة وهم الاخوة والاخوات
والاعمام والعمات وغيرهم فانما يحصل نسبهم اتصالا واحاطة بالمنسوب اليه فثبت بذلك ان الكلالة
عبارة عمن عدا الوالد والولد والرواية الاخرى عن عمر وابن عباس ان الكلالة من لا ولد له وبه قال طاوس
واحتج لهذا القول بقوله الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وبيانه ان عند عامة العلما ماخوذ
من حديث جابر بن عبد الله لان الاية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها اب ولا ابن لان اباه قتل يوم احد واية الكلالة
نزلت في اخر عمر النبي صلى الله عليه وسلم فصار شان جابر بيانا لمراد الاية التي في اخر السورة لنزولها فيه واختلفوا
في ان الكلالة اسم لمن فمنهم من قال هو اسم للميت وهو قول علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس لانه مات
عن ذهاب طرفيه فكل عمود نسبه وقيل اسم للحي من الورثة وهو قول ابي بكر الصديق وعليه جمهور العلما الذين
قالوا ان الكلالة من دون الوالد والولد ويدل عليه حديث جابر انما يرثني كلالة اي يرثني ورثة ليسوا بولد ولا والد
فان كان المراد بالكلالة الميت الموروث فالمراد يرثه غير الوالد والولد وان كان المراد الوارثين فهم غير الوالد
والولد وقال ابن زيد الكلالة الذي لا ولد له ولا والد الحي والميت كلهم كلالة هذا يرث بالكلالة وهذا
يورث بالكلالة وقال ابو الخير سال رجل عقبة عن الكلالة فقال الا تعجبون من هذا يسالني عن الكلالة وما
اعضل باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شي ما اعضلت بهم الكلالة ق عن عمر قال ثلاث وددت ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهي اليه الجد والكلالة وابواب من ابواب الربا وهذا طرف حديث
في ذكر الخمر م عن معدان بن ابي طلحة قال خطب عمر بن الخطاب فقال اني لا ادع بعدي شيا اهم عندي من الكلالة
ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شي ما راجعته في الكلالة وما اغلظ في شي ما اغلظ لي في الكلالة
حتى طعن باصبعه في صدري وقال يا عمر الا يكفيك اية الصيف التي في اخر سورة النسا واني ان اعش اقض فيها
بقضية يقضي بها من يقرا القران ومن لا يقرا القران لفظ مسلم قوله الا يكفيك اية الصيف اراد ان الله عز
وجل انزل في الكلالة ايتين احدهما في الشتا وهي التي في اول سورة النسا والاية الاخرى في الصيف وهي التي في
اخر السورة وفيها من البيان ما ليس في اية الشتا فلذلك احاله عليها وقوله عز وجل وله اخ او اخت فلكل واحد
منهما السدس اراد به الاخ والاخت للام باتفاق العلما وقرا سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من ام فان قلت

ان الله

ان الله تعالى قال فان كان رجل يورث كلالة او امراة ثم قال تعالى وله اخ فذكر الرجل ولم يذكر المراة فما السبب
فيه قلت هذا على عادة العرب فانهم اذا ذكروا اسمين ثم اخبروا عنهما وكانا في الحكم سوا ربما اضافوا احدهما
الى الاخر وربما اضافوا اليهما فهو كقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة ثم قال تعالى وانها لكبيرة وقال
الفرا اذا جا حرفان في معنى واحد جاز اسناد التفسير الى ايهما اريد ويجوز اسناده اليهما ايضا فان كانوا
اكثر من ذلك فهم شركا في الثلث وهذا باجماع العلما ان اولاد الام اذا كانوا اثنين فصاعدا يشتركون في
الثلث ذكرهم وانثاهم فيه سوا قال ابو بكر الصديق في خطبته الا ان الاية التي انزل الله في اول سورة النسا
من شان الفرايض انزلها في الولد والوالد والام والاية الثانية في الزوج والزوجة والاخوة من الام
والاية الثالثة التي ختم بها سورة النسا في الاخوة والاخوات من الاب والام والاية التي ختم بها سورة
الانفال انزلها الله في اولي الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله قوله تعالى من بعد وصية يوصى بها
او دين تقدم تفسيره وبقي شي من الاحكام نذكرها هنا وذلك ان ظاهر الاية يدل على جواز الوصية بكل
المال وببعضه وفي معنى الاية ما روي عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ
مسلم له شي يوصي فيه وفي رواية له شي يريد ان يوصي به ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليال الا ووصيته
مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ذلك الا وعندي وصيتي مكتوبة اخرجاه في الصحيحين ففي ظاهر الاية والحديث
ما يدل على اطلاق الوصية لكن ورد في السنة ما يدل على تقييد هذا المطلق وتخصيصه وهو قوله
صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن ابي وقاص قال الثلث والثلث كثير انك ان تذر ورثتك اغنيا
خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان الوصية
لا تجوز باكثر من الثلث وان النقصان عن الثلث جايز ولا تجوز الوصية لوارث ويدل عليه ما روي عن
عمرو بن خارجة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل اعطى كل ذي حق حقه
فلا وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر اخرجه الترمذي والنسائي عن ابي امامة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث اخرجه ابو داود
وقوله تعالى غير مضار يعني غير مدخل للضرر على الورثة بمجاوزة الثلث في الوصية وهو ان يوصي باكثر
من الثلث وقيل هو ان يوصي بدين ليس عليه او يقر بماله او اكثر ماله لاجنبي ويترك ورثته عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل والمراة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت
فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ثم قرا ابو هريرة من بعد وصية يوصى بها او دين الى قوله ذلك
الفوز العظيم اخرجه ابو داود والترمذي وقال قتادة كره الله الضرار في الحياة وعند الموت ونهى عنه
وقدم فيه وقيل ان الاضرار في الوصية من الكباير لان مخالفة امر الله عز وجل كبيرة وقد نهى الله عن الاضرار
في الوصية فدل على ان ذلك من الكباير واعلم ان الاولى بالانسان ان ينظر عند الموت في قدر ما يخلف
من المال ومن يخلف من الورثة ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان ماله قليلا وفي الورثة كثرة فالاولى
به ان لا يوصي بشي كقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن ابي وقاص انك ان تذر ورثتك اغنيا خير من
ان تذرهم عالة يتكففون الناس وان كان في المال كثرة اوصى بحسب المال وبحسب الورثة وحاجتهم
بعده في القلة والكثرة وقوله تعالى وصية من الله اي فريضة من الله وقيل عهد امر الله اليكم فيما
يجب لكم من ميراث موتاكم والله عليم يعني ان الله تعالى عليم بمصالح عباده ومضارهم وبما يفرض عليهم من

الاحكام وقيل عليم بمن يجور في وصيته وبمن لا يجور حليم يعني انه تعالى ذو حلم وذو اناة في ترك العقوبة عمن
جار في وصيته وقال ابو سليمان الخطابي الحليم ذو الصفح والاناة الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه
جهل جاهل والحليم هو الصفوح مع القدرة المتاني الذي لا يعجل بالعقوبة قوله عز وجل تلك حدود الله
يعني الاحكام التي تقدم ذكرها في هذه السورة في مال اليتامى والوصايا والانكحة والمواريث وانما سماها
حدودا لان الشرايع كالحدود المضروبة للمكلفين فلا يجوز لهم ان يتجاوزوها وقال ابن عباس يريد ما حد
الله من فرايضه ومن يطع الله ورسوله يعني في شان المواريث ورضي بما قسم الله له وحكم عليه يدخله
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله يعني في
شان المواريث ولم يرض بقسمة الله ورسوله ويتعد حدوده يعني ويتجاوز ما امر الله تعالى يدخله
نارا خالدا فيها وله عذاب مهين فان قلت كيف قطع للعاصي بالخلود في النار في هذه الاية وهل فيها
دليل للمعتزلة على قولهم ان العصاة والفساق من اهل الايمان يخلدون في النار قلت قال الضحاك المعصية
هنا الشرك وروى عكرمة عن ابن عباس في معنى الاية من لم يرض بقسمة الله ويتعدى ما قال الله يدخله
نارا وقال الكلبي يكفر بقسمة المواريث ويتعدى حدود الله استحلالا اذا ثبت ذلك فمن رد حكم الله ولم
يرض بقسمه كفر بذلك واذا كفر كان حكمه حكم الكفار في الخلود في النار اذا لم يتب قبل موته وان مات
وهو مصر على ذلك كان مخلدا في النار بكفره فلا دليل في الاية للمعتزلة والله اعلم قوله تعالى واللاتي
هو جمع التي وهي كلمة يخبر بها عن المؤنث خاصة ياتين الفاحشة يعني يفعلن الفاحشة يقال اتيت امرا قبيحا
اذا فعلته والفاحشة في اللغة الفعلة القبيحة وقيل الفاحشة عبارة عن كل فعل او قول يعظم قبحه في
النفوس ويقبح ذكره في الالسنة حتى يبلغ الغاية في جنسه وذلك مخصوص بشهوة الفرج الحرام وكذلك اجمعوا على
ان الفاحشة هاهنا الزنا وانما سمي الزنا فاحشة لزيادة قبحه من نسايكم قيل هن المزوجات وقيل المراد بهن جنس
النسا فاستشهدوا عليهن اربعة منكم يعني من المسلمين وهذا خطاب للازواج اي اطلبوا اربعة من الشهود
يشهدوا عليهن وقيل هو خطاب للحكام اي اسمعوا شهادة اربعة عليهن ويشترط في هذه الشهادة العدالة
والذكورة قال عمر بن الخطاب انما جعل الله الشهود اربعة سترا ستركم به دون فواحشكم فان شهدوا يعني
الشهود بالزنا فامسكوهن في البيوت اي فاحبسوهن في البيوت والحكمة في حبسهن ان المراة انما تقع في الزنا
عند الخروج والبروز للرجال فاذا حبست في البيت لم تقدر على الزنا حتى يتوفاهن الموت يعني يتوفاهن ملكة
الموت عند انقضا اجالهن او يجعل الله لهن سبيلا وهذا الحكم كان في اول الاسلام قبل نزول الحدود وكانت المراة
اذا زنت حبست في البيت حتى تموت ثم نسخ الحبس بالحدود وجعل الله لهن سبيلا عن عبادة بن الصامت قال
كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه كرب لذلك وتربد وجهه فانزل الله عليه ذات يوم فلقي كذلك
فلما سري عنه قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد ماية ونفي سنة والثيب بالثيب جلد
ماية والرجم

فصل اتفق العلما على ان هذه الاية منسوخة ثم اختلفوا في ناسخها فذهب بعضهم
الى ان ناسخها هو حديث عبادة بن الصامت المتقدم وهذا على مذهب من يرى نسخ القران بالسنة وذهب
بعضهم الى ان الاية منسوخة بالحديث والحديث منسوخ باية الجلد وقال ابو سليمان الخطابي لم يحصل
النسخ في هذه الاية ولا في الحديث وذلك لان قوله تعالى فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل
الله لهن سبيلا يدل على امساكهن في البيوت ممدودا الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا وان ذلك السبيل
كان مجملا فلما قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الحديث فصار هذا الحديث بيانا

لتلك الاية المجملة لا ناسخا لها واجمع العلما على جلد البكر الزاني ماية ورجم المحصن وهو الذي اجتمع فيه
اربعة اوصاف البلوغ والعقل والحرية والاصابة في نكاح صحيح وهو الثيب واختلفوا في جلد الثيب ورجمه
فذهبت طايفة الى انه يجب الجمع بينهما وبه قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه والحسن البصري واسحق بن
راهويه وداود واهل الظاهر وروي عن علي بن ابي طالب انه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس ورجمها يوم
الجمعة وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جماهير العلما الواجب
على المحصن الزاني الرجم وحده لان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية ولم يجلدهما واما تغريب
البكر الزاني ونفيه سنة فمذهب الشافعي وجماهير العلما وقال ابو حنيفة وحماد لا ينفى بالنفي حدا الا ان
يراه الحاكم تعزيرا وقال مالك والاوزاعي لا نفي على النسا ويروى مثله عن علي قالوا لان المراة عورة وفي نفيها
تضييع لها وتعريض لها للفتنة وحجة الشافعي وجماهير العلما ظاهر حديث عبادة بن الصامت وهو قوله
صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد ماية ونفي سنة وروى نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب
وغرب وان ابا بكر ضرب وغرب وان عمر ضرب وغرب وان كان الزاني عبدا فعليه جلد خمسين وفي تغريبه
قولان فان قلنا انه يغرب ففيه قولان اصحهما انه يغرب نصف سنة قياسا على حده وان كان الزاني محصونا
او غير بالغ فلا حد عليه قوله عز وجل واللذان فهو تثنية الذي ياتيانها يعني ياتيان الفاحشة
منكم يعني من رجالكم ونسايكم وقيل هما البكران اللذان لم يحصنا وهما غير المعنيين بالاية الاولى وقيل المراد
بمن ذكره في الاولى النسا وهذه للرجال لان الله تعالى حكم في الاية الاولى بالحبس في البيت على النسا وهو
اللايق بهن لان المراة انما تقع في فعل الفاحشة عند الخروج فاذا حبست في البيت انقطعت مادة المعصية
واما الرجل فلا يمكن حبسه في البيت لانه يحتاج الى الخروج في اصلاح معاشه واكتساب قوت عياله فجعلت
عقوبة الرجل الزاني الاذية بالقول والفعل فاذوهما يعني عيروهما بالقول واللسان وهو ان يقال له اما
خفت الله اما استحييت من الله حيث زنيت وقال ابن عباس سبوهما واشتموهما وفي رواية عنه قال هو
باللسان واليد يوذى بالتعيير ويضرب بالنعال فان تابا يعني من الفاحشة واصلحا يعني العمل فيما ياتي
فاعرضوا عنهما اي اتركوهما ولا توذوهما ان الله كان توابا رحيما يعني انه تعالى يعود على عبده بفضله
ومغفرته ورحمته اذا تاب اليه وهذا الحكم كان في ابتدا الاسلام كان يحد الزاني الاذى بالتوبيخ والتعيير بالقول
باللسان فلما نزلت الحدود وثبتت الاحكام نسخ ذلك الاذى بالاية التي في سورة النور وهو قوله تعالى الزانية
والزاني فاجلدوا كل واحد منهما ماية جلدة ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ان كنتم الاية فثبت الجلد على البكر
بنص الكتاب وثبت الرجم على الثيب المحصن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صح ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم رجم ماعزا وكان قد احصن وسوا في هذا الحكم المسلم واليهودي لانه ثبت في الصحيح ان النبي صلى
الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا وكانا قد احصنا وقال ابو حنيفة لا رجم على اليهودي لان المشرك ليس
بمحصن واجيب عنه بان المراد بهذا الاحصان احصان العفاف لا احصان التزوج قوله تعالى انما التوبة على
الله يعني التوبة التي يقبلها الله فتكون على بمعنى عند وقيل على بمعنى من اي من الله وقال اهل المعاني ان الله
عز وجل وعد قبول التوبة من المومنين في قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة واذا وعد الله شيا انجز ميعاده وصدق
فيه فمعنى قوله على الله اوجبه على نفسه من غير ايجاب احد عليه لانه تعالى يفعل ما يريد للذين يعملون السو
يعني الذنوب والمعاصي سميت سوا لسو عاقبتها اذا لم يتب منها بجهالة قال قتادة اجمع اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم على ان كل شي عصي الله به فهو جهالة عمدا كان او غيره وكل من عصى الله فهو جاهل وقال ابن عباس

من عمل السوء فهو جاهل بجهالته لانه عمل السوء فكل من عصى الله سمي جاهلا وسمي فعله جهالة وانما سمي من عصى الله
جاهلا لانه لم يستعمل ما معه من العلم بالثواب والعقاب واذا لم يستعمل ذلك سمي جاهلا بهذا الاعتبار وقيل
معنى الجهالة سوء اختيار اللذة الباقية **ثم يتوبون من قريب** يعني يتوبون بعد الاقلاع عن الذنب بزمان
قريب لئلا يبعد في زمرة المصرين وقيل قبل معاينة ملك الموت ومعاينة اهوال الموت وانما سميت هذه
المدة قريبة لان كل ما هو آت فهو قريب وفيه تنبيه على ان عمر الانسان وان طال فهو قليل وان الانسان
يتوقع في كل ساعة ولحظة نزول الموت به عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد
ما لم يغرغر اخرجه الترمذي الغرغرة ان يجعل المشروب في فم المريض فيردده في الحلق ولا يصل اليه ولا يقدر على
بلعه وذلك عند بلوغ الروح الى الحلقوم وروى البغوي بسنده عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الشيطان قال وعزتك يا رب لا ابرح اغوي عبادك ما دامت ارواحهم في اجسادهم فقال
الرب تبارك وتعالى وعزتي وجلالي وارتفاعي في مكاني لا ازال اغفر لهم ما استغفروني وقيل في معنى الاية ان
القريب هو ان يتوب الانسان قبل ان يحيط السوء بحسناته فيحبطها **فاولئك يتوب الله عليهم** يعني
يقبل توبتهم **وكان الله عليما حكيما** قال ابن عباس علم ما في قلوب المؤمنين من التصديق واليقين فحكم
بالتوبة قبل الموت ولو بقدر فواق ناقة وقيل في معنى الاية علم انما اتى بتلك المعصية لاستيلاء الشهوة
والجهالة عليه فحكم بالتوبة لمن تاب عنها واناب عن قريب قوله عز وجل **وليست التوبة للذين يعملون
السيئات** قال ابن عباس يريد الشرك وقال ابو العالية وسعيد بن جبير هم المنافقون وقال سفيان
الثوري هم المسلمون الا ترى انه قال ولا الذين يموتون وهم كفار **حتى اذا حضر احدهم الموت** يعني وقع في
النزع وعاين ملائكة الموت وهي حالة السوق حين تساق الروح للخروج من جسده **قال اني تبت الآن** قال
المحققون قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الاحوال التي لا يمكن معها الرجوع
الى الدنيا بحال ولذلك لم تقبل توبة فرعون ولا ايمانه وهو قوله تعالى حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه
لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ويدل
على ذلك ايضا قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا فان قلت قد تعلقت الوعيدية بهذه الاية
وقالوا اخبر الله تعالى ان عصاة المؤمنين اذا اهملوا التوبة الى ان حضرهم الموت فانهم يحصلوا على عذاب الآخرة
مع الكفار لان الله تعالى جمعهم في قوله اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما وايضا انه تعالى اخبر انه لا توبة
لهم عند معاينة الموت واشباهه قلت ليس الامر على ما زعموا فقد روي عن ابن عباس في قوله وليست
التوبة للذين يعملون السيئات يريد الشرك وقال سعيد بن جبير نزلت الاية الاولى في المؤمنين يعني قوله
انما التوبة على الله والوسطى في المنافقين يعني قوله وليست التوبة والاخرى في الكافرين يعني قوله ولا
الذين يموتون وهم كفار واذا كانت الاية نازلة في الكفار والمنافقين فلا وجه لحملها على المؤمنين وعلى تقدير
ان تكون الاية نازلة في عصاة المؤمنين فقد روي عن ابن عباس في قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات
ثم انزل الله تعالى بعد ذلك ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فحرم الله المغفرة على من مات
وهو كافر وارجى اهل التوحيد الى مشيئته ولم يؤيسهم من المغفرة فعلى هذا القول تكون الاية منسوخة في حق المؤمنين
وقوله تعالى **ولا الذين يموتون وهم كفار** معناه لا توبة للكفار اذا ماتوا على كفرهم وانما لم تقبل توبتهم في
الآخرة لرفع التكليف في الآخرة ومعاينة ما وعدوا به من العقاب **اولئك اعتدنا لهم** اي هيأنا لهم **عذابا
اليما** قوله تعالى **يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها** نزلت في اهل المدينة وذلك انهم كانوا

في الجاهلية وفي اول الاسلام اذا مات الرجل وخلف امرأة جاء ابنه من غيرها او قريبه من ذوي عصبته فالقى
ثوبه على تلك المرأة وعلى خبائها صار احق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق
الاول الذي اصدقها الميت وان شاء زوجها غيره واخذ هو صداقها وان شاء عضلها ومنعها من الازواج
يضارها بذلك لتفتدي منه بما ورثت من الميت او تموت هي فيرثها فان ذهبت المرأة الى اهلها قبل ان
يلقي عليها ولي زوجها ثوبه كانت احق بنفسها وكانوا على ذلك حتى توفي ابو قيس بن الاسلت الانصاري
وترك امرأته كبيشة بنت معن الانصارية فقام ابن له من غيرها يقال له حصن وقيل اسمه قيس بن ابي قيس
فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها بذلك لتفتدي منه فاتت كبيشة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابا قيس توفي وورث نكاحي ابنه فلا هو ينفق علي ولا هو يدخل
بي ولا يخلي سبيلي فقال لها اقعدي في بيتك حتى يأتي امر الله فيك فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم
ان ترثوا النساء كرها يعني ميراث نكاح النساء وقيل معناه ان ترثوا اموالهن كرها يعني وهن كارهات
ولا تعضلوهن اي ولا تمنعوهن من الازواج واصل العضل المنع **لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن** يعني لتفتدي
فتفتدي ببعض ما لها قيل هو خطاب للازواج قال ابن عباس هذا في الرجل تكون له امرأة وهو كاره لها
ولصحبتها ولها عليه مهر فيضارها لتفتدي منه وترد اليه ما ساق اليها من المهر فنهى الله عن ذلك وقيل
كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها ثم طلقها يضارها بذلك فنهوا عن ذلك وقيل هو خطاب لاولياء الميت
فنهاهم الله عن عضل المرأة ثم قال تعالى **الا ان يأتين بفاحشة مبينة** يعني فحينئذ يحل لكم اضرارهن
لتفتدي منكم واختلفوا في الفاحشة المبينة فقيل هي النشوز وسوء الخلق وايذاء الزوج واهله وقيل الفاحشة
هي الزنا يعني ان المرأة اذا نشزت او زنت حل للزوج ان يسألها الخلع وقيل كانت المرأة اذا اصابت فاحشة
اخذ منها زوجها ما ساق اليها واخرجها فنسخ الله ذلك بالحدود **وعاشروهن بالمعروف** قيل هو راجع الى
الكلام الذي قبله والمعنى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة وعاشروهن بالمعروف والمعاشرة بالمعروف هي الاجمال
في القول والمبيت والنفقة وقيل هو ان تصنع لها كما تحب ان تصنع لك **فان كرهتموهن** يعني فان كرهتم عشرتهن
وصحبتهن واثرتم فراقهن **فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** قال ابن عباس ربما رزق منها
ولدا صالحا فجعل الله في ولدها خيرا كثيرا فتنقلب تلك الكراهة محبة والنفرة رغبة وقيل في الاية ندب
الى امساك المرأة مع الكراهة لانه اذا اكره صحبتها وتحمل ذلك المكروه طلبا للثواب وانفق عليها واحسن هو
صحبتها استحق الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى وقيل في معنى الاية انكم ان كرهتموهن ورغبتم
في فراقهن فربما جعل الله في تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا وذلك بان تخلص من هذا الزوج الكاره لها وتتزوج
غيره خيرا منه قوله عز وجل **وان اردتم استبدال زوج مكان زوج** الخطاب للرجال واراد بالزوج الزوجة
قال المفسرون لما ذكر الله في الاية الاولى مضارة الزوجات اذا اتين بفاحشة وهي اما النشوز او الزنا
بين في هذه الاية تحريم المضارة اذا لم يكن من قبلها نشوز ولا زنا ونهى عن حبس الرجل حق المرأة اذا اراد
طلاقها واستبدال غيرها **وآتيتم احداهن قنطارا** يعني وان كان ذلك الصداق مالا كثيرا وفي الاية
دليل على جواز المغالاة في المهور روي ان عمر قال على المنبر الا لا تغالوا في مهور نسائكم فقامت امرأة فقالت
يا ابن الخطاب الله يعطينا وانت تمنعنا وتلت الاية فقال كل الناس افقه من عمر وفي رواية امرأة اصابت
وامير اخطأ ورجع عن كراهة المغالاة وقد تغالى الناس في صدقات النساء حتى بلغوا الالوف وقيل ان خير الامور
ايسرها واسهلها **فلا تأخذوا منه شيئا** يعني القنطار الذي آتيتموهن لو جعلتم ذلك القدر لهن صداقا

فلا تاخذوا منه شيا وذلك ان نشوز العشرة اما ان يكون من قبل الزوج او من قبل الزوجة فان كان من قبل الزوج
واراد طلاق المراة فلا يحل له ان ياخذ شيا من صداقها وان كان النشوز من قبل المراة فحلال له ذلك **اتاخذونه**
استفهام بمعنى التوبيخ **بهتانا** يعني ظلما وقيل باطلا **واثما مبينا** يعني اتاخذونه مباهتين اثمين فلا تفعلوا
مثل هذا الفعل مع ظهور قبحه في الشرع والعقل ثم قال تعالى **وكيف تاخذونه** كلمة تعجب والمعنى لاي وجه تفعلون
مثل هذا الفعل وكيف يليق بالعاقل ان يسترد شيا بذله لزوجته عن طيب نفس وقيل هو استفهام ومعناه
التوبيخ والتعظيم لاخذ المهر بغير حله ثم ذكر السبب في ذلك فقال تعالى **وقد افضى بعضكم الى بعض** اصل
الافضا في اللغة الوصول يقال افضى اليه اي وصل اليه ثم للمفسرين في معنى الافضا في هذه الاية قولان احدهما
انه كناية عن الجماع وهو قول ابن عباس ومجاهد والسدي واختيار الزجاج وابن قتيبة ومذهب الشافعي لان
عنده ان الزوج اذا طلق قبل المسيس فله ان يرجع بنصف المهر وان خلا بها والقول الثاني في معنى الافضا
هو ان يخلو بها وان لم يجامعها قال الكلبي الافضا ان يكون معها في لحاف واحد جامعها او لم يجامعها وهذا
القول هو اختيار الفرا ومذهب ابي حنيفة لان الخلوة الصحيحة عنده تقرر المهر **واخذن منكم ميثاقا
غليظا** قيل هو قول العاقد عند العقد زوجتكها على ما اخذ الله للنسا على الرجال من امساك بمعروف او تسريح
باحسان وقيل هي كلمة النكاح المعقودة على الصداق وهي الكلمة التي تستحل بها فروج النسا ويدل على ذلك
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو انه قال اتقوا الله في النسا فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم
فروجهن بكلمة الله قوله تعالى **ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا** قال المفسرون كان اهل الجاهلية يتزوجون
ازواج ابائهم فنهاهم الله عن ذلك بهذه الاية روي انه لما توفي ابو قيس وكان من صالحي الانصار خطب ابنه
قيس امراة ابيه فقالت اني اتخذتك ولدا وانت من صالحي قومك ولكني اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
واستامره فاتته فاخبرته فانزل الله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا **الا ما قد سلف** يعني الا
ما مضى في الجاهلية قبل نزول التحريم فانه معفو عنه **انه كان فاحشة** انما سماه فاحشة لان زوجة الاب في
منزلة الام ونكاح الامهات حرام فلما كان ذلك كذلك سماه الله فاحشة لانه من اقبح المعاصي **ومقتا** يعني انه
يورث المقت من الله وهو اشد البغض وغايته الخزي والخسار **وسا سبيلا** اي وبيس ذلك طريقا لانه يؤدي
الى مقت الله والعرب تسمي ولد الرجل من امراة ابيه مقتيا وكان منهم الاشعث بن قيس وابو معيط بن ابي عمرو بن امية
روي البغوي بسنده عن البرا بن عازب قال مر بي خالي ومعه لوا فقلت اين تذهب قال بعثني النبي صلى الله
عليه وسلم الى رجل تزوج امراة ابيه اتيه براسه قوله عز وجل **حرمت عليكم امهاتكم** بين الله عز وجل في هذه
الاية المحرمات من النسا بسبب الوصلة اما بسبب او نسب **خ** عن ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن
الصهر سبع ثم قرا حرمت عليكم امهاتكم الاية فجملة المحرمات من النسا بنص الكتاب اربعة عشر صنفا اما المحرمات
بالنسب قوله حرمت عليكم امهاتكم جمع ام واصل امهات امات وانما زيدت الها للتوكيد والام هي الوالدة
الحقيقية ويدخل في حكمها كل امراة رجع النسب اليها من جهة الاب او من جهة الام بدرجة او درجات وهن جميع
الجدات **وبناتكم** والبنت عبارة عن كل انثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او بدرجات باناث كبنت البنت
وان سفلت وكذا بنت الابن **واخواتكم** جمع اخت وهي عبارة عن كل امراة شاركتك في اصلك فيدخل فيه الاخوات
من الاب والام والاخوات من الاب والاخوات من الام **وعماتكم** جمع عمة وهي كل امراة شاركت اباك في اصله
وهن جميع اخوات الاب واخوات ابايه وان علون وقد تكون العمة من جهة الام ايضا وهي اخت ابي
الام **وخالاتكم** جمع خالة وهي كل امراة شاركت الام في اصلها فيدخل فيهن جميع اخوات الام واخوات امهاتها

وقد

وقد تكون الخالة من جهة الاب ايضا وهي اخت ام الاب **وبنات الاخ وبنات الاخت** وهي عبارة عن كل امراة
لاخيك او لاختك عليها ولادة ويرجع نسبها الى الاخ او الاخت فيدخل فيهن جميع بنات اولاد الاخ والاخت
وان سفلن فهذه الاصناف السبعة محرمة بسبب النسب بنص الكتاب وجملته انه يحرم على الرجل اصوله
وفصوله وفصول اول اصوله واول فصل من كل اصل بعده اصل فالاصول هن الامهات والجدات والفصول
هن البنات وبنات الاولاد وفصول اول اصوله هن الاخوات وبنات الاخوة والاخوات واول فصل
من كل اصل بعده اصل هن العمات والخالات وان علون قال العلما كل امراة حرم الله نكاحها بالنسب والرحم
فحرمة مؤبدة لا تحل بوجه من الوجوه الصنف الثاني المحرمات بالسبب وهن سبع الاول والثاني المحرمات
بالرضاع وذلك في قوله تعالى **وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة** كل انثى انتسبت باللبن
اليها فهي امك وبنتها اختك وانما نص الله على ذكر الام والاخت ليدل بذلك على جميع الاصول والفروع فنبه
بذلك انه تعالى اجرى الرضاع مجرى النسب ويدل على ذلك ما روي عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة اخرجاه في الصحيحين **ق** عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بنت حمزة انها لا تحل لي يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب وانها ابنة اخي من الرضاعة
فكل من حرمت بسبب النسب حرم نظيرها بسبب الرضاعة وانما سمى الله المرضعات امهات لاجل الحرمة فيحرم عليه
نكاحها ويحل له النظر اليها والخلوة بها والسفر معها ولا يترتب عليه جميع احكام الامومة من كل وجه فلا يتوارثان
ولا يجب على كل واحد منهما نفقة الاخر وغير ذلك من الاحكام وانما تثبت حرمة الرضاع بشرطين احدهما
ان يكون ارضاع الصبي في حال الصغر وذلك الى انتها سنتين من ولادته لقوله تعالى والوالدات يرضعن
اولادهن حولين كاملين وقوله تعالى وفصاله في عامين عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعا في الثدي وكان قبل الفطام اخرجه مالك في الموطا باطول من هذا
واخرجه ابو داود مختصرا قال قال عبد الله بن مسعود لا رضاع الا ما شد اللحم وقال ابو حنيفة مدة
الرضاع ثلاثون شهرا لقوله وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وحمله الجمهور على اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع
لان مدة الحمل داخلة فيه واقله ستة اشهر الشرط الثاني ان يوجد خمس رضعات متفرقات روي ذلك عن
عايشة وبه قال عبد الله بن الزبير واليه ذهب الشافعي ويدل على ذلك ما روي عن عايشة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا تحرم المصة ولا المصتان اخرجه مسلم **م** عن ام الفضل ان نبي الله صلى الله عليه
وسلم قال لا تحرم الاملاجة ولا الاملاجتان وفي رواية ان رجلا من بني عامر بن صعصعة قال يا نبي الله هل تحرم
الرضعة الواحدة قال لا **م** عن عايشة قالت كان فيما انزل الله من القران عشر رضعات معلومات تحرمن
ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما نقرا من القران يحتمل انه لم
يبلغها نسخ ذلك واجمعوا على ان هذا لا يتلى فهو مما نسخ تلاوته وبقي حكمه وذهب جمهور العلما الى ان قليل
الرضاع وكثيره يحرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب واليه ذهب الثوري والاوزاعي
ومالك وابن المبارك وابو حنيفة واحمد في احدى الروايتين عنه والرواية الاخرى كمذهب الشافعي واحتج
من ذهب الجمهور بمطلق الاية لانه عمل بعموم القران وظاهره ولم يذكر عددا واجاب الشافعي ومن وافقه في هذه
المسالة بان السنة مبينة للقران ومفسرة له وقوله تعالى **وامهات نسايكم** يعني انه اذا تزوج الرجل
بامراة حرمت عليه امها الاصلية وجميع جداتها من قبل الاب والام كما في النسب والرضاع ايضا ومذهب
اكثر الصحابة وجميع التابعين وكل العلما ان من تزوج امراة حرمت عليه امها بنفس العقد سوا دخل بها او لم

الترمذي عن ابن مسعود
قال لا رضاع الا ما كان في
الحولين اخرجه صح

يدخل بها وذهب جمع من الصحابة الى ان ام المراة انما تحرم بالدخول بابنتها وتوقفوا على وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وجابر واظهر الروايات عن ابن عباس والعمل اليوم على القول الاول وهو مذهب الجمهور ويدل على ذلك ما روي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل نكح امراة فلا يحل له نكاح ابنتها ان لم يكن دخل بها فلينكح ابنتها وايما رجل نكح امراة فلا يحل له ان ينكح امها دخل بها او لم يدخل اخرجه الترمذي وقوله تعالى **وربايبكم اللاتي في حجوركم من نسايكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم** الربايب جمع ربيبة وهي بنت المراة من رجل اخر سميت ربيبة لتربيته اياها في حجر الرجل وقوله دخلتم بهن كناية عن الجماع لا نفس العقد فيحرم على الرجل بنات امراته وبنات اولادها وان سفلن من النسب والرضاع بعد الدخول بالزوجة فلو فارق زوجته قبل الدخول بها او ماتت قبل دخوله بها جاز له ان يتزوج بنتها ولا يجوز له ان يتزوج امها لان الله تعالى اطلق تحريم الامهات وعلق تحريم البنات بالدخول بالام وقوله تعالى **وحلايل ابنايكم** يعني ازواج ابنايكم واحدتها حليلة والرجل حليل سميا بذلك لان كل واحد منهما يحل لصاحبه وقيل لان كل واحد يحل حيث يحل صاحبه في ازار واحد وقيل لان كل واحد منهما يحل ازار صاحبه من الحل بفتح الحا وجملته انه يحرم على الرجل ازواج ابنايه وابنا اولاده وان سفلوا من النسب والرضاعة وذلك بنفس العقد **الذين من اصلابكم** انما قال من اصلابكم احترازا عن المتبنى ليعلم ان زوجة المتبنى لا تحرم على الرجل الذي تبناه لانه كان في صدر الاسلام بمنزلة الابن فنسخ الله ذلك وقال تعالى ادعوهم لابايهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة زيد بن حارثة وكان قد تبناه فقال المشركون تزوج زوجة ابنه فانزل الله تعالى وما جعل ادعياكم ابناكم وقال تعالى لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيايهم وقوله تعالى **وان تجمعوا بين الاختين** يعني لا يجوز للرجل ان يجمع بين الاختين في نكاح واحد سوا كانت الاخوة بينهما بنسب او رضاع والجمع بين الاختين يقع على ثلاثة اوجه احدها ان يجمع بينهما بعقد واحد فهذا العقد فاسد لا يصح فلو تزوج احدى الاختين ثم تزوج الاخرى بعدها فها هنا يحكم ببطلان نكاح الثانية فلو طلق الاولى طلاقا باينا جاز له نكاح اختها الوجه الثاني من صور الجمع بين الاختين وهو ان يجمع بينهما بملك اليمين فلا يجوز له ان يجمع بينهما في الوطي فاذا وطي احدهما حرمت عليه الثانية حتى تحرم الاولى ببيع او هبة او عتق او كتابة الوجه الثالث من صور الجمع بين الاختين وهو ان يتزوج احداهما ويشتري الاخرى فيملكها بملك اليمين فذهب بعض العلما انه لا يجوز الجمع بينهما لان ظاهر هذه الاية يقتضي تحريم الجمع مطلقا فوجب ان يحرم الجمع بينهما على جميع الوجوه وذهب بعضهم الى جوازه والقول الاول اصح واولى لما روي قبيصة بن ذويب ان رجلا سال عثمان عن اختين مملوكتين لرجل هل يجمع بينهما فقال عثمان احلتهما اية وحرمتهما اية فاما انا فلا احب ان اصنع ذلك فخرج من عنده فلقي رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله عنه فقال اما انا فلو كان لي من الامر شي لم اجد احدا فعل ذلك الا جعلته نكالا قال ابن شهاب اراه علي بن ابي طالب قال مالك انه بلغه عن الزبير بن العوام مثل ذلك اخرجه مالك في الموطا وقوله تعالى **الا ما قد سلف** يعني لكن ما قد مضى فهو معفو عنه بدليل قوله تعالى **ان الله كان غفورا رحيما** وقيل ان فايدة هذا الاستثنا ان انكحة الكفار كانت صحيحة فلو اسلم عن اختين قيل له اختر ايتهما شيت ويدل عليه ما روي عن الضحاك بن فيروز عن ابيه قال قلت يا رسول الله اني اسلمت وتحتي اختان فقال طلق ايتهما شيت اخرجه ابو داود **فروع** تتعلق بحكم الاية الاولى لا يجوز الجمع بين المراة وعمتها ولا بين المراة وخالتها ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يجمع بين المراة

وعمتها ولا بين المراة وخالتها اخرجاه في الصحيحين قال بعض الحكما في حد ما يحرم الجمع كل امراتين بينهما قرابة او لبن وكان ذلك بينك وبين المراة لم يجز لك نكاحها لم يجز لك الجمع بينهما الفرع الثاني المحرمات بالنسب سبعة اصناف ذكرت في الاية وتستفاد المحرمات بالسبب صنفان صنف يحرم بالرضاع وهن الامهات والاخوات على ما تقدم ذكره وصنف يحرم بالمصاهرة وهن ام المراة وحليلة الابن وزوج الاب وقد تقدم ذكرها في قوله ولا تنكحوا ما نكح اباوكم من النسا الاية والربايب على التفصيل المذكور والجمع بين الاختين الفرع الثالث التحريم الحاصل بسبب المصاهرة وانما يحصل بنكاح صحيح فلو زنا بامراة لم تحرم عليه امها ولا بنتها ولو اراد ان يتزوج بهن وكذلك لا تحرم المزني بها على ابا الزاني ولا ابنايه انما تتعلق الحرمة بنكاح صحيح او بنكاح فاسد يجب فيه الصداق ويجب عليها العدة ويلحق به الولد وهذا قول علي وابن عباس وبه قال سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهري واليه ذهب مالك والشافعي وفقها اهل الحجاز وذهب قوم الى ان الزنا يتعلق به تحريم المصاهرة يروى ذلك عن عمران بن حصين وابي هريرة وبه قال جابر بن زيد والحسن واهل العراق ولو لمس امراة اجنبية بشهوة او قبلها بشهوة هل يجعل ذلك كالدخول في اثبات تحريم المصاهرة وكذلك لو لمس المراة بشهوة هل يجعل كالوطي في تحريم الربيبة فيه قولان اصحهما انه يثبت به حرمة المصاهرة وهو قول اكثر اهل العلم والثاني لا يثبت به كما لا يثبت بالنظر بشهوة قوله تعالى **والمحصنات** يعني وحرمت المحصنات **من النسا** واصل الاحصان في اللغة المنع والحصان بالفتح المراة العفيفة ويطلق الاحصان على المراة ذات الزوج والحرة والعفيفة والمراة المسلمة والمراد من الاحصان في قوله والمحصنات ذوات الازواج من النسا فلا يحل لاحد نكاحهن قبل مفارقة ازواجهن وهذه هي السابعة من النسا اللاتي حرمت بالسبب قال ابو سعيد الخدري نزلت هذه الاية في نسا كن هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فتزوجهن بعض المسلمين ثم تقدم ازواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال تعالى **الا ما ملكت ايمانكم** يعني السبايا اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الحرب فيحل لمالكهن وطيهن بعد الاستبرا لان السبي يرتفع به النكاح بينها وبين زوجها قال ابو سعيد الخدري بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا الى اوطاس فاصابوا سبايا لهن ازواج من المشركين فكرهوا غشيانهن فانزل الله هذه الاية وقال ابن مسعود اراد انه اذا باع الجارية المزوجة فتقع الفرقة بينها وبين زوجها ويكون بيعها طلاقا فيحل للمشتري وطيها وقال عطا اراد بقوله الا ما ملكت ايمانكم ان تكون امته في نكاح عبده فيجوز له ان ينتزعها منه وقيل اراد بالمحصنات من النسا الحراير ومعناه ان ما فوق الاربع منهن فانه عليكم حرام الا ما ملكت ايمانكم فانه لا عدد عليكم في الجواري ولا حصر **كتاب الله عليكم** يعني حرمت عليكم امهاتكم كتب عليكم هذا كتابا وقيل معناه الزموا كتاب الله وقيل معناه كتابا من الله عليكم بمعنى كتب الله تحريم ما حرم عليكم من ذلك وتحليل ما احل كتابا **واحل لكم ما ورا ذلكم** يعني واحل الله لكم ما سوى ذلكم الذي ذكر من المحرمات وظاهر هذه الاية يقتضي حل كل من سوى المذكورات من الاصناف المحرمات لكن قد دل الدليل في السنة بتحريم اصناف اخر سوى ما ذكر فمن ذلك انه يحرم الجمع بين المراة وعمتها وبين المراة وخالتها ومن ذلك المطلقة ثلاثا فلا تحل لزوجها الاول حتى تنكح زوجا غيره ومن ذلك نكاح المعتدة فلا تحل للازواج حتى تنقضي عدتها ومن ذلك من كان في نكاحه حرة لم يجز له ان يتزوج بامة والقادر على طول الحرة لم يجز له ان يتزوج بالامة ومن ذلك ان من كان عنده الربع نسوة حرم عليه ان يتزوج بخامسة ومن ذلك الملاعنة فانها محرمة على الملاعن بالتابيد فهذه اصناف من المحرمات سوى ما ذكر في الاية فعلى هذا يكون قوله تعالى واحل لكم ما ورا ذلكم ورد بلفظ العموم

لكن العموم دخله التخصيص فيكون عام مخصوص وقوله تعالى ان تبتغوا باموالكم فيه اضمار تقديره واحل لكم ان
تبتغوا اي تطلبوا باموالكم يعني تنكحوا بصداق او تشتروا بثمن وفي الاية دليل على ان الصداق لا يتقدر بشي فيجوز
على القليل والكثير لاطلاق قوله تعالى ان تبتغوا باموالكم محصنين يعني متزوجين وقيل متعففين غير مسافحين
يعني غير زانيين والسفاح الفجور واصله من السفح وهو الصب وانما سمي الزنا سفاحا لان الزاني لا غرض له الا
صب النطفة فقط وقوله تعالى فما استمتعتم به منهن اختلفوا في معناه فقال الحسن ومجاهد اراد ما انتفعتم
وتلذذتم بالجماع من النسا بنكاح صحيح لان اصل الاستمتاع في اللغة الانتفاع وكل ما انتفع به فهو متاع فاتوهن
اجورهن يعني مهورهن وانما سمي المهر اجرا لانه بدل المنافع وليس ببدل الاعيان كما سمي بدل منافع الدار والدابة
اجرا وقال قوم المراد من حكم الاية هو نكاح المتعة وهو ان ينكح امراة الى مدة معلومة فاذا انقضت تلك المدة
بانت منه بغير طلاق وتستبري رحمها وليس بينهما ميراث وكان هذا في ابتدا الاسلام ثم نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن المتعة وحرمها م عن سبرة بن معبد الجهني انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها
الناس اني كنت اذنت لكم في الاستمتاع من النسا وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيمة فمن كان عنده منهن
شي فليخل سبيله ولا تاخذوا مما اتيتموهن شيا والى هذا ذهب جمهور العلما من الصحابة فمن بعدهم ان نكاح
المتعة حرام والاية منسوخة واختلفوا في ناسخها فقيل نسخت بالسنة وهو ما تقدم من حديث سبرة الجهني
ق وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متعة النسا يوم خيبر وعن
اكل لحوم الحمر الانسية وهذا على مذهب من يقول ان السنة تنسخ القران ومذهب الشافعي ان السنة
لا تنسخ القران فعلى هذا قيل ان ناسخ هذه الاية قوله تعالى في سورة المومنون والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين واختلفت الروايات عن ابن عباس في المتعة فروي
عنه ان الاية محكمة وكان يرخص في المتعة قال عمارة سالت ابن عباس عن المتعة اسفاح هي ام نكاح فقال
لا سفاح ولا نكاح قلت فما هي قال متعة كما قال الله تعالى قلت هل لها عدة قال نعم حيضة قلت هل يتوارثان
قال لا وروي ان الناس لما ذكروا الاشعار في فتيا ابن عباس بالمتعة فقال قاتلهم الله انا ما افتيت باباحتها
على الاطلاق لكني قلت انما تحل للمضطر الميتة له وروي انه رجع عنه وقال بتحريمها روي عطا الخراساني
عن ابن عباس في قوله فما استمتعتم به منهن انها صارت منسوخة بقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النسا
فطلقوهن لعدتهن وروى سالم عن عبد الله بن عمر ان عمر بن الخطاب صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم
قال ما بال اقوام ينكحون هذه المتعة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها لا اجد رجلا نكحها
الا رجمته بالحجارة وقال هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث قال الشافعي لا اعلم في الاسلام
شيا احل ثم حرم ثم احل ثم حرم غير المتعة وقال ابو عبيد المسلمون اليوم مجمعون على ان متعة النسا قد
نسخت بالتحريم نسخها الكتاب والسنة هذا قول اهل العلم جميعا من اهل الحجاز والشام والعراق
من اصحاب الاثر والراي وانه لا رخصة فيها لمضطر ولا لغيره قال ابن الجوزي في تفسيره وقد تكلف قوم
من مفسري القران فقالوا المراد بهذه الاية نكاح المتعة ثم نسخت بما روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه نهى عن متعة النسا وهذا التكلف لا يحتاج اليه لان النبي صلى الله عليه وسلم اجاز المتعة ثم منع
منها وحرمها فكان قوله منسوخا بقوله واما الاية فانها لم تتضمن جواز المتعة لانه تعالى قال فيها ان تبتغوا
باموالكم محصنين غير مسافحين فدل ذلك على النكاح الصحيح قال الزجاج ومعنى قوله فما استمتعتم
به منهن فما نكحتموه على الشريطة التي جرت وهو قوله محصنين غير مسافحين اي عاقدين التزويج وقال ابن

جرير

جرير الطبري اولى التاويلين في ذلك بالصواب تاويل من تاوله فما نكحتموه منهن فجامعتموهن فاتوهن اجورهن
لقيام الحجة بتحريم الله متعة النسا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فريضة يعني لازمة واجبة ولا جناح
عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة اختلفوا فيه فمن حمل ما قبله على نكاح المتعة قال اراد بها اذا عقد
عقدا الى اجل على مال فاذا تم الاجل فان شات المراة زادته في الاجل وزاد الرجل في الاجر وان لم يتراضيا فارقها وقد
تقدم ان ذلك كان جايزا ثم نسخ وحرم ومن حمل الاية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله ولا جناح
عليكم فيما تراضيتم به يعني من الابرا من المهر والافتدا والاعتياض وقال الزجاج معناه لا جناح عليكم ان
تهب المراة للزوج مهرها او ان يهب الرجل للمراة التي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب عليه ان الله كان
عليما يعني بما يصلحكم ايها الناس في مناكحكم وغيرها من ساير اموركم حكيما يعني فيما دبر لكم من التدبير
وفيما يامركم به او ينهاكم عنه ولا يدخل حكمه خلل ولا زلل فصل في قدر الصداق وما يستحب
منه اعلم انه لا تقدير لاكثر الصداق لقوله تعالى واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيا والمستحب انه
لا يغالي فيه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الا لا تغالوا في صدقة النسا فانها لو كانت مكرمة في الدنيا
وتقوى عند الله لكان اولاكم بها نبي الله صلى الله عليه وسلم ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نكح شيا
من نسايه ولا انكح شيا من بناته على اكثر من اثنتي عشرة اوقية اخرجه الترمذي ولابي داود نحوه م عن ابي سلمة
قال سالت عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان صداقه لازواجه ثنتي عشرة اوقية ونش
قالت اتدري ما النش قلت لا قالت نصف اوقية فذلك خمسماية درهم واختلف العلما في اقل الصداق
فذهب جماعة الى انه لا تقدير لاقله بل كل ما جاز ان يكون مبيعا او ثمنا جاز ان يكون صداقا وهو قول
ربيعة وسفيان الثوري والشافعي واحمد واسحق وقال قوم يتقدر الصداق بنصاب السرقة وهو قول
مالك وابي حنيفة غير ان نصاب السرقة عند مالك ثلاثة دراهم وعند ابي حنيفة عشرة دراهم والدليل
على ان الصداق لا يتقدر ما روي عن سهل بن سعد قال جات امراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله قد وهبت نفسي لك فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر فيها
وصوبه ثم طاطا رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه فلما رات المراة انه لم يقض فيها شيا جلست
فقام رجل من اصحابه فقال يا رسول الله ان لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال هل عندك من شي
قال لا والله يا رسول الله قال اذهب الى اهلك فانظر هل تجد شيا فذهب ثم رجع فقال لا والله ما
وجدت شيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ولو خاتما من حديد فذهب ثم رجع فقال لا والله
يا رسول الله ولا خاتما من حديد ولكن ازاري هذا قال سهل ما له ردا فلها نصفه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما تصنع بازارك ان لبسته لم يكن عليها منه شي وان لبسته لم يكن عليك منه شي فجلس
الرجل حتى اذا طال مجلسه قام فراه صلى الله عليه وسلم موليا فامر به فدعي فلما جا قال ما معك من القران
قال معي سورة كذا وسورة كذا عددها قال تقراهن عن ظهر قلبك قال نعم قال اذهب فقد ملكتها بما معك
من القران وفي رواية فقد زوجتكها تعلمها من القران وفي رواية فقد انكحتكها بما معك من القران اخرجاه
في الصحيحين وهذا لفظ الحميدي ففي هذا الحديث دليل على انه لا تقدير لاقل الصداق لانه قال التمس
شيا فهذا يدل على جواز اي شي كان من المال ثم قال ولو خاتما من حديد ولا قيمة له الا القليل التافه وفيه
دليل على انه يجوز ان يجعل تعليم القران صداقا وهو قول الشافعي ومنعه اصحاب الراي عن جابر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعطى في صداق امراة ملا كفيه سويقا او تمرا فقد استحل اخرجه

ابو داود وعن عبد الله بن عامر عن ابيه ان امراة من بني فزارة تزوجت على نعلين فقال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ارضيت من نفسك ومالك بنعلين قالت نعم فاجازه اخرجه الترمذي وقال عمر بن الخطاب ثلاث
قبضات من زبيب مهر قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا يعني فضلا وسعة وانما سمي الغنى طولا لانه ينال به
المراد ما لا ينال مع الفقر والطول هنا كناية عما يصرف الى المهر والنفقة ان ينكح المحصنات يعني الحراير
المومنات فمما ملكت ايمانكم يعني جارية اخيك المومن فان الانسان لا يجوز له ان يتزوج بجارية نفسه من
فتياتكم المومنات المعنى من لم يقدر على مهر الحرة المومنة فليتزوج الامة المومنة والفتيات الجواري المملوكات
جمع فتاة يقال للامة فتاة وللعبد فتى ففي الاية دليل على انه لا يجوز للحر نكاح الامة الا بشرطين احدهما
ان لا يجد مهر حرة لانه جرت العادة في الاما بتخفيف مهورهن ونفقتهن وسبب ذلك اشتغالهن بخدمة
ساداتهن الشرط الثاني هو خوف العنت على نفسه وهو قوله تعالى ذلك لمن خشي العنت منكم قال ابن
عباس هو الزنا وهذا قول جابر وابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس ومسروق ومكحول وعمرو بن دينار واليه
ذهب مالك والشافعي واحمد وروي عن علي والحسن البصري وابن المسيب ومجاهد والزهري انه يجوز للحر
ان ينكح الامة وان كان موسرا وهو مذهب ابي حنيفة الا ان يكون في نكاحه حرة والسبب في منع الحر من نكاح
الامة الا عند خوف العنت ان الولد يتبع الام في الرق والحرية وان كانت الام رقيقة كان الولد رقيقا وذلك
نقص في حق الحر وفي حق ولده ولان حق السيد اعظم من حق الزوج فربما احتاج الزوج اليها فلا يجد اليها
سبيلا لمنع السيد حبسها لخدمته ولان مهرها ملك السيد فلا تقدر على هبته من زوجها ولا ان تبريه منه
بخلاف الحرة فلهذا السبب منع الله من نكاح الامة الا على سبيل الرخصة والاضطرار ويجوز للعبد
نكاح الامة وان كان في نكاحه حرة عند ابي حنيفة لا يجوز له اذا كان تحته حرة كما يقول في الحر وفي الاية
دليل انه لا يجوز للمسلم حرا كان او عبدا نكاح الامة الكتابية لقوله تعالى من فتياتكم المومنات يقيد جواز
نكاح الامة المومنة دون الكتابية لان فيها نوعان من النقص وهما الرق والكفر بخلاف الامة لان فيها نقص
واحد وهو الرق وهذا قول مجاهد والحسن واليه ذهب مالك والشافعي وقال ابو حنيفة يجوز التزوج
بالامة الكتابية وبالاتفاق يجوز وطي الامة الكتابية بملك اليمين وقوله تعالى والله اعلم بايمانكم
اي اعملوا على الظاهر في الايمان فانكم متعبدون بما ظهر والله يتولى السراير والحقايق وقيل معناه لا تتعرضوا
للباطن في الايمان وخذوا بالظاهر فان الله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض يعني ان كلكم من نفس واحدة
فلا تستنكفوا من نكاح الاما عند الضرورة وانما قيل لهم ذلك لان العرب كانت تفتخر بالانساب والاحساب
ويسمون ابن الامة الهجين فاعلم الله تعالى ان ذلك امر لا يلتفت اليه فلا يتداخلكم شموخ وانفة من التزوج بالاما
فانكم متساوون في النسب الى ادم وقيل معناه ان دينكم واحد وهو الايمان وانتم مشتركون فيه فمتى وقع لاحدكم
الضرورة جاز له ان يتزوج بالامة عند خوف العنت وقال ابن عباس يريد ان المومنين بعضهم اكفاء بعض فانكحوهن
باذن اهلهن يعني اخطبوا الاما الى ساداتهن واتفق العلماء على ان نكاح الامة بغير اذن سيدها باطل
لان الله تعالى جعل اذن السيد شرطا في جواز نكاح الامة واتوهن اجورهن يعني مهورهن بالمعروف
يعني من غير مطل ولا ضرار وقيل معناه واتوهن مهور امثالهن واجمعوا على ان المهر للسيد لانه ملكه وانما
اضيف ايتا المهر الى الاما لانه ثمن بضعهن محصنات يعني عفايف غير مسافحات يعني غير زانيات ولا
متخذات اخدان جمع خدن وهو الصاحب الذي يكون معك في كل امر ظاهر وباطن واكثر ما يستعمل فيمن
يصاحب بشهوة يقال خدن المراة وخدينها يعني حبيبها الذي يزني بها في السر قال الحسن المسافحة هي

التي

التي كل من دعاها تبعته وذات اخدان هي التي تختص بواحد ولا تزني مع غيره وكانت العرب في الجاهلية
تحرم الاولى وتجوز الثانية فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم لا جرم ان الله تعالى افرد كل واحد من هذين
القسمين بالذكر ونص على تحريمهما معا فاذا احصن قرئ بفتح الالف والصاد ومعناه حفظن فروجهن
وقيل معناه اسلمن وقرئ احصن بضم الالف وكسر الصاد ومعناه زوجن فان اتين بفاحشة يعني بزنا
فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب يعني فعلى الاما اللاتي زنين نصف ما على الحراير الابكار
اذا زنين من الجلد فيجلد العبد للزنا اذا زنا خمسين جلدة ولا فرق بين المملوك المتزوج وغير المتزوج
فانه يجلد خمسين ولا رجم عليه هذا قول اكثر العلماء ويروى عن ابن عباس وبه قال طاوس انه لا حد على
من لم يتزوج من المماليك اذا زنا لان الله تعالى قال فاذا احصن والذي لم يتزوج ليس بمحصن واجيب عنه
بان معنى الاحصان عند الاكثرين الاسلام وان كان المراد منه التزويج فليس المراد منه ان التزويج شرط
الوجوب للحد عليه بل المراد منه التنبيه على ان المملوك وان كان محصنا فلا رجم عليه انما حده الجلد بخلاف
الحر فحد الامة ثابت بهذه الاية وبيان انه الجلد لا الرجم ثابت بالحديث وهو ما روي عن ابي هريرة قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا زنت امة احدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب
عليها ثم ان زنت فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل
من شعر اخرجاه في الصحيحين قوله ولا يثرب عليها اي لا يعيرها والتثريب كالتانيب والتعيير والاستقصا
في اللوم قال الشيخ محيي الدين النواوي وهذا البيع المامور به في الحديث مستحب ليس بواجب عندنا
وعند الجمهور وقال داود واهل الظاهر هو واجب وفيه جواز بيع الشي الثمين بالثمن الحقير وهذا البيع
المامور به يلزم صاحبه ان يبين حالها للمشتري لانه عيب والاخبار بالعيب واجب فان قيل كيف يكره
شيا ويرتضيه لاخيه المسلم فالجواب لعلها تستعف عند المشتري بان يعفها بنفسه او يصونها بهيبته
او بالاحسان اليها او يزوجها او غير ذلك والله اعلم ذلك اشارة الى نكاح الامة لمن خشي العنت منكم
يعني الزنا والمعنى ذلك لمن خاف ان تحمله شدة الشبق والغلمة وشدة الشهوة على الزنا وانما سمي الزنا بالعنت
لما يعقبه من المشقة وهي شدة العقوبة فاباح الله تعالى نكاح الامة بثلاث شرايط عدم القدرة على
نكاح الحرة وخوف العنت وكون الامة مومنة وان تصبروا يعني عن نكاح الاما متعففين خير لكم يعني لكي لا
يكون الولد عبدا رقيقا والله غفور رحيم وهذا كالتوكيد لما تقدم يعني انه تعالى غفر لكم ورحمكم حيث اباح
لكم ما انتم محتاجون اليه قوله تعالى يريد الله ليبين لكم اللام في قوله ليبين معناه ان يبين وقيل معناه
يريد انزال هذه الايات من اجل ان يبين لكم دينكم ويوضح لكم شرعكم ومصالح اموركم وقيل يبين لكم ما يقربكم
منه وقيل يبين ان الصبر عن نكاح الاما خير لكم ويهديكم اي ويرشدكم سنن الذين من قبلكم اي شرايع من
قبلكم في تحريم الامهات والبنات والاخوات فانها كانت محرمة على من قبلكم وقيل معناه يرشدكم الى ما لكم
فيه مصلحة كما بينه لمن كان قبلكم وقيل معناه ويهديكم الى الملة الحنيفية وهي ملة ابراهيم عليه السلام
ويتوب عليكم يعني ويتجاوز عنكم ما اصبتم قبل ان يبين لكم ويرجع بكم من المعصية التي كنتم عليها الى الطاعة
وقيل لما بين لنا امر الشرايع والمصالح وارشدنا الى طاعته فربما وقع منا تقصير وتفريط فيما امر به وبينه فلا
جرم انه تعالى قال ويتوب عليكم والله عليم يعني بمصالح عباده في امر دينهم ودنياهم حكيم يعني فيما دبر
من امورهم والله يريد ان يتوب عليكم قال ابن عباس معناه يريد ان يخرجكم من كل ما يكره الى ما يحب ويرضى
وقيل معناه يدلكم على ما يكون سببا لتوبتكم التي يغفر لكم بها ما سلف من ذنوبكم وقيل معناه ان وقع منكم

تقصير في دينه فيتوب عليكم ويغفر لكم ويريد الذين يتبعون الشهوات قيل هم اليهود والنصارى وقيل هم
اليهود خاصة لانهم يقولون ان نكاح بنت الاخت من الاب حلال وقيل هم المجوس لانهم يستحلون نكاح الاخوات
وبنات الاخوة فلما حرمهن الله قالوا انكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا
بنات الاخ والاخت فنزلت هذه الاية وقيل هم الزناة يريدون ان تكونوا مثلهم ان تميلوا يعني عن الحق وقصد
السبيل بالمعصية ميلا عظيما يعني باتيانكم ما حرم الله عليكم يريد الله ان يخفف عنكم يعني يسهل
عليكم احكام الشرائع فهو عام في كل احكام الشرع وجميع ما يسره لنا وسهله علينا احسانا منه الينا
وتفضلا ولطفا علينا ولم يثقل التكاليف علينا كما ثقلها على بني اسرائيل فهو كقوله تعالى يريد الله بكم
اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج وكما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا يعني في قلة الصبر عن
النساء فلا صبر له عنهن وقيل انه لضعفه يستميله هواه فهو ضعيف العزم عن قهر الهوى وقيل هو ضعيف
في اصل الخلقة لانه خلق من ماء مهين قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
يعني بالحرام الذي لا يحل في الشرع كالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور واخذ
المال باليمين الكاذبة ونحو ذلك وانما خص الاكل بالذكر ونهى عنه تنبيها على غيره من جميع التصرفات
الواقعة على وجه الباطل لان معظم المقصود من الاموال الاكل وقيل يدخل فيه اكل مال نفسه بالباطل
ومال غيره اما اكل ماله بالباطل فهو انفاقه في المعاصي واما اكل مال غيره فقد تقدم معناه وقيل
يدخل في اكل المال بالباطل جميع العقود الفاسدة وقوله تعالى الا ان تكون تجارة عن تراض منكم هذا
الاستثناء منقطع لان التجارة عن تراض ليست من جنس اكل المال بالباطل فكان الا هاهنا بمعنى لكن
يحل لكم اكله بالتجارة عن تراض يعني بطيبة نفس كل واحد منكم وقيل هو ان يخير كل واحد منهما بالخيار ما لم
من المتبايعين صاحبه بعد البيع فيلزم والا فلهما الخيار ما لم يتفرقا لما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وكانا جميعا او يخير احدهما
الاخر فان خير احدهما الاخر فتبايعا على ذلك وان تفرقا بعد ان تبايعا ولم يترك واحد منهما البيع فقد
وجب البيع اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم اي لا يقتل بعضكم بعضا وانما قال
انفسكم لانهم اهل دين واحد فهم كنفس واحدة وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في حجة الوداع
الا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقيل هذا نهي الانسان عن قتل نفسه ق عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى
فيها خالدا مخلدا فيها ابدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها
ابدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجا بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا قوله
يتردى التردي هو الوقوع من موضع عال الى اسفل قوله يتوجا يقال وجاته بالسكين اذا ضربته بها
وهو يتوجا بها اي يضرب بها نفسه ق عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان برجل
فقتل نفسه فقال الله تبارك وتعالى بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة وفي رواية قال كان فيمن كان قبلكم
رجل به جرح فجزع فاخذ سكينا فحز بها يده فما رقا الدم حتى مات فقال الله تعالى بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه
الجنة وقيل في معنى قتل الانسان نفسه انه لا يفعل شيا يستحق به القتل مثل ان يقتل فيقتل به فيكون هو الذي تسبب
في قتل نفسه وقيل معناه ولا تقتلوا انفسكم باكل المال بالباطل وقيل معناه ولا تهلكوا انفسكم بان تعملوا عملا لا ارى

الى قتلها ان الله كان بكم رحيما يعني انه تعالى من رحمته بكم نهاكم عن كل شي تستوجبون به مشقة او محنة وقيل انه تعالى امر
بني اسرائيل بقتل انفسهم ليكون ذلك توبة لهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف المشقة الصعبة
ومن يفعل ذلك يعني ما سبق ذكره من قتل النفس المحرمة لان الضمير يعود الى اقرب المذكورات وقيل انه يعود
الى قتل النفس واكل المال بالباطل لانهما مذكوران في اية واحدة وقيل انه يعود الى كل ما نهى الله عنه من اول السورة
الى هنا عدوانا وظلما يعني يتجاوز الحد فيضع الشي في غير موضعه فلذلك قيده بالعدوان والظلم لانه
قد يكون القتل بحق وهو القصاص وكذلك قد يكون اخذ المال بحق فلهذا السبب قيده بالوعيد بما كان
على وجه العدوان والظلم وهو قوله تعالى فسوف نصليه نارا اي ندخله في الاخرة نارا يصلى فيها وكان ذلك
على الله يسيرا اي هينا لانه تعالى قادر على ما يريد قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اجتناب الشي
المباعدة عنه وتركه جانبا والكبيرة ما كبر وعظم من الذنوب وعظمت عقوبته وقيل ذكر التفسير بذكر الاحاديث
الواردة في الكبائر فمن ذلك ما روي عن ابي بكرة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا انبيكم
باكبر الكبائر ثلاثا قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين الا وشهادة الزور وقول
الزور وكان متكيا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت اخرجاه في الصحيحين ق عن انس بن مالك قال
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر فقال الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وقال الا انبيكم
باكبر الكبائر قول الزور او قال شهادة الزور ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا
السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل
مال اليتيم والربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المومنات ق عن ابن مسعود قال
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الذنب اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت
ان ذلك لعظيم ثم اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك خ عن عبد
الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس
واليمين الغموس وفي رواية ان اعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الكبائر قال الاشراك
بالله قال ثم ماذا قال اليمين الغموس قلت وما اليمين الغموس قال الذي يقتطع بها مال امري مسلم بيمين
هو فيها كاذب ق عن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا وهل يشتم
الرجل والديه قال نعم يسب الرجل ابا الرجل وامه فيسب اباه او امه وفي رواية من اكبر الكبائر ان يلعن الرجل
والديه وذكر الحديث وقال عبد الله بن مسعود اكبر الكبائر الاشراك بالله والامن من مكر الله والقنوط من
رحمة الله واليأس من روح الله وعن سعيد بن جبير ان رجلا سال ابن عباس عن الكبائر اسبع هي قال هي الى
السبعمائة اقرب وفي رواية الى السبعين اقرب الا انه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وقال كل شي عصي
الله به فهو كبيرة فمن عمل شيا منها فليستغفر الله فان الله لا يخلد في النار من هذه الامة الا من كان راجعا عن
الاسلام او جاحدا فريضة او مكذبا بالقدر وقال علي بن ابي طالب كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب
فهو كبيرة وقال سفيان الثوري الكبائر ما كان فيه المظالم فيما بينك وبين العباد والصغائر ما كان بينك وبين
الله تعالى لان الله كريم يغفر ويعفو واحتج لذلك بما روي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيامة يا امة محمد ان الله قد عفى عنكم جميعا المومنين والمومنات تواهبوا
المظالم وادخلوا الجنة برحمتي وقال مالك بن مغول الكبائر ذنوب اهل البدع والسيئات ذنوب اهل السنة
وقيل الكبائر ذنوب العمد والسيئات الخطا والنسيان وما اكره عليه وحديث النفس المرفوع عن هذه الامة

وقال السدي الكباير ما نهى الله عنه من الذنوب والسيات مقدماتها وتوابعها التي يجتمع فيها الصالح والفاسق
مثل النظرة واللمسة والقبلة واشباه ذلك (ق) عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن ادم
نصيبه من الزنا يدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه
الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه لفظ
مسلم وقيل الكباير الشرك وما يودي اليه وما دونه فهو من السيات فقد ثبت بما تقدم من الادلة ان من الذنوب
كباير وصغاير والى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف وثبت بدلايل الكتاب والسنة واذا ثبت انقسام
المعاصي الى صغاير وكباير فقوله تعالى **ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه** يعني كل ذنب عظم قبحه وعظمت
عقوبته اما في الدنيا بالحدود واما في الاخرة بالعذاب عليه **نكفر عنكم سياتكم** يعني نسترها عليكم حتى تصير
بمنزلة ما لم تعمل لان اصل التكفير الستر والتغطية فصغار الذنوب تكفر بالحسنات ولا تكفر كبارها الا بالتوبة
والاقلاع عنها كما ورد في الصحيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة
الى الجمعة كفارات لما بينهن زاد في رواية ما لم تغش الكباير وزاد في روايات اخر ورمضان الى رمضان مكفرات
لما بينهن اذا اجتنبت الكباير اخرجه مسلم وقوله تعالى **وندخلكم مدخلا كريما** يعني حسنا شريفا وهو الجنة
والمعنى اذا اجتنبتم الكباير واتيتم بالطاعات ندخلكم مدخلا تكرمون فيه قوله عز وجل **ولا تتمنوا ما فضل
الله به بعضكم على بعض** اصل التمني ارادة الشي وتشهي حصول ذلك الامر المرغوب فيه ومنه حديث النفس
بما يكون وما لا يكون وقيل التمني تقدير الشي في النفس وتصوره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن وقد يكون
عن روية واكثر التمني تصور ما لا حقيقة له وقيل التمني عبارة عن ارادة ما يعلم او يظن انه لا يكون عن مجاهد
عن ام سلمة قالت قلت يا رسول الله يغزو الرجال ولا يغزو النسا وانما لنا نصف الميراث فانزل الله ولا
تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قال مجاهد وانزل ان المسلمين والمسلمات وكانت ام سلمة اول ظعينة
قدمت المدينة مهاجرة اخرجه الترمذي وقال هذا حديث مرسل وقيل لما جعل الله للذكر مثل حظ الانثيين من
الميراث قالت النسا نحن احوج الى الزيادة من الرجال لانا ضعفا وهم اقوى واقدر على طلب المعاش منا
فانزل الله هذه الاية وقيل لما نزلت قوله للذكر مثل حظ الانثيين قال الرجال انا لنرجوا ان نفضل على النسا
في الحسنات في الاخرة فيكون لنا اجرنا على ضعف اجر النسا كما فضلنا عليهن في الميراث وقال النسا انا لنرجوا ان
يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال كما لنا الميراث النصف من نصيبهم فنزلت هذه الاية والتمني على قسمين
احدهما ان يتمنى الانسان ان يحصل له مال غيره مع زوال ملك النعمة عن ذلك الغير فهذا القسم هو الحسد
وهو مذموم لان الله تعالى يفيض نعمه على من يشا من عباده وهذا الحاسد يعترض على الله فيما يفعل وربما
اعتقد في نفسه انه احق بتلك النعمة من ذلك الانسان ايضا فهذا اعتراض على الله ايضا وهو مذموم القسم
الثاني ان يتمنى مثل مال غيره ولا يحب ان يزول ذلك المال عن الغير وهذا هو الغبطة وهذا ليس بمذموم
ومن الناس من منع منه ايضا لان تلك النعمة ربما كانت مفسدة في حقه في الدين والدنيا قال الحسن
لا يتمن مال فلان ولا مال فلان وما تدري لعل هلاكك في ذلك المال فليعلم العبد ان الله عز وجل اعلم
بمصالح عباده فليرض بقضائه ولتكن امنيته الزيادة من عمل الاخرة وليقل اللهم اعطني ما يكون صلاحا
لي في ديني ودنياي ومعادي وقوله **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنسا نصيب مما اكتسبن** قال ابن
عباس يعني مما ترك الوالدان والاقربون من الميراث يكون للذكر مثل حظ الانثيين وقيل هذا الاكتساب
في الاجر يعني ان الرجال والنسا في الاجر في الاخرة سوا لان الحسنة بعشر امثالها والسيية بمثلها يستوي

في ذلك

في ذلك الرجال والنسا وان فضل الرجال في الدنيا على النسا وقيل للرجال نصيب مما اكتسبوا من امر
الجهاد وللنسا نصيب مما اكتسبن يعني من طاعة الازواج وحفظ الفروج **واسالوا الله من فضله** قال
ابن عباس يعني من رزقه وقيل من عبادته وهو سوال التوفيق للعبادة وقيل لم يامر الله عباده بالمسئلة
الا ليعطيهم وفيه تنبيه على ان العبد لا يعين شيا في الدعا والطلب ولكن يطلب من فضل الله ما يكون
سببا لصلاح دينه ودنياه واخرته وقيل لما تمنى النسا ان يكن رجالا وان يكون لهن مثل ما للرجال فنهاهن
الله عن ذلك وامرهن ان يسالنه من فضله فانه اعلم بمصالح عباده **ان الله كان بكل شي عليما** يعني انه
تعالى عليم بما يكون صلاحا للسايلين فليقتصر السايل على المجمل في الطلب فان الله عليم بما يصلحه
فلا يتمنى غير الذي قدر له قوله تعالى **ولكل** يعني من الرجال والنسا **جعلنا موالي** يعني ورثة من بني عم
واخوة وساير العصبات **مما ترك** يعني يرثون مما ترك **الوالدان والاقربون** من ميراثهم فعلى هذا
الوالدان والاقربون هم الذين يرثون وقيل ان قوله موالي مما ترك يعني من تركهم الميت ثم فسر الموالي
فقال الوالدان والاقربون فعلى هذا الوالدان والاقربون هم الوارثون والمعنى ولكل شخص جعلنا
ورثة ممن تركهم وهم والده واقربوه والقول الاصح لانه يروى عن ابن عباس وغيره **والذين عاقدت
ايمانكم** وقرى عقدت بغير الف مع التخفيف والمعاقدة المحالفة والمعاهدة والايمان جمع يمين
يحتمل ان يراد بها القسم او اليد او هما جميعا وذلك انهم كانوا اذا تحالفوا اخذ كل واحد منهم بيد
صاحبه وتحالفوا على الوفا بالعهد والتمسك بذلك العقد وكان الرجل يحالف الرجل في الجاهلية
ويعاقده فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وارثك وتطلب
بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون لكل واحد من الحليفين السدس في مال الاخر وكان الحكم
ثابتا في الجاهلية وابتدا الاسلام فذلك قوله تعالى **فاتوهم نصيبهم** يعني اعطوهم حظهم من الميراث
ثم نسخ الله هذا الحكم بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقال ابن عباس نزلت هذه
الاية في الذين اخا بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار لما قدموا المدينة وكانوا
يتوارثون بتلك المواخاة دون النسب والرحم فلما نزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك نسختها ثم قال
والذين عاقدت ايمانكم من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصي له وفي رواية
اخرى عنه قال والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب فيرث
احدهما الاخر فنسخ ذلك الانفال فقال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقال سعيد بن المسيب
كانوا يتوارثون بالتبني بهذه الاية ثم نسخ ذلك وذهب قوم ان الاية ليست بمنسوخة بل حكمها باق
والمراد بقوله والذين عاقدت ايمانكم الحلفا والمراد من قوله فاتوهم نصيبهم يعني من النصرة والنصيحة
والموافاة والمصافاة ونحو ذلك فعلى هذا لا تكون منسوخة وقيل نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر
الصديق عن داود بن الحصين قال كنت اقرا على ام سعد بنت الربيع وكانت يتيمة في حجر ابي بكر
الصديق فقرات والذين عاقدت ايمانكم فقالت لا تقرا والذين عقدت ايمانكم انما نزلت في ابي بكر وابنه
عبد الرحمن حين ابى الاسلام فحلف ابو بكر ان لا يورثه فلما اسلم امره الله ان يوتيه نصيبه اخرجه ابو
داود وعلى هذا فلا نسخ ايضا فمن قال ان حكم الاية باق قال انما كانت المعاقدة في الجاهلية على النصر
لا غير والاسلام لم يغير ذلك ويدل عليه ما روي عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا حلف في الاسلام وايما حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة اخرجه مسلم وقوله تعالى

ان الله كان على كل شيء شهيدا قال عطا يريد انه لم يغب عنه علم ما خلق ويرى فعلى هذا الشهيد الشاهد
والمراد منه علمه بجميع الاشيا وقيل الشهيد الشاهد على الخلق يوم القيمة بكل ما عملوه فعلى هذا الشاهد بمعنى
المخبر وفيه وعد للطايعين ووعيد للعصاة المخالفين قوله عز وجل الرجال قوامون على النسا نزلت في سعد
ابن الربيع وكان من النقبا وفي امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير ويقال امراته بنت محمد بن مسلمة وذلك انها
نشزت عليه فلطمها فانطلق ابوها معها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت افرشته كريمتي فلطمها
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لتقتص من زوجها فانصرفت مع ابيها لتقتص منه فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ارجعوا هذا جبريل اتاني فانزل الله هذه الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اردنا امرا واراد
الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص فقوله تعالى الرجال قوامون على النسا اي مسلطون على
تاديبهن والاخذ على ايديهن قال ابن عباس امروا عليهن فعلى المراة ان تطيع زوجها في طاعة الله والقوام
هو القايم بالمصالح والتدبير والتاديب فالرجل يقوم بامر المراة ويجتهد في حفظها ولما اثبت القيام للرجال
على النسا بين السبب في ذلك فقال تعالى بما فضل الله بعضهم على بعض يعني ان الله تعالى فضل
الرجال على النسا بامور منها زيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجهاد والجمعة والجماعات
وبالامامة لان منهم الانبيا والخلفا والايمة ومنها ان الرجل يتزوج باربع نسوة ولا يجوز للمراة غير
زوج واحد ومنها زيادة النصيب في الميراث والتعصيب في الميراث وبيده النكاح والطلاق والرجعة
والية الاسباب فكل هذا يدل على فضل الرجال على النسا ثم قال تعالى وبما انفقوا من اموالهم يعني
وبما اعطوا من مهور النسا والنفقة عليهن عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت
امرا احدا ان يسجد لاحد لامرت الزوجة ان تسجد لزوجها اخرجه الترمذي فالصالحات يعني المحسنات
العاملات بالخير قانتات اي مطيعات لازواجهن وقيل مطيعات لله حافظات للغيب لفروجهن في
غيبة ازواجهن لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها ويلحق به الولد الذي هو من غيره وقيل معناه حفظ
سر زوجها وحفظ ماله وما يجب على المراة من حفظ متاع البيت في غيبة زوجها عن ابي هريرة قال قيل يا رسول
الله اي النسا خير قال التي تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا امر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره
اخرجه النساي ورواه البغوي بسند الثعلبي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير
النسا امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها
ثم تلا الرجال قوامون على النسا الاية وقوله تعالى بما حفظ الله يعني بما حفظهن الله حين اوصى بهن
الازواج وامرهم باداء المهر والنفقة اليهن ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا
بالنساء فان المراة خلقت من ضلع وان اعوج ما في الضلع اعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته
لم يزل اعوج فاستوصوا بالنسا وقيل في معنى الاية بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب وقيل
بما حفظ الله من حقوقهن على ازواجهن حيث امرهم بالعدل بينهن وامساكهن بمعروف او تسريحهن باحسان
واللاتي تخافون اي تعلمون وقيل تظنون نشوزهن اي تعلمون واصل النشوز الارتفاع ونشوز المراة
هو بغضها لزوجها ورفع نفسها عن طاعته والتكبر عليه وقيل دلالات النشوز قد يكون بالقول والفعل
فالقول مثل ان كانت تلبيه اذا دعاها وتخضع له اذا خاطبها والفعل مثل ان كانت تقوم له اذا دخل عليها
وتسارع الى امره اذا امرها فاذا خالفت هذه الاحوال بان رفعت صوتها عليه او لم تجبه اذا دعاها ولم
تبادر الى امره اذا امرها دل ذلك على نشوزها على زوجها فعظوهن يعني اذا ظهر منهن امارات النشوز

فعظوهن بالتخويف بالقول وهو ان يقول لها اتقي الله وخافيه فان لي عليك حقا وارجعي عما انت عليه
واعلمي ان طاعتي فرض عليك ونحو ذلك فان اصرت على ذلك هجرها في المضجع وهو قوله تعالى واهجروهن
في المضاجع ان لم ينزعن عن ذلك بالقول فاهجروهن في المضاجع قال ابن عباس هو ان يوليها ظهره في
الفراش ولا يكلمها وقيل هو ان يعتزل عنها الى فراش اخر واضربوهن يعني ان لم ينزعن بالهجران فاضربوهن
يعني ضربا غير مبرح ولا شاين قيل هو ان يضربها بالسواك ونحوه قال الشافعي الضرب مباح وتركه افضل
عن عمرو بن الاحوص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول بعد ان حمد الله واثنى عليه
وذكر ووعظ فذكر في الحديث قصة فقال الا فاستوصوا بالنسا خيرا فانما هن عوان عندكم ليس تملكون
منهن شيا غير ذلك الا ان ياتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا
غير مبرح فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اخرجه الترمذي بزيادة فيه قوله عوان جمع عانية اي
اسيرة شبه المراة ودخولها تحت حكم زوجها بالاسير والضرب المبرح الشديد الشاق وقوله فان اطعنكم
فلا تبغوا عليهن سبيلا اي لا تطلبوا عليهن طريقة تحتجون بها عليهن اذا قمن بالواجب حقكم عن حكيم بن
معوية عن ابيه قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة احدنا عليه قال ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها
اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت اخرجه ابو داود وقوله لا تقبح اي لا تقل قبحك الله
ق عن عبد الله بن زمعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلد احدكم امراته جلد العبد ثم لعله
يجامعها او قال يضاجعها من اخر اليوم عن اياس بن عبد الله بن ابي ذباب قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تضربوا النسا فجا عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذئرن النسا على ازواجهن فرخص
في ضربهن فاطاف بال رسول الله صلى الله عليه وسلم نسا كثير يشكون ازواجهن فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقد طاف بال محمد نسا كثير يشكون ازواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس
اوليك بخياركم اخرجه ابو داود واياس بن عبد الله هذا قد اختلف في صحبته وقال البخاري لا يعرف
له صحبة قوله ذئرن يقال ذئرت المراة على زوجها اذا نشزت واجترات عليه واطاق بالشي احاط به
ففي هذه الاحاديث دليل على ان الاولى ترك الضرب للنساء فان احتاج الى ضربها لتاديب فلا يضربها
ضربا شديدا وليكن ذلك مفرقا ولا يوالي بالضرب على موضع واحد من بدنها وليتق الوجه لانه مجمع المحاسن
ولا يبلغ بالضرب عشرة اسواط وقيل ينبغي ان يكون الضرب بالمنديل واليد ولا يضرب بالسوط والعصا
وبالجملة فالتخفيف بابلغ شي اولى في هذا الباب واختلف العلما فقال بعضهم حكم الاية مشروع على الترتيب
فان ظاهر اللفظ وان دل على الجمع الا ان فحوى الاية يدل على الترتيب قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
يعظها بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها وان ابت هجر مضجعها فان ابت ضربها فان لم تتعظ
بالضرب بعث الحكم وقال اخرون هذا الترتيب مراعا عند خوف النشوز اما عند تحقق النشوز فلا باس
بالجمع بين الكل وقيل ان له ان يعظها عند خوف النشوز وهل له ان يهجرها فيه احتمال وله عند ظهور
النشوز ان يعظها وان يهجرها او يضربها عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسال الرجل فيما ضرب
امراته اخرجه ابو داود ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل امراته الى
فراشه فابت ان تجي فبات غضبان عليها لعنتها الملايكة حتى تصبح وفي رواية ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امراته الى فراشه فتابى عليه الا كان الذي في السماء
ساخطا عليها حتى يرضى عنها وفي رواية اذا باتت مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملايكة حتى تصبح وفي

اخرى حتى ترجع عن طلق بن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعى الرجل امرأته لحاجته فلتأته وان
كانت على التنور اخرجه الترمذي وله عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تؤذي امرأة
زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو دخيل عندك يوشك ان يفارقك
الينا وله عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت
الجنة وقوله تعالى فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن يعني فان رجعن عن النشوز الى طاعتكم عند هذه التأديبات
فلا تبغوا عليهن يعني فلا تطلبوا عليهن الضرب والهجران على سبيل التعنت والايذاء وقيل معناه ازيلوا
عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ ولا تجنوا عليهن الذنوب وقيل معناه لا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بايديهن
ان الله كان عليا كبيرا العلي في صفة الله تعالى معناه هو الرفيع الذي يعلو عن وصف الواصفين ومعرفة
العارفين العلي بالاطلاق الذي يستحق جميع صفات المدح والكبير هو المستغني عن غيره وذلك هو الله
تعالى الموصوف بالجلال والعظمة والكبرياء وكبر الشأن الذي يصغر كل احد لكبريائه وعظمته والمعنى
ان الله متعاليا من ان يكلف عباده ما لا يطيقونه وقيل ان النساء وان ضعفن عن دفع ظلم الرجال عنهن
فان الله علي كبير قادر ان ينتصف لهن ممن ظلمهن من الرجال وقيل معناه ان الله مع علوه وكبريائه
يقبل توبة العاصي اذا تاب ويغفر له فاذا تابت المرأة من نشوزها فالاولى بكم ان تقبلوا توبتها وتتركوا
معاتبتها واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم فانتم احق بالعفو عمن تجني عليكم
قوله **وان خفتم** يعني وان علمتم وتيقنتم وقيل معناه الظن اي ظننتم **شقاق بينهما** يعني بين الزوجين واصل
الشقاق المخالفة وكون كل واحد من المتخالفين في شق غير شق صاحبه او يكون اصله من شق العصا وهو ان
يقول كل واحد من الزوجين ما يشق على صاحبه سماعه وذلك انه اذا ظهر بين الزوجين شقاق ومخالفة
واشتبه حالهما فلم يفعل الزوج الصلح ولا الصفح ولا الفرقة وكذلك الزوجة لا تؤدي الحق ولا الفدية
وخرجا الى ما لا يحل قولا وفعلا وقوله تعالى **فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها** اختلفوا في المخاطبين
بهذا ومن المأمور ببعثة الحكمين فقيل المخاطب بذلك كل احد من صالحي الامة لان قوله تعالى فابعثوا
خطاب الجمع وليس حمله على البعض اولى من حمله على البقية فوجب حمله على الكل فعلى هذا يجب ان
يكون امرا لآحاد الامة سواء وجد الامام او لم يوجد فللصالحين ان يبعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها
وايضا فهذا يجري مجرى دفع الضرر فلكل احد ان يقوم به وقيل هو خطاب للزوجين فاذا حصل بينهما
شقاق بعثا حكمين حكما من اهله وحكما من اهلها **ان يريدا اصلاحا** يعني الحكمين وقيل الزوجين **يوفق
الله بينهما** يعني بالصلاح والالفة روى الشافعي بسنده عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه جاءه رجل
وامرأة مع كل واحد منهما فئام من الناس فقال علي ما شأن هذين قالوا وقع بينهما شقاق قال علي
فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ثم قال للحكمين تدريان ما عليكما ان رأيتما ان تجمعا جمعتما وان
رأيتما ان تفرقا فرقتما فقالت المرأة رضيت بكتاب الله بما علي فيه ولي وقال الرجل اما الفرقة فلا
قال علي كذبت والله حتى تقر بمثل ما اقرت به قال الشافعي والمستحب ان يبعث الحاكم عدلين ويجعلهما
حكمين والاولى ان يكون واحد من اهله وواحد من اهلها لان اقاربهما اعرف بحالهما من الاجانب
واشد طلبا للاصلاح فان كانا اجنبيين جاز وفائدة الحكمين ان يخلو كل واحد منهما بصاحبه ويستكشف
حقيقة الحال ليعرف ان رغبته في الاقامة على النكاح او في المفارقة ثم يجتمعان فيفعلان ما هو الصواب
من ايقاع طلاق او خلع والحكمان وكيلان للزوجين وهل يجوز لهما تنفيذ امر يلزم الزوجين دون

رضاهما

رضاهما واذنهما في ذلك قولان احدهما انه لا يجوز الا برضاهما وليس لحكم الزوج ان يطلق الا باذنه
ولا لحكم المرأة ان يختلع بشيء من مالها الا باذنها وهو مذهب ابي حنيفة واحمد لان عليا توقف حين لم يرض
الزوج وذلك حين قال اما الفرقة فلا فقال له علي كذبت حتى تقر بمثل ما اقرت به فثبت ان تنفيذ
الامر موقوف على اقراره ورضاه ومعنى قول علي للزوج كذبت اي لست بمنصف في دعواك حيث
لم تقر بمثل ما اقرت به من الرضا بحكم كتاب الله لها وعليها والقول الثاني انه يجوز بعث الحكمين
دون رضاهما ويجوز لحكم الزوج ان يطلق دون رضاه ولحكم المرأة ان يختلع دون رضاها اذا رأيا
الصلاح في ذلك كالحاكم يحكم بين الخصمين وان لم يكن على وفق مرادهما وبه قال مالك ومن قال
بهذا القول قال ليس المراد من قول علي للزوج حتى تقر ان رضاه شرط بل معناه ان المرأة لما رضيت
بما في كتاب الله فقال الرجل اما الفرقة فلا يعني ليست الفرقة في كتاب الله فقال له كذبت حيث
انكرت ان تكون الفرقة في كتاب الله بل هي في كتاب الله فان قوله تعالى يوفق الله بينهما يشتمل على
الفراق وعلى غيره لان التوفيق ان يخرج كل واحد منهما من الاثم والوزر ويكون ذلك تارة بالفراق
وتارة بصلاح حاليهما في الوصلة وقوله تعالى **ان الله كان عليما خبيرا** يعني انه تعالى يعلم كيف
يوفق بين المختلفين ويجمع بين المتفرقين وفيه وعيد شديد للزوجين والحكمين ان سلكوا غير طريق
الحق قوله عز وجل **واعبدوا الله** يعني وحدوه واطيعوه وعبادة الله تعالى عبارة عن كل فعل يأتي به
بمجرد الله تعالى ويدخل فيه جميع اعمال القلوب واعمال الجوارح **ولا تشركوا به شيئا** يعني واخلصوا له
في العبادة ولا تجعلوا له في الربوبية والعبادة شريكا لان من عبد مع الله غيره او اراد بعمله غير الله
فقد اشرك به ولا يكون مخلصا **ق** عن معاذ بن جبل قال كنت ردف رسول الله صلى الله عليه وسلم على
حمار يقال له عفير فقال يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله قلت
الله ورسوله اعلم قال فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا فقلت يا رسول الله
افلا ابشر الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا قوله هل تدري ما حق الله على عباده معناه ما يستحقه
مما اوجبه وجعله محتما عليهم ثم فسر ذلك الحق بقوله ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وقوله وما حق
العباد على الله انما قال حقهم على سبيل المقابلة لحقه عليهم لا لانهم يستحقون عليه شيئا ويجوز ان
يكون من قول الرجل لصاحبه حقك علي واجب متأكد قيامي به وقوله افلا ابشر الناس الخ انما قال
لا تبشرهم فيتكلوا لانه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك اصلح لهم واحرى ان لا يتكلوا على هذه البشارة
ويتركوا العمل الذي يرفع لهم به الدرجات في الجنة وقوله تعالى **وبالوالدين احسانا** تقديره واحسنوا
بالوالدين احسانا يعني برا بهما وعطفا عليهما وانما قرن الوالدين بعبادته وتوحيده لتأكد حقهما على الولد
واعلم ان الاحسان الى الوالدين هو ان يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ويسعى في تحصيل مرادهما والانفاق
عليهما بقدر القدرة **ق** عن ابي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من احق
الناس بحسن صحابتي قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال ثم ابوك وفي رواية
قال امك ثم امك ثم امك ثم اباك ثم ادناك فادناك قوله ثم اباك فيه حذف تقديره ثم بر اباك **م** عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم انفه رغم انفه رغم انفه قيل من يا رسول الله قال من ادرك
والديه عند الكبر او احدهما ثم لم يدخل الجنة وقوله تعالى **وبذي القربى** واحسنوا الى ذي القرابة وهم ذوو
رحمه من قبل ابيه وامه **ق** عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان يبسط

له في رزقه ويُنسأ له في اثره فليصل رحمه تعني يُنسأ له في اثره يؤخر له في اجله وعمره وقوله تعالى واليتامى والمساكين
اي واحسنوا الى اليتامى انما امر بالاحسان اليهم لان اليتيم مخصوص بنوعين من العجز الصغر وعدم المشفق والمسكين
والمسكين هو الذي ركبه ذل الفاقة والفقر فتمسكن لذلك خ عن سهل بن سعد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا واشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيا ق عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله واحسبه قال وكالقائم
الذي لا يفتر وكالصائم لا يفطر وقوله تعالى والجار ذي القربى والجار الجنب اي واحسنوا الى الجار ذي القربى
وهو الذي قرب جواره منك والجار الجنب هو الذي بعد جواره عنك وقيل الجار ذي القربى هو القريب والجار
الجنب هو الاجنبي الذي ليس بينك وبينه قرابة ق عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال
جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وعن عايشة مثله خ عن عايشة قالت قلت يا رسول الله ان لي جارين
فالى ايهما اهدى قال الى اقربهما منك بابا م عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر اذا طبخت
مرقة فاكثر ماءها وتعاهد جيرانك وفي رواية قال اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم قال اذا طبخت مرقا فاكثر
ماءه ثم انظر الى اهل بيت من جيرانك فاصبهم منها بمعروف ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والله
لا يومن والله لا يومن والله لا يومن قيل ومن يا رسول الله قال الذي لا يامن جاره بوايقه ولمسلم لا يدخل الجنة من
لا يامن جاره بوايقه البوايق الغوايل والشرور ق عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نسا المومنات
لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة مغناة ولو ان تهدى لها فرسن شاة وهو الظلف واراد به الشي الحقير
ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يومن بالله واليوم الاخر فلا يوذي جاره ومن كان يومن
بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليسكت وقوله تعالى
والصاحب بالجنب قال ابن عباس هو الرفيق في السفر وقيل هي المراة تكون معك الى جنبك وقيل هو الذي يصحبك
رجاء نفعك عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه
وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى وابن السبيل يعني المسافر
المجتاز بك الذي قد انقطع به وقال الاكثرون المراد بابن السبيل الضيف يمر بك فتكرمه وتحسن اليه ق عن ابي شريح
خويلد بن عمرو العدوي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم
ضيفه جايزته قالوا وما جايزته يا رسول الله قال يومه وليلته والضيافة ثلاثة ايام فما كان وراء ذلك فهو
صدقة عليه وقال من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت زاد في رواية ولا يحل لرجل مسلم ان يقيم
عند اخيه حتى يوثمه قالوا يا رسول الله وكيف يوثمه قال يقيم عنده ولا شي له يقريه به قوله جايزته
يومه وليلته الجايزة العطية اي يقري الضيف ثلاثة ايام ثم يعطيه ما يجوز به من منهل الى منهل وقيل هو ان يكرم
الضيف ثلاثة ايام فاذا سافر اعطاه ما يكفيه يوما وليلة حتى يصل الى موضع اخر وقوله ولا يقيم عنده حتى
يوثمه اي يوقعه في الاثم لانه اذا اقام عنده ولم يقره اثم بذلك وقوله تعالى وما ملكت ايمانكم يعني المماليك
فاحسنوا اليهم والاحسان اليهم ان لا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يوذيهم بالكلام الخشن وان يعطيهم من الطعام
والكسوة ما يحتاجون اليه بقدر الكفاية عن ابي بكر الصديق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل
الجنة سيء الملكة اخرجه الترمذي عن رافع بن مكيث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حسن الملكة نما
وسوء الخلق شوم اخرجه ابو داود وله عن علي بن ابي طالب قال كان اخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم ق عن المعرور بن سويد قال رايت ابا ذر وعليه حلة وعلى

غلامه حلة مثلها فسالته عن ذلك فذكر انه ساب رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره
بامه فاتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك امرء فيك
جاهلية قلت على ساعتي هذه من كبر السن قال نعم هم اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه
تحت يده فليطعمه مما ياكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم عليه وقوله تعالى ان
الله لا يحب من كان مختالا المختال المتكبر العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق الناس فخورا الفخور هو الذي يفخر
على الناس ويعدد مناقبه تكبرا وتطاولا على من دونه وقيل هو الذي يفخر على عباد الله بما اعطاه الله من نعمه
ولا يشكره عليها وانما ختم الله هذه الاية بهذين الوصفين المذمومين لان المختال والفخور يانف من اقاربه
الفقراء ومن جيرانه الضعفاء فلا يحسن اليهم ولا يلوي بنظره عليهم ولان المختال هو المتكبر ومن كان متكبرا فلا
يقوم بحقوق الناس ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيمة الى من جر ثوبه
خيلاء ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيمة الى من جر ازاره بطرا
ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل راسه يختال
في مشيته اذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيمة خ عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال بينما رجل ممن كان قبلكم يجر ازاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيمة عن ابي
هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفخر والخيلاء في الفدادين من اهل الوبر والسكينة
في اهل الغنم الفدادون هم الفلاحون والحراثون واصحاب الابل والبقر المستكثرون منها المتكبرون على الناس
بها قوله تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل نزلت في اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله
عليه وسلم وكتموها فعلى هذا يكون المراد بالبخل كتمان العلم وقال ابن عباس نزلت في كردم بن زيد وحيي
ابن اخطب ورفاعة بن زيد بن التابوه واسامة بن حبيب ونافع بن ابي نافع وبحري بن عمرو كانوا ياتون
رجالا من الانصار ويخالطونهم ويقولون لهم لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون
فانزل الله عز وجل هذه الاية وقيل ان ذلك يحتمل ان يكون المراد بالبخل كتمان العلم ومنع المال لان البخل
في كلام العرب منع السايل من فضل ما لديه وامساك المقتنيات وفي الشرع البخل عبارة عن امساك
الواجب ومنعه واذا كان ذلك امكن حمله على منع المال ومنع العلم ويكتمون ما اتاهم الله من فضله
يعني اليهود كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما عندهم من العلم وقيل هم الاغنيا الذين كتموا الغنا
واظهروا الفقر وبخلوا بالمال واعتدنا للكافرين يعني الجاحدين نعمة الله عليهم عذابا مهينا يعني في
الاخرة عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مومن البخل
وسوء الخلق اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله عز وجل الذين ينفقون اموالهم رياء الناس يعني
للفخار والسمعة وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا يريدون بما انفقوا وجه الله تعالى عن ابي هريرة قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركا عن الشرك من عمل عملا اشرك
معي فيه غيري تركته وشركه نزلت هذه الاية في اليهود وقيل في المنافقين لان الريا ضرب من النفاق وقيل
نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يومنون بالله ولا باليوم
الاخر يعني ولا يصدقون بتوحيد الله ولا بالمعاد الذي فيه جزاء الاعمال الكاين ومن يكن الشيطان له قرينا
فساء قرينا يعني من يكن الشيطان صاحبه وخليله فبيس الصاحب وبيس الخليل الشيطان وانما اتصل
الكلام هنا بذكر الشيطان تقريعا لهم على طاعة الشيطان والمعنى من يكون عمله بما سول له الشيطان فبيس

العمل عمله وقيل هذا في الاخرة يجعل الله الشيطان قرينا ثم في النار تقرن مع كل كافر شيطان في سلسلة في النار
وجهنم الله وعيرهم على ترك الايمان فقال تعالى وماذا عليهم يعني واي شي عليهم واي وبال وتبعة تلحقهم لو
امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله اي واي وبال عليهم في الايمان بالله والانفاق في سبيله
وابتغاء مرضاته وكان الله بهم عليما يعني لا يخفى عليه شي من اعمال هولا الذين ينفقون اموالهم لاجل الريا
والسمعة ففيه وعيد وتهديد لهم قوله عز وجل ان الله لا يظلم مثقال ذرة نظم الكلام وماذا عليهم لو امنوا
وانفقوا فان الله لا يظلم ولا يبخس ولا ينقص احدا من ثواب عمله مثقال ذرة يعني وزن ذرة وقال ابن عباس الذرة
راس نملة حمرا وقيل الذرة كل جزء من اجزا الهبا الذي يكون في الكوة اذا كان فيها ضو الشمس لا وزن لها وهذا
مثل ضربه الله تعالى لاقل الاشيا والمعنى ان الله لا يظلم احدا شيا من قليل ولا كثير فخرج الكلام على اصغر شي يعرفه
الناس وان تك حسنة يضاعفها يعني الحسنة بعشر امثالها وقيل هذا عند الحساب فمن بقي له من الحسنات
مثقال ذرة ضاعفها الله الى سبعمائة والى اجر عظيم قال قتادة لان تفضل حسناتي على سياتي بمثقال ذرة
احب الي من الدنيا وما فيها م عن انس بن مالك في قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يظلم مومنا حسنة يعطى بها في الدنيا حتى اذا افضى الى الاخرة
لم يكن له حسنة يجزى بها عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى
ليستخلص رجلا من امتي على روس الخلايق يوم القيمة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر يقول
اتنكر من هذا شيا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول تعالى بل
ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال فانك لا تظلم
فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شي
اخرجه الترمذي ق عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل
الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب
وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المومنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير
وكاجاود الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس في نار جهنم حتى اذا خلص المومنون من النار فوالذي
نفسي بيده ما من احد منكم باشد مناشدة لله في استيفا الحق من المومنين لله يوم القيمة لاخوانهم الذين في النار
وفي رواية فما انتم باشد مناشدة في الحق قد تبين لكم من المومنين يومئذ للجبار اذا راوا انهم قد نجوا في اخوانهم يقولون
ربنا انهم كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا
كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به فيقال ارجعوا
فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن امرتنا احدا ثم
يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا
وكان ابو سعيد ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا ان شيتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة
يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله تبارك وتعالى شفعت الملايكة وشفع النبيون ولم يبق الا
ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما من النار لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر
في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها الى الحجر او الى الشجر ما يكون
الى الشمس اصيفر واخيضر وما يكون منها الى الظل يكون ابيض فقالوا يا رسول الله كانك كنت ترعى بالبادية قال

فيخرجون كاللولو في رقابهم الخواتيم يعرفهم اهل الجنة هولا عتقا الله الذين ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه
ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين
فيقول لكم عندي افضل من هذا فيقولون ربنا اي شي افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم ابدا
لفظ مسلم وهو بعض حديث وقال بعضهم هذه الاية واردة في الخصوم ويدل عليه ما روي عن عبد
الله بن مسعود قال اذا كان يوم القيمة جمع الله الاولين والاخرين ثم ينادي مناد من عند الله الا من
كان يطلب مظلمة فليجي الى حقه فلياخذه قال فيفرح المرء ان يكون له الحق على والده او ولده او زوجته
او اخيه فيا خذ منه وان كان صغيرا ومصداق ذلك في كتاب الله فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم
يومئذ ولا يتساءلون ويوتى بالعبد فينادي مناد على روس الاولين والاخرين هذا فلان بن فلان من كان له
عليه حق فليات الى حقه ثم يقال اد الى هولا حقوقهم فيقول اي رب من اين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله
تبارك وتعالى للملايكة انظروا الى اعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة قالت
الملايكة يا ربنا وهو اعلم بذلك اعطينا كل ذي حق حقه وبقي له مثقال ذرة من حسنة فيقول للملايكة
ضعفوها لعبدي وادخلوه بفضل رحمتي الجنة ومصداق ذلك في كتاب الله ان الله لا يظلم مثقال
ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما اي الجنة وان كان عبدا شقيا قالت الملايكة
الاهنا فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقول الله تبارك وتعالى خذوا من سياتهم فاضيفوها الى
سياته ثم اكتبوا له كتابا الى النار اخرجه البغوي بغير سند عن ابن مسعود موقوفا عليه واسنده ابن
جرير الطبري عن ابن مسعود فمعنى الاية على هذا التاويل ان الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على الخصم
بل ياخذها له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يثيبه عليها ويضاعفها له فذلك قوله وان تك
حسنة يضاعفها اي يجعلها اضعافا كثيرة ويوت من لدنه يعني من عنده اجرا عظيما يعني الجنة
والمعنى ويعط من عنده اجرا عظيما يعني عوضا من حسنة وذلك العوض هو الجنة وقال ابو هريرة
اذا قال الله عز وجل اجرا عظيما فمن يقدر قدره قوله تعالى فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد
يعني فكيف يكون حال هولا المشركين والمنافقين يوم القيمة اذا جينا من كل امة بشهيد قال ابن عباس يريد نبيها
والمعنى انه يوتى بنبي كل امة يشهد عليها ولها وجينا بك يا محمد على هولا شهيدا يعني تشهد على هولا الذين سمعوا
القران وخوطبوا به بما عملوا ق عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرا علي القران فقلت
يا رسول الله اقرا عليك وعليك انزل قال اني احب ان اسمعه من غيري قال فقرات عليه سورة النسا حتى جيت
الى هذه الاية فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا قال حسبك الان قال فالتفت اليه
فاذا عيناه تذرفان زاد مسلم شهيدا ما دمت فيهم او قال ما كنت فيهم شك احد رواته قوله تعالى يومئذ يعني
يوم القيمة يود اي يتمنى الذين كفروا يعني جحدوا وحدانية الله تعالى وعصوا الرسول يعني فيما امرهم
به من توحيد الله عز وجل لو تسوى بهم الارض يعني لو صاروا فيها وسويت عليهم وقيل انهم ودوا انهم بعثوا
لانهم انما كانوا في الارض وهي مستوية عليهم وقال الكلبي يقول الله تبارك وتعالى للبهايم والوحوش والطيور
والسباع كوني ترابا فتسوى بهن الارض فعند ذلك يتمنى الكافر لو كان ترابا ولا يكتمون الله حديثا قال ابن
عباس في رواية عطا ودوا لو تسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم ولا كفروا به ولا نافقوا
فعلى هذا القول يكون الكتمان ما كتموا في الدنيا من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وهو كلام متصل بما قبله
وقيل هو كلام مستانف قال سعيد بن جبير سال رجل ابن عباس فقال اني اجد في القران اشيا تختلف علي قال

هات ما يختلف عليك قال منها قوله تعالى ولا يكتمون حديثا ومنها قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا
فقال يغفر الله لاهل الاسلام ذنوبهم ويدخلهم الجنة فيقول المشركون تعالوا نقول ما كنا مشركين فيقولون
والله ربنا ما كنا مشركين رجاء ان يغفر لهم فيختم على افواههم وتنطق ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فعند
ذلك عرفوا ان الله لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض فلا يختلف عليك
القران فان كلا من عند الله وقال الحسن انها مواطن ففي موطن لا يتكلمون ولا تسمع الا همسا وفي موطن يتكلمون
ويكذبون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفي موطن يعترفون على انفسهم وهو قوله
قوله تعالى فاعترفوا بذنوبهم وفي موطن لا يتساءلون وفي موطن يتساءلون الرجعة واخر تلك المواطن ان
يختم على افواههم وتتكلم جوارحهم وهو قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى جمع سكران سبب نزول هذه الاية ما روي عن علي بن ابي طالب قال صنع
لنا ابن عوف طعاما فدعانا فاكلنا وسقانا خمرا قبل ان يحرم الخمر فاخذت منا وحضرت الصلاة فقدموني
فقرات قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال فخلطت فنزلت لا تقربوا الصلاة
وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح واخرجه ابو داود ولفظه
ان رجلا من الانصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف فسقاهما قبل ان تحرم الخمر فحضرت الصلاة فامهم علي في
المغرب فقرا قل يا ايها الكافرون فخلط فيها فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس ان رجالا كانوا ياتون الصلاة وهم سكارى قبل ان تحرم الخمر فقال الله
عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى الاية فعلى هذا ففي المراد بالصلاة قولان احدهما
ان نفس الصلاة ذات الركوع والسجود وهذا قول الاكثرين والمعنى لا تصلوا وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
والقول الثاني ان المراد بالصلاة موضع الصلاة وهو المسجد واطلاق لفظ الصلاة على المسجد محتمل
فيكون من باب حذف المضاف فالمعنى لا تقربوا مواضع الصلاة وانتم سكارى وحذف المضاف جائز سائغ
ويدل عليه قوله تعالى لهدمت صوامع وبيع وصلوات والمراد بالصلوات مواضعها فثبت ان اطلاق لفظ
الصلاة والمراد موضعها جائز واعلم ان هذا النهي عن قربان الصلاة في حالة السكر انما كان قبل تحريم
الخمر وكانوا يشربونها في غير اوقات الصلاة ثم نزل تحريم الخمر بعد ذلك ونسخت هذه الاية وقال الضحاك المراد
بالسكر سكر النوم يعني لا تقربوا الصلاة عند غلبة النوم ويدل عليه ما روي عن عائشة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال اذا نعس احدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان احدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدري
لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى ولا جنبا يعني ولا تقربوا الصلاة وانتم
جنب والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب واصل
الجنابة البعد سمي الذي اصابته الجنابة جنبا لانه يجتنب الصلاة والمسجد وقيل لمجانبته الناس حتى يغتسل الا
عابري سبيل العابر هاهنا فاعل من العبور وهو قطع الطريق من هذا الجانب الى الجانب الاخر واختلف
العلماء في معنى قوله الا عابري سبيل على قولين احدهما ان المراد بالعبور هو العبور في المسجد وذلك ان قوما
من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم ولا ممر لهم الا في المسجد فرخص لهم العبور
فيه فعلى هذا القول يكون المراد بالصلاة موضع الصلاة والمعنى لا تقربوا المسجد وانتم جنب الا مجتازين
فيه اما للخروج منه او للدخول فيه مثل ان يكون قد نام في المسجد فاجنب فيجب الخروج منه او يكون الماء في المسجد
فيدخل اليه او يكون طريقه عليه فيمر فيه من غير اقامة وهذا قول ابن مسعود وانس بن مالك والحسن وسعيد

ابن المسيب

ابن المسيب وعكرمة والضحاك وعطاء الخراساني والنخعي والزهري واليه ذهب الشافعي واحمد القول الثاني
ان المراد بقوله الا عابري سبيل المسافرين والمعنى ولا تقربوا الصلاة وانتم جنب الا ان تكونوا مسافرين ولم تجدوا
الماء فتيمموا منع الجنب من الصلاة حتى يغتسل الا ان يكون في سفره ولا ماء معه فيتيمم ويصلي الى ان يجد الماء
فيغتسل وهذا قول علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة فمن جعل عابري سبيل المسافرين منع الجنب
من العبور في المسجد وهو مذهب ابي حنيفة وصحح ابن جرير الطبري والواحدي القول الاول ويدل على صحته
وجهان احدهما ان المسافر الجنب لا تصح صلاته بدون التيمم ولم يذكر التيمم هنا فيحتاج الى اضمار
شيء عوز الماء وذكر التيمم وعلى القول الاول لا يحتاج الى اضمار شيء الوجه الثاني ان الله تعالى ذكر حكم السفر
وعدم الماء وجواز التيمم بعد هذا فلا يحمل هنا على حكم معاد في الاية ويدل عليه ان جميع القراء استحسنوا
الوقف على قوله حتى تغتسلوا يعني الى ان تغتسلوا وفيه دليل على ان حكم الجنابة باق على الجنب الى غاية هي
الاغتسال

فصل

في احكام تتعلق بالاية اختلف العلماء في العبور في المسجد فاباحه قوم على
الاطلاق وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعي ومنعه بعضهم على الاطلاق وهو قول اصحاب الراي
وقال قوم يتيمم للعبور في المسجد واختلف العلماء في المكث في المسجد ايضا للجنب فمنعه اكثر اهل العلم
وقالوا لا يجوز للجنب المكث في المسجد بحال لما روي عن عائشة قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووجوه بيوت اصحابه شارعة في المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد ثم دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولم يصنع القوم شيئا رجاء ان ينزل لهم رخصة فخرج اليهم بعد فقال وجهوا
هذه البيوت عن المسجد فاني لا احل المسجد لحائض ولا جنب اخرجه ابو داود وجوز احمد المكث في
المسجد بشرط الوضوء وبه قال المزني من اصحاب الشافعي واجاب احمد عن حديث عائشة بان في بعض
رواته مجهولا وقال عبد الحق لا يثبت من قبل اسناده واستدل احمد لمذهبه بما روي عن عطاء بن يسار قال رايت
رجالا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون في المسجد وهم مجنبون اذا توضؤوا وضوء الصلاة اخرجه
سعيد بن منصور في مسنده واحتج لمذهب الجمهور بعموم الاية وبما روي عن ام سلمة قالت دخل النبي صلى الله
عليه وسلم صرحة هذا المسجد فنادى باعلى صوته ان المسجد لا يحل لجنب ولا حائض اخرجه ابن ماجه ويحرم
على الجنب ايضا الطواف وقراءة القران كما يحرم عليه فعل الصلاة ويدل على ذلك ايضا ما روي عن علي بن
ابي طالب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته ثم يخرج فيقرا القران ويأكل معنا اللحم ولا يحجبه
وربما قال ولا يحجزه من القران شيء ليس الجنابة اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي ولفظه كان يقرئنا
القران على كل حال ما لم يكن جنبا وقال حديث حسن صحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يقرا الجنب ولا الحائض ولا النفساء من القران شيئا اخرجه الدارقطني ويجب الغسل باحد شيئين بانزال
المني وهو الماء الدافق او بايلاج الحشفة في الفرج وان لم ينزل ويدل على ذلك ما روي عن عائشة قالت سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاما قال يغتسل وعن الرجل يرى انه احتلم
ولا يجد بللا قال لا غسل عليه قالت ام سلمة والمراة ترى ذلك اعليها غسل قال نعم اخرجه ابو داود
والترمذي ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جلس بين شعبها الاربع ثم جهدها
فقد وجب الغسل زاد في رواية وان لم ينزل قوله تعالى وان كنتم مرضى جمع مريض واراد به المرض الذي يضر
معه امساس الماء كالجدري والجراح ونحو ذلك او كان على بعض اعضائه جراحة او به قروح يخاف
من استعمال الماء التلف او زيادة الوجع فانه يتيمم ويصلي مع وجود الماء وان كان بعض اعضائه صحيحا فيغسلها

جريحًا غسل الصحيح ويتيمم عن الجريح في الوجه واليدين لما روي عن جابر قال خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا حجر
فشجه في راسه ثم احتلم فسال اصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة وانت تقدر
على الما فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله
الا سالوا اذا لم يعلموا فانما شفا العي السوال انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصر او قال يعصب شك الراوي على
جرحه خرقة ثم يمسح عليه ويغسل سائر جسده اخرجه ابو داود والدارقطني فلم يجوز اصحاب الراي
الجمع بين التيمم والغسل قالوا ان كان اكثر اعضايه او بدنه صحيحًا غسل الصحيح ولا يتيمم عليه وان
كان الاكثر جريحًا اقتصر على التيمم والحديث حجة لمن اوجب الجمع بين الغسل والتيمم وقوله **او على سفر** يعني او
كنتم مسافرين واراد به السفر الطويل والقصير وعدم الما فانه يتيمم ويصلي ولا اعادة عليه لما روي عن
ابي ذر قال اجتمعت غنيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر ابد فيها فبدوت الى الربذة
فكانت تصيبني الجنابة فامكث الخمس والست فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو ذر فسكت
فقال ثكلتك امك ابا ذر لامك الويل فدعا بجارية سودا فجات بعس فيه ما فسترتني بثوب واستترت بالراحلة
فاغتسلت فكاني القيت عني جبلا فقال الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو الى عشر سنين فاذا وجدت الما
فامسه جلدك فان ذلك خير اخرجه ابو داود العس قدح من فخار يجعل فيه الما للوضو والاغتسال
اما اذا لم يكن الرجل مريضا ولا على سفر وعدم الما في موضع لا يعدم فيه غالبا فانه يتيمم ويصلي ثم يعيد
اذا وجد الما وقدر عليه وبه قال الشافعي وقال مالك والاوزاعي لا اعادة عليه وقال ابو حنيفة يوخر
الصلاة حتى يجد الما وقوله تعالى **او جا احد منكم من الغايط** الغايط المكان المطمين من الارض وجمعه
الغيطان وكانت عادة العرب اتيان الغايط للحدث فكنوا به عن الحدث وذلك ان الرجل منهم كان اذا
اراد قضا الحاجة طلب غايطا من الارض يعني مكانا منخفضا من الارض يحجبه عن اعين الناس فسمي الحدث
بهذا الاسم فهو من باب تسمية الشي باسم مكانه وقوله تعالى **او لامستم النسا** قرى هنا وفي سورة المايدة لامستم
النسا ولمستم بغير الف واختلف العلما في معنى الملامسة على قولين احدهما انه الجماع وهو قول علي وابن عباس
والحسن ومجاهد وقتادة ووجه هذا القول ان الله كنى باللمس عن الجماع لان اللمس يوصل الى الجماع قال ابن عباس
ان الله حيي كريم يكني عن الجماع بالملامسة والقول الثاني ان المراد باللمس هنا التقا البشرتين سوا كان بجماع او بغير
جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي ووجه هذا القول ان اللمس حقيقة في اللمس باليد فاما حمله على
الجماع فمجاز والاصل حمل الكلام على الحقيقة لا المجاز واما قراة من قرا او لامستم والملامسة مفاعلة من
اللمس لا يدل على المجامعة ايضا على الاطلاق لانه قد ورد في الحديث النهي عن بيع الملامسة قال ابو عبيد في
معناها هي ان يقول اذا لمست ثوبي او لمست ثوبك فقد وجب البيع فالملامسة في الحديث بمعنى اللمس باليد
واذا كانت مستعملة في غير المجامعة لم يدل قوله تعالى او لامستم النسا على صريح الجماع بل يحمل على الاصل
الموضوع له وهو اللمس باليد **فصل** في احكام تتعلق بالاية وفيه مسايل المسيلة الاولى
اذا افضى الرجل بشي من بدنه الى شي من بدن المراة ولا حايل بينهما انتقض وضوهما وهو قول ابن مسعود وابن
عمر وبه قال الزهري والاوزاعي والشافعي لما روى الشافعي بسنده عن ابن عمر انه قال قبلة الرجل امراته وجسها
بيده من الملامسة فمن قبل امراته او جسها بيده فعليه الوضو واخرجه مالك في الموطا قال الشافعي وبلغنا
عن ابن مسعود مثله وقال مالك والليث بن سعد واحمد واسحق اذا كان اللمس بشهوة انتقض الوضو
وان لم يكن بشهوة فلا ويدل عليه ما روي عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل امراة من

نسائه ثم خرج الى الصلاة ولم يتوضا قال عروة ومن هي الا انت فضحكت اخرجه الترمذي وابو داود واجيب عن هذا
الحديث بانه ليس بثابت قال الترمذي لانه لا يصح اسناده بحال وسمعت محمد بن اسمعيل يضعف هذا الحديث
وقال حبيب بن ثابت لم يسمع من عروة وضعف يحيى بن سعيد القطان هذا الحديث وقال هو شبه لا شي وفيه
ضعف من وجه اخر وهو ان عروة هذا ليس بعروة بن الزبير ابن اخت عايشة انما هو شيخ مجهول قال البيهقي
يعرف بعروة المزني وانما المحفوظ عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صايم كذا رواه الثقات
عن عايشة وقال ابو حنيفة لا ينتقض الوضو باللمس الا ان يحدث الانتشار وقال قوم لا ينتقض بحال
وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثوري واحتج من لم يوجب الوضو باللمس بما روي عن عايشة انها قالت
كنت انام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلاي في قبلته فاذا سجد غمزني فقبضت رجلي فاذا
قام بسطتهما والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح اخرجاه في الصحيحين واجاب من اوجب الوضو باللمس
عن هذا الحديث بانه يحتمل انه يكون غمزه لها على حايل المسيلة اختلف قول الشافعي في لمس المحرم كالام
والبنت والاخت والاجنبية صغيرة فاصح القولين عنه انه لا ينتقض الوضو به والثاني انه ينتقض الوضو
به وماخذ القولين عند اصحاب الشافعي التردد بين التعلق بعموم الاية في قوله او لامستم النسا او النظر
الى المعنى في النقض باللمس وهو انه تحرك الشهوة فان اخذنا بعموم الاية فينتقض الوضو بلمس المحارم وان
اخذنا بالمعنى فلا ينتقض وفي الملموس قولان والملموس هو الذي لا فعل منه في المباشرة رجلا كان او امراة واللامس
هو الفاعل اللمس وان لم يقصد المباشرة فاصح القولين انه ينتقض وضو اللامس والملموس بعموم الاية لانه لمس
وقع بين الرجل والمراة فينتقض وضوهما معا والقول الثاني انه ينتقض وضو اللامس دون الملموس لما روي عن
عايشة قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوضعت يدي على اخمص
قدميه وهو ساجد وهما منصوبتان وهو يقول اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك
واعوذ بك منك لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك اخرجه مسلم فلو انتقض وضوه صلى الله
عليه وسلم لقطع الصلاة ولو لمس شعر امراة او سنها او ظفرها فلا وضو عليهما المسيلة الثالثة في الحدث
وهو الخارج من السبيلين عينا كان البول والغايط او اثرا كالريح ونحوها فاذا حصل شي من ذلك فلا تصح
صلاته ما لم يتوضا او يتيمم عند عدم الما لما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل
الله صلاة احدكم اذا احدث حتى يتوضا فقال رجل من اهل حضرموت ما الحدث يا ابا هريرة قال فسا او
ضراط اخرجاه في الصحيحين اما خروج النجاسة من غير السبيلين كالفصد والحجامة والرعاف والقي ونحوها
فذهب قوم الى انه لا وضو من خروج هذه الاشيا يروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وبه قال عطا وطاوس والحسن
وابن المسيب واليه ذهب مالك والشافعي لما روي عن انس قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى
ولم يتوضا ولم يزد على غسل محاجمه اخرجه الدارقطني وذهب قوم الى ايجاب الوضو من ذلك منهم سفيان الثوري
وابن المبارك واصحاب الراي واحمد واسحق واتفق هولا على ان خروج القليل منه لا ينقض الوضو ويدل على انتقاض
الوضو بخروج هذه الاشيا ما روي عن معدان بن ابي طلحة عن ابي الدردا ان النبي صلى الله عليه وسلم قا فتوضا
قال معدان فلقيت ثوبان في مسجد دمشق فذكرت له ذلك فقال صدق انا صببت له وضوءه اخرجه الترمذي
وقال هو اصح شي في هذا الباب المسيلة الرابعة من نواقض الوضو زوال العقل بجنون او اغما او نوم
لما روي عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين وكا السه فمن نام فليتوضا اخرجه ابو
داود وابن ماجة ويستثنى من ذلك النوم اليسير قاعدا مفضيا بمحل الحدث الى الارض ويدل على ذلك

ما روي عن انس قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشا الاخرة حتى تخفق رووسهم
ثم يصلون ولا يتوضون اخرجه ابو داود وذهب قوم الى ان النوم لا ينقض الوضو بحال وهو قول
ابي هريرة وعايشة وبه قال الحسن واسحق والمزني وذهب قوم الى انه لو نام قايما او قاعدا او ساجدا
وهو في الصلاة فلا وضو عليه حتى يضطجع وبه قال سفيان الثوري وابن المبارك واصحاب الراي لما
روي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على من نام ساجدا وضو حتى يضطجع فانه اذا
اضطجع استرخت مفاصله اخرجه احمد بن حنبل وضعف بعضهم هذا الحديث المسئلة الخامسة من
نواقض الوضو مس الفرج من نفسه او غيره فذهب قوم الى انه يوجب الوضو وهو قول عمر وابن عمر وابن
عباس وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة وعايشة وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار واليه
ذهب الاوزاعي والشافعي واحمد واسحق غير ان الشافعي قال ينتقض الوضو اذا مس ببطن الكف الرجل
والمراة في ذلك سوا ويدل على ذلك ما روي عن بسرة بنت صفوان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من مس ذكره فلا يصلي حتى يتوضا اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح ولابي داود والنساي نحوه
وعن ام حبيبة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مس فرجه فليتوضا اخرجه ابن ماجة وصححه
احمد وابو زرعة وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من افضى بيده الى ذكره ليس دونه ستر فقد
وجب عليه الوضو اخرجه احمد بن حنبل وذهب قوم الى ان مس الذكر لا يوجب الوضو وهو قول علي وابن مسعود
وابي الدردا وحذيفة وبه قال الحسن واليه ذهب الثوري وابن المبارك واصحاب الراي واحتجوا بما روي عن
طلق بن علي قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاه رجل كانه بدوي فقال يا نبي الله ما ترى في مس
الرجل ذكره بعد ما توضا قال هل هو الا مضغة او قال بضعة منه اخرجه ابو داود والترمذي والنساي نحوه
بمعناه واجاب من اوجب الوضو من مس الذكر عن حديث طلق بن علي بان قدومه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان في اول الهجرة وهو يبني المسجد وابو هريرة من اخرهم اسلاما وقد اورد انتقاض الوضو بمس الذكر
فصار حديث ابي هريرة ناسخا لحديث طلق بن علي وايضا فان حديث طلق يرويه عنه ابنه قيس بن طلق وهو
ليس بالقوي عند اهل الحديث وقوله تعالى **فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا** اعلم ان التيمم من خصايص
هذه الامة خصها الله به ليسهل عليهم اسباب العبادة ويدل على ذلك ما روي عن حذيفة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملايكة وجعلت لنا الارض
كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الما اخرجه مسلم وكان سبب بدء التيمم ما روي عن عايشة
قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيدا او بذات الجيش انقطع
عقد لي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه واقام الناس معه وليسوا على ما وليس معهم ما فاتى الناس
الى ابي بكر فقالوا الا ترى الى ما صنعت عايشة اقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه وليسوا
على ما وليس معهم ما فجا ابو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع راسه على فخذي قد نام فقال حبست
رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ما وليس معهم ما قالت عايشة فعاتبني ابو بكر وقال
ما شا الله ان يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم على فخذي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصبح على غير ما فانزل الله عز وجل اية التيمم
فتيمموا فقال اسيد بن حضير وهو احد النقبا ما هي باول بركتكم يا ال ابي بكر قالت عايشة فبعثنا البعير
الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته اخرجاه في الصحيحين قولها بالبيدا البيدا المفازة والقفر وكل صحرا

وقف ٣٠

فهي بيدا وجمعها بيد وذات الجيش اسم موضع وهو على بريد من المدينة وقولها فبعثنا البعير اي اثرناه
قوله تعالى فلم تجدوا ما هذا معطوف على ما قبله والمعنى او جا احد منكم من الغايط او لامستم النسا فطلبتم
الما لتتطهروا به فلم تجدوه يعني فاعوزكم فلم تجدوه بثمن ولا بغير ثمن لان المحدث مامور بالتطهر بالما فاذا اعوزه
الما عدل عنه الى التيمم بعد طلبه لما قال الشافعي اذا دخل وقت الصلاة طلب الما فان لم يجده تيمم وصلى ثم اذا
دخل وقت الصلاة الثانية وجب عليه الطلب مرة اخرى وقال ابو حنيفة لا يجب عليه الطلب للصلاة
الثانية حجة الشافعي قوله تعالى فلم تجدوا ما فعدم الوجدان مشعر بسبق الطلب فلا بد في كل مرة من سبق الطلب
واجمعوا على انه لو وجد الما لكنه يحتاج اليه لعطشه او عطش حيوان محترم فانه يجوز له التيمم مع وجدان
ذلك الما وقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اصل التيمم في اللغة القصد يقال تيممت فلانا اذا قصدته وهو في
الشرع عبارة عن افعال مخصوصة عند عدم الما لتادية الصلاة واختلفوا في الصعيد فقال قتادة
الصعيد الارض التي ليس فيها شجر ولا نبات وقال ابن زيد الصعيد المستوي من الارض وكذلك قال الليث
الصعيد الارض المستوية التي لا شي فيها وقال الفرا الصعيد هو التراب وكذلك قال ابو عبيد في قوله
صلى الله عليه وسلم اياكم والقعود بالصعدات قال الصعدات الطرق ماخوذ من الصعيد وهو التراب
وقيل الصعيد وجه الارض البارز وهو اختيار الزجاج قال الصعيد وجه الارض ولا تبالي اكان في الموضع
تراب او لا لان الصعيد ليس هو التراب انما هو وجه الارض ونقل الربيع عن الشافعي في تفسير الصعيد فقال
لا يقع اسم الصعيد الا على تراب ذي غبار فاما البطحا الغليظة والرقيقة فلا يقع عليها اسم الصعيد فان
خالطه تراب او مدر يكون له غبار كان الذي خالطه هو الصعيد قال ولا يتيمم بنورة ولا كحل ولا زرنيخ كل
هذا حجارة هذا كلام الشافعي في تفسير الصعيد وهو العمدة في اللغة وقوله في ذلك حجة وقد وافقه في
ذلك الفرا وابو عبيد في انه التراب وجميع الاقوال في الصعيد صحيحة في اللغة لكن المراد بها هاهنا هو
التراب وقد قال ابن عباس في قوله صعيدا هو التراب واختلف اهل العلم فيما يجوز به التيمم فذهب الشافعي
الى انه يختص بما يقع عليه اسم التراب مما له غبار يعلق بالوجه واليدين لان النبي صلى الله عليه وسلم قال
جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا فخص التراب بالطهور ولان الله تعالى وصف الصعيد بالطيب والطيب
من الارض هو الذي ينبت فيها بدليل قوله والبلد الطيب يخرج نباته فعلى هذا ما لا ينبت فليس بطيب
ولنا ايضا قوله تعالى في سورة المايدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه وكلمة من للتبعيض هنا ولا ياتي
ذلك في الصخر الذي لا تراب عليه وايضا فانه يقال للغبار صعيد لانه ماخوذ من الصعود وهو الارتفاع
ولا يكون ذلك في الصخر وما اشبهه وذهب ابو حنيفة ومالك الى انه يجوز التيمم بكل ما هو من جنس الارض
كالرمل والحصى والنورة والزرنيخ ونحو ذلك حتى لو ضرب يده على صخرة ملسا لا غبار عليها صح تيممه عندهم
واحتج ابو حنيفة ومن وافقه بظاهر الاية قالوا لان التيمم هو القصد والصعيد اسم لما تصاعد من الارض
فقوله تعالى فتيمموا صعيدا اي اقصدوا ارضا فوجب ان يكون هذا القدر كافيا واجيب عنه بما تقدم
من الدليل في قوله منه وان لفظة من تكون للتبعيض قالوا ولما روي عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا واجيب عنه بان هذا مجمل يفسره ما تقدم من حديث حذيفة في
تخصيص التراب والمفسر يقضي على المجمل وجوز بعضهم التيمم بكل ما هو متصل بالارض من شجر ونبات ومدر ونحو
ذلك قالوا لان اسم الصعيد يقع على ما يتصاعد على الارض واجيب عنه بما تقدم من الادلة وقوله تعالى
فامسحوا بوجوهكم وايديكم الوجه الممسوح في التيمم هو المحدود في الوضو واختلف العلما فيما يجب مسحه

من اليد فذهب أكثر أهل العلم منهم ابن عمر وابنه سالم والحسن وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي أنه يمسح الوجه واليدين
إلى المرفقين بضربتين وصورة ذلك أن يضرب كفيه على التراب ويمسح بهما وجهه ولا يجب إيصال التراب إلى منابت
الشعور ثم يضرب ضربة أخرى ويفرق أصابعه فيمسح يديه إلى المرفقين ويدل عليه ما روي عن جابر عن النبي صلى الله
عليه وسلم التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين رواه البيهقي ولم يضعفه وروى الشافعي عن
إبراهيم بن محمد عن أبي الحويرث عن الأعرج عن ابن الصمة قال مررت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلمت
عليه فلم يرد علي حتى قام إلى الجدار فحته بعصى كانت معه ثم وضع يديه على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد
علي هذا الحديث منقطع لأن الأعرج وهو عبد الرحمن بن هرمز لم يسمع هذا من ابن الصمة إنما سمعه من عمير
مولى ابن عباس عن ابن الصمة وكذا هو مخرج في الصحيحين عن عمير مولى ابن عباس قال دخلت على أبي جهيم بن
الحارث فقال أبو الجهيم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جمل فلقيه رجل فسلم عليه فلم يرد النبي
صلى الله عليه وسلم حتى أقبل على الجدار فوضع يده على الحائط فمسح بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام ولأبي
داود عن نافع قال انطلقت مع ابن عمر في حاجة إلى ابن عباس فلما أن قضى حاجته وكان من حديثه يومئذ أن
قال مر رجل في سكة من سكك المدينة فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من غائط أو بول فسلم عليه الرجل
فلم يرد عليه حتى إذا كان الرجل أن يتوارى في السكة ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه على حائط ومسح بهما وجهه
ثم ضرب ضربة أخرى فمسح بها ذراعيه ثم رد على الرجل السلام وقال لم يمنعني أن أرد عليك أولا إلا أني لم أكن على طهر وفي
رواية فمسح ذراعيه إلى المرفقين فهذا أجود ما في هذا الباب فإن البيهقي أشار إلى صحة إسناده وفيه دليل على
الحكمين يعني مسح الوجه واليدين بضربتين وإيصال المسح إلى المرفقين وفيه دليل على أن التيمم لا يصح ما لم يعلق
بالوجه واليدين غبار التراب لأن النبي صلى الله عليه وسلم حت الجدار بالعصى ولو كان مجرد الضرب كافيا لما
كان حته وذهب الزهري إلى أنه يمسح اليدين إلى المنكبين ويدل عليه ما روي عن عمار بن ياسر قال تمسحوا وهم مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصعيد لصلاة الفجر فضربوا بأكفهم الصعيد ثم مسحوا بوجوههم مسحة واحدة
ثم عادوا فضربوا بأكفهم الصعيد مرة أخرى فمسحوا بأيديهم كلها إلى المناكب والآباط ثم بطرف أيديهم أخرجه أبو
داود وذهب جماعة إلى أن التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول علي وابن عباس وبه قال الشعبي
وعطاء ومكحول وإليه ذهب الأوزاعي ومالك وأحمد وإسحق وداود الظاهري واحتجوا بما روي عن عمار بن ياسر
قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة فأجنبت فلم أجد الماء فتمرغت في الصعيد كما تمرغ الدابة ثم أتيت
النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال إنما يكفيك أن تقول بيديك هكذا ثم ضرب بيديه الأرض
ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه وباطنهما ووجهه وفي رواية أن تقول هكذا وضرب
بيديه الأرض فنفض يديه فمسح وجهه وكفيه أخرجاه في الصحيحين وجملته أن اليد اسم لهذه الجارحة وحدها
عند بعض أهل اللغة من أطراف الأنامل إلى الكوع وهذا هو المقطوع في حد السرقة وقال أبو إسحق الزجاج
حدها من أطراف الأنامل إلى الكتف فمن ذهب إلى أن الممسوح في التيمم هو الكف قال إن حد اليد هو المقطوع في حد
السرقة ومن ذهب إلى أن الممسوح في التيمم إلى المناكب والآباط نظر إلى أن مسمى اليد يطلق على جميعها ومن ذهب إلى
أن الممسوح في التيمم إلى المرفقين قال إن التيمم بدل عن الوضوء واليد المغسولة في الوضوء هي الممسوحة في التيمم
فيحمل المطلق الذي في قوله تعالى في آية الوضوء فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأجاب من ذهب إلى
هذا عن حديث عمار بأن المراد منه بيان صورة الضرب وليس المراد منه جميع ما يحصل به التيمم **فصل**
وأركان التيمم خمسة الأول تراب طاهر خالص له غبار يعلق بالوجه واليدين ويجوز بالرمل إذا كان عليه

غبار الثاني قصد الصعيد فلو تعرض لمهب الريح لم يكفه ولو يممه غيره بإذنه مع عجزه جاز فإن كان قادرا فوجهان
الثالث نقل التراب إلى الوجه واليدين الرابع نية استباحة الصلاة فلو نوى رفع الحدث لم يصح والأفضل
أن ينوي استباحة الفرض والنفل الخامس مسح الوجه واليدين إلى المرفقين بضربتين والترتيب ولا يصح
التيمم لصلاة إلا بعد دخول وقتها ولا يجوز الجمع بين صلاتي فرض بتيمم واحد وهو قول علي وابن عباس وابن عمر
وبه قال الشعبي والنخعي وقتادة وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد وإسحق وذهب جماعة إلى أن التيمم كالوضوء
فيجوز تقديمه على الوقت ويجوز أن يصلي به ما شاء من الفرائض ما لم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب والحسن
والزهري والثوري وأصحاب الرأي واتفقوا على أنه يجوز أن يصلي بتيمم واحد ما شاء من النوافل قبل الفرض وبعده
إلى أن يدخل وقت الصلاة الأخرى وأن يقرأ القرآن إن كان جنبا ويشترط طلب الماء في السفر بأن يطلبه في رحله
وعند رفقائه وإن كان في صحراء ولا حائل دون نظره نظر حواليه وإن كان دون نظره حائل قريب من تل أو
جدار أو نحوه عدل عنه لأن الله تعالى قال فلم تجدوا ماء فتيمموا ولا يقال لم يجد إلا بعد طلب ولا يشترط طلب
عند أبي حنيفة فإن رأى الماء ولا يقدر عليه لمانع من عدو أو سبع يخاف منه أو كان الماء في بئر وليس
معه آلة الاستقاء فهو كالعادم فيتيمم ويصلي ولا إعادة عليه والله أعلم وقوله تعالى **إن الله كان عفوا** يعني
متجاوزا عن ذنوب عباده ويعفو ويصفح عنهم **غفورا** ستورا على عباده يغفر الذنوب ويسترها وفيه تنبيه
على أن الله تعالى رخص لعباده أمر العبادة ويسرها عليهم لأن من كان عادته أنه يغفر الذنوب ويعفو عنها
بأن يرخص للعاجزين أمر العبادة كان أولى قوله عز وجل **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب** نزلت
في يهود المدينة وقال ابن عباس نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم اليهوديين كانا إذا تكلم رسول
الله صلى الله عليه وسلم لويا ألسنتهما وعاباه فأنزل الله ألم تر يعني ألم ينته علمك يا محمد إلى هؤلاء الذين أوتوا
نصيبا من الكتاب يعني أعطوا حظا من علم التوراة وذلك أنهم عرفوا نبوة موسى من التوراة وأنكروا نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم منها فلهذا قال أتى بمن التي هي للتبعيض وقيل إنهم علموا التوراة ولم يؤتوا العمل بها **يشترون
الضلالة** يعني يؤثرون تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ليأخذوا بذلك الرشى ويحصل لهم الرياسة وإنما ذكره
بلفظ الشراء لأنه استبدال شيء بشيء وقيل فيه إضمار يعني يستبدلون الضلالة بالهدى **ويريدون** يعني اليهود
أن تضلوا السبيل يعني عن السبيل والمعنى أنهم يتواصلوا إلى إضلال المؤمنين والتلبيس عليهم لكي يخرجوا عن
الإسلام **والله أعلم بأعدائكم** يعني أنه سبحانه وتعالى أعلم بكنه ما في قلوب اليهود من العداوة والبغضاء لكم يا معشر
المؤمنين فلا تستنصحوهم فإنهم أعداؤكم **وكفى بالله وليا** يعني متوليا أمركم والقائم به ومن كان الله تعالى وليه لم يضره
عداوة أحد **وكفى بالله نصيرا** يعني فهو ينصركم عليهم فثقوا بولايته ونصره قوله تعالى **من الذين هادوا** قيل هو بيان
للذين أوتوا نصيبا من الكتاب والتقدير ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقيل هو
متعلق بما قبله والتقدير وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا وقيل هو ابتداء الكلام وفيه حذف تقديره من الذين
هادوا قوم يحرفون الكلم أي يزيلونه ويغيرونه ويبدلونه **عن مواضعه** يعني يغيرون صفة محمد صلى الله عليه
وسلم من التوراة وقال ابن عباس كانت اليهود يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن الأمر
فيخبرهم به فيرى أنهم يأخذون بقوله فإذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه وقيل المراد بالتحريف إلقاء الشبهة
الباطلة والتأويلات الفاسدة وهو تحريف اللفظ من معناه الحق إلى معنى باطل **ويقولون سمعنا وعصينا**
يعني سمعنا قولك وعصينا أمرك وذلك أنهم كانوا إذا أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بشيء قالوا في الظاهر سمعنا
وقالوا في الباطن عصينا وقيل إنهم كانوا يظهرون ذلك القول عنادا أو استخفافا **واسمع غير مسمع** هذه

كلمة تحتمل المدح والذم فاما معناها في المدح اسمع غير مسموع مكروها واما معناها في الذم فانهم كانوا يقولون اسمع منا ولا نسمع منك وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع ثم يقولون في انفسهم لا سمعت وقيل معناه غير مقبول منك ما تدعوا اليه وقيل معناه غير مسمع جوابا يوفقك وكلا ترتضيه وراعنا اي ويقولوا راعنا يريدون بذلك نسبة الى الرعونة وقيل معناه ارعنا سمعك اي اصرف سمعك الى كلامنا وانصت الى قولنا ومثل هذا لا يخاطب به الانبيا انما يخاطبون بالاجلال والتعظيم والتفخيم والتبجيل ليا بالسنتهم وطعنا في الدين اصله لويا لانه من لويت الشي اذا فتلته والمعنى انهم يفتلون الحق فيجعلونه باطلا لان راعنا من المراعاة فيجعلونه من الرعونة وكانوا يقولون لاصحابهم انما نشتمه ولا يعرف ولو كان نبيا لعرف ذلك فاظهره الله تعالى على خبث ضمايرهم وما في قلوبهم من العداوة والبغضا ثم قال تعالى ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا يعني ولو انهم قالوا بدل سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا واسمع يعني بدل قولهم لا سمعت وانظرنا يعني بدل قولهم راعنا اي انظر الينا لكان خيرا لهم يعني عند الله واقوم يعني اعدل واصوب ولكن لعنهم الله يعني طردهم وابعدهم من رحمته بكفرهم يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم فلا يومنون الا قليلا يعني فلا يومن الا نفر قليل مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل اراد بذلك القليل نوع اعترافهم بان الله خلقهم ورزقهم قوله تعالى يا ايها الذين اوتوا الكتاب خطاب لليهود امنوا بما نزلنا يعني القران مصدقا لما معكم يعني التوراة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم احبار اليهود عبد الله بن صوريا وكعب بن الاشرف فقال يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذي جيتكم به الحق قالوا ما نعرف ذلك واصروا على الكفر فانزل الله عز وجل هذه الاية وامرهم بالايمان وقرن بهذا الامر الوعيد الشديد فقال تعالى من قبل ان نطمس وجوها اصل الطمس ازالة الاثر بالمحو وذكروا في المراد بالطمس ها هنا وجهين احدهما ان يحمل على حقيقته والثاني ان يحمل على مجازه فاما من حمله على الحقيقة فقال هو محو تخطيط صور الوجوه قال ابن عباس يجعلها كخف البعير وقيل نعميها فيكون المراد بالوجه العين فنردها على ادبارها يعني فنجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفا وقيل نديرها فنجعل الوجوه الى خلف والاقفا الى قدام وانما جعل الله هذا عقوبة لهم لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة وعند هذا يحصل لهم الغم وتكثر الحسرات فعلى هذا يكون هذا الوعيد مخففا بيوم القيمة واما من حمل الطمس على المجاز فقال المراد به نطمسها عن الهدى فنردها على ادبارها يعني على ضلالتها وقيل المراد بالطمس طمس القلب والبصيرة فنردها على ادبارها يعني بتغير احوالهم فنلبسهم الصغار والذلة بعد العز وقيل المراد بالطمس محو اثارهم من المدينة وردهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام من حيث جاوا وهو اجلا بني النضير فان قلت قد اوعدهم وهددهم بطمس الوجوه ان لم يومنوا ولم يومنوا فلم يفعل بهم ذلك قلت هذا الاشكال انما يرد على من فسر الطمس بتغير الوجوه ومحو تخطيطها وحمله على حقيقته والجواب عنه ان هذا مشروط بعدم الايمان وقد امن منهم ناس فرفع عن الباقين وروي ان عبد الله بن سلام لما سمع هذه الاية جا الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي اهله فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يحول وجهي الى قفاي وكذلك روي عن كعب الاحبار انه لما سمع هذه الاية في خلافة عمر بن الخطاب اسلم وقال يا رب اسلمت مخافة ان يصيبني وعيد هذه الاية لكن هذا الوعيد مشروطا بان لا يومن احد منهم وهذا الشرط لم يوجد لانه امن منهم جمع كثير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام واصحابه ففات الشرط لفوات المشروط وقيل ان الطمس باق في اليهود

فيكون فيهم طمس ومسخ قبل يوم القيمة وقيل انه تعالى جعل الوعيد باحد شيئين اما بالطمس او باللعنة وهو قوله او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت اي نجعلهم قردة كما فعلنا باوايلهم وقيل المراد من لعنتهم الطرد والابعاد من الرحمة والكناية في نلعنهم تعود الى المخاطبين في قوله يا ايها الذين اوتوا الكتاب وهذا على طريقة الالتفات كما في قوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقد يحتمل ان يكون معناه من قبل ان نطمس وجوها ونلعن اصحاب الوجوه فتجعل الكناية في قوله او نلعنهم من ذكر اصحاب الوجوه اذ كان في الكلام دلالة عليه وقوله تعالى وكان امر الله مفعولا يعني لا بد وان يقع بهم ذلك ان لم يومنوا فلا راد لحكمه ولا ناقض لامره على معنى انه لا يمتنع عليه شي يريد ان يفعله وقيل معناه وكان مامور الله مفعولا والامر هنا في موضع المامور سمي امرا لانه عن امره كان والمعنى وكان امر الله مفعولا قوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا قال ابن جرير الطبري معناه يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا فان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فعلى هذا يكون في الاية دلالة على ان اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع وقيل ان الاية نزلت في وحشي واصحابه وذلك لما قتل حمزة رضي الله عنه ورجع الى مكة ندم على صنيعه هو واصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على ما صنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك بمكة تقول والذين لا يدعون مع الله الها اخر الى اخر الايات وقد دعونا مع الله الها اخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه الايات لاتبعناك فنزلت الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا الايتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قروها كتبوا اليه ان هذا شرط شديد ونخاف ان لا نعمل عملا صالحا فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فبعث بها اليهم فبعثوا انا نخاف ان لا نكون من اهل المشية فنزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية فبعث بها اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال ويحك غيب وجهك عني فلحق بالشام فكان به الى ان مات وقيل لما نزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية قام رجل فقال يا رسول الله والشرك فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلاثا فنزلت هذه الاية ومعنى الاية ان الله لا يغفر لمشرك مات على شركه ويغفر ما دون ذلك لمن يشا يعني ويغفر ما دون الشرك لمن يشا من اصحاب الذنوب والاثام ففي الاية دليل على ان صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة فانه في خطر المشية ان شا عفى عنه وادخله الجنة بفضله وكرمه وان شا عذبه بالنار ثم يدخله الجنة برحمته واحسانه لان الله تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك فان مات على الشرك فهو مخلد في النار لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وفي الاية رد على المعتزلة والقدرية حيث قالوا لا يجوز في الحكمة ان يغفر لصاحب كبيرة وعند اهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشا لا مكره له ولا حجر عليه ويدل على ذلك ايضا ما روي عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا امير المومنين الرجل يعمل من الصالحات لم يدع شيا من الخير الا عمله غير انه مشرك قال عمر هو في النار فقال ابن عباس الرجل لم يدع شيا من الشر الا عمله غير انه لم يشرك بالله شيا قال عمر الله اعلم قال ابن عباس اني لارجو له كما انه لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر عن علي

ابن ابي طالب قال ما في القران احب الي من هذه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب م عن جابر قال جا اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيا دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل
النار وقوله تعالى ومن يشرك بالله يعني يجعل معه شريكا غيره فقد افترى اي اختلق اثما عظيما يعني
ذنبا عظيما غير مغفور ان مات عليه قوله تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم نزلت في رجال
من اليهود اتوا باطفالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل على هولا من ذنب قال لا قال
وما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار يكفر عنا بالليل وما عملناه بالليل يكفر عنا بالنهار فانزل الله
تعالى هذه الاية وقيل نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا نحن ابنا الله واحباوه وقولهم لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى والتزكية هنا عبارة عن مدح الانسان نفسه بالصلاح والدين ومنه
تزكية الشاهد حتى يصير عدلا قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وذلك لان التزكية
متعلقة بالتقوى وهي صفة في الباطن فلا يعلم حقيقتها الا الله تعالى ولا تصلح التزكية الا من عند
الله تعالى فلهذا قال الله تعالى بل الله يزكي من يشا ويدخل في هذا المعنى كل من زكى نفسه بصلاح او
وصفها بزكا العمل وبزيادة الطاعة والتقوى وبزيادة الزلفى عند الله وهذه الاشيا لا يعلمها
الا الله تعالى فلهذا قال فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى ومعنى يزكون انفسهم يزعمون انهم ازكيا لانهم
بروا انفسهم من الذنوب فقال الله تعالى ردا عليهم بل الله يزكي من يشا فيجعله زاكيا ولا يظلمون
فتيلا يزكون انفسهم يعاقبون على تلك التزكية من غير ظلم وقيل معناه ان الذين زكاهم الله لا ينقصون
من ثواب طاعتهم شيا والفتيل المفتول فسمي ما يكون في شق النواة فتيلا لكونه على هيئته وقيل الفتيل
هو ما تفتله بين اصابعك من وسخ وغيره ويضرب به المثل في الشي الحقير الذي لا قيمة له انظر الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد الى هولا اليهود كيف يفترون على الله الكذب يعني قولهم انهم لا ذنوب
لهم وتزكيتهم انفسهم وكفى به اي بذلك الكذب اثما مبينا قوله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يومنون بالجبت والطاغوت نزلت في كعب بن الاشرف وسبعين راكبا من اليهود قدموا مكة بعد وقعة
احد ليحالفوا قريشا على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب بن الاشرف على ابي سفيان فاحسن مثواه ونزل باقي اليهود على قريش
في دورهم فقال لهم اهل مكة انتم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نامن ان يكون هذا مكرا منكم فان اردتم
ان نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين ففعلوا ذلك فذلك قوله تعالى يومنون بالجبت والطاغوت ثم
قال كعب بن الاشرف لاهل مكة ليجي منكم ثلاثون رجلا ومنا ثلاثون فنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب
هذا البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ثم قال ابو سفيان لكعب بن الاشرف انك امرو تقرا الكتاب
وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى سبيلا نحن ام محمد فقال كعب اعرض علي دينكم فقال ابو سفيان نحن
ننحر للحجيج الكوما ونسقيهم الما ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن
اهل الحرم ومحمد فارق دين ابايه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم
والله اهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله الم تر يعني يا محمد الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني كعب
ابن الاشرف واصحابه اليهود يومنون بالجبت والطاغوت يعني به سجودهم للصنمين واختلف العلما فيهما
فقيل الجبت والطاغوت كل معبود دون الله عز وجل وقيل هما صنمان كانا لقريش وهما اللذان سجد

اليهود لهما طلبا لمرضات قريش وقيل الجبت اسم للاصنام والطاغوت شياطين الاصنام ولكل صنم شيطان
يعبر عنه فيغتر بها الناس فيغترو بذلك وقيل الجبت الكاهن والطاغوت الساحر عن قطن بن قبيصة عن ابيه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجه ابو داود
وقال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة هو زجر الطير وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا
خرج لامر زجر طيرا فان اخذ ذات اليمين مضى في حاجته وان اخذ ذات الشمال رجع فهو اعني ذلك والطرق
هو ضرب الحجارة والحصى على طريق الكهانة فهو اعنده والطيرة هو ان يتطير بالشي فيرى الشوم فيه والشر
منه وقيل هو من التطير وهو زجر الطاير والخط هو ضرب الرمل لاستخراج الضمير وقيل الجبت كل ما حرم
الله تعالى والطاغوت كل ما يطغي الانسان وقيل الجبت حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف ديان اليهود
وكانا طاعة اليهود واصحابه للذين كفروا يعني لكفار قريش هولا يعني انتم يا هولا اهدى من الذين امنوا
سبيلا يعني طريقا اولئك الذين لعنهم الله يعني كعب بن الاشرف واصحابه ومن يلعن الله يعني يطرده
من رحمته فلن تجد له نصيرا يعني ينصره قوله تعالى ام لهم نصيب من الملك هذا استفهام انكار يعني
ليس لهم من الملك شي البتة وذلك ان اليهود كانوا يقولون نحن اولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب فاكذبهم
الله تعالى وابطل دعواهم فاذا لا يوتون الناس نقيرا هذا جواب الجزا مضمر تقديره ولين كان لهم نصيب
وحظ من الملك فلا يوتون الناس منه نقيرا وصفهم بالبخل في هذه الاية ووصفهم بالجهل في الاية المتقدمة
ووصفهم بالحسد في الاية الاتية وهذه الخصال كلها مذمومة فكيف يدعون الملك وهي حاصلة فيهم
والنقير النقطة التي تكون على ظهر النواة ومنها تنبت النخلة ويضرب به المثل في الشي الحقير التافه
الذي لا قيمة له قوله عز وجل ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله اصل الحسد تمني زوال
النعمة عن من هو مستحق لها وربما يكون ذلك مع سعي في زوالها وصف الله اليهود بشر خصلة وهي الحسد
والمراد بالناس محمدا صلى الله عليه وسلم وحده وانما جاز ان يقع عليه لفظ الجمع وهو واحد لانه صلى الله
عليه وسلم اجتمع فيه من خصال الخير والبركة ما لا يجتمع مثله في جماعة ومن هذا القبيل يقال فلان
امة وحده يعني انه يقوم مقام امة وقيل المراد بالناس النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لان لفظ الناس
جمع وحمله على الجمع اولى والمراد بالفضل النبوة لانها اعظم المناصب واشرف المراتب وقيل حسدوه
على ما احل الله له من النسا وكان له يومئذ تسع نسوة فقالت اليهود لو كان نبيا لشغله امر النبوة عن
الاهتمام بامر النسا فاكذبهم الله ورد عليهم بقوله فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة يعني
انه قد حصل في اولاد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جماعة كثيرون جمعوا بين الملك والنبوة مثل داود وسليمان
عليهما السلام فلم يشغلهم الملك عن امر النبوة والمعنى كيف تحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم على ما اتاه
من فضله فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة وانتم لا تحسدونهم والمراد بالكتاب التوراة وبالحكمة
النبوة واتيناهم ملكا عظيما يعني فلم يشغلهم عن النبوة فمن فسر الفضل بكثرة النسا فسر الملك العظيم
في حق داود وسليمان بكثرة النسا فانه كان لداود ماية ولسليمان الف امراة ثلثماية حرة وسبعماية
سرية ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الا تسع نسوة فلما لم يكن ذلك مستبعدا في حقهم
ولا نقصا في نبوته فمنهم يعني من اليهود من امن به بالنبي صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه كعبد الله
ابن سلام واصحابه ومنهم من صد عنه اي اعرض عنه ولم يومن وكفى بجهنم سعيرا يعني وكفى في عذاب
من لم يومن بالنبي صلى الله عليه وسلم سعيرا قوله تعالى ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا هذا

وعيد من الله عز وجل للذين اقاموا على كفرهم وتكذيبهم بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود
وغيرهم من ساير الكفار والمعنى ان الذين جحدوا بما انزلت على رسولي محمد من اياتي الدالة على توحيدي
وصدق رسولي محمد صلى الله عليه وسلم سوف نصليهم نارا اي ندخلهم نارا نشويهم فيها **كلما نضجت جلودهم**
يعني احترقت **بدلناهم جلودا غيرها** يعني غير الجلود المحترقة قال ابن عباس يبدلون جلودا بيضا
كامثال القراطيس وروي ان هذه الاية قريت عند عمر بن الخطاب فقال عمر للقاري اعدها فاعادها
وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في كل ساعة ماية مرة فقال عمر هكذا سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره البغوي بغير سند وقال الحسن تاكلهم النار في كل يوم سبعين
الف مرة **ق** وعن ابي هريرة يرفعه ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع **م**
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر او قال ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة
ثلاثة فان قلت كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا فلم تعص قلت يعاد الجلد الاول في كل مرة وانما قال
جلودا غيرها لتبديل صفتها كما تقول صغت من خاتمي خاتما غيره فالثاني هو الاول غير ان الصياغة
بدلت الصفة وقيل ان العذاب للجملة الحساسة وهي النفس التي عصت واذا كان كذلك فغير
مستحيل ان يخلق الله للكافر في كل ساعة من الجلود ما لا يحصى لتحترق ويصل المها اليه وقيل المراد بالجلود
السرابيل وهو قوله سرابيلهم من قطران والمعنى كلما نضجت سرابيلهم واحترقت بدلناهم سرابيل من قطران
غيرها لان الجلود لو احترقت لفنيت وفي افنايها راحتها وقد اخبر الله عنهم انهم لا يموتون فيها ولا يخفف
عنهم من عذابها ولان الجلد احد اجزاء الجسم فثبت ان التبديل انما هو للسرابيل وقيل يبدل للجلد من نفس
الكافر فيخرج من لحمه جلدا وقيل ان الله تعالى يلبس اهل النار جلودا لا تالم لتكون زيادة في عذابهم كلما
احترق جلد بدل لهم جلدا غيره وقوله تعالى **ليذوقوا العذاب** اي انما فعلنا بهم ذلك ليجدوا الم العذاب
وكربه وشدته وانما اتى بلفظ الذوق مع ما نالهم من عظم العذاب الذي نالوه اخبارا بان احساسهم في
كل حال كاحساس الذايق في تجديد وجدان الذوق من غير نقصان في الاحساس **ان الله كان عزيزا** يعني في
انتقامه ممن ينتقم من خلقه لا يغلبه شي ولا يمتنع عليه احد **حكيما** يعني في تدبيره وقضايه واعماله لا يفعل
الا ما هو الصواب **والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم** يعني سوف ندخلهم يوم القيمة **جنات**
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها يعني باقين فيها **ابدا** يعني ذلك الخلود بغير نهاية ولا انقطاع **لهم فيها** يعني
في الجنات **ازواج مطهرة** من الحيض والنفاس وساير اقذار الدنيا **وندخلهم ظلا ظليلا** يعني كنينا ذلك
الظل لا تنسخه الشمس ولا يوذيهم فيه حر ولا برد وذلك الظل هو ظل الجنة فان قلت اذا لم يكن في الجنة شمس
يوذي حرها فما فايدة وصفها بالظل الظليل قلت انما خاطبهم بما يعقلون ويعرفونه وذلك لان بلاد العرب
في غاية الحرارة فكان الظل عندهم من اعظم اسباب الراحة واللذاذة فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
قوله عز وجل **ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها** قال البغوي نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد
الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب البيت
وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل له انه مع عثمان فطلب منه فابى وقال
لو علمت انه رسول الله لم امنعه المفتاح فلوى علي بن ابي طالب يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب ودخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح وان يجمع له بين
السقاية والسدانة فانزل الله هذه الاية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح الى

عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك فقال له عثمان اكرهت ثم جيت ترفق فقال علي لقد انزل الله عز وجل في
شانك قرانا وقرا عليه الاية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاسلم فكان المفتاح
معه الى ان مات فدفعه الى اخيه شيبة فالمفتاح والسدانة في اولادهم الى يوم القيمة قلت وفيما ذكره
البغوي رحمه الله من اسلام عثمان بن طلحة يوم الفتح ومنعه المفتاح وقوله لو اعلم انه رسول الله لم امنعه
المفتاح نظر لان الصحيح ما حكاه ابو عمر بن عبد البر وابن منده وابن الاثير ان عثمان بن طلحة هاجر الى المدينة
في هدنة الحديبية سنة ثمان مع خالد بن الوليد ولقيهما عمرو بن العاص مقبلا من عند النجاشي فرافقهما
وهاجر معهما فلما راهم النبي صلى الله عليه وسلم قال رمتكم مكة بافلاذ كبدها يعني انهم وجوه اهل مكة فاسلموا
وسلم عثمان بن طلحة المفتاح الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فرده النبي صلى الله عليه وسلم اليه وقال
خذوها يا بني طلحة خالدة مخلدة لا ينزعها منكم الا ظالم ولم يذكروا سوال العباس السدانة والله اعلم وثبت
في الصحيحين من حديث ابن عمر قال اقبل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو مردف اسامة على القصواء
ومعه بلال وعثمان حتى اناخ عند البيت ثم قال لعثمان ايتنا بالمفتاح فجاءه بالمفتاح ففتح الباب وذكر الحديث
وذكر ابن الجوزي في تفسير هذه من رواية ابي صالح عن ابن عباس قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة
طلب مفتاح البيت من عثمان بن طلحة فذهب ليعطيه اياه فقال له العباس بابي انت وامي اجمعه لي مع
السقاية فكف عثمان يده مخافة ان يعطيه العباس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح ان
كنت تومن بالله واليوم الاخر فقال هاكه يا رسول الله بامانة الله فاخذ المفتاح ففتح البيت ونزل
جبريل بهذه الاية فدعى عثمان ودفعه اليه ففي هذه الرواية ايضا ما يدل على تقدم اسلام عثمان
ابن طلحة على فتح مكة لان قوله صلى الله عليه وسلم لعثمان ان كنت تومن بالله واليوم الاخر ما يدل على
ذلك فعلى هذا القول يكون الخطاب في قوله ان الله يامركم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ان الله عز وجل
امره ان يرد مفتاح البيت الى عثمان بن طلحة وقيل الخطاب في قوله ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى
اهلها لولاة امور المسلمين من الامراء والحكام وغيرهم ويدل عليه سياق الاية وهو قوله واذا حكمتم بين
الناس ان تحكموا بالعدل ومعنى الاية ان الله يامركم يا ولاة الامور ان تودوا ما ايتمنتم عليه من امور رعيتكم
وان توفوهم حقوقهم وان تعدلوا بينهم وقيل ان الاية عامة في جميع الامانات ولا يمتنع من خصوص السبب
عموم الحكم فيدخل في ذلك جميع الامانات التي تحملها الانسان وينقسم ذلك الى ثلاثة اقسام القسم الاول
رعاية الامانة في عبادة الله عز وجل وهو فعل المامورات وترك المنهيات قال ابن مسعود الامانة لازمة
في كل شي حتى في الوضوء والغسل من الجنابة والصلاة والزكاة والصوم وساير انواع العبادات القسم
الثاني وهو رعاية الامانة مع نفسه وهو ما انعم الله به عليه من ساير اعضايه فامانة اللسان حفظه
من الكذب والغيبة والنميمة ونحو ذلك وامانة العين غضها عن المحارم وامانة السمع ان لا يشغله
بسماع شي من اللهو والفحش والاكاذيب ونحوه ثم ساير الاعضاء على نحو ذلك القسم الثالث هو رعاية امانة
العبد مع ساير عباد الله تعالى فيجب عليه رد الودايع والعواري الى اربابها الذين ايتمنوه عليها ولا يخونهم
فيها عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ايتمنك ولا تخن من خانك
اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب ويدخل في ذلك وفاء الكيل والميزان فلا يطفف
فيهما ويدخل في ذلك ايضا عدل الامراء والملوك في الرعية ونصح العلماء للعامة فكل هذه الاشياء
الامانات التي امر الله عز وجل باداها الى اهلها وروى البغوي بسنده عن انس قال قل ما خطبنا رسول

الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له وقوله تعالى **واذا حكمتم بين الناس**
ان تحكموا بالعدل يعنى وان الله يامركم ان تحكموا بين الناس بالعدل فيجب على الحاكم ان ياخذ الحق ممن وجب
عليه لمن وجب له واصل العدل هو المساواة فى الاشيا فكل ما خرج عن الظلم والاعتدا سمى عدلا قال بعض
العلما ينبغى للقاضى ان يسوى بين الخصمين فى خمسة اشيا فى الدخول عليه والجلوس بين يديه والاقبال
عليهما والاستماع منهما والحكم بالحق فيما لهما وعليهما وحاصل الامر فيه ان يكون مقصود الحاكم بحكمه
ايصال الحق الى مستحقه وان لا يمتزج ذلك بغرض اخر م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين
يعدلون فى حكمهم واهليهم وما ولوا عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب
الناس الى الله يوم القيمة وادناهم عنده مجلسا امام عادل وابغض الناس الى الله وابعدهم منه مجلسا
امام جاير اخرجه الترمذى وقوله تعالى **ان الله نعما يعظكم به** اى نعم الشى الذى يعظكم به وهو ادا الامانات
والحكم بالعدل **ان الله كان سميعا بصيرا** يعنى انه تعالى سميع لما تقولون وبصير لما تفعلون فاذا حكمتم
فهو يسمع حكمكم واذا اديتم الامانة فهو بصير فعلكم قوله تعالى **يايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولى الامر منكم** ق عن ابن عباس قال نزلت اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم الاية فى
عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى السهمى اذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية وقال السدى
نزلت فى خالد بن الوليد وذلك انه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية وفيها عمار بن ياسر فلما قربوا
من القوم هربوا منهم وجا رجل الى عمار قد اسلم فامنه عمار فرجع الرجل فى اخا لد فاخذ ما ل الرجل فقال عمار
انى قد امنته وقد اسلم فقال خالد اتجير على وانا الامير فتنازعا وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاجاز امان عمار ونهاه ان يجير الثانية على امير فانزل الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى
الامر منكم واصل الطاعة الانقياد وهو امتثال الامر فطاعة الله عز وجل امتثال امره فيما امر والانقياد
لذلك الامر وطاعة الله واجبة على كافة الخلق وكذا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واجبة ايضا لقوله
تعالى واطيعوا الرسول فاوجب طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على الخلق واختلف العلما فى اولى الامر
الذين اوجب الله طاعتهم بقوله واولى الامر منكم واطيعوا اولى الامر منكم قال ابن عباس وجابر هم الفقها
والعلما الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد وقال ابو هريرة هم الامرا
والولاة وهو رواية عن ابن عباس ايضا قال على بن ابى طالب حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ويودى
الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا ق عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اطاعنى فقد اطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعنى ومن
يعص الامير فقد عصانى ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم السمع والطاعة
فيما احب وكره الا ان يومر بمعصية فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة خ عن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كان راسه زبيبة ما اقام فيكم كتاب الله
وقال ميمون بن مهران هم امرا السرايا والبعوث وهى رواية عن ابن عباس ايضا ووجه هذا القول ان
الاية نازلة فيهم وقال عكرمة اراد باولى الامر ابا بكر وعمر لما روى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انى لا ادرى ما بقائى فيكم فاقتدوا باللذين من بعدى ابى بكر وعمر اخرجه الترمذى وقيل هم جميع
الصحابة لما روى عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم

اخرجه

اخرجه رزين فى كتابه وروى البغوى بسنده عن الحسن عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصحابى فى امتى كالملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح قال الحسن فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح
قال الطبرى واولى الاقوال بالصواب قول من قال هم الامرا والولاة لصحة الاخبار عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالامر بطاعة الايمة والولاة فيما كان لله عز وجل طاعة وللمسلمين مصلحة
وقال الزجاج وجملة اولى الامر من يقوم بشان المسلمين فى امر دينهم وجميع ما ادى الى صلاحهم قال
العلما طاعة الامام واجبة على الرعية ما دام على الطاعة فاذا زال عن الكتاب والسنة فلا
فلا طاعة له وانما تجب طاعته فيما وافق الحق وقوله تعالى **فان تنازعتم فى شى** يعنى اختلفتم فى شى
من امر دينكم والتنازع اختلاف الراى واصله من انتزاع الحجة وهو ان كل واحد من المتنازعين ينزع الحجة
لنفسه **فردوه الى الله والرسول** اى ردوا ذلك الامر الذى تنازعتم فيه الى كتاب الله عز وجل والى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دام حيا وبعد وفاته ردوه الى سنته والرد الى كتاب الله وسنة
رسول الله واجب فان وجد ذلك الحكم فى كتاب الله اخذ به فان لم يوجد فى كتاب الله ففى سنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فان لم يوجد فى السنة فسبيله الاجتهاد وقيل الرد الى الله ورسوله ان يقول
لما لا يعلم الله ورسوله اعلم **ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر** يعنى افعلوا ذلك الذى امرتكم به ان كنتم
تومنون بالله وان طاعته واجبة عليكم وتومنون بالمعاد الذى فيه جزا الاعمال قال العلما فى الاية
دليل على ان من لا يعتقد وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالاحاديث
الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يكون مومنا بالله واليوم الاخر **ذلك خير** يعنى رد الحكم الى
الله ورسوله **واحسن تاويلا** يعنى واحمد عاقبة وقيل معناه ذلك ان ردكم ما اختلفتم فيه الى الله ورسوله
احسن تاويلا منكم له واعظم اجرا قوله تعالى **الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل
من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به** قال ابن عباس نزلت فى رجل من
المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودى خصومة فقال اليهودى ننطلق الى محمد وقال المنافق
بل ننطلق الى كعب بن الاشرف وهو الذى سماه الله الطاغوت فابى اليهودى ان يخاصمه الا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما راى المنافق ذلك اتى معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لليهودى فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا الى عمر فاتيا عمر فقال اليهودى
اختصمت انا وهذا الى محمد فقضى لى عليه فلم يرض بقضايه وزعم انه مخاصمى اليك فقال عمر للمنافق اكذلك
قال نعم فقال لهما عمر رويدا حتى اخرج اليكما فدخل عمر البيت واخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به
المنافق حتى برد وقال هكذا اقضى بين من لم يرض بقضا الله وقضا رسوله فنزلت هذه الاية وقال
جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق وقال السدى كان ناس من اليهود قد اسلموا ونافق
بعضهم وكانت قريظة والنضير فى الجاهلية فكانت قريظة حلفا الخزرج والنضير حلفا الاوس
وكان اذا قتل رجل من بنى قريظة رجلا من بنى النضير قتل به واخذ ديته مائة وسق من تمر واذا قتل
رجل من بنى النضير رجلا من بنى قريظة لم يقتل به واعطى ديته ستين وسقا فلما جا الله بالاسلام
وهاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فاختصموا فى ذلك
فقال بنو النضير كنا وانتم قد اصطلحنا على ان نقتل منكم ولا تقتلون منا وديتنا مائة وسق وديتكم
ستون وسقا فنحن نعطيكم ذلك فقالت الخزرج هذا شى كنتم فعلتموه فى الجاهلية لكثرتكم وقلتنا

فتهم تمونا على ذلك فاليوم نحن اخوة في الدين فلا فضل لكم علينا فقال المنافقون منهم ننطلق الى ابي
بردة الكاهن الاسلمي وقال المسلمون من الفريقين بل ننطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى المنافقون
وانطلقوا الى ابي بردة الكاهن ليحكم بينهم فقال اطعموا اللقمة يعني للخطر فقالوا لك عشرة اوسق قال
لا بل مائة وسق ديتي فابوا ان يعطوه الا عشرة اوسق وابى ان يحكم بينهم وانزل الله عز وجل اية القصاص
وانزل هذه الاية الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك الزعم والزعم بضم الزاي
وفتحها لغتان واكثر ما يستعمل الزعم بمعنى القول الذي لا يتحقق وقيل هو حكاية قول يكون مظنة للكذب
ولهذا قيل زعم مظنة الكذب والمراد به في هذه الاية الكذب لان الاية نازلة في المنافقين وظاهر
الاية يدل انها نازلة في الذين نافقوا من اهل الكتاب ويدل عليه قوله امنوا بما انزل اليك وما
انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت يعني كعب بن الاشرف في قول ابن عباس سماه الله
طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو ابو بردة الكاهن في
قول السدي وقد امروا ان يكفروا به يعني بالطاغوت لان الكفر ايمان بالله عز وجل ويريد الشيطان ان يضلهم
يعني عن طريق الهدى والحق ضلالا بعيدا واذا قيل لهم يعني للمنافقين تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول
يعني هلموا الى حكم الله الذي انزل في كتابه والى الرسول ليحكم بينهم به رايت المنافقين يصدون عنك صدودا
يعني يعرضون عنك وعن حكمك اعراضا اي اعراض فانما اعرض المنافقون عن حكم رسول الله صلى الله عليه
وسلم لانهم علموا انه صلى الله عليه وسلم يحكم بينهم بالحق الصريح ولا يقبل الرشى قوله عز وجل فكيف اذا
اصابتهم مصيبة يعني فكيف حال هؤلاء المنافقين وكيف يصنعون اذا اصابتهم مصيبة يعجزون عنها
بما قدمت ايديهم يعني تصيبهم عقوبة بسبب ما قدمت ايديهم وهو التحاكم الى غير رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهذا وعيد لهم على سوء صنيعهم ورضاهم بحكم الطاغوت دون حكم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل المصيبة هي قتل عمر لذلك المنافق وقيل هي كل مصيبة تصيب المنافقين في الدنيا والاخرة ثم جاؤك
يعني المنافقين حين تصيبهم المصائب يعتذرون اليك يحلفون بالله ان اردنا اي ما اردنا بتحاكمنا الى
غيرك الا احسانا يعني في التحاكم الى غيرك لا اساءة وتوفيقا يعني بين الخصمين لا مخالفة لك في حكمك وقيل
جاء اولياء المنافق الذي قتله عمر يطلبون ديته وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا في حكم
ويوفق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم بما حكم به من قتل صاحبنا فاهدر الله دم ذلك المنافق اولئك
الذين يعلم الله ما في قلوبهم يعني من النفاق فاعرض عنهم يعني عن عقوبتهم وقيل عن قبول اعذارهم وعظهم يعني
باللسان والمراد بهم زجرهم بالوعظ عن النفاق والكفر والكذب وتخويفهم بعذاب الاخرة وقل لهم في انفسهم
قولا بليغا يعني بليغا يؤثر في قلوبهم موقعه وهو التخويف بالله عز وجل وقيل هو ان يوعدهم بالقتل ان لم
يتوبوا من النفاق وقيل هو ان يقول لهم ان اظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم لان هذا القول يبلغ في نفوسهم
كل مبلغ وقيل معناه فاعرض عنهم في الملا وقل لهم في انفسهم اذا خلوت بهم قولا بليغا اي اغلظ لهم في القول
حال اتيهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها في السر انجع وقيل هذا الاعراض منسوخ باية القتال
وقد تكلم العلماء في حد البلاغة فقال بعضهم البلاغة ايصال المعنى الى الفهم في احسن صورة من اللفظ
وقيل البلاغة حسن العبارة مع صحة المعنى وقيل البلاغة سرعة الايجاز مع الافهام وحسن التصرف من
غير اضجار وقيل احسن الكلام ما قلت الفاظه وكثرت معانيه وقيل خير الكلام ما شوق اوله الى سماع
اخره وقيل لا يستحق الكلام اسم البلاغة الا اذا سابق لفظه معناه ومعناه لفظه ولم يكن لفظه الى السمع

اسبق من معناه الى القلب وقيل المراد بالقول البليغ في الاية ان يكون حسن الالفاظ وحسن المعاني مشتملا
على الترغيب والترهيب والاعذار والانذار والوعد والوعيد بالثواب والعقاب فان الكلام اذا كان
كذلك عظم وقعه في القلوب واثر في النفوس قوله تعالى وما ارسلنا من رسول قال الزجاج لفظة من هنا
صلة مؤكدة والمعنى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله يعني بامر الله والمعنى انما وجبت طاعة
الرسول بامر الله لان الله اذن في ذلك وامر به وقيل معناه بعلم الله وقضائه اي طاعته تكون باذن
الله لانه اذن فيه فتكون طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعصيته معصية الله والمعنى وما ارسلنا
من رسول الا فرضت طاعته على من ارسلته اليهم وانت يا محمد من الرسل الذين فرضت طاعتهم على من ارسلتهم
اليهم ففيه توبيخ وتقريع للمنافقين الذين تركوا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضوا بحكم الطاغوت
ولو انهم اذ ظلموا انفسهم يعني الذين تحاكموا الى الطاغوت ظلموا انفسهم بالتحاكم الا انهم جاؤك يعني
جاؤك تائبين من النفاق والتحاكم الى الطاغوت متنصلين فيما ارتكبوا من المخالفة فاستغفروا الله
يعني من ذلك الذنب بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد حكمك والتحاكم الى غيرك
واستغفر لهم الرسول يعني من مخالفته والتحاكم الى غيره وانما قال واستغفر لهم الرسول ولم يقل واستغفرت
لهم اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتفخيما له وتعظيما لاستغفاره وانهم اذا جاؤه فقد جاؤوا
من خصه الله برسالته وجعله شفيعا بينه وبين خلقه ومن كان كذلك فان الله تعالى لم يرد شفاعته
فلهذا السبب عدل الى طريقة الالتفات من لفظ الخطاب الى لفظ الغيبة لوجدوا الله توابا رحيما
يعني لو انهم تابوا من ذنوبهم ونفاقهم واستغفرت لهم لعلموا ان الله يتوب عليهم ويتجاوز عنهم ويرحمهم
قوله عز وجل فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم نزلت هذه الاية في الزبير بن العوام
ورجل من الانصار (ق) عن عروة بن الزبير عن ابيه ان رجلا من الانصار خاصم الزبير عند النبي صلى الله
عليه وسلم في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال الانصاري سرح الماء يمر فابى عليه فاختصما عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يا زبير ثم ارسل الى
جارك فغضب الانصاري ثم قال يا رسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال للزبير اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر فقال الزبير والله اني لاحسب ان
هذه الاية نزلت في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم زاد البخاري فاستوعى
رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل
ذلك قد اشار على الزبير براي اراد فيه سعة له وللانصاري فلما احفظ الانصاري رسول
الله صلى الله عليه وسلم استوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم قال
الزبير والله ما احسب هذه الاية نزلت الا في ذلك فلا وربك الاية وقوله اختصما في شراج الحرة
الشراج مسايل الماء التي تكون من الجبل وتنزل الى السهل الواحدة شرجة بسكون الراء والحرة الارض
الحمراء الملبسة بالحجارة السود وقوله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني تغير وهو قوله
حتى يرجع الى الجدر هو بفتح الجيم يعني اصل الجدار فاستوعى له اي استوفى له حقه في صريح الحكم وهو ان من
كان ارضه اقرب الى فم الوادي فهو اولى باول الوادي وحقه تمام السقي فرسول الله صلى الله عليه
وسلم اذن للزبير في السقي على وجه المسامحة فلما ابى خصمه ذلك ولم يعترف بما اشار به رسول الله صلى الله
عليه وسلم من المسامحة لاجله امر الزبير باستيفاء حقه على التمام وحمل خصمه على مر الحق فعلى هذا القول

تكون الآية مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها قال البغوي وروي أنهما لما خرجا مرّا على المقداد فقال لمن كان
القضاء قال الأنصاري لابن عمته ولوى شدقه ففطن له يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون
أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد أذنبنا ذنبا مرة في حياة
موسى فدعانا موسى إلى التوبة منه فقال اقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفا في طاعة ربنا
فقال ثابت بن قيس بن شماس أما والله إن الله ليعلم مني الصدق لو أمرني محمد أن أقتل نفسي لفعلت وقال
مجاهد والشعبي نزلت هذه الآية في بشر المنافق واليهودي اللذين اختصما إلى الطاغوت وعلى هذا
القول تكون الآية متصلة بما قبلها فقوله فلا وربك معناه فوربك فعلى هذا تكون لا مزيدة لتأكيد
معنى القسم وقيل إن لا رد لكلام سبق كأنه قال ليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنف
القسم فقال تعالى وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم يعني فيما اختلفوا فيه من الأمور وأشكل
عليهم حكمه وقيل فيما التبس عليهم يقال شاجره في الأمر إذا نازعه فيه وأصله التداخل والاختلاط
وشجر الكلام إذا دخل بعضه في بعض واختلط **ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت** يعني ضيقا
مما قضيت وقيل شكا مما قضيت بل يرضوا بقضائك **ويسلموا تسليما** يعني وينقادوا لأمرك انقيادا
ولا يعارضونك في شيء من أمرك وقيل معناه ويسلموا لما تنازعوا فيه لحكمك قوله تعالى **ولو أنا كتبنا عليهم**
يعني فرضنا وأوجبنا عليهم والضمير في عليهم يعود إلى المنافقين وقيل يعود الضمير على الكافة فيدخل
فيه المنافق وغيره **أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم** يعني كما كتبنا على بني إسرائيل القتل والخروج من
مصر **ما فعلوه إلا قليل منهم** معناه لم يفعله إلا القليل منهم نزلت في ثابت بن قيس بن شماس أن رجلا من اليهود
قال والله لقد كتب الله علينا القتل والخروج ففعلنا فقال ثابت والله لو كتب الله علينا ذلك لفعلنا
ونحن من القليل الذي استثنى الله وقيل لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر وابن مسعود وناس من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل الذين ذكرهم الله والله لو أمرنا لفعلنا والحمد لله
الذي عافانا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن من أمتي لرجالا الإيمان أثبت في قلوبهم من
الجبال الرواسي ومن قال إن الضمير في عليهم يعود إلى المنافقين قال معنى ما فعلوه إلا قليل منهم يعني
رياء وسمعة والمعنى أنا ما كتبنا عليهم إلا طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضى بحكمه ولو أنا كتبنا
عليهم القتل والخروج عن الدور والوطن ما كان فعله إلا نفر يسير منهم وقرئ إلا قليلا منهم بالنصب تقديره
إلا أن يكون قليلا منهم **ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به** يعني ولو أنهم فعلوا ما كلفوا به من طاعة الرسول صلى
الله عليه وسلم والرضا بحكمه **لكان خيرا لهم** يعني في الدنيا والآخرة وإنما سمى ذلك التكليف لأن أوامر
الله تعالى وتكاليفه مقرونة بالوعد والوعيد والثواب والعقاب فما كان كذلك يسمى وعظا **وأشد
تثبيتا** يعني تحقيقا وتصديقا لإيمانهم والمعنى أن ذلك أقرب إلى ثبات إيمانهم وتصديقهم **وإذا لآتيناهم
من لدنا أجرا عظيما** يعني ثوابا وافرا جزيلا وإذا جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ماذا يكون من هذا الخير
والتثبيت قال سؤال يؤتيهم من لدنا أجرا عظيما **ولهديناهم صراطا مستقيما** قال ابن عباس وأرشدناهم
إلى دين مستقيم يعني دين الإسلام وقيل معناه ولهديناهم إلى الأعمال الصالحة التي تؤدي إلى الصراط
المستقيم وهو الذي يمر عليه المؤمنون إلى الجنة لأن الله تعالى ذكر الأجر العظيم أولا ثم ذكر الصراط المستقيم
بعده لأنه هو المؤدي إلى الجنة قوله عز وجل **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم**
الآية نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما غير لونك يا ثوبان قال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة
حتى ألقاك ثم إني إذا ذكرت الآخرة أخاف لا أراك لأنك ترفع إلى عليين مع النبيين وإني وإن دخلت الجنة
كنت في منزلة هي أدنى من منزلتك وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبدا فنزلت هذه الآية وقيل إن بعض أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف يكون الحال وأنت يا رسول الله في الدرجات العلى ونحن أسفل منك فكيف
نراك فأنزل الله هذه الآية ومن يطع الله يعني في أداء الفرائض واجتناب النواهي والرسول أي ويطع
الرسول في السنن التي سنها فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم يعني بالهداية والتوفيق في الدنيا
ويدخلون الجنة في الآخرة **من النبيين** يعني أن المطيعين مع النبيين في الجنة لا تفوتهم رؤية الأنبياء
في الجنة ومجالستهم لا أنهم يكونون في درجتهم في الجنة لأن ذلك يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل
والمفضول **والصديقين** الصديق المكثر الصدق فعيل من الصدق والصديقون هم أتباع الرسل
الذين اتبعوهم على مناهجهم بعدهم حتى لحقوا بهم وقيل الصديق هو الذي صدق بكل الدين حتى لا يخالجه
فيه شك والمراد بالصديقين في هذه الآية أفاضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كأبي بكر
فإنه هو الذي سمي بالصديق من هذه الأمة وهو أفضل أتباع الرسل **والشهداء** هم الذين استشهدوا في
سبيل الله وقيل هم الذين استشهدوا يوم أحد **والصالحين** جمع صالح وهو الذي استوت سريرته وعلانيته
في الخير وقيل الصالح من اعتقاده صواب وعمله في سنة وطاعة وقيل المراد بالنبيين هنا محمد صلى
الله عليه وسلم وبالصديقين أبو بكر وبالشهداء عمر وعثمان وعلي وبالصالحين سائر الصحابة **وحسن
أولئك رفيقا** يعني المشار إليهم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وفيه معنى التعجب
كأنه قال وما أحسن أولئك رفيقا يعني في الجنة والرفيق الصاحب سمي رفيقا لارتفاقك به وبصحبته
وإنما وحد الرفيق وهو صفة الجمع لأن العرب تعبر به عن الواحد والجمع وقيل معناه وحسن كل واحد
من أولئك رفيقا (ق) عن أنس أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال متى الساعة قال
وما أعددت لها قال لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله فقال أنت مع من أحببت قال أنس فما فرحنا بشيء
فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت قال أنس فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم
وأبا بكر وعمر وعثمان وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بأعمالهم وقوله تعالى **ذلك** إشارة إلى
ما تقدم ذكره من وصف الثواب **الفضل من الله** يعني الذي أعطى الله المطيعين من الأجر العظيم **وكفى بالله
عليما** يعني بجزاء من أطاعه وقيل معناه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم لطاعته وفيه دليل على
أنهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم بل إنما نالوها بفضل الله تعالى ورحمته ويدل عليه ما روي عن
أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدا منكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول
الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة لفظ البخاري ولمسلم نحوه قوله تعالى **يا أيها الذين
آمنوا خذوا حذركم** الحذر احتراز عن مخوف والمعنى خذوا واحترزوا من عدوكم ولا تمكنوه من أنفسكم
وقيل المراد بالحذر هاهنا السلاح يعني خذوا سلاحكم وعدتكم لقتال عدوكم وإنما سمي السلاح حذرا
لأنه يتقى ويحذر وقيل معناه احذروا عدوكم ولقائل أن يقول إذا كان المقدور كائنا فما ينفع الحذر
فالجواب عنه بأنه لما كان الكل بقضاء الله وقدره كان الأمر بالحذر من قضاء الله وقدره **فانفروا ثبات**
أي اخرجوا سرايا متفرقين سرية بعد سرية **أو انفروا جميعا** يعني أو اخرجوا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم

الي جهاد عدوكم وان منكم لمن ليبطئن نزلت في المنافقين وانما قال منكم لاجتماعهم مع اهل الايمان في الجنسية
والنسب واظهار كلمة الاسلام لا في حقيقة الايمان والمعنى وان منكم لمن ليتاخرن وليتثاقلن عن الجهاد وهو
عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وكان راس المنافقين فان اصابتكم مصيبة اي قتل وهزيمة قال يعني هذا
المنافق قد انعم الله علي يعني بالقعود اذ لم اكن معهم يعني مع المومنين شهيدا يعني حاضر الوقعة فيصيبني
ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله اي فتح وغنيمة ليقولن يعني هذا المنافق كان لم يكن بينكم وبينه مودة
اي معرفة ومودة في الدين والمعنى كانه ليس من اهل دينكم وذلك ان المنافقين كانوا يوادون المومنين في
الظاهر يا ليتني كنت معهم في تلك الغزوة التي غنم فيها المومنون فافوز فوزا عظيما اي فاخذ نصيبا
وافرا من الغنيمة قوله عز وجل فليقاتل في سبيل الله هذا خطاب للمنافق اي فليخلص الايمان وليقاتل في
سبيل الله وقيل هو خطاب للمومنين المخلصين اي فليقاتل المومنون في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا
بالاخرة اي يبيعون يقال شريت بمعنى بعت لانه استبدال عوض بعوض والمعنى فليقاتل المومنون الكافرين
الذين يبيعون حياتهم في الدنيا بثواب الاخرة وما وعد الله فيها لاهل الايمان والطاعة وقيل معناه فليقاتل
في سبيل الله المومنون الذين يبيعون الحياة الدنيا ويختارون الاخرة وثوابها على الدنيا الفانية ومن يقاتل
في سبيل الله فيقتل اي فيستشهد او يغلب يعني يظفر بعدوه من الكفار فسوف نوتيه يعني في الحالتين الشهادة
او الظفر نوتيه فيهما اجرا عظيما يعني ثوابا وافرا ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن
الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن ان ادخله الجنة او
ارجعه الي مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة لفظ مسلم قوله تعالى وما لكم لا تقاتلون في سبيل
الله قال المفسرون هذا حض من الله على الجهاد في سبيله لاستنقاذ المومنين المستضعفين من ايدي الكفار وفيه
دليل على ان الجهاد واجب والمعنى لا عذر لكم في ترك الجهاد وقد بلغ حال المستضعفين ما بلغ من الضعف
والاذى والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال ابن عباس يريد ان قوما من المسلمين استضعفوا
فحبسوا وعذبوا وقيل كانوا بمكة يلقون من المشركين اذى شديدا وكان اهل مكة قد اجتهدوا ان يفتنوا
قوما من المومنين عن دينهم بالاذى لهم وكانوا مستضعفين في ايديهم ولم يكن لهم بمكة قوة يمتنعون بها من المشركين
فعلى هذا يكون معنى الاية وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين وقال ابن عباس معناه وعن
المستضعفين لان المراد صرف الاذى عنهم خ عن ابن عباس في قوله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين
الاية قال كنت انا وامي من المستضعفين وفي رواية ابن ابي مليكة قال تلا ابن عباس الا المستضعفين من الرجال
والنساء والولدان قال كنت انا وامي ممن عذر الله انا من الولدان وامي من النساء فعلى هذه الرواية الثانية
من حديث ابن عباس يكون معنى والمستضعفين الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فانهم ممن عذر
الله في ترك القتال والولدان جمع وليد وهو الصبي الصغير الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية
يعني مكة الظالم اهلها يعني الظالم اهلها انفسهم بالشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وذلك ان
المستضعفين لما منعهم المشركون من الهجرة من مكة الي المدينة دعوا الله عز وجل فقالوا ربنا اخرجنا من هذه
القرية يعني مكة الظالم اهلها بالشرك واجعل لنا من لدنك وليا يعني وليا يلي امرنا واجعل لنا من لدنك
نصيرا يعني ينصرنا ويمنعنا من العدو فاستجاب الله دعاءهم وجعل لهم من لدنه خير ولي وخير ناصر وهو
محمد صلى الله عليه وسلم فتولى امرهم ونصرهم واستنقذهم من ايدي المشركين يوم فتح مكة واستعمل عليهم عتاب
ابن اسيد وكان ابن ثمانية عشر سنة فكان ينصر المظلومين عن الظالمين وياخذ للضعيف من القوي قوله

عز وجل الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله يعني في طاعة الله واعلاء كلمته وابتغاء رضوانه والذين كفروا يقاتلون
في سبيل الطاغوت يعني في طاعة الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان اي فقاتلوا ايها المومنون حزب
الشيطان وجنوده وهم الكفار ان كيد الشيطان كان ضعيفا الكيد السعي في الفساد على جهة الاحتيال
والمعنى بكيده ما كاد المومنين به من تحزيبه اولياءه الكفار يوم بدر وكونه ضعيفا لانه خذل اولياءه لما الملائكة
قد نزلت يوم بدر وكان النصر لاولياء الله وحزبه على اولياء الشيطان وحزبه وادخال كان في قوله كان
ضعيفا لتاكيد ضعف كيد الشيطان قوله تعالى الم تر الي الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة واتوا
الزكاة قال الكلبي نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون
الجمحي وسعد بن ابي وقاص وجماعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا
بمكة قبل ان يهاجروا فكانوا يقولون يا رسول الله ائذن لنا في قتالهم فانهم قد اذونا فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم كفوا ايديكم فاني لم اومر بقتالهم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة يعني قيل لهم كفوا ايديكم عن قتالهم
وادوا ما افترض من الصلاة والزكاة وفيه دليل على ان فرض الصلاة والزكاة كان قبل فرض الجهاد فلما
كتب عليهم القتال اي فرض عليهم جهاد المشركين وامروا بالخروج الي بدر اذا فريق منهم يعني جماعة من الذين
سالوا ان يفرض عليهم الجهاد يخشون الناس يعني يخافون مشركي مكة كخشية الله او اشد خشية او بمعنى
الواو يعني واشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال يعني لم فرضت علينا الجهاد لولا اخرتنا
الي اجل قريب يعني هلا تركتنا فلم تفرض علينا القتال حتى نموت باجالنا والقائلون لهذا القول هم المنافقون
لان هذا القول لا يليق بالمومنين وقيل قاله بعض المومنين وانما قالوا ذلك خوفا وجبنا لا اعتقادا ثم تابوا
من هذا القول قل اي قل لهم يا محمد متاع الدنيا قليل يعني ان منفعتها والاستمتاع بالدنيا قليل لانه فان
زائل والاخرة يعني وثواب الاخرة خير لمن اتقى يعني اتقى الشرك ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم ولا
تظلمون فتيلا اي ولا تنقصون في اجوركم قدر فتيل عن المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه هذه واشار يحيى بالسبابة في اليم فلينظر بم يرجع
قوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم الموت نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى احد لو كانوا عندنا ما ماتوا
وما قتلوا فرد الله عليهم بهذه الاية وقيل نزلت في الذين قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال فرد الله عليهم بقوله
تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت يعني ينزل بكم الموت فبين تعالى انه لا خلاص لهم من الموت واذا كان لا بد لهم من
الموت كان القتل في سبيل الله وجهاد اعدائه افضل من الموت على الفراش لان الجهاد موت تحصل به سعادة الاخرة
ثم بين تعالى انه لا بد لهم من الموت وانه لا ينجي منه شيء بقوله ولو كنتم في بروج مشيدة والبروج في كلام العرب الحصون
والقلاع المشيدة المرفوعة المطولة وقيل هي المطلية بالشيد وهو الجص وان تصبهم حسنة يقولوا هذه
من عند الله نزلت في المنافقين واليهود وذلك ان المدينة كانت ذات خير وارزاق ونعم عند مقدم النبي
صلى الله عليه وسلم فلما ظهر نفاق المنافقين وعناد اليهود امسك الله عنهم بعض الامساك فقال المنافقون
واليهود ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل واصحابه فقال الله تعالى
وان تصبهم يعني المنافقين واليهود حسنة اي خصب لثمار ورخص في السعر يقولوا هذه من عند الله يعني
من قبل الله وان تصبهم سيئة اي جدب في الثمار وغلاء في السعر يقولوا هذه من عندك يعني من شوم محمد
واصحابه وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر وبالسيئة القتل والهزيمة يوم احد ومعنى من
عندك انت الذي حملتنا عليه يا محمد فعلى هذا القول يكون هذا اخبارا عن المنافقين خاصة قل اي قل لهم

يا محمد **كل من عند الله** يعني الحسنة والسيئة والخصب والجدب والغنيمة والهزيمة والظفر والقتل فاما الحسنة
فانعام من الله واما السيئة فابتلاء **فما لهؤلاء القوم** فما شان هؤلاء المنافقين واليهود الذين قالوا ما
قالوا **لا يكادون يفقهون حديثا** يعني لا يفهمون معاني القران وان الاشيا كلها من الله عز وجل خيرها
وشرها قوله تعالى **ما اصابك من حسنة** يعني من خير ونعمة **فمن الله** يعني من فضل الله عليك يتفضل به احسانا
منه اليك **وما اصابك من سيئة** يعني من شدة ومكروه ومشقة واذى **فمن نفسك** يعني فمن قبل نفسك
وبذنبك التبسته نفسك استوجبت ذلك به وفي المخاطب بهذا الكلام قولان احدهما انه عام وتقديره
ما اصابك ايها الانسان والثاني انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة والنبي
صلى الله عليه وسلم بري لان الله عز وجل قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقد عصمه من حين ابتعثه
فهو معصوم فيما يستقبل حتى يموت ويدل على ان المراد بهذا الخطاب غيره قوله عز وجل يا ايها النبي اذا
طلقتم النسا خاطبه وحده ثم جمع الكل بقوله اذا طلقتم النسا فمعنى قوله فمن نفسك اي عقوبة بذنبك
يا ابن ادم كذا قاله قتادة وقال الكلبي ما اصابك من خير فالله هداك له واعانك عليه وما اصابك
من امر تكرهه فبذنبك عقوبة لذلك الذنب وقد تعلق بظاهر هذه الاية القدرية وقالوا نفى الله
السيئة عن نفسه ونسبها الى الانسان بقوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك ولا متعلق لهم بها لانه
ليس المراد من الاية حسنة الكسب من الطاعات ولا السيئة المكتسبة من فعل المعاصي بل المراد من
الحسنة والسيئة في هذه الاية ما يصيب الانسان من النعم والمحن وذلك ليس من فعل العبد لانه لا يقال
في الطاعة والمعصية اصابني انما يقال اصبتها ويقال في النعم والمحن اصابني بدليل انه لم يذكر عليه ثوابا ولا
عقابا فهو كقوله تعالى واذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ولما
ذكر الله حسنات الكسب وسيئاته وعد عليها بالثواب والعقاب فقال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر
امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فبطل بهذا قول القدرية وقال بعضهم لو كانت الاية على معنى ما
يقول اهل القدر لقال ما اصبت من حسنة وما اصبت من سيئة ولم يقل ما اصابك لان العادة جرت بقول
الانسان اصابني خير او مكروه واصبت حسنة او سيئة وقيل في معنى الاية ما اصابك من حسنة اي النصر
والظفر يوم بدر فمن الله اي من فضل الله وما اصابك من سيئة اي قتل او هزيمة يوم احد فمن نفسك يعني
فبذنوب اصحابك ومخالفتهم اياك فان قلت كيف وجه الجمع بين قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله وما
اصابك من سيئة فمن نفسك فاضاف السيئة الى فعل العبد في هذه الاية قلت اما اضافة الاشيا كلها
الى الله تعالى في قوله قل كل من عند الله فعلى الحقيقة لان الله تعالى خالقها وموجدها واما اضافة
السيئة الى فعل العبد فعلى المجاز تقديره وما اصابك من سيئة فمن الله بذنب نفسك عقوبة لك وقيل
اضافة السيئة الى فعل العبد على سبيل الادب فهو كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فاضاف المرض الى نفسه
على طريق الادب ولا يشك عاقل ان المرض من الله تعالى وقيل هذه متصلة بما قبلها وفيه اضمار وتقديم وتاخير
تقديره فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون وما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك
من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله وقال ابن الانباري في معنى الاية ما اصابك الله به من حسنة وما
اصابك به من سيئة فالفعلان راجعان الى الله تعالى قوله تعالى **وارسلناك للناس رسولا** يعني وارسلناك
يا محمد الى كافة الناس رسولا لتبلغهم رسالاتي وما ارسلتك به ولست رسولا الى العرب خاصة كما قاله بعض اليهود
بل انت رسول الى الخلق كافة العرب وغيرهم **وكفى بالله شهيدا** يعني على ارسالك للناس كافة فما ينبغي لاحد ان

يخرج

يخرج عن طاعتك واتباعك وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على تبليغك ما ارسلت به الى الناس وقيل معناه
وكفى بالله شهيدا على ان الحسنة والسيئة من الله قوله عز وجل **من يطع الرسول فقد اطاع الله** سبب
نزول هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن احبني فقد احب
الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم ربا
فانزل الله هذه الاية من يطع الرسول يعني فيما امر به ونهى عنه فقد اطاع الله يعني ان طاعة الرسول
صلى الله عليه وسلم طاعة الله تعالى لانه هو امر بها وقال الحسن جعل الله طاعة رسول الله صلى الله
عليه وسلم طاعته وقامت به الحجة على المسلمين وقال الشافعي ان كل فريضة فرضها الله تعالى في
كتابه كالحج والصلاة والزكاة لولا بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ما كنا نعرف كيف نايتها
ولا كان يمكننا اداء شي من العبادات واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه المنزلة من الشريعة
كانت طاعته على الحقيقة طاعة الله **ومن تولى** اي اعرض عن طاعته **فما ارسلناك عليهم حفيظا**
يعني حافظا تحفظ اعمالهم عليهم بل كل امرهم الى الله قال المفسرون وكان هذا قبل ان يؤمر بالقتال
ثم نسخ ذلك باية القتال قوله تعالى **ويقولون طاعة** نزلت في المنافقين وذلك ان المنافقين كانوا
يقولون باللسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم امنا بك وصدقناك فمرنا بامرك طاعة اي امرنا
وشاننا طاعة **فاذا برزوا من عندك** اي خرجوا من عندك **بيت طايفة منهم غير الذي تقول** التبييت
كل امر يفعل بالليل يقال هذا امر بيت اذا دبر بليل وقضي بليل فقد بيت والمعنى انهم قالوا وقدروا
امرا بالليل غير الذي اعطوك بالنهار من الطاعة وقيل معنى بيت غير وبدل طايفة منهم غير الذي
تقول يعني غير الذي عهدت اليهم فعلى هذا يكون التبييت بمعنى التبديل وانما خص طايفة من المنافقين
بالتبييت في قوله منهم وكلمة من للتبعيض لانه تعالى علم ان منهم من يبقى على كفره ونفاقه ومنهم من يرجع عنه ويتوب
فخص من يصر على النفاق بالذكر وقيل ان طايفة منهم اجتمعوا في الليل وبيتوا ذلك القول فخصهم بالذكر
والله يكتب اي يثبت ويحفظ عليهم **ما يبيتون** يعني ما يزورون ويغيرون ويقدرون وقال ابن
عباس يكتب ما يسرون من النفاق **فاعرض عنهم** اي لا تعاقبهم يا محمد ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم
وخلهم وصلا لهم فانا منتقم منهم وقيل لا تخبر باسمايهم **وتوكل على الله** اي فوض امرك الى الله في شانهم فان
الله يكفيك امرهم وينتقم لك منهم **وكفى بالله وكيلا** يعني ناصرا لك عليهم قوله عز وجل **افلا يتدبرون القران**
اصل التدبر النظر في عواقب الامور والتفكر في ادبارها ثم استعمل في كل تفكر وتامل يقال تدبرت الشي اي
نظرت في عاقبته ومعنى تدبر القران تامل معانيه والتفكر في حكمه وتبصر ما فيه من الايات قال ابن عباس
افلا يتدبرون القران فيتفكرون فيه فيرون تصديق بعضه لبعض وما فيه من المواعظ والذكر والامر
والنهي وان احدا من الخلق لا يقدر عليه قال العلما ان الله تعالى احتج بالقران والتدبر فيه على صحة
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والحجة في ذلك من ثلاثة اوجه احدها فصاحته الذي عجز الخلايق عن
الاتيان بمثله في اسلوبه الثاني اخباره عن الغيوب وهو ما يطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
على احوال المنافقين وما يخفوه من مكرهم وكيدهم فيفضحهم بذلك وغير ذلك من الاخبار عن احوال
الاولين واخبارهم وما ياتي في المستقبل من الامور الغيبية التي لا يعلمها الا الله تعالى الثالث سلامته عن
الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** قال
ابن عباس يعني تفاوتا وتناقضا وفي رواية عنه لو كان من عند مخلوق لكان فيه كذب واختلاف وقيل معناه

لوجدوا في اخباره عن الغيب بما يكون وبما قد كان اختلافا كثيرا لان الغيب لا يعلمه الا الله واذا كان
كان كذلك ثبت انه من عند الله وانه ليس فيه اختلاف ولا تناقض وقيل لو كان من عند غير الله لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا من حيث البلاغة والفصاحة والمعنى لو كان من عند مخلوق لكان على قياس الكلام المخلوق
بعضه فصيح بليغ حسن وبعضه مردود ركيك فاسد فلما كان القران جميعه على منهاج واحد في الفصاحة
والبلاغة ثبت انه من عند الله والمعنى افلا يتفكرون في القران فيعرفون بعدم التناقض فيه وصدق
ما يخبر به عن الغيوب ان كلام الله عز وجل وان ما يكون من عند غير الله لا يخلو عن تناقض واختلاف
فلما كان القران ليس فيه تناقض واختلاف علم انه من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا
يعلمه سواه قوله تعالى **واذا جاءهم امر من الخوف اذاعوا به** وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث
البعوث والسرايا فاذا غلبوا او غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يشيعونه ويتحدثون به
قبل ان يتحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المومنين فانزل الله هذه الاية
واذا جاءهم يعني المنافقين امر من الامن يعني خبر بفتح وغنيمة او الخوف يعني القتل والهزيمة اذاعوا
به اي افشوا ذلك الخبر واشاعوه بين الناس يقال اذاع السر واذاع به اذا اشاعه واظهره قال الشاعر

اذاع به في الناس حتى كانه * بعلياء نار اوقدت بثقوب

ولو ردوه يعني الامر الذي تحدثوا به **الى الرسول** يعني انهم لم يتحدثوا به حتى يكون الرسول صلى الله
عليه وسلم هو الذي يتحدث به ويظهره **والى اولي الامر منهم** يعني ذوي العقول والراي والبصر بالامور منهم
وهم كبار الصحابة كابي بكر وعمر وعثمان وعلي وقيل هم امراء السرايا والبعوث وانما قال منهم على حسب
الظاهر ولان المنافقين كانوا يظهرون الايمان فلهذا قال والى اولي الامر منهم **لعلمه الذين يستنبطونه
منهم** اي يستخرجون تدبيره بذكائهم وفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وهم العلماء الذين
علموا ما ينبغي ان يكتم من الامور وما ينبغي ان يذاع منها والنبط الماء الذي يخرج من البئر اول ما يحفر واستنباطه
استخراجه فاستعير لما يخرجه الرجل بفضل ذكائه وصفاء ذهنه وفطنته من المعاني والتدبير فيما يعضل
ويهم يقال استنبط الفقيه المسئلة اذا استخرجها باجتهاده وفهمه وفي الاية دليل على جواز القياس
وان من العلم ما يدرك بالنص وهو الكتاب والسنة ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس عليهما ومعنى
الاية ولو ان هولاء المنافقين والمرجفين ردوا الامر من الامن او الخوف الى الرسول والى اولي الامر منهم وطلبوا
معرفة الحال فيه من جهتهم لعلموا حقيقة ذلك منهم وانهم اولى بالبحث عنه فانهم اعلم بما ينبغي ان يشاع او يكتم
قوله عز وجل **ولولا فضل الله عليكم ورحمته** يعني ولولا فضل الله عليكم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال
القران ورحمته بالتوفيق والهداية **لاتبعتم الشيطان** يعني لبقيتم على الكفر والضلالة **الا قليلا** اختلف
العلماء في هذا الاستثناء والى ما ذا يرجع فقيل هو راجع الى الاذاعة وهو قول ابن عباس والتقدير واذا
جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به الا قليلا فاخرج بعض المنافقين والمومنين عن هذه الاذاعة لانهم
لم يذيعوا ما علموا من امر السرايا وهذا القول اختيار الفراء وابن جرير الطبري وقيل هو راجع الى المستنبطين
وهو قول الحسن وقتادة واختاره ابن قتيبة وتقديره لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا فعلى
هذين القولين في الاية تقديم وتاخير وقيل انه راجع الى اتباع الشيطان وهو قول الضحاك واختاره
الزجاج ومعلوم ان صرف الاستثناء الى ما يليه ويتصل به اولى من صرفه الى الشي البعيد وتقديره ولولا
فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم وهم قوم امنوا واهتدوا قبل مبعث رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم وانزال القران مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة الايادي
قوله تعالى **فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك** نزلت في مواعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا
سفيان بن حرب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعده موسم بدر الصغرى بعد حرب احد وذلك
في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج فكرهه بعضهم
فانزل الله هذه الاية فقاتل في سبيل الله يعني لا تدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من
المومنين لا تكلف الا نفسك يعني لا تكلف فرض غيرك بل جاهد في سبيل الله ولو وحدك فان الله ناصرك
لا الجنود وقد وعدك النصر عليهم وهو لا يخلف الميعاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا
الى بدر الصغرى فكفاهم الله القتال فرجعوا سالمين وعاتب الله من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بهذه الاية على ترك الجهاد والخروج معه وفي الاية دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اشجع الناس
واعلمهم بامور القتال ومكايده لان الله تعالى امره بالقتال وحده ولو لم يكن اشجع الناس لما امره بذلك
ولقد اقتدى به ابو بكر الصديق في قتال اهل الردة من بني حنيفة الذين منعوا الزكاة فعزم على الخروج الى
قتالهم ولو وحده **وحرض المومنين** يعني حضهم على الجهاد ورغبهم في الثواب وليس عليك في شانهم الا التحريض
فحسب لا التعنيف بهم **عسى الله** اي لعل الله **ان يكف باس الذين كفروا** يعني لعل الله ان يمنع باس الكفار وشدتهم
وقد فعل وذلك ان ابا سفيان بدا له عن القتال فلم يخرج الى الموعد **والله اشد باسا** اي اعظم صولة
واشد تنكيلا يعني واشد عذابا وعقوبة من غيره قوله عز وجل **من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها**
الشفاعة ماخوذة من الشفع وهو ان يصير الانسان بنفسه شفيعا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسالة
الى المشفوع اليه فعلى هذا قيل ان المراد بالشفاعة المذكورة في الاية هي شفاعة الانسان لغيره ليجلب له
بشفاعته نفعا او يخلصه من بلاء نزل به وقيل هي الاصلاح بين الناس وقيل معنى الاية يصير شفيعا لوتر
اصحابك يا محمد فيشفعهم في جهاد عدوهم يكن له نصيب منها اي حظ وافر من اجر شفاعته وهو ثواب الله وكرامته
ومن يشفع شفاعة سيئة قيل هي النميمة ونقل الحديث لايقاع العداوة بين الناس وقيل اراد الشفاعة
السيئة دعاء اليهود على المسلمين وقيل معناه ومن يشفع كفره بقتال المومنين **يكن له كفل** اي ضعف وقيل
نصيب **منها** اي من وزرها **وكان الله على كل شيء مقيتا** قال ابن عباس يعني مقتدرا ومجازيا واقتات على الشيء
قدر عليه قال الشاعر * وذي ضغن كففت النفس عنه * وكنت على اساءته مقيتا * يعني قادرا على الاساءة
اليه وقيل معناه شاهدا وحفيظا على الاشياء (ق) عن ابي موسى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالسا فجاء رجل يسال فاقبل علينا بوجهه وقال اشفعوا توجروا ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء
وفي رواية كان اذا جاءه طالب حاجة اقبل على جلسائه فقال اشفعوا وذكره قوله عز وجل **واذا حييتم بتحية
فحيوا باحسن منها** التحية تفعلة من حيي واصلها من الحياة ثم جعل السلام تحية لكونه خارجا عن
حصول الحياة وسبب الحياة في الدنيا او في الاخرة والتحية ان يقال حياك الله اي جعل لك حياة وذلك
اخبار ثم يجعل دعاء وهذه اللفظة كانت العرب تقولها فلما جاء الاسلام بدل ذلك بالسلام وهو المراد
به في الاية يعني اذا سلم عليكم المسلم فاجيبوه باحسن مما سلم عليكم به وانما اختير لفظ السلام على لفظة
حياك الله لانه اتم واحسن واكمل لان معنى السلام السلامة من الافات فاذا دعا الانسان بطول الحياة
بغير سلامة كانت حياته من موته منغصة واذا كان في حياته سليما كان اتم واكمل فلهذا السبب اختير
لفظ السلام **او ردوها** يعني او ردوا عليه كما سلم عليكم **ان الله كان على كل شيء حسيبا** يعني محاسبا

ومجازيا والمعنى انه تعالى على كل شيء من رد السلام بمثله او باحسن منه مجازيه عليه فصل
في فضل السلام والحث عليه ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه
اي الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرا السلام على من عرفت ومن لم تعرف قوله اي الاسلام خير
معناه اي خصال الاسلام خير م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلون
الجنة حتى تومنوا ولا تومنوا حتى تحابوا او لا ادلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم
عن عبد الله بن سلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس افشوا السلام
بينكم واطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام اخرجه الترمذي
وقال حديث صحيح عن ابي امامة قال امرنا نبينا صلى الله عليه وسلم ان نفشي السلام اخرجه ابن
ماجه فصل في احكام تتعلق بالسلام وفيه مسائل المسئلة في كيفية السلام ق عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله تعالى ادم قال له اذهب فسلم على اولئك نفر من الملائكة
جلوس فاستمع ما يحيونك فانها تحيتك وذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله
فزادوه ورحمة الله قال العلما يستحب لمن يبتدي بالسلام ان يقول السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته فياتي بضمير الجمع وان كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته
فياتي بواو العطف في قوله وعليكم عن عمران بن الحصين قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال النبي صلى الله عليه وسلم عشر ثم جا اخر فقال السلام عليكم
ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون ثم جا اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه
فجلس فقال ثلاثون اخرجه الترمذي وابو داود وقال الترمذي حديث حسن وقيل اذا قال المسلم
السلام عليكم فيقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيزيده ورحمة الله وان قال السلام
عليكم ورحمة الله فيقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيزيده وبركاته وان قال السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته فيرد عليه مثله ولا يزاد عليه روي ان رجلا سلم على ابن عباس فقال
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيا فقال ابن عباس ان السلام انتهى الى البركة ويستحب
للمسلم ان يرفع صوته بالسلام ليسمع المسلم عليه فيجيبه ويشترط ان يكون الرد على الفور فان
اخره ثم رد لم يعد جوابا وكان اثما بترك الرد المسئلة الثانية في حكم السلام الابتدا بالسلام سنة مستحبة
ليس بواجب وهو سنة على الكفاية فان كان جماعة فسلم واحد منهم كفى عن جميعهم ولو سلم كلهم كان افضل
واكمل قال القاضي حسين من اصحاب الشافعي ليس لنا سنة على الكفاية الا هذا وفيه نظر لان تشميت
العاطس سنة على الكفاية ايضا كالسلام ولو دخل على جماعة في بيت او مجلس او مسجد وجب عليه
ان يسلم على الحاضرين لقوله صلى الله عليه وسلم افشوا السلام والامر للوجوب او يكون ذلك سنة
متاكدة لان السلام من شعار اهل الاسلام فيجب اظهاره او يتاكد استحبابه اما الرد على المسلم فقد
اجمع العلما على وجوبه ويدل عليه قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها والامر
للوجوب ولان في ترك الرد اهانة للمسلم فيجب ترك الاهانة فان كان المسلم عليه واحدا وجب الرد
عليه وان كان جماعة كان رد السلام في حقهم فرض كفاية فلو رد واحد منهم سقط فرض الرد عن الباقين
وان تركوه كلهم اثموا عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجزي عن الجماعة
اذا مروا ان يسلم احدهم ويجزي عن الجلوس ان يرد احدهم اخرجه ابو داود المسئلة الثالثة في اداب

السلام السنة ان يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير وفي رواية للبخاري
قال يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير واذا التقى رجلان فالمبتدي بالسلام
هو الافضل لما روي عن ابي امامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بالله
عز وجل من بداهم بالسلام اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي ولفظه قال قيل يا رسول الله الرجلان
يلتقيان ايهما يبدا بالسلام قال اولاهما بالله قال الترمذي حديث حسن ويستحب ان يبدا بالسلام
قبل الكلام او الحاجة والسنة اذا مر بجماعة صبيان صغار ان يسلم عليهم لما روي عن انس انه
مر على صبيان فسلم وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله اخرجاه في الصحيحين وفي رواية
لابي داود ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على غلمان يلعبون فسلم عليهم واما السلام على النسا
فان كن جمعا جالسات في موضع او مسجد يستحب ان يسلم عليهن ان لم يخف على نفسه او عليهن فتنة
لما روي عن اسما بنت يزيد قالت مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فسلم علينا اخرجه
ابو داود وفي رواية الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من النسا
قعود فالوى بيده بالتسليم قال الترمذي حديث حسن واذا مر على امراة مفردة اجنبية فان
كانت جميلة فلا يسلم عليها ولو سلم عليها فلا ترد هي عليه لانه لم يستحق الرد وان كانت عجوزا لا يخاف
عليه ولا عليها الفتنة سلم عليها وترد هي عليه وحكم النسا مع النسا كحكم الرجال مع الرجال في السلام
فيسلم بعضهن على بعض المسئلة الرابعة في الاحوال التي يكره السلام فيها فمن ذلك الذي يبول
او يتغوط او يجامع ونحو ذلك لا يسلم عليه فلو سلم فلا يستحق المسلم جوابا لما روي عن ابن عمر ان رجلا
مر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبول فسلم فلم يرد عليه اخرجه مسلم قال الترمذي انما يكره هذا
اذا كان على الغائط او البول ويكره التسليم على من في الحمام وقيل اذا كانوا متزرين بالمازر وسلم
عليهم والا فلا ويكره التسليم على النايم والناعس والمصلي والموذن في حال الاذان والتالي في حال الصلاة
والاذان والتلاوة ويكره الابتدا بالتسليم في حال الخطبة لان الجلوس مامورون بالانصات للخطبة
ويكره ان يبدا المبتدع بالتسليم عليه وكذلك المعلن بفسق وكذلك الظلمة ونحوهم فلا يسلم على هولا
المسئلة الخامسة في حكم السلام على اهل الذمة اليهود والنصارى اختلف العلما فيه فذهب
الاكثرون الى انه لا يجوز ابتداوهم بالسلام وقال بعضهم انه ليس بحرام بل هو مكروه كراهة تنزيه ويدل
على ذلك ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبدوا اليهود ولا النصارى
بالسلام واذا لقيتم احدهم في طريق فاضطروه الى اضيقه اخرجه مسلم واذا سلم يهودي او نصراني
على مسلم فيرد عليه ويقول وعليك بغير واو العطف لما روي عن انس ان يهوديا اتى على رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال السام عليكم فرد عليه القوم فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم
هل تدرون ما قال قالوا الله ورسوله اعلم يا نبي الله قال لا ولكنه قال كذا وكذا ردوه علي فردوه
فقال قلت السام عليكم قال نعم فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم احد من اهل
الكتاب فقولوا عليك اي عليك ما قلت اخرجه الترمذي فلو اتى بواو العطف وميم الجمع فقال وعليكم
جاز لانا نجاب عليهم في الدعا ولا يجابون علينا ويدل على ذلك ما روي عن جابر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم سلم عليه ناس من يهود فقالوا السام عليك يا ابا القاسم فقال وعليكم فقالت عايشة
وغضبت الم تسمع ما قالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا اخرجه

مسلم واذا مر المسلم على جماعة فيهم مسلمون ويهود ونصارى يسلم عليهم ويقصد بتسليمه المسلمين لما روي عن
اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه اخلاط من المسلمين واليهود فسلم عليهم اخرجه
الترمذي والله اعلم قوله تعالى **الله لا اله الا هو ليجمعنكم** هذه لام القسم تقديره والله الذي لا اله الا
هو ليجمعنكم الله في الموت وفي القبور **الى يوم القيمة** يعني الى يوم الحشر والبعث سميت القيمة قيامة لقيام
الناس من قبورهم بعد الموت وقيل لقيامهم بالحساب نزلت هذه الاية في منكري البعث **لا ريب فيه** يعني لا شك
في ذلك اليوم انه كاين **ومن اصدق من الله حديثا** يعني لا احد اصدق من الله فانه لا يخلف الميعاد ولا يجوز
عليه الكذب والمعنى ان القيمة كاينة لا شك فيها ولا ريب قوله عز وجل **فما لكم في المنافقين فئتين** اختلفوا
في سبب نزول هذه الاية فقيل نزلت في الذين تخلفوا يوم احد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلهم يا رسول الله فانهم منافقون وقال
بعضهم اعف عنهم فانهم قد تكلموا بكلمة الاسلام **ق** عن زيد بن ثابت قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى احد رجع ناس ممن خرج معه وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فئتين قالت فرقة
نقتلهم وقالت فرقة لا نقتلهم فنزلت فما لكم في المنافقين فئتين وقال النبي صلى الله عليه وسلم انها طيبة
تنفي الرجال كما ينفي الكير خبث الحديد وقيل نزلت في قوم خرجوا الى المدينة واسلموا ثم استاذنوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى مكة لياتوا ببضايع لهم يتجرون فيها فخرجوا واقاموا بمكة فاختلف المسلمون
فيهم فقايل يقول هم منافقون وقايل يقول مومنون وقيل نزلت في ناس من قريش قدموا المدينة واسلموا
ثم ندموا على ذلك فخرجوا كهيئة المتنزهين فلما بعدوا عن المدينة كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا على الذي فارقناك عليه من الايمان ولكنا اجتوينا المدينة واشتقنا الى ارضنا ثم انهم خرجوا في تجارة
الى الشام فبلغ ذلك المسلمين فقال بعضهم نخرج اليهم ونقتلهم وناخذ ما معهم لانهم رغبوا عن ديننا وقالت
طايفة منهم كيف تقتلون قوما على دينكم وان لم يذروا ديارهم وكان هذا بعين النبي صلى الله عليه وسلم وهو
ساكت لا ينهى احد الفريقين فنزلت هذه الاية وقيل نزلت في قوم اسلموا بمكة ولم يهاجروا وكانوا يظاهرون
المشركين وقيل نزلت في عبد الله بن ابي بن سلول المنافق لما تكلم في حديث الافك ومعنى الاية فما لكم يا معشر
المومنين في المنافقين فئتين اي صرتم في امرهم فرقتين فرقة تذب عنهم وفرقة تباينهم وتعاديهم فنهى
الله الفرقة الذين يذبون عنهم وامر المومنين جميعا ان يكونوا على منهاج واحد في التباين لهم والتبري
منهم ثم اخبر عن كفرهم بقوله **والله اركسهم** يعني نكسهم في كفرهم وارتدادهم وردهم الى احكام الكفار **بما كسبوا**
اي بسبب ما اكتسبوا من اعمالهم الخبيثة وقيل بما اظهروا من الارتداد بعد ما كانوا على النفاق **اتريدون ان
تهدوا من اضل الله** هذا خطاب للفئة التي دافعت عن المنافقين والمعنى اتبغون ايها المومنون هداية
هولاء المنافقين الذين اضلهم الله عن الهدى **ومن يضلل الله** يعني عن الهدى **فلن تجد له سبيلا** يعني
فلن تجد له طريقا تهديه فيها الى الحق او الهدى قوله تعالى **ودوا** يعني تمنى اولئك الذين رجعوا عن الايمان
الى الارتداد والكفر **لو تكفرون** يعني تكفرون انتم يا معشر المومنين **كما كفروا فتكونون سواء** في الكفر **فلا تتخذوا
منهم اولياء** يعني من الكفار مع المومنين موالاة **حتى يهاجروا** يعني يسلموا ويهاجروا في سبيل الله معكم والهجرة
اخرى والهجرة على ثلاثة اوجه الاول هجرة المومنين في اول الاسلام من مكة الى المدينة الثانية هجرة المنافقين
وهي الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله مخلصين صابرين محتسبين كما حكى عنهم في هذه
الاية منع المومنين عن موالاة المنافقين **حتى يهاجروا في سبيل الله** والهجرة الثالثة هجرة المومنين ما نهى الله عنه

فان

قوله اجتوينا المدينة
يعني استوخمنا المدينة

فان تولوا يعني فان اعرضوا عن الاسلام والهجرة واختاروا الاقامة على الكفر **فخذوهم** الخطاب للمومنين
اي خذوهم ايها المومنون **واقتلوهم حيث وجدتموهم** يعني اين وجدتموهم في الحل والحرم **ولا تتخذوا منهم
وليا** يعني في هذه الحالة **ولا نصيرا** يعني ينصركم على اعدائكم لانهم اعداء ثم استثنى الله عز وجل طايفة منهم
فقال تعالى **الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق** هذا الاستثناء يرجع الى القتل لا الى الموالاة لان
موالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال ومعنى يصلون ينتسبون اليهم او ينتمون اليهم او يدخلون معهم بالحلف
والجوار قال ابن عباس يريدون يلجاون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد وهم الاسلميون وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر الاسلمي عند خروجه الى مكة على ان لا يعينه ولا يعين عليه
ومن وصل الى هلال من قومه وغيرهم فلجا اليه فلهم من الجوار مثل ما لهلال وفي رواية عن ابن عباس قال
اراد بالقوم الذين بينكم وبينهم ميثاق بني بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح والمهادنة وقيل هم خزاعة والمعنى
ان من دخل في عهد من كان داخلا في عهدكم فهم ايضا داخلون في عهدكم **او جاوكم حصرت صدورهم** يحتمل
ان يكون عطفا على الذين وتقديره الا الذين يتصلون بالمعاهدين او يتصلون بالذين حصرت
صدورهم فلا تقتلوهم وقيل يحتمل ان يكون عطفا على صفة قوم وتقديره الا الذين يصلون الى قوم بينكم
وبينهم عهد او يصلون الى قوم حصرت صدورهم فلا تقتلوهم ومعنى حصرت اي ضاقت صدورهم عن
المقاتلة فلا يريدون قتالكم لانكم مسلمون ولا يريدون قتالهم لانهم اقاربهم وهم بنو مدلج كانوا عاهدوا
ان لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا ان لا يقاتلوهم **ان يقاتلوكم** يعني ضاقت صدورهم عن قتالكم
للعهد الذي بينكم وبينهم **او يقاتلوا قومهم** يعني من امن منهم وقيل معناه انهم لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون
قومهم معكم فقد ضاقت صدورهم لذلك عن قتالكم والقتال معكم وهم قوم هلال الاسلميون وبنو بكر نهى الله
عن قتال المرتدين اذا اتصلوا باهل عهد المسلمين لان من انضم الى قوم ذوي عهد فله حكمهم في حقن
الدم وذلك ان الله تعالى اوجب قتال الكفار الا من كان معاهدا او لجا الى معاهد او ترك القتال فانه
لا يجوز قتله مولاة وعلى هذا القول فالقول بالنسخ لازم لان الكافر وان ترك القتال فقتله جايز وقال
جماعة من المفسرين معاهدة المشركين وموادعتهم في هذه الاية منسوخة باية السيف وذلك لان الله
تعالى لما اعز الاسلام واهله امر ان لا يقبل من مشركي العرب الا الاسلام او القتل **ولو شاء الله لسلطهم
عليكم فلقاتلوكم** يذكر الله تعالى منته على المسلمين بكف باس المعاهدين وذلك انه القى الرعب في قلوبهم
وكفهم عن قتالكم ومعنى التسليط هنا تقوية قلوبهم على قتال المسلمين ولكن قذف الرعب في قلوبهم وكفهم
عن المسلمين **فان اعتزلوكم** يعني فان اعتزلوكم عن قتالكم **فلم يقاتلوكم** يعني فلم يقاتلوكم يوم فتح مكة
مع قومهم **والقوا اليكم السلم** يعني الانقياد والصلح فانقادوا واستسلموا **فما جعل الله لكم عليهم سبيلا**
يعني بالقتل والقتال قال بعض المفسرين ان هذا منسوخ باية القتال وهي قوله اقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم وقال بعضهم هي غير منسوخة لانا اذا حملنا على المعاهدين فكيف يمكن ان يقال انها منسوخة
قوله عز وجل **ستجدون اخرين** قال ابن عباس هم اسد وغطفان كانوا من حاضري المدينة فتكلموا بكلمة الاسلام
رياء وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا امنت يقول امنت بهذا القرد والعقرب والخنفسا
واذا لقوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم انا على دينكم يريدون بذلك الامن من الفريقين
وفي رواية اخرى عن ابن عباس انها نزلت في بني عبد الدار وكانوا بهذه الصفة **يريدون ان يامنوكم** يعني
يريدوا باظهار الايمان لكم ان يامنوكم فلا تتعرضوا لهم **ويامنوا قومهم** يعني باظهار الكفر فلا تتعرضوا لهم **كلما**

ردوا الى الفتنة يعني كلما دعوا الى الشرك اركسوا فيها رجعوا الى الشرك وعادوا اليه منكوسين على رؤسهم فيه فان لم يعتزلوكم يعني فان لم يكفوا عن قتالكم حتى يسيروا الى مكة ويلقوا اليكم السلم اي فلم يلقوا الصلح ولم يكفوا عن قتالكم فخذوهم يعني اسرا واقتلوهم حيث ثقفتموهم يعني حيث ادركتموهم واولئكم يعني اهل هذه الصفة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا يعني حجة ظاهرة بالقتل والقتال وقيل الحجة الواضحة هو ظهور عداوتهم وانكشاف حالهم بالكفر والغدر قوله تعالى وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطأ الاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة فاسلم ثم خاف ان يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا الى المدينة وتحصن في اطم من اطامها وكانت امه حصن فجزعت امه لذلك جزعا شديدا وقالت لابنيها الحارث وابي جهل ابن هشام وهما اخوا عياش بن ربيعة لامه لا والله لا يظلني سقف ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى تاتوني به فخرجا في طلبه وخرج معهم الحارث ابن زيد بن ابي انيسة حتى اتوا المدينة فاتوا عياشا وهو في الاطم فقالا انزل فان امك لم ياويها سقف بعدك وقد حلفت لا تاكل ولا تشرب حتى ترجع اليها ولك الله علينا ان لا نكرهك على شي ونحول بينك وبين دينك فلما ذكرا له جزع امه واوثقوا له العهد بالله نزل اليهم فاخرجوه من المدينة واوثقوه بنسعة وجلده كل واحد منهما مائة جلدة ثم قدموا به على امه فلما اتاها قالت والله لا احلك من وثاقك حتى تكفر بالذي امنت به ثم تركوه موثقا في الشمس ما شا الله فاعطاهم الذي ارادوا فاتاه الحارث بن زيد فقال يا عياش اهذا الذي كنت عليه لين كان هذا لهدى لقد تركت الهدى ولين كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا القاك خاليا الا قتلتك ثم ان عياشا اسلم بعد ذلك وهاجر واسلم الحارث بن زيد وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عياش حاضرا يوميذ ولم يشعر باسلامه فبينما عياش يسير بظهر قبا اذ لقي الحارث فقتله فقال له الناس ويحك يا عياش اي شي صنعت انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انه كان من امري وامر الحارث ما قد علمت واني لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزل وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطأ ومعنى الاية وما كان لمومن ان يقتل مومنا البتة وما كان له سبب جواز قتله وقيل معناه ما كان له ذلك فيما اتاه من ربه وعهد اليه فهيه تحريم قتل المومن من كل وجه وقوله تعالى الا خطأ استثنا منقطع معناه لكن ان وقع خطأ فتحرير رقبة وقيل معناه ما كان لمومن ان يقتل مومنا البتة الا ان يخطي المومن فكفارة خطايه ما ذكر من بعد والخطأ فعل الشي من غير قصد وتعمد ومن قتل مومنا خطأ فتحرير رقبة مومنة يعني فعليه اعتاق رقبة مومنة كفارة ودية مسلمة الى اهله اي وعليه دية كاملة مسلمة الى اهل القتيل الذين يرثونه الا ان يصدقوا يعني الا ان يتصدق اهل القتيل على القاتل بالدية ويعفوا عنه فان كان يعني المقتول من قوم عدو لكم وهو مومن فتحرير رقبة مومنة اراد به اذا كان رجل مسلم في دار الحرب وهو منفرد مع قوم كفار فقتله من لم يعلم باسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة وقيل المراد منه انه اذا كان المقتول مسلما في دار الاسلام وهو من نسب قوم كفار واهله الذين يرثونه في دار الحرب وهو حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لاهله وكان الحارث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين فكان فيه الكفارة تحرير رقبة دون الدية لانه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مومنة يعني انه اذا كان المقتول كافرا ذميا او معاهدا فتجب فيه الدية والكفارة فمن لم يجد يعني الرقبة فصيام شهرين

متتابعين اي فعليه صيام شهرين متتابعين بدلا عن الرقبة توبة من الله يعني جعل الله ذلك توبة لقاتل الخطأ وكان الله عليما يعني بمن قتل خطأ حكيما يعني بما حكم به عليه من الدية والكفارة فصل في احكام تتعلق بالاية وفيه مسايل المسيلة الاولى في بيان صفة القتل قال الشافعي القتل على ثلاثة اقسام عمد وشبه عمد وخطأ العمد المحض فهو ان يقصد قتل انسان بما يقتل به غالبا فقتل به ففيه القصاص عند وجود التكافي او دية حالة مغلظة في مال القاتل واما شبه العمد فهو ان يقصد ضرب انسان بما لا يقتل مثله غالبا مثل ان ضربه بعصى خفيفة او رماه بحجر صغير فمات فلا قصاص عليه ويجب عليه دية مغلظة على عاقلته موجلة الى ثلاث سنين واما الخطأ المحض فهو ان لا يقصد قتله بل قصد شيا اخر فاصابه فمات منه فلا قصاص عليه ويجب فيه دية مخففة على عاقلته موجلة الى ثلاث سنين ومن صور قتل الخطأ ايضا ان يقصد رمي مشرك او كافر فيصيب مسلما او يقصد قتل انسان يظنه مشركا بان كان عليه لباس المشركين او شعارهم فالصورة الاولى خطأ في الفعل والثانية خطأ في القصد المسيلة الثانية في حكم الديات ودية الحر المسلم مائة من الابل فاذا عدمت الابل فيجب قيمتها من الدراهم او الدنانير في قول وفي قول بدل مقدر وهو الف دينار او اثنى عشر الف درهم ويدل على ذلك ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كانت الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمان مائة دينار او ثمانية الاف درهم قال وكانت دية اهل الكتاب يوميذ على النصف من دية المسلم فكانت كذلك حتى استخلف عمر فقام خطيبا فقال ان الابل قد غلت ففرضها عمر على اهل الذهب الف دينار وعلى اهل الورق اثنى عشر الف درهم وعلى اهل البقر مايتي بقرة وعلى اهل الشاة الفي شاة وعلى اهل الحلل مايتي حلة قال وترك دية اهل الكتاب فلم يرفعها فيما رفع من الدية اخرجه ابو داود فذهب قوم الى ان الواجب في الدية مائة من الابل او الف دينار او اثنى عشر الف درهم وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصري وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم الى انها مائة من الابل او الف دينار او عشرة الاف درهم وهو قول سفيان الثوري واصحاب الراي ودية المراة نصف دية الذكر ودية اهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم ان كان كتابيا وان كان مجوسيا فخمس الثلث ثمانماية درهم وهو قول سعيد بن المسيب واليه ذهب الشافعي وذهب قوم الى ان دية الذمي والمعاهد مثل دية المسلم روي ذلك عن ابن مسعود وهو قول سفيان الثوري واصحاب الراي وقال قوم دية الذمي نصف دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك واحمد والاصل في ذلك ما روي عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر اخرجه ابو داود وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عقل اهل الذمة نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى اخرجه النساي فمن ذهب الى ان دية اهل الذمة ثلث دية المسلم اجاب عن هذا الحديث بان الاصل في ذلك كان النصف ثم رفعت زمن عمر دية المسلم ولم ترفع دية الذمي فبقي على اصلها وهو قدر الثلث من دية المسلم والدية في قتل العمد مغلظة فيجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة في بطونها اولادها وهذا قول عمر وزيد بن ثابت وبه قال عطا واليه ذهب الشافعي لما روى عمرو ابن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل متعمدا دفع الى اوليا المقتول فان شاوا قتلوا وان شاوا الدية وهي ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة وما صولحوا عليه فهو لهم وذلك لتشديد العقل اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن

عقبة بن اوس عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال
الا ان قتيل العمد بالسوط والعصا والحجارة من الابل اربعون ثنية الى بازل عامها كلهن خلفة وفي رواية
اخرى الا ان كل قتيل خطا العمد او شبه العمد قتيل السوط والعصا ماية من الابل فيها اربعون في بطونها
اولادها اخرجه النساي وذهب قوم ان الدية المغلظة ارباع خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون
بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وهذا قول الزهري وربيعة واليه ذهب
مالك واحمد واصحاب الراي واما دية الخطا فمخففة وهي اخماس بالاتفاق غير انهم اختلفوا في تقسيمها
فذهب قوم الى انها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون
جذعة وهذا قول عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار والزهري وربيعة وبه قال مالك والشافعي
وابدل قوم بني اللبون ببنات المخاض يروى ذلك عن ابن مسعود وبه قال احمد واصحاب الراي والدية
في قتيل الخطا وشبه العمد على العاقلة وهم العصبات من الذكور ولا تجب على الجاني منها شي لان النبي
صلى الله عليه وسلم اوجبها على العاقلة ودية الاعضا والاطراف حكمها مبين في كتب الفقه ودية اعضا
المراة على النصف من دية اعضا الرجل والله اعلم المسيلة الثالثة في حكم الكفارة والكفارة اعتاق
رقبة مومنة وتجب في مال القاتل سوا كان المقتول مسلما او معاهدا رجلا كان او امراة حرا كان او
عبدا فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فالقاتل ان كان واجدا للرقبة او قادرا على
تحصيلها بوجود الثمن فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الاعتاق ولا يجوز
له ان ينتقل الى الصوم فان عجز عن الرقبة او عن تحصيل ثمنها فعليه صوم شهرين متتابعين فان افطر يوما
متعمدا في خلال الشهرين او نسي النية او نوى صوما اخر وجب عليه استيناف الشهرين وان افطر يوما بعذر
مرض او سفر هل ينقطع التتابع اختلف العلما فيه فمنهم من قال ينقطع التتابع وعليه استيناف الشهرين
وهو قول النخعي واظهر قولي الشافعي لانه افطر مختارا ومنهم من قال لا ينقطع التتابع وعليه ان يبني وهو قول
سعيد بن المسيب والحسن والشعبي ولو حاضت المراة في خلال الشهرين افطرت ايام الحيض ولا ينقطع
التتابع فاذا طهرت بنت لانه امر كتبه الله على النسا ولا يمكن الاحتراز عنه فان عجز عن الصوم فهل ينتقل
عنه الى الاطعام فيطعم ستين مسكينا فيه قولان احدهما انه ينتقل الى الاطعام كما في كفارة الظهار والثاني
لا ينتقل لان الله لم يذكر له بدلا فقال فصيام شهرين متتابعين توبة من الله فنص على الصوم وجعل ذلك
عقوبة لقاتل الخطا والله اعلم قوله عز وجل **ومن يقتل مومنا متعمدا** نزلت في مقيس بن صبابة الكناني وكان
قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر
ذلك له فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني فهر الى بني النجار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يامركم ان علمتم قاتل هشام بن صبابة ان تدفعوه الى اخيه مقيس فيقتص منه وان لم تعلموه ان تدفعوا اليه
ديته فابلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله ما نعلم له قاتلا ولكنا نودي اليه ديته فاعطوه
ماية من الابل فانصرفا راجعين نحو المدينة فاتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال له تقبل دية اخيك
فتكون عليك سبة اقتل الفهري الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة
فقتله ثم ركب بعيرا من الابل وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وقال في ذلك

قتلت به فهرا واحملت عقله ۔ سراة بني النجار ارباب فارع
وادركت ثاري واضطجعت موسدا ۔ وكنت الى الاصنام اول راجع

فنزلت

فنزلت فيه ومن يقتل مومنا متعمدا يعني قاصدا لقتله **فجزاوه جهنم خالدا فيها** يعني بكفره وارتداده وهو الذي
استثناه النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة عمن امنه من اهلها فقتل وهو متعلق باستار الكعبة
وغضب الله عليه يعني لاجل كفره وقتله المومن متعمدا **ولعنه** يعني وطرده عن رحمته **واعد له عذابا عظيما**
اختلف العلما في حكم هذه الاية هل هي منسوخة ام لا وهل لمن قتل مومنا متعمدا توبة ام لا فروي عن سعيد
ابن جبير قال قلت لابن عباس الِمَن قتل مومنا متعمدا من توبة قال لا فتلوت عليه الاية التي في الفرقان والذين
لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق الى اخر الاية قال هذه اية مكية نسختها
اية مدنية ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم وفي رواية قال اختلف اهل الكوفة في قتل المومن فرحلت
الى ابن عباس فقال نزلت في اخر ما نزل ولم ينسخها شي وفي رواية اخرى قال ابن عباس نزلت هذه الاية بالمدينة
والذين لا يدعون مع الله الها اخر الى قوله مهانا فقال المشركون وما يغني عنا الاسلام وقد عدلنا بالله
وقد قتلنا النفس التي حرم الله واتينا الفواحش فانزل الله الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا الى اخر
الاية زاد في رواية فاما من دخل في الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له اخرجاه في الصحيحين وروي عن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه انه ناظر ابن عباس في هذه الاية فقال من اين لك انها محكمة فقال ابن عباس تكاثف
الوعيد فيها وقال ابن مسعود انها محكمة وما تزداد الا شدة وعن خارجة بن زيد قال سمعت زيد
ابن ثابت يقول انزلت هذه الاية ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم خالدا فيها بعد التي في الفرقان
والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق بستة اشهر اخرجه ابو داود
والنساي وزاد النساي في رواية له بثمانية اشهر وقال زيد بن ثابت لما نزلت الاية التي في الفرقان والذين
لا يدعون مع الله الها اخر عجبنا من لينها فلبثنا سبعة اشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة
واراد بالغليظة هذه الاية التي في سورة النسا وباللينة اية الفرقان وذهب الاكثرون من علما السلف
والخلف الى ان هذه الاية منسوخة واختلفوا في ناسخها فقال بعضهم نسختها التي في الفرقان وليس
هذا القول بالقوي لان اية الفرقان نزلت قبل اية النسا والمتقدم لا ينسخ المتاخر وذهب جمهور من
قال بالنسخ الى ان ناسخها الاية التي في النسا ايضا وهي قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشا واجاب من ذهب الى انها منسوخة عن حديث ابن عباس المتقدم المخرج في الصحيحين بان هذه
الاية خبر عن وقوع العذاب بمن فعل ذلك الامر المذكور في الاية والنسخ لا يدخل الاخبار وليس لنا الى دخول
النسخ لكن الجمع بين الايتين ممكن بحيث لا يبقى بينهما تعارض وذلك بان يحمل مطلق اية النسا على تقييد
اية الفرقان فيكون المعنى فجزاوه جهنم الا من تاب وقال بعضهم ما ورد عن ابن عباس انما هو على سبيل التشديد
والمبالغة وفي الزجر عن القتل فهو كما روي عن سفيان بن عيينة انه قال ان لم يقتل يقال له لا توبة لك وان قتل
ثم ندم وجا تايبا يقال له لك توبة وقيل انه قد روي عن ابن عباس مثله وروي عنه ايضا ان توبته تقبل وهو
قول اهل السنة ويدل عليه الكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا
ثم اهتدى وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا واما السنة فما روي عن جابر بن عبد الله قال جا اعرابي الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيا دخل الجنة ومن مات يشرك به
دخل النار اخرجه مسلم (ق) عن عبادة بن الصامت قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال بايعوني
على ان لا تشركوا بالله شيا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وفي رواية ولا تقتلوا اولادكم
ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فاجره على الله ومن اصاب شيا

من ذلك فستره الله عليه فامره الى الله ان شا عفا عنه وان شا عذبه فبايعناه على ذلك **فصل**
وقد تعلقت المعتزلة والوعيدية بهذه الاية لصحة مذهبهم على ان الفاسق يخلد في النار واجاب علما
السنة بان الاية نازلة في كافر قتل مسلما وهو مقيس بن ضبابة فتكون الاية على هذا مخصوصة وقيل الوعيد
لمن قتل مسلما مستحلا لقتله ومن استحل قتل مومن كان كافرا وهو مخلد في النار بسبب كفره وعن ابي مجلز في
قوله ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال هي جزاوه فان شا الله ان يتجاوز عن جزائه فعل اخرجه ابو
داود وقيل ان الخلود لا يقتضي التابيد بل معناه دوام الحالة التي هو عليها ويدل عليه قول العرب للايام
خوالد وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها واذا ذكر الخلود في حق الكفار قرنه بذكر التابيد كقوله
خالدين فيها ابدا فاذا قرن الخلود بهذه اللفظة علم ان المراد منه الدوام الذي لا ينقطع اذا ثبت هذا
كان معنى الخلود المذكور في الاية ان الله تعالى يعذب قاتل المومن عمدا في النار الى حيث يشا الله ثم يخرجه
منها بفضل رحمته وكرمه فانه قد ثبت في احاديث الشفاعة الصحيحة اخراج جميع الموحدين من النار وقيل ان
قاتل المومن عمدا عدوانا اذا تاب قبلت توبته بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشا ولان الكفر
اعظم من هذا القتل واذا كانت توبة الكافر من كفره مقبولة بدليل قوله تعالى قل للذين كفروا ان
ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فاذا كانت التوبة من الكفر مقبولة فلان تقبل من القاتل اولى والله اعلم قوله
تعالى **يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا** الاية قال ابن عباس نزلت في رجل من بني مرة
ابن عوف يقال له مرداس بن نهيك وكان من اهل فدك لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم تريدهم وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الليثي فهربوا منه واقام ذلك الرجل
المسلم فلما راى الخيل خاف ان لا يكونوا مسلمين فالجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد هو الجبل فلما
تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرف انهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل وهو يقول
لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه اسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا
شديدا وقد كان سبقهم الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلتموه ارادة ما معه ثم قرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم على اسامة بن زيد هذه الاية فقال اسامة يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف انت
بلا اله الا الله يقولها ثلاث مرات قال اسامة فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكررها حتى وددت
اني لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعتق رقبة وروى ابو ظبيان
عن اسامة قال قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح قال افلا شققت عن قلبه حتى تعلم اقالها
خوفا ام لا وفي رواية عن ابن عباس قال مر رجل من بني سليم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومعه غنم له فسلم عليهم فقالوا انما سلم عليكم ليتعوذ منكم فقاموا اليه فقتلوه واخذوا غنمه
فاتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل
الله يعني اذا سافرتم للجهاد فتبينوا من البيان يقال تبينت الامر اذا تاملته قبل الاقدام عليه
وقرئ فتثبتوا من التثبت وهو خلاف العجلة والمعنى فقفوا وتثبتوا حتى تعرفوا المومن من الكافر وتعرفوا
حقيقة الامر الذي تقدمون عليه **ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام** يعني التحية يعني لا تقولوا لمن حياكم بهذه
التحية انه انما قالها تعوذا فتقدموا عليه بالسيف لتاخذوا ماله ولكن كفوا عنه واقبلوا منه ما اظهره
لكم وقرئ السلم بفتح السين من غير الف ومعناه الاستسلام والانقياد اي استسلم وانقاد لكم وقال لا اله

الا الله

الا الله محمد رسول الله وقيل السلام والسلم بمعنى واحد اي لا تقولوا لمن سلم عليكم **لست مومنا** يعني لست
من اهل الايمان فتقتلوه بذلك قال العلما ان راى الغزاة في بلد او قرية او حي من العرب شعار الاسلام
يجب عليهم ان يكفوا عنهم ولا يغيروا عليهم لما روي عن عصام المزني قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا بعث جيشا او سرية يقول لهم اذا رايتم مسجدا او سمعتم موذنا فلا تقتلوا احدا اخرجه
ابو داود والترمذي وقال اكثر الفقها لو قال اليهودي او النصراني انا مومن لا يحكم باسلامه لانه يدعي
ان الذي هو عليه ايمان ولو قال لا اله الا الله محمد رسول الله فعند بعض العلما لا يحكم باسلامه
حتى يتبرى من دينه الذي كان عليه ويعترف انه دين باطل وذلك لان بعض اليهود يزعم ان محمدا رسول
الى العرب خاصة لا انه رسول الى الكافة فاذا اعترف ان محمدا رسول الله الى كافة الخلق وان الذي كان
عليه من اليهودية او النصرانية باطل صح اسلامه وحكم بصحته وقوله تعالى **يبتغون عرض الحياة الدنيا**
يعني تطلبون الغنيمة التي هي حطام من حطام الدنيا سريع النفاد والذهاب وعرض الدنيا منافعها
ومتاعها **فعند الله مغانم كثيرة** اي غنائم كثيرة من رزقه يغنمكموها يغنيكم بها عن قتل من يظهر
الاسلام ويتعوذ به وقيل معناه فعند الله ثواب كثير لمن اتقى قتل المومن **كذلك كنتم من قبل** يعني كما
كان هذا الذي القى اليكم السلام فقلتم له لست مومنا فقتلتموه كنتم انتم من قبل يعني من قبل ان يعز الله
دينه كنتم تستخفون انتم بدينكم كما استخفى هذا الذي قتلتموه بدينه من قومه حذرا على نفسه منهم وقيل
معناه كذلك كنتم تامنون في قومكم بهذه الكلمة فلا تخفروا من قالها ولا تقتلوه وقيل معناه كذلك كنتم
من قبل مشركين **فمن الله عليكم** يعني بالاسلام والهداية فلا تقتلوا من قال لا اله الا الله وقيل معناه من عليكم
باعلان الاسلام بعد الاختفا وقيل من عليكم بالتوبة **فتبينوا** اي ولا تعجلوا بقتل مومن وتثبتوا كذلك
مرتا لتبيين **ان الله كان بما تعملون خبيرا** اي فلا تتهاونوا في القتل وكونوا محترزين من ذلك محتاطين
فيه قوله عز وجل **لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر** الاية **خ** عن زيد بن ثابت قال املى علي
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستوي القاعدون من المومنين والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم
فجاه ابن ام مكتوم وهو يملها علي فقال والله يا رسول الله لو استطيع الجهاد لجاهدت وكان اعمى فانزل الله
عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت ان ترض فخذي ثم سري
عنه فانزل الله عز وجل غير اولي الضرر **ق** عن البرا بن عازب لما نزلت لا يستوي القاعدون من المومنين دعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فجا بكتف فكتبها وشكى ابن ام مكتوم ضرارته فنزلت لا يستوي القاعدون
من المومنين قال النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا فلانا فجاه ومعه الدواة واللوح والكتف فقال اكتب لا يستوي القاعدون
من المومنين **والمجاهدون في سبيل الله** وخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم فقال يا رسول
الله انا ضرير فنزلت مكانها لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله
هذه الرواية الثانية اخرجها ابن الاثير في كتابه جامع الاصول واضافها الى البخاري ومسلم ولم اجدها في كتاب
الجمع بين الصحيحين للحميدي وفي هذه الاية فضل الجهاد في سبيل الله والحث عليه فقوله تعالى لا يستوي
القاعدون من المومنين يعني لا يستوي المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله من المومنين والمجاهدون
في سبيل الله غير اولي الضرر يعني غير اولي الزمانة والضعف في البدن والبصر فانهم يساوون المجاهدين
لان العذر اقعدهم عن الجهاد **م عن** جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة رجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم

جدهم المرض خ عن انس قال رجعنا من غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اقواما خلفنا
بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا الا وهم معنا حبسهم العذر خ عن ابن عباس قال لا يستوي القاعدون
من المومنين عن بدر والخارجون اليها وقوله تعالى **فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم**
على القاعدين درجة يعني فضيلة في الاخرة قال ابن عباس اراد بالقاعدين هنا اولي الضرر فضل
الله المجاهدين على اولي الضرر درجة لان المجاهد باشر الجهاد بنفسه وماله مع النية واولوا الضرر
كانت لهم نية ولم يباشروا الجهاد فنزلوا عن المجاهدين درجة **وكلا** يعني المجاهدين والقاعدين
وعد الله الحسنى يعني الجنة بايمانهم **وفضل الله المجاهدين** يعني في سبيل الله **على القاعدين**
يعني الذين لا عذر لهم ولا ضرر **اجرا عظيما** يعني ثوابا جزيلا ثم فسر ذلك الاجر العظيم فقال تعالى **درجات**
منه قال قتادة كان يقال للاسلام درجة والهجرة في الاسلام درجة والجهاد في الهجرة درجة والقتل
في الجهاد درجة وقال ابن زيد الدرجات هي سبع وهي التي ذكرها الله تعالى في سورة براة حيث قال ذلك
بانهم لا يصيبهم ظما ولا نصب ولا مخمصة الى قوله ولا يقطعون واديا الا كتب لهم وقال ابن محيريز الدرجات
سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس الجواد المضمر سبعون سنة م عن ابي سعيد الخدري ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وجبت له الجنة فعجب
لها ابو سعيد فقال اعدها علي يا رسول الله فاعادها عليه ثم قال واخرى يرفع الله بها العبد مائة
درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السما والارض قال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل
الله الجهاد في سبيل الله خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن بالله ورسوله واقام
الصلاة واتى الزكاة وصام رمضان وحج كان حقا على الله ان يدخله الجنة جاهد في سبيل الله او جلس في ارضه
التي ولد فيها فقالوا او لا نبشر الناس بذلك فقال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين
في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السما والارض فاذا سالتم الله فاسألوه الفردوس الاعلى فانه اوسط
الجنة واعلا الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تنفجر انهار الجنة فان قلت قد ذكر الله عز وجل في الاية الاولى
درجة واحدة وذكر في هذه الاية درجات فما وجه الحكمة في ذلك قلت اما الدرجة الاولى فتفضيل
المجاهدين على القاعدين من غير ضرر ولا عذر فضلوا عليهم بدرجات كثيرة وقيل يحتمل ان يكون الدرجة
الاولى درجة المدح والتعظيم والدرجات درجات الجنة ومنازلها كما في الحديث والله اعلم قوله تعالى **ومغفرة**
يعني لذنوبهم يسترها ويصفح عنها **ورحمة** يعني رافة بهم **وكان الله غفورا** يعني لذنوب عباده المومنين **رحيما**
يعني بهم يتفضل عليهم بمغفرته ورحمته عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل قال ايما
عبد من عبادي خرج مجاهدا في سبيل الله وابتغاء مرضاتي ضمنت له ان ارجعه ارجعته بما اصاب من اجر او غنيمة
وان قبضته غفرت له ورحمته اخرجه النسائي **فصل** اعلم ان الجهاد ينقسم الى فرض عين وفرض
كفاية ففرض العين ان يدخل العدو دار قوم مومنين وبلادهم يجب على كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له
ولا ضرر به من اهل تلك البلدة الخروج الى عدوهم دفعا عن انفسهم وعن اهليهم وجيرانهم وسوا في ذلك
الحر والعبد والغني والفقير فيجب على الكافة ويتوفى حق من بعد عنهم من المسلمين فرض كفاية فان لم تقع الكفاية
بمن نزل بهم العدو فيجب مساعدتهم على من قرب منهم من المسلمين او بعد عنهم وان وقعت الكفاية بالمنزول
بهم فلا فرض على الابعدين الا على طريق الاختيار ولا يدخل في هذا الفرض اعني فرض الكفاية الفقرا والعبيد
واذا كان الكفار قارين في بلادهم فعلى الامام ان لا يخلي كل سنة من غزاة يغزوهم فيها اما بنفسه او

بسراياه

بسراياه حتى لا يبطل الجهاد والاختيار للمطيق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره ان لا يقعد عنه ولكن لا يفرض
عليه لان الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب بقوله وكلا وعد الله الحسنى ولو كان فرضا
على الكفاية لاستحق القاعدون عن الجهاد العقاب لا الثواب والله اعلم قوله تعالى **ان الذين توفاهم**
الملائكة ظالمي انفسهم الاية نزلت في اناس تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة
وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فانزل
الله هذه الاية ان الذين توفاهم الملائكة يعني ملك الموت واعوانه وهم ستة ثلاثة منهم يلون قبض
ارواح المومنين وثلاثة يلون قبض ارواح الكفار وقيل اراد به ملك الموت وحده وانما ذكره بلفظ الجمع
على سبيل التعظيم كما يخاطب الواحد بلفظ الجمع وفي التوفي ها قولان احدهما انه قبض ارواحهم والثاني
حشرهم الى النار فعلى القول الثاني يكون المراد بالملائكة الزبانية الذين يلون تعذيب الكفار ظالمي انفسهم
يعني بالشرك وقيل بالمقام في دار الشرك وذلك لان الله لم يقبل الاسلام من احد بعد هجرة النبي صلى الله
عليه وسلم حتى يهاجر اليه ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد
ونية اخرجاه في الصحيحين وقيل ظالمي انفسهم بخروجهم مع المشركين يوم بدر وتكثير سوادهم حتى قتلوا فضربت
الملائكة وجوههم وادبارهم **قالوا فيم كنتم** سؤال توبيخ وتقريع يعني قالت الملائكة لهولاء الذين قتلوا
في اي الفريقين كنتم في فريق المسلمين او فريق المشركين فاعتذروا بالضعف عن مقاومة المشركين وهو قوله تعالى
اخبارا عنهم **قالوا كنا مستضعفين** يعني عاجزين **في الارض** يعني في ارض مكة **قالوا** يعني قال لهم الملائكة **الم**
تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها يعني الى المدينة وتخرجوا من بين اظهر المشركين فاكذبهم الله في قولهم كنا
مستضعفين واعلمنا بكذبهم **فاولئك** يعني من هذه صفته **ماواهم** يعني منزلهم **جهنم وساءت مصيرا** يعني بيس
المصير مصيرهم الى جهنم ثم استثنى اهل العذر ومن علم ضعفه منهم فقال تعالى **الا المستضعفين**
من الرجال والنسا والولدان لا يستطيعون حيلة يعني لا يقدرون على حيلة ولا نفقة ولا قوة لهم على
الخروج من مكة **ولا يهتدون سبيلا** يعني ولا يعرفون طريقا يسلكونه من مكة الى المدينة **فاولئك** يعني
المستضعفين واهل الاعذار **عسى الله ان يعفو عنهم** يعني يتجاوز عنهم بفضله واحسانه وعسى من
الله واجب لانه اطماع وترج والله تعالى اذا اطمع عبدا وصله اليه **وكان الله عفوا غفورا** قال ابن عباس
كنت انا وامي ممن عذر الله يعني من المستضعفين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لهولاء
المستضعفين في الصلاة ق عن ابي هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من الركعة الثانية
قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطاتك
على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف قوله عز وجل **ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما**
كثيرا وسعة قال الزجاج المعنى مراغما مهاجرا يعني يجد في الارض مهاجرا لان المهاجر لقومه والمراغم لهم
بمنزلة واحدة وان اختلف اللفظان وهو ماخوذ من الرغام وهو التراب يقال رغم انفه اذا لصق
بالتراب وذلك لان الانف عضو شريف والتراب ذليل حقير فجعلوا قولهم رغم انفه كناية عن حصول
الذلة ويقال راغمت فلانا بمعنى هجرته وعاديته ولم ابال ان رغم انفه ويقوي ذلك قول بعض اهل اللغة
من الخروج عن بلاد العدو برغم انفه وقيل معناه ان الرجل اذا هاجر عن قومه خرج من اعمالهم اي مغاضبا
لهم ومقاطعا وقال الفرا المراغم المضطرب والمذهب في الارض وانشد الزجاج في المعنى

الى بلد غير داني المحل ٭ بعيد المراغم والمضطرب

فعلى هذا يكون معنى الاية مذهبا يذهب اليه اذا راى ما يكرهه هذا قول اهل اللغة في معنى المراغمة
وقال ابن عباس يجد متحولا يتحول اليه من ارض الى ارض وقال مجاهد يجد متزحزحا عما يكره وقيل يجد متقلبا
ينقلب اليه وقيل المراغمة والمهاجرة واحد يقال راغمت قومي اي هاجرتهم وسميت المهاجرة مراغمة لانه
يهاجر قومه برغمهم وقوله وسعة يعني في الرزق وقيل يجد سعة من الضلالة الى الهدى وقيل يجد سعة
في الارض التي يهاجر اليها قال ابن عباس لما نزلت الاية التي قبل هذه سمعها رجل من بني ليث شيخ كبير
مريض يقال له جندع بن ضمرة فقال والله ما انا ممن استثنى الله عز وجل واني لاجد حيلة ولي من المال
ما يبلغني الى المدينة وابعد منها والله لا ابيت الليلة بمكة اخرجوني فخرجوا به يحملونه على سرير حتى اتوا به
التنعيم فادركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على
ما بايعك رسولك ثم مات فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وافى المدينة لكان
اتم واوفى اجرا وضحك المشركون وقالوا ما ادرك ما طلب فانزل الله عز وجل ومن يخرج من بيته
مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت يعني قبل بلوغه الى مهاجره فقد وقع اجره على الله يعني
فقد وجب اجر هجرته على الله بايجابه على نفسه بحكم الوعد والتفضل والكرم لا وجوب استحقاق
وحتم قال بعض العلماء ويدخل في حكم الاية من قصد فعل طاعة من الطاعات ثم عجز عن اتمامها كتب
الله له ثواب تلك الطاعة كاملا وقال بعضهم انما يكتب له اجر ذلك القدر الذي عمل واتى به
اما تمام الاجر فلا والقول الاول الاصح لان الاية انما نزلت في معرض الترغيب في الهجرة وان من قصدها
ولم يبلغها بل مات دونها فقد حصل له ثواب الهجرة كاملا فكذلك كل من قصد فعل طاعة ولم يقدر على
اتمامها كتب له ثوابها كاملا وكان الله غفورا رحيما يعني ويغفر الله له ما كان منه من القعود قبل
الهجرة الى ان خرج مهاجرا قوله عز وجل واذا ضربتم في الارض يعني اذا سافرتم فيها فليس عليكم جناح اي حرج
واثم ان تقصروا من الصلاة يعني من اربع ركعات الى ركعتين وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء واصل
القصر في اللغة التضييق وقيل هو ضم الشيء الى اصله وفسر ابن الجوزي القصر بالنقص ولم اره لاحد من اهل التفسير
واللغة وقيل معنى قصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض ركعاتها او بعض اركانها ترخيصا ولهذا
السبب ذكروا في تفسير قصر الصلاة المذكورة في الاية قولين احدهما ان في عدد الركعات وهو رد الصلاة
الرباعية الى ركعتين والقول الثاني ان المراد من القصر ادخال التخفيف في ادائها وهو ان يكتفي بالايما
والاشارة عن الركوع والسجود والقول الاول اصح ويدل عليه لفظة من في قوله ان تقصروا من الصلاة
ولفظة من هنا للتبعيض وذلك يوجب جواز الاقتصار على بعض الصلاة فثبت بهذا ان تفسير
القصر باسقاط بعض ركعات الصلاة اولى ان خفتم ان يفتنكم يعني يغتالكم ويقتلكم في
الصلاة الذين كفروا ذهب داود الظاهري الى ان جواز القصر مخصوص بحال الخوف واستدل على صحة
مذهبه بقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ولان عدم الشرط يقتضي عدم المشروط فعلى هذا
لا يجوز القصر عند الامن ولا يجوز رفع هذا الشرط بخبر الاحاد لانه يقتضي نسخ القران بخبر الواحد
وذهب جمهور اهل العلم الى ان القصر في حال الامن في السفر جائز ويدل عليه ما روي عن يعلى بن امية
قال قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فقد
امن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق
الله بها عليكم فاقبلوا صدقته اخرجه مسلم وعن عبد الله بن خالد بن اسيد انه قال لابن عمر كيف تقصروا

الصلاة وانما قال الله عز وجل ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا
فقال ابن عمر يا ابن اخي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا ونحن ضلال فعلمنا فكان فيما علمنا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم امرنا ان نصلي ركعتين في السفر اخرجه النسائي وعن ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة الى مكة لا يخاف الا رب العالمين فصلى ركعتين اخرجه الترمذي والنسائي
واجاب الجمهور عن قوله تعالى ان خفتم ان كلمة ان تفيد حصول الشرط ولا يلزم ان عند عدم الشرط يلزم
عدم المشروط فقوله تعالى ان خفتم يقتضي ان عند عدم الخوف لا تحصل رخصة القصر واذا كان كذلك
كانت الاية ساكتة عن حال الامن فاثبات الرخصة حال الامن بخبر الواحد يكون اثباتا لحكم سكت
عنه القران وذلك غير ممتنع انما الممتنع اثبات الحكم بخبر الواحد على خلاف ما دل عليه القران فان قلت
اذا كان هذا الحكم ثابتا في حال الامن والخوف فما فائدة تقييده بحال الخوف قلت انما نزلت الاية على
غالب اسفار النبي صلى الله عليه وسلم واكثرها لم تخل عن خوف العدو وقد ذكر الله عز وجل هذا الشرط
من حيث انه هو الاغلب في الوقوع وقوله تعالى ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا اي ظاهروا العداوة
فعلى هذا رخصت لكم في قصر الصلاة لئلا يجدوا الى قتلكم واغتيالكم سبيلا وانما قال عدوا ولم يقل
اعداء لانه يستوي فيه الواحد والجمع **فصل** في احكام تتعلق بالاية وفيه مسائل المسألة
الاولى في حكم القصر قصر الصلاة في حالة السفر جائز باجماع الامة وانما اختلفوا في جواز الاتمام في حال
السفر فذهب اكثر العلماء الى ان القصر واجب في السفر وهو قول عمر وعلي وابن عمر وجابر وابن عباس وبه قال
الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وابي حنيفة ويدل على ذلك ما روي عن عايشة
قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم اتمها في الحضر واقرت صلاة السفر على الفريضة الاولى
وفي رواية اخرى قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فاقرت صلاة السفر
وزيد في صلاة الحضر اخرجاه في الصحيحين وذهب قوم الى جواز الاتمام في السفر ولكن القصر افضل
يروى ذلك عن عثمان وسعد بن ابي وقاص واليه ذهب الشافعي واحمد وهي رواية عن مالك ايضا
ويدل على ذلك ما روى البغوي بسنده الى الشافعي عن عايشة قالت كل ذلك قد فعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم قصر واتم وعن عايشة انها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى
اذا قدمت مكة قالت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وافطرت وصمت قال احسنت
يا عايشة وما عاب علي اخرجه النسائي فظاهر القران يدل على ذلك لان الله تعالى قال فليس عليكم
جناح ان تقصروا من الصلاة ولفظة لا جناح انما تستعمل في الرخصة لا فيما يكون حتما واجيب عن
حديث عايشة فرض الله الصلاة ركعتين على سبيل الحتم بان معناه فرضت ركعتين اولا وزيد
في صلاة الحضر ركعتان على سبيل الحتم واقرت صلاة السفر على جواز الاقتصار عليهما وثبت جواز
الاتمام بدليل اخر فوجب المصير اليه ليمكن الجمع بين الاحاديث ودلايل الشرع المسألة الثانية اختلف
في صلاة المسافر اذا صلى ركعتين ركعتين هل هي مقصورة ام غير مقصورة فذهب قوم الى انها غير
مقصورة وانما فرض صلاة المسافر ركعتان تمام غير قصر يروى ذلك عن ابن عمر وجابر بن عبد الله واليه
ذهب سعيد بن جبير والسدي وابو حنيفة فعلى هذا يكون معنى القصر المذكور في الاية هو تخفيف ركوعها
وسجودها وقد تقدم الجواب عنه وذهب قوم الى انها مقصورة وليست باصل وهو قول مجاهد وطاوس
واليه ذهب الشافعي واحمد المسألة الثالثة مذهب الشافعي ومالك واحمد والجمهور انه يجوز القصر في كل

سفر مباح وشرط بعضهم كونه سفر حج او عمرة او جهاد او سفر طاعة ولا يجوز القصر في سفر المعصية وقال
ابو حنيفة والثوري يجوز ذلك المسئلة الرابعة اختلف العلماء في مسافة القصر فقال داود واهل
الظاهر يجوز القصر في قصير السفر وطويله ويروى ذلك عن انس ايضا وقال عمرو بن دينار قال لي جابر
ابن زيد اقصر بعرفة واما عامة اهل العلم فانهم لا يجوزون القصر في السفر القصير واختلفوا في حد
الطويل الذي يجوز فيه القصر فقال الاوزاعي مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران
في مسيرة اربعة برد وهي ستة عشر فرسخا والى هذا ذهب مالك واحمد واسحق وقول الحسن والزهري
قريب من ذلك فانهما قالا مسيرة يومين والى هذا ذهب الشافعي فقال مسيرة ليلتين قاصدتين ستة
عشر فرسخا كل فرسخ ثلاثة اميال فيكون ثمانية واربعين ميلا بالهاشمي والميل ستة الاف ذراع والذراع
اربع وعشرون اصبعا معترضة معتدلة والاصبع ست شعيرات معترضات معتدلات وقال الثوري
وابو حنيفة واهل الكوفة لا قصر في اقل من ثلاثة ايام **فصل** وقيل في قوله تعالى ان خفتم
ان يفتنكم الذين كفروا كلام متصل بما بعده منفصل عما قبله تقديره وان خفتم روي عن ابي ايوب الانصاري
انه قال نزل قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة هذا القدر ثم بعد حول سألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن صلاة الخوف فنزل ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا
واذا كنت فيهم الاية ومثل هذا في القرآن كثير يجيء الخبر بتمامه ثم ينسق عليه خبر آخر وهو في الظاهر كالمتصل
به وهو منفصل عنه قوله عز وجل **واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة** الاية روي عن ابن عباس وجابر
ان المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا الى الظهر يصلون جميعا ندموا ان لا
كانوا اكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلاة هي احب اليهم من ابائهم وابنائهم
يعني صلاة العصر فاذا قاموا اليها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبريل فقال يا محمد انها صلاة الخوف
وان الله عز وجل يقول واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فعلمه صلاة الخوف وروي عن ابي عياش الزرقي
في سبب نزول هذه الاية قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد
فصلينا الظهر فقال المشركون لقد اصبنا غرة وفي رواية غفلة لو حملنا عليهم وهم في الصلاة فنزلت الاية
بين الظهر والعصر قوله تعالى واذا كنت فيهم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واذا كنت يا محمد في
اصحابك وشهدت معهم القتال فاقمت لهم الصلاة **فلتقم طائفة منهم معك** يعني اذا حل وقت الصلاة
واقمتها لاصحابك فاجعلهم فرقتين فلتقف فرقة منهم معك فتصلي بهم **وليأخذوا اسلحتهم** اختلفوا
في هؤلاء الذين امرهم الله باخذ السلاح فقيل اراد بهم الذين قاموا معه الى الصلاة فانهم يأخذون اسلحتهم
في الصلاة فعلى هذا القول انما يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة ولا يؤذي به من الى جنبه
كالسيف والخنجر وذلك لانه اقرب الى الاحتياط وامنع للعدو من الاقدام عليهم فان كان السلاح يشغل
بحركته وثقله عن الصلاة كالترس الكبير او يؤذي من الى جنبه كالرمح فلا يأخذه وقيل اراد بهم الطائفة
الذين هم في وجه العدو فانهم يأخذون اسلحتهم للحراسة وقيل يحتمل ان يكون امرا للفريقين بحمل السلاح
لان ذلك اقرب الى الاحتياط **فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم** يعني صلوا الذين معك وفرغوا من
الصلاة فليكونوا من ورائكم يعني فلينصرفوا الى المكان الذين هم في وجه العدو للحراسة **ولتأت طائفة**
اخرى لم يصلوا يعني ولتأت الطائفة التي كانت في وجه العدو **فليصلوا معك** يعني يصلوا معك الركعة
الثانية التي بقيت عليك ويتموا بقية صلاتهم **وليأخذوا حذرهم واسلحتهم** يعني انه تعالى جعل الحذر وهو

التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي في دفع العدو فلذلك جعله ماخوذا مع السلاح فان قلت لم ذكر في
اول الاية الاسلحة فقط وذكر هنا الحذر والاسلحة قلت لان العدو قلما يتنبه للمسلمين في اول الصلاة
بل يظنون كونهم قائمين في المحاربة والمقاتلة فاذا قاموا الى الركعة الثانية ظهر للكفار ان المسلمين في
الصلاة فحينئذ ينتهزون الفرصة في الاقدام على المسلمين فلا جرم ان الله تعالى امرهم في هذا الموضع
بزيادة الحذر من الكفار مع اخذ الاسلحة **ود الذين كفروا** يعني تمنى الكفار **لو تغفلون** يعني لو وجدوكم
غافلين **عن اسلحتكم وامتعتكم** يعني حوائجكم التي بها بلاغكم في اسفاركم فتسهون عنها **فيميلون**
عليكم ميلة واحدة يعني فيقصدونكم ويحملون عليكم حملة واحدة وانتم مشغولون بصلاتكم عن اسلحتكم
وامتعتكم فيصيبون منكم غرة فيقتلونكم **فصل** في احكام تتعلق بالاية وصفة صلاة الخوف
وفيه مسائل المسئلة الاولى قال ابو يوسف والحسن بن زياد من اصحاب ابي حنيفة صلاة الخوف كانت
خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لغيره بعده فعلها وقال المزني من اصحاب الشافعي كانت
ثابتة ثم نسخت واحتجوا لصحة هذا القول بان الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بها فقال
تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة وظاهر هذا يدل على ان اقامة الصلاة مشروطة بكون النبي
صلى الله عليه وسلم فيهم فدل على تخصيصه بها ولان كلمة اذا تفيد الشرط وذهب جمهور الفقهاء الى ان
هذا الحكم لما ثبت في حق النبي صلى الله عليه وسلم بحكم هذه الاية وجب ان يثبت في حق غيره من امته لقوله
تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم صلوا كما رأيتموني اصلي ولان ذلك لاجماع الصحابة على فعلها
وقد روي عن علي بن ابي طالب انه صلى صلاة الخوف باصحابه ليلة الهرير وكذلك ابو موسى صلى باصحابه
صلاة الخوف وكذلك حذيفة بن اليمان صلاها باصحابه بطبرستان وليس لهؤلاء مخالف في الصحابة
واجيب عن قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة بان هذا وان كان قد خوطب به النبي صلى
الله عليه وسلم فان سائر امته داخلون في هذا الحكم فهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء الا ان يرد
نص بتخصيصه صلى الله عليه وسلم بحكم دون امته كقوله تعالى خالصة لك ونظيره قوله واذا كنت
فيهم خذ من اموالهم صدقة فاذا كان هو المخاطب بها وقد ثبت حكم اخذ الزكاة لمن بعده من الائمة
كان كذلك قوله واذا كنت فيهم واجيب عن لفظة اذا بان مقتضاه الثبوت عند الثبوت واما العدم
عند العدم فغير مسلم المسئلة الثانية قال الخطابي صلاة الخوف انواع صلاها النبي صلى الله عليه وسلم
في ايام مختلفة واشكال متباينة يتحرى في ذلك كله ما هو الاحوط للصلاة والابلغ في الحراسة فهي مع اختلاف
صورها متفقة المعنى فمن انواع صلاة الخوف ما اذا كان العدو في غير جهة القبلة فرق الامام اصحابه
فرقتين فتقف طائفة وجاه العدو وتحرس ويصلي بالطائفة الاخرى ركعة فاذا قام الى الثانية اتموا
لانفسهم وذهبوا الى وجاه العدو فتحرس وتأتي الطائفة الثانية التي كانت تحرس فيصلي بهم الركعة الثانية
ويثبت جالسا في التشهد حتى يتموا لانفسهم الصلاة ثم يسلم بهم ويدل على ذلك ما روي عن يزيد بن
رومان عن صالح بن خوات عمن صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف ان
طائفة صفت معه وطائفة وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائما واتموا لانفسهم ثم انصرفوا
وجاه العدو وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا فاتموا
لانفسهم ثم سلم بهم اخرجاه في الصحيحين الذي صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم هو سهل بن ابي حثمة وقد
اخرجاه من رواية اخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى باصحابه وذكر نحوه وهذا هو مختار الشافعي

لانه اشد موافقة لظاهر القرآن واحوط للصلاة وابلغ في حراسة العدو واما كونه اشد موافقة لظاهر
القرآن فان قوله ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وهذا يدل على ان الطائفة الاولى قد
صلت وقوله فليصلوا معك ظاهره يدل على ان جميع صلاة الطائفة الثانية حصلت مع الامام وكونها
احوط لامر الصلاة من حيث انه لا يكثر فيها العمل من المجئ والذهاب وكونها احوط لامر الحرب والحراسة
من حيث انه اذا لم يكونوا في الصلاة كان امكن للحراسة وللكر والهرب ان احتاجوا اليه وذهب قوم الى
ان الطائفة تصلي مع الامام ركعة ثم تذهب الى وجه العدو وتحرس وهم على صلاتهم ثم تاتي الطائفة
الثانية فتصلي مع الامام الركعة الثانية ويسلم الامام ولا يسلمون بل يذهبون الى وجه العدو
وترجع الطائفة الاولى الى موضع الامام فتقضي بقية صلاتها ثم تذهب ثم تاتي الطائفة الثانية الى موضع
الامام فتقضي بقية صلاتها يروى عن ابن مسعود وهو مذهب ابي حنيفة ويدل على ذلك ما روي عن
ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف قال فكبر فصلى خلفه طائفة منا وطائفة مواجهة
العدو فركع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا ولم يسلموا واقبلوا على
العدو فصفوا مكانهم وجاءت الطائفة الاخرى فصفوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعة
وسجدتين ثم سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم ركعتين واربع سجدات ثم قامت الطائفتان
فصلى كل انسان منهم لنفسه ركعة وسجدتين اخرجه النسائي قال ابو بكر السني سمع الزهري من ابن عمر ولم
يسمع هذا منه والذي اخرجاه في الصحيحين عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف
باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا واقاموا في مقام اصحابهم مقبلين
على العدو وجاء اولئك فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة وفي
رواية اخرى قال صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف في بعض ايامه فقامت طائفة معه وطائفة بازاء العدو
فصلى بالذين معه ركعة وجاء الآخرون فصلى بهم ركعة وقضت الطائفتان ركعة ركعة وبهذه الرواية
المخرجة في الصحيحين اخذ الاوزاعي واشهب المالكي وهو جائز عند الشافعي ايضا ثم قيل ان الطائفتين
قضوا ركعتهم الباقية معا وقيل متفرقين وهو الصحيح والفرق بين الروايتين ان الطائفة الاولى ادركت
اول الصلاة وهم في حكم من خلف الامام واما الطائفة الثانية فلم تدرك اول الصلاة والمسبوق فيما
يقضي كالمنفرد في حكم صلاته المسئلة الثالثة فيما اذا كان العدو في ناحية القبلة وصورة هذه الصلاة
ما روي عن جابر بن عبد الله قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فصففنا صفين
خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم
ركع وركعنا جميعا ثم رفع راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه وقام الصف
المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود وقام الصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر
بالسجود وقاموا ثم تقدم الصف المؤخر وتاخر الصف المقدم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا
ثم رفع راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخرا في الركعة الاولى فقام الصف
المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود
فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا قال جابر كما يصنع حرسكم هؤلاء بامرائهم اخرجه مسلم
بتمامه واخرج البخاري طرفا منه انه صلى صلاة الخوف مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة السابعة غزوة ذات
الرقاع وبهذا الحديث اخذ الشافعي ومن وافقه فيما اذا كان العدو في جهة القبلة المسئلة الرابعة اذا

صلى رسول الله صح

اشتد

اشتد الحرب والتحم القتال صلوا رجالا وركبانا يومئون بالركوع والسجود الى اي جهة كانت هذا مذهب
الشافعي ومذهب ابي حنيفة انهم لا يصلون في هذه الحالة فاذا امنوا قضوا ما فاتهم من الصلاة ولصلاة
الخوف صور اخرى مذكورة في كتب الفقه وليس هذا موضعها وقوله تعالى **ولا جناح عليكم** اي ولا اثم ولا حرج
عليكم **ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم** قال ابن عباس رخص الله لهم في وضع السلاح
في حال المطر وحال المرض لان السلاح يثقل حمله في هاتين الحالتين **وخذوا حذركم** يعني راقبوا عدوكم ولا
تغفلوا عنه امرهم الله بالتحفظ والتحرز والاحتياط لئلا يجترئ العدو عليهم قال ابن عباس نزلت في النبي
صلى الله عليه وسلم وذلك انه غزا بني محارب وبني انمار فنزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع الناس السلاح
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة حتى قطع الوادي والسماء ترش بالمطر فسال الوادي فحال السيل
بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اصحابه فجلس تحت شجرة فبصر به غورث بن الحارث المحاربي
فقال قتلني الله ان لم اقتله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
وهو قائم على راسه وقد سل السيف من غمده وقال يا محمد من يمنعك مني الان قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الله ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت فاهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم به فاكب لوجهه من زلخة زلخها وبدر السيف من يده فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ
السيف ثم قال يا غورث من يمنعك مني الان قال لا احد فقال اتشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده
ورسوله قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيفه فقال غورث لانت خير مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجل انا احق بذلك منك فرجع غورث الى
اصحابه فقالوا له ويلك يا غورث ما منعك منه فقال والله لقد اهويت اليه بالسيف لاضربه به فوالله
ما ادري من زلخني بين كتفي الوادي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي الى اصحابه واخبرهم الخبر
وقرا هذه الاية ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى قال ابن عباس كان عبد الرحمن بن عوف
جريحا ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم يعني من عدوكم **ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا** يعني يهانون
فيه قوله عز وجل **فاذا قضيتم الصلاة** يعني فاذا فرغتم من صلاة الخوف **فاذكروا الله** يعني بالتسبيح والتحميد
والتهليل والتكبير واثنوا على الله في جميع احوالكم **قياما وقعودا وعلى جنوبكم** فان ما انتم عليه من خطر بالمواظبة
على ذكر الله عز وجل والتضرع اليه عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه
وقيل المراد بالذكر الصلاة يعني فصلوا لله قياما يعني في حال الصحة وقعودا في حال المرض وعلى جنوبكم يعني
في حال الزمانة والجراح **فاذا اطمأننتم** يعني فاذا امنتم وسكنت قلوبكم واصل الطمانينة سكون القلب **فاقيموا
الصلاة** يعني فاتموها اربعا فعلى هذا يكون المراد بالطمانينة ترك السفر والمعنى فاذا صرتم مقيمين في اوطانكم
فاقيموا الصلاة تامة اربعا من غير قصر وقيل معناه فاتموا الصلاة باتمام ركوعها وسجودها فعلى هذا
يكون المراد بالطمانينة سكون القلب عن الاضطراب والامن بعد الخوف **ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا
موقوتا** يعني فرضا موقتا والكتاب هنا بمعنى المكتوب يعني مكتوبة موقتة في اوقات محدودة فلا يجوز اخراجها
عن اوقاتها على اي حال كان من خوف او امن وقيل معناه فرضا واجبا مقدرا في الحضر اربع ركعات وفي السفر
ركعتين قوله تعالى **ولا تهنوا في ابتغاء القوم** سبب نزول هذه الاية ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا يوم احد
بعث النبي صلى الله عليه وسلم في اثارهم فشكوا من الم الجراحات فقال الله تعالى ولا تهنوا يعني ولا تضعفوا ولا
تتوانوا في ابتغاء القوم يعني في طلب ابي سفيان واصحابه ثم اورد عليهم الحجة في ذلك والزمهم بها فقال تعالى

ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون يعني ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم وليس ما تكابدون
من الوجع والم الجراح مختصا بكم بل هم كذلك فاذا لم يكن الالم مانعا لهم عن قتالكم فكيف يكون مانعا لكم
وكيف لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى بالصبر منهم لانكم تقرون بالحشر والنشر والثواب والعقاب والمشركون
لا يقرون بذلك كله فانتم ايها المومنون اولى بالجهاد منهم وتشوقه تعالى **وترجون من الله ما لا يرجون**
يعني وتاملون من الله من الثواب في الاخرة ما لا يرجون وقيل ترجون النصر والظفر في الدنيا واظهار
دينكم على الاديان كلها **وكان الله عليما حكيما** يعني انه تعالى لا يامركم بشيء الا وهو يعلم انه مصلحتكم
قوله عز وجل **انا انزلنا اليك الكتاب بالحق** قال ابن عباس نزلت هذه الاية في رجل من الانصار يقال
له طعمة بن ابيرق من بني ظفر بن الحارث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع
في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى داره ثم خباها عند رجل من اليهود
يقال له زيد السمين فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما اخذها وما له بها من علم فقال اصحاب
الدرع لقد راينا اثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا اثر الدقيق الى منزل اليهودي فاخذوه
منه فقال اليهودي دفعها الي طعمة بن ابيرق زاد في الكشاف وشهد له جماعة من اليهود قال البغوي وجا
بنوا ظفر قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالوه ان يجادل عن صاحبهم طعمة فهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يعاقب اليهودي وان يقطع يده فانزل الله هذه الاية وقيل ان زيد
السمين اودع الدرع عند طعمة فجحده طعمة فانزل الله هذه الاية انا انزلنا اليك يعني يا محمد
الكتاب يعني القران بالحق يعني بالصدق وبالامر والنهي والفصل **لتحكم بين الناس بما اراك الله**
يعني بما علمك الله واوحى اليك وانما سمي العلم اليقيني روية لانه جرى مجرى الروية في قوة الظهور
روي عن عمر انه قال لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه صلى الله عليه
وسلم ولكن ليجتهد رايه لان الراي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لان الله تعالى كان يريه
اياه وان راي احدنا يكون ظنا ولا يكون علما قال المحققون دلت هذه الاية ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما كان يحكم الا بالوحي الالهي والنص المنزل عليه **ولا تكن** يعني يا محمد **للخائنين خصيما** يعني ولا
تكن لاجل الخائنين وهم قوم طعمة تخاصم عنهم وتجادل عن طعمة مدافعا عنه ومعينا له **واستغفر
الله** يعني مما هممت به من معاقبة اليهودي وقيل من جدالك عن طعمة **ان الله كان غفورا** يعني لذنوب
عباده يسترها عليهم ويغفرها لهم **رحيما** يعني بعباده المومنين **فصل** وقد تمسك بهذه
الاية من يرى جواز صدور الذنب من الانبيا وقالوا لو لم يقع من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب لما
امر بالاستغفار والجواب عما تمسكوا من وجوه احدها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل المنهي
عنه في قوله ولا تكن للخائنين خصيما ولم يخاصم عن طعمة لما سال له قوم طعمة ان يذب عنه وان يلحق
السرقة باليهودي فتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وانتظر ما ياتيه من الوحي السماوي
والامر الالهي فنزلت هذه الاية واعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان طعمة كذاب وان اليهودي
بري من السرقة وانما مال صلى الله عليه وسلم الى نصرة طعمة وهم بذلك بسبب انه في الظاهر من المسلمين
فامره الله بالاستغفار لهذا العذر الوجه الثاني ان قوم طعمة لما شهدوا عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم ببراة طعمة من السرقة ولم يظهر في الحال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوجب
القدح في شهادتهم هم بان يقضي على اليهودي بالسرقة فلما اطلعه الله على كذب قوم طعمة عرف انه

لو وقع ذلك الامر لكان خطا في نفسه فامره الله بالاستغفار منه وان كان معذورا الوجه الثالث يحتمل ان الله
تعالى امره بالاستغفار لقوم طعمة لذبهم عن طعمة فان استغفاره صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون لذنب
قد سبق قبل النبوة وان يكون لذنوب امته الوجه الرابع ان درجة النبي صلى الله عليه وسلم اعلى الدرجات
ومنصبه اشرف المناصب فلعلو درجته وشرف منصبه وكمال معرفته بالله عز وجل فما يقع منه على وجه التاويل
او السهو او امر من امور الدنيا فانه ذنب بالنسبة الى منصبه صلى الله عليه وسلم كما قيل حسنات الابرار سيات
المقربين وذلك بالنسبة الى منازلهم ودرجاتهم والله اعلم قوله تعالى **ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم**
يعني ولا تجادل يا محمد عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة وهم طعمة ومن عاونه وذب عنه من قومه وانما سماهم
خائنين لان من اقدم على ذنب فقد خان نفسه لانه اوقعها في العذاب وحرمها من الثواب ولهذا قيل لمن
ظلم غيره انما ظلم نفسه وقيل المراد بهذا الجمع كل من خان خيانة فلا تخاصم لخائن ولا تجادل عنه **ان الله
لا يحب من كان خوانا اثيما** يعني خوانا بسرقة الدرع اثيما برميه اليهودي وهو بري وانما قال تعالى خوانا
اثيما على المبالغة لان الله تعالى علم من طعمة الافراط في الخيانة وركوب المآثم ويدل على ذلك انه لما نزل
في القران لحق بمكة مرتدا عن دينه ثم عدا على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته فسقط عليه حجر من الحائط
فلما اصبحوا اخرجوه من مكة فلقي ركبا فعرض لهم وقال ابن سبيل ومنقطع به فحملوه حتى اذا جن عليه الليل
عدا عليهم فسرقهم ثم انطلق فركبوا في طلبه فادركوه فرموه بالحجارة حتى مات ومن كانت هذه حاله كان كثير
الخيانة والاثم فلذلك وصفه الله تعالى بالمبالغة في الخيانة والاثم قال بعضهم اذا عثرت من رجل على سيئة
فاعلم ان لها اخوات ويروى عن عمر انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها
فاعف عنه يا امير المومنين فقال كذبت ان الله لا يواخذ عبده في اول مرة قوله عز وجل **يستخفون
من الناس** يعني يستترون حيا من الناس يريد بذلك بني ظفر بن الحارث وهم طعمة بن ابيرق **ولا يستخفون
من الله** يعني ولا يستترون من الله ولا يستحيون منه واصل الاستخفاء الاستتار وانما فسر الاستخفاء بالاستحيا
على المعنى لان الاستحيا من الناس يوجب الاستتار منهم **وهو معهم** يعني والله معهم بالعلم والقدرة لا يخفى
عليه شي من حالهم لانه تعالى لا يخفى عليه خافية وكفى بذلك زجرا للانسان عن ارتكاب الذنوب **اذ يبيتون
ما لا يرضى من القول** يعني يضمرون ويقدرون ويزورون في اذهانهم واصل التبييت تدبير الفعل بالليل
وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامر الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه يسمع قول طعمة ويقبل يمينه
لانه مسلم ولا يسمع قول اليهودي لانه كافر فلم يرض الله تعالى بذلك منهم فاطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على
سرهم وما هموا به **وكان الله بما يعملون محيطا** يعني انه تعالى لا يخفى عليه شي من اسرار عباده وهو مطلع عليهم
ومحيط بهم لا يخفى عليه خافية **ها انتم هولا** ها للتنبيه يعني يا هولا الذين هو خطاب لقوم من المومنين
كانوا يذبون عن طعمة وعن قومه **جادلتم عنهم** يعني خاصمتم عنهم بسبب انهم كانوا يرونهم في الظاهر مسلمين واصل
الجدال شدة الفتل لان كل واحد من الخصمين يريد ان يفتل صاحبه عما هو عليه والمعنى هبوا انكم خاصمتم
وجادلتم عن طعمة عن قومه **في الحياة الدنيا** وقيل هو خطاب لقوم طعمة وفي قراة ابن مسعود جادلتم
عنه والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة في الحياة الدنيا **فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة** يعني اذا اخذه
بعذابه فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع **ام من يكون عليهم وكيلا** يعني حافظا ومحاميا عنهم من باس
الله اذا انزله به قوله تعالى **ومن يعمل سوا او يظلم نفسه** نزلت هذه الاية في ترغيب طعمة في التوبة
وعرضها عليه وقيل نزلت في قومه الذين جادلوا عنه وقيل هي عامة في كل مسي ومذنب لان خصوص السبب

لا يمنع من اطلاق الحكم ومعنى الاية ومن يعمل سوءا يسوء به غيره كما فعل طعمة بالسرقة من قتادة واما
خص ما يتعدى الى الغير باسم السوء لان ذلك يكون في الاكثر ايصالا للضرر الى الغير او يظلم نفسه يعني فيما
يختص به من الحلف الكاذب ونحو ذلك وقيل معناه ومن يعمل سوءا اي قبيحا او يظلم نفسه برميه البريء
وقيل السوء كلما يأثم به الانسان والظلم هو الشرك فما دونه **ثم يستغفر الله** يعني من ذنوبه **يجد الله غفورا**
رحيما ففي هذه الاية دليل على حكمين احدهما ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب الكبائر والصغائر
لان قوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه عم الكل والحكم الثاني ان ظاهر الاية يقتضي ان مجرد الاستغفار
كاف وقال بعضهم انه مقيد بالتوبة لانه لا ينفع الاستغفار مع الاصرار على الذنوب **ومن يكسب اثما** يعني
ومن يعمل ذنبا يأثم به **فانما يكسبه على نفسه** يعني انما يعود وباله عليه والكسب عبارة
عما يفيد جر منفعة او دفع مضرة فلانه تعالى يعود يا ايها الانسان ان الذنب الذي ارتكبته انما عادت
مضرته عليك فاني منزه عن الضر والنفع فاكثر من الاستغفار ولا تيأس من قبول التوبة فاني لغفار لمن تاب
وهذه الاية نزلت في طعمة ايضا **وكان الله عليما** يعني بسارق الدرع **حكيما** يعني ان حكم عليه بالقطع
وقيل معناه عليما بما في قلب عبده عند اقدامه على التوبة حكيما يقتضي حكمته ان يتجاوز عن التائب
ويغفر له ويقبل توبته **ومن يكسب خطيئة او اثما** قيل ان الخطيئة هي الصغيرة من الذنوب والاثم هو
الكبيرة وقيل الخطيئة هي الذنب المختص بفاعله والاثم الذنب المتعدي الى الغير وقيل الخطيئة هي سرقة
الدرع والاثم هو يمينه الكاذبة **ثم يرم به بريئا** يعني ثم يقذف بما جناه بريئا منه وهو نسبة السرقة الى
اليهودي ولم يسرق فان قلت الخطيئة والاثم اثنان فكيف وحد الضمير في قوله ثم يرم به قلت معناه ثم
يرم باحد هذين المذكورين بريئا او قيل معناه ثم يرم بهما فاكتفى باحدهما عن الآخر وقيل انه يعود الضمير
الى الاثم وحده لانه اقرب مذكور وقيل ان الضمير يعود الى الكسب ومعناه ثم يرم بما كسب بريئا **فقد احتمل**
بهتانا البهتان من البهت وهو الكذب الذي يتحير في عظمه **واثما مبينا** يعني ذنبا بينا لانه بكسبه الاثم
آثم وبرميه البريء باهت فقد جمع بين الامرين قوله عز وجل **ولولا فضل الله عليك ورحمته** وهذه
الاية متعلقة بقصة طعمة بن ابيرق وقومه حيث لبسوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم امر صاحبهم
فقوله تعالى ولولا فضل الله عليك ورحمته يعني يا محمد بالنبوة ورحمته يعني بالعصمة وما اوحي اليك
من الاطلاع على اسرارهم فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم **لهمت طائفة منهم** يعني من بني ظفر وهم قوم
طعمة **ان يضلوك** يعني عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل وقيل معناه يخطئوك في الحكم ويلبسوا عليك
الامر حتى تدفع عن طعمة وذلك لان قوم طعمة عرفوا انه سارق ثم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ان
يدفع عنه ويبرئه عن السرقة ويرم بها اليهودي **وما يضلون الا انفسهم** يعني ان وبال ذلك يرجع عليهم
بسبب تعاونهم على الاثم وشهادتهم انه بريء فهم لما اقدموا على ذلك رجع وباله عليهم **وما يضرونك من شيء**
يعني انهم وان سعوا في التلبيس عليك في الباطن فانت ما وقعت فيه لانك بنيت الامر على ظاهر الحال وما خطر ببالك
ان الامر على خلاف ذلك وقيل معناه وما يضرونك من شيء في المستقبل فوعده الله ادامة العصمة وانه لا يضره
احد **وانزل الله عليك الكتاب** يعني القرآن **والحكمة** يعني القضاء به يعني واوجب بهما بناء الحكم على الظاهر
فكيف يضرونك بالتلبيس في الشبهات **وعلمك ما لم تكن تعلم** يعني من احكام الشرع وامور الدين وقيل
علمك من علم الغيب ما لم تكن تعلم وقيل معناه وعلمك من خفيات الامور واطلعك على ضمائر القلوب
وعلمك احوال المنافقين وكيدهم ما لم تكن تعلم **وكان فضل الله عليك عظيما** يعني ولم يزل فضل الله عليك

يا محمد

يا محمد عظيما فاشكره على ما اولاك من احسانه ومن عليك بنبوته وعلمك ما انزل عليك من كتابه وحكمته
وعصمك ممن حاول اضلالك فان الله هو الذي تولاك بفضله وشملك باحسانه وكفاك غائلة
من ارادك بسوء ففي هذه الاية تنبيه من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على ما حباه من الطافه
وما شمله من فضله واحسانه ليقوم بواجب حقه قوله تعالى **لا خير في كثير من نجواهم** يعني من نجوى قوم
طعمة وقيل هي عامة في جميع ما يتناجى الناس به والنجوى هو الاسرار في التدبير وقيل النجوى ما تفرد بتدبيره
قوم سرا كان ذلك او جهرا وناجيته ساررته واصله ان تخلو في نجوة من الارض وقيل اصله من النجاة والمعنى
لا خير في كثير مما يدبرونه ويتناجون فيه **الا من امر بصدقة** يعني الا في نجوى من امر بصدقة وقيل
معناه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث الا فيما كان من اعمال الخير وقيل هو استثناء
منقطع تقديره لكن من امر بصدقة وحث عليها **او معروف** يعني او امر بطاعة الله وما يجيزه الشرع
واعمال البر كلها معروف لان العقول تعرفها **او اصلاح بين الناس** يعني الاصلاح بين المتباينين او المتخاصمين
ليتراجعا الى ما كانا فيه من الالفة والاجتماع على ما اذن الله فيه وامر به عن ابي الدرداء قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا
بلى قال صلاح ذات البين وان فساد ذات البين هي الحالقة اخرجه الترمذي وابو داود وقال الترمذي
ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هي الحالقة لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين (ق) عن سهل
ابن سعد ان اهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهبوا
بنا نصلح بينهم (ق) عن ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ليس الكذاب الذي يصلح بين اثنين او قال بين الناس فيقول خيرا او ينمي خيرا زاد مسلم في رواية
له قالت ولم اسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس الا في ثلاث يعني الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل
زوجته وحديث المرأة زوجها **ومن يفعل ذلك** يعني هذه الاشياء التي ذكر **ابتغاء مرضات الله** يعني طلب
رضاه لان الانسان اذا فعل ذلك خالصا لوجه الله نفعه وان فعلها رياء وسمعة لم ينفعه ذلك
لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات الحديث **فسوف نؤتيه** يعني في الآخرة اذا فعل ذلك
ابتغاء مرضات الله **اجرا عظيما** لا حد له لان الله سماه عظيما واذا كان كذلك فلا يعلم قدره الا الله
عز وجل قوله عز وجل **ومن يشاقق الرسول** نزلت في طعمة ايضا وذلك انه لما سرق وظهرت عليه السرقة
خاف على نفسه القطع والفضيحة هرب الى مكة كافرا مرتدا عن الدين فانزل الله عز وجل فيه ومن يشاقق
الرسول يعني يخالفه في التوحيد والايمان واصله من المشاقة وهو كون كل واحد منهما في شق غير شق
الآخر **من بعد ما تبين له الهدى** اي وضح له التوحيد والحدود وظهر له صحة الاسلام وذلك لان طعمة
كان قد تبين له بما انزل فيه واظهر من سرقته ما يدل على صحة دين الاسلام فعادى الرسول صلى الله
عليه وسلم واظهر الشقاق ورجع عن الاسلام **ويتبع غير سبيل المؤمنين** يعني ويتبع غير طريق المؤمنين
وما هم عليه من الايمان ويتبع عبادة الاوثان **نوله ما تولى** اي نكله في الآخرة الى ما تولى في
الدنيا ونتركه وما اختار لنفسه **ونصله جهنم** يعني ونلزمه جهنم واصله من الصلاء وهو لزوم النار
وقت الاستدفاء **وساءت مصيرا** يعني وبئس المرجع الى النار روي ان الشافعي سئل عن آية من كتاب الله تدل
على ان الاجماع حجة فقرأ القرآن ثلثمائة مرة حتى استخرج هذه الاية وهي قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وذلك
لان اتباع غير سبيل المؤمنين وهو مفارقة الجماعة حرام فوجب ان يكون اتباع سبيل المؤمنين ولزوم

صح

جماعتهم واجبا وذلك لان الله تعالى الحق الوعيد من يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين فثبت
بهذا ان اجماع الامة حجة قوله تعالى **ان الله لا يغفر ان يشرك به** نزلت في طعمة بن ابيرق ايضا لكونه
مات مشركا وقال ابن عباس نزلت هذه الاية في شيخ من الاعراب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا نبي الله اني شيخ منهمك في الذنوب غير اني لم اشرك بالله منذ عرفته وامنت به ولم اتخذ من
دونه وليا ولم اواقع المعاصي جراة على الله عز وجل وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم
تائب مستغفر فما حالي عند الله فانزل الله هذه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به فهذا النص صريح
بان الشرك غير مغفور اذا مات صاحبه عليه لانه قد ثبت ان المشرك اذا تاب من شركه وامن قبلت
توبته وصح ايمانه وغفرت ذنوبه كلها التي عملها في حال الشرك **ويغفر ما دون ذلك** يعني ما دون
الشرك **لمن يشاء** يعني لمن يشاء من اهل التوحيد قال العلماء لما اخبر الله انه يغفر الشرك بالايمان والتوبة
علمنا انه يغفر ما دون الشرك بالتوبة وهذه المشيئة فيمن لم يتب من ذنوبه من اهل التوحيد فاذا
مات صاحب الكبيرة او الصغيرة من غير توبة فهو في خطر المشيئة ان شاء عفا عنه وادخله الجنة بفضل
رحمته وان شاء عذبه ثم يدخله الجنة بعد ذلك **ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا** يعني فقد
ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله اذا مات على شركه فان قلت لم كررت هذه الاية بلفظ واحد في
موضعين من هذه السورة وما فائدة ذلك التاكيد قلت فائدة ذلك التاكيد او لان الاية المتقدمة
نزلت في سبب ونزلت هذه الاية في سبب اخر وهو ان الايات المتقدمة نزلت في سبب سرقة طعمة بن
ابيرق ونزلت هذه الاية في سبب ارتداده وموته على الشرك قوله عز وجل **ان يدعون من دونه الا اناثا**
نزلت في اهل مكة يعني ما يعبدون من دون الله الا اناثا لان كل من عبد شيئا فقد دعاه لحاجته وفي
قوله اناثا اقوال احدها انهم كانوا يسمون اصنامهم باسماء الاناث فيقولون اللات والعزى ومناة قال
الحسن كانوا يقولون لصنم كل قبيلة انثى بني فلان والقول الثاني اناثا يعني امواتا قال الحسن كل
شيء لا روح فيه كالحجر والخشبة هي اناث قال الزجاج والموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن المؤنث يقول هذه
الحجر تعجبني وهذه الدراهم تنفعني ولان الانثى انزل درجة من الذكر والميت انزل درجة من الحي كما ان
الموات ارذل من الحيوان وقد يطلق اسم الانثى على الجمادات القول الثالث ان بعضهم كان يعبد الملائكة
ويقول هم بنات الله **وان يدعون** اي وما يعبدون **الا شيطانا مريدا** قال ابن عباس لكل صنم شيطان
يدخل في جوفه ويتراءى للسدنة والكهنة ويكلمهم فلذلك قال الله تعالى وان يدعون الا شيطانا مريدا
وقيل هو ابليس لانه هو اغواهم واغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة فالمريد والمارد
هو المتمرد العاتي الخارج عن الطاعة **لعنه الله** اي ابعده الله وطرده عن رحمته **وقال** يعني ابليس **لاتخذن
من عبادك نصيبا مفروضا** يعني حظا مقدرا معلوما فكل ما اطيع فيه ابليس فهو نصيبه ومفروضه واصل
الفرض القطع وهذا النصيب هم الذين يتبعون خطواته ويقبلون وساوسه **ولاضلنهم** عن طريق
الحق والمراد به التزيين والوسوسة والا فليس اليه من الاضلال شيء قال بعضهم لو كانت الضلالة الى ابليس
لاضل جميع الخلق **ولامنينهم** قال ابن عباس يريد تسويف التوبة وتاخيرها وقال الكلبي امنينهم انه
لا جنة ولا نار ولا بعث وقيل امنينهم ادراك الجنة مع عمل المعاصي وقيل ازين لهم ركوب الاهواء والاهوال
الداعية الى العصيان وقيل امنينهم طول البقاء في الدنيا ونعيمها ليؤثروها على الاخرة **ولامرنهم فليبتكن
اذان الانعام** يعني يقطعونها ويشقونها وهي البحيرة وذلك انهم كانوا يشقون اذن الناقة اذا

وولدت

ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها ولا ترد عن ماء ولا مرعى
وقول لهم ابليس ان هذا قربة **ولامرنهم فليغيرن خلق الله** قال ابن عباس يعني دين الله وتغيير دين
الله هو تحليل الحرام وتحريم الحلال وقيل تغيير خلق الله هو تغيير الفطرة التي فطر الخلق عليها ويدل
عليه قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
وقيل يحتمل ان يحمل هذا التغيير على تغيير احوال تتعلق بظاهر الخلق مثل الوشم ووصل الشعر ويدل
عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن
المغيرات خلق الله اخرجاه من رواية ابن مسعود ولهما عن اسماء قالت لعن النبي صلى الله عليه وسلم
الواصلة والمستوصلة وقيل تغيير خلق الله هو الاخصاء وقطع الاذان حتى ان بعض العلماء حرمه وكره
انس اخصاء الغنم وجوزه بعض العلماء لان فيه غرضا ظاهرا ق عن سعد بن ابي وقاص قال لولا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم رد على عثمان بن مظعون التبتل لاختصينا التبتل هو ترك النكاح والانقطاع
للعبادة عن نافع قال كان ابن عمر يكره الاخصاء ويقول ان فيه نماء الخلق اخرجه مالك في الموطا ومعناه
في ترك الاخصاء نماء الخلق يعني زيادتهم وقال ابن زيد هو التخنث وهو ان يتشبه الرجال بالنساء في
حركاتهن وكلامهن ولباسهن ونحو ذلك وقيل تغيير الخلق هو ان الله تعالى خلق البهائم والانعام للركوب
والاكل فحرموه على انفسهم وخلق الشمس والقمر والنجوم والنار والاحجار لمنفعة الناس فعبدوها من دون
الله **ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله** يعني يتخذه ربا يطيعه فيما يامره به وقيل الولي من الموالاة
وهو الناصر **فقد خسر خسرانا مبينا** لان طاعة الشيطان موصلة الى نار جهنم وهي غاية الخسران بقي
في الاية سؤالان السؤال الاول قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا والنصيب المفروض هو الشيء المقدر
القليل وقال في موضع اخر لاحتنكن ذريته الا قليلا وقال لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين
وهذا استثناء القليل من الكثير فكيف وجه الجمع فالجواب ان الكفار الذين هم حزب الشيطان وان كانوا
اكثر من المؤمنين في العدد لكنهم اقل من المؤمنين في الفضل لكنهم اكثر منهم لان لهم الفضل والشرف والسودد
والغلبة في الدنيا وعلو الدرجة في الاخرة وانشد بعضهم في هذا المعنى فقال

وهم الاقل اذا تعد عشيرة ۝ والاكثرون اذا يعد السودد

وقيل ان ابليس لما لم ينل من ادم ما اراد وراى الجنة والنار علم ان لهذه اهلا فقال لاتخذن من عبادك
نصيبا مفروضا يعني الذين هم اهل النار السؤال الثاني من اين لابليس العلم بالعواقب حتى يقول
ولاضلنهم ولاغوينهم ولامرنهم وقال في الاعراف ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال في بني اسرائيل لاحتنكن ذريته
الا قليلا فالجواب من ثلاثة اوجه احدها ان ابليس ظن انه يتم منه هذه الامور التي يريدها منهم فحصل
له ما ظن ويدل على ذلك قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الوجه الثاني قال ابن الانباري
المعنى لاجتهدن ولاحرصن في ذلك لا انه كان يعلم الغيب الوجه الثالث قال الماوردي من الجائز ان يكون قد
علم ذلك من الملائكة بخبر من الله تعالى ان اكثر الخلائق لا يؤمنون وقوله تعالى **يعدهم ويمنيهم** يعني الشيطان
يعد حزبه واولياءه وتمنيهم فوعده وتمنيته اياهم ما يوقع في قلب الانسان من طول العمر ونيل ما اراد من
الدنيا ومن نعيمها ولذاتها وكل ذلك غرور فيجب على العاقل ان لا يلتفت الى شيء منها فربما لم يطل عمره
ولم يحصل له ما اراد منها ولئن طال عمره وحصل مقصوده فالموت وراءه ينغص عليه ما هو فيه وقيل يعدهم
ويمنيهم بان لا جنة ولا نار ولا بعث فاجتهدوا في تحصيل اللذات الدنيوية **وما يعدهم الشيطان الا غرورا**

يعني باطلا وظلالا **اوليك** يعني الذين اتخذوا الشيطان وليا **مأويهم جهنم** يعني مرجعهم ومستقرهم جهنم
ولا يجدون عنها يعني عن جهنم **محيصا** يعني مفرا ومعدلا يعني لا يعدلون عنها الى غيرها ولا بد لهم من ورودها
والخلد فيها لما ذكر وعيد الكفار اتبعه بوعيد المومنين فقال تعالى **والذين امنوا وعملوا الصلحات**
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار يعني من تحت المساكن والغرف **خالدين فيها** يعني في الجنات
ابدا يعني بلا انتها ولا غاية والابد عبارة عن مدة الزمان الممتدة الذي لا انقطاع له ولا يتجزى كما يتجزى
غيره من الازمنة لانه لا يقال ابد كذا كما يقال زمن كذا وفي قوله خالدين فيها ابدا دليل على ان الخلود لا
يفيد التابيد والدوام لانه لو افاد ذلك لزم التكرار وهو خلاف الاصل فعلم بذلك ان الخلود عبارة
عن طول الزمان لا على الدوام فلما اتبع الخلود بالابد علم انه يراد به الدوام الذي لا ينقطع وقوله
تعالى **وعد الله حقا** يعني وعد الله ذلك الذي ذكر وعدا حقا **ومن اصدق من الله قيلا** يعني ليس
احد اصدق من الله وهو توكيد بليغ لقوله وعد الله حقا قوله تعالى **ليس باما نيكم ولا اماني اهل الكتاب**
الامنية فعولة من التمنية والتمني تقدير شي في النفس وتصويره فيها والامنية هي الصورة الحاصلة
في النفس من تمني الشي اذا وقع في نفسه واراده والمخاطب بقوله ليس باما نيكم ولا اماني اهل الكتاب
قولان احدهما انه خطاب للمسلمين واهل الكتاب اليهود والنصارى وذلك انهم افتخروا فقال اهل
الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الانبيا وكتابنا
يقضي على الكتب وقد امنا بكتابكم ولم تومنوا بكتابنا فنحن اولى بالله منكم والقول الثاني انه خطاب لمشركي
مكة في قولهم لا نبعث ولا نحاسب وخطاب لاهل الكتاب في قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة والمعنى
ليس الامر بالاماني انما الامر بالعمل الصالح **من يعمل سوا يجز به** قال الضحاك يقول ليس لكم ما تمنيتم
وليس لاهل الكتاب ما تمنوا ولكن من عمل سوا يعني شركا مات عليه يجزه النار وقال الحسن هذا في حق الكفار
خاصة لانهم يجازون بالعقاب على الصغير والكبير ولا يجزى المومن بسي عمله يوم القيمة ولكن يجزى
باحسن عمله ويتجاوز عن سياته ويدل على صحة هذا القول سياق الاية وهو قوله **ولا يجد له من دون الله**
وليا ولا نصيرا وقال الاخرون هذه الاية في كل من عمل سوا من مسلم وكافر وقال ابن عباس هي عامة في حق كل من
يعمل سوا يجزه به الا ان يتوب قبل ان يموت فيتوب الله عليه وقال ابن عباس في رواية ابي صالح عنه لما نزلت
هذه الاية شقت على المسلمين مشقة شديدة وقالوا يا رسول الله واينا لم يعمل سوا غيرك فكيف الجزا
قال منه ما يكون في الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشرة
وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلب احاده اعشاره واما ما كان جزا في الاخرة فيقابل بين حسناته
وسياته فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل فيعطى الجزا في الجنة فيوتي كل ذي فضل فضله
ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابي هريرة قال لما نزلت من يعمل سوا يجز به بلغت من المسلمين
مبلغا شديدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة
حتى النكبة ينكبها او الشوكة يشاكها اخرجه مسلم وعن ابي بكر الصديق قال كنت عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزلت من يعمل سوا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا ابا بكر الا اقريك اية انزلت علي قلت بلى يا رسول الله فاقرانيها فلا اعلم الا اني وجدت
انقصاما في ظهري فتمطيت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شانك يا ابا بكر قلت يا رسول
الله بابي انت وامي واينا لم يعمل سوا وانا لمجزيون باعمالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما

انت يا ابا بكر والمومنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليس لكم ذنوب واما الاخرون
فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيمة اخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب وفي اسناده
مقال وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن ابي بكر وليس له اسناد صحيح وقوله ولا يجد له من
دون الله وليا ولا نصيرا قال ابن عباس يريد وليا يمنعه ولا نصيرا ينصره فان قلنا ان هذه الاية
خاصة في حق الكفار فتاويلها ظاهر وان قلنا انها في حق كل عامل سوا من مسلم وكافر فانه لا ولي
لاحد من دون الله يوم القيمة ولا ناصر فالمومنون لا ولي لهم غير الله وشفاعة الشافعين تكون
باذن الله فليس يمنع احد احدا عن الله وقوله تعالى **ومن يعمل من الصلحات من ذكر او انثى وهو**
مومن قال مسروق لما نزلت من يعمل سوا يجز به قال اهل الكتاب نحن وانتم سوا فنزلت هذه الاية
قال المفسرون بين الله تعالى فضيلة المومنين على غيرهم ولفظة من في قوله من الصلحات للتبعيض
لان احدا لا يقدر ان يستوعب جميع الصلحات بالعمل فاذا عمل بعضها استحق الثواب **فاوليك**
يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا النقير النقرة في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة قال ابن عباس
يريد لا ينقصون قدر النواة فهذا على سبيل المبالغة في نفي الظلم ووعد بتوفية جزا اعمالهم من
غير نقصان قوله عز وجل **ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن** لما بين الله تعالى ان
الجنة لمن يعمل من الصالحات وهو مومن شرح الايمان وبين فضله فقال تعالى ومن احسن دينا
يعني ومن احكم دينا والدين هو المشتمل على اظهار كمال العبودية والخضوع والانقياد لله عز وجل
وهو الدين الذي كان عليه ابراهيم صلى الله عليه وسلم واعلم ان دين الاسلام مبني على امرين احدهما
الاعتقاد واليه الاشارة بقوله اسلم وجهه لله يعني انقاد لله وخضع له في سره وعلانيته وقيل
معناه اخلص طاعته لله وقيل فوض امره الى الله الامر الثاني من مباني الاسلام العمل واليه الاشارة بقوله
وهو محسن يعني في عمله لله فيدخل فيه فعل الحسنات والمفروضات والطاعات وترك السيات وقال
ابن عباس في تفسير قوله وهو محسن يريد وهو موحد لله عز وجل لا يشرك به شيا قال بعض العلما
وانما صار دين الاسلام احسن الاديان لان فيه طاعة الله ورضاه وهما احسن الاعمال وانما خص
الوجه بالذكر في قوله اسلم وجهه لله لانه اشرف الاعضا فاذا انقاد الوجه لله وخضع له فقد انقاد
له جميع الاعضا لانها تابعة له **واتبع ملة ابراهيم** يعني دين ابراهيم عليه السلام **حنيفا** يعني مسلما
مخلصا والحنيف المايل ومعناه المايل عن الاديان كلها الى الاسلام لان ما سواه من الاديان باطل
وحنيفا يجوز ان يكون حالا لابراهيم ويجوز ان يكون حالا للمتبع كما تقول رايته راكبا قال ابن عباس
ومن دين ابراهيم عليه السلام الصلاة الى الكعبة والطواف بها ومناسك الحج والختان ونحو ذلك
فان قلت ان ظاهر هذه الاية يقتضي ان شرع محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس شرع ابراهيم عليه
السلام وعلى هذا لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم شرع يستقل به وليس الامر كذلك فما الجواب قلت
ان شرع ابراهيم وملته داخلان في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته مع زيادات كثيرة حسنة
خص الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم ان اتبع ملة محمد صلى الله عليه وسلم فقد اتبع ملة ابراهيم عليه
السلام لانها داخلة في ملة محمد صلى الله عليه وسلم وشرع ابراهيم داخل في شرع محمد صلى الله عليه وسلم
وانما قال تعالى واتبع ملة ابراهيم لان ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان يدعوا الى توحيد الله وعبادته
ولهذا خصه بالذكر لانه كان مقبولا عند جميع الامم فان العرب كانوا يفتخرون بالانتساب اليه وكذلك

اليهود والنصارى فاذا ثبت هذا وان شرعه كان مقبولا عند الامم وان شرع محمد صلى الله عليه وسلم
وملته هو شرع ابراهيم وملته لزم الخلق الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وقبول شرعه وملته
وقوله تعالى **واتخذ الله ابراهيم خليلا** يعني صفيا والخلة صفا المودة وقيل الخلة الافتقار والانقطاع
فخليل الله المنقطع اليه وسمي ابراهيم خليلا لانه انقطع الى الله في كل حال وقيل الخلة الاختصاص والاصطفاء
وسمي ابراهيم خليلا لانه والى في الله وعادى في الله وقيل لانه تخلق باخلاق حسنة واخلاق كريمة وقيل
الخليل المحب الذي ليس في محبته خلل وسمي ابراهيم خليل الله لانه احبه محبة كاملة ليس فيها نقص
ولا خلل وانشد في معنى الخلة التي هي بمعنى المحبة

قد تخللت مسلك الروح مني • وبه سمي الخليل خليلا

وقيل الخليل من الخلة بفتح الخا وهي الحاجة سميت خلة للاختلال الذي يلحق بها الانسان فسمي
ابراهيم خليلا لانه جعل فقره وفاقته وحاجته الى الله عز وجل وخلة الله للعبد هي تمكينه من طاعته
وعصمته وتوفيقه وستر حاله ونصره والثنا عليه فقد اثنى الله عز وجل على ابراهيم عليه السلام
وجعله اماما للناس يقتدى به واختلفوا في السبب الذي من اجله اتخذ الله ابراهيم خليلا فقال ابن
عباس كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم ابا الضيفان وكان ينزله على ظهر الطريق يضيف من مر به
من الناس فاصاب الناس شدة القحط فقصد الناس باب ابراهيم يطلبون منه الطعام وكانت الميرة
تاتيه من صديق له بمصر فبعث ابراهيم غلمانه الى خليله الذي بمصر فقال خليله لغلمانه لو كان
ابراهيم انما يريد الطعام لنفسه احتملنا ذلك له وقد دخل علينا مثل ما دخل على الناس من الشدة
فرجع غلمان ابراهيم بغير طعام فمروا ببطحا من الرمل سهلة فقالوا لو حملنا من هذه البطحا ليرى
الناس انا قد جينا بميرة فانا نستحي ان يمروا بهم وابلنا فارغة فملوا من ذلك الرمل الغرائر التي معهم
ثم اتوا الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فاعلموه وسارة نائمة فاهتم لذلك ولمكان الناس ببابه فغلبته
عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت سبحان الله ما جا الغلمان قالوا بلى
قالت فجاوا بشي قالوا نعم فقامت الى الغرائر ففتحتها فاذا هي ملا باجود دقيق يكون حوارى فامرت
الخبازين فخبزوا واطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من اين لكم
هذا فقالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله قال فيومئذ اتخذه الله خليلا
وقيل لما اراه الله ملكوت السموات والارض وحاج قومه في الله ودعاهم الى توحيده ومنعهم من
عبادة النجوم والشمس والقمر والاوثان وبذل نفسه للالقا في النيران وبذل ولده للقربان وماله
للضيفان اتخذه الله خليلا وجعله اماما للناس يقتدى به وجعل النبوة فيه وفي ذريته وقيل
ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما كسر الاصنام وعادا قومه في الله عز وجل اتخذه الله
خليلا وقيل لما دخل عليه الملئكة فظنهم ضيف فقرب اليهم عجلا مشويا وقال كلوا على شرط ان تسموا
الله في اوله وتحمدوه في اخره فقال جبريل انت خليل الله فمن يومئذ سمي ابراهيم خليل الله م عن
انس قال جا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا خير البرية فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذلك ابراهيم خليل الله **فصل** وقد اتخذ الله محمدا صلى الله عليه وسلم
خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فقد ثبت في الصحيحين عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخي وصاحبي وقد اتخذ

الله

الله صاحبكم خليلا اخرجه مسلم فقد ثبت بهذين الحديثين الخلة للنبي صلى الله عليه وسلم وزاد على ابراهيم
عليه السلام بالمحبة فمحمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبيبه فقد جا في حديث عن ابن عباس ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال الا وانا حبيب الله ولا فخر اخرجه الترمذي باطول منه قوله تعالى **ولله ما في السموات وما
في الارض** قال اهل المعاني لما دعا الله الخلق الى طاعته وعبادته والانقياد لامره بين سعة ملكه ليرغب
الخلق اليه بالطاعة له وانما قال ما في السموات وما في الارض ولم يقل من لانه ذهب به مذهب الجنس والذي
يعقل اذا ذكر واريد به الجنس ذكر بلفظة ما **وكان الله بكل شي محيطا** يعني عالما علم احاطة وهو العلم
بالشي من كل وجه حتى لا يشذ عنه نوع الا علمه وقيل يجوز ان يكون معناه محيطا بالقدرة عليه قوله عز
وجل **ويستفتونك في النسا قل الله يفتيكم فيهن** الاية قال ابن عباس نزلت في بنات ام كجة وقد تقدمت
قصتهن في اول السورة وقالت عايشة هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وهو وليها فيرغب في نكاحها اذا كانت
ذات جمال ومال باقل من سنة صداقها واذا كانت غير مرغوب فيها لقلة المال والجمال تركها وفي رواية
قالت هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وقد شركته في ماله فيرغب عنها فلا يتزوجها لدمامتها ويكره ان
يزوجها غيره فيدخل عليه ويشركه في ماله فيحبسها حتى تموت فيرثها فنهاهم الله عن ذلك وانزل هذه الاية
فقال ويستفتونك يعني ويستخبرونك يا محمد في شان النسا وحالهن والاستفتا طلب الفتوى وهي اظهار
ما اشكل من الاحكام الشرعية وكشفه وتبيينه قال المفسرون والذي استفتوه فيه هو ميراث النسا
وذلك انهم كانوا لا يورثون النسا ولا الصغار من الاولاد فلما نزلت اية الميراث قالوا يا رسول الله
كيف تورث المراة والصغير فاجابهم الله بهذه الاية قل الله يفتيكم فيهن قل يا محمد الله يفتيكم في شان النسا
وحالهن **وما يتلى عليكم في الكتاب** يعني يفتيكم فيما يتلى عليكم والمعنى ان الله يفتيكم في النسا بما انزل في
كتابه عليكم وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ والغرض منه تعظيم حال هذه الاية التي يتلى عليكم وانها
في اللوح المحفوظ وان العدل والانصاف في حقوق اليتامى من اعظم الامور عند الله تعالى التي تجب مراعاتها
وان المخل بها ظالم **في يتامى النسا** قيل معناه في النسا اليتامى وقيل في اليتامى اولاد النسا لان الاية نزلت
في يتامى ام كجة **اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن** يعني ما فرض لهن من الميراث وهذا على قول من يقول
ان الاية نازلة في ميراث اليتامى الصغار وعلى القول الاخر معناه ما كتب لهن من الصداق **وترغبون
ان تنكحوهن** يعني وترغبون في نكاحهن لمالهن وجمالهن باقل من صداقهن وقيل معناه وترغبون
عن نكاحهن لقبحهن ودمامتهن وتمسكوهن رغبة في اموالهن ق عن عايشة قالت هذه اليتيمة
تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا
لهن في اكمال الصداق وامروا بنكاح من سواهن قالت عايشة فاستفتى الناس رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله عز وجل يستفتونك في النسا الى قوله وترغبون ان تنكحوهن فبين لهم
ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في اكمال الصداق واذا كانت
مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس
لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق وقوله تعالى **والمستضعفين
من الولدان** يعني ويفتيكم في المستضعفين من الولدان وهم الصغار ان تعطوهم حقوقهم لان العرب في الجاهلية
كانوا لا يورثون الصغار ايضا فنهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يعطوهم حقهم من الميراث **وان تقوموا
لليتامى بالقسط** يعني بالعدل في مهورهن ومواريثهن **وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما**

يعني يجازيكم عليه قوله تعالى **وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا** ق عن عايشة في قوله تعالى
وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا قالت نزلت في المراة تكون عند الرجل لا يستكثر منها
فيريد طلاقها ويتزوج غيرها فتقول له امسكني لا تطلقني ثم تزوج غيري وانت في حل من النفقة
علي والقسمة لي قالت فذلك قوله فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير وقيل نزلت
في عمرة بنت محمد بن مسلمة ويقال اسمها خولة وفي زوجها سعد بن الربيع ويقال رافع بن خديج تزوجها وهي
شابة فلما كبرت تزوج عليها امراة اخرى شابة واثرها عليها وجفا الاولى فاتت ابنة محمد بن مسلمة تشكو
زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وقيل كان رجل له امراة قد كبرت وله منها
اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني اقوم على اولادي واقسم لي كل شهر
ان شيت وان شيت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فذكر ذلك له فانزل الله هذه الاية وان امراة خافت يعني علمت وقيل ظنت وقيل بل المراد نفس
الخوف لان الخوف لا يحصل الا عند ظهور الامارات الدالة عليه وتوقعه من بعلها يعني من زوجها والبعل
هو السيد وسمي الزوج بعلا لانه سيد المراة نشوزا يعني بغضا وقيل هو ترك مضاجعتها واصله من
النشز وهو المرتفع من الارض فالنشوز قد يكون من الزوجين وهو ان يكره كل واحد منهما صاحبه
فنشوز الزوج هو ان يعرض عن المراة وهو قوله تعالى او اعراضا يعني بوجهه عنها ويعبس في وجهها
او يترك مضاجعتها او يسي عشرتها او يشتغل بغيرها وقيل المراد من النشوز اظهار الخشونة في القول
والفعل والمراد من الاعراض السكوت عن الخير والشر والايذا بل يعرض عنها بوجهها او يشتغل بغيرها
فلا جناح عليهما يعني فلا حرج ولا اثم على الزوج والمراة **ان يصالحا** من المصالحة وقرى ان يصلحا بضم
اليا وكسر اللام من الاصلاح **بينهما صلحا** يعني في القسمة والنفقة وهو ان يقول الزوج للمراة انك
قد كبرت ودخلت في السن وانا اريد ان اتزوج امراة شابة جميلة اوثرها عليك في القسمة ليلا ونهارا
فان رضيت فاقيمي وان كرهت ذلك فارقتك وخليت سبيلك فان رضيت بذلك كانت هي المحسنة
ولا تجبر على ذلك وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج ان يوفيها حقها من القسم والنفقة او يسرحها
باحسان وان امسكها ووفاها حقها مع الكراهة لها كان هو المحسن قال ابن عباس فان صالحته على بعض
حقها من القسمة والنفقة جاز وان انكرت ذلك بعد الصلح كان ذلك لها ولها حقها **والصلح خير**
يعني اقامتها بعد تخييره اياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم والنفقة خير من الفرقة عن
ابن عباس قال خشيت سودة ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تطلقني وامسكني
واجعل يومي لعايشة ففعل فنزلت فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير فما اصطلحا
عليه من شي فهو جايز اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقسم لعايشة يومين ويوم سودة **واحضرت الانفس الشح** اقبح البخل وحقيقته الحرص على منع الخير
وانما قال واحضرت الانفس الشح لانه كالامر اللازم للنفوس لانها مطبوعة عليه ومعنى الاية ان كل واحد
من الزوجين يشح بنصيبه من الاخر فالمراة تشح على مكانها من زوجها والرجل يشح عليها بنفسه اذا
كان غيرها احب اليه منها **وان تحسنوا وتتقوا** هذا خطاب للازواج يعني وان تحسنوا ايها الازواج
الصحبة والعشرة وتتقوا الله في حق المراة فانها امانة عندكم وقيل معناه وان تحسنوا بالاقامة معها
على الكراهية وتتقوا ظلمها والجور عليها **فان الله كان بما تعملون خبيرا** يعني فيجازيكم باعمالكم قوله عز

وجل

وجل **ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النسا** يعني ولن تقدروا ان تسووا بين النسا في الحب وميل
القلب لان ذلك مما لا يقدرون عليه وليس من كسبكم **ولو حرصتم** يعني على العدل والتسوية
بينهن وقيل معناه ولو حرصتم على ذلك **فلا تميلوا كل الميل** يعني الى التي تحبونها في القسم والنفقة
والمعنى انكم لستم منهيين عن حصول التفاوت في الميل القلبي لان ذلك خارج عن قدرتكم ووسعكم
ولكنكم منهيون عن اظهار ذلك الميل في القول والفعل عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من كانت له امراتان فلم يعدل بينهما جا يوم القيمة وشقه ساقط اخرجه الترمذي وعن
ابي داود من كانت له امراتان فمال الى احدهما جا يوم القيمة وشقه مايل عن عايشة قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل ويقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما تملك
ولا املك يعني القلب اخرجه ابو داود والترمذي والنساي وقوله تعالى **فتذروها كالمعلقة** يعني
فتدعوا الاخرى التي لا تميلون اليها كالمنوطة لا ايما ولا ذات بعل كالشي المعلق لا هو في السما ولا على
الارض وقيل معناه فتذروها كالمسجونة لا هي مخلصة فتتزوج ولا هي ذات بعل فيحسن اليها **وان
تصلحوا** يعني بالعدل في القسم **وتتقوا** يعني الجور في القسم **فان الله كان غفورا** يعني لما حصل من
الميل الى بعضهن دون بعض **رحيما** يعني بكم حيث لم يكلفكم ما لا يقدرون عليه **وان يتفرقا** يعني ان لم
يصطلحا واختارا الفرقة **يغن الله كلا من سعته** يعني من فضله ورزقه والمعنى يغني الزوج
بامراة اخرى والمراة بزوج اخر وقيل معناه بعوض الزوج بما يحب والمراة بما تحب ووسع عليهما وفي
هذه تسلية لكل واحد من الزوجين بعد الطلاق **وكان الله واسعا** يعني واسع الفضل والرحمة
وقيل هو الواسع القدرة والعلم والرزق وقيل هو الغني الذي وسع جميع مخلوقاته غناه **حكيما**
يعني فيما امره ونهى عنه **فصل** فيما يتعلق بحكم الاية وجملته ان الرجل اذا كان
تحته امراتان او اكثر يجب عليه التسوية بينهن في القسم فان ترك التسوية بينهن في فعل القسم
عصى الله عز وجل في ذلك وعليه القضا للمظلومة والتسوية شرط في البيتوتة اما في الجماع
فلا لان ذلك يدور على النشاط وميل القلب وليس ذلك اليه ولو كان في نكاحه حرة وامة فيقسم للحرة
ليلتين وللامة ليلة واحدة واذا تزوج جديدة على قديمات كن عنده فانه يخص الجديدة بان
يبيت عندها سبع ليال ان كانت الجديدة بكرا وان كانت ثيبا خصها ثلاث ليال ثم انه يستانف
القسم ويسوي بينهن ولا يجب عليه قضا عوض هذه الليالي للقديمات ويدل على ذلك ما روى
ابو قلابة عن انس قال من السنة اذا تزوج البكر على الثيب اقام عندها سبعا وقسم واذا تزوج
الثيب اقام عندها ثلاثا وقسم قال ابو قلابة لو شيت لقلت ان انسا رفعه الى النبي صلى الله عليه
وسلم اخرجاه في الصحيحين واذا سافر الرجل الى سفر حاجة جاز له ان يحمل معه بعض نسايه بشرط
ان يقرع بينهن ولا يجب عليه ان يقضي للباقيات عوض مدة سفره وان طالت اذا لم يزد مقام
في البلد على مدة المسافرين ويدل على ذلك ما روي عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسايه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه اخرجه البخاري
مع زيادة فيه واذا اراد الرجل سفر نقلة وجب عليه اخذ نسايه معه قوله تعالى **ولله ما في السموات
وما في الارض** يعني عبيدا وملكا قال اهل المعاني لما ذكر الله تعالى انه يغني من سعته وفضله اشار
الى ما يوجب الرغبة اليه في طلب الخير منه لانه مالك السموات والارض لا تفنى خزاينه **ولقد وصينا**

الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى واصحاب الكتب القديمة واياكم يعني ووصيناكم
يا اهل القران في كتابكم ان اتقوا الله اي بان تتقوا الله وتخافوه ان توحدوه وتطيعوه وتحذروه ولا
تخالفوا امره والمعنى ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة اوصى الله بها جميع الامم السالفة في كتبهم وان
تكفروا يعني وان تجحدوا ما اوصاكم به فان لله ما في السموات وما في الارض يعني فان لله ملايكة في السموات
والارض هم اطوع له منكم وقيل معناه انه تعالى خالق السموات والارض وما فيهن ومالككم والمنعم عليكم بانواع
النعم ومن كان كذلك فحق لكل احد ان يتقيه ويرجوه وكان الله غنيا يعني عن جميع خلقه غير محتاج اليهم
ولا الى طاعتهم حميدا يعني محمودا على نعمه عليهم ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا قال
ابن عباس يعني شهيدا على ان له فيهن عبيدا وقيل معناه وكفى بالله دافعا فان قلت ما الفايدة في تكرير قوله
تعالى ولله ما في السموات وما في الارض قلت الفايدة في ذلك ان لكل اية معنى تختص به اما الاية الاولى
فمعناها فان لله ما في السموات وما في الارض وهو يوصيكم بتقوى الله فاقبلوا وصيته وقيل لما قال تعالى
وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته بين ان له ما في السموات وما في الارض وانه قادر على اغنا جميع الخلايق
وهو المستغني عنهم واما الاية الثانية فانه تعالى قال وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض
والمراد منه انه تعالى منزه عن طاعات الطايعين وعن ذنوب المذنبين وانه لا يزداد جلاله بالطاعات
ولا ينقص بالمعاصي وقيل لما بين انه له ما في السموات وما في الارض وقال بعد ذلك وكان الله غنيا
حميدا فالمراد انه تعالى هو الغني وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون فهو يعطيكم لان له ما في السموات وما
في الارض واما الثالثة فقال تعالى ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا اي فتوكلوا عليه ولا
تتوكلوا على غيره فانه المالك لما في السموات والارض وقيل تكريرها تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه
ويطيعوه ولا يعصوه لان التقوى والخشية اصل كل خير قوله عز وجل ان يشا يذهبكم ايها الناس
قال ابن عباس يريد المشركين والمنافقين ويات باخرين بغيركم هو خير منكم واطوع له ففيه تهديد
للكفار والمعنى انه يهلككم ايها الكفار كما اهلك من كان قبلكم اذ كفروا به وكذبوا رسله وكان الله على
ذلك قديرا يعني وكان الله على ذلك الاهلاك واعادة غيركم قادرا بليغا في القدرة لا يمتنع عليه شي
اراده لم يزل ولا يزال موصوفا بالقدرة على جميع الاشيا قوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا يعني من
كان يريد بعمله عرضا من الدنيا نزلت في مشركي العرب وذلك انهم كانوا يقرون بان الله خالقهم ولا يقرون
بالبعث يوم القيمة فكانوا يتقربون الى الله ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها وقيل نزلت في المنافقين
لانهم كانوا لا يصدقون بيوم القيمة وانما كانوا يطلبون بجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عاجل
الدنيا وما ينالونه من الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة يعني ان الذين يطلبون باعمالهم
وجهادهم ثواب الدنيا وما ينالونه من الغنيمة مخطيون في قصدهم لان الله عنده ثواب الدنيا وثواب
الاخرة فلو كانوا عقلا لطلبوا ثواب الاخرة حتى يحصل لهم ذلك ويحصل لهم ثواب الدنيا وثواب على سبيل
التبعية والمعنى ان من اراد بعمله الدنيا اتاه الله منها ما اراد وصرف عنه من شرها ما اراد وليس
له ثواب في الاخرة يجزى به ومن اراد بعمله وجه الله وثواب الاخرة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة
يوتيه من الدنيا ما قدر له ويجزيه في الاخرة خير الجزا وكان الله سميعا يعني لاقوالهم وما يسرونه من
طلب ثواب الدنيا بصيرا يعني بنياتهم وما في نفوسهم وقيل بصيرا بمن يطلب الدنيا بعمله وبمن يطلب الاخرة
بعمله قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهدا لله قال السدي ان فقيرا وغنيا

اختصما

اختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم فكان صغوه مع الفقير يرى ان الفقير لا يظلم الغني فانزل الله
هذه الاية وامر بالقيام بالقسط مع الغني والفقير وقيل ان هذه الاية متعلقة بقصة طعمة بن
ابيرق وهي خطاب لقومه الذين جادلوا عنه وشهدوا له بالباطل فامرهم الله تعالى ان يكونوا قايمين
بالقسط شاهدين لله على كل حال ولو على انفسهم واقاربهم فقال تعالى كونوا قوامين بالقسط القوام
مبالغة في القيام بالعدل في جميع الشهادات واجتناب الجور فيها قال ابن عباس كونوا قوامين بالعدل
في الشهادات على من كانت شهدا لله يعني اقيموا شهاداتكم لوجه الله كما امركم فيها فيقولون الحق في شهادتهم
ولو على انفسكم يعني ولو كانت الشهادة على انفسكم امر الله العبد بان يشهد على نفسه بالحق وهو
الاقرار على نفسه وذلك الاقرار يسمى شهادة في كونه موجبا للحق عليه او الوالدين والاقربين يعني
ولو كانت الشهادة على الوالدين والاقربين من ذوي رحمه واقاربه والمعنى فقولوا الحق ولو على انفسكم
او على الوالدين او على الاقارب فاقيموا الشهادة عليهم لله تعالى ولا تحابوا غنيا لغناه ولا ترحموا
فقيرا لفقره فذلك قوله تعالى ان يكن يعني المشهود عليه غنيا او فقيرا فالله اولى بهما يعني منكم
والمعنى كلوا امرهم الى الله فهو اعلم بهم وبحالهم وانما قال بهما على التثنية لانه رد الضمير الى المعنى دون
اللفظ يعني فالله اولى بالغني والفقير فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا يعني فلا تتبعوا الهوى واتقوا الله
ان تعدلوا عن الحق في ادا الشهادة وقيل معناه اتركوا متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة
العدل لان العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى وان تلووا وقرى بواوين ومعناه ان يلوي الشاهد لسانه
الى غير الحق قال ابن عباس يلوي لسانه بغير الحق ولا يقيم الشهادة على وجهها او تعرضوا يعني او يعرض
الشاهد عن الشهادة فيكتمها ولا يقيمها يقال لويته حقه اذا دفعته عنه ومطلته به وقيل معناه
التحريف وان تلووا عن القيام باداء الشهادة او تعرضوا عنها فتتركوها وقيل معناه التحريف والتبديل
في الشهادة من قولهم لويت الشي اذا اقلبته وقيل هو خطاب مع الحكام يقول وان تلووا يعني تميلوا مع
احد الخصمين دون الاخر او تعرضوا عنه بالكلية وقرى تلوا بواو واحدة من الولاية فهو خطاب للحكام
ايضا ومعناه فلا تتلوا امور المسلمين وتضيعوهم او تعرضوا عنهم فان الله كان بما تعملون خبيرا يعني
انه تعالى يجازي المحسن باحسانه والمسي باساءته ففيه الوعيد باعمالكم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
امنوا بالله ورسوله قال ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام واسد واسيد بن كعب وثعلبة بن قيس
وسلام بن اخت عبد الله بن سلام وسلمة بن اخيه ويامين بن يامين فهولا مومنوا اهل الكتاب اتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نومن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سوى
ذلك من الكتب والرسل فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بل امنوا بالله وبرسوله محمد والقران وبكل
كتاب كان قبله فانزل الله هذه الاية يا ايها الذين امنوا يعني بمحمد والقران وبموسى والتوراة امنوا
بالله ورسوله اسم جنس يعني امنوا بجميع رسله وقيل هو خطاب لاهل الكتاب جميعا والمعنى يا ايها الذين
امنوا بموسى والتوراة وبعيسى والانجيل امنوا بمحمد والقران وقيل هو خطاب للمنافقين والمعنى يا ايها
الذين امنوا بالسنتهم فلم تومن قلوبهم امنوا بقلوبكم حتى ينفعكم الايمان لان الايمان باللسان لا ينفع
من غير مواطاة القلب وقيل هو خطاب للمومنين والمعنى يا ايها الذين امنوا في الماضي والحال امنوا
في المستقبل ودوموا واثبتوا على الايمان والكتاب الذي نزل على رسوله يعني القران والكتاب
الذي انزل من قبل يعني وامنوا بالقران وبجميع الكتب التي انزلها على انبيائه قبل القران فيكون

الكتاب اسم جنس لجميع الكتب ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا
قوله عز وجل ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا قال ابن عباس نزلت في اليهود امنوا
بموسى ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم امنوا بعد ذلك ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن وقيل انهم امنوا بموسى ثم كفروا بعده ثم امنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه
وقيل نزلت في المنافقين وذلك انهم امنوا ثم كفروا بعد الايمان ثم امنوا يعني بالسنتهم وتمنوا اظهارهم الايمان
لتجري عليهم باحكام المؤمنين ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم على الكفر وقيل بذنوب احدثوها في الكفر وقيل هم
قوم امنوا ثم ارتدوا الى الكفر ثم امنوا ثم ارتدوا الى الكفر ثم ازدادوا يعني بموتهم عليه وذلك ان من تكرر منه
الايمان بعد الكفر والكفر بعد الايمان مرات كثيرة يدل على انه لا وقع للايمان في قلبه ومن كان كذلك لم
يكن مؤمنا بالله ايمانا صحيحا وازديادهم الكفر هو استهزاؤهم وتلاعبهم بالايمان وسئل هذا المتلاعب
بالدين هل تقبل توبته ام لا حكي عن علي بن ابي طالب انه قال لا تقبل توبته بل يقتل وذهب اكثر اهل
العلم الى ان توبته مقبولة وقوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم يعني ما اقاموا على الكفر وماتوا عليه وذلك
لان الله تعالى اخبر انه يغفر الكفر اذا تاب منه بقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يعني عن الكفر يغفر لهم ما قد
سلف يعني من كفرهم ولا ليهديهم سبيلا يعني طريق هدى وقيل لا يجعلهم بكفرهم مهتدين قوله تعالى بشر
المنافقين بان لهم عذابا اليما يعني اخبرهم يا محمد وانما وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم وقيل البشارة
كل خبر يتغير به بشرة الوجه سارا كان ذلك الخبر او غير سار وقيل معناه اجعل موضع بشارتك
لهم العذاب لان العرب تقول تحيتك الضرب اي هذا بدل من تحيتك قال الشاعر

وخيل قد دلفت لها بخيل ٭ تحية بينهم ضرب وجيع

ثم وصف الله المنافقين فقال تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين يعني يتخذون
اليهود اولياء والنصارى وبطانة من دون المؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون ان محمدا لا يتم
امره فتولوا اليهود فقال الله تعالى ردا على المنافقين ايبتغون عندهم العزة يعني يطلبون من عند
اليهود القوة والمعونة والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه فان العزة لله جميعا يعني
فان القوة والقدرة والغلبة لله جميعا وهو الذي يعز اولياءه واهل طاعته كما قال تعالى ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين وقد نزل عليكم يعني يا معشر المؤمنين في الكتاب يعني القرآن ان اذا سمعتم
ايات الله يكفر بها ويستهزأ بها قال المفسرون الذي انزل عليهم في النهي عن مجالستهم هو قوله تعالى في
سورة الانعام واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وهذا نزل
بمكة لان المشركين كانوا يخوضون في القرآن ويستهزئون به في مجالسهم ثم ان احبار اليهود بالمدينة
كانوا يفعلون مثل فعل المشركين وكان المنافقون يجلسون اليهم ويخوضون معهم في الاستهزاء بالقرآن
فنهى الله المؤمنين عن القعود معهم بقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره يعني حتى يأخذوا
في حديث اخر غير الاستهزاء بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس دخل في هذه الاية كل محدث
في الدين وكل مبتدع الى يوم القيامة انكم اذا مثلهم يعني انكم يا ايها الجالسون مع المستهزئين بايات
الله ورضيتم بذلك فانتم وهم في الكفر سواء قال العلماء وهذا يدل على ان من رضي بالكفر فهو كافر ومن
رضي بمنكر او خالط اهله كان في الاثم بمنزلتهم اذا رضي به وان لم يباشره فان جلس اليهم ولم يرض بفعلهم
بل كان ساخطا له وانما جلس على سبيل التقية والخوف فالامر فيه اهون من المجالسة مع الرضا وان

جلس

جلس مع صاحب بدعة او منكر فلم يخض في بدعته او منكره فيجوز الجلوس معه مع الكراهة وقيل لا يجوز
بحال والاول اصح ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني انهم اجتمعوا في الدنيا على
الاستهزاء بايات الله فكذلك يجمعهم في عذاب جهنم يوم القيامة قوله عز وجل الذين يتربصون بكم
نزلت في المنافقين والمعنى ينتظرون ما يحدث بكم من خير او شر فان كان لكم فتح من الله اي ظفر على
عدو وغنيمة تنالونها منهم قالوا يعني المنافقين الم نكن معكم يعني في الوقعة والفتح فاعطونا من
الغنيمة وقيل معناه الم نكن على دينكم وان كان للكافرين نصيب اي دولة وظفر على المسلمين قالوا
يعني المنافقين للكفار الم نستحوذ عليكم الاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة يقال استحوذ على فلان
اي غلب عليه والمعنى الم نغلبكم ونتمكن منكم ومن قتالكم واسركم ثم لم نفعل ذلك وقيل معناه الم نغلبكم
على رأيكم ونمنعكم من المؤمنين يعني من صلاتهم والدخول في دينهم وقيل معناه الم ندفع عنكم المؤمنين
بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا اياكم باخبارهم واسرارهم فهاتوا نصيبا مما اصبتم منهم ومراد المنافقين
اظهار المنة على الكفار فان قلت لم سمى ظفر المؤمنين فتحا وسمى ظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما لشأن
المؤمنين وتخسيسا لحظ الكفار لان ظفر المسلمين امر عظيم تفتح له ابواب السماء حتى ينزل النصر على المسلمين
واما ظفر الكفار فما هو الا حظ دني ونصيب خسيس لا يبقى منه الا ما نالوه في الدنيا ولهم في الاخرة
العقوبة الشديدة على ذلك النصيب الذي نالوه من المسلمين فالله يحكم بينهم يوم القيامة يعني
الفريقين فريق المؤمنين وفريق المنافقين والمعنى انما وضع السيف عن المنافقين في الدنيا لاجل اكرامهم
بل اخر عذابهم الى يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وفيه قولان احدهما
وهو قول علي بن ابي طالب وابن عباس ان المراد به في القيامة بدليل انه عطف قوله فالله يحكم بينهم
يوم القيامة روي ان رجلا سال علي بن ابي طالب عن هذه الاية ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين
سبيلا وهم يقتلوننا فقال ولن يجعل الله للكافرين يوم القيامة على المؤمنين سبيلا والقول
الثاني ان هذا في الدنيا والمعنى ان حجة المؤمنين غالبة في الدنيا على الكافرين وليس لاحد ان يغلبهم
بالحجة وقيل معناه ان الله لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بان يمحوا دولة المؤمنين بالكلية
ويستفتحوا بيضتهم فلا يبقى احد من المؤمنين وقيل معناه ان الله لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا
بالشرع فان شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيامة ويتفرع على ذلك مسائل من احكام الفقه منها
ان الكافر لا يرث المسلم ومنها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم لم يملكه بدليل هذه الاية
ومنها ان الكافر ليس له ان يشتري عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمي بدليل هذه الاية
قوله تعالى ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم يعني يعاملون الله وهو يجازيهم على خداعهم
وقيل معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم يظهرون له الايمان ويبطنون الكفر
وهو خادعهم يعني والله مجازيهم بالعقاب وقيل انهم يعطون نورا يوم القيامة كما يعطى المؤمنون
فيمضي المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفى نور المنافقين واذا قاموا الى الصلاة يعني المنافقين
قاموا كسالى يعني متثاقلين وسبب هذا الكسل انهم يفعلونها لانهم لا يرجون بفعلها ثوابا ولا يريدون
بها وجه الله عز وجل ولا يخافون على تركها عقابا [illegible] الداعي الى فعلها خوف الناس فلذلك وقع فعلها
على وجه الكسل والفتور يراؤون الناس يعني انهم لا يقومون الى الصلاة الا لاجل الرياء والسمعة لا لاجل
الدين ولا يرون انها واجبة عليهم قال قتادة والله لولا الناس ما صلى منافق ولا يذكرون الله الا قليلا

قال ابن عباس وانما قل ذلك لانهم يفعلونها رياء وسمعة ولو ارادوا بذلك القليل وجه الله لكان كثيرا وقيل لان الله لم يقبل ولو قبله لكان كثيرا وقيل المراد بذكر الله الصلاة والمعنى انهم لا يصلون الا قليلا لانهم متى لم يكن معهم احد من المؤمنين فانهم لا يصلون واذا لا يراهم المؤمنين يتكلفون فعلها **مذبذبين بين ذلك** يعني انهم متحيرين مترددين بين الكفر والايمان لانهم ليسوا مع المؤمنين المخلصين ولا مع المشركين المصرحين بالشرك وهو قوله تعالى **لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء** يعني ليسوا من المؤمنين حتى يجب لهم ما يجب للمؤمنين وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار **ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا** يعني طريقا الى الهدى عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة العايرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة قوله كمثل الشاة العايرة بالعين المهملة ومعناه المتحيرة المترددة لا تدري لاي الغنمين تتبع ومعنى تعير تتردد وتذهب يمينا وشمالا مرة الى هذه ومرة الى هذه لا تدري الى اين تذهب وهذا مثل المنافق مرة مع المؤمنين ومرة مع الكافرين او ظاهره مع المؤمنين وباطنه مع الكافرين قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين** لما ذم الله عز وجل المنافق بقوله مذبذبين بين ذلك نهى الله المؤمنين ان يتخلقوا باخلاق المنافقين يقول لا تتولوا الكفار من دون اهل ملتكم ودينكم فتكونوا كمن اوجب له النار من المنافقين والسبب في هذا النهي ان الانصار بالمدينة كان لهم من يهود بني قريظة حلف ومودة ورضاع فقالوا يا رسول الله من نتولى فقال المهاجرين **اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا** يعني اتريدون ايها المتخذون الكفار اولياء ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة باتخاذكم الكفار اولياء من دون المؤمنين فتستوجبوا بذلك النار مثل المنافقين من النار فقال تعالى **ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار** يعني في الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات بعضها فوق بعض سميت طباق جهنم دركات لانها متداركة متتابعة وقيل الدرك بيت مقفل عليهم يتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم وقيل هي توابيت من حديد مقفلة عليهم في النار فان قلت لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت ان المنافق مثل الكافر في الكفر وزيادة وهو انه ضم الى كفره نوعا اخر من الكفر او اخبث منه وهو الاستهزاء بالاسلام والمسلمين وافشاء اسرار المسلمين ونقلها الى الكفار فلهذا السبب جعل الله عذاب المنافقين اشد عذابا من الكفار والمنافق من اظهر الايمان وابطن الكفر وقيل هو الذي يصف الاسلام بلسانه ولا يعمل بشرايعه ولا يتقيد بقيوده ولا يدخل تحت احكامه واما تسمية من ارتكب ما يفسق به منافقا فللتغليظ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان فان هذه الخصال صفات المنافقين فمن فعلها فقد تشبه بالمنافقين وقوله تعالى **ولن تجد لهم نصيرا** يعني ولن تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصرا ينصرهم من عذاب الله اذا نزل بهم ثم استثنى الله عز وجل من تاب من المنافقين فقال تعالى **الا الذين تابوا** يعني من النفاق **واصلحوا** يعني اصلحوا الاعمال فعملوا بما امر الله به وادوا فرايضه وانتهوا عما نهاهم عنه **واعتصموا بالله** يعني وتمسكوا بعهد الله ووثقوا به **واخلصوا دينهم لله** يعني واخلصوا طاعتهم واعمالهم التي عملوها لله واراده بها ولم يريدوا رياء وسمعة فهذه الامور الاربعة اذا حصلت فقد كمل الايمان فلذلك قال تعالى

فاولئك

فاولئك يعني التائبين من النفاق **مع المؤمنين** يعني في الجنة وقيل مع بمعنى من اي من المؤمنين **وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما** يعني في الاخرة قوله تعالى **ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم** هذا استفهام تقرير معناه انه تعالى لا يعذب الشاكر المؤمن فان تعذيبه لا يزيد في ملكه وتركه عقوبته لا ينقص من سلطانه لانه الغني الذي لا يحتاج الى شيء من ذلك فان عاقب احدا فانما يعاقبه لامر اوجبه العدل والحكمة فان تمم بشكر نعمته وامنتم به فقد ابعدتم القسم من عذابه قال اهل المعاني فيه تقديم وتاخير تقديره ان امنتم وشكرتم لان الايمان مقدم على ساير الطاعات ولان الشكر لا ينفع مع عدم الايمان ولان الواو لا توجب الترتيب وقيل هو على اصله والمعنى ان العاقل ينظر بعين بصيرته اولا الى ما عليه من النعمة العظيمة في ايجاده وخلقه فيشكر على ذلك شكرا مبهما ثم اذا تمم النظر ثانيا انتهى به النظر الى معرفة المنعم عليه امن به ثم شكره شكرا مفصلا فكان ذلك الشكر المبهم مقدما على الايمان فلذلك قدم الشكر على الايمان في الذكر **وكان الله شاكرا** يعني مثيبا عباده المؤمنين موفيا اجورهم والشكر من الله الرضا بالقليل من اعمال عباده واضعاف الثواب عليه وقيل لما امر الله عباده بالشكر سمى الجزاء شكرا على سبيل الاستعارة فالمراد من الشكر في صفة الله تعالى كونه مثيبا على الشكر **عليما** يعني بحق شكركم وايمانكم فيجازيكم على ذلك قوله عز وجل **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم** قال اهل المعاني يعني انه تعالى لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر به انما من القول يعني من القول القبيح الا من ظلم قيل هو استثناء متصل والمعنى الا جهر من ظلم وقيل هو استثناء منقطع ومعناه لكن المظلوم يجوز ان يجهر بظلم الظالم قال العلماء لا يجوز اظهار احوال الناس المستورة المكتومة لان ذلك يصير سببا لوقوع الناس في الغيبة ووقوع ذلك الشخص في الريبة لكن من ظلم فيجوز له اظهار ظلمه فيقول سرق مني او غصب ونحو ذلك وان شتم جاز له ان يشتم بمثله ولا يزيد شيا على ذلك ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى الاول وفي رواية فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم اخرجه مسلم قال ابن عباس لا يحب الله ان يدعو احد على احد الا ان يكون مظلوما فانه قد رخص له ان يدعو على من ظلمه وذلك قوله الا من ظلم وان صبر فهو خير له وقال الحسن البصري هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه ولكن ليقل اللهم اعني عليه اللهم استخرج لي حقي اللهم حل بيني وبين ما يريد ونحوه من الدعا وقيل نزلت الاية في الضيف اذا نزل بقوم فلم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فله ان يشكو ما صنع به قال مجاهد هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فيخرج من عنده فيقول اساء ضيافتي وقال مقاتل نزلت في ابي بكر الصديق وذلك ان رجلا نال منه والنبي صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت عنه ابو بكر مرارا ثم رد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله شتمني فلم تقل له شيا حتى اذا رددت عليه قمت قال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فقمت ونزلت هذه الاية **وكان الله سميعا** يعني لدعاء المظلوم **عليما** بما في قلبه فليتق الله ولا يقول الا الحق قوله تعالى **ان تبدوا خيرا** قال ابن عباس يريد من اعمال البر كالصيام والصدقة والضيافة والصلة وقيل معناه ان تبدوا حسنة فتعملوا بها تكتب لكم عشرا وان هممتم بها فلم تعملوها كتبت لكم واحدة وقيل ان جميع مقاصد الخيرات على كثرتها محصورة في قسمين احدهما صدق النية مع الحق والثاني التخلق مع الخلق فالذي يتعلق بالخلق ينحصر في قسمين ايضا وهما ايصال النفع

اليهم في السر والعلانية والية الاشارة بقوله ان تبدوا خيرا او تخفوه او دفع ضر عنهم والية الاشارة
بقوله او تعفوا عن سوء فيدخل في هاتين الكلمتين جميع اعمال البر وجميع دفع الضر وقيل المراد بالخير
المال والمعنى ان تبدوا الصدقة فتعطوها الفقراء جهرا او تخفوها فتعطوها سرا او تعفوا عن
مظلمة فان الله كان عفوا قديرا يعني لم يزل ذا عفو مع قدرته على الانتقام فاعفوا انتم عمن ظلمكم
واقتدوا بسنة الله عز وجل يعفو عنكم يوم القيمة لانه اهل التجاوز والعفو عنكم وقيل معناه ان
الله كان عفوا لمن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه قوله عز وجل ان الذين يكفرون بالله ورسله
نزلت في اليهود وذلك انهم امنوا بموسى والتوراة وكفروا بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم
اجمعين والقران وقيل نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك ان اليهود امنوا بموسى وكفروا بعيسى
ومحمد والنصارى امنوا بعيسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم اجمعين ويريدون ان يفرقوا بين الله
ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض يعني ويريدون ان يفرقوا بين الايمان بالله والايمان
برسله ولا يصح الايمان بالله تعالى التكذيب ببعض رسله ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا يعني
بالايمان بالبعض دون البعض يتخذون مذهبا يذهبون اليه ودينا يتدينون به اولئك يعني من
هذه صفته هم الكافرون حقا يعني يقينا وانما قال توكيدا لكفرهم لئلا يتوهم متوهم ان الايمان
ببعض الرسل يزيل اسم الكفر عنهم وليعلم ان الكفر ببعض الانبيا كالكفر بكلهم لان الدليل الذي يدل على
نبوة البعض وهو المعجزة لزم منه انه حيث وجدت المعجزة حصلت النبوة وقد وجدت المعجزة
بجميع الانبيا فلزم الايمان بجميعهم واعتدنا يعني وهيانا للكافرين عذابا مهينا يعني يهانون فيه
والذين امنوا بالله ورسله يعني والذين صدقوا بوحدانية الله وبنبوة جميع انبيائه وان جميع
ما جاوا به من عند الله حق وصدق ولم يفرقوا بين احد منهم يعني من الرسل بل امنوا بجميعهم وهم المؤمنون
اولئك يعني من هذه صفته سوف نؤتيهم اجورهم يعني جزاء ايمانهم بالله وبجميع كتبه ورسله وكان الله
غفورا رحيما يعني انه تعالى لما وعدهم بالثواب اخبرهم انه يتجاوز عن سيئاتهم ويغفرها لهم ويرحمهم فهو
كالترغيب لليهود والنصارى في الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانهم اذا امنوا غفر لهم ما كان منهم في حال
الكفر قوله تعالى يسالك اهل الكتاب يعني يسالك يا محمد اهل الكتاب وهم اليهود وذلك ان كعب
ابن الاشرف وفنحاص بن عازورا من اليهود قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فاتنا بكتاب
جملة واحدة من السما كما اتى موسى بالتوراة وقيل سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تنزل عليهم
كتابا من السما مختصا بهم وقيل سالوه ان ينزل عليهم كتابا الى فلان وكتابا الى فلان يشهد لك بانك
رسول الله وكان هذا السوال من اليهود سوال تعنت واقتراح لا سوال استرشاد وانقياد والله
تعالى لا ينزل الايات على اقتراح العباد ولان معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت قد تقدمت وظهرت
فكان طلب الزيادة من باب التعنت وقوله تعالى فقد سالوا موسى اكبر من ذلك يعني اعظم من الذي
سالوك يا محمد ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتوبيخ وتقريع لليهود حيث سالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم سوال التعنت والمعنى لا يعظمن عليك يا محمد سوالهم ذلك فانهم من فرط جهلهم
واجترائهم على الله لو اتيتهم بكتاب من السما لما امنوا بك وانما اسند السوال الى اليهود الذين
كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وان وجد هذا السوال من ابائهم الذين كانوا في ايام موسى
عليه السلام لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسوالهم ومشاكلين لهم في التعنت فقالوا يعني اسلاف

هؤلاء اليهود ارنا الله جهرة يعني عيانا والمعنى ارنا نره جهرة وذلك ان سبعين من بني اسرائيل
خرجوا مع موسى عليه السلام الى الجبل فقالوا ذلك وقد تقدمت القصة في سورة البقرة فاخذتهم
الصاعقة بظلمهم يعني بسبب ظلمهم وسوالهم الرؤية ثم اتخذوا العجل يعني الها وهم الذين خلفهم
موسى مع اخيه هارون حتى خرج الى ميقات ربه من بعد ما جاتهم البينات يعني الدلالات الواضحات
الدالة على صدق موسى ونبوته العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات الباهرة فعفونا عن ذلك
يعني عن ذلك الذنب العظيم فلم نستاصل عبدة العجل والمقصود من هذا تسلية النبي صلى الله
عليه وسلم والمعنى ان هؤلاء الذين يطلبون منك يا محمد ان تنزل عليهم كتابا من السما انما يطلبونه
عنادا ولجاجا فاني قد انزلت التوراة جملة واحدة على موسى واتيته من المعجزات الباهرات والايات
البينات ما فيه كفاية ثم انهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد وعبدوا العجل وكل ذلك يدل على جهلهم وانهم
مجبولون على اللجاج والعناد وفي قوله فعفونا عن ذلك استدعا الى التوبة والمعنى ان اولئك الذين
اجرموا لما تابوا عفونا عنهم فتوبوا انتم نعفو عنكم واتينا موسى سلطانا مبينا يعني حجة واضحة
تدل على صدقه ونبوته المعجزات الباهرات التي اعطاها الله عز وجل لموسى عليه السلام قوله عز وجل
ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم يعني ورفعنا فوقهم الجبل المسمى بالطور بسبب اخذ ميثاقهم وذلك ان
بني اسرائيل امتنعوا من قبول التوراة والعمل بما فيها فرفع الله فوقهم الطور حتى اظلهم ليخافوا فلا ينقضوا
العهد والميثاق وقلنا لهم يعني والطور مظلهم ادخلوا الباب سجدا اي خضعا وادخلوا ثم زحفوا
على استاههم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت يعني وقلنا لهم لا تجاوزوا في يوم السبت الى ما لا يحل لكم فيه
وذلك انهم نهوا ان يصطادوا السمك في يوم السبت فتجاوزوا فاعتدوا واصطادوا فيه وقيل المراد
به النهي عن العمل والكسب في يوم السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا يعني واخذنا منهم عهدا موكدا
شديدا بانهم يعملون ما امرهم الله به وان ينتهوا عما نهاهم الله عنه ثم انهم نقضوا ذلك الميثاق وهو
قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم يعني فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والمعنى فبسبب نقضهم ميثاقهم
لعناهم وسخطنا عليهم وفعلنا بهم ما فعلنا وكفرهم بايات الله وجحودهم بايات الله الدالة على صدق
انبيائه وقتلهم الانبيا يعني بعد قيام الحجة والدلالة على صحة نبوتهم بغير حق يعني بغير استحقاق
لذلك القتل وقولهم قلوبنا غلف يعني وبقولهم على قلوبنا اغطية وغشاوة فهي لا تفقه ما تقول
جمع اغلف وقيل هو جمع غلاف يعني قلوبنا اوعية للعلم فلا حاجة بها الى ما تدعونا اليه فرد الله عليهم
بقوله بل طبع الله عليها بكفرهم يعني بل ختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا يعني
ايمانهم بموسى والتوراة وكفرهم بما سواه من الانبيا والكتب وقيل لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا وقيل
المراد بالقليل هو عبد الله بن سلام واصحابه الذين امنوا من اليهود قوله تعالى وبكفرهم وقولهم على
مريم بهتانا عظيما يعني رموها بالزنا وذلك انهم انكروا قدرة الله تعالى على خلق الولد من غير
اب ومنكر قدرة الله كافر فالمراد بقوله وبكفرهم هو انكارهم قدرة الله تعالى والمراد بقولهم على مريم
بهتانا عظيما هو رميهم اياها بالزنا وانما سماه بهتانا عظيما لانه قد ظهر عند ولادة مريم
من المعجزات ما يدل على براتها من ذلك فلهذا السبب وصف الله قول اليهود على مريم بالبهتان
العظيم قوله عز وجل وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ادعت اليهود انهم قتلوا
عيسى عليه السلام وصدقتهم النصارى على ذلك فكذبهم الله عز وجل جميعا ورد عليهم بقوله وما

قتلوه وما صلبوه وفي قوله رسول الله قولان احدهما انه من قول اليهود فيكون المعنى انه رسول الله على زعمه والقول الثاني انه من قول الله لا على وجه الحكاية عنهم وذلك ان الله ابدل ذكرهم في عيسى عليه السلام القول القبيح بالقول الحسن رفعا لدرجته عما كانوا يذكرونه من القول القبيح وقوله تعالى **ولكن شبه لهم** يعني القي شبه عيسى على غيره حتى قتل وصلب واختلف العلماء في صفة التشبيه الذي شبه على اليهود في امر عيسى عليه السلام فروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه انه قال اتى اليهود عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا لتبرزن لنا عيسى او لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لاصحابه من يشتري نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم انا فخرج اليهم وقال انا عيسى وقد صوره الله على صورة عيسى فاخذوه فقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم وظنوا انهم قد قتلوا عيسى وظنت النصارى مثل ذلك ورفع الله عز وجل عيسى من يومه ذلك وفي رواية اخرى عن وهب ان عيسى عليه السلام قال لاصحابه ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاخذوا شمعون احد الحواريين فقالوا هذا من اصحاب عيسى فجحد وقال ما انا بصاحبه فتركوه ثم اخذوا اخر فجحد كذلك فلما اصبح اتى بعض الحواريين الى اليهود وكان منافقا فقال ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فدلهم عليه فالقى الله شبه عيسى على ذلك المنافق الذي دل عليه فاخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى وقال قتادة ان اعداء الله اليهود زعموا انهم قتلوا عيسى وصلبوه وذكر لنا ان نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شبهي فانه مقتول فقال رجل منهم انا يا نبي الله فاخذ ذلك الرجل فقتل وصلب ورفع الله عيسى الى السماء وقيل ان اليهود حبسوا عيسى في بيت وجعلوا عليه رقيبا يحفظه فالقى الله شبه عيسى على ذلك الرقيب فاخذ فقتل وصلب ورفع الله عز وجل عيسى في ذلك الوقت قال الطبري واولى الاقوال بالصواب ما ذكرنا عن وهب بن منبه من ان شبه عيسى عليه السلام القي على جميع من كان مع عيسى في البيت حين احيط به وبهم من غير مسألة عيسى اياهم ذلك ليخزي الله بذلك اليهود وينقذ به نبيه عيسى عليه السلام من كل مكروه ارادوه به من قتل وغيره وليبتلي به من اراد ابتلاءه من عباده ويحتمل ان يكون القي شبهه على بعض اصحابه بعدما تفرق عنه اصحابه ورفع الله عيسى عليه السلام وبقي ذلك فاخذ وقتل وصلب وظن اصحابه واليهود ان الذي قتلوه وصلبوه هو عيسى لما راوا من شبهه به وخفي امر عيسى عليهم وكانت حقيقة ذلك الامر عند الله تعالى فلذلك قال تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم **وان الذين اختلفوا فيه** يعني في قتل عيسى وهم اليهود **لفي شك منه** يعني من قتله وذلك ان اليهود لما قتلوا ذلك الشخص المشبه بعيسى وكان قد القي الشبه على وجه ذلك الشخص دون جسده فلما قتلوه نظروا الى جسده فراوه غير جسد عيسى فقالوا الوجه وجه عيسى والجسد غيره فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان اليهود لما حبسوا عيسى واصحابه في البيت دخل عليه رجل منهم ليخرجه اليهم فالقى الله شبه عيسى على ذلك الرجل فاخذ وقتل ورفع الله عز وجل عيسى الى السماء ففقدوا صاحبهم فقالوا ان كنا قتلنا المسيح فاين صاحبنا وان كنا قتلنا صاحبنا فاين عيسى فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم النصارى فبعضهم

يقولون ان القتل وقع على ناسوت عيسى دون لاهوته وبعضهم يقول وقع القتل عليهما جميعا وبعضهم يقول رأيناه رفع الى السماء فهذا هو اختلافهم فيه قال الله تعالى **ما لهم به من علم** يعني انهم قتلوا من قتلوا على شك منهم فيه ولم يعرفوا حقيقة ذلك المقتول هل هو عيسى ام غيره **الا اتباع الظن** لكن يتبعون الظن في قتله ظنا منهم انه عيسى لا عن علم وحقيقة **وما قتلوه يقينا** قال ابن عباس يعني لم يقتلوا ظنهم يقينا فعلى هذا القول تكون الهاء في قتلوه عائدة على الظن والمعنى ما قتلوا ذلك الظن يقينا ولم يزل ظنهم ولم يرتفع ما وقع لهم من الشبه في قتله فهو كقول العرب قتله علما وقتله يقينا يعني علمه علما تاما واصل ذلك ان القتل للشيء يكون عن قهر واستيلاء وغلبة ومعنى الاية على هذا لم يكن علمهم بقتل عيسى علما كاملا تاما انما كان ظنا منهم انهم قتلوه فلم يكن لذلك حقيقة وقيل ان الهاء في قتلوه عائدة على عيسى والمعنى وما قتلوا المسيح يقينا كما ادعوا انهم قتلوه وقيل ان قوله يقينا يرجع الى ما بعده تقديره وما قتلوه **بل رفعه الله اليه** يقينا والمعنى انهم لم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه ولكن الله عز وجل رفعه اليه وطهره من الذين كفروا وخلصه ممن اراده بسوء وقد تقدم كيف كان رفعه في سورة ال عمران بما فيه كفاية وقوله تعالى **وكان الله عزيزا** يعني في اقتداره على من يشاء من عباده **حكيما** يعني في انجاء عيسى عليه السلام وتخليصه من اليهود وقيل عزيزا يعني منيعا منتقما من اليهود فسلط عليهم بيطيوس بن اسبسيانوس الرومي فقتل منهم مقتلة عظيمة حكيما حكم باللعنة والغضب على اليهود حيث ادعوا هذه الدعوة الكاذبة قوله تعالى **وان من اهل الكتاب** يعني وما من احد من اهل الكتاب **الا ليؤمنن به** يعني بعيسى عليه السلام وانه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته هذا قول ابن عباس واكثر المفسرين وقال عكرمة في قوله الا ليؤمنن به يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وهذا القول لا وجه له لانه لم يجر للنبي صلى الله عليه وسلم ذكر قبل هذه الاية حتى يرجع الضمير اليه قوله **قبل موته** اختلف المفسرون في هذا الضمير الى من يرجع فقال ابن عباس واكثر المفسرين ان الضمير يرجع الى الكتابي والمعنى وما من احد من اهل الكتاب الا امن بعيسى قبل موت ذلك الكتابي ولكن يكون ذلك الايمان عند الحشرجة حين لا ينفعه ايمانه قال ابن عباس معناه انه اذا وقع في الناس حين لا ينفعه ايمانه سواء احترق او تردى من شاهق او سقط عليه جدار او اكله السبع او مات فجاءة فقيل له ارأيت ان خر من فوق بيته قال يتكلم به في الهواء فقيل له ارأيت ان ضربت عنقه قال يتلجلج بها لسانه وقال شهر بن حوشب ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول امنت انه عبد الله ورسوله ويقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله وابن الله فيقول امنت انه عبد الله واهل الكتاب يؤمنون به ولكن حيث لا ينفعهم ذلك الايمان وذهب جماعة من اهل التفسير الى ان الضمير يرجع الى عيسى عليه السلام وهو رواية ابن عباس ايضا والمعنى وما من احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء في اخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا امن بعيسى حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام قال عطاء اذا نزل عيسى الى الارض لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا احد يعبد غير الله الا امن بعيسى وانه عبد الله وكلمته ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد زاد في رواية وحتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة اقرؤوا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الاية وفي رواية قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن
الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال
فلا يقبله احد اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان عيسى ينزل في اخر الزمان في هذه الامة
ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وانه لا ينزل نبيا برسالة مستقبلة وشريعة ناسخة بل يكون حاكما
من حكام هذه الامة واما معنى قوله صلى الله عليه وسلم فيكسر الصليب يعني يكسره حقيقة ويبطل
ما تزعمه النصارى من تعظيمه وكذلك قتل الخنزير وقوله ويضع الجزية يعني لا يقبلها ممن بذلها من
اليهود والنصارى ولا يقبل من احد الا الاسلام او القتل وعلى هذا قد يقال هذا خلاف ما هو حكم الشرع
اليوم فان الكتابي اذا بذل الجزية وجب قبولها منه ولم يجز قتله ولا اجباره على الاسلام والجواب ان
هذا الحكم ليس مستمرا الى يوم القيمة بل هو مقيد بما قبل نزول عيسى عليه السلام وقد اخبر النبي صلى الله
عليه وسلم بنسخه وليس الناسخ هو عيسى عليه السلام بل الناسخ لهذا الحكم هو نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم لانه هو المبين للنسخ وان عيسى عليه السلام يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فدل على
ان الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والله اعلم قال
الزجاج هذا القول بعيد يعني قول من قال ان ايمان اهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله في اخر
الزمان قال لعموم قوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قال والذين يبقون يومئذ يعني
عند نزوله شرذمة قليل منهم واجاب اصحاب هذا القول يعني الذين يقولون ان ايمان اهل الكتاب
بعيسى انما يكون عند نزوله في اخر الزمان لا ينكران هذا على العموم ولكن المراد بهذا العموم الذين يشاهدون
ذلك الوقت ويدركون نزوله فيؤمنون به ويكون معنى الاية وما من احد من اهل الكتاب ادرك ذلك
الوقت الا امن بعيسى عند نزوله من السما وصحح الطبري هذا القول وقال عكرمة في معنى الاية وان
من اهل الكتاب الا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل موت الكتابي فلا يموت يهودي ولا نصراني حتى
يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك عند الحشرجة حين لا ينفعه ايمانه وقوله تعالى **ويوم القيمة
يكون عليهم شهيدا** يعني يكون عيسى عليه السلام شاهدا على اليهود انهم كذبوه وطعنوا فيه وعلى النصارى
انهم اتخذوه ربا واشركوا به وليشهد على تصديق من صدقه منهم وامن به قال قتادة معناه انه يكون شهيدا
يوم القيمة انه قد بلغ رسالة ربه واقر على نفسه بالعبودية قوله عز وجل **فبظلم من الذين هادوا** يعني
فبسبب ظلم منهم **حرمنا عليهم طيبات احلت لهم** يعني ما حرمنا عليهم الطيبات التي كانت حلالا لهم الا
بظلم عظيم ارتكبوه وذلك الظلم هو ما ذكره من نقضهم الميثاق وما عدد عليهم من انواع الكفر والكبائر
العظيمة مثل قولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة وكقولهم ارنا الله جهرة وكعبادتهم العجل فبسبب هذه الامور
حرم الله عليهم طيبات كانت حلالا عليهم وهي ما ذكره في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر الاية وقال الطبري في معنى الاية حرمنا على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذي واثقوه
وكفروا بايات الله وقتلوا انبياءهم وقالوا البهتان على مريم وفعلوا ما وصفهم الله به في كتابه طيبات
من الماكل وغيرها التي كانت لهم حلالا لهم عقوبة لهم بظلمهم الذي اخبر الله عنهم في كتابه وروي عن
قتادة قال عوقب القوم بظلم ظلموه وبغي بغوه حرمت عليهم اشيا ببغيهم وظلمهم ونقل الواحدي وابن
الجوزي عن مقاتل قال كان الله حرم على اهل التوراة ان يأكلوا الربا ونهاهم ان يأكلوا اموال الناس
ظلما بالباطل وصدوا عن دين الله وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فحرم الله عليهم عقوبة لهم

ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية قال الواحدي فاما وجه تحريم الطيبات عليهم
كيف ومتى كان وعلى لسان من حرم عليهم فلم اجد فيه شيا انتهى الينه فتركته ولعمري انصف الواحدي
فيما قال فان هذه الاية في غاية الاشكال وبيانه ان الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه وقد
ذكر المفسرون في معنى الظلم المذكور في الاية ما تقدم وكلها ذنوب في المستقبل فان قلت علم الله
تعالى وقوع هذه الذنوب منهم قبل وقوعها فحرم عليهم ما حرم من الطيبات التي كانت لهم حلالا
عقوبة لهم على ما سيقع منهم قلت جوابه ما تقدم وهو ان الله لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه ولهذا
لم يذكر الامام فخر الدين في تفسير هذه الاية ما ذكره المفسرون بل ذكر تفسيرا اجماليا فقال اعلم
ان انواع الذنوب محصورة في نوعين الظلم للخلق والاعراض عن الدين الحق اما ظلم الخلق فاليه
الاشارة بقوله **وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربا وقد نهوا عنه** ثم انهم مع ذلك في غاية
على طلب المال تارة يحصلونه بطريق الربا مع انهم قد نهوا عنه وتارة يحصلونه بطريق الرشا وهو
المراد بقوله **واكلهم اموال الناس بالباطل** فهذه الاربعة هي الذنوب التي شدد عليهم بسببه
في الدنيا وفي الاخرة اما التشديد في الدنيا فهو ما تقدم من تحريم الطيبات عليهم واما التشديد
في الاخرة فهو المراد بقوله تعالى **واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما** قال المفسرون انما قال منهم
لان الله علم ان قوما منهم سيؤمنون فيامنون من العذاب قوله تعالى **لكن الراسخون في العلم منهم**
يعني من اليهود وهذا استثنا استثنى الله عز وجل من امن من اهل الكتاب ممن تقدم وصفهم ووصفهم
في الايات التي تقدمت فبين فيما تقدم حال كفار اليهود والجهال منهم وبين في هذه الاية حال من
هداه لدينه منهم وارشده للعمل بما علم فقال لكن الراسخون في العلم ولكن هنا بمعنى الاستدراك
والاستثنا والراسخون في العلم الثابتون في العلم المبالغون فيه اولوا البصاير النافذة والعقول
الصافية وهم عبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اهل الكتاب لانهم رسخوا في العلم وعرفوا
حقيقته فاوصلهم ذلك الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم **والمؤمنون** يعني بالله ورسله **يؤمنون
بما انزل اليك** يعني بالقران الذي انزل اليك **وما انزل من قبلك** يعني ويؤمنون بساير الكتب
التي انزلها الله على انبيائه من قبلك يا محمد وفي المراد بالمؤمنين ههنا قولان احدهما انهم اهل
الكتاب فيكون المعنى لكن الراسخون في العلم منهم وهم المؤمنون والقول الثاني هم المهاجرون والانصار
من هذه الامة فيكون قوله والمؤمنون ابتدا الكلام مستانف يؤمنون بما انزل اليك يعني انهم يصدقون
بالقران الذي انزل اليك يا محمد وما انزل من قبلك **والمقيمين الصلاة** اختلف العلما في وجه
نصبه فحكي عن عايشة وابان بن عثمان انه غلط من الكتاب ينبغي ان يكتب والمقيمون الصلاة
وقال عثمان بن عفان ان في المصحف لحنا ستقيمه العرب بالسنتها فقيل له الا تغيره فقال
دعوه فانه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وذهب عامة الصحابة وساير العلما من تقدم الى انه لفظ
صحيح ليس فيه خطا من كاتب ولا غيره واجيب عما روي عن عثمان وعايشة وابان بن عثمان هذا
بعيد لان الذين جمعوا القران هم اهل اللغة والفصاحة والقدرة على ذلك فكيف يتركون
في كتاب الله لحنا يصلحه غيرهم فلا ينبغي ان ينسب هذا اليهم قال ابن الانباري ما روي عن عثمان
لا يصح لانه غير متصل ومحال ان يؤخر عثمان شيا فاسدا ليصلحه غيره ولان القران منقول بالتواتر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه وقال الزمخشري في الكشاف ولا

يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب يعني كتاب سيبويه ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص والمدح من الافتنان وغنوباب واسع قد ذكره سيبويه على امثلة وشواهد ربما خفي عليه ان السابقين الاولين كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن من ان يتركوا في كتاب الله عز وجل ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفعه من يلحق بهم ثم اختلف العلما في المقيمين الصلاة انهم الراسخون في العلم ام غيرهم على قولين احدهما انهم هم وانما نصب على المدح والمعنى اذكر المقيمين الصلاة والموتون الزكاة قالوا والعرب يفعل ذلك في صفة الشي الواحد ونعته اذا تطاولت بمدح او ذم فيخالفون بين اعراب اوله واوسطه احيانا ثم رجعوا باخره الى اعراب اوله وربما اجروا اعراب اخره على اعراب اوسطه وربما اجروا على ذلك على نوع واحد من الاعراب واستشهدوا على معنى الاية

لا يبعدن قومي الذين هم	سم العداة وافة الجزر
النازلين بكل معترك	والطيبون معاقد الازر

وهذا على معنى اذكر النازلين وهم الطيبون ومن هذا المعنى قول جاني قومك المطعمين وهم المعينون والقول الثاني ان المقيمين الصلاة غير الراسخين في العلم وموضع والمقيمين الصلاة خفض بالعطف على قوله تعالى بما انزل اليك وعلى هذا القول يكون معنى الاية والمومنون يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالمقيمين الصلاة وهم الانبيا لانه لم يخل شرع احد منهم من اقامة الصلاة وقيل المراد بهم الملائكة لانهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وصحح الزجاج القول الاول واختاره وصحح الطبري القول الثاني واختاره وقوله تعالى **والموتون الزكاة** عطف على والمومنون لانه من صفتهم **والمومنون بالله واليوم الاخر** يعني والمصدقون بوحدانية الله وبالبعث بعد الموت وبالثواب والعقاب **اولئك** يعني من هذه الاوصاف صفته **سنوتيهم اجرا عظيما** يعني سنعطيهم على ما كان منهم من طاعة الله واتباع امره ثوابا عظيما وهو الجنة قوله عز وجل **انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده** قال ابن عباس قال سكين وعدي بن زيد يا محمد ما نعلم ان الله انزل على بشر من شي بعد موسى فانزل هذه الايات وقيل هو جواب لاهل الكتاب عن سوالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السما جملة واحدة فاجاب الله عز وجل على سوالهم هذه الاية فقال انا اوحينا اليك يا محمد كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده والمعنى انكم يا معشر اليهود تقرون بنبوة نوح وبجميع الانبيا المذكورين في هذه الاية وهم اثني عشر نبيا والمعنى ان الله تعالى اوحى الى هولا الانبيا وانتم يا معشر اليهود معترفون بذلك وما انزل الله على احد من هولا المذكورين كتابا جملة واحدة مثل ما انزل على موسى فلما لم يكن عدم انزال كتاب جملة واحدة على احد هولا الانبيا قادحا في نبوته فلذلك لم يكن انزال القران على محمد صلى الله عليه وسلم قادحا في نبوته بل قد انزل عليه كما انزل عليهم قال المفسرون وانما بدا الله عز وجل بذكر نوح عليه السلام لانه اول نبي واول نذير على الشرك وانزل الله عز وجل عليه عشر صحايف وكان اول من عذبت امته لردهم دعوته واهلك اهل الارض بدعايه وكان ابا البشر كادم عليهما السلام وكان اطول الانبيا عمرا عاش الف سنة لم ينقص قومه ولم يشب ولم ينقص له سن وصبر على اذى قومه طول عمره ثم ذكر الله الانبيا من بعده جملة بقوله تعالى والنبيين من بعده ثم خص جماعة من الانبيا بالذكر لفضلهم وشرفهم **واوحينا الى ابراهيم**

واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وهم اولاد يعقوب وكانوا اثني عشر **وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان واتينا داود زبورا** يعني واتينا داود كتابا مزبورا يعني مكتوبا وقيل الزبور بالفتح اسم للكتاب الذي انزل على داود وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل كلها تسبيح وتقديس وتحميد وثنا على الله عز وجل ومواعظ وكان داود عليه السلام يخرج الى البرية يوما ويقرا الزبور ويقوم علما بني اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلما ويقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجي الدواب التي في الجبال فيقمن بين يديه وترفرف الطير على روس الناس يستمعون لقراة داود ويتعجبون منها فلما قارف الذنب زال عنه ذلك وقيل له كان ذلك انس الطاعة وهذا ذل المعصية **و**عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رايتني البارحة وانا استمع لقراتك لقد اعطيت مزمارا من مزامير آل داود قال الحميدي زاد البرقاني قلت والله يا رسول الله لو علمت انك تستمع لقراتي لحبرتها لك تحبيرا التحبير تحسين الصوت بالقراة قال بعض العلما وانما لم يذكر موسى عليه السلام في هذه الاية لان الله انزل عليه التوراة جملة واحدة وكان المقصود بذكر من ذكر من الانبيا في الاية انه لم ينزل على احد منهم كتابا جملة واحدة فلهذا لم يذكر موسى عليه السلام قوله تعالى **ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل** لما نزلت هذه الاية قالت اليهود ما لموسى لم يذكر فانزل الله هذه الاية وفيه ذكر موسى عليه السلام والمعنى واوحينا الى رسل قد قصصناهم عليك من قبل يعني سميناهم في القران وعرفناك اخبارهم والى من بعثوا وما رد عليهم قومهم **ورسلا لم نقصصهم عليك** اي لم نسمهم لك ولم نعرفك اخبارهم قال اهل المعاني الذين نوه الله بذكرهم من الانبيا يدل على تفضيلهم على من لم يذكر فلم يسم قوله تعالى **وكلم الله موسى تكليما** يعني خاطبه مخاطبة من غير واسطة لان تاكيد كلام بالمصدر يدل على تحقيق الكلام وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك لان افعال المجاز لا تؤكد بالمصادر فلا يقال اراد الحائط ينشق ارادة وهذا رد على من يقول ان الله تعالى خلق كلاما في محل فسمع موسى ذلك الكلام وقال الفرا العرب تسمي كل ما يوصل للانسان كلاما باي طريق وصل لكن لا يحققه بالمصدر فاذا حقق بالمصدر لم يكن الا حقيقة الكلام فدل قوله تعالى تكليما على ان موسى سمع كلام الله حقيقة من غير واسطة روى الطبري بسنده من عدة طرق عن كعب الاحبار قال لما كلم الله عز وجل موسى عليه السلام كلمه بالالسنة كلها قبل كلامه يعني كلام موسى بلسانه فجعل موسى يقول رب لا افهم حتى كلمه بلسانه اخر الالسنة فقال يا رب هكذا كلامك قال لو سمعت كلامي يعني على وجهه لم تك شيا قال موسى يا رب هل في خلقك شي يشبه كلامك قال لا واقرب خلقي شبها بكلامي اشد ما يسمع الناس من الصواعق قال بعض العلما كما ان الله تعالى خص موسى عليه السلام بالتكليم وشرفه به لم يكن قادحا في نبوة من انزل عليه كتابه متفرقا من الانبيا قوله عز وجل **رسلا مبشرين ومنذرين** يعني انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده ومن اولئك النبيين رسلا الى خلقي مبشرين من اطاعني واتبع امري وصدق رسلي بالثواب الجزيل في الجنة ومنذرين من عصاني وخالف امري وكذب رسلي بالعذاب الاليم في النار وقيل هو جواب عن سوال اليهود انزال الكتاب جملة واحدة والمعنى ان المقصود من بعثة الرسل هو ارشاد الخلق الى معرفة الله وتوحيده والايمان به والاشتغال بعبادته وانذار من خالف ذلك وهذا المقصود يحصل بانزال الكتاب جملة واحدة وبانزاله نجوما متفرقة بل انزاله متفرقا

اولى وذلك ان النفوس قبل بعثة الرسل وانزال الكتب عليهم لم تكن تعرف شيئا من العبادات ولم تألفها
فاذا انزل الكتاب جملة واحدة وفيه جميع التكاليف ربما حصل في بعض نفوس العباد نفور من تلك
وتثقل عليهم كما اخبر عن قوم موسى بقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا
ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فلم يقبلوا احكام التوراة الا بعد شدة فلهذا السبب كان انزال الكتاب
نجوما متفرقة اولى وقوله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يعني بعد ارسال الرسل
وانزال الكتب والمعنى لئلا يحتج الناس على الله في ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل فيقولوا ما
ارسلت الينا رسولا وما انزلت علينا كتابا ففيه دليل على انه لو لم يبعث الرسل لكان للناس عليه
حجة في ترك التوحيد والطاعة وفيه دليل على ان الله لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل كما قال الله
تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفيه دليل لمذهب اهل السنة على ان معرفة الله لا تثبت
الا بالسمع لان قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يدل على ان قبل بعثة الرسل تكون
لهم حجة في ترك الطاعات والعبادات فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل والخلق
محجوجون بما نصب من الادلة التي النظر فيها موصل الى معرفته ووحدانيته كما قيل •
• وفي كل شيء له اية • تدل على انه واحد • قلت الرسل منبهون من رقاد الغفلة والجهالة
وباعثون الخلق على النظر في تلك الدلايل التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى ومبينون لها
وهم وسايط بين الله وخلقه ومبينون احكام الله التي افترضها على عباده ومبلغون رسالاته اليهم
ق عن المغيرة بن شعبة قال قال سعد بن عبادة لو رايت رجلا مع امراتي لضربته بالسيف غير مصفح
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير
مني ومن اجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك
بعث المنذرين والمبشرين ولا احد احب اليه المدحة من الله ومن اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين
وعد الجنة لفظ البخاري وفي لفظ مسلم ولا شخص احب اليه العذر من الله ومن اجل ذلك بعث الله
المرسلين مبشرين ومنذرين وقوله تعالى وكان الله عزيزا يعني في انتقامه ممن خالف امره وعصى رسله
حكيما يعني في ارسال الرسل قوله تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك قال ابن عباس دخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود فقال لهم اني والله اعلم انكم لتعلمون اني رسول الله فقالوا ما نعلم
ذلك فانزل الله هذه الاية وفي رواية عن ابن عباس قال ان روسا مكة اتوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا يا محمد انا سالنا عنك اليهود وعن صفتك في كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك فانزل
الله عز وجل لكن الله يشهد بما انزل اليك ان جحدك هولاء اليهود يا محمد وكفروا بما اوحينا اليك وقالوا
ما انزل الله على بشر من شيء فقد كذبوا فيما ادعوا فان الله يشهد لك بالنبوة ويشهد بما انزل
اليك من كتابه ووحيه والمعنى ان اليهود وان شهدوا ان القران لم ينزل عليك يا محمد لكن الله يشهد
بانه انزله عليك وشهادة الله انما عرفت بسبب انه انزل هذا القران البالغ في الفصاحة والبلاغة
الى حيث عجز الاولون والاخرون عن معارضته والاتيان بمثله فكان ذلك معجزا واظهار المعجزة
شهادة بكون المدعي صادقا لا جرم قال الله تعالى لكن الله يشهد لك يا محمد بالنبوة بواسطة
هذا القران الذي انزله عليك انزله بعلمه يعني انه تعالى لما قال لكن الله يشهد بما انزل اليك
بين صفة ذلك الانزال وهو انه تعالى انزله بعلم تام وحكمة بالغة وقيل معناه انزله وهو عالم

بانك اهل لانزاله عليك وانك مبلغه الى عباده وقيل معناه انزله بما علم من مصالح عباده
في انزاله عليك والملائكة يشهدون يعني يشهدون بان الله انزله عليك ويشهدون بصدقك
وانما عرفت شهادة الملائكة لان الله تعالى اذا شهد بشيء شهدت الملائكة بذلك الشيء وقد
ثبت ان الله يشهد بانه انزله بعلمه فكذلك الملائكة يشهدون بذلك وكفى بالله شهيدا
يعني وحسبك يا محمد ان الله يشهد لك وكفى به شهيدا وان لم يشهد معه احد غيره ففيه تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم عن شهادة اهل الكتاب له فان الله يشهد له وملايكته كذلك
قوله عز وجل ان الذين كفروا يعني جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود وصدوا
عن سبيل الله يعني منعوا غيرهم عن الايمان به بكتمان صفته والقا الشبهات في قلوب الناس
وقولهم لو كان محمد صلى الله عليه وسلم رسولا لاتى بكتاب من السما جملة واحدة كما اتى موسى
بالتوراة قد ضلوا ضلالا بعيدا يعني عن طريق الهدى ان الذين كفروا وظلموا يعني كفروا بالله
وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتمان صفته وظلموا غيرهم بالقا الشبهات في قلوبهم لم يكن الله
ليغفر لهم يعني لمن علم منهم انهم يموتون على الكفر وقيل معناه لم يكن الله ليستر عليهم قبايح افعالهم
بل يفضحهم في الدنيا ويعاقبهم عليها بالقتل والسبي والجلا وفي الاخرة بالنار ولا ليهديهم طريقا
يعني ينجون فيها من النار وقيل ولا ليهديهم طريقا الى الاسلام لانه قد سبق في علمه انهم لا يومنون
الا طريق جهنم يعني لكنه تعالى يهديهم الى طريق يودي الى جهنم وهي اليهودية لما سبق في علمه انهم
اهل لذلك خالدين فيها يعني في جهنم ابدا وكان ذلك على الله يسيرا معناه هينا قوله تعالى
يا ايها الناس هذا خطاب عام يدخل فيه جميع الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام
وغيرهم وقيل هو خطاب لمشركي العرب قد جاءكم الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق
يعني بدين الاسلام الذي ارتضاه الله لعباده وقيل جاء بالقران الذي هو الحق من ربكم يعني من
عند ربكم فامنوا خيرا لكم يعني فامنوا بما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم يكن الايمان بذلك خيرا
لكم يعني من الكفر الذي انتم عليه وان تكفروا يعني وان تجحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذبوا بما
جاءكم به من الحق من ربكم فان لله ما في السموات والارض يعني فان الله هو الغني عن ايمانكم لان له ما
في السموات والارض ملكا وعبيدا ومن كان كذلك لم يكن محتاجا الى شيء وانه قادر على ما يشا وكان
الله عليما يعني بما يكون منكم لا يخفى عليه شيء من اعمال عباده فيجزي كل عامل بعمله حكيما يعني في تكليفكم
مع علمه بما يكون منكم قوله عز وجل يا اهل الكتاب نزلت هذه الاية في النصارى وذلك ان
الله تعالى لما اجاب عن شبه اليهود فيما تقدم من الايات اتبع ذلك بابطال ما تعتقده
النصارى واصناف النصارى اربعة اليعقوبية والملكانية والنسطورية والمرقوسية فاما
اليعقوبية والملكانية فقالوا في عيسى انه الله وقالت النسطورية انه ابن الله وقالت المرقوسية
ثالث ثلاثة وقيل انهم يقولون ان عيسى جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن
واقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن عيسى وباقنوم روح
القدس الحياة الحالة فيه فتقديره عندهم الالهة ثلاثة وقيل انهم يقولون في عيسى ناسوتية
والوهية فناسوتيته من قبل الام والوهيته من قبل الاب تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا
يقال ان الذي اظهر هذا للنصارى رجل من اليهود يقال له بولص تنصر ودس هذا في دين

النصارى ليضلهم بذلك وسياتي قصته في سورة التوبة ان شا الله تعالى وقيل يحتمل ان يكون
المراد باهل الكتاب اليهود والنصارى جميعا فانهم غلوا في امر عيسى عليه السلام فاما اليهود
فانهم بالغوا في التقصير في امره حتى حطوه من منزلته حيث جعلوه مولودا لغير رشده وغلت النصارى
في رفع عيسى عن منزلته ومقداره حيث جعلوه الها فقال الله تعالى ردا عليهم يا اهل الكتاب
لا تغلوا في دينكم واصل الغلو مجاوزة الحد وهو في الدين حرام والمعنى لا تفرطوا في امر عيسى فلا تحطوه
عن منزلته ولا ترفعوه فوق قدره ومنزلته ولا تقولوا على الله الا الحق يعني لا تقولوا ان له شريكا وولدا
وقيل معناه لا تصفوه بالحلول والاتحاد في بدن الانسان ونزهوا الله تعالى عن ذلك ولما منعهم
الله من الغلو في دينهم ارشدهم الى طريق الحق في امر عيسى عليه السلام فقال تعالى انما المسيح عيسى
ابن مريم رسول الله يقول انما المسيح هو عيسى ابن مريم ليس له نسب غير هذا وانه رسول الله فمن
زعم غير هذا فقد كفر واشرك وكلمته يعني قوله تعالى كن فكان بشرا من غير اب ولا واسطة القاها
الى مريم يعني اوصلها الى مريم وروح منه يعني انه كسائر الارواح التي خلقها الله وانما اضافه الى نفسه
على سبيل التشريف والتكريم كما يقال بيت الله وناقة الله وهذه نعمة من الله يعني انه هو تفضل بها
وقيل الروح هو الذي نفخ جبريل عليه السلام في جيب درع مريم فحملت باذن الله وانما اضافه الى
نفسه بقوله منه لانه وجد بامر الله قال بعض المفسرين ان الله لما خلق ارواح البشر جعلها في صلب
ادم عليه السلام وامسك عنده روح عيسى فلما اراد الله ان يخلقه ارسل بروحه مع جبريل
الى مريم فنفخ في جيب درعها فحملت بعيسى عليه السلام وقيل ان الروح والريح متقاربان في كلام
العرب فالروح عبارة عن نفخ جبريل عليه السلام وقوله منه يعني ان ذلك النفخ كان بامره واذنه وقيل
ادخل النكرة في قوله وروح على سبيل التعظيم والمعنى روح واي روح من الارواح الشريفة القدسية
العالية المطهرة وقوله منه اضافة لتلك الروح الى نفسه لاجل التشريف والتكريم ق عن عبادة
ابن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة
والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان من العمل وقوله تعالى فامنوا بالله ورسله يعني فصدقوا
يا اهل الكتاب بوحدانية الله وانه لا ولد له وصدقوا رسله فيما جاؤكم به من عند الله وصدقوا
بان عيسى عليه السلام من رسل الله فامنوا به ولا تجعلوه الها وهو قوله تعالى ولا تقولوا ثلاثة
يعني ولا تقولوا الالهة ثلاثة وذلك ان النصارى يقولون اب وابن وروح القدس وقيل انهم يقولون
ان الله بالجوهر ثلاثة اقانيم وذلك انهم اثبتوا ذاتا موصوفا بصفات ثلاثة بدليل انهم يجوزون
على تلك الذات الحلول في عيسى وفي مريم فاثبتوا ذواتا متعددة ثلاثة وهذا هو محض الكفر فلهذا
قال الله تعالى ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم يعني لكن الانتهاء عن هذا القول خيرا لكم من القول
بالتثليث ثم نزه الله تعالى نفسه عن قول النصارى بالتثليث فقال تعالى انما الله اله واحد
ثم نزه نفسه عن الولد فقال سبحانه ان يكون له ولد يعني لا ينبغي ان يكون له ولد لان الولد
جزء من الاب وتعالى الله عن التجزية وعن صفات الحدوث له ما في السموات وما في الارض يعني
انه تعالى له ملك السموات والارض وما فيهما عبيده وملكه وعيسى ومريم من جملة من فيهما فهما
عبيده وملكه واذا كانا عبدين له فكيف يعقل مع هذا ان له ولدا او زوجة تعالى الله عن ذلك

كله

كله علوا كبيرا وهذا بيان للتنزيه عما نسب اليه من الولد والمعنى ان جميع ما في السموات والارض
خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه لان التجزية انما تصح في الاجسام والله تعالى منزه
عن صفات الاجسام والاعراض وكفى بالله وكيلا يعني انه تعالى كاف في تدبير جميع خلقه فلا حاجة
له الى غيره وكل الخلق محتاجون اليه وفقرا اليه وهو غني عنهم قوله تعالى لن يستنكف المسيح ان
يكون عبدا لله وذلك ان وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا فتقول انه عبد الله فقال
النبي صلى الله عليه وسلم انه ليس بعار على عيسى ان يكون عبدا لله فنزلت لن يستنكف المسيح يعني
لن يانف ولم يتعظم والاستنكاف الاستكبار مع الانفة يقال نكفت من كذا واستنكفت منه اي انفت
منه واصله من نكفت الشي نحيته ونكفت الدمع اذا نحيته باصبعك من خدك والمعنى لن ينقبض
ولن يمتنع ولن يانف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون يعني ولن يستنكف الملائكة
المقربون وهم حملة العرش والكروبيون وافاضل الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ان
يكونوا عبيدا لله ولانهم في ملكه ومن جملة خلقه وقيل لما ادعت النصارى في عيسى انه ابن الله
وذلك لما راوا منه خوارق العادات من احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص وغير ذلك من المعجزات
اجاب الله تعالى عن هذه الشبهة التي وقعت للنصارى بان عيسى مع شرف قدره وكرامته لن يستنكف
ان يكون عبدا لله وكذلك الملائكة المقربون فانهم مع كرامتهم وعلو منزلتهم لن يستنكفوا ان يكونوا
عبيدا لله وقد يستدل بهذه الاية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر ووجه الدليل ان الله تعالى
ارتقى من عيسى الى الملائكة ولا يرتقى الا من الادنى الى الاعلى ولا حجة لهم فيه والجواب عنه ان الله تعالى
لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل قاله ردا على من يقول ان الملائكة بنات الله او انهم الهة
كما رد على النصارى فانهم يقولون بتفضيل الملائكة يعني كما ان المسيح عبد الله فكذلك الملائكة عبيد
الله وقوله تعالى ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يعني ومن يتعظم عن عبادة الله ويانف من
التذلل له والخضوع بالطاعة من جميع خلقه فسيحشرهم اليه جميعا يعني فسيجمعهم يوم القيمة لموعدهم
الذي وعدهم حيث لا يملكون لانفسهم شيا فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم
يعني فيوفيهم جزا اعمالهم الصالحة ويزيدهم من فضله يعني ويزيدهم على ما اعطاهم من الثواب على
اعمالهم الصالحة من التضعيف على ذلك ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين
استنكفوا واستكبروا يعني الذين انفوا وتكبروا عن عبادة الله تعالى فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون
لهم من دون الله يعني من سوى الله لانفسهم وليا يعني ينجيهم من عذابه ولا نصيرا يعني ولا ناصرا ينصرهم منه
ويدفع عنهم عقوبته بقي في الاية سؤال وهو ان التفصيل غير مطابق للمفصل لان التفصيل اشتمل
على ذكر فريقين وهو قوله فاما الذين امنوا فيوفيهم اجورهم واما الذين استنكفوا واستكبروا والمفصل
اشتمل على ذكر فريق واحد وهو قوله تعالى ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر والجواب انه لا اشكال
فيه فهو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك
بوجهين احدهما انما حذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه لان ذكر احدهما يدل على ذكر
الثاني والوجه الثاني ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قال ومن
يستنكف عن عبادته ويستكبر فيعذبهم بالحسرة والغم اذا راوا اجور المطيعين العاملين لله تعالى قوله
عز وجل يا ايها الناس خطاب للكافة قد جاكم برهان من ربكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما جا به

من البينات من ربه عز وجل وانما سماه برهانا لما معه من المعجزات الباهرات التي تشهد بصدقه وان البرهان دليل على اقامة الحق وابطال الباطل والنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك ولان الله تعالى جعله حجة قاطعة قطع به عذر جميع الخلايق **وانزلنا اليكم نورا مبينا** يعني القران وانما سماه نورا لان به تتبين الاحكام كما تتبين الاشيا بالنور بعد الظلام ولانه سبب لوقوع نور الايمان في القلب فسماه نورا لهذا المعنى **فاما الذين امنوا بالله** يعني صدقوا بوحدانية الله وبما ارسل من رسول وانزل من كتاب **واعتصموا به** يعني بالله في ان يثبتهم على الايمان ويصونهم عن زيغ الشيطان وقيل في معنى واعتصموا به اي وتمسكوا بالنور وهو القران الذي انزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم **فسيدخلهم في رحمة منه** يعني فسيدخلهم في رحمته التي ينجيهم بها من اليم عذابه قال ابن عباس الرحمة الجنة **وفضل** يعني ما يتفضل به عليهم بعد ادخالهم الجنة مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر **ويهديهم اليه صراطا مستقيما** يعني ويوفقهم لاصابة فضله الذي تفضل به عليهم ويسددهم لسلوك منهج من انعم عليه من اهل طاعته ويرشدهم لدينه الذي ارتضاه لعباده وهو دين الاسلام قوله تعالى **يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة** نزلت في جابر بن عبد الله الانصاري عن جابر بن عبد الله قال مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر يعودانى ماشيين فاغمي علي فتوضا النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب علي من وضوئه فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي كيف اقضي في مالي فلم يرد علي شيا حتى نزلت اية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وفي رواية فقلت يا رسول الله انما ترثني كلالة فنزلت اية الميراث قال شعبة فقلت لمحمد بن المنكدر يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة قال هكذا انزلت وفي رواية الترمذي وكان لي تسع اخوات حتى نزلت اية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ولابي داود قال اشتكيت وعندي سبع اخوات فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفخ في وجهي فافقت فقلت يا رسول الله الا اوصي لاخواتي بالثلثين قال احسن قلت بالشطر قال احسن ثم خرج وتركني فقال يا جابر لا اراك ميتا من وجعك هذا وان الله قد انزل فبين الذي لاخواتك فجعل لهم الثلثين قال فكان جابر يقول انزلت هذه الاية في يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وروي الطبري عن قتادة ان الصحابة اهمهم شان الكلالة فسالوا عنها نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وروي عن ابن سيرين قال نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة والنبي صلى الله عليه وسلم في مسير له والى جنبه حذيفة بن اليمان فبلغها النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة وبلغها حذيفة عمر بن الخطاب وهو يسير خلفه فلما استخلف عمر سال حذيفة عنها ورجاه ان يكون عنده تفسير فقال له حذيفة والله انك لعاجز ان ظننت ان امارتك تحملني ان احدثك فيها ما لم احدثك يومئذ فقال عمر لم ارد هذا رحمك الله واما التفسير فقوله تعالى يستفتونك يعني يسالونك ويستخبرونك عن معنى الكلالة يا محمد قل الله يفتيكم في الكلالة يعني ان الله هو يخبركم عما سالتم عنه من امر الكلالة وقد تقدم في اول السورة الكلام على معنى الكلالة من حيث الاشتقاق وغيره وان اسم الكلالة يقع على الوارث وعلى الموروث فان وقع على الوارث فهم من سوى الوالد والولد وان وقع على الموروث فهو من مات ولا يرثه احد الابوين ولا احد الاولاد وقوله تعالى **ان امرؤ هلك** يعني مات سمي الموت هلاكا لانه اعلام في الحقيقة **ليس له ولد** يعني ولا والد فاكتفى

بذكر

بذكر احدهما عن الاخر ويدل على المحذوف ان السؤال عن الفتيا انما كان في الكلالة وقد تقدم ان الكلالة من ليس له ولد ولا والد **وله اخت** يعني وللهالك اخت واراد بالاخت من ابيه وامه او من ابيه **فلها نصف ما ترك** يعني فللاخت الميت نصف تركته وتوفر بهما اذا انفردت وباقي المال لبيت المال اذا لم يكن للميت عصبة وهذا مذهب زيد بن ثابت وبه قال الشافعي وعند ابي حنيفة واهل العراق يرد الباقي فان كان للميت بنت اخذت النصف بالفرض واخذت الاخت النصف الباقي بالتعصيب لا بالفرض لان الاخوات مع البنات عصبة وقوله تعالى **وهو يرثها ان لم يكن لها ولد** يعني ان الاخت اذا ماتت وتركت اخا من الاب والام او من الاب فانه يستغرق جميع ميراث الاخت اذا انفردت فلم يكن للاخت ولد وهذا اصل في جميع العصبات واستغراقهم جميع المال فاما الاخ من الام فانه صاحب فرض لا يستغرق جميع المال وقد تقدم بيانه **فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك** اراد اثنتين فصاعدا وهو ان من مات وترك اختين او اخوات فلهن الثلثان مما ترك الميت **وان كانوا اخوة رجالا ونسا فللذكر مثل حظ الانثيين** يعني وان كان المتروكون من الاخوة رجالا ونسا فللذكر منهم مثل نصيب اثنتين من اخواته الايات **يبين الله لكم ان تضلوا** يعني يبين الله لكم ان تضلوا هذه الفرايض والاحكام لئلا تضلوا وقيل معناه كراهية ان تضلوا وقيل يبين الله الضلال لتجتنبوها **والله بكل شي عليم** يعني من مصالح عباده التي حكم بها من قسمة المواريث وبيان الاحكام وغير ذلك لان علمه محيط بكل شي ق عن البرا بن عازب رضي الله عنه قال ان اخر سورة نزلت تامة سورة التوبة وان اخر اية نزلت اية الكلالة وفي رواية لمسلم قال اخر اية نزلت يستفتونك وروي عن ابن عباس ان اخر اية نزلت اية الربا واخر سورة نزلت اذا جا نصر الله والفتح وروي عنه ان اخر اية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزول سورة النصر سنة ونزلت بعدها سورة براة وهي اخر سورة نزلت كاملة فعاش بعدها ستة اشهر هكذا ذكره البغوي وفيه نظر لانه قد ثبت في الصحيحين من حديث ابي بكر الصديق ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه في الحجة التي امره عليها قبل حجة الوداع في رهط يوذن في الناس يوم النحر الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم اردفه النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن ابي طالب فامره ان يوذن ببراة قال ابو هريرة فاذن معنا في اهل منى ببراة الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكانت حجة ابي بكر هذه سنة تسع قبل حجة الوداع بسنة قال البغوي ثم نزلت في طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة فسميت اية الصيف ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم اكملت لكم دينكم فعاش بعدها احدا وثمانين يوما ثم نزلت اية الربا ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها احدى وعشرين يوما اخر تفسير سورة النسا والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة المايدة

نزلت بالمدينة الا قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم فانها نزلت بعرفة في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فقراها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته وقال ايها الناس ان سورة المايدة من اخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فان قلت لم خص النبي صلى الله عليه وسلم

مبحث
تفسير المايدة وما يتعلق بذلك

هذه السورة من بين سور القران بقوله فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وكل سور القران يجب ان يحل
حلالها ويحرم حرامها قلت هو كذلك وانما خص هذه السورة لزيادة الاعتنا بها فهو كقوله تعالى
ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم فلا تظلموا فيهن انفسكم فاكد اجتناب
الظلم في هذه الاربعة اشهر وان كان لا يجوز الظلم في شي من جميع شهور السنة وانما فرد الاربعة
الاشهر بالذكر لزيادة الاعتنا بها وقيل انما خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة لان فيها
ثمانية عشر حكما لم تنزل في غيرها من سور القران قال البغوي روي عن ميسرة قال ان الله تعالى انزل
في هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها في غيرها وهي قوله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة
وما اكل السبع وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام
الذين اوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب وتمام بيان الطهر في قوله اذا قمتم
الى الصلاة والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وانتم حرم ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة
ولا وصيلة ولا حام وقوله شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود** يعني العهود قاله الجماعة واختلفوا في المراد بهذه
العقود التي امر الله تعالى بالوفاء بها فقال ابن جرير هذا خطاب لاهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين امنوا
بالكتب المتقدمة اوفوا بالعقود التي عهدتها اليكم في شان محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وقيل هو
خطاب للمومنين امرهم بالوفا بالعقود قال ابن عباس هي عهود الايمان وما اخذه على عباده في القران
فيما احل وحرم وقيل هي العقود التي كانت في الجاهلية كان يعاقد بعضهم بعضا على النصرة والموازرة على
من حاول ظلمه او بغاه بسوء وذلك هو معنى الحلف الذي كانوا يتعاقدونه بينهم قال قتادة ذكر لنا
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اوفوا بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقدا في الاسلام وقيل بل هي
العقود التي يتعاقدها الناس بينهم وما يعقده الانسان على نفسه والعقود خمس عقد اليمين وعقد
النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الشركة زاد بعضهم وعقد الحلف قال الطبري
واولى الاقوال عندنا بالصواب ما قاله ابن عباس ان معناه اوفوا ايها المومنون بعقود الله التي
اوجبها عليكم وعقدها فيما احل لكم وحرم عليكم والزمكم فرضه وبين لكم حدوده وانما قلنا ان هذا
القول اولى بالصواب لان الله تعالى اتبعه بالبيان عما احل لعباده وحرم عليهم فقال تعالى **احلت لكم
بهيمة الانعام** وهذا خطاب للمومنين خاصة والبهيمة اسم لكل ذي اربع من الحيوان لكن خص
في التعارف بما عدا السباع والضواري من الوحوش وانما سميت بهيمة لانها ابهمت عن العقل والتمييز
قال الزجاج كل حي لا يميز فهو بهيمة والانعام جمع النعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يدخل فيها الحافر في قول
جميع اهل اللغة واختلفوا في معنى الاية فقال الحسن وقتادة بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم
والمعز وعلى هذا القول انما اضاف البهيمة الى الانعام على جهة التوكيد وقال الكلبي بهيمة الانعام
وحشها كالظبا وبقر الوحش وحمر الوحش وعلى هذا انما اضاف البهيمة الى الانعام ليعرف جنس الانعام
وما احل منها لانه لو افردها فقال البهيمة لدخل فيه ما يحل ويحرم من البهايم فلهذا قال تعالى احلت
لكم بهيمة الانعام وقال ابن عباس هي الاجنة التي توجد ميتة في بطون امهاتها اذا ذبحت او نحرت
ذهب اكثر العلما الى تحليله وهو مذهب الشافعي ويدل عليه ما روي عن ابي سعيد الخدري عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال في الجنين ذكاته ذكاة امه اخرجه الترمذي وابن ماجة وفي رواية ابي داود

قال

قال قلنا يا رسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة ونجد في بطنها الجنين انلقيه ام ناكله قال
كلوه ان شيتم فان ذكاته ذكاة امه وروى الطبري عن ابن عمر في قوله احلت لكم بهيمة الانعام وعنه
ان بهيمة نحرت فوجد في بطنها جنين فاخذ ابن عباس بذنب الجنين وقال هذا من بهيمة الانعام
وشرط بعضهم الاشعار وتمام الخلق قال ابن عمر ذكاة ما في بطنها ذكاتها اذا تم خلقه ونبت شعره
ومثله عن سعيد بن المسيب وقال ابو حنيفة لا يحل اكل الجنين اذا خرج ميتا بعد ذكاة الام وقوله
تعالى **الا ما يتلى عليكم** يعني في القران تحريمه واراد به قوله حرمت عليكم الميتة الى اخر الاية فهذا من
المتلو علينا وثنوها استثنى الله عز وجل من بهيمة الانعام **غير محلي الصيد وانتم حرم** يعني احلت
لكم الانعام كلها والوحشية ايضا من الظبا والبقر والحمر غير محلي صيدها وانتم محرمون في حال الاحرام
فلا يجوز للمحرم ان يقتل صيدا في حال احرامه **ان الله يحكم ما يريد** يعني ان الله يقضي في خلقه ما يشا
من تحليل ما اراد تحليله وتحريم ما اراد تحريمه وفرض ما يشا ان يفرضه عليهم من احكامه وفرايضه
ما فيه مصلحة لعباده قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعاير الله** نزلت في الحطم واسمه
شريح بن هند بن ضبيعة البكري اتى المدينة وحده وخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي
صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم الى ما تدعو الناس فقال الى شهادة ان لا اله الا
الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة فقال حسن الا ان لي امرا لا اقطع امرا دونهم ولعلي اسلم واتي بهم
فخرج من عنده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم
بلسان شيطان فلما خرج ابن شريح قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر
وما الرجل بمسلم فمر بسرح من سرح المدينة فاستاقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول

لقد لفها الليل بسواق حطم ٭ ليس براعي ابل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم ٭ باتوا نياما وابن هند لم ينم
بات يقاسيها غلام كالزلم ٭ خدلج الساقين ممسوح القدم

فتبعوه فلم يدركوه فلما كان العام القابل خرج شريح حاجا في حجاج بكر بن وايل من اليمامة ومعه تجارة
عظيمة وقد قلد الهدي فقال المسلمون يا رسول الله هذا الحطم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال
النبي صلى الله عليه وسلم انه قد قلد الهدي فقالوا يا رسول الله هذا شي كنا نفعله في الجاهلية فابى
النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعاير الله قال ابن عباس هي المناسك
وكان المشركون يحجون ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وقيل الشعاير
الهدايا المشعرة واشعارها ان يطعن في صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل دمه فيكون ذلك
علامة بانها هدي وهي سنة في الابل والبقر دون الغنم ويدل عليه ما روي عن عايشة قالت فتلت
قلايد بدن النبي صلى الله عليه وسلم ثم اشعرها وقلدها ثم بعث بها الى البيت فما حرم عليه شي كان له
حلالا اخرجاه في الصحيحين م عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بذي
الحليفة ثم دعا بناقته فاشعرها في صفحة سنامها الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين ثم ركب
راحلته فلما استوت به على البيدا اهل بالحج وعند ابي حنيفة لا يجوز اشعار الهدي بل قال يكره
ذلك وقال ابن عباس في معنى الاية لا تحلوا شعاير الله هي ان تصيد وانت محرم وقيل شعاير الله شرايع
الله ومعالم دينه والمعنى لا تحلوا شيا من فرايضه التي افترض عليكم واجتناب نواهيه التي نهى عنها

ولا الشهر الحرام اي ولا تحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه والشهر الحرام سموا الذي كانت العرب تعظمه
ويحرم القتال في الجاهلية فلما جا الاسلام لم ينقض هذا الحكم بل اكده والمراد بالشهر الحرام هنا
ذو القعدة وقيل رجب ذكرهما ابن جرير وقيل المراد باحلال الشهر الحرام النسي قال مقاتل كان جنادة
ابن عوف يقوم في سوق عكاظ فيقول اني قد احللت كذا وحرمت كذا يعني به الاشهر فنهى الله عن ذلك
وسياتي تفسير النسي في سورة براة ولا الهدي ولا القلايد الهدي ما يهدى الى بيت الله من بعير او
بقرة او شاة او غير ذلك مما يتقرب به الى الله تعالى والقلايد جمع قلادة وهي الشي الذي تشد في
عنق البعير وغيره والمعنى ولا الهدي ذوات القلايد قال الشاعر

حلفت برب مكة والمصلى ... واعناق هدين مقلدات

فعلى هذا القول انما عطف القلايد على الهدي مبالغة في التوصية بها لانها من اشرف البدن المهداه
والمعنى ولا تستحلوا الهدي وخصوصا المقلدات منها وقيل اراد اصحاب القلايد وذلك ان العرب في
الجاهلية كانوا اذا ارادوا الخروج من الحرم قلدوا انفسهم وابلهم من لحا شجر الحرم فكانوا يامنون بذلك
فلا يتعرض لهم احد فنهى الله المومنين عن ذلك الفعل ونهاهم عن استحلال نزع شي من شجر الحرم ولا آمين
البيت الحرام يعني ولا تستحلوا القاصدين الى البيت الحرام وهو الكعبة شرفها الله وعظمها يبتغون
يعني يطلبون فضلا من ربهم يعني الرزق والارباح في التجارة ورضوانا يعني ويطلبون رضى الله عنهم
بزعمهم لان الكافر لا حظ له في الرضوان لكن يظن ان فعله ذلك طلبا للرضوان فيجوز ان يوصف
به بنا على ظنه وقيل ان المشركين كانوا يقصدون بحجهم ابتغا رضوان الله وان كانوا لا ينالونه فلا
يبعد ان يحصل لهم بسبب ذلك القصد نوع من الحرمة وهو الامن على انفسهم وقيل كان المشركون
يلتمسون في حجهم ما يصلح لهم دنياهم ومعاشهم فيها وقيل ابتغا الفضل هو للمومنين والمشركين عامة
وابتغا الرضوان للمومنين خاصة وذلك انهم كانوا يحجون جميعا فصل اختلف علما
الناسخ والمنسوخ في هذه الاية فقال قوم هذه الاية منسوخة الى هاهنا لان قوله لا تحلوا شعاير
الله ولا الشهر الحرام يقتضي حرمة القتل في الشهر الحرام وفي الحرم وذلك منسوخ بقوله تعالى اقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى ولا آمين البيت الحرام يقتضي حرمة منع المشركين عن البيت
الحرام وذلك منسوخ بقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يجوز ان يحج مشرك ولا يامن
بالهدي والقلايد كافر وهذا قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة واكثر المفسرين قال الشعبي
لم ينسخ من سورة المايدة الا هذه الاية وقيل المنسوخ منها قوله ولا آمين البيت الحرام نسخها
اية براة اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال ابن
عباس كان المومنون والمشركون يحجون البيت جميعا فنهى الله المومنين ان يمنعوا احدا ان يحج البيت
او يتعرضوا له من مومن او كافر ثم انزل الله بعد هذا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد
عامهم هذا وقال اخرون لم ينسخ من ذلك سوى القلايد التي كانت الجاهلية يتقلدونها من لحا شجر
الحرم قال الواحدي وذهب جماعة الى انه لا منسوخ في هذه السورة وان هذه الاية محكمة قالوا ما
ندبنا الى اخافة من يقصد بيته من اهل شريعتنا في الشهر الحرام ولا في غيره وخص الشهر الحرام
من غيره بالذكر تعظيما وتفضيلا وحرم علينا اخذ الهدي من المهدين وصرفه عن بلوغ محله وحرم
علينا القلايد التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وهذا غير مقبول والظاهر ما عليه جمهور العلما من

نسخ

نسخ هذه الاية لاجماع العلما على ان الله عز وجل قد احل قتال اهل الشرك في الاشهر الحرم وغيرها وكذلك
اجمعوا على ان المشرك لو قلد عنقه وذراعيه جميع لحا الشجر لم يكن ذلك امانا من القتل اذا لم يكن قد تقدم
له عقد ذمة او امان وكذلك اجمعوا على منع من قصد البيت بحج او عمرة من المشركين لقوله تعالى
انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والله اعلم وقوله تعالى واذا حللتم يعني
من احرامكم فاصطادوا هذا امر اباحة لان الله حرم الصيد على المحرم حالة احرامه بقوله غير محلي الصيد
وانتم حرم واباحه له اذا احل من احرامه بقوله واذا حللتم فاصطادوا وانما قلنا ان الامر امر اباحة لانه
ليس بواجب على المحرم اذا احل من احرامه ان يصطاد ومثله قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا
في الارض معناه انه قد ابيح لكم ذلك بعد الفراغ من الصلاة ولا يجرمنكم قال ابن عباس لا يحملنكم وقيل معناه
لا يكسبنكم ولا يدعونكم شنان قوم يعني بغض قوم وعداوتهم ان صدوكم يعني لان صدوكم عن المسجد
الحرام والمعنى لا يحملنكم عداوة قوم على الاعتدا لان صدوكم عن المسجد الحرام لان هذه السورة نزلت
بعد قصة الحديبية فكان الصد قد تقدم ان تعتدوا يعني بالقتل واخذ المال وتعاونوا على
البر والتقوى يعني ليعن بعضكم بعضا على ما يكسب البر والتقوى قال ابن عباس البر متابعة السنة
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان يعني ولا يعن بعضكم بعضا على الاثم وهو الكفر والعدوان وهو الظلم
وقيل الاثم المعاصي والعدوان البدعة م عن النواس بن سمعان قال سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس واتقوا
الله اي واخشوا الله ان تعتدوا ما امركم به وتجاوزوا الى ما نهاكم عنه ان الله شديد العقاب
يعني لمن خالف امره فيه وعيد وتهديد عظيم قوله عز وجل حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
لما بين الله تعالى في اول السورة ما احل لنا من بهيمة الانعام بقوله احلت لكم بهيمة الانعام ثم انه تعالى
استثنا من ذلك بقوله الا ما يتلى عليكم فذكر ذلك المستثنى منه بقوله حرمت عليكم الميتة فكل ما فارقه
الروح مما يذبح بغير ذكاة فهو ميتة وسبب تحريم الميتة ان الدم لطيف جدا فاذا مات الحيوان حتف
انفه احتبس ذلك الدم وبقي في العروق فتفسد ويحصل منه ضرر عظيم والدم فهو المسفوح الجاري
وكانت العرب في الجاهلية تجعل الدم في المصارين وتشويه وتاكله فحرم الله ذلك كله ولحم الخنزير
واراد به جميع اجزايه واعضايه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود بالاكل وقد تقدم في سورة
البقرة احكام هذه الثلاثة اشيا وما استثنا الشارع من الميتة والدم وهو السمك والجراد والكبد
والطحال وذكرنا الدليل على اباحة ذلك واختلاف العلما في ذلك وقوله تعالى وما اهل لغير
الله به يعني ما ذكر على ذبحه غير اسم الله وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يذكرون اسما اصنامهم
عند الذبح فحرم الله ذلك بهذه الاية وبقوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه والمنخنقة
قال ابن عباس كان اهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت اكلوها فحرم الله ذلك والمنخنقة
من جنس الميتة لانها لما ماتت لم يسل دمها والفرق بينهما ان الميتة تموت بلا سبب احد والمنخنقة
تموت بسبب الخنق والموقوذة يعني المقتولة بالخشب وكانت العرب في الجاهلية يضربون الشاة
بالعصا حتى تموت وياكلونها فحرم الله ذلك والمتردية يعني التي تتردى من مكان عال فتموت
او في بير فتموت والتردي هو السقوط من سطح او من جبل ونحوه وهذه المتردية تلحق بالميتة فيحرم
اكلها ويدخل في هذا الحكم اذا رمى بسهمه صيدا فتردى ذلك الصيد من جبل او من مكان عال

فات فانه يحرم اكله لانه لايعلم هل مات بالتردي او بالتهم **والنطيحة** يعني التي تنطحها شاة اخرى
حتى تموت وكانت العرب في الجاهلية تاكل ذلك فحرمه الله تعالى لانها في حكم الميتة فاما الهاء في
هذه الكلمات التي تقدمت اعني المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة فانما دخلت لانها
صفات لموصوف مونث وهي الشاة كانه قال حرمت عليكم المنخنقة والموقوذة والمتردية وخصت
الشاة لانها من اعم ما ياكله الناس والكلام انما يخرج على الاعم الاغلب ثم يلحق به غيره فان قلت
لم اثبت الهاء في النطيحة مع انها في الاصل منطوحة فعدلوا بها الى النطيحة وفي مثل هذا الموضع تكون
انها تحذف فنقول كف خضيب وعين كحيل بمعنى كف مخضوبة وعين مكحولة قلت انما تحذف الهاء من
الفعيلة اذا كانت صفة لموصوف يتقدمها فاذا لم يذكر الموصوف وذكرت الصفة وضعتها بوضع الموصوف
تقول رايت قتيلة بني فلان بالهاء لانك ان لم تدخل الهاء لم تعرف ارجل هو ام امراة فعلى هذا انما دخلت
الهاء في النطيحة لانها صفة لموصوف غير مذكور وهو الشاة وقال ابن السكيت قد تاتي فعيلة بالهاء وهي
تاويل مفعول بها تخرج مخرج الاسما ولا يذهب بها مذهب النعوت نحو النطيحة والذبيحة والفريسة واكيلة
السبع ومررت ببني فلان وقوله تعالى **وما اكل السبع** قال قتادة كان اهل الجاهلية اذا جرح السبع شيا
فقتله او اكل منه اكلوا ما بقي منه فحرمه الله تعالى والسبع اسم يقع على كل حيوان له ناب ويعدو على
الناس والدواب فيفترس بنابه كالاسد والذيب والفهد والنمر ونحوه وفي الاية محذوف تقديره
وما اكل السبع منه لان ما اكله السبع قد نفد فلا حكم له انما الحكم للباقي منه **الا ما ذكيتم** يعني ما
ادركتموه وقد بقيت فيه حياة مستقرة من هذه الاشيا المذكورة والظاهر ان هذا الاستثنا
يرجع الى جميع المحرمات المذكورة في الاية من قوله تعالى والمنخنقة الى وما اكل السبع وهذا قول علي
ابن ابي طالب وابن عباس والحسن وقتادة وقال ابن عباس يقول الله ما ادركتم من هذا كله وفيه
روح فاذبح فهو حلال وقال الكلبي هذا الاستثنا من اكل السبع خاصة والقول هو الاول واما
كيفية ادراكها فقال اكثر اهل العلم من المفسرين انه اذا ادركت ذكاته بان يوجد له عين تطرف او ذنب
يتحرك فاكله جايز قال ابن عباس اذا طرفت بعينها او ركضت برجلها او تحركت فاذبح فهو حلال
وذهب بعض اهل العلم الى ان السبع اذا جرح فاخرج الحشوة او قطع الجوف قطعا يوس معه الحياة
فلا ذكاة لذلك وان كان به حركة ورمق لانه قد صار الى حالة لا يوثر في حياته الذبح وهو مذهب
مالك واختيار الزجاج وابن الانباري لان معنى التذكية ان يلحقها وفيه بقية تشخب معها
الاوداج وتضطرب اضطراب المذبوح لوجود الحياة فيه قبل ذلك والا فهو كالميتة واصل الذكا
في اللغة تمام الشي فالمراد من التذكية تمام قطع الاوداج وانهار الدم ويدل عليه ما روي
عن رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ليس
السن والظفر وساحدثكم عن ذلك اما السن فعظم واما الظفر فمدى الحبشة اخرجاه في الصحيحين
واقل الذبح في الحيوان المقدور عليه قطع المري والحلقوم واكمله قطع الودجين مع ذلك والحلقوم
بعد الفم وهو موضع النفس والمري مجرى الطعام والودجان عرقان يقطعان عند الذبح واما الة
الذبح فكل ما انهر الدم وفرى الاوداج من حديد وغيره الا السن والظفر لما تقدم من نهي النبي صلى
الله عليه وسلم عن ذلك وقوله تعالى **وما ذبح على النصب** يعني وحرمت ما ذبح على النصب والنصب
يحتمل ان يكون جمعا واحده نصاب وان يكون واحدا وجمعه انصاب وهو الشي المنصوب قيل كان

حول

حول الكعبة ثلثماية وستون حجرا منصوبة كان اهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها
وليست هذه الحجارة باصنام انما الاصنام الصور المنقوشة وقال ابن عباس هي الاصنام
المنصوبة والمعنى وما ذبح على اسم النصب ولاجل النصب فهو حرام **وان تستقسموا بالازلام**
يعني وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وهو طلب القسم والحكم من الازلام وهي القداح وكانت ازلامهم
سبعة قداح مستوية مكتوب على احدها امرني ربي وعلى واحدها نهاني ربي وعلى واحد منكم وعلى واحد
من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل وعلى واحد غفل اي ليس عليه شي وكانت العرب في
الجاهلية اذا ارادوا سفرا او تجارة او نكاحا او اختلفوا في نسب او امر قتيل او تحمل عقل او غير ذلك من
الامور العظام جاوا الى هبل وكان اعظم صنم لقريش بمكة وجاوا بماية درهم واعطوها صاحب
القداح حتى يجيلها لهم فان خرج امرني ربي فعلوا ذلك الامر وان خرج نهاني ربي لم يفعلوه واذا اجالوا
على نسب فان خرج منكم كان وسطا فيهم وان خرج من غيركم كان حلفا فيهم وان خرج ملصق كان على حاله
وان اختلفوا في العقل اجالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب عليه فنهاهم الله عن ذلك وحرمه وسماه
فسقا وقيل الازلام كعاب فارس والروم التي كانوا يتقامرون بها وقيل كانت الازلام للعرب والكعاب
للعجم وهي النرد وكلها حرام لا يجوز اللعب بشي منها عن قطن بن قبيصة عن ابيه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجه ابو داود وقال الطرق
الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة زجر الطير والطرق الضرب بالحصى والجبت كل ما عبد من دون
الله وقيل الجبت الكاهن وروى البغوي بسنده الثعلبي عن ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من تكهن او استقسم بالازلام او تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى
يوم القيمة وقوله تعالى **ذلكم فسق** يعني ما ذكر من هذه المحرمات في هذه الاية لان المعنى حرم
عليكم تناول كذا وكذا فانه فسق والفسق ما يخرج من الحلال الى الحرام وقيل ان الاشارة عايدة
على الاستقسام بالازلام والاول اصح **اليوم يئس الذين كفروا من دينكم** يعني يئسوا ان ترجعوا عن
دينكم الى دينهم كفارا وذلك ان الكفار كانوا يطمعون في ان يعود المسلمون الى دينهم فلما قوي الاسلام
ايسوا من ذلك وذلك هو اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام حجة
الوداع فعند ذلك يئس الكفار من بطلان دين الاسلام وقيل ان ذلك هو يوم عرفة نزلت
هذه الاية والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وقيل لم يرد يوما بعينه وانما المعنى الان يئس
الذين كفروا من دينكم وهو كما تقول اليوم قد كبرت تريد الان قد كبرت وتقول فلانا قد يزورنا
وهو اليوم يجفونا لم يرد يوما بعينه يعني وهو الان يجفونا ولم يقصد به اليوم قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا ... فيوم نسا ويوم نسر

اراد فزمان علينا وزمان لنا ولم يقصد
اليوم واحد معين **فلا تخشوهم** فلا تخافوا الكفار ايها المومنون ان يظهروا على دينكم فقد زال
الخوف عنكم باظهار دينكم **واخشون** اي وخافوا مخالفة امري واخلصوا الخشية لي قوله عز وجل
اليوم اكملت لكم دينكم نزلت هذه الاية في يوم الجمعة بعد العصر في يوم عرفة والنبي صلى الله عليه
وسلم واقف بعرفات على ناقته العضبا فكادت عضد الناقة تندق وبركت لثقل الوحي وذلك
في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة ق عن طارق بن شهاب قال جا رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب
فقال يا امير المومنين اية في كتابكم تقرونها لو علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا

قال فاي اية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فقال عمر اني لاعلم
اليوم الذي انزلت فيه والمكان الذي نزلت فيه نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات
في يوم الجمعة اشار عمر الى ان ذلك اليوم كان عيدا لنا وعن ابن عباس انه قرا اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وعنده يهودي فقال لو نزلت هذه الاية علينا
لاتخذناها عيدا فقال ابن عباس فانها نزلت في يوم عيدين في يوم جمعة ويوم عرفة اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب قال ابن عباس كان في ذلك اليوم خمسة اعياد يوم جمعة ويوم عرفة
وعيد لليهود وعيد للنصارى وعيد للمجوس ولم يجتمع اعياد لاهل الملل في يوم واحد قبله ولا بعده
وروي انه لما نزلت هذه الاية بكى عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال ابكاني انا
كنا في زيادة من ديننا فاما اذا كمل فانه لم يكمل شيء الا نقص قال صدقت فكانت هذه الاية نعي
رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بعدها احدا وثمانين يوما ومات صلى الله عليه وسلم يوم
الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول وقيل لاثنتي عشرة ليلة وهو الاصح سنة احدى عشرة من
الهجرة واما تفسير الاية فقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم يعني الفرائض والسنن والحدود والاحكام
والحلال والحرام فلم ينزل بعد هذه الاية حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض هذا معنى قول ابن
عباس وقال سعيد بن جبير وقتادة معنى اكملت لكم دينكم حيث لم يحج معكم مشرك وخلا الموسم لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وقيل معناه اني اظهرت دينكم على الاديان وامنتكم من عدوكم بان
كفيتكم ما كنتم تخافون وقيل اكمال الدين لهذه الامة انه لا يزول ولا ينسخ وان شريعتهم باقية الى يوم القيمة
وقيل اكمال الدين لهذه الامة انهم امنوا بكل نبي وكل كتاب ولم يكن هذا لغير هذه الامة وقال ابن الانباري
اليوم اكملت شرائع الاسلام على غير نقصان كان قبل هذا الوقت وذلك ان الله عز وجل كان يتعبد
خلقه بالشيء في وقت ثم يزيد عليه في وقت اخر فيكون الوقت الاول تاما في وقته فهو كما يقول القائل
عندي عشرة كاملة ومعلوم ان العشرين اكمل منها والشرائع التي تعبد الله عز وجل بها عباده في الاوقات
المختلفة مختلفة وكل شريعة منها كاملة في وقت التعبد بها فكمل الله عز وجل الشرائع في اليوم الذي ذكره
وهو يوم عرفة ولم يوجب ذلك ان الدين كان ناقصا في وقت من الاوقات ونقل الامام فخر الدين الرازي
عن القفال واختاره ان الدين ما كان ناقصا البتة بل كان ابدا كاملا كانت الشرائع النازلة من
عند الله كافية في ذلك الوقت الا انه تعالى كان عالما في اول وقت المبعث بان ما هو كامل في هذا اليوم
ليس بكامل في الغد ولا صالح فيه لا جرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيد بعد العدم واما في اخر زمان
المبعث فانزل شريعة كاملة وحكم ببقائها الى يوم القيمة فالشرع ابدا كان كاملا الا ان الاول كمال
الى يوم زمان مخصوص والثاني كمال الى يوم القيمة فلاجل هذا المعنى قال اليوم اكملت لكم دينكم
ثم قال تعالى واتممت عليكم نعمتي يعني باكمال الدين والشريعة لانه لا نعمة اتم من الاسلام وقال ابن
عباس حكم لهم بدخول الجنة وقيل معناه ان الله تعالى انجز لهم ما وعدهم في قوله ولاتم نعمتي عليكم فكان من تمام
النعمة ان دخلوا مكة امنين وحجوا مطمئنين لم يخالطهم احد من المشركين ورضيت لكم الاسلام دينا يعني
واخترت لكم الاسلام دينا من بين الاديان وقيل معناه ورضيت لكم الاستسلام لامري والانقياد لطاعتي
فيما شرعت لكم من الفرائض والاحكام والحدود ومعالم الدين الذي اكملته لكم وانما قال تعالى ورضيت
لكم الاسلام دينا يوم نزلت هذه الاية وان كان الله تعالى لم يزل راضيا بدين الاسلام فيما مضى قبل

نزول هذه الاية لانه لم يزل يصرف نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين في حال الى حال وينقلهم
من مرتبة الى مرتبة اعلى منها حتى اكمل لهم شرائع الدين ومعالمه وبلغ بهم اقصى درجاته ومراتبه ثم
انزل عليهم هذه الاية ورضيت لكم الاسلام دينا يعني بالصفة التي هو اليوم بها وهي نهاية الكمال
وانتم الان عليه فالزموه ولا تفارقوه روى البغوي بسنده عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا
السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما صحبتموه وروى الطبري عن قتادة قال ذكر لنا انه يمثل لاهل
كل دين دينهم يوم القيمة فاما الايمان فيبشر اصحابه واهله ويعدهم بالخير حتى يجي الاسلام فيقول
يا رب انت السلام وانا الاسلام فيقول اياك اليوم اقبل وبك اليوم اجزي وقوله تعالى فمن اضطر
في مخمصة غير متجانف لاثم هذه الاية من تمام ما تقدم ذكره في المطاعم التي حرمها الله تعالى ومتصل
بها والمعنى ان هذه المحرمات وان كانت محرمة الا انها قد تحل في حالة الاضطرار اليها ومن قوله تعالى ذلكم
فسق الى هنا اعتراض وقع بين الكلامين والغرض منه تاكيد ما تقدم ذكره من معنى التحريم لان تحريم
هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام الذي هو المرضي عند الله ومعنى الاية
فمن اضطر اي اجهد واصيب بالضرر الذي لا يمكنه معه الامتناع من اكل الميتة وهو قوله تعالى في
مخمصة يعني في مجاعة والمخمصة خلو البطن من الغذاء عند الجوع غير متجانف لاثم يعني غير مائل الى
اثم او منحرف اليه والمعنى فمن اضطر الى اكل الميتة او الى غيرها في المجاعة فليأكل غير متجانف لاثم وهو
ان ياكل فوق الشبع وهو قول فقهاء العراق وقيل معناه غير متعرض لمعصية في مقصده وهو قول فقهاء الحجاز
فان الله غفور رحيم يعني لمن اكل من الميتة في حال الجوع والاضطرار قوله تعالى يسئلونك ماذا
احل لهم روى الطبري بسنده عن ابي رافع قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يستاذن عليه
فاذن له فلم يدخل فقال قد اذنا لك يا رسول الله قال اجل ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب قال ابو رافع
فامرني ان اقتل كل كلب بالمدينة ففعلت حتى انتهيت الى امراة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة
لها ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فامرني بقتله فرجعت الى الكلب فقتلته فجاؤا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها قال
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات
وما علمتم من الجوارح مكلبين وروي عن عكرمة ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا رافع في قتل الكلاب
حتى بلغ العوالي فدخل عاصم وسعد بن خيثمة وعويم بن ساعدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا ماذا احل لنا فنزلت يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين
قال ابن الجوزي واخرج حديث ابي رافع الحاكم في صحيحه قال البغوي فلما نزلت هذه الاية اذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن امساك ما لا نفع فيه منها ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امسك كلبا فانه ينقص كل يوم من عمله قيراط الا كلب حرث
او ماشية ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا
ارض فانه ينقص من اجره قيراطان كل يوم وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الاية في عدي بن حاتم وزيد
ابن المهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير قالا يا رسول
الله انا قوم نصيد بالكلاب وبالبزاة فماذا يحل لنا فنزلت هذه الاية قال البغوي وهذا القول اصح

في سبب نزولها واما التفسير فقوله تعالى يسألونك يعني يسألك اصحابك يا محمد ماذا احل لهم
اكله من المطاعم والمآكل كأنهم لما تلي عليهم من خبايث المآكل ما تلي سألوه عما احل لهم **قل احل لكم الطيبات**
يعني قل لهم يا محمد احل لكم الطيبات يعني ما ذبح على اسم الله عز وجل وقيل الطيبات كلما تستطيبه
العرب وتستلذه من غير ان ورد بتحريمه نص من كتاب او سنة واعلم ان العبرة في الاستطابة والاستلذاذ
باهل المروة والاخلاق الجميلة من العرب فان اهل البادية منهم من يستطيبون اكل جميع الحيوانات
فلا عبرة بهم ولقوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبايث فان الخبيث غير مستطاب فصارت
هذه الاية الكريمة نصا فيما يحل ويحرم من الاطعمة وقوله تعالى **وما علمتم من الجوارح مكلبين** يعني
واحل صيد ما علمتم من الجوارح فحذف ذكر الصيد وهو مراد في الكلام لدلالة الباقي عليه ولانهم سألوا
عن الصيد وقيل ان قوله وما علمتم من الجوارح على ابتدا الكلام خبره فكلوا مما امسكن عليكم وعلى
هذا القول يصح معنى الكلام من غير اضمار والجوارح جمع جارحة وهي الكواسب من السباع والطير
كالفهد والنمر والكلب وكالبازي والصقر والعقاب والشاهين والباشق من الطير مما يقبل التعليم
سميت جوارح من الجرح لانها تجرح الصيد عند امساكه وقيل سميت جوارح لانها تكسب والجوارح الكواسب
من جرح واجترح اذا اكتسب ومنه قوله تعالى والذين اجترحوا السيئات يعني اكتسبوا وقوله ويعلم ما
جرحتم بالنهار اي اكتسبتم مكلبين يعني معلمين والمكلب هو الذي يغري الكلاب على الصيد وقيل هو
مودب الجوارح ومعلمها وانما اشتق له هذا الاسم من الكلب لانها اكثر احتياجا الى التعليم من غيرها
من الجوارح **تعلمونهن** يعني تعلمون الجوارح الاصطياد **مما علمكم الله** يعني من العلم الذي علمكم الله ففي
الاية دليل على انه لا يجوز صيد جارحة ما لم تكن معلمة وصفة التعليم هو ان الرجل يعلم جارحته الصيد
وذلك بان يوجد فيها امور منها اذا اشليت على الصيد استشلت واذا زجرت انزجرت واذا اخذت
الصيد امسكت ولم تاكل منه شيا ومنها ان لا ينفر منه اذا اراد وان يجيبه اذا دعاه فهذا هو تعليم
جميع الجوارح فاذا وجد ذلك منها مرارا كانت معلمة واقلها ثلاث مرات فانه يحل قتلها اذا جرحت بارسال
صاحبها (ق) عن عدي بن حاتم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انا قوم نصيد بهذه
الكلاب فقال اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل مما امسكن عليك الا ان ياكل الكلب فلا
تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه وان خالط كلابا لم يذكر اسم الله عليها فامسكن وقتلن
فلا تاكل فانما سميت على كلبك ولم تسم على غيره وفي رواية فانك لا تدري ايها قتل وسألته عن صيد المعراض
فقال اذا اصبت بحده فكل واذا اصبت بعرضه فقتل فانه وقيذ فلا تاكل واذا رميت فاتركه الصيد
فوجدته بعد يوم او يومين ليس به الا اثر سهمك فكل فان وقع في الما فلا تاكل واختلف العلما فيما اذا
اخذت الكلاب الصيد واكلت منه شيا فذهب اكثر اهل العلم الى تحريمه يروى ذلك عن ابن عباس
وهو قول عطا وطاوس والشعبي وبه قال الثوري وابن المبارك واصحاب الراي وهو اصح قول
الشافعي ويدل عليه قوله صلى الله عليه وان اكل فلا تاكل فانما امسك على نفسه ورخص بعضهم في
اكله يروى ذلك عن ابن عمر وسلمان الفارسي وسعد بن ابي وقاص وبه قال مالك لما روي عن ابي ثعلبة
الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيد اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وان اكل
منه اخرجه ابو داود اما غير المعلم من الجوارح اذا اخذت صيدا او المعلم اذا خرج بغير ارسال صاحبه
فاخذ وقتل فانه لا يحل الا ان يدركه حيا فيذبحه فيحل (ق) عن ابي ثعلبة الخشني قال قلت يا رسول الله

انا بارض

انا بارض قوم اهل كتاب افنا كل في انيتهم وبارض صيد اصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلم وبكلبي المعلم
فما يصلح لي قال اما ما ذكرت من انية اهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تاكلوا فيها وان لم تجدوا فاغسلوها
وكلوا فيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله
فكل وما صدت بكلبك غير المعلم فادركت ذكاته فكل وقوله تعالى **فكلوا مما امسكن عليكم** دخلت
من في قوله مما للتبعيض لانه انما احل اكل بعض الصيد وهو اللحم دون الفرث والدم وقيل من زايدة
فهو كقوله كلوا من ثمره اذا اثمر **واذكروا اسم الله عليه** قال ابن عباس يعني اذا ارسلت جارحك
فقل بسم الله وان نسيت فلا حرج ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لعدي اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم
الله عليه فكل فعلى هذا يكون الضمير في عليه عايدا الى ما علمتم من الجوارح اي سموا الله عليه عند
ارساله وقيل الضمير عايد الى ما امسكن عليكم والمعنى سموا الله عليه اذا ادركتم ذكاته وقيل
يحتمل ان يكون الضمير عايدا الى الاكل يعني واذكروا اسم الله عليه عند الاكل فعلى هذا تكون التسمية
شرطا عند ارسال الجوارح وعند الذبيحة وعند الاكل وسياتي بيان هذه المسالة في سورة الانعام
عند قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه **واتقوا الله** يعني واحذروا مخالفة الله فيما احل لكم
وحرم عليكم **ان الله سريع الحساب** يعني اذا حاسب عباده يوم القيمة ففيه تخويف لمن خالف
امره وفعل ما نهاه عنه قوله عز وجل **اليوم احل لكم الطيبات** انما كرر احلال الطيبات للتاكيد
كانه قال اليوم احل لكم الطيبات التي سالتم عنها ويحتمل ان يراد باليوم اليوم الذي انزلت فيه
هذه الاية او اليوم الذي تقدم ذكره في قوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم او اليوم اكملت لكم
دينكم ويكون الغرض من ذكر هذا الحكم انه تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فبين انه
اكمل الدين واتم النعمة فكذلك اتم النعمة باحلال الطيبات وقيل ليس المراد باليوم يوم معين وقد
تقدم الكلام في ذلك اليوم وفي معنى الطيبات في الاية المتقدمة وقوله تعالى **وطعام الذين اوتوا
الكتاب حل لكم** يعني وذبايح اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من ساير الامم قبل
مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فاما من دخل في دينهم بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهم من تنصر
من العرب من بني تغلب فلا تحل ذبيحته روي عن علي بن ابي طالب قال لا تاكلوا من ذبايح نصارى العرب
بني تغلب فانهم لم يتمسكوا بشي من النصرانية الا بشرب الخمر وبه قال ابن مسعود وهو مذهب الشافعي ان من
دخل في دين اهل الكتاب بعد نزول القران فانه لا تحل ذبيحته وسيل ابن عباس عن ذبايح نصارى العرب
فقال لا باس به ثم قرا ومن يتولهم منكم فانه منهم وهذا قول الحسن وعطا ابن ابي رباح والشعبي وعكرمة
وقتادة والزهري والحكم وحماد وهو مذهب ابي حنيفة ومالك واحدى الروايتين عن احمد والرواية
الاخرى مثل مذهب الشافعي واجمعوا على تحريم ذبايح المجوس وساير اهل الشرك من مشركي العرب وعبدة
الاصنام ومن لا كتاب له واجمعوا على ان المراد بطعام الذين اوتوا الكتاب ذبايحهم خاصة لان
ما سوى الذبايح فهي محللة قبل ان كانت لاهل الكتاب وبعد ان صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها باهل
الكتاب فايدة ولان ما قبل هذه الاية في بيان حكم الصيد والذبايح فحمل هذه الاية عليه اولى ولان
ساير الطعام لا يختلف من تولاه من كتابي او غيره انما تختلف الذكاة فلما خص اهل الكتاب بالذكر دل
على ان المراد بطعامهم ذبايحهم واختلف العلما فيما لو ذبح يهودي او نصراني على غير اسم الله فقال ابن عمر
لا يحل ذلك وهو قول ربيعة وذهب اكثر اهل العلم الى انه يحل سيل الشعبي وعطا عن النصراني يذبح باسم

المسيح فقال لا يحل فان الله قد احل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون وقال الحسن اذا ذبح اليهودي والنصراني
وذكر غير اسم الله وانت تسمع فلا تاكل واذا غاب عنك فكل فقد احله الله لك وقد زعم قوم ان هذه
الاية اقتضت اباحة ذبائح اهل الكتاب مطلقا وان ذكروا غير اسم الله فيكون هذا ناسخا لقوله
تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وليس الامر كذلك ولا نسخ لان الاصل انهم يذكرون الله
عند الذبح فيحمل امرهم على هذا فان تيقنا انهم ذكروا غير اسم الله لم ناكله ولا وجه للنسخ وقوله تعالى
وطعامكم حل لهم يعني ان ذبائحنا لهم حلال وهذا يدل على انهم مخاطبون بشريعتنا وقال الزجاج
معناه ويحل لكم ان تطعموهم من طعامكم فجعل الخطاب للمومنين على معنى ان التحليل يعود الى طعامنا
اياهم لا اليهم لانه لا يمتنع ان يحرم الله تعالى ان نطعمهم من ذبائحنا وقيل ان الفائدة في ذكر ذلك
ان الاباحة المناكحة غير حاصلة من الجانبين واباحة الذبائح كانت حاصلة في الجانبين لا جرم ذكر
الله ذلك تنبيها على التمييز بين النوعين ثم قال تعالى **والمحصنات من المومنات** قال مجاهد هن الحرائر
فعلى هذا القول لا تدخل الامة المومنة في هذا التحليل ومن اجاز نكاحهن اجازه بشرطين خوف العنت
وعدم طول الحرة وقال ابن عباس المحصنات العفائف فعلى هذا القول لا يحل نكاح الزانية لانها لم
تدخل في هذا التحليل واباح العلما نكاحها اذا تابت وحسنت توبتها روى طارق بن شهاب ان رجلا
اراد ان يزوج اخته فقالت اني اخشى ان افضحك اني قد بغيت فاتى عمر فذكر ذلك له فقال اليس
قد تابت قال بلى قال فزوجها وقيل انما خص المحصنات بالذكر وهن الحرائر والعفائف ليحث المومنين
على تخيير النسا ليكون الولد كريم الاصل من الطرفين وقوله تعالى **والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم** يعني واحل لكم المحصنات من اهل الكتاب اليهود والنصارى قال ابن عباس يعني الحرائر من
اهل الكتاب وقال الحسن والشعبي والنخعي والضحاك يريد العفائف من اهل الكتاب فعلى قول
ابن عباس لا يجوز التزوج بالامة الكتابية وهو مذهب الشافعي قال لانه اجتمع في حقها نوعان من
النقصان الكفر والرق وعلى قول الحسن ومن وافقه يجوز التزوج بالامة الكتابية وهو مذهب
ابي حنيفة لعموم هذه الاية واختلف العلما في حكم هذه المسالة فذهب جمهور الفقها الى جواز التزوج
بالذميات من اليهود والنصارى روي ان عثمان بن عفان تزوج نايلة بنت الفرافصة على نسائه
وهي نصرانية وان طلحة بن عبيد الله تزوج يهودية وروي عن ابن عمر كراهة كراهية ذلك ويحتج
بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يومن وكان يقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى واجاب
الجمهور عن قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يومن بانه عام خص بهذه الاية فاباح الله تعالى المحصنات
من اهل الكتاب وحرم من سواهن من اهل الشرك وقال سعيد بن المسيب والحسن يجوز التزوج
بالذميات والحربيات من اهل الكتاب لعموم قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم واجاب جمهور العلما بان ذلك مخصوص بالذميات دون الحربيات من اهل الكتاب قال
ابن عباس من نسا اهل الكتاب من تحل لنا ومنهن من لا تحل لنا وقرا قاتلوا الذين لا يومنون بالله
الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون والمراد بهم اهل الذمة دون اهل الحرب من اهل الكتاب
وقوله **اذا اتيتموهن اجورهن** يعني مهورهن وهو العوض الذي يبذله الزوج للمراة **محصنين
غير مسافحين** يعني متعففين بالتزوج غير زانين **ولا متخذي اخدان** يعني ولا منفردين ببغية
واحدة قد خادنها وخادنته واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وحده حرم الله الجماع على جهة السفاح

ومتو الزنا واتخاذ الصدايق ومتو الاخدان واحله على جهة الاحصان ومتو التزوج بعقد صحيح
ومن يكفر بالايمان يعني ومن يجحد ما امر الله به من توحيده ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جا
به من عند الله **فقد حبط عمله** يعني فقد ابطل ثواب عمله الذي كان عمله في الدنيا وخاب وخسر
في الدنيا والاخرة وقيل في معنى الاية ومن يكفر بشرايع الايمان وتكاليفه فقد خاب وخسر وقال
قتادة ذكر لنا ان ناسا من المسلمين قالوا كيف نتزوج نساهم يعني نسا اهل الكتاب وهم على غير
ديننا فانزل الله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين وقيل لما اباح
الله نكاح الكتابيات قلن فيما بينهن لولا ان الله قد رضي اعمالنا لم يبح للمومنين تزويجنا فانزل
الله هذه الاية والمعنى ان تزويج المسلمين اياهن ليس بالذي يخرجهن من الكفر وقيل ان اهل الكتاب
وان حصلت فضيلة باباحة ذبائحهم ونكاح نسائهم الا ان ذلك غير حاصل لهم في الاخرة لان كل
من كفر بالله او جحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين وقيل ان
من احل ما حرم الله او حرم ما احل الله او جحد بشي مما انزل الله فقد كفر بالله وحبط عمله المتقدم
وهو في الاخرة من الخاسرين اذا مات على ذلك وهذا الشرط لا بد منه لانه اذا تاب وامن قبل الموت
قبلت توبته وصح ايمانه قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة** يعني اذا اردتم القيام
الى الصلاة ومثله قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله اي اذا اردت قراة القران فاستعذ
بالله ومثله من الكلام اذا اتجرت فاتجر في البز اي اذا اردت التجارة وعلى هذا القول يقتضي وجوب
الوضو عند كل صلاة وهو ظاهر الاية وهو مذهب داود الظاهري وذهب جمهور العلما من الصحابة فمن
بعدهم الى انه يجزي عدة صلوات بوضو واحد واجيب عن ظاهر الاية بان المعنى اذا قمتم الى الصلاة وانتم
على غير طهر فحذف ذلك لدلالة المعنى عليه وهذا احد اختصارات القران وهو كثير جدا ولان
النبي صلى الله عليه وسلم جمع يوم الخندق بين اربع صلوات بوضو واحد وعن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة احدكم اذا احدث حتى يتوضا اخرجاه في الصحيحين
وقيل في معنى الاية اذا قمتم الى الصلاة من النوم وقيل هو امر ندب ندب من قام الى الصلاة ان يجدد
لها طهارة وان كان على طهر ويدل عليه ما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
توضا على طهر كتب الله له به عشر حسنات اخرجه الترمذي وقيل هذا اعلام من الله رسوله صلى
الله عليه وسلم ان لا وضو عليه الا اذا قام الى الصلاة دون غيرها من الاعمال ويدل عليه ما روي
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما من الخلا فقدم اليه طعام فقالوا الا ناتيك
بوضو فقال انما امرت بالوضو اذا قمت الى الصلاة اخرجه مسلم والقول الاول هو المختار في معنى
الاية وفروض الوضو المذكورة في هذه الاية اربعة الاول غسل الوجه وهو قوله تعالى فاغسلوا
وجوهكم واستدل الشافعي على وجوب النية عند غسل الوجه بهذه الاية وحجته ان الوضو مامور به
وكل مامور به يجب ان يكون منويا ولما روي في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امري ما نوى والوضو من الاعمال فيجب ان يكون منويا وايضا
قلنا ان الوضو مامور به وانه من اعمال الدين لقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
والاخلاص عبارة عن النية الخالصة ومتى كانت النية الخالصة معتبرة واستدل ابو حنيفة لعدم
وجوب النية في الوضو بهذه الاية قال ان النية ليست شرطا لصحة الوضو لان الله تعالى اوجب

غسل الاعضا الاربعة في هذه الاية ولم يوجب النية فيها فايجاب النية زيادة على النص نسخ ونسخ
القران بخبر الواحد وبالقياس غير واجيب عنه بانا انما اوجبنا النية في الوضوء بدلالة القران
وهو قوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين واما حد الوجه فمن منابت شعر الراس
الى منتهى الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا لانه ماخوذ من المواجهة فيجب غسل جميع الوجه
في الوضوء ويجب ايصال الما الى ما تحت الحاجبين واهداب العينين والعذارين والشارب والعنفقة
وان كانت كثة واما اللحية فان كانت كثة لا ترى البشرة من تحتها لا يجب غسل ما تحتها ويجب
غسل ما تحت اللحية الخفيفة وهل يجب امرار الما على ظاهر ما ترك من اللحية عن الذقن فيه قولان
احدهما وبه قال ابو حنيفة لا يجب لان الشعر النازل عن حد الراس لا يكون حكمه حكم الراس في المسح
فكذلك حكم الشعر النازل عن حد الوجه والقول الثاني يجب امرار الما على ظاهره لان الوجه ماخوذ
من المواجهة فيدخل جميع اللحية في حكم الوجه الفرض الثاني قوله تعالى وايديكم الى المرافق يعني
واغسلوا ايديكم الى المرافق والمرفق بالكسر هو من الانسان اعلا الذراع واسفل العضد وذهب
جمهور العلما الى وجوب ادخال المرفقين في الغسل ونقل عن مالك والشعبي وزفر وابي بكر بن داود
الظاهري انه لا يجب ادخال المرفقين في الغسل واختاره ابن جرير الطبري ونقل عن مالك وقد سئل عن
قول الله عز وجل فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق فقال الذي امر به ان يبلغ المرفقين في الغسل
لا يجاوزهما وحجة اصحاب هذا القول ان كلمة الى للغاية وما يجعل غاية للحكم يكون خارجا عنه
في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل ولان الحد لا يدخل في المحدود فوجب ان لا يجب غسل المرفقين
في الوضوء وحجة الجمهور ان حرف الى هنا بمعنى مع ومنه قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي مع
اموالكم ويعضده من السنة ما صح من حديث ابي هريرة انه توضا فغسل وجهه فاسبغ الوضوء
ثم غسل يده اليمنى حتى اشرع في العضد ثم يده اليسرى حتى اشرع في العضد ثم قال هكذا رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضا والجواب عن الحجة المتقدمة ان الحد اذا كان من جنس المحدود
دخل فيه كما في هذه الاية لان المرفق من جنس اليد واذا لم يكن من جنس المحدود لم يدخل فيه كما في قوله
تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل لان النهار من غير جنس الليل فلا يدخل فيه الفرض الثالث قوله تعالى
وامسحوا برءوسكم اختلف العلما في القدر الذي يجب مسحه من الراس فقال مالك يجب مسح جميعه
وهو احدى الروايتين عن احمد والرواية الاخرى عنه انه يجب مسح اكثره وقال ابو حنيفة يجب مسح
ربعه وفي رواية اخرى عنه يجب مسح قدر ثلاث اصابع منه وقال الشافعي الواجب مسح ما ينطلق عليه
اسم المسح والمراد الصادق المسح بالراس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح بالراس
فاخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب واخذ الشافعي باليقين فاوجب مسح ما يقع عليه
اسم المسح واخذ ابو حنيفة ببيان السنة وهو ما روي عن المغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه
وسلم توضا فمسح بناصيته وعلى العمامة والخفين متفق عليه وقدر الناصية بربع الراس الفرض
الرابع قوله تعالى وارجلكم الى الكعبين اختلف العلما في هذا الحكم وهل فرض الرجلين المسح او الغسل
فروي عن ابن عباس انه قال الوضوء غسلتان ومسحتان ويروى ذلك عن قتادة ايضا ويروى
عنه انه قال نزل القران بالمسح والسنة بالغسل وعن عكرمة قال ليس على الرجلين غسل انما نزل
فيهما المسح وعن الشعبي انه قال انما هو المسح على الرجلين الا ترى انه ما كان عليه الغسل جعل عليه

التيمم

التيمم وما عليه المسح اهمل وهو مذهب الامامية من الشيعة ان الواجب في الرجلين المسح وقال جمهور العلما
من الصحابة والتابعين فمن بعدهم والايمة الاربعة واصحابهم ان فرض الرجلين هو الغسل وقال
داود الظاهري يجب الجمع بينهما وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري المكلف مخير بين الغسل
والمسح وسبب هذا الاختلاف اختلاف القرا في هذا الحرف فقرا نافع وابن عامر والكسائي وحفص
عن عاصم وارجلكم بفتح اللام عطف على الغسل فيكون من المؤخر الذي معناه التقديم ويكون
المعنى فاغسلوا وجوهكم وايديكم وارجلكم الى الكعبين وامسحوا برءوسكم قال اصحاب هذه القراة
انما امر الله عباده بغسل الارجل دون مسحها ويدل عليه ايضا فعل النبي صلى الله عليه وسلم
والصحابة والتابعين فمن بعدهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابو بكر عن عاصم وارجلكم بكسر اللام
عطفا على المسح اما قراة النصب فالمعنى فيها ظاهر لانه عطف على المغسول لوجوب غسل الرجلين
على مذهب الجمهور ولا يقدح فيه قول من خالف واما قراة الكسر فقد اختلفوا في معناه والجواب عنه
فقال ابو حاتم وابن الانباري وابو علي الكسر عطف على الممسوح غير ان المراد بالمسح في الارجل الغسل
وقال ابو زيد المسح خفيف الغسل تقول العرب تمسحت للصلاة بمعنى توضات لها وهات ماء اتمسح
به للصلاة بمعنى اتوضا قال ابو حاتم وذلك ان المتوضي يصب الما على اعضائه حتى يمسحها مع الغسل
فسمي الغسل مسحا بهذا الاعتبار فعلى هذا الراس والرجل ممسوحان الا ان مسح الراس اخف والذي
يدل على ان المراد بالمسح في الرجل الغسل ذكر التحديد وهو قوله تعالى الى الكعبين لان التحديد انما جا
في المغسول ولم يجي في الممسوح فلما وقع التحديد مع الغسل علم انه في حكم الغسل وقال جماعة من العلما ان
الارجل معطوفة على الراس في الظاهر والمراد فيها الغسل لانه قد ينسق بالشي الى غيره والحكم فيهما
مختلف كما قال الشاعر ، يا ليت بعلك قد غدا ، متقلدا سيفا ورمحا ، والمعنى وحاملا
رمحا لان الرمح لا يتقلد به وكذلك قول الاخر ، علفتها تبنا وماء باردا ، يعني وسقيتها
ماء باردا وكذلك المعنى في الاية وامسحوا برءوسكم واغسلوا ارجلكم فلما لم يذكر الغسل وعطفت
الارجل على الرءوس في الظاهر اكتفي بقيام الدليل على ان الارجل مغسولة من مفهوم الاية والاحاديث
الصحيحة الواردة بغسل الرجلين في الوضوء واما من جعل كسر اللام في الارجل على مجاورة اللفظ
دون الحكم واستدل بقوله جحر ضب خرب وقال الخرب نعت للجحر لا للضب وانما اخذ اعراب الضب
للمجاورة فليس بجيد لان الكسر على المجاورة وانما يحمل لاجل الضرورة في الشعر او يصار اليه حيث
يحصل الامن من الالتباس لان الخرب لا يكون نعتا للضب بل للجحر ولان الكسر بالجوار انما يكون بدون
حرف العطف اما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب وقوله تعالى **الى الكعبين** فيه دليل قاطع على وجوب
غسل الرجلين كما في قوله تعالى وايديكم الى المرافق والمعنى واغسلوا ارجلكم مع الكعبين وقد تقدم
اختلاف العلما في ذلك عند قوله الى المرافق والكعبان هما العظمان الناشزان عند مفصل الساق
والقدم هذا قول جمهور العلما من اهل الفقه واللغة وشذت الشيعة ومن قال بمسح الرجلين
فقالوا الكعب عبارة عن عظم مستدير على ظهر القدم ويدل على بطلان هذا القول ان الكعب
لو كان على ما ذكروه لكان في كل رجل كعبا واحدا فكان ينبغي ان يقال وارجلكم الى الكعاب كما في قوله
وايديكم الى المرافق فلما قال الى الكعبين علم ان لكل رجل كعبين فبطل ما قالوه وثبت قول الجمهور

فصل قد تقدم ان الفروض المذكورة في هذه الاية اربعة وهي غسل الوجه وغسل

اليدين الى المرفقين ومسح الراس وغسل الرجلين الى الكعبين وتقدم استدلال الشافعي بهذه الاية على وجوب
النية في الوضوء فصارت فرضا خامسا وذهب الشافعي ومالك واحمد الى وجوب الترتيب في الوضوء وهو ان يغسل
الاعضاء في الوضوء على الولاء كما ذكر الله تعالى في هذه الاية فيغسل اولا وجهه ثم يديه ثم يمسح راسه ثم
يغسل رجليه فصار الترتيب فرضا سادسا وذهب ابو حنيفة الى ان الترتيب في الوضوء غير واجب
يحتج الشافعي على وجوب الترتيب بهذه الاية وذلك ان الله امر بغسل الوجه ثم بغسل اليدين ثم
بمسح الراس ثم بغسل الرجلين فوجب ان يقع الفعل مرتبا كما امر الله ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث
حجة الوداع ابدوا بما بدا الله وهذا الحديث وان ورد في قصة السعي بين الصفا والمروة فان العبرة
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولان افعال النبي صلى الله عليه وسلم في الوضوء ما وردت الا مرتبة
كما ورد في نص الاية ولم ينقل عنه ولا عن غيره من الصحابة انه توضا منكسا او غير مرتب فثبت
ان ترتيب افعال الوضوء كما امر الله ونص عليه في هذه الاية واجب واحتج ابو حنيفة لمذهبه بهذه
الاية ايضا وذلك ان الواو لا توجب الترتيب فاذا قلنا بوجوب الترتيب صار ذلك زيادة على
النص وذلك غير جائز واجيب عنه بانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه توضا الا مرتبا
كما ذكر وبيان الكتاب انما يوخذ من السنة **فصل** في ذكر الاحاديث التي وردت في
صفة الوضوء وفضله ق عن حمران مولى عثمان بن عفان ان عثمان دعا باناء فافرغ على كفيه ثلاث
مرار فغسلهما ثم ادخل يمينه في الاناء فمضمض واستنثر ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه الى المرفقين ثلاث
مرار ثم مسح براسه ثم غسل رجليه ثلاث مرار الى الكعبين ثم قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
توضى نحو وضوئي هذا ثم قال من توضى نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما
تقدم من ذنبه ق عن عبد الله بن زيد بن عاصم الانصاري قيل له توضا لنا وضوء رسول الله صلى الله
عليه وسلم فدعا باناء فاكفا منه على يديه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثا ثم
ادخل يده فاستخرجها فغسل يديه الى المرفقين مرتين مرتين ثم ادخل يده فاستخرجها فمسح براسه
فاقبل بيديه وادبر ثم غسل رجليه الى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه
وسلم زاد في رواية بعد قوله فاقبل بيديه وادبر بدا بمقدم راسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما
حتى رجع الى المكان الذي بدا منه عن عبد خير قال اتانا علي كرم الله وجهه وقد صلى فدعا بطهور
فقلنا ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد الا ليعلمنا فاتي باناء فيه ماء وطست فافرغ من الاناء على
يمينه فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنثر ثلاثا فمضمض ونثر من كف ياخذ منه ثم غسل وجهه
ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا وغسل الشمال ثلاثا ثم جعل يده في الاناء فمسح راسه مرة واحدة
ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ورجله الشمال ثلاثا ثم قال من سره ان يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه
وسلم فهو هذا اخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله كيف الطهور فدعا بماء في اناء فغسل كفيه ثلاثا ثم غسل وجهه ثلاثا ثم ذراعيه
ثلاثا ثم مسح براسه فادخل اصبعيه السباحتين في اذنيه ومسح بابهاميه على ظاهر اذنيه ثم غسل
رجليه ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا الوضوء فمن زاد على هذا او نقص فقد اساء وظلم او قال ظلم واساء
اخرجه ابو داود عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح براسه واذنيه ظاهرهما وباطنهما
اخرجه الترمذي وصححه ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا لم يغسل عقبيه

فقال

فقال ويل للاعقاب من النار م عن جابر قال اخبرني عمر بن الخطاب ان رجلا توضا فترك موضع ظفر
على قدمه فابصره النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارجع فاحسن وضوءك قال فرجع فتوضا ثم صلى
اخرجه مسلم عن خالد عن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا يصلي
وفي قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يعيد الوضوء والصلاة
اخرجه ابو داود ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة سافرناها
فادركنا وقد ارهقتنا الصلاة ونحن نتوضا فجعلنا نمسح على ارجلنا فنادى باعلى صوته ويل للاعقاب
من النار مرتين او ثلاثا عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا مرة مرة اخرجه البخاري
عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا مرتين مرتين اخرجه ابو داود والترمذي وقال
وقد روي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا ثلاثا ثلاثا م عن عقبة بن عامر قال كانت
علينا رعاية الابل فجاءت نوبتي ارعاها فروحتها بعشي فادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما
يحدث الناس فادركت من قوله ما من مسلم يتوضا فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين يقبل عليهما
بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة فقلت ما اجود هذا فاذا قائل بين يدي يقول التي قبلها
اجود فنظرت فاذا عمر بن الخطاب فقال اني قد رايتك جئت انفا قال ما منكم من احد يتوضا فيبلغ
الوضوء او يسبغ الوضوء ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده
ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا توضا العبد المسلم او المومن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها
بعينيه مع الماء او مع اخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء
او مع اخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء او مع اخر قطر الماء حتى
يخرج نقيا من الذنوب ق عن نعيم بن عبد الله المجمر عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
امتي يدعون يوم القيمة غرا محجلين من اثار الوضوء فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل وفي رواية
قال رايت ابا هريرة يتوضا فغسل وجهه فاسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى اشرع في العضد ثم غسل
يده اليسرى حتى اشرع في العضد ثم مسح راسه ثم غسل رجله اليمنى حتى اشرع في الساق ثم غسل رجله
اليسرى حتى اشرع في الساق ثم قال هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضا وقال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم الغر المحجلون يوم القيمة من اسباغ الوضوء فمن استطاع منكم فليطل
غرته وتحجيله وفي رواية لمسلم قال سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المومن حيث
يبلغ الوضوء عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضا على طهر كتب الله له به عشر حسنات
اخرجه الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء
لمن لم يذكر الله عليه اخرجه ابو داود وابن ماجة وقوله تعالى **وان كنتم جنبا فاطهروا** اي اغتسلوا
امر الله بالاغتسال من الجنابة وذلك يجب على الرجل والمراة باحد شيئين اما بخروج المني على اي صفة
كان من احتلام او غيره او بالتقاء الختانين وان لم يكن معه انزال فاذا حصل وجب الغسل ق عن
عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اغتسل من الجنابة بدا فغسل يديه ثم يفرغ بيمينه
على شماله فيغسل فرجه ثم يتوضا كما يتوضا للصلاة ثم يدخل اصابعه في الماء فيخلل بها اصول شعره ثم
يصب على راسه ثلاث غرفات بيديه ثم يفيض الماء على ساير جسده اما قوله تعالى **وان كنتم مرضى او**

على سفر او جا احد منكم من الغايط او لامستم النسا فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه فقد تقدم تفسيره واحكامه في تفسير سورة النسا وفي قوله تعالى منه دليل على انه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب وقوله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج يعني من ضيق فما فرض عليكم من الوضو والغسل والتيمم عند عدم الما ولكن يريد ليطهركم يعني من الاحداث والذنوب والخطايا لان الوضو تكفير للذنوب وليتم نعمته عليكم يعني ببيان الشرايع والاحكام وما تحتاجون اليه من امر دينكم لعلكم تشكرون يعني تشكرون نعمته عليكم بان طهركم من الاحداث والذنوب وما جعل عليكم في الدين من حرج قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم يعني ما انعم به عليكم من النعم كلها لان كثرة النعم وذكرها توجب مزيد الشكر من المنعم عليه والاشتغال بطاعة المنعم والانقياد لامره وهو الله تعالى وميثاقه الذي واثقكم به يعني واذكروا عهده الذي عاهدكم به ايها المومنون اذ قلتم سمعنا واطعنا وذلك حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما احبوا او كرهوا وقيل الميثاق هو الذي اخذه عليهم في يوم الست بربكم قالوا بلى واتقوا الله يعني فيما اخذه عليكم من الميثاق فلا تنقضوه ان الله عليم بذات الصدور يعني انه تعالى عالم بما في قلوب عباده من خير او شر قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله قال ابن عباس يريد انهم يقومون لله بحقه ومعنى ذلك هو ان يقيم لله بالحق في كل ما يلزمه القيام به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه شهدا بالقسط يعني ويشهدون بالعدل يقول لا تحاب في شهادتك اهل ودك وقرابتك ولا تمنع شهادتك اهل بغضك واعدايك بل اقم شهادتك لهم وعليهم بالصدق والعدل ولا يجرمنكم شنان قوم ولا يحملنكم بغض قوم على الا تعدلوا على ترك العدل فيهم لعداوتهم اعدلوا امر الله بالعدل في كل احد القريب والبعيد والصديق والعدو هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون يعني انه تعالى خبير بجميع اعمالكم مطلع عليها وخبير بمن عدل ومن لم يعدل قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات يعني عملوا بما امرهم الله به واوفوا بالعهود التي عاهدهم عليها لهم مغفرة واجر عظيم هذا بيان الموعد كانه لما قدم ذكر الوعد فقيل اي شي هذا الوعد فقال لهم مغفرة واجر عظيم والذي وعدهم الجزاء الموعد فانه تعالى لا يخلف الميعاد والذين كفروا وكذبوا باياتنا يعني والذين جحدوا وحدانية الله تعالى ونقضوا عهوده ومواثيقه وكذبوا بما جاءت به الرسل من عنده اوليك يعني من هذه صفته اصحاب الجحيم هذه الاية نص قاطع في ان الخلود في النار ليس الا للكفار لان المصاحبة تقتضي الملازمة كما يقال فلان صاحب فلان يعني الملازم له قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم يعني اذكروا نعمة الله عليكم بالدفع عنكم مع ساير نعمه التي انعم بها عليكم ثم وصف تلك النعمة التي ذكرهم بها وامرهم بالشكر عليها فقال تعالى اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم يعني بالقتل والبطش بكم فصرفهم عنكم وحال بينهم وبين ما ارادوه بكم ثم اختلف اهل التفسير في سبب نزول هذه الاية وفي صفة هذه النعمة التي امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بذكرها والشكر عليها وقال قتادة نزلت هذه الاية ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة حين اراد بنو ثعلبة وبنو محارب ان يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وباصحابه اذا اشتغلوا بالصلاة فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وانزل صلاة الخوف وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

محاصرا

محاصرا غطفان بنخل فقال رجل من المشركين هل لكم ان اقتل محمدا قالوا وكيف تقتله قال افتك به قالوا وددنا انك فعلت ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم متقلد سيفه فقال يا محمد ارني سيفك فاعطاه اياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر اليه مرة والى النبي صلى الله عليه وسلم مرة ثم قال من يمنعك مني يا محمد قال الله فتهدده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغمد السيف ومضى فانزل الله هذه الاية وقال مجاهد وعكرمة والكلبي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو الساعدي وهو احد النقبا ليلة العقبة في ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بني عامر بن صعصعة فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل على بير معونة وهي من مياه بني عامر فاقتتلوا فقتل المنذر واصحابه الا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم احدهم عمرو بن امية الضمري فلم يرعهم الا والطير تحوم في السما يسقط من بين مناقيرها علق الدم فقال احد النفر الثلاثة قتل اصحابنا ثم تولى يشتد حتى لقي رجلا من المشركين فاختلفا ضربتين فلما خالطته الضربة رفع راسه الى السما وفتح عينيه وقال الله اكبر الجنة ورب العالمين ورجع صاحبا فلقيا رجلين من بني سليم وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومهما موادعة فانتسبا الى بني عامر فقتلاهما وقدم قومهما الى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الاشرف ويهود بني النضير يستعينهم في عقلهما وكانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم على ترك القتال وعلى ان يعينوه في الديات وقيل اراد ان يستقرض منهم دية رجلين فقالوا نعم يا ابا القاسم قد آن لك ان تاتينا وتسالنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي سالت فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فخلا بعض اليهود ببعض وقالوا انكم لن تجدوا محمدا اقرب منه الان فمن يظهر منكم على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن جحاش انا فجا الى رحا عظيمة ليطرحها على النبي صلى الله عليه وسلم فامسك الله يده ونزل جبريل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة وقال وخرج معه علي ابن ابي طالب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تبرح مكانك حتى يخرج اليك اصحابي فمن خرج اليك منهم وسالك عني فقل توجه الى المدينة ففعل ذلك علي حتى تناهوا اليه ثم تبعوه الى المدينة وانزل الله عز وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم يعني اليهود ان يبسطوا اليكم ايديهم يقال بسط يده اليه اذا بطش به وهو اذا مدها الى المبطوش به ليقتله فكف ايديهم عنكم يعني انه تعالى منعهم مما ارادوه بكم واتقوا الله يعني فيما امركم به ونهاكم عنه وعلى الله فليتوكل المومنون امر الله المومنين بالتوكل عليه لانه هو الكافي عباده جميع امورهم فاذا فعلوا ذلك وتوكلوا عليه حفظهم ورعاهم ممن ارادهم بسو كما كف ايدي اليهود عنهم لما ارادوا ان يفتكوا بهم وهذه القصة اولى بالصواب لانه عقب الاية بذم اليهود وذكر قبيح افعالهم وخيانتهم وذلك قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل لما ذكر الله في الاية المتقدمة بعض غدرات اليهود وما ارادوا به من كيد رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه اتبعه بذكر اسلافهم وما نقضوه من المواثيق والعهود ومعنى الاية ان الله اخذ ميثاقهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيا وان يعملوا بما في التوراة من الاحكام والتكاليف وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا اختلف العلما

في معنى النقيب فقال ابن عباس النقيب الضمين وقال قتادة هو الشهيد على قومه وقيل هو الامين الكفيل
وقيل هو الباحث عن القوم وعن احوالهم ذكر المفسرين في ذلك قال اصحاب الاخبار ان الله
عز وجل وعد موسى عليه السلام ان يورثه وقومه الارض المقدسة وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون فامر
الله موسى ان يسير ببني اسرائيل الى الارض المقدسة فاني قد كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها
من العدو فاني ناصرك عليهم وخذ من قومك اثني عشر نقيبا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفا
منهم على ما امروا فاختار موسى النقبا وسار ببني اسرائيل حتى قربوا من اريحا وهي مدينة الجبارين فبعث هولا
النقبا يتجسسون له الاخبار ويعلمون علمها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عناق وعناق امه
وهي احدى بنات ادم عليه السلام وكان طوله ثلاثة الاف ذراع وثلثماية وثلاثة وثلاثون ذراعا وثلث
ذراع هكذا نقله البغوي وفيه نظر لان ادم عليه السلام كان طوله على ما ورد في الاحاديث الصحيحة
ستين ذراعا قال وكان عوج يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحوت من قعر البحر ويشويه في عين
الشمس ويروى ان الما لما طبق على الارض من جبل فغيره ما بلغ ركبتي عوج وقال لنوح عليه السلام احملني
معك في سفينتك فقال له نوح اخرج عني يا عدو الله فاني لم اومر بك وعاش عوج ثلاثة الاف سنة حتى اهلكه
الله على يد موسى عليه السلام وذلك انه قد احتمل صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى وكان فرسخا في فرسخ
وحملها على راسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فنقب الصخرة وقورها بمنقاره فوقعت في عنقه فصرعته
واقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله قال فلما لقي عوج النقبا اخذهم وجعلهم في حجرته وكان على راسه
حزمة حطب وانطلق بهم الى امراته وقال انظري الى هولاء الذين يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال الا
اطحنهم برجلي فقالت امراته بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما راوا وقيل انه جعلهم في كمه واتى بهم الى الملك فنثرهم
بين يديه فقال لهم الملك ارجعوا الى قومكم فاخبروهم بما رايتم وكان مما راوا ان العنقود من العنب لا يحمله الا
خمسة انفس منهم بينهم في خشبة ويدخل في شطر الرمانة اذا نزع حبها خمسة انفس فرجع النقبا وقال
بعضهم لبعض يا قوم انكم ان اخبرتم بني اسرائيل خبر القوم واخبروا موسى وهارون بما رايتم فيريان رايهما فاخذ
بعض النقبا على بعض الميثاق بذلك فلما رجعوا الى بني اسرائيل نكثوا العهد والميثاق واخبر كل رجل سبطه
بما راي الا رجلان منهم وهم يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فانهما وفيا بالعهد ولم ينكثا الميثاق فذلك
قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم فيه حذف تقديره
وقال للنقبا اني معكم يعني بالنصر والمعونة وقيل هو خطاب لكافة بني اسرائيل والقول الاول اولى لان
الضمير يعود الى اقرب مذكور فكان عوده الى النقبا اولى ثم ابتدا الكلام فقال مخاطبا لبني اسرائيل لئن اقمتم
الصلاة وهذه جملة شرطية فالشرط مركب من خمسة امور وهي قوله تعالى لئن اقمتم الصلاة واتيتم الزكاة
وامنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا وجزا الشرط قوله تعالى لاكفرن عنكم سياتكم ولادخلنكم
فذلك اشارة الى ازالة العقاب وقوله تعالى ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار اشارة الى ايصال الثواب
ومعنى الاية لئن اقمتم ايها الصلاة المكتوبة واتيتم الزكاة المفروضة وامنتم برسلي يعني بجميع رسلي وانما اخر
ذكر الايمان بالرسل لان اليهود كانوا مقرين باقام الصلاة وايتا الزكاة والايمان ببعض الرسل فقال الله
لهم انه لا ينفعكم ذلك ولا يحصل المقصود الا بالايمان بجميع الرسل وقوله تعالى وعزرتموهم يعني ونصرتموهم
واصل التعزير في اللغة الرد فمعنى وعزرتموهم نصرتموهم بان تردوا اعداهم عنهم وقيل معناه ووقرتموهم
وعظمتموهم والقول هو الاول واقرضتم الله قرضا حسنا يعني به الصدقات المندوبة لان الزكاة تقدم

ذكرها فلا فايدة في تفسير هذا القرض بالزكاة فان قلت كيف قال واقرضتم الله قرضا حسنا
لان مصدر اقرضتم الاقراض قلت ان قوله قرضا اخرج مصدرا من معناه لا من لفظه وذلك ان
اقرض بمعنى قرض فكان معنى الكلام واقرضتم الله فقرضتم قرضا حسنا ونظير ذلك قوله تعالى والله
انبتكم من الارض نباتا اذ كان معناه فنبتم نباتا وقوله تعالى لاكفرن عنكم سياتكم يعني اذا فعلتم سائر
ما امرتكم به لامحون عنكم سياتكم واغفرها لكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد
ذلك منكم يعني بعد اخذ العهد والميثاق فقد ضل سوا السبيل يعني فقد اخطا الطريق المستقيمة
وهو طريق الدين الذي شرعه والهدى الذي امر باتباعه قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم اي بسبب
نقضهم الميثاق وذلك ان بني اسرائيل نقضوا ميثاق الله وعهده بان كذبوا الرسل الذين جاووا من
بعد موسى وقتلوا انبيا الله ونبذوا كتابه وضيعوا فرايضه لعناهم يعني جازيناهم على ذلك بان
ابعدناهم وطردناهم عن رحمتنا واصل اللعنة الابعاد عن الرحمة وجعلنا قلوبهم قاسية يعني غليظة
يابسة لا تلين لان القسوة خلاف اللين والرقة وقيل معناه ان قلوبهم ليست خالصة الايمان بل
ايمانهم مشوب بالكفر والنفاق يحرفون الكلم عن مواضعه يعني يغيرون حدود التوراة واحكامها
وقيل هو تبديلهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته من التوراة وقيل هو تحريفهم معاني الالفاظ بسوء
التاويل ونسوا حظا مما ذكروا به يعني وتركوا نصيب انفسهم فيما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم وبيان نعته وصفته ولا تزال تطلع على خاينة منهم قال ابن عباس يعني على معصية منهم وكانت
خيانتهم نقض العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله وسمه ونحوها
من خياناتهم التي ظهرت الا قليلا منهم يعني انهم لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم عبد الله بن سلام واصحابه
الذين اسلموا من اهل الكتاب فاعف عنهم واصفح اي فاعف عن زلاتهم يا محمد واصفح عن جرمهم ومواخذتهم
وهذا الامر بالعفو والصفح عن اهل الكتاب منسوخ بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم
الاخر الاية التي في سورة براة قاله قتادة وقيل انها غير منسوخة بل نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي
صلى الله عليه وسلم عهد فغدروا ونقضوا ذلك العهد فاظهر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على
ذلك وانزل هذه الاية ولم تنسخ وذلك انه يجوز ان يعفو عن غدره فعلوها ما لم ينصبوا حربا ولم
يمتنعوا من ادا الجزية والصغار وعلى هذا القول بانها غير منسوخة يكون معنى الاية فاعف عن
مومنهم ولا تواخذهم بما سلف منهم قبل ذلك وقيل معناه فاعف عن صغاير زلاتهم ما داموا باقين على
العهد ان الله يحب المحسنين يعني اذا عفوت عنهم فانك محسن وان الله يحب المحسنين قوله عز وجل
ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم لما ذكر الله نقض اليهود الميثاق اتبعه بذكر نقض النصارى
الميثاق وان سبيل النصارى مثل سبيل اليهود في نقض الميثاق وانما قال تعالى من الذين قالوا انا نصارى
ولم يقل من النصارى لانهم الذين ابتدعوا هذا الاسم وسموا به انفسهم لا ان الله تعالى سماهم به اخذنا
ميثاقهم يعني كتبنا عليهم في الانجيل ان يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فنسوا حظا مما ذكروا به يعني
فتركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فاغرينا يعني فالقينا واوقعنا بينهم
العداوة والبغضا الى يوم القيامة قال قتادة لما تركوا العمل بكتاب الله وعصوا رسله وضيعوا
فرايضه وعطلوا حدوده القى العداوة والبغضا بينهم وقيل العداوة والبغضا هي الاهوا المختلفة
وفي الها والميم من قوله تعالى بينهم قولان احدهما ان المراد بهم اليهود والنصارى فان العداوة والبغضا

حاصلة بينهم الى يوم القيامة والقول الثاني ان المراد بهم فرق النصارى فان كل فرقة منهم تكفر الاخرى
وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون يعني انه تعالى يخبرهم في الاخرة باعمالهم التي عملوها في الدنيا
ففيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب يعني ان محمدا صلى الله عليه
وسلم يظهر كثيرا مما اخفوا وكتموا من احكام التوراة والانجيل وذلك انهم اخفوا اية الرجم وصفة محمد
صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ذلك واظهره وهذا معجز
للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ كتابهم ولم يعلم ما فيه فكان اظهاره ذلك معجزة له ويعفو عن
كثير يعني مما يكتمونه فلا يتعرض له ولا يؤاخذهم به لانه لا حاجة الى اظهاره والفائدة في ذكر ذلك انهم
يعلمون كون النبي صلى الله عليه وسلم عالما بما يخفونه وهو معجزة له ايضا فيكون داعيا لهم الى الايمان
به قد جاءكم من الله نور يعني محمدا صلى الله عليه وسلم انما سماه الله نورا لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور
في الظلام وقيل النور هو الاسلام وكتاب مبين يعني القران يهدي به الله يعني يهدي الله بالكتاب
المبين من اتبع رضوانه اي اتبع ما رضيه الله وهو دين الاسلام لانه مدحه واثنى عليه سبل السلام
قال ابن عباس يريد دين الاسلام لانه دين الله وهو السلام وسبيله دينه الذي شرع لعباده وبعث
به الرسل وامر عباده باتباعه وقيل سبل السلام طرق السلامة وقيل سبل السلام دار السلام
فيكون من باب حذف المضاف ويخرجهم من الظلمات الى النور يعني من ظلمات الكفر الى نور الايمان باذنه
يعني بتوفيقه وهدايته ويهديهم الى صراط مستقيم يعني دين الاسلام قوله عز وجل لقد كفر الذين
قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قال ابن عباس هؤلاء نصارى نجران فانهم قالوا هذه المقالة وهو مذهب
اليعقوبية والملكانية من النصارى انهم يقولون في المسيح انه الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا
وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة لانهم يقولون بالحلول وان الله قد حل في بدن عيسى فلما كان
اعتقادهم ذلك لا جرم حكم الله عليهم بالكفر ثم ذكر الله على ما يدل على فساد مذهبهم فقال تعالى
قل يعني يا محمد لهؤلاء النصارى الذين يقولون هذه المقالة فمن يملك لكم يعني يقدر ان يدفع من
الله شيئا يعني من امر الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه يعني يعدم المسيح وامه ومن
في الارض جميعا ووجه الاحتجاج على النصارى بهذا ان المسيح لو كان الها كما تقولون لقدر على دفع
امر الله اذا اراد اهلاكه واهلاك امه وغيرهما ولله ملك السموات والارض وما بينهما انما قال
وما بينهما ولم يقل وما بينهن لانه اراد وما بين هذين النوعين او الصنفين من الاشياء فانها ملكه واهلها
عبيده وعيسى وامه من جملة عبيده يخلق ما يشاء يعني من غير اعتراض عليه فيما يخلق لانه خلق
ادم من غير اب وام وخلق عيسى من ام بلا اب وخلق سائر الخلق من اب وام والله على كل شيء قدير
يعني انه تعالى لا يعجزه شيء اراده فلا اعتراض لاحد من خلقه عليه قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى
نحن ابناء الله واحباؤه قال ابن عباس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن اضا وبحري
ابن عمرو وشاس بن عدي فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله وحذرهم نقمته
فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن والله ابناء الله واحباؤه كقول النصارى فانزل الله عز وجل فيهم وقالت
اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه الاية وسبب هذه المقالة ما حكاه السدي قال اما
اليهود فانهم قالوا ان الله اوحى الى بني اسرائيل ان ولدك بكري من الولد فادخلهم النار فيكونوا فيها

اربعين يوما حتى تطهرهم وتاكل خطاياهم ثم ينادي مناد ان اخرجوا كل مختون من ولد اسرائيل فاخرجهم
فذلك قوله لن تمسنا النار الا اياما معدودات واما النصارى فان فريقا منهم يقولون المسيح ابن
الله وكذبوا فيما قالوا على الله تعالى فاما وجه قول اليهود فانهم يعنون انه من حدبه وعطفه عليهم
كالاب المشفق على الولد واما وجه قول النصارى فانهم لما قالوا في المسيح انه ابن الله وادعوا انه
منهم فكانهم قالوا نحن ابناء الله لهذا السبب وقيل ان اليهود انما قالوا هذه المقالة من باب
حذف المضاف والمعنى نحن ابناء رسول الله صلى الله عليه وسلم واما النصارى فانهم تاولوا قول
المسيح اذهب الى ابي وابيكم وقوله اذا صليتم فقولوا يا ابانا الذي في السماء لتقدس اسمك فذهبوا
الى ظاهر هذه المقالة ولم يعلموا ما اراد المسيح عليه السلام ان صحت هذه المقالة عنه فان تاويلها
انه في بره ورحمته وعطفه على عباده الصالحين كالاب الرحيم لولده وجملة الكلام في ذلك ان اليهود
والنصارى كانوا يرون لانفسهم فضلا على من سواهم بسبب اسلافهم الافاضل حتى انتهوا الى تعظيم
انفسهم الى ان قالوا هذه المقالة نحن ابناء الله واحباؤه فابطل الله عز وجل دعواهم وكذبهم فيما
قالوا بقوله تعالى قل فلم يعذبكم بذنوبكم معناه ان كان الامر على ما تزعمون فلم يعذبكم الله وانتم
قد اقررتم على انفسكم انه يعذبكم اربعين يوما وهل رأيتم والدا يعذب ولده بالنار وهل تطيب نفس محب يعذب
حبيبه في النار بل انتم بشر ممن خلق يعني بل انتم يا معشر اليهود والنصارى كسائر بني ادم مجزيون بالاساءة والاحسان
وقوله تعالى يغفر لمن يشاء يعني لمن تاب من اليهودية والنصرانية ويعذب من يشاء يعني من مات على اليهودية
والنصرانية وقيل معناه يهدي من يشاء فيغفر له ويميت من يشاء على كفره فيعذبه ولله ملك السموات والارض
يعني انه تعالى يملك ذلك لا شريك له في ذلك فيعارضه وهو الذي يملك المغفرة لمن يشاء والتعذيب لمن يشاء
وفيه دليل على انه تعالى لا ولد له لان من يملك السموات والارض يستحيل ان يكون له شبيه من خلقه او شريك
في ملكه واليه المصير يعني والى الله مرجع العباد في الاخرة فيجازيهم باعمالهم قوله تعالى يا اهل الكتاب قد
جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل قال ابن عباس قال معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة
ابن وهب لليهود يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله لقد كنتم تذكرونه لنا قبل
مبعثه وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهوذا ما قلنا هذا لكم وما انزل الله من
كتاب بعد موسى ولا ارسل بشيرا ولا نذيرا بعده فانزل الله هذه الاية يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يبين لكم يعني احكام الدين والشرائع على فترة من الرسل قال ابن عباس
يعني على انقطاع من الرسل واختلف العلماء في قدر مدة الفترة فروي عن سلمان قال فترة ما بين
عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة وما شاء الله من ذلك وعنه انها خمسمائة سنة اخرجه
البخاري وقال قتادة كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة وما شاء الله من ذلك
وعنه انها خمسمائة سنة وستون سنة وقال ابن الكلبي خمسمائة واربعون سنة وقال الضحاك
اربعمائة وبضع وثلاثون سنة ونقل ابن الجوزي عن ابن عباس على فترة من الرسل قال على انقطاع منهم
قال وكان بين ميلاد عيسى ومولد محمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وتسعة وستون سنة وفي الفترة
وكان بعد عيسى اربعة من الرسل فذلك قوله عز وجل اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث
قال والرابع لا ادري من هو فكانت تلك السنين مائة واربعا وثلاثين سنة نبوة وسائرها فترة قال
ابو سليمان الدمشقي والرابع والله اعلم خالد بن سنان الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

بني ضيعة قومه قال الامام فخر الدين الرازي والفائدة في بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عند فترة
الرسل هي ان التحريف والتغيير كان قد تطرق الى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول ازمانها
وسبب ذلك اختلاط الحق بالباطل والكذب بالصدق فصار ذلك عذرا ظاهرا في اعراض الخلق
عن العبادات لان لهم ان يقولوا الاهنا عرفنا انه لابد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك فبعث
الله عز وجل في هذا الوقت محمدا صلى الله عليه وسلم ازالة لهذا العذر فذلك قوله عز وجل ان تقولوا
ما جاءنا من بشير ولا نذير يعني لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير
في هذا الوقت فقد جاءكم بشير ونذير يعني فقد ارسلت اليكم محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا
العذر والله على كل شيء قدير يعني انه تعالى قادر على بعثة الرسل في وقت الحاجة اليهم قوله عز وجل
واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم قال ابن عباس اذكروا عافية الله وقيل معناه اذكروا
ايادي الله عندكم وايامه التي انعم فيها عليكم قال الطبري وهذا تعريف لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
قديم تمادي هؤلاء اليهود في الغي وبعدهم عن الحق وسوء اختيارهم لانفسهم وشدة مخالفتهم لانبيائهم مع
كثرة نعم الله عليهم وتتابع اياديه والائه لديهم ومسليا بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما نزل به من
مقاساتهم ومعالجتهم في ذات الله عز وجل اذ جعل فيكم انبياء يعني ان موسى عليه السلام ذكر قومه بني
اسرائيل بايام الله عندهم وبما انعم به عليهم فقال اذكروا نعمة الله عليكم ان فضلكم بان جعل فيكم انبياء
قال الكلبي هم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه وانطلق بهم الى الجبل وايضا فان بني اسرائيل هم
من اولاد يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وتولا لاشك انهم من اكابر الانبياء واولاد يعقوب وهم
الاسباط انبياء على قول الاكثرين وموسى وهارون عليهما السلام وايضا فان الله تعالى اعلم موسى انه
يبعث من بعده في بني اسرائيل انبياء فانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء فكان هذا شرفا
عظيما لهم ونعمة ظاهرة عليهم وجعلكم ملوكا يعني وجعلكم احرارا تملكون انفسكم بعد ان كنتم عبيدا في
ايدي القبط قال ابن عباس يعني جعلكم اصحاب خدم وحشم قال قتادة كانوا اول من ملك الخدم ولم
يكن لمن قبلهم خدم وروي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان بنو اسرائيل اذا كان
لاحدهم خادم وامراة ودابة يكتب ملكا ذكره البغوي بغير سند وسال رجل عبد الله بن عمرو بن العاص
فقال السنا من فقراء المهاجرين فقال له عبد الله الك امراة تاوي اليها قال نعم قال الك مسكن تسكنه
قال نعم قال انت من الاغنياء قال فان لي خادما قال فانت من الملوك وقال الضحاك كانت منازلهم
واسعة فيها مياه جارية ومن كان مسكنه واسعا وفيه ماء جار فهو ملك واتاكم ما لم يؤت احدا من
العالمين يعني من عالمي زمانكم يذكرهم ما انعم الله به عليهم من فلق البحر لهم وتظليل الغمام فوقهم الى غير
ذلك من النعم التي انعم الله بها قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم لما ذكر
موسى قومه ما انعم الله به عليهم امرهم بالخروج الى جهاد عدوهم فقال يا قوم ادخلوا الارض المقدسة يعني
المطهرة سميت مقدسة لانها طهرت من الشرك وصارت مسكنا للانبياء والمؤمنين وقيل المقدسة المباركة
قال الكلبي صعد ابراهيم عليه السلام جبل لبنان فقيل له انظر فما ادرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث
لذريتك والارض هي الطور وما حوله وقيل هي اريحا وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي دمشق وقيل
هي الشام كلها قال كعب الاحبار وجدت في كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله من ارضه وبها اكثر عباده
التي كتب الله لكم يعني كتب الله لكم في اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقيل فرض عليكم دخولها وامركم بسكناها

وقيل

وقيل وهبها لكم فان قلت كيف قال الله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم وقوله فانها محرمة
عليهم وكيف الجمع بينهما قلت فيه وجوه احدها انها كانت هبة من الله ثم حرمها عليهم بشوم تمردهم
وعصيانهم الوجه الثاني ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الخصوص فصار كانه مكتوب لبعضهم
وحرام على بعضهم فان يوشع بن نون وكالب بن يوفنا دخلاها وكانا ممن خوطب بهذا الخطاب
الوجه الثالث ان هذا الوعد كان مشروطا بالطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط
الوجه الرابع انه قال انها محرمة عليهم اربعين سنة فلما مضت الاربعون دخلوها وصارت
مساكن لهم كما وعدهم الله تعالى وقوله تعالى ولا ترتدوا على ادباركم يعني ولا ترجعوا القهقرى
مرتدين على اعقابكم الى ورائكم ولكن امضوا لامر الله الذي امركم به وان فعلتم خلاف ما امركم الله به
فتنقلبوا خاسرين يعني فترجعوا خائبين لانكم رددتم امر الله قوله عز وجل قالوا يعني قوم موسى يا موسى
ان فيها يعني في الارض المقدسة قوما جبارين يعني قوما عاتين لا طاقة لنا بهم ولا قوة لنا بقتالهم
وسموا اولئك القوم جبارين لشدة بطشهم وعظم خلقهم وكانوا ذوو اجسام عظيمة واشكال
هائلة وهم من العمالقة بقية قوم عاد واصل الجبار في صفة الانسان فعال من جبره على الامر بمعنى
اجبره عليه وسموا المعاني الذي يجبر الناس على ما يريد وقيل انه ماخوذ من قولهم نخلة جبارة اذا كانت
طويلة مرتفعة لا تصل الايدي اليها ويقال رجل جبار اذا كان طويلا عظيما قويا تشبيها بالجبار
من النخل وانا لن ندخلها يعني ارض الجبارين التي امرهم الله بدخولها حتى يخرجوا منها فان
يخرجوا منها حتى يخرج الجبارون من الارض المقدسة وانما قالوا ذلك استبعادا لخروج الجبارين
من ارضهم فانا داخلون يعني اليها قال العلماء بالاخبار ان النقباء لما خرجوا يتجسسون الاخبار
لموسى عليه السلام خبر القوم وما عاينوه منهم قال لهم موسى عليه السلام لا تخبروا بني اسرائيل بهذا
فيجبنوا او يضعفوا عن قتالهم وقيل ان النقباء الاثني عشر لما خرجوا من ارض الجبارين قال بعضهم
لبعض لا تخبروا بني اسرائيل بما رايتم فلما رجعوا اخبروا موسى امرتم ان لا تخبروا بني اسرائيل بذلك
فخالفوا امره ونقضوا العهد واخبروا كل رجل من النقباء سبطه بما راى الا يوشع بن نون وكالب
فانهما كتما ووفيا بالعهد فلما علم ذلك بنو اسرائيل وفشى ذلك فيهم رفعوا اصواتهم بالبكا وقالوا
ليتنا متنا في ارض مصر ولا يدخلنا الله ارضهم فتكون نساؤنا واموالنا واولادنا غنيمة لهم وجعل
الرجل من بني اسرائيل يقول لصاحبه تعالوا نجعل لنا راسا وننصرف الى مصر فلما قال بنو اسرائيل
ذلك وهموا بالانصراف الى مصر خر موسى وهارون ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان
اخبر الله عنهما بقوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون يعني يخافون الله ويراقبونه انعم الله
عليهما يعني بالهداية والوفا بالعهد ادخلوا عليهم الباب يعني قال الرجلان وهما يوشع
ابن نون وكالب بن يوفنا لبني اسرائيل ادخلوا على الجبارين باب مدينتهم فاذا دخلتموه فانكم غالبون
لان الله وعدكم بالنصر وان الله منجز لكم وعده وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين يعني يقول
الرجلان لقوم موسى اتقوا الله فانه معكم وناصركم ان كنتم مصدقين بان الله ناصركم ولا يهولنكم
عظم اجسامهم فانا قد رايناهم فكانت اجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلما قالا ذلك
اراد بنو اسرائيل ان يرجموهما بالحجارة وعصوا امرهما وقالوا ما اخبر عنهم بقوله تعالى قالوا يا موسى
انا لن ندخلها ابدا يعني قال قوم موسى لموسى انا لن ندخل مدينة الجبارين ابدا يعني مدة حياتنا

تاداموا فيها يعني مقيمين فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون انما قالوا
هذه المقالة لان مذهب اليهود التجسيم وكانوا يجوزون الذهاب والمجي على الله تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا قال بعض العلما ان كانوا قالوا هذا على وجه الذهاب من مكان الى مكان فهو كفر وان كانوا
قالوه على وجه الخلاف لامر الله وامر نبيه موسى فهو فسق وقال بعضهم انما قالوه على وجه المجاز
والمعنى اذهب انت وربك معين لك لكن قوله فقاتلا يفسد هذا التاويل وقال بعضهم انهم ارادوا
بقولهم وربك اخاه هارون لانه اكبر من موسى والاصح انما قالوا ذلك جهلا منهم بالله تعالى وكفرا
ومنه قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره خ عن ابن مسعود قال شهدت من المقداد بن الاسود
مشهدا لان اكون انا صاحبه احب الي مما عدل به اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين
يوم بدر فقال يا رسول الله انا لا نقول كما قالت بنوا اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا
هاهنا قاعدون لكن امض ونحن معك فكانه سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية
لكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك فرايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم اشرق وجهه وسره قوله تعالى قال يعني قال موسى عليه السلام رب اي يا رب اني لا املك الا
نفسي واخي يعني انا لا املك الا نفسي ونفس اخي لانه كان يطيعه واذا كان كذلك فقد ملكه وانما
قال موسى لا املك الا نفسي واخي وان كان معه في طاعته يوشع بن نون وكالب بن يوفنا لاختصاص
هارون به ولمزيد الاعتنا باخيه ويحتمل ان يكون معناه واخي في الدين ومن كان على دينه وطاعته
فهو اخوه في الدين فعلى هذا الاحتمال يدخل الرجلان في قوله واخي ثم قال فافرق بيننا وبين
القوم الفاسقين اي افصل وقيل احكم بيننا وبين القوم الفاسقين يعني الخارجين عن طاعتك
وانما قال موسى ذلك لما راى بني اسرائيل وما فعلوه من مخالفة امر الله وهمهم بيوشع وكالب غضب
موسى لذلك ودعا عليهم فاجاب الله تعالى دعا موسى عليه السلام فقال عز وجل فانها محرمة
عليهم يعني فان الارض المقدسة محرمة عليهم ومعناه ان تلك البلدة محرمة عليهم ابدا ولم يرد تحريم
تعبد وانما اراد تحريم منع فاوحى الله تعالى الى موسى بي حلفت لاحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير
عبدي يوشع وكالب ولاتينهم في هذه البرية اربعين سنة مكان كل يوم من الايام التي كانوا يتجسسون
فيها سنة ولالقين جيفهم في هذه القفار واما ابناوهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلونها فذلك قوله
تعالى فانها يعني الارض المقدسة محرمة عليهم قال اكثر اهل العلم هذا التحريم منع لا تحريم تعبد وقيل يحتمل
ان يكون تحريم تعبد فيجوز ان يكون تعالى امرهم بان يمكثوا في تلك المفازة في الشدة والبلية عقابا
لهم على سو صنيعهم اربعين سنة فمن قال ان الكلام تم عند قوله فانها محرمة عليهم قال اربعين سنة
يتيهون في الارض فانها اي المحرمة فانها موبدة حتى يموتوا ويدخلها ابناوهم وقيل معناه ان الارض
المقدسة محرمة عليهم اربعين سنة ثم يدخلونها ويفتح لهم وقوله تعالى يتيهون في الارض يتحيرون
فيها يقال تاه يتيه اذا تحير واختلفوا في مقدار الارض التي تاهوا فيها فقيل مقدار ست فراسخ وقيل
ست فراسخ في اثني عشر فرسخا وقيل تسع فراسخ في ثلاثين فرسخا وكان القوم ستماية الف مقاتل
وكانوا يرحلون ويسيرون يومهم اجمع فاذا امسوا اذاهم في الموضع الذي رحلوا منه وكان ذلك
التيه عقوبة لبني اسرائيل فاما موسى وهارون ويوشع وكالب فان الله تعالى سهله عليهم واعانهم
عليه كما سهل على ابراهيم النار وجعلها بردا وسلاما فان قلت كيف يعقل بقا هذا الجمع العظيم

في هذا

في هذا المقدار الصغير من الارض اربعين سنة بحيث لم يخرج منه احد قلت هذا من باب خوارق
العادات وخوارق العادات في ازمان الانبيا غير مستبعد فان الله على كل شي قدير وقيل ان
فسرنا ذلك التحريم بتحريم التعبد زال هذا الاشكال لاحتمال ان الله حرم عليهم الخروج من تلك
الارض بل امر بالمكث اربعين سنة في المشقة والمحنة جزا لهم على سو صنيعهم ومخالفتهم امر الله
ولما حصل بنوا اسرائيل في التيه شكوا الى موسى عليه السلام حالهم فانزل الله عليهم المن والسلوى
واعطوا من الكسوة ما هي قايمة لهم فتنشو الناشي منهم فيكون معه على مقداره وهيئته وسال
موسى ربه ان يسقيهم فاتى بحجر ابيض من جبل الطور فكان اذا نزل ضربه بعصاه فيخرج منه اثنى
عشر عينا لكل سبط عين وارسل الله عليهم الغمام يظلهم في التيه ومات في التيه كل من دخله
ممن جاوز عشرين سنة غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ولم يدخل اريحا ممن قال انا لن ندخلها
ابدا ما داموا فيها واختلفوا في ان موسى مات في التيه ام خرج منه فقيل ان موسى وهارون ماتا في
التيه جميعا قصة وفاة موسى وهارون عليهما السلام فاما هارون فانه كان
اكبر من موسى بسنة قال السدي اوحى الله عز وجل الى موسى اني متوف هارون فات به الى جبل كذا
وكذا فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل فاذا شجرة لم ير مثلها واذا بيت مبني وفيه سرير
عليه فراش وفيه رائحة طيبة فلما راى هارون ذلك البيت اعجبه وقال يا موسى اني احب ان انام
على هذا السرير ثم قال اني اخاف ان ياتي رب هذا البيت فيغضب علي قال لا تخف انا اكفيك رب
هذا البيت فنم قال يا موسى فنم انت معي فان جاء رب هذا البيت غضب علي وعليك جميعا فلما
ناما اخذ هارون الموت فلما وجد مسه قال يا موسى خدعتني فلما قبض هارون رفع البيت
والسرير الى السما وهارون عليه وذهبت الشجرة فرجع موسى الى بني اسرائيل وليس هارون معه
فقال بنوا اسرائيل حسد موسى لهارون فقتله لحبنا اياه قال موسى ويحكم ان هارون كان اخي
افتروني اقتله فلما اكثروا عليه قام موسى فصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل فنزل السرير وعليه هارون فنظروا
اليه وهو بين السما والارض فصدقوه ثم رفع وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه صعد موسى وهارون
الجبل فمات هارون وبقي موسى فقالت بنوا اسرائيل لموسى انت قتلته واذوه فامر الله الملايكة فحملوه
حتى مروا به على بني اسرائيل وتكلمت الملايكة بموته فصدقت بنوا اسرائيل انه مات وبرا الله موسى مما قالوا ثم ان
الملايكة حملوه ودفنوه فلم يطلع على موضع قبره احد الا الرخم فجعله الله اصم ابكم واما وفاة موسى عليه
السلام فقال ابن اسحق كان صفي الله موسى عليه السلام قد كره الموت واعظمه فاراد الله ان يحبب
اليه الموت فنبى يوشع بن نون وكان موسى يغدو ويروح اليه ويقول له يا نبي الله ما احدث الله اليك فيقول
يوشع يا نبي الله الم اصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت اسالك عن شي مما احدث الله اليك حتى تكون انت
الذي تبتدي به وتذكره لي ولا تذكر له شيا فلما راى موسى ذلك كره الحياة واحب الموت ق عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل ملك الموت الى موسى فلما جاءه صكه
ففقا عينه فرجع الى ربه فقال ارسلتني الى عبد لا يريد الموت فرد الله اليه عينه فقال ارجع اليه
فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل شعرة سنة قال اي رب ثم ماذا قال ثم الموت قال فالان فسال
الله ان يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لاريتكم قبره
الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر وفي رواية لمسلم قال جا ملك الموت الى موسى فقال اجب ربك فلطم

موسى عين ملك الموت ففقاها ثم ذكر معنى ما تقدم قال الشيخ محيي الدين النواوي قال الماوردي وقد
انكر بعض الملاحدة هذا الحديث وانكر تصوره قالوا كيف يجوز على موسى فقو عين ملك الموت واجاب
العلما باجوبة احدها انه لا يمتنع ان يكون الله قد اذن لموسى في هذه اللطمة ويكون ذلك امتحانا
للمطلوم والله يفعل في خلقه ما يشا ويمتحنهم بما اراد الثاني ان موسى لم يعلم انه ملك من عند الله وظن
انه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فادت المدافعة الى فقو عينه لا انه قصدها بالفقو قال الشيخ
وهذا جواب الامام ابي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره الماوردي والقاضي عياض
قالوا وليس في الحديث تصريح بانه قصد فقا عينه فان قيل كيف عرف موسى حين جاه ثانيا بانه
ملك الموت فالجواب انه اتاه في المرة الثانية بعلامة علم انه ملك الموت فاستسلم له بخلاف
المرة الاولى والله اعلم واما سواله موسى الادنا من الارض المقدسة فلشرفها وفضلها وفضل من بها
من المدفونين من الانبيا وغيرهم وفيه دليل على استحباب الدفن في المواضع الفاضلة والمواطن
المباركة والقرب من مدافن الصالحين قال بعض العلما وانما سال موسى الادنا ولم يسال نفس
بيت المقدس لانه خاف ان يكون قبره مشهورا عندهم فيفتتن به الناس والله اعلم قال وهب
ابن منبه خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملايكة يحفرون قبرا لم ير شيا قط احسن منه ولا
مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملايكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا لعبد
كريم على ربه فقال ان هذا العبد من ربه بمنزلة ما رايت كاليوم قط فقالت الملايكة يا صفي الله
تحب ان يكون لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك فنزل واضطجع وتوجه
الى ربه عز وجل ثم تنفس اسهل نفس فقبض الله روحه ثم سوت الملايكة عليه التراب وقيل ان
ملك الموت اتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه وكان عمر موسى عليه السلام مایة سنة
وعشرين سنة فلما مات موسى عليه السلام وانقضت الاربعون سنة وبعث الله يوشع نبيا الى بني
اسرائيل فاخبرهم ان الله تعالى قد امره بقتال الجبارين وصدقه بتابوت الميثاق فصدقوه وبايعوه فتوجه
ببني اسرائيل الى اريحا وهي مدينة الجبارين ومعه تابوت الميثاق فاحاط بمدينة اريحا ستة اشهر فلما كان
في السابع نفخوا في القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين
وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم فكانت العصابة من بني اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل من الجبابرة
يضربونها حتى يقطعونها وكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس ان تغرب
وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد علي الشمس وقال للشمس انك في طاعة الله وانا في طاعة الله
وسال الشمس ان تقف والقمر ان يقف حتى ينتقم من اعدا الله قبل دخول السبت فرد الله عليه الشمس
وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم اجمعين وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم احدى وثلاثين ملكا حتى
غلب على جميع ارض الشام وصارت كلها لبني اسرائيل وفرق عماله في نواحيها وجمع الغنايم فجاءت النار
لتاكلها فلم تاكلها فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل ففعلوا فلصقت يد رجل بيده
فقال فيكم الغلول فجاوا براس ثور من ذهب مكلل بالياقوت والجوهر قد غله رجل منهم فجعله في القربان
وجعل الرجل معه فجاءت النار فاكلت الرجل والقربان وفي الحديث الصحيح ما يدل على صحة هذا
وهو ما روي عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم غزا نبي من الانبيا فقال لقومه لا يتبعني
رجل ملك بضع امراة وهو يريد ان يبني بها ولما يبن بها ولا احد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ولا رجل اشترى

غنما او خلفات وهو ينتظر ولادها فغزا فدنا من القرية صلاة العصر او قريبا من ذلك فقال للشمس
انك مامورة وانا مامور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه فجمع الغنايم فجاءت يعني النار
لتاكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول
فجاوا براس مثل راس بقرة من الذهب فوضعها فجاءت النار فاكلتها زاد في رواية فلم تحل الغنايم ثم احل
الله لنا الغنايم لما راى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا اخرجه البخاري ومسلم **شرح** غريب هذا الحديث
قوله لا يتبعني رجل ملك بضع امراة البضع بضم البا كناية عن فرج المراة ولما يبن بها اي لم يدخل عليها
والخلفات النوق الحوامل وقوله للشمس انك مامورة وانا مامور اللهم احبسها علي قال الشيخ محيي
الدين قال القاضي عياض اختلف الناس في حبس الشمس المذكور هنا فقيل ردت الى ورايها ولم ترد وقيل
بطو حركتها وكل ذلك من معجزات النبوة قال ويقال ان الذي حبست عليه الشمس يوشع بن نون قال
القاضي وقد روي ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حبست له الشمس مرتين احداهما يوم الخندق
حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى صلى العصر ذكر ذلك الطحاوي
وقال رواته ثقات والثانية صبيحة ليلة الاسرى حين انتظر العير حين اخبر بوصولها مع شروق
الشمس ذكره يونس بن بكير في زيادته على سيرة ابن اسحاق وقال وهب ثم مات يوشع بن نون ودفن
في جبل افرايم وكان عمره مایة سنة وستة وعشرين سنة وكان تدبيره امر بني اسرائيل بعد موسى
سبعا وعشرين سنة وقيل ان الذي فتح اريحا موسى عليه السلام وكان يوشع بن نون على مقدمته
فسار اليهم بمن بقي من بني اسرائيل فدخلها يوشع وقاتل الجبابرة ثم دخلها موسى واقام بها ما شا
الله ثم قبضه الله اليه ولا يعلم احد قبره وهذا اصح الاقاويل لاتفاق العلما ان موسى عليه السلام
هو قتل عوج بن عناق وهذا القول هو اختيار الطبري ونقل عن السدي قال غضب موسى على قومه
فدعا عليهم فقال رب اني لا املك الا نفسي واخي الاية فقال الله عز وجل انها محرمة عليهم اربعين
سنة يتيهون في الارض فلما ضرب موسى عليهم التيه ندم موسى واتاه قومه الذين كانوا يطيعونه
فقالوا له ما صنعت بنا يا موسى فمكثوا في التيه فلما خرجوا منه رفع المن والسلوى والبقول والتقى
موسى وعوج فنزا موسى في السما عشرة اذرع وكانت عصاه عشرة اذرع وكان طوله عشرة اذرع
فاصاب موسى كعب عوج فقتله **قال** الطبري ولو كان قتل موسى اياه قبل مصيره في التيه لجزع
بنو اسرائيل لانه كان من اعظم الجبارين وروي عن نوف ان سرير عوج ثمان مایة ذراع وقال
وان اهل العلم باخبار الاولين مجمعون على ان بلعم بن باعور كان ممن اعان الجبارين بالدعا على
موسى لانه كان يعلم الاسم الاعظم فدعا عليه موسى وسنذكر قصته في سورة الاعراف ان شا الله تعالى
فلا تاس على القوم الفاسقين يعني لا تحزن عليهم لانهم اهل مخالفة وخروج عن الطاعة وقيل
لما ندم موسى على ما دعا على قومه اوحى الله اليه فلا تاس على القوم الفاسقين قال الزجاج وجايز
ان يكون خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم اي لا تحزن يا محمد على قوم لم يزل شانهم المعاصي ومخالفة
الرسل قوله عز وجل **واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق** يعني اذكر لقومك واخبرهم خبر ابني ادم وهما
هابيل وقابيل في قول جمهور المفسرين ونقل عن الحسن والضحاك ان ابني ادم اللذين قربا القربان
ما كانا ابني ادم لصلبه وانما كانا رجلين من بني اسرائيل ويدل عليه قوله تعالى في اخر القصة من اجل
ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس الاية والصحيح ما ذهب اليه جمهور المفسرين

لان الله تعالى قال في اخر القصة فبعث الله غرابا يبحث في الارض لان القاتل جهل ما يصنع بالمقتول
حتى يعلم من فعل الغراب بالحق اي اخبرهم خبرا ملتبسا بالحق والصدق لانه من عند الله وموافقا
لما في الكتب المتقدمة وهم يعلمون صحته ومقصود هذا الخبر تقبيح الحسد لان المشركين واهل
الكتاب كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قربا قربانا القربان اسم لما يتقرب
به الى الله عز وجل من صدقة او ذبيحة او نسك او غير ذلك مما يتقرب به ذكر قصة
القربان وسببه وقصة قتل قابيل وهابيل ذكر اهل العلم بالاخبار والسير ان حوى كانت
تلد لادم في كل بطن غلاما وجارية فكان جميع ما ولدته اربعين ولدا في عشرين بطنا اولهم قابيل
وتوامه اقليما واخرهم عبد المغيث وتوامه امة المغيث ثم بارك الله في نسل ادم قال ابن عباس
لم يمت ادم حتى بلغ ولده وولد ولده اربعين الفا واختلفوا في مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم
غشي ادم حوى بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوامه اقليما في بطن ثم
هابيل وتوامه لبودا في بطن واحد وقال محمد بن اسحق عن بعض اهل العلم بالكتاب الاول ان ادم
كان يغشى حوى في الجنة قبل ان تصيب الخطيئة فحملت هابيل واخته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا
ولا طلقا ولم تر دما وقت الولادة فلما هبطا الى الارض تغشاها فحملت بهابيل وتوامه فوجدت
عليهما الوحم والوصب والطلق والدم وكان ادم اذا كبر اولاده زوج غلام هذا البطن جارية
بطن اخرى وكان الرجل منهم يتزوج اي اخواته شا غير توامته التي ولدت معه لانه لم يكن يومئذ نسا
الا اخواتهم فلما كبر قابيل واخوه هابيل فكان بينهما سنتين فلما بلغوا امر الله ادم ان يزوج قابيل
لبودا اخت هابيل ويزوج هابيل اقليما اخت قابيل وكانت اقليما احسن من لبودا فذكر ادم
ذلك لهما فرضي هابيل وسخط قابيل وقال هي اختي وانا احق بها ونحن من اولاد الجنة وهما من
اولاد الارض فقال له ابوه ادم انها لا تحل لك فابى ان يقبل ذلك وقال ان الله لم يامرك بهذا وانما
هو من رايك فقال لهما ادم قربا قربانا فايكما تقبل قربانه فهو احق بها وكانت القرابين اذا
كانت مقبولة نزلت من السما نار بيضا فاكلتها وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار بل ياكله الطير
والسباع فخرجا من عند ادم ليقربا القربان وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام ردي
واضمر في نفسه ما ابالي اتقبل مني ام لا لا يتزوج اختي احد غيري وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى
احسن في غنمه فقربه واضمر في نفسه رضى الله تعالى فوضعا قربانهما على جبل ثم دعا ادم فنزلت
النار من السما فاكلت قربان هابيل ولم تاكل قربان قابيل فذلك قوله تعالى فتقبل من احدهما
يعني هابيل ولم يتقبل من الاخر يعني قابيل فغضب قابيل اذ لم يتقبل قربانه فاضمر لاخيه الحسد
الى ان اتى ادم مكة لزيارة البيت وغاب عنهم فاتى قابيل هابيل وهو في غنمه قال لاقتلنك قال
هابيل ولم تقتلني قال قابيل لان الله قبل قربانك ورد قرباني وتريد ان تنكح اختي الحسنا وانكح
اختك الذميمة فيتحدث الناس انك خير مني ويفخر ولدك على ولدي فقال هابيل وما ذنبي انما
يتقبل الله من المتقين يعني ان حصول التقوى شرط في قبول الاعمال فلذلك كان احد القربانين
مقبولا دون الاخر لان التقوى من اعمال القلوب وكان قد اضمر في قلبه الحسد لاخيه على تقبل قربانه
وتوعده بالقتل قال انما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى وانما يتقبل الله من
المتقين فاجابه بجواب مختصر وقيل يحتمل ان يكون خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم وكانه تعالى

بيّن للنبي صلى الله عليه وسلم انه انما لم يتقبل قربانه لانه لم يكن متقيا وانما يتقبل الله من المتقين
ثم قال تعالى اخبارا عن هابيل لئن بسطت الي يدك يعني لئن مددت يدك الي لتقتلني ما
انا بباسط يدي اليك لاقتلك يعني ما انا بمنتصر لنفسي بل استسلم لامر الله وقيل معناه ما
كنت بمبتديك بالقتل وذلك ان الله كان قد حرم عليهم قتل نفس بغير نفس ظلما وقال مجاهد
كان كتب عليهم اذا اراد الرجل ان يقتل رجلا تركه ولا يمتنع منه وقيل ان المقتول كان اقوى من
القاتل وابطش منه ولكنه يحرج عن قتل اخيه فاستسلم خوفا من الله وذلك قوله اني اخاف
الله رب العالمين والمعنى اني اخاف الله في بسط يدي اليك ان بسطتها لقتلك ان يعاقبني
على ذلك قوله عز وجل اخبارا عن هابيل اني اريد ان تبوء باثمي واثمك يعني ترجع باثم قتلي
الى اثم معاصيك التي عملتها من قبل فان قلت كيف قال هابيل اني اريد وارادة القتل والمعصية
من الغير لا تجوز قلت اجاب ابن الانباري عن هذا بان قال ان قابيل لما قال لاخيه هابيل لاقتلنك
وعظه هابيل وذكره الله واستعطفه وقال لئن بسطت الي يدك الاية فلم يرجع فلما راه هابيل
قد صمم على القتل واخذ الحجارة ليرميه بها قال له هابيل عند ذلك اني اريد ان تبوء باثمي واثمك
اي اذا قتلتني ولم يندفع قلبك اياي الا بقتلي اياك فحينئذ ان يلزمك اثم قتلي اذا قتلتني فانا اريد
ذلك فهذه الارادة منه بشرط ان يكون قاتلا له والانسان اذا تمنى ان يكون اثم دمه على قاتله
لم يلم على ذلك وعلى هذا التاويل قال بعضهم معناه اني اريد ان تبوء بعقاب اثمي واثمك فحذف
المضاف ومن باء باثم باء بعقاب ذلك الاثم ذكره الواحدي وقال الزمخشري ليس ذلك بحقيقة
الارادة لكنه لما علم انه يقتله لا محالة ووطن نفسه على الاستسلام للقتل طلبا للثواب
فكانه صار مريدا لقتله مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة فتكون من اصحاب النار يعني الملازمين
لها وذلك جزاء الظالمين يعني جهنم جزاء من قتل اخاه ظلما قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل
اخيه يعني زينت له وسهلت عليه القتل وذلك ان الانسان اذا تصور ان قتل النفس من
اكبر الكبائر صار ذلك صارفا له عن القتل فلا يقدم عليه فاذا سهلت عليه نفسه قتل اخيه
فقتله قال ابن جريج لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله فتمثل له ابليس وقد اخذ
طيرا فوضع راسه على حجر ثم رضخه بحجر اخر وقابيل ينظر فعلمه القتل فرضخ قابيل راس هابيل بين
حجرين وهو مستسلم صابر وقيل بل اغتاله وهو نائم فقتله واختلف في موضع قتله فقال ابن عباس
على جبل ثور وقيل على عقبة حراء وقيل بالبصرة عند مسجدها الاعظم وكان عمر هابيل يوم قتل
عشرون سنة وقوله تعالى فاصبح من الخاسرين قال ابن عباس خسر دنياه واخرته اما دنياه
فاسخط والديه وبقي بلا اخ واما اخرته فاسخط ربه وصار الى النار عن عبد الله بن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من
دمها لانه اول من سن القتل قوله عز وجل فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري
سواة اخيه قال اصحاب الاخبار لما قتل قابيل هابيل تركه بالعرا ولم يدر ما يصنع به لانه اول ميت
من بني ادم على وجه الارض فقصده السباع لتاكله فحمله قابيل على ظهره في جراب اربعين يوما
وقال ابن عباس سنة حتى اروح وانتن فاراد الله ان يري قابيل سنته في موتى بني ادم في الدفن
فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفيرة ثم القاه فيها

ووراه بالتراب وقابيل ينظر فذلك قوله تعالى **فبعث الله غرابا يبحث في الارض** يعني يحفرها وينثر ترابها **ليريه كيف يواري سوأة اخيه** يعني ليري الله او ليري الغراب قابيل كيف يواري ويستر جيفة اخيه فلما راى ذلك قابيل من فعل الغراب **قال يا ويلتا** اي لزمة الويل وحضره وهي كلمة تحسر وتلهف وتستعمل عند وقوع الداهية العظيمة وذلك انه ما كان يعلم كيف يدفن المقتول فلما علم ذلك من فعل الغراب علم ان الغراب اكثر علما منه وعدم انه انما قدم على قتل اخيه بسبب جهله وقلة علمه ومعرفته فعند ذلك تلهف وتحسر على ما فعله فقال يا ويلتي وفيه اعتراف على نفسه باستحقاق العذاب **اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب** يعني مثل هذا الغراب الذي وارى الغراب الاخر **فاواري سوأة اخي** يعني فاستر جيفته وعورته عن الاعين **فاصبح من النادمين** يعني على حمله على ظهره مدة سنة لا على قتله وقيل انه ندم على قتل اخيه لانه لم ينتفع بقتله وسخط عليه ابواه واخوته فندم لاجل ذلك لا لاجل انه جنى جناية واقترف ذنبا عظيما بقتله فلم يكن ندمه ندم توبة وخوف واشفاق من فعله فلاجل ذلك لم ينفعه الندم قال المطلب بن عبد الله بن حنطب لما قتل ابن ادم اخاه رجفت الارض بمن عليها سبعة ايام وشربت الارض دم المقتول كما تشرب الماء فناداه الله تعالى ان دم اخيك ليناديني من الارض فلم قتلت اخاك قال فاين دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ ان تشرب دما بعده ابدا ويروى عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل كان ادم بمكة فاشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه واغبرت الارض فقال ادم قد حدث في الارض حدث فاتى الهند فوجد قابيل قد قتل هابيل وقيل لما رجع ادم سال قابيل عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جلدك وقيل ان ادم مكث بعد قتل هابيل مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر فقال

تغيرت البلاد ومن عليها ۞ فوجه الارض مغبر قبيح

تغير كل ذي طعم ولون ۞ وقل بشاشة الوجه الصبيح

ويروى عن ابن عباس انه قال من قال ان ادم قال شعرا فقد كذب ان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء كلهم في النهي سواء ولكن لما قتل هابيل رثاه ادم وهو سرياني فلما قال ادم مرثيته قال لشيث يا بني انت وصيي احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه فلم يزل ينتقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو اول من خط العربية وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وزيد فيه ابيات منها

وما لي لا اجود بسكب دمع ۞ وهابيل تضمنه الضريح

ارى طول الحياة علي غما ۞ فهل انا من حياتي مستريح

قال الزمخشري ويروى انه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء عليهم السلام معصومون من الشعر قال الامام فخر الدين الرازي ولقد صدق صاحب الكشاف فيما قال فان ذلك الشعر في غاية الركاكة لا يليق الا بالحمقى من المعلمين فكيف ينسب الى من جعل الله علمه حجة على الملائكة قال اصحاب الاخبار فلما مضى من عمر ادم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمسين سنة ولدت له حوى شيثا وتفسيره هبة الله يعني انه خلف من هابيل وعلمه الله تعالى ساعات الليل والنهار وانزل عليه خمسين صحيفة وصار وصي ادم وولي عهده واما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا تامن من تراه فاخذ بيد اخته اقليما وهرب بها الى عدن من ارض اليمن

فاتاه

فاتاه ابليس فقال له انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبدها فانصب انت نارا يكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو اول من عبد النار وكان قابيل لا يمر به احد الا رماه بالحجارة فاقبل ابن لقابيل اعمى ومعه ابنه فقال ابن الاعمى لابيه هذا ابوك قابيل فرماه بالحجارة فقتله فقال ابن الاعمى لابيه قتلت قابيل فرفع الاعمى يده ولطم ابنه فمات فقال الاعمى ويل لي قتلت ابي برميتي وقتلت ابني بلطمتي فلما مات قابيل علقت احدى رجليه بفخذه وعلق بها فهو معلق بها الى يوم القيمة ووجهه الى الشمس حيث دارت وعليه حظيرة من نار في الصيف وحظيرة من ثلج في الشتا فهو يعذب بذلك الى يوم القيمة قالوا واتخذ اولاد قابيل الات اللهو من الطبول والزمور والعيدان والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والفوا حش حتى غرقهم الله جميعا بالطوفان في زمن نوح عليه السلام فلم يبق من ذرية قابيل احد وابقى الله ذرية شيث ونسله الى يوم القيمة قوله تعالى **من اجل ذلك** يعني بسبب ذلك القتل الذي حصل وقيل الاجل في اللغة الجناية يقال اجل عليهم شرا اي جنى عليهم شرا **كتبنا** اي فرضنا واوجبنا **على بني اسرائيل** فان قلت من اجل ذلك معناه من اجل ما مر من قصة قابيل وهابيل وبين وجوب القصاص على بني اسرائيل قلت قال بعضهم هو من تمام الكلام الذي قبله والمعنى فاصبح من النادمين من اجل ذلك يعني من اجل انه قتل هابيل ولم يواره ويروى عن نافع انه كان يقف على قوله من اجل ويجعله تمام الكلام الاول فعلى هذا يزول الاشكال لكن جمهور المفسرين واصحاب المعاني على ان قوله من اجل ذلك ابتدا كلام وليس يوقف عليه فعلى هذا قال بعضهم ان قوله من اجل ذلك ليس هو اشارة الى قصة قابيل وهابيل بل هو اشارة الى ما مر ذكره في هذه القصة من انواع المفاسد الحاصلة بسبب هذا القتل الحرام منها قوله فاصبح من الخاسرين وفيه اشارة الى انه حصلت له خسارة في الدين والدنيا والاخرة ومنها قوله فاصبح من النادمين وفيه اشارة الى انه حصل في انواع من الندم والحسرة والحزن مع انه لا دافع لذلك البتة فقوله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل اي من اجل ذلك الذي ذكرنا في اثناء القصة من انواع المفاسد المتولدة من القتل العمد الحرام شرعنا القصاص على القاتل فان قلت فعلى هذا يكون شرعية القصاص حكم ثابت في جميع الامم فما الفائدة بتخصيصه ببني اسرائيل قلت ان وجوب القصاص وان كان عاما في جميع الاديان والملل لانه تعالى حكم في هذه الاية بان من قتل نفسا فكانما قتل الناس جميعا ولا شك ان المقصود منه المبالغة في عقاب قاتل النفس عدوانا وان اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة اقدموا على قتل الانبيا والرسل وذلك يدل على قساوة قلوبهم وبعدهم عن الله عز وجل ولما كان الغرض من ذكر هذه القصة تسلية النبي صلى الله عليه وسلم على ما اقدم عليه اليهود بالفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم وباصحابه فتخصيص بني اسرائيل في هذه القصة بهذه المبالغة مناسب للكلام وتوكيد لهم للمقصود والله اعلم وقوله عز وجل **انه من قتل نفسا** يعني قتل نفسا ظلما **بغير نفس** يعني بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص فيعاد من قاتل النفس على وجه العدوان المحرم **او فساد في الارض** هو عطف على بغير نفس يعني وبغير فساد في الارض فيستحق به القتل لان القتل على اسباب كثيرة منها القصاص وهو المراد من قوله قتل نفسا بغير نفس ومنها الشرك والكفر بعد الايمان ومنها قطع الطريق ونحو ذلك وهو المراد من قوله او فساد في الارض **فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا** قال مجاهد من قتل نفسا محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلاها لو قتل الناس جميعا ومن سلم من قتلها فكانما سلم من

قتل الناس جميعا وقال ابن عباس من قتل نفسا او امام عدل فكانما قتل الناس جميعا ومن شد عضد
نبي او امام عدل فكانما احيا الناس جميعا وقيل معناه ان من قتل نفسا محرمة يجب عليه من القصاص
مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن احياها يعني من غرق او حرق او وقوع في هلكة فكانما
احيا الناس جميعا يعني ان له من الثواب مثل ثواب من احيا الناس جميعا وقيل معناه من استحل
قتل مسلم بغير حقه فكانما استحل قتل الناس جميعا لانهم لا يسلمون منه ومن تورع عن قتل مسلم
فكانما تورع عن قتل جميع الناس فقد سلموا منه قال اهل المعاني قوله ومن احياها على المجاز لان
المحيي هو الله تعالى في الحقيقة فيكون المعنى ومن نجاها من الهلاك فكانما نجا جميع الناس سئل الحسن
عن هذه الاية اهي لنا كما كانت لبني اسرائيل فقال اي والذي لا اله غيره ما كانت دماء بني اسرائيل اكرم
الله من دمائنا وقوله تعالى ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات يعني ولقد جاءت بني اسرائيل رسلنا
ببيان الاحكام والشرائع والدلالات الواضحات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك يعني بعد مجي الرسل
وبعد ما كتبنا عليهم تحريم القتل في الارض لمسرفون يعني بالقتل لا ينتهون عنه وقيل معناه لمجاوزو
حد الحق وانما قال تعالى وان كثيرا منهم لانه تعالى علم ان منهم من يؤمن بالله ورسوله وهم قليل من كثير
قوله عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الاية قال ابن عباس نزلت في قوم من اهل
الكتاب كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق فنقضوا العهد وافسدوا في
الارض فخير رسوله صلى الله عليه وسلم ان شاء ان يقتل وان شاء ان يصلب وان شاء ان يقطع ايديهم
وارجلهم من خلاف وهذا قول الضحاك ايضا وقال الكلبي نزلت في قوم هلال ابن عويمر وذلك ان
النبي صلى الله عليه وسلم وافق هلال بن عويمر وهو ابو بردة الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه
ومن مر بهلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو امن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام
بقوم هلال ولم يكن هلال شاهدا فنهدوا اليهم فقتلوهم واخذوا اموالهم فنزل جبريل عليه السلام
بالقضاء فيهم بهذه الاية وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الاية في قوم من عرينة وعكل اتوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وهم كذبة فاستوخموا المدينة فبعثهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة فارتدوا وقتلوا الراعي واستاقوا الابل ق عن انس بن مالك
ان ناسا من عكل وعرينة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يا نبي الله انا
كنا اهل ضرع ولم نكن اهل ريف واستوخموا المدينة فامر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بذود وراع
وامرهم ان يخرجوا فيه فيشربوا من البانها وابوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد
الاسلام وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فبعث الطلب في اثرهم فامر بهم فسمروا اعينهم وقطعوا ايديهم وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم
قال قتادة بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بعد ذلك يحث على الصدقة وينهى عن المثلة
زاد في رواية قال قتادة فحدثني ابن سيرين ان ذلك قبل ان تنزل الحدود وفي رواية للبخاري ان
ناسا من عرينة اجتووا المدينة فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتوا ابل الصدقة
فيشربوا من البانها وابوالها فقتلوا الراعي واستاقوا الذود فارسل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاتي بهم فقطع ايديهم وارجلهم وسمر اعينهم وتركهم في الحرة يعضون الحجارة زاد في رواية قال ابو
قلابة واي شيء اشد مما صنع هؤلاء ارتدوا عن الاسلام وقتلوا وسرقوا وفي رواية ابي داود ان قوما

من عكل

من عكل او قال من عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فامر لهم النبي صلى
الله عليه وسلم بلقاح وامرهم ان يشربوا من ابوالها والبانها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعي رسول
الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم من اول النهار فارسل في
اثارهم فما ارتفع النهار حتى جيء بهم فامر بهم فقطعت ايديهم وارجلهم وسمر اعينهم والقوا في الحرة يستسقون
فلا يسقون قال ابو قلابة فهؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد ايمانهم وحاربوا الله ورسوله زاد في
رواية له وانزل الله عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا
ان يقتلوا الاية شرح غريب هذا الحديث وحكمه قولهم انا كنا اهل ضرع يعني اهل ماشية وبادية
نعيش باللبن ولسنا من اهل المدن والريف والريف هي الارض التي فيها زرع وخصب والجمع ارياف
قوله استوخموا المدينة يعني انها لم توافق مزاجهم وكذا قوله فاجتووا المدينة وهو في معناه
والذود من الابل ما بين الثلاثة الى العشرة والحرة هي ارض ذات حجارة سود وهي هنا اسم الارض
بظاهر المدينة معروفة وقوله فسمر اعينهم معناه انه احمى مسامير الحديد وكحلهم بها اعينهم حتى ذهب
بصرها وقوله وينهى عن المثلة المثلة ان يقطع اطراف الحيوان ويشوه خلقته ومثلة القتيل ان
يقطع انفه واذنيه ومذاكيره ونحو ذلك واختلف العلماء في حكم هذا الحديث فقيل هو منسوخ لنهي
النبي صلى الله عليه وسلم عن المثلة وقيل حكمه ثابت غير التسميل والمثلة وقيل ان هذه الاية ناسخة
لما فعله النبي صلى الله عليه وسلم بهم وقيل كان ذلك قبل ان تنزل الحدود فلما نزلت الحدود وجب
الاخذ بها والعمل بمقتضاها وقيل نزلت هذه الاية معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليما
من الله تعالى اياه عقوبتهم وما يجب عليهم فقال تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله واعلم
ان المحاربة لله غير ممكنة وفي معناها للعلماء قولان احدهما ان المحاربين لله وهم المخالفون امره
المحاربون عن طاعته لان كل من خالف امر انسان فهو حرب له فيكون المعنى يخالفون الله واولياء
رسوله فهو من باب حذف المضاف ويسعون في الارض فسادا يعني بحمل السلاح والخروج على الناس
وقتل النفس واخذ الاموال وقطع الطريق واختلفوا في حكم هؤلاء المحاربين الذين يستحقون هذا
الحد فقال قوم هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح والمكابرون في البلد وهذا قول
الاوزاعي ومالك والليث بن سعد والشافعي وقال ابو حنيفة المكابرون في الامصار ليس لهم
حكم المحاربين في استحقاق هذا الحد ثم ذكر الله تعالى عقوبة هؤلاء المحاربين وما يستحقونه فقال
تعالى ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض وللعلماء في
لفظة او المذكورة في هذه الاية قولان احدهما انها للتخيير وهو قول ابن عباس في رواية عنه وبه
قال الحسن وسعيد بن المسيب والنخعي ومجاهد وهو ان الامام مخير في امر المحاربين فان شاء قتل
وان شاء صلب وان شاء قطع وان شاء نفى من الارض كما هو ظاهر الاية والقول الثاني ان لفظة او للبيان
وليست للتخيير وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وهو قول اكثر العلماء لان الاحكام تختلف فتترتب
هذه العقوبات على ترتيب الجرائم وهذا كما روي عن ابن عباس في قطاع الطريق قال اذا قتلوا
واخذوا المال قتلوا وصلبوا واذا قتلوا ولم ياخذوا المال قتلوا واذا اخذوا المال ولم يقتلوا قطعت
ايديهم وارجلهم من خلاف واذا اخافوا السبيل ولم يقتلوا ولم ياخذوا مالا نفوا من الارض وهذا
قول قتادة والاوزاعي والشافعي واصحاب الراي واختلفوا في كيفية الصلب فقيل يصلب حيا ثم

يطعن في بطنه برمح حتى يموت قال الشافعي يقتل ولا يصلى عليه ثم يصلب وانما يجمع بين القتل
والصلب اذا قتل واخذ المال ويصلب على الطريق في ممر الناس ليكون ذلك زاجرا لغيره عن الاقدام
على مثل هذه المعصية واختلفوا في تفسير النفي من الارض المذكور في الاية فقيل ان الامام يطلبهم
في كل بلد وجدوا فيه وينفوا عنه وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وقيل يطلبون حتى تقام
عليهم الحدود وهو قول ابن عباس والليث والشافعي وقال ابو حنيفة واهل الكوفة النفي هو
الحبس لانه نفي من الارض لان المحبوس لا يرى احدا من احبابه ولا ينتفع بلذات الدنيا وطيباتها فهو
منفي من الارض في الحقيقة الا من تلك البقعة الضيقة التي هو فيها قال مكحول ان عمر بن الخطاب
اول من حبس في السجون يعني من هذه الاية وقال احبسه حتى اعلم منه التوبة ولا انفيه الى بلد اخر
فيؤذيهم ثم قال تعالى ذلك يعني الذي ذكر في هذه الاية من الحدود لهم يعني للمحاربين خزي في الدنيا
اي عذاب وهوان وفضيحة ولهم في الاخرة عذاب عظيم هذا الوعيد في حق الكفار الذين نزلت
الاية فيهم فاما من اجري حكم الاية على المحاربين من المسلمين فيتنفي العذاب العظيم عنهم في الاخرة لان المسلم
اذا عوقب بجنايته في الدنيا كانت عقوبته كفارة له وان لم يعاقب في الدنيا فهو في خطر المشية ان
شا عذبه بجنايته ثم يدخل الجنة وان شا عفى عنه وادخله الجنة هذا مذهب اهل السنة وقوله
تعالى الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم يعني لكن الذين تابوا من شركهم وحربهم لله ولرسوله
ومن السعي في الارض بالفساد من قبل ان تقدروا عليهم يعني فلا سبيل لكم بشي من العقوبات المذكورة
في الاية المتقدمة فاعلموا ان الله غفور يعني لمن تاب من الشرك رحيم يعني به اذا رجع عما يسخط الله
عز وجل وهذا قول معظم اهل التفسير ان المراد بهذا الاستثنا المشرك المحارب اذا امن واصلح
قبل القدرة عليه سقط عنه جميع الحدود التي ذكرها الله عز وجل في هذه الاية وانه لا يطالب بشي مما
اصاب من مال او دم قال ابو اسحق جعل الله التوبة للكفار تدرا عنهم الحدود التي وجبت عليهم
في كفرهم ليكون ذلك داعيا لهم الى الدخول في الاسلام فهذا حكم المشرك المحارب اذا امن واصلح وكذلك
لو امن بعد القدرة عليه لم يطالب بشي بالاجماع واما المسلم المحارب اذا تاب واستامن قبل القدرة
عليه فقال السدي هو كالكافر اذا امن لم يطالب بشي الا اذا اصيب عنده مال بعينه فانه يرده
على اهله وهذا مذهب مالك والاوزاعي وروي ان مالكا قال يؤخذ بالدم اذا طالب به وليه
فاما ما اصاب من الدما والاموال ولم يطلبها اولياوها فلا يتبعه الامام بشي من ذلك وهذا حكم
علي بن ابي طالب في حارثة بن زيد وكان قد خرج محاربا فتاب من قبل ان يقدر عليه فامنه علي على نفسه
وكذلك جا رجل من مراد الى ابي موسى الاشعري وهو على الكوفة في خلافة عثمان بعدما صلى المكتوبة
فقال يا ابا موسى هذا مقام العايذ بك انا فلان بن فلان المرادي كنت قد حاربت الله ورسوله وسعيت
في الارض بالفساد واني قد تبت من قبل ان يقدر علي فقام ابو موسى وقال ان هذا فلان المرادي وانه
كان حارب الله ورسوله وسعى في الارض فسادا وانه قد تاب من قبل ان يقدر عليه فلا يتعرض له
احد الا بخير وقال الشافعي يسقط عنه بتوبته قبل القدرة عليه حد الله ولا يسقط بها ما كان
من حقوق بني ادم من قصاص او مظلمة في مال او غيره واما اذا تاب بعد القدرة عليه فظاهر
الاية ان التوبة لا تنفعه وتقام عليه الحدود وقال الشافعي ويحتمل ان يسقط كل حد لله عز وجل
بالتوبة قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اي خافوا الله بترك المنهيات وابتغوا اليه الوسيلة

يعني

يعني واطلبوا اليه القربة بطاعته والعمل بما يرضي وانما قلنا ذلك لان مجامع التكاليف محصورة في نوعين
لا ثالث لهما احد النوعين ترك المنهيات واليه الاشارة بقوله اتقوا الله والثاني التقرب الى الله تعالى
بالطاعات واليه الاشارة بقوله وابتغوا اليه الوسيلة والوسيلة فعيلة من وسل اليه اذا تقرب اليه
ومنه قول الشاعر ٥ ان الرجال لهم اليك وسيلة ٥ اي قربة وقيل معنى الوسيلة المحبة ان تحببوا
الى الله عز وجل وجاهدوا في سبيله اي وجاهدوا العدو في طاعته وابتغاء مرضاته لعلكم تفلحون
يعني لكي تسعدوا بالخلود في جنته لان الفلاح اسم جامع للخلاص من كل مكروه والفوز بكل محبوب قوله
عز وجل ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما
تقبل منهم يعني ان الكافر لو ملك الدنيا ودنيا اخرى مثلها ثم فدى نفسه من العذاب يوم القيمة لم
يقبل منه ذلك الفدا ولهم عذاب اليم والمقصود من هذا ان العذاب لازم للكفار وانه لا سبيل لهم
الى الخلاص منه بوجه من الوجوه ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك
وتعالى لاهون اهل النار عذابا لو كانت لك الدنيا كلها اكنت مفتديا بها فيقول نعم فيقول قد اردت
منك ايسر من هذا وانت في صلب ادم ان لا تشرك بي ولا ادخلك النار وادخلك الجنة فابيت الا الشرك
هذا لفظ مسلم وفي رواية البخاري قال يجا بالكافر يوم القيمة فيقال له ارايت لو كان لك مثل الارض
ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له لقد كنت سيلت ما هو ايسر من ذلك ان لا تشرك بي يريدون
ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها فيه وجهان احدهما انهم يقصدون الخروج من النار ويطلبونه
ولكن لا يستطيعون ذلك قيل اذا حملهم لهب النار الى فوق طلبوا الخروج منها فلا يقدرون عليه
والوجه الثاني انهم يتمنون الخروج من النار بقلوبهم ولهم عذاب مقيم يعني ولهم عذاب دايم ثابت
لا يزول عنهم ولا ينتقل ابدا قوله عز وجل والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما قال ابن السايب
نزلت في طعمة بن ابيرق وقد مضت قصته في سورة النسا وانما سمي السارق سارقا لانه ياخذ الشي
الذي ليس له اخذه في خفا ومنه استرق السمع مستخفيا والسارق هنا مرفوع بالابتدا لانه لم يقصد
واحدا بعينه انما هو كقولك من سرق فاقطع يده والمراد باليد المذكورة في الاية اليمين قاله الحسن والشعبي
والسدي وكذلك هو في قراة عبد الله بن مسعود فاقطعوا ايمانهما وانما قال ايديهما ولم يقل يديهما
لانه اراد يمينا من هذا ويمينا من هذه فجمع لانه ليس للانسان الا يمين واحدة وكل شي من موحد من
اعضا الانسان اذا ذكر مضافا الى اثنين فصاعدا او المراد باليد هنا الجارحة وحدها عند جمهور
اهل اللغة من روس الاصابع الى الكوع فيجب قطعها في حد السرقة من الكوع وقوله تعالى جزا بما كسبا
يعني ذلك القطع جزا على فعلهم نكالا من الله يعني عقوبة من الله والله عزيز يعني في انتقامه ممن
عصاه حكيم يعني فيما اوجبه من قطع يد السارق فصل في بيان حكم الاية وفيه
مسايل المسيلة الاولى اقتضت هذه وجوب القطع على كل سارق وقطع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في السرقة ق عن عايشة ان قريشا اهمهم شان المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ومن يجترئ عليه الا اسامة بن زيد حب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكلمه اسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتشفع في حد من حدود الله
ثم قام فاختطب ثم قال انما هلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا
سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها وعن عايشة

قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسارق فقطعه فقالوا ما كنا نراك تبلغ به هذا قال لو كانت
فاطمة لقطعتها اخرجه النسائي ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله
السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده قال الاعمش يرون انه بيض الحديد وان
من الحبال ما يساوي دراهم اخرجه البخاري ومسلم اما السارق الذي يجب عليه القطع فهو البالغ العاقل
العالم بتحريم السرقة فلو كان حديث عهد بالاسلام ولا يعلم ان السرقة حرام فلا قطع عليه المسئلة الثانية
اختلف العلماء في قدر النصاب الذي يقطع به فذهب اكثر العلماء الى انه ربع دينار فان سرق ربع دينار
او متاعا قيمته ربع دينار يقطع وهذا قول ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وبه قال عمر بن عبد العزيز والاوزاعي
والشافعي ويدل عليه ما روي عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقطع يد السارق
الا في ربع دينار فصاعدا اخرجاه في الصحيحين وذهب مالك واحمد واسحق الى انه ثلاثة دراهم
او قيمتها لما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا في مجن قيمته ثلاثة دراهم اخرجه
الجماعة المجن الترس ويروى عن ابي هريرة ان قدر النصاب الذي تقطع به اليد خمسة دراهم وبه قال
ابن ابي ليلى لما روي عن انس قال قطع ابو بكر في مجن قيمته خمسة دراهم وفي رواية قطع رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخرجه النسائي وقال الرواية الاولى اصح وذهب قوم الى انه لا قطع في اقل من دينار او عشرة
دراهم يروى ذلك عن ابن مسعود واليه ذهب سفيان الثوري وابو حنيفة لما روي عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من قطع في مجن قيمته دينار او عشرة دراهم اخرجه ابو داود
فاذا سرق نصابا من المال من حرز لا شبهة له فيه قطعت يده اليمنى من الكوع ولا يجب القطع بسرقة
ما دون النصاب وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن القدر غير معتبر فيجب القطع في القليل والكثير
وكذا الحرز غير معتبر ايضا عندهم واليه ذهب داود الظاهري واحتجوا بعموم الاية فان قوله تعالى
والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما يتناول القليل والكثير وسواء سرقه من حرز او غير حرز المسئلة
الثالثة الحرز هو ما جعل للسكنى وحفظ الاموال كالدور والمضارب والخيم التي يسكنها الناس ويحفظون
امتعتهم فيها فكل حرز وان لم يكن فيه حافظ ولا عنده وسواء سرق من ذلك وهو مفتوح الباب او مغلق فاما
ما كان من غير بناء ولا خيمة فانه ليس بحرز الا ان يكون عنده من يحفظه واما نباش القبور فانه يقطع
وهو قول مالك والشافعي واحمد وقال ابن ابي ليلى والثوري والاوزاعي وابو حنيفة لا قطع عليه وان
سرق شيا من غير حرز كثمر من بستان لا حارس له او حيوان في برية ولا راعي لها او متاع في بيت منقطع عن
البيوت فلا قطع عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الثمر
المعلق فقال من اصاب بفيه من ذي حاجة غير متخذ خبنة فلا شي عليه اخرجه الترمذي وابو داود
والنسائي وزاد فيه ومن خرج بشي منه فعليه غرامة مثله والعقوبة ومن سرق منه شيا بعد ان يؤويه
الجرين فبلغ ثمن المجن فعليه القطع ومن سرق دون ذلك فعليه غرامة مثليه والعقوبة قوله غير متخذ
خبنة الخبنة بالخا المعجمة وبعدها باء موحدة من تحت ثم نون وهو ما يحمله الانسان في حضنه وقيل
هو ما ياخذه في خبنة ثوبه وهو ذيله واسفله والجرين موضع التمر الذي يجفف فيه مثل البيدر للحنطة
وروى مالك في الموطا عن ابن ابي حسين المكي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قطع في ثمر معلق
ولا في حريسة الجبل فاذا اواه المراح او الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن هكذا رواه مالك منقطعا
وهو رواية من حديث عبد الله بن عمرو المتقدم فان هذه الرواية عن ابن ابي حسين عن عمرو بن شعيب عن

ابيه

ابيه عن جده وجده هو عبد الله بن عمرو بن العاص قوله ولا في حريسة الجبل من العلما من يجعل الحريسة
السرقة نفسها يقال حرس يحرس حرسا اذا سرق ومنهم من يجعلها المحروسة ومعنى الحديث انه ليس
فيما يحرس في الجبل اذا سرق قطع لانه ليس بحرز وقيل حريسة الجبل هي الشاة التي يدركها الليل قبل
ان تصل الى ماواها والمراح بضم الميم هو الذي تاوي اليه الماشية بالليل عن جابر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ليس على خائن ولا منتهب ولا مختلس قطع اخرجه الترمذي والنسائي المسئلة الرابعة
اذا سرق مالا له فيه شبهة كالولد يسرق من مال والده او الوالد يسرق من مال ابنه او العبد يسرق
من مال سيده او الشريك يسرق من مال شريكه فلا قطع على احد من هولا فيه المسئلة الخامسة اذا
سرق اول مرة قطعت يده اليمنى من الكوع واذا سرق مرة ثانية قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم
واختلفوا فيما اذا سرق مرة ثالثة فذهب اكثرهم الى انه يقطع يده اليسرى فان سرق مرة رابعة قطعت
رجله اليمنى ثم اذا سرق بعد ذلك يعزر ويحبس حتى تظهر توبته يروى هذا عن ابي بكر وهو قول قتادة
وبه قال مالك والشافعي لما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السارق ان
سرق فاقطعوا يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله ذكره البغوي بغير سند وذهب قوم الى انه اذا سرق
بعد ما قطعت يده ورجله فلا قطع عليه بل يحبس روي عن علي انه قال اني لاستحي ان لا ادع له يدا يستنجي
بها ولا رجلا يمشي بها وهذا قول الشعبي والنخعي والاوزاعي وبه قال احمد واصحاب الراي قوله تعالى **فمن تاب
من بعد ظلمه** يعني من بعد ما ظلم نفسه بالسرقة **واصلح** يعني واصلح العمل في المستقبل **فان الله يتوب
عليه** يعني فان الله يغفر له ويتجاوز عنه **ان الله غفور** يعني لمن تاب **رحيم** به **فصل** وهذه
التوبة مقبولة فيما بينه وبين الله فاما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند اكثر العلما لان
الحد جزاء على الجناية ولا بد من التوبة بعد القطع وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه في المستقبل
عن ابي امية المخزومي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بلص قد اعترف اعترافا ولم يوجد معه متاع
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخالك سرقت فقال بلى فاعاد عليه مرتين او ثلاثا كل
ذلك يعترف فامر به فقطع ثم جي به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر الله وتب اليه فقال
الرجل استغفر الله واتوب اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم تب عليه اخرجه ابو داود والنسائي
بمعناه واذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند اكثر اهل العلم وقال الثوري واصحاب
الراي لا غرم عليه فلو كان المسروق باقيا عنده يجب عليه ان يرده على صاحبه وقطع يده لان القطع
حق الله والغرم حق الادمي فلا يمتنع احدهما بالاخر واما قوله عز وجل **الم تعلم ان الله له ملك السموات
والارض** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع الناس وقيل معناه الم تعلم ايها الانسان
فيكون الخطاب لكل فرد من الناس ان الله له ملك السموات والارض يعني ان الله مدبر امر في السموات
والارض ومصرفه وخالق من فيهما ومالكه لا يمتنع عليه شي مما اراده لان ذلك كله في ملكه واليه امره
يعذب من يشا ويغفر لمن يشا قال ابن عباس يعذب من يشا على الصغيرة ويغفر لمن يشا الكبيرة وقيل
يعذب من يشا على معصيته وكفره بالقتل والقطع وغير ذلك في الدنيا ويغفر لمن يشا منهم بالتوبة
عليه فينقذه من الهلكة والعذاب وانما قدم التعذيب على المغفرة لانه في مقابلة قطع السرقة
على التوبة وهذه الاية فاضحة للقدرية والمعتزلة في قولهم بوجوب الرحمة للمطيع ووجوب العذاب
للعاصي لان الاية دالة على ان التعذيب والرحمة مفوضة الى المشية والوجوب ينافي ذلك وجواب اخر

ومعنى الآية انه تعالى اخبر ان له ملك السموات والارض والمالك له ان يتصرف في ملكه كيف يشا واراد لا اعتراض
لاحد عليه في ملكه ويؤكد ذلك قوله والله على كل شي قدير يعني انه تعالى قادر على تعذيب من اراد تعذيبه
من خلقه وغفران ذنوب من اراد اسعاده واستنقاذه من الهلكة من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي
ملكه قوله تعالى يا ايها الرسول هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو خطاب تشريف وتكريم وتعظيم
وقد خاطبه الله عز وجل بيا ايها النبي في مواضع كثيرة من كتابه وبيا ايها الرسول في موضعين هذا احدهما
والاخر قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وقوله لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر
يعني لا يهمنك بموالاة الكفار ولا تبالهم فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم من الذين قالوا امنا بافواههم
ولم تومن قلوبهم يعني المنافقين لانهم ظهروا الايمان بالقول وكتموا الكفر وهذه صفة المنافقين
ومن الذين هادوا اي وطايفة من اليهود قال الزجاج هذا يحتمل وجهين احدهما ان الكلام تم عند
قوله ومن الذين هادوا ثم ابتدا الكلام بقوله سماعون للكذب ويكون تقدير الكلام لا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر من المنافقين ومن الذين هادوا ثم وصف الكل بكونهم سماعون للكذب والوجه الثاني
ان الكلام تم عند قوله ولم تومن قلوبهم ثم ابتدا فقال تعالى من الذين هادوا سماعون للكذب اي ومن
الذين هادوا قوم سماعون للكذب والمعنى انهم قابلون للكذب اي يستمعون الكذب من روسايهم
ويقبلونه منهم والسمع يستعمل والمراد منه القبول كما تسمع من فلان اي لا تقبل منه وقيل معناه سماعون
لاجل ان يكذبوا عليك وذلك انهم كانوا يستمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرجون من عنده
ويقولون سمعنا منه كذا وكذا ولم يسمعوا ذلك منه بل كذبوا عليه وقوله تعالى سماعون يعني بني قريظة
يعني انهم جواسيس وعيون لقوم اخرين وهم اهل خيبر لم ياتوك يعني اهل خيبر لم ياتوك ولم يحضروا عندك
يا محمد ذكر القصة في هذه قال علما التفسير ان رجلا وامراة من اشراف يهود خيبر زنيا وكانا
محصنين وكان حدهما الرجم عندهم في حكم التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فقالوا ان هذا الرجل
بيثرب يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وليس في كتابه الرجم ولكنه الضرب فارسلوا الى اخوانكم بني قريظة
فانهم جيرانه وصلح معه فليسالوه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم اسالوا محمدا
عن الزانيين اذا احصنا ما حدهما فان امركم بالجلد فاقبلوا منه وان امركم بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا
منه وارسلوا معهم الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على بني قريظة والنضير وقالوا لهم انكم جيران
هذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث فينا حدث وذلك ان فلانا وفلانة قد زنيا وقد احصنا
فنحب ان تسالوه لنا عن قضاية في ذلك فقالت لهم بنوا قريظة والنضير اذا والله يامركم بما
تكرهون ثم انطلق قوم منهم فيهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسد وسعيد بن عمرو ومالك بن الضيف
وكنانة بن ابي الحقيق وغيرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اخبرنا عن الزاني والزانية
اذا احصنا ما حدهما في كتابك فقال هل ترضون بقضاي قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام باية
الرجم فاخبرهم بذلك فابوا ان ياخذوا به فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بينك وبينهم
ابن صوريا ووصفه له فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن
فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فاي رجل هو فيكم فقالوا هو اعلم يهودي بقي على وجه الارض بما انزل
الله على موسى عليه السلام في التوراة قال فارسلوا اليه ففعلوا فلما جا قال له النبي صلى الله عليه وسلم
انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم يهود قال كذلك يقولون فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهود

يجعلونه

يجعلونه بيني وبينكم قالوا نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن صوريا ناشدتك بالله الذي لا اله
الا هو الذي انزل التوراة على موسى واخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وانجاكم واغرق ال فرعون وبالذي
ظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى وانزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون
في كتابكم الرجم على المحصن فقال ابن صوريا اللهم نعم والذي ذكرتني به لولا خشية ان ينزل علينا
العذاب ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابكم يا محمد قال اذا شهد اربعة
رهط عدول انه ادخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليهم الرجم فقال ابن صوريا والذي
انزل التوراة على موسى هكذا انزله الله في التوراة على موسى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
فما كان اول ما ترخصتم به في امر الله تعالى فقال ابن صوريا كنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا
الضعيف اقمنا عليه الحد فكثر الزنا في اشرافنا حتى زنا ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنا رجل
اخر في اسرة من قومه فاراد الملك رجمه فقام قومه دونه وقالوا والله لا نرجمه حتى نرجم فلانا ابن
عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيا دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد
والتحميم وهو ان يجلدا اربعين جلدة بحبل مطلي بقار ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين ووجوههما
من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا ما اسرع ما اخبرته
به وما كنت لما اتينا عليك باهل ولكنك كنت غايبا فكرهنا ان نغتابك فقال لهم ابن صوريا
انه قد نشدني بالتوراة ولولا خشية ان ينزل علينا العذاب ما اخبرته فامر النبي صلى الله عليه
وسلم بهما فرجما عند باب المسجد وقال اللهم اني اول من احيا امرك اذ اماتوه فانزل الله هذه
الاية عن ابن عمر قال ان اليهود جاوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا ان امراة منهم
ورجلا زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون في التوراة في شان الرجم قالوا نفضحهم
ويجلدون فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها الرجم فاتوا بالتوراة فنشروها فوضع احدهم يده
على اية الرجم فقرا ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها اية
الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها اية الرجم فامر بهما النبي صلى الله عليه وسلم فرجما قال فرايت الرجل يجني
على المراة يقيها الحجارة وفي رواية اخرى كما قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم برجل وامراة من اليهود
قد زنيا فقال لليهود ما تصنعون بهما قالوا نفحم وجوههما ونخزيهما قال فاتوا بالتوراة فاتلوها
ان كنتم صادقين فجاوا بها فقالوا لرجل ممن يرضون يا اعور اقرا فقرا حتى انتهى الى موضع منها فوضع
يده عليها فقال ارفع يدك فرفع يده فاذا اية الرجم تلوح فقال يا محمد ان فيها الرجم ولكنا نتكاتمه
بيننا فامر بهما فرجما فرايته يجاني زانيها وفي رواية اخرى فرجما قريبا من موضع الجنايز قرب المسجد م عن البرا
ابن عازب قال مر على النبي صلى الله عليه وسلم يهودي محمم مجلود فدعاهم فقال هكذا تجدون حد
الزاني في كتابكم قالوا نعم فدعا رجلا من علمايهم فقال انشدك بالله الذي انزل التوراة على موسى
هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قال لا ولولا انك نشدتني بهذا لم اخبرك نجده الرجم ولكنه كثر
في اشرافنا فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا
فلنجتمع على شي نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اني اول من احيا امرك اذ اماتوه فامر به فرجم فانزل الله تعالى يا ايها
الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الى قوله ان اوتيتم هذا فخذوه يقول ايتوا محمدا فان امركم

بالتحميم والجلد فخذوه وان افتاكم بالرجم فاحذروا فانزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله
فاولئك هم الفاسقون في الكفار كلها التحميم هو تسويد الوجه بالحمم وهو الفحم وقوله ما تجدون
في التوراة حد الزاني قال العلماء هذا السؤال من النبي صلى الله عليه وسلم ليس لتقليدهم ولا لمعرفة
الحكم منهم وانما هو لالزامهم بما يعتقدونه في كتابهم ولعله صلى الله عليه وسلم كان قد اوحي اليه ان
الرجم في التوراة الموجودة في ايديهم لم يغيروه كما غيروا اشياء منها او اخبره بذلك من اسلم من اهل
الكتاب وهو عبد الله بن سلام كما في حديث ابن عمر المتفق عليه وكذلك لم يخف عليه صلى الله عليه
وسلم حين كتموه وقوله تعالى يحرفون الكلم يعني يغيرون حدود الله التي اوجبها عليهم في التوراة
وذلك انهم بدلوا الرجم بالجلد والتحميم وقال الحسن انهم يغيرون ما يسمعونه من النبي صلى الله
عليه وسلم بالكذب عليه وقال ابن جرير الطبري يحرفون حكم الكلم فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين
به من بعد مواضعه يعني من بعد ان وضعه الله مواضعه وفرض فروضه واحل حلاله وحرم حرامه
فان قلت قد قال الله عز وجل هنا يحرفون الكلم من بعد مواضعه وقال في موضع اخر يحرفون الكلم عن مواضعه
فهل من فرق بينهما قلت نعم بينهما فرق وذلك انا اذا فسرنا يحرفون الكلم عن مواضعه بالتاويلات الباطلة
فيكون معنى قوله يحرفون الكلم عن مواضعه انهم يذكرون التاويلات الفاسدة لتلك النصوص وليس
فيه بيان انهم يحرفون تلك اللفظة من الكتاب واما قوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه ففيه دلالة على
انهم جمعوا بين الامرين يعني انهم كانوا يذكرون التاويلات الفاسدة وكانوا يحرفون اللفظة من الكتاب
ففي بيان قوله يحرفون الكلم عن مواضعه اشارة الى التاويل الباطل وفي قوله من بعد مواضعه اشارة الى
اخراجه من الكتاب بالكلية وقوله تعالى يقولون يعني اليهود ان اوتيتم هذا فخذوه يعني ان افتاكم محمد
بالجلد والتحميم فاقبلوا منه وان لم تؤتوه فاحذروا يعني وان لم يفتكم بذلك وافتاكم بالرجم فاحذروا
ان تقبلوه ومن يرد الله فتنته يعني كفره وضلالته فلن تملك له من الله شيئا يعني فلن تقدر على
دفع امر الله فيه اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم قال ابن عباس معناه ان يخلص نياتهم وقيل معناه
لم يرد الله ان يهديهم وفي هذه الاية دلالة على ان الله لم يرد اسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه من الشك والشرك
ولو فعل ذلك لآمن وهذه الاية من اشد الايات على القدرية لهم في الدنيا خزي يعني للمنافقين واليهود
اما خزي المنافقين فبالفضيحة وهتك استارهم باظهار نفاقهم وكفرهم واما خزي اليهود فباخذ الجزية
والقتل والسبي والاجلاء من ارض الحجاز الى غيرها ولهم في الاخرة عذاب عظيم يعني الخلود في النار للمنافقين
واليهود قوله عز وجل سماعون للكذب اكالون للسحت نزلت في حكام اليهود مثل كعب بن الاشرف ونظرائه
كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم قال الحسن كان الحاكم اذا اتاه واحد برشوة جعلها في كمه ثم يريها
اياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع الكذب ويأكل الرشوة وهي السحت واصل السحت
الاستئصال يقال سحته اذا استأصله وسميت الرشوة في الحكم سحتا لانها تستأصل دين المرتشي والسحت
كل حرام يحمل عليه شدة الشره وهو يرجع الى الحرام الخسيس الذي لا يكون له بركة ولا لآخذه مروءة ويكون
في حصوله عار بحيث يخفيه لا محالة ومعلوم ان حال الرشوة كذلك فلذلك حرمت الرشوة على الحاكم عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الراشي والمرتشي في الحكم اخرجه الترمذي واخرجه ابو داود
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال الحسن انما ذلك في الحكم اذا رشوته ليحق لك باطلا او يبطل عنك حقا

وقال

وقال ابن مسعود الرشوة في كل شيء فمن شفع شفاعة ليرد بها ما نرى ذلك الا الاخذ على الحكم فقال الاخذ على
الحكم كفر قال الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون قوله عز وجل فان جاؤوك يعني اليهود
فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا خير الله رسوله صلى الله عليه وسلم في الحكم
بينهم فان شاء حكم وان شاء ترك قال الحسن ومجاهد والسدي نزلت في اليهوديين اللذين زنيا وقال
قتادة نزلت في رجلين من قريظة والنضير قتل احدهما الاخر قال ابن زيد كان حيي بن اخطب قد جعل للنضيري
ديتين وللقرظي دية لانه كان من بني النضير فقالت قريظة لا نرضى بحكم حيي ونتحاكم الى محمد فانزل الله
هذه يخير نبيه صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم **فصل** اختلف علماء التفسير في حكم هذه
الاية على قولين احدهما انها منسوخة وذلك ان اهل الكتاب كانوا اذا ترافعوا الى النبي صلى الله عليه
وسلم كان مخيرا ان شاء حكم بينهم وان شاء اعرض عنهم ثم نسخ ذلك بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله
فلزمه الحكم بينهم وزال التخيير وهذا القول يروى عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والسدي
والقول الثاني انها محكمة وحكام المسلمين بالخيار اذا ترافعوا اليهم ان شاؤوا حكموا بينهم وان شاؤوا اعرضوا
عنهم وهذا القول مروي عن الحسن والشعبي والنخعي والزهري وبه قال احمد لانه لا منافاة بين الايتين
اما قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم ففيه التخيير بين الحكم والاعراض واما قوله وان احكم بينهم بما انزل
الله ففيه كيفية الحكم اذا حكم بينهم قال الامام فخر الدين الرازي وهو مذهب الشافعي فانه يجب على حاكم
المسلمين ان يحكم بين اهل الكتاب اذا تحاكموا اليه لان في امضاء حكم الاسلام صغارا لهم فاما المعاهدون
الذين لهم مع المسلمين عهد الى مدة فليس بواجب على الحاكم ان يحكم بينهم بل يتخير في ذلك وهذا
التخيير المذكور في هذه الاية مخصوص بالمعاهدين واما اذا تحاكم مسلم وذمي وجب على الحاكم الحكم بينهم
لا يختلف القول فيه لانه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم اهل الذمة والله اعلم وقوله تعالى وان حكمت
فاحكم بينهم بالقسط يعني بالعدل والاحتياط ان الله يحب المقسطين يعني العادلين فيما ولوا وحكموا
فيه م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على
منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا هذا من احاديث
الصفات فمن العلماء من قال فيه وفي امثاله نؤمن بها ولا نتكلم في تاويلها ولا نعرف معناها لكن نعتقد ان
ظاهرها غير مراد وان لها معنى يليق بالله هذا مذهب جماهير السلف وطوائف من المتكلمين ومنهم
من قال انها تؤول تاويلا يليق بها وهذا قول اكثر المتكلمين فعلى هذا قال القاضي عياض المراد بكونهم عن
اليمين الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعة والعرب تنسب الفعل المحمود والاحسان الى اليمين وضده الى
اليمين وضده الى اليسار قالوا واليمين ماخوذة من اليمن وقوله وكلتا يديه يمين تنبيه على انه ليس
المراد باليمين الجارحة تعالى الله عن ذلك فانها مستحيلة في حقه سبحانه وتعالى وفي قوله وما ولوا فتح
الواو وضم اللام المخففة هكذا ذكره الشيخ محيي الدين في شرح مسلم قال ومعناه وما كانت لهم عليه
ولاية وهذا الفضل لمن عدل فيما تقلده من الاحكام والله اعلم قوله وكيف يحكمونك وعندهم التوراة
هذا تعجيب من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في تحكيم اليهود اياه مع علمهم بما في التوراة وتركهم
قبول ذلك الحكم مع اعتقادهم صحته وعدولهم الى حكم من يجحدون نبوته طلبا للرخصة لا جرم ان الله
اظهر جهلهم وعنادهم لانهم حكموا النبي صلى الله عليه وسلم في امر الزانيين ثم اعرضوا عن حكمه وفي هذه
الاية تقريع لليهود والمعنى وكيف يجعلونك حكما بينهم فيرضون بحكمك وعندهم التوراة فيها حكم الله

يعني الرجم الذين تحاكموا اليك من اجله ثم يتولون من بعد ذلك يعني ثم يعرضون عن حكمك الموافق
لما في كتابهم وما اولئك يعني اليهود بالمؤمنين يعني بكتابهم كما يزعمون وقيل معناه وما اولئك بالمصدقين
لك قوله عز وجل انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور سبب نزول هذه الآية استفتاء اليهود رسول
الله صلى الله عليه وسلم في امر الزانيين وقد سبق بيانه والهدى هو البيان لان التوراة مبينة صحة
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومبينة ما تحاكموا فيه والنور هو الكاشف للشبهات الموضح للمشكلات
والتوراة كذلك وقيل الفرق بين الهدى والنور ان الهدى محمول على بيان الاحكام والشرايع والنور
محمول على بيان احكام التوحيد والنبوات والمعاد يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا
اراد بالنبيين الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام وذلك ان الله بعث في بني اسرائيل الوفا من الانبيا
وليس معهم كتاب انما بعثوا باقامة التوراة واحكامها ومعنى اسلموا اي انقادوا لامر الله والعمل
بكتابه وهذا على سبيل المدح لهم وفيه تعريض باليهود لانهم بعدوا عن الاسلام الذي هو دين الانبيا
عليهم السلام وقال الحسن والزهري وعكرمة وقتادة والسدي يحتمل ان يكون المراد بالنبيين
الذين اسلموا هو محمد صلى الله عليه وسلم وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما وتشريفا له صلى الله عليه
وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم حكم على اليهود بالرجم وكان هذا الحكم في التوراة قال ابن الانباري
هذا رد على اليهود والنصارى لان الانبيا عليهم السلام ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية
بل كانوا مسلمين لله منقادين لامره ونهيه للذين هادوا يعني لليهود يعني يحكم بالتوراة لهم وفيما
بينهم ويحملهم على احكامها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم كما هو في التوراة
فلم يوافقهم على ما ارادوه من الجلد وقال الزجاج وجايز ان يكون المعنى على التقديم والتاخير على معنى
انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين اسلموا والربانيون
والاحبار اما الربانيون فتقدم تفسيره في سورة آل عمران واما الاحبار فقال ابن عباس هم الفقها
وقيل هم العلما الاحبار واحده حبر بفتح الحا وكسرها لغتان وقال الفرا انما هو حبر بكسر الحا وانما سمي
به لمكان الحبر الذي يكتب به وذلك لانه صاحب كتاب وقال ابو عبيد انما هو حبر بفتح الحا والحبر العالم
لما يبقى من اثر علومه في قلوب الناس وافعاله الحسنة التي يقتدى بها وجمعه احبار ومنه كعب الاحبار
وقيل الحبر الاثر المستحسن ومنه الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره اي جماله وبهاؤه
وانما سمي العالم حبرا لما عليه من اثر جمال العلم وهل فرق بين الربانيين والاحبار ام لا فيه خلاف فقيل
لا فرق والربانيون والاحبار بمعنى واحد وهم العلما والفقها وقيل الربانيون اعلا درجة من
الاحبار لان الله قدمهم في الذكر على الاحبار وقيل الربانيون هم الولاة والحكام والاحبار هم العلما
وقيل الربانيون علما النصارى والاحبار علما اليهود ومعنى الآية يحكم باحكام التوراة النبيون
وكذلك يحكم بها الربانيون والاحبار وقوله تعالى بما استحفظوا من كتاب الله يعني بما استودعوا
من كتاب الله وقيل هو ان يحفظوا كتاب الله فلا ينسوه وقيل هو ان يحفظوه فلا يضيعوا احكامه
وشرايعه وقد اخذ الله على العلما حفظ كتابه من هذين الوجهين معا وذلك بان يحفظوا كتاب
الله في صدورهم ويدرسونه بالسنتهم لئلا ينسوه وان لا يضيعوا احكامه ولا يهملوا شرايعه
فاذا فعلوا ذلك كانوا قايمين بحفظه وكانوا عليه شهدا يعني ان هولا النبيين والربانيين
والاحبار كانوا شهدا على كتاب الله ويعلمون انه حق وصدق وانه من عند الله فلا تخشوا الناس

واخشوني هذا خطاب لحكام اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني
لا تخافوا احدا من الناس في اظهار صفة محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بالرجم واخشوني يعني
في كتمان ذلك ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا يعني ولا تستبدلوا بايات الله واحكامه ثمنا قليلا
يعني الرشوة في الاحكام والجاه عند الناس ورضاهم والمعنى كما نهيتكم عن تغيير الاحكام لاجل خوف
الناس كذلك انهاكم عن التغيير والتبديل لاجل الطمع في المال والجاه واخذ الرشوة فان متاع
متاع الدنيا قليل ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون يعني ان اليهود لما انكروا حكم
الله تعالى المنصوص عليه في التوراة وقالوا انه غير واجب عليهم فهم كافرون على الاطلاق بموسى
والتوراة وبمحمد والقرآن واختلف العلما فيمن نزلت هذه الثلاث آيات وهي قوله ومن لم يحكم
بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الفاسقون فقال جماعة من المفسرين ان الآيات الثلاث نزلت في الكفار ومن غير
حكم الله من اليهود لان المسلم وان ارتكب كبيرة لا يقال انه كافر وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك
ويدل على صحة هذا القول ما روي عن البرا بن عازب قال انزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم
بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الفاسقون في الكفار كلها اخرجه مسلم وعن ابن عباس قال ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الكافرون الى قوله الفاسقون هذه الثلاث آيات في اليهود خاصة قريظة
والنضير اخرجه ابو داود وقال مجاهد في هذه الآيات الثلاث من ترك الحكم بما انزل الله ردا لكتاب
الله فهو كافر ظالم فاسق وقال عكرمة ومن لم يحكم بما انزل الله جاحدا به فقد كفر ومن اقر به ولم يحكم
به فهو ظالم فاسق وهذا قول ابن عباس ايضا واختيار الزجاج لانه قال من زعم ان حكما من احكام
الله التي اتت بها الانبيا باطل فهو كافر وقال طاوس قلت لابن عباس اكافر من لم يحكم بما انزل الله
فقال به كفر وليس بكفر ينقل عن الملة كمن كفر بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ونحو هذا
روي عن عطا قال هو كفر دون كفر وقال ابن مسعود والحسن والنخعي هذه الآيات الثلاث عامة
في اليهود وفي هذه الامة فكل من ارتشى وبدل الحكم فحكم بغير حكم الله فقد كفر وظلم وفسق واليه
ذهب السدي لانه ظاهر الخطاب وقيل هذا فيمن علم نص حكم الله ثم رده عيانا عمدا وحكم بغيره واما
من خفي عليه النص واخطا في التاويل فلا يدخل في هذا الوعيد والله اعلم بمراده قوله تعالى وكتبنا
عليهم فيها ان النفس بالنفس يعني وفرضنا على بني اسرائيل في التوراة ان نفس القاتل بنفس المقتول
وفا فيقتل به وذلك ان الله تعالى حكم في التوراة ان على الزاني المحصن الرجم واخبر ان اليهود بدلوه
وغيروه واخبر ايضا ان في التوراة ان النفس بالنفس وان هولا اليهود غيروا هذا الحكم وبدلوه
ففضلوا بني النضير على بني قريظة فكان بنو النضير اذا قتلوا من قريظة ادوا اليهم نصف
الدية واذا قتل بنو قريظة من بني النضير ادوا اليهم الدية كاملة فغيروا حكم الله الذي انزله
في التوراة قال ابن عباس اخبر الله بحكمه في التوراة وهو ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف
بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص قال فما لهم يخالفون فيقتلون النفسين
بالنفس ويفقؤون العينين بالعين ومعنى الآية ان النفس بالنفس تقتل بها اذا تكافأت الدماء
ومذهب الشافعي انه لا يقتل مسلم بكافر لما صح من حديث علي بن ابي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال لا يقتل مسلم بكافر الحديث اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى والعين بالعين يعني تفقأ بها
والانف بالانف يعني يجدع به والاذن بالاذن يعني تقطع بها والسن بالسن يعني تقلع بها
واما سائر الاطراف والاعضاء فيجري فيها القصاص كذلك وقوله تعالى والجروح قصاص يعني فيما يمكن
ان يقتص منه وهذا التعميم بعد التخصيص لان الله تعالى ذكر النفس والعين والانف والاذن فخص
هذه الاربعة بالذكر ثم قال تعالى والجروح قصاص على سبيل العموم فيما يمكن ان يقتص منه كاليد
والرجل والذكر والانثيين وغيرها واما ما لا يمكن القصاص فيه كرض في لحم وكسر في عظم او جرح في
البطن يخاف منها التلف فلا قصاص في ذلك وفيه الارش والحكومة واعلم ان هذه الاية دالة على ان
هذا الحكم كان شرعا في التوراة فمن قال شرع من قبلنا يلزمنا الا ما نسخ منه بالتفصيل قال هذه
الاية حجة في شرعنا ومن انكره قال انها ليست بحجة علينا واصل هذه المسئلة ان النبي صلى الله عليه
وسلم وامته بعد البعثة هل هم متعبدون بشرع من تقدم من الانبيا فنقل عن اصحاب ابي حنيفة وبعض
اصحاب الشافعي وعن احمد في احدى الروايتين عنه انه كان متعبدا بما صح من شرايع من قبله بطريق
الوحي اليه لا من جهة كتبهم المبدلة ونقل اربابها واختار ابن الحاجب من المتاخرين هذا المذهب
ونقل انه صلى الله عليه وسلم كان بعد البعث متعبدا بالشرع من قبله فيما لم ينسخ من الاحكام الباقية
قبل شريعته لكنه لم يعتبر فيه الوحي ونقل الحق والا لم يبق للنزاع معنى اذ لا ينكر احد كون النبي صلى
الله عليه وسلم كان متعبدا بعد البعثة بما اوحى الله تعالى اليه سوا كان من شريعة من قبله ام لا
وذهبت الاشاعرة والمعتزلة الى المنع من ذلك ونقل اختيار السيف الامدي من المتاخرين
واحتج الاولون لصحة مذهبهم ان الاجماع منعقد على صحة الاستدلال بقوله وكتبنا عليهم
فيها ان النفس بالنفس الاية مع انه من شريعة من تقدم لانه مذكور في التوراة ومكتوب على بني
اسرائيل ولولا انا متعبدون بشريعة من قبلنا لما صح هذا الاستدلال وقوله تعالى فمن تصدق به
يعني بالقصاص فلم يقتص بالجاني فهو كفارة له في هاء له قولان احدهما ان الهاء في له كناية
عن المجروح وولي المقتول وذلك ان المجروح وولي المقتول اذا تصدق بالقصاص كان ذلك كفارة لذنوبه
وهذا قول ابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص والحسن ويدل عليه ما روي عن ابي الدردا قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يصاب بشي من جسده فيتصدق به الا رفعه الله به درجة
وحط عنه خطيئة اخرجه الترمذي وعن انس قال ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع اليه شي
فيه قصاص الا امر فيه بالعفو اخرجه ابو داود والنسائي والقول الثاني ان الضمير في قوله يعود الى الجارح
والقاتل يعني ان المجني عليه اذا عفى عن الجاني كان ذلك العفو كفارة لذنب الجاني لا يؤاخذ به في الاخرة
وهذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل كما ان القصاص كفارة له فاما اجر العافي فعلى الله تعالى وقوله
تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون يعني لانفسهم حيث لم يحكموا بما انزل الله عز
وجل قوله عز وجل وقفينا على آثارهم يعني وعقبنا على آثار النبيين الذين اسلموا بعيسى ابن مريم
مصدقا لما بين يديه من التوراة يعني ان عيسى عليه السلام كان مصدقا بان التوراة منزلة من
عند الله عز وجل وكان العمل بها واجبا قبل ورود النسخ عليها فان عيسى عليه السلام نسخ بعض
احكام التوراة وخالفها وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور يعني فيه هدى من الجهالة وضيا من عمى الهمم
ومصدقا لما بين يديه من التوراة هذا ليس بتكرير الاول لان في الاول الاخبار بان عيسى مصدقا

لما بين يديه من التوراة وفي الثاني الاخبار بان الانجيل مصدق للتوراة فظهر الفرق بين اللفظين
وانه ليس بتكرير وهدى وموعظة للمتقين انما قال وهدى مرة اخرى لان الانجيل يتضمن البشارة
بمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون سببا لاهتداء الناس الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واما كون
الانجيل موعظة لما فيه من المواعظ البليغة والزواجر والامثال وانما خص المتقين بالذكر لانهم
هم الذين ينتفعون بالمواعظ قوله تعالى وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله قال اهل المعاني قوله
وليحكم يحتمل وجهين احدهما ان يكون المعنى وقلنا ليحكم اهل الانجيل فيكون هذا اخبارا عما فرض
عليهم في وقت انزاله عليهم من الحكم بما تضمنه الانجيل ثم حذف القول لان ما قبله من قوله وكتبنا
وقفينا يدل عليه وحذف القول كثير والوجه الثاني ان يكون قوله وليحكم ابتداء وفيه امر للنصارى
بالحكم في كتابهم وهو الانجيل فان قلت فعلى هذا الوجه كيف جاز ان يؤمروا بالحكم بما في الانجيل بعد
نزول القرآن قلت ان المراد بهذا الحكم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لان ذكره في الانجيل موجود ووجوب
التصديق بنبوته فاذا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد حكموا بما في الانجيل وقوله ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الفاسقون يعني فاولئك هم الخارجون عن طاعة الله عز وجل قوله عز وجل وانزلنا
اليك الكتاب الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وانزلنا اليك يا محمد القرآن بالحق يعني بالصدق
الذي لا شك فيه انه من عند الله مصدقا لما بين يديه من الكتاب يعني انه يصدق جميع الكتب التي
انزلها الله على انبيائه ومهيمنا عليه قال ابن عباس يعني شاهدا على الكتب التي قبله ومنه قول
حسان ◦ ان الكتاب مهيمن لنبينا ◦ والحق يعرفه ذوو الالباب ◦ يريد انه شاهد
ومصدق لنبينا صلى الله عليه وسلم وانما كان القرآن مهيمنا على الكتب التي قبله لانه الكتاب الذي
لا ينسخ ولا يغير ولا يبدل واذا كان القرآن كذلك كانت شهادته على التوراة والانجيل والزبور
وجميع الكتب المنزلة حق وصدق وقيل المهيمن الامين وانما كان القرآن امينا على الكتب التي قبله
فيما اخبر اهل الكتب عن كتبهم فان ذلك في القرآن فقد صدقوا والا فلا فاحكم بينهم بما انزل الله يعني
اذا ترافع اهل الكتاب اليك يا محمد فاحكم بينهم بالقرآن الذي انزله الله اليك ولا تتبع اهواءهم يعني
ولا تتبع اهواء هؤلاء اليهود في الحكم وقال ابن عباس لا تاخذ باهوائهم في جلد المحصن عما جاءك من الحق
يعني ولا تنحرف عن الحق الذي جاءك من عند الله متبعا اهواءهم وقوله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق
وان كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يتبع اهواءهم
قط لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا الخطاب في قوله منكم للامم الثلاثة امة موسى وامة عيسى وامة
محمد صلى الله عليه وسلم اجمعين بدليل ان الله عز وجل قال قبل هذه انا انزلنا التوراة فيها هدى
ونور ثم قال بعد ذلك وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ثم قال وانزلنا اليك الكتاب ثم جمع فقال
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والشرعة الشريعة يعني لكل امة شريعة فللتوراة شريعة وللانجيل
شريعة وللقرآن شريعة والدين واحد وهو التوحيد واصل الشريعة من الشرع وهو البيان والاظهار
تقول شرع وبين واوضح وقيل هو من الشروع في الشي والشريعة في كلام العرب المشرعة التي يشرعها الناس
فيشربون ويستقون منها وقيل الشريعة الطريقة ثم استعير ذلك للطريقة الالهية المؤدية الى
الدين والمنهاج الطريق الواضح قال بعضهم الشريعة والمنهاج عبارتان عن معنى واحد والتكرير للتاكيد
والمراد بهما الدين وقال الاخرون بينهما فرق لطيف وهو ان الشريعة هي التي امر الله بها عباده والمنهاج

الطريق الواضح المودي الى الشريعة قال ابن عباس في قوله شرعة ومنهاجا سنة وسبيلا قال قتادة سبيلا
وسنة فالسنن مختلفة للتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقران شريعة يحل الله عز وجل فيها ما يشا
ويحرم ما يشا ليعلم من يطيعه ممن يعصيه والدين الذي لا يقبل غيره هو التوحيد والاخلاص لله الذي
جات به جميع الرسل عليهم السلام وقال علي ابن ابي طالب الايمان منذ بعث ادم عليه السلام شهادة
ان لا اله الا الله والاقرار بما جا من عند الله ولكل قوم شريعة او منهاجا قال العلما وردت ايات الله
دالة على عدم التباين في طريقة الانبيا والرسل منها قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الى قوله
ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ومنها قوله اوليك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ووردت ايات
دالة على حصول التباين بينهم منها هذه الاية وهي قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وطريق الجمع بين
هذه الايات ان كل اية دلت على عدم التباين فهي دالة على اصول الدين من الايمان بالله وملايكته
وكتبه ورسله واليوم الاخر فكل ذلك جات به الرسل من عند الله ولم يختلفوا فيه واما الايات الدالة
على حصول التباين بينهم فمحمولة على الفروع وما يتعلق بظواهر العبادات فجايز ان يتعبد الله عباده في
كل وقت بما شا فهذه طريق الجمع بين هذه الايات والله اعلم باسرار كتابه واحتج بهذه من قال ان
شرع من قبلنا لا يلزمنا لان قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يدل على ان كل رسول جا بشريعة خاصة
فلا يلزم امة رسول الاقتدا بشريعة رسول اخر قال تعالى ولو شا الله لجعلكم امة واحدة يعني جماعة
متفقة على شريعة واحدة ودين واحد لا اختلاف فيه ولكن ليبلوكم يعني ولكن اراد ان يختبركم فيما
اتاكم يعني من الشرايع المختلفة هل تعملون بها ام لا فيتبين بذلك المطيع من العاصي والموافق من المخالف
فاستبقوا الخيرات هذا الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم يعني فبادروا يا امة محمد بالاعمال
الصالحات التي تقربكم الى الله تعالى الى الله مرجعكم جميعا يعني المطيع والعاصي والموافق والمخالف فينبيكم
بما كنتم فيه تختلفون يعني فيخبركم في الاخرة بما كنتم فيه تختلفون من امر الدين في الدنيا والمعنى فيجازيكم
في الاخرة بما لا تشكون معه فيفصل بين المحق والمبطل والطايع والعاصي بالثواب والعقاب قوله تعالى
وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواهم قال ابن عباس ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس
ابن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فاتوه فقالوا يا محمد قد عرفت
انا احبار اليهود واشرافهم وساداتهم وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا وان بيننا وبين
قومنا خصومة فنتحاكم اليك فاقض لنا عليهم نومن بك ونصدقك فابى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانزل الله في كتابه ولا تتبع اهواهم يعني فيما امروك به قال العلما ليس في هذه الاية تكرار لما
تقدم وانما نزلتا في حكمين مختلفين اما الاية الاولى فنزلت في شان رجم المحصن وان اليهود طلبوا منه ان
يجلده وهذه الاية نزلت في شان الدما والديات حين تحاكموا اليه في امر قتيل كان بينهم قال بعض العلما
هذه الاية ناسخة للتخيير في قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم وقوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن بعض
ما انزل الله اليك يعني واحذر يا محمد هولا اليهود الذين جاوا اليك ان يصرفوك ويصدوك بمكرهم
وكيدهم فيحملونك على ترك العمل ببعض ما انزل الله اليك في كتابه واتباع اهواهم فان تولوا يعني فان
اعرضوا عن الايمان بك والرضا بالحكم بما انزل الله فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم
يعني فاعلم يا محمد ان الله يريد ان يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم وانما خص بعض الذنوب
لان الله جازاهم في الدنيا على بعض ذنوبهم بالقتل والسبي والجلا واخر مجازاتهم على باقي ذنوبهم الى الاخرة

وان كثيرا من الناس لفاسقون يعني اليهود لانهم ردوا حكم الله تعالى افحكم الجاهلية يبغون يعني الحكم
الجاهلية يطلب هولا اليهود قال ابن عباس يعني بحكم الجاهلية ما كانوا عليه من الضلالة والجور في الاحكام
وتحريفهم اياها عما امر الله بها وقال مقاتل كانت بين النضير وقريظة دما وهما حيان من اليهود
وذلك قبل ان يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فلما بعث وهاجر الى المدينة تحاكموا اليه فقالت بنوا
قريظة بنوا النضير اخواننا ابونا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد فان قتل بنو النضير منا قتيلا اعطونا
سبعين وسقا من تمر وان قتلنا منهم قتيلا اخذوا منا مايه واربعين وسقا وارش جراحاتنا على النصف
من جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني احكم ان دم القرظي وفا من
دم النضيري ودم النضيري وفا دم القرظي ليس لاحدهما فضل على الاخر في دم ولا عقل ولا جراحة
فغضب بنوا النضير وقالوا لا نرضى بحكمك فانك لنا عدو وانك ما تالو في وضعنا وتصغيرنا فانزل
الله افحكم الجاهلية يبغون وقرى بالتا على الخطاب والمعنى قل لهم يا محمد افحكم الجاهلية تبغون ومن
احسن من الله حكما لقوم يوقنون يعني اي حكم احسن من حكم الله ان كنتم موقنين ان لكم ربا وانه
عدل في احكامه قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا اختلف
المفسرون في سبب نزول هذه الاية وان كان حكمها عاما لجميع المومنين لان خصوص السبب لا يمنع من
عموم الحكم فقال قوم نزلت هذه الاية في عبادة بن الصامت رضي الله عنه وعبد الله بن ابي سلول
راس المنافقين وذلك انهما اختصما فقال عبادة ان لي اوليا من اليهود كثير عددهم شديدة
شوكتهم واني ابرا الى الله والى رسوله من ولايتهم لا مولى لي الا الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي لكني
لا ابرا من ولاية اليهود فاني اخاف الدوائر ولا بد لي منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا الحباب
ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه فقال اذا اقبل فانزل الله هذه
الاية وقال السدي لما كانت وقعة احد اشتد الامر على طايفة من الناس وتخوفوا ان يدال عليهم
الكفار فقال رجل من المسلمين انا الحق بفلان اليهودي واخذ منه امانا اني اخاف ان يدال علينا اليهود وقال
رجل اخر انا الحق بفلان النصراني من اهل الشام واخذ منه امانا فانزل الله هذه الاية ينهاهما عن موالاة
اليهود والنصارى وقال عكرمة نزلت في ابي لبابة بن عبد المنذر لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني
قريظة حين حاصرهم فاستشاروه في النزول وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل اصبعه على حلقه
اشارة انه الذبح وانه يقتلكم فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا نهى الله
المومنين جميعا ان يتخذوا اليهود والنصارى انصارا واعوانا على اهل الايمان بالله وبرسوله واخبر
انه من اتخذهم انصارا وخلفا من دون الله ورسوله والمومنين فانه منهم وان الله ورسوله والمومنين منه
برا بعضهم اوليا بعض يعني ان بعض اليهود انصار وان النصارى كذلك يد واحدة على من خالفهم
في دينهم وملتهم ومن يتولهم منكم فانه منهم يعني ومن يتول اليهود والنصارى دون المومنين فينصرهم على
المومنين فهو من اهل دينهم وملتهم لانه لا يتولى متول احدا الا وهو راض به وبدينه واذا رضيه ورضي دينه
صار منهم وهذا تعليم من الله عز وجل وتشديد عظيم في مجانبة اليهود والنصارى وكل من خالف دين
الاسلام ان الله لا يهدي القوم الظالمين يعني ان الله لا يوفق من وضع الولاية في غير موضعها فتولى
اليهود والنصارى مع عداوتهم لله ولرسوله وللمومنين روي ان ابا موسى الاشعري قال قلت
لعمر بن الخطاب ان لي كاتبا نصرانيا فقال ما لك وله قاتلك الله الا اتخذت حنيفا يعني مسلما اما سمعت

قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا بعضهم اوليا بعض قلت له
دينه ولي كتابته فقال لا اكرمهم اذ اهانهم الله ولا اعزهم اذ اذلهم الله ولا ادنيهم اذ ابعدهم الله قلت
انه لا يتم امر البصرة الا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب انه مات فما تصنع بعده فما تعمله بعد
موته فاعمله الان واستغن عنه بغيره من المسلمين قوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض يعني فترى
يا محمد الذين في قلوبهم شك ونفاق يسارعون فيهم يعني يسارعون في مودة اليهود وموالاتهم ومناصحتهم
لانهم كانوا اهل ثروة ويسار فكانوا يغشونهم ويخالطونهم لاجل ذلك نزلت في عبد الله بن ابي المنافق
وفي اصحابه من المنافقين يقولون يعني المنافقين نخشى ان تصيبنا دايرة الدايرة من دواير الدهر
كالدولة تدول والمعنى ويقول المنافقون انما نخالط اليهود لانا نخشى ان يدور علينا الدهر بمكروه
ويعنون بذلك المكروه الهزيمة في الحرب والقحط والجدب والحوادث المخوفة قال ابن عباس معناه
نخشى ان لا يتم امر محمد فيدور علينا الامر كما كان قبل محمد فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده قال
المفسرون عسى من الله واجب لان الكريم اذا اطمع في خير فعله وهو بمنزلة الوعد لتعلق النفس به
ورجايها له والمعنى فعسى الله ان ياتي بالفتح لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم على اعدايه واظهار دينه
على الاديان كلها واظهار المسلمين على اعدايهم من الكفار واليهود والنصارى وقد فعل الله ذلك
بمنه وكرمه فاظهر دينه ونصر عبده وقيل اراد بالفتح فتح مكة وقيل فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك
ونحوهما من بلادهم او امر من عنده يعني انه تعالى يقطع اصل اليهود من ارض الحجاز ويخرجهم من بلادهم بلا
كلفة وتعب ولا يكون للناس فيه فعل البتة كما القى في قلوبهم الرعب فاخلوا ديارهم واخربوها بايديهم
ودخلوا الى الشام وقوله تعالى فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين يعني فيصبح المنافقون
الذين كانوا يوالون اليهود نادمين على ما حدثوا به انفسهم ان امر محمد لا يتم وقيل ندموا على دس الاخبار الى
اليهود ويقول الذين امنوا يعني يقول الذين امنوا في وقت اظهار الله نفاق المنافقين اهولاء الذين
اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم وذلك ان المومنين كانوا يتعجبون من حال المنافقين عند ما اظهروا
الميل الى موالاة اليهود والنصارى وقالوا ان المنافقين حلفوا بالله جهد ايمانهم انهم لمعنا ومن انصارنا
والان كيف صاروا موالين لاعداينا من اليهود محبين للاختلاط بهم فبان كذب المنافقين في ايمانهم الباطلة
حبطت اعمالهم اي بطل كل خير عملوه لاجل ما اظهروا من النفاق وموالاة اليهود فاصبحوا خاسرين يعني
انهم خسروا في الدنيا بافتضاحهم وخسروا في الاخرة باحباط ثواب اعمالهم وحصلوا في العذاب الدايم المقيم
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه يعني من يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه
وهو دين الاسلام فيبدله ويغيره بدخوله في الكفر بعد الايمان فيختار اما اليهودية او النصرانية او
غير ذلك من اصناف الكفر فلن يضر الله شيا وانما ضر نفسه برجوعه عن الدين الصحيح الذي هو
دين الاسلام قال الحسن علم الله تعالى ان قوما سيرجعون عن الاسلام بعد موت نبيهم صلى الله
عليه وسلم فاخبر انه سياتي بقوم يحبهم ويحبونه وذكر صاحب الكشاف ان احدى عشرة فرقة من العرب
ارتدت ثلاث في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بنو مدلج ورييسهم ذو الحمار وهو الاسود
العنسي وكان كاهنا تنبا باليمن واستولى على عباده واخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يد فيروز
الديلمي فبيته وقتله فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بقتله ليلة قتل فسر المسلمون

بذلك

بذلك وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد واتى خبر قتله في اخر ربيع الاول وبنو حنيفة وهم قوم
مسيلمة الكذاب تنبا وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة الكذاب رسول الله الى محمد
رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد
رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
وسياتي قصة قتله فيما بعد وبنو اسد وهم قوم طليحة بن خويلد تنبا فبعث اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقاتله فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم بعد ذلك وحسن
اسلامه وارتد سبع فرق في خلافة ابي بكر الصديق وهم فزارة قوم عيينة بن حصن الفزاري وغطفان
قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة
اليربوعي وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبية التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب
وكندة قوم الاشعث بن قيس الكندي وبنو بكر بن وايل قوم الحطم بن يزيد فكفى الله امرهم على يد
ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفرقة واحدة ارتدت في خلافة عمر بن الخطاب وهم غسان قوم
جبلة بن الايهم واختلف العلما في المعني بقوله تعالى فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه فقال
علي بن ابي طالب والحسن وقتادة هم ابو بكر الصديق واصحابه الذين قاتلوا اهل الردة ومانعي
الزكاة وذلك ان النبي صلى الله عليه لما قبض ارتد عامة العرب كما تقدم تفصيله الا اهل المدينة
واهل مكة واهل البحرين من بني عبد القيس فانهم ثبتوا على الاسلام ونصر الله بهم الدين ولما ارتد
من ارتد من العرب ومنعوا الزكاة هم ابو بكر بقتالهم وكره ذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال عمر كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ودمه الا بحقه وحسابه على الله فقال ابو
بكر الصديق والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني
عناقا وقال عقالا كانوا يودونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال انس
ابن مالك كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة وقالوا هم اهل القبلة فتقلد ابو بكر سيفه وخرج
وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على اثره قال ابن مسعود ذكرها ذلك في الابتدا ثم حمدناه عليه
في الانتها وقال ابو بكر بن عياش سمعت ابا حصين يقول ما ولد بعد النبيين افضل من ابي بكر الصديق
لقد قام مقام نبي من الانبيا في قتال اهل الردة وقالت عايشة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وارتدت العرب واشرابت النفاق ونزل بابي بكر ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها وبعث ابو
بكر الصديق خالد بن الوليد في جيش كثير الى بني حنيفة باليمامة وهم قوم مسيلمة الكذاب فاهلك
الله مسيلمة على يد وحشي غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة فكان وحشي يقول قتلت خير الناس في
الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد بذلك وحشي انه في حال الجاهلية قتل حمزة وهو خير الناس
وفي حال اسلامه قتل مسيلمة الكذاب وهو شر الناس وقال قوم المراد بقوله تعالى يحبهم ويحبونه
الاشعريون قوم ابي موسى الاشعري روي عن عياض بن غنم الاشعري قال لما نزلت هذه الاية فسوف
ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم يعني ابا موسى الاشعري
اخرجه الحاكم في المستدرك وقيل هم اهل اليمن ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتاكم اهل اليمن هم ارق افيدة والين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية وقال السدي

نزلت في الانصار لانهم هم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم واعانوه على اظهار الدين
وقيل هم احيا من اهل اليمن الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلاثة الاف من اخلاط
الناس جاهدوا في سبيل الله يوم القادسية في خلافة عمر وعلى هذا التقدير تكون هذه الاية اخبارا
عن الغيب وقد وقع الخبر على وفقه بحمد الله فتكون هذه الاية معجزة واما معنى المحبة فيقال
احببت فلانا بمعنى جعلت قلبي معرضا بان يحبه والمحبة ارادة ما تراه او تظنه خيرا فمحبة الله
العبد انعامه عليه وتوفيقه وهدايته الى طاعته والعمل بما يرضى عنه وان يثيبه احسن
الثواب على طاعته وان يثني عليه ويرضى عنه ومحبة العبد لله عز وجل ان يسارع الى طاعته
وابتغاء مرضاته وان لا يفعل ما يوجب سخطه وعقوبته وان يتحبب اليه بما يوجب له الزلفى لديه
جعلنا الله ممن يحبهم ويحبونه بمنه وكرمه وقوله تعالى **اذلة على المومنين اعزة على الكافرين**
وهذه من صفات الذين اطاعهم الله ووصفهم بقوله يحبهم ويحبونه يعني انهم ارقا رحما لاهل
دينهم واخوانهم من المومنين ولم يرد ذلا هوان بل اراد لين جانبهم لاخوانهم المومنين وهم مع رقتهم
ورحمتهم ولين جانبهم اشدا اقويا غلظا على اعدائهم الكافرين قال علي بن ابي طالب اذلة على المومنين
يعني اهل رقة على اهل دينهم اعزة على الكافرين اهل غلظة على من خالفهم في دينهم وقال ابن عباس
تراهم كالولد لوالده وكالعبد لسيده وهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته وقال
ابن الانباري اثنى الله على هولا المومنين انهم يتواضعون للمومنين اذا لقوهم ويعنفون بالكافرين
اذا لقوهم وقيل ان الذل هنا بمعنى الشفقة والرحمة كانه قال راحمين للمومنين مشفقين عليهم
على وجه التذلل والتواضع وانما اتى بلفظة على يدل على علو منصبهم وفضلهم وشرفهم لا لاجل
كونهم ذليلين في انفسهم بل ذلك التذلل لاجل انهم ضموا الى علو منصبهم فضيلة التواضع ويدل على
صحة هذا سياق الاية وهو قوله اعزة على الكافرين يعني انهم اشدا اقويا في انفسهم وعلى اعدائهم
يجاهدون في سبيل الله يعني انهم ينصرون دين الله **ولا يخافون لومة لايم** يعني لا يخافون عذل
عادل في نصرهم للدين وذلك ان المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم فبين الله
تعالى في هذه الاية ان من كان قويا في الدين فانه لا يخاف في نصره لدين الله بيده او بلسانه لومة
لايم وهذه صفة المومنين المخلصين ايمانهم لله تعالى **ق** وعن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى ان لا ننازع
الامر اهله وعلى ان نقول بالحق اينما كنا لا نخاف في الله لومة لايم ثم قال تعالى **ذلك فضل الله**
يوتيه من يشا ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من وصفهم بمحبة الله ولين جانبهم للمومنين وشدتهم
على الكافرين وانهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لايم كل ذلك من فضل الله تعالى
تفضل به عليهم ومن احسانه اليهم **والله واسع عليم** يعني انه تعالى واسع الفضل عليم بمن يستحقه
قوله تعالى **انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا** قال ابن عباس نزلت هذه الاية في عبادة
ابن الصامت حين تبرا من موالاة اليهود وقال اتولى الله ورسوله والمومنين يعني اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله نزلت في عبد الله بن سلام وذلك انه جا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا
واقسموا ان لا يجالسونا فنزلت هذه الاية فقراها عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال

فقال عبد الله بن سلام رضينا بالله ربا وبرسوله وبالمومنين اوليا وقيل الاية عامة في حق جميع المومنين
لان المومنين بعضهم اوليا بعض فعلى هذا يكون قوله تعالى **الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة**
وهم راكعون صفة لكل مومن ويكون المراد بذكر هذه الصفات تمييز المومنين عن المنافقين لان
المنافقين كانوا يدعون انهم مومنين الا انهم لم يكونوا يداومون على فعل الصلاة والزكاة فوصف
الله تعالى المومنين بانهم يقيمون الصلاة يعني باتمام ركوعها وسجودها في مواقيتها ويوتون الزكاة
يعني ويودون زكاة اموالهم اذا وجبت عليهم اما قوله تعالى وهم راكعون فعلى هذا التفسير فيه
وجوه احدها ان المراد من الركوع هنا الخضوع والمعنى ان المومنين يصلون ويزكون وهم منقادون
خاضعون لاوامر الله ونواهيه الوجه الثاني ان يكون المراد منه ان من شانهم اقامة الصلاة وايتا
الزكاة وانما خص الركوع بالذكر تشريفا له الوجه الثالث قيل ان هذه الاية نزلت وهم ركوع
وقيل نزلت هذه في شخص معين وهو علي بن ابي طالب قال السدي مر به سايل وهو راكع في المسجد
فاعطاه خاتمه فعلى هذا فان العمل القليل في الصلاة لا يفسدها والقول بالعموم اولى وان
كان قد وافق وقت نزولها صدقة علي بن ابي طالب وهو راكع ويدل على ذلك ما روي عن عبد الملك
ابن سليمان قال سالت ابا جعفر محمد بن علي الباقر عن هذه الاية انما وليكم الله ورسوله والذين
امنوا من هم فقال المومنون فقلت ان ناسا يقولون هو علي فقال علي من الذين امنوا وقوله تعالى
ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا يعني ومن يتول القيام بطاعة الله ونصرة رسوله والمومنين
قال ابن عباس يريد المهاجرين والانصار ومن ياتي بعدهم **فان حزب الله** يعني انصار دين الله **هم الغالبون**
لان الله ناصرهم على عدوهم والحزب في اللغة اصحاب الرجل الذين يكونون معه على رايه وهم القوم الذين
يجتمعون لامر حزبهم يعني اهمهم قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم**
هزوا ولعبا قال ابن عباس كان رفاعة بن سويد من التابوت وسويد بن الحارث قد اظهرا الاسلام ثم
نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فانزل الله هذه الاية ومعنى اتخذوا دينكم هزوا ولعبا
تواظهارهم الاسلام بالسنتهم قولا وهم مع ذلك يبطنون الكفر ويسرونه **من الذين اوتوا الكتاب**
من قبلكم يعني اليهود **والكفار** يعني عبدة الاصنام وانما فصل بين اهل الكتاب وبين الكفار وان
كان اهل الكتاب من الكفار لان كفر المشركين من عبدة الاصنام اغلظ وافحش من كفر اهل الكتاب
اوليا يعني لا تتخذوهم اوليا والمعنى ان اهل الكتاب والكفار اتخذوا دينكم يا معشر المومنين هزوا وسخرية
فلا تتخذوهم انتم اوليا وانصارا **واتقوا الله ان كنتم مومنين** يعني مومنين حقا لان المومن ياتي موالاة
اعدا الله عز وجل قوله تعالى **واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا** قال الكلبي كان منادي
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نادى الى الصلاة وقام المسلمون اليها قالت اليهود قد قاموا لا قاموا
وصلوا لا صلوا ويضحكون على طريق الاستهزا فانزل الله هذه الاية وقال السدي نزلت هذه الاية
في رجل من النصارى كان بالمدينة فكان اذا سمع الموذن يقول اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا
رسول الله يقول حرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو واهله نيام فطارت منها شرارة
فاحرقت البيت واحترق هو واهله وقيل ان الكفار والمنافقين كانوا اذا سمعوا الاذان حسدوا
المسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد ابدعت شيا لم يسمع
بمثله فيما مضى من الامم قبلك فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت الانبيا قبلك ولو كان فيه خير لكان

اولي الناس به الانبيا فمن اين لك صياح كصياح العير فما اقبح هذا الصوت وما اسمج هذا الامر فانزل
الله عز وجل ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الاية وانزل واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا
ذلك بانهم قوم لا يعقلون يعني ان هزوهم ولعبهم من افعال السفها والجهال الذين لا عقل لهم قوله
تعالى قل يا اهل الكتاب الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني قل يا محمد لهولا اليهود والنصارى
الذين اتخذوا دينك هزوا ولعبا هل تنقمون منا يعني هل تكرهون منا او تعيبون علينا الا ان
امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وهذا على سبيل التعجب من فعل اهل الكتاب والمعنى
هل تجدون علينا في الدين الا الايمان وبما انزل الينا وما انزل على جميع الانبيا من قبل وهذا ليس
مما ينكر او ينقم منه وهذا كما قال بعضهم ٭ ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ٭ بهن فلول من قراع الكتايب ٭
يعني انه ليس فيهم عيب الا ذلك وهذا ليس بعيب بل هو مدح عظيم قال ابن عباس اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم نفر من اليهود فيهم ابو ياسر بن اخطب ورافع بن ابي رافع وعازر وزيد وخالد وازار بن ابي
ازار واشيع فسالوه عن من يومن به من الرسل فقال اومن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب الى قوله ونحن له مسلمون الاية فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله لا
نومن بمن امن به فانزل الله هذه الاية وقيل انهم قالوا والله ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة
منكم ولا دينا شرا من دينكم فانزل الله هذه الاية قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما
انزل الينا وما انزل من قبل وهذا هو ديننا الحق وطريقنا المستقيم فلم تنقموه علينا وان اكثركم فاسقون
يعني انكم انما كرهتم ايماننا ونقمتموه علينا مع علمكم بانا على الحق بسبب فسقكم واقامتكم على الدين الباطل
لحب الرياسة ولاخذ الاموال بالباطل وانما قال اكثرهم لان الله علم ان من اهل الكتاب من يومن بالله
وبرسوله قوله عز وجل قل هل انبيكم بشر من ذلك هذا جواب لليهود حين قالوا ما نعرف دينا شرا من
دينكم والمعنى قل يا محمد لهولا اليهود الذين قالوا هذه المقالة هل اخبركم بشر من ذلك الذي ذكرتم ونقمتم
علينا من ايماننا بالله وبما انزل علينا مثوبة عند الله يعني جزا فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان
لانها في معنى الثواب فكيف جاءت في الاساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله تحية
بينهم ضرب وجيع ومنه قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم والمعنى قل هل انبيكم بشر من اهل ذلك الدين مثوبة
فان قلت هذا يقتضي ان الموصوفين بذلك الدين محكوم عليهم بالشر لانه تعالى قال بشر من ذلك ومعلوم
ان الامر ليس كذلك فما جوابه قلت جوابه ان الكلام خرج على حسب قولهم واعتقادهم فان اليهود حكموا
بان اعتقادهم ذلك الدين شر فقيل لهم هب ان الامر كذلك لكن من لعنه الله وغضب عليه ومسخ صورته شر من
ذلك وقوله تعالى من لعنه الله معناه هل انبيكم بمن لعنه الله او بشر من لعنه الله ومعنى لعنه الله ابعده
وطرده عن رحمته وغضب عليه يعني وانتقم منه لان الغضب ارادة الانتقام من العصاة وجعل منهم
القردة والخنازير يعني من اليهود من لعنه الله وغضب عليه ومنهم من جعلهم قردة وخنازير قال ابن
عباس ان الممسوخين كلاهما في اصحاب السبت فشبابهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وقيل ان مسخ
القردة كان في اصحاب السبت من اليهود ومسخ الخنازير كان في الذين كفروا بعد نزول المايدة في زمن عيسى
عليه السلام ولما نزلت هذه الاية عير المسلمون اليهود وقالوا لهم يا اخوان القردة والخنازير فافتضحوا
بذلك وعبد الطاغوت يعني وجعل منهم عبد الطاغوت يعني من اطاع الشيطان فيما سول له والطاغوت
هو الشيطان وقيل هو العجل وقيل هو الكهان والاحبار وجملته ان كل من اطاع احدا في معصية الله

فقد عبده وهو الطاغوت اوليك يعني الملعونين والمغضوب عليهم والممسوخين شر مكانا يعني من
غيرهم ونسب الشر الى المكان والمراد به اهله فهو من باب الكناية وقيل اراد ان مكانهم سقر ولا مكان
اشد شرا منه واضل عن سوا السبيل يعني واخطا عن قصد طريق الحق قوله تعالى واذا جاوكم قالوا
امنا قال قتادة نزلت في اناس من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم
مومنون راضون بالذي جا به وهم متمسكون بضلالتهم وكفرهم فكان هولا يظهرون الايمان وهم
في ذلك منافقون فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بحالهم وشانهم وقد دخلوا بالكفر
وهم قد خرجوا به يعني انهم دخلوا اليك كافرين وخرجوا كما دخلوا كافرين لم يتعلق بقلوبهم شي من الايمان
فهم كافرون في حالتي الدخول والخروج والله اعلم بما كانوا يكتمون يعني من الكفر الذي في قلوبهم
قوله عز وجل وترى كثيرا منهم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وترى يا محمد كثيرا من اليهود
وكلمة من يحتمل ان تكون للتبعيض ولعل ان هذه الافعال المذكورة في هذه الاية ما كان يفعلها
كل اليهود فلهذا قال تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون والمسارعة في الشي المبادرة اليه بسرعة
لكن لفظة المسارعة انما تستعمل في الخير ومنه قوله تعالى يسارعون في الخيرات وضدها العجلة
وتقال في الشر في الاغلب وانما ذكرت لفظة المسارعة في قوله يسارعون في الاثم والعدوان
واكلهم السحت لفايدة وهي انهم كانوا يقدمون على هذه المنكرات كانهم محقون فيها والاثم اسم جامع
لجميع المعاصي والمنهيات فيدخل تحته العدوان واكل السحت فلما ذكر الله العدوان واكل السحت
بعد الاثم والمعاصي وقيل الاثم ما كتموا من التوراة والعدوان ما زادوا فيها والسحت هو الرشى وما
كانوا ياكلونه من غير وجهه لبيس ما كانوا يعملون يعني لبيس العمل كان هولا اليهود يعملون وهو
مسارعتهم الى الاثم والعدوان واكلهم السحت قوله تعالى لولا يعني هلا وهي هنا بمعنى التحضيض
والتوبيخ ينهاهم الربانيون والاحبار قال الحسن الربانيون علما اهل الانجيل والاحبار علما اهل
التوراة وقال غيره كلهم من اليهود لانه متصل بذكرهم عن قولهم الاثم يعني الكذب واكلهم السحت
والمعنى هلا نهى الاحبار والرهبان واليهود عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبيس ما كانوا يصنعون يعني
الاحبار والرهبان اذ لم ينهوا غيرهم عن المعاصي وهذا يدل على ان ترك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه
لان الله تعالى ذم الفريقين في هذه الاية قال ابن عباس ما في القران اشد توبيخا من هذه الاية
وقال الضحاك ما في القران اية اخوف عندي منها قوله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة
نزلت هذه الاية في فنحاص اليهودي قال ابن عباس ان الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من
اكثر الناس اموالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوا به كف عنهم ما
بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص يد الله مغلولة يعني محبوسة مقبوضة عن الرزق
والبذل والعطا فنسبوا الله تعالى الى البخل والقبض تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ولما قال هذه
المقالة الخبيثة فنحاص ولم ينهه بقية اليهود ورضوا بقوله لا جرم ان الله تعالى اشركهم معه في هذه
المقالة فقال تعالى اخبارا عنهم وقالت اليهود يد الله مغلولة يعني نعمته مقبوضة عنا وقيل معناه
يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا بقدر ما يبر به قسمه وذلك قدر ما عبد اباونا العجل
والقول الاول اصح لقوله ينفق كيف يشا واعلم ان غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود بدليل قوله
تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والسبب ان

اليد آلة لكل الاعمال لا سيما لدفع المال والفائدة وامساكه فاطلقوا اسم السبب على المسبب واسندوا
الجود والبخل الى اليد مجازا فقيل للجواد الكريم فياض اليد ومبسوط اليد وقيل للبخيل مقبوض اليد وقوله
تعالى **غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا** يعني امسكت ايديهم عن كل خير وطردوا عن رحمة الله وقال الزجاج
رد الله تعالى عليهم فقال انا الجواد الكريم وهم البخلاء وايديهم هي المغلولة الممسوكة وقيل هذا دعا على اليهود
علمنا الله كيف ندعوا عليهم وقال غلت ايديهم في نار جهنم فعلى هذا هو من الغل حقيقة اي شدت
ايديهم الى اعناقهم وطرحوا في النار جزاء لهم على هذا القول ومعنى لعنوا بما قالوا عذبوا بسبب ما قالوا
فمن لعنتهم انهم مسخوا في الدنيا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة والجزية وفي الآخرة لهم
عذاب النار وقوله تعالى **بل يداه مبسوطتان** يعني ان الله تعالى جواد كريم ينفق كيف يشاء وهذا
جواب لليهود ورد عليهم عما افتروه واختلقوه على الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وانما اجيبوا بهذا
الجواب على قدر كلامهم واما الكلام في اليد فقد اختلف العلماء في معناها على قولين احدهما وهو مذهب
جمهور السلف وعلماء اهل السنة وبعض المتكلمين ان يد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر
والوجه فيجب علينا الايمان بها والتسليم ونمرها كما جاءت في الكتاب والسنة بلا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل
قال الله تعالى لما خلقت بيدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين والقول
الثاني قول جمهور المتكلمين واهل التاويل فانهم قالوا اليد تذكر في اللغة على وجوه احدها الجارحة
وهي معلولة وثانيها النعمة يقال لفلان عندي يد اشكره عليها وثالثها القدرة قال الله تعالى اولي
الايدي والابصار فسروه بذوي القوى والعقول ويقال لي يدان لك بهذا الامر والمعنى سلب كمال
القدرة ورابعها الملك يقال هذه الضيعة في يد فلان اي في ملكه ومنه قوله تعالى الذي بيده
عقدة النكاح اي يملك ذلك اما الجارحة فمنتفية في صفة الله عز وجل لان العقل دل على انه يمتنع
ان تكون يد الله عبارة عن جسم مخصوص وعضو مركب من الاجزاء والابعاض تعالى الله عن الجسمية والكيفية
والتشبيه علوا كبيرا فامتنع بذلك ان تكون يد الله بمعنى الجارحة واما سائر المعاني التي فسرت اليد
بها فحاصلة لان اكثر العلماء من المتكلمين زعموا ان اليد في حق الله عبارة عن القدرة وعن الملك وعن
النعمة وهاهنا اشكالان احدهما ان اليد اذا فسرت انها بمعنى القدرة فقدرة الله واحدة ونص
القرآن ناطق باثبات اليدين في قوله بل يداه مبسوطتان واجيب عن هذا الاشكال بان اليهود
لما جعلوا قولهم يد الله مغلولة كناية عن البخل اجيبوا على وفق كلامهم فقال بل يداه مبسوطتان
اي ليس الامر كما وصفتموه من البخل بل هو جواد كريم على سبيل الكمال فان من اعطى بيديه فقد اعطى
على اكمل الوجوه الاشكال الثاني ان اليد اذا فسرت بالنعمة فنص القرآن ناطق باثبات اليدين ونعم الله
غير محصورة ولا معدودة ومنه قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واجيب عن هذا الاشكال
بان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل يد واحد من الجنسين انواع كثيرة لا نهاية لها مثل نعمة الدنيا
ونعمة الدين ونعمة الظاهر ونعمة الباطن ونعمة النفع ونعمة الدفع فالمراد بالتثنية المبالغة في
وصف النعمة اجاب اصحاب القول الاول عن هذا بان قالوا ان الله تعالى اخبر ان آدم انه خلقه بيده
ولو كان معنى خلقه لآدم بقدرته وبنعمته او بملكه لم يكن لخصوصية آدم بذلك وجه مفهوم لان جميع
خلقه مخلوقون بقدرته وجميعهم في ملكه ومتقلبين في نعمه فلما خص الله آدم عليه السلام بقوله تعالى
لما خلقت بيدي دون خلقه علم بذلك اختصاصه وتشريفه على غيره ونقل الامام فخر الدين الرازي

عن ابي

عن ابي الحسن الاشعري قولا ان اليد صفة قائمة بذات الله وهي صفة سوى القدرة من شانها التكوين
على سبيل الاصطفا قال والذي يدل عليه انه تعالى جعل وقوع خلق آدم بيديه على سبيل الكرامة
لآدم واصطفائه له فلو كانت اليد عبارة عن القدرة امتنع كون آدم مصطفى بذلك لان ذلك
حاصل في جميع المخلوقات فلابد من اثبات صفة اخرى وراء القدرة يقع بها الخلق والتكوين على سبيل
الاصطفا هذا آخر كلامه واجيب عن قولهم بان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت واحد من
الجنسين انواع كثيرة لان الاسم اذا ثني لا يودي الا عن اثنين باعيانهما دون الجمع ولا يودي عن
الجنس ايضا قالوا وخطا في كلام العرب ان يقال ما اكثر الدرهمين في ايدي الناس بمعنى ما اكثر الدراهم
في ايديهم لان الدراهم اذا ثني لا يودي في كلام العرب الا عن اثنين باعيانهما ولكن الواحد يودي عن
جنسه كما تقول العرب ما اكثر الدرهم في ايدي الناس بمعنى ما اكثر الدراهم في ايديهم لان الواحد
يودي عن الجميع فثبت بهذا البيان قول من قال ان اليد صفة لله تعالى تليق بجلاله وانها ليست
بجارحة كما تقول المجسمة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وقوله تعالى **ينفق كيف يشا** يعني انه يرزق
كما يريد ويختار فيوسع على من يشا ويقتر على من يشا لا اعتراض عليه في ملكه ولا فيما يفعله عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق انفق عليك وقال يد الله
تعالى ملأى لا تغيضها نفقة سحا الليل والنهار ارايتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم
ينقص ما بيده وكان عرشه على الما وبيده الميزان يرفع ويخفض وهذا الحديث ايضا احد احاديث
الصفات فيجب الايمان به وامراره كما جاء من غير تشبيه ولا تكييف وقوله تعالى **وليزيدن كثيرا منهم
ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا** يعني كلما نزلت عليك آية من القرآن كفروا بها فازدادوا شدة في
كفرهم وطغيانا مع طغيانهم والمراد بالكثير علما اليهود وقيل اقامتهم على كفرهم زيادة منهم فيه **والقينا
بينهم العداوة والبغضا الى يوم القيمة** يعني القينا العداوة والبغضا بين اليهود والنصارى
وقيل المعنى ذلك بين طوائف اليهود فجعلهم مختلفين في دينهم متعادين متباغضين الى يوم القيمة
فان بعض اليهود جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مشبهة وكذلك النصارى فرقا كالملكية
والنسطورية واليعقوبية والمارونية فان قلت فهذا المعنى ايضا حاصل بين فرق المسلمين فكيف
يكون ذلك عيبا على اليهود والنصارى حتى يذموا به قلت هذه البدع التي حدثت في المسلمين انما
حدثت بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة والتابعين اما في الصدر الاول فلم يكن
شي من ذلك حاصلا بينهم فحسن جعل ذلك عيبا على اليهود والنصارى في ذلك العصر الذي نزل فيه
القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى **كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله**
يعني كلما افسدوا اليهود وخالفوا حكم الله تعالى يبعث الله من يهلكهم فافسدوا فبعث عليهم بخت نصر
البابلي ثم افسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومي ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم الفرس
ثم افسدوا وقالوا يد الله مغلولة فبعث الله المسلمين فلا يزال اليهود في ذلة ابدا وقال مجاهد
معنى الآية كلما مكروا مكرا في حرب محمد صلى الله عليه وسلم اطفاه الله تعالى وقال السدي كلما اجمعوا
امرهم على شي ليفسدوا به امر محمد صلى الله عليه وسلم فرقه الله وكلما اوقدوا نارا في حرب محمد صلى الله
عليه وسلم اطفاها الله واخمد نارهم واطفا حسدهم وقذف في قلوبهم الرعب وقهرهم ونصر نبيه
ودينه **ويسعون في الارض فسادا** يعني ويجتهدون في دفع الاسلام ومحو ذكر محمد صلى الله عليه وسلم

من كيدهم وقيل انهم يسعون بالمكر والكيد والحيل ليس يقدرون على غير ذلك **والله لا يحب المفسدين** يعني
ان الله لا يحب من كان هذه صفته قال قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس فيها وهم
ابغض خلق الله اليه قوله تعالى **ولو ان اهل الكتاب امنوا** يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه فيما جاء به
واتقوا يعني اليهودية والنصرانية **لكفرنا عنهم سياتهم** يعني لمحونا عنهم ذنوبهم التي عملوها قبل الاسلام
يجب ما قبله **ولادخلناهم جنات النعيم** يعني مع المسلمين يوم القيمة **ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل**
يعني اقاموا احكامهما وحدودهما وعملوا بما فيهما من الوفا بالعهود والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم
لان نعته وصفته موجود فيهما فان قلت كيف يامر اهل الكتاب باقامة التوراة والانجيل مع انهما
نسخا وبدلا قلت انما امرهم الله تعالى باقامة ما فيهما من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته
وهذا غير منسوخ لانه موافق لما في القران وقوله تعالى **وما انزل اليهم من ربهم** فيه قولان احدهما ان
المراد به كتب انبيائهم القديمة مثل كتاب شعيا وكتاب دنيال وزبور داود وفي هذه الكتب ايضا ذكر محمد
صلى الله عليه وسلم فيكون المراد باقامة هذه الكتب الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقول الثاني ان المراد
بما انزل اليهم من ربهم هو القران لانهم مامورون بالايمان فكانه نزل اليهم من ربهم **لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم**
يعني ان اليهود لما اصروا على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وثبتوا على يهوديتهم وكفرهم اصابهم الله بالقحط والشدة
حتى بلغوا الى حيث قالوا يد الله مغلولة فاخبر الله تعالى انهم لو تركوا اليهودية والكفر الذي هم عليه لانقلبت
تلك الشدة بالخصب والسعة وهو قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم قال ابن عباس يعني لانزلت
عليهم المطر واخرجت لهم النبات والمراد من ذلك توسعة الرزق عليهم **منهم امة مقتصدة** اي عادلة والاقتصاد
الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير واصله من القصد لان من عرف مقصوده طلبه من غير اعوجاج عنه
والمراد بالامة المقتصدة من امن من اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه والنجاشي واصحابه
الذين اسلموا **وكثير منهم** يعني من اهل الكتاب الذين اقاموا على كفرهم مثل كعب بن الاشرف ورؤسا اليهود **ساء
ما يعملون** يعني بئس ما يعملون من اقامتهم على كفرهم قال ابن عباس عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبي صلى
الله عليه وسلم قوله عز وجل **يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك** الاية روي عن الحسن ان الله
تعالى لما بعث رسوله صلى الله عليه وسلم ضاق ذرعا وعرف ان من الناس من يكذبه فانزل الله هذه الاية
وقيل نزلت في عيب اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الاسلام فقالوا اسلمنا قبلك وجعلوا
يستهزؤن به ويقولون تريد ان نتخذك حنانا كما اتخذ النصارى عيسى حنانا فلما راى النبي صلى الله عليه
وسلم ذلك منهم سكت فانزل الله هذه الاية وامره بان يقول لهم يا اهل الكتاب لستم على شيء الاية
وقيل نزلت هذه الاية في امر الجهاد وذلك ان المنافقين كرهوه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمسك
في بعض الاحايين عن الحث على الجهاد لما علم من كراهية بعضهم له فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت
في قصة الرجم والقصاص وما سال عنه اليهود ومعنى الاية يا ايها الرسول بلغ جميع ما انزل اليك
من ربك مجاهرا به ولا تراقبن احدا ولا تترك شيا مما انزل اليك من ربك وان اخفيت شيا من ذلك في
وقت من الاوقات فما بلغت رسالته وهو قوله تعالى **وان لم تفعل فما بلغت رسالته** وقرئ رسالاته
قال ابن عباس يعني ان كتمت اية مما انزل اليك من ربك لم تبلغ رسالتي يعني انه صلى الله عليه وسلم
لو ترك ابلاغ البعض كان كمن لم يبلغ شيا مما انزل الله اليه وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يكتم شيا مما اوحي اليه **روى** مسروق عن عايشة قالت ومن حدثك ان رسول الله كتم شيا مما انزل اليه

فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك اخرجاه في الصحيحين بزيادة فيه وقوله
تعالى **والله يعصمك من الناس** يعني يحفظك يا محمد ويمنعك منهم والمراد بالناس هنا الكفار فان قلت
اليس قد شج راسه وكسرت رباعيته يوم احد وقد اوذي بضروب من الاذى فكيف يجمع بين ذلك وبين
قوله والله يعصمك من الناس قلت المراد منه انه يعصمه من القتل فلا يقدر عليه احد اراده بالقتل
ويدل على صحة ذلك ما روي عن جابر انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل رسول
الله صلى الله عليه وسلم قفل معه فادركتهم القايلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة فعلق بها سيفه
ونمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا واذا عنده اعرابي فقال ان هذا اخترط
علي سيفي وانا نايم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال من يمنعك مني فقلت الله ثلاثا ولم يعاقبه
وجلس وفي رواية اخرى قال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فاذا اتينا على
شجرة ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه
وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافني فقال لا فقال فمن يمنعك مني قال الله فتهدده اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين وزاد البخاري في رواية له ان اسم ذلك الرجل غورث
ابن الحارث **ق** عن عايشة قالت سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة ليلة فقال ليت
رجلا صالحا من اصحابي يحرسني الليلة قالت فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة السلاح فقال من هذا
قال سعد بن ابي وقاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك فقال وقع في نفسي خوف على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجيت احرسه فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام **وعن** عايشة
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس ليلا حتى نزلت والله يعصمك من الناس فاخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة فقال لهم ايها الناس انصرفوا فقد عصمني الله اخرجه الترمذي
وقال هذا حديث غريب وقيل في الجواب عن هذا ان هذه الاية نزلت بعدما شج راسه في يوم
احد لان سورة المايدة من اخر القران نزولا وقوله **ان الله لا يهدي القوم الكافرين** قال ابن
عباس معناه لا يرشد من كذبك واعرض عنك وقال ابن جرير الطبري معناه ان الله لا يوفق للرشد من
حاد عن سبيل الحق وجار عن قصد السبيل وجحد ما جيت به من عند الله ولم ينته الى امر الله وطاعته فيما
فرض عليه واوجبه قوله تعالى **قل يا اهل الكتاب لستم على شيء** يعني قل يا محمد لهولاء اليهود والنصارى
لستم على شيء من الدين الحق المرضي عند الله ولستم على شيء مما تدعون انكم عليه مما جاكم به موسى عليه
السلام يا معشر اليهود ولا ما جاكم به عيسى يا معشر النصارى فانكم احدثتم وغيرتم قال ابن عباس جاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حرملة فقالوا يا محمد
الست تزعم انك على ملة ابراهيم ودينه وتومن بما عندنا من التوراة وتشهد انها حق فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بلى ولكنكم احدثتم وجحدتم ما فيها مما اخذ عليكم من الميثاق وكتمتم منها ما امرتم
ان تبينوه للناس فانا بريء من احداثكم قالوا فانا ناخذ بما في ايدينا فانا على الحق والهدى ولا
نومن لك ولا نتبعك فانزل الله عز وجل قل يا اهل الكتاب لستم على شيء **حتى تقيموا التوراة
والانجيل وما انزل اليكم من ربكم** الاية وقد تقدم معنى اقامة التوراة والانجيل وانه يلزمهم العمل
بما فيهما ومنه الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وتقدم تفسير ما انزل اليكم من ربكم **وليزيدن كثيرا**

منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا وقوله تعالى يجحدوا نبوتك ولم يومنوا بك فانما يعود ذلك ضرر
ذلك الكفر عليهم قوله عز وجل ان الذين امنوا والذين هادوا والصابيون والنصارى لما بين الله
عز وجل ان اهل الكتاب لستم على شي ما لم يومنوا بين في هذه الاية ان هذا الحكم عام في كل اهل الملل وانه
لا يحصل لاحد منهم فضيلة ولا منقبة الا اذا امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا يرضاه ومن العمل الصالح
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه لا يتم الايمان الا به وقد تقدم تفسير هذه الاية في سورة البقرة
وقوله تعالى والصابيون فظاهر الاعراب يقتضي ان يقال والصابيين وكذا قراه ابي بن كعب وابن مسعود
وقراة الجمهور بالرفع ومذهب الخليل وسيبويه انه ارتفع الصابيون بالابتدا على نية التاخير كانه قيل
ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون والصابيون كذلك فحذف خبره والفايدة في ذكر عطفهم على من قبلهم ان الصابيين اشد
الفرق المذكورين في هذه الاية ضلالا فكانه قال كل هولاء الفرق اذا امنوا واتقوا واتوا العمل الصالح قبل
الله توبتهم حتى الصابيون فانهم اذا امنوا كانوا ايضا كذلك وانما سموا صابيين لانهم صبوا عن الاديان
كلها يعني خرجوا لانهم صبوا الى اتباع الهوا والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ما جات به الرسل من عند الله
فان قلت قد قال الله تعالى في اول الاية ان الذين امنوا ثم قال في اخر الاية من امن فما فايدة هذا
التكرار قلت فايدته ان المنافقين كانوا يظهرون ويزعمون انهم مومنون ففي هذا التكرار اخراجهم
من قبيل المومنين فيكون معنى ان الذين امنوا بالسنتهم لا بقلوبهم ثم قال من امن يعني من ثبت على ايمانه
ورجع عن نفاقه منهم وقيل فيه فايدة اخرى وهي ان الايمان يدخل تحته اقسام كثيرة واشرفها الايمان بالله
واليوم الاخر ففايدة التكرار التنبيه على ان اشرف اقسام الايمان هذان القسمان وفي قوله من
امن بالله حذف تقديره من امن بالله واليوم الاخر منهم وانما حسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامع
وعمل صالحا يعني وضم الى ايمانه العمل الصالح وهو الذي يراد به وجه الله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون يعني في الاخرة قوله عز وجل لقد اخذنا ميثاق بني اسرايل يعني لقد اخذنا العهود عليهم في التوراة
بان يعملوا بما فيها من التوحيد والعمل بما امرناهم به والانتها عما نهيناهم عنه وارسلنا اليهم رسلا
يعني لبيان الشرايع والاحكام كلما جاهم رسول بما لا تهوى انفسهم يعني بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم
من مشاق التكليف والعمل بالشرايع فريقا كذبوا يعني من الرسل الذين جاهم وفريقا يقتلون يعني
من الرسل فكان فيمن كذبوا عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وكان فيمن قتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام
وانما فعلوا ذلك نقضا للميثاق وجراة على الله عز وجل ومخالفة لامره قوله تعالى وحسبوا يعني وظن
هولا الذين كذبوا الرسل وقتلوا الانبيا الا تكون فتنة يعني ان لا يعذبهم الله ولا يبتليهم بذلك
الذي فعلوه وانما حملهم على هذا الظن الفاسد انهم كانوا يعتقدون ان كل رسول جاهم بشرع اخر
غير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقتله فلهذا السبب حسبوا ان لا يكون فعلهم ذلك فتنة يبتلوا
بها وقيل انما اقدموا على ذلك لاعتقادهم ان اباهم واسلافهم يدفعون عنهم العذاب في الاخرة فعموا
وصموا يعني انهم عموا عن الحق فلم يبصروه وصموا عنه فلم يسمعوه وهذا المعنى هو كناية عن عمى البصيرة
لا البصر وكذلك الصمم هو كناية عن منع نفوذ الحق الى قلوبهم وسبب ذلك شدة جهلهم وقوة كفرهم
واعراضهم عن قبول الحق قال بعض المفسرين سبب هذا العمى والصمم عبادتهم العجل في زمن موسى عليه السلام
ثم تاب الله عليهم يعني انهم لما تابوا من عبادتهم العجل تاب الله عليهم ثم عموا وصموا يعني بذلك في

فلا تاس على القوم الكافرين يعني ولا تحزن يا محمد على هولا اليهود الذين صح

زمان

في زمان زكريا ويحيى وعيسى عليهما السلام لانهم كذبوهم وقتلوا زكريا ويحيى وقيل ان العمى والصمم
الاول كان بعد موسى ثم تاب الله عليهم يعني ببعثة عيسى عليه السلام ثم عموا وصموا يعني بسبب
الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم كثير منهم من اليهود لان بعضهم امن بمحمد صلى الله عليه وسلم مثل عبد الله بن
سلام واصحابه والله بصير بما يعملون يعني من قتل الانبيا وتكذيب الرسل قوله عز وجل لقد كفر الذين
قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم لما حكى الله عن اليهود ما حكاه من نقضهم الميثاق وقتلهم الانبيا
وتكذيبهم الرسل وغير ذلك شرع في الاخبار عن كفر النصارى وما هم عليه من فساد الاعتقاد فقال
تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية والملكية من النصارى
لانهم يقولون ان مريم ولدت الها لانهم يقولون ان الاله حل في ذات عيسى واتحد به فصار الها
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال المسيح يا بني اسرايل اعبدوا الله ربي وربكم يعني وقد كان
المسيح يقول هذا لبني اسرايل عند مبعثه اليهم وهذا التنبيه على ما هو الحجة القاطعة على فساد قول
النصارى وذلك لانه عليه السلام لم يفرق بينه وبين غيره في العبودية والاقرار لله بالربوبية وان
دلايل الحدوث ظاهرة عليه انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة يعني انه من يجعل له شريكا
من خلقه فقد حرم الله عليه الجنة يعني اذا مات على شركه وماواه النار يعني وانه يصير الى النار
في الاخرة وما للظالمين يعني وما للمشركين الذين ظلموا انفسهم بالشرك من انصار يعني ما لهم من انصار ينصرونهم
ويمنعونهم من العذاب يوم القيمة قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وهذا قول
المرقوسية والنسطورية من النصارى وفي تفسير قول النصارى طريقان احدهما وهو قول المفسرين انهم ارادوا
بهذه المقالة ان الله ومريم وعيسى الهة ثلاثة وان الالهية مشتركة بينهم وان كل واحد منهم اله ويبين ذلك
قوله تعالى للمسيح أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فقوله ثالث ثلاثة فيه اضمار تقديره
ان الله احد ثلاثة الالهة او واحد من ثلاثة الهة قال الواحدي ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة
ولم يرد به انه ثالث ثلاثة الالهة لانه ما من اثنين الا والله ثالثهما بالعلم ويدل عليه قوله ما يكون من
نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما ظنك
باثنين الله ثالثهما والطريق الثاني ان المتكلمين حكوا عن النصارى انهم يقولون جوهر واحد ثلاثة اقانيم
اب وابن وروح القدس وهذه الثلاثة اله واحد كما ان الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا
بالاب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة واثبتوا الذات والكلمة والحياة وقالوا ان الكلمة التي هي
كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الما باللبن وزعموا ان الاب اله والابن اله والروح اله والكل
اله واحد واعلم ان هذا الكلام معلوم البطلان ببديهة العقل فان الثلاثة لا يكون واحدا والواحد
لا يكون ثلاثة ولا نرى في الدنيا مقالة اشد فسادا ولا اظهر بطلانا من مقالة النصارى وعلى هذا
فالذي اخبر الله عنهم في قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة فهذا معنى مذهبهم وان لم يصرحوا
بانه واحد من ثلاثة الهة فذلك لازم لهم وانما يمتنعون من هذه العبارة لانهم اذا قالوا ان كل واحد
من الاقانيم اله فقد جعلوه ثالث ثلاثة وقولهم بعد هذا هو اله واحد فيه مناقضة لما قالوا اولا
فهذا بيان فساد قول النصارى ثم رد الله عز وجل عليهم فقال تعالى وما من اله الا اله واحد يعني انه
ليس في الوجود اله واحد موصوف بالوحدانية لا ثاني له ولا شريك له ولا والد له ولا صاحبة له الا الله
تعالى وان لم ينتهوا عما يقولون يعني وان لم ينته النصارى عن هذه المقالة الخبيثة ليمسن

الذين كفروا منهم عذاب اليم يعني ليصيبن الذين اقاموا على هذا القول الخبيث وهذا الدين الذي ليس بمرضي عذاب وجيع في الاخرة وانما قال تعالى منهم لعلمه لتا بوا ان من النصارى من سيومن ويخلص ويترك هذا القول ويعلم انه فاسد ثم ندب سائر النصارى الى التوبة من هذه المقالة الخبيثة فقال تعالى افلا يتوبون الى الله يعني من قولهم بالتثليث ويستغفرونه وهذا استفهام بمعنى الامر اي توبوا الى الله واستغفروه من هذا الذنب العظيم فانه تعالى يغفر الذنوب والله غفور يعني لمن استغفره وتاب اليه رحيم به وبسائر خلقه قوله عز وجل ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل يعني ان المسيح رسول من الله عز وجل ليس باله كما ان الرسل الذين كانوا من قبله لم يكونوا الهة واتى عيسى عليه السلام بالمعجز الدالة على صدقه كما ان الذين قبله اتوا بالمعجزات الدالة على صدقهم وامه صديقة يعني انها كثيرة الصدق وقيل سميت مريم صديقة لانها صدقت بايات ربها وكتبه وقوله تعالى كانا ياكلان الطعام فيه احتجاج على فساد قول النصارى بالهية المسيح يعني ان المسيح وامه مريم كانا بشرين ياكلان الطعام ويعيشان به كسائر بني ادم فكيف يكون الها من يحتاج الى الطعام ولا يعيش الا به وقيل معناه انه لو كان الها كما زعموا لدفع عن نفسه وقيل هذا كناية عن الحدث وذلك ان من اكل وشرب فلا بد له من الغائط والبول ومن كانت هذه صفته فكيف يكون الها وبالجملة فان فساد قول النصارى اظهر من ان يحتاج الى اقامة دليل عليه ثم قال تعالى انظر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي انظر يا محمد كيف نبين لهم الايات يعني الدالة على بطلان قولهم ثم انظر انى يوفكون اي كيف يصرفون عن استماع الحق وقبوله قوله تعالى قل اتعبدون من دون الله الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد لهولاء النصارى اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضركم الله من البلايا والمصائب في الانفس والاموال يعني لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضركم الله به من البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولا يقدر ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم الله به من صحة الابدان وسعة الرزق فان الضار والنافع هو الله تعالى لا من تعبدون من دونه ومن لا يقدر على النفع والضر لا يكون الها والله هو السميع العليم يعني انه تعالى سميع لاقوالكم وكفركم عليم بما في صدوركم قوله عز وجل قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الغلو مجاوزة الحد وذلك ان الحق بين طرفي الافراط والتفريط فمجاوزة الحد والتقصير مذموم في الدين غير الحق يعني لا تغلوا في دينكم غلوا باطلا غير الحق وذلك انهم خالفوا الحق في دينهم ثم غلوا فيه بالاصرار عليه وكلا الفريقين من اليهود والنصارى غلوا في عيسى عليه السلام اما غلو اليهود فبالتقصير في حقه حتى نسبوه الى غير رشده واما غلو النصارى فبمجاوزة الحد في حقه حتى جعلوه الها وكلا الغلوين مذموم ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل الاهواء جمع هوى وهو ما تدعوا شهوة النفس اليه قال الشعبي ما ذكر الله تعالى الهوى في القران الا ذمه وقال ابو عبيد لم نجد الهوى يوضع الا موضع الشر لانه لا يقال فلان يهوى الخير انما يقال يحب الخير ويريده والخطاب في قوله تعالى ولا تتبعوا اهواء قوم لليهود والنصارى الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهوا عن اتباع اسلافهم فيما ابتدعوه من الضلالة باهوائهم وهو المراد بقوله اهواء قوم قد ضلوا فبين الله تعالى انهم على ضلالة واضلوا كثيرا يعني من اتبعهم على ضلالتهم واهوائهم وضلوا عن سواء السبيل يعني واخطاوا عن قصد طريق الحق قوله تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود قال اكثر المفسرين هم اصحاب السبت لما اعتدوا في السبت واصطادوا الحيتان فيه قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم قردة فمسخوا قردة وسياتي قصتهم في سورة الاعراف

وعيسى

وعيسى ابن مريم يعني وعلى لسان عيسى ابن مريم وهم كفار اصحاب المائدة لما اكلوا منها وادخروا ولم يومنوا قال عيسى عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم خنازير فمسخوا خنازير وسياتي قصتهم وقال بعض العلماء ان اليهود كانوا يفتخرون بابائهم ويقولون نحن من اولاد الانبياء فاخبر الله تعالى بانهم ملعونون على السنة الانبياء عليهم السلام وقيل ان داود وعيسى بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولعنا من يكفر به ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون يعني ذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم ثم فسر المعصية والاعتداء فقال تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اذ لا ينهى بعضهم بعضا عن المنكر وقيل معناه لا ينتهون عن معاودة منكر فعلوه ولا عن الاصرار فيه لبئس ما كانوا يفعلون اللام في لبئس لام القسم اي اقسم لبئس ما كانوا يفعلون يعني من ارتكاب المعاصي والعدوان عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه ان اول ما دخل النقص على بني اسرائيل انه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك ان يكون اكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم الى قوله فاسقون ثم قال والله لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتاخذن على يد الظالم ولتاطرنه على الحق اطرا او ليقتصرنه على الحق قصرا زاد في رواية او ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم يلعنكم كما لعنهم اخرجه ابو داود وله اخرجه الترمذي عنه فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال لا والذي نفسي بيده حتى تاطروهم على الحق اطرا قال الترمذي هذا حديث حسن غريب قوله اكيله وشريبه هو المواكل والمشارب والمقاعد فعيل بمعنى فاعل وقوله لتاطرنه الاطر العطف يعني لتعطفنه ولتردنه الى الحق الذي خالفه والقصر الحبس على الشيء قوله عز وجل ترى كثيرا منهم يعني من اليهود مثل كعب بن الاشرف واصحابه يتولون الذين كفروا يعني يوالون المشركين من اهل مكة وذلك حين خرجوا اليهم يجيشوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس معناه ترى كثيرا من المنافقين يتولون اليهود لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي بئس ما قدموا من العمل لمعادهم في الاخرة ان سخط الله عليهم يعني بما فعلوا من موالاة الكفار وفي العذاب هم خالدون يعني في الاخرة ولو كانوا يومنون بالله والنبي يعني ولو كان هولاء الذين يتولون الكفار يومنون بالله ويصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم وانه نبي مبعوث الى كافة الخلق وما انزل اليه يعني من ربه ويومنون بالقران الذي انزل اليه من ربه ما اتخذوهم اولياء يعني ما اتخذوا الكفار انصارا واعوانا من دون المومنين ولكن كثيرا منهم فاسقون يعني ولكن اكثرهم خارجون عن طاعة الله وامره وانما قال كثيرا لانه علم ان منهم من سيومن مثل عبد الله بن سلام واصحابه قوله تعالى لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا اللام في قوله لتجدن لام القسم تقديره والله يا محمد انك لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا بك وصدقوك اليهود والذين اشركوا وصف الله شدة عداوة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق وجعلهم قرناء المشركين

عبدة الاصنام في العداوة للمؤمنين وذلك حسدا منهم للمؤمنين ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا
الذين قالوا انا نصارى ووصف لين عريكة النصارى وسهولة قبولهم الحق وقال بعضهم مذهب
اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر والاذى الى من خالفهم في الدين باي طريق كان مثل القتل ونهب
المال او بانواع من المكر والكيد والحيل ومذهب النصارى خلاف اليهود فان الايذا في مذهبهم حرام
فحصل الفرق بين اليهود والنصارى وقيل ان اليهود مخصوصون بالحرص الشديد على الدنيا وطلب
الرياسة ومن كان كذلك كان شديد العداوة لغيره واما النصارى فان فيهم من هو معرض عن
الدنيا ولذاتها وترك طلب الرياسة ومن كان كذلك فانه لا يحسد احدا ولا يعاديه بل يكون
لين عريكة في طلب الحق فلهذا قال تعالى ذلك بان منهم يعني من النصارى قسيسين ورهبانا
وانهم لا يستكبرون ولم يرد به كل النصارى فان معظم النصارى في عداوة المسلمين كاليهود بل الاية
نزلت في من امن من النصارى في عداوة المسلمين مثل النجاشي واصحابه والقس والقسيسين اسم
رئيس النصارى والجمع قسيسين وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وهذا مما وقع
الوفاق به بين اللغتين يعني العربية والرومية واما الرهبان فهو جمع راهب وقيل الرهبان واحد
وجمعه رهابين وهم سكان الصوامع فان قلت كيف مدحهم الله بذلك مع قوله ورهبانية ابتدعوها
قلت انما مدحهم في مقابلة ذم اليهود ووصفهم بشدة العداوة للمؤمنين ولا يلزم من هذا القدر
ان يكون مدحا على الاطلاق وقيل انما مدح من امن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فوصفهم بالتمسك
بدين عيسى الى ان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنوا به واتبعوه فان قلت كفر النصارى
اشد واغلظ من كفر اليهود واقبح لان النصارى يتنازعون في الالهيات فيدعون ان لله ولدا
واليهود انما يتنازعون في النبوات فينكرون بعض النبيين ويكفرون ببعضهم والاول اقبح فلم ذم
اليهود ومدح النصارى قلت انما هو مدح في مقابلة ذم وليس هو مدحا على الاطلاق وقد تقدم
الفرق بين شدة عداوة اليهود ولين النصارى فلذلك ذم اليهود ومدح النصارى الذين امنوا
منهم واختلف العلما في من نزلت هذه الاية فقيل نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه اصحمة
والصحابة الذين اسلموا معه **ذكر قصة الهجرة الاولى** وسبب نزول هذه الاية قال
ابن عباس وغيره من المفسرين في قوله تعالى ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى
قالوا ان قريشا ائتمرت ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثب كل قبيلة على من امن منهم فاذوهم وعذبوهم
فافتتن من افتتن منهم وعصم الله من شاء منهم ومنع الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بعمه ابي طالب
فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل باصحابه ولم يقدر ان يمنعهم من المشركين ولم يؤمر بعد
بالجهاد امر اصحابه بالخروج الى ارض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احد
فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فخرج اليها احد عشر رجلا واربع نسوة سرا وهم عثمان
ابن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبد الله بن
مسعود وعبد الرحمن بن عوف وابو حذيفة بن عتبة وامراته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب بن عمير
وابو سلمة بن عبد الاسد وزوجته ام سلمة بنت امية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامراته ليلى بنت
ابي حثمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضا فخرجوا الى البحر واخذوا سفينة بنصف دينار الى ارض الحبشة
وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة الاولى ثم خرج بعدهم

جعفر بن ابي طالب وتتابع المسلمون فكان جميع من هاجر الى ارض الحبشة من المسلمين اثنان وثمانون رجلا
سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه بهدايا الى النجاشي وبطارقته
ليردهم اليهم فدخل اليه عمرو وقال له ايها الملك انه قد خرج فينا رجل سفه عقول قريش واحلامها
وزعم انه نبي وانه قد بعث اليك رهطا من اصحابه ليفسدوا عليك قومك فاحببنا ان ناتيك ونخبرك
خبرهم وان قومهم يسالونك ان تردهم اليهم فقال حتى نسالهم فامر بهم فاحضروا فلما اتوا باب النجاشي
قالوا استاذن اولياء الله فقال ائذنوا لهم فمرحبا باولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط
من المشركين ايها الملك الا ترى انا صدقناك انهم لم يحيوك بتحيتك التي تحيا بها فقال لهم الملك
ما منعكم ان تحيوني بتحيتي فقالوا له انا حييناك بتحية اهل الجنة وتحية الملائكة فقال لهم النجاشي
ما يقول صاحبكم في عيسى وامه فقال جعفر بن ابي طالب يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح
منه القاها الى مريم العذراء ويقول في مريم انها العذراء البتول قال فاخذ النجاشي عودا من الارض
وقال والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذا العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم
فقال هل تعرفون شيا مما انزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقروا فقرا جعفر سورة مريم وهناك قسيسون
ورهبان وسائر النصارى فعرفوا ما قرا فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق فانزل الله فيهم ذلك بان
منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون الى اخر الايتين فقال النجاشي لجعفر واصحابه اذهبوا فانتم
سيوم بارضي يعني امنون فرجع عمرو وصاحبه خائبين واقام المسلمون عند النجاشي بخير دار وخير
جوار الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلا امره وقهر اعداه وذلك في سنة
ست من الهجرة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على يد عمرو بن امية الضمري ان يزوجه
ام حبيبة بنت ابي سفيان وكانت قد هاجرت مع زوجها ومات عنها فارسل النجاشي جارية يقال
لها ابرهة الى ام حبيبة تخبرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خطبها فسرت بذلك واعطت
الجارية اوضاحا كانت لها واذنت لخالد بن سعيد في نكاحها فانكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم
على صداق مبلغه اربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي وانفذ
اليها بجميع الصداق على يد جاريته ابرهة فلما جاءتها بالدنانير وهبتها منها خمسين دينارا فلم تاخذ
وقالت ان الملك امرني ان لا اخذ منك شيا وقالت انا صاحبة دهن الملك وثيابه وقد صدقت محمدا
صلى الله عليه وسلم وامنت به وحاجتي اليك ان تقريه مني السلام قالت نعم وقالت قد امر الملك
نساءه ان يبعثن اليك بما عندهن من دهن وعود فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عندها
فلا ينكره قالت ام حبيبة فخرجنا الى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فخرج من
خرج اليه ممن قدم من الحبشة واقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه
فكان يسالني عن النجاشي فقرات عليه السلام من ابرهة جارية الملك فرد رسول الله صلى الله عليه
وسلم عليها السلام وانزل الله عز وجل عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة يعني
ابا سفيان وذلك بتزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة ولما بلغ ابا سفيان ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم تزوج ام حبيبة قال ذلك الفحل لا يقدع انفه وبعث النجاشي بعد خروج
جعفر واصحابه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه ازهى في ستين رجلا من اصحابه وكتب اليه يا رسول
الله اني اشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك جعفرا واسلمت لله رب

العالمين وقد بعثت اليك ابني ازهي وان شيت ان اتيك بنفسي فعلت والسلام عليك يا رسول الله
فركبوا في سفينة في اثر جعفر حتى اذا كانوا في وسط البحر غرقوا ووافا جعفر واصحابه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو بخيبر ووافا مع جعفر سبعون رجلا عليهم الثياب الصوف منهم اثنان وستون
رجلا من الحبشة وثمانية من الشام فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى اخرها
فبكى القوم حين سمعوا القران وامنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فانزل الله
عز وجل فيهم هذه الاية ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا قالوا انا نصارى يعني وفد النجاشي الذين
قدموا مع جعفر وهم السبعون وكانوا من اصحاب الصوامع وقيل نزلت في ثمانين رجلا اربعين من نصارى
نجران من بني الحارث بن كعب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية روميون من اهل الشام وقال قتادة
نزلت في ناس من اهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جابها عيسى عليه السلام فلما بعث محمد
صلى الله عليه وسلم امنوا به وصدقوه فاثنى الله عليهم بقوله ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين
قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون يعني لا يتعظمون عن الايمان
والاذعان للحق قوله عز وجل **واذا سمعوا ما انزل الى الرسول** يعني واذا سمعوا القران الذي
انزل الى الرسول يريد محمدا صلى الله عليه وسلم **ترى اعينهم تفيض من الدمع** يقال فاض الانا اذا امتلا
حتى يخرج من ما فيه وصفهم الله تعالى بسيل الدمع عند البكا ورقة القلب عند سماع القران قال ابن
عباس يريد النجاشي واصحابه لما قرا عليهم جعفر بن ابي طالب سورة مريم فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر
من القراة **مما عرفوا من الحق** يعني الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحق **يقولون ربنا** يعني
القسيسين والرهبان الذين سمعوا القران من جعفر عند النجاشي **امنا** يعني بالقران ونشهد انه حق وصدق
فاكتبنا مع الشاهدين يعني مع امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون بالحق **وما لنا لا نومن
بالله وما جانا من الحق** قال ابن عباس لما رجع الوفد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لامهم قومهم
على ترك دينهم وقيل ان اليهود عيروهم وقالوا لم تركتم دينكم فاجابوهم بهذا الجواب ومعنى الاية وما لنا لا
نومن بوحدانية الله وما جانا من الحق من عنده على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم **ونطمع** يعني ونرجوا
بذلك الايمان **ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين** يعني مع امة محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى **فاثابهم
الله بما قالوا** يعني بالتوحيد الذي قالوا وانما علق الثواب وهو قوله **جنات تجري من تحتها الانهار** بمجرد
القول لانه قد سبق وصفهم بما يدل على اخلاصهم فيما قالوا وهو المعرفة والبكا المودنان بحقيقة الاخلاص
واستكانة القلب والقول اذا اقترن بالمعرفة فهو الايمان الحقيقي الموعود عليه بالثواب وقال ابن
عباس قالوا يريد بما سالوا يعني قولهم فاكتبنا مع الشاهدين **خالدين فيها** يعني في الجنات **وذلك
جزا المحسنين** يعني المومنين الموحدين المخلصين في ايمانهم **والذين كفروا وكذبوا باياتنا** لما ذكر
الله عز وجل الوعد لمومني اهل الكتاب وما اعد لهم في الجنات ذكر الوعيد لمن اقام منهم على كفره وتكذيبه
واطلق القول بذلك ليكون هذا الوعيد لهم ولمن جرى مجراهم في الكفر والتكذيب فقال والذين كفروا
وكذبوا باياتنا **اولئك اصحاب الجحيم** قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل
الله لكم** قال علما التفسير ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الناس يوما ووصف القيمة فرق الناس
وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وهم ابو بكر وعلي بن ابي طالب وعبد
الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو وابو ذر الغفاري وسالم مولى ابي حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان

الفارسي ومعقل بن مقرن وتشاوروا واتفقوا على انهم يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبوا مذاكيرهم ويصوموا
الدهر ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النسا ولا الطيب ويسيحوا
في الارض فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامراته
احق ما بلغني عن زوجك واصحابه فكرهت ان تكذب وكرهت ان تبدي سر زوجها فقالت يا رسول
الله ان كان قد اخبرك عثمان فقد صدق فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جا عثمان
اخبرته بذلك فاتى هو واصحابه العشرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم الم انبا انكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا بلى يا رسول الله وما اردنا الا
الخير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لم اومر بذلك ثم قال صلى الله عليه وسلم ان لانفسكم
عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم
واتي النسا فمن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النسا
والطعام والطيب وشهوات الدنيا فاني لست امركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس في
ديني ترك اللحم والنسا ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله
ولا تشركوا به شيا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلاة واتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا
يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم
في الديارات والصوامع فانزل الله عز وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل
الله لكم يعني الطيبات اللذيذات التي تشتهيها الانفس وتميل اليها القلوب من المطاعم الطيبة
والمشارب اللذيذة فاعلم الله عز وجل بهذه الاية ان شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم غير ما
عزموا عليه من ترك الطيبات وانه لا ينبغي ان تجتنب الطيبات المباحات ومعنى لا تحرموا لا تعتقدوا
تحريم الطيبات المباحات فان من اعتقد تحريم شي احله الله فقد كفر اما ترك لذات الدنيا
وشهواتها والانقطاع الى الله تعالى والتفرغ لعبادته من غير اضرار بالنفس ولا تفويت حق
الغير ففضيلة لا منع منها بل ما مور بها وقوله تعالى **ولا تعتدوا** يعني ولا تجاوزوا الحلال الى الحرام
وقيل معناه ولا تجبوا انفسكم فسمي جب المذاكير اعتداء وقيل معناه ولا تعتدوا بالاسراف في الطيبات
ان الله لا يحب المعتدين يعني المجاوزين الحلال الى الحرام وقوله تعالى **وكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا** يعني وكلوا ايها المومنون من رزق الله الذي رزقكم واحله لكم من المطاعم والمشارب قال
عبد الله بن المبارك الحلال ما اخذته من وجهه والطيب ما غذا وانما فاما الجامد كالطين والتراب
وما لا يغذي فمكروه الا على وجه التداوي **عن** ابن عباس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله اني اذا اصبت اللحم انتشرت للنسا واخذتني شهوتي فحرمت علي اللحم فانزل الله يا ايها
الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله
حلالا طيبا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب **وله عن** عايشة قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحب الحلوا والعسل **وله عن** ابي هريرة قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلحم فرفع اليه الذراع وكان يعجبه فنهش منها قالت عايشة ما كان الذراع احب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولكن كان لا يجد اللحم الا غبا وكان يعجل اليه الذراع لانه اعجلها نضجا اخرجه الترمذي
ايضا وقوله تعالى **واتقوا الله الذي انتم به مومنون** هذا تاكيد للوصية بما امر الله به وزاد تاكيدا

بقوله الذي انتم به مومنون لان الايمان يوجب التقوى في الانتهاء الى ما امر به وعما نهى عنه وفي الاية دليل
على ان الله عز وجل قد تكفل برزق كل احد من عباده فانه تعالى لو لم يتكفل بذلك لما قال وكلوا مما
رزقكم الله واذا تكفل برزق العبد وجب ان لا يبالغ في الطلب والحرص على الدنيا وان يعول على
ما وعده الله وتكفل به فانه تعالى اكرم من ان يخلف الوعد والله اعلم قوله تعالى **لا يواخذكم
الله باللغو في ايمانكم** قال ابن عباس لما نزلت يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله
لكم قالوا يا رسول الله كيف نصنع بايماننا التي حلفنا عليها وكانوا قد حلفوا على ما اتفقوا
عليه فانزل الله عز وجل هذه الاية لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم وقد تقدم تفسير اللغو في
الايمان في سورة البقرة قوله تعالى **ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان** يعني ولكن يواخذكم
بما تعمدتم وقصدتم به اليمين ومنه قول الفرزدق •

• ولست بماخوذ بلغو تقوله • اذا لم تعمد عاقدات العزايم •

وفي الاية حذف تقديره ولكن يواخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف هذا لانه معلوم عند السامع
فكفارته يعني فكفارة ايمانكم التي عقدتموها اذا حلفتم **اطعام عشرة مساكين من اوسط ما
تطعمون اهليكم** يعني من اقصد ذلك لان في الناس من يسرف في اطعام اهله ومنهم من يقتر عليهم
فامر الله بالعدل في اداء الكفارة وقيل اراد بالاوسط في القيمة فلا يكون غاليا من اعلا الموجود
ولا خسيس الثمن من اردى الموجود بل الوسط في القيمة وقيل اراد بالاوسط الافضل قال ابن
عباس كل شي في كتاب الله تعالى اوسط فهو افضل فعلى هذا يكون المعنى من خير ما تطعمون اهليكم
وافضله **او كسوتهم** هو معطوف على محل اوسط كما تطعمون المساكين من اوسط ما تطعمون
اهليكم فكذلك فاكسوهم من اوسط الكسوة **او تحرير رقبة** يعني عتق رقبة والمراد به جملة
الشخص **فصل** في حكم الاية وفيه مسايل الاولى في بيان الكفارة وهي اربعة انواع
النوع الاول من الكفارات الاطعام فيجب اطعام عشرة مساكين واختلفوا في قدر ما يطعم لكل
مسكين فذهب قوم الى انه يطعم كل مسكين مدا من الطعام بمد النبي صلى الله عليه وسلم وهو رطل
وثلث بالبغدادي من غالب قوت البلد وكذلك ساير الكفارات وهذا قول ابن عباس وابن
عمر وزيد بن ثابت وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وسليمان بن يسار وعطا والحسن
واليه ذهب مالك والشافعي ويروى عن عمر وعلي وعايشة انه يطعم لكل مسكين مدان من بر وهو
نصف صاع وبه قال اهل العراق وقال ابو حنيفة ان اطعم من الحنطة فنصف صاع وان اطعم من
غيرها فصاع وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير ومجاهد وقال احمد بن حنبل يطعم لكل
مسكين مدا من البر او نصف صاع من غيرها مثل التمر والشعير ومن شروط الاطعام تمليك الطعام
للمساكين فلو عشاهم وغداهم لم يجزيه ذلك ولا يجوز اخراج القيمة في الكفارة كالدراهم والدنانير
وقال ابو حنيفة يجوز ذلك ولا اخراج الدقيق والخبز في الكفارة بل يجب اخراج الحب وجوزه ابو
حنيفة ولا يجوز صرف الكل الى مسكين واحد في عشرة ايام النوع الثاني من الكفارات الكسوة
واختلف العلما في قدرها فذهب قوم الى انه يكسوا كل مسكين ثوبا واحدا مما يقع عليه اسم الكسوة
ازار او رداء او قميص او سراويل او عمامة او كسا ونحو ذلك وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد
وعطا وطاوس واليه ذهب الشافعي وقال مالك يجب ان يكسو كل مسكين ما يجوز فيه الصلاة فيكسو

الرجل ثوبا والمراة ثوبين درعا وخمارا وقال احمد للرجل ثوبا وللمراة ثوبين درعا وخمارا وهو
ادنى ما يجزي في الصلاة وقال ابن عمر يجب قميص وازار ورداء وقال ابو موسى الاشعري يجب ثوبان
وهو قول سعيد بن المسيب وابن سيرين وقال ابراهيم النخعي يجب ثوب جامع كالملحفة النوع
الثالث من الكفارات العتق فيجب اعتاق رقبة مومنة وكذلك يجب في جميع الكفارات واجاز
ابو حنيفة والثوري اعتاق الرقبة الكافرة في جميع الكفارات الا كفارة القتل لان الله قيد الرقبة
فيه بالايمان في كفارة القتل ومذهب الشافعي ان المطلق يحمل على المقيد ولا يجوز اعتاق المرتد في
الكفارة بالاجماع ويشترط ان تكون الرقبة سليمة الرق حتى لو اعتق في الكفارة مكاتبا او ام ولد
او عبدا اشتراه بشرط العتق او اشترى قريبه الذي يعتق عليه فكل هولا لا يجزي في اعتاق
الكفارة وجوز اصحاب الراي عتق المكاتب في الكفارة اذا لم يود من نجوم الكتابة شيا وجوزوا
عتق القريب في الكفارة ويشترط ان تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل فلا يجزي
مقطوع اليد او الرجل ولا اعمى ولا الزمن والمجنون المطبق ويجوز عتق الاعور والاصم ومقطوع
الاذنين والانف لان هذه العيوب كلها لا تضر بالعمل وعند ابي حنيفة كل عيب يفوت جنسا من
المنفعة يمنع الجواز فيجوز عتق مقطوع احد اليدين ولم يجوز مقطوع الاذنين في الكفارة النوع الرابع
من الكفارات الصوم وهو قوله تعالى **فمن لم يجد** يعني الكفارة **فصيام ثلاثة ايام** فاذا عجز من
لزمه كفارة اليمين عن الاطعام او الكسوة او العتق وجب صيام ثلاثة ايام وهو قوله تعالى فصيام
ثلاثة ايام قال الشافعي اذا كان عنده قوته وقوت عياله ليومه وليلته وفضل ما يطعم عشرة مساكين
لزمته الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده هذا القدر جاز له الصيام وقال ابو حنيفة يجوز
له الصيام اذا لم يكن عنده من المال ما تجب فيه الزكاة فجعل من لا زكاة عليه عادما وقال الحسن
اذا لم يجد درهمين صام وقال سعيد بن جبير ثلاثة دراهم واختلفوا في وجوب التتابع في الصيام
عن كفارة اليمين على قولين احدهما انه يجب التتابع فيه قياسا على كفارة الظهار والقتل وهو قول
ابن عباس ومجاهد وطاوس وعطا وقتادة وهو مذهب ابو حنيفة واحمد واصح قولي الشافعي والقول
الثاني انه لا يجب التتابع في كفارة اليمين فان شا تابع وان شا فرق والتتابع افضل وبه قال الحسن
ومالك وهو القول الثاني للشافعي المسيلة الثانية كلمة او للتخيير بين الاطعام والكسوة
والعتق فان شا اطعم وان شا كسى وان شا اعتق فبايها اخذ المكفر فقد اصاب وخرج عن العهدة
المسيلة الثالثة لا يجوز صرف شي من الكفارات الا الى مسلم حر محتاج فلو صرف الى ذمي او عبد او
غني لا يجزيه وجوز ابو حنيفة صرفها الى اهل الذمة واتفقوا على ان صرف الزكاة الى اهل
الذمة لا يجوز المسيلة الرابعة اختلفوا في تقديم الكفارة على الحنث فذهب قوم الى جوازه
لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فراى غيرها
خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير اخرجه الترمذي عن عبد الرحمن بن سمرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسال الامارة فانك ان اتتك
عن مسيلة وكلت اليها وان اتتك عن غير مسيلة اعنت عليها واذا حلفت عليها واذا
حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك وهذا قول عمر وابن
عباس وعايشة وبه قال الحسن وابن سيرين واليه ذهب مالك والاوزاعي والشافعي الا ان

الشافعي قال ان كفر بالصوم قبل الحنث فانه لا يجوز لانه يرى انما يجوز بالطعام او الكسوة او العتق وقال
ابو حنيفة لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث وقوله ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من الاطعام او الكسوة او
العتق او الصوم عند العجز كفارة ايمانكم اذا حلفتم يعني وحنثتم لان الكفارة لا تجب بمجرد اليمين انما
تجب بالحنث بعد اليمين وفيه اشارة الى ان تقديم الكفارة على اليمين لا يجوز بل بعد اليمين وقبل الحنث كما
تقدم واحفظوا ايمانكم يعني قللوا ايمانكم ففيه النهي عن كثرة الحلف ومنه قول الشاعر
قليل الالايا حافظ ليمينه وصفه بانه لا يحلف وقيل في معنى الاية واحفظوا ايمانكم عن الحنث اذا
حلفتم لئلا تحتاجوا الى التكفير وهذا اذا لم يحلف على ترك مندوب او فعل مكروه فان حلف على ذلك
فالافضل بل الاولى ان يحنث نفسه ويكفر لما روي عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اني والله ان شاء الله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا كفرت عن يميني واتيت الذي
هو خير اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم اياته يعني كما بين لكم كفارة ايمانكم اذا
حنثتم كذلك يبين لكم جميع ما تحتاجون اليه في امر دينكم لعلكم تشكرون يعني نعمه التي انعم بها عليكم
ان يبين لكم اياته ومعالم شريعته قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام
رجس لما انزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وكلوا مما رزقكم الله حلالا
وكانت الخمر والميسر مما يستطاب عندهم فبين الله في هذه الاية ان الخمر والميسر غير داخلين في جملة
الطيبات المحللات بل هما من جملة المحرمات والخمر كل ما خامر العقل فغطاه والميسر القمار وقد تقدم
تفسيرها في سورة البقرة والانصاب هي الحجارة التي كانوا ينصبونها للعبادة ويذبحون عندها
والازلام هي القداح التي كانوا يستقسمون بها وتقدم تفسير ذلك كله والرجس في اللغة الشيء
المستقذر وهو المتقذر من عمل الشيطان يعني من تزيينه واغوائه ودعائه اياكم اليها وليس المراد
انها من عمل يديه فاجتنبوه يعني كونوا جانبا منه والضمير في قوله فاجتنبوه عائد الى الرجس لانه
اسم جامع للكل كانه قال ان هذه الاربعة الاشياء كلها رجس فاجتنبوه لعلكم تفلحون يعني لكي تدركوا
الفلاح اذا اجتنبتم هذه المحرمات التي هي رجس قوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر اختلفوا في سبب نزول هذه الاية ابو ميسرة ان عمر بن الخطاب قال اللهم بين
لنا في الخمر بيانا شفاء فنزلت الاية التي في سورة البقرة يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير
الاية فدعي عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء فنزلت التي في النساء يا ايها الذين امنوا
لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فدعي عمر فقرئت عليه ثم قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء فنزلت
التي في المائدة انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر الى قوله فهل انتم
منتهون فدعي عمر فقرئت عليه فقال انتهينا انتهينا اخرجه الترمذي من طريقين وقال رواية ابي ميسرة
هذا اصح واخرجه ابو داود والنسائي وروى مصعب بن سعد عن ابيه قال صنع رجل من الانصار طعاما
فدعانا فشربنا وذلك قبل ان تحرم الخمر حتى انتشينا فتفاخرت الانصار وقريش فقالت الانصار نحن
افضل منكم فقال سعد بن ابي وقاص المهاجرون خير منكم فاخذ رجل من الانصار لحي جمل فضرب به انف
سعد ففزره فاتى سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فنزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا
انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون وقال ابن عباس نزلت تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الانصار
شربوا حتى اذا ثملوا عبث بعضهم ببعض فلما صحوا جعل الرجل يرى الاثر بوجهه ولحيته فيقول فعل بي

هذا

هذا اخي فلان وكانوا اخوة ليس في قلوبهم ضغائن فانزل الله تعالى في تحريم الخمر في هذه الاية يا ايها الذين
امنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون واما تفسير الاية فقوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع
بينكم العداوة والبغضاء يعني انما يزين الشيطان شرب الخمر والقمار بالقداح ونحو الميسر ويحسن ذلك
لكم ارادة ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء بسبب شرب الخمر لانها تزيل عقل شاربها فيتكلم بالفحش وربما
افضى ذلك الى المقاتلة وذلك سبب ايقاع العداوة والبغضاء بين شاربيها واما الميسر فقال قتادة
كان الرجل في الجاهلية يقامر على اهله فيقمر فيقعد حزينا سليبا ينظر الى ماله في يد غيره فورثه ذلك
العداوة والبغضاء فنهى الله عن ذلك وقدم فيه والله اعلم بما يصلح خلقه فظهر بذلك ان الخمر والميسر
سببان عظيمان في ايقاع العداوة والبغضاء بين الناس وهذا فيما يتعلق بامر الدنيا وفيهما ايضا مفاسد
تتعلق بامر الدين وهي قوله تعالى ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة لان شرب الخمر يشغل عن ذكر
الله وعن فعل الصلاة وكذلك القمار يشغل صاحبه عن ذكر الله وعن الصلاة فان قلت لم جمع
الخمر والميسر مع الانصاب والازلام في الاية الاولى ثم افرد الخمر والميسر في هذه الاية قلت لان الخطاب
مع المؤمنين بدليل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا والمقصود نهيهم عن شرب الخمر واللعب بالقمار وانما
ضم الانصاب والازلام الى الخمر والميسر تاكيد تحريم الخمر والميسر فلما كان المقصود من الاية النهي عن
شرب الخمر والميسر لا جرم افردهما بالذكر في اخر الاية والله اعلم وقوله تعالى فهل انتم منتهون
لفظه استفهام ومعناه الامر اي انتهوا وهذا من ابلغ ما ينهى به لانه تعالى ذم الخمر والميسر واظهر قبحهما
للمخاطب كانه قيل قد تلي عليكم فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم منتهون مع هذه الامور
ام انتم على ما كنتم عليه كانكم لم توعظوا ولم تنزجروا وفي هذه الاية دليل على تحريم شرب الخمر لان الله
تعالى قرن الخمر والميسر بعبادة الاصنام وعدد انواع المفاسد الحاصلة بهما ووعد بالفلاح عند
اجتنابهما ثم قال في اخر الاية فهل انتم منتهون ومعناه الامر وقد صح من حديث عائشة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال كل شراب اسكر فهو حرام اخرجاه في الصحيحين وزاد الترمذي وابو داود ما اسكر
الفرق منه فملء الكف منه حرام الفرق بالتحريك اناء يسع ستة عشر رطلا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من شرب الخمر لم تقبل له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل
الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال قالوا يا ابا عبد الرحمن
وما نهر الخبال قال صديد اهل النار اخرجه الترمذي وقال حديث حسن واخرجه النسائي وعنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها
ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه اخرجه ابو داود قوله تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول
يعني فيما امركم به او نهاكم عنه واحذروا يعني واحذروا مخالفة الله ومخالفة رسوله صلى الله عليه
وسلم فيما امركم به او نهاكم عنه فان توليتم يعني فان اعرضتم عما امركم به ونهاكم عنه فاعلموا انما على
رسولنا البلاغ المبين وهذا وعيد وتهديد لمن اعرض عن امر الله ونهيه كانه قال فاعلموا انكم
بسبب توليكم واعراضكم قد استحققتم العذاب والسخط قوله تعالى ليس على الذين امنوا
وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية عن البراء بن عازب قال مات ناس من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم وهم يشربون الخمر فلما نزل تحريم الخمر قال ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف
باصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها قال فنزلت ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح

فيما طعموا الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح **عن** ابن عباس قال قالوا يا رسول الله ارايت الذين ماتوا وهم يشربون الخمر لما نزل تحريم الخمر فنزلت ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية اخرجه الترمذي وقال حديث ومعنى الاية ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اي لا حرج ولا اثم عليهم ولا اثم عليهم فيما شربوا من الخمر واكلوا من مال القمار في وقت الاباحة قبل التحريم قال ابن قتيبة يقال لم اطعم خبزا ولا ماء ولا نوما قال الشاعر

فان شئت حرمت النساء سواكم • وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا

النقاخ الماء والبرد النوم **اذا ما اتقوا** يعني اذا ما اتقوا الشرك وقيل اتقوا ما حرم عليهم **وامنوا** يعني بالله ورسوله **وعملوا الصالحات** اي وازدادوا من عمل الصالحات **ثم اتقوا وامنوا** يعني اتقوا الخمر والميسر بعد التحريم فعلى هذا يكون الاول اخبارا عن حال من مات وهو يشربها قبل التحريم انه لا جناح عليه والثانية خطاب لمن بقي بعد التحريم امروا باتقائها والايمان بتحريمها **ثم اتقوا** يعني ما حرم عليهم في المستقبل **واحسنوا** يعني العمل وقيل المراد بالاتقاء الاول فعل التقوى وبالثاني المداومة عليها وبالثالث اتقاء الظلم مع ضم الاحسان اليه وقيل ان المقصود من التكرير التاكيد والمبالغة في الحث على الايمان والتقوى وضم الاحسان اليه ثم قال تعالى **والله يحب المحسنين** يعني انه تعالى يحب المتقربين اليه بالايمان والاعمال الصالحة والتقوى والاحسان وهذا ثناء ومدح لهم على الايمان والتقوى والاحسان لان هذه المقامات من اشرف الدرجات واعلاها **م** عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الاية ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الى اخر الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لي انت منهم ومعناه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لي انت منهم ومعناه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ان ابن مسعود منهم يعني من الذين امنوا وعملوا الصالحات والتقوى والاحسان قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد** نزلت هذه الاية عام الحديبية وكانوا محرمين فابتلاهم الله بالصيد فكانت الوحوش تغشى رحالهم من كثرتها فهموا باخذها وصيدها فانزل الله تعالى هذه الاية يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء اللام في ليبلونكم لام القسم اي ليختبرن طاعتكم من معصيتكم والمعنى يعاملكم معاملة المختبر بشيء من الصيد يعني بصيد البر دون صيد البحر وقيل اراد الصيد في حالة الاحرام دون الاحلال وقيل ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تزل عندها اقدام الثابتين ويكون التكليف فيها صعبا شاقا كالابتلاء ببذل الاموال والارواح وانما هو ابتلاء سهل كما ابتلى اصحاب السبت من صيد السمك فيه لكن الله عز وجل بفضله وكرمه عصم امة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يصطادوا شيا في حالة الابتلاء ولم يعصم امة السبت فمسخوا قردة وخنازير وقوله تعالى **تناله ايديكم** يعني الفرخ والبيض وما لا يقدر ان يفر من صغار الصيد **ورماحكم** يعني كبار الصيد مثل حمار الوحش ونحوها قال ابن عباس في قوله تناله ايديكم ورماحكم هو الضعيف من الصيد وصغيره يبتلي الله به عباده في احرامهم حتى لو شاؤا لنالوه بايديهم فنهاهم الله ان يقربوه **ليعلم الله** اي ليرى الله لانه قد علمه فهو مجاز لانه تعالى عالم لم يزل والمعنى يعاملكم معاملة المختبر وقيل معناه ليظهر المعلوم وهو خوف الخائف وقيل هو من باب حذف المضاف والتقدير ليعلم اولياء الله **من يخافه بالغيب** يعني من يخاف الله ولم يره فلا يصطاد في حال الاحرام شيا **فمن اعتدى بعد ذلك** يعني فصاد في حالة الاحرام بعد النهي **فله عذاب اليم** يعني في

الدنيا يعني في الدنيا قال ابن عباس هو ان يوسع بطنه وظهره جلدا وتسلب ثيابه وهو قول اكثر المفسرين في معنى هذه الاية لانه قد سمي الجلد عذابا وهو قوله فليشهد عذابهما طايفة من المومنين قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم** جمع حرام اي لا تقتلوا الصيد وانتم محرمون بالحج او العمرة وقيل المراد منه دخول الحرم يقال احرم اذا عقد الاحرام واحرم اذا دخل الحرم وقيل هما مرادان بالاية فلا يجوز قتل الصيد للمحرم ولا في الحرم نزلت هذه الاية في ابي اليسر شد على حمار وحش فقتله وهو محرم ثم صار هذا الحكم عاما فلا يجوز قتل الصيد ولا التعرض له ما دام محرما ولا في الحرم والمراد بالصيد كل حيوان متوحش ماكول اللحم وهذا قول الشافعي وقال ابو حنيفة هو كل حيوان متوحش سواء كان ماكولا او لم يكن فيجب عنده الضمان على من قتل سبعا او نمرا او نحو ذلك واستثنى الشارع خمس فواسق فاجاز قتلهن **ق** عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح الغراب والحداة والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية خمس لا جناح على من قتلهن في الحرم والاحرام **ق** عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحل والحرم وذكر نحوه وفي رواية النساي قال خمس يقتلهن المحرم الحية والفارة والعقرب والغراب الابقع والكلب العقور وقال ابن عيينة الكلب العقور كل سبع ضار يعقر وقاس الشافعي عليهما جميع ما لا يوكل لحمه قال لان الحديث يشتمل على الحيات بعضها سباع ضارية وبعضها هوام قاتلة وبعضها طير لا تدخل في معنى السباع ولا في معنى الهوام وانما هو حيوان مستخبث اللحم وتحريم الاكل يجمع الكل فاعتبره ورتب عليه الحكم وذهب اصحاب الراي الى وجوب الجزاء في كل ما لا يوكل لحمه الا الاعيان المذكورة في الحديث وقاسوا عليها الذيب فلم يوجبوا فيه كفارة وقوله تعالى **ومن قتله منكم متعمدا** قال مجاهد والحسن وابن زيد هو الذي يتعمد قتل الصيد مع نسيان الاحرام فعليه الجزاء اما ان تعمد قتل الصيد ذاكرا لاحرامه فلا جزاء عليه لانه اعظم من ان يكون له كفارة وقال ابن عباس والجمهور يحكم عليه بالجزاء وان تعمد القتل مع ذكر الاحرام وهذا مذهب عامة الفقهاء اما اذا قتل الصيد خطا بان قصد غيره بالرمي فاصابه فهو كالعمد في وجوب الجزاء وهذا مذهب جمهور المفسرين والفقهاء قال الزهري نزل القران بالعمد وجرت السنة في الخطا يعني الحقت المخطي بالمتعمد في وجوب الجزاء وقال سعيد بن جبير لا ارى في الخطا شيا وهذا قول شاذ لا يوخذ به **فجزاء مثل ما قتل من النعم** يعني فعليه جزاء من النعم مثل ما قتل والمثل والشبه واحد واختلفوا في هذه المماثلة اي بالخلقة ام بالقيمة فالذي عليه جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم ان المماثلة في الخلقة معتبرة لان ظاهر الاية يدل على ذلك وما لا مثل له فالقيمة وقال ابو حنيفة المثل الواجب في قتل الصيد هو القيمة لان الصيد المقتول اذا لم يكن له مثل فانه يضمن بالقيمة وهذا لا نزاع فيه فكان المراد بالمثل هو القيمة في هذه الصورة فوجب ان يكون في ساير الصور كذلك لان اللفظ الواحد لا يجوز حمله الا على معنى واحد واجيب عنه بان حقيقة المماثلة امر معلوم فيجب رعايتها باقصى الامكان وان لم يمكن رعايتها الا بالقيمة وجب الاكتفاء به للضرورة وحجة الشافعي ومن وافقه في اعتبار المماثلة بالخلقة ان الصحابة حكموا في بلدان شتى وازمان مختلفة بالمثل من النعم فحكموا في النعامة ببدنة وهي لا تساوي بدنة وفي حمار الوحش ببقرة وهو لا يساوي بقرة وكذا في الضبع بكبش فدل ذلك على انهم انما نظروا الى ما يقرب من الصيد شبها من حيث الخلقة فحكموا به ولم يعتبروا القيمة ويجب في الظبي

شاة وفي الارنب عناق وفي الضب سخلة وفي اليربوع جفرة ويجب في الحمام وكل ما عب وهدر كالفواخت
والقمري وذوات الاطواق شاة وما سواه من الطير ففيه القيمة في المكان الذي اصيب فيه وروي
عن عثمان وابن عباس انهما حكما في حمام الحرم بشاة وروي عن عمر انه قضى في الضبع بكبش وفي الغزال
بعنز وفي الارنب بعناق وفي اليربوع بجفرة وقوله تعالى **يحكم به ذوا عدل منكم** يعني يحكم بالجزاء في
قتل الصيد رجلان صالحان عدلان من اهل ملتكم ودينكم وينبغي ان يكونا فقيهين فينظران الى
اشبه الاشيا به من النعم فيحكمان به قال ميمون بن مهران جا اعرابي الى ابي بكر الصديق فقال اني
اصبت من الصيد كذا وكذا فسال ابو بكر ابي بن كعب فقال الاعرابي اني اتيتك اسالك وانت تسال
غيرك فقال ابو بكر وما انكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فشاورت صاحبي فاذا
اتفقنا على شي امرناك به وقوله تعالى **هديا بالغ الكعبة** يعني ان الكفارة هديا تساق الى الكعبة
وسميت الكعبة كعبة لارتفاعها والعرب تسمي كل بيت مرتفع كعبة وانما اريد بالكعبة كل الحرم لان الذبح
لا يقع في الكعبة وعندها ملاصقا لها انما يقع في الحرم وهو المراد بالبلوغ فيذبح الهدي بمكة ويتصدق
به على مساكين الحرم هذا مذهب الشافعي وقال ابو حنيفة له ان يتصدق به حيث شا اذا وصل الهدي
الكعبة **او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما** ذهب الشافعي ومالك وابو حنيفة الى
ان كلمة او في هذه الاية للتخيير وقال احمد وزفر من اصحاب ابي حنيفة انها للترتيب وهما روايتان
عن ابن عباس قال الشافعي اذا قتل صيدا له مثل فهو مخير بين ثلاثة اشيا ان شا ذبح المثل من
النعم وتصدق به على مساكين الحرم وان شا قوم المثل دراهم والدراهم طعاما ثم يتصدق به على
مساكين الحرم وان شا صام عن كل مد من الطعام يوما وقال ابو حنيفة يصوم عن كل نصف صاع
يوما وعن احمد روايتان كالقولين واصل هذه المسيلة ان الصوم مقدر بطعام اليوم فعند
الشافعي مقدر بالمد وعند ابي حنيفة مقدر بنصف صاع وله ان يصوم حيث شا لانه لا نفع فيه
للمساكين وذهب جمهور الفقها الى ان الخيار في تعيين احد هذه الثلاثة اشيا الى قاتل الصيد
الذي وجب عليه الكفارة لان الله اوجب عليه احد هذه الثلاثة على التخيير فوجب ان يكون هو
المخير بينها شا وقال محمد بن حسن من اصحاب ابي حنيفة التخيير الى الحكمين لان الله تعالى قال
يحكم به ذوا عدل منكم ومن قال ان كلمة او للترتيب قال ان لم يجد اشترى طعاما وتصدق به فان كان
معسرا صام وقال مالك ان لم يخرج المثل من النعم يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاما فيتصدق به او يصوم
وقال ابو حنيفة لا يجب المثل من النعم بل يقوم الصيد فان شا صرف تلك القيمة الى شي من النعم وان
شا الى الطعام فيتصدق به وان شا صام عن كل نصف صاع من بر او صاع من غيره يوما واختلفوا في
موضع التقويم فقال جمهور الفقها يقوم في المكان الذي قتل فيه الصيد وقال الشعبي يقوم بمكة
بثمن مكة لانه يصرف بها وقوله تعالى **ليذوق وبال امره** يعني جزاء ذنبه والوبال في اللغة الشي الثقيل
الذي يخاف ضرره يقال مرعى وبيل اذا كان فيه وخامة وانما سمي الله ذلك وبالا لان اخراج الجزاء ثقيل على
النفس لان فيه انهاك البدن **عفا الله عما سلف** يعني قبل التحريم **ومن عاد** يعني الى قتل الصيد مرة
ثانية **فينتقم الله منه** يعني في الاخرة والانتقام المبالغة في العقوبة وهذا الوعيد لا يمنع ايجاب
الجزاء في المرة الثانية والثالثة فاذا تكرر من المحرم قتل الصيد تكرر عليه الجزاء وهذا قول جمهور
العلما وقد روي عن ابن عباس والنخعي وابي داود الظاهري انه اذا قتل الصيد مرة ثانية فلا جزا

عليه

عليه لان الله وعده بالانتقام منه قال ابن عباس اذا قتل المحرم صيدا متعمدا سيل هل قتلت قبله
شيا من الصيد فان قال نعم لم يحكم عليه ويقال له اذهب فينتقم الله منك وان قال لم اقتل قبله
شيا حكم عليه فان عاد بعد ذلك لم يحكم عليه ولكن يملا ظهره وصدره ضربا وكذلك حكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم في صيد وج وهو واد بالطايف **والله عزيز ذو انتقام** يعني ممن عصاه واذا
اتلف المحرم شيا من الصيد الذي لا مثل له من النعم مثل البيض وطاير صغير دون الحمام ففيه القيمة
فيقوم ثم يشتري بقيمته طعاما ويتصدق به على محاويج الحرم او يصوم عن كل مد يوما قوله تعالى
احل لكم صيد البحر وطعامه المراد بالصيد ما صيد من البحر والمراد بالبحر جميع المياه العذبة
والمالحة فاما طعامه فاختلفوا فيه فقيل هو ما قذفه البحر ورمى به الى الساحل يروى ذلك عن
ابي بكر وعمر وابن عمر وابي ايوب وقتادة وقيل صيد البحر طريه وطعامه مالحه يروى ذلك عن سعيد
ابن جبير وسعيد بن المسيب والسدي ويروى ذلك عن ابن عباس ومجاهد كالقولين وجملة
حيوان الما على قسمين سمك وغير سمك فاما السمك فجميعه حلال على اختلاف اجناسه وانواعه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماوه الحل ميتته اخرجه ابو داود والترمذي
والنساي ولا فرق بين ان يموت بسبب او بغير سبب فيحل اكله وقال ابو حنيفة لا يحل الا ان يموت
بسبب وما عدا السمك فقسمان قسم يعيش في البحر والبر كالضفدع والسرطان فلا يحل اكلهما
وقال سفيان ارجو ان لا يكون بالسرطان باس واختلفوا في الجراد فقيل هو من صيد البحر فيحل اكله
للمحرم وذهب جمهور العلما الى انه من صيد البر وانه لا يحل للمحرم اكله في حال الاحرام فان اصاب جرادة
فعليه صدقة قال عمر في الجرادة تمرة وعنه وعن ابن عباس قبضة من طعام وكذلك طير الما فهو من
صيد البر ايضا وانه لا يحل للمحرم اكله وقال احمد يوكل كل ما في البحر الا الضفدع والتمساح قال
لان التمساح يفترس وياكل الناس وقال ابن ابي ليلى ومالك يباح كل ما في البحر وذهب جماعة الى
ان ما له نظير من البر يوكل فيوكل نظيره من حيوان البحر مثل بقر الما ونحوه ولا يوكل ما لا يوكل نظيره
من البر مثل كلب الما وخنزير الما فلا يحل اكله قوله تعالى **متاعا لكم وللسيارة** يعني ينتفع به
المقيمون والمسافرون فيتزود دون منه وقوله **وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما** ذكر الله عز
وجل تحريم الصيد على المحرم في ثلاث مواضع من هذه السورة احدها في اول السورة وقوله
غير محلي الصيد وانتم حرم والثاني قوله يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم والثالث
هذه الاية وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما كل ذلك لتاكيد تحريم قتل الصيد على المحرم واختلف
العلما هل يجوز للمحرم ان ياكل من لحم صيد صاده غيره فذهب قوم الى انه لا يحل ذلك بحال يروى ذلك عن ابن
عباس وهو قول طاوس واليه ذهب الثوري واحتجوا على ذلك بما روي عن الصعب بن جثامة الليثي انه
اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم حمارا وحشيا وهو بالابوا او بودان فرده عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما راى ما في وجهه من الكراهة قال انا لم نرده عليك الا انا حرم اخرجاه في الصحيحين وذهب
جمهور العلما الى انه يجوز للمحرم ان ياكل لحم الصيد اذا لم يصده بنفسه ولا صيد له ولا باشارته ولا اعانة
فيه عليه وهذا قول عمر وعثمان وابي هريرة وبه قال عطا ومجاهد وسعيد بن جبير وهو مذهب مالك والشافعي
واحمد واصحاب الراي ويدل عليه ما روي عن ابي قتادة الانصاري قال كنت جالسا مع رجال من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في منزل في طريق مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم امامنا والقوم

محرمون وانا غير محرم عام الحديبية فابصروا حمارا وحشيا وانا مشغول اخصف نعلا فلم يؤذنوني
واحبوا لو اني ابصرته فالتفت فابصرته فقمت الى الفرس فاسرجته ثم ركبت ونسيت السوط والرمح
فقلت لهم ناولوني السوط والرمح قالوا لا والله لا نعينك عليه فغضبت فنزلت فاخذتهما ثم ركبت
فشددت على الحمار فعقرته ثم جئت به وقد مات فوقعوا فيه ياكلونه ثم انهم شكوا في اكلهم اياه وهم
حرم فرحنا وخبات العضد فادركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالناه عن ذلك فقال هل
معكم منه شيء فقلت نعم فناولته العضد فاكلها وهو محرم زاد في رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لهم انما هي طعمة اطعمكموها الله وفي رواية هو حلال فكلوه وفي رواية فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
هل منكم احد امره ان يحمل عليها او اشار اليها قالوا لا قال فكلوا ما بقي من لحمها اخرجاه في الصحيحين
واجاب اصحاب هذا المذهب عن حديث الصعب بن جثامة بانه انما رده النبي صلى الله عليه وسلم
لانه ظن انه انما صيد لاجله والمحرم لا يأكل ما صيد لاجله واتقوا الله يعني فلا تستحلوا الصيد في حال
الاحرام ولا في الحرم ثم حذرهم بقوله الذي اليه تحشرون يعني في الآخرة فيجازيكم باعمالكم قوله عز
وجل جعل الله الكعبة البيت الحرام جعل بمعنى صير وقيل معناه بين وحكم قال مجاهد سمي البيت
كعبة لتربيعه وقيل لارتفاعه عن الارض وسمي البيت الحرام لان الله حرمه وعظمه وشرفه وعظم
حرمته وحرم ان يصاد عنده وان يختلى خلاه وان يعضد شجره واراد بالبيت الحرام جميع الحرم صح من
حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوم فتح مكة فقال ان هذا البلد حرمه الله تعالى
يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيمة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا تلتقط
لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاه ونحو قوله تعالى قياما للناس اصله قواما لانه سبب قوام مصالح
الناس في امر دينهم ودنياهم وآخرتهم اما في امر الدين فانه به يقوم الحج وهم المناسك واما في امر الدنيا
فانه يجبى اليه ثمرات كل شيء ويامنون فيه من النهب والغارة فلو لقي رجل قاتل ابيه او ابنه في الحرم لم يهجه
واما في الآخرة فان البيت جعل لقيام المناسك عنده وجعلت تلك المناسك التي تقام عنده اسبابا
لعلو الدرجات وتكفير الخطيئات وزيادة الكرامات والمثوبات فلما كانت الكعبة الشريفة سببا
لحصول هذه الاشيا كانت سببا لقيام الناس والشهر الحرام يعني وجعل الشهر الحرام قياما للناس
واراد بالشهر الحرام الاشهر الحرم الاربعة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الفرد يعني وكذلك
جعل الاشهر الحرم يامنون فيها من القتال وذلك ان العرب كان يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على
بعض وكانوا اذا دخلت الاشهر الحرم امسكوا عن القتال والغارة فيها فكانوا يامنون في الاشهر الحرم
فكان سببا لقيام مصالح الناس والهدي والقلائد يعني وكذلك جعل الهدي والقلائد سببا لقيام
مصالح الناس وذلك انهم كانوا يامنون اذا قلدوا انفسهم من لحي شجر الحرم فلا يتعرض لهم احد ذلك
لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض يعني انه تعالى علم في الازل بمصالح العباد وما يحتاجون
اليه فجعل الكعبة والشهر الحرام والهدي والقلائد يامنون بها لانه يعلم مصالح العباد كما يعلم ما في السموات
وما في الارض لانه تعالى علم جميع المعلومات الكليات والجزئيات وهو قوله تعالى وان الله بكل شيء عليم
يعني انه تعالى لا يخفى عليه خافية اعلموا ان الله شديد العقاب يعني لمن انتهك محارمه واستحلها
وان الله غفور رحيم يعني لمن تاب وآمن ولما ذكر الله تعالى انواع رحمته بعباده ذكر بعدها انه شديد
العقاب لان الايمان لا يتم الا بحصول الرجا والخوف ثم ذكر بعده ما يدل على سعة رحمته وانه غفور

رحيم

رحيم قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ يعني ليس على رسولنا الذي ارسلناه اليكم الا تبليغ ما ارسل به من
الانذار وما فيه قطع الحجة وفي الآية دليل تشديد عظيم في ايجاب القيام بما امر به وان الرسول صلى الله عليه وسلم
قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت الحجة عليكم بذلك ولزمتكم الطاعة فلا عذر في التفريط والله
يعلم ما تبدون وما تكتمون يعني انه تعالى لا يخفى عليه شيء من احوالكم ظاهرا وباطنا قل لا يستوي الخبيث
والطيب يعني لا يستوي الحلال والحرام في الدرجة والرتبة ولا يعتدل الردي والجيد ولا المسلم ولا الكافر
ولا الصالح ولا الطالح ولو اعجبك كثرة الخبيث يعني ولو سرك كثرة الخبيث لان عاقبته عاقبة سوء والمعنى
ان اهل الدنيا يعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا وما عند الله خير وابقى لان زينة الدنيا ونعيمها يزول وما
عند الله يدوم قال ابن الجوزي روى جابر بن عبد الله ان رجلا قال يا رسول الله ان الخمر كانت تجارتي
فهل ينفعني ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل
الا الطيب وقال مقاتل نزلت في شريح بن ضبيعة البكري وحجاج بن بكر وقد تقدمت القصة في اول
السورة فاتقوا الله يعني فيما امركم به او نهاكم عنه ولا تعتدوه يا اولي الالباب يعني يا ذوي العقول
السليمة لعلكم تفلحون قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسؤكم اختلفوا
في سبب نزول هذه الآية فروي عن انس بن مالك قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما
سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال فغطى اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وجوههم لهم حنين فقال رجل من ابي فقال فلان فنزلت هذه الآية لا تسالوا عن اشيا
ان تبد لكم تسؤكم وفي رواية اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر
فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر فيها امورا عظاما ثم قال من احب ان يسالني عن شيء فليسال
فلا تسالوني عن شيء الا اخبرتكم ما دمت في مقامي فاكثر الناس البكاء واكثر ان يقول سلوني فقام عبد
الله بن حذافة ثم اكثر ان يقول سلوني فبرك عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا
وبمحمد نبيا فسكت ثم قال عرضت علي الجنة والنار آنفا في عرض هذا الحائط فلم ار كاليوم في الشر والخير
قال ابن شهاب فاخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال قالت ام عبد الله بن حذافة لعبد الله بن
حذافة ما سمعت بابن قط اعق منك امنت ان تكون امك قارفت بعض ما تقارف اهل الجاهلية فتفضحها
على اعين الناس فقال عبد الله بن حذافة لو الحقني بعبد اسود للحقته زاد في رواية اخرى قال قتادة
يذكر هذا الحديث عند هذه الآية لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسؤكم اخرجاه في الصحيحين عن
ابن عباس قال كان قوم يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل من ابي ويقول الرجل
تضل ناقته اين ناقتي فانزل الله فيهم هذه الآية يا ايها الذين آمنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسؤكم
الآية وقيل نزلت هذه الآية في شان الحج عن علي بن ابي طالب قال لما نزلت ولله على الناس حج البيت
من استطاع اليه سبيلا قالوا يا رسول الله في كل عام قال لا ولو قلت نعم لوجبت فانزل الله عز
وجل يا ايها الذين آمنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسؤكم اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا
فقال رجل اكل عام فسكت حتى قالها ثلاثا ثم قال ذروني ما تركتكم ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم
وانما اهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم واذا
نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وروى مجاهد عن ابن عباس لا تسالوا عن اشيا قال هي البحيرة والوصيلة والسائبة

والحام الاثر وانه يقول بعد ذلك ما جعل الله من بحيرة ولا كذا ولا كذا وقال عكرمة انهم كانوا يسالون عن
الايات فنهوا عن ذلك ثم قال قد سالها قوم من قبلكم فاصبحوا بها كافرين ومعنى الاية يا ايها الذين امنوا لا
تسالوا عن اشيا جمع شي ان تبد لكم اي تظهر لكم وتبين لكم تسوكم يعني ان امرتم بالعمل بها فان من سال عن الحج
يا من ان يومر به فلا يقدر عليه فيسوه ذلك ومن سال عن نسبه لم يامن ان يلحقه النبي صلى الله عليه وسلم
بغير ابيه فيفتضح ويسوه ذلك وان تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم معناه ان صبرتم حتى
ينزل القران بحكم من فرض او نهي او حكم وليس في ظاهره شرح ما تحتاجون اليه ومست حاجتكم اليه فاذا سالتم
عنه فحينيذ تبد لكم ومثال هذا ان الله عز وجل لما بين عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها والحامل ولم يكن
في عدد هولا دليل على عدة التي ليست بذات قرء ولا حامل فسالوا عنها فانزل الله عز وجل جوابهم في قوله
واللاي يئسن من المحيض الاية عفا الله عنها يعني عن مسالتكم عن الاشيا التي سالتم عنها رسول الله
صلى الله عليه وسلم التي كره الله لكم السوال عنها فلم يواخذكم بها ولم يعاقبكم عليها والله غفور يعني
لمن تاب منكم حليم فلم يعجل بعقوبتكم وقال عطا غفور يعني لما كان في الجاهلية حليم يعني عن عقابكم منذ
امنتم وصدقتم قال بعض العلما الاشيا التي يجوز السوال عنها هي ما يترتب عليه امر الدين والدنيا من
مصالح العباد وما عدا ذلك فلا يجوز السوال عنه ق عن سعيد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان اعظم المسلمين في المسلمين جرما من سال عن شي لم يحرم على الناس فحرم من اجل مسالته
ق وعن المغيرة بن شعبة انه كتب الى معاوية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن قيل وقال واضاعة
المال وكثرة السوال عن معاوية ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الاغلوطات اخرجه ابو داود
الاغلوطات صعاب المسايل التي تزل فيها اقدام العلما ويويد ذلك قول ابي هريرة شرار الناس الذين
يسالون عن شرار المسايل كي يغلطوا بها العلما وعن سلمان قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن اشيا فقال الحلال ما احل الله في كتابه والحرام ما حرمه في كتابه وما سكت عنه فهو مما قد عفى عنه
فلا تتكلفوا وعن ابي ثعلبة الخشني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى فرض فرايض
فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم اشيا فلا تقربوها وترك اشيا من غير نسيان فلا
تبحثوا عنها هذان الحديثان اخرجهما في جامع الاصول ولم يعزهما الى الكتب الستة ثم قال تعالى قد
سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين قال المفسرون يعني قوم صالح سالوا الناقة ثم عقروها
فاصبحوا بها كافرين وقوم موسى قالوا ارنا الله جهرة فكان هذا السوال وبالا عليهم وقوم موسى سالوا
نزول المايدة عليهم ثم كذبوا بها كانه تعالى يقول ان اوليك سالوا فلما اعطوا سولهم كفروا بها فلا تسالوا
انتم اشيا فلعلكم ان اعطيتم سولكم ساكم ذلك قوله تعالى ما جعل الله اي ما انزل الله ولا حكم به
ولا شرعه ولا امر به من بحيرة البحيرة من البحر وهو الشق يقال بحر ناقته اذا شق اذنها فهي فعيلة
بمعنى مفعولة ولا سايبة يعني المسيبة المخلاة ولا وصيلة الوصيلة هي الشاة وكانت العرب
في الجاهلية اذا ولدت لهم ذكرا او انثى قالوا وصلت اخاها ولا حام الحام هو الفحل من الابل
يحمي ظهره فلا يركب ولا ينتفع به قال ابن عباس في بيان هذه الاوصاف البحيرة هي الناقة اذا ولدت ولم يركبوها
ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلا ثم نظروا الى خامس ولدها فان كان ذكرا نحروه واكله الرجال والنسا
وان كانت انثى شقوا اذنها وتركوها وحرموا على النسا منافعها وكانت منافعها للرجال خاصة فاذا ماتت
حلت للرجال والنسا وقيل كانت الناقة اذا تابعت بين عشر سنة اناث سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها

ولم يشرب

ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت بعد ذلك من انثى شق اذنها سيبت مع امها وفعل بها كما فعل بامها
وقيل السايبة البعير الذي يسيب لالهتهم وذلك ان الرجل من اهل الجاهلية كان اذا مرض او غاب
له قريب نذر فقال ان شفاني الله او شفا مريضي او قدم غايبي فناقتي هذه سايبة ثم يسيبها فلا
تحبس عن ماء ولا مرعى ولا يركبها احد فهي بمنزلة البحيرة والوصيلة من الغنم كانت الشاة اذا ولدت
سبعة ابطن نظروا فان كان السابع ذكرا نحروه واكل منه الرجال والنسا وان كانت انثى تركوها
في الغنم وان كانت ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها واستحيوا الذكر فلم يذبحوه من اجل
الانثى والحام هو الفحل اذا ركب ولد ولده وقيل هو الفحل اذا انتج من صلبه عشرة ابطن قالوا حمى ظهره
فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى فاذا مات اكله الرجال والنسا ق عن سعيد بن المسيب
قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها احد من الناس والسايبة كانوا يسيبونها لالهتهم
لا يحمل عليها شي وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه
في النار وللمسلم قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف
اخا بني كعب وهو يجر قصبه في النار خ عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت جهنم
يحطم بعضها بعضا ورايت عمرا يجر قصبه وهو اول من سيب السوايب القصب بضم القاف وسكون
الصاد المهملة الامعا كان اهل الجاهلية تفعل هذه في جاهليتهم فلما بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى
الله عليه وسلم ابطل ذلك كله بقوله ما جعل الله من بحيرة ولا سايبة ولا وصيلة ولا حام يعني ما بحر
الله من بحيرة ولا سيب من سايبة ولا وصل من وصيلة ولا حمى من حام ولا اذن فيه ولا امر به ولكنكم انتم
فعلتم ذلك من عند انفسكم خ عن ابن مسعود ان اهل الاسلام لا يسيبون وان اهل الجاهلية كانوا
يسيبون وقوله تعالى ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب يعني بقولهم ان الله امر بها واكثرهم
لا يعقلون اراد بالاكثر الاتباع يعني الاتباع لا يعقلون ان هذا كذب وافترا من الروسا على الله عز وجل
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول يعني واذا قيل لهولا الذين بحروا البحاير وفعلوا هذه
الاشيا ونسبوها الى الله كذبا عليه تعالوا الى ما انزل الله يعني في كتابه والى الرسول يعني محمدا صلى
الله عليه وسلم الذي انزل عليه كتابه ليتبين لكم كذب ما تضيفونه الى الله ويبين لكم الشرايع والاحكام
وان الذي تفعلونه ليس بشي قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا يعني قد اكتفينا بما اخذناه عنهم
من الدين ونحن لهم تبع قال الله ردا عليهم اولو كان اباوهم لا يعلمون شيا ولا يهتدون يعني انما يصح
الاقتدا بالعالم المهتدي الذي يبني قوله على الحجة والبرهان والدليل وان اباءهم ما كانوا كذلك
فلا يصح اقتداوهم بهم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
قال بعض العلما هذا امر من الله تعالى ومعناه احفظوا انفسكم من ملابسة الذنوب والاصرار على
المعاصي لانك اذا قلت عليك زيدا معناه الزم زيدا وقيل معناه عليكم انفسكم فاصلحوها واعملوا في
خلاصها من عذاب الله عز وجل لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يعني لا يضركم كفر من كفر اذا كنتم مهتدين
واطعتم الله عز وجل فيما امركم ونهاكم عنه قال سعيد بن جبير ومجاهد نزلت هذه الاية في اهل الكتاب
اليهود والنصارى يعني عليكم انفسكم لا يضركم من ضل من اهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم
وقيل لما قبل الجزية من اهل الكتاب قال بعض الكفار كيف يقبل الجزية من بعض دون بعض فنزلت
هذه الاية وقيل ان المومنين كانوا يشتد عليهم بقا الكفار على كفرهم فقيل لهم عليكم انفسكم واجتهدوا

فى خلاصها لا يضركم ضلال الضالين ولا جهل الجاهلين اذا كنتم انتم مهتدين فان قلت هل يدل ظاهر
هذه الاية على جواز ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قلت لا يدل على ذلك والذى عليه اكثر الناس ان المطيع
لربه عز وجل لا يكون مواخذا بذنوب العاصى فاما وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فثابت بدليل الكتاب
والسنة ق عن قيس بن ابى حازم عن ابى بكر الصديق انه قال ايها الناس انكم تقرؤن هذه الاية يا ايها الذين
امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس
اذا راوا الظالم فلم ياخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله منه بعقاب اخرجه الترمذى وقال حديث حسن
صحيح واخرجه ابو داود وزاد فيه ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى ثم يقدرون على ان يغيروا ولا يغيرون
الا يوشك ان يعمهم الله بعقاب وقال قوم فى معنى الاية عليكم انفسكم اذا امرتم بالمعروف ونهيتم
عن المنكر فلم يقبل منكم قال ابن مسعود مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فان رد عليكم فعليكم
انفسكم ثم قال ان القران نزل منه اى قد مضى تاويلهن قبل ان ينزلن ومنه اى وقع تاويلهن على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه اى قد وقع تاويلهن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه
اى لم يقع تاويلهن فى اخر الزمان ومنه اى وقع تاويلهن يوم القيمة وهى ما ذكر من الحساب والجنة والنار
فما دامت قلوبكم واهواكم واحدة ولم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم باس بعض فامروا بالمعروف وانهوا عن
المنكر فاذا اختلفت قلوبكم واهواكم والبستم شيعا وذاق بعضكم باس بعض فامر نفسه فعند ذلك
جا تاويل هذه الاية وقيل لابن عمر لو جلست فى هذه الايام فلم تامر ولم تنه فان الله يقول عليكم انفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال ابن عمر انها ليست لى ولا لاصحابى لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الا ليبلغ الشاهد الغايب فكنا نحن الشهود وانتم الغايب ولكن هذه الاية لاقوام يجيون من
بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم وعن ابى امية الشعبانى قال اتيت ابا ثعلبة الخشنى فقلت له كيف تصنع
بهذه الاية قال اية اية قلت يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال
اما والله لقد سالت عنها خبيرا سالت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايتمروا بالمعروف
وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب كل ذى راى برايه فعليك
بخاصة نفسك ودع العوام فان من ورايكم ايام الصبر فمن صبر فيهن قبض على الجمر للعامل فيهن مثل اجر
خمسين رجلا يعملون مثل عملكم وفى رواية قيل يا رسول الله اجر خمسين رجلا منا او منهم قال لا بل اجر خمسين
منكم اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وقيل فى معنى الاية ان العبد اذا عمل بطاعة الله واجتنب
نواهيه لا يضره من ضل او هلك قال ابن عباس فى قوله عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يقول
اذا ما العبد اطاعنى فيما امرته من الحلال والحرام فلا يضره من ضل بعده اذا عمل بما امرته به وعن صفوان
ابن محرز قال دخل على شاب من اصحاب الاهواء فذكر شيا من امره فقال له صفوان الا ادلك على خاصة
الله التى خص بها اولياءه يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقال الحسن
لم يكن مومن فيما مضى ولا مومن فيما بقى الا والى جانبه منافق يكره عمله وقيل فى معنى الاية لا يضركم من
كفر بالله وحاد عن قصد السبيل من اهل الكتاب اذا اهتديتم انتم قال سعيد بن جبير نزلت هذه الاية
فى اهل الكتاب وقال ابن زيد كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك وضللتهم وفعلت وفعلت وكان
ينبغى لك ان تنصرهم وتفعل وتفعل فقال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم قال الطبرى واولى هذه الاقوال واصح التاويلات عندنا فى هذه الاية ما روى عن ابى بكر

الصديق

الصديق وهو العمل بطاعة الله واداء ما لزم من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والاخذ على يد الظالم
لان الله تعالى يقول وتعاونوا على البر والتقوى ومن التعاون على البر والتقوى الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر والاخذ على يد الظالم حتى يرجع عن ظلمه وقال عبد الله بن المبارك هذه الاية
اوكد اية فى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لان الله تعالى قال عليكم انفسكم يعنى اهل دينكم بان
يعظ بعضكم بعضا بان يرغبه فى الخيرات وينفره عن القبايح والمكروهات والذى يوكد ذلك ان معنى
قوله عليكم انفسكم اى احفظوا انفسكم وهذا انما يكون بحفظ انفسنا ولا يتم ذلك الا بالامر بالمعروف والنهى
عن المنكر والله اعلم وقوله تعالى الى الله مرجعكم جميعا يعنى فى الاخرة الطايع والعاصى والضال والمهتدى
فينبيكم بما كنتم تعملون يعنى فيخبركم باعمالكم ويجزيكم عليها قوله تعالى يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم
سبب نزول هذه الاية ما روى ان تميم بن اوس الدارى وعدى بن بدا خرجا من المدينة فى تجارة الى الشام وهما
نصرانيان ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه
جميع ما معه من المتاع والقاه فى متاعه ولم يخبر صاحبيه بذلك فلما اشتد وجعه اوصى الى تميم وعدى
وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله اذا رجعا الى المدينة ومات بديل ففتشا متاعه فوجدا فيه اناء من فضة
منقوشا بالذهب فيه ثلثماية مثقال فغيباه ثم انهما قضيا حاجتهما وانصرفا الى المدينة فدفعا المتاع
الى اهل الميت ففتشوه فاصابوا الصحيفة وفيها تسمية ما كان معه فجا اهل الميت الى تميم وعدى
فقالوا هل باع صاحبنا شيا من متاعه قالا لا قالوا فهل اتجر تجارة قالا لا قالوا فهل طال مرضه فانفق على
نفسه شيا قالا لا فقالوا انا وجدنا فى متاعه صحيفة فيها تسمية ما كان معه وانا فقدنا اناء من فضة
مموها بالذهب فيه ثلثماية مثقال فضة قالا ما ندرى انما اوصى الينا بشى وامرنا ان ندفعه اليكم
فدفعناه وما لنا علم بالاناء فاختصموا الى النبى صلى الله عليه وسلم فاصرا على الانكار وحلفا فانزل الله
تعالى هذه الاية هذا قول المفسرين وروى الترمذى عن ابن عباس عن تميم الدارى فى هذه الاية
يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت قال برى الناس منها غيرى وغير عدى
ابن بدا وكانا نصرانيين يختلفان الى الشام بتجارتهما قبل الاسلام فاتيا الشام بتجارتهما وقدم عليهما
مولى لبنى سهم يقال له بديل بن ابى مريم بتجارة ومعه جام فضة يريد به الملك وهو عظم تجارته فمرض
فاوصى اليهما وامرهما ان يبلغا ما ترك اهله قال تميم فلما مات اخذنا ذلك الجام فبعناه بالف درهم
ثم اقتسمناه انا وعدى فلما اتينا اهله دفعنا اليهم ما كان معنا ففقدوا الجام فسالونا عنه فقلنا
ما ترك غير هذا ولا دفع الينا غيره قال تميم فلما اسلمت بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة تاثمت من ذلك فاتيت اهله فاخبرتهم الخبر واديت اليهم خمسماية درهم واخبرتهم ان عند
صاحبى مثلها فاتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالهم البينة فلم يجدوا فامرهم ان يستحلفوه
بما يعظم به على اهل دينه فحلف فانزل الله يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت الى
قوله او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم فقام عمرو بن العاص ورجل اخر فحلفا فنزعت الخمسماية درهم
من عدى قال الترمذى هذا حديث غريب وليس اسناده بصحيح قال الترمذى وقد روى عن
ابن عباس شى من هذا على الاختصار من غير هذا الوجه قال ابن عباس خرج رجل من بنى سهم مع تميم الدارى
وعدى بن بدا فمات السهمى بارض ليس بها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة مخوصا بالذهب
فاحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وجدوا الجام فقيل اشتريناه من تميم وعدى فقام رجلان

من اوليا الميت فحلفا بالله لشهادتنا احق من شهادتهما ان الجام لصاحبهم قال وفيهم نزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن غريب واخرج هذه الرواية الاخيرة البخاري في صحيحه فاما التفسير فقوله تعالى يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم يعني ليشهد ما بينكم لان الشهادة انما يحتاج اليها عند وقوع التنازع والتشاجر اذا حضر احدكم الموت يعني اذا قارب وقت حضور الموت حين الوصية اثنان لفظه خبر ومعناه الامر يعني ليشهد اثنان منكم عند حضور الموت واردتم الوصية ذوا عدل منكم يعني من اهل دينكم وملتكم يا معشر المومنين واختلفوا في هذين الاثنين فقيل هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي وقيل هما الوصيان لان الاية نزلت فيهما ولانه تعالى قال فيقسمان بالله والشاهد لا يلزمه يمين وجعل الوصي اثنين تاكيدا فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت وصية فلان بمعنى حضرت او اخران من غيركم يعني من غير اهل دينكم وملتكم وهذا قول ابن عباس وابي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وابن جبير والنخعي والشعبي وابن سيرين وشريح واكثر المفسرين وقيل معناه من غير عشيرتكم وقبيلتكم وهم مسلمون واختلفوا العلما في حكم هذه الاية فقال ابراهيم النخعي وجماعة هي منسوخة كانت شهادة اهل الذمة مقبولة في الابتدا ثم نسخت بقوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم لان اجماع الامة على شهادة الفاسق لا تجوز فشهادة الكفار واهل الذمة لا تجوز بطريق الاولى وذهب قوم الى انها ثابتة لم تنسخ وهو قول ابن عباس وابي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وابن جبير وابن سيرين وبه قال احمد بن حنبل قالوا اذا لم يجد مسلمين يشهدا على وصيته وهو في ارض غربة لم يجد مسلما يشهده وصيته فليشهد كافرين على اي دين كانا من اهل الكتاب او من عبدة الاوثان فشهادتهم جايزة في هذا الموضع ولا تجوز شهادة كافر على مسلم الا على وصيته في سفر لا يجد فيه مسلما عن الشعبي ان رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا هذه فلم يجد احدا من المسلمين حضره يشهده على وصيته فاشهد رجلين من اهل الكتاب فقدما الكوفة فاتيا ابو موسى الاشعري فاخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال ابو موسى هذا امر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وانها لوصية الرجل وتركته فامضى شهادتهما اخرجه ابو داود وقال قوم في قوله ذوي عدل منكم يعني من عشيرتكم وحيكم او اخران من غيركم من غير عشيرتكم وحيكم وان الاية كلها في المسلمين وهذا قول الحسن والزهري وعكرمة وقالوا لا تجوز شهادة كافر في شي من الاحكام وهذا مذهب الشافعي ومالك وابي حنيفة غير ان ابا حنيفة اجاز شهادة اهل الذمة فيما بينهم بعضهم على بعض واحتج من قال بان هذه الاية محكمة بان سورة المايدة من اخر القران نزولا وليس فيها منسوخ واحتج من اجاز شهادة غير المسلم في هذا الموضع بان الله تعالى قال في اول الاية يا ايها الذين امنوا فعم بهذا الخطاب جميع المومنين ثم قال بعده ذوا عدل منكم او اخران من غيركم نعلم بذلك انهما من غير المومنين ولان الاية دالة على وجوب الحلف على هذين الشاهدين واجمع المسلمون على ان الشاهد المسلم لا يجب عليه يمين ولان الميت اذا كان في ارض غربة ولم يجد مسلما يشهد على وصيته ضاع ماله وربما كان عليه ديون او عنده وديعة فيضيع ذلك كله واذا كان ذلك كذلك احتاج الى اشهاد من حضره من اهل الذمة وغيرهم من الكفار حتى لا يضيع ماله وتنفذ وصيته فهذا كالمضطر الذي ابيح له اكل الميتة في حال الاضطرار والضرورات قد تبيح شيا من المحظورات واحتج

من منع

من منع ذلك بان الله تعالى قال ممن ترضون من الشهدا والكفار ليسوا مرضيين ولا عدولا فشهادتهم غير مقبولة في حال من الاحوال وقوله تعالى ان انتم ضربتم في الارض يعني ان انتم سافرتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت يعني نزل بكم اسباب الموت فاوصيتم اليهما ودفعتم مالكم اليهما تحبسونهما يعني ان اتهمها بعض الورثة وادعوا عليهما خيانة فالحكم فيه ان يوقفوهما من بعد الصلاة يعني من بعد صلاة العصر لان جميع اهل الاديان يعظمون ذلك الوقت ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقيل من بعد صلاة اهل دينهما لانهما اذا كانا كافرين لا يحترمان صلاة العصر فيقسمان بالله يعني فيحلفان بالله قال الشافعي الايمان تغلظ في الدما والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مايتي درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد صلاة العصر ان كان بمكة بين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند المنبر في بيت المقدس عند الصخرة وفي ساير البلاد في اشرف المساجد واعظمها ان ارتبتم يعني ان شككتم ايها الورثة في قول الشاهدين وصدقهما فحلفوهما وهذا اذا كانا كافرين اما اذا كانا مسلمين فلا يمين عليهما لان تحليف الشاهد المسلم غير مشروع لا نشتري به ثمنا يعني لا نبيع عهد الله بشي من الدنيا ولا نحلف بالله كاذبين لاجل عوض نأخذه او حق نجحده ولو كان ذا قربى يعني ولو كان المشهود له ذا قرابة منا وانما خص القربى بالذكر لان الميل اليهم اكثر من غيرهم ولا نكتم شهادة الله انما اضاف الشهادة اليه لانه امر باقامتها ونهى عن كتمانها انا اذا لمن الاثمين يعني ان كتمنا الشهادة او خناها ولما نزلت هذه الاية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا تميما وعديا فحلفهما عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انهما لم يخونا شيا دفع اليهما فحلفا على ذلك فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ظهر الانا بعد ذلك قال ابن عباس وجد الانا بمكة فقالوا اشتريناه من تميم وعدي وقيل لما طالت المدة اظهروه فبلغ ذلك بني سهم فاتوهما في ذلك فقالا انا كنا اشتريناه منه فقالوا لهما الم تزعما ان صاحبنا لم يبع شيا من متاعه قالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا ان نقر لكم به فكتمنا لذلك فدفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان عثر يعني فان اطلع وظهر والعثور الهجوم على امر لم يهجم عليه غيره وكل من اطلع على امر كان قد خفي عليه فقيل له قد عثر عليه على انهما استحقا اثما يعني الوصيين ومعنى الاية فان حصل العثور والوقوف على ان الوصيين كانا استوجبا الاثم بسبب خيانتهما وايمانهما الكاذبة فاخران يعني من اوليا الميت واقربايه يقومان مقامهما يعني مقام الوصيين في اليمين من الذين استحق عليهم يعني من الذين استحق عليهم الاثم وهم الورثة والمعنى اذا ظهرت خيانة الحالفين وبان كذبهما يقوم اثنان اخران من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته الاوليان يعني بامر الميت وهم اهله وعشيرته فيقسمان بالله يعني فيحلفان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما يعني ان ايماننا احق واصدق من ايمانهما وما اعتدينا يعني في ايماننا وقولنا ان شهادتنا احق من شهادتهما انا اذا لمن الظالمين ولما نزلت هذه الاية قام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان وهما من اهل الميت فحلفا بالله بعد العصر ودفع الانا اليهما وانما ردت اليمين على اوليا الميت لان الوصيين ادعيا ان الميت باعهما الانا وانكر ورثة الميت ذلك ومثل هذا ان الوصي اذا اخذ شيا من مال الميت وقال انه اوصى له به وانكر ذلك الورثة ردت اليمين عليه ولما اسلم تميم الداري بعد هذه القصة كان يقول صدق الله وصدق رسوله انا اخذت الانا فانا اتوب الى الله واستغفره وقوله تعالى ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة

على وجهها يعني ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين على اولياء الميت بعد ايمانهم ادنى اجدر واحرى ان ياتوا
بالشهادة على وجهها يعني ان ياتي الوصيان وسائر الناس بالشهادة على وجهها فلا يخونوا فيها او يخافوا ان ترد
ايمان بعد ايمانهم يعني واقرب الى ان يخاف الوصيان ان ترد الايمان على اولياء الميت فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم
فيفتضحوا ويغرموا فربما لا يحلفون كاذبين اذا خافوا هذا الحكم واتقوا الله يعني وخافوا الله ان تحلفوا
ايمانا كاذبة او تخونوا امانة واسمعوا يعني المواعظ والزواجر وقيل معناه واسمعوا سمع اجابة والله لا يهدي
القوم الفاسقين يعني والله لا يرشد من كان على معصية وهذا تهديد وتخويف ووعيد لمن خالف حكم
الله او خان امانته او حلف ايمانا كاذبة وهذه الاية الكريمة من اصعب ما في القران من الايات نظما
واعرابا وحكما والله اعلم باسرار كتابه قوله عز وجل يوم يجمع الله الرسل قال الزجاج هي متصلة بما قبلها
تقديرها واتقوا الله يوم يجمع الله الرسل اي لا يهديهم الى الجنة في ذلك اليوم وهو يوم القيمة وقيل
انها منقطعة عما قبلها وتقديره اذكر يا محمد يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيمة فيقول ماذا
اجبتم يعني فيقول الله تبارك وتعالى للرسل ماذا اجابكم اممكم وما الذي رد عليكم قومكم حين دعوتموهم
في دار الدنيا الى توحيدي وطاعتي وفائدة هذا السؤال توبيخ امم الانبياء الذين كذبوهم قالوا يعني الرسل
لا علم لنا قال ابن عباس معناه لا علم لنا كعلمك فيهم لانك تعلم ما اظهروا وما اضمروا ونحن لا نعلم الا ما اظهروا
فعلمك فيهم انفذ من علمنا وابلغ فعلى هذا القول انما نفوا العلم عن انفسهم وان كانوا علماء لان علمهم صار
كلا علم عند علم الله وقال في رواية اخرى معناه لا علم لنا الا علم انت اعلم به منا وهذا القول قريب من
الاول وقيل معناه لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك ايانا عن امر انت اعلم به منا وقيل معناه لا حقيقة
لعلمنا بعاقبة امرهم لانا انما نعلم ما كان من افعالهم واقوالهم وقت حياتنا ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا
ولا نعلم ما احدثوا من بعدنا ومنه ما اخبر عن عيسى عليه السلام بقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم
فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم ومنه ما روي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن
على الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الي اختلجوا دوني فلاقولن اي رب اصحابي فيقال لي انك لا تدري
ما احدثوا بعدك زاد في رواية فاقول سحقا لمن بدل بعدي اخرجاه في الصحيحين وقال جمع من المفسرين ان
للقيامة اهوالا وزلازل تزول فيها القلوب عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك ويذهلون عن الجواب
ثم ثابت اليهم عقولهم يشهدون على اممهم بالتبليغ وهذا فيه ضعف لان الله تعالى قال في حق الانبياء لا يحزنهم
الفزع الاكبر وذكر الامام فخر الدين وجها اخر وهو ان الرسل عليهم السلام لما علموا ان الله تعالى عالم لا يجهل
وحليم لا يسفه وعادل لا يظلم علموا ان قولهم لا يفيد خيرا ولا يدفع شرا فراوا ان الادب في السكوت وفي تفويض
الامر الى علم الله وعدله فقالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب يعني انك تعلم ما غاب عنا من باطن الامور
ونحن نعلم ما نشاهد ولا نعلم ما في البواطن وقيل معناه انك لا يخفى عليك ما عندنا من المعلوم وان الذي
سالتنا عنه ليس يخفى لانك انت علام الغيوب ومعناه العالم باصناف المعلومات على تفاوتها
ليس يخفى عليه خافية وبناء فعال بناء التكثير ودلت الاية على جواز اطلاق العلام على الله تعالى
كما يجوز اطلاق الخلاق عليه قوله تعالى اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك قال
بعضهم ان اذ قال الله تعالى يا عيسى صلة لما اذا اجبتم ولما كان المراد بقوله للرسل ماذا اجبتم
توبيخ الامم المكذبة ومن تمرد منهم على الله وكان اشد الامم احتياجا وافتقارا الى التوبيخ والملامة
النصارى الذين يزعمون انهم اتباع عيسى عليه السلام ووجه ذلك ان جميع الامم انما كان طعنهم

على

على انبيائهم بالتكذيب لهم وطعن هؤلاء النصارى تعدى الى جلال الله تعالى حيث وصفوه بما لا يليق بجلاله
من اتخاذ الزوجة والولد فذكر في هذه الاية من انواع نعمه على عيسى عليه السلام التي تدل على انه
عبد وليس باله والفائدة في ذكر هذه الحكاية تنبيه النصارى على قبح مقالتهم وفساد اعتقادهم وتوكيد
الحجة عليهم وقيل فائدة ذلك اسماع الامم يوم القيمة ما خص الله عيسى عليه السلام به من الكرامة
وقيل موضع اذ رفع بالابتداء على القطع ومعناه اذكر اذ قال الله يا عيسى وانما خرج قوله اذ قال الله
على لفظ الماضي دون المستقبل لانه ورد على سبيل حكاية الحال وقيل تقديره اذ يقول الله يا عيسى
ابن مريم اذكر نعمتي عليك لفظه واحد والمراد به الجمع لان الله تعالى عدد نعمه عليه في هذه الاية والمراد
من ذكرها شكرها وعلى والدتك يعني بنعمته على مريم انه تعالى انبتها نباتا حسنا وطهرها واصطفاها
على نساء العالمين ثم ذكر نعمه على عيسى عليه السلام فقال تعالى اذ ايدتك بروح القدس يعني بجبريل عليه
السلام لان القدس هو الله تعالى واضافه اليه على سبيل التشريف والتعظيم كاضافة بيت الله وناقة
الله وقيل اراد بروح القدس الروح المطهرة لان الارواح تختلف بالماهية فمنها روح طاهرة مقدسة ومنها
روح خبيثة كدرة ظلمانية فخص الله عيسى بالروح المقدسة الطاهرة النورانية المشرقة تكلم الناس
في المهد يعني تكلمهم طفلا في حال الصغر وكهلا يعني وفي حال الكهولة من غير ان يتفاوت كلامك في هذين الوقتين
وهذه معجزة عظيمة وخاصية شريفة لم تحصل لاحد قبله قال ابن عباس ارسل الله عيسى عليه السلام
وهو ابن ثلاثين سنة فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله اليه واذ علمتك الكتاب والحكمة
يعني الكتابة وهي الخط والحكمة الفهم والاطلاع على اسرار العلوم والتوراة والانجيل اي وعلمتك التوراة
التي انزلتها على موسى والانجيل الذي انزلته عليك واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني يعني واذ
تجعل وتصور من الطين كصورة الطير باذني فتنفخ فيها ذكر هنا فيها وفي سورة آل عمران فيه فالضمير في
قوله فيها يعود الى الهيئة ويجعلها مصدرا كما يقع اسم الخلق على المخلوق وذلك لان النفخ لا يكون في الهيئة انما
يكون في ذي الهيئة ويجوز ان يعود الضمير الى الطير لانها مؤنثة قال الله تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم
صافات واما الضمير المذكور في آل عمران في قوله فيه يعود الى الكاف يعني في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير
فتكون طيرا باذني انما كرر قوله باذني تاكيدا لكون ذلك الخلق واقعا بقدرة الله تعالى وتخليقه لا بقدرة عيسى
وتخليقه لان المخلوق لا يخلق شيئا انما الخالق للاشياء كلها هو الله تعالى لا خالق لها سواه وانما كان الخلق لهذا الطير
معجزة لعيسى عليه السلام اكرمه الله تعالى بها وكذا قوله تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذني يعني وتشفي
الاكمه وهو الاعمى المطموس البصر والابرص معروف ظاهر واذ تخرج الموتى يعني من قبورهم احياء باذني تفعل ذلك
كله بدعائك والفاعل لهذه الاشياء في الحقيقة هو الله تعالى لانه هو المبرئ للاكمه والابرص وهو محيي الموتى
وهو على كل شيء قدير وانما كانت هذه الاشياء معجزات لعيسى عليه السلام وقعت باذن الله وقدرته وقوله
تعالى واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني واذكر نعمتي عليك اذ كففت وصرفت عنك اليهود ومنعتهم منك حين
ارادوا قتلك اذ جئتهم بالبينات يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التي ذكر في هذه الاية
وذلك ان عيسى لما اتى بهذه المعجزات العجيبة الباهرة قصد اليهود قتله فخلصه الله منهم ورفعه الى
السماء فقال الذين كفروا منهم يعني فقال الذين استمروا على كفرهم من اليهود ولم يؤمنوا بهذه المعجزات ان
هذا الا سحر مبين يعني ما جاءهم به عيسى من المعجزات قوله عز وجل واذ اوحيت الى الحواريين يعني الهمتهم
وقذفت في قلوبهم فهو وحي الهام كما اوحي الى ام موسى والى النحل والحواريون هم اصحاب عيسى وخواصه ان

آمنوا بي وبرسولي يعني عيسى عليه السلام **قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون** لما وفقهم الله للإيمان قالوا آمنا وإنما قدم ذكر الإيمان على الإسلام لأن الإيمان من أعمال القلوب والإسلام هو الانقياد والخضوع في الظاهر والمعنى أنهم آمنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم قوله تعالى **إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك** قال المفسرون هذا على المجاز ولا يجوز لأحد أن يتوهم على الحواريين أنهم شكوا في قدرة الله عز وجل لكنه كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع أن تقوم معي مع علمه بأنه يقدر على القيام وإنما قصد بقوله هل تستطيع هل يسهل عليك وهل تخف أن تقوم معي فكذلك معنى الآية لأن الحواريين كانوا مؤمنين عارفين بالله عز وجل معترفين بكمال قدرته وإنما قالوا ذلك ليحصل لهم مزيد الطمأنينة كما قال إبراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي ولا شك أن مشاهدة هذه الآية العظيمة تورث مزيد الطمأنينة في القلب ولهذا السبب قالوا وتطمئن قلوبنا وقال بعضهم هو على ظاهره وقال غلط القوم وقالوا ذلك قبل استحكام الإيمان والمعرفة في قلوبهم وكانوا بشرا فقالوا هذه المقالة فرد الله عليهم عند غلطهم بقوله اتقوا الله إن كنتم مؤمنين يعني اتقوا الله أن تشكوا في قدرة الله عز وجل والقول الأول أصح وقيل في معنى الآية هل يقبل ربك دعاءك وهل يعطيك بإجابة دعائك وسؤالك إنزال المائدة فقد ورد في بعض الآثار من أطاع الله أطاعه **أن ينزل علينا مائدة من السماء** المائدة الخوان الذي عليه الطعام ولا يسمى مائدة إذا لم يكن عليه طعام إنما يقال خوان أو طبق وأصلها من ماد يميد إذا تحرك كأنها تميد بما عليها من الطعام **قال** يعني عيسى مجيبا للحواريين **اتقوا الله إن كنتم مؤمنين** يعني اتقوا الله في هذا السؤال إن كنتم مؤمنين لأنه سؤال تعنت وقيل أمرهم بالتقوى ليحصل لهم هذا السؤال ويعني إن كنتم مؤمنين مصدقين فلا تشكوا في قدرة الله تعالى وقيل معناه اتقوا الله أن تسألوه شيئا لم يسأله أحد من الأمم قبلكم فنهاهم عن اقتراح الآيات بعد الإيمان **قالوا نريد أن نأكل منها** يعني قال الحواريون مجيبين لعيسى عليه السلام إنما نطلب نزول المائدة علينا لنأكل منها فإن الجوع قد غلبنا وقيل معناه نريد أن نأكل للتبرك بها لا أكل حاجة **وتطمئن قلوبنا** يعني وتسكن قلوبنا وتستيقن قدرة الله عز وجل لأنا وإن علمنا قدرة الله بالدليل فإذا شاهدنا نزول المائدة ازداد اليقين وقويت الطمأنينة **ونعلم أن قد صدقتنا** يعني ونزداد إيمانا ويقينا بأنك رسول الله **ونكون عليها من الشاهدين** يعني لله بالوحدانية ولك بالرسالة والنبوة وقيل معناه ونكون لك من الشاهدين عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم فلما قالوا ذلك أمرهم عيسى أن يصوموا ثلاثين يوما وقال لهم إنكم إذا صمتم ذلك وأفطرتم فلا تسألون الله شيئا إلا أعطاكم ففعلوا ذلك وسألوا نزول المائدة فعند ذلك **قال عيسى ابن مريم** قيل إنه اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين وطأطأ رأسه وبكى ثم دعا فقال **اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا** يعني عائدة من الله علينا وحجة وبرهانا والعيد يوم السرور وأصله من عاد يعود إذا رجع والمعنى نتخذ ذلك اليوم الذي تنزل فيه المائدة عيدا نعظمه ونصلي فيه نحن ومن يجيء من بعدنا فنزلت في يوم الأحد فاتخذه النصارى عيدا وقال ابن عباس معناه يأكل منها أول الناس كما يأكل آخرهم **وآية منك** أي وتكون المائدة دلالة على قدرتك ووحدانيتك وحجة لصدق رسولك **وارزقنا** أي ارزقنا ذلك من عندك وقيل ارزقنا الشكر على هذه النعمة **وأنت خير الرازقين** يعني وأنت خير من تفضل ورزق قال الله عز وجل مجيبا لعيسى **إني منزلها عليكم** يعني المائدة **فمن يكفر بعد منكم** يعني بعد نزول المائدة **فإني أعذبه عذابا** يعني جنسا من العذاب **لا أعذبه أحدا من العالمين** يعني من عالمي زمانهم فجحدوا وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا خنازير

قال

قال الزجاج ويجوز أن يكون هذا العذاب معجلا في الدنيا ويجوز أن يكون مؤخرا في الآخرة قال عبد الله ابن عمر إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون واختلف العلماء في نزول المائدة فقال الحسن ومجاهد لم تنزل المائدة لأن الله لما وعدهم على كفرهم بالعذاب بعد نزول المائدة خافوا أن يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل عليهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله تعالى إني منزلها أي إن سألتم نزولها والصحيح الذي عليه جمهور العلماء والمفسرين أنها نزلت لأن الله تعالى قال إني منزلها عليكم وهذا وعد من الله بإنزالها ولا خلف في خبره ووعده ولما روي عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت المائدة من السماء خبزا ولحما وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا لغد فمسخوا قردة وخنازير أخرجه الترمذي وقال قد روي عن عمار من غير طريق موقوف وهو أصح قال ابن عباس إن عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم اسألوا الله ما شئتم يعطكم فصاموا فلما فرغوا قالوا يا عيسى إنا لو عملنا عملا لأحد فقضينا عمله لأطعمنا وسألوا نزول المائدة فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعوها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وقال سلمان الفارسي لما سأل الحواريون المائدة لبس عيسى عليه السلام صوفا وبكى وقال اللهم أنزل علينا مائدة من السماء الآية فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون إليها وهي تهوي إليهم منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة واليهود ينظرون إلى شيء لم يروا مثله ولم يجدوا ريحا أطيب من ريحه فقال عيسى عليه السلام ليقم أحسنكم عملا فيكشف عنها ويسم الله فقال شمعون الصفا رأس الحواريين أنت أولى بذلك منا فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى بكاء كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فإذا هو بسمكة مشوية ليس فيها شوك ولا عليها فلوس تسيل من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الجنة فقال عيسى ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة ولكنه شيء افتعله الله بالقدرة العالية كلوا مما سألتم يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله كن أول من يأكل منها فقال عيسى معاذ الله أن آكل منها ثم سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها أهل الفاقة والمرضى والبرص والجذام والمقعدين فقال كلوا من رزق الله لكم المهنأ ولغيركم البلاء فأكلوا منها وهم ألف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير ومريض وزمن ومبتلى وصدروا عنها وهم شباع وإذا السمكة كهيئتها حين أنزلت ثم طارت المائدة صعودا وهم ينظرون إليها حتى توارت فلم يأكل منها مريض أو زمن أو مبتلى إلا عوفي ولا فقير إلا استغنى وندم من لم يأكل منها فمكثت أربعين صباحا تنزل ضحى فإذا نزلت اجتمع إليها الأغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يأكلون منها ولا تزال منصوبة يأكل منها حتى يفيء الفيء فإذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون إليها حتى تتوارى عنهم وكانت تنزل غبا يوما تنزل ويوما لا تنزل فأوحى الله عز وجل إلى عيسى عليه السلام اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الأغنياء فعظم ذلك على الأغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها وقالوا ترون المائدة حقا تنزل من السماء فأوحى الله عز وجل إلى عيسى عليه السلام إني شرطت أن من كفر بعد نزولها عذبته

عذابا لا اعذبه احدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام عند ذلك ان تعذبهم فانهم عبادك وان
تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا باتوا ليلتهم مع نسائهم على فرشهم ثم اصبحوا
خنازير يسعون في الطرقات ياكلون العذرة من الكناسات والحشوش فلما راى الناس ذلك فزعوا الى عيسى
عليه السلام وبكوا ولما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به وجعل عيسى يدعوهم
باسمائهم فيشيرون برؤوسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا قال كعب انزلت المائدة
منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل شيء الا اللحم وقال ابن عباس انزل على المائدة كل
شيء الا الخبز واللحم وقال الكلبي كان عليها خبز ارز وبقل وقال وهب بن منبه انزل الله اقرصة من شعير
وحيتانا فكان القوم ياكلون ويخرجون ثم يجيء آخرون فياكلون حتى اكلوا باجمعهم وفضل وقال قتادة كانت
تنزل عليهم بكرة وعشيا حيث كانوا كالمن والسلوى لبني اسرائيل وقال الكلبي ومقاتل انزل الله سمكا وخمسة
ارغفة فاكلوا منها ما شاء الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك من لم يشهد
منهم وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به خيرا ثبته ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير
ليس فيهم صبي ولا امراة فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ
قوله عز وجل **واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله** الاية
اختلف المفسرون في وقت هذا القول فقال السدي قال الله تعالى هذا القول لعيسى عليه السلام حين
رفعه الى السماء بدليل ان حرف اذ يكون للماضي وقال سائر المفسرين انما يقول الله هذا القول يوم القيمة
بدليل قوله يوم يجمع الله الرسل وذلك في يوم القيمة وبدليل قوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم
وذلك في يوم القيمة واجيب عن حرف اذ بانها قد تجيء بمعنى اذا كقوله ولو ترى اذ فزعوا يعني اذا فزعوا
وقال الراجز ٭ ثم جزاك الله عني اذ جزا ٭ جنات عدن في السموات العلى ٭
ولفظ الاية في قوله ءانت قلت للناس لفظ استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ لمن ادعى ذلك على
عيسى عليه السلام من النصارى لان عيسى عليه السلام لم يقله فان قلت اذا كان عيسى عليه السلام
لم يقل هذه المقالة فما وجه هذا السؤال له مع علم الله تعالى بانه لم يقله قلت وجه هذا السؤال
تثبيت الحجة على قومه واكذاب لهم في ادعائهم ذلك عليه وانه امرهم به فهو كما يقول القائل لآخر افعلت
كذا وهو يعلم انه لم يفعله وانما اراد تعظيم ذلك الفعل فنفى عن نفسه هذه المقالة وقال ما قلت لهم
الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم فاعترف بالعبودية وانه ليس باله كما ادعت فيه النصارى
فان قلت ان النصارى لم يقولوا بالالهية مريم فكيف قال اتخذوني وامي الهين من دون الله قلت انهم
لما ادعوا في عيسى انه اله وراوا ان مريم ولدته لزمتهم هذه المقالة على سبيل التبعية وقوله تعالى
اخبارا عن عيسى عليه السلام **قال سبحانك** يعني تنزيها لك عن النقايص وبراءة لك من العيوب
قال ابو روق اذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب ونحو قوله ءانت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله ارتعدت مفاصله وانفجرت من اصل كل شعرة من جسده عين من دم وقال مجيبا لله
تعالى سبحانك **ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق** اي كيف اقول هذا الكلام ولست باهل ولست استحق
العبادة حتى ادعو الناس اليها ولما بين انه ليس له ان يقول هذه وهذا المقام مقام التواضع والخشوع
لعظمة الله شرع في بيان هل وقع ذلك منه ام لا فقال **ان كنت قلته فقد علمته** اسند العلم الى الله تعالى
وهذا هو غاية الادب واظهار المسكنة لعظمة الله تعالى وتفويض الامر الى علمه ثم قال **تعلم ما في نفسي**

ولا اعلم

ولا اعلم ما في نفسك يعني تعلم ما اعلم ولا اعلم ما تعلم وقال ابن عباس تعلم ما في غيبي ولا اعلم ما في غيبك وقيل
معناه تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا اعلم ما يكون منك في دار الاخرة وقيل معناه تعلم ما اخفي ولا اعلم ما تخفي
وقيل معناه تعلم ما اقول وافعل ولا اعلم ما تقول وتفعل والنفس عبارة عن ذات الشيء يقال نفس الشيء
وذاته بمعنى واحد وقال الزجاج النفس عبارة عن جملة الشيء وحقيقته يقول تعلم جميع ما اعلم من حقيقة
امري ولا اعلم حقيقة امرك وقيل معناه تعلم معلومي ولا اعلم معلومك وانما ذكر هذا الكلام على طريق
المشاكلة والمطابقة وهو من فصيح الكلام ثم قال **انك انت علام الغيوب** يعني تعلم ما كان وما سيكون
وهذا تاكيدا لما تقدم من قوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب قوله تعالى
اخبارا عن عيسى **ما قلت لهم الا ما امرتني به** يعني ما قلت لهم الا قولا امرتني به **ان اعبدوا الله** يعني
قلت لهم اعبدوا الله **ربي وربكم** يعني وحده ولا تشركوا به شيئا **وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم** يعني وكنت
اشهد ما يفعلون واحضره ما دمت مقيما فيهم **فلما توفيتني** يعني فلما رفعتني الى السماء فالمراد به وفاة
الرفع لا الموت **كنت انت الرقيب عليهم** يعني الحفيظ عليهم المراقب لاعمالهم واحوالهم والرقيب الحافظ
الذي لا يغيب عنه شيء **وانت على كل شيء شهيد** يعني انت شهدت مقالتي التي قلتها لهم وانت الشهيد
عليهم بعدما رفعتني اليك لا يخفى عليك خافية فعلى هذا الشهيد هنا بمعنى الشاهد لما كان وما يكون
ويجوز ان يكون الشهيد هنا بمعنى العليم يعني انت العالم بكل شيء فلا يعزب عن علمك شيء قوله عز وجل
اخبارا عن عيسى عليه السلام **ان تعذبهم** يعني ان تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة بان تميتهم
على كفرهم **فانهم عبادك** لا يقدرون على دفع ضر تنزله بهم ولا جلب نفع لانفسهم وانت العادل فيهم لانك
اوضحت لهم طريق الحق فرجعوا عنه وكفروا **وان تغفر لهم** يعني لمن تاب من كفره منهم بان تهديه الى الايمان
فان ذلك بفضلك ورحمتك **فانك انت العزيز** يعني في الانتقام ممن يريد الانتقام منه لا يمتنع عليك
ما تريده **الحكيم** في افعالك كلها وهذا التفسير انما يصح على قول السدي لانه قال كان سؤال الله عز
وجل لعيسى عليه السلام حين رفعه الى السماء قبل القيمة واما على قول جمهور المفسرين ان هذا السؤال
انما يقع يوم القيمة ففي قوله وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اشكال وانه كيف يليق بعيسى عليه
السلام طلب المغفرة لهم مع علمه ان الله تعالى لا يغفر لمن يموت على الشرك والجواب عن هذا الاشكال
من وجوه احدها انه ليس هذا على طريق طلب المغفرة لهم ولو كان كذلك لقال فانك انت الغفور الرحيم
ولكنه على تسليم الامر الى الله وتفويضه الى مراده فيهم لانه العزيز في ملكه الحكيم في فعله ويجوز
في حكمته وسعة مغفرته ورحمته ان يغفر للكفار لكنه تعالى اخبر انه لا يفعل ذلك بقوله ان الله لا يغفر
ان يشرك به الوجه الثاني قيل معناه ان تعذبهم يعني باقامتهم على كفرهم الى الموت وان تغفر لهم يعني
لمن امن منهم وتاب ورجع عن كفره الوجه الثالث قال ابن الانباري لما قال الله لعيسى ءانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله لم يقع لعيسى الا ان النصارى حكت عنه الكذب لانه لم يقل ذلك وقول
الكذب ذنب فيجوز ان يسال له المغفرة والله اعلم بمراده في اسرار كتابه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني
فانه مني الاية وقال عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال
اللهم امتي امتي وبكى فقال الله تبارك وتعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك اعلم فسله ما يبكيك فاتاه
جبريل عليه السلام فساله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو اعلم فقال الله يا جبريل

اذهب الى محمد فقل انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام
حتى اصبح باية والاية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اخرجه النسائي
قوله عز وجل قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم اجمع المفسرين على ان المراد بهذا اليوم يوم القيمة
والمعنى ان صدقهم في الدنيا ينفعهم في الاخرة لانه يوم الاثابة والجزا وما تقدم من صدقهم في الدنيا
يتبين نفعه يوم القيمة والمراد بالصادقين النبيون والمومنون لان الكفار لا ينفعهم صدقهم يوم
القيمة قال قتادة متكلمان تخطبان يوم القيمة عيسى عليه السلام فانه يقوم فيقول ما قص
الله عنه ما قلت لهم الا ما امرتني به الاية فكان صادقا في الدنيا والاخرة فينفعه صدقه واما المتكلم
الاخر فابليس فانه يقوم فيقول وقال الشيطان لما قضي الامر الاية فصدق عدو الله فيما قال ولم ينفعه
صدقه وقال عطا هذا يوم من ايام الدنيا لان الاخرة دار جزا لا دار عمل وذهب في هذا القول
الى ظاهر الاية من ان الصدق النافع انما يكون في الدنيا وهذا القول موافق لمذهب السدي حيث يقول
ان هذه المخاطبة جرت مع عيسى عليه السلام حين رفع الى السما والوجه ما ذهب اليه الجمهور ثم ذكر الله
تعالى ما لهم من الثواب على صدقهم فقال تعالى لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
فهذا اشارة الى ما يحصل لهم من الثواب الدايم الذي لا انقطاع له ولا انتها رضي الله عنهم يعني بطاعتهم
له ورضوا عنه يعني بما اعطاهم من ثوابه وجزيل كرامته ذلك اشارة الى ما ذكره من ثوابهم هو
الفوز العظيم يعني انهم فازوا بالجنة وبرضوان منهم ونجوا من النار لله ملك السموات والارض وما
فيهن عظم الله عز وجل نفسه عما قالت النصارى يعني ان الذي له ملك السموات والارض هو الذي
يستحق الالهية لا ما قالت النصارى من الهية المسيح لان المسيح وامه من جملة من في السموات
والارض فيهما عبيده وفي ملكه وقيل هو جواب لسايل مضمر في الكلام كانه لما وعد الصادقين بالثواب
العظيم فقيل من يعطيهم ذلك فقال الذي له ملك السموات والارض وهو على كل شي قدير والله اعلم
باسرار كتابه ،

تفسير سورة الانعام ،

فصل في ذكر نزولها روى مجاهد عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سورة
الانعام مما نزل بمكة وهذا قول الحسن وقتادة وجابر بن زيد وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس
قال نزلت سورة الانعام جملة ليلا وحولها سبعون الف ملك وروى ابو صالح عن ابن عباس قال هي
مكية نزلت جملة واحدة نزلت ليلا وكتبوها من ليلتهم غير ست ايات منها فانهن مدنيات وهي قوله
تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى اخر الثلاث ايات وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره الاية
وقوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي الى اخر الايتين وذكر مقاتل نحو هذا وزاد
ايتين وهي قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناهم الاية وروى عن ابن عباس وقتادة
انهما قالا هي مكية الا ايتين نزلتا بالمدينة قوله وما قدروا الله حق قدره وقوله وهو الذي انشا
جنات معروشات الاية ولما نزلت سورة الانعام ومعها سبعون الف ملك قد سدوا ما بين الخافقين
لهم زجل بالتسبيح والتحميد قال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم وخر ساجدا
قال البغوي وروي عنه مرفوعا من قرا سورة الانعام صلى عليه اولئك السبعون الف ملك ليله ونهاره
ذكره بغير سند ، بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد لله الذي خلق السموات
والارض قال كعب الاحبار هذه الاية اول اية في التوراة واخر اية في التوراة قوله تعالى وقل الحمد لله

الذي لم يتخذ ولدا الاية وفي رواية عنه ان اخر اية في التوراة اخر سورة هود قال ابن عباس افتتح الله الخلق
بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختمهم بالحمد فقال تعالى وقضي بينهم بالحق وقيل
الحمد لله رب العالمين وفي قوله الحمد لله تعليما لعباده كيف يحمدونه اي قولوا الحمد لله وقال اهل
المعاني لفظه خبر ومعناه الامر اي احمدوا الله وانما جا على صيغة الخبر وفيه معنى الامر لانه ابلغ في
البيان من حيث انه جمع الامرين ولو قيل احمدوا الله لم يجمع الامرين فكان قوله الحمد لله ابلغ وقد
تقدم معنى الحمد في تفسير فاتحة الكتاب بما فيه مقنع الذي خلق السموات والارض اي احمدوا الله
الذي خلق السموات والارض وانما خصهما بالذكر لانهما اعظم المخلوقات فيما يرى العباد لان السما بغير
عمد ترونها وفيها العبر والمنافع والارض مسكن الخلق وفيها ايضا العبر والمنافع وجعل الظلمات والنور
الجعل هنا بمعنى الخلق اي وخلق الظلمات والنور قال السدي يريد بالظلمات ظلمات الليل وبالنور
نور النهار وقال الحسن يعني بالظلمات الكفر وبالنور الايمان وقيل يعني بالظلمات الجهل وبالنور العلم
وقيل الجنة والنار قال قتادة خلق الله السموات قبل الارض وخلق الظلمة قبل النور وخلق الجنة قبل
النار وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خلق خلقه في ظلمة ثم القى
عليهم من نوره فمن اصابه ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل ذكره البغوي بغير سند ثم الذين كفروا
بربهم يعدلون يعني ان الذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يشركون واصل العدل مساواة الشي بالشي
والمعنى انهم يعدلون بالله غير الله ويجعلون له عديلا من خلقه فيعبدون الحجارة مع اقرارهم بان
الله خلق السموات والارض وقال النضر بن شميل الباء في قوله بربهم بمعنى عن اي عن ربهم يميلون وينحرفون
من العدول عن الشي وقيل دخول ثم في قوله ثم الذين كفروا دليل على معنى لطيف وهو انه تعالى دل به
على انكاره على الكفار العدل به وعلى تعجيب المومنين من ذلك ومثال ذلك ان يقول لرجل اكرمتك
واحسنت اليك وانت تشكوني وتجحد احساني اليك فيقول ذلك منكرا عليه ومتعجبا من فعله قوله تعالى
هو الذي خلقكم من طين يعني انه تعالى خلق ادم من طين وانما خاطب ذريته بذلك لانه اصلهم وهم من نسله
وذلك لما انكر المشركون البعث وقالوا من يحيي العظام وهي رميم اعلمهم بهذه الاية انه تعالى خلقهم
من طين وهو القادر على اعادة خلقهم وبعثهم بعد الموت قال السدي لما اراد الله عز وجل ان يخلق ادم
بعث جبريل الى الارض لياتيه بقبضة منها فقالت الارض اني اعوذ بالله منك ان تنقص مني فرجع ولم
ياخذ منها شيا فقال يا رب عاذت بك فبعث الله ميكاييل فاستعاذت فبعث الله ملك الموت
فعاذت منه فقال وانا اعوذ بالله ان اخالف امره واخذ من وجه الارض فخلط الحمرا والسودا والبيضا
فلذلك اختلفت الوان بني ادم ثم عجنها بالما العذب والملح والمر فلذلك اختلفت اخلاقهم ثم قال
الله لملك الموت رحم جبريل وميكاييل الارض ولم ترحمها لا جرم اجعل ارواح من اخلق من هذا الطين بيدك
عن ابي موسى الاشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى خلق ادم
من قبضة قبضها الله من جميع الارض فجا بنو ادم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين
ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب اخرجه ابو داود والترمذي اما قوله تعالى ثم قضى اجلا واجل
مسمى عنده واختلف العلما في معنى ذلك فقال الحسن وقتادة والضحاك الاجل الاول
من وقت الولادة الى وقت الموت والاجل الثاني من وقت الموت الى البعث وهو البرزخ ويروى نحو
ذلك عن ابن عباس قال لكل احد اجلان اجل الى الموت واجل من الموت الى البعث فان كان الرجل

برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث في اجل العمر وان كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من اجل العمر
وزيد في اجل البعث وذلك قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب وقال مجاهد
وسعيد بن جبير الاجل الاول اجل الدنيا والاجل الثاني اجل الاخرة وقيل الاجل هو الوقت المقدر
فاجل كل انسان مقدر معلوم عند الله لا يزيد ولا ينقص والاجل الثاني هو اجل القيمة وهو ايضا
معلوم مقدر عند الله لا يعلمه الا هو وقال ابن عباس في رواية عطا عنه **ثم قضى اجلا** يعني النوم
يقبض فيه الروح ثم ترجع عند الانتباه **واجل مسمى عنده** هو اجل الموت وقيل هما واحد ومعناه ثم
قضى اجلا يعني قدر مدة الاعمار كم تنتهون اليها واجل مسمى عنده يعني ان ذلك الاجل مسمى عنده
لا يعلمه الا هو والمراد بقوله عنده يعني في اللوح المحفوظ الذي لا يطلع عليه غيره **ثم انتم تمترون**
يعني ثم انتم تشكون في البعث قوله عز وجل **وهو الله في السموات وفي الارض** يعني وهو اله السموات
واله الارض وقيل معناه وهو المعبود في السموات وفي الارض وقال محمد بن جرير الطبري معناه وهو الله
في السموات **يعلم سركم وجهركم** في الارض قال الزجاج فيه تقديم وتاخير تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم
في السموات وفي الارض وقيل معناه وهو المنفرد بالتدبير في السموات وفي الارض لا شريك له فيهما
والمراد بالسر ما يخفيه الانسان في ضميره فهو من اعمال القلوب والجهر ما يظهره الانسان فهو
من اعمال الجوارح والمعنى ان الله لا يخفى عليه خافية في السموات ولا في الارض **ويعلم ما تكسبون**
يعني من خير او شر وفي الاية سؤال وهو ان الكسب اما ان يكون من اعمال القلوب وهو المسمى بالسر
او من اعمال الجوارح وهو المسمى بالجهر فالافعال لا تخرج عن هذين النوعين يعني السر والجهر فقوله ويعلم
ما تكسبون يقتضي عطف الشي على نفسه وذلك غير جائز فما معنى ذلك واجيب عنه بانه يجب
حمل قوله ويعلم ما تكسبون على ما يستحقه الانسان على فعله وكسبه من الثواب والعقاب والحاصل
فيه انه محمول على المكتسب فهو كما يقال هذا المال كسب فلان اي مكتسبه ولا يجوز حمله على نفس الكسب
والا لزم عطف الشي على نفسه ذكره الامام فخر الدين **وما تاتيهم** يعني لاهل مكة **من اية من ايات ربهم** يعني
من المعجزات الباهرات التي جا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك وقيل
المراد بالايات ايات القران **الا كانوا عنها معرضين** يعني الا كانوا عنها تاركين وبها مكذبين **فقد
كذبوا بالحق** يعني بايات القران وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم وما اتى به من المعجزات **لما جاءهم** يعني لما جاءهم
الحق من عند ربهم كذبوا به **فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون** يعني فسوف ياتي اخبار استهزائهم
اذا عذبوا في الاخرة قوله تعالى **الم يروا** الخطاب لكفار مكة يعني اولم ير هولا المكذبين باياتي **كم اهلكنا
من قبلهم من قرن** يعني مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الامم الماضية والقرون الخالية والقرن الامة
من الناس واهل كل زمان قرن سموا بذلك لاقترانهم في الوجود في ذلك الزمان وقيل سمي قرنا لانه زمان
بزمان وامة بامة واختلفوا في مقدار القرن فقيل ثمانون سنة وقيل ستون سنة وقيل اربعون
سنة وقيل ثلاثون سنة وقيل مائة وعشرون سنة وقيل مائة سنة وهو الاصح لما روي ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لعبد الله بن بسر المازني انك تعيش قرنا فعاش مائة سنة فعلى هذا القول
المراد بالقرن اهل القرن الذين وجدوا فيه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم
ثم الذين يلونهم يعني اصحابه وتابعيهم وتابعي التابعين **مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم** يعني اعطيناهم
ما لم نعطكم يا اهل مكة وقيل امددناهم في العمر والبسطة في الاجسام والسعة في الارزاق مثل ما اعطا

قوم

قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم **وارسلنا السما عليهم مدرارا** مفعالا من الدر يعني وارسلنا المطر
متتابعا في اوقات الحاجة اليه والمراد بالسما المطر سمي بذلك لنزوله منها **وجعلنا الانهار تجري
من تحتهم** يعني وفجرنا لهم العيون تجري من تحتهم والمراد منه كثرة البساتين **فاهلكناهم بذنوبهم** يعني
بسبب ذنوبهم وكفرهم **وانشانا من بعدهم قرنا اخرين** يعني وخلقنا من بعد هلاك اوليك القرن اهل
قرن اخرين وفي هذه الاية ما يوجب الاعتبار والموعظة بحال من مضى من الامم السالفة والقرون الخالية
فانهم مع ما كانوا فيه من القوة وسعة الرزق وكثرة الاتباع اهلكناهم لما كفروا وطغوا وظلموا فكيف حال
من هو اضعف منهم واقل عددا وعددا وهذا يوجب الاعتبار والانتباه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة
قوله عز وجل **ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس** الاية قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحرث وعبد
الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نومن لك حتى تاتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة
من الملايكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله فانزل الله تعالى هذه الاية ولو نزلنا عليك
كتابا يعني من عندي في قرطاس يعني مكتوبا في قرطاس وهو الكاغد والصحيفة التي يكتب فيها **فلمسوه
بايديهم** يعني فعاينوه ومسوه بايديهم وانما ذكر اللمس ولم يذكر المعاينة لانه ابلغ في ايقاع العلم
بالشي من الروية لان المرييات قد يدخلها المخيلات كالسحر ونحوه بخلاف الملموس **لقال الذين
كفروا ان هذا الا سحر مبين** يعني لو انزلت عليهم كتابا كما سالوا لما امنوا به ولقالوا هذا سحر
مبين كما قالوا في انشقاق القمر وانه لا ينفع معهم شي لما سبق فيهم من علمي بهم **وقالوا** يعني مشركي مكة
لولا يعني هلا **انزل** يعني على محمد **ملك** يعني نراه عيانا **ولو انزلنا ملكا لقضي الامر** يعني لفرغ
من الامر لوجب العذاب وهذه سنة الله في الكفار انهم متى اقترحوا اية فانزلت ثم لم يومنوا استوجبوا العذاب
واستوصلوا به **ثم لا ينظرون** يعني ثم انهم لا يمهلون ولا يوخرون طرفة عين بل يعجل لهم العذاب **ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا** يعني ولو ارسلنا اليهم ملكا لجعلناه في صورة رجل وذلك لان البشر لا يستطيع ان
ينظروا الى الملايكة في صورهم التي خلقوا عليها ولو نظر الى الملك ناظر لصعق عند رويته ولذلك كانت
الملايكة تاتي الانبيا في صورة الانس كما جا جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وكما
جا الملكان الى داود عليه السلام في صورة رجلين وكذلك اتى الملايكة الى ابراهيم ولوط عليهم السلام
ولما راي النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته التي خلق عليها صعق لذلك وغشي عليه وقوله
تعالى **وللبسنا عليهم ما يلبسون** يقال لبست الامر على القوم اذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا
ولبست عليه الامر اذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى الاية ولخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم
حتى يشكوا فلا يدروا املك هو ام ادمي وقيل في معنى الاية انا اذا جعلنا الملك في صورة البشر لظنوه بشرا
فيعودوا المسالة بحالها انا لا نرضى برسالة البشر ولو فعل التسكر وجاز ذلك مما رفعل الله تعالى مثل فعلهم
في التلبيس وانما كان تلبيسا لانهم يظنون انه ملك وليس بملك او يظنون انه بشر وليس هو بشرا وانما
كان فعلهم تلبيسا لانهم لبسوا على ضعفتهم في امر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انما هو بشر مثلكم
ولو راوا الملك رجلا للحقهم من اللبس مثل ما لحق لضعفائهم فيكون اللبس نقمة من الله وعقوبة
لهم على ما كان منهم من التخليط في السوال واللبس على الضعفا قوله عز وجل **ولقد استهزئ برسل
من قبلك** يعني كما استهزوا بك يا محمد وفي هذه الاية تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له عما كان
من تكذيب المشركين اياه واستهزايهم به ان تجعل له اسوة في ذلك بالانبيا الذين كانوا من قبله **فحاق**

اي فنزل وقيل احاط وقيل حل بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون والمعنى فنزل العذاب بهم ووجب
عليهم من النقمة والعذاب جزاء استهزائهم وفي هذه الآية تحذير للمشركين الذين فعلوا بنبيهم كما
فعل من كان قبلهم بانبيائهم فينزل بهم مثل ما نزل بهم قل سيروا في الارض اي قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين
سيروا في الارض معتبرين ومتفكرين وقيل هو سيرة الاقدام ثم انظروا فعلى القول الاول يكون النظر
نظر فكرة وعبرة وهو بالبصيرة لا بالبصر وعلى القول الثاني يكون المراد بالنظر نظر العين والمعنى
ثم انظروا باعينكم الى آثار الامم الخالية والقرون السالفة وهو قوله تعالى كيف كان عاقبة
المكذبين يعني كيف كان جزاء المكذبين وكيف اورثهم الكفر والتكذيب الهلاك فحذر كفار مكة عذاب
الامم الخالية قوله عز وجل قل لمن ما في السموات والارض قل لله هذا سؤال وجواب والمعنى قل
يا محمد لهؤلاء المكذبين العادلين بربهم لمن ملك ما في السموات والارض فان اجابوك والا فاخبرهم ان
ذلك لله الذي قهر كل شيء وملك كل شيء واستعبد كل شيء لا للاصنام التي تعبدونها انتم فانها موات
لا تملك شيئا ولا تملك لانفسها ضرا ولا نفعا وانما امره بالجواب عقيب السؤال ليكون ابلغ في
التاكيد واكد في الحجة ولما بين الله تعالى كمال قدرته وتصرفه في سائر مخلوقاته اردفه بكمال رحمته
واحسانه اليهم فقال تعالى كتب على نفسه الرحمة يعني انه تعالى اوجب وقضى على نفسه الرحمة
وهذا استعطاف منه للمتولين عنه الى الاقبال عليه واخبار بانه رحيم بعباده وانه لا يعجل بالعقوبة
بل يقبل التوبة والانابة ممن تاب واناب ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما قضى الله الخلق ولمسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت
غضبي وفي رواية للبخاري ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب
عنده فوق العرش وفي رواية لهما ان الله لما خلق الخلق وعند مسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتابه
كتبه على نفسه فهو موضوع عنده زاد البخاري على العرش ثم اتفقا ان رحمتي تغلب غضبي ق عن ابي
هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فامسك عنده
تسعة وتسعين وانزل في الارض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها
عن ولدها خشية ان تصيبه زاد البخاري في رواية له ولو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة
لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من العذاب ولمسلم ان لله مائة
رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون
وبها تعطف الوحش على ولدها واخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم الله بها عباده يوم القيمة م عن
سلمان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق يوم خلق السموات والارض
مائة رحمة طباق ما بين السماء والارض فجعل منها في الارض رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها
والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم القيمة اكملها بهذه الرحمة ق عن عمر قال قدم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي فاذا امراة من السبي تسعى قد تحلب ثديها اذ وجدت صبيا في السبي
اخذته والزقته ببطنها فارضعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترون هذه المراة طارحة
ولدها في النار وهي تقدر على ان لا تطرحه فقلنا لا والله فقال الله ارحم بعباده من هذه المراة بولدها
وقوله تعالى ليجمعنكم لام القسم تقديره والله ليجمعنكم الى يوم القيمة يعني في يوم القيمة وقيل معناه
ليجمعنكم في قبوركم الى يوم القيمة لا ريب فيه اي لا شك فيه انه آت الذين خسروا انفسهم يعني بالشرك

بالله

بالله اوبقوا انفسهم وغبنوها باتخاذهم الاصنام فعرضوا انفسهم لسخط الله واليم عقابه فكانوا
كمن خسر شيئا واصل الخسار الغبن يقال خسر الرجل اذا غبن في بيعه فهم لا يؤمنون يعني لما سبق عليهم
القضاء بالخسران فهو الذي حملهم على الامتناع من الايمان قوله تعالى وله ما سكن في الليل والنهار يعني
وله ما استقر وقيل وله ما سكن وما تحرك فاكتفى بذكر احدهما عن الآخر وقيل انما خص السكون بالذكر لان
النعمة فيها اكثر وقال ابن جرير كل ما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن الليل والنهار فيكون المراد
منه جميع ما حصل في الارض من الدواب والحيوانات والطير وغير ذلك مما في البر والبحر وهذا يفيد
الحصر والمعنى ان جميع الموجودات ملك لله تعالى لا لغيره وهو السميع لاقوالهم واصواتهم العليم بسرائرهم
واحوالهم قوله عز وجل قل اغير الله اتخذ وليا قال مقاتل لما دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دين
آبائه فانزل الله هذه الآية فقال قل لهم يا محمد اغير الله اتخذ وليا يعني ربا ومعبودا وناصرا ومعينا وهو
استفهام ومعناه الانكار اي لا اتخذ غير الله وليا فاطر السموات والارض اي خالق السموات والارض
ومبدعهما ومبتدئهما وهو يطعم ولا يطعم يعني وهو يرزق ولا يرزق وصف الله عز وجل نفسه بالغناء عن
الخلق وباحتياج الخلق اليه لان من كان من صفته ان يطعم الخلق لاحتياجهم اليه وهو لا يطعم لاستغنائه
سبحانه وتعالى عن الاطعام ومن كان كذلك وجب ان يتخذ ربا وناصرا ووليا ومعبودا قل اني امرت
ان اكون اول من اسلم يعني من هذه الامة والاسلام بمعنى الاستسلام يعني امرت ان استسلم لامر الله
والانقياد الى طاعته ولا تكونن من المشركين يعني وقيل لي يا محمد ولا تكونن من المشركين قل اني اخاف ان
عصيت ربي عذاب يوم عظيم يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين دعوك الى عبادة غيري اني امرت
ان اكون اول من اسلم ونهاني عن عبادة شيء سواه واني اخاف ان عصيته وعبدت شيئا سواه عذاب
يوم عظيم وهو عذاب يوم القيمة من يصرف عنه يعني العذاب يومئذ يعني يوم القيمة فقد رحمه
يعني بان انجاه من العذاب ومن انجاه من العذاب فقد رحمه واثابه الثواب لا محالة وانما ذكر الرحمة
مع صرف العذاب لئلا يتوهم ان صرف العذاب فقط بل تحصل له الرحمة مع صرف العذاب عنه وذلك
الفوز المبين يعني ان صرف العذاب وحصول الرحمة هو النجاة والفلاح المبين قوله تعالى وان يمسسك
الله بضر يعني بشدة وبلية والضر اسم جامع لما ينال الانسان من الم ومكروه وغير ذلك مما هو في معناه
فلا كاشف له الا هو يعني فلا يدفع ذلك الضر الا الله عز وجل وان يمسسك بخير يعني بعافية ونعمة
والخير اسم جامع لكل ما ينال الانسان من لذة وفرح وسرور ونحو ذلك فهو على كل شيء قدير يعني من دفع
الضر وجلب الخير وهذه الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تتخذ وليا سوى الله تعالى
لانه هو القادر على ان يمسك بضر وهو القادر على دفعه عنك وهو القادر على ايصال الخير اليك وانه
لا يقدر على ذلك الا الله فاتخذه وليا وناصرا ومعينا وهذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه
وسلم فهو عام لكل احد والمعنى وان يمسسك الله بضر ايها الانسان فلا كاشف لذلك الضر الا هو
وان يمسسك بخير ايها الانسان فهو على كل شيء قدير من دفع الضر وايصال الخير عن ابن عباس
قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال لي يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله
يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سالت فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم
ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعت على ان
يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف اخرجه الترمذي

زاد فيه رايت تعرف الى الله في الرخا يعرفك في الشدة وان استطعت ان تعمل لله بالرضى في اليقين فافعل فان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين قال ابن الاثير وقد جا نحو هذا او مثله بطوله في مسند احمد بن حنبل قوله عز وجل **وهو القاهر فوق عباده** يعني وهو الغالب لعباده القاهر لهم وهم مقهورون تحت قدرته وهو القاهر والقهار ومعناه الذي يدبر خلقه بما يريد فيقع في ذلك ما يشق عليهم ويثقل ويغم ويحزن ويفتقر ويميت ويذل خلقه فلا يستطيع احد من خلقه رد تدبيره والخروج من تحت قهره وتقديره وهذا معنى القاهر في صفة الله عز وجل لانه القادر القاهر هو الذي لا يعجزه شي اراده ومعنى فوق عباده هنا ان قهره قد استعلى على خلقه فهم تحت التسخير والتذليل بما علاهم به من الاقتدار والقهر الذي لا يقدر احد على الخروج منه ولا ينفك عنه فكل من قهر شيا فهو مستعل عليه بالقهر العلية وقال ابن جرير الطبري معنى القاهر المتعبد خلقه العالي عليهم وانما قال فوق عباده لانه تعالى وصف نفسه بقهره اياهم ومن صفة كل قاهر شيا ان يكون مستعليا عليه فمعنى الكلام اذا والله الغالب عباده المذلل لهم العالي عليهم بتذليله اياهم فهو فوقهم بقهره اياهم وهم دونه وقيل فوق عباده هو صفة لاستعلا الذي تفرد به الله عز وجل **وهو الحكيم** يعني في امره وتدبير عباده **الخبير** يعني باعمالهم وما يصلحهم قوله تعالى **قل اي شي اكبر شهادة** قال الكلبي اتى اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ارنا من يشهد انك رسول الله فانا لا نرى احدا يصدقك ولقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر فانزل الله عز وجل **قل** يعني يا محمد لهولا المشركين الذين يكذبونك ويجحدون نبوتك من قومك اي شي اكبر شهادة يعني اعظم شهادة فان هم اجابوك والا قل انت يا محمد **الله شهيد بيني وبينكم** قال مجاهد امر محمد صلى الله عليه وسلم ان يسال قريشا اي شي اكبر شهادة ثم امره ان يخبرهم فيقول الله شهيد بيني وبينكم يعني يشهد لي بالحق وعليكم بالباطل الذي تقولوا والحاصل انهم طلبوا شاهدا مقبولا لقول يشهد له بالنبوة فبين الله تعالى بهذه الاية ان اكبر الاشيا شهادة هو الله تعالى ثم بين انه يشهد له بالنبوة وهو المراد بقوله **واوحي الي هذا القران لانذركم** يعني ان الله عز وجل يشهد لي بالنبوة لانه اوحى الي هذا القران وهو معجزة لانكم انتم الفصحا البلغا واصحاب اللسان وقد عجزتم عن معارضته فكان معجزا واذا كان معجزا كان نزوله على شهادة من الله باني رسوله وهو المراد بقوله لانذركم به يعني اوحي الي هذا القران لاخوفكم **به** واحذركم مخالفة امر الله عز وجل **ومن بلغ** يعني وانذر من بلغه القران ممن ياتي بعدي الى يوم القيمة من العرب والعجم وغيرهم من ساير الامم فكل من بلغ اليه القران وسمعه فالنبي صلى الله عليه وسلم نذير له قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القران فكانما راى النبي صلى الله عليه وسلم وكلمه وقال انس بن مالك لما نزلت هذه الاية كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر وكل جبار يدعوهم الى الله عز وجل **خ** عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عني ولو اية وحدثوا عن بني اسرايل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار شرح ما يتعلق بهذا الحديث فيه الامر بابلاغ ما جا به صلى الله عليه وسلم الى من بعده من قران وسنة وقوله حدثوا عن بني اسرايل ولا حرج الحرج الضيق والاثم ومعنى الحديث انه مهما قلتم عن بني اسرايل فانهم كانوا في حال اكثر مما قلتم واوسع وليس هذا فيه اباحة الكذب في الاخبار عن بني اسرايل لكن معناه الرخصة في الحديث عنهم على معنى البلاغ وان لم

يتحقق

يتحقق ذلك بنقل لانه امر قد تعذر لبعد المسافة وطول المدة عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرا سمع منا شيا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ اوعى له من سامع اخرجه الترمذي وله عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو افقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه عن ابن عباس قال تسمعون ويسمع منكم ويسمع من يسمع منكم اخرجه ابو داود موقوفا وقوله تعالى **اينكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى** يعني قل يا محمد لهولا المشركين الذين جحدوا نبوتك واتخذوا الهة غيري انكم ايها المشركون لتشهدون ان مع الله الهة اخرى يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها وانما قال اخرى لان الجمع يلحقه التانيث كما قال تعالى ولله الاسما الحسنى فما بال القرون الاولى فلم يقل الاول ولا الاولين **قل لا اشهد** يعني قل يا محمد لهولا المشركين لا اشهد بما تشهدون به ان مع الله الهة اخرى بل اجحد ذلك وانكره **قل انما هو اله واحد** يعني قل لهم انما الله اله واحد ومعبود واحد لا شريك له وبذلك اشهد **وانني بري مما تشركون** يعني وانا بري من كل شي تعبدونه سوى الله تعالى وفي هذه الاية دليل على اثبات التوحيد لله عز وجل وابطال كل معبود سواه لان كلمة انما تفيد الحصر ولفظة الواحد صريح في التوحيد ونفي الشريك فثبت بذلك ايجاب التوحيد وسلب كل شريك والتبري من كل معبود سوى الله تعالى قال العلما يستحب لمن اسلم ان ياتي بالشهادتين ويتبرى من كل دين خالف الاسلام لقوله تعالى وانني بري مما تشركون قوله عز وجل **الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناهم** المراد بالذين اوتوا الكتاب علما اليهود والنصارى الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان كفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انا سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر وانكروا معرفته فبين الله عز وجل ان شهادتهم له كافية على صحة نبوته وبين في هذه الاية انهم يعرفونه وانهم كذبوا في قولهم انهم لا يعرفونه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة واسلم عبد الله بن سلام قال له عمر بن الخطاب ان الله عز وجل انزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بمكة الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناهم فكيف هذه المعرفة قال عبد الله بن سلام يا عمر لقد عرفته حين رايته كما اعرف ابني ولانا اشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم مني بابني فقال عمر وكيف ذاك قال اشهد انه رسول الله حقا ولا ادري ما يصنع النسا وقوله تعالى **الذين خسروا انفسهم** يعني اهلكوا انفسهم وعتقوها واوبقوها في نار جهنم بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي الذين خسروا انفسهم قولان احدهما انه صفة للذين الاولى ويكون المقصود من ذلك وعيد المعاندين الذين يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم ويجحدون نبوته وهم كفار اهل الكتابين **فهم لا يومنون** يعني به والقول الثاني انه كلام مبتدا لا تعلق له بالاول وهم كفار مكة الذين لم يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكروا في معنى الخسار وجهين احدهما انه الهلاك الدايم الذي حصل لهم بسبب كفرهم وانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والوجه الثاني انه جعل لكل واحد من بني ادم منزلا في الجنة ومنزلا في النار فاذا كان يوم القيمة جعل الله للمومنين منازل الكفار التي في الجنة وجعل للكفار منازل المومنين التي في النار فذلك هو الخسران قوله تعالى **ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا** يعني ومن اشد عنادا واخطا فعلا واعظم كفرا ممن اختلق على الله كذبا فزعم ان له شريكا من خلقه والها يعبد من دونه كما قال المشركون من عبدة

الاصنام اوادعى ان له صاحبة وولدا كما قاله النصارى **او كذب باياته** يعني كذب بحججه واعلامه ادلته التي اعطاها رسله كما كذبت اليهود بمعجزات الانبياء وقيل معناه او كذب بايات القران الذي انزله على محمد صلى الله عليه وسلم **انه لا يفلح الظالمون** يعني انه لا ينجح القايلون على الله الكذب والمفترون عليه الباطل **ويوم نحشرهم جميعا** اي اذكر يوم نحشر العابدين والمعبودين وهو يوم القيمة **ثم نقول للذين اشركوا اين شركاوكم الذين كنتم تزعمون** يعني انها تشفع لكم عند ربكم قوله عز وجل **ثم لم تكن فتنتهم** يعني قولهم وجوابهم وقال ابن عباس معذرتهم والفتنة التجربة فلما كان سوالهم تجربة لاظهار ما في قلوبهم قيل له فتنة قال الزجاج في قوله ثم لم تكن فتنتهم معنى لطيف وذلك ان الرجل يفتتن بمحبوب ثم تصيبه فيه محنة فيتبرا من محبوبه فيقال لم تكن فتنته الا هذا لك المحبوب فكذلك الكفار فتنوا بمحبة الاصنام ثم لما راوا العذاب تبروا منها يقول الله تبارك وتعالى ثم لم تكن فتنتهم ومحبتهم للاصنام الا ان تبروا منها وهو قوله تعالى **الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين** وذلك انهم اذا شاهدوا يوم القيمة مغفرة الله تعالى لاهل التوحيد فيقول بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع اهل التوحيد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على افواههم وتشهد جوارحهم عليهم بالشرك والكفر قال الله تعالى **انظر كيف كذبوا على انفسهم** يعني انظر يا محمد بعين البصيرة والتامل في حال هولا المشركين كيف كذبوا على انفسهم يعني اعتذارهم بالباطل وتبريهم من الاصنام والشرك الذي كانوا عليه واستعمالهم الكذب مثل ما كانوا عليه في دار الدنيا وذلك لا ينفعهم وهو قوله **وضل عنهم** يعني زال عنهم وذهب **ما كانوا يفترون** يعني ما كانوا يكذبون وهو قولهم ان الاصنام تشفع لهم وتنصرهم فبطل ذلك كله في ذلك اليوم قوله تعالى **ومنهم من يستمع اليك** الاية قال الكلبي اجتمع ابو سفيان صخر بن حرب وابو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وامية وابي ابنا خلف والحرث بن عامر يستمعون القران فقالوا للنضر يا ابا قتيلة ما يقول محمد قال ما ادري ما يقول الا اني اراه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الماضية واخبارها فقال ابو سفيان اني لارى بعض ما يقول حقا فقال ابو جهل كلا لا نقر بشي من هذا وفي رواية الموت اهون علينا من هذا فانزل الله تعالى **ومنهم من يستمع اليك** يعني الى كلامك وقراءتك يا محمد **وجعلنا على قلوبهم اكنة** يعني اغطية جمع كنان **ان يفقهوه** يعني لئلا يفقهوه وكراهية ان يفقهوه **وفي اذانهم وقرا** يعني وجعلنا في اذانهم صمما وثقلا وفي هذه الدليل على ان الله تعالى يقلب القلوب فيشرح بعضها للهدى والايمان فيقبله ويجعل بعضها في اكنة فلا تفقه كلام الله ولا تومن به **وان يروا كل اية** يعني كل معجزة من المعجزات الدالة على صدقك **لا يومنوا بها** يعني لا يصدقوا بها ولا يقروا انها دالة على صدقك **حتى اذا جاوك يجادلونك** يعني انهم اذا راوا الايات واستمعوا القران انما جاوا ليجادلونك ويخاصمونك لا ليومنوا بها **يقول الذين كفروا ان هذا** اي ما هذا القران **الا اساطير الاولين** يعني احاديث الاولين من الامم الماضية واخبارهم واقاصيصهم وما سطروا بمعنى كتبوا والاساطير جمع اسطورة واسطارة وقيل واحدها سطر واسطار جمعه واساطير جمع الجمع فعلى هذا لو قال قايل لم عابوا القران وجعلوه اساطير الاولين وقد سطر الاولون في كتبهم الحكم والعلوم النافعة وما لا يعاب قايله واجيب عنه بانهم انما نسبوا القران الى اساطير الاولين بمعنى انه ليس بوحي من الله تعالى وانما هو اخبار مجردة كما تروون اخبار الاولين وقيل في معنى اساطير الاولين انها الترهات وهي عند العرب طرق غامضة ومسالك وعرة مشكلة

يقول قايلهم اخذنا في الترهات بمعنى عدلنا عن الطريق الواضح الى الطريق المشكل الذي لا يعرف فجعلت الترهات مثلا لما لا يعرف ولا يتضح من الامور المشكلة الغامضة التي لا اصل لها قوله عز وجل **وهم ينهون عنه** يعني ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم **وينأون عنه** يعني ويتباعدون عنه بانفسهم نزلت في كفار مكة كانوا يمنعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وعن الاجتماع به وينهونهم عن استماع القران وكانوا هم كذلك وقال ابن عباس نزلت في ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى المشركين عن اذى النبي صلى الله عليه وسلم ويمنعهم منه وينأى هو بنفسه عن الايمان به بمعنى يبعد حتى روي انه اجتمع اليه روس المشركين وقالوا له خذ شابا من اصبحنا وجها وادفع الينا محمدا فقال ما انصفتموني ادفع اليكم ابني محمدا لتقتلوه واربي لكم ابنكم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا ابا طالب الى الايمان فقال لولا تعيرني قريش لاقررت بها عينك ولكن اذب عنك ما حييت وقال في ذلك ابياتا

والله لن يصلوا اليك بجمعهم	حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة	وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وعرفت انك ناصحي	ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا قد علمت بانه	من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذار مسبة	لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وقوله تعالى **وان يهلكون الا انفسهم** يعني لا يرجع وبال كفرهم وفعلهم الا عليهم **ولو ترى اذ وقفوا على النار** يعني في النار فوضع على موضع في كقوله على ملك سليمان اي في ملك سليمان وقيل معناه اعرضوا على النار وجواب لو محذوف والمعنى ولو ترى الكفار الذين ينهون عنك وينأون عنك يا محمد في تلك الحالة لرايت امرا عجيبا وموقفا فضيعا **فقالوا** يعني الكفار **يا ليتنا نرد** يعني الى الدنيا **ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المومنين** تمنوا ان يردوا الى الدنيا مرة اخرى حتى يومنوا ولا يكذبوا بايات ربهم فرد الله عز وجل عليهم ذلك فقال تعالى **بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل** يعني ليس الامر كما قالوا لو ردوا الى الدنيا لامنوا بل ظهر لهم ما كانوا يخفون من قولهم والله ربنا ما كنا مشركين فاخفوا شركهم وكتموه فاظهر الله عليهم حين شهدت عليهم جوارحهم بما كتموا وستروا من شركهم وقيل ظهر لهم ما اخفوا من الكفر فعلى هذا تكون الاية في المنافقين **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون** يعني في قولهم لو ردونا الى الدنيا لم نكذب بايات ربنا وكنا من المومنين **وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين** وهذا خبر عن حال منكري البعث وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اخبر الكفار عن حال القيمة واهوالها وما اعد الله في الاخرة من الثواب للمومنين المطيعين وما اعد الله من العقاب للكفار والعاصين قالوا يعني الكفار ان هي اي ما هي الا حياتنا الدنيا اي ليس لنا غير هذه الدنيا التي نحن فيها وما نحن بمبعوثين يعني بعد الموت وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هذا خبر من الله عز وجل عن هولاء الكفار الذين وقفوا على النار انهم لو ردوا الى الدنيا لقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين قوله عز وجل **ولو ترى اذ وقفوا على ربهم** يعني على حكم ربهم وقضايه ومسالته وقال مقاتل عرضوا على ربهم **قال اليس هذا بالحق** اي يقول الله لهم يوم القيمة اليس هذا البعث والنشر بعد الموت الذي كنتم تنكرونه في الدنيا وتكذبون به وتقولون لا بعث ولا نشور حقا **قالوا بلى وربنا** يعني انهم اعترفوا بما كانوا ينكرونه فلجاوا اقالوا بلى والله انه لحق وقيل تقول لهم خزنة النار بامر الله اليس هذا بالحق يعني

وما يشعرون يعني بذلك قوله تعالى صح

البعث حقا فاجابوا بقولهم بلى وربنا قال ابن عباس للقيامة مواقف ففي موقف ينكرونه ويقولون والله
ربنا ما كنا مشركين وفي موقف يعترفون بما كانوا ينكرونه في الدنيا قال فذوقوا العذاب اي يقول الله
لهم ذلك او الخزنة تقول لهم ذلك بامر الله تعالى وانما خص لفظ الذوق لانهم في كل حال يجدون الم
العذاب وجدان الذائق في شدة الاحساس بما كنتم تكفرون يعني هذا العذاب بسبب كفركم وجحودكم
البعث بعد الموت قوله تعالى قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يعني خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم بالمصير
الى الله وبالبعث بعد الموت وهذا الخسران هو فوت الثواب العظيم في دار النعيم المقيم وحصول العذاب
الاليم في دركات الجحيم حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة يعني جاءتهم القيمة فجاءة وسميت القيمة ساعة
لانها تفجأ الناس بغتة في ساعة لا يعلمها احد الا الله تبارك وتعالى وقيل سميت ساعة لسرعة الحساب
فيها لان حساب الخلائق يوم القيمة يكون في ساعة او اقل من ذلك قالوا يعني منكري البعث وهم كفار قريش
ومن سلك سبيلهم في الكفر والاعتقاد يا حسرتنا يعني يا ندامتنا والحسرة التلهف على الشي الفائت
وذكرت على وجه النداء للمبالغة والمراد تنبيه المخاطبين على ما وقع بهم من الحسرة على ما فرطنا فيها
يعني قصرنا فيها يعني في الدنيا لانها موضع التفريط في الاعمال الصالحة والمعنى يا حسرتنا على الاعمال
الصالحة التي فرطنا فيها في الدنيا وقال محمد بن جرير الطبري الهاء والالف في قوله فيها تعود الى الصفقة
ولكن اكتفى بدلالة قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله عليها من ذكرها اذ كان معلوما ان الخسران
لا يكون الا في صفقة بيع قد جرى ومعنى الاية قد وكس الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم الايمان الذي يستوجبون
به رضوان الله وجنته بالكفر الذي يستوجبون به سخط الله وعقوبته وهم لا يشعرون بذلك حتى
تقوم الساعة فاذا جاءتهم الساعة بغتة راوا ما لحقهم من الخسران في بيعهم قالوا حينئذ يا حسرتنا على
ما فرطنا فيها وروى الطبري بسنده عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يا حسرتنا قال
يرى اهل النار منازلهم من الجنة فيقولون يا حسرتنا وقوله تعالى وهم يحملون اوزارهم يعني اثقالهم على
ظهورهم والاوزار الخطايا والذنوب واصل الوزر الثقل والحمل يقال وزرته اذا حملته وانما قيل للذنوب
اوزار لانها تثقل ظهر من يحملها قال قتادة والسدي ان المومن اذا خرج من قبره استقبله احسن شي صورة
واطيبه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك الصالح فاركبني فقد طال ما ركبتك في الدنيا
فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا يعني ركبانا واما الكافر فيستقبله اقبح شي صورة وانتنه
ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك الخبيث طال ما ركبتني في الدنيا فانا اليوم اركبك
فذلك معنى قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقال عمرو بن هانئ يحشر مع كل كافر عمله في صورة رجل
قبيح كلما راى هول صورته وقبحه زاده خوفا فيقول له بئس الجليس انت فيقول انا عملك طال ما
ركبتني فلاركبنك اليوم حتى اخزيك على رؤس الخلائق فيركبه ويتخطى به الناس حتى يقف بين يدي ربه
تعالى فذلك وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقال الزجاج الثقل كما يذكر في الوزن فقد يذكر في الحال
والمشقة يقال ثقل علي كلام فلان بمعنى كرهته فالمعنى انهم يقاسون الم عقاب ذنوبهم مقاساة
يثقل ذلك عليهم فعلى هذا القول يكون قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم مجازا عما يقاسونه من
شدة العذاب وقيل في معنى الاية ان اوزارهم لا تزايلهم كما تقول شخصه نصب عيني اي ذكره ملازم لي
الا ساء ما يزرون يعني بئس الشي شيا يحملونه وقال ابن عباس بئس الحمل حملوا قوله عز وجل وما الحياة
الدنيا الا لعب ولهو اي باطل وغرور لا بقاء لها وهذا فيه رد على منكري البعث في قولهم ان هي الا حياتنا

الدنيا

الدنيا وما نحن بمبعوثين فقال الله تعالى ردا عليهم وتكذيبا لهم وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وهل
المراد بهذه الحياة حياة المومن او الكافر فيه قولان احدهما ان المراد بها حياة الكافر لان المومن
لا يزداد بحياته في الدنيا الا خيرا لانه يحصل في ايام حياته من الاعمال الصالحة والطاعات
ما يكون سببا لحصول السعادة في الاخرة واما الكافر فان كل حياته في الدنيا وبال عليه وقال
ابن عباس يريد حياة اهل الشرك والنفاق والقول الثاني ان هذا عام في حياة المومن والكافر
لان الانسان يلتذ باللعب واللهو ثم عند انقضائه يحصل له الحسرة والندامة لان الذي كان
فيه من اللعب واللهو سريع الزوال لا بقاء له فبان بهذا التقرير ان المراد بهذه الحياة حياة المومن
والكافر وانه عام فيهما وانما شبه الحياة الدنيا باللعب واللهو لسرعة زوالها وقصر عمرها كالشي الذي
يلعب به وقيل معناه ان امر الدنيا والعمل بها لعب ولهو فاما فعل الخير والعمل الصالح فهو من فعل
الاخرة وان كان وقوعه في الدنيا وقيل معناه وما اهل الحياة الدنيا الا اهل لعب ولهو لانه لا يجدي
شيا ولاشتغالهم عما امروا به نسبوا الى اللعب واللهو وقوله تعالى وللدار الاخرة يعني الجنة
واللام فيه لام القسم تقديره والله للدار الاخرة خير يعني من الدنيا وافضل لان الدنيا
سريعة الزوال والانقطاع للذين يتقون يعني الشرك وقيل يتقون اللعب واللهو افلا تعقلون
ان الاخرة افضل من الدنيا فيعملون لها قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون يعني قد
نعلم يا محمد انه ليحزنك الذي يقوله المشركون لك قال السدي التقى الاخنس بن شريق وابو جهل بن
هشام فقال الاخنس لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس هنا احد
يسمع كلامك غيري فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي
باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فانزل الله هذه الاية وقال
ناجية بن كعب قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم ما نتهمك ولا نكذبك ولكنا نكذب الذي جئت
به فانزل الله هذه الاية عن علي بن ابي طالب ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك
ولكنا نكذب بما جئت به فانزل الله فيهم فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون
اخرجه الترمذي من طريقين قال في احدهما وهذا اصح وفي هذه الاية تسلية للنبي صلى الله
عليه وسلم وتعزية له عما يواجهه به قومه لانهم كانوا يعتقدون صدقه وانه ليس بكذاب وانما
حملهم على تكذيبه في الظاهر الحسد والظلم فانهم لا يكذبونك يعني انهم لا يكذبونك في السر لانهم قد
عرفوا انك صادق ولكن الظالمين يعني الكافرين بايات الله يجحدون يعني في العلانية وذلك
انهم جحدوا القرآن بعد معرفة صدق الذي انزل عليه لعنادهم وكفرهم كما قال تعالى في حق غيرهم
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقيل ظاهر الاية يدل على انهم لم يكذبوا محمدا صلى الله
عليه وسلم وانما جحدوا بايات الله وهي القرآن الدال على صدقه فعلى هذا يكون المعنى فانهم لا يكذبونك
لانهم قد عرفوا صدقك وانما جحدوا صحة نبوتك ورسالتك قوله عز وجل ولقد كذبت رسل من
قبلك يعني ولقد كذبت الامم الخالية رسلهم كما كذبك قومك فصبروا على ما كذبوا واوذوا يعني
ان الرسل عليهم السلام صبروا على تكذيب قومهم اياهم وصبروا على اذاهم فاصبر انت يا محمد على
على تكذيب قومك واذاهم لك كما صبر من كان قبلك من الرسل وهذا فيه تسلية للنبي صلى الله عليه
وسلم وازال الحزن عنه على تكذيب قومه له واذاهم اياه حتى اتاهم نصرنا يعني باهلاك من كذبهم

ولا مبدل لكلمات الله يعنى ولا ناقض لما حكم الله به من اهلاك المكذبين ونصر المرسلين انهم لهم
المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلى ولا خلف فيما وعد
الله به **ولقد جاءك من نبا المرسلين** يعنى ولقد انزلت عليك فى القران من اخبار المرسلين ما فيه تسلية
لك وتسكين لقلبك وقال الاخفش من هنا صلة كما تقول اصابنا من مطر وقال غيره بل هى للتبعيض
لان الواصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قصص بعض الانبيا واخبارهم كما قال تعالى منهم من
قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قوله تعالى **وان كان كبر عليك اعراضهم** ذكر ابن الجوزى
فى سبب نزول هذه الاية ان الحارث بن عامر اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من قريش فقال
ايتنا باية كما كانت الانبيا تاتى قومها بالايات فان فعلت امنا بك فنزلت هذه الاية رواه ابو صالح
عن ابن عباس ومعنى الاية وان كان عظم عليك يا محمد اعراض هولا المشركين عليك وعن تصديقك
والايمان بك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على ايمان قومه اشد الحرص وكان اذا سالوا
اية احب ان يريهم الله ذلك طمعا فى ايمانهم فقال الله عز وجل **فان استطعت ان تبتغى** يعنى تطلب
وتتخذ **نفقا فى الارض** يعنى سربا فى الارض والنفق سرب فى الارض يخلص منه الى مكان اخر **او سلما فى السما**
يعنى صعدا الى السما والسلم للصعد وهو مشتق من السلامة **فتاتيهم باية** يعنى بالاية التى سالوا
عنها ومعنى الاية وان كان كبر وعظم اليك اعراضهم عن الايمان بك فان قدرت ان تذهب
فى الارض او تصعد الى السما فتاتيهم باية تدل على صدقك فافعل وانما حسن حذف جواب الشرط
لانه معلوم عند السامع والمقصود من هذا ان يقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم طمعه عن ايمانهم
ولا يتاذى بسبب اعراضهم عنه وعن الايمان به ويدل عليه قوله تعالى **ولو شا الله لجمعهم على الهدى**
اخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم انهم انما تركوا الايمان واعرضوا عنه واقبلوا على الكفر بمشية الله
تعالى ونافذ قضايه فيهم وانه لو شا الله لجمعهم على الهدى **فلا تكونن من الجاهلين** يعنى بان لو شا الله
لجمعهم على الهدى وانه يومن بك بعضهم دون بعض وقيل معناه لا يشتد تحسرك على تكذيبهم ولا تجزع
من اعراضهم عنك فتقارب حال الجاهلين الذين لا صبر لهم وانما نهاه عن هذه الحالة وغلظ له الخطاب
تبعيدا له عن هذه الحالة قوله عز وجل **انما يستجيب الذين يسمعون** يعنى المومنين الذين فتح الله
اسماع قلوبهم فهم يسمعون الحق ويستجيبون له ويتبعونه وينتفعون به دون من ختم الله على قلبه وسمعه
ونحو قوله **والموتى** يعنى الكفار الذين لا يسمعون ولا يستجيبون **يبعثهم الله** يوم القيمة **ثم اليه يرجعون**
فيجزيهم باعمالهم **وقالوا** يعنى روسا كفار قريش **لولا** يعنى هلا **نزل عليه اية من ربه** يعنى الملك ليشهد
له بالنبوة وقيل المراد من الاية المعجزة الباهرة كمثل معجزات الانبيا **قل** يعنى قل لهم يا محمد **ان الله قادر على
ان ينزل اية** يعنى انه تعالى قادر على ايجاد ما طلبوه وانزال ما اقترحوه من الايات والمعجزات الباهرات
ولكن اكثرهم لا يعلمون يعنى ماذا عليهم فى انزالها من العذاب ان لم يومنوا بها وقيل معناه انهم لا يعلمون
ان الله قادر على انزال الايات وقيل انهم لا يعلمون وجه المصلحة فى انزالها قوله تعالى **وما من دابة فى الارض
ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم** قال العلما جميع ما خلق الله عز وجل لا يخرج عن هاتين الحالتين
اما ان يدب على الارض او يطير فى الهوا حتى الحقوا حيوان الما بالطير لان الحيتان تسبح فى الما كما ان
الطير يسبح فى الهوا وانما خص ما فى الارض بالذكر دون ما فى السما وان كان ما فى السما مخلوقات لكن
الاحتجاج بالمشاهد اظهر واولى مما لا يشاهد وانما ذكر الجناح فى قوله بجناحيه للتاكيد كقولك كتبت

بيدى ونظرت بعينى الا امم امثالكم قال مجاهد اى اصناف مصنفة تعرف باسمايها يريد ان كل جنس
من الحيوانات امة فالطير امة والدواب امة والسباع امة تعرف باسمايها مثل بنى ادم يعرفون
باسمايهم كما يقال الانس والناس ويدل على ان كل جنس من الدواب امة ما روى عن عبد الله بن مغفل
عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها فاقتلوا منها كل اسود بهيم
اخرجه ابو داود والترمذى والنساى فان قلت ثبت بالاية والحديث ان الدواب والطير امم
امثالنا وهذه المماثلة لم تحصل من كل الوجوه فيما يظهر لنا فما وجه هذه المماثلة قلت اختلف
العلما فى وجه هذه المماثلة فقيل ان هذه الحيوانات تعرف الله وتوحده وتسبحه وتصلى له كما
انكم تعرفون الله وتوحدونه وتسبحونه وتصلون له وقيل انها مخلوقة لله كما انكم مخلوقون لله عز
وجل وقيل انها يفهم بعضها عن بعض ويالف بعضها بعضا كما ان جنس الانسان يالف بعضهم بعضا
ويفهم بعضهم عن بعض وقيل امثالكم فى طلب الرزق وتوقى المهالك ومعرفة الذكر والانثى وقيل امثالكم
فى الخلق والموت والبعث بعد الموت للحساب حتى يقتص للجما من القرنا ونحو قوله تعالى **ما فرطنا فى
الكتاب من شى** يعنى فى اللوح المحفوظ لانه يشتمل على جميع احوال المخلوقات وقيل ان المراد بالكتاب
القران يعنى ان القران مشتمل على جميع الاحوال **ثم الى ربهم يحشرون** يعنى الدواب والطير قال ابن
عباس حشرها موتها وقال ابو هريرة يحشر الله تعالى الخلق كلهم يوم القيمة البهايم والدواب والطير
وكل شى فياخذ للجما من القرنا ثم يقول كونى ترابا ثم عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لتودون الحقوق الى اهلها يوم القيمة حتى يقاد للشاة الجلحا من الشاة القرنا قوله عز وجل
والذين كذبوا باياتنا يعنى بالقران وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كذبوا بحجج الله وادلته على توحيده
صم يعنى عن سماع الحق **وبكم** يعنى النطق به والمعنى انهم فى حال كفرهم وتكذيبهم كمن لا يسمع ولا يتكلم ولهذا
شبه الكفار بالموتى لان الميت لا يسمع ولا يتكلم **فى الظلمات** يعنى فى ظلمة الكفر حايرين مترددين فيها
لا يهتدون سبيلا **من يشا الله يضلله** يعنى عن الايمان **ومن يشا يجعله على صراط مستقيم**
يعنى ومن يشا الله جعله على دين الاسلام وفى هذا دليل على ان الهادى والمضل هو الله تعالى فمن احب
هدايته وفقه بفضله واحسانه للايمان به ومن احب ضلالته تركه على كفره وذلك عدل منه لانه
تعالى هو الفاعل المختار لا يسال عما يفعل وهم يسالون قوله تعالى **قل ارايتكم** يعنى قل يا محمد لهولا
الكفار الذين تركوا عبادة الله عز وجل وعبدوا غيره من الاصنام اخبرونى بقول العرب ارايتكم بمعنى
اخبرنا بحالك واصله ارايتم والكاف فيه للتاكيد **ان اتاكم عذاب الله** يعنى قبل الموت مثل ما نزل
بالامم الماضية الكافرة من الغرق والخسف والمسخ والصواعق ونحو ذلك من العذاب **او اتتكم الساعة**
يعنى القيمة **اغير الله تدعون** يعنى فى كشف العذاب عنكم **ان كنتم صادقين** يعنى فى دعواكم ومعنى
الاية ان الكفار كانوا اذا نزل بهم شدة وبلا رجعوا الى الله بالتضرع والدعا وتركوا الاصنام فقيل
لهم اترجعون الى الله فى حال الشدة والبلا ولا تعبدونه ولا تطيعونه فى حال اليسر والرخا **بل اياه
تدعون** يعنى بل تدعون الله ولا تدعون غيره فى كشف ما نزل بكم **فيكشف ما تدعون اليه ان شا**
يعنى فيكشف الضر الذى من اجله دعوتموه وانما قيد الاجابة بالمشية رعاية للمصلحة وان كانت الامور
كلها بمشية الله تعالى **وتنسون ما تشركون** يعنى وتتركون دعا الاصنام التى تعبدونها فلا تدعونها
لعلمكم انها لا تضر ولا تنفع وقيل معناه انكم فى ترككم دعا الاصنام بمنزلة من قد نسيها وهذا معنى قول

الحسن لانه قال وتوصون عنها اعراض الناسي لها قوله تعالى **ولقد ارسلنا الى امم من قبلك** في الاية محذوف
والتقدير ولقد ارسلنا الى امم من قبلك يا محمد رسلا فخالفوهم وكفروا وحسن هذا الحذف لكونه معلوما
عند السامع **فاخذناهم بالباساء** يعني بالفقر الشديد واصله من البوس وهو الشدة والمكروه
وقيل الباساء شدة الجوع **والضراء** يعني الامراض والاوجاع والزمانة **لعلهم يتضرعون** يعني يخضعون
ويتوبون والتضرع التخشع والتذلل والانقياد وترك التمرد واصله من الضراعة وهي الذلة ومقصود
الاية ان الله تعالى اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انه قد ارسل من قبله رسلا الى اقوام بلغوا في القسوة
الى ان اخذوا بالباساء والضراء وهي الشدة في النفس والمال فلم يخضعوا ولم يتضرعوا ففيه تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم **فلولا** يعني فهلا **اذ جاءهم باسنا تضرعوا** معناه فنفي التضرع اي فلم يتضرعوا
ولكن قست قلوبهم يعني ولكن غلظت قلوبهم فلم تتضرع ولم تخشع بل اقاموا على كفرهم وتكذيبهم
رسلهم **وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون** يعني من الكفر والتكذيب وتزيين الشيطان اغواؤه
بما في المعصية من اللذة قال ابن عباس يريد زين الشيطان الضلالة التي كانوا عليها فاصروا على
معاصي الله عز وجل قوله تعالى **فلما نسوا ما ذكروا به** اي تركوا ما وعظوا به وقيل تركوا العمل بما امرتهم
به الرسل وانما كان النسيان بمعنى الترك لان التارك للشيء معرض عنه كانه قد صيره بمنزلة ما
قد نسي **فتحنا عليهم ابواب كل شيء** يعني بدلنا مكان الباساء الرخاء والسعة في الرزق والعيش
ومكان الضراء الصحة والسلامة في الابدان والاجسام وذلك استدراج منه لهم وقيل فتحنا
عليهم ابواب كل شيء من الخير كان مغلقا عنهم **حتى اذا فرحوا بما اوتوا** يعني فرحوا بما اوتوا من السعة
والرخاء والصحة في الابدان والمعيشة وظنوا ان ما كان نزل بهم من الشدة لم يكن انتقاما من الله
تعالى وانهم لما فتح عليهم ما فتح من الخير والسعة فرحوا به وظنوا ان ذلك باستحقاقهم وهذا فرح بطر
كما فرح قارون بما اوتي من الدنيا **اخذناهم بغتة** يعني جاءهم عذابنا فجاة من حيث لا يشعرون قال
الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال اهل المعاني انما اخذوا في حال الرخاء والسلامة ليكون
اشد لتحسرهم على ما فاتهم من السلامة والعافية والتصرف في ضروب اللذة فاخذتهم في امن ما كانوا
واعجب ما كانت الدنيا اليهم **فاذا هم مبلسون** اي آيسون من كل خير وقال اهل اللغة المبلس الايس المنقطع
رجاؤه ولذلك يقال لمن يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون له جواب قد ابلس وقال الزجاج المبلس
الشديد الحزن والحسرة وقال ابو عبيدة المبلس النادم الحزين والابلاس هو الاطراق من الحزن
والندم روي عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رايت الله يعطي العبد ما يحب وهو
مقيم على معصيته فانما ذلك استدراج ثم تلى فلما نسوا ما ذكروا به الاية ذكره البغوي بغير سند
واسنده الطبري وقوله تعالى **فقطع دابر القوم الذين ظلموا** يعني اخرهم الذي يدبرهم يقال دبر
فلان القوم اذا كان اخرهم والمعنى انهم استوصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية **والحمد لله رب العالمين**
قال الزجاج حمد الله نفسه على ان قطع دابرهم واستاصل شافتهم ومعنى هذا ان قطع دابرهم نعمة انعم
الله بها على الرسل الذين ارسلوا اليهم فكذبوهم فذكر الحمد تعليم للرسل ولمن امن بهم ليحمدوا الله
على كفايته اياهم شر الذين ظلموا وليحمد محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ربهم اذا اهلك المشركون المكذبين
وقيل معناه الثناء الكامل والشكر الدائم لله رب العالمين على انعامه على رسله واهل طاعته باظهار
حجته على من خالفهم واهلاك اعدائهم واستيصالهم بالعذاب قوله تعالى **قل ارايتم** قل يا محمد لهؤلاء

المشركين

المشركين **ان اخذ الله سمعكم** يعني الذي تسمعون به فاصمكم حتى لا تسمعون **وابصاركم** يعني واخذ
ابصاركم التي تبصرون بها فاعماكم حتى لا تبصرون شيا اصلا **وختم على قلوبكم** يعني حتى لا تفهموا شيا اصلا
ولا تعرفوا شيا مما تعرفون من امور الدنيا وانما ذكر هذه الاعضاء الثلاثة لانها اشرف اعضاء الانسان فاذا
تعطلت هذه الاعضاء اختل نظام الانسان وفسد امره وبطلت مصالحه في الدين والدنيا ومقصود
هذا الكلام ذكر ما يدل على وجود الصانع الحكيم المختار وتقديره ان القادر على ايجاد هذه الاعضاء
واخذها هو الله تعالى المستحق للعبادة لا الاصنام التي يعبدونها وهو قوله تعالى **من اله غير الله
ياتيكم به** يعني ياتيكم بما اخذ منكم لان الضمير في به يعود على معنى الفعل ويجوز ان يعود على السمع
الذي ذكر اولا ويندرج تحته غيره **انظر** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره اي انظر
يا محمد **كيف نصرف الايات** اي كيف نبين لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة **ثم هم يصدفون**
يعني يعرضون عنها مكذبين لها **قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة** يعني فجاة **او جهرة** يعني معاينة
ترونه عند نزوله قال ابن عباس ليلا او نهارا **هل يهلك الا القوم الظالمون** يعني المشركون لانهم
ظلموا انفسهم بالشرك قوله عز وجل **وما نرسل المرسلين الا مبشرين** يعني لمن امن بالثواب **ومنذرين**
يعني لمن اقام على كفره بالعقاب والمعنى ليس في ارسالهم ان ياتوا الناس بما يقترحون عليهم من الايات
انما ارسلوا بالبشارة والنذارة **فمن امن واصلح** يعني امن بهم واصلح العمل لله **فلا خوف عليهم** يعني حين يخاف
اهل النار **ولا هم يحزنون** اذا حزن غيرهم **والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب** يعني يصيبهم العذاب
بما كانوا يفسقون يعني بسبب ما كانوا يكفرون ويخرجون عن الطاعة قوله تعالى **قل لا اقول لكم** الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين لا اقول لكم **عندي خزائن الله** نزلت حين
اقترحوا عليه الايات فامره الله تعالى ان يقول لهم انما بعثت بشيرا ونذيرا ولا اقول لكم عندي خزائن
الله جمع خزانة وهي اسم للمكان الذي يخزن فيه الشيء وخزن الشيء احرازه بحيث لا تناله الايدي
والمعنى ليس عندي خزائن رزق فاعطيكم منها ما تريدون لانهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه
وسلم ان كنت رسولا من الله فاطلب منه ان يوسع علينا عيشنا ويغني فقرنا فاخبر ان ذلك بيد الله
تعالى لا بيدي **ولا اعلم الغيب** يعني فاخبركم بما مضى في المستقبل حتى تستعدوا لتحصيل المصالح ودفع
المضار فاجابهم بقوله ولا اعلم الغيب فاخبركم بما تريدون **ولا اقول لكم اني ملك** وذلك انهم قالوا
ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق ويتزوج النساء فاجابهم بقوله ولا اقول لكم اني ملك
لان الملك يقدر على ما لا يقدر عليه البشر ويشاهد ما لا يشاهدون فلست اقول شيا من ذلك ولا ادعيه
فتنكرون قولي وتجحدون امري وانما نفى عن نفسه الشريفة هذه الاشياء تواضعا لله تعالى واعترافا له
بالعبودية وان لا يقترحوا عليه الايات العظام **ان اتبع الا ما يوحى الي** يعني ما اخبركم الا بوحي
الله انزله علي ومعنى الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم اعلمهم انه لا يملك خزائن الله التي منها يرزق ويعطي
وانه لا يعلم الغيب فيخبر بما كان وما سيكون وانه ليس بملك حتى يطلع على ما لا يطلع عليه البشر انما
يتبع ما يوحى اليه من ربه عز وجل فما اخبر عنه من غيب فهو بوحي الله اليه وظاهر الاية يدل على ان الرسول صلى
الله عليه وسلم ما كان يجتهد في شيء من الاحكام بل جميع اوامره ونواهيه انما كانت بوحي من الله اليه
قل هل يستوي الاعمى والبصير يعني المؤمن والكافر والضال والمهتدي والعالم والجاهل **افلا تتفكرون**
يعني انهما لا يستويان قوله عز وجل **وانذر به** يعني وخوف بالقران والانذار اعلام مع تخويف **الذين**

يخافون ان يحشروا الى ربهم قال ابن عباس يريد المؤمنين لانهم يخافون يوم القيمة وما فيه من شدة الاهوال
وقيل معنى يخافون يعلمون والمراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكتابي وانما خص الذين يخافون الحشر
بالذكر دون غيرهم وان كان انذاره صلى الله عليه وسلم لجميع الخلائق لان الحجة عليهم اوكد من غيرهم
لاعترافهم بصحة المعاد والحشر وقيل المراد بهم الكفار لانهم لا يعتقدون صحته ولذلك قال يخافون ان
يحشروا الى ربهم وقيل المراد بالانذار جميع الخلق فيدخل فيه كل مؤمن معترف بالحشر وكل كافر منكر له لانه
ليس لاحد الا وهو يخاف الحشر سواء اعتقد وقوعه او كان يشك فيه ولان دعوة النبي صلى الله عليه
وسلم وانذاره لجميع الخلق **ليس لهم من دونه** يعني من دون الله **ولي** اي قريب ينفعهم **ولا شفيع** يعني
يشفع لهم وهذا فيه اشكال وهو انه لو فسرنا الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ان المراد بهم الكفار فلا اشكال
فيه لقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وان فسرنا الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم
ان المراد بهم المؤمنين ففيه الاشكال لانه قد ثبت بصحيح النقل شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم
للمذنبين من امته وكذلك تشفع الملائكة والانبياء والمؤمنون بعضهم لبعض والجواب عن هذا الا[شكال]
ان الشفاعة لا تكون الا باذن الله عز وجل لقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه واذا كانت
الشفاعة باذن الله تعالى صح قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع يعني حتى ياذن لهم في الشفاعة
فاذا اذن فيها كان للمؤمنين ولي وشفيع **لعلهم يتقون** يعني ما نهيتهم عنه قوله تعالى **ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه** قال سلمان وخباب بن الارت فينا نزلت هذه
الاية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصين الفزاري وهما من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي
صلى الله عليه وسلم قاعدا مع صهيب وبلال وعمار وخباب في نفر من ضعفاء المؤمنين فلما راوهم حوله
حقروهم فاتوه فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم وكانت
عليهم جباب صوف لها رائحة ليس عليهم غيرها لجالسناك واخذنا عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما انا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب
تاتيك فنستحيي ان ترانا العرب مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعدهم
ان شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابا قال فاتي بالصحيفة ودعا عليا ليكتب قال
ونحن قعود في ناحية اذ نزل جبريل عليه السلام بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
الى قوله اليس الله باعلم بالشاكرين فالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ثم دعانا
فاتيناه وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فاذا اراد ان يقوم قام
وتركنا فانزل الله تبارك وتعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الاية فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد ذلك وندنو منه حتى كادت ركبتنا تمس ركبته فاذا بلغ
الساعة التي يريد ان يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني
ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات **وروي** عن سعد بن ابي وقاص قال كنا مع النبي
صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء لا يجترؤن علينا
قال وكنت انا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست اسميهما فوقع في نفس رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ان يقع فحدث نفسه فانزل الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي يريدون وجهه اخرجه مسلم وقال الكلبي قالوا له يعني اشراف قريش اجعل لنا

يوما

يوما ولهم يوما قال لا افعل قالوا فاجعل المجلس واحدا واقبل علينا وول ظهرك اليهم فانزل الله هذه
الاية قال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن ام عبد يعني ابن مسعود لبايعناك فانزل الله تعالى
هذه الاية وقال ابن مسعود مر ملأ من قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال
وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد رضيت بهؤلاء من قومك اهؤلاء الذين من الله عليهم
من بيننا انحن نكون تبعا لهؤلاء اطردهم فلعلك ان طردتهم ان نتبعك فنزلت هذه الاية وقال
عكرمة جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل في اشراف بني
عبد مناف من اهل الكفر الى ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا طالب لو ان ابن اخيك
محمدا يطرد عنه موالينا وحلفاءنا فانما هم عبيدنا وعسفاؤنا كان اعظم في صدورنا واطوع له
عندنا وادنى لاتباعنا اياه وتصديقنا له قال فاتى ابو طالب النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي
كلموه به فقال عمر بن الخطاب لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون والى ما يصيرون من قولهم
فانزل الله عز وجل هذه الاية وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم الى قوله اليس الله باعلم
بالشاكرين فجاء عمر فاعتذر من مقالته قلت بين هذه الروايات والرواية الاولى التي عن سلمان
وخباب بن الارت فرق كثير وبعد عظيم وهو ان اسلام سلمان وكان بالمدينة وكان اسلام المؤلفة قلوبهم
بعد الفتح وسورة الانعام مكية والصحيح ما روي عن ابن مسعود والكلبي وعكرمة في ذلك ويعضده
حديث سعد بن ابي وقاص المخرج في صحيح مسلم من ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد
هؤلاء يعني ضعفاء المسلمين والله اعلم واما معنى الاية فقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعني لا تطرد هؤلاء الضعفاء عنك ولا تبعدهم عن
مجلسك لاجل ضعفة فقرهم وصفهم فقال تعالى الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس يعني يعبدون
ربهم بالغداة والعشي يعني صلاة الصبح وصلاة العصر ويروى عنه ان المراد منه الصلوات الخمس وانما ذكر
هذين الوقتين تنبيها على شرفهما ولانهم مواظبون عليهما مع بقية الصلوات ولان الصلاة تشتمل على القراءة
والدعاء والذكر فعبر بالدعاء عن الصلاة لهذا المعنى قال مجاهد صليت الصبح مع سعيد بن المسيب فلما
سلم الامام ابتدر الناس القاص فقال سعيد ما اسرع الناس الى هذا المجلس قال مجاهد فقلت يتاولون
قوله تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي قال او في هذا هو انما ذلك في الصلاة التي انصرفنا عنها
الان وقال ابن عباس ان ناسا من الفقراء كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ناس من اشراف الناس نؤمن
لك واذا صلينا فاخر هؤلاء الذين معك فليصلوا خلفنا وقيل المراد منه حقيقة الدعاء والذكر والمعنى
انهم كانوا يذكرون ربهم ويدعونه طرفي النهار يريدون وجهه يعني يطلبون بعبادتهم وطاعتهم وجه الله
مخلصين في عبادتهم له قال ابن عباس يطلبون ثواب الله تعالى **ما عليك من حسابهم من شيء وما من
حسابك عليهم من شيء** يعني لا تكلف امرهم ولا يكلفون امرك وقيل ليس عليك حساب رزقهم فتملهم
فلا تطردهم عنك **فتطردهم فتكون من الظالمين** يعني بطردهم عنك وعن مجلسك فقوله فتطردهم
جواب النفي وهو قوله ما عليك من حسابهم من شيء وقوله فتكون من الظالمين جواب النهي وهو قوله
ولا تطرد الذين يدعون ربهم واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء عليهم السلام بهذه الاية فقالوا ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما هم بطرد الفقراء عن مجلسه لاجل الاشراف عاتبه الله ونهاه عن طردهم
وذلك يقدح في العصمة وقوله فتطردهم فتكون من الظالمين والجواب عن هذا الاحتجاج ان النبي

صلى الله عليه وسلم ما طردتهم ولا هم بطردهم لاجل الاستخفاف بهم ولا الاستنكاف من فقرهم وانما
كان هذا الهم المصلحة وتمنيا لتلطف بهولا الاشراف في ادخالهم في الاسلام فكان ترجيح هذا الجانب اولى
وتنواجيهما دمه فاعلمه الله تعالى ان ادنى هولا الفقرا اولى من الهم بطردهم فقربهم منه وادناهم
واما قوله فتطردهم فتكون من الظالمين ان الظلم في اللغة وضع الشي في غير محله موضعه فيكون
المعنى ان اوليك الفقرا الضعفا يستحقون التعظيم والتقريب فلا تهم بطردهم عنك فتضع الشي
في غير موضعه فهو من باب ترك الافضل والاولى لا من باب ترك الواجبات والله اعلم قوله عز وجل
وكذلك فتنا بعضهم ببعض يعني وكذلك ابتلينا الغني بالفقير والفقير بالغني والشريف بالوضيع
والوضيع بالشريف فكل واحد مبتلى بضده فكان ابتلا الاغنيا اكثر فاحسدهم لفقرا الصحابة على كونهم
سبقوهم الى الاسلام وتقدموا عليهم فامتنعوا من الدخول في الاسلام لذلك فكان ذلك فتنة وابتلا
لهم واما فتنة الفقرا بالاغنيا فلما يرون من سعة رزقهم وخصب عيشهم فكان ذلك فتنة لهم ليقولوا
يعني الاغنيا والشرفا والروسا أهولا من الله عليهم من بيننا يعني من على الفقرا والضعفا بالاسلام
ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا اعتراض من الكفار على الله تعالى فاجابهم بقوله أليس
الله باعلم بالشاكرين يعني انه تعالى اعلم بخلقه وباحوالهم واعلم بالشاكرين من الكافرين قوله تعالى
واذا جاك الذين يومنون باياتنا فقل سلام عليكم قال عكرمة في الذين نهى الله نبيه صلى الله
عليه وسلم عن طردهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راهم بداهم بالسلام وقال عطا نزلت
في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم بن عبيدة ومصعب بن عمير وحمزة وعثمان بن مظعون
وعمار بن ياسر والارقم بن ابي الارقم وابي سلمة بن عبد الاسد وقيل ان الاية على اطلاقها في كل مومن
وقيل لما جا عمر بن الخطاب واعتذر من مقالته التي تقدمت في رواية عكرمة وقال ما اردت الا الخير
فنزلت واذا جاك الذين يومنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم يعني فرض ربكم وقضى ربكم على
نفسه وهذا يفيد الوجوب وسبب هذا انه سبحانه وتعالى يتصرف في عباده كيف شا واراد فاوجب
على نفسه الرحمة على سبيل الفضل والكرم لانه اكرم الاكرمين وارحم الراحمين انه من عمل منكم سوءا بجهالة
قال مجاهد كل من عمل ذنبا او خطية فهو بها جاهل واختلفوا في سبب هذا الجهل فقيل لانه جاهل
بمقدار ما استحقه من العقاب وما فاته من الثواب وقيل انه وان علم ان عاقبة ذلك السوء والفعل
القبيح مذمومة الا انه اثر اللذة العاجلة على الخير الكثير الاجل ومن اثر القليل على الكثير فهو جاهل
وقيل انه فعل فعل الجهال فنسب الى الجهل وان لم يكن جاهلا ثم تاب من بعده يعني من بعد ارتكابه ذلك
السوء ورجع عنه واصلح يعني اصلح العمل في المستقبل وقيل اخلص توبته وندم على فعله فانه غفور
يعني لمن تاب من ذنوبه رحيم بعباده قال خالد بن كنا اذا دخلنا على ابي العالية قال واذا جاك
الذين يومنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الاية عن ابي سعيد الخدري قال
جلست في عصابة من ضعفا المهاجرين وان بعضهم ليستتر ببعض من العري وقاري يقرا علينا اذ جا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا فلما قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت القاري
وسلم ثم قال ما كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله كان قاري لنا يقرا علينا وكنا نسمع الى كتاب الله عز وجل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل من امتي من امرت ان اصبر نفسي معهم وجلس رسول
الله صلى الله عليه وسلم وسطنا ليعدل بنفسه فينا ثم قال بيده ۝ هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم فقال

فما

فما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف منهم احدا غيري ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيمة تدخلون الجنة قبل الاغنيا بنصف يوم
وذلك خمسماية سنة اخرجه ابو داود قوله عز وجل وكذلك نفصل الايات يعني وكما فصلنا لك
يا محمد في هذه السورة دلايلنا على صحة التوحيد وابطال ما هم عليه من الشرك كذلك نميز ونبين لك
ادلة حججنا وبراهيننا في تقرير كل حق ينكره اهل الباطل ولتستبين قرى بالتا على الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم يعني ولتظهر لك الحق يا محمد ويتبين لك سبيل المجرمين يعني طريق هولا المجرمين وقرى
بالياء على الغيبة ومعناه وليظهر ويتضح سبيل المجرمين يوم القيمة اذا صاروا الى النار قوله تعالى
قل اي قل يا محمد لهولا المشركين اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله يعني نهيت ان اعبد
الاصنام التي تعبدونها انتم من دون الله وقيل تدعونها عند شدايدكم من دون الله لان الحجارة
اخس من ان تعبد او تدعا وانما كانوا يعبدونها على سبيل الهوى وهو قوله قل لا اتبع اهواكم يعني
في عبادة الاصنام وطرد الفقرا قد ضللت اذا يعني ان عبدتها وما انا من المهتدين يعني لو عبدتها
قل يعني قل يا محمد لهولا المشركين اني على بينة من ربي قال ابن عباس يعني على يقين من ربي وقيل البينة
الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل والمعنى اني على بيان وبصيرة على عبادة ربي وكذبتم به يعني
وكذبتم بالبيان الذي جيت به من عند ربي وهو القران والمعجزات الباهرات والبراهين الواضحات
التي تدل على صحة التوحيد وفساد الشرك ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم خوفهم بنزول العذاب عليهم وكانوا يستعجلون به استهزاء وكانوا يقولون
يا محمد ايتنا بما تعدنا يعني من نزول العذاب فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم
ما عندي ما تستعجلون به لان انزال العذاب لا يقدر عليه الا الله ولا يقدر احد على تقديمه ولا
تاخيره وقيل كانوا يستعجلون بالايات التي طلبوها واقترحوها فاعلم الله ان ذلك عنده ليس
عند احد من خلقه وقيل كانوا يستعجلون بقيام الساعة ومنه قوله تعالى يستعجل بها الذين لا يومنون
بها ان الحكم الا لله يعني الحكم الذي يفصل به بين الحق والباطل والثواب للطايع والعقاب للعاصي
اي ما الحكم المطلق الا لله ليس معه حكم فهو يفصل بين المختلفين ويقضي بانزال العذاب اذا شا يقص
الحق قرى بالصاد المهملة ومعناه يقول الحق لان كل ما اخبر به فهو حق وقرى يقضي بالضاد المعجمة
من القضا يعني انه تعالى يقضي القضا الحق وهو خير الفاصلين يعني وهو خير من بين وفصل وميز
بين المحق والمبطل لانه لا يقع في حكمه وقضايه جور ولا حيف على احد من خلقه قل لو ان عندي ما تستعجلون
به يعني من انزال العذاب والاستعجال المطالبة بالشي قبل وقته فلذلك كانت العجلة مذمومة
والاسراع تقديم الشي في وقته فلذلك كانت المسارعة محمودة والمعنى قل يا محمد لهولا المشركين المستعجلين
لنزول العذاب لو ان عندي ما تستعجلون به لم امهلكم ساعة ولكن الله حليم ذو اناة لا يعجل بالعقوبة
وقوله تعالى لقضي الامر بيني وبينكم يعني لا تفصل ما بيني وبينكم ولا تيتكم ما تستعجلون به من العذاب ٢
والوقت الذي تستحقونه فيه وقيل علم انه سيومن بعض من كان يستعجل بالعذاب فلذلك اخره
عنهم وقال والله اعلم بالظالمين وباحوالهم قوله عز وجل وعنده مفاتح الغيب المفتاح الذي يفتح
به المغلاق وجمعه مفاتيح ويقال مفتح بكسر الميم وجمعه مفاتح والمفتح بفتح الميم الخزانة وكل خزانة كانت
لصنف من الاشيا فهي مفتح وجمعه مفاتح فقوله وعنده مفاتح الغيب يحتمل ان يكون المراد منه المفاتيح

٢ والله اعلم بالظالمين يعني انه اعلم بما تستحقونه من العذاب صح

التي يفتح بها ويحتمل ان يكون المراد منه الخزاين فعلى التفسير الاول فقد جعل للغيب مفاتيح على طريق
الاستعارة لان المفاتيح هي التي يتوصل بها الى ما في الخزاين المستوثق منها بالاغلاق فمن علم كيف
يفتح بها ويتوصل الى ما فيها فهو عالم وكذلك هاهنا ان الله تعالى لما كان عالما بجميع المعلومات
ما غاب منها وما لم يغب عبر عن هذا المعنى بهذه العبارة وعلى التفسير الثاني يكون المعنى وعنده
خزاين الغيب والمراد منه القدرة الكاملة على كل الممكنات ثم اختلف اقوال المفسرين في قوله وعنده
مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو فقيل مفاتح الغيب خمس وهي ما روي عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله لا يعلم احد ما يكون في غد الا الله ولا يعلم
احد ما يكون في الارحام الا الله ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا ولا تدري نفس باي ارض تموت ولا
يدري احد متى يجي المطر وفي رواية اخرى لا يعلم ما تغيض الارحام الا الله ولا يعلم ما في غد الا الله ولا
يعلم متى ياتي المطر احد الا الله ولا تدري نفس باي ارض تموت الا الله ولا يعلم متى الساعة الا الله
اخرجه البخاري وقال الضحاك ومقاتل مفاتح الغيب خزاين الارض وعلم نزول العذاب وقال عطا
هو ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وقيل هو انقضا الاجال وعلم احوال العباد من السعادة
والشقاوة وخواتيم اعمالهم وقيل هو علم ما لم يكن بعد ان يكون ام لا يكون كيف يكون وما لا يكون ان
لو كان كيف يكون وقال ابن مسعود اوتي نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شي الا مفاتح الغيب وقال ابن عباس
انها خزاين غيب السموات والارض من الاقدار والارزاق **ويعلم ما في البر والبحر** قال مجاهد البر
المفاوز والقفار والبحر القرى والامصار لا يحدث فيها شي الا وهو يعلمه وقال جمهور المفسرين هو
البر والبحر المعروف لان جميع الارض اما بر واما بحر وفي كل واحد منهما من عجايب مصنوعاته وغرايب
مبتدعاته ما يدل على عظيم قدرته وسعة علمه **وما تسقط من ورقة الا يعلمها** يريد ساقطة وثابتة والمعنى
انه يعلم عدد ما يسقط من الورق وما يبقى على الشجر من ذلك ويعلم كم انقلبت ظهرا لبطن الى ان تسقط
على الارض **ولا حبة في ظلمات الارض** قيل هو الحب المعروف يكون في بطن الارض قبل ان ينبت وقيل هي
الحبة التي في الصخرة التي في اسفل الارضين **ولا رطب ولا يابس** قال ابن عباس الرطب الماء واليابس
البادية وقال عطا يريد ما ينبت وما لا ينبت وقيل المراد بالرطب الحي واليابس الميت وقيل هو عبارة
عن كل شي لان جميع الاشيا اما رطبة واما يابسة فان قلت ان جميع هذه الاشيا داخلة تحت قوله
وعنده مفاتح الغيب فلم افرد هذه الاشيا بالذكر وما فايدة ذلك قلت لما قال تعالى وعنده مفاتح
الغيب على سبيل الاجمال ذكر من بعض ذلك الاجمال ما يدل على التفصيل فذكر هذه الاشيا المحسوسة
ليدل بها على غيرها فقدم ذكر البر والبحر لما فيهما من العجايب والغرايب من المدن والقرى والمفاوز
والجبال وكثرة ما فيهما من المعادن والحيوان واصناف المخلوقات ما يعجز الوصف عن ادراكها ثم ذكر بعد
ذلك ما هو اقل من ذلك وهو مشاهد لكل احد لان الورقة الساقطة والثابتة يراها كل احد لكن
لا يعلم عددها وكيفية خلقها الا الله تعالى ثم ذكر بعد ذلك ما هو اصغر من الورقة وهي الحبة ثم ذكر
بعد ذلك مثالا يجمع الكل وهو الرطب واليابس فذكر هذه الاشيا وانه لا يخرج شيا منهما عن
علمه سبحانه وتعالى فصارت هذه الامثال منبهة على عظمة عظيمة وقدرة عالية وعلم واسع
فسبحان العليم الخبير وقوله تعالى **الا في كتاب مبين** فيه قولان احدهما ان الكتاب المبين هو علم
الله الذي لا يغير ولا يبدل والثاني ان المراد بالكتاب المبين هو اللوح المحفوظ لان الله كتب فيه علم

مايكون

مايكون وما قد كان قبل ان يخلق السموات والارض وفايدة احصا الاشيا كلها في هذا الكتاب
لتقف الملايكة على انفاذ علمه وانه نبه بذلك على تعظيم الحساب واعلم عباده انه لا يفوته شي مما
يصنعون لان من اثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب في كتاب فهو الى اثبات ما فيه ثواب وعقاب اسرع
قوله تعالى **وهو الذي يتوفاكم بالليل** اي يقبض ارواحكم اذا نمتم بالليل **ويعلم ما جرحتم** ما
كسبتم **بالنهار ثم يبعثكم فيه** اي يوقظكم فيه اي في النهار **ليقضى اجل مسمى** يعني اجل الحياة الى الممات
يريد استيفا العمر على التمام **ثم اليه مرجعكم** في الاخرة **ثم ينبئكم** اي يخبركم **بما كنتم تعملون** قوله تعالى **وهو
القاهر فوق عباده** يعني وهو العالي عليهم بقدرته لان كل من قهر شيا وعلاه فهو مستعل عليه بالقهر
والقدرة فهو كما يقال امر فلان فوق امر فلان بمعنى انه اقدر منه واغلب هذا مذهب اهل التاويل في
معنى لفظة فوق في قوله وهو القاهر فوق عباده واما مذهب السلف فيها فامرارها كما جات من غير تكييف
ولا تاويل ولا اطلاق على جهة والقاهر هو الغالب لغيره المذلل له والله تعالى هو القاهر لخلقه فهو
كل شي بضده فقهر الحياة بالموت والايجاد بالاعدام والغنى بالفقر والنور بالظلمة وقوله تعالى **ويرسل
عليكم حفظة** يعني ان من جملة قهره لعباده ارسال الحفظة عليهم والمراد بالحفظة الملايكة الذين
يحفظون اعمال بني ادم من الخير والشر والطاعة والمعصية وغير ذلك من الاقوال والافعال قيل
ان مع كل انسان ملكين ملك عن يمينه وملك عن شماله فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين واذا عمل
سيية قال صاحب اليمين لصاحب الشمال اصبر عليه لعله يتوب منها فان لم يتب منها كتبها عليه صاحب
الشمال وفايدة جعل الملايكة موكلين بالانسان انه اذا علم ان له حافظا من الملايكة موكلا به
يحفظ عليه اقواله وافعاله في صحايف تنشر له وتقرا عليه يوم القيمة على روس الاشهاد كان
ذلك ازجر له عن فعل القبيح وترك المعاصي وقيل المراد بقوله ويرسل عليكم حفظة هم الملايكة الذين
يحفظون بني ادم ويحفظون اجسادهم وقال قتادة حفظة يحفظون على ابن ادم رزقه واجله
وعمله **حتى اذا جا احدكم الموت توفته رسلنا** يعني اعوان ملك الموت الموكلين بقبض ارواح البشر
فان قلت قال الله تعالى في اية اخرى الله يتوفى الانفس حين موتها وقال في رواية اخرى قل يتوفاكم ملك
الموت الذي وكل بكم وقال هنا توفته رسلنا فكيف الجمع بين هذه الايات قلت وجه الجمع بين هذه
الايات ان المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى فاذا حضر اجل العبد امر الله ملك الموت بقبض روحه ولملك
الموت اعوان من الملايكة فيامرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده فاذا وصلت الى الحلقوم تولى قبضها
ملك الموت بنفسه فحصل الجمع بين الايات وقيل المراد من قوله توفته رسلنا ملك الموت وحده وانما
ذكر بلفظ الجمع تعظيما له وقال مجاهد جعلت الارض لملك الموت مثل الطشت يتناول من حيث يشا
وجعلت له اعوان ينتزعون الانفس ثم يقبضها منهم وقال ايضا ما من اهل بيت شعر ولا مدر الا وملك
الموت يطيف بهم كل يوم مرتين وقيل ان الارواح اذا كثرت عليه يدعوها فتستجيب له وقوله **وهم
لا يفرطون** يعني الرسل لا يقصرون فيما امروا به ولا يضيعون قوله عز وجل **ثم ردوا الى الله مولاهم الحق**
يعني ثم رد العباد بالموت الى الله في الاخرة وانما قال هو لاهم الحق لانهم كانوا في الدنيا تحت ايدي موالي
بباطل وهو الله مولاهم وسيدهم ومالكهم بالحق **الا له الحكم** يعني لا حكم الا لله **وهو اسرع الحاسبين**
يعني انه تعالى اسرع من حسب لانه لا يحتاج الى فكر وروية وعقد يد فيحاسب خلقه بنفسه لا يشغله حساب
بعضهم عن بعض قوله تعالى **قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر** يعني قل يا محمد لهولا الكفار الذين يعبدون

الاصنام من دون الله من الذي ينجيكم من ظلمات البر اذا ضللتم فيه وتحيرتم واظلمت عليكم الطرق ومن
الذي ومن الذي ينجيكم من ظلمات البحر اذا ركبتم فيه فاخطاتم الطريق واظلمت عليكم السبل فلم تهتدوا وقيل
ظلمات البر والبحر مجاز عما فيهما من الشدائد والاهوال وقيل حمله على الحقيقة اولى فظلمة البر هو ما
اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب فيحصل من الخوف الشديد لعدم الاهتداء الى الطريق الصواب
وظلمة البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة والامواج الهائلة
فيحصل من ذلك ايضا الخوف الشديد من الوقوع في الهلاك فالمقصود ان عند اجتماع هذه الاسباب
الموجبة للخوف الشديد من لا يرجع الانسان فيها الا الى الله سبحانه وتعالى لانه هو القادر على كشف
الكروب وازالة الشدائد وهو المراد من قوله تدعونه تضرعا وخفية يعني فاذا اشتد بكم الامر
تخلصون له الدعاء تضرعا منكم اليه واستكانة جهرا وخفية يعني سرا حالا وحالا لئن انجيتنا من هذه
يعني قائلين في حال الدعاء والتضرع لئن انجيتنا من هذه الظلمات وخلصتنا من الهلاك لنكونن من الشاكرين
يعني لك على هذه النعمة والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقها لمن انعم بها قل الله ينجيكم منها يعني
من الظلمات والشدائد التي انتم فيها ومن كل كرب يعني وهو الذي ينجيكم من كل كرب ايضا والكرب هو
الغم الشديد الذي ياخذ بالنفس ثم انتم تشركون يريد انهم يقرون بان الذي انجاهم من هذه الشدائد
هو الله تعالى ثم انهم بعد ذلك الاقرار يشركون معه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع قوله عز وجل قل هو القادر
على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم يعني الصيحة والحجارة والريح والطوفان كما فعل بقوم نوح وعاد
وثمود وقوم لوط او من تحت ارجلكم يعني الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون وقال ابن
عباس ومجاهد عذابا من فوقكم يعني ائمة السوء والسلاطين الظلمة او من تحت ارجلكم يعني عبيد السوء
وقال الضحاك من فوقكم يعني من قبل كباركم او من تحت ارجلكم يعني السفلة او يلبسكم شيعا الشيع جمع
شيعة وكل قوم اجتمعوا على امر فهم شيعة واشياع واصله من التشيع ومعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم
بعضا وقيل الشيعة هم الذين يتقوى بهم الانسان قال الزجاج في قوله او يلبسكم شيعا يعني يخلط امركم
خلط اضطراب لا خلط اتفاق فيجعلكم فرقا مختلفين يقاتل بعضكم بعضا وهو معنى قوله ويذيق بعضكم
باس بعض وقال ابن عباس قوله او يلبسكم شيعا يعني الاهواء المختلفة ويذيق بعضكم باس بعض يعني
انه يقتل بعضكم بيد بعض وقال مجاهد يعني اهواء متفرقة وهو ما كان فيهم من الفتن والاختلاف وقال ابن
زيد هو الذي فيه الناس اليوم من الاختلاف والاهواء وسفك بعضهم دماء بعض ثم اختلف المفسرون في
من عني بهذه الاية فقال قوم عني بها المسلمين من امة محمد وفيهم نزلت هذه الاية قال ابو العالية في قوله
قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم الاية قال هن اربع وكلهن عذاب فجاء اثنتين بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة فالبسوا شيعا واذيق بعضهم باس بعض وبقيت اثنتان فهما لابد
واقعتان يعني الخسف والمسخ وعن ابي بن كعب نحوه هذا اربع خلال وكلهن عذاب وكلهن واقع قبل يوم
القيامة مضت اثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة البسوا شيعا واذيق
بعضهم باس بعض واثنتان واقعتان لا محالة الخسف والرجم وقال مجاهد في قوله من فوقكم او من تحت
ارجلكم لامة محمد فاعفاهم منه او يلبسكم شيعا ما كان فيهم من الفتن والاختلاف زاد غيره ويذيق بعضكم
باس بعض يعني ما كان فيهم من القتل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم (خ) عن جابر قال لما نزلت
هذه الاية قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ

بوجهك

بوجهك او من تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض قال هذا اهون
او هذا ايسر (م) عن سعد بن ابي وقاص انه اقبل مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم من العالية حتى اذا
مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف الينا فقال
سالت ربي ثلاثا فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة سالت ربي ان لا يهلك امتي بالسنة فاعطانيها
وسالت ربي ان لا يهلك امتي بالغرق فاعطانيها وسالت ربي ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعنيها عن
خباب بن الارت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فاطالها فقالوا يا رسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها
قال اجل انها صلاة رغبة ورهبة اني سالت الله فيها ثلاثا فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة سالته
ان لا يهلك امتي بسنة فاعطانيها وسالته ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فاعطانيها وسالته
ان لا يذيق بعضهم باس بعض فمنعنيها اخرجه الترمذي قوله تعالى انظر كيف نصرف الايات اي نظر
يا محمد كيف نبين لهم الايات وحججنا للمكذبين لعلهم يفقهون يعني يفهمون ويعتبرون فينزجروا
او يرجعوا عما هم عليه من الكفر والتكذيب قوله تعالى وكذب به قومك يعني بالقران وهو الحق يعني
في كونه كتابا منزلا من عند الله وقيل الضمير في به يرجع الى العذاب وهو الحق يعني في انه نازل بهم ان
اقاموا على كفرهم وتكذيبهم وقيل الضمير يرجع الى تصريف الايات وهو الحق لانهم كذبوا كونها من عند الله
قل لست عليكم بوكيل اي قل يا محمد لهؤلاء المكذبين لست عليكم بحافظ حتى اجازيكم على تكذيبكم واعراضكم
عن قبول الحق بل انا منذر والله هو المجازي لكم على اعمالكم وقيل معناه اني انما ادعوكم الى الله والى الايمان
به ولم اومر بحربكم فعلى هذا القول تكون الاية منسوخة باية السيف وقيل في معنى الاية قل لست عليكم
بوكيل يعني حفيظا انما اطالبكم بالظاهر من الاقرار والعمل لا بما تحويه الضمائر والاسرار فعلى هذا تكون
الاية محكمة لكل نبا مستقر اي لكل خبر من اخبار القران حقيقة ومنتهى ينتهي اليه اما في الدنيا واما في الاخرة
وقيل لكل خبر يخبر الله به وقت ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تاخير فكان ما وعدتم به من العذاب في
الدنيا وقع يوم بدر وسوف تعلمون يعني صحة ذلك الخبر اما في الدنيا واما في الاخرة قوله عز وجل واذا
رايت الذين يخوضون في اياتنا الخطاب في واذا رايت للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى واذا رايت يا محمد
هؤلاء المشركين الذين يخوضون في اياتنا يعني القران الذي انزلناه اليك والخوض في اللغة هو الشروع
في الماء والعبور فيه ويستعار في الاخذ في الحديث والشروع فيه يقال تخاوضوا في الحديث وتفاوضوا
فيه لكن اكثر ما يستعمل الخوض في الحديث على وجه اللعب والعبث وما يذم عليه ومنه قوله وكنا نخوض مع
الخائضين وقيل الخطاب في واذا رايت لكل فرد من الناس والمعنى واذا رايت ايها الانسان الذين
يخوضون في اياتنا وذلك ان المشركين كانوا اذا جالسوا المؤمنين وقعوا في الاستهزاء بالقران ومن
انزله ومن انزل عليه فنهاهم الله ان يقعدوا معهم في وقت الاستهزاء بقوله فاعرض عنهم يعني فاتركهم
ولا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث غيره يعني حتى يكون خوضهم في غير القران والاستهزاء به واما ينسينك
الشيطان يعني فقعدت معهم فلا تقعد بعد الذكرى يعني اذا ذكرت فقم عنهم ولا تقعد مع القوم الظالمين
يعني المشركين قوله تعالى وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء قال ابن عباس لما نزلت هذه الاية
واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم قال المسلمون كيف نقعد في المسجد الحرام ونطوف بالبيت
وهم يخوضون ابدا وفي رواية قال المسلمون انا نخاف الاثم حين نتركهم ولا ننهاهم فانزل الله هذه الاية وما
على الذين يتقون الشرك والاستهزاء من حسابهم يعني من حساب المشركين من شيء يعني ليس

عليهم شيء من حسابهم والآثام ولكن ذكرى يعني ولكن ذكروهم ذكرى وقيل معناه ولكن عليكم ان تذكروهم لعلهم يتقون يعني لعل ذلك الذكرى يمنعهم من الخوض والاستهزاء فصل قال سعيد بن جبير وابن جريج ومقاتل هذه الآية منسوخة بالآية التي في سورة النساء وهي قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها الآية وذهب الجمهور الى انها محكمة لا نسخ فيها لانها خبر والخبر لا يدخل النسخ لانها انما دلت على ان كل انسان انما يختص بحساب نفسه لا بحساب غيره وقيل انما اباح لهم القعود معهم بشرط التذكر والموعظة فلا تكون منسوخة قوله عز وجل وذروا الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وذر يا محمد هؤلاء المشركين الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وذلك حيث سخروا به واستهزؤا به وقيل انهم اتخذوا عبادة الاصنام لعبا ولهوا وقيل ان الكفار كانوا اذا سمعوا القرآن لعبوا ولهوا عند سماعه وقيل ان الله جعل لكل قوم عيدا فاتخذ كل قوم دينهم يعني عيدهم لعبا ولهوا يلعبون ويلهون فيه الا المسلمون فانهم اتخذوا عيدهم صلاة وتكبيرا وفعل الخير فيه مثل عيد الفطر ويوم الجمعة وغرتهم الحياة الدنيا يعني انهم اتخذوا دينهم لعبا ولهوا لاجل انهم غرتهم الحياة الدنيا وغلب حبها على قلوبهم فاعرضوا عن دين الحق واتخذوا دينهم لعبا ولهوا ومعنى الآية وذر يا محمد الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا واتركهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم وهذا يقتضي الاعراض عنهم ثم نسخ ذلك الاعراض بآية السيف وهو قول قتادة والسدي وقيل انه خرج مخرج التهديد فهو كقوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا وهذا قول مجاهد فعلى هذا تكون الآية محكمة وقيل المراد بالاعراض عنهم ترك معاشرتهم ومخالطتهم لا ترك الانذار والتخويف ويدل عليه قوله وذكر به يعني وذكر بالقرآن وعظ به هؤلاء المشركين ان تبسل نفس بما كسبت اي لئلا تبسل نفس واصل البسل في اللغة التحريم وضم الشيء ومنعه وهذا عليك بسل اي حرام ممنوع فمعنى تبسل نفس بما كسبت ترتهن وتحبس في جهنم وتحرم من الثواب بسبب ما كسبت من الآثام وقال ابن عباس تبسل تهلك وقال قتادة تحبس يعني في جهنم وقال الضحاك تحرق بالنار وقال ابن زيد تؤخذ يعني بما كسبت وقيل تفتضح والمعنى وذكرهم بالقرآن ومواعظه وعرفهم بشرائع الاسلام لكيلا تهلك نفس وترتهن في جهنم بسبب الجنايات التي اكتسبت في الدنيا وتحرم الثواب في الآخرة ليس لها يعني لتلك النفس التي هلكت من دون الله ولي اي قريب يلي امرها ولا شفيع يعني يشفع لها في الآخرة وان تعدل كل عدل يعني وان تفتدي بكل فداء والعدل الفداء لا يؤخذ منها يعني ذلك الفداء وتلك الفدية اولئك الذين اشارة الى الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا ابسلوا بما كسبوا يعني اسلموا الى الهلاك بسبب ما اكتسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ذلك لهم بسبب كفرهم قوله تعالى قل اندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين دعوك الى دين آبائك اندعوا يعني انعبد من دون الله يعني الاصنام التي لا تنفع من عبدها ولا تضر من ترك عبادتها ونرد على اعقابنا يعني ونرد الى الشرك بعد اذ هدانا الله يعني الى دين الاسلام والتوحيد كالذي استهوته الشياطين في الارض يعني كالذي ذهبت به الشياطين فالقته في هوية من الارض واصله من الهوي وهو النزول من اعلا الى اسفل حيران يقال حار فلان في الامر اذا تردد فيه فلم يهتد الى الصواب فيه ولا المخرج منه له اصحاب يدعونه الى الهدى يعني لهذا المتحير الذي استهوته الشياطين اصحاب على الطريق المستقيم ائتنا يعني يقولون له ائتنا وهذا مثل ضربه الله تعالى لمن يدعوا الى عبادة الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولمن

يدعوا

يدعو الى عبادة الله عز وجل الذي يضر وينفع يقول مثلهما كمثل رجل في رفقة ضل به الغول والشيطان عن الطريق المستقيم فجعل اصحابه من اهل رفقته يدعونه اليهم يقولون هلم الى الطريق المستقيم وجعل الغيلان يدعونه اليهم فبقي حيران لا يدري اين يذهب فان اجاب الغيلان ضل وهلك وان اجاب اصحابه اهتدى وسلم قل ان هدى الله هو الهدى يعني ان طريق الله التي اوضحها لعباده ودينه الذي شرعه لهم هو الهدى والنور والاستقامة لا عبادة الاصنام ففيه زجر عن عبادتها كانه يقول لا تفعل ذلك فان هدى الله هو الهدى لا هدى غيره وامرنا لنسلم اي وامرنا ان نسلم ونخلص العبادة لرب العالمين لانه هو الذي يستحق العبادة لا غيره وان اقيموا الصلاة واتقوه اي وامرنا باقامة الصلاة والتقوى لان فيهما ما يقرب اليه وهو الذي اليه تحشرون يعني في يوم القيامة فيجزيكم باعمالكم قوله عز وجل وهو الذي خلق السموات والارض بالحق يعني اظهارا للحق فعلى هذا تكون الباء بمعنى اللام ولانه جعل صنعه دليلا على وحدانيته وقيل خلقها بكمال قدرته وشمول علمه واتقان صنعه وكل ذلك حق وقيل خلقها بكلامه الحق وهو قوله كن وفيه دليل على ان كلام الله تبارك وتعالى ليس بمخلوق لانه لا يخلق مخلوق بمخلوق ويوم يقول كن فيكون وقيل انه راجع الى خلق السموات والمعنى اذكر يوم قال للسموات والارض كن فيكون وقيل يرجع الى يوم القيامة ويدل على سرعة البعث والحساب كانه قال ويوم نقول للخلق موتوا فيموتون وقوموا للحساب فيقومون احياء قوله الحق يعني ان قول الله تبارك وتعالى للشيء الذي اراده كن فيكون حق وصدق وهو كائن لا محالة وله الملك يوم ينفخ في الصور انما اخبر عن ملكه يومئذ وان كان الملك له سبحانه وتعالى خالصا في كل وقت في الدنيا والآخرة لانه لا منازع له يومئذ يدعي الملك وانه المنفرد بالملك يومئذ وان من كان يدعي الملك بالباطل من الجبابرة والفراعنة وسائر الملوك الذين كانوا في الدنيا قد زال ملكهم واعترفوا بان الملك لله الواحد القهار وانه لا منازع له فيه وعلموا ان الذي كانوا يدعونه من الملك في الدنيا باطل وغرور واختلف العلماء في الصور المذكور في الآية فقال قوم هو قرن ينفخ فيه وهو لغة اهل اليمن قال مجاهد الصور قرن كهيئة البوق ويدل على صحة هذا القول ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور قال قرن ينفخ فيه اخرجه ابو داود والترمذي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته واصغى سمعه ينتظر ان يؤمر فينفخ فكان ذلك ثقل على اصحابه فقالوا كيف نفعل يا رسول الله وكيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وربما قال توكلنا على الله اخرجه الترمذي وقال ابو عبيدة الصور جمع صورة والنفخ فيها احياؤها بنفخ الروح فيها وهذا قول الحسن ومقاتل والقول الاول اصح لما تقدم من الحديث ولقوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى ثم نفخ فيه اخرى ولاجماع اهل السنة ان المراد بالصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل نفختان نفخة الصعق ونفخة البعث للحساب وقوله تعالى عالم الغيب والشهادة يعني انه تعالى يعلم ما غاب عن عباده وما يشاهدونه فلا يغيب عن علمه شيء وهو الحكيم يعني في جميع افعاله وتدبير خلقه الخبير يعني بكل ما يفعلونه من خير او شر قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر اختلف العلماء في لفظ آزر فقال محمد بن اسحق والكلبي والضحاك آزر اسم ابي ابراهيم وهو تارخ ضبطه بعضهم بالحاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة فعلى هذا يكون لابي ابراهيم اسمان آزر وتارخ مثل يعقوب

واسرائيل اسمان لرجل واحد فيحتمل ان يكون اسمه الاصلي آزر وتارخ لقب له وبالعكس فالله سماه
آزر وان كان عند النسابين والمورخين اسمه تارخ ليعرف بذلك وكان آزر ابو سليمان من كوثى وهي قرية
من سواد الكوفة وقال سليمان التيمي آزر سب وعيب ومعناه في كلامهم المعوج وقيل الشيخ الهم وهو بالفارسية
وهذا على مذهب من يجوز ان في القرآن الفاظا قليلة فارسية وقيل هو المخطئ فكان ابراهيم عابه وزجره
بسبب كفره وزيغه عن الحق وقال سعيد بن المسيب ومجاهد آزر اسم صنم كان والد ابراهيم يعبده وانما
سماه بهذا الاسم لان من عبد شيئا او احبه جعل اسم ذلك المعبود او المحبوب اسما له فهو كقوله يوم ندعوا
كل اناس بامامهم وقيل معناه واذ قال ابراهيم لابيه يا عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
والصحيح هو الاول ان آزر اسم لابي ابراهيم لان الله تعالى سماه به وما نقل عن النسابين والمورخين ان
اسمه تارخ ففيه نظر لانهم انما نقلوه عن اصحاب الاخبار واهل السير من اهل الكتاب ولا عبرة بنقلهم
وقد اخرج البخاري في افراده من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه السلام
اباه آزر يوم القيمة وعلى وجه آزر قترة وغبرة الحديث فسماه النبي صلى الله عليه وسلم آزر ايضا ولم
يقل اباه تارخ فثبت بهذا ان اسمه الاصلي آزر لا تارخ والله اعلم وقوله اتتخذ اصناما الهة معناه
اذكر يا محمد لقومك قول ابراهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما الهة تعبدها من دون الله الذي خلقك ورزقك
والاصنام جمع صنم وهو التمثال الذي يتخذ من خشب او حجارة او حديد او ذهب او فضة على صورة الانسان
وهو الوثن ايضا اني اراك وقومك في ضلال مبين يعني يقول ابراهيم لابيه آزر اني اراك وقومك الذين
يعبدون الاصنام معك ويتخذونها الهة في ضلال يعني عن طريق الحق مبين يعني بين لمن ابصره ذلك
فانه لا يشك ان هذه الاصنام لا تضر ولا تنفع وهذه الاية احتجاج على المشركين قوله عز وجل وكذلك نري
ابرهيم ملكوت السموات والارض معناه وكما اريناه ابرهيم البصيرة في دينه والحق في خلاف قومه
وما كانوا عليه من الضلال في عبادة الاصنام نريه ملكوت السموات والارض فلهذا السبب عبر
عن هذه الرؤية بلفظ المستقبل في قوله وكذلك نري ابرهيم لانه تعالى كان اراه بعين البصيرة ان اباه
وقومه على غير الحق فخالفهم فجزاه الله بانه اراه بعد ذلك ملكوت السموات والارض فحسنت
هذه العبارة لهذا المعنى والملكوت الملك زيدت فيه التا للمبالغة كالرهبوت والرغبوت والرحموت
من الرهبة والرغبة والرحمة قال ابن عباس يعني خلق السموات والارض وقال مجاهد وسعيد بن
جبير يعني ايات السموات والارض وذلك انه اقيم على صخرة وكشف له عن السموات حتى راى
العرش والكرسي وما في السموات من العجائب وحتى راى مكانه في الجنة فذلك قوله واتيناه اجره في الدنيا
يعني اريناه مكانه في الجنة وكشف له عن الارض حتى نظر الى اسفل الارضين وراى ما فيها من العجائب قال
البغوي روي عن سلمان ورفعه بعضهم عن علي قال لما راى ابرهيم ملكوت السموات والارض ابصر
رجلا على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم ابصر اخر فدعا عليه فهلك ثم ابصر اخر فاراد ان يدعو عليه
فقال له تبارك وتعالى يا ابرهيم انك رجل مجاب الدعوة فلا تدع على عبادي فانما انا من عبدي على
ثلاث خلال اما ان يتوب الي فاتوب عليه واما ان اخرج منه نسمة تعبدني واما ان يبعث
الي فان شئت عفوت وان شئت عاقبت وفي رواية فان تولى فان جهنم من ورائه وقال
قتادة ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والشجر والبحار واختلف في
هذه الرؤية هل كانت بعين البصر او بعين البصيرة على قولين احدهما انها كانت بعين البصر الظاهر

فشق لابرهيم السموات حتى راى العرش وشق له الارض حتى راى ما في باطنها والقول الثاني ان هذه الرؤية
كانت بعين البصيرة لان ملكوت السموات والارض كانت عبارة عن الملك وذلك لا يعرف الا بالعقل
فبان بهذا ان هذه الرؤية كانت بعين البصيرة الا ان يقال المراد بملكوت السموات والارض نفس
السموات والارض وقوله تعالى وليكون من الموقنين عطف على المعنى ومعناه وكذلك نري ابرهيم
ملكوت السموات والارض ليستدل به وليكون من الموقنين واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب
التامل بعد زوال الشبهة لان الانسان في اول الحال لا ينفك عن شبهة وشك فاذا كثرت الدلائل وتوافقت
صارت سببا لحصول اليقين والطمانينة في القلب وزالت الشبهة عند ذلك قال ابن عباس في وليكون
من الموقنين جلى له الامر سره وعلانيته فلم يخف عليه شيء من اعمال الخلائق فلما جعل يلعن اصحاب الذنوب
قال الله تعالى انك لا تستطيع هذا فرده الله كما كان قبل ذلك فمعنى الاية على هذا القول وكذلك
اريناه ملكوت السموات والارض ليكون ممن يوقن علم كل شيء حسا وخبرا قوله تعالى فلما جن عليه
الليل يقال جن الليل واجن اذا اظلم وغطا كل شيء واجنه الليل وجن عليه اذا ستره بسواده راى كوكبا
قال هذا ربي ذكر المفسرون في ذلك قال اهل التفسير واصحاب الاخبار والسير ولد ابراهيم
عليه السلام في زمن نمرود بن كنعان الملك وكان نمرود اول من وضع التاج على راسه ودعا الناس الى عبادته
وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك في هذه السنة غلام يغير دين اهل الارض ويكون
هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبيا وقال السدي راى نمرود
في منامه كان كوكبا قد طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا
فدعا السحرة والكهان وسالهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك في هذه السنة يكون
هلاكك وزوال ملكك وهلاك اهل دينك على يديه قالوا فامر بذبح كل غلام يولد في تلك السنة بناحيته
وامر بعزل الرجال عن النسا وجعل على كل عشرة رجلا يحفظهم فاذا حاضت المراة خلى بينها وبين زوجها
لانهم كانوا لا يجامعون في الحيض فاذا طهرت من الحيض حالوا بينهما قال فرجع آزر فوجد امراته قد طهرت
من الحيض فواقعها فحملت بابراهيم فقال محمد بن اسحق بعث نمرود الى كل امراة حبلى بقريته فحبسها عنده
الا ما كان من ام ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها لانها كانت جارية صغيرة لم يعرف الحبل في بطنها وقال السدي
خرج نمرود بالرجال الى العسكر وعزلهم عن النسا تخوفا من ذلك المولود فمكث بذلك ما شا الله ثم بدت له
حاجة الى المدينة فلم يامن عليها احدا من قومه الا آزر فبعث اليه فاحضره الى عنده وقال له ان لي اليك
حاجة احببت ان اوصيك بها ولم ابعثك فيها الا لثقتي بك فاقسمت عليك ان لا تدنو من اهلك فقال
آزر انا اشح على ديني من ذلك فاوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجة الملك ثم قال لو دخلت على
اهلي فنظرت اليهم فلما دخل على ام ابراهيم ونظر اليها لم يتمالك حتى واقعها فحملت من ساعتها بابراهيم
قال ابن عباس لما حملت ام ابراهيم قال الكهان لنمرود ان الغلام الذي اخبرناك به قد حملت به امه الليلة
فامر نمرود بذبح الغلمان فلما دنت ولادة ام ابراهيم واخذها المخاض خرجت هاربة مخافة ان يطلع عليها
فيقتل ولدها قالوا فوضعته في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في حلفا ثم رجعت فاخبرت زوجها
بانها ولدت وان الولد في موضع كذا فانطلق ابوه اليه فاخذه من ذلك المكان وحفر له سربا في النهر
فواراه فيه وسد بابه بصخرة مخافة السباع وكانت امه تختلف اليه فترضعه وقال محمد بن اسحق
لما وجدت ام ابراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة كانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم واصلحت

من شانه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه باب المغارة ثم رجعت الى بيتها وكانت تختلف اليه لتنظر ما فعل فتجده
حيا وهو يمص ابهامه وقال ابو روق قالت ام ابرهيم لانظرن الى اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا
ومن اصبع سمنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع تمرا وقال محمد بن اسحق كان ازر قد سال ام ابرهيم عن حملها ما فعل
فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها وسكت عنها وكان ابرهيم يشب في اليوم كالشهر والشهر كالسنة
فلم يمكث في المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى قال لامه اخرجيني فاخرجته عشاء فنظر وتفكر في خلق السموات
والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني واطعمني وسقاني لربي الذي ما لي اله غيره ونظر في السما فراى كوكبا
قال هذا ربي ثم اتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فلما افل قال لا احب الافلين فلما راى القمر بازغا قال هذا
ربي اتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب ثم طلعت الشمس قال هكذا الخ ثم رجع الى ابيه ازر وقد استقامت
وجهته وعرف ربه وبرى من دين قومه الا انه لم يبادهم بذلك فلما رجعت به امه اخبرته انه ابنه واخبرته
بما صنعت به فسر بذلك وفرح فرحا شديدا وقيل انه مكث في السرب سبع سنين وقيل ثلاث عشرة
سنة وقيل سبع عشرة سنة قالوا فلما شب ابرهيم وهو في السرب قال لامه من ربي قالت انا قال فمن
ربك قالت ابوك قال فمن رب ابي قالت اسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت ارايت الغلام الذي كنا نحدث
انه يغير دين اهل الارض فانه ابنك ثم اخبرته بما قال فاتوه ابوه ازر فقال له ابرهيم يا ابتاه من ربي
قال امك قال فمن رب امي قال انا قال فمن ربك قال نمرود قال فمن رب نمرود فلطمه لطمة وقال اسكت
فلما جن الليل دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فابصر كوكبا قال هذا ربي ويقال انه قال لابويه
اخرجاني فاخرجاه من السرب حين غابت الشمس فنظر ابرهيم الى الابل والخيل والغنم فسال اباه ما هذه
فقال ابل وخيل وغنم فقال ابرهيم ما لهذه بد من ان يكون لها الها هو ربها وخالقها ثم نظر فاذا المشتري
قد طلع ويقال انه الزهرة وكانت تلك الليلة من اخر الشهر فتاخر طلوع القمر فراى الكوكب قبل القمر فذلك قوله فلما
جن عليه الليل يعني ستر بظلامه راى كوكبا قال هذا ربي ثم اختلف العلما في وقت هذه الروية وفي وقت هذا
القول هل كان قبل البلوغ او بعده على قولين احدهما انه كان قبل البلوغ في حال طفوليته وذلك قبل قيام الحجة
عليه فلم يكن هذا القول الذي صدر من ابراهيم في هذا الوقت اعتبارا ولا يترتب عليه حكم لان الاحكام انما تثبت
بعد البلوغ وقيل ان ابراهيم لما اخرج من السرب في حال صغره ونظر الى السما وما فيها من العجايب ونظر الى الارض
وما فيها من العجايب وكان قد خصه الله بالعقل الكامل والفطرة السليمة تفكر في نفسه وقال لا بد لهذا
الخلق من خالق مدبر له وهو اله الخلق ثم نظر في حال تفكره فراى الكوكب وقد ازهر فقال هذا ربي
على ما سبق الى وهمه وذلك في حال طفوليته وقبل استحكام النظر في معرفة الرب سبحانه وتعالى
واستدل اصحاب هذا القول على صحته بقوله لين لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين قالوا
وهذا يدل على نوع تحير وذلك لا يكون الا في حال الصغر وقبل البلوغ وقيام الحجة وهذا القول ليس
بسديد ولا مرضي لان الانبيا معصومون في كل حال من الاحوال وانه لا يجوز ان يكون لله عز وجل
رسول ياتي عليه وقت من الاوقات الا وهو بالله عارف وله موحد ومن كل منقصة منزه ومن
كل معبود سواه بري وكيف يتوهم هذا على ابرهيم وقد عصمه وطهره واتاه رشده من قبل واراه ملكوت
السموات والارض وراى الكوكب قال معتقدا هذا ربي حاشى ابرهيم صلى الله عليه وسلم من ذلك
لان منصبه اعلى واشرف من ذلك صلى الله عليه وسلم والقول الثاني الذي عليه جمهور المحققين
ان هذه الروية وهذا القول كان بعد بلوغ ابرهيم او حين شرفه الله تعالى بالنبوة واكرامه بالرسالة

ثم

ثم اختلف اصحاب هذا القول في تاويل الاية ومعناها فذكروا فيها وجوها الوجه الاول ان ابرهيم عليه
السلام اراد ان يستدرج قومه بهذا القول ويعرفهم جهلهم وخطاهم في تعظيم النجوم وعبادتها لانهم كانوا
يرون ان كل الامور اليها فاراهم ابرهيم انه معظم ما عظموه فلما افل الكوكب والقمر والشمس اراهم النقص
الداخل على النجوم لسبب الغيبوبة والافول ليثبت خطا ما كانوا يعتقدون فيها من الالوهية
ومثل هذا كمثل الحواري الذي ورد على قوم كانوا يعبدون صنما فاظهر تعظيمه واكرموه لذلك حتى صاروا
يصدرون عن رايه في كثير من امورهم الى ان دهمهم عدو لا قبل لهم به فشاوروه في امر هذا العدو فقال
الراي عندي ان تدعوا هذا الصنم حتى يكشف عنا ما نزل بنا فاجتمعوا حول الصنم يتضرعون اليه فلم يغن شيا
فلما تبين لهم انه لا ينفع ولا يضر ولا يدفع دعاهم الحواري وامرهم ان يدعوا الله عز وجل ويسالوه ان يكشف
عنهم ما نزل بهم فدعوا الله مخلصين فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فاسلموا جميعا الوجه الثاني ان ابرهيم
عليه السلام قال هذا القول على سبيل الاستفهام وهو استفهام انكار وتوبيخ لقومه تقديره هذا ربي تزعمون
واسقاط حرف الاستفهام كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى افان مت فهم الخالدون والمعنى افهم
يكون ربا ودلايل النقص فيه ظاهرة الوجه الثالث ان ابرهيم عليه السلام قال ذلك على وجه الاحتجاج
على قومه يقول هذا ربي بزعمكم فلما غاب قال لو كان الها كما تزعمون لما غاب وهو كقوله ذق انك انت
العزيز الكريم يعني عند نفسك بزعمك وكما اخبر عن موسى عليه السلام بقوله تعالى انظر الى الهك الذي
ظلت عليه عاكفا يريد الهك بزعمك الوجه الرابع ان في الاية اضمارا تقديره يقولون هذا ربي
واضمار القول كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا
تقبل منا اي يقولان ربنا تقبل منا الوجه الخامس ان الله تعالى قال في حقه وكذلك نري ابرهيم
ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال بعده فلما جن عليه الليل والفا تقتضي التعقيب فدل هذا
ان هذه الواقعة كانت بعد ان اراه الله ملكوت السموات والارض وبعد الايقان ومن كان بهذه المنزلة العالية
الشريفة لا يليق بحاله ان يعبد الكواكب او يتخذها ربا فاما الجواب عن قوله لين لم يهدني ربي لاكونن من القوم
الضالين فان الانبيا عليهم السلام لم يزالوا يسالون الله التثبيت ومنه قوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
اما قوله تعالى فلما افل يعني غاب والافول غيبوبة النيرات قال يعني ابراهيم لا احب الافلين يعني لا احب
ربا يغيب ويطلع لان امارات الحدوث فيه ظاهرة قوله تعالى فلما راى القمر بازغا يعني طالعا منتشر الضوء
قال هذا ربي معناه ما تقدم من الكلام في الكوكب فلما افل يعني غاب قال لين لم يهدني ربي لاكونن من
القوم الضالين يعني لين لم يثبتني ربي على الهدى وليس المراد انه لم يكن مهتديا لان الانبيا لم يزالوا على الهداية
من اول الفطرة وفي الاية دليل على ان الهداية من الله لان ابراهيم عليه السلام اضاف الهداية الى الله تعالى
فلما راى الشمس بازغة يعني طالعة قال هذا ربي يعني هذا الطالع واشار الى الضيا والنور لانه راى
الشمس اضوء من الكوكب والقمر وقيل انما قال هذا ولم يقل هذه لان تانيث الشمس غير حقيقي فلهذا اتى بلفظ
التذكير هذا اكبر يعني من الكوكب والقمر فلما افلت يعني فلما غابت الشمس قال يا قوم اني بري مما تشركون
يعني انه لما اثبت ابراهيم عليه السلام بالدليل القطعي ان هذه النجوم ليست بالهة ولا تصلح للربوبية
تبرا منها واظهر لقومه انه بري مما يشركون ولما اظهر خلاف قومه وتبرا من شركهم اظهر ما هو عليه من الدين
الحق فقال اني وجهت وجهي يعني اني صرفت عبادتي وقصدت بتوحيدي للذي فطر السموات والارض
يعني للذي خلقهما وابتدعهما حنيفا يعني مايلا عن عبادة كل شي سوى الله الميل وتوسيل عن طريق الضلال

الى طريق الاستقامة وقيل الحنيف هو الذي يستقبل الكعبة في صلاته **وما انا من المشركين** تبرا من الشرك الذي
كان عليه قومه قوله عز وجل **وحاجه قومه** يعني وخاصمه قومه وذلك لما اظهر ابرهيم عليه السلام عيب
الهتهم التي كانوا يعبدونها واظهر التوحيد لله عز وجل خاصمه قومه وجادلوه في ذلك **قال اتحاجوني
في الله** يعني اتجادلونني في توحيدي لله **وقد هدان** يعني وقد بين لي طريق الهداية الى توحيده ومعرفته
وقال البغوي ولما رجع ابرهيم الى ابيه وصار من الشباب بحالة تسقط عنها طمع الذابحين وضمه ازر الى
نفسه جعل ازر يصنع الاصنام ويعطيها ابرهيم ليبيعها فيذهب بها ابرهيم وينادي من يشتري ما لا
يضره ولا ينفعه فلا يشتريها احد فاذا بارت عليه ذهب بها الى النهر فضرب فيها روسها وقال اشربي
استهزاء بقومه وبما هم فيه من الضلالة فلما فشا استهزاؤه بها في قومه واهل قريته حاجه قومه
يعني خاصمه وجادله قومه في دينه قال يعني ابرهيم اتحاجوني في الله وقد هدان يعني الى توحيده ومعرفته
ولا اخاف ما تشركون به وذلك انهم قالوا له احذر الاصنام فانا نخاف ان تمسك بسوء من خبل او جنون
لعيبك اياها فاجابهم بقوله ولا اخاف ما تشركون به شيا لانها جمادات لا تضر ولا تنفع وانما يكون
الخوف ممن يقدر على النفع والضر وهو قوله **الا ان يشاء ربي شيا** يعني لكن ان شاء ربي شيا كان بما يشاء
لانه قادر على النفع والضر وانما قال ابرهيم ذلك لاحتمال ان الانسان قد تصيبه في بعض حالاته
وايام عمره ما يكرهه فلو اصابه مكروه لنسبوه الى الاصنام فنفى هذه الشبهة بقوله الا ان يشاء ربي
شيا وهذا استثناء منقطع وليس هو من الاول في شيء والمعنى ولكن ان شاء ربي شيا كان **وسع ربي كل شيء
علما** يعني احاط علمه بكل شيء فلا يخرج شيء من علمه **افلا تتذكرون** يعني افلا تعتبرون ان هذه الاصنام
جماد لا تضر ولا تنفع وان النافع الضار هو الله الذي خلق السموات والارض ومن فيهما **وكيف اخاف
ما اشركتم** يعني وكيف اخاف الاصنام التي اشركتموها لانها جماد لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع
ولا تخافون انكم اشركتم بالله يعني وانتم لا تخافون وقد اشركتم بالله وهو من اعظم الذنوب
ما لم ينزل به عليكم سلطانا يعني ما ليس لكم فيه حجة وبرهان **فاي الفريقين احق بالامن ان
كنتم تعلمون** يعني ايتوا من اولى بالامن من العذاب في يوم القيمة الموحد ام المشرك **الذين امنوا
ولم يلبسوا ايمانهم بظلم** وهذا فصل قضاه الله بين ابرهيم وبين قومه يعني ان الذي يستحق الامن
يوم القيمة الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقيل هو من تمام كلام ابرهيم في المحاجة لقومه والمعنى
ان الذي يحصل لهم الامن يوم القيمة هم الذين امنوا يعني امنوا بالله وحده ولم يشركوا به شيا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم يعني ولم يخلطوا ايمانهم بشرك ق عن ابن مسعود قال لما نزلت الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم شق ذلك على المسلمين وقالوا اينا لا يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك
انما هو الشرك الم تسمعوا قول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وفي رواية ليس هو كما
تظنون انما هو كما قال لقمان لابنه وذكره وقيل في معنى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعني لم يخلطوا ايمانهم
بشيء من معاني الظلم وذلك بان يفعل بعض ما نهى الله عنه او يترك ما امر الله به فعلى هذا القول
تكون الاية على العموم لان الله لم يخص به معنى من معاني الظلم دون غيره والصحيح ان الظلم المذكور
في هذه الاية هو الشرك لما تقدم من حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الظلم هنا
بالشرك وفي الاية دليل على ان من مات لا يشرك بالله شيا كانت عاقبته الامن من النار لقوله **اولئك**
يعني الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم **لهم الامن** يوم القيمة من عذاب النار **وهم مهتدون**

يعني

يعني الى سبيل الرشاد قوله تعالى **وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه** يعني ما جرى بين
ابرهيم وبين قومه واستدلاله على حدوث الكوكب والقمر والشمس بالافول وقيل لما قالوا لابرهيم انا نخاف
عليك من الهتنا لسبك اياها فقال لهم افلا تخافون انتم منها اذ سويتم بين الصغير والكبير في
العبادة ان يغضب الكبير عليكم وقيل انه خاصم قومه المشركين فقال اي الفريقين احق بالامن من
يعبد الها واحدا مخلصا له الدين والعبادة ام من يعبد اربابا كثيرة فقالوا من يعبد الها واحدا
فقضوا على انفسهم فكانت هذه حجة ابرهيم على قومه **نرفع درجات من نشاء** يعني بالعلم والفهم
والعقل والفضيلة كما رفعنا درجات ابرهيم حتى اهتدى الى محاجة قومه وقيل نرفع درجات من
نشاء في الدنيا بالنبوة والعلم والحكمة وفي الاخرة بالثواب على الاعمال الصالحة **ان ربك حكيم عليم**
يعني انه تعالى حكيم في جميع افعاله عليم بجميع احوال خلقه لا يفعل شيا الا بحكمة وعلم قوله عز وجل **ووهبنا له اسحق
ويعقوب** لما اظهر ابراهيم عليه السلام دينه وغلب خصمه بالحجج القاطعة والبراهين القوية والدلائل
الصحيحة التي فهمه الله تعالى اياها وهداه اليها عدد نعمه عليه واحسانه اليه بان رفع درجته في عليين
وابقى النبوة في ذريته الى يوم الدين فقال تعالى ووهبنا له يعني لابراهيم اسحق يعني ابنا لصلبه ويعقوب
يعني ابن اسحق وهو ولد الولد **كلا هدينا** يعني هدينا جميعهم الى سبيل الرشاد ووفقناهم الى طريق الحق
ونوحا هدينا من قبل يعني من قبل ابراهيم ارشدنا نوحا ووفقناه للحق والصواب ومننا عليه بالهداية
ومن ذريته اختلفوا في هذا الضمير الى من يرجع فقيل يرجع الى ابراهيم يعني ومن ذرية ابراهيم **داود** وقيل
يرجع الى نوح وهو اختيار جمهور المفسرين لان الضمير يرجع الى اقرب مذكور ولان الله تعالى ذكر جملة في هذه
الذرية لوطا وهو ابن اخي ابراهيم ولم يكن من ذريته فثبت بهذا ان هذه الكناية ترجع الى نوح وقال الزجاج
كلا القولين جائز لان ذكرهما جميعا قد جرى وداود هو ابن ايشا وكان ممن اتاه الله الملك والنبوة وكذلك
سليمان بن داود **وايوب** هو ايوب بن اموص بن رازح بن روم بن عيصا بن اسحق بن ابراهيم **ويوسف** هو
ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم **وموسى** هو ابن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب **وهارون** هو
اخو موسى وكان اكبر منه بسنة **وكذلك نجزي المحسنين** يعني وكما جزينا ابراهيم على توحيده وصبره على اذى
قومه كذلك نجزي المحسنين على احسانهم **وزكريا** هو ابن اذن بن بركيا **ويحيى** هو ابن زكريا **وعيسى** هو ابن مريم
بنت عمران **والياس** قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرائيل وقال محمد بن اسحق هو الياس بن
نشان بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران وهذا هو الصحيح لان اصحاب الانساب يقولون ان ادريس
جد نوح لان نوحا هو ابن لمك بن متوشلح بن اخنوخ وهو ادريس ولان الله تعالى نسب الياس في هذه الاية الى
نوح وجعله من ذريته **كل من الصالحين** يعني ان كل من ذكرنا وسمينا من الصالحين **واسمعيل** هو ابن ابراهيم
وانما اخر ذكره الى هنا لانه ذكر اسحق وذكر اولاده من بعده على نسق واحد فلهذا السبب اخر ذكر اسمعيل الى
هنا **واليسع** هو ابن اخطوب بن العجوز **ويونس** هو ابن متى **ولوطا** هو ابن اخي ابراهيم **وكلا فضلنا على
العالمين** يعني على عالمي زمانهم ويستدل بهذه الاية من يقول ان الانبيا افضل من الملائكة لان العالم اسم
لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه الملك فيقتضي ان الانبيا افضل من الملائكة واعلم ان الله تعالى
ذكر هنا ثمانية عشر نبيا من الانبيا عليهم السلام من غير ترتيب لا بحسب الزمان ولا بحسب الفضل لان
الواو لا تقتضي الترتيب ولكن هنا لطيفة اوجبت هذا الترتيب وهي ان الله تبارك وتعالى خص كل طائفة
من طوائف الانبيا عليهم السلام بنوع من الكرامة والفضل فذكر اولا نوحا وابراهيم واسحق ويعقوب

لانهم اصول الانبيا واليهم ترجع انسابهم جميعا ثم من المراتب المعتبرة بعد النبوة الملك والقدرة والسلطان
وقد اعطا الله تعالى داود وسليمان من ذلك حظا وافرا ومن المراتب الصبر عند نزول البلا والمحن والشدايد
وقد خص الله تعالى بهذه ايوب عليه السلام ثم عطف على هاتين المرتبتين من جمع بينهما وهو يوسف عليه
السلام فانه صبر على البلا والشدة الى ان اعطاه ملك مصر مع النبوة ثم من المراتب المعتبرة في تفضيل الانبيا
عليهم السلام كثرة المعجزات وقوة البراهين وقد خص الله تعالى موسى وهارون من ذلك بالحظ الوافر
ثم من المراتب المعتبرة الزهد في الدنيا والاعراض عنها وقد خص الله بذلك زكريا ويحيى وعيسى والياس عليهم
السلام ولهذا السبب وصفهم بانهم من الصالحين ثم ذكر الله من بعد هولا الانبيا من لم يبق له اتباع ولا شريعة
وهم اسمعيل واليسع ويونس ولوط فاذا اعتبرنا هذه اللطيفة على هذا الوجه كان هذا الترتيب من
احسن شي يذكر والله اعلم بمراده واسرار كتابه ومن اباتهم يعني ومن ابا الذين سميناهم ومن هنا للتبعيض
لان من ابا بعضهم من لم يكن مسلما وذرياتهم يعني ومن ذرياتهم لان عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان في ذرية
بعضهم من هو كافر كابن نوح واخوانهم يعني ومن اخوانهم والمعنى ان الله تعالى وفق من ابا المذكورين ومن ذرياتهم
واخوانهم للهداية وخالص الدين وهو قوله تعالى واجتبيناهم يعني اخترناهم واصطفيناهم وهديناهم
يعني وارشدناهم الى صراط مستقيم اي الى دين الحق ذلك هدى الله قال ابن عباس ذلك دين الله الذي
كان عليه هولا الانبيا وقيل المراد بهدى الله معرفته وتنزيهه عن الشركا والاضداد والانداد يهدي به
من يشا من عباده يعني يوفق من يشا من عباده ويرشده الى دينه وطاعته وخلع الاضداد والشركا ولو
اشركوا يعني هولا الذين سميناهم لحبط يعني لبطل وذهب عنهم ما كانوا يعملون يعني من الطاعات قبل
ذلك لان الله تعالى لا يقبل مع الشرك من الاعمال شيا قوله عز وجل اوليك الذين اتيناهم الكتاب والحكم
والنبوة يعني اوليك الذين سميناهم من الانبيا اعطيناهم الكتب الذي انزلناها عليهم واتيناهم العلم والفهم
وشرفناهم بالنبوة وانما قدم ذكر الكتاب والحكمة على النبوة وان كانت النبوة هي الاصل لان منصب النبوة
اشرف المراتب والمناصب فذكر اولا الكتاب والحكم لانهما يدلان على النبوة فان يكفر بها هولا يعني ان
يجحد بدلايل التوحيد والنبوة كفار قريش فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين قال ابن عباس هم الانصار
واهل المدينة وقيل هم المهاجرون والانصار وقال الحسن وقتادة هم الانبيا الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم
واختاره الزجاج قال والدليل عليه قوله اوليك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال رجا العطاردي
هم الملايكة وفيه بعد لان اسم القوم لا ينطلق الا على بني ادم وقيل هم الفرس وقال ابن زيد كل من لم يكفر فهو منهم
سوا كان ملكا او نبيا او من الصحابة او التابعين وفي الاية دليل على ان الله تعالى ينصر نبيه صلى الله عليه
وسلم ويقوي دينه ويجعله عاليا على الاديان كلها وقد جعل ذلك فهو اخبار عن الغيب قوله تعالى اوليك
الذين هدى الله يعني النبيين الذين تقدم ذكرهم لانهم هم المخصوصون بالهداية فبهداهم اقتده
اشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم يعني فبشرايعهم وسننهم اعمل واصل الاقتدا في اللغة طلب موافقة الثاني
للاول في فعله وقيل امره ان يقتدي بهم في امر الدين الذين اجمعوا عليه وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن
جميع النقايص التي لا تليق بجلاله في الاسما والصفات والافعال وقيل امره الله ان يقتدي بهم في جميع
الاخلاق الحميدة والافعال المرضية والصفات الرفيعة الكاملة مثل الصبر على اذى السفها والعفو
عنهم وقيل امره ان يقتدي بشرايعهم الا ما خصه الدليل فعلى هذا القول يكون في الاية دليل على ان شرع
من قبلنا شرع لنا فصل احتج العلما بهذه الاية على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

افضل

افضل من جميع الانبيا عليهم السلام وبيانه ان جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فكان نوح
صاحب احتمال على اذى قومه وكان ابرهيم صاحب كرم وبذل ومجاهدة في الله عز وجل وكان اسحق ويعقوب
من اصحاب الصبر على البلايا والمحن وكان داود وسليمان من اصحاب الشكر على النعمة قال الله فيهم اعملوا ال
داود شكرا وكان ايوب صاحب صبر على البلا قال الله فيه انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وكان يوسف
قد جمع بين الحالتين يعني الصبر والشكر وكان موسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزة الباهرة وكان زكريا
ويحيى وعيسى والياس من اصحاب الزهد في الدنيا وكان اسمعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب تضرع
واخبات ثم ان الله تعالى امر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقتدي بهم وجمع له جميع الخصال المجموعة
والمتفرقة فيهم فثبت بهذا البيان انه صلى الله عليه وسلم كان افضل الانبيا لما اجتمع فيه من هذه الخصال
التي كانت متفرقة في جميعهم والله اعلم وقوله قل لا اسيلكم عليه اجرا يعني قل يا محمد لا اطلب على تبليغ الرسالة
جعلا وقيل لما امره الله تعالى بالاقتدا بالنبيين وكان من جملة هداهم ترك طلب الاجر على ايصال الدين وابلاغ
الشريعة لاجرم اقتدى بهم فقال قل لا اسيلكم عليه اجرا ان هو يعني ما هو يعني القران الا ذكرى للعالمين يعني ان
القران موعظة وذكرى لجميع العالم من الجن والانس وفيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى جميع
الخلق من الجن والانس وان دعوته عمت جميع الخلايق قوله عز وجل وما قدروا الله حق قدره قال ابن عباس
معناه ما عظموا الله حق عظمته وعنه ان معناه ما امنوا ان الله على كل شي قدير وقال ابو العالية ما
وصفوا الله حق صفته وقال الاخفش ما عرفوا الله حق معرفته يقال قدر الشي اذا حزره وسبره واراد
ان يعلم مقداره يقال قدره يقدره بالضم قدرا ثم يقال لمن عرف شيا هو يقدر قدره واذا لم يعرفه بصفاته
يقال فيه انه لا يقدر قدره فقوله وما قدروا الله حق قدره يصح فيه جميع الوجوه المذكورة في معناه اذ قالوا
ما انزل الله على بشر من شي يعني الذين قالوا ما انزل الله على بشر من شي ما قدروا الله حق قدره ولا عرفوه
حق معرفته اذ لو عرفوه حق معرفته لما قالوا هذه المقالة ثم اختلف العلما في من نزلت هذه الاية على قولين
احدهما انها نزلت في كفار قريش وهذا قول من يقول ان جميع هذه السورة مكية وهو قول السدي وروي
ذلك عن مجاهد وصححه الطبري وقال لان من اول السورة الى هذا الموضع هو خبر عن المشركين من عبدة
الاصنام وكان قوله وما قدروا الله حق قدره موصولا بذلك غير مفصول عنه فلا يكون قوله اذ قالوا
ما انزل الله على بشر من شي خبرا عن غيرهم واورد فخر الدين الرازي على هذا القول اشكالا وهو ان كفار قريش
ينكرون نبوة جميع الانبيا فكيف يمكن الزامهم نبوة موسى وايضا فما بعد هذه الاية لا يليق بكفار قريش انما يليق
بحال اليهود واجاب عنه بان كفار قريش كانوا مختلطين باليهود وقد سمعوا منهم ان موسى جاهم بالتوراة
وبالمعجزات الباهرات وانما انكر كفار قريش نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيمكن الزامهم بقوله قل من انزل
الكتاب الذي جا به موسى واجاب عن كون سياق الاية لا يليق الا بحال اليهود بان كفار قريش واليهود
لما كانوا مشتركين في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يبعد ان بعض الاية يكون خطابا لكفار قريش
وبعضها خطابا لليهود القول الثاني في سبب نزول هذه الاية وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت في
اليهود وهذا على قول من يقول ان هذه الاية نزلت بالمدينة وانها من الايات المدنيات التي في السورة
المكية قال ابن عباس نزلت سورة الانعام بمكة الا ست ايات منها قوله وما قدروا الله حق قدره فانها
نزلت بالمدينة ثم اختلف القايلون بهذا القول في اسم من نزلت هذه الاية فيه فقال سعيد بن جبير
جا رجل من اليهود يقال له مالك بن الضيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه

وسلم انشدك الله الذى انزل التوراة على موسى اما تجد فى التوراة ان الله يبغض الحبر السمين وكان حبرا
سمينا فغضب وقال والله ما انزل الله على بشر من شىء فقال اصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى فقال
والله ما انزل الله على بشر من شىء فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شىء
قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى الاية قال البغوى وفى القصة ان مالك بن الضيف لما سمعت
اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه وقالوا اليس الله انزل التوراة على موسى فلم قلت ما انزل الله على
بشر من شىء فقال مالك بن الضيف اغضبنى محمد فقلت ذلك فقالوا له وانت اذا غضبت تقول
على الله غير الحق فنزعوه عن الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقال السدى نزلت هذه
الاية فى فنحاص بن عازوراء اليهودى وهو القائل هذه المقالة وقال ابن عباس قالت اليهود يا محمد
انزل الله عليك كتابا قال نعم فقالوا والله ما انزل الله من السماء كتابا فانزل الله وما قدروا الله
حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شىء قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى الاية وقال محمد
ابن كعب القرظى جاء ناس من يهود الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو محتب فقالوا يا ابا القاسم الا تاتينا
بكتاب من السماء كما جاء به موسى الواحا يحملها من عند الله فانزل الله يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم
كتابا من السماء الاية التى فى سورة النساء فلما حدثهم باعمالهم الخبيثة جثى رجل منهم وقال ما انزل الله
عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على احد شيا فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا
ما انزل الله على بشر من شىء واورد الرازى على هذا القول اشكالا وهو انه قال ان اليهود يقرون بانزال
التوراة على موسى عليه السلام فكيف يقولون ما انزل الله على بشر من شىء مع اعترافهم بانزال التوراة
على موسى ولم يجب عن هذا الاشكال بشىء واجيب عنه بان مراد اليهود انكار انزال القران على محمد
صلى الله عليه وسلم فقط ولهذا الزموا بما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى فقال تعالى
قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى اى قل يا محمد لهولاء اليهود الذين انكروا انزال القران عليك بقولهم
ما انزل الله على بشر من شىء من انزل التوراة على موسى وفى هذا الالزام توبيخ لليهود بسوء جهلهم واقدامهم
على انكار الحق الذى لا ينكر نورا وهدى للناس يعنى التوراة ضياء من ظلمة الضلالة وبيانا يفرق بين
الحق والباطل من دينهم وذلك قبل ان تبدل وتغير تجعلونه قراطيس يعنى يكتبونه فى قراطيس مقطعة
تبدونها يعنى القراطيس المكتوبة وتخفون كثيرا يعنى ويخفون كثيرا مما كتبوه فى القراطيس وهو ما عندهم
من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته فى التوراة ومما اخفوه ايضا اية الرجم وكانت مكتوبة عندهم
فى التوراة وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباوكم اكثر المفسرين على ان هذا خطاب لليهود ومعناه انكم علمتم على
لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا اباوكم من قبل قال الحسن جعلهم على ما جاء به محمد صلى
الله عليه وسلم فضيعوه ولم ينتفعوا به وقال مجاهد هذا خطاب للمسلمين يذكرهم النعمة فيما علمهم
على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل الله هذا راجع الى قوله قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى
فان اجابوك يا محمد والا فقل انت الله الذى انزله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون يعنى دعهم يا محمد
فيما هم فيه يخوضون من باطلهم وكفرهم بالله ومعنى يلعبون يستهزءون ويسخرون وقيل معناه انك
يا محمد اذا اقمت الحجة عليهم وبلغت فى الاعذار والانذار هذا المبلغ العظيم فحينئذ لم يبق عليك من
امرهم شىء فذرهم فيما هم فيه من الخوض واللعب وفيه وعيد وتهديد للمشركين وقال بعضهم هذا
منسوخ باية السيف وفيه بعد لانه مذكور لاجل التهديد والوعيد قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه

مبارك

مبارك يعنى وهذا القران كتاب انزلناه من عندنا عليك يا محمد كثير الخير والبركة دائم النفع
يبشر المومنين بالثواب والمغفرة ويزجر عن القبيح والمعصية واصل البركة النماء والزيادة وثبوت
الخير مصدق الذى بين يديه يعنى من الكتب الالهية المنزلة من السماء على الانبياء يعنى انه موافق
لما فى التوراة والانجيل وساير الكتب لانها اشتملت جميعها على التوحيد والتنزيه لله من كل عيب
ونقيصة وتدل على البشارة والنذارة فثبت بذلك كون القران مصدقا لجميع الكتب المنزلة
ولتنذر قرى بالتاء يعنى ولتنذر يا محمد وبالياء ومعناه ولينذر الكتاب ام القرى يعنى مكة وفيه
حذف تقديره ولتنذر اهل ام القرى وسميت مكة ام القرى لان الارض دحيت من تحتها قاله ابن
عباس وقيل لانها اقدم القرى واعظمها بركة وقيل لانها قبلة اهل الارض ومن حولها يعنى جميع
البلاد والقرى التى حولها شرقا وغربا والذين يومنون بالاخرة يومنون به يعنى والذين يصدقون
بقيام الساعة وبالمعاد والبعث بعد الموت يصدقون بهذا الكتاب وانه منزل من عند الله
عز وجل وقيل يصدقون ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك ان الذى يومن بالاخرة يومن
بالوعد والوعيد والثواب والعقاب ومتى كان كذلك فانه يرغب فى تحصيل الثواب ودفع العقاب
عنه وذلك لا يحصل الا بالنظر التام فاذا نظر وتفكر علم بالضرورة ان دين محمد اشرف الاديان
وشريعته اعظم الشرايع وهم على صلاتهم يحافظون يعنى يداومون عليها فى اوقاتها والمعنى ان الايمان
بالاخرة يحمل على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فكذلك يحمل على المحافظة على الصلوات وفايدة
تخصيص الصلاة بالذكر دون ساير العبادات التنبيه على انها اشرف العبادات بعد الايمان
بالله فاذا حافظ العبد عليها يكون محافظا على جميع العبادات والطاعات قوله عز وجل
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا يعنى ومن اعظم خطا واجهل فعلا ممن اختلق على الله كذبا
فزعم ان الله بعثه نبيا وهو فى زعمه كذاب مبطل او قال اوحى الى ولم يوح اليه شىء قال قتادة
نزلت هذه الاية فى مسيلمة الكذاب وهو ابو ثمامة مسيلمة بن ثمامة وقيل مسيلمة بن حبيب من بنى
حنيفة وكان صاحب نيرجات وكهانة وسجع ادعى النبوة باليمن وزعم ان الله اوحى اليه وكان
قد ارسل الى النبى صلى الله عليه وسلم رسولان فقال لهما النبى صلى الله عليه وسلم اتشهدان ان
مسيلمة نبى قالا نعم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لولا ان الرسل لا تقتل لضربت اعناقكما ق عن ابى
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما انا نايم اذ اوتيت خزاين الارض فوضع فى يدى
سواران من ذهب فكبرا على واهمانى فاوحى الى ان انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما الكذابين
اللذين انا بينهما صاحب صنعا وصاحب اليمامة وفى لفظ الترمذى قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رايت فى المنام كان فى يدى سوارين فاولتهما كذابين يخرجان من بعدى يقال لاحدهما مسيلمة
صاحب اليمامة والعنسى صاحب صنعا قوله فاوحى الى ان انفخهما يروى بالحاء المهملة ومعناه الرمى
والدفع من نفحت الدابة برجلها اذا دفعت ورمحت برجلها ويروى بالخاء المعجمة من النفخ يريد
الله فنفختهما فطارا عنه وهو قريب من الاول فاما مسيلمة الكذاب فانه ادعى النبوة باليمامة
من اليمن وتبعه قومه من بنى حنيفة وكان صاحب نيرجات فاغتر قومه بذلك وقتل مسيلمة الكذاب
فى خلافة ابى بكر الصديق قتله وحشى قاتل حمزة بن عبد المطلب فكان وحشى يقول قتلت خير الناس
يعنى حمزة وقتلت شر الناس يعنى مسيلمة الكذاب واما الاسود العنسى بالنون فهو عبهلة بن كعب

وكان يقال له ذو الخمار ادعى النبوة باليمن في اخر عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقتل والنبي صلى الله عليه وسلم حي لم يمت وذلك قبل موته بيومين واخبر اصحابه بقتله وقتله فيروز الديلمي فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاز فيروز يعني بقتله الاسود العنسي فمن قال ان هذه الاية يعني قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شي نزلت في مسيلمة الكذاب والاسود العنسي يقول ان هذه الاية مدنية نزلت بالمدينة وهو قول لبعض علما التفسير تقدم ذكره في اول السورة ومن قال ان هذه الاية مكية وقال انها نزلت في شانهما يقول انها خبر عن غيب قد ظهر ذلك فيما بعد والله اعلم وقوله تعالى ومن قال سانزل مثل ما انزل الله قال السدي نزلت في عبد الله بن ابي سرح القرشي وكان قد اسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فكان اذا املى عليه النبي سميعا بصيرا كتب عليما حكيما واذا املى عليه عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين املاها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتبها فهكذا انزلت فشك عبد الله بن ابي سرح وقال لين كان محمد صادقا فقد اوحي الي مثل ما يوحى اليه فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله بعد ذلك الى الاسلام فاسلم قبل فتح مكة والنبي صلى الله عليه وسلم نازل بمر الظهران وقال ابن عباس نزل قوله ومن قال سانزل مثل ما انزل الله في المستهزيين وهو جواب لقولهم لو نشا لقلنا مثل هذا قال العلما وقد دخل في حكم هذه الاية كل من افترى على الله كذبا في ذلك الزمان وبعده لانه لا يمنع خصوص السبب عموم الحكم ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت يعني ولو ترى يا محمد حال هولا الظالمين اذ نزل بهم الموت لرايت امرا عظيما وغمراته شدايده وسكراته وغمرة كل شي معظمه واصلها الشي الذي يغمر الاشيا فيغطيها ثم وضعت في موضع الشدايد والمكاره والملايكة باسطوا ايديهم يعني بالعذاب يضربون وجوههم وادبارهم وقيل باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم اخرجوا انفسكم فان قلت انه لا قدرة لاحد على اخراج روحه من بدنه فما فايدة هذا الكلام قلت معناه يقولون لهم اخرجوا انفسكم كرها لان المومن يحب لقا الله بخلاف الكافر وقيل معناه يقولون لهم خلصوا انفسكم من هذا العذاب ان قدرتم على ذلك فيكون هذا القول توبيخا لهم لانهم لا يقدرون على خلاص انفسهم من العذاب في ذلك الوقت اليوم تجزون عذاب الهون يعني الهوان بما كنتم تقولون على الله غير الحق يعني ذلك العذاب الذي تجزونه بسبب ما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون يعني وبسبب ما كنتم تتعظمون عن الايمان بالقران ولا تصدقونه قوله تعالى ولقد جيتمونا فرادى يعني وحدانا لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم وهذا خبر من الله عز وجل عن حال الكفار يوم القيمة وكيف يحشرون اليه وماذا يقول لهم في ذلك اليوم وفي قوله للكفار ولقد جيتمونا فرادى تقريع وتوبيخ لهم لانهم صرفوا هممهم في الدنيا الى تحصيل المال والولد والجاه وافنوا اعمارهم في عبادة الاصنام فلم يغن عنهم كل ذلك شيا في يوم القيمة فبقوا فرادى عن كل ما حصلوه في الدنيا كما خلقناكم اول مرة يعني جيتمونا حفاة عراة غرلا يعني قلفا كما ولدتهم امهاتهم في اول مرة في الدنيا لا شي عليهم ولا معهم ق عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال يا ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ق عن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عايشة فقلت

الرجال والنسا جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر اشد من ان يهمهم ذلك روى الطبري بسنده عن عايشة انها قرات قول الله عز وجل ولقد جيتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة فقالت يا رسول الله واسواتاه ان الرجال والنسا يحشرون جميعا ينظر بعضهم الى سواة بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امري منهم يوميذ شان يغنيه لا ينظر الرجال الى النسا ولا النسا الى الرجال شغل بعضهم عن بعض وقوله تعالى وتركتم ما خولناكم ورا ظهوركم يعني وتركتم الذي اعطيناكم وملكناكم من الاموال والاولاد والخدم والخول كلما اعطاه الله العبد وخوله فيه من المال والعبيد ورا ظهوركم يعني في الدنيا وما نرى معكم شفعاكم الذين زعمتم انهم فيكم شركا يعني ان المشركين زعموا انهم انما عبدوا هذه الاصنام لانها تشفع لهم عند الله تعالى يوم القيمة لانها شركا الله تعالى عن ذلك فاذا كان يوم القيمة وبخ الله المشركين وقرعهم بهذه الاية ثم قال تعالى لقد تقطع بينكم قرى بنصب النون من بينكم ومعناه لقد تقطع ما بينكم من الوصل او يكون معناه لقد تقطع الامر بينكم وقرى بينكم برفع النون ومعناه لقد تقطع وصلكم والبين من الاضداد يكون وصلا ويكون هجرا وضل عنكم ما كنتم تزعمون يعني وذهب وبطل ما كنتم تكذبون في الدنيا قوله عز وجل ان الله فالق الحب والنوى لما تقدم الكلام في تقرير التوحيد وتقرير النبوة اردفه بذكر الدلايل الدالة على كمال قدرته وعلمه وحكمته تنبيها بذلك على ان المقصود الاعظم هو معرفة الله سبحانه وتعالى بجميع صفاته وافعاله وانه مبدع الاشيا وخالقها ومن كان كذلك كان هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها وتعريف منه خطا ما كانوا عليه من الاشراك الذي كانوا عليه والمعنى ان الذي يستحق العبادة دون غيره هو الله الذي فلق الحب عن النبات والنوى عن النخل وفي معنى الفلق قولان احدهما انه بمعنى خلق ومعنى الاية على هذا القول ان الله خالق الحب والنوى وهو قول ابن عباس في رواية العوفي عنه وبه قال الضحاك ومقاتل قال الواحدي ذهبوا بفالق مذهب فاطر وانكر الطبري هذا القول وقال لا يعرف في كلام العرب فلق الله الشي بمعنى خلق ونقل الازهري عن الزجاج جوازه فقال وقيل الفلق الخلق واذا تامل الخلق تبين له ان اكثره عن انفلاق ومعنى هذا الكلام ان جميع الاشيا كانت قبل الوجود في العدم فلما وجدها الله تعالى واخرجها من العدم الى الوجود فكانه فلقها واظهرها والقول الثاني وهو قول الاكثرين ان الفلق هو الشق ثم اختلفوا في معناه على قولين احدهما وهو مروي عن ابن عباس قال فلق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة وهو قول الحسن والسدي وابن زيد قال الزجاج يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منها ورقا اخضر والقول الثاني وهو قول مجاهد انه الشقان اللذان في الحب والنوى والحب هو الذي ليس له نوى كالحنطة والشعير والارز وما اشبه ذلك والنوى جمع نواة وهو ما كان على ضد الحب كالرطب والخوخ والمشمش وما اشبه ذلك ومعنى قوله فالق الحب والنوى وذلك اذا وقعت الحبة او النواة في الارض الرطبة ثم مر على ذلك قدر من الزمان اظهر الله تبارك وتعالى من تلك الحبة ورقا اخضر ثم يخرج من ذلك الورق سنبلة يكون فيها الحب ويظهر من النواة شجرة صاعدة في الهوى وعروقا ضاربة في الارض فسبحان من اوجد جميع الاشيا بقدرته وابداعه وخلقه وقوله تعالى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي قال ابن عباس في رواية عنه يخرج من النطفة بشرا حيا ويخرج النطفة الميتة من الحي وهذا قول الكلبي ومقاتل قال الكلبي يخرج النسمة الحية من النطفة الميتة ويخرج الفرخة من البيضة ويخرج النطفة الميتة والبيضة الميتة من الحي وقال ابن عباس في رواية اخرى يخرج المومن من الكافر

ويخرج الكافر من المؤمن فجعل الايمان بمنزلة الحياة والكفر بمنزلة الموت وهذا قول الحسن وقيل معناه
يخرج الطايع من العاصي والعاصي من الطايع وقال السدي يخرج النبات من الحب والحب من النبات وهذا
اختيار الطبري قال لانه عقب قوله ان الله فالق الحب والنوى فان قلت كيف قال ومخرج الميت من الحي
بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت وما السبب في عطف الاسم على الفعل قلت قوله ومخرج
الميت من الحي عطف على قوله فالق الحب والنوى وقوله يخرج الحي من الميت كالبيان والتفسير لقوله فالق
الحب والنوى لان فلق الحب والنوى اليابسين واخراج النبات والشجر منه من جنس اخراج الحي من
الميت لان النامي من النبات في حكم الحيوان وقوله **ذلكم الله** يعني ذلكم الله المدبر الخالق الصانع
لهذه الاشيا المحيي المميت لها **فانى تؤفكون** يعني فانى تصرفون عن الحق فتعبدون غير الله الذي
هو خالق الاشيا كلها وفيه دليل ايضا على صحة البعث بعد الموت لان القادر على اخراج البدن من
النطفة قادر على اخراجه من التراب للحساب قوله تعالى **فالق الاصباح** اي شاق عمود الصبح عن ظلمة
الليل وسواده والاصباح مصدر يسمى به الصبح وقال الزجاج الاصباح والصبح واحد وهما اول النهار
فان قلت ظاهر الاية يدل على انه تعالى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق بالصبح فما معنى ذلك قلت
ذكر العلما فيه وجوها الاول ان يكون المراد فالق ظلمة الصباح وذلك لان الصبح صبحان فالصبح
الاول هو البياض المستطيل الصاعد في الافق كذنب السرحان وهو الذئب ثم يعقبه ظلمة بعد ذلك
ويسمى هذا الصبح الفجر الكاذب لانه يبدو في الافق الشرقي ثم يضمحل ويذهب ثم يطلع بعده الصبح
الثاني وهو الضوء المستطير في جميع الافق الشرقي ويسمى الفجر الصادق لانه ليس بعده ظلمة والحاصل
من هذا ان يكون المعنى فالق ظلمة الصبح الاول بنور الصبح الثاني الوجه الثاني انه تعالى كما شق
ظلمة الليل بنور الصباح فكذلك يشق نور الصبح بضيا النهار فيكون معنى قوله فالق الاصباح
اي فالق الصباح بنور النهار الوجه الثالث ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش في اخر الليل
الذي يلي الصبح الوجه الرابع ان يكون المعنى فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر اذا انصدع الفجر وانفلق
وسمي الفجر فلقا بمعنى مفلوق الوجه الخامس الفلق بمعنى الخلق يعني خالق الاصباح وعلى هذا القول
يزول الاشكال والصبح هو الضوء الذي يبدو اول النهار والمعنى انه تعالى مبدي ضوء الصبح وخالقه
ومنوره وقوله تعالى **وجاعل الليل سكنا** السكن ما سكنت اليه واسترحت به يريد ان الناس يسكنون
في الليل سكون راحة لان الله جعل الليل لهم كذلك قال ابن عباس ان كل ذي روح يسكن فيه لان الانسان
قد اتعب نفسه في النهار فاحتاج الى زمان يستريح فيه ويسكن عن الحركة وذلك هو الليل **والشمس
والقمر حسبانا** يعني انه تعالى قدر حركة الشمس والقمر في الفلك بحساب معين قال ابن عباس يجريان
الى اجل جعل لهما يعني عدد الايام والشهور والسنين وقال الكلبي منازلهما بحساب لا يجاوزانه حتى
ينتهيا الى اقصى منازلهما **ذلك** اشارة الى ما تقدم ذكره في هذه الاية من الاشيا التي خلقها بقدرته
وكمال علمه وهو المراد بقوله **تقدير العزيز العليم** فالعزيز اشارة الى كمال قدرته والعليم اشارة الى
كمال علمه قوله عز وجل **وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر** جعل هنا بمعنى
يعني والله الذي خلق لكم هذه النجوم ادلة لتهتدوا بها اذا ضللتم الطريق وتحيرتم فيه فامتن الله على
عباده بان جعل لهم النجوم يهتدون بها الى المسالك والطريق في البر والبحر الى حيث يريدون ويستدلون
بالنجوم ايضا على القبلة فيستدلون على ما يريدون في النهار بحركة الشمس وفي الليل بحركة الكواكب ومن

منافعها

منافعها ايضا انه تعالى زينة للسما كما قال ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما
للشياطين **قد فصلنا الايات** يعني قد بينا الايات الدالة على توحيدنا وكمال قدرتنا **لقوم
يعلمون** ان ذلك مما يستدل به على وجود الصانع المختار وكمال علمه وقدرته قوله تعالى **وهو
الذي انشاكم من نفس واحدة** يعني والله الذي ابتدا خلقكم ايها الناس من ادم عليه السلام فهو ابو
البشر كلهم وحوى مخلوقة منه وعيسى ايضا لان ابتدا خلقه من مريم وهي من بنات ادم فثبت ان جميع
الخلق من ادم عليه السلام **فمستقر ومستودع** قرئ فمستقر بكسر القاف وفتحها يقال قر في مكانه واستقر
فمن كسر القاف قال المستقر بمعنى القار والمعنى منكم مستقر يعني في الارحام ومن فتح القاف جعله مكانا
فالمستقر يعني المقر فيكون المعنى لكم مقر واما المستودع فهو مثل اودع فيجوز ان يكون اسما للانسان
الذي استودع ذلك ويجوز ان يكون المكان نفسه فمن قرا فمستقر بفتح القاف جعل المستودع
مكانا والمعنى فلكم مكان استقرار ومكان استيداع ومن كسر القاف جعل المعنى منكم مستقر ومنكم مستودع
يعني منكم من استقر ومنكم من استودع والفرق بين المستقر والمستودع ان المستقر اقرب الى الثبات
من المستودع لان المستقر من القرار والمستودع معرض بان يرد ولهذا اختلفت عبارات المفسرين
في معنى هذين اللفظين فروي عن ابن عباس انه قال المستقر يعني في ارحام الامهات والمستودع
في اصلاب الابا ثم قرا ونقر في الارحام ما نشا ويؤيد هذا القول ان النطفة لا تبقى في صلب الاب زمانا
طويلا ولما كان المكث في بطن الام اكثر من صلب الاب حمل المستقر على الرحم والمستودع على الصلب
وروي عنه انه قال بالعكس يعني ان المستقر صلب الاب والمستودع رحم المراة ووجه هذا القول ان
النطفة حصلت في صلب الاب قبل رحم الام فوجب حمل المستقر على الصلب والمستودع على الرحم وقال
ابن مسعود المستقر في الرحم الى ان يولد والمستودع في القبر الى ان يبعث وقال مجاهد المستقر على
ظهر الارض في الدنيا لقوله ولكم في الارض مستقر الى حين والمستودع عند الله في الاخرة وقال الحسن
المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وكان يقول يا ابن ادم انت مستودع في اهلك الى ان تلحق بصاحبك
يعني القبر وقيل المستودع في القبر والمستقر اما في الجنة او النار لان المقام فيهما يقتضي الخلود والتابيد
قد فصلنا الايات يعني قد بينا الايات الدالة على التوحيد بالبراهين الواضحة والحجج القاطعة
لقوم يفقهون يعني لقوم يفهمون عن الله اياته ودلايله الدالة على توحيده لان الفقه هو الفهم
قوله عز وجل **وهو الذي انزل من السما ما** يعني المطر وقيل ان الله ينزل المطر من السما الى السحاب
ومن السحاب الى الارض **فاخرجنا به** يعني بالما الذي انزلناه من السما **نبات كل شي** يعني من كل شي
ينبت وينمو من جميع اصناف النبات وقيل معناه اخرجنا بالما الذي انزلناه من السما غذا كل شي من
الانعام والبهايم والطير والوحش وارزاق بني ادم واقواتهم مما يتغذون به فينبتون عليه وينمون
فاخرجنا منه خضرا يريد اخضر مثل عور واعور والاخضر هو جميع الزروع والبقول الرطبة **نخرج منه حبا
متراكبا** يعني نخرج من ذلك الاخضر سنابل فيها الحب يركب بعضها فوق بعض مثل سنبل القمح والشعير
والارز والذرة وساير الحبوب وفي تقديم الزرع على النخل دليل على الافضلية ولان حاجة الناس اليه
اكثر لانه القوت المالوف **ومن النخل من طلعها قنوان** يعني من ثمرها يقال اطلعت النخلة اذا اخرجت
طلعها وطلعها كفراها قبل ان ينشق عن الاغريض والاغريض يسمى طلعا ايضا وهو ما يكون في قلب
الطلع والطلع اول ما يبدو ويخرج من ثمر النخل كالكيزان يكون فيه العذق فاذا انشق عنه كيزانه سمي عذقا

وهو القنو وجمعه قنوان مثل صنو وصنوان دانية اي قريبة للمتناول ينالها القائم والقاعد وقال مجاهد
متدلية وقال الضحاك قصار ملتصقة بالارض وفيه اختصار وحذف تقديره ومن النخل ما هو دانية
قريبة ومنها ما هي بعيدة عالية فاكتفى بذكر القريبة عن البعيدة لشدة الاهتمام بها ولانها اسهل
تناولا من البعيدة لان البعيدة تحتاج الى كلفة وجنات من اعناب يعني واخرجنا من ذلك بساتين
من اعناب والزيتون والرمان يعني واخرجنا شجر الزيتون وشجر الرمان مشتبها قال قتادة مشتبها
ورقها مختلفا ثمرها لان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان وغير متشابه يعني ومنها غير متشابه
في الورق والطعم واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه الاية اربعة انواع من الشجر بعد ذكر الزرع وانما قدم
الزرع على ساير الاشجار لان الزرع غذا وثمار الاشجار فواكه والغذا تتقدم على الفواكه وانما قدم النخلة
على غيرها لان ثمرها يجري مجرى الغذا وفيها من المنافع والخواص ما ليس في غيرها من الاشجار وانما ذكر
العنب عقب النخلة لانه من اشرف انواع الفواكه ثم ذكر عقيبه الزيتون لما فيه من البركة والمنافع الكثيرة
في الاكل وساير وجوه الاستعمال ثم ذكر عقيبه الرمان لما فيه من المنافع ايضا لانه فاكهة ودوا ثم قال تعالى
انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه يعني ونضجه وادراكه والمعنى انظروا نظر الاستدلال واعتبروا كيف اخرج
الله تعالى هذه الثمرة الرطبة اللطيفة من هذه الشجرة الكثيفة اليابسة وهو قوله ان في ذلكم
لايات لقوم يومنون يعني يصدقون ان الذي اخرج هذا النبات وهذه الثمار قادر على ان يحيي الموتى
ويبعثهم وانما احتج الله عليهم بتصريف ما خلق ونقله من حال الى حال وهو ما يعلمونه قطعا ويشاهدونه
من احيا الارض بعد موتها واخراج ساير انواع النبات والثمار منها وانه لا يقدر على ذلك احد الا الله
تبارك وتعالى فانه تعالى كذلك قادر على ان يحييهم بعد موتهم ويبعثهم ليوم القيمة وانما احتج عليهم بهذه
الاشيا لانهم كانوا ينكرون البعث قوله تعالى وجعلوا لله شركا الجن قال الحسن معناه اطاعوا الجن في عبادة
الاوثان وهو اختيار الزجاج قال معناه انهم اطاعوا الجن فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركا لله
وقال الكلبي نزلت في الزنادقة اثبتوا الشركة لابليس في الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب
والانعام وابليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب ونقل هذا القول ابن الجوزي عن ابن السايب
ونقله الرازي عن ابن عباس قال الامام فخر الدين وهذا مذهب المجوس وانما قال ابن عباس هذا قول
الزنادقة لان المجوس يلقبون بالزنادقة لان الكتاب الذي زعم زردشت انه نزل من السما سماه
بالزند والمنسوب اليه يسمى زندي ثم عرب فقيل زنديق فان اجمع قيل زنادقة ثم ان المجوس قالوا
كلما في هذا العالم من الخير فهو من يزدان يعني النور وجميع ما في العالم من الشر فهو من الظلمة يعني ابليس
ثم اختلف المجوس فالاكثرون منهم على ان ابليس محدث ولهم في كيفية حدوثه اقوال عجيبة والاقلون
منهم قالوا انه قديم وعلى كلا القولين فقد اتفقوا على انه شريك الله في تدبير هذا العالم فما كان من خير فمن
الله وما كان من شر فمن ابليس تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا فان قلت فعلى هذا القول انهم اثبتوا الله
شريكا واحدا وهو ابليس فكيف حكى الله انهم جعلوا له شركا قلت ان ابليس له اعوان من جنسه وحزبه
وهم شياطين الجن يعملون اعماله فصح ما حكاه الله عنهم من انهم جعلوا له شركا الجن ومعنى الاية وجعلوا
الجن شركا الله واختلفوا في معنى هذه الشركة فمن قال ان الاية في كفار العرب قال انهم لما اطاعوا الجن فيما
امروهم به من عبادة الاصنام فقد جعلوهم شركا لله ومن قال انها في المجوس فقد اثبتوا الاهين اثنين
النور والظلمة وقيل ان كفار العرب قالوا الملايكة بنات الله وهم شركاوه فعلى هذا القول فقد

جعلوا

جعلوا الملايكة من الجن وذلك لانهم مستورون عن الاعين وقوله تعالى وخلقهم في معنى الكناية قولان
احدهما انه يعود الى الجن فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف يكون شريك الله من هو محدث مخلوق
والقول الثاني ان الكناية تعود الى الجاعلين لله شركا فيكون المعنى وجعلوا الله الذي خلقهم شركا لا
يخلقون شيا وهذا كالدليل القاطع بان المخلوق لا يكون شريكا لله وكل ما في الكون محدث مخلوق والله
تعالى هو الخالق لجميع ما في الكون فامتنع ان يكون لله شريكا في ملكه وخرقوا له بنين وبنات بغير علم
اي اختلقوا وكذبوا يقال اختلق واخترق على فلان اذا كذب عليه وذلك ان النصارى وطايفة من
اليهود ادعوا ان لله ابنا وكفار العرب ادعوا ان الملايكة بنات الله وكذبوا على الله جميعا فيما ادعوه
وقوله بغير علم كالتنبيه على ما هو الدليل القاطع على فساد هذا القول لان الولد جزء من الاب والله
سبحانه وتعالى لا يتجزى فثبت بهذا فساد قول من يدعي ان لله ولدا ثم نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ
الولد وعن هذه الاقاويل الفاسدة فقال تعالى سبحانه وتعالى عما يصفون فقوله سبحانه
فيه تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وقوله تعالى يعني المتعالي عن كل اعتقاد باطل وقول فاسد او يكون
المعنى المتعالي عن اتخاذ الولد واتخاذ الشريك وقوله عما يصفون يعني عما يصفونه به من الكذب قوله
عز وجل بديع السموات والارض الابداع عبارة عن تكوين الشي على غير مثال سبق والله تعالى خلق
السموات والارض على غير مثال سبق انى يكون له ولد يعني من اين يكون له الولد ولم تكن له صاحبة
لان الولد لا يكون الا من صاحبة انثى ولا ينبغي ان يكون لله صاحبة لانه ليس كمثله شي وخلق كل شي يعني
ان الصاحبة والولد من جملة من خلق لانه خالق كل شي وليس كمثله شي فكيف يكون الولد لمن لا مثل له
واذا نسب الولد والصاحبة اليه فقد جعل له مثل والله متعال عن المثلية وهذه الاية حجة قاطعة على
فساد قول النصارى وهو بكل شي عليم يعني انه تعالى عالم بجميع خلقه لا يعزب عن علمه شي وعلمه محيط
بكل شي قوله تعالى ذلكم الله ربكم يعني ذلكم الله الذي من شانه انه خلق السموات والارض وابدعها
على غير مثال وانه بكل شي عليم هو ربكم الذي يستحق العبادة لا من تدعون من دونه من الاصنام لانها
جماد لا تخلق ولا تضر ولا تنفع ولا تعلم والله تعالى هو الخالق الضار النافع لا اله الا هو خالق كل شي
فاعبدوه يعني انه هو الذي يستحق العبادة فاعبدوه واطيعوه وهو على كل شي وكيل يعني انه تعالى
على كل شي خلق رقيب حفيظ يقوم بارزاق جميع خلقه قوله عز وجل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
قال جمهور المفسرين معنى الادراك الاحاطة بكنه الشي وحقيقته فالابصار ترى البارى جل جلاله
ولا تحيط به كما ان القلوب تعرفه ولا تحيط به وقال سعيد بن المسيب في تفسير قوله لا تدركه الابصار لا تحيط
به الابصار وقال ابن عباس كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به فصل تمسك بظاهر الاية
قوم من اهل البدع وهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجية وقالوا ان الله تبارك وتعالى لا يراه احد من خلقه
وان رويته مستحيلة عقلا لان الله اخبر ان الابصار لا تدركه وادراك البصر عبارة عن الروية اذ لا فرق
بين قوله ادركته ببصري ورايته ببصري فثبت بذلك ان قوله لا تدركه الابصار بمعنى لا تراه الابصار
وهذا يفيد العموم ومذهب اهل السنة ان المومنين يرون ربهم يوم القيمة وفي الجنة وان رويته
غير مستحيلة عقلا واحتج اهل الصحة مذهبهم بظاهر ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة ومن بعدهم
من سلف الامة على اثبات روية الله تبارك وتعالى للمومنين في الاخرة قال الله تبارك وتعالى وجوه يوميذ
ناضرة الى ربها ناظرة وفي هذه الاية دليل على ان المومنين يرون ربهم يوم القيمة وقال تعالى كلا انهم عن

لهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعي رحمة الله حجب قوماً بالمعصية ونفى الكفر فثبت ان قوماً يرونه بالطاعة
ونفى الايمان وقال مالك لو لم ير المومنون ربهم يوم القيمة لم يعير الكفار بالحجاب وقال للذين احسنوا
الحسنى وزيادة وفسروا هذه الزيادة بالنظر الى الله تبارك وتعالى يوم القيمة واما دلايل السنة
فما روى عن جرير بن عبد الله البجلي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر
وقال انكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون في رويته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن
صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب
اخرجه البخاري ومسلم عن ابي هريرة ان ناساً قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل تضامون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في
الشمس دونها سحاب قالوا لا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ترونه كذلك اخرجه ابو داود
واخرجه الترمذي وليس عنده في اوله ان ناساً سالوا ولا ليس دونها سحاب عن ابي رزين العقيلي قال
قال قلت يا رسول الله اكلنا يرى ربه مخليا به يوم القيمة قال نعم قلت وما اية ذلك من خلقه قال
يا ابا رزين اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق
الله يعني القمر فالله اجل واعظم اخرجه ابو داود واما الدلايل العقلية فقد احتج اهل السنة ايضاً
بهذه الاية على جواز روية المومنين ربهم يوم القيمة وتقديره انه تعالى تمدح بقوله لا تدركه الابصار
فلو لم يكن جايز الروية لما حصل هذا التمدح لان المعدوم لا تصح رويته فثبت ان قوله لا تدركه الابصار
يفيد المدح وهذا يدل على ان كونه تعالى جايز الروية وتحقيق هذا ان الشي اذا كان في نفسه بحيث
تمتنع رويته فحينئذ لا يلزم من عدم رويته مدح وتعظيم اما اذا كان في نفسه جايز الروية ثم انه قدر على
حجب الابصار عنه كانت القدرة دالة على المدح والعظمة فثبت ان هذه الاية دالة على انه تعالى جايز
الروية واذا ثبت هذا وجب القطع بان المومنين يرونه يوم القيمة لان موسى صلى الله عليه وسلم سال
الروية بقوله ارني انظر اليك وهذا يدل على جواز الروية اذ لا يسال نبي مثل موسى ما لا يجوز او يمتنع وقد
علق الله الروية على استقرار الجبل بقوله فان استقر مكانه فسوف تراني واستقرار الجبل جايز والمعلق
على الجايز جايز واما الجواب عن تمسك المعتزلة بظاهر هذه الاية على نفي الروية فاعلم ان الادراك غير
الروية لان الادراك هو الاحاطة بكنه الشي وحقيقته والروية المعاينة للشي من غير احاطة وقد
تكون الروية بلا ادراك كما قال تعالى في قصة موسى قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا وكان قوم
فرعون قد راوا قوم موسى فلم يدركوهم لكن قاربوا ادراكهم اياهم فنفى موسى الادراك مع اثبات الروية
بقوله كلا فالله تعالى يجوز ان يرى في الاخرة من غير ادراك ولا احاطة لان الادراك هو الاحاطة بالمرى
وهو من كان محدوداً او له جهات والله منزه عن الحد والجهة لانه القديم الذي لا نهاية لوجوده فعلى
هذا انه تعالى يرى ولا يدرك وقال قوم ان الاية مخصوصة بالدنيا قال ابن عباس في معنى الاية لا تدركه
الابصار في الدنيا وهو يرى في الاخرة وعلى هذا القول فلا فرق بين الادراك والروية قالوا ويدل على
هذا التخصيص قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقوله يومئذ ناظرة مقيد بيوم القيمة
وعلى هذا يمكن الجمع بين الايتين وقال السدي البصر بصران بصر معاينة وبصر علم فمعنى قوله لا تدركه
الابصار لا يدركه علم العلما ونظيره ولا يحيطون به علماً وهذا وجه حسن ايضاً والله اعلم وقوله تعالى
وهو يدرك الابصار يعني انه تعالى يرى جميع المرييات ويبصر جميع المبصرات لا يخفى عليه شي منها ويعلم حقيقتها

ويطلع

ويطلع على ما هيتها فهو تعالى لا تدركه ابصار المبصرين وهو يدركها وهو اللطيف الخبير قال ابن عباس اللطيف
باوليايه الخبير بهم وقال الزهري يعني اللطيف الرفيق بعباده وقيل هو الموصل الشي اليك برفق ولين وقيل هو
الذي ينسي عباده ذنوبهم ليلا يخجلوا واصل اللطف دقة النظر في الاشيا وقال ابو سليمان الخطابي هو البر
بعباده يلطف بهم من حيث لا يعلمون ويوصل اليهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون وقال الازهري اللطيف في
اسما الله تعالى معناه الرفيق بعباده وقيل هو اللطيف حيث لم يامر عباده فوق طاقتهم وينعم عليهم فوق استحقاقهم
وقيل هو اللطيف بعباده حيث يثني عليهم عند الطاعة ولم يقطع عنهم بره واحسانه عند المعصية وقيل هو
الذي لطف عن ان تدركه الابصار وهو يدركها قوله تعالى قد جاءكم بصاير من ربكم البصاير جمع البصيرة وهي
الدلالة التي توجب البصر بالشي والعلم به والمعنى قد جاءكم القران الذي فيه البيان والحجج التي تبصرون بها الهدى
من الضلالة والحق من الباطل وقيل ان الايات والبراهين ليست في انفسها بصاير الا انها لقوتها توجب البصاير
لمن عرفها ووقف على حقايقها فلما كانت هذه الايات والحجج والبراهين اسباباً لحصول البصاير سميت الايات
بصاير فمن ابصر يعني فمن عرف الايات واهتدى بها الى الحق فلنفسه يعني فلنفسه ابصر ولها عمل لانه يعود
نفع ذلك عليه ومن عمي يعني ومن جهل ولم يعرف الايات ولم يستدل بها الى الطريق فعليها يعني فعلى نفسه عمي
وعليها ضرره كان ووبال ذلك العمى عليه لان الله تعالى غني عن خلقه وما انا عليكم بحفيظ يعني وما انا عليكم برقيب
احصي عليكم اعمالكم وافعالكم انما انا رسول من ربكم اليكم ابلغكم ما ارسلت به اليكم والله هو الحفيظ عليكم لا يخفى
عليه شي من اعمالكم واحوالكم وقيل معناه لا اقدر ان ادفع عنكم ما يريده الله بكم وقيل معناه لست اخذكم بالايمان
اخذ الحفيظ الوكيل وهذا كان قبل الامر بقتال المشركين فعلى هذا القول تكون الاية منسوخة باية السيف وعلى
القول الاول ليست منسوخة والله اعلم قوله عز وجل وكذلك نصرف الايات يعني وكذلك نبين الايات
ونفصلها في كل وجه كما صرفناها وبيناها من قبل وليقولوا درست يعني وكذلك نصرف الايات لتلزمهم الحجة
وليقولوا درست وقيل معناه ليلا يقولوا درست وقيل اللام فيه لام العاقبة ومعناه عاقبة امرهم ان يقولوا
درست يعني قرات على غيرك يقال درس الكتاب يدرسه دراسة اذا اكثر قراءته وذلله للحفظ قال ابن
عباس وليقولوا يعني اهل مكة حين يقرا عليهم القران درست يعني تعلمت من يسار وجبر وكانا عبدين من سبي
الروم ثم قرات علينا تزعم انه من عند الله وقال الفرا معناه تعلمت من اليهود وقرى دارست بالالف بمعنى
قارات اهل الكتاب من المدارسة التي هي بين اثنين يعني يقولون قرات على اهل الكتاب وقروا عليك
وقرى درست بفتح الدال والرا والسين وسكون التا ومعناه ان هذه الاخبار التي تتلوها علينا قديمة
قد درست وامحت من قولهم درس الاثر اذا امحى وذهب اثره ولنبينه لقوم يعلمون يعني القران وقيل
معناه نصرف الايات لقوم يعلمون قال ابن عباس يريد اولياءه الذين هداهم الى سبيل الرشاد وقيل
معنى الاية وكذلك نصرف الايات ليسعد بها قوم ويشقى بها اخرون فمن اعرض عنها وقال للنبي صلى الله عليه
وسلم درست او دارست فهو شقي ومن تبين له الحق وفهم معناها وعمل بها فهو سعيد وقال ابو اسحاق
السبب الذي اداهم الى ان قالوا درست هو تلاوة الايات عليهم وهذه اللام يسميها اهل اللغة لام
الصيرورة يعني صار عاقبة امرهم ان قالوا درست فصار ذلك سبباً لشقاوتهم وفي هذا دليل على ان الله
تعالى جعل تصريف الايات سبباً لضلالة قوم وشقاوتهم وسعادة قوم وهدايتهم قوله تعالى اتبع ما
اوحي اليك من ربك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني اتبع يا محمد ما امرك به ربك في وحيه الذي اوحاه اليك
وهو القران فاعمل به وبلغه الى عبادي ولا تلتفت الى قول من يقول دارست او درست وفي قوله اتبع ما اوحي

اليك من ربك تقوية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وازالة للحزن الذي حصل له بسبب قولهم درست وتنبيه بقوله تعالى **لا اله الا هو** انه سبحانه وتعالى واحد فرد صمد لا شريك له واذا كان كذلك فانه تجب طاعته ولا يجوز تركها بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزائغين وقوله تعالى **واعرض عن المشركين** فقيل المراد منه في الحال لا الدوام واذا كان كذلك لم يكن النسخ وقيل المراد ترك مقاتلتهم فعلى هذا يكون هذا الامر بالاعراض منسوخا باية القتال قوله عز وجل **ولو شاء الله ما اشركوا** قال الزجاج معناه لو شاء الله لجعلهم مومنين وهذا نص صريح في ان شركهم كان بمشيئة الله خلافا للمعتزلة في قولهم لم يرد من احد الكفر والشرك فالاية رد عليهم **وما جعلناك عليهم حفيظا** يعني وما جعلناك يا محمد على هولاء المشركين رقيبا ولا حافظا تحفظ عليهم اعمالهم وقال ابن عباس في رواية عطا وما جعلناك عليهم حفيظا تمنعهم مني ومعناه انك لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب انما بعثت مبلغا فلا يهمنك شركهم فان ذلك بمشيئة الله تعالى **وما انت عليهم بوكيل** يعني وما انت عليهم بمقيم تقوم بارزاقهم وما انت عليهم بمسيطر فعلى التفسير الاول تكون الاية منسوخة باية السيف وعلى قول ابن عباس لا تكون منسوخة قوله تعالى **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم** الاية قال ابن عباس لما نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون ربك فنهاهم الله ان يسبوا اوثانهم فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال قتادة كان المومنون يسبون اوثان الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فانهم قوم جهلة لا علم لهم بالله عز وجل وقال السدي لما حضرت ابا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا بنا لندخل على هذا الرجل فلنامره ان ينهى عنا ابن اخيه فانا نستحي ان نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق ابو سفيان وابو جهل والنضر بن الحارث وامية وابي ابنا خلف وعقبة بن ابي معيط وعمرو بن العاص والاسود بن ابي البختري الى ابي طالب فقالوا يا ابا طالب انت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد اذانا واذى آلهتنا فنحب ان تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه والهه فدعاه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ابو طالب ان هولاء قومك وبنو اعمامك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يريدون قالوا نريد ان تدعنا وآلهتنا وندعك والهك فقال له ابو طالب قد انصفك قومك فاقبل منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايتم ان اعطيتكم هذا فهل انتم معطي كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم العجم وادت لكم الخراج فقال ابو جهل نعم وابيك لنعطينكها وعشرة امثالها فما هي فقال قولوا لا اله الا الله فابوا ونفروا فقال ابو طالب قل غيرها يا ابن اخي فقال يا عم ما انا بالذي اقول غيرها ولو اتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها ارادة ان يوئسهم فقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا او لنشتمنك ولنشتمن من يامرك فانزل الله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله يعني ولا تسبوا ايها المومنون الاصنام التي يعبدها المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم يعني فيسبوا الله ظلما بغير علم لانهم جهلة بالله عز وجل قال الزجاج نهوا في ذلك الوقت قبل القتال ان يلعنوا الاصنام التي كانت تعبدها المشركون وقال ابن الانباري هذه الاية منسوخة انزلها الله عز وجل والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة فلما قواه باصحابه نسخ هذه الاية ونظايرها بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل انما نهوا عن سب الاصنام وان كان في سبها طاعة وهو مباح لما يترتب على ذلك من المفاسد التي هي اعظم من ذلك وهو سب الله عز وجل وسب رسوله وذلك من اعظم المفاسد فلذلك نهوا عن سب الاصنام وقيل لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم لا تسبوا آلهتهم فيسبوا ربكم فامسك المسلمون عن سب آلهتهم فظاهر الاية وان كان نهيا عن سب الاصنام فحقيقته النهي عن سب الله تعالى لانه سبب لذلك وقوله تعالى **كذلك زينا لكل امة عملهم** يعني كما زينا لهولاء المشركين عبادة الاصنام وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية وفي هذه الاية دليل على تكذيب القدرية والمعتزلة حيث قالوا الاحسن من الله خلق الكفر وتزيينه وقوله تعالى **ثم الى ربهم مرجعهم** يعني المومن والكافر والمطايع والعاصي **فينبئهم بما كانوا يعملون** يعني في الدنيا ويجازيهم على ذلك قوله عز وجل **واقسموا بالله جهد ايمانهم** قال محمد بن كعب القرظي والكلبي قالت قريش يا محمد انك تخبرنا ان موسى كان له عصى يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى كان يحيي الموتى فاتنا باية حتى نصدقك ونومن لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي شي تحبون قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا وابعث لنا بعض موتانا نسأله عنك احق ما تقول ام باطل وارنا الملائكة يشهدون لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت بعض ما تقولون اتصدقوني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك اجمعين وسال المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزلها عليهم حتى يومنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يدعو الله عز وجل ان يجعل الصفا ذهبا فجاءه جبريل فقال له ما شيت ان شيت اصبح ذهبا ولكن ان لم يصدقوك ليعذبنهم وان شيت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تائبهم فانزل الله عز وجل واقسموا بالله يعني وحلفوا بالله جهد ايمانهم يعني اوكد ما قدروا عليه من الايمان واشدها قال الكلبي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه **لئن جاءتهم اية** يعني كما جاءت من قبلهم من الامم **ليومنن بها** يعني ليصدقن بها **قل** يعني يا محمد **انما الايات عند الله** يعني ان الله تعالى قادر على انزالها **وما يشعركم** يعني وما يدريكم ثم اختلف العلماء في المخاطبين بقوله وما يشعركم فقيل هو خطاب للمشركين الذين اقسموا بالله وقيل هو خطاب للمومنين واختلفوا في قوله **انها اذا جاءت لا يومنون** فقرا ابن كثير واهل البصرة وابو بكر عن عاصم انها بكسر الالف على الابتداء وقالوا تم الكلام عند قوله وما يشعركم على معنى وما يدريكم ما يكون منهم ثم ابتدا فقال انها اذا جاءت لا يومنون فمن جعل الخطاب للمشركين قال معناه وما يشعركم ايها المشركون انها يعني الايات اذا جاءت امنتم ومن جعل الخطاب للمومنين قال معناه وما يشعركم ايها المومنون انها اذا جاءت امنوا لان المومنين كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله ان يريهم ما اقترحوا حتى يومنوا فخاطبهم الله بقوله وما يشعركم ثم ابتدا فقال تعالى انها اذا جاءت لا يومنون وهذا في قوم مخصوصين حكم الله عز وجل عليهم بانهم لا يومنون وذلك لسابق علمه فيهم وقرا الباقون انها بفتح الالف وجعلوا الخطاب في ذلك للمومنين ثم الذين يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الايات حتى يومنوا المشركون بها اذا راوها لان المشركين كانوا حلفوا انهم اذا جاءتهم اية امنوا وصدقوا واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الايات لذلك فقال الله تعالى وما يشعركم ايها المومنون ان الايات اذا جاءت هولاء المشركين لا يومنون فعلى هذا اختلفوا في لفظة لا من قوله لا يومنون فقيل ان بمعنى لعل في قوله انها اذا جاءت وكذلك هو في قراءة ابي بن كعب لعلها اذا جاءت وهذا شايع في كلام العرب تقول العرب ايت السوق انك تشتري لنا شيا بمعنى لعلك ومنه قول عدي بن زيد • اعاذل ما يدريك ان منيتي • الى ساعة في اليوم او في ضحى الغد • يعني لعل منيتي قوله تعالى **ونقلب افئدتهم وابصارهم** قال ابن عباس يعني ونحول بينهم وبين الايمان

فلو جيناهم بالايات التي سالوها لما امنوا بها والتقلب هو تحويل الشي وتحريكه عن وجهه الى وجه اخر
لان الله تعالى اذا صرف القلوب والابصار عن الايمان بقيت على الكفر كما لم يومنوا به اول مرة يعني
كما لم يومنوا بما قبل ذلك من الايات التي جابها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك
من المعجزات الباهرة وقيل اول مرة يعني الايات التي جابها موسى وغيره من الانبيا وقال ابن عباس
المرة الاولى دار الدنيا يعني لو ردوا من الاخرة الى الدنيا نقلب افيدتهم وابصارهم عن الايمان فلا يومنون
كما لم يومنوا به اول مرة قبل مماتهم وفي الاية دليل على ان الله تعالى يهدي من يشا ويضل من يشا وان
القلوب والابصار بيده وفي تصرفه فيقيم ما شا منها ويزيغ ما اراد منها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فمعنى قوله ونقلب افيدتهم فنزيغها عن الايمان ونقلب ابصارهم
عن روية الحق ومعرفة الصواب وان جاتهم الاية التي سالوها فلا يومنون بها كما لم يومنوا بالله ورسوله
وبما جا من عند الله فعلى هذا تكون الكناية في به عايدة على الايمان بالقران وبما جا به رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل سوال الايات التي اقترحوها وقوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون
يعني ونترك هولا المشركين الذين سبق في علم الله انهم لا يومنون في تمردهم على الله والاعتدا عليه
يترددون لا يهتدون الى الحق قوله عز وجل ولو اننا نزلنا اليهم الملئكة قال ابن جريج نزلت في المستهزئين
وذلك انهم اتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقالوا يا محمد ابعث لنا بعض موتانا
حتى نسالهم عنك احق ما تقول ام باطل او ارنا الملئكة يشهدون لك انك رسول الله او ايتنا بالله
والملئكة قبيلا فنزلت هذه الاية جوابا لهم والمعنى ولو اننا نزلنا اليهم الملئكة حتى يشهدون لك
بالرسالة وكلمهم الموتى يعني كما سالوا وحشرنا عليهم كل شي قبلا يعني وجمعنا عليهم كل شي قبيلا قبيلا
وقيل القبيل الكفيل بصحة ما تقول ما امنوا وهو قوله ما كانوا ليومنوا الا ان يشا الله يعني الا ان يشا
الله الايمان منهم وفيه دليل على ان جميع الاشيا بمشيئة الله تعالى حتى الايمان والكفر وموضع المعجزة ان
الاشيا المحشورة منها ناطق ومنها صامت فاذا انطق الله الكل حتى يشهدون له بصحة ما يقول كان
ذلك في غاية الاعجاز وقيل قبلا من المقابلة والمواجهة والمعنى وحشرنا عليهم كل شي مواجهة ومعاينة
ما كانوا ليومنوا الا ان يشا الله لخبر الله ان الايمان بمشيته لا كما ظنوا انهم متى شاوا امنوا ومتى شاوا
لم يومنوا وقال ابن عباس ما كانوا ليومنوا هم اهل الشقا الا ان يشا الله هم اهل السعادة الذين سبق
لهم في علمه انهم يدخلون في الايمان وصحح الطبري قول ابن عباس قال لان الله عم بقوله ما كانوا ليومنوا القوم
الذين تقدم ذكرهم في قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لين جاتهم اية ليومنن بها ثم استثنى منهم اهل السعادة
وهم الذين شا لهم الايمان وقوله تعالى ولكن اكثرهم يجهلون يعني ان ذلك كذلك ويحسبون ان الايمان
اليهم متى شاوا امنوا ومتى شاوا كفروا وليس الامر كذلك بل الايمان والكفر بمشيئة الله تعالى فمن شا له الايمان
امن ومن شا له الكفر كفر وفي هذا دليل لمذهب اهل السنة ان الاشيا كلها بمشيئة الله تعالى ورد على القدرية
والمعتزلة في قولهم ان الله اراد الايمان من جميع الكفار وقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا قيل هو
منسوق على قوله تعالى وكذلك زينا لكل امة عملهم اي كما فعلنا ذلك كذلك جعلنا لكل نبي عدوا وقيل معناه
كما جعلنا لمن قبلك من الانبيا اعدا كذلك جعلنا لك اعدا وفيه تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية
له يقول الله تبارك وتعالى كما ابتليناك بهولا القوم فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك عدوا ليعظم ثوابه على
ما يكابده من اذى اعدايه وعدو واحد يراد به الجمع يعني جعلنا لكل نبي اعدا شياطين الانس والجن اختلف

العلما في معنى شياطين الانس والجن على قولين احدهما ان المراد شياطين من الانس وشياطين من الجن والشيطان
كل عات متمرد من الجن والانس وهذا قول ابن عباس في رواية عطا وهو قول مجاهد وقتادة قالوا وشياطين
الانس اشد تمردا من شياطين الجن لان شيطان الجن اذا عجز عن اغوا المومن الصالح واعياه ذلك
استعان على اغوايه بشيطان الانس ليفتنه ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابي ذر قال
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعوذت بالله من شيطان الجن والانس قلت يا رسول
الله وهل للانس من شيطان قال نعم هو شر من شياطين الجن ذكره البغوي بغير سند واسنده
الطبري وقال مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد علي من شيطان الجن وذلك اني اذا تعوذت
بالله ذهب عني شيطان الجن وشيطان الانس يجيني فيجرني الى المعاصي القول الثاني ان الجميع
من ولد ابليس واضيف الشياطين الى الانس على معنى انهم يغوونهم وهذا قول عكرمة والضحاك
والكلبي والسدي ورواية عن ابن عباس قالوا والمراد بشياطين الانس التي مع الانس وشياطين الجن التي
مع الجن وذلك ان ابليس قسم جنده قسمين فبعث فريقا منهم الى الجن وفريقا الى الانس فالفريقان
شياطين الجن والانس بمعنى انهم يغوونهم ويضلونهم وكلا الفريقين اعدا للنبي صلى الله عليه وسلم
ولاوليايه من المومنين والصالحين ومن ذهب الى هذا القول قال يدل على صحته ان لفظ الاية يقتضي
اضافة الشياطين الى الانس والجن والاضافة تقتضي المغايرة فعلى هذا تكون الشياطين نوع مغاير للانس
والجن وهم اولاد ابليس وقوله تعالى يوحي بعضهم الى بعض يعني يلقي ويسر بعضهم الى بعض ويناجي بعضهم
بعضا وهو الوسوسة التي يلقيها الى من يريد اغواه فعلى هذا القول الاول ان شياطين الانس
والجن يسر بعضهم الى بعض ما يفتنون به المومنين والصالحين وعلى القول الثاني ان اولاد ابليس يلقى
بعضهم بعضا في كل حين فيقول شياطين الانس لشياطين الجن اضللت صاحبي بكذا وكذا فاضل
انت صاحبك بمثله ويقول شياطين الجن لشياطين الانس كذلك فذلك وحي بعضهم الى بعض وقوله
زخرف القول يعني باطل القول والزخرف هو الباطل من الكلام الذي قد زين ووشي بالكذب وكل شي
حسن مموه مزور زخرف غرورا يعني ان الشياطين يغرون بذلك القول الكذب المزخرف غرورا وذلك
ان الشياطين يزينون الاعمال القبيحة لبني ادم ويغرونهم بها غرورا ولو شا ربك ما فعلوه يعني
ما فعلوا الوسوسة التي يلقونها الشياطين في قلوب بني ادم والمعنى ان الله تعالى لو شا لمنع الشياطين
من القا الوسوسة الى الانس والجن ولكن الله يمتحن من يشا من عباده بما يعلم انه الاجزل في الثواب
اذا صبر على المحنة فذرهم وما يفترون يعني خلهم يا محمد وما زين لهم ابليس وغرهم به من الكفر والمعاصي
فاني من ورايهم قوله تعالى ولتصغى اليه افيدة الذين لا يومنون بالاخرة قال ابن عباس ولتميل اليه
واصل الصغو في اللغة الميل يقال صغى الى كذا اذا مال اليه ويقال صغوت اصغو وصغيت اصغى لغتان
قال ابن الانباري اللام في ولتصغى متعلقة بفعل مضمر معناه وفعلنا بهم ذلك لكي تصغى الى الباطل افيدة
الذين لا يومنون بالاخرة وقال غيره اللام متعلقة بيوحي تقديره يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول
وباطله ليحبوه ويرضوا به وهو قوله وليرضوه يعني يرضون بذلك القول المزخرف الباطل وليقترفوا
ما هم مقترفون يعني وليكتسبوا من الاعمال الخبيثة ما هم مكتسبون قوله عز وجل افغير الله ابتغي
حكما اي قل يا محمد لهولا المشركين افغير الله اطلب حكما قاضيا يقضي بيني وبينكم وذلك انهم كانوا يقولون
للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما فامره الله تعالى ان يجيبهم بهذا الجواب والحكم والحاكم واحد

عند اهل اللغة غير ان بعض اهل المعاني قال الحكم اكمل من الحاكم لان الحاكم من شانه ان يحكم والحكم
اهل ان يتحاكم اليه وهو الذي لا يحكم الا بالحق فالله حكم لا يحكم الا بالحق فلما انزل الله على محمد القران فقد
حكم له بالنبوة وهو قوله تعالى وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا يعني مبينا فيه امره ونهيه ووعده
ووعيده وفيه الحكم بيني وبينكم والذين اتيناهم الكتاب يعني علما اليهود والنصارى يعلمون انه منزل
من ربك بالحق يعني يشهدون ان هذا القران منزل من عند الله وذلك لما ثبت عندهم بالدلايل الدالة لهم
على ذلك وقيل المراد بهم علما الصحابة ورؤساوهم مثل ابي بكر وعمر وعثمان وعلي ونظرايهم يعلمون ان
هذا القران منزل من ربك بالحق فامنوا به وصدقوه فلا تكونن من الممترين يعني فلا تكونن يا محمد من الشاكين
ان علما اهل الكتاب يعلمون ان هذا القران حق وانه منزل من عند الله وقيل معناه فلا تكونن في شك
مما قصصنا عليك انه حق وصدق فهو من باب التهييج لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط وقيل الخطاب
وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم الا ان المراد به غيره والمعنى فلا تكونن ايها الانسان السامع
لهذا القران في شك انه منزل من عند الله لما فيه من الاعجاز الذي لا يقدر على مثله الا الله تبارك
وتعالى قوله تعالى وتمت كلمة ربك وقرئ كلمات ربك على الجمع فمن قرا على التوحيد قال الكلمة قد يراد بها
الكلمات الكثيرة اذا كانت مضبوطة بضابط واحد كقولهم قال الشاعر في كلمته يعني في قصيدته فكذلك
القران كلمة واحدة لانه شيا واحدا في اعجاز النظم وكونه حقا وصدقا ومعجزا ومن قرا بالجمع قال
لان الله قال في سياق الاية ولا مبدل لكلماته فوجب الجمع في اللفظ الاول اتباعا للثاني صدقا وعدلا
يعني صدقا فيما وعد وعدلا فيما حكم وقيل ان القران مشتمل على الاخبار والاحكام فهو صادق فيما
اخبر عن القرون الماضية والامم الخالية وعما هو كاين الى قيام الساعة وفيما اخبر عن ثواب المطيع
في الجنة وعقاب العاصي في النار وهو عدل فيما حكم من الامر والنهي والحلال والحرام وساير الاحكام
لا مبدل لكلماته يعني لا مغير لقضايه ولا راد لحكمه ولا خلف لمواعيده وقيل لما وصف كلماته بالتمام في
قوله وتمت كلمات ربك والتمام في كلام الله لا يقبل النقص والتغيير والتبديل قال تعالى لا مبدل لكلماته
لانها مصونة عن التحريف والتغيير باقية الى يوم القيمة وفي قوله لا مبدل لكلماته دليل على ان السعيد
لا ينقلب شقيا ولا الشقي ينقلب سعيدا فالسعيد من سعد في الازل والشقي من شقي في الازل واورد على هذا
ان الكافر يكون شقيا بكفره فيسلم فينقلب سعيدا باسلامه واجيب عنه بان الاعتبار بالخاتمة فمن ختم له
بالسعادة كان قد كتب سعيدا في الازل ومن ختم له بالشقاوة كان شقيا في الازل والله اعلم وقوله
تعالى وهو السميع يعني لما يقوله العباد العليم يعني باحوالهم وقوله عز وجل وان تطع اكثر من في الارض
يضلوك عن سبيل الله قال المفسرون ان المشركين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين
في اكل الميتة وذلك انهم قالوا للمسلمين كيف تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل ربكم فقال الله تعالى
لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان تطع اكثر من في الارض في اكل الميتة وكان الكفار يومئذ اكثر اهل الارض
يضلوك عن سبيل الله يعني يضلوك عن دين الله الذي شرعه لك وبعثك به وقيل معناه لا تطعهم في
في معتقداتهم الباطلة فانك ان تطعهم يضلوك عن سبيل الله يعني يضلوك عن طريق الحق ومنهج الصدق
ثم اخبر عن حال الكفار وما هم عليه فقال تعالى ان يتبعون الا الظن يعني هولا الكفار الذين يجادلونك
ما يتبعون في دينهم الذي هم عليه الا الظن وليسوا على بصيرة وحق في دينهم وليسوا بقاطعين انهم على
حق لانهم اتبعوا اهواهم وتركوا التماس الصواب والحق واقتصروا على اتباع الظن والجهل وان هم الا

يخرصون يعني يكذبون واصل الخرص الحزر والتخمين ومنه خرص النخلة اذا حزر كمية ثمرتها على الظن من
غير يقين وسمي الكذب خرصا لما يدخله من الظنون الكاذبة وقيل ان كل قول مقول عن ظن وتخمين
يقال له خرص لان قايله لم يقله عن علم ويقين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ان ربك هو اعلم منك ومن جميع خلقه اي الناس يضل عن سبيله
وهو ايضا اعلم بمن كان على هدى واستقامة وسداد لا يخفى عليه شي من احوال خلقه فاخبر تعالى انه
اعلم بالفريقين الضال والمهتدي وانه يجازي كلا بما يستحقه قوله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه هذا
جواب لقول المشركين حيث قالوا للمسلمين اتاكلون مما قتلتم ولا تاكلون مما قتل ربكم فقال الله تعالى للمسلمين
فكلوا انتم مما ذكر اسم الله عليه من الذبايح ان كنتم باياته مومنين وقيل كانوا يحرمون اصنافا من النعم
ويحلون الميتة فقيل احلوا ما احل الله وحرموا ما حرم الله فعلى هذا القول تكون الاية خطابا للمشركين
وعلى القول الاول الاية تكون خطابا للمسلمين وهو الاصح لقوله في اخر الاية ان كنتم باياته مومنين وما لكم
ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه يعني واي شي لكم من ان لا تاكلوا وما يمنعكم من ان تاكلوا مما ذكر اسم الله
عليه وهذا تاكيد في اباحة ما ذبح على اسم الله دون غيره وقد فصل لكم ما حرم عليكم يعني وقد
بين لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون وقال جمهور المفسرين المراد بقوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم
المحرمات المذكورة في قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به واورد الامام
فخر الدين الرازي هاهنا اشكالا وهو ان سورة الانعام مكية وسورة المايدة من اخر ما انزل الله تعالى
بالمدينة وقوله وقد فصل يجب ان يكون ذلك المفصل متقدما على هذا المحل والمدني متاخر عن المكي فيمتنع
كونه متقدما ثم قال بل الاولى ان يقال قوله تعالى بعد هذه الاية قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه
الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير وهذه الاية وان كانت مذكورة بعد هذه الاية
بقليل الا ان هذا القدر من التاخر لا يمنع ان يكون هو المراد قال كاتبه ولم يذكر المفسرون وجه وهو ان
الله لما علم سورة المايدة متقدمة على سورة الانعام في الترتيب لا في النزول حسن عود الضمير
في قوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم الى ما هو متقدم في الترتيب وهو قوله حرمت عليكم الميتة الاية
والله اعلم بمراده وقوله تعالى الا ما اضطررتم اليه يعني الا ان تدعوكم الضرورة الى اكله بسبب شدة
المجاعة فيباح لكم ذلك عند الاضطرار وان كثيرا ليضلون باهوايهم بغير علم يعني وان كثيرا من
الذين يجادلونكم في اكل الميتة ويحتجون عليكم في ذلك بقولهم اتاكلون ما تذبحون ولا تاكلون
ما يذبحه الله وانما قالوا هذه المقالة جهلا منهم بغير علم منهم بصحة ما يقولون بل يتبعون
اهواهم ليضلوا انفسهم واتباعهم بذلك وقيل المراد به عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين
لانه اول من بحر البحاير وسيب السوايب واباح الميتة وغير دين ابرهيم عليه السلام ان ربك
هو اعلم بالمعتدين يعني ان ربك يا محمد هو اعلم بمن تعدى حدوده واحل ما حرم الله وحرم ما احل
الله فهو يجازيهم على سوء صنيعهم قوله عز وجل وذروا ظاهر الاثم وباطنه يعني وذروا ايها
الناس ما يوجب الاثم وهي الذنوب والمعاصي كلها سرها وعلانيتها قليلها وكثيرها قال الربيع بن
انس نهى الله عن ظاهر الاثم وباطنه ان يعمل به سرا وعلانية وقال سعيد بن جبير في هذه الاية الظاهر
منه قوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف ونكاح المحارم من الامهات والبنات
والاخوات والباطن الزنا وقال السدي اما الظاهر فالزواني في الحوانيت وهن اصحاب الرايات

واما الباطن فالمراة يتخذها الرجل صديقة فياتيها سرا وقال الضحاك كان اهل الجاهلية يستترون بالزنا ويرون ان ذلك حلال ما كان سرا فحرم الله السر منه والعلانية وقال ابن زيد ظاهر الاثم التجرد من الثياب والتعري في الطواف والباطن الزنا وقال الكلبي ظاهر الاثم طواف الرجال بالبيت نهارا عراة وباطنه طواف النساء بالليل عراة وكان اهل الجاهلية يفعلون ذلك الى ان جا الاسلام فنهى الله عن ذلك كله وقيل ان هذا النهي عام في جميع المحرمات التي نهى الله عنها وهو الاصح لان تخصيص العام بصورة معينة من غير دليل لا يجوز فعلى هذا القول يكون معنى الاية وذروا ما اعلنتم به وما اسررتم من الذنوب كلها قال ابن الانباري وذروا الاثم من جميع جهاته وقيل المراد بظاهر الاثم الاقدام على الذنوب من غير مبالاة وباطنه ترك الذنوب لخوف الله عز وجل لا لخوف الناس وقيل المراد بظاهر الاثم افعال الجوارح وباطنه افعال القلوب فيدخل فيه ذلك الحسد والكبر والعجب وارادة السو للمسلمين ونحو ذلك وقوله تعالى ان الذين يكسبون الاثم يعني ان الذين يعملون بما نهاهم الله عنه ويرتكبون ما حرم الله عليهم من المعاصي وغيرها سيجزون يعني في الاخرة بما كانوا يقترفون يعني بما كانوا يكسبون في الدنيا من الاثام وظاهر هذا النص يدل على عقاب للذنب انه مخصوص بمن لم يتب لان المسلمين اجمعوا على انه اذا تاب العبد من الذنب توبة صحيحة لم يعاقب وزاد اهل السنة في ذلك فقالوا المذنب اذا لم يتب فهو في خطر المشية ان شا عاقبه وان شا عفى عنه بفضله وكرمه قوله

قوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال ابن عباس الاية في تحريم الذبايح التي كانوا يذبحونها على اسم للاصنام

فصل اختلف العلما في ذبيحة المسلم اذا لم يذكر اسم الله عليها فذهب قوم الى تحريمها سوا تركها عامدا او ناسيا وهو قول ابن سيرين والشعبي ونقله الامام فخر الدين عن مالك ونقل عن عطا انه قال كل ما لم يذكر اسم الله عليه من طعام او شراب فهو حرام واحتجوا في ذلك بظاهر هذه الاية وقال الثوري وابو حنيفة ان ترك التسمية عامدا لا تحل وان تركها ناسيا حل وقال الشافعي تحل الذبيحة سوا ترك التسمية عامدا او ناسيا ونقله البغوي عن ابن عباس ومالك ونقله ابن الجوزي عن احمد واتبع فيما اذا ترك التسمية عامدا وان تركها ناسيا حلت فمن اباح اكل الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها قال المراد من الاية الميتات وما ذبح على اسم الاصنام بدليل انه قال تعالى في سياق الاية وانه لفسق واجمع العلما ان اكل ذبيحة المسلم التي ترك التسمية عليها لا يفسق واحتجوا ايضا في اباحتها بما روى البخاري في صحيحه عن عايشة قالت قالوا يا رسول الله ان هنا اقواما حديثا عهدهم بشرك ياتوننا بلحمان فلا ندري يذكرون اسم الله عليها ام لا قال اذكروا انتم اسم الله وكلوا قالوا لو كانت التسمية شرطا للاباحة لكان الشك في وجودها مانعا من اكلها كالشك في اصل الذبح وقال الشافعي اول الاية وان كان عاما بحسب الصيغة الا ان اخرها لما حصلت فيه هذه القيود الثلاث وهي قوله وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليايهم وان اطعتموهم انكم لمشركون علمنا ان المراد من هذا العموم هو الخصوص والفسق ذكر اسم غير الله في الذبح كما قال في اخر السورة قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الى قوله او فسقا اهل لغير الله به فصار هذا الفسق اهل لغير الله مفسرا لقوله وانه لفسق مخصوص بما اهل لغير الله به والله اعلم وقوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليايهم ليجادلوكم يعني ان الشياطين يوسوسون الى اوليايهم من المشركين ليجادلوكم وذلك انهم خاصموا محمدا صلى الله عليه وسلم وذلك ان المشركين قالوا يا محمد اخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها

تنبيه على قول العلما اختلف العلما في ذبيحة المسلم اذا لم يذكر اسم الله عليها

قالوا فتزعم ان ما قتلت انت واصحابك حلال وما قتله الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فانزل الله عز وجل هذه الاية وقال عكرمة لما نزلت هذه الاية في تحريم الميتة كتبت فارس وهم المجوس الى مشركي قريش ان خاصموا محمدا وقولوا له ان ما ذبحت فهو حلال وما ذبحه الله فهو حرام فانزل الله وان الشياطين يعني مردة الانس وهم المجوس ليوحون الى اوليايهم يعني مشركي قريش وكان بين فارس والروم موالاة ومكاتبة على الروم فعلى هذا يكون المراد بالوحي المكاتبة في خفية وان اطعتموهم يعني في اكل الميتة وما حرم الله عليكم انكم لمشركون يعني انكم اذا مثلهم في الشرك قال الزجاج فيه دليل على ان كل من احل شيا مما حرم الله او حرم شيا مما احل الله فهو مشرك وانما سمي مشركا لانه اثبت حاكما غير الله عز وجل ومن كان كذلك فهو مشرك قوله عز وجل او من كان ميتا فاحييناه يعني او من كان ميتا بالكفر فاحييناه بالايمان وانما جعل الكفر موتا لانه جعل الايمان حياة لان الحي صاحب بصر يهتدي الى رشده ولما كان الايمان يهدي الى الفوز العظيم والحياة الابدية شبهه بالحياة وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يعني وجعلنا له نورا يستضي به في الناس ويهتدي به الى قصد السبيل قيل النور هو الاسلام لانه يتخلص من ظلمات الكفر لقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقال قتادة هو كتاب الله القران لانه بينة من الله مع المومن بها يعمل كمن مثله في الظلمات يعني كمن هو في ظلمة الكفر وظلمة الجهل وظلمة عمى البصر ليس بخارج منها يعني من تلك الظلمات وهذا مثل ضربه الله تعالى لحال المومن والكافر بين ان المومن المهتدي بمنزلة من كان ميتا فاحياه واعطاه نورا يهتدي به في مصالحه وان الكافر بمنزلة من هو في ظلمات منغمس فيها ليس بخارج منها فيكون متحيرا على الدوام ثم اختلف المفسرون في هذين المثلين هل هما مخصوصان بانسانين معينين او هما عامان في كل مومن وكافر فذكروا في ذلك قولين احدهما ان الاية في رجلين معينين ثم اختلفوا فيهما فقال ابن عباس في قوله وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يريد حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم كمن مثله في الظلمات يريد ابا جهل بن هشام وذلك ان ابا جهل رمى النبي صلى الله عليه وسلم بفرث فاخبر حمزة بما فعل ابو جهل وكان حمزة قد رجع من صيد وبيده قوس وحمزة لم يومن بعد فاقبل حمزة غضبان حتى علا ابا جهل وجعل يضربه بالقوس وجعل ابو جهل يتضرع الى حمزة ويقول يا ابا يعلى اما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب الهتنا وخالف اباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم عقولا تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فاسلم حمزة يومئذ فانزل الله هذه الاية وقال الضحاك نزلت في عمر بن الخطاب وابي جهل وقال عكرمة والكلبي نزلت في عمار بن ياسر وابي جهل وقال مقاتل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل وذلك ان ابا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا نحن وهم كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نومن الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت هذه الاية والقول الثاني وهو قول الحسن في اخرين ان هذه الاية عامة في حق كل مومن وكافر وهذا هو الصحيح لان المعنى اذا كان حاصلا في الكل دخل فيه كل احد وقوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون قال اهل السنة المزين هو الله تعالى ويدل عليه قوله زينا لهم اعمالهم ولان حصول الفعل يتوقف على حصول الدواعي وحصولها لا يكون الا بخلق الله تعالى فدل ذلك على ان المزين هو الله تعالى وقالت المعتزلة المزين هو الشيطان ويرده ما تقدم وقوله تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها وكما جعلنا في مكة اكابر وعظما جعلنا في كل قرية اكابر وعظما وقيل هو معطوف على ما قبله ومعناه وكما زينا للكافرين ما

كانوا يعملون كذلك جعلنا في كل قرية اكابر جمع الاكبر ولا يجوز ان يكون مضافا لانه لا يتم المعنى بل في الاية
تقديم وتاخير تقديره وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها اكابر وانما جعل المجرمين اكابر لانهم اقدر على
المكر والغدر وترويج الباطل بين الناس من غيرهم وانما حصل ذلك لاجل رياستهم وذلك سنة الله
انه جعل في كل قرية اتباع الرسل ضعفاهم وجعل فساقهم اكابرهم ليمكروا فيها قال ابو عبيدة المكر الخديعة
والحيلة والغدر والفجور زاد بعضهم والغيبة والنميمة والايمان الكاذبة وترويج الباطل قال ابن
عباس معناه ليقولوا فيها الكذب وقال مجاهد جلس على كل طريق من طرق مكة اربعة نفر ليصدوا
الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقولوا هو كذاب ساحر كاهن فكان هذا مكرهم يعود عليهم
وما يمكرون الا بانفسهم يعني ما يحيق هذا المكر الا بهم لان وبال مكرهم وما يشعرون يعني ان وبال ذلك
المكر يعود عليهم ويضرهم قوله عز وجل واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل
الله يعني من النبوة وذلك ان الوليد بن المغيرة قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت
انا اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل نزلت في ابي جهل
وذلك انه قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله
لا نؤمن به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فانزل الله هذه الاية واذا جاءتهم اية يعني حجة
بينة ودلالة واضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم قالوا يعني الوليد بن المغيرة وابا جهل بن
هشام او كل واحد من رؤساء الكفر ويدل عليه الاية التي قبلها وهي قوله وكذلك جعلنا في كل قرية
اكابر مجرميها ليمكروا فيها فكان من مكر كفار قريش ان قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله
يعني من النبوة وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة حسدا منهم للنبي صلى الله عليه وفي قولهم لن نؤمن
حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قولان احدهما وهو المشهور ان القوم ارادوا ان تحصل لهم النبوة والرسالة
كما حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم وان يكونوا متبوعين لا تابعين والقول الثاني وهو قول الحسن
ومنقول عن ابن عباس ان المعنى واذا جاءتهم اية من القران تامرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم
قالوا لن نؤمن لك يعني لن نصدقك حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل
نصدقك بانك رسول الله فعلى هذا القول لم يطلبوا النبوة وانما طلبوا ان تخبرهم الملائكة بصدق محمد
صلى الله عليه وسلم وانه رسول من الله تعالى وعلى القول الاول انهم طلبوا ان يكونوا انبياء ويدل على صحة
هذا القول سياق الاية وهو قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته يعني انه تعالى يعلم من يستحق
الرسالة فيشرفه بها ويعلم من لا يستحقها ومن ليس لها باهل وانهم ليسوا لها باهل ولان النبوة لا
تحصل لمن يطلبها خصوصا لمن عنده حسد ومكر وغدر وقال اهل المعاني الابلغ في تصديق الرسل ان لا
يكونوا قبل البعثة مطاعين في قومهم لان الطعن كان يتوجه عليهم فيقال انما كانوا رؤساء مطاعين فاتبعهم
قومهم لاجل ذلك فكان الله تعالى اعلم بمن يستحق الرسالة فجعلها ليتيم ابي طالب دون ابي جهل والوليد
وغيرهما من اكابر قريش ورؤسائها وقوله تعالى سيصيب الذين اجرموا صغار اي ذلة وهوان وقيل
هو الصغار هو الذل الذي يصغر الى المرء نفسه فيه عند الله يعني هذا من عند الله وقيل معناه ان
هذا الصغار ثابت لهم عند الله فعلى هذا القول انما يحصل لهم هذا الصغار في الاخرة وقيل معناه سيصيبهم
صغار بحكم الله حكم به عليهم في الدنيا وعذاب شديد يعني في الاخرة بما كانوا يمكرون يعني انما حصل
لهم هذا الصغار والعذاب بسبب مكرهم وحسدهم وطلبهم ما لا يستحقون قوله تعالى فمن يرد الله

أن

ان يهديه يشرح صدره للاسلام والايمان يقال شرح الله صدره فانشرح اي وسعه لقبول الايمان
والخير فتوسع وذلك ان الانسان اذا اعتقد في عمل من الاعمال ان نفعه زايد وخيره راجح وربحه
ظاهر مال بطبعه اليه وقويت رغبته فيه فتسمى هذه الحالة سعة النفس وانشراح الصدر وقيل الشرح
الفتح والبيان يقال شرح فلان امره اذا اوضحه واظهره وشرح المسالة اذا كانت مشكلة فاوضحها
وبينها فقد ثبت ان للشرح معنيين احدهما الفتح ومنه يقال شرح الكافر بالكفر صدرا اي فتحه لقبوله
ومنه قوله تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا وقوله افمن شرح الله صدره للاسلام يعني فتحه ووسعه
لقبوله والثاني ان الشرح نور يقذفه الله تعالى في قلب العبد فيعرف بذلك النور الحق فيقبله وينشرح
صدره له ومعنى الاية فمن يرد الله ان يهديه للايمان بالله وبرسوله وبما جاء به من عنده يوفقه
له ويشرح صدره لقبوله والتخلي وبهونه عليه ويسهله له بفضله وكرمه ولطفه به واحسانه
اليه فعند ذلك يستنير الاسلام في قلبه فيضيء به ويتسع له صدره ولما نزلت هذه الاية سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور يقذفه الله في قلب المومن فينشرح
له صدره وينفسح قيل فهل لذلك امارة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور
والاستعداد للموت قبل نزول الموت واسنده الطبري عن ابن مسعود قال قيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم حين نزلت عليه هذه الاية فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
اذا دخل النور في القلب انفسح وانشرح قالوا فهل لذلك من اية يعرف بها قال الانابة الى دار الخلود والتجافي
عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقي الموت وقوله تعالى ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا
حرجا يعني يجعل صدره ضيقا حتى لا يدخله الايمان وقال الكلبي ليس للخير فيه منفذ وقال ابن عباس
اذا سمع ذكر الله اشماز قلبه واذا سمع ذكر الاصنام ارتاح الى ذلك وقرا عمر بن الخطاب هذه الاية
وعنده اعرابي من كنانة فقال له ما الحرجة فيكم قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الاشجار التي لا يصل
اليها راعية ولا وحشية ولا شيء فقال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل اليه شيء من الخير واصل الحرج الضيق
وهو ماخوذ من الحرجة والاشجار الملتف بعضها على بعض حتى لا يصل اليها شيء وقرا ابن عباس هذه
الاية فقال هل هنا احد من بني بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قالوا الوادي الكثير الشجر المستمسك الذي
لا طريق فيه فقال ابن عباس كذلك قلب الكافر قال اهل المعاني لما كان القلب محلا للعلوم والاعتقادات
وصف الله تعالى قلب من يريد هدايته بالانشراح والانفساح ونوره فقبل ما اودعه من الايمان
بالله ورسوله ووصف قلب من يريد ضلالته بالضيق الذي هو خلاف الشرح والانفساح فدل ذلك
على ان الله تعالى صير قلب الكافر بحيث لا يعي علما ولا استدلالا على توحيد الله والايمان به وفي الاية
دليل على ان جميع الاشياء بمشيئة الله وارادته حتى ايمان المومن وكفر الكافر وقوله تعالى كانما يصعد
في السما يعني ان الكافر اذا دعي الى الاسلام كانه قد كلف ان يصعد الى السما ولا يقدر على ذلك
وقيل يجوز ان يكون المعنى كان قلب الكافر يصعد الى السما نبوا عن الاسلام وتكبرا وقيل ضاق عليه
المذهب فلم يجد الا ان يصعد الى السما وليس يقدر على ذلك وقيل هو من المشقة وصعوبة الامر ويكون
المعنى ان الكافر اذا دعي الى الاسلام فانه يتكلف مشقة وصعوبة في ذلك كمن يتكلف الصعود الى السما
وليس يقدر على ذلك كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يومنون الكاف في كذلك تفيد التشبيه
وفيه وجهان الاول معناه ان جعله الرجس عليهم كجعله صدورهم ضيقة حرجة والمعنى كما جعلنا

صدورهم ضيقة حرجة كذلك يجعل الله الرجس عليهم الوجه الثاني قال الزجاج اي مثل ما قصصنا
عليك كذلك يجعل الله الرجس قال ابن عباس الرجس الشيطان اي نسلط عليهم وقال مجاهد
الرجس ما لا خير فيه وفي رواية عن ابن عباس ان الرجس العذاب وقال الزجاج الرجس في الدنيا
اللعنة وفي الاخرة العذاب قوله عز وجل **وهذا صراط ربك مستقيما** يعني وهذا الذي بينا
لك يا محمد في هذه السورة وغيرها من سور القران هو صراط ربك يعني دينه الذي شرعه لعباده
ورضيه لنفسه وجعله مستقيما لا اعوجاج فيه قال ابن عباس في قوله وهذا صراط ربك مستقيما
يعني الاسلام وقال ابن مسعود يعني القران لانه يودي من تبعه وعمل به الى طريق الاستقامة والسداد
قد فصلنا الايات يعني قد فصلنا ايات القران بالوعد والوعيد والثواب والعقاب والحلال
والحرام والامر والنهي وغير ذلك من احكام القران **لقوم يذكرون** يعني لمن يذكر بها ويتعظ بما فيها
من المواعظ والعبر قال عطا يعني اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم باحسان **لهم دار السلام**
عند ربهم يعني الجنة في قول جميع المفسرين قال الحسن والسدي السلام هو الله تعالى وداره الجنة ومعنى
السلام في اسما الله تعالى ذو السلام وهو جمع سلامة لانه تعالى ذو السلامة من جميع الافات والنقا[يص]
فعلى هذا القول اضيفت الدار الى السلام الذي هو اسم الله اضافة تشريف وتعظيم كما قيل للكعبة
بيت الله وللنبي صلى الله عليه وسلم عبد الله في قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه واحتج لصحة هذا
ان اضافة الدار الى الله تعالى في نهاية تشريفها وتعظيمها فكان ذكر الاضافة مبالغة في تعظيمها
وقيل ان السلام صفة للدار لانها دار السلامة الدايمة التي لا تنقطع فعلى هذا يكون السلام بمعنى
السلامة كانه قال لهم دار السلامة التي لا يلقون فيها شيا يكرهونه وقيل سميت بذلك لان جميع
حالاتها مقرونة بالسلامة كما قال تعالى في وصفها ادخلوها بسلام امنين والملكة يدخلون عليهم
من كل باب سلام عليكم وقال تحيتهم فيها سلام وقال سلام قولا من رب رحيم لا يسمعون فيها لغوا
الا سلاما وقوله عند ربهم يعني ان الجنة معدة مهياة لهم عند ربهم حتى يوصلهم اليها **وهو وليهم بما**
كانوا يعملون يعني انه تعالى يتولى امرهم وايصال المنافع اليهم ويدفع المضار عنهم وقيل معناه انه يتولاهم
في الدنيا بالتوفيق والهداية وفي الاخرة بالجزا والجنة وقيل الولي هو الناصر والقريب يعني انه تعالى
ينصرهم في الدنيا ويقربهم في الاخرة بسبب اعمالهم الصالحة التي كانوا يتقربون بها اليه في الدنيا قوله
تعالى **ويوم نحشرهم جميعا** اي اذكر يا محمد يوم نحشر العادلين بالله الاصنام مع اوليايهم من الشيطان
يعني نحشر المشركين والشياطين جميعا في يوم القيمة **يا معشر الجن** فيه حذف تقديره يقول لهم يا معشر
الجن والمعشر الجماعة والمراد من الجن الشياطين **قد استكثرتم من الانس** يعني من اضلالهم واغوايهم وقال
ابن عباس معناه اضللتم كثيرا من الانس وهذا التفسير لا بد له من تاويل لان الجن لا يقدرون
على اضلال الانس واغوايهم بانفسهم لانه لا يقدر على الجبر احد الا الله لانه هو المنفرد في خلقه
بما شا فوجب ان يكون المعنى قد استكثرتم من الدعا الى الاضلال مع مصادفة القبول في الانس **وقال**
اولياوهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض يعني استمتع الجن بالانس والانس بالجن فاما استمتاع
الانس بالجن فقال الكلبي كان الرجل في الجاهلية اذا سافر ونزل بارض قفر وخاف على نفسه من الجن قال
اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفها قومه فيبيت في جوارهم واما استمتاع الجن بالانس فهو انهم قالوا سدنا
الانس مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون بذلك شرفا في قومهم وعظما في انفسهم وقيل استمتاع الانس بالجن

هو ما كانوا يلقون اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم الامور التي كانوا يهوونها وتسهيل
سبلها عليهم واستمتاع الجن بالانس طاعة الانس للجن فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي
وقيل استمتاع الانس بالجن فيما كانوا يدلونهم على انواع الشهوات واصناف الطيبات وتسهلونها
عليهم واستمتاع الجن بالانس هي طاعة الانس للجن فيما يامرونهم به ونفاذ حكمهم فصاروا
كالروسا للانس والانس كالاتباع وقيل ان قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض هو من كلام الانس
خاصة لان استمتاع الجن بالانس وبالعكس امر نادر لا يكاد يظهر اما استمتاع الانس بعضهم ببعض
فهو ظاهر فوجب حمل الكلام عليه **وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا** يعني ان ذلك الاستمتاع كان
الى اجل معين ووقت محدود ثم ذهب وبقيت الحسرة والندامة قال الحسن والسدي الاجل
الموت وقيل هو وقت البعث للحساب في يوم القيمة **قال** يعني قال الله لهولا الذين استمتع
بعضهم ببعض من الجن والانس **النار مثواكم** يعني ان النار مقامكم ومنزلكم فيها ومصيركم اليها **خالدين**
فيها يعني مقيمين في نار جهنم ابدا **الا ما شا الله** اختلفوا في معنى هذا الاستثنا فقيل معناه خالدين
فيها الا قدر مدة بعثهم ووقوفهم للحساب الى حين دخولهم الى النار فان هذا الوقت لم يشوا خالدين
فيه في النار وقيل المراد من هذا الاستثنا هو اوقات ينقلهم من عذاب الى عذاب اخر وذلك انهم يستغيثون
من النار فينقلون الى الزمهرير ثم يستغيثون منه فينقلون الى النار فكان مدة نقلهم هو المراد من هذا الاستثنا
ونقل جمهور المفسرين عن ابن عباس انه قال ان هذا الاستثنا يرجع الى قوم سبق فيهم علم الله انهم يسلمون ويصدقون
النبي صلى الله عليه وسلم فيخرجون من النار فعلى هذا التاويل تكون ما في قوله الا ما شا الله بمعنى
من يعني الا من شا الله ونقل الطبري عن ابن عباس انه كان يتاول هذا الاستثنا ان الله عز وجل جعل
امر هولا القوم في مبلغ عذابهم الى مشيته وقال في هذه الاية انه لا ينبغي لاحد ان يحكم على الله في خلقه
لا ينزلهم جنة ولا نارا قال الزجاج والقول الاول اولى لان معنى الاستثنا انما هو من يوم القيمة لان قوله
ويوم نحشرهم جميعا هو يوم القيمة ثم قال خالدين فيها منذ يبعثون الا ما شا الله من مقدار حشرهم من
قبورهم ومقدار مدة محاسبتهم **ان ربك حكيم** يعني في تدبير خلقه وتصريفه اياهم في مشيته من حال الى حال
وغير ذلك من افعاله وقيل حكيم فيما يفعله من ثواب المطايع وعقاب العاصي وفي ساير وجوه المجازات
عليم يعني بعواقب امور خلقه وما هم اليه صايرون كانه قال انما حكمت لهولا بالخلود في النار لعلمي بانهم يستحقون
ذلك قوله عز وجل **وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا** الكاف في ذلك كاف التشبيه تقتضي شيا تقدم
ذكره فالتقدير كما انزلت العذاب بالجن والانس الذين استمتع بعضهم ببعض كذلك نولي بعض الظالمين
بعضا اي نسلط بعضهم على بعض فياخذ من الظالم بالظالم كما جا في الاثر من اعان ظالما سلطه الله
عليه قال قتادة يجعل بعضهم اوليا بعض فالمومن ولي المومن حيث كان واين كان والكافر ولي الكافر
حيث كان واين كان وفي رواية اخرى عن قتادة قال يتبع بعضهم بعضا في النار من الموالاة وقيل معناه
نولي ظلمة الانس ظلمة الجن وظلمة الجن ظلمة الانس يعني نكل بعضهم الى بعض وقال ابن عباس في تفسير
هذه الاية هو ان الله تعالى اذا اراد بقوم خيرا ولى عليهم خيارهم واذا اراد بقوم شرا ولى عليهم شرارهم
فعلى هذا القول ان الرعية متى كانوا ظالمين سلط الله عز وجل عليهم ظالما مثلهم فمتى ارادوا ان يتخلصوا
من ظلم ذلك الظالم فليتركوا الظلم وقوله تعالى **بما كانوا يكسبون** يعني نسلط عليهم من يظلمهم بسبب
اعمالهم الخبيثة التي اكتسبوها قوله تعالى **يا معشر الجن والانس** المعشر كل جماعة امرهم واحد والجمع المعاشر

الم يأتكم رسل منكم اختلف العلماء في معنى هذه الآية وهل كان من الجن رسل ام لا فذهب اكثر العلماء الى انه
لم يكن من الجن رسول وانما كانت الرسل من الانس واجابوا عن قوله رسل منكم يعني من احدكم وهم الانس
فحذف المضاف فهو كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما وهو الملح دون العذب
وانما جاز ذلك لان ذكرهما قد جمع في قوله مرج البحرين وهذا جائز في كل ما اتفق في اصله فكذلك لما اتفق
ذكر الجن مع الانس جاز مخاطبتهما بما ينصرف الى احد الفريقين وهم الانس وهذا قول الفراء والزجاج ومذهب
جمهور اهل العلم قال الواحدي وعليه دل كلام ابن عباس لانه قال يريد انبياء من جنسهم ولم يكن من جنس
الجن انبياء وذهب قوم الى انه ارسل الى الجن رسلا منهم كما ارسل الى الانس رسلا منهم قال الضحاك من
الجن رسل كما من الانس رسل فظاهر الآية يدل على ذلك لانه تعالى قال الم يأتكم رسل منكم فخاطب الفريقين
جميعا واجيب عن ذلك بان الله عز وجل قال يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم وهذا يقتضي كون
الرسل بعضا من ابعاض هذا المجموع واذا كانت الرسل من الانس كانت الرسل بعضا من ابعاض هذا المجموع
وكان هذا القول اولى من حمل لفظ الآية على ظاهرها فثبت بذلك كون الرسل من الانس لا من الجن ويحتمل
ايضا ان يقال ان كافة الرسل كانوا من الانس لكن الله تعالى يلقي الداعية في قلوب قوم من الجن حتى يسمعوا
كلام الرسل من الانس ثم يأتوا قومهم من الجن فيخبرونهم بما سمعوا من الرسل وينذرونهم كما قال تعالى واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين فكان اولئك النفر من الجن رسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى قومهم وهذا مذهب مجاهد فانه قال الرسل من الانس والنذر من الجن ونحو ذلك
قال ابن جريج وابو عبيدة وقيل كانت الرسل يبعثون الى الجن من الجن ولكن بواسطة رسل الانس والله اعلم
بمراده واسرار كتابه وقوله تعالى **يقصون عليكم آياتي** يعني يخبرونكم بما اوحي اليهم من آياتي الدالة على
توحيدي وتصديق رسلي **وينذرونكم لقاء يومكم هذا** يعني ويحذرونكم ويخوفونكم وينذرونكم لقاء عذابي في
يومكم هذا وهو يوم القيامة وذلك ان الله تعالى يقول يوم القيامة لكفار الجن والانس على سبيل التقريع
والتوبيخ ما اخبر في كتابه وهو قوله يا معشر الجن والانس الآية فيجيبونه بما اخبر عنهم في قوله تعالى **قالوا** يعني
كفار الجن والانس **شهدنا على انفسنا** اعترفوا بان الرسل قد اتتهم وبلغتهم رسالات ربهم وانذرتهم لقاء يومهم
هذا وانهم كذبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله تعالى **وغرتهم
الحياة الدنيا** يعني انما كان ذلك بسبب انهم غرتهم الحياة الدنيا ومالوا اليها **وشهدوا على انفسهم انهم كانوا
كافرين** يعني في الدنيا فان قلت كيف اقروا على انفسهم بالكفر في هذه الآية وجحدوا الشرك والكفر في قوله والله
ربنا ما كنا مشركين قلت يوم القيامة يوم طويل والاحوال فيه مختلفة فاذا رأوا ما حصل للمؤمنين من الخير
والفضل والكرامة انكروا الشرك لعل ذلك الانكار ينفعهم فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فحينئذ يختم على افواههم
وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر فذلك قوله وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين فان قلت لم كرر
شهادتهم على انفسهم قلت شهادتهم الاولى اعتراف منهم بما كانوا عليه في الدنيا من الشرك والكفر وتكذيب الرسل
وفي قوله وشهدوا على انفسهم ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحياة
الدنيا ولذاتها فكان عاقبة امرهم انهم اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والمقصود من شرح حالهم
تحذيرا للسامعين وزجر لهم عن الكفر والمعاصي قوله عز وجل **ذلك** اشارة الى ما تقدم ذكره من بعثة الرسل اليهم
وانذارهم سوء العاقبة وقال الزجاج معناه ذلك الذي قصصنا عليك من امر الرسل وامر عذاب من كذبهم
ان لم يكن ربك يعني لانه لم يكن ربك **مهلك القرى بظلم واهلها غافلون** قال الكلبي معناه لم يكن يهلكهم

بذنوبهم من قبل ان يأتيهم الرسل فتنهاهم فان رجعوا والا اتاهم العذاب وهذا قول جمهور المفسرين قال الفراء
يجوز ان يكون المعنى لم يكن ليهلكهم بظلم منه وهم غافلون فعلى قول الجمهور يكون الظلم فعلا للكفار وهو
شركهم وذنوبهم التي عملوها وعلى قول الفراء انه لو اهلكهم قبل بعثة الرسل لكان ظالما والله عز وجل يتعالى
عن الظلم والقول الاول اصح لانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه في شيء من افعاله
غير انه اخبر انه لا يعذب قبل بعثة الرسل ولو فعل ذلك لم يكن ظلما منه قوله تعالى **ولكل درجات مما عملوا**
يعني ولكل عامل بطاعة الله او بمعصيته درجات يعني منازل يبلغها بعمله ان كان خيرا فخير وان كان
شرا فشر وانما سميت درجات لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط وكتفاضل الدرج وهذا انما يكون
في الثواب والعقاب على قدر اعمالهم في الدنيا فمنهم من هو اعظم ثوابا ومنهم من هو اشد عقابا وهذا
قول جمهور المفسرين وقيل ان قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا مختص باهل الطاعة لان لفظ الدرجة
لا يليق الا بهم وقوله تعالى **وما ربك بغافل عما يعملون** مختص باهل الكفر والمعاصي ففيه وعيد وتهديد
لهم والقول الاول اصح لان علمه تعالى شامل لكل المعلومات فيدخل فيه المؤمن والكافر والطائع والعاصي
وانه عالم باعمالهم على التفصيل التام فيجزي كل عامل على قدر عمله وبما يليق به من ثواب او عقاب قوله
عز وجل **وربك الغني** يعني عن خلقه وذلك انه تعالى لما بين ان لكل عامل بطاعة او معصية درجة على
قدر عمله بين ان تخصيص المطيعين بالثواب والعاصين بالعقاب ليس لانه يحتاج الى طاعة المطيع او
ينتقص بمعصية العاصي بل هو الغني على الاطلاق وان جميع الخلق فقراء اليه **ذو الرحمة** قال ابن عباس
باوليائه واهل طاعته وقال الكلبي بخلقه ذو التجاوز عنهم فمن رحمته تأخير العذاب عن المذنبين لعلهم
يتوبون ويرجعون **ان يشأ يذهبكم** يعني يهلككم والخطاب لاهل مكة ففيه وعيد وتهديد لهم **ويستخلف**
يعني وينشئ ويخلف **من بعدكم** يعني من بعد هلاككم **ما يشاء** يعني خلقا غيركم امثل واطوع منكم **كما انشأكم
من ذرية قوم آخرين** اختلفت عبارات المفسرين في هذه اللفظة فقال البغوي يعني آباءهم الماضين قرنا
بعد قرن ونحوه قال الواحدي وقال صاحب الكشاف يعني من اولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل
سفينة نوح عليه السلام وقال الامام فخر الدين الرازي في قوله تعالى ويستخلف من بعدكم يعني من بعد
اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا على طريق البدل من فائت واما قوله ما يشاء فالمراد منه خلق ثالث
ورابع واختلفوا فقال بعضهم خلقا آخر من امثال الجن والانس قال القاضي وهذا الوجه اقرب لان القوم
يعلمون بالعادة انه تعالى قادر على انشاء امثال هذا الخلق فمتى حمل على خلق ثالث ورابع يكون اقوى في دلالة
القدرة فكانه تعالى نبه على ان قدرته ليست مقصورة على جنس دون جنس من الخلق الذين يصلحون
لرحمته العظيمة التي هي الثواب فبين بهذا الطريق انه تعالى برحمته لهؤلاء الاقوام الحاضرين ابقاهم واهملهم
ولو شاء لاماتهم وافناهم وابدل منهم سواهم ثم بين تعالى قوة قدرته على ذلك فقال كما انشأكم من ذرية قوم
آخرين لان المرء اذا تفكر علم انه تعالى خلق الانسان من نطفة ليس فيها من صورته قليل ولا كثير فوجب ان يكون
ذلك لمحض القدرة والحكمة واذا كان كذلك فكما قدر على تصوير هذه الاجسام بهذه الخاصة فكذلك
يقدر على تصويرهم خلقا آخر مخالفا لهذا آخر كلامه وقال الطبري في قوله كما انشأكم من ذرية قوم
آخرين يقول كما احدثكم وابتدعكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم ومعنى من في هذا الموضع التعقيب كما يقال
في الكلام اعطيتك من دينارك ثوبا يعني مكان الدينار ثوبا لان الثوب من الدينار بعض كذلك الذين خوطبوا
بقوله كما انشأكم لم يرد باخبارهم هذا الخبر انهم انشئوا من اصلاب قوم آخرين ولكن معنى ذلك ما ذكرنا انهم

انشئوا امكان قوم الحرث قد هلكوا اقبلهم قوله تعالى انما توعدون لات يعني ما توعدون به من مجي الساعة
والبعث بعد الموت والحشر للحساب يوم القيمة لات يعني انه كاين قريب وما انتم بمعجزين يعني بفائتين
حيث ما كنتم يدركم الموت قوله عز وجل قل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد يا قوم اي قل
لقومك من كفار قريش اعملوا على مكانتكم وقرئ مكاناتكم على الجمع والمكانة تكون مصدرا يقال مكن
مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة كما يقال مقام ومقامة فقوله اعملوا
على مكانتكم يحتمل ان يكون معناه اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم ويحتمل ان
يكون معناه اعملوا على حالتكم التي انتم عليها كما يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حالة مكانتك
يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تتغير عنه وقال ابن عباس معناه اعملوا على ناحيتكم اني عامل
يعني عامل على مكانتي التي انا عليها وبما امرني به ربي والمعنى اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر والعداوة
فاني ثابت على الاسلام والمصابرة فان قلت ظاهر هذه الاية يدل على اذن الكفار بالاقامة على
ما هم عليه من الكفر وذلك لا يجوز قلت معنى هذا الامر الوعيد والتهديد والمبالغة في الزجر عن
ما هم عليه من الكفر كانه قال اقيموا على ما انتم عليه من الكفر ان رضيتم لانفسكم بالعذاب الدايم
فهو كقوله تعالى اعملوا ما شيتم فليس تفويضا ان العمل عليهم على سبيل الزجر والتهديد وليس
فيه اطلاق لهم في عمل ما ارادوه من الكفر والمعاصي وقوله تعالى فسوف تعلمون يعني لمن تكون العاقبة
المحمودة لنا ام لكم وقيل معناه فسوف تعلمون عند نزول العذاب بكم اينا كان على الحق في عمله نحن ام انتم
من تكون له عاقبة الدار يعني فسوف تعلمون غدا اي في القيمة لمن تكون عاقبة الدار وهي الجنة انه
لا يفلح الظالمون قال ابن عباس معناه انه لا يسعد من كفر بي واشرك ثم في هذه الاية قولان احدهما
انها محكمة وهذا على قول من يقول ان المراد بقوله اعملوا على مكانتكم الوعيد والتهديد والقول
الثاني انها منسوخة باية السيف وهذا على قول من يقول ان المراد بها ترك القتال قوله تعالى
وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا الاية لما بين الله عز وجل قبح طريقة الكفار وما كانوا
عليه من انكار البعث ونحو ذلك عقبه بذكر انواع من جهالاتهم واحكامهم الفاسدة تنبيها على ضعف
عقولهم وفساد ما كانوا عليه في الجاهلية فقال تعالى وجعلوا لله مما ذرا يعني مما خلق من الحرث
يعني من الزرع والثمر والانعام يعني ومن الانعام وهي الابل والبقر والغنم نصيبا يعني قسما وجزا
قال المفسرون كان المشركون في الجاهلية يجعلون لله من حروثهم وثمارهم وانعامهم وساير اموالهم نصيبا
وللاصنام نصيبا فما جعلوه من ذلك صرفوه الى الضيفان والمساكين وما جعلوه للاصنام
انفقوه عليها وعلى خدمها فان سقط شي مما جعلوه لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله
غني عن هذا وان سقط شي من نصيب الاوثان فيما جعلوه لله ردوه الى الاوثان وقالوا انها
محتاجة اليه وكانوا اذا هلك شي مما جعلوه لله لم يبالوا به واذا انتقص شي مما جعلوه للاوثان
جبروه بما جعلوه لله فذلك قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا وفيه اختصار تقديره
وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا وللاصنام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم يعني
بقولهم الذي هو عن غير حقيقة لان معنى زعم حكاية قول يكون مظنة الكذب وكذلك يجي الا في موضع
ذم لقايليه وانما نسبوا الى الكذب في قولهم هذا لله بزعمهم وان كانت الاشيا كلها لله لان اضافتهم
نصيب الاصنام مع نصيب لله وتسويتهم وقولهم وهذا لشركاينا يعني الاصنام وانما سمي الاصنام شركا

لانهم

لانهم جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقونه عليها فما كان لشركايهم يعني ما جعلوه لها من الحرث
والانعام فلا يصل الى الله يعني فلا يعطونه المساكين ولا ينفقونه على الضيفان وما كان لله
فهو يصل الى شركايهم والمعنى انهم كانوا يقدرون ما جعلوه للاصنام مما جعلوه لله ولا يقدرون
ما جعلوه لله مما جعلوه للاصنام وقال قتادة كانوا اذا اصابتهم سنة اي قحط وشدة استعانوا
بما جعلوه لله واكلوا منه ووفروا ما جعلوه لشركايهم ولم ياكلوا منه شيا وقال الحسن والسدي
كانوا اذا هلك ما جعلوه لشركايهم اخذوا بدله مما جعلوه لله ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لشركايهم
فلذلك ذمهم فقال تعالى ساء ما يحكمون يعني بيس ما يحكمون ويقضون وذلك انهم رجحوا جانب
الاصنام على جانب الله في الرعاية والحفظ وهذا اسفه منهم وقيل ان الاشيا كلها لله عز وجل
وهو خالقها فلما جعلوا للاصنام جزا من المال وهي لا تملك ولا تخلق ولا تضر ولا تنفع نسبوا الى الاشراك
في الحكم والمقصود من ذلك بيان ما كانوا عليه في الجاهلية من هذه الاحكام الفاسدة التي لم
يرد بها شرع ولا نص ولا يحسنها عقل قوله عز وجل وكذلك عطف على قوله وجعلوا لله مما ذرا
من الحرث والانعام نصيبا يعني كما فعلوا جهلا منهم كذلك زين لكثير من المشركين منهم قتل اولادهم
شركاوهم والمعنى ان جعلهم لله نصيبا من اموالهم ولشركايهم نصيبا وذلك في غاية الجهل بمعرفة
الخالق المنعم لانهم جعلوا الاصنام مثله في استحقاق النصيب وكذلك اقدامهم على قتل اولادهم
في نهاية الجهالة ايضا فكانه قال ومثل ذلك الذي فعلوه في القسم جهلا وخطا وضلالا كذلك
زين يعني حسن لكثير من المشركين قتل اولادهم يعني به واد البنات احيا مخافة الفقر والعيلة
شركاوهم يعني شياطينهم امروهم ان يقتلوا اولادهم خشية الفقر وسميت الشياطين شركا لانهم اطاعوهم
فيما امروهم به من معصية الله وقتل الاولاد فاشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم واضيف الشركا الى
المشركين لانهم اطاعوهم واتخذوهم اربابا وقال الكلبي شركاوهم سدنة الهتهم يعني خدامها وهم
الذين كانوا يزينون ويحسنون للكفار قتل الاولاد وكان الرجل في الجاهلية يقوم فيحلف لين ولد
له كذا وكذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله فعلى هذا القول الشركا
السدنة وخدام الاصنام سموا شركا لانهم اشركوهم في الطاعة ليردوهم يعني ليهلكوهم بذلك الفعل
الذي امروهم به والارداء في اللغة الاهلاك قال ابن عباس ليردوهم في النار وليلبسوا عليهم دينهم
يعني وليخلطوا عليهم دينهم قال ابن عباس فيدخلون عليهم الشك في دينهم وكانوا على دين اسمعيل
عليه السلام فرجعوا عنه بتلبيس الشياطين وانما فعلوا ذلك ليزيلوهم عن الدين الحق الذي كان
عليه اسمعيل وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فوضعوا لهم هذه الاوضاع الفاسدة وزينوها
لهم ولو شاء ربك ما فعلوه يعني ولو شاء الله لعصمهم من ذلك الفعل القبيح الذي زين لهم من تحريم
الحرث والانعام وقتل الاولاد اخبر الله عز وجل ان جميع الاشيا بمشيئته وارادته اذ لو لم يشا لما
فعلوا ذلك فذرهم يعني فاتركهم يا محمد وما يفترون يعني وما يختلقون من الكذب على الله فان الله
لهم بالمرصاد قوله تعالى وقالوا يعني المشركين هذه انعام وحرث حجر اي حرام واصله المنع لانه من
منع من الانتفاع منه بتحريمه وقيل هو من التضييق والحبس لانهم كانوا يحبسون اشيا من انعامهم وحروثهم
لالهتهم قال مجاهد يعني بالانعام البحيرة والسايبة والوصيلة والحام لا يطعمها الا من نشا بزعمهم
يعني ياكلها خدام الاصنام والرجال دون النسا وانعام حرمت ظهورها يعني الحوامي وهي الانعام التي

حموا الظهور فاعفوا عن الركوب فكانوا لا يركبونها **وانعام لا يذكرون اسم الله عليها** يعني لا يذكرون اسم الله عند الذبح وانما كانوا يذكرون عليها اسما الاصنام وقيل معناه لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير لانه لما جرت العادة بذكر الله على فعل كل خير ذم هولاء على ترك فعل الخير **افترا عليه** يعني انهم كانوا يفعلون هذه الافعال ويزعمون ان الله امرهم بها وذلك اختلاق وكذب على الله عز وجل **سيجزيهم بما كانوا يفترون** فيه وعيد وتهديد لهم على افترايهم على الله الكذب قوله عز وجل **وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا** يعني نسايا قال ابن عباس وقتادة والشعبي اراد اجنة البحاير والسوايب فما ولد منها حيا فهو خالص للرجال دون النسا وما ولد منها ميتا اكله الرجال والنسا جميعا وهو قوله **وان يكن ميتة فهم فيه شركا** وادخلت الها في خالصة للتاكيد والمبالغة كقولهم رجل علامة ونسابة وقال الفرا ادخلت الها لتانيث الانعام لان ما في بطونها مثلها فانثت بتانيثها وقال الكسائي خالص وخالصة واحد مثل وعظ وموعظة وقيل ان الخالصة عبارة عن مونث جاز ان تونثه على المعنى وتذكيره على اللفظ كما في هذه الاية فانه انث خالصة على المعنى وذكر ومحرم على اللفظ **سيجزيهم وصفهم** يعني سيكافيهم بسبب وصفهم على الله الكذب **انه حكيم عليم** فيه وعيد وتهديد يعني انه تعالى حكيم فيما يفعله عليم بمقدار استحقاقهم قوله تعالى **قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم** قال عكرمة نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومضر وكان الرجل يشارط الرجل على ان يستحيي جارية ويئد اخرى فاذا كانت الجارية التي تئد غدا الرجل او راح من عند امراته وقال لها انت علي كظهر امي ان رجعت اليك ولم تئديها فتخد لها اخدودا في الارض وترسل الى نسايها فيجتمعن عندها ثم يتداولنها حتى اذا ابصرته راجعا دستها في حفرتها ثم سوت عليها التراب وقال قتادة هذا من صنيع اهل الجاهلية كان احدهم يقتل ابنته مخافة السبي والفاقة ويغذو كلبه اما سبب الخسران المذكور في قوله قد خسر الذين قتلوا اولادهم ان الولد نعمة عظيمة انعم الله بها على الوالد فاذا تسبب الرجل في ازالة هذه النعمة عنه وابطالها فقد استوجب الذم وخسر في الدنيا والاخرة اما خسارته في الدنيا فقد سعى في نقص عدده وازالة ما انعم الله به عليه واما خسارته في الاخرة فقد استحق بذلك العذاب العظيم وقوله سفها بغير علم يعني فعلوا ذلك للسفاهة وهي الخفة والجهالة المذمومة وسبب حصول هذه السفاهة هو قلة العلم بل عدمه لان الجهل كان هو الغالب عليهم قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا سموا جاهلية وقوله تعالى **وحرموا ما رزقهم الله** يعني البحاير والسوايب والحوامي وبعض الحروث وبعض ما في بطون الانعام وهذا ايضا من اعظم الجهالة **افترا على الله** يعني انهم فعلوا هذه الافعال المذمومة وزعموا ان الله امرهم بذلك وهذا افترا على الله وكذب وهذا ايضا من اعظم الجهالة لان الجراة على الله والكذب عليه من اعظم الذنوب واكبر الكباير ولهذا قال تعالى **قد ضلوا** يعني في فعلهم عن طريق الحق والرشاد **وما كانوا مهتدين** يعني الى طريق الحق والصواب في فعلهم خ عن ابن عباس قال اذا سرك ان تعلم جهل العرب فاقرا ما فوق الثلاثين والماية من سورة الانعام قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم الى قوله قد ضلوا وما كانوا مهتدين قوله عز وجل **وهو الذي انشا جنات معروشات** يعني والله الذي ابتدع وخلق جنات يعني بساتين معروشات **وغير معروشات** يعني مسموكات مرتفعات وغير مرتفعات واصل العرش في اللغة شي مسقف يجعل عليه الكرم وجمعه عروش يقال عرشت الكرم اعرشه عرشا وعرشته تعريشا اذا جعلته كهيئة السقف واعترش العنب اذا علاه وركبه واختلفوا في معنى قوله معروشات وغير معروشات فقال ابن عباس المعروشات ما

انبسط على الارض وانتشر مما يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ ونحو ذلك وغير معروشات ما قام على ساق ونسق كالنخل والزرع وساير الشجر وقال الضحاك كلاهما في الكرم خاصة لان منه ما يعرش ومنه ما لم يعرش بل يبقى على وجه الارض منبسطا وقيل المعروشات ما غرسه الناس في البساتين واهتموا به فعرشوه من كرم وغيره وغير معروشات هو ما انبته الله في البراري والجبال من كرم او شجر **والنخل والزرع** يعني وانشا النخل والزرع وهو جميع الحبوب التي تقتات وتدخر **مختلفا اكله** يعني به اختلاف الطعوم في الثمار كالحلو والحامض والجيد والردي ونحو ذلك **والزيتون والرمان متشابها** يعني في المنظر **وغير متشابه** يعني في الطعم كالرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف وقيل ان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان ولكن ثمرهما مختلفة في الجنس والطعم **كلوا من ثمره اذا اثمر** لما ذكر الله ما انعم به على عباده من خلق هذه الجنات المحتوية على انواع من الثمار ذكر ما هو المقصود الاصلي وهو الانتفاع بها فقال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر وهذا امر اباحة وتمسك بهذا بعضهم فقال الامر قد يرد في غير الوجوب لان هذه الصيغة مفيدة لدفع الحرج قال بعضهم المقصود منه اباحة الاكل قبل اخراج الحق لانه تعالى لما اوجب الزكاة في الحبوب والثمار كان يحتمل ان يحرم على المالك ان ياكل منها شيا لمكان شركة الفقرا والمساكين معه فاباح الله له ان ياكل قبل اخراج الحق الواجب عليه فيه لان رعاية حق النفس مقدمة على رعاية حق الغير وقيل انما قال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر بصيغة الامر ليعلم ان المقصود من خلق هذه الاشيا التي انعم بها على عباده هو الاكل **واتوا حقه يوم حصاده** يعني يوم جذاذه وقطعه واختلفوا في هذا الحق المامور باخراجه فقال ابن عباس وانس بن مالك هو الزكاة المفروضة وهذا قول طاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب ومحمد بن الحنفية وقتادة قال قتادة في قوله واتوا حقه يوم حصاده هو الصدقة المفروضة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم سن فيما سقت السما والعين السايحة او سقاه الطل والطليل العشر وكان بعلا العشر كاملا وان سقي بنضح او سانية فنصف العشر وهذا فيما يكال من الثمر والزرع وبلغ خمسة اوسق وذلك ثلثماية صاع فقد وجب فيها حق الزكاة وفي رواية عن ابن عباس في قوله تعالى واتوا حقه يوم حصاده قال العشر ونصف العشر وان قلت على هذا التفسير اشكال وهو ان فرض الزكاة كان بالمدينة وهذه السورة مكية فكيف يمكن حمل قوله واتوا حقه على الزكاة المفروضة قلت ذكر ابن الجوزي في تفسيره عن ابن عباس وقتادة ان هذه الاية نزلت بالمدينة فعلى هذا تكون الاية محكمة نزلت في حكم الزكاة وان قلنا ان هذه الاية مكية تكون منسوخة باية الزكاة لانه قد روي عن ابن عباس انه قال نسخت اية الزكاة كل صدقة في القران وقيل في قوله واتوا حقه يوم حصاده انه حق سوى الزكاة فرض يوم الحصاد وهو اطعام من حضر وترك ما سقط من الزرع والثمر وهو قول علي بن الحسين وعطا ومجاهد وحماد قال ابراهيم هو الضغث وقال الربيع هو لقاط السنبل وقال مجاهد كانوا يعلقون العذق عند الصرام فياكل منه من مر وقال يزيد بن الاصم كان اهل المدينة اذا صرموا النخل يجيون بالعذق فيعلقونه في جانب المسجد فيجي المسكين فيضربه بعصاه فما سقط منه اكله فعلى هذا القول هل هذا الامر امر وجوب او استحباب وندب فيه قولان احدهما انه امر وجوب فيكون منسوخا باية الزكاة ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي هل علي غيرها قال لا الا ان تطوع والقول الثاني انه امر ندب واستحباب فتكون الاية محكمة وقال سعيد بن جبير كان هذا حقا يومر باخراجه في ابتدا الاسلام ثم صار منسوخا بايجاب العشر لقول

ابن عباس نسخت الزكاة كل نفقة في القرآن واختار هذا القول الطبري وصححه واختار الواحدي والرازي القول الاول وصححه فان قلت فعلى القول الاول كيف يؤدى الزكاة يوم الحصاد والحب في السنبل وانما يجب الاخراج بعد التنقية والجفاف قلت معناه فقدروا اخراج الواجب منه يوم الحصاد فانه قريب من زمان التنقية والجفاف ولان النخل يجب الاخراج لحق منه يوم حصاده وهو الصرام والزرع محمول عليه الا انه لا يمكن اخراج الحق منه الا بعد التنقية وقيل معناه واتوا الحق الذي وجب يوم حصاده بعد التنقية وقيل ان فائدة ذكر الحصاد ان الحق لا يجب بنفس الزرع وبلوغه انما يجب يوم حصاده وحصوله في يد مالكه لا فيما يتلف من الزرع قبل حصوله في يد مالكه قوله تعالى **ولا تسرفوا** الاسراف تجاوز الحد فيما يفعله الانسان وان كان في الانفاق اشهر وقيل السرف تجاوز ما حد لك وسرف المال انفاقه في غير منفعة ولهذا قال سفيان ما انفقت في غير طاعة الله فهو سرف وان كان قليلا قال ابن عباس في رواية عنه عمد ثابت بن قيس بن شماس فصرم خمسمائة نخلة فقسمها في يوم واحد ولم يترك لاهله شيئا فانزل الله تعالى هذه الاية ولا تسرفوا قال السدي معناه لا تعطوا اموالكم وتقعدوا فقراء قال الزجاج فعلى هذا لو اعطى الانسان كل ماله ولم يوصل الى عياله شيئا فقد اسرف لانه قد صح في الحديث ابدأ بمن تعول وقال سعيد ابن المسيب معناه لا تمنعوا الصدقة فتعصوا وقيل الاية على هذا القول لا تجاوزوا الحد في البخل والامساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وهذان القولان يشتركان في ان المراد من الاسراف مجاوزة الحد الا ان الاول في البذل والاعطاء والثاني في الامساك والبخل وقال مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام في الحرث والانعام فقد جاوز الحد له وقال الزهري معناه لا تنفقوا في معصية الله عز وجل ولو كان ابو قبيس ذهبا فانفقته في طاعة الله لم تكن مسرفا ولو انفقت درهما او مدا في معصية الله كنت مسرفا وقال ابن زيد انما خوطب بهذا السلطان نهي ان يأخذ من رب المال فوق الذي الزمه الله ما له يقول الله عز وجل للسلاطين لا تسرفوا اي لا تأخذوا بغير حق وكانت هذه الاية بين السلطان وبين الناس وقوله تعالى **انه لا يحب المسرفين** فيه وعيد وزجر عن الاسراف في كل شيء لان من لا يحبه الله فهو من اهل النار قوله تعالى **ومن الانعام** يعني وانشأ من الانعام **حمولة** وهي كل ما يحمل عليها من الابل **وفرشا** يعني صغار الابل التي لا تحمل قال ابن عباس الحمولة هي الكبار من الابل والفرش هي الصغار من الابل وقال في رواية اخرى عنه ذكرها الطبري اما الحمولة فالابل والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه واما الفرش فالغنم وقال الربيع بن انس الحمولة الابل والبقر والفرش المعز والضأن فالحمولة كل ما يحمل عليها من الانعام والفرش ما لا يصلح للحمل سمي فرشا لانه يفرش للذبح ولانه قريب من الارض لصغره **كلوا مما رزقكم الله** يعني كلوا مما احله الله لكم من هذه الانعام والحروث **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** يعني لا تسلكوا طريقه واثاره في تحريم الحرث والانعام كما فعله اهل الجاهلية **انه** يعني الشيطان **لكم عدو مبين** يعني انه مبين العداوة لكم ثم بين الحمولة والفرش فقال عز وجل **ثمانية ازواج** يعني وانشأ من الانعام ثمانية ازواج يعني ثمانية اصناف والزوج في اللغة الفرد الذي معه آخر من جنسه لا ينفك عنه فيطلق لفظ الزوج على الواحد كما يطلق على الاثنين فيقال للذكر زوج وللانثى زوج **من الضأن اثنين** يعني الذكر والانثى والضأن ذوات الصوف من الغنم والواحد ضائن والانثى ضائنة والجمع ضوائن **ومن المعز اثنين** يعني الذكر والانثى والمعز ذوات الشعر من الغنم والواحد ماعز والجمع معزى **قل آلذكرين حرم ام الانثيين** استفهام انكار اي قل يا محمد لهؤلاء الجهلة الذكرين من الضأن والمعز حرم الله عليكم ام الانثيين منهما فان كان حرم الذكرين من الغنم فكل ذكورها حرام وان كان حرم الانثيين

منهما فكل اناثهما حرام **اما اشتملت عليه ارحام الانثيين** يعني ام حرم ما اشتملت عليه ارحام الانثيين من الضأن والمعز فانها لا تشتمل الا على ذكر او انثى **نبئوني** اخبروني وفسروا لي ما حرم **بعلم ان كنتم صادقين** يعني ان الله حرم ذلك عليكم **ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين** وهذه اربعة ازواج اخر تتمة الثمانية **قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين** وتفسير هذه على نحو ما تقدم وفي هاتين الايتين تقريع وتوبيخ من الله تعالى لاهل الجاهلية بتحريمهم ما لم يحرمه الله وذلك انهم كانوا يقولون هذه انعام وحرث حجر وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وكانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء وبعضها على النساء دون الرجال كما اخبر الله عنهم في كتابه فلما جاء الاسلام وثبتت الاحكام جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم وكان خطيبهم مالك بن عوف الجشمي فقال يا محمد بلغنا انك تحرم اشياء مما كان اباؤنا يفعلونه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرمتم اصنافا من النعم على غير اصل وانما خلق الله هذه الازواج الثمانية للاكل والانتفاع بها فمن اين جاء هذا التحريم من قبل الذكر ام من قبل الانثى فسكت مالك ابن عوف وتحير ولم يتكلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لمالك يا مالك ما لك لا تتكلم فقال بل انت تكلم واسمع منك قال المفسرون فلو قال جاء التحريم من قبل الذكر بسبب الذكورة وجب ان يحرم جميع الذكور ولو قال بسبب الانوثة وجب ان يحرم جميع الاناث وان كان باشتمال الرحم عليه فينبغي ان يحرم الكل لان الرحم لا يشتمل الا على ذكر وانثى واما تخصيص التحريم بالولد الخامس او السابع او بالبعض دون البعض فمن اين لك التحريم فاحتج الله على بطلان دعواهم بهاتين الايتين واعلم نبيه صلى الله عليه وسلم ان كل ما قالوه من ذلك واضافوه الى الله فهو كذب على الله وانه لم يحرم شيئا من ذلك وانهم اتبعوا في ذلك اهواءهم وخالفوا امر ربهم وذكر الامام فخر الدين في معنى الاية وجهين اخرين ونسبهما الى نفسه فقال ان هذا الكلام ما ورد على سبيل الاستدلال على بطلان قولهم بل هو استفهام على سبيل الانكار يعني انكم لا تقرون بنبوة نبي ولا تعرفون شريعة شارع فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم والوجه الثاني انكم حكمتم بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام مخصوصا بالابل فالله تعالى بين ان النعم عبارة عن هذه الانواع الاربعة وهي الضأن والمعز والابل والبقر فلما لم تحكموا بهذه الاحكام في الانواع الثلاثة وهي الضأن والمعز والبقر فكيف خصصتم الابل بهذا الحكم دون هذه الانواع الثلاثة قوله تعالى **ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا** يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء الجهلة من المشركين الذين يزعمون ان الله حرم عليهم ما حرموا على انفسهم من الانعام والحرث هل شاهدتم الله حرم هذا عليكم ووصاكم به فانكم لا تعرفون بنبوة احد من الانبياء فكيف تثبتون هذه الاحكام وتنسبونها الى الله عز وجل ولما احتج الله عليهم بهذه الحجة وبين انه لا مستند لهم في ذلك قال تعالى **فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم** يعني فمن اشد ظلما وابعد عن الحق ممن يكذب على الله ويضيف تحريم ما لم يحرمه الله الى الله ليضل الناس بذلك ويصدهم عن سبيل الله جهلا منه لانه ليس هو على بصيرة وعلم في ذلك الذي ابتدعه ونسبه الى الله ويقول ان الله امرنا بهذا قيل اراد به عمرو بن لحي لانه هو اول من غير البحائر وسيب السوائب وغير دين ابراهيم عليه السلام ويدخل في هذا الوعيد كل من كان على طريقته او ابتدع شيئا لم يأمر الله به ولا رسوله ونسب ذلك الى الله تعالى لان اللفظ عام فلا وجه للتخصيص فكل من ادخل في دين الله ما ليس منه فهو داخل في هذا الوعيد **ان الله لا يهدي القوم الظالمين** يعني انه لا يرشد ولا يوفق من كذب على الله واضاف اليه ما لم يشرعه لعباده قوله عز وجل

قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه اعلم انه لما بين الله تعالى فساد طريقة اهل الجاهلية وما
كانوا عليه من التحريم والتحليل من عند انفسهم واتباع اهوائهم فيما احلوه وحرموه من المطعومات اتبعه
بالبيان الصحيح في ذلك وبين ان التحريم والتحليل لا يكون الا بوحي سماوي وشرع نبوي فقال تعالى
قل اي يا محمد لهولاء المشركين الجاهليين الذين يحللون ويحرمون من عند انفسهم لا اجد فيما اوحي وقيل انهم
قالوا فما المحرم اذا فنزل قل لا اجد فيما اوحي الي محرما يعني شيا محرما على طاعم يطعمه يعني على آكل ياكله الا
ان يكون ميتة او دما مسفوحا يعني سايلا مصبوبا او لحم خنزير فانه رجس اي نجس او فسقا اهل لغير
الله به يعني ما ذبح على غير اسم الله فبين الله في هذه الاية ان التحريم والتحليل لا يكون الا بوحي منه وان
المحرمات محصورة في الاربعة اشيا المذكورة في هذه الاية وهي الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما
ذبح على غير اسم الله وهذا مبالغة ان التحريم لا يخرج عن هذه الاربعة اشيا وذلك لانه ثبت انه لا طريق
الى معرفة المحرمات الا بالوحي وثبت ان الله تعالى نص في هذه الاية على هذه الاربعة اشيا ولهذا اختلف
العلما في حكم هذه الاية فذهب بعضهم الى ظاهرها وانه لا يحرم شي من ساير المطعومات والحيوانات الا ما ذكر
في هذه الاية يروى ذلك عن ابن عباس وعايشة وسعيد بن جبير وهو ظاهر مذهب مالك واحتجوا
على ذلك بان هذه الاية محكمة لانها خبر والخبر لا يدخله النسخ واحتجوا بان هذه الاية وان كانت مكية
لكن يعضدها اية مدنية وهي قوله تعالى في سورة البقرة انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل
به لغير الله وكلمة انما تفيد الحصر فصارت هذه الاية المدنية مطابقة للاية المكية في الحكم وذهب
جمهور العلما الى ان هذا التحريم لا يختص بهذه الاشيا المنصوص عليها في هذه الاية فان المحرم بنص الكتاب
هو ما ذكر في هذه الاية وقد حرمت السنة اشيا وجب القول بها منها تحريم الحمر الاهلية وكل ذي ناب من
السباع وكل ذي مخلب من الطير عن المقدام بن معدي كرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا هل عسى
رجل يبلغه الحديث عني وهو متكي على اريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه
وما وجدنا فيه حراما حرمناه وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب ولابي داود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اني اوتيت الكتاب ومثله معه الا يوشك
رجل شبعان على اريكته يقول عليكم بهذا القران فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام
فحرموه الا لا يحل لكم الحمار الاهلي ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطة معاهد الا ان يستغني عنها صاحبها
ومن نزل بقوم فعليهم ان يقروه فان لم يقروه فله ان يعقبهم بمثل قراه عن ابن عباس قال كان اهل الجاهلية
ياكلون اشيا ويتركون اشيا تقذرا فبعث الله نبيه وانزل كتابه واحل حلاله وحرم حرامه فما احل فهو
حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو وتلا قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان
يكون ميتة الاية اخرجه ابو داود م عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذي
ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير م عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن
اكل لحوم الحمر الاهلية ق عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية واذن في الخيل
وفي رواية اكلنا من خيبر الخيل وحمر الوحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي عن جابر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن اكل الهر واكل ثمنه اخرجه ابو داود وقد استثنى الشارع من الميتة
السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال واباح كل ذلك وقد تقدم دليله والاصل في ذلك عند
الشافعي ان كل ما لم يرد فيه نص بتحريم او تحليل فان كان امر الشرع بقتله كما ورد في الصحيح خمس فواسق

يقتلن

يقتلن في الحل والحرم وهي الحية والعقرب والفارة والحداة والكلب العقور وروي عن سعد بن ابي وقاص
ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتل الوزغ اخرجه البخاري ومسلم وزاد فيه وسماه فويسقا وعن ابن
عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل اربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد
اخرجه ابو داود فهذا اكله حرام لا يحل اكله وما سوى ذلك فالمرجع فيه الى الاغلب من عادة العرب فما
يستطيبه الاغلب منهم فهو حلال وما يستخبثه الاغلب منهم ولا ياكلونه فهو حرام لان الله خاطبهم
بقوله احل لكم الطيبات فما استطابوه فهو حلال فهذا القدر ما يحل ويحرم من المطعومات واما الجواب
عن الاية الكريمة فمن وجوه احدها ان يكون لا اجد محرما مما كان اهل الجاهلية يحرمونه من البحاير والسوايب
وغيرها الا ما اوحي الي في هذه الاية الوجه الثاني ان يكون المراد وقت نزول هذه الاية لم يكن محرما
غير ما ذكر ونص عليه في هذه الاية ثم حرم بعد نزولها اشيا اخر الوجه الثالث يحتمل ان هذا اللفظ العام
خصص بدليل اخر وهو ما ورد في السنة الوجه الرابع انما ذكر في هذه الاية محرم على لسان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو ما ورد في السنة من المحرمات والله اعلم بقي في الاية احكام وفي قوله تعالى او دما
مسفوحا وهو ما سال من الحيوان في حال الحياة او عند الذبح فان ذلك الدم حرام نجس وما سوى ذلك
كالكبد والطحال فانهما حلال لانهما دمان جامدان وقد ورد الحديث باباحتهما واما ما اختلط باللحم
من الدم لانه غير سايل قال عمران بن حدير سالت ابا مجلز عما يختلط باللحم من الدم وعن القدر يرى فيها
حمرة الدم فقال لا باس بذلك انما نهى عن الدم المسفوح وقال ابراهيم النخعي لا باس بالدم في عرق
او مخ الا المسفوح وقال عكرمة لولا هذه الاية لتتبع المسلمون الدم من العروق كما تتبع اليهود وقوله تعالى
فمن اضطر غير باغ ولا عاد لما بين الله المحرمات في هذه الاية ثم اباح اكلها عند الاضطرار من غير باغ
ولا عدوان وفي قوله فان ربك غفور رحيم دليل على الرخصة والاباحة عند الاضطرار قوله تعالى وعلى
الذين هادوا يعني اليهود حرمنا كل ذي ظفر قال ابن عباس هو البعير والنعامة ونحو ذلك من الدواب
وقيل كل ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهايم والطير مثل البعير والنعامة والاوز والبط قال القتيبي
هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وسمي الحافر ظفرا على الاستعارة ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومهما يعني شحم الجوف وهو الثروب وشحم الكليتين الا ما حملت ظهورهما يعني الا ما علق بالظهر
والجنب من داخل بطونهما من الشحم فانه غير محرم عليهم وقال السدي وابو صالح الالية مما حملت ظهورهما
وهذا القول مختص بالغنم لان البقر ليس لها الية او الحوايا وهي المباعر في قول ابن عباس وجمهور المفسرين
واحدتها حاوية وحوية وقيل الحوايا المباعر والمصارين وهي الدوابر التي تكون في بطن الشاة والمعنى ان
الشحم الملتصق بالمباعر والمصارين غير محرم على اليهود او ما اختلط بعظم يعني شحم الالية لانه اختلط
بالعصعص وكذا الشحم المختلط بالعظام التي تكون في الجنب والراس والعين فكل هذا حلال على اليهود
فحاصل هذا ان الذي حرم عليهم فهو شحم الثرب وشحم الكلية وما عدا ذلك فهو حلال عليهم ق عن جابر بن
عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح بمكة ان الله حرم بيع الخمر والميتة
والخنزير والاصنام فقيل يا رسول الله ارايت شحوم الميتة فانه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح
بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله لما حرم
عليهم شحومها جملوه ثم باعوه فاكلوا ثمنه قوله جملوه يعني اذابوه يقال اجملت الشحم وجملته اذا اذبته
اكثر وافصح وقوله تعالى ذلك جزيناهم اي ذلك التحريم جزيناهم عقوبة ببغيهم يعني بسبب بغيهم وظلمهم

ومنعوا قتلهم الانبيا واخذهم الربا واستحلالهم اموال الناس بالباطل وانا لصادقون يعني في الاخبار عن
بغيهم وفي الاخبار عن تخصيصهم بهذا التحريم فان كذبوك يعني فان كذبك اليهود يا محمد فيما اخبرناك
انا حرمنا عليهم واحللنا لهم مما بيناه في هذه الاية المتقدمة فقل ربكم ذو رحمة واسعة يعني بتاخير
العقوبة عنكم فان رحمته تسع المسيء والمحسن فلا يعجل بالعقوبة على من كذبه او عصاه ولا يرد باسه
يعني فلا يرد عذابه ونقمته اذا جاء وقتها عن القوم المجرمين يعني الذين كذبوا الانبيا وهم الكفار
واليهود قوله عز وجل سيقول الذين اشركوا لما لزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك
بالله وتحريم ما لم يحرمه الله اخبر الله عنهم بما سيقولونه فقال تعالى سيقول الذين اشركوا يعني مشركي قريش
والعرب لو شاء الله ما اشركنا ولا اباونا يعني من قبل قال المفسرون جعلوا قولهم ولو شاء الله ما اشركنا
حجة على اقامتهم على الكفر والشرك وقالوا ان الله قادر على ان يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله
فلولا انه رضي ما نحن عليه واراده منا وامرنا به لحال بيننا وبين ذلك ولا حرمنا من شيء يعني ما حرموه
من البحاير والسوايب وغير ذلك فقال الله عز وجل ردا وتكذيبا لهم كذلك كذب الذين من قبلهم
يعني من كفار الامم الخالية الذين كانوا قبل قومك كذبوا انبياهم وقالوا مثل قول هولا حتى ذاقوا
باسنا يعني عذابنا فصل استدل القدرية والمعتزلة بهذه الاية فقالوا ان
القوم لما قالوا لو شاء الله ما اشركنا كذبهم الله ورد عليهم بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم وايضا
فان الله تعالى حكى عن هولا الكفار صريح مذهب المجبرة وهو قولهم لو شاء الله منا ان لا نشرك لم نشرك
ولمنعنا عن هذا الكفر وحيث لم يمنعنا عنه ثبت انه مريد له واذا اراده منا امتنع تركه منا واجيب
عن هذا بان الله تعالى حكى عن هولا الكفار انهم قالوا لو شاء الله ما اشركنا ثم ذكر عقيبه كذلك كذب
الذين من قبلهم وهذا التكذيب ليس هو في قولهم لو شاء الله ما اشركنا بل ذلك القول حق وصدق ولكن
الكذب في قولهم ان الله امرنا به ورضي ما نحن عليه كما اخبر عنهم في سورة الاعراف واذا فعلوا فاحشة
قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها فرد الله عليهم ذلك بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء والدليل
ان التكذيب في قولهم ان الله امرنا بهذا او رضيه منا لا في قولهم لو شاء الله ما اشركنا قوله كذلك كذب
الذين من قبلهم بالتشديد ولو كان خبرا من الله عن كذبهم في قولهم لو شاء الله ما اشركنا لقال كذلك
كذب الذين من قبلهم بالتخفيف فكان ينسبهم الى الكذب لا الى التكذيب وقال الحسن بن الفضل لو قالوا
هذه المقالة تعظيما لله واجلالا له ومعرفة بحقه وبما يقولون لما عابهم بذلك ولكنهم قالوا هذه المقالة
تكذيبا وجحدا من غير معرفة بالله وبما يقولون وقيل في معنى الاية انهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة
وهو قولهم لو شاء الله ما اشركنا الا انهم كانوا يعدونه عذرا لانفسهم ويجعلونه حجة لهم في ترك الايمان
والرد عليهم في ذلك ان امر الله بمعزل عن مشيته وارادته فانه تعالى مريد لجميع الكاينات غير امر
بجميع ما يريد وعلى العبد ان يتبع امره وليس له ان يتعلق بمشيته فان مشيته لا تكون عذرا لاحد فان
الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه في فعله فهو تعالى يشاء الكفر من الكافر ولا
يرضى به ولا يامر به ومع هذا فيبعث الرسل الى العبد ويامره بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة
غير ممتنع فالحاصل انه تعالى حكى عن الكفار انهم يتمسكون بمشيئة الله من شركهم وكفرهم فاخبر الله
تعالى ان هذا التمسك فاسد باطل فانه لا يلزم من ثبوت المشيئة لله تعالى في كل الامور دفع دعوة الانبيا
عليهم السلام والله اعلم وقوله تعالى قل اي قل يا محمد لهولا المشركين القايلين لو شاء الله ما اشركنا

ولكنه

ولكنه رضي ما نحن عليه من الشرك هل عندكم يعني بدعواكم ما تدعون من علم يعني من حجة وكتاب
توجب اليقين من العلم فتخرجوه لنا يعني فتظهروا ذلك العلم لنا وتبينوه لنا كما بينا لكم خطا قولكم
وفعلكم وتناقض ذلك واستحالته في العقول ان تتبعون الا الظن يعني فيما انتم عليه من الشرك
وتحريم ما لم يحرمه الله عليكم وتحسبون انكم على حق وانما هو باطل وان انتم الا تخرصون يعني وما انتم
في ذلك كله الا تكذبون وتقولون على الله الباطل قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة يعني قل يا محمد
لهولا المشركين حين عجزوا عن اظهار علم او حجة لهم فلله الحجة البالغة يعني التامة على خلقه
بانزال الكتاب وارسال الرسول قال الربيع بن انس لا حجة لاحد عصى الله او اشرك به على الله ولكن
لله الحجة البالغة على عباده فلو شاء لهداكم اجمعين يعني ولو شاء الله لوفقكم اجمعين للهداية
ولكنه لم يشا ذلك وفيه دليل على انه تعالى لم يشا ايمان الكافر ولو شاء لهداه لا يسال عما يفعل
وهم يسالون قل هلم شهداكم الذين يشهدون يعني هاتوا وادعوا شهداكم وهلم كلمة دعوة
الى الشيء يستوي فيه الواحد والاثنين والجمع والذكر والانثى وفيها لغة اخرى يقال للواحد هلم وللا
والجمع والذكر والانثى وفيها لغة اخرى يقال للواحد هلم وللاثنين هلما وللجمع هلموا وللانثى هلمي
واللغة الاولى افصح ان الله حرم هذا وهذا تنبيه من الله باستدعا الشهود من الكافرين على
تحريم ما حرموه على انفسهم وقالوا ان الله امرنا به ليظهر ان لا شاهد لهم على ذلك وانما اختلقوه من
عند انفسهم فان شهدوا فلا تشهد معهم وهذا تنبيه ايضا على كونهم كاذبين في شهادتهم فلا تشهد
انت يا محمد معهم لانهم في شهادتهم كاذبين ولا تتبع اهوا الذين كذبوا باياتنا يعني ان وقع منهم
شهادة فانما هي باتباع الهوى فلا تتبع انت يا محمد اهواهم ولكن اتبع ما اوحي اليك من كتابي الذي لا
ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذين لا يومنون بالاخرة اي ولا تتبع اهوا الذين لا يومنون
بالاخرة وهم بربهم يعدلون يعني يشركون قوله عز وجل قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم لما بين الله
تعالى فساد مقالة الكفار فيما زعموا ان الله امرهم بتحريم ما حرموه على انفسهم فكانهم سالوا وقالوا
اي شيء حرم الله فامر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم تعالوا تعال من الخاص
الذي صار عاما واصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وقيل
اصله ان تدعوا الانسان الى مكان مرتفع وهو من العلو وهو ارتفاع المنزلة فكانه دعاه الى ما فيه
رفعة وشرف ثم كثر في الاستعمال والمعنى تعالوا وهلموا ايها القوم اتل يعني اقرا ما حرم ربكم عليكم
يعني الذي حرم ربكم عليكم حقا يقينا لا شك فيه ولا ظنا ولا كذبا كما تزعمون انتم بل هو وحي اوحاه
الله تعالى الي ان لا تشركوا به شيا فان قلت ترك الاشراك واجب فما معنى قوله الا تشركوا به شيا
لانه كالتفصيل لما اجمله في قوله حرم ربكم عليكم وذلك لا يجوز قلت الجواب عنه من وجوه الوجه
الاول ان يكون موضع ان رفع معناه هو ان لا تشركوا الوجه الثاني ان يكون محله النصب واختلفوا
في وجه انتصابه فقيل معناه حرم عليكم ان لا تشركوا وتكون لا صلة وقيل ان حرف لا على اصلها
ويكون المعنى اتل عليكم تحريم الشرك ان لا تشركوا ويكون المعنى اوصيكم ان لا تشركوا لان قوله
وبالوالدين احسانا محمول على اوصيكم بالوالدين احسانا الوجه الثالث ان يكون الكلام
قد تم عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم ان لا تشركوا على الاغرا او بمعنى فرض عليكم ان لا تشركوا
به شيا ومعنى هذا الاشراك الذي حرمه الله ونهى عنه هو ان يجعل لله شريكا من خلقه او يطيع

في تفصيله الخالق او يريد بعبادته ريا وسمعة ومنه قوله ولا يشرك بعبادة ربه احدًا وقوله تعالى وبالوالدين
احسانا اي وفرض عليكم ووصاكم بالوالدين احسانا واعا نسي بالوصية بالاحسان الي الوالدين لان
اعظم النعم على الانسان نعمة الله لانه هو اخرجه من العدم الي الوجود وخلقه واوجده بعد ان لم يكن شيا
ثم بعد نعمة الله نعمة الوالدين لانهما السبب في وجود الانسان ثم ما لهما عليه من حق التربية والشفقة
والحفظ من المهالك في حال صغره ولا تقتلوا اولادكم من املاق يعني من خوف الفقر والاملاق الافتقار
والمراد با لقتل وادا لبنات وهن احيا وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية فنهاهم الله عن ذلك وحرم
عليهم نحن نرزقكم واياهم يعني لا تيدوا بناتكم خوف العيلة والفقر فاني رازقكم واياهم لان الله تعالى
اذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد القيام بحق الولد وتربيته والاتكال في امر الرزق على
الله عز وجل ولا تقربوا الفواحش يعني الزنا ما ظهر منها وما بطن يعني علانيته وسره وكان اهل
الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ولا يرون به باسا في السر فحرم الله عز وجل الزنا في السر
والعلانية وقيل ان الاولى حمل لفظ الفواحش على العموم في جميع الفواحش المحرمات والمنهيات فيدخل فيه
الزنا وغيره لان المعنى الموجب لهذا النهي هو كونه فاحشة فحمل اللفظ على العموم اولى من تخصيصه بنوع
من الفواحش وايضا فان السبب اذا كان خاصا لا يمنع من حمل اللفظ على العموم وفي قوله تعالى ما ظهر
منها وما بطن دقيقة وهي ان الانسان اذا احترز عن المعاصي في الظاهر ولم يحترز منها في الباطن دل
ذلك على ان احترازه عنها ليس لاجل عبودية الله وطاعته فيما امر به او نهاه عنه ولكن لاجل الخوف
من روية الناس ومعرفتهم ومن كان كذلك استحق العقاب ومن ترك المعصية ظاهرا وباطنا لاجل خوف
الله وتعظيما لامره استوجب رضوان الله وثوابه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق حرم الله تعالى
قتل النفس الا بالحق وقتلها من جملة الفواحش المتقدم ذكرها في قوله تعالى ولا تقربوا الفواحش وانما
افرد قتل النفس بالذكر لانه تعالى اراد ان يستثني منه ولا يمكن ذلك الاستثنا من جملة الفواحش الا بافراد
فلذلك قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله يعني قتلها الا بالحق وهو الذي يبيح قتلها من ردة او قصاص
او زنا بعد احصان وهو الذي يوجب الرجم ق عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل
دم امري مسلم يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس
والتارك لدينه المفارق للجماعة وقوله تعالى ذلكم يعني ما ذكر من الاوامر والنواهي المحرمات وصاكم به يعني
امركم به واوجبه عليكم لعلكم تعقلون يعني لكي تفهموا ما في هذه التكاليف من الفوايد والمنافع فتعملوا
بها قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن يعني ولا تقربوا مال اليتيم الا بما فيه صلاحه وتثميره
وتحصيل الربح له قال مجاهد هو التجارة فيه وقال الضحاك هو ان يسعى له فيه ولا ياخذ من ربحه شيا هذا
اذا كان القيم بالمال غنيا غير محتاج فلو كان الوصي فقيرا فله ان ياكل بالمعروف حتى يبلغ اشده يعني
احفظوا مال اليتيم الى ان يبلغ اشده فاذا بلغ اشده فادفعوا اليه ماله فاما الاشد فهو استحكام
قوة الشباب والسن حتى يتناهى في النبات الى حد الرجال قال الشعبي ومالك الاشد الحلم حتى تكتب
له الحسنات وتكتب عليه السيات وقال ابو العالية حتى يعقل وتجتمع قوته وقال الكلبي الاشد ما
بين ثماني عشرة سنة الى ثلاثين سنة وقيل الي اربعين وقيل الي ستين سنة وقال الضحاك الاشد
عشرون سنة وقال السدي الاشد ثلاثون سنة وقال مجاهد الاشد ثلاث وثلاثون وهذه الاقوال
التي نقلت عن المفسرين في هذه الاية انما هي نهاية الاشد لا ابتداوه والمراد بالاشد في هذه الاية هو الابتدا

وبلوغ

حـ
اي تنميته

وبلوغ الحلم مع ايناس الرشد وهذا هو المختار في تفسير هذه الاية وقوله تعالى واوفوا الكيل والميزان
بالقسط يعني بالعدل من غير زيادة ولا نقصان لا نكلف نفسا الا وسعها يعني طاقتها وما يسعها
في ايفا الكيل والميزان واتمامه لم يكلف المعطي ان يعطي اكثر مما وجب عليه ولم يكلف صاحب الحق الرضا
باقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل امر كل واحد بما يسعه مما لا حرج عليه فيه واذا قلتم فاعدلوا
يعني في الحكم والشهادة ولو كان ذا قربى يعني المحكوم عليه وكذا المشهود عليه وقيل ان الامر بالعدل
في القول هو اعم من الحكم والشهادة بل يدخل فيه كل قول حتى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير زيادة
فيه ولا نقصان وادا الامانة وغير ذلك من جميع الاقوال التي يعتمد فيها العدل والصدق وبعهد
الله اوفوا يعني ما عهد الى عباده ووصاهم واوجبه عليهم او ما اوجبه الانسان على نفسه كنذر
ونحوه فيجب الوفا به ذلكم يعني الذي ذكر في هذه الايات وصاكم به يعني بالعمل به لعلكم تذكرون يعني
لعلكم تتعظون وتتذكرون فتاخذون بما امرتكم به قوله عز وجل وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
يعني وان هذا الذي وصيتكم به وامرتكم به في هاتين الايتين هو صراطي يعني طريقي يعني وديني الذي
ارتضيته لعبادي مستقيما يعني قويما لا اعوجاج فيه فاتبعوه يعني فاعملوا به وقيل ان الله تعالى
لما بين في الايتين المتقدمتين ما وصى به مفصلا اجمله في هذه الاية اجمالا يقتضي دخول جميع ما تقدم
ذكره فيه ويدخل فيه ايضا جميع احكام الشريعة وكلما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام
هو المنهج القويم والصراط المستقيم والدين الذي ارتضاه لعباده المومنين وامرهم باتباع جملته
وتفصيله ولا تتبعوا السبل يعني الطرق المختلفة والاهوا المضلة والبدع الردية وقيل السبل
المختلفة مثل اليهودية والنصرانية وساير الملل والاديان المخالفة لدين الاسلام فتفرق بكم عن سبيله
يعني فتميل بكم هذه الطرق المختلفة المضلة عن دينه وطريقه الذي ارتضاه لعباده روى البغوي
بسنده عن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم
خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه وقرا وان هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الاية ذلكم وصاكم به يعني باتباع دينه وصراطه الذي
لا اعوجاج فيه لعلكم تتقون يعني الطرق المختلفة والسبل المضلة قال ابن عباس هذه الايات
محكمات في جميع الكتب لم ينسخهن شي وهن محرمات على بني ادم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة
ومن تركهن دخل النار عن ابن مسعود قال من سره ان ينظر الي الصحيفة التي عليها خاتم محمد صلى الله عليه
وسلم فليقرا هولا الايات قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الايات الي قوله لعلكم تتقون اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب قوله تعالى ثم اتينا موسى الكتاب يعني التوراة فان قلت اتيا موسى الكتاب كان
قبل نزول القران وحرف ثم للتعقيب فما معنى ذلك قلت دخلت ثم لتاخير الخبر لا لتاخير النزول والمعنى
قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم وهو كذا وكذا الي قوله لعلكم تتقون ثم اخبركم انا اتينا موسى الكتاب
وقيل ان المحرمات المذكورة في قوله قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم محرمات على جميع الامم وجميع الشرايع
فتقدير الكلام ذلكم وصاكم به يا بني ادم قديما وحديثا ثم بعد ذلك اتينا موسى الكتاب يعني بعد ايجاب
هذه المحرمات وقيل معناه قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ثم قال بعد ذلك يا محمد انا اتينا موسى الكتاب
فحذف قال لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى تماما على الذي احسن اختلف اهل التفسير فيه فقيل معناه
تماما على المحسنين من قومه فتكون الذي بمعنى من اي تماما على من احسن من قومه لانه كان منهم محسن

وقرئ وعلى قراءة ابن مسعود تماما على الذي احسنوا وقيل معناه تماما على كل من احسن اي اتممنا فضيلة
موسى بالكتاب على المحسنين وهم الانبيا والمومنون اي اتممنا فضله عليهم بالكتاب وقيل الذي احسن هو
موسى فيكون الذي بمعنى ما اي على ما احسن وتقديره واتينا موسى الكتاب اتماما للنعمة عليه
لاحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة واداء الامر وقيل الاحسان بمعنى العلم وتقديره واتينا
موسى الكتاب تماما على الذي احسن موسى من العلم والحكمة زيادة له على ذلك وقيل معناه تماما
مني على احساني الى موسى وتفصيلا لكل شي يعني وفيه بيانا لكل شي يحتاج اليه من شرايع الدين
واحكامه وهدى يعني فيه هدى من الضلالة ورحمة يعني انزاله عليهم رحمة مني عليهم لعلهم بلقاء
ربهم يومنون قال ابن عباس لكي يومنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب قوله عز وجل وهذا
كتاب انزلناه مبارك يعني القران لانه كثير الخير والنفع والبركة ولا يتطرق اليه نسخ فاتبعوه يعني
فاعملوا بما فيه من الاوامر والنواهي والاحكام واتقوا يعني مخالفته لعلكم ترحمون يعني ليكن الفوز بالتي
رحمة الله وقيل معناه لكي ترحموا على جزا التقوى ان تقولوا يعني لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية ان
تقولوا يعني انزلنا اليكم الكتاب كراهية ان تقولوا انما انزل الكتاب وقيل يجوز ان يكون ان متعلقة
بما قبلها فيكون المعنى واتقوا ان تقولوا وهذا خطاب لاهل مكة والمعنى واتقوا يا اهل مكة ان تقولوا
انما انزل الكتاب اسم جنس لان المراد به التوراة والانجيل على طايفتين من قبلنا يعني اليهود والنصارى
وان كنا اي وقد كنا وقيل وانه كنا عن دراستهم يعني قراءتهم لغافلين يعني لا علم لنا بما فيهما لانه ليس
بلغتنا والمراد بهذه الاية اثبات الحجة على اهل مكة وقطع عذرهم بانزال القران على محمد صلى الله
عليه وسلم بلغتهم والمعنى وانزلنا القران عليهم لئلا يقولوا يوم القيمة ان التوراة والانجيل انزلا
على طايفتين من قبلنا بلسانهم ولغتهم فلم نعرف ما فيهما فقطع الله عز وجل عذرهم بانزال القران
عليهم بلغتهم او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وذلك ان جماعة من الكفار
قالوا لو انزل علينا ما انزل على اليهود والنصارى لكنا خيرا منهم واهدى وانما قالوا ذلك لاعتمادهم
على صحة عقولهم وجودة فطنتهم وذهنهم قال الله عز وجل فقد جاكم بينة من ربكم يعني هذا القران
فيه بيان وحجة واضحة تعرفونها وهدى يعني من الضلالة ورحمة يعني وهو رحمة ونعمة انعم الله بها
عليكم فمن اظلم اي لا احد اظلم واكفر ممن كذب بايات الله وصدف عنها يعني واعرض عنها سنجزي الذين
يصدفون عن اياتنا سوء العذاب يعني اسوا العذاب واشده بما كانوا يصدفون اي ذلك العذاب
جزاوهم بسبب اعراضهم وتكذيبهم بايات الله قوله تعالى هل ينظرون يعني هل ينتظرون هولاء بعد
تكذيبهم الرسل وانكارهم القران وصدهم عن ايات الله وهو استفهام معناه النفي وتقديره ما
انهم لا يومنون بك الا اذا جاتهم احدى هذه الامور الثلاث فاذا جاتهم احدها امنوا وذلك حين لا ينفعهم
ايمانهم الا ان تاتيهم الملكة يعني لقبض ارواحهم وقيل تاتيهم بالعذاب او ياتي ربك يعني للحكم والفصل
القضا بين الخلق يوم القيمة وقد تقدم الكلام في معنى الاية في سورة البقرة عند قوله هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام بما فيه كفاية وان المجي والذهاب على الله محال فيجب امرارها بلا تكييف
او ياتي بعض ايات قال جمهور المفسرين هو طلوع الشمس من مغربها ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من
قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض اخرجه مسلم عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم

في قوله او ياتي بعض ايات ربك قال طلوع الشمس من مغربها اخرجه الترمذي وقال حديث غريب م عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه
عن صفوان بن عسال المرادي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب من قبل المغرب مسيرة عرضه
او قال يسير الراكب في عرضه اربعين او سبعين سنة خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والارض مفتوحا
للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ق عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا راها الناس
امن من عليها وفي رواية فاذا طلعت وراها الناس امنوا اجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها
لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا م عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال اطلع رسول الله
صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قلنا الساعة قال انها لن تقوم حتى
تروا قبلها عشر ايات فذكر الدخان والدجال وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وثلاثة
خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب واخر ذلك نار تطرد الناس الى محشرهم
م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها
والدخان والدجال والدابة وخويصة احدكم وامر العامة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال
حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم انسه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان اول الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وايهما ما كانت
قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها قريبا وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود في تفسير هذه
الاية قال يصبحون والشمس والقمر من ها هنا من قبل المغرب كالبعيرين القرينين زاد في رواية عنه
فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وبسنده عن ابي ذر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اتدرون اين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله اعلم
قال انها تذهب الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي من حيث
جيت فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة ولا تزال كذلك
حتى يقال لها ارتفعي فارجعي من حيث جيت فتصبح طالعة من مطلعها لا ينكر الناس منها شيا حتى
تنتهي فتخر ساجدة في مستقرها تحت العرش فيقال لها اطلعي من مغربك فتصبح طالعة من مغربها قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون اي يوم ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم لا
ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وبسنده عن ابي ذر قال كنت ردف
النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم على حمار فنظر الى الشمس حين غربت فقال انها تغرب في عين حامية
تنطلق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش حتى ياذن لها فاذا اراد ان يطلعها من مغربها حبسها فتقول
يا رب ان مسيري بعيد فيقول لها اطلعي من حيث غربت فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من
قبل وروى بسنده عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات فقال
لهم عباد الله توبوا الى الله بقراب فانكم توشكون ان تروا الشمس من قبل المغرب فاذا فعلت حبست
التوبة وطوي العمل فقال الناس هل لذلك من اية يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اية تلك الليلة ان تطول كقدر ثلاث ليال فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون لهم ثم يقضون
صلاتهم والليل مكانه لم ينقض ثم ياتون مضاجعهم فينامون حتى اذا استيقظوا والليل مكانه فاذا

راوا ذلك خافوا ان يكون ذلك بين يدي امر عظيم فاذا اصبحوا وطال عليهم راث عليهم طلوع الشمس
فبينما هم ينتظرونها اذ طلعت عليهم من قبل المغرب فاذا اقبلت ذلك لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن
امنت من قبل قال ابن عباس لا ينفع مشركا ايمانه عند الايات وينفع اهل الايمان عند الايات ان كانوا
اكتسبوا خيرا قبل ذلك قال ابن الجوزي قيل ان الحكمة في طلوع الشمس من مغربها ان الملحدة والمنجمين
زعموا ان ذلك لا يكون فيريهم الله قدرته فيطلعها من المغرب كما اطلعها من المشرق فيتحقق عجزهم
وقيل بل ذلك بعض الايات الثلاث الدابة او ياجوج وماجوج او طلوع الشمس من مغربها يروى عن
ابن مسعود انه قال التوبة معروضة على ابن ادم ان قبلها ما لم تخرج احدى ثلاث الدابة او طلوع الشمس
من مغربها او ياجوج وماجوج ويروى عن عايشة قالت اذا خرج اول الايات طرحت التوبة وحبست
الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال ويروى عن ابي هريرة في قوله تعالى او ياتي بعض ايات ربك
قال هي مجموع الايات الثلاث طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض ورواه مرفوعا عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في
ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض واصح الاقوال في ذلك ما تظاهرت
عليه الاحاديث الصحيحة وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه طلوع الشمس من مغربها وقوله
تعالى **يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل** يعني لا ينفع من كان مشركا
ايمانه ولا تقبل توبة فاسق عند ظهور هذه الاية العظيمة التي تضطرهم الى الايمان والتوبة
او كسبت في ايمانها خيرا يعني او عملت قبل ظهور هذه الاية خيرا من عمل صالح وتصديق قال الضحاك
من ادركه بعض الايات وهو على عمل صالح مع ايمانه قبل الله منه العمل بعد نزول الاية كما قبل منه قبل
ذلك فاما من امن من شرك او تاب من معصية عند ظهور هذه الاية فلا يقبل منه لانها حالة اضطرار
كما لو ارسل الله عذابا على امة فامنوا وصدقوا فانهم لا ينفعهم ذلك لمعاينتهم الاهوال والشدايد التي
تضطرهم الى الايمان والتوبة وقوله تعالى **قل انتظروا** يعني ما وعدتم به من مجي الاية ففيه وعيد
وتهديد **انا منتظرون** يعني ما وعدكم ربكم من العذاب يوم القيمة او قبلها في الدنيا قال بعض المفسرين
وهذا انما ينتظره من تاخر في الوجود من المشركين والمكذبين لمحمد صلى الله عليه وسلم الى ذلك
الوقت والمراد بهذا ان المشركين انما يمهلون قدر مدة الدنيا فاذا ماتوا او ظهرت الايات لم ينفعهم
ايمانهم وحلت بهم العقوبة الملازمة ابدا وقيل ان قوله قل انتظروا انا منتظرون المراد منه الكف
عن قتال المشركين فتكون الاية منسوخة باية القتال وعلى القول الاول تكون الاية محكمة قوله
عز وجل **ان الذين فرقوا** وقرى فارقوا **دينهم وكانوا شيعا** يعني احزابا متفرقة في الضلالة ومعنى
فرقوا دينهم انهم لم يجتمعوا عليه وكانوا مختلفين فيه فمن قرا فرقوا دينهم يعني جعلوا دينهم وهو
دين ابراهيم الحنيفية السهلة اديانا مختلفة كاليهودية والنصرانية وعبادة الاصنام ونحو
ذلك من الاديان المختلفة ومن قرا فارقوا دينهم قال معناه باينوه وتركوه من المفارقة للشي
وقيل ان معنى القراتين يرجع الى شي واحد في الحقيقة وهو ان من فرق دينه فامن ببعض وكفر
ببعض فقد فارق دينه في الحقيقة ثم اختلفوا في المعني بهذه الاية فقال الحسن هم جميع المشركين لان
بعضهم عبد الاصنام وقالوا هذه شفعاونا عند الله وبعضهم عبد الملكة وقالوا انهم بنات
الله وبعضهم عبد الكوكب فكان هذا تفريق دينهم وقال مجاهد هم اليهود وقال ابن عباس وقتادة

والسدي والضحاك هم اليهود والنصارى لانهم تفرقوا فكانوا فرقا مختلفة وقال ابو هريرة في هذه
الاية هم اهل الضلالة من هذه الامة وروى ذلك مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شي وليسوا منك هم اهل البدع واهل الشبهات
واهل الضلالة من هذه الامة اسنده الطبري فعلى هذا يكون المراد من هذه الاية الحث على ان
تكون كلمة المسلمين واحدة وان لا يتفرقوا في الدين ولا يبتدعون البدع المضلة وروي عن عمر بن الخطاب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعايشة يا عايشة ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم
اصحاب البدع والاهوا من هذه الامة ذكره البغوي بغير سند عن العرباض بن سارية قال صلى بنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم اقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها
العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كان هذه موعظة مودع فما تعهد الينا
فقال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تامر عليكم عبدا حبشيا فانه من يعش منكم بعدي
فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفا الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها
بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة اخرجه ابو داود والترمذي
عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا
على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة
في الجنة وهي الجماعة زاد في رواية وانه سيخرج من امتي اقوام تتجارى بهم الاهوا كما يتجارى الكلب بصاحبه
لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله اخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وستفترق امتي على ثلاث
وسبعين ملة كلها في النار الا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال من كان على ما انا عليه
واصحابي اخرجه الترمذي قال الخطابي في هذا الحديث دلالة على ان هذه الفرق غير خارجة من
الملة والدين اذ جعلهم من امته وقوله يتجارى بهم الاهوا كما يتجارى الكلب بصاحبه التجاري تفاعل
من الجري وهو الوقوع في الاهوا الفاسدة والبدع المضلة تشبيها بجري الفرس والكلب قال ابن مسعود
ان احسن الحديث كتاب الله واحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها
ورواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا وقوله تعالى **لست منهم في شي** يعني في قتال الكفار
فعلى هذا تكون الاية منسوخة باية القتال وهذا على قول من يقول ان المراد من الاية اليهود والنصارى
والكفار ومن قال ان المراد من الاية اهل الاهوا والبدع من هذه الامة قال معناه لست منهم في شي
اي انت منهم بري وهم منك برا تقول العرب ان فعلت كذا فلست منك ولست مني اي كل واحد منا بري
من صاحبه **انما امرهم الى الله** يعني في الجزا والمكافاة **ثم ينبيهم بما كانوا يفعلون** يعني اذا وردوا القيمة
قوله تعالى **من جا بالحسنة فله عشر امثالها** يعني عشر حسنات امثالها **ومن جا بالسيئة فلا يجزى الا**
مثلها يعني مثلها في مقابلتها واختلفوا في هذه الحسنة والسيئة على قولين احدهما ان الحسنة قول
لا اله الا الله والسيئة هي الشرك بالله واورد على هذا القول ان كلمة التوحيد لا مثل لها حتى يجعل
جزا قايلها عشر امثالها واجيب عنه بان جزا الحسنة قدر معلوم عند الله فهو تعالى يجازي على قدر
ايمان المومن بما يشا الجزا وانما قال عشر امثالها للترغيب في الايمان لا للتحديد وكذلك جزا السيئة
بمثلها من جنسها والقول الثاني ان اللفظ عام في كل حسنة يعملها العبد او سيئة وهذا اولى لان حمل

اللفظ على العموم اولى قال بعضهم التقدير بالعشرة ليس للتحديد لان الله تعالى يضاعف لمن يشاء من حسنة الى سبعماية ويعطى من يشاء بغير حساب واعطاء هذا الثواب لعامل الحسنة فضل من الله تعالى هذا مذهب اهل السنة وجزاء السيئة بمثلها عدل منه سبحانه وتعالى او يعفو وهو قوله تعالى **وهم لا يظلمون** يعنى لا ينقص من ثواب الطايع ولا يزاد على عقاب العاصى (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احسن احدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر امثالها الى سبعماية ضعف وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها حتى يلقى الله تعالى (م) عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من جا بالحسنة فله عشر امثالها وازيد ومن جا بالسيئة فجزاء سيئة مثلها او اغفر ومن تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا ومن اتانى يمشى اتيته هرولة ومن لقينى بقراب الارض خطيئة بعد ان لا يشرك بى شيا لقيته بمثلها مغفرة (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اذا اراد عبدى ان يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فاكتبوها بمثله وان عملها فاكتبوها له بعشر امثالها الى سبعماية لفظ البخارى وفى لفظ مسلم عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى اذا تحدث عبدى بان يعمل حسنة فانا اكتبها له حسنة ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها بعشر امثالها واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بمثلها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملايكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة فانما تركها من جراى زاد الترمذى ثم قرا من جا بالحسنة فله عشر امثالها قوله عز وجل **قل** يعنى قل يا محمد لهولا المشركين من قومك **اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم** يعنى قل لهم اننى ارشدنى ربى الى الصراط القويم وهو دين الاسلام الذى ارتضاه الله لعباده المومنين **دينا قيما** يعنى هدانى صراطا مستقيما دينا قيما وقيل يحتمل ان يكون محمولا على المعنى تقديره وعرفنى دينا قيما يعنى دينا مستقيما لا اعوجاج فيه ولا زيغ وقيل قيما ثابتا مقوما لامور معاشى ومعادى وقيل هو من قام وهو ابلغ من القايم **ملة ابراهيم** والملة بالكسر الدين والشريعة يعنى هدانى وعرفنى دين ابراهيم وشريعته **حنيفا** الاصل فى الحنيف الميل وهو ميل عن الضلالة الى الاستقامة والعرب تسمى كل من اختتن او حج حنيفا تنبيها على انه على دين ابراهيم عليه السلام **وما كان من المشركين** يعنى ابراهيم صلى الله عليه وسلم وفيه رد على كفار قريش لانهم يزعمون انهم على دين ابراهيم فاخبر الله تعالى ان ابراهيم لم يكن من المشركين وممن يعبد الاصنام قوله تعالى **قل** اى قل يا محمد **ان صلاتى ونسكى** قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والسدى اراد بالنسك فى هذا الموضع الذبيحة فى الحج والعمرة وقيل النسك العبادة والناسك العابد وقيل المناسك اعمال الحج وقيل النسك كل ما يتقرب به الى الله عز وجل من صلاة وحج وذبح وعبادة ونقل الواحدى عن ابن الاعرابى قال النسك سبايك الفضة كل سبيكة منها نسيكة وقيل للمتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس الاثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث وفى قوله ان صلاتى ونسكى دليل على ان جميع العبادات يوديها العبد على الاخلاص لله ويوكد هذا فى اخر قوله لله رب العالمين لا شريك له وفيه دليل على ان جميع العبادات لا تودى الا على وجه التمام والكمال لان ما كان لله لا ينبغى ان يكون الا كاملا تاما مع اخلاص العبادة له فما كان بهذه الصفة من العبادات كانت مقبولة **ومحياى ومماتى** اى حياتى وموتى بخلق الله وقضايه وقدره اى هو يحيينى ويميتنى وقيل معناه ان محياى بالعمل الصالح ومماتى اذا

ثت

ـت على الايمان لله وقيل معناه ان طاعتى فى حياتى لله وجزاى بعد مماتى من الله وحاصل الكلام ان الله امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبين ان صلاته ونسكه وساير عباداته وحياته وموته كلها واقعة بخلق الله وقضايه وقدره وهو المراد بقوله **لله رب العالمين لا شريك له** يعنى فى العبادة والخلق والقضا والقدر وساير افعاله لا يشاركه فيها احد من خلقه **وبذلك امرت** يعنى قل يا محمد وبهذا التوحيد امرت **وانا اول المسلمين** قال قتادة يعنى من هذه الامة وقيل معناه وانا اول المستسلمين لقضايه وقدره قوله عز وجل **قل اغير الله ابغى ربا** اى قل يا محمد لهولاء الكفار من قومك اغير الله اطلب سيدا واتخذ الها **وهو رب كل شى** يعنى وهو سيد كل شى ومالكه لا يشاركه فيه احد وذلك ان الكفار قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ارجع الى ديننا قال ابن عباس كان الوليد بن المغيرة يقول اتبعوا سبيلى احمل عنكم اوزاركم فقال الله عز وجل ردا عليه **ولا تكسب كل نفس الا عليها** يعنى ان اثم الجانى عليه لا على غيره **ولا تزر وازرة وزر اخرى** يعنى لا تواخذ نفس اثمة باثم اخرى ولا تحمل نفس حاملة حمل اخرى ولا يواخذ احد بذنب غيره **ثم الى ربكم مرجعكم** يعنى يوم القيمة **فينبيكم بما كنتم فيه تختلفون** يعنى فى الدنيا من الاديان والملل قوله تعالى **وهو الذى جعلكم خلايف الارض** يعنى والله الذى جعلكم يا امة محمد خلايف فى الارض فان الله اهلك من كان قبلكم من الامم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلايف منهم فى الارض تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم وذلك لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبيا وهو امته وامته اخر الامم **ورفع بعضكم فوق بعض درجات** يعنى انه تعالى خالف بين احوال عباده فجعل بعضهم فوق بعض فى الخلق والرزق والشرف والعقل والقوة والفضل فجعل منهم الحسن والقبيح والغنى والفقير والشريف والوضيع والعالم والجاهل والقوى والضعيف وهذا التفاوت بين الخلق فى الدرجات ليس لاجل العجز او الجهل او البخل فان الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص وانما هو لاجل الابتلا والامتحان وهو قوله **ليبلوكم فيما اتاكم** يعنى ليعاملكم معاملة المبتلى والمختبر وهو اعلم باحوال عباده والمعنى ليبتلى الغنى بغناه والفقير بفقره والشريف بشرفه والوضيع بدناته والعبد والحر وغيرهم من جميع اصناف خلقه ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب والعقاب لان العبد اما ان يكون مقصرا فيما كلف به واما ان يكون موفيا ما امر به فان كان مقصرا كان نصيبه التخويف والترهيب وهو قوله تعالى **ان ربك سريع العقاب** يعنى لاعدايه واهلاكهم فى الدنيا وانما وصف العقاب بالسرعة لان كل ما هو ات فهو قريب وان كان العبد حقوق الله فيما امره به او نهاه عنه كان نصيبه الترغيب والتشريف والتكريم وهو قوله تعالى **وانه لغفور** يعنى لذنوب اوليايه واهل طاعته **رحيم** يعنى بجميع خلقه والله اعلم باسرار كتابه

تفسير سورة الاعراف مكية

بسم الله الرحمن الرحيم روى ذلك عن ابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد وعكرمة وعطا وجابر بن زيد وقتادة وروى عن ابن عباس ايضا انها مكية الا خمس ايات اولها واسالهم عن القرية وبه قال قتادة وقال مقاتل ثمان ايات فى سورة الاعراف مدنية اولها واسالهم عن القرية الى قوله واذ اخذ ربك وهى مايتان وست ايات وثلاثة الاف وثلثماية وخمس وعشرون كلمة واربعة عشر الف حرف وعشرة احرف **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **المص** قال ابن عباس معناه انا الله افصل وعنه انا الله اعلم وافصل وعنه ان المص قسم اقسم الله به وهو اسم من اسما الله تعالى وقال قتادة المص اسم من اسما القران وقال الحسن

هو اسم للسورة وقال السدى هو بعض اسمه تعالى المصور وقال ابو العالية الالف مفتاح اسم الله
واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد والصاد مفتاح اسمه صادق وصبور وقيل هي
حروف مقطعة استاثر الله بعلمها وهي سره في كتابه العزيز وقيل هي حروف اسمه الاعظم وقيل هي حروف
تحوي معاني دل الله بها خلقه على مراده وقد تقدم بسط الكلام في معاني الحروف المقطعة في اوايل السور
في اول سورة البقرة وقوله **كتاب انزل اليك** يعني هذا كتاب انزله الله اليك يا محمد وهو القران
فلا يكن في صدرك حرج منه يعني فلا يضيق صدرك بالابلاغ وتادية ما ارسلت به الى الناس **لتنذر به**
يعني انزلنا اليك الكتاب يا محمد لتنذر به من امرتك بانذاره **وذكرى للمومنين** يعني ولتذكر وتعظ
به المومنين وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم تقديره كتاب انزلناه اليك لتنذر به وذكرى
للمومنين فلا يكن في صدرك حرج منه قال ابن عباس فلا تكن في شك منه لان الشك لا يكون الا من ضيق
الصدر وقلة الاتساع لتوجيه ما حصل له قوله تعالى **اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم** اي قل يا محمد لقومك
اتبعوا ايها الناس ما انزل اليكم من ربكم من القران الذي فيه الهدى والنور والبيان قال الحسن يا ابن
ادم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم والله ما نزلت اية الا ويجب ان تعلم فيما انزلت
وما معناها ونحو هذا قال الزجاج اي اتبعوا القران وما اوتي به النبي صلى الله عليه وسلم فانه مما انزل
لقوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ومعنى الاية ان الله تعالى لما امر رسوله
صلى الله عليه وسلم بالانذار في قوله لتنذر به فكان معنى الكلام انذر القوم وقال لهم اتبعوا ما انزل
اليكم من ربكم واتركوا ما انتم عليه من الكفر والشرك وقيل معناه لتنذر به وتذكر به المومنين فتقول لهم
اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وقيل هو خطاب للكفار اي اتبعوا ايها المشركون ما انزل اليكم من ربكم ويدل
عليه قوله تعالى **ولا تتبعوا من دونه اوليا** ولا تتخذوا الذين يدعونكم الى الكفر والشرك اوليا فتتبعونهم
يعني والمعنى ولا تتولوا من دونه شياطين الانس والجن فيامرونكم بعبادة الاصنام واتباع البدع والاهوا
الفاسدة **قليلا ما تذكرون** يعني ما تتعظون الا قليلا قوله عز وجل **وكم من قرية اهلكناها** لما امر
الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار والابلاغ وامر امته باتباع ما انزل اليهم حذرهم نقمته
وباسه ان لم يتبعوا ما امر به فذكر في هذه الاية ما في ترك المتابعة والاعراض عن امره من الوعيد
فقال تعالى وكم من قرية اهلكناها قيل فيه حذف تقديره وكم من اهل قرية لان المقصود بالهلاك اهل
القرية لا القرية وقيل ليس فيه حذف لان اهلاك القرية اهلاك لاهلها **فجاءها باسنا** يعني عذابنا
فان قلت مجي الباس وهو العذاب انما يكون قبل الاهلاك فكيف قال اهلكناها فجاءها باسنا قلت
معناه وكم من قرية حكمنا باهلاكها فجاءها باسنا وقال الفرا ان الاهلاك والباس قد يتقاربان معا كما
يقال اعطيتني فاحسنت الي فلم يكن الاحسان قبل العطا ولا بعده وانما وقعا معا وقال غيره لا فرق
بين قولك اعطيتني فاحسنت الي او احسنت الي فاعطيتني فيكون احدهما بدلا من الاخر **بياتا** يعني
فجاءها عذابنا ليلا قبل ان يصبحوا **او هم قايلون** من القيلولة وهي نوم نصف النهار او استراحة
نصف النهار وان لم يكن معها نوم والمعنى فجاءها باسنا غفلة وهم غير متوقعين له ليلا وهم نايمون
او نهارا وهم قايلون وقت الظهيرة وكل ذلك وقت الغفلة ومقصود الاية انه جاءهم العذاب على
حين غفلة منهم من غير تقدم امارة تدلهم على وقت نزول العذاب وفيه وعيد وتخويف للكفار كانه قيل
لهم لا تغتروا باسباب الامن والراحة فان عذاب الله اذا نزل دفعة واحدة **فما كان دعواهم** يعني

فما كان

فما كان دعا اهل القرية التي جاءهم باسنا والدعوى تكون بمعنى الادعا وبمعنى الدعا قال سيبويه
تقول العرب اللهم اشركنا في صالح دعوى المسلمين ومنه قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم **اذ جاءهم
باسنا** يعني عذابنا **الا ان قالوا انا كنا ظالمين** يعني انهم لم يقدروا على رد العذاب عنهم وكان
حاصل امرهم الاعتراف بالجناية وذلك حين لا ينفع الاعتراف **فلنسالن الذين ارسل اليهم**
يعني لنسالن الامم الذين ارسلت اليهم الرسل الذين ارسلتهم الى الامم هل بلغتم رسالاتي وادبتم
الامم ما امرتم بتاديته اليهم ام قصرتم في ذلك قال ابن عباس في معنى هذه الاية يسال الله الناس عما
اجابوا المرسلين ويسال المرسلين عما بلغوا عنه انه قال يوضع الكتاب يوم القيمة فيتكلم بما كانوا يعملون
وقال السدى يسال الامم ما عملوا فيما جاءت به الرسل ويسال الرسل هل بلغوا ما ارسلوا به فان
قلت قد اخبر عنهم في الاية الاولى بانهم اعترفوا على انفسهم بالظلم في قوله انا كنا ظالمين فما فايدة
هذا السوال مع اعترافهم على انفسهم بذلك قلت اعترفوا بانهم كانوا ظالمين مقصرين ثم سيلوا بعد ذلك
عن سبب هذا الظلم والتقصير والمقصود من هذا التقريع والتوبيخ للكفار فان قلت فما الفايدة
في سوال الرسل مع العلم بانهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من ارسلوا اليهم من الامم قلت انه اذا كان يوم
القيمة انكر الكفار تبليغ الرسل فقالوا ما جانا من بشير ولا نذير فكان مسيلة الرسل على وجه
الاستشهاد لهم على من ارسلوا اليه من الامم انهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من ارسلوا اليهم من
الامم فتكون هذه المسيلة كالتقريع والتوبيخ للكفار ايضا لانهم انكروا تبليغ الرسل فيزداد بذلك
حزنهم وهوانهم وعذابهم وقوله تعالى **فلنقصن عليهم بعلم** يعني فلنخبرن الرسل ومن ارسلوا اليهم
بعلم يقين بما عملوا في الدنيا **وما كنا غايبين** يعني عنهم وعن افعالهم وعن الرسل فيما بلغوا وعن
الامم فيما اجابوا فان قلت كيف الجمع بين قوله فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين
وبين قوله فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غايبين فان كان عالما فما فايدة السوال قلت فايدة
سوال الامم والرسل مع علمه سبحانه وتعالى بجميع المعلومات التوبيخ والتقريع للكفار لانهم اذا اقروا
على انفسهم كان ابلغ في المقصود فاما سوال الاسترشاد والاستفتاء فهو منفي عن الله عز وجل لانه عالم
بجميع الاشيا قبل كونها وفي حال كونها وبعد كونها فهو العالم بالكليات والجزئيات وعلمه بظاهر الاشيا
كعلمه بباطنها قوله تعالى **والوزن يومئذ الحق** يعني والوزن يوم سوال الامم والرسل وهو يوم القيامة
العدل وقال مجاهد المراد بالوزن هنا القضا ومعنى الحق العدل وذهب جمهور المفسرين الى ان المراد
بالوزن وزن الاعمال بالميزان وذلك بان الله عز وجل ينصب ميزانا له لسان وكفتان كل كفة
قدر ما بين المشرق والمغرب قال ابن الجوزي جا في الحديث ان داود عليه السلام سال ربه ان يريه
الميزان فاراه اياه فقال الهي من يقدر ان يملا كفته حسنات فقال يا داود اذا رضيت عن عبدي
ملاتها بتمرة وقال حذيفة جبريل صاحب الميزان يوم القيمة فيقول له ربه عز وجل زن بينهم ورد
من بعضهم على بعض وليس ثم ذهب ولا فضة فيرد على المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة
فان لم يكن له حسنة اخذ من سيات المظلوم فترد على سيات الظالم فيرجع الرجل وعليه مثل
الجبل فان قلت اليس الله عز وجل يعلم مقادير اعمال العباد فما الحكمة في وزنها قلت فيه حكم منها
اظهار العدل وان الله عز وجل لا يظلم عباده ومنها امتحان الخلق بالايمان بذلك في الدنيا واقامة
الحجة عليهم في العقبى ومنها تعريف العباد ما لهم من خير وشر وحسنة وسيئة ومنها اظهار علامة السعادة

والشقاوة ونظيره انه تعالى اثبت اعمال العباد في اللوح المحفوظ ثم في صحائف الحفظة الموكلين ببني
ادم من غير جواز النسيان عليه سبحانه وتعالى ثم اختلف العلماء في كيفية الوزن فقال بعضهم توزن صحائف
الاعمال المكتوب فيها الحسنات والسيئات ويدل على ذلك حديث البطاقة وهو ما روي عن عمرو بن
العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يستخلص رجلا من امتي على رؤوس الخلائق
يوم القيمة فينشر له تسعا وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي
الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول الله تعالى بلى ان لك عندنا حسنة
فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج الله بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله
فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فانك لا تظلم عليك اليوم
فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم
الله شيء اخرجه الترمذي واحمد بن حنبل وقال ابن عباس يؤتى بالاعمال الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال
السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان فعلى قول ابن عباس ان الاعمال تتصور صورا او توضع
تلك الصور في الميزان ويخلق الله في تلك الصور ثقلا وخفة ونقل البغوي عن بعضهم انه توزن
الاشخاص واستدل لذلك بما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليأتي الرجل العظيم
السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة اخرجاه في الصحيحين وهذا الحديث ليس فيه
دليل على ما ذكر من وزن الاشخاص في الميزان لان المراد بقوله لا يزن عند الله جناح بعوضة مقداره
وحرمته لا وزن جسده ولحمه والصحيح قول من قال ان صحائف الاعمال توزن او نفس الاعمال تتجسد
وتوزن والله اعلم بحقيقة ذلك وقوله تعالى **فمن ثقلت موازينه** جمع ميزان فاورد على هذا
انه ميزان واحد فما وجه الجمع واجيب عنه بان العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقيل انه ينصب لكل
عبد ميزان وقيل انما جمعه لان الميزان يشتمل على الكفتين والشاهين واللسان ولا يتم الوزن الا
باجتماع ذلك كله وقيل هو جمع موزون يعني من رجحت اعماله بالحسنة الموزونة التي لها وزن وقدر
فاولئك هم المفلحون يعني هم الناجون غدا والفائزون بثواب الله وجزائه **ومن خفت موازينه** يعني
موازين اعماله وهم الكفار بدليل قوله فاولئك **الذين خسروا انفسهم** يعني غبنوا انفسهم حظوظها من جزيل
ثواب الله وكرامته **بما كانوا باياتنا يظلمون** يعني بسبب ذلك الخسران انهم كانوا بحجج الله وادلة توحيده
يجحدون ولا يقرون بها روي عن ابي بكر الصديق انه حين حضره الموت قال في وصيته لعمر بن الخطاب
انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيمة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع
فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيمة باتباعهم الباطل في
الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا قوله عز وجل **ولقد مكناكم
في الارض** يعني ولقد مكناكم ايها الناس في الارض والمراد من التمكين التمليك وقيل معناه جعلنا لكم
فيها مكانا وقرارا واقدرناكم على التصرف فيها **وجعلنا لكم فيها معايش** جمع معيشة يعني به جميع وجوه
المنافع التي يحصل بها الارزاق وتعيشون بها ايام حياتكم وهي على قسمين احدهما ما انعم الله به على
عباده من الزرع والثمار وانواع الماكل والمشارب والثاني ما يحصل من المكاسب والارباح في انواع
التجارات والصنائع وكلا القسمين في الحقيقة انما يحصل بفضل الله وانعامه واقداره وتمكينه لعباده
من ذلك فثبت بذلك ان جميع معايش العالم انعام من الله تعالى على عباده وكثرة الانعام توجب

الطاعة

الطاعة للمنعم بها والشكر له عليها ثم بين تعالى انه مع هذا الافضال على عباده وانعامه عليهم لا
يقومون بشكره كما ينبغي فقال تعالى **قليلا ما تشكرون** يعني على ما صنعت اليكم وانعمت به عليكم
وفيه دليل على انهم قد يشكرون لان الانسان قد يذكر نعم الله فيشكره عليها فلا يخلو في بعض الاوقات
من الشكر على النعم وحقيقة الشكر تصور النعمة واظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة
وسترها قوله تعالى **ولقد خلقناكم ثم صورناكم** يعني ولقد خلقناكم ايها الناس المخاطبون بهذا
الخطاب وقت نزوله في ظهر ابيكم ادم ثم صورناكم في ارحام النساء صورا مخلوقة فان قلت على هذا
التفسير يكون قوله **ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم** يقتضي ان الامر بالسجود لادم كان وقع بعد خلق
المخاطبين بهذا الخطاب وتصويرهم لان كلمة ثم للتراخي ومعلوم ان الامر ليس كذلك بل كان السجود
لادم عليه السلام قبل خلق ذريته قلت يحتمل ان يكون المعنى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ايها المخاطبون
ثم اخبرناكم انا قلنا للملائكة اسجدوا لادم فتكون كلمة ثم تفيد ترتيب خبر على خبر ولا تفيد ترتيب المخبر
على المخبر وقيل في معنى الاية ولقد خلقناكم يعني ادم ثم صورناكم يعني ذريته وهذا قول ابن عباس وقال
مجاهد فلقد خلقناكم يعني ادم ثم صورناكم يعني في ظهره وعلى هذين القولين انما ذكر ادم بلفظ الجمع
على التعظيم او لانه ابو البشر فكان في خلقه خلق من خرج من صلبه وقيل ان الخلق والتصوير يرجع الى ادم وحده
والمعنى ولقد خلقناكم يعني ادم حكما بخلقه ثم صورناكم يعني ادم يعني صورة من طين ثم قلنا للملائكة
اسجدوا لادم يعني بعد اكمال خلقه وقد تقدم في سورة البقرة الكلام في معنى هذا السجود وانه
كان على سبيل التحية والتعظيم لادم لا حقيقة السجود وقيل بل كان حقيقة السجود وان المسجود
له هو الله تعالى وانما كان ادم كالقبلة للساجدين وقيل بل كان السجود له وكان ذلك بامر الله
تعالى وهل كان هذا الامر بالسجود لجميع الملائكة او لبعضهم فيه خلاف تقدم ذكره وقوله تعالى **فسجدوا**
يعني الملائكة **الا ابليس** يعني فسجد الملائكة لادم الا ابليس **لم يكن من الساجدين** لادم ظاهر الاية يدل
على ان ابليس كان من الملائكة لان الله تعالى استثناه منهم وكان الحسن يقول ان ابليس لم يكن من
الملائكة لانه خلق من نار والملائكة من نور وانما استثناه من الملائكة لانه كان مامورا بالسجود لادم
مع الملائكة فلما لم يسجد اخبر الله عنه انه لم يكن من الساجدين لادم فلهذا استثناه منهم قوله عز
وجل **قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك** يعني قال الله عز وجل لابليس اي شيء منعك من السجود لادم
اذ امرتك به فعلى هذا التاويل تكون كلمة لا في قوله ان لا تسجد صلة زائدة وانما دخلت للتوكيد
والتقدير ما منعك ان تسجد فهو كقوله لا اقسم اي اقسم وقوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون
اي يرجعون وقوله لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم اهل الكتاب وهذا قول الكسائي والفراء والزجاج
والاكثرين وقيل ان كلمة لا هنا على اصلها مفيدة وليست بزائدة لانه لا يجوز ان يقال ان كلمة من
كتاب الله زائدة او لا تفيد لها وعلى هذا القول حكى الواحدي عن احمد بن يحيى ان لا في هذه الاية
ليست زائدة ولا توكيد لان معنى قوله ما منعك الا تسجد من قال لك لا تسجد فحمل نظم الكلام
على معناه وهذا القول حكاه ابو بكر عن الفراء وقال الطبري الصواب في ذلك ان يقال ان في الكلام
محذوفا وتقديره ما منعك من السجود فاحوجك الا تسجد فترك ذكر احوجك استغناء بمعرفة السامعين
ونقل الامام فخر الدين الرازي عن القاضي قال ذكر الله المنع واراد الداعي فكانه قال ما دعاك الى
الا تسجد لان مخالفة الله عز وجل حالة عظيمة يتعجب منها ويسال عن الداعي اليها فان قلت

لم سأله عن المانع من السجود وهو أعلم به قلت للتوبيخ والتقريع له ولإظهار معاندته وكفره وافتخاره بأصله وحسده لآدم ولذلك لم يتب منه قال يعني قال إبليس مجيبا لله عما سأله عنه أنا خير منه فإن قلت قوله أنا خير منه ليس بجواب عما سأله عنه في قوله ما منعك أن لا تسجد فلم يجب بما منعه من السجود فإنه كان ينبغي له أن يقول منعني كذا وكذا ولكنه قال أنا خير منه قلت استأنف قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وفيها دليل على موضع الجواب وهو قوله خلقتني من نار وخلقته من طين والنار خير من الطين وأنور وإنما قال أنا خير منه لما رأى أنه أشد منه قوة وأفضل منه فضلا وذلك لفضل الجنس الذي خلق منه وهو النار على الطين الذي خلق منه آدم فجهل عدو الله إبليس وجه الحق وأخطأ طريق الصواب لأن من المعلوم أن من جوهر النار الخفة والطيش والارتفاع والاضطراب وهذا الذي حمل الخبيث إبليس مع الشقاء الذي سبق له من الله تعالى في الكتاب السابق على الاستكبار على السجود لآدم عليه السلام والاستخفاف بأمر ربه فأورده ذلك العطب والهلاك ومن المعلوم أن من جواهر الطين الرزانة والأناة والصبر والحلم والحياء والتثبت وهذا كان الداعي لآدم عليه السلام مع السعادة السابقة التي سبقت له من الله تعالى في الكتاب السابق إلى التوبة من خطيئته ومسألته ربه العفو عنه والمغفرة ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان أول من قاس إبليس فأخطأ وقال ابن سيرين أيضا ما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس وأصل هذا القياس الذي قاسه إبليس لما رأى أن النار أفضل من الطين وأقوى فقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يدر أن الأفضل لمن جعله الله فاضلا وأن الأفضلية والخيرية لا تحصل بسبب فضيلة الأصل والجوهر وأيضا الفضيلة إنما تحصل بسبب الطاعة وقبول الأمر فالمؤمن الحبشي خير من الكافر القرشي فإن الله تعالى خص صفيه آدم عليه السلام بأشياء لم يخص بها غيره وهو أنه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأورثه الاجتباء والتوبة والهداية إلى غير ذلك مما خص الله به آدم عليه السلام التي سبقت له في القدم وأورث إبليس كثرة اللعنة والطرد للشقاوة التي سبقت في القدم وأورث إبليس كثرة اللعنة والطرد للشقاوة التي سبقت له في القدم قوله تعالى قال فاهبط منها قال الله عز وجل لإبليس اهبط من الجنة وقيل من السماء إلى الأرض والهبوط الانتزال والانحدار من فوق على سبيل القهر والهوان والاستخفاف فما يكون لك أن تتكبر فيها يعني فليس لك أن تستكبر في الجنة عن أمري وطاعتي لأنه لا ينبغي أن يكون في الجنة أو في السماء متكبر مخالف لأمر الله عز وجل فأما غير الجنة والسماء فقد يسكنها المستكبر عن طاعة الله وهم الكفار الساكنون في الأرض فاخرج إنك من الصاغرين يعني إنك من الأذلاء المهانين والصغار الذل والمهانة قال الزجاج استكبر عدو الله إبليس فابتلاه الله بالصغار والذلة وقيل كان له ملك الأرض فأخرجه الله منها إلى جزائر البحر الأخضر وعرشه عليه فلا يدخل الأرض إلا خائفا كهيئة السارق مثل شيخ عليه أطمار رثة يروغ فيها حتى يخرج منها قال يعني قال إبليس عند ذلك أنظرني يعني أخرني وأمهلني فلا تمتني إلى يوم يبعثون يعني من قبورهم وهي النفخة الآخرة عند قيام الساعة وهذا من جهالة الخبيث إبليس لأنه سأل ربه الإمهال وقد علم أنه لا سبيل لأحد من خلق الله إلى البقاء في الدنيا ولكنه كره أن يذوق الموت فطلب البقاء والخلود فلم يجب إلى ما سأل بل قال الله إنك من المنظرين يعني من المؤخرين المهلين وقد بين الله تعالى مدة النظرة والمهلة في سورة الحجر فقال إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم وذلك هو النفخة الأولى حين يموت الخلق

كلهم

كلهم فإن قلت ما وجه قوله إنك من المنظرين وليس أحد ينظر سواه قلت معناه أن الذين تقوم عليهم الساعة منظرون إلى ذلك الوقت بآجالهم فهو منهم قال يعني إبليس فبما أغويتني يعني فبأي شيء أضللتني فعلى هذا تكون ما استفهامية ثم الكلام عند قوله أغويتني ثم ابتدأ فقال لأقعدن لهم صراطك المستقيم وقيل هي باء القسم تقديره فبإغوائك إياي وقيل معناه فبما أوقعت في قلبي الغي الذي كان سبب هبوطي إلى الأرض من السماء وأضللتني عن الهدى لأقعدن لهم صراطك المستقيم يعني لأجلسن على صراطك القويم وهو طريق الإسلام وقيل المراد بالصراط المستقيم الطريق الذي يسلكونه إلى الجنة وذلك بأن أوسوس إليهم وأزين الباطل وما يكسبهم المآثم وقيل المراد بالصراط المستقيم هنا طريق مكة يعني يمنعهم من الهجرة وقيل المراد به الحج والقول الأول أولى لأنه يعم الجميع ومعنى الآية لأصدن بني آدم عن عبادتك وطاعتك ولأغوينهم ولأضلنهم كما أضللتني عن سبرة بن أبي الفاكه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له في طريق الإسلام فقال تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك فعصاه وأسلم وقعد له بطريق الهجرة فقال تهاجر وتذر أرضك وسماءك وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول فعصاه فهاجر فقعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال فعصاه فجاهد قال فمن فعل ذلك كان حقا على الله أن يدخله الجنة وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة أو وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة أخرجه النسائي وقوله تعالى إخبارا عن إبليس ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم قال ابن عباس من بين أيديهم يعني من قبل الآخرة فأشككهم فيها ومن خلفهم يعني من قبل الدنيا فأرغبهم فيها وعن أيمانهم يشبه عليهم أمر دينهم وعن شمائلهم أشهي لهم المعاصي وإنما جعل الآخرة من بين أيديهم في هذا القول لأن الإنسان يسعى فيها ويشاهدها فهي حاضرة بين يديه والآخرة غائبة عنه فهي خلفه وقال الحكم بن عتيبة من بين أيديهم يعني من قبل الدنيا فأزينها لهم ومن خلفهم من قبل الآخرة فأثبطهم عنها وعن أيمانهم يعني من قبل الحق فأصدهم عنه وعن شمائلهم من قبل الباطل فأزينه لهم وقال قتادة أتاهم من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من أمر الدنيا فزينها لهم ودعاهم إليها وعن أيمانهم من قبل حسناتهم ثبطهم عنها وعن شمائلهم زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم إليها أتاك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك ولم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله وقال مجاهد يأتيهم من بين أيديهم وعن أيمانهم من حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا يبصرون ومعنى هذا أنهم يخطئون ويعلمون أنهم يخطئون ومن حيث لا يبصرون أنهم يخطئون ولا يعلمون أنهم يخطئون وقيل من بين أيديهم يعني فيما بقي من أعمارهم فلا يقدمون فيه طاعة ومن خلفهم يعني ما مضى من أعمارهم فلا يتوبون عما أسلفوا فيه من معصية وعن أيمانهم يعني من قبل الغنى فلا ينفقون ولا يشكرون ومن خلفهم يعني من قبل الفقر فلا ينفقون فيه من محظور ما لوه قال شقيق البلخي ما من صباح إلا ويأتيني الشيطان من الجهات الأربع من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي أما من بين يدي فيقول لا تخف فإن الله غفور رحيم فأقرأ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وأما من خلفي فيخوفني من وقوع أولادي في الفقر فأقرأ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وأما من قبل يميني فيأتيني من الثناء فأقرأ والعاقبة للمتقين وأما من قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فأقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون وقيل إن ذكر هذه الجهات الأربع إنما أريد بها التأكيد والمبالغة في

القا الوسوسة في قلب ابن ادم وانه لا يقصر في ذلك ومعنى الاية على هذا القول ثم لاتينهم من جميع الوجوه الممكنة بجميع الاعتبارات وقوله **ولا تجد اكثرهم شاكرين** يعني ولا تجد يا رب اكثر بني ادم شاكرين لك على نعمتك التي انعمت بها عليهم وقال ابن عباس معناه ولا تجد اكثرهم موحدين فان قلت كيف علم الخبيث ابليس ذلك حتى قال ولا تجد اكثرهم شاكرين قلت قاله ظنا فاصاب ومنه قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل انه كان عازما على المبالغة في تزيين الشهوات وتحسين القبايح وعلم ميل بني ادم الى ذلك فقال هذه المقالة وقيل انه راه مكتوبا في اللوح المحفوظ فقال هذه المقالة على سبيل اليقين والقطع والله اعلم بمراده قوله عز وجل **قال اخرج منها** اي قال الله لابليس حين طرده عن بابه وابعده عن ان يسكن فيها العصاة **مذوما** يعني معيبا والذام اشد العيب **مدحورا** يعني منفيا مطرودا وقال ابن عباس صغيرا ممقوتا وقال قتادة لعينا مقيتا وقال الكلبي ملوما مقصيا من الجنة ومن كل خير **لمن تبعك منهم** يعني من بني ادم **لاملان جهنم منكم اجمعين** اللام لام القسم اقسم الله ان من تبع ابليس من بني ادم واطاعه ان يملا جهنم منه وممن كفر من بني ادم ومن ابليس وذريته ومن تبعه منهم قوله تعالى **ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة** اي وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة يعني حوى الجنة وذلك بعد ان اهبط منها ابليس واخرجه وطرده من الجنة **فكلا من حيث شيتما** يعني فكلا من ثمار الجنة من اي مكان شيتما فان قلت قال في سورة البقرة وكلا بالواو وقال هنا فكلا بالفا فما الفرق قلت قال الامام فخر الدين الرازي ان الوا وتفيد الجمع المطلق والفا تفيد الجمع على سبيل التعقيب فالمفهوم من الفا نوع داخل تحت المفهوم من الواو ولا منافاة بين النوع والجنس ففي سورة البقرة ذكر الجنس وهنا ذكر النوع **ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** تقدم في سورة البقرة الكلام على تفسير هذه الاية مستوفا قوله تعالى **فوسوس لهما الشيطان** يعني فوسوس اليهما والوسوسة حديث يلقيه الشيطان في قلب الانسان يقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا مكررا واصله من صوت الحلي ومعنى وسوس لهما فعل الوسوسة والقاها اليهما فان قلت كيف وسوس اليهما وادم وحوى في الجنة وابليس قد اخرج منها قلت ذكر الامام فخر الدين في الجواب عن هذا السوال عن الحسن انه قال كان يوسوس في الارض الى السما الى الجنة بالقوة والقوية التي جعلها الله له وقال ابو مسلم الاصبهاني بل كان ادم وابليس في الجنة لان هذه الجنة كانت بعض جنات الارض والذي يقوله بعض الناس من ان ابليس دخل في جوف الحية فدخلت به الحية الى الجنة فقصة مشهورة ركيكة وقال اخرون ان ادم وحوى ربما قربا من باب الجنة وكان ابليس واقفا من خارج الجنة على بابها فقرب احدهما من الاخر فحصلت الوسوسة هناك فان قلت ان ادم عليه السلام قد عرف ما بينه وبين ابليس من العداوة فكيف قبل قوله قلت يحتمل ان يقال ان ابليس لقي ادم مرارا كثيرة ورغبه في اكل هذه الشجرة بطرق كثيرة منها قوله هل ادلك على شجرة الخلد ومنها قوله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فلاجل هذه المواظبة والمداومة على هذا التمويه اثر كلام ابليس في ادم حتى اكل من الشجرة **ليبدي لهما ما ووري عنهما من سواتهما** ليظهر لهما ما غطي وستر من عوراتهما وقوله ما ووري ماخوذ من المواراة وهو الستر يقال واريته بمعنى سترته والسوة فرج الرجل والمراة سمي بذلك لان ظهوره يسو الانسان وفي الاية دليل على ان كشف العورة من المنكرات المحرمات واللام في قوله ليبدي لهما لام العاقبة وذلك لان ابليس لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتهما وانما كان حملهما على المعصية فقط فكان عاقبة امرهما ان بدت عوراتهما **وقال** يعني وقال ابليس لادم

وحوى

وحوى **ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة** يعني عن الاكل من هذه الشجرة **الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين** يعني انما نهاكما عن هذه الشجرة لكيلا تكونا ملكين من الملايكة تعلمان الخير والشر وتكونا من الباقين الذين لا يموتون وانما اطمع ابليس ادم بهذا لانه علم ان الملايكة لهم المنزلة والقرب من العرش فاستشرف لذلك ادم واحبه اوانه يعيش مع الملايكة لطول اعمارهم او يكون مع الخالدين الذين لا يموتون ابدا فان قلت ظاهر الاية يدل على ان الملك افضل من الانبيا لان ادم عليه السلام طلب ان يكون من الملايكة وهذا يدل على فضلهم عليه قلت ليس في ظاهر الاية ما يدل على ذلك لان ادم عليه السلام ما طلب ان يكون من الملايكة لان ذلك الطلب قبل ان يشرف بالنبوة وكانت هذه الواقعة قبل نبوة ادم فطلب ان يكون من الملايكة او من الخالدين وعلى تقدير ان تكون هذه الواقعة وقعت في زمان النبوة بعد ان شرف بها ادم انما طلب ان يكون من الملايكة لطول اعمارهم لا لانهم افضل منه حتى يلحق بهم في الفضل لانه طلب اما ان يكون من الملايكة لطول اعمارهم او من الخالدين الذين لا يموتون ابدا وقوله تعالى **وقاسمهما** اي واقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التي تختص بالواحد **اني لكما لمن الناصحين** قال قتادة حلف لهما بالله حتى خدعهما وقد يخدع المومن بالله فقال اني خلقت قبلكما وانا اعلم منكما فاتبعاني ارشدكما وقال بعض العلما من خادعنا بالله خدعنا له **فدلاهما بغرور** يعني فخدعهما بغرور يقال ما زال فلان يدلي فلانا بغرور يعني ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف من القول باطل قال الازهري واصله ان الرجل العطشان يتدلى في البير لياخذ الما فلا يجد فيها ما فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فايدة فيه والغرور اظهار النصح مع ابطان الغش ونحو ان ابليس حطهما من منزلة الطاعة الى حالة المعصية لان التدلي لا يكون الا من علو الى اسفل ومعنى الاية ان ابليس غر ادم باليمين الكاذبة وكان ادم يظن ان احدا لا يحلف بالله كاذبا وابليس اول من حلف بالله كاذبا فلما حلف ابليس ظن ادم انه صادق فاغتر به **فلما ذاقا الشجرة** يعني طعما من ثمرة الشجرة وفيه دليل على انهما تناولا اليسير من ذلك قصدا الى معرفة طعمه لان الذوق يدل على الاكل اليسير **بدت لهما سواتهما** يعني ظهرت لهما عوراتهما قال ابن عباس قبل ان ازدرد اخذتهما العقوبة قبل ان بدت وظهرت لهما سواتهما وتهافت عنهما لباسهما حتى ابصر كل واحد منهما ما ووري عنه من عورة صاحبه وكانا لا يريان ذلك وقال وهب كان لباسهما من النور لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا فلما اصابا الخطية بدت لهما سواتهما وقال قتادة كان لباس ادم في الجنة ظفرا كله فلما وقع في الذنب كشط عنه وبدت سواته **وطفقا** يعني فاقبلا وجعلا **يخصفان عليهما من ورق الجنة** يعني انهما لما بدت سواتهما جعلا يرقعان ويلزقان عليهما من ورق الجنة ومنه ورق التين حتى صار كهيية الثوب وقال الزجاج جعلا ورقة على ورقة ليستترا سواتهما وفي الاية دليل على ان كشف العورة من ابن ادم قبيح الا ترى انهما بادرا الى ستر العورة لما تقرر في عقلهما من قبح كشفها روى ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ادم رجلا طوالا كانه نخلة سحوق كثير شعر الراس فلما وقع في الخطية بدت له سواته وكان لا يراها فانطلق فارا فعرضت له شجرة من شجر الجنة فحبسته بشعره فقال لها ارسليني قالت لست بمرسلتك فناداه ربه يا ادم امني تفر قال لا يا رب ولكني استحييتك ذكره البغوي بغير سند واسنده الطبري من طريقين موقوفا ومرفوعا قوله تعالى **وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة** يعني ان الله تعالى نادى ادم وحوى

وناداهما فقال الم انهكما عن اكل ثمرة هذه الشجرة **واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين** يعني الم اعلمكما ان الشيطان قد بان عداوته لكما بترك السجود حسدا وبغيا قال ابن عباس لما اكل ادم من الشجرة قيل له لم اكلت من الشجرة التي نهيتك قال حوى امرتني قال فاني قد اعطيتها ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها قال فرنت حوى عند ذلك فقيل لها الرنة عليك وعلى بناتك وقال محمد بن قيس ناداه ربه يا ادم لم اكلت منها وقد نهيتك قال اطعمتني حوى قال لحوى لم اطعمتيه قالت امرتني الحية قال للحية لم امرتيها قالت امرني ابليس قال الله تعالى اما انت يا حوى فكما ادميت الشجرة تدمين كل شهر واما انت يا حية فاقطع رجليك فتمشين على وجهك وسيشدخ راسك من لقيك واما انت يا ابليس فملعون مدحور يعني مطرود عن الرحمة وقيل ناداه ربه يا ادم اما خلقتك بيدي اما نفخت فيك من روحي اما اسجدت لك ملايكتي اما اسكنتك جنتي في جواري قوله عز وجل **قالا ربنا ظلمنا انفسنا** وهذا خبر من الله عز وجل عن ادم عليه السلام وحوى واعترافهما على انفسهما بالذنب والندم على ذلك والمعنى قالا يا ربنا انا فعلنا بانفسنا من الاساءة اليها بمخالفة امرك وطاعة عدونا وعدوك ما لم يكن لنا ان نطيعه فيه من اكل الشجرة التي نهيتنا عن اكلها **وان لم تغفر لنا** يعني وان انت يا ربنا ان لم تستر علينا ذنبنا **وترحمنا** يعني وتتفضل علينا برحمتك **لنكونن من الخاسرين** يعني من الهالكين قال قتادة قال ادم رب ارايت ان تبت اليك واستغفرتك قال اذا ادخلك الجنة واما ابليس فلم يسالا التوبة وساله النظرة فاعطي كل واحد منهما ما ساله وقال الضحاك في قوله ربنا ظلمنا انفسنا قال هي الكلمات التي تلقاها ادم من ربه عز وجل فصل واستدل من يرى صدور الذنب من الانبيا عليهم السلام بهذه الاية واجيب عنه بان درجة الانبيا في الرفعة والعلو والمعرفة بالله عز وجل مما حملهم على الخوف منه والاشفاق من المواخذة بما لا يواخذ به غيرهم وانهم ربما عوتبوا بامور صدرت منهم على سبيل التاويل او السهو فهم بسبب ذلك خايفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم ومعاصي بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصي كمعاصي غيرهم فكان ما صدر منهم مع طهارتهم ونزاهتهم وعمارة مواطنهم بالوحي السماوي والذكر القدسي وعمارة ظواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله عز وجل ذنوبا وهي حسنات بالنسبة الى غيرهم كما قيل حسنات الابرار سيات المقربين يعني انهم يرونها بالنسبة الى احوالهم كالسيات وهي حسنات لغيرهم وقد تقدم في سورة البقرة ان اكل ادم من الشجرة هل كان قبل النبوة او بعده والخلاف فيه فاغنى عن الاعادة والله اعلم قوله تعالى **قال اهبطوا** قال الامام فخر الدين الذي تقدم ذكره هو ادم وحوى وابليس فقوله اهبطوا يجب ان يتناول هولا الثلاثة وقال الطبري قال الله تعالى لادم وحوى وابليس والحية اهبطوا يعني من السما الى الارض قال السدي اهبطوا يعني الى الارض ادم وحوى وابليس والحية **بعضكم لبعض عدو** يعني ان العداوة ثابتة بين ادم وابليس والحية وذرية كل واحد من ادم وابليس **ولكم في الارض مستقر** يعني موضع قرار تستقرون فيه وقال ابن عباس في قوله ولكم في الارض مستقر يعني مستقر القبور **ومتاع الى حين** يعني ولكم فيها متاع تستمتعون به الى انقطاع الدنيا والى انقضا اجالكم ومعنى الاية ان الله عز وجل اخبر ادم وحوى وابليس والحية انه اذا اهبطهم الى الارض فان بعضهم لبعض عدو وان لهم في الارض موضع قرار يستقرون فيه الى انقضا اجالهم ثم يستقرون في قبورهم الى انقضا الدنيا قال ابن عباس في قوله تعالى ومتاع الى حين يعني الى يوم القيمة والى انقطاع **قال فيها تحيون** يعني قال الله عز وجل لادم وذريته وابليس واولاده

فيها

فيها تحيون يعني في الارض تعيشون ايام حياتكم **وفيها تموتون** يعني وفي الارض تكون وفاتكم ومواضع قبوركم **ومنها تخرجون** يعني ومن الارض يخرجكم ربكم ويحشركم للحساب يوم القيمة قوله عز وجل **يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم** اعلم ان الله عز وجل لما امر ادم وحوى بالهبوط الى الارض وجعلها مستقرا لهم انزل عليهم كلما يحتاجون اليه من مصالح الدين والدنيا فكان مما انزل عليهم اللباس الذي يحتاج اليه في الدين والدنيا فاما منفعته في الدين فانه ستر للعورة وسترها شرط في صحة الصلاة واما منفعته في الدنيا فانه يمنع الحر والبرد فامتن الله على عباده بان انزل عليهم لباسا يواري سواتهم فقال تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم يعني لباسا تسترون به عوراتكم فان قلت ما معنى قوله انزلنا عليكم لباسا قلت ذكر العلما فيه وجوها احدها انه بمعنى خلق اي خلقنا لكم لباسا او بمعنى رزقناكم لباسا الوجه الثاني ان الله تعالى انزل المطر من السما وهو سبب نبات اللباس فكانه انزله عليهم الوجه الثالث ان جميع بركات الارض تنسب الى السما والى الانزال كما قال تعالى وانزلنا الحديد **وريشا** الريش للطاير معروف وهو لباسه وزينته كالثياب للانسان فاستعير للانسان لانه لباسه وزينته والمعنى وانزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سواتكم ولباسا لزينتكم لان التزين غرض صحيح كما قال تعالى لتركبوها وزينة وقال ولكم فيها جمال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال واختلفوا في معنى الريش المذكور في الاية فقال ابن عباس وريشا يعني مالا وهو قول مجاهد والضحاك والسدي لان المال مما يتزين به ويقال تريش الرجل اذا تمول وقال ابن زيد الريش الجمال وهو يرجع الى الزينة ايضا وقيل ان الرياش في كلام العرب الاثاث وما ظهر من الثياب والمتاع مما يلبس او يفرش والريش ايضا المتاع والاموال عندهم وربما استعملوه في الثياب والكسوة دون ساير المال ويقال انه لحسن الريش يعني لحسن الثياب وقيل الريش والرياش يستعمل ايضا في الخصب ورفاهية العيش **ولباس التقوى** اختلف العلما في معناه فمنهم من حمله على نفس الملبوس حقيقة ومنهم من حمله على المجاز اما من حمله على نفس الملبوس فاختلفوا ايضا في معناه فقال ابن الانباري لباس التقوى هو اللباس الاول وانما اعاده اخبارا ان ستر العورة من التقوى وذلك خير وقيل انما اعاده لاجل ان يخبر عنه بانه خير لان العرب في الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعري وخلع الثياب في الطواف فهو لباس التقوى وذلك خير وقال زيد بن علي لباس التقوى الات الحرب التي يتقى بها في الحروب كالدروع والمغفر ونحو ذلك وقيل لباس التقوى هو الصوف والخشن من الثياب التي يلبسها اهل الزهد والورع وقيل هو ستر العورة في الصلاة واما من حمل لباس التقوى على المجاز فاختلفوا في معناه فقال قتادة والسدي لباس التقوى هو الايمان لان صاحبه يتقى به من النار وقال ابن عباس التقوى العمل الصالح وقال الحسن هو الحيا لانه يحث على التقوى وقال عثمان بن عفان لباس التقوى هو السمت الحسن وقال عروة بن الزبير لباس التقوى خشية الله وقال الكلبي هو العفاف فعلى هذه الاقوال ان لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به مما خلق الله له من لباس التجمل وزينة الدنيا وهو قوله تعالى **ذلك خير** يعني ان لباس التقوى خير من لباس الجمال والزينة وانشد في المعنى

اذا انت لم تلبس ثيابا من التقى ... عريت وان وارى القميص قميص

ذلك من ايات الله يعني انزال اللباس عليكم يا بني ادم من ايات الله الدالة على معرفته وتوحيده **لعلهم يذكرون** يعني لعلهم يذكرون نعمته عليهم فيشكرونها قوله تعالى **يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج**

ابويكم من الجنة قيل هذا خطاب للذين كانوا يطوفون بالبيت عراة والمعنى لا يخدعنكم بغروره ولا يضلنكم فيزين
لكم كشف عوراتكم في الطواف وانما ذكر قصة ادم هنا وشدة عداوة ابليس له ليحذر بذلك اولاد ادم
فقال تعالى يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم يعني ادم وحوى من الجنة والمعنى ان من قدر على
اخراج ابويكم من الجنة بوسوسته وشدة عداوته فبان يقدر على فتنتكم فبطريق الاولى فحذر الله عز
وجل بني ادم وامرهم بالاحتراز عن وسوسة الشيطان وغروره وتزيينه القبائح وتحسينه الافعال
الردية في قلوب بني ادم فهذه فتنته التي نهى الله عباده عنها وحذرهم منها وقوله ينزع عنهما لباسهما
انما اضاف نزع اللباس الى الشيطان وان لم يباشر ذلك لان نزع لباسهما كان بسبب وسوسة
الشيطان وغروره فاسند اليه واختلفوا في اللباس الذي نزع عنهما فقال ابن عباس كان لباسهما
الظفر فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما وبقيت الاظفار تذكرة وزينة ومنافع وقال وهب بن منبه
كان لباس ادم وحوى نورا وقال مجاهد كان لباسهما التقى وفي رواية عنه التقوى وقيل كان لباسهما من
ثياب الجنة وهذا القول اقرب لان اطلاق اللباس يطلق عليه ولان النزع لا يكون الا بعد اللبس
ليريهما سوآتهما يعني ليرى ادم عورة حوى ويرى حوى عورة ادم وكان قبل ذلك لا يرى بعضهم سوأة
بعض انه يراكم هو وقبيله يعني ان ابليس يراكم يا بني ادم هو وقبيله انما اعاد الكناية في قوله هو
ليحسن العطف والقبيل جمع قبيلة وهي الجماعة المجتمعة التي يقابل بعضهم بعضا وقال الليث كل
جيل من جن او انس قبيل ومعنى يراكم هو وقبيله اي هو ومن هو من نسله وحكى ابو عبيد عن ابي زيد القبيل ثلاثة
فصاعدا من قوم شتى والجمع قبل والقبيلة بنو اب واحد وقال الطبري قبيله يعني صنفه وجيله الذي
هو منهم وهو واحد يجمع قبلا وهم الجن وقال مجاهد الجن والشياطين وقال ابن زيد قبيله نسله وقال ابن
عباس هو وولده وقوله من حيث لا ترونهم يعني انتم يا بني ادم قال العلماء ان الله خلق في عيون الجن ادراكا
يرون به ذلك الادراك الانس ولم يخلق في عيون الانس هذا الادراك فلم يروا الجن وقالت المعتزلة الوجه
في ان الانس لا يرون الجن رقة اجسام الجن ولطافتها والوجه في رؤية الجن للانس كثافة اجسام الانس
والوجه في رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى قوى شعاع ابصار الجن وزاد فيها حتى يرى بعضهم بعضا
ولو جعل في ابصارنا هذه القوة لرايناهم ولكن لم يجعلها لنا وحكى الواحدي وابن الجوزي عن ابن عباس
انه قال ان الله تعالى جعلهم يجرون من ابن ادم مجرى الدم وجعل صدور بني ادم مساكن لهم الا من عصمه
الله تعالى كما قال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس فهم يرون بني ادم وبنو ادم لا يرونهم وقال مجاهد
قال ابليس جعل لنا اربع نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فتى وقال مالك بن دينار ان عدوا
يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله انا جعلنا الشياطين اولياء يعني اعوانا وقرناء للذين
لا يؤمنون قال الزجاج يعني سلطناهم عليهم يزيدون في غيهم قوله عز وجل واذا فعلوا فاحشة
قال ابن عباس ومجاهد هي طوافهم بالبيت عراة الرجال والنساء وقال عطاء هي الشرك والفاحشة
اسم لكل فعل قبيح فيدخل فيه جميع المعاصي والكبائر فيمكن حملها على الاطلاق وان كان السبب مخصوصا
بما ورد من طوافهم عراة ولما كانت هذه الافعال التي كان اهل الجاهلية يفعلونها ويعتقدون انها
طاعات وهي في انفسها فواحش ذمهم الله عليها ونهاهم عنها فاحتجوا عن هذه الافعال بما اخبر الله
عنهم وهو قوله تعالى قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها فذكروا لانفسهم عذرين احدهما محض
التقليد وهو قولهم وجدنا على هذا الفعل اباءنا وهذا التقليد باطل لانه لا اصل له والعذر الثاني

قولهم

قولهم والله امرنا بها وهذا العذر ايضا باطل وقد اجاب الله عنه بقوله ان الله لا يامر بالفحشاء
والمعنى ان هذه الافعال التي كان اهل الجاهلية يفعلونها هي في انفسها قبيحة منكرة فكيف يامر
الله بها والله لا يامر بالفحشاء بل يامر بما فيه مصالح للعباد ثم قال تعالى ردا عليهم اتقولون على
الله ما لا تعلمون يعني انكم ما سمعتم كلام الله ابتداء من غير واسطة ولا اخذتموه عن الانبياء الذين هم
وسائط بين الله وبين عباده في تبليغ اوامره ونواهيه واحكامه لانكم تنكرون نبوة الانبياء فكيف تقولون
على الله ما لا تعلمون قل امر ربي بالقسط اي قل يا محمد لهؤلاء الذين يقولون على الله ما لا يعلمون امر ربي
بالقسط يعني بالعدل وهذا قول مجاهد والسدي وقال ابن عباس بلا اله الا الله فالامر بالقسط في
هذه الاية مشتمل على معرفة الله سبحانه وتعالى بذاته وصفاته وافعاله وانه واحد لا شريك له واقيموا
وجوهكم عند كل مسجد فان قلت قل امر ربي بالقسط خبر وقوله واقيموا وجوهكم عند كل مسجد امر
وعطف الامر على الخبر لا يجوز فما معناه قلت فيه اضمار وحذف تقديره قل امر ربي بالقسط وقال واقيموا
وجوهكم عند كل مسجد فحذف قال لدلالة الكلام عليه ومعنى الاية في قول مجاهد والسدي وجهوا وجوهكم
حيث ما كنتم في الصلاة الى الكعبة وقال الضحاك معناه اذا حضرت الصلاة وانتم عند مسجد فصلوا
فيه ولا يقولن احدكم اصلي في مسجدي او في مسجد قومي وقيل معناه اجعلوا سجودكم لله خالصا وادعوه
مخلصين له الدين اي واعبدوه مخلصين العبادة والطاعة والدعاء لله عز وجل لا لغيره كما بداكم
تعودون قال ابن عباس ان الله عز وجل بدا خلق بني ادم مؤمنا وكافرا كما قال تعالى هو الذي خلقكم
فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدا خلقهم مؤمنا وكافرا وحجة هذا القول قوله في سياق الاية
فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فانه كالتفسير له ويدل على صحة ذلك ما روي عن جابر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه اخرجه مسلم زاد البغوي في
روايته المؤمن على ايمانه والكافر على كفره وقال محمد بن كعب من ابتدا الله خلقه على الشقوة صار الى
ما ابتدا عليه خلقه وان عمل باعمال اهل السعادة كما ان ابليس كان يعمل بعمل اهل السعادة ثم صار
الى الشقاء ومن ابتدا خلقه على السعادة صار اليها وان عمل باعمال اهل الشقاء كما ان السحرة كانوا يعملون
بعمل اهل الشقاء ثم صاروا الى السعادة ويصحح هذا القول ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل اهل النار وان
الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل النار ثم يختم له عمله بعمل اهل الجنة اخرجه مسلم وقال الحسن
ومجاهد في معنى الاية كما بداكم فخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئا فاحياكم ثم يميتكم كذلك تعودون احياء
يوم القيامة ويشهد لصحة هذا القول ما روي عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بموعظة فقال ايها الناس انكم محشورون الى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده
وعدا علينا انا كنا فاعلين اخرجه البخاري ومسلم وقوله تعالى فريقا هدى يعني هداهم الله الى الايمان
به ومعرفته ووفقهم لطاعته وعبادته وفريقا حق عليهم الضلالة وخذل فريقا حتى وجبت عليهم
الضلالة السابقة التي سبقت لهم في الازل بانهم اشقياء وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله
عز وجل ولما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق
خلقه في ظلمة فالقى عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل اخرجه الترمذي
وقال تعالى انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله يعني ان الفريق الذي حق عليهم الضلالة اتخذوا

الشياطين نصراوا عوانا اطاعوهم فيما امروهم به من الكفر والمعاصي والمعنى ان الداعي الذي دعاهم
الى الكفر والمعاصي هو انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله لان الشياطين يقدرون على اضلال
احد وقوله وَيَحْسَبُونَ انهم مهتدون يعني انهم مع ضلالتهم يظنون ويحسبون انهم على هداية وحق وفيه
دليل ان الكافر يظن انه في دينه على الحق والجاحد والمعاند في الكفر سواء قوله عز وجل يا بني ادم خذوا
زينتكم عند كل مسجد عن ابن عباس قال كانت المراة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من يعيرني تطوافا
تجعله على فرجها وتقول ، اليوم يبدو ابعضه او كله ، وما بدا منه فلا احله ، فنزلت هذه الاية
خذوا زينتكم عند كل مسجد اخرجه مسلم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانوا يطوفون بالبيت
عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل وذكر البيت زاد في رواية اخرى عنه فامرهم الله ان يلبسوا ثيابهم
ولا يتعروا وقال مجاهد كان حي من اهل اليمن كان احدهم اذا قدم حاجا او معتمرا يقول لا ينبغي لي ان اطوف
في ثوب قد عصيت فيه فيقول من يعيرني مئزرا فان قدر عليه والا طاف عريانا فانزل الله فيه ما تسمعون
خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال الزهري ان العرب كانت تطوف بالبيت عراة الا الحمس وهم قريش واحلافهم
فمن جاء من غير الحمس وضع ثيابه وطاف في ثوب احمسي فانه لا يحل له ان يلبس ثيابه فان لم يجد من يعيره من
الحمس فانه يلقي ثيابه ويطوف عريانا وان طاف في ثياب نفسه القاها اذا قضى طوافه يحرمها فيجعلها
حراما عليه فلذلك قال الله خذوا زينتكم عند كل مسجد والمراد من الزينة لبس الثياب التي تستر العورة
قال مجاهد ما يواري عوراتكم ولو عباءة وقال الكلبي الزينة ما يواري العورة عند كل مسجد لطواف
وصلاة وقوله تعالى خذوا زينتكم امر وظاهره الوجوب ففيه دليل على ان ستر العورة واجبة في الصلاة
والطواف وفي كل حال وقوله تعالى وَكُلُوا وَاشْرَبُوا قال الكلبي كانت بنو عامر لا ياكلون في ايام حجهم الا قوتا
ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون نحن احق ان نفعل ذلك يا رسول الله فانزل الله
عز وجل وكلوا واشربوا اولا اللحم والدسم وَلَا تُسْرِفُوا يعني بتحريم ما لم يحرمه الله من اكل اللحم والدسم قال ابن
عباس كل ما شئت واشرب ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن
الحسين بن واقد قد جمع الله الطب كله في نصف اية فقال وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وفي الاية دليل على ان
جميع المطعومات والمشروبات حلال الا ما خصه الشرع بدليل في التحريم لان الاصل في جميع الاشياء الاباحة
الا ما حظره الشارع وثبت تحريمه بدليل منفصل انه لا يحب المسرفين يعني ان الله لا يحب من اسرف في
الماكول والمشروب والملبوس وفي هذه الاية وعيد وتهديد لمن اسرف في هذه الاشياء لان محبة الله
عبارة عن رضاه عن العبد وايصال الثواب اليه واذا لم يحبه علم انه تعالى ليس هو راضيا عنه فدلت الاية
على الوعيد الشديد في الاسراف قوله تعالى قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ يعني قل يا محمد لهؤلاء
الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم عليكم زينة الله التي خلقها لعباده ان يتزينوا بها
ويلبسوها في الطواف وغيره ثم في تفسير الزينة قولان احدهما وهو قول جمهور المفسرين ان المراد من الزينة
هنا اللباس الذي يستر العورة والقول الثاني ذكره الامام فخر الدين الرازي انه يتناول جميع انواع الزينة
فيدخل تحته جميع انواع الملبوس والحلي والحلل ولولا ان النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال
لدخل في هذا العموم ولكن ورد النص بتحريمه على الرجال دون النساء وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ يعني ومن
حرم الطيبات من الرزق التي اخرجها الله لعباده وخلقها لهم ثم ذكروا في معنى الطيبات في هذه الاية اقوالا
احدها ان المراد بالطيبات اللحم والدسم الذي كانوا يحرمونه على انفسهم ايام الحج يعظمون بذلك حجهم

فرد الله عليهم بقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثاني وهو
قول ابن عباس وقتادة ان المراد بذلك ما كان اهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوائب قال ابن
عباس ان اهل الجاهلية كانوا يحرمون اشياء احلها الله من الزرق وغيرها وهو قول الله تعالى
قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هذا وانزل الله قل من حرم زينة الله
التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثالث ان الاية على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ
ويشتهى من سائر المطعومات الا ما ورد نص بتحريمه قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا يعني قل يا محمد ان الطيبات
التي اخرج الله من رزقه للذين امنوا في الحياة الدنيا غير خالصة لهم لانه يشركهم فيها المشركون خالصة
لهم يوم القيمة في الطيبات من الرزق وقيل معناه خالصة لهم يوم القيمة من التكدير والتنغيص والغم
لانه قد يقع لهم في الحياة الدنيا في تناول الطيبات من الرزق كدر وتنغيص فاعلمهم انها خالصة لهم في
الاخرة من ذلك كله كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ يعني كذلك نبين الحلال مما احللت والحرام
مما حرمت لقوم علموا اني انا الله وحدي لا شريك لي فاحلوا حلالي وحرموا حرامي قوله عز وجل قُلْ إِنَّمَا
حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ جمع فاحشة وهي ما قبح وفحش من قول وفعل والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين
يتجردون من الثياب ويطوفون بالبيت عراة ويحرمون اكل الطيبات مما احل الله لهم ان الله لم يحرم ما تحرمونه
انتم بل احل الله لعباده وطيبه لهم وانما حرم ربي الفواحش من الاقوال والافعال ما ظهر منها وما بطن
يعني علانيته وسره ق عن عبد الله بن مسعود قال لا احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها
وما بطن ولا احد احب اليه المدح من الله من اجل ذلك مدح نفسه اصل الغيرة تغير القلب وهيجان
الحفيظة بسبب المشاركة فيما يختص به الانسان ومنه غيرة احد الزوجين على الاخر لاختصاص كل
واحد منهما بصاحبه ولا يرضى ان يشاركه احد فيه فكذلك يذب عنه ويمنعه من غيره واما الغيرة
في وصف الله تعالى فهو منعه من ذلك وتحريمه له ويدل على ذلك قوله ومن غيرته حرم الفواحش وقد
يحتمل ان تكون غيرته تغييرها لفاعل ذلك بعقاب والله اعلم وقوله عز وجل وَالْإِثْمَ يعني وحرم الاثم
واختلفوا في الفرق بين الفاحشة والاثم فقيل الفواحش الكبائر لانه قد تفاحش قبحها وتزايد والاثم
عبارة عن الصغائر من الذنوب فعلى هذا يكون معنى الاية قل انما حرم ربي الكبائر والصغائر وقيل
الفاحشة اسم لما يجب فيه الحد من الذنوب والاثم لما لا يجب فيه الحد وهذا القول هو قريب من الاول
واعترض على هذين القولين بان الاثم في اصل اللغة الذنب فيدخل فيه الكبائر والصغائر وقيل ان
الفاحشة اسم للكبيرة والاثم اسم لمطلق الذنب سواء كان كبيرا او صغيرا والفائدة فيه ان يقال
لما حرم الله الكبيرة بقوله قل انما حرم ربي الفواحش اردفه بتحريم مطلق الذنب لئلا يتوهم متوهم ان التحريم
مقصور على الكبائر فقط وقيل ان الفاحشة وان كانت بحسب اللغة اسما لكل ما تفاحش من قول او
فعل لكنه قد صار في العرف مخصوصا بالزنا لانه اذا اطلق لفظ الفاحشة لم يفهم منه الا ذاك فوجب حمل
لفظ الفاحشة على الزنا واما الاثم فقد قيل انه اسم من اسماء الخمر وهو قول الحسن وعطا قال الجوهري وقد
يسمى الخمر اثما واستدل عليه بقول الشاعر ، شربت الاثم حتى ضل عقلي ، كذاك الاثم يذهب بالعقول ،
وقال ابن سيده صاحب المحكم وعندي ان تسمية الخمر بالاثم صحيح لان شربها اثم وبهذا المعنى يظهر الفرق بين
اللفظين وانكر ابو بكر بن الانباري تسمية الخمر بالاثم قال لان العرب ما سمته اثما قط في جاهلية ولا اسلام
ولكن قد يكون الخمر داخلا في الاثم لقوله فيهما اثم كبير وقوله تعالى وَالْبَغْيَ اي وحرم البغي بغير الحق

والبغي هو الظلم والكبر والاستطالة على الناس ومجاوزة الحد في ذلك كله ومعنى البغي بغير الحق هو ان يطلب
ما ليس له بحق خرج من ان يكون بغياً **وان تشركوا بالله** اي وحرم ان تشركوا بالله **ما لم ينزل به سلطاناً** هذا
فيه تهكم بالمشركين والكفار لانه لا يجوز ان ينزل حجة وبرهاناً بان يشرك به غيره لان الاقرار بشيء ليس على ثبوته
حجة ولا برهان ممتنع فلما امتنع حصول الحجة والبينة على صحة القول بالشرك وجب ان يكون باطلاً على الاطلاق
فان قلت البغي والاشراك داخلان تحت الفاحشة والاثم لان الشرك من اعظم الفواحش واعظم الاثم وكذا
البغي ايضاً من الفواحش والاثم قلت انما افردهما بالذكر للتنبيه على عظيم قبحهما كانه قال من الفواحش المحرمة
البغي والشرك فكانه بين جملة ثم تفصيله وقوله **وان تقولوا على الله ما لا تعلمون** تقدم تفسيره قوله تعالى
ولكل امة اجل المحل لوقت الموقت لانقضاء وقت المهلة ثم في هذا الاجل المذكور في الاية قولان احدهما
انه اجل العذاب والمعنى ان لكل امة كذبت رسلها وقتاً معيناً واجلاً مسمى امهلهم الى ذلك الوقت **فاذا
جاء اجلهم** يعني فاذا حل وقت عذابهم **لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** يعني فلا يؤخرون ولا يمهلون
قدر ساعة ولا اقل من ساعة وانما ذكرت الساعة لانها اقل اسماء الاوقات في العرف وسبب هذا انهم سألوا
نزول العذاب فاخبرهم الله ان لهم وقتاً اذا جاء ذلك الوقت وهو وقت هلاكهم واستيصالهم فلا يؤخرون
عن ساعة ولا يستقدمون والقول الثاني ان المراد بهذا الاجل هو اجل الحياة والعمر فاذا انقضى ذلك
الاجل وحضر الموت فلا يؤخر ساعة ولا يقدم ساعة وعلى هذا القول يلزم ان يكون لكل واحد اجل لا يقع
فيه تقديم ولا تأخير وانما قال تعالى لكل امة لتقارب اعمار اهل كل عصر فكانهم كالواحد في مقدار العمر وعلى
هذا القول ايضاً يكون المقتول ميتاً باجله خلافاً لمن يقول قطع عليه اجله قوله عز وجل **يا بني ادم
اما يأتينكم رسل منكم** هي ان الشرطية ضمت اليها ما موكدة لمعنى الشرط وجزاء هذا الشرط هو الفاء وما
بعده من الشرط والجزاء وهو قوله فمن اتقى واصلح يعني منكم وانما قال رسل بلفظ الجمع وان كان المراد به
واحد وهو النبي صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء وهو مرسل الى كافة الخلق فذكره بلفظ الجمع على سبيل
التعظيم فعلى هذا يكون الخطاب في قوله يا بني ادم لاهل مكة ومن يلحق بهم وقيل اراد جميع الرسل وعلى
هذا فالخطاب في قوله يا بني ادم لاهل مكة عام في كل بني ادم وانما قال منكم يعني من جنسكم ومثلكم من بني ادم
لان الرسول اذا كان من جنسهم كان اقطع لعذرهم واثبت للحجة عليهم لانهم يعرفونه ويعرفون احواله فاذا
اتاهم بما لا يليق بمقدرته او بقدرة امثاله علم ان ذلك الذي اتى به معجزة له وحجة على من خالفه **يقصون
عليكم اياتي** يعني يقرؤن عليكم كتابي وادلة احكامي وشرائعي التي شرعت لعبادي **فمن اتقى** يعني فمن اتقى الشرك
ومخالفة رسلي **واصلح** يعني العمل الذي امرته به رسلي فعمل بطاعتي وتجنب معصيتي وما نهيته عنه **فلا خوف
عليهم** يعني حين يخاف غيرهم يوم القيمة من العذاب **ولا هم يحزنون** يعني على ما فاتهم من دنياهم التي تركوها
والذين كذبوا باياتنا ومن جحد باياتنا وكذب رسلنا **واستكبروا عنها** يعني واستكبروا عن الايمان بها
وبما جاءت به رسلنا **اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** يعني لا يخرجون منها ابداً قوله تعالى **فمن اظلم
ممن افترى على الله كذباً** يعني فمن اعظم ظلماً ممن يقول على الله ما لم يقله او يجعل لله شريكاً من خلقه
وهو منزه عن الشريك والولد **او كذب باياته** يعني او كذب بالقران الذي انزله على عبده ورسوله
محمد صلى الله عليه وسلم **اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب** يعني ينالهم حظهم مما قدر لهم وكتب في
اللوح المحفوظ واختلفوا في ذلك النصيب على قولين احدهما ان المراد به هو العذاب المعين لهم في
الكتاب ثم اختلفوا فيه فقال الحسن والسدي ما كتب لهم من العذاب وقضى لهم من سواد الوجوه وزرقة

العيون

العيون وقال ابن عباس في رواية عنه كتب لمن يفتري على الله الكذب اسود وقال الزجاج هو المذكور في
قوله فانذرتكم ناراً تلظى وفي قوله اذ الاغلال في اعناقهم فهذه الاشياء هي نصيبهم من الكتاب على قدر
ذنوبهم في كفرهم والقول الثاني ان المراد بالنصيب المذكور في الكتاب هو شيء سوى العذاب ثم اختلفوا
فيه فقال ابن عباس في رواية اخرى عنه وعن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية في قوله ينالهم نصيبهم من
الكتاب قالوا هو السعادة والشقاوة وقال ابن عباس ما كتبت عليهم من الاعمال وقال في رواية
اخرى عنه من عمل خيراً جزي به ومن عمل شراً جزي به وقال قتادة جزاء اعمالهم التي عملوها وقيل معنى ذلك
ينالهم نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير او شر قاله مجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس ايضاً
وقال الربيع بن انس ينالهم ما كتب في الكتاب من الرزق وقال محمد بن كعب القرظي عمله ورزقه وعمره وقال
ابن زيد ينالهم نصيبهم من الكتاب من الاعمال والارزاق والاعمار فاذا فني هذه اجاءتهم رسلنا يتوفونهم
وصحح الطبري هذا القول الاخر وقال لان الله اتبع ذلك بقوله **حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم**
فابان ان الذي ينالهم هو ما قدر لهم في الدنيا فاذا فني توفتهم رسل ربهم قال الامام فخر الدين وانما حصل
الاختلاف لان لفظ النصيب محتمل لكل الوجوه وقال بعض المحققين حمله على العمر والرزق اولى لانه تعالى
بين انهم وان بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم فانه ليس بمانع ان ينالهم ما كتب لهم من رزق وعمر تفضلاً من
الله سبحانه وتعالى لكي يصلحوا او يتوبوا قوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم يعني حتى اذا جاءت
هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب رسلنا يعني ملك الموت واعوانه لقبض ارواحهم عند استكمال
اعمارهم وارزاقهم لان لفظ الوفاة تفيد هذا المعنى **قالوا** يعني قال الرسل وهم الملائكة للكفار **اين ما كنتم
تدعون من دون الله** وهذا السؤال توبيخ وتقريع وتبكيت لا سؤال استعلام والمعنى اين الذين كنتم تعبدونهم
من دون الله ادعوهم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم وقيل ان هذا يكون في الاخرة والمعنى حتى اذا جاءتهم رسلنا
يعني ملائكة العذاب يتوفونهم يعني يستوفون عددهم عند حشرهم الى النار قالوا اين ما كنتم تدعون يعني
شركاء واولياء تعبدونهم من دون الله فادعوهم ليدفعوا عنكم ما جاءكم من امر الله **قالوا** يعني الكفار مجيبين
للرسل **ضلوا عنا** يعني بطلوا وذهبوا عنا وتركونا عند حاجتنا اليهم فلم ينفعونا **وشهدوا على انفسهم
انهم كانوا كافرين** يقول الله تعالى وشهدوا هؤلاء الكفار عند معاينة العذاب انهم كانوا جاحدين وحدانية
الله واعترفوا على انفسهم بذلك قوله عز وجل **قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس**
يعني يقول الله عز وجل يوم القيمة لمن افترى على الله الكذب وجعل له شريكاً من خلقه ادخلوا في امم يعني
في جملة امم قد خلت يعني قد مضت وسلفت وانما قال قد خلت ولم يقل قد خلوا لانه اطلق الضمير على
الجماعة يعني في جملة جماعات قد خلت من قبلكم من الجن والانس **في النار** اي ادخلوا جميعاً في النار التي هي
مستقركم وماواكم وانما عني بالامم الجماعات والاحزاب واهل الملل الكافرة من الجن والانس **كلما دخلت
امة** يعني كلما دخلت جماعة النار **لعنت اختها** يعني كلما دخلت امة النار لعنت اختها من اهل ملتها في الدين
لا في النسب قال السدي كلما دخلت اهل ملة النار لعنوا اصحابهم على ذلك الدين فيلعن المشركون المشركين
واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون الصابئين والمجوس المجوس تلعن الاخرة الاولى **حتى
اذا اداركوا** يعني تداركوا وتلاحقوا **فيها جميعاً** يعني تلاحقوا واجتمعوا في النار جميعاً وادرك
بعضهم بعضاً واستقروا في النار **قالت اخراهم لاولاهم** قال ابن عباس يعني قال اخر كل امة لاولها وقال
السدي قالت اخراهم الذين كانوا في اخر الزمان لاولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين وقال مقاتل

يعني قال اخريهم دخولا النار وهم الاتباع لاولاهم دخولا وهم القادة لان القادة يدخلون النار اولا ربنا
هولاء اضلونا يعني يقول الاتباع ربنا هولاء القادة والروسا اضلونا عن الهدى وزينوا لنا طاعة الشيطان
وقيل انما قال المتاخرون ذلك لانهم كانوا يعتقدون تعظيم المتقدمين من اسلافهم فسلكوا سبيلهم
في الضلالة واتبعوا طريقهم فيما كانوا عليه من الكفر والضلالة فلما كان يوم القيمة وتبين لهم
فساد ما كانوا عليه قالوا ربنا هولاء اضلونا لانا اتبعنا سبيلهم فاتهم عذابا ضعفا من النار
اي اضعف عليهم العذاب قال ابو عبيدة ضعف الشي مثل الشي مرة واحدة قال الازهري والذي
قاله ابو عبيدة هو ما يستعمله الناس في مجاز كلامهم واما كتاب الله فهو عربي مبين ويرد تفسيره
الى موضوع كلام العرب والضعف في كلامهم ما زاد وليس بمقصور على مثلين وجايز في كلام العرب
هذا ضعفه اي مثلاه وثلاثة امثاله لان الضعف في الاصل زيادة غير محصورة واولى الاشياء به
ان يجعل عشرة امثاله باقل الضعف محصور وهو المثل واكثره غير محصور وقال الزجاج في تفسير هذه
الاية فاتهم عذابا ضعفا اي مضاعفا لان الضعف في كلام العرب على ضربين احدهما المثل والاخر ان
يكون في معنى تضعيف الشي اي زيادته قال يعني قال الله لكل ضعف يعني للاولى كم ضعف وللاخراكم
ضعف وقيل معناه للتابع ضعف وللمتبوع ضعف لانهم قد دخلوا في الكفر جميعا ولكن لا تعلمون يعني
ما اعد الله لكل فريق من العذاب وقريب ليا ومعناه ولكن لا يعلم كل فريق ما اعد الله من العذاب للفريق
الاخر قوله تعالى وقالت اولاهم يعني في الكفر وهم القادة لاخراهم يعني للاتباع فما كان لكم علينا من
من فضل يعني قد ضللتم كما ضللنا وكفرتم كما كفرنا وقيل في معنى الاية وقالت كل امة سلفت في الدنيا
لاخراهم الذين جاوا من بعدهم فسلكوا سبيل من مضى قبلهم فما كان لكم علينا من فضل وقد علمتم ما حل بنا
من عقوبة الله بسبب كفرنا ومعصيتنا اياه وجاتكم بذلك الرسل والنذر فما رجعتم عن ضلالتكم وكفركم
فذوقوا العذاب وهذا يحتمل ان يكون من قول القادة للاتباع والاولى للاخرى التي بعدها ويحتمل ان
ان يكون من قول الله يعني يقول الله للجميع فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون يعني بسبب ما كنتم تكسبون
من الكفر والاعمال الخبيثة قوله عز وجل ان الذين كذبوا باياتنا يعني كذبوا بدلايل التوحيد فلم يصدقوا
بها فلم يتبعوا ارسلنا واستكبروا عنها اي وتكبروا عن الايمان بها والتصديق لها وانفوا عن اتباعها والانقياد
لها والعمل بمقتضاها تكبرا لا تفتح لهم ابواب السما يعني لا تفتح لارواحهم اذا خرجت من اجسادهم ولا يصعد
لهم الى الله عز وجل في وقت حياتهم قول ولا عمل لان ارواحهم واقوالهم واعمالهم كلها خبيثة وانما يصعد الى
الله تعالى الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس لا تفتح ابواب السما لارواح الكفار وتفتح
لارواح المومنين وفي رواية عن ابن عباس قال لا يصعد لهم قول ولا عمل وقال ابن جريج لا تفتح ابواب السماء
لارواحهم ولا لاعمالهم روى الطبري بسنده عن البرا بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر
قبض روح الفاجر فانه يصعد بها الى السما قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملا من الملايكة الا قالوا ما
هذا الروح الخبيث قال فيقولون فلان باقبح اسمايه التي كان يدعى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء
فيستفتحون له فلا يفتح له ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم ابواب السما ولا يدخلون الجنة
حتى يلج الجمل في سم الخياط وقيل في معنى الاية لا تنزل عليهم البركة والخير لان ذلك لا ينزل الا من السما فاذا لم
تفتح لهم ابواب السما فلا ينزل عليهم من البركة والخير والرحمة شي وقوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى
يلج الجمل في سم الخياط الولوج الدخول والجمل معروف وهو الذكر من الابل وسم الخياط ثقب الابرة قال الفرا

الخياط والمخيط ما يخاط به والمراد به الابرة في هذه الاية وانما خص الجمل بالذكر من بين ساير الحيوانات
لانه اكبر من ساير الحيوانات جسما عند العرب قال الشاعر ٭ جسم الجمال واحلام العصافير ٭
وصف من هجاه بهذا بعظم الجسم مع صغر العقل فجسم الجمل من اعظم الاجسام وثقب الابرة من اضيق المنافذ
فكان ولوج الجمل مع عظم جسمه في ثقب الابرة الضيق محالا فكذلك دخول الكفار الجنة محال ولما وصف
الله دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط وكان وقوع هذا الشرط محالا ثبت ان الموقوف على المحال
محال فوجب بهذا الاعتبار ان دخول الكفار الجنة مايوس منه وقال بعض اهل المعاني لما علق الله
دخولهم الجنة بولوج الجمل في سم الخياط وهو خرم الابرة كان ذلك نفيا لدخولهم الجنة على التابيد وذلك
لان العرب اذا علقت ما يجوز كونه بما لا يجوز كونه استحال كون ذلك الجايز وهذا كقولك لا اتيك
حتى يشيب الغراب ويبيض القار ومنه قول الشاعر ٭
٭ اذا شاب الغراب اتيت اهلي ٭ وصار القار كاللبن الحليب ٭
وقوله تعالى وكذلك نجزي المجرمين اي ومثل الذي وصفنا نجزي المجرمين يعني الكافرين لانه تقدم
من صفتهم انهم كذبوا بايات الله واستكبروا عنها وهذه صفة للكفار فوجب حمل لفظ المجرمين على
انهم الكفار ولما بين الله عز وجل ان الكفار لا يدخلون الجنة ابدا بين انهم من اهل النار ووصف ما اعد
لهم فيها فقال تعالى لهم من جهنم مهاد يعني لهم من نار جهنم فراش واصل المهاد المتمهد الذي يقعد عليه
ويضطجع عليه كالفراش والبساط ومن فوقهم غواش جمع غاشية وهو الغطا كاللحاف ونحوه ومعنى
الاية ان النار محيطة بهم من تحتهم ومن فوقهم قال محمد بن كعب القرظي والضحاك والسدي المهاد الفراش
والغواش اللحف وكذلك نجزي الظالمين يعني وكذلك نكافي ونثيب المشركين الذين وضعوا العبادة في
غير موضعها قوله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها لما ذكر الله
تعالى وعيد الكافرين وما اعد لهم في الاخرة اتبعه بذكر وعد المومنين وما اعد لهم في الاخرة فقال
والذين امنوا وعملوا الصالحات يعني والذين صدقوا الله ورسوله واقروا بما جاءهم من وحي الله
اليه وتنزيله عليه من شرايع دينه وعملوا بما امرهم به وتجنبوا ما نهاهم عنه لا نكلف نفسا الا وسعها يعني
لا نكلف نفسا الا ما يسعها من الاعمال وما سهل عليها ودخل في طوقها وقدرتها وما لا حرج فيه عليها
ولا ضيق قال الزجاج الوسع ما يقدر عليه وقال مجاهد معناه الا ما افترض عليها يعني ان الذي افترض
عليها من وسعها الذي يقدر عليه ولا يعجز عنه وقد غلط من قال ان الوسع بذل المجهود قال اكثر اصحاب
المعاني ان قوله تعالى لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض وقع بين المبتدا والخبر والتقدير والذين امنوا
وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وانما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدا
والخبر لانه من جنس هذا الكلام لانه تعالى لما ذكر عملهم الصالح ذكر ان ذلك العمل من وسعهم وطاقتهم
وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على ان الجنة مع عظم قدرها ومحلها يوصل اليها بالعمل السهل
من غير تحمل كلفة ولا مشقة صعبة وقال قوم من اهل المعاني موضعه رفع من تمام الخبر والعايد محذوف
كانه قال لا نكلف نفسا الا وسعها فحذف العايد للعلم به وقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل
يعني وقلعنا واخرجنا ما في صدور المومنين من غش وحسد وحقد وعداوة كانت بينهم في الدنيا ومعنى الاية
ازلنا تلك الاحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في الدنيا فجعلناهم اخوانا على سرر متقابلين لا يحسد
بعضهم بعضا على شي خص الله به بعضهم دون بعض وقيل نزع الغل تصفية الطباع واسقاط الوسواس

ومنها عين ان ترد على القلب روي عن علي قال فينا والله اهل بدر نزلت ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا
على سرر متقابلين روي عنه ايضا انه قال اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير من الذين
قال الله فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل وقيل ان الحسد والغل يزول بدخولهم الجنة خ عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المومنون من النار فيحبسون على قنطرة بين
الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن الله
لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا وقال
السدي في هذه الاية ان اهل الجنة اذا سيقوا الى الجنة فبلغوا وجدوا عند بابها شجرة في اصل ساقها
عينان فشربوا من احداهما فينزع ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى فجرت
عليهم نضرة النعيم فلن يشعثوا ولن يشحبوا بعدها ابدا وقيل ان درجات الجنة متفاوتة في العلو
والكمال فبعض اهل الجنة اعلى من بعض فاخرج الله عز وجل الغل والحسد من صدورهم وازاله عنهم
ونزعه من قلوبهم فلا يحسد صاحب الدرجة النازلة صاحب العالية واورد على هذا القول كيف يعقل
بان الانسان يرى الدرجات العالية والنعم العظيمة وهو محبوس عنها ولا يصل اليها فكيف لا يميل بطبعه
اليها ولا يغتم بسبب حرمانه عنها وان كان في نعيم ولذة واجيب عن هذا بان الله عز وجل قد وعد بازالة
الحقد والحسد من قلوب اهل الجنة حتى تكمل لهم اللذة والسرور حتى ان احدهم لا يرى نفسه الا في كمال
وزيادة من النعيم الذي هو فيه فيرضى بما هو فيه ولا يحسد احدا ابدا وبهذا تتم نعيمه ولذته وكمل سروره
وبهجته وقوله تعالى تجري من تحتها الانهار لما اخبر الله بما انعم على اهل الجنة من ازالة الغل والحسد
والحقد من صدورهم اخبر بما انعم عليهم من اللذات والخيرات والمسرات وقالوا الحمد لله الذي هدانا
لهذا يعني ان المومنين اذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذي وفقنا وارشدنا للعمل الذي نوينا به
وتفضل علينا به رحمة منه واحسانا فله الحمد على ذلك وصرف عنا عذاب جهنم بفضله وكرمه وما كنا
لنهتدي لولا ان هدانا الله يعني وما كنا لنرشد لهذا العمل الذي هذا ثوابه لولا ان ارشدنا الله اليه
ووفقنا بفضله ومنه وكرمه وفي الاية دليل على ان المهتدي من هداه الله ومن لم يهده الله فليس بمهتد
لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعني ان اهل النعيم اذا دخلوها وراوا ما اعد الله لهم فيها من النعيم قالوا
لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعني انهم راوا ما وعدهم الرسل عيانا ونودوا ان تلكم الجنة يعني ونادى مناد
يا اهل الجنة ان هذه تلكم الجنة التي كانت الرسل وعدتكم بها في الدنيا واختلفوا في المنادي فقيل هو الله
عز وجل وقيل الملائكة ينادون بامر الله عز وجل وقيل هذا النداء يكون في الجنة م عن ابي سعيد وابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى مناد ان لكم ان تحيوا فلا تموتون ابدا
وان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تباسوا ابدا
فذلك قوله عز وجل ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون وقوله تعالى اورثتموها بما
كنتم تعملون روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من احد الا وله منزل في الجنة ومنزل في
النار فاما الكافر فانه يرث المومن منزله من النار والمومن يرث الكافر منزله من الجنة زاد في رواية فذلك
قوله اورثتموها بما كنتم تعملون قال بعضهم لما سمى الله الكافر ميتا بقوله اموات غير احياء وسمى المومن
حيا بقوله لينذر من كان حيا وفي الشرع ان الاحياء يرثون الاموات فقال اورثتموها يعني ان المومن حي
وهو يرث الكافر منزله من الجنة لانه في حكم الميت وقيل معناه ان امرهم يؤول الى الجنة كما ان الميراث يؤول

الى الوارث وقيل اورثتموها عن الاعمال الصالحة التي عملتموها لان الجنة جعلت جزاء وثوابا لهم
على الاعمال ولا يعارض هذا القول ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لن يدخل الجنة احد
بعمله وانما يدخلونها برحمة الله فان دخول الجنة برحمة الله واقسام الدرجات والمنازل بالاعمال
وقيل ان العمل الصالح لن يناله المومن ومن لم يبلغه الا برحمة الله وتوفيقه واذا كان العمل الصالح
بسببية الرحمة كان دخول الجنة في الحقيقة برحمة الله وجعلها الله ثوابا وجزاء لهم على تلك الاعمال
الصالحة التي عملوها في دار الدنيا والله اعلم قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار
يعني ونادى اهل الجنة اهل النار وهذا النداء انما يكون بعد استقرار اهل الجنة في الجنة واهل النار
في النار يقول اهل الجنة يا اهل النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا يعني ما وعدنا في الدنيا على
السن رسله من الثواب على الايمان به وبرسله وطاعته حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
يعني من العذاب على الكفر قالوا نعم قال اهل النار مجيبين لاهل الجنة نعم وجدنا ذلك حقا فان قلت
هذا النداء من كل اهل الجنة لكل اهل النار او من البعض للبعض قلت ظاهر قوله ونادى اصحاب الجنة
اصحاب النار يفيد العموم والجمع اذا قابل الجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من اهل الجنة ينادي
من كان يعرفه من الكفار في دار الدنيا فان قلت اذا كانت الجنة في السماء والنار في الارض فكيف
يمكن ان يبلغ هذا النداء وكيف يصح ان يقع قلت ان الله قادر على ان يقوي الاصوات والاسماع
فيصير البعيد كالقريب وقوله تعالى فاذن مؤذن بينهم يعني نادى مناد واعلم ان اصل الاذان
في اللغة الاعلام والمعنى نادى مناد اسمع الفريقين وهذا المنادي من الملائكة وقيل انه اسرافيل
صاحب الصور ذكره الواحدي ان لعنة الله على الظالمين يعني يقول المؤذن ان لعنة الله على
الظالمين ثم فسر الظالمين من هم فقال تعالى الذين يصدون عن سبيل الله يعني الذين يمنعون
الناس عن الدخول في دين الاسلام ويبغونها عوجا يعني ويحاولون ان يغيروا دين الله وطريقته التي
شرع لعباده ويبدلونها وقيل معناه انهم يصلون لغير الله ويعظمون ما لم يعظمه فاخطاوا الطريق وضلوا
عن السبيل وهم بالاخرة كافرون يعني وهم بكون الاخرة واقعة جاحدون منكرون لها قوله عز وجل
وبينهما يعني وبين الجنة والنار وقيل بين اهل الجنة واهل النار حجاب وهو المذكور في قوله تعالى
فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قال مجاهد الاعراف حجاب بين
الجنة والنار وقال السدي وبينهما حجاب هو السور وهو الاعراف وقوله وعلى الاعراف رجال
الاعراف جمع عرف وهو كل مرتفع من الارض ومنه قيل عرف الديك لارتفاعه على ما سواه من جسده سمي
بذلك لانه بسبب ارتفاعه صار اعرف وابين مما انخفض وقال السدي انما سمي الاعراف لان اصحابه
يعرفون الناس وقال ابن عباس الاعراف الشيء المشرف وعنه قال الاعراف سور كعرف الديك وعنه ان الاعراف
تل بين الجنة والنار حبس عليه ناس من اهل الذنوب بين الجنة والنار واختلف العلماء في صفة الرجال
الذين اخبر الله عنهم انهم على الاعراف وما السبب الذي من اجله صاروا هنالك فروي عن حذيفة انه
سئل عن اصحاب الاعراف فقال هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وخلفت
بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله فيهم قال بعضهم انما جعلوا على الاعراف
لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار فهم لا من اهل الجنة ولا من اهل النار لكن الله يدخلهم الجنة
بفضله ورحمته لانه ليس في الاخرة دار الا الجنة او النار وقال ابن مسعود يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت

حسناته اكثر بواحدة دخل الجنة ومن كانت سياته اكثر بواحدة دخل النار وان الميزان يخف ويثقل
بمثقال حبة ومن استوت حسناته وسياته كان من اصحاب الاعراف فوقفوا على الاعراف فاذا نظروا الى
اهل الجنة نادوا سلام عليكم واذا نظروا الى اهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين
فهنالك يقول الله لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا قال ابن مسعود ان العبد اذا عمل
حسنة كتبت له بها عشر واذا عمل سيئة لم تكتب الا واحدة ثم قال هلك من غلبت احاده اعشاره
وقال ابن عباس الاعراف سور بين الجنة والنار واصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم وسياتهم فهم
بذلك المكان حتى اذا اراد الله ان يعافيهم انطلق بهم الى نهر يقال له الحياة حافتاه قصب الذهب
مكلل باللؤلؤ ترابه المسك فالقوا فيه حتى تصلح الوانهم ويبدو في نحورهم شامة بيضا يعرفون بها حتى
اذا صلحت الوانهم اتى بهم الرحمن تبارك وتعالى فقال تمنوا ما شئتم فيتمنون حتى اذا انقطعت امنيتهم
قال لهم لكم الذي تمنيتم ومثله سبعون ضعفا فيدخلون الجنة وفي نحورهم شامة بيضا يعرفون بها يسمون
مساكين اهل الجنة ذكره ابن جرير في تفسيره وقال شرحبيل بن سعد اصحاب الاعراف قوم خرجوا في الغزو
بغير اذن اباىهم ورواه الطبري الى يحيى بن شبل مولى بني هاشم عن محمد بن عبد الرحمن عن ابيه قال سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اصحاب الاعراف فقال هم قوم قتلوا عصاة لابايهم فمنعهم قتلهم في سبيل
الله عن النار ومنعتهم معصية اباىهم ان يدخلوا الجنة زاد في رواية فهم اخر من يدخل الجنة وذكر ابن الجوزي
انهم قوم رضي اباوهم دون امهاتهم وامهاتهم دون اباىهم ورواه عن ابراهيم وذكر عن ابي صالح مولى التوءمة
عن ابن عباس انهم اولاد الزنا وقيل انهم الذين ماتوا في الفترة الله اعلم بحالهم وفيه بعد لان اخر امر اصحاب
الاعراف الى الجنة وهولا الذين ماتوا في الفترة الله اعلم بحالهم ونتوقف في امرهم وقيل انهم اولاد المشركين
الذين ماتوا اطفالا وهذا القول يرجع معناه الى القول الذي قبله لانه داخل في حكمه فهذه الاقوال
تدل على ان اصحاب الاعراف دون اهل الجنة في الدرجات وان كانوا يدخلون الجنة برحمة الله وقال
مجاهد اصحاب الاعراف قوم صالحون فقها علما فعلى هذا القول انما يكون لبثهم على الاعراف على سبيل النزهة
او ليرى غيرهم شرفهم وفضلهم وقيل انهم انبيا حكاه ابن الانباري وانما اجلسهم الله على ذلك المكان العالي
تمييزا لهم على ساير اهل القيمة واظهار الفضلهم وعلو مرتبتهم وليكونوا مشرفين على اهل الجنة والنار
ومطلعين على احوالهم ومقادير ثواب اهل الجنة وعقاب اهل النار وقال ابو مجلز اصحاب الاعراف ملايكة
يعرفون الفريقين بسيماهم يعني يعرفون اهل الجنة واهل النار فقيل لابي مجلز ان الله تعالى يقول وعلى
الاعراف رجال وانت تقول انهم ملايكة فقال ان الملايكة ذكور ليسوا باناث وضعف الطبري قول ابي مجلز
قال لان حقيقة الرجال في لسان العرب لا يطلق الا على الذكور من بني ادم دون اناثهم ودون ساير الخلق
وحاصل هذه الاقوال ان اصحاب الاعراف افضل من اهل الجنة لانهم اعلى منهم منزلة وافضل وقيل انما
اجلسهم الله في ذلك المكان العالي ليميزوا بين اهل الجنة واهل النار والله اعلم بمراده واسرار كتابه
وقوله تعالى **يعرفون كلا بسيماهم** يعني ان اصحاب الاعراف يعرفون اهل الجنة بسيماهم وذلك ببياض
وجوههم من نضرة النعيم عليها ويعرفون اهل النار بسيماهم وذلك بسواد وجوههم وزرقة عيونهم
والسيما العلامة الدالة على الشي واصله من السمة قال ابن عباس اصحاب الاعراف اذا راوا اصحاب
الجنة عرفوهم ببياض الوجوه واذا راوا اصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه فان قلت ان اصحاب
الاعراف من استوت حسناتهم وسياتهم وهم دون اهل الجنة في الدرجة فاوقفهم الله على الاعراف ليكونوا

درجة متوسطة بين الجنة والنار فاذا راوا اهل الجنة عرفوهم ببياض وجوههم نادوهم ان سلام عليكم
وهو قوله تعالى **ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم** يعني نادى اصحاب الاعراف اصحاب الجنة ان سلام
عليكم يعني سلمتم عليكم يعني سلمتم من الافات وحصل لكم الامن والسلامة واذا راوا اهل النار يعرفوهم
بسواد وجوههم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين وان قلنا ان اصحاب الاعراف هم الاشراف والافاضل
من اهل الجنة كان جلوسهم على الاعراف ليطلعوا على احوال اهل الجنة واهل النار ثم لينقلهم الله عز
وجل الى الدرجات العالية في الجنة وقوله تعالى **لم يدخلوها وهم يطمعون** يعني في دخول الجنة قال
الحسن ما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم الا لكرامة يريدها بهم وقوله تعالى **واذا صرفت ابصارهم
تلقا اصحاب النار** يعني واذا صرفت ابصار اصحاب الاعراف تلقا اصحاب النار يعني حذاهم وحيالهم
فنظروا اليهم والى سواد وجوههم وما هم فيه من العذاب **قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين**
يعني الذين ظلموا انفسهم بالشرك وقال ابن عباس ان اصحاب الاعراف اذا نظروا الى اهل النار وعرفوهم
قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين والمعنى ان اصحاب الاعراف اذا نظروا الى اهل النار وما هم فيه
من العذاب تضرعوا الى الله وسالوه ان لا يجعلهم منهم قوله تعالى **ونادى اصحاب الاعراف رجالا** يعني
ونادى اصحاب الاعراف رجالا كانوا عظما في الدنيا وهم من اهل النار **يعرفونهم بسيماهم** يعني بسيما
اهل النار **قالوا** يعني اصحاب الاعراف لهولا الذين عرفوهم في النار **ما اغنى عنكم جمعكم** يعني ما كنتم تجمعون
من الاموال والعدد في الدنيا **وما كنتم تستكبرون** يعني وما اغنى تكبركم عن الايمان شيا قال الكلبي
ينادونهم وهم على السور يا وليد بن المغيرة يا ابا جهل بن هشام يا فلان ويا فلان ثم ينظرون الى الجنة
فيرون فيها الفقرا والضعفا ممن كانوا يستهزون بهم مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال واشباههم
فيقول اصحاب الاعراف لاوليك الكفار **اهولا** لفظ استفهام يعني هولا الضعفا **الذين اقسمتم
بالله لا ينالهم الله برحمة** يعني انكم حلفتم انهم لا يدخلون الجنة وقد دخلوا الجنة ثم يقول الله تعالى
لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضلي ورحمتي **لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون** وقيل ان اصحاب الاعراف
اذا قالوا لاهل النار ما اخبر الله عنهم قال لهم اهل النار ان اوليك دخلوا الجنة وانتم لم تدخلوها
فيعيرونهم بذلك ويقسمون انهم لا يدخلون الجنة ولا ينالهم الله برحمة فتقول الملايكة لاهل النار يعني
اصحاب الاعراف اهولا الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ثم تقول الملايكة لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة
برحمة الله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون قوله عز وجل **ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا
علينا من الما** قال ابن عباس لما صار اصحاب الاعراف الى الجنة طمع اهل النار في الفرج فقالوا يا رب ان لنا
قرابات من اهل الجنة فاذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فياذن لهم فينظرون الى قراباتهم في الجنة وما هم فيه من
النعيم فيعرفونهم وينظر اهل الجنة الى قراباتهم من اهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم فينادي اصحاب
النار اصحاب الجنة باسمايهم فينادي الرجل اباه واخاه فيقول قد احترقت افض علي من الما فيقال لهم
اجيبوهم فيقولون **ان الله حرمهما على الكافرين** ومعنى الاية ان اهل النار يستغيثون باهل الجنة
اذا استقروا فيها وذلك عند نزول البلا باهل النار وما يلقون من شدة العطش والجوع عقوبة من
الله على ما سلف منهم في الدنيا من الكفر والمعاصي يقول اهل النار لاهل الجنة يا اهل الجنة افيضوا
علينا من الما يعني صبوا علينا من الما **او مما رزقكم الله قالوا** يعني واطعمونا مما رزقكم الله وسعوا
علينا من طعام الجنة فيجيبهم اهل الجنة ان الله حرمهما على الكافرين وهذا الجواب يفيد الحرمان قال

بعضهم لما كان شهواتهم في الدنيا في لذة الاكل والشرب عذبهم الله في الآخرة بشدة الجوع والعطش
فسألوا ما كانوا يعتادونه في الدنيا من طلب الاكل والشرب فاجيبوا بان **الله حرمهما على الكافرين** يعني
طعام الجنة وشرابها ثم وصف الكافرين فقال تعالى **الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا** يعني انهم تلاعبوا
بدينهم الذي شرع لهم واللهو اغتنام وافضل اللهو ما يشغل الانسان عما يعنيه ويهمه يقال لهوت بكذا
ولهيت عن كذا اي اشتغلت عنه قال ابن عباس هم المستهزؤن وذلك انهم كانوا اذا دعوا الى الايمان
سخروا ممن دعاهم اليه وهزؤا به اغترارا بالله عز وجل وقيل هو ما زين لهم الشيطان من تحريم البحاير
والسوايب والمكا والتصدية حول البيت وساير الخصال الذميمة التي كانوا يفعلونها في الجاهلية
وقيل معنى اتخذوا دينهم يعني عيدهم اتخذوه لهوا ولعبا لا يذكرون الله فيه **وغرتهم الحياة الدنيا**
يعني وخدعتهم عاجل ما هم فيه من خفض العيش والدعة وشغلهم ما هم فيه من ذلك عن الايمان بالله
ورسوله وعن الاخذ بنصيبهم من الآخرة حتى اتتهم المنية وهم على ذلك والعزة غفلة في اليقظة
وتشوف طمع الانسان في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال والجاه ونيل الشهوات فاذا حصل له
ذلك صار محجوبا عن الدين وطلب الخلاص لانه غريق في الدنيا بلذاته وما هو فيه من ذلك ولما
وصفهم الله بهذه الصفات الذميمة قال تعالى **فاليوم** يعني يوم القيمة **ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا**
يعني فاليوم نتركهم في العذاب المهين جياعا عطاشا كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا وهذا قول ابن
عباس ومجاهد والسدي قال ابن عباس نسيهم من الخير ولم ينسهم من الشر وقيل معناه نعاملهم
معاملة من نسي فنتركهم في النار كما تركوا العمل واعرضوا عن الايمان اعراض الناسي سمى الله تعالى جزا
نسيانهم بالنسيان على المجاز لان الله تعالى لا ينسى شيا فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فيكون
المراد من هذا النسيان ان الله تعالى لا يجيب دعاهم ولا يرحم ضعفهم وذلهم بل نتركهم في النار كما تركوا
الايمان والعمل **وما كانوا باياتنا يجحدون** يعني ونتركهم في النار كما كانوا بالدلايل وجحدا باياتنا يكذبون
قوله تعالى **ولقد جئناهم** يعني ولقد جئنا هؤلاء الكفار بالقران الذي انزلناه عليك يا محمد **فصلناه**
على علم اي بيناه على علم منا بما نفصله ونبينه **هدى ورحمة لقوم يؤمنون** اي جعلنا القران هاديا
وذا رحمة لقوم يؤمنون **هل ينظرون الا تاويله** يعني هل ينتظر هؤلاء الكفار الذين كذبوا باياتنا
وجحدوها ولم يؤمنوا بها الا تاويله يعني هل ينتظرون ويتوقعون الا ما وعدوا به على السنة الرسل
من العذاب وان مصيرهم الى النار والتاويل ما يؤول اليه الشيء **يوم ياتي تاويله** يعني يوم القيمة
لانه يوم الجزاء وما يؤول اليه امورهم **يقول الذين نسوه من قبل** يعني يقول الذين تركوا العمل بالقران
ولم يؤمنوا به يوم القيمة عند معاينة العذاب **قد جاءت رسل ربنا بالحق** اقروا على انفسهم واعترفوا
حين لا ينفعهم ذلك الاعتراف والاقرار والمعنى ان الكفار اقروا بان الذي جاءت به الرسل من الايمان
والتصديق والحشر والنشر والبعث يوم القيمة والثواب والعقاب حق وصدق وانما اقروا بهذه
الاشيا لانهم شاهدوها معاينة وذلك حين لا ينفعهم ولما راوا انفسهم في العذاب قالوا **فهل لنا**
من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل يعني انه ليس لنا طريق الى الخلاص مما نحن
فيه من العذاب الا ان يشفع لنا شفيع عند ربنا فيقبل شفاعته فينا فيخلصنا من هذا العذاب
او نرد الى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل فيها فنبدل الكفر بالتوحيد والايمان والمعاصي بالطاعة
والانابة **قد خسروا انفسهم** يعني ان الذي طلبوه لا يحصل لهم فتبين خسرانهم وهلاكهم انفسهم لانهم

كانوا

كانوا في الدنيا والآخرة فلم يعملوا بطاعة ولو ردوا الى الدنيا لعادوا لما كانوا عليه من الكفر والعصيان
لسابق علم الله فيهم وقوله **وضل عنهم ما كانوا يفترون** يعني وبطل وذهب عنهم ما كانوا يزعمون ويكذبون
في الدنيا من ان الاصنام تشفع لهم فلما افضوا الى الآخرة ذهب ذلك عنهم وعلموا انهم كانوا في دعواهم
كاذبين قوله عز وجل **ان ربكم الله** يعني ان سيدكم ومالككم ومصلح اموركم والذي يوصل الخيرات ويدفع
عنكم المكاره هو الله **الذي خلق السموات والارض في ستة ايام** اصل الخلق في اللغة التقدير المستقيم
ويستعمل في ابداع الشيء من غير اصل سبق ولا ابتدا تقدم فقوله خلق السموات والارض يعني ابدعهما
وانشا خلقهما على غير مثال سبق وقدر احوالهما في ستة ايام فان قلت اليوم عبارة عن مقدار من
الزمان وذلك المقدار هو من طلوع الشمس الى غروبها فكيف قال في ستة ايام ولم يكن شمس ولا سما
قلت معناه في مقدار ستة ايام فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا يعني على مقادير البكر والعشي
في الدنيا لان الجنة لا ليل فيها ولا نهار واختلف العلما في اليوم الذي ابتدا الله عز وجل بخلق الاشيا
فقيل في يوم السبت وهو قول محمد بن اسحق وغيره ويدل على صحة هذا القول ما روى مسلم في افراده
من حديث ابي هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت
وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثا وخلق النور يوم الاربعا
وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر من يوم الجمعة في اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات
الجمعة فيما بين العصر الى الليل وهذا الحديث وان كان في صحيح مسلم ففيه مقال وقد انكره بعض العلما
لما فيه من المخالفة للاية الكريمة لان الله تعالى يقول خلق السموات والارض في ستة ايام وقال في اية
اخرى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام فدل بهذين النصين على ان جميع الخلق
تم وكمل في ستة ايام والذي في الحديث ان بعض الخلق وقع في سبعة ايام وذلك مجموع ايام الاسبوع
فلهذا السبب انكره من انكره من العلما وقد ذكر الازهري في كتابه تهذيب اللغة ما يقوي الحديث فقال
وقال ابن الانباري السبت القطع وسمي يوم السبت لان الله تعالى ابتدا الخلق يوم السبت وقطع فيه
بعض خلق الارض وقيل ان ابتدا الخلق كان يوم الاحد وهو قول عبد الله بن سلام وكعب الاحبار والضحاك
ومجاهد واختاره ابن جرير الطبري قال الطبري خلق الله السموات والارض في ستة ايام وذلك يوم
الاحد والاثنين والثلاثا والاربعا والخميس والجمعة وروى بسنده عن مجاهد قال بدا الخلق العرش
والما والهوى وخلقت الارض من الما وبدو الخلق يوم الاحد والاثنين والثلاثا والاربعا والخميس وجمع
الخلق في يوم الجمعة وتهودت اليهود يوم السبت ويوم من الستة الايام كالف سنة مما تعدون ويعضد
هذا القول ما حكاه صاحب المحكم بن سيده فقال وسمي سابع الاسبوع سبتا لان ابتدا الخلق كان من
يوم الاحد الى يوم الجمعة ولم يكن في السبت خلق قال اصحاب الاخبار والسير والتواريخ ان الله عز
وجل خلق التربة التي هي الارض بلا دحو ولا بسط في يوم الاحد والاثنين ثم استوى الى السما فسواهن
سبع سموات في يومين وهما الثلاثا والاربعا ثم دحا الارض وبسطها وطحاها واخرج ماها ومرعاها
وخلق دوابها ووحشها وجميع ما فيها في يومين وهما الخميس والجمعة وخلق ادم في يوم الجمعة اخر الخلق
في اخر ساعة من ساعات الجمعة وقيل خلق الله عز وجل التربة يوم الاحد ثم استوى الى السما فخلقها
وجميع ما فيها يوم الاثنين والثلاثا ثم مد الارض ودحاها يوم الاربعا والخميس وخلق ادم يوم الجمعة
واسكنه الجنة سور وجد حوى ثم اهبطهما الى الارض في اخر ساعة من يوم الجمعة وقيل اول ما خلق

الله القلم ثم اللوح فكتب فيه ما كان وما سيكون وما خلق وما هو خالق الى يوم القيمة ثم خلق الظلمة والنور
ثم خلق العرش ثم خلق السما من درة بيضا ثم خلق التربة ثم خلق السموات وما فيهما من نجوم وشمس وقمر
ثم مد الارض وبسطها من التربة التي خلقها اولا ثم خلق جميع ما فيها من جبال وشجر ودواب وغير ذلك ثم
خلق ادم اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات يوم الجمعة وفيها اهبط الى الارض فتكامل جميع الخلق في ستة
ايام كل يوم مقداره الف سنة وهذا قول جمهور العلما وقيل في ستة ايام من ايام الدنيا فان قلت ان الله
عز وجل قادر على ان يخلق جميع الخلق في لحظة واحدة ومنه قوله وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر فما الفايدة في
خلق السموات والارض في ستة ايام وما الحكمة في ذلك قلت ان الله سبحانه وتعالى وان كان قادرا
على خلق جميع الاشيا في لحظة واحدة انه تعالى جعل لكل شي حدا محدودا ووقتا معلوما فلا يدخل في الوجود
الا في ذلك الوقت والمقصود من ذلك تعليم عباده التثبت والتاني في الامور قال سعيد بن جبير كان
الله عز وجل قادرا على خلق السموات والارض في لمحة ولحظة فخلقهن في ستة ايام تعليما لخلقه التثبت
والتاني في الامور كما في الحديث التاني من الله والعجلة من الشيطان وقيل ان الشي اذا احدث دفعة
واحدة فلعله ان يخطر ببال بعضهم ان ذلك الشي انما وقع على سبيل الاتفاق فاذا احدث شيا بعد شي
على سبيل المصلحة والحكمة كان ذلك ابلغ في القدرة واقوى في الدلالة واقوى في الدلالة وقيل ان
الله تعالى اراد ان يوقع في كل يوم امرا من امره حتى تستعظمه الملايكة وغيرهم من شاهده وقيل ان التعجيل
في الخلق ابلغ في القدرة والتثبت ابلغ في الحكمة فاراد الله تعالى اظهار حكمته في خلق الاشيا بالتثبت كما اظهر
قدرته في خلق الاشيا بكن فيكون وقوله تعالى ثم استوى على العرش العرش في اللغة السرير وقيل هو ما
علا فاظل ويسمى مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه ويكنى عن العز والسلطان والمملكة بالعرش على
الاستعارة والمجاز يقال فلان ثل عرشه بمعنى ذهب عزه وملكه وسلطانه قال الراغب في كتابه مفردات
القران وعرش الله عز وعلا مما لا يعلمه البشر الا بالاسم على الحقيقة وليس كما تذهب اليه اوهام العامة
فانه لو كان كذلك لكان حاملا له تعالى من ذلك وليس كما قال قوم انه الفلك الاعلا والكرسي فلك
الكواكب واما استوى بمعنى استقر فقد رواه البيهقي في كتاب الاسما والصفات بروايات كثيرة عن جماعة
من السلف وضعفها كلها وقال اما الاستوا فالمتقدمون من اصحابنا كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه
كنحو مذهبهم في امثال ذلك وروى بسنده عن عبد الله بن وهب قال كنا عند مالك بن انس فدخل رجل
فقال يا ابا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواه قال فاطرق مالك واخذته الرحضا ثم رفع
راسه فقال الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنه مرفوع وانت رجل
سو صاحب بدعة اخرجوه فاخرج الرجل وفي رواية يحيى بن يحيى قال كنا عند مالك بن انس فجا رجل فقال
يا ابا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استوى فاطرق مالك براسه حتى علاه الرحضا ثم قال
الاستوى غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسوال عنه بدعة وما اراك الا مبتدعا
فامر به ان يخرج وروى البيهقي بسنده عن ابن عيينة قال كلما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره
تلاوته والسكوت عنه قال البيهقي والاثار عن السلف في مثل هذا كثيرة وعلى هذه الطريقة يدل
مذهب الشافعي واليه ذهب احمد بن حنبل والحسين بن الفضل البجلي ومن المتاخرين ابو سليمان الخطابي
قال البغوي اهل السنة يقولون الاستوى على العرش صفة لله تعالى بلا كيف يجب على الرجل الايمان
به ويكل العلم به الى الله عز وجل وذكر حديث مالك بن انس مع الرجل الذي ساله عن الاستوا وقد

تقدم

تقدم وروى عن سفيان الثوري والاوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن
المبارك وغيرهم من علما السنة في هذه الايات التي جات في الصفات المتشابهة امروها كما جات بلا
كيف وقال الامام فخر الدين الرازي بعد ذكره الدلايل العقلية والسمعية انه لا يمكن حمل قوله تعالى ثم
استوى على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز وعند هذا حصل للعلما الراسخين
مذهبان الاول ان نقطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة ولا نخوض في تاويل الاية على التفصيل
بل نفوض علمها الى الله عز وجل وهو الذي قررناه في تفسير قوله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون
في العلم يقولون امنا به وهذا المذهب هو الذي نختاره ونقول به ونعتمد عليه والمذهب الثاني
ان نخوض في تاويله على التفصيل وفيه قولان ملخصان الاول ما ذكره القفال انه قال العرش في كلامهم
هو السرير الذي يجلس عليه الملك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال ثل عرشه اي انتقض
ملكه واذا استقام له ملكه واطرد امره وحكمه قالوا استوى على عرشه واستوى على سرير ملكه
هذا ما قاله القفال والذي قاله القفال حق وصواب ثم قال والله تعالى دل على ذاته وصفاته
وكيفية تدبيره العالم على الوجه الذي الفوه من ملوكهم واستقر في قلوبهم عظمة الله جل جلاله وكمال
قدرته وذلك مشروط بنفي التشبيه والمراد منه نفاذ القدرة وجريان المشية قال ويدل على صحة
هذا قوله في سورة يونس ثم استوى على العرش يدبر الامر فقوله يدبر الامر جرى مجرى التفسير لقوله
استوى على الملك قبل خلق السموات والارض والله تعالى منزه عن ذلك واجيب عنه بان الله تعالى
كان قبل خلق السموات والارض مالكا لهما لكنه لا يصح ان يقال شبع زيد الا بعد اكله الطعام فاذا فسر
العرش بالملك صح ان يقال انه تعالى انما استوى ملكه بعد خلق السموات والارض والقول الثاني ان
يكون استوى بمعنى استولى وهذا مذهب المعتزلة وجماعة من المتكلمين واحتجوا عليه بقول الشاعر

ثم استوى بشر على العراق ، من غير سيف ودم مهراق

وعلى هذا القول انما خص العرش بالاخبار عنه بالاستيلا عليه لانه اعظم المخلوقات ورد هذا القول
بان العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى وانما يقال استولى فلان على كذا اذا لم يكن في ملكه ثم ملكه
واستولى عليه والله تعالى لم يزل مالكا للاشيا كلها ومستوليا عليها فاي تخصيص للعرش هنا دون
غيره من المخلوقات ونقل البيهقي عن ابي الحسن الاشعري ان الله تعالى فعل في العرش فعلا سماه استوا
كما فعل في غيره فعلا سماه رزقا ونعمة او غيرهما من افعاله ثم لم يكيف الاستوا الا انه جعله من صفات
الفعل لقوله تعالى ثم استوى على العرش وثم للتراخي والتراخي انما يكون في الافعال وافعال الله تعالى
توجد بلا مباشرة منه اياها ولا حركة وحكى الاستاد ابو بكر بن فورك عن بعض اصحابنا انه قال
استوى بمعنى علا من العلو قال ولا يريد بذلك علوا بالمسافة والتحيز والكون في المكان متمكنا
فيه ولكن يريد معنى نفي التحيز عنه وانه ليس مما يحويه طبق او يحيط به قطر ووصف الله تعالى بذلك
طريقة الخبر ولا يتعدى ما ورد به الخبر قال البيهقي ونحن على هذه الطريقة من صفات الذات وكلمة ثم
تعلقت بالمستوى عليه لا بالاستوا قال وقد اشار ابو الحسن الاشعري الى هذه الطريقة حكاية فقال
قال بعض اصحابنا انه صفة ذات قال وجواب هو الاول وهو ان الله تعالى مستو على عرشه وانه فوق
الاشيا باين منها بمعنى انه لا تحله ولا يحلها ولا يماسها ولا يشبهها وليست البينونة بالعزلة تعالى الله
ربنا عن الحلول والمماسة علوا كبيرا وقد قال بعض اصحابنا ان الاستوا صفة لله تعالى بنفي الاعوجاج

عنه وروي ان ابن الاعرابي جاءه رجل فقال له يا ابا عبد الله ما معنى قوله الرحمن على العرش استوى قال انه
مستوٍ على عرشه كما اخبر فقال الرجل انما معنى قوله استوى اي استولى فقال له ابن الاعرابي ما يدريك
العرب لا تقول استولى على الشيء فلان حتى يكون له فيه مضاد فايهما غلب قيل لمن غلب قد استولى عليه والله
تعالى لا مضاد له فهو على عرشه كما اخبر لا كما يظنه البشر والله اعلم وقوله تعالى **يغشي الليل النهار** يعني انه
تعالى ياتي بالليل على النهار فيغطيه ويلبسه حتى يذهب بنوره وفيه حذف تقديره ويغشي النهار الليل
وانما لم يذكر النهار لدلالة الكلام عليه **يطلبه حثيثا** يعني سريعا وذلك انه اذا كان يعقب احدهما الاخر
ويخلفه فكانه يطلبه حكى الامام فخر الدين عن القفال انه قال ان الله تعالى لما اخبر عباده باستوائه
على العرش اخبر عن استمرار امور المخلوقات على وفق مشيئته واراهم ذلك فيما يشاهدونه منها ليضم
العيان الى الخبر وتزول الشبهة عن كل الجهات قال الامام واعلم انه سبحانه وتعالى وصف هذه الحركة
بالسرعة الشديدة وذلك لان تعاقب الليل والنهار انما يحصل بحركة الفلك الاعظم وتلك الحركة اشد
الحركات سرعة فان الانسان اذا كان في اشد عدوه بمقدار رفع رجله ووضعها يتحرك الفلك الاعظم
ثلاثة الاف ميل وهي الف فرسخ فلهذا قال تعالى يطلبه حثيثا لسرعة حركته **والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره** يعني التسخير التذليل وقال الزجاج وخلق هذه الاشياء جاريات في مجاريها بامره
وقال المفسرون يعني تسخيرهن تذليلهن لما يراد منهن من طلوع وغروب وسير ورجوع اذ ليس هن
قادرات بانفسهن وانما هن يتصرفن في تصرفاتهن على ارادة المدبر لهن الحكيم في تدبيرهن ونفذ
على ما اراد منهن والمراد بالامر في قوله بامره نفاذ ارادته لان الغرض من هذه تبيين عظمة قدرته
ومنهم من حمل الامر على الامر الذي هو الكلام وقال انه تعالى امر هذه الاجرام بالسير الدائم والحركة
المستمرة الى انقضاء الدنيا وخراب هذا العالم فان قلت ان الشمس والقمر من النجوم فلم افردهما
بالذكر ثم عطف عليهما ذكر النجوم قلت انما افردهما بالذكر لبيان شرفهما على سائر الكواكب لما
فيهما من الاشراق والنور ويسيرهما في المنازل تعرف الاوقات فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته
ورسله وجبريل وميكال فعطف جبريل وميكال على ذكر الملائكة وان كان من الملائكة لبيان شرفهما
وفضلهما على غيرهما من الملائكة وقوله تعالى **الا له الخلق والامر** يعني له الخلق لانه خلقهم وله ان يامر
فيهم بما اراد وله ان يحكم فيهم بما شاء وعلى هذا المعنى الامر هنا الذي هو نقيض النهي واستخرج سفيان
ابن عيينة من هذا المعنى ان كلام الله عز وجل ليس بمخلوق فقال ان الله تعالى فرق بين الخلق والامر
فمن جمع بينهما فقد كفر يعني ان من جعل الامر الذي هو كلامه من جملة ما خلقه فقد كفر لان المخلوق لا يقوم
بمخلوق مثله وقيل معناه ان جميع ما في العالم لله عز وجل والخلق له لانه خلقهم وجميع الامور تجري بقضائه
وقدره فهو مجريها ومنشيها فلا يبقى بعد هذا لاحد شيء وقيل المراد بالامر هنا الارادة لان الغرض من الاية
تعظيم القدرة وفي الاية دليل على انه لا خالق الا الله عز وجل ففيه رد على من يقول ان للشمس والقمر
والكواكب تاثيرات في هذا العالم فاخبر الله انه هو الخالق المدبر لهذا العالم لا الشمس والقمر
والكواكب وله الامر المطلق وليس لاحد امر غيره فهو الامر والناهي الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
لا اعتراض لاحد من خلقه عليه **تبارك الله** يعني تمجد وتعظم وارتفع وقال الزجاج تبارك تفاعل من
البركة ومعنى البركة الكثيرة من كل خير وقيل معناه تعالى وتعظم الله **رب العالمين** يعني انه هو الذي
يستحق التعظيم وذلك ان الله تعالى افتتح هذه الاية بقوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض

وذكر

وذكر اشيا من عظيم خلقه وان له الخلق والامر والنهي والقدرة عليهم ختم الاية بالثنا على نفسه لانه هو المستحق
للمدح المطلق والثنا والتعظيم وقال ابن عباس معناه جا بكل بركة وقيل تبارك معناه تقدس والتقديس
الطهارة وقيل معناه تبارك باسمه يتبرك في كل شيء وقال المحققون معنى هذه الصفة ثبت ودام كما لم
يزل ولا يزال واصل البركة الثبوت ويقال تبارك الله ولا يقال متبارك ولا مبارك لانه لم يرد فيه التوقيف
قوله عز وجل **ادعوا ربكم** قيل معناه اعبدوا ربكم لان الدعا طلب الخير من الله تعالى وهذه صفة العبادة
ولانه تعالى عطف عليه قوله وادعوه خوفا وطمعا والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه وقيل
المراد به حقيقة الدعا وهو الصحيح لان الدعا هو السؤال والطلب وهو نوع من انواع العبادة
لان الداعي لا يقدم على الدعا الا اذا عرف من نفسه الحاجة الى ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله
وعرف ان ربه تبارك وتعالى يسمع الدعا ويعلم حاجته وهو قادر على ايصالها الى الداعي فعند ذلك
يعرف العبد نفسه بالعجز والنقص ويعرف ربه بالقدرة والجلال وهو المراد من قوله تعالى **تضرعا**
يعني ادعوا ربكم تذللا واستكانة وهو اظهار الذل الذي في النفس والخشوع يقال ضرع فلان لفلان
اذا ذل له وخشع وقال الزجاج تضرعا يعني تملقا وحقيقته ان يدعوه خاضعين خاشعين متعبدين
بالدعا له تعالى **وخفية** يعني سرا في انفسكم وهو ضد العلانية والادب في الدعا ان يكون خفيا لهذه
الاية قال الحسن بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ولقد كان المسلمون يجتهدون في
الدعا ولا يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا
وخفية وان الله تعالى ذكر عبدا صالحا ورضي فعله فقال تعالى اذ نادى ربه ندا خفيا **ق** عن ابي موسى
الاشعري قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ايها الناس اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غايبا انكم تدعون سميعا بصيرا
وهو معكم والذي تدعونه اقرب الى احدكم من عنق راحلته قال ابو موسى وانا خلفه اقول لا حول ولا
قوة الا بالله في نفسي فقال يا عبد الله بن قيس الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قلت بلى يا رسول الله
قال لا حول ولا قوة الا بالله قوله صلى الله عليه وسلم اربعوا على انفسكم يعني ارفقوا بها واقصروا
عن الصياح في الدعا وقوله تعالى **انه لا يحب المعتدين** يعني في الدعا وقال ابو مجلز هم الذين يسالون
منازل الانبيا عن عبد الله بن مغفل انه سمع ابنه يقول اللهم اني اسالك القصر الابيض عن يمين الجنة اذا
دخلتها قال اي بني سل الله الجنة وتعوذ به من النار فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون
في هذه الامة قوم يعتدون في الطهور والدعا اخرجه ابو داود وقال ابن جريج من الاعتدا رفع الصوت
والندا والصياح في الدعا وقيل الاعتدا مجاوزة الحد في كل شيء فكل من خالف امر الله ونهيه فقد اعتدى ودخل
تحت قوله تعالى انه لا يحب وفرع ارباب الطريقة على قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية هل الافضل اظهار
العبادات ام لا فذهب بعضهم الى ان اخفا العبادات والطاعات افضل من اظهارها لهذه الاية ولكونها
ابعد عن الريا وذهب بعضهم الى ان اظهارها افضل ليقتدي به الغير فيعمل مثل عمله وتوسط الشيخ محمد
ابن علي الحكيم الترمذي فقال ان كان خايفا على نفسه من الريا فالاولى اخفا العبادات صونا لعمله عن
البطلان وان كان قد بلغ في الصفا وقوة اليقين الى التمكين حيث صار مباينا عن شايبة الريا كان الاولى
في حقه الاظهار لتحصل فايدة الاقتدا به وذهب بعضهم الى ان اظهار العبادات المفروضات افضل من
اخفايها فصلاة المكتوبة في المسجد افضل من صلاته في بيته وصلاة النفل في البيت افضل من صلاته

في المسجد وكذا اظهار الزكاة افضل من اخفايها والعمل صدقة التطوع فافضل من اظهارها وقياس
على هذا سائر العبادات قوله تعالى **ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها** يعني ولا تفسدوا فيها
الناس في الارض بالمعاصي والكفر والدعا الى غير طاعة الله بعد اصلاح الله اياها ببعثة الرسل وبيان
الشرايع والدعا الى طاعة الله عز وجل وهذا معنى قول الحسن والسدي والضحاك والكلبي وقال
عطية لا تعصوا في الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بسبب معاصيكم فعلى هذا يكون معنى قوله
بعد اصلاحها يعني بعد اصلاح الله اياها بالمطر والخصب وقيل معنى الاية ولا تفسدوا في الارض شيا بعد
ان اصلحه الله تعالى فيدخل فيه المنع من اتلاف النفس بالقتل او فسادها بقطع بعض الاعضا وافساد
الاموال بالغصب والسرقة واخذه من الغير بوجوه الحيل وافساد الاديان بالكفر واعتقاد البدع
وافساد الانساب بالاقدام على الزنا وافساد العقول بسبب شرب المسكر وذلك
لان المصالح المعتبرة في الدنيا هذه الخمسة فمنع الله من ادخال الفساد في ماهيتها وقوله **وادعوه
خوفا وطمعا** اصل الخوف الانزعاج في الباطن لما لا يومن من المضار وقيل هو توقع مكروه يحصل فيما بعد والطمع
توقع محبوب يحصل له والمعنى وادعوه خوفا منه ومن عقابه وطمعا فيما عنده من جزيل ثوابه وقال ابن
جريج معناه خوف العدل وطمع الفضل وقيل معناه ادعوه خوفا من الريا والذكر في الدعا وطمعا في
الاجابة فان قلت قال في اول الاية ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال هنا وادعوه وهذا عطف الشي على
نفسه فما الفايدة في ذلك قلت الفايدة فيه ان المراد بقوله تعالى ادعوا ربكم اي ليكن الدعا مقرونا
بالتضرع والاخبات وقوله وادعوه خوفا وطمعا ان فايدة الدعا احد هذين الامرين فكانت الاية الاولى
في بيان شرط صحة الدعا والاية الثانية في بيان فايدة الدعا وقيل معناه كونوا جامعين في انفسكم
بين الخوف والرجا في اعمالكم كلها ولا تطمعوا انكم وفيتم حق الله في العبادة والدعا وان اجتهدتم فيهما **ان
رحمة الله** اصل الرحمة رقة تقتضي الاحسان الى المرحوم وتستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الاحسان
المجرد عن الرقة واذا وصف بها الباري جل وعز فليس يراد بها الا الاحسان المجرد دون الرقة فرحمة الله
عز وجل عبارة عن الافضال والانعام على عباده وايصال الخير اليهم وقيل هي عبارة عن ارادة ايصال
الخير والنعمة الى عباده فعلى القول الاول تكون الرحمة من صفات الافعال وعلى القول الثاني تكون من
صفات الذات **قريب من المحسنين** قال سعيد بن جبير الرحمة ها هنا الثواب فرجع النعت الى المعنى دون
اللفظ وقيل ان تانيث الرحمة ليس بحقيقي وما كان كذلك جاز فيه التانيث والتذكير عند اهل اللغة
وكون الرحمة قريبة من المحسنين لان الانسان في كل ساعة من الساعات في ادبار عن الدنيا واقبال
على الاخرة واذا كان كذلك كان الموت اقرب اليه من الحياة وليس بينهم وبين الرحمة التي هي الثواب في
الاخرة الا الموت فانه قريب من الانسان قوله عز وجل **وهو الذي يرسل الرياح** هذا عطف على
ما قبله والمعنى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وهو الذي يرسل الرياح **نشرا** قرئ نشرا بالنون
اراد جمع نشور وهو الريح الطيبة الهبوب التي تهب من كل ناحية وقيل هو جمع ناشر يقال نشر الله الريح
بمعنى احياها وقالوا النشر الريح الطيبة اللينة التي تنشئ السحاب وقال ابن الانباري النشر المنتشرة
الواسعة الهبوب وقيل النشر خلاف الطي فيحتمل انها كانت بانقطاعها كالمطوية فانشرت بمعنى ارسلت
وقرئ بشرا بالباء جمع بشيرة وهي التي تبشر بالمطر والريح هو الهوى المتحرك يمنة ويسرة والرياح اربع الصبا
وهي الشرقية والدبور وهي الغربية والشمال وهي التي تهب من تحت القطب الشمالي والجنوب وهي القبلية

وعن ابن

وعن ابن عمر ان الرياح ثمان اربع منها عذاب وهي القاصف والعاصف والصرصر والعقيم واربع منها رحمة
وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات **بين يدي رحمته** يعني امام المطر الذي هو رحمته
وانما سماه رحمة لانه سبب حياة الارض الميتة قال ابو بكر بن الانباري اليدان تستعملهما العرب في المجاز
على معنى التقدمة تقول هذه تكون الفتن بين يدي الساعة يريدون قبل ان تقوم الساعة تشبيها
وتمثيلا اذ كانت يدا الانسان يتقدمانه كذلك الرياح تتقدم المطر وتؤذن به عن ابي هريرة قال
اخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر لمن حوله ما بلغكم في الريح فلم يرجعوا اليه
شيا وبلغني الذي سال عمر عنه من امر الريح فاستحثثت راحلتي حتى ادركت عمر وكنت في مؤخر الناس فقلت
يا امير المومنين اخبرت انك سالت عن الريح فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الريح من روح الله تاتي بالرحمة وتاتي بالعذاب فاذا رايتموها فلا تسبوها وسلوا الله من خيرها
واستعيذوا بالله من شرها رواه الشافعي بطوله واخرج ابو داود المسند منه وقال كعب الاحبار
لو حبس الله الريح عن عباده ثلاثة ايام لانتن اكثر اهل الارض وقوله تعالى **حتى اذا اقلت سحابا
ثقالا** يقال اقل فلان الشي اذا حمله واشتقاق الاقلال من القلة فان من يرفع شيا يراه قليلا والسحاب
جمع سحابة وهو الغيم فيه ما او لم يكن ما سمي سحابا لانسحابه في الهوى والمعنى حتى اذا حملت هذه الرياح
سحابا اثقالا بما فيها من الما قال السدي ان الله تبارك وتعالى يرسل الرياح فتاتي بالسحاب من
بين الخافقين وهو طرف السما والارض حيث يلتقيان فتخرجه من ثم تنشره فتبسطه في السما
كيف يشا ثم يفتح لها ابواب السما فيسيل الما على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك وقيل ان الله تعالى
دبر بحكمته ان الرياح تحرك تحريكا شديدا فتثير السحاب ثم تضم بعضه الى بعض فيتراكم وينعقد ويحمل الما
ثم تسوقه الى حيث يشا الله عز وجل وهو قوله تعالى **سقناه لبلد ميت** يعني الى بلد فتكون اللام بمعنى
الى وقيل معناه لاجل حياة بلد ميت وانما قال سقناه لان لفظ السحاب مذكر وان كان جمع سحابة فكان
ورود الكناية عنه على سبيل التذكير جايزا نظرا الى اللفظ قال الازهري قال الليث البلد كل موضع
من الارض عامرا او غير عامر خال او مسكون والطايفة منها بلدة والجمع بلاد زاد غيره والمفازة تسمى بلد
لكونها مسكن الوحش والجن قال الاعشى

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة * للجن بالليل في حافاتها زجل

ومعنى الاية انا سقنا السحاب الى بلد ميت يحتاج الى الما لم ينزل فيه غيث ولم تنبت خضرة **فانزلنا
به الما** اختلفوا في الضمير في قوله تعالى به الى ماذا يعود فقال الزجاج وابن الانباري جايز ان يكون المعنى
فانزلنا بالبلد الميت الما وجايز ان يكون المعنى وانزلنا بالسحاب الما لان السحاب آلة لانزال الما
فاخرجنا به اي بذلك الما لان انزال الما كان سببا لاخراج الثمرات وقيل يحتمل ان يكون المعنى فاخرجنا
بذلك الميت **من كل الثمرات** يعني فاخرجنا بذلك البلد بعد موته وجدوبه من اصناف الثمار والزروع
كذلك نخرج الموتى يعني كما احيينا البلد الميت كذلك نخرج الموتى احيا من قبورهم بعد فنايهم ودروس اثارهم
واختلفوا في وجه التشبيه فقيل ان الله تعالى كما يخلق النبات بواسطة انزال المطر كذلك يحيي الموتى
بواسطة انزال المطر ايضا قال ابو هريرة وابن عباس ان الناس اذا ماتوا في النفخة الاولى امطر عليهم
ما من تحت العرش يدعى ما الحيوان اربعين سنة فينبتون كما ينبت الزرع من الما وفي رواية اربعين اربعين
يوما فينبتون في قبورهم نبات الزرع حتى اذا استكملت اجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم النوم فينامون

في قبورهم فاذا نفخ في الصور النفخة الثانية عاشوا ثم يحشرون من قبورهم وهم يجدون طعم النوم في
روسهم واعينهم كما يجد النايم حيث يستيقظ من نومه فعند ذلك فيقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا
فيناديهم المنادي هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد اذا اراد الله ان يخرج الموتى
امطر السما حتى تنشق الارض ثم يرسل الارواح فتعود كل روح الى جسدها فكذلك يحيي الموتى بالمطر
كاحيايه الارض وقيل انما وقع التشبيه باصل الاحيا والمعنى انه تعالى كما احيا هذا البلد الميت بعد خرابه
وموته فانبت فيه الزرع والشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيي الله الموتى فيخرجهم من قبورهم احيا بعد ان
كانوا امواتا او رمما بالية لان من قدر على اخراج الثمر الرطب من الخشب اليابس قادر على ان يحيي الموتى
فيخرجهم من قبورهم الى حشرهم ونشرهم **لعلكم تذكرون** الخطاب لمنكري البعث يقول شاهدتم الاشجار
وهي مزهرة مورقة مثمرة في ايام الربيع والصيف ثم انكم شاهدتموها يابسة عارية من تلك الازهار
والاوراق والثمار ثم انه تعالى احياها مرة اخرى فالقادر على احيايها بعد موتها قادر على احيا الاجساد
بعد موتها والمعنى انما وصفت ما وصفت من التشبيه والتمثيل لكي تعتبروا وتتذكروا وتعلموا ان من
فعل ذلك كان هو الذي يعيد ويحيي قوله تعالى **والبلد الطيب** يعني والارض الطيبة التربة
السهلة السمحة **يخرج نباته باذن ربه** يعني اذا اصابه المطر اخرج نباته باذن الله عز وجل **والذي
خبث لا يخرج الا نكدا** يعني والبلد الذي خبث ارضه فهي سبخة لا تخرج يعني لا يخرج نباته الا نكدا يعني
عسرا بمشقة وكلفة قال الشاعر يذم انسانا

لا تنجز الوعد ان وعدت وان … اعطيت اعطيت تافها نكدا

يعني بالتافه القليل وبالنكد العسر ومعناه انك ان اعطيت اعطيت القليل بعسر ومشقة قال
المفسرون هذا مثل ضربه الله للمومن والكافر فشبه المومن بالارض الحرة الطيبة وشبه نزول القران
على قلب المومن بنزول المطر على الارض الطيبة فاذا نزل المطر عليها اخرجت انواع الازهار والثمار
وكذلك المومن اذا سمع القران امن به وانتفع به وظهرت منه الطاعات والعبادات وانواع
الاخلاق الحميدة وشبه الكافر بالارض الردية الغليظة السبخة التي لا ينتفع بها وان اصابها
المطر فكذلك الكافر اذا سمع القران لا ينتفع به ولا يصدقه ولا يزيده الا عتوا وكفرا وان عمل الكافر
حسنة في الدنيا كانت بمشقة وكلفة ولا ينتفع بها في الاخرة قال ابن عباس هذا مثل ضربه الله للمومن
يقول هو طيب وعمله طيب كما ان البلد ثمره طيب ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبخة المالحة التي
خرجت منها البركة فالكافر خبيث وعمله خبيث وقال مجاهد هذا مثل ضربه الله لادم وذريته كلهم
منهم خبيث وطيب ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها طايفة
طيبة قبلت الما فانبتت الكلا والعشب الكثير وكانت منها اجادب امسكت الما فنفع الله بها الناس فشربوا
منها وسقوا وزرعوا واصاب طايفة منها اخرى انما هي قيعان لا تمسك ما ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه
في دين الله عز وجل ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله
الذي ارسلت به اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى **كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون** يعني كما
ضربنا هذا المثل كذلك نبين الايات الدالة على التوحيد والايمان اية بعد اية وحجة بعد حجة لقوم
يشكرون الله على انعامه عليهم بالهداية وتجنبهم سبل الضلالة وانما خص الشاكرين بالذكر

لانهم هم الذين ينتفعون بسماع القران قوله عز وجل **لقد ارسلنا نوحا الى قومه** اعلم ان الله تبارك
وتعالى لما ذكر في الايات المتقدمة دلايل اثار قدرته وغرايب خلقه وصنعته الدالة على توحيده وربوبيته
واقام الادلة القاطعة على صحة البعث بعد الموت اتبع ذلك بقصص الانبيا عليهم السلام وما جرى
لهم مع اممهم وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه عن قبول الحق فقط بل قد
اعرض عنه غالب الامم الخالية والقرون الماضية وفيه تنبيه على ان عاقبة اوليك الذين كذبوا الرسل
كانت الى الخسار والهلاك في الدنيا وفي الاخرة الى العذاب العظيم فمن كذب محمدا صلى الله عليه وسلم من
قومه كانت عاقبته مثل اوليك الذين خلوا من قبلهم من الامم المكذبة وفي ذكر هذه القصص دليل على
صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا لا يقرا ولا يكتب ولم يلق احدا من علما زمانه وقد اتى
بمثل هذه القصص والاخبار عن القرون الماضية والامم الخالية بما لم ينكره عليه احد علم بذلك
انه انما اتى به من عند الله عز وجل وانه اوحى اليه ذلك فكان ذلك دليلا واضحا وبرهانا قاطعا على
صحة نبوته صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه لقد ارسلنا جواب قسم محذوف
تقديره والله لقد ارسلنا نوحا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام ومعنى
ارسلنا نوحا يعني بعثنا نوحا وهو اول نبي بعثه الله بعد ادريس وكان نوح نجارا وقيل معنى الارسال
ان الله تعالى حمله رسالة ليوديها الى قومه فعلى هذا التقدير فالرسالة تكون متضمنة للبعث ايضا
ويكون البعث كالتابع له لانه اصل قال ابن عباس بعثه الله وهو ابن اربعين سنة وقيل وهو ابن مايه سنة
قال ابن عباس سمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه واختلفوا في سبب نوحه فقيل لدعوته على قومه
بالهلاك وقيل لمراجعته ربه في شان ابنه كنعان وقيل لانه مر بكلب مجذوم فقال له اخسا يا قبيح فاوحى
الله اليه اعبتني ام عبت الكلب **فقال** يعني نوحا لقومه **يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** يعني
اعبدوا الله فانه هو الذي يستحق العبادة لا غيره فانه ليس لكم اله معبود سواه فانه هو الذي
يستوجب ان يعبد **اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم** يعني ان لم تقبلوا ما امركم من عبادة الله واتباع
امره وطاعته واليوم الذي خافه عليهم هو اما يوم الطوفان واهلاكهم فيه او يوم القيمة وانما قال
اخاف على الشك وان كان على يقين من حلول العذاب بهم ان لم يومنوا به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب
بهم ايعاجلهم ام يتاخر عنهم العذاب الى يوم القيمة **قال الملا** وهم الجماعة الاشراف **من قومه انا لنراك**
يعني يا نوح **في ضلال مبين** يعني في خطا وزوال عن الحق **قال** يعني نوحا **يا قوم ليس بي ضلالة** يعني
ليس بي ما تظنون من الضلال **ولكني رسول من رب العالمين** يعني هو ارسلني اليكم لانذركم واخوفكم الم
تومنوا به وهو قوله **ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم** يعني في تحذيري اياكم عقابه على كفركم ان لم تومنوا به
وانصح لكم يقال نصحته ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له والنصح ارادة الخير لغيره كما يريده
لنفسه وقيل النصح تحري قول او فعل فيه صلاح للغير وقيل حقيقة النصح تعريف وجه المصلحة مع خلوص
النية من شوايب المكروه والمعنى انه قال ابلغكم جميع تكاليف الله وشرايعه وارشدكم الى وجه الاصلح والاصوب
لكم وادعوكم الى ما دعاني اليه واحب لكم ما احب لنفسي قال بعضهم والفرق بين ابلاغ الرسالة وبين النصيحة
هو ان تبليغ الرسالة ان يعرفهم جميع اوامر الله ونواهيه وجميع انواع التكاليف التي اوجبها الله عليهم
واما النصيحة فهو ان يرغبهم في قبول تلك الاوامر والنواهي والعبادات ويحذرهم عقابه ان عصوه
واعلم من الله ما لا تعلمون يعني واعلم انكم ان عصيتم امره عاقبكم بالطوفان والغرق في الدنيا ويعذبكم

في الاخرة عذابا عظيما وقيل اعلم ان مغفرة الله لمن تاب وعقوبته لمن اصر على الكفر وقيل لعل الله اطلعه
سرا من اسراره فقال اعلم من الله ما لا تعلمون اوعجبتم الالف للاستفهام والواو للعطف والمعطوف عليه
محذوف وهذا الاستفهام استفهام انكار ومعناه اكذبتم وعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم يعني وحيا من ربكم
على رجل منكم تعرفونه وتعرفون نسبه وذلك لان كونه منهم يزيل التعجب وقيل المراد بالذكر الكتاب الذي انزله
الله على نوح عليه السلام سماه ذكرا كما سمي القران ذكرا وقيل المراد بالذكر المعجزة التي جاء بها نوح عليه
السلام فعلى هذا تكون على بمعنى مع اي مع رجل منكم قال الفراء على هنا بمعنى مع لينذركم يعني جاءكم لاجل ان
ينذركم ولتتقوا اي ولاجل ان تتقوا ولعلكم ترحمون لان المقصود من ارسال الرسول الانذار والمقصود من
الانذار التقوى عن كل ما لا ينبغي والمقصود بالتقوى الفوز بالرحمة في الدار الاخرة فكذبوه يعني فكذبوا
نوحا فانجيناه يعني من الطوفان والغرق والذين معه يعني من امن من قومه معه في الفلك يعني في السفينة واغرقنا
الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عمين قال ابن عباس عميت قلوبهم عن معرفة الله تعالى وقال الزجاج
عموا عن الحق والايمان يقال رجل عم في البصيرة واعمى في البصر وانشدوا قول زهير

واعلم ما في اليوم والامس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عم

قال مقاتل عموا عن نزول العذاب بهم وهو الغرق قوله تعالى والى عاد اي وارسلنا الى عاد وارسلنا
الى عاد وهو ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهي عاد الاولى اخاهم هودا يعني اخاهم في النسب لا في
الدين وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص وقال ابن اسحق هو هود بن شالخ بن ارفخشد
ابن سام بن نوح واتفقوا على ان هودا عليه السلام لم يكن اخاهم في الدين ثم اختلفوا في سبب الاخوة من
اين حصلت فقيل انه كان واحدا من القبيلة فيتوجه قوله اخاهم لانه واحد منهم وقيل انه لم يكن من القبيلة ثم ذكروا
في تفسير هذه الاخوة وجهين الاول قال الزجاج انه كان من بني ادم ومن جنسهم لا من الملائكة ويكفي هذا القدر
في تسمية الاخوة والمعنى انا ارسلنا الى عاد واحدا من جنسهم من البشر ليكون الفهم والانس بكلامه اتم واكمل ولم
يبعث اليهم من غير جنسهم مثل الملك والجن والثاني ان اخاهم بمعنى صاحبهم والعرب تسمي صاحب القوم اخاهم
وكانت منازل عاد بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذي عند عمان وحضرموت قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره اي اعبدوا الله وحده ولا تجعلوا معه الها اخر فانه ليس لكم اله غيره والفرق
بين قوله في قصة نوح فقال وهنا قال ان نوحا كان مواظبا على دعوة قومه غير متوان فيها فلذلك اتى بالفا
الدالة على التعقيب واما هود فلم يكن كذلك بل كان دون نوح في المبالغة في الدعا فاخبر الله عنه
بقوله قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون يعني افلا تخافون عقابه بعبادتكم غيره
ولما كانت هذه القصة منسوقة على قصة قوم نوح وقد علموا ما حل بهم من الغرق حسن قوله هنا
افلا تتقون يعني افلا تخافون ما نزل بهم من العذاب ولما لم يكن قبل واقعة قوم نوح شي حسن تخويفهم
من العذاب فقال هناك اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملا الذين كفروا من قومه انا لنراك
في سفاهة يعني انا لنراك يا هود في حمق وجهالة وضلالة عن الحق والصواب اخبر الله عن قوم نوح انهم
قالوا له انا لنراك في ضلال مبين واخبر عن قوم هود انهم قالوا انا لنراك في سفاهة والفرق بينهما ان
نوحا لما خوف قومه بالطوفان وطفق في عمل السفينة فعند ذلك قال له قومه انا لنراك في ضلال
مبين حيث يتعب في اصلاح سفينة في ارض ليس فيها من الماء شي واما هود عليه السلام فانه لما زيف عبادة
الاصنام ونسب من عبدها الى السفه وقلة العقل قابلوه بمثله فقالوا انا لنراك في سفاهة وانا

لنظنك

لنظنك من الكاذبين يعني في دعائك انك رسول من رب العالمين قال يعني قال هود لهؤلاء الملا الذين
نسبوه الى السفه يا قوم ليس بي سفاهة يعني ليس الامر كما تزعمون انني في سفاهة ولكني رسول من
رب العالمين يعني اليكم ابلغكم رسالات ربي يعني اودي اليكم ما ارسلني به من اوامره ونواهيه وشرايع دينه وتكاليفه
وانا لكم ناصح يعني فيما امركم به من عبادة الله عز وجل وترك ما سواه امين يعني على تبليغ الرسالة واداء النصح
والامين الثقة على ما اوتمن عليه حكى الله عن نوح وانصح لكم وحكى عن هود وانا لكم ناصح امين فالاول
بصيغة الفعل والثاني بصيغة اسم الفاعل والفرق بينهما ان صيغة الفعل تدل على تجدده ساعة بعد
ساعة فكان نوح يدعو قومه ليلا ونهارا كما اخبر الله عنه بقوله قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا
فلما كان ذلك من عادته ذكره بصيغة الفعل فقال وانصح لكم واما هود فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم
وقتا دون وقت فلهذا قال وانا لكم ناصح امين ومدح النفس باعظم صفات المدح غير لايق بالعقلا وانما
فعل هود ذلك وقال هذا القول لانه كان يجب عليه اعلام قومه بذلك ومقصوده الرد عليهم في
قولهم وانا لنظنك من الكاذبين فوصف نفسه بالامانة وانه امين في تبليغ ما ارسل به من عند الله
وفيه تقرير للرسالة والنبوة وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه في موضع الضرورة الى مدحها
اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم يعني اعجبتم ان انزل الله وحيه على رجل تعرفونه لينذركم
باس ربكم ويخوفكم عقابه واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح يعني واذكروا نعمة الله عليكم اذ اهلك
قوم نوح وجعلكم تخلفونهم في الارض وزادكم يعني في الخلق بسطة يعني طولا وقوة قال الكلبي والسدي كانت
قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعا وقيل سبعين ذراعا وعن ابن عباس ثمانين ذراعا
وقال مقاتل اثني عشر ذراعا وقال وهب كان راس احدهم مثل القبة العظيمة فاذكروا الاء الله يعني نعم
الله وفيه اضمار تقديره واذكروا نعمة الله عليكم واعملوا عملا يليق بذلك الانعام ومعنى ان تومنوا به
وتتركوا ما انتم عليه من عبادة الاصنام لعلكم تفلحون يعني لكي تفوزوا بالفلاح ومعنى البقا في الاخرة
قالوا يعني قال قوم هود مجيبين له اجئتنا يا هود لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباونا يعني
من الاصنام فاتنا بما تعدنا يعني من العذاب ان كنت من الصادقين يعني في قولك انك رسول الله قال يعني
قال هود مجيبا لهم قد وقع يعني نزل ووجب عليكم من ربكم رجس وغضب اي عذاب وسخط اتجادلونني في
اسماء سميتموها انتم واباوكم يعني وضعتم لها اسما من عند انفسكم والمراد منه الاستفهام على سبيل الانكار
عليهم لانهم سموا الاصنام بالالهة وذلك معدوم فيهم ما نزل الله بها من سلطان يعني من حجة وبرهان
على هذه التسمية وانما سميتموها انتم من عند انفسكم بغير دليل فانتظروا يعني العذاب اني معكم من المنتظرين
يعني نزول العذاب بكم فانجيناه يعني فانجينا هودا عند نزول العذاب بقومه والذين معه برحمة منا يعني
وانجينا اتباعه الذين امنوا به وصدقوه لانهم كانوا مستحقين للرحمة وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا
يعني واهلكنا الذين كذبوا هودا من قومه واراد بالايات معجزات هود الدالة على صدقه وهذا هلاك
استيصال فاهلكهم جميعا ولم يبق منهم احدا وما كانوا مومنين يعني لانهم لم يكونوا امنوا قط بالله ولا برسوله
هود عليه السلام وكانت قصة عاد على ما ذكره محمد بن اسحق واصحاب السير والاخبار قالوا جميعا كانت منازل
عاد وجماعتهم حين بعث الله فيهم هودا عليه السلام الاحقاف والاحقاف الرمل فيما بين عمان وحضرموت
من ارض اليمن وكانوا قد فشوا في الارض كلها وقهروا اهلها بفضل قوتهم التي جعلها الله فيهم وكانوا
اصحاب اوثان يعبدونها من دون الله عز وجل صنم يقال له صدا وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهبا

بعث الله عز وجل فيهم هودًا عليه السلام وهو من اوسطهم نسبًا وافضلهم فامرهم ان يوحدوا الله ولا يجعلوا معه الهًا غيره وان يكفوا عن ظلم الناس لم يأمرهم بغير ذلك فيما ذكر فأبوا عليه وكذبوه وقالوا من اشد منا قوة واتبعه منهم ناس امنوا به وهم يسير يكتمون ايمانهم وكان ممن صدقه وامن به رجل يقال له مرثد بن سعد ابن عفير وكان يكتم ايمانه فلما عتوا على الله وكذبوا نبيهم واكثروا في الارض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع اية وتخذوا المصانع لعلهم يخلدون فلما فعلوا ذلك امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء وجهد يطلبون الفرج من الله عز وجل وذلك عند بيته الحرام بمكة مؤمنهم ومشركهم وكان يجتمع بمكة ناس كثير مختلفة اديانهم وكلهم يعظم مكة ويعرف حرمتها ومكانها من الله عز وجل وكان البيت معروفًا مكانه من الحرم وكان سكان مكة يومئذ العماليق وانما سموا العماليق لان اباهم كان عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيد العماليق يومئذ رجل يقال له معاوية ابن بكر وكانت ام معوية كلهدة بنت الخيبري وهو رجل من عاد فكانت عاد اخوال معوية سيد العماليق فلما قحط عاد وقل عنهم المطر قالوا جهزوا منكم وفدًا الى مكة ليستسقوا لكم فانكم قد هلكتم فبعثوا قيل ابن عنز ولقيم بن هذال من هذيل وعقيل بن ضد بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلمًا يكتم اسلامه وجلهمة بن الخيبري خال معاوية بن بكر سيد العماليق ولقمان بن عاد فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه جماعة من قومه فبلغ عدد وفد عاد سبعين رجلًا فلما قدموا مكة نزلوا على معوية ابن بكر وهو بظاهر مكة خارجًا عن الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرًا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية بن بكر فلما راى معاوية بن بكر طول مقامهم عنده وقد بعثهم قومهم يتغوثون لهم من البلاء الذي اصابهم شق ذلك عليه وقال هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء مقيمين عندي وهم ضيفي نازلون علي والله ما ادري كيف اصنع فاني استحي ان امرهم بالخروج لما بعثوا اليه فيظنون انه ضيق مني بمكانهم عندي وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدًا وعطشًا قال وشكى ذلك من امرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعرًا نغنيهم به ولا يدرون من قاله لعل ذلك ذلك انه يحركهم فقال له معاوية

الا يا قيل ويحك قم فهينم ... لعل الله يمنحنا غمامًا

فيسقي ارض عاد ان عادًا ... قد امسوا لا يبينون الكلاما

من العطش الشديد فليس نرجو ... به الشيخ الكبير ولا الغلاما

وقد كانت نساؤهم بخير ... فقد امست نساؤهم عيامًا

وان الوحش تأتيهم جهارًا ... ولا تخشى لعادي سهامًا

وانتم هاهنا فيما اشتهيتم ... نهاركم وليلكم التماما

فقبح وفدكم من وفد قوم ... ولا لقوا التحية والسلاما

فلما قال معاوية هذا الشعر وغنتهم به الجرادتان وسمع القوم ما غنتا به قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم قومكم ليتغوثوا بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد بن عفير انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وانبتم اليه ربكم سقيتم واظهر اسلامه عند ذلك وقال شعرًا

عصت عاد رسولهم فامسوا ... عطاشًا ما تبلهم السما

لهم

لهم صنم يقال له صمود ... يقابله صداء والهباء

فبصرنا الرسول سبيل رشد ... فابصرنا الهدى وجلى العماء

وان اله هود هو الهي ... على الله التوكل والرجاء

زاد في رواية

لعمر حكم الاله وليس جورًا ... وحكم الله اذ غلب الهواء

على عاد وعاد شر قوم ... فقد هلكوا وليس لهم بقاء

واني لن افارق دين هود ... طوال الدهر او ياتي الفناء

فقال جلهمة بن الخيبري مجيبًا لمرثد بن سعد عين فرغ من مقالته وعرف انه قد اتبع دين هود وامن به

ابا سعد فانك من قبيل ذوي كرم ... وامك من ثمود

فانا لا نطيعك ما بقينا ... ولسنا فاعلين لما تريد

اتامرنا لنترك دين رفد ... ورمل وال صد والعبود

ونترك دين اباء كرام ... ذوي راي ونتبع دين هود

ثم قال جلهمة لمعاوية بن بكر وابنه بكر احبسا عنا مرثدًا فلا يقدمن معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم خرجوا الى مكة يستسقون بها لعاد فلما ولوا الى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية بن بكر حتى ادركهم بمكة قبل ان يدعوا الله عز وجل بشيء مما خرجوا اليه فلما انتهى اليهم قام يدعو الله وبها وفد عاد يدعون فقال مرثد اللهم اعطني سؤلي وحدي ولا تدخلني فيما يدعوك به وفد عاد وقام قيل بن عنز راس وفد يدعو فقال اللهم اعط قيلًا ما سالك وقال الوفد معه واجعل سؤلنا مع سؤله وكان قد تخلف وفد عاد لقمان بن عاد وكان سيد عاد حتى اذا فرغوا من دعوتهم قام لقمان فقال اللهم اني جئتك وحدي في حاجتي فاعطني سؤلي وسال طول العمر فعمر سبعة انسر وقال قيل بن عنز حين دعا يا الهنا ان كان هود صادقًا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشا الله تعالى سحائب ثلاثًا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لقومك ولنفسك من هذه السحائب فقال قيل اخترت السحابة السوداء فانها اكثر السحائب ماء فناداه مناد اخترت رمادًا رمدًا لا يبقي من ال عاد احدًا وساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما راوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء اي كل شيء مرت عليه بامر ربها وكان اول من ابصر ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امراة من عاد يقال لها مهدد فلما عرفت ما فيها من العذاب صاحت ثم صعقت فلما ان افاقت قالوا لها ماذا رايت قالت رايت الريح فيها كشهب النار امامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسومًا فلم تدع من ال عاد احدًا الا اهلكته واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حضيرة ما يصيبه ومن معه من الريح فتحملهم بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبينما هم عنده اذ اقبل عليه رجل على ناقة له في ليلة مقمرة وذلك مساء ثالثة من مصاب عاد فاخبرهم الخبر فقالوا له فاين فارقت هودًا واصحابه فقال فارقتهم بساحل البحر فكانهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هذيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة وقال السدي بعث الله عز وجل على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فلما راوها تبادروا الى البيوت فدخلوها

واغلقوا الابواب فجات الريح فقلعت ابوابهم ودخلت عليهم فاهلكتهم فيها ثم اخرجتهم من البيوت
فلما اهلكتهم ارسل الله تعالى عليهم طيرا اسود فنقلتهم الى البحر فالقتهم فيه وقيل ان الله تعالى امر
الريح فامالت عليهم الرمال فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام يسمع لهم انين تحت الرمل ثم امر الريح
فكشفت عنهم ثم احتملتهم فرمت بهم في البحر ولم تخرج ريح قط الا بمكيال الا يوميذ فانها عتت على الخزنة
فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها وفي الحديث انها خرجت على مثل حرق الخاتم وقيل ان مرثد بن سعد ولقمان
ابن عاد وقيل ابن عنز حين دعوا بمكة قيل لهم قد اعطيتم مناكم فاختاروا الا انفسكم غير انه لا سبيل
الى الخلود ولا بد من الموت فقال مرثد اللهم اعطني برا وصدقا فاعطي ذلك وقال لقمن اللهم اعطني
عمرا فقيل له اختر فاختار عمر سبعة انسر فكان ياخذ الفرخ حين يخرج من البيضة وكان ياخذ
الذكر لقوته فيربيه حتى يموت فاذا مات غيره فلم يزل يفعل ذلك حتى اتى على السابع وكان
نسر يعيش ثمانين سنة وكان السابع من النسور اسمه لبد فلما مات لبد مات لقمان معه واما قيل
فانه اختار لنفسه ما يصيب قومه فقيل له انه الهلاك فقال لا ابالي لا حاجة لي في البقا بعد قومي
فاصابه الذي اصاب عادا فهلك ومن معه من الوفد الذين خرجوا يستسقون لعاد فاتت الريح
لما خرجوا من الحرم فاهلكتهم جميعا فلما اهلك الله عادا ارتحل هود ومن معه من المؤمنين من ارضهم
بعد هلاك قومه الى موضع يقال له الشحر من بلاد اليمن فنزل هناك ثم ادركه الموت فدفن بارض
حضرموت يروى عن علي بن ابي طالب ان قبر هود عليه السلام بحضرموت في كثيب احمر وقال عبد الرحمن
ابن سابط بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسمعيل
في تلك البقعة ويروى ان اي نبي من الانبيا اذا اهلك قومه جا هو والصالحون من قومه معه
الى مكة يعبدون الله حتى يموتوا بها قوله عز وجل **والى ثمود اخاهم صالحا** يعني وارسلنا الى ثمود
وهو ثمود بن جاثر بن ارم بن سام بن نوح وهو اخو جديس بن عابر وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز
والشام الى وادي القرى وما حوله ومعنى الكلام والى ثمود اخاهم صالحا لان ثمود قبيلة قال ابو عمرو
ابن العلا سميت ثمود لقلة مايها والثمد الما القليل وقيل سموا ثمود باسم ابيهم الذي الذي ينسبوا
اليه اخاهم صالحا يعني في النسب لا في الدين وهو صالح بن عبيد بن اسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر
ابن ثمود **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** يعني قال لهم صالح حين ارسله الله اليهم
يا قوم وحدوا الله ولا تشركوا به شيا فما لكم من اله يستحق ان يعبد سواه **قد جاتكم بينة من ربكم**
يعني جاتكم حجة من ربكم وبرهان على صدق ما اقول وادعوا اليه من عبادة الله تعالى وعلى
تصديقي باني رسول الله اليكم ثم فسر تلك البينة فقال **هذه ناقة الله لكم اية** يعني انها علامة
على صدقي قال العلما ووجه كون هذه الناقة اية على صدق صالح ومعجزة له خارقة للعادة
خرجت من صخرة في الجبل وكونها لا من ذكر وانثى وكمال خلقها من غير حمل ولا تدريج لانها خلقت
في ساعة وخرجت من الصخرة وقيل لانه كان لها شرب يوم وللجميع قبيلة ثمود شرب يوم وهذا من
المعجز ايضا لان ناقة تشرب ما كان يشربه قبيلة معجز وكانوا يحلبونها في يوم شربها قدر ما يكفيهم
جميعهم ويقوم لهم مقام الما وهذا ايضا معجز وقيل ان ساير الوحوش والحيوانات كانت تمتنع
من شرب الما في يوم شرب الناقة وتشرب الحيوانات في غير يوم الناقة وهذا ايضا معجز وانما
اضافها الى الله في قوله هذه ناقة الله على سبيل التفضيل والتشريف كما يقال بيت الله

وقيل لان الله خلقها بغير واسطة ذكر وانثى وقيل لانه لم يملكها احد الا الله تعالى وقيل لانها
كانت حجة الله على قوم صالح **فذروها تاكل في ارض الله** يعني فذروا الناقة تاكل العشب
من ارض الله فان الارض لله والناقة ايضا لله وليس لكم في ارض الله شي لانكم لستم الذين انبتم
فيها العشب **ولا تمسوها بسوء** يعني ولا تطردوها ولا تقربوها بشي من انواع الاذى ولا تعقروها
فياخذكم عذاب اليم يعني بسبب عقرها **واذكروا اذ جعلكم خلفا من بعد عاد** يعني ان الله اهلك
عادا وجعلكم تخلفونهم في الارض وتعمرونها **وبواكم** يعني واسكنكم وانزلكم **في الارض تتخذون من
سهولها قصورا** يعني تبنون القصور من سهولة الارض لان القصور انما تبنى من اللبن والاجر
المتخذ من الطين السهل اللين **وتنحتون الجبال بيوتا** يعني وتشقون بيوتا من الجبال وقيل
كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتا وهذا يدل على انهم كانوا متنعمين مترفين
فاذكروا الا الله اي فاذكروا نعمة الله عليكم واشكروه عليها **ولا تعثوا في الارض مفسدين** قال
قتادة معناه ولا تسيروا في الارض مفسدين فيها والعث اشد الفساد وقيل اراد به النهي عن
عقر الناقة وقيل هو على ظاهره فيدخل فيه النهي عن جميع انواع الفساد **قال الملا الذين استكبروا
من قومه** يعني قال الاشراف الذين تعظموا عن الايمان بصالح **للذين استضعفوا** منهم يعني
المساكين **لمن امن منهم** يعني قال الاشراف المتعظمون في انفسهم لاتباعهم الذين امنوا بصالح
وهم الضعفا من قومهم **اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه** يعني ان الله ارسله الينا واليكم **قالوا
انا بما ارسل به مومنون** يعني قال الضعفا انا بما ارسل الله به صالحا من الدين والهدى
والحق مصدقون **قال الذين استكبروا** يعني عن امر الله والايمان به وبرسوله صالح **انا بالذي
امنتم به كافرون** اي جاحدون منكرون **فعقروا الناقة** يعني فعقرت ثمود الناقة والعقر قطع
عرقوب البعير ثم جعل النحر عقرا لان ناحر البعير ينحره ثم يعقره **وعتوا عن امر ربهم** اي تكبروا عن امر
ربهم وعصوه والعتو الغلو في الباطل والتكبر عن الحق والمعنى انهم عصوا الله وتركوا امره في الناقة
وكذبوا نبيهم صالحا عليه السلام **وقالوا يا صالح ايتنا بما تعدنا** يعني من العذاب **ان كنت من
المرسلين** يعني ان كنت كما تزعم انك رسول الله فان الله ينصر رسله على اعدايه وانما قالوا ذلك
لانهم كانوا مكذبين في كل ما اخبرهم به من العذاب فعجل الله لهم ذلك فقال تعالى **فاخذتهم الرجفة**
قال الفرا والزجاج الزلزلة الشديدة العظيمة وقال مجاهد والسدي هي الصيحة فيحتمل انهم
اخذتهم الزلزلة من تحتهم والصيحة من فوقهم حتى هلكوا ومنه قوله **فاصبحوا في دارهم جاثمين**
يعني فاصبحوا في ارضهم وبلدتهم جاثمين ولذلك وحد الدار كما يقال دار الحرب اي بلد الحرب ودار
بني فلان بمعنى موضعهم ومحلهم وجمع في اية اخرى فقال في ديارهم لانه اراد ما لكل واحد منهم من
الديار والمساكن وقوله جاثمين يعني باركين والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للبعير
وجثوم الطير هو وقوعه لاطيا بالارض في حال نومه وسكونه بالليل والمعنى انهم اصبحوا جاثمين
موتى على وجوههم لا يتحركون **فتولى عنهم** يعني فاعرض عنهم صالح وفي وقت هذا التولي قولان احدهما انه
تولى عنهم بعد ان ماتوا وهلكوا ويدل عليه فاصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم والفا للتعقيب فدل
على انه جعل هذا التولي بعد جثومهم وهو موتى والقول الثاني انه تولى عنهم وهم احيا قبل موتهم وهلاكهم
ويدل عليه انه خاطبهم **وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين**

وهذا الخطاب لا يليق الا بالاحيا فعلى هذا القول يحتمل ان يكون في الاية تقديم وتاخير فتولى عنهم وقال
يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم
جاثمين واجاب اصحاب القول الاول عن هذا انه خاطبهم بعد هلاكهم ومونهم توبيخا وتقريعا كما خاطب النبي
صلى الله عليه وسلم الكفار من قبل بدر حين القوا في القليب فجعل يناديهم باسمايهم الحديث في الصحيح
وفيه قال عمر يا رسول الله كيف تكلم اقواما قد جيفوا فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم ولكن لا يجيبون
وقيل انما خاطبهم بذلك ليكون عبرة لمن ياتى من بعدهم فينزجر عن مثل تلك الطريقة التى كانوا عليها
وكانت قصة ثمود على ما ذكره محمد بن اسحق ووهب بن منبه وغيرهما من اصحاب السير والاخبار
قالوا جميعا ان عادا لما اهلكت وانقضى امرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض فدخلوا
فيها وكثروا وعمروا حتى ان احدهم ليبنى المسكن من المدر فينهدم والرجل حى فلما راوا ذلك اتخذوا
من الجبال بيوتا وكانوا في سعة من العيش والرخا فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا غير الله فبعث
الله اليهم صالحا نبيا وكانوا قوما عربا وكان صالح من اوسطهم نسبا وافضلهم بيتا وحسبا فبعثه
الله اليهم وهو غلام فلم يزل يدعوهم الى الله والى عبادته حتى شمط وكبر فلم يتبعه منهم الا قليل
مستضعفون فلما الح عليهم صالح بالدعا والتبليغ واكثر لهم التحذير والتخويف سالوه ان
يريهم اية تكون مصداقا على ما يقول فقال صالح اى اية تريدون فقالوا تخرج معنا الى عيدنا
وكان لهم عيد يخرجون فيه اصنامهم وذلك يوم معلوم من السنة قالوا تدعو الهك وندعو الهتنا
فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا قال لهم صالح نعم فخرجوا باصنامهم الى عيدهم
وخرج صالح معهم فدعوا اوثانهم وسالوها ان لا يستجاب لصالح في شى مما يدعوا به ثم قال جندع بن
عمرو بن حواش وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة منفردة في ناحية
الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفا وبرا عشرا والمخترجة ما شاكلت البخت من الابل
فان فعلت امنا بك وصدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لين فعلت لتصدقنى ولتومننى
قالوا نعم قال فصلى صالح ركعتين ودعا ربه عز وجل فتمخضت الصخرة كما تمخض النتوج بولدها
ثم تحركت الهضبة عن ناقة عشرا جوفا وبرا كما سالوا ووصفوا غير انه لا يعلم ما بين جنبيها
الا الله عظما وهم ينظرون اليها ثم نتجت سقيا مثلها في العظم فامن به جندع بن عمرو ورهط من
قومه واراد بقية اشراف ثمود ان يومنوا به ويصدقوه فنهاهم ذواب بن عمرو بن لبيد والحباب
وكانا صاحبا اوثانهم ورباب بن صمعر وكان كاهنهم وكانوا من اشراف ثمود فلما خرجت الناقة من
الصخرة قال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فمكثت الناقة ومعها سقبها
في ارض ثمود ترعى الشجر وتشرب الما وكانت ترد الما غبا فاذا كان يوم ورودها وضعت راسها في
بير في الحجر يقال لها بير الناقة فما ترفع راسها حتى تشرب كل ما فيها فلا تدع قطرة ثم ترفع راسها
فتتفحج حتى تفحج لهم فيحلبون ما شاوا من لبن ويشربون ويدخرون حتى يملوا اوانيهم كلها ثم تصدر
الناقة من غير الفج الذى وردت منه ولا تقدر ان تصدر من حيث وردت حتى اذا كان من الغد
كان يوم ثمود فيشربون ما شا الله من الما ويدخرون ما شاوا ليوم الناقة فهم على ذلك في سعة
ودعة وكانت الناقة تصيف اذا كان الحر بظهر الوادى فتهرب منها مواشيهم الابل والبقر والغنم
فتهبط الى بطن الوادى فتهرب المواشى الى ظهره فتكون في البرد والجدب فاضر ذلك بمواشيهم للامر

الذى

الذى يريده الله بهم والابتلا والاختبار فكبر ذلك عليهم وعتوا عن امر ربهم وحملهم ذلك على عقر
الناقة فاجمعوا على عقرها وكانت امراتان من ثمود يقال لاحداهما عنيزة بنت غنم بن مجلز وتكنى
بام غنم وكانت عجوزا مسنة وهى امراة ذواب بن عمرو وكانت ذات بنات حسان وذات مال من
ابل وبقر وغنم والمراة الاخرى يقال لها صدوق بنت المحيا وكانت جميلة غنية ذات مواش كثيرة
وكانتا من اشد الناس عداوة لصالح عليه السلام وكانتا تحبان عقر الناقة لما اضرت بمواشيهما
فتحيلتا في عقر الناقة فدعت صدوق رجلا من ثمود يقال له الحباب لعقر الناقة وعرضت
عليه نفسها ان هو فعل فابى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا وجعلت
له نفسها على ان يعقر الناقة وكانت من احسن الناس وجها واكثرهم مالا فاجابها الى ذلك ودعت
عنيزة بنت غنم قدار بن سالف وكان رجلا احمر ازرق قصيرا وكانوا يزعمون انه كان ابن زانية ولم
يكن لسالف ولكنه ولد على فراشه فقالت عنيزة لقدار اى بناتى شيت اعطيتك على ان
تعقر الناقة وكان قدار عزيزا منيعا في قومه ق عن عبد الله بن زمعة انه سمع النبى صلى الله
عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذى عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث
اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل ابى زمعة قوله انبعث بعينى قام
بسرعة والعارم الخبيث الشرير والعرامة الشدة والقوة والشراسة والمنيع الممتنع ممن
اراده قال اصحاب الاخبار فانطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستغويا غواة ثمود فاتبعهم
سبعة نفر فكانوا تسعة رهط فانطلق قدار ومصدع واصحابهما فرصدوا الناقة حين صدرت
عن الما وقد كمن لها قدار في اصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في اصل صخرة فمرت على مصدع
فرماها فانتظم به عضلة ساقها وخرجت ام غنم وامرت ابنتها فسفرت عن وجهها وكانت من
احسن الناس وجها ليراها قدار ثم ذمرته بغتة حثته على عقرها واغرته به فشد قدار على
الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة فتحدر سقبها من الجبل ثم طعن
قدار في لبتها فنحرها فخرج اهل البلدة فاقتسموا لحمها فلما راى سقبها ذلك انطلق هاربا حتى
اتى جبلا منيعا يقال له صنو وقيل فاره واتى صالح فقيل له ادرك الناقة فقد عقرت فاقبل نحوها
وخرج اهل البلد يتلقونه ويعتذرون اليه ويقولون يا نبى الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا
فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان ادركتموه فعسى ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا
في طلبه فراوه على الجبل فذهبوا لياخذوه فاوحى الله الى الجبل ان تطاول فتطاول حتى ما تناله
الطير وجا صالح فلما راه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغى ثلاثا ثم انفجرت الصخرة فدخلها
فقال صالح لكل رغوة اجل يوم تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب وقال ابن اسحق
تبع السقب اربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع بن مهرج واخوه ذواب بن مهرج فرماه
مصدع بسهم فاصاب قلبه ثم جره برجله فانزلوه والحقوا لحمه مع لحم امه وقال لهم صالح انتهكتم حرمة
الله فابشروا بعذاب الله ونقمته قالوا وهم يهزون به ومتى ذلك يا صالح وما اية ذلك وكانوا
يسمون الايام في ذلك الوقت الاحد اول والاثنين اهون والثلاثا دبار والاربعا جبار والخميس
مونس والجمعة العروبة والسبت شيار وكانوا عقروا الناقة يوم الاربعا فقال لهم صالح حين قالوا
ذلك تصبحون غدا يوم مونس ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم

العذاب يوم اول فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان كاذبا كنا الحقناه بناقته فاتوه ليلا ليبيتوه في اهله فدمغتهم الملئكة بالحجارة فلما ابطاوا على اصحابهم اتوا منزل صالح فوجدوهم وقد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح انت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشيرته دونه وقالوا لا تقتلونه ابدا فانه قد وعدكم العذاب انه نازل بكم بعد ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم الا غضبا عليكم وان كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنه تلك الليلة فاصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كانما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم فايقنوا بالعذاب وعرفوا ان صالحا قد صدقهم فيما قال فطلبوه ليقتلوه فهرب منهم ولحق بحي من ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم واسمه نفيل ويكنى بابي هدب وهو مشرك فمنع صالحا فلم يقدروا عليه فغدوا الى اصحاب صالح ليدلوهم عليه فقال رجل من اصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يا نبي الله انهم يعذبوننا لندلهم عليك فندلهم عليك قال نعم فدلوهم عليه فاتوا ابا هدب فكلموه في امر صالح فقال هو عندي وليس لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم ما نزل بهم من العذاب فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون في وجوههم فلما امسوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يوم من الاجل فلما اصبحوا في اليوم الثاني اذا وجوههم محمرة كانما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وايقنوا انه العذاب فلما امسوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما اصبحوا اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كانما طليت بالقار فصاحوا جميعا الا قد حضركم العذاب فلما كان ليلة الاحد خرج صالح من بين اظهرهم ومن اسلم معه الى الشام فنزل رملة فلسطين فلما اصبحوا في اليوم الثالث تكفنوا وتحنطوا والقوا بانفسهم الى الارض يقلبون ابصارهم الى السماء مرة والى الارض مرة لا يدرون من اين ياتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الاحد اتتهم صيحة عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وهلكوا جميعا الا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت سلف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح فاطلق الله رجليها بعدما عاينت العذاب وما اصاب ثمود فخرجت مسرعة حتى اتت وادي القرى فاخبرتهم بما عاينت من العذاب الذي اصاب ثمود ثم استسقت ماء فسقيت فلما شربت ماتت في الحال وذكر السدي في عقر الناقة قال اوحى الله عز وجل الى صالح عليه السلام ان قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك صالح فقالوا ما كنا لنفعل فقال صالح انه سيولد في شهركم غلام يعقرها فيكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا في هذا الشهر ولد الا قتلناه قال فولد للتسعة منهم في ذلك الشهر اولاد فذبحوهم ثم ولد للعاشر ولد فابى ان يذبحه لانه كان لم يولد له قبل ذلك ولد وكان الولد الذي ولد له احمر ازرق فنبت نباتا سريعا وكان اذا مر بالتسعة فراوه قالوا لو كان ابناؤنا احياء لكانوا مثل هذا الغلام فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتل ابنائهم فتقاسموا بالله يعني فتحالفوا بالله لنبيتنه واهله وقالوا نخرج فنرى الناس انا قد خرجنا الى سفر فناتي الغار فنكون فيه حتى اذا جاء الليل وخرج صالح الى مسجده اتيناه فقتلناه ثم رجع الى الغار فنكون فيه ثم ننصرف الى رحلنا فنقول ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون فيصدقوننا فيظنون انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام معهم في القرية بل كان يبيت في مسجد له خارج القرية فاذا اصبح اتاهم فيعظهم ويذكرهم فاذا امسى خرج الى المسجد فيتعبد فيه قال فانطلق التسعة

الى الغار

الغار ليدخلوا فيه فسقط الغار عليهم فقتلهم فانطلق رجال ممن كان قد اطلع على امرهم لينظروا ما فعل اولئك النفر فراوهم وهم رضخ فرجعوا الى القرية يصيحون ما رضي صالح بقتل اولادهم فاجتمع اهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحق كان التسعة تقاسموا على تبييت صالح بعد عقر الناقة وقال السدي وغيره لما ولد للعاشر ولد سماه قدارا وكان يشب سريعا فلما كبر جلس مع اناس يشربون الخمر فارادوا ماء ليمزجوا به شرابهم وكان ذلك اليوم يوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا ما نصنع نحن بلبن هذه الناقة ولو كنا ناخذ هذا الماء الذي تشربه الناقة فنسقيه لانعامنا وزروعنا كان خيرا لنا فقال العاشر هل لكم ان اعقرها لكم قالوا نعم فعقرها

ق عن ابن عمر قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم ان يصيبكم ما اصابهم الا ان تكونوا باكين ثم قنع راسه واسرع السير حتى جاوز الوادي وفي رواية لمسلم لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين ثم ذكر مثله ولهما عنه ان الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر ارض ثمود فاستقوا من ابارها وعجنوا به العجين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهريقوا ما استقوه ويعلفوا الابل العجين وامرهم ان يستقوا من البير التي كانت تردها الناقة وللبخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك امرهم ان لا يشربوا من بيارها ولا يستقوا منها فقالوا قد عجنا منها واستقينا فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء وفي بعض الاحاديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسالوا رسولكم الايات هؤلاء قوم صالح سالوا رسولهم فبعث الله الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج وتشرب ماءهم يوم ورودها وارادهم مرتقى الفصيل من القارة فعتوا عن امر ربهم وعقروها فاهلك الله من تحت اديم السماء منهم في مشارق الارض ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له ابو رغال وهو ابو ثقيف كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله فلما خرج اصابه ما اصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب واراهم قبر ابي رغال فنزل القوم فابتدروه باسيافهم وحفروا عنه فاستخرجوا ذلك الغصن وكانت الفرقة المؤمنة من قوم صالح اربعة الاف خرج بهم صالح الى حضرموت فلما دخلها مات صالح فسمي حضرموت ثم بنى الاربعة الالاف مدينة وسموها حاضورا وقال قوم من اهل العلم توفي صالح عليه السلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة واقام في قومه عشرين سنة قوله تعالى **ولوطا** يعني وارسلنا لوطا وقيل معناه واذكر يا محمد لوطا وهو لوط بن هاران بن تارح وهو ابن اخي ابراهيم وابراهيم عمه **اذ قال لقومه** يعني اهل سدوم واليهم كان قد ارسل وذلك ان لوطا عليه السلام لما هاجر مع عمه ابراهيم عليه السلام الى الشام فنزل ابراهيم ارض فلسطين ونزل لوط الاردن فارسله الله الى اهل سدوم يدعوهم الى الله وينهاهم عن فعلهم القبيح وهو قوله **اتاتون الفاحشة** يعني اتفعلون الفعلة الخسيسة التي هي غاية في القبح وكانت فاحشتهم اتيان الذكران في ادبارهم **ما سبقكم بها من احد من العالمين** من الاولى زايدة لتوكيد النفي والثانية تعني الاستغراق والثانية للتبعيض والمعنى ما سبقكم ايها القوم بهذه الفعلة الفاحشة احد من العالمين قبلكم وفي هذا الكلام توبيخ لهم وتقريع على فعلهم تلك الفاحشة قال عمرو بن دينار ما ترى ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط **انكم لتاتون الرجال** يعني في ادبارهم **شهوة من دون النساء** يعني ان ادبار الرجال

اشتهى عندكم من فروج النسا بل انتم يعني ايها القوم قوم مسرفون اي مجاوزون الحلال الى الحرام
وانما ذمهم وعيرهم ووبخهم بهذا الفعل الخبيث لان الله تبارك وتعالى خلق الانسان وركب فيه شهوة
النكاح لبقا النسل وعمران الدنيا وجعل النسا محلا لتلك الشهوة وموضع النسل فاذا تركهن الانسان
وعدل عنهن الى غيرهن من الرجال فكانما قد اسرف وجاوز واعتدى لانه وضع الشي في غير موضعه
الذي خلق له لان ادبار الرجال ليست محلا للولادة التي هي مقصودة بتلك الشهوة في الانسان وكانت
قصة قوم لوط على ما ذكره محمد بن اسحق وغيره من اهل الاخبار والسير انه كانت قرى قوم لوط مخصبة
وثمار وزروع لم يكن في الارض مثلها فقصدهم الناس فاذوهم وضيقوا عليهم فعرض لهم ابليس في صورة
شيخ وقال لهم ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فابوا فلما الح الناس عليهم وقصدوهم فاصابوا غلمانا
حسانا صباحا ففجروا واستحكم ذلك فيهم حتى نكح بعضهم بعضا وقال الكلبي ان اول من عمل عمل قوم
لوط ابليس وذلك ان بلادهم اخصبت فقصدها اهل البلدان فتمثل لهم ابليس في صورة شاب امرد
فدعا الى نفسه فكان اول من نكح في دبره فامر الله السما ان تحصبهم والارض ان تخسف بهم وقوله
تعالى وما كان جواب قومه يعني وما كان جواب قوم لوط للوط اذ وبخهم على فعلهم القبيح وركوبهم ما
حرم الله تعالى عليهم من العمل الخبيث الا ان قالوا يعني قال بعضهم لبعض اخرجوهم من قريتكم يعني اخرجوا
لوطا واتباعه واهل دينه من بلدكم انهم اناس يتطهرون يعني انهم اناس يتنزهون عن فعلكم وعن ادبار
الرجال لانه موضع النجاسة ومن تركه فقد تطهر وقيل ان البعد عن المعاصي والاثام يسمى طهارة
فمن تباعد عن المعاصي والاثام فقد تطهر فلهذا قالوا انهم اناس يتطهرون يعني من فعل المعاصي
والاثام فانجيناه واهله يعني فانجينا لوطا ومن امن به واتبعه على دينه وقيل المراد باهله
المتصلين به بسبب النسب والمراد باهله ابنتاه الا امرأته يعني زوجته كانت من الغابرين يعني
كانت من الباقين في العذاب لانها كانت كافرة وقيل معناه كانت من الباقين المعمرين قد اتى عليها
دهر طويل ثم هلكت مع من هلك من قوم لوط وانما قال من الغابرين ولم يقل من الغابرات لانها
هلكت مع الرجال فغلب ذكر الرجال فقال من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا يعني حجارة من
سجيل قد عجنت بالكبريت والنار يقال مطرت السما وامطرت وقال ابو عبيدة يقال في العذاب
امطر وفي الرحمة مطر فانظر كيف كان عاقبة المجرمين يعني انظر يا محمد كيف كان عاقبة هولا الذين
كذبوا بالله ورسوله وعملوا الفواحش كيف اهلكناهم قال مجاهد نزل جبريل فادخل جناحه تحت
مداين قوم لوط فاقتلعها ورفعها الى السما ثم قلبها فجعل اعلاها اسفلها ثم اتبعوا بالحجارة وقوله
فانظر كيف كان عاقبة المجرمين وان كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به من امته
ليعتبروا بما جرى على اوليك فينزجروا بذلك الاعتبار عن الافعال القبيحة والفواحش الخبيثة
قوله عز وجل والى مدين اخاهم شعيبا يعني وارسلنا الى مدين اكثر المفسرين على ان مدين اسم
رجل وهو مدين بن ابراهيم الخليل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى وارسلنا الى
ولد مدين ومدين اسم للقبيلة كما يقال بنو تميم وبنو عدي وبنو اسد وقيل مدين اسم للماء الذي
كانوا عليه وقيل هو اسم للمدينة وعلى هذين القولين يكون المعنى وارسلنا الى اهل مدين والصحيح
هو الاول لقوله اخاهم شعيبا يعني في النسب لا في الدين وشعيب هو ابن نويبة بن مدين بن ابراهيم
عليه السلام قاله عطا وقال محمد بن اسحق هو شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين بن ابرهيم

عليه

عليه السلام وكان شعيب اعمى وكان يقال له خطيب الانبيا لحسن مراجعته قومه وكان قومه اهل
كفر وبخس في المكيال والميزان قال يعني شعيبا يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاتكم بينة
يعني قد جاتكم حجة وبرهان من ربكم بحقيقة ما اقول وصدق ما ادعي من النبوة والرسالة اليكم
لانه لا بد لكل نبي معجزة تدل على صدق ما جا به من عند الله غير ان تلك المعجزة التي كانت لشعيب
لم تذكر في القران وليست كل ايات الانبيا مذكورة في القران وقيل المراد بالبينة مجي شعيب بالرسالة
اليهم وقيل اراد بالبينة الموعظة وهي قوله فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياهم
يعني فاتموا المكيال والميزان واعطوا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم اياها فتظلموا الكيل والوزن
يقال بخس فلان في الكيل والوزن اذا نقصه وطففه ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها يعني
بعد ان اصلحها الله ببعثة الرسل واقامة العدل وكل نبي يبعث الى قوم فهو صلاحهم ذلكم يعني الذي
ذكرت لكم وامرتكم به من الايمان بالله ووفا الكيل والميزان وترك الظلم والبخس خير لكم يعني مما
انتم عليه من الكفر وظلم الناس ان كنتم مومنين يعني مصدقين بما اقول ولا تقعدوا بكل صراط
توعدون يعني ان شعيبا قال لقومه الكفار ولا تقعدوا على كل طريق من الدين والحق تمنعون
الناس من الدخول فيه وتهددونهم على ذلك وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرقات ويخوفون
من يريد الايمان بالله وبرسوله شعيب ويتوعدونه وتصدون عن سبيل الله من امن به يعني
وتمنعون من يريد الايمان بالله وتقولون ان شعيبا كذاب وتخوفونه بالقتل قال ابن عباس
كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من اتى عليهم ان شعيبا الذي تريدون كذاب فلا يفتنكم عن
دينكم وتبغونها عوجا يعني وتريدون اعوجاج الطريق عن الحق وعدولها عن القصد وقيل معناه
وتلتمسون لها الزيغ والهلاك ولا تستقيموا على طريق الهدى والرشاد واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم
يعني ان شعيبا عليه السلام ذكرهم نعمة الله عليهم قال الزجاج يحتمل ذلك ثلاثة اوجه كثر عددكم
وكثركم بالغنا بعد الفقر وكثركم بالقدرة بعد الضعف ووجه ذلك انهم اذا كانوا فقرا ضعفا فهم
بمنزلة القليل والمعنى انه كثركم بعد القلة واعزكم بعد الذلة فاشكروا نعمة الله عليكم وامنوا به
وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين يعني وانظروا نظر اعتبار ما نزل بمن كان قبلكم من الامم السالفة
والقرون الخالية حين عتوا على ربهم وعصوا رسله من العذاب والهلاك واقرب الامم اليكم قوم
لوط فانظروا كيف ارسل الله عليهم الحجارة من السما لما عصوه وكذبوا رسله وان كان طايفة منكم
امنوا بالذي ارسلت به وطايفة لم يومنوا يعني وان اختلفتم في رسالتي فصرتم فريقين فرقة امنت
بي وصدقت برسالتي وفرقة كذبت وجحدت رسالتي فاصبروا فيه وعيد وتهديد حتى يحكم الله
بيننا يعني حتى يقضي الله بيننا ويفصل بيننا فيعز المومنين المصدقين وينصرهم ويهلك المكذبين
الجاحدين ويعذبهم وهو خير الحاكمين يعني انه حاكم عادل منزه عن الجور والميل والحيف في حكمه وانما
قال خير الحاكمين لانه قد يسمى بعض الاشخاص حاكما على سبيل المجاز والله تعالى هو الحاكم في الحقيقة
فلهذا قال وهو خير الحاكمين قال الملا الذين استكبروا من قومه يعني قال الجماعة من اشراف
قومه الذين تكبروا عن الايمان بالله وبرسوله وتعظموا عن اتباع شعيب لنخرجنك يا شعيب
والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا يعني ان قوم شعيب اجابوه بان قالوا لا بد من
احد امرين اما اخراجك ومن تبعك على دينك من بلدنا او لترجعن الى ديننا وملتنا وما نحن عليه

وهذا فيه اشكال وهو ان شعيبا عليه السلام لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع الى ما كان عليه فما معنى
قوله او لنعودن في ملتنا واجيب عن هذا الاشكال بان اتباع شعيب كانوا قبل الايمان به على ملة اولئك
الكفار فخاطبوا شعيبا واتباعه جميعا فدخل هو في الخطاب وان لم يكن على ملتهم قط وقيل معناه
لتصيرن الى ملتنا فوقع العود على معنى الابتدا كما تقول قد عاد على من فلان مكروه بمعنى قد لحقني
منه ذلك وان لم يكن قد سبق منه مكروه فهو كما قال الشاعر

فان تكن الايام احسن مرة ٭ الي فقد عادت لهن ذنوب

اراد فقد صارت لهن ذنوب ولم يرد ان ذنوبا كانت لهن قبل الاحسان وقوله **قالوا ولو كنا
كارهين** يعني لا نعود في ملتكم وان اكرهتمونا واجبرتمونا على الدخول فيها فلا نقبل ولا ندخل **قد
افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها** يعني ان شعيبا اجاب قومه
اذ دعوه ومن امن الى العود الى ملتهم والدخول فيها فقال قد افترينا يعني قد اختلقنا على الله كذبا
وتخرصنا عليه من القول باطلا ان نحن رجعنا الى ملتكم وقد علمنا فسادها وانتم عليه من الملة التي
وقد انقذنا الله وخلصنا منها وبصرنا خطاها وهذا ايضا فيه من الاشكال مثل ما في الاول
وهو ان شعيبا عليه السلام ما كان في ملتهم قط حتى يقول ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها
والجواب عنه مثل ما اجيب عن الاشكال الاول وهو ان نقول ان الله نجا قومه الذين امنوا به من
تلك الملة الباطلة الا ان شعيبا نظم نفسه في جملتهم وان كان بريا مما كانوا عليه من الكفر فاجرى
الكلام على حكم التغليب وقيل معناه نجانا الله منها علمنا قبح ملتكم وفسادها فكانه خلصنا منها
وقوله **وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشا الله ربنا** يعني وما يكون لنا ان نرجع الى ملتكم ونترك
الحق الذي نحن عليه الا ان يشا الله ربنا يعني الا ان يكون قد سبق لنا في علم الله ان نعود فيها فحينئذ
يمضي قضاه وقدره فينا وينفذ سابق مشيته علينا وقال الواحدي معنى العود ههنا الابتدا والذي
عليه اهل العلم والسنة في هذه الاية ان شعيبا واصحابه قالوا ما كنا لنرجع الى ملتكم بعد اذ وقفنا
على انها ضلالة تكسب دخول النار الا ان يريد الله اهلاكنا فامورنا راجعة الى الله غير خارجة عن
قبضته يسعد من يشا بالطاعة ويشقي من يشا بالمعصية وهذا من شعيب وقومه استسلام للمشية
ولم يزل الانبيا والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الا ترى الى قول الخليل ابراهيم عليه السلام
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت
قلبي على دينك قال الزجاج المعنى وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يكون قد سبق في علم الله ومشيته
ان نعود فيها وتصديق ذلك قوله **وسع ربنا كل شي علما** يعني انه تعالى يعلم ما يكون قبل ان يكون وما سيكون
وانه تعالى كان عالما في الازل بجميع الاشيا فالسعيد من سعد في علم الله والشقي من شقي في علم الله تعالى
على الله توكلنا يعني على الله نعتمد واليه نستند في امورنا كلها فانه الكافي لمن توكل عليه والمعنى
على الله توكلنا لا على غيره فكانه ترك الاسباب ونظر الى مسبب الاسباب **ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق** لما ايس شعيب من ايمان قومه دعا بهذا الدعا فقال ربنا افتح اي اقض وافصل
واحكم بيننا وبين قومنا بالحق يعني بالعدل الذي لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف **وانت خير الفاتحين**
يعني خير الحاكمين قال الفرا ان اهل عمان يسمون القاضي الفاتح والفتاح وقال غيره من اهل اللغة
مراد وانشد لبعضهم

الا ابلغ بني عصم رسولا ٭ فاني عن فتاحتكم غني ٭ اراد انه عني

عن حاكمهم وقاضيهم وقال ابن عباس ما كنت ادري ما معنى قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت
خير الفاتحين حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول تعالى افاتحك يعني اقاضيك وهذا قول قتادة
والسدي وابن جريج وجمهور المفسرين ان الفاتح هو القاضي والحاكم سمي بذلك لانه يفتح اغلاق
الاشكال بين الخصوم ويفصلها وقال الزجاج وجايز ان يكون معناه ربنا اظهر امرنا حتى يفتح
بيننا وبين قومنا وينكشف والمراد منه ان ينزل عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين وعلى كون
شعيب وقومه محقين وعلى هذا الوجه فالفتح يراد به الكشف والتمييز **وقال الملا الذين
كفروا من قومه لين اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون** يعني وقال الجماعة من اشراف قوم شعيب ممن
كفر به لاخرين منهم لين اتبعتم شعيبا على دينه وتركتم دينكم وملتكم وما انتم عليه انكم اذا لخاسرون
يعني انكم لمغبونون في فعلكم **فاخذتهم الرجفة** يعني الزلزلة الشديدة **فاصبحوا في دارهم جاثمين**
قال ابن عباس وغيره فتح الله عز وجل عليهم بابا من جهنم فارسل عليهم حرا شديدا فاخذ بانفاسهم
فلم ينفعهم ظل ولا ما فدخلوا في الاسراب ليبردوا فيها فوجدوها اشد حرا من الظاهر فخرجوا هربا الى
البرية فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة فاظلتهم وهي الظلة فوجدوا لها بردا ونسيما
فنادى بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساوهم وصبيانهم الهبها الله عليهم
نارا ورجفت بهم الارض من تحتهم فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلى وصاروا رمادا وروي ان الله تعالى
حبس عنهم الريح سبعة ايام ثم سلط عليهم الحر حتى هلكوا وقال قتادة بعث الله شعيبا الى اصحاب
الايكة والى اهل مدين فاما اصحاب الايكة فاهلكوا بالظلة واما اهل مدين فاخذتهم الصيحة
صاح بهم جبريل صيحة هلكوا جميعا قال ابو عبد الله البجلي كان ابو جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص
وقرشت ملوك مدين وكان ملكهم في زمن شعيب يوم الظلة اسمه كلمن فلما هلك قالت ابنته
شعرا تبكيه وترثيه به ٭ كلمن هد ركني ٭ هلكه ٭ وسط المحله ٭ سيد القوم اتاه ٭ هلكه نار تحت ظله ٭
جعلت نار عليهم ٭ دارهم كالمضمحله ٭ وقوله تعالى **الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها** يعني كان لم
يقيموا فيها ولم ينزلوها يوما من الدهر يقال غنيت بالمكان اي اقمت به والمغاني المنازل التي بها اهلها
واحدها مغنى قال الشاعر

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة ٭ في ظل ملك ثابت الاوتاد ٭

اراد فيها اقاموا وقيل في معنى الاية كان لم يعيشوا فيها متنعمين مستغنين يقال غني الرجل اذا استغنى
وهو من الغنى الذي هو ضد الفقر **الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين** يعني خسروا انفسهم بهلاكهم
فتولى عنهم يعني فاعرض عنهم شعيب شاخصا من بين اظهرهم حين اتاهم العذاب **وقال يا قوم لقد
ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم** يعني انه قال لهم ذلك لما تيقن نزول العذاب بقومه واختلفوا
هل كان هذا القول قبل نزول العذاب او بعده على قولين سبقا في قصة هود عليه السلام وقوله
فكيف اسى يعني احزن **على قوم كافرين** والاسى اشد الحزن وانما اشتد حزنه على قومه لانهم كانوا
كثيرين وكان يتوقع منهم الاستجابة والايمان فلما نزل بهم ما نزل من العذاب عزى نفسه فقال كيف
احزن على قوم كافرين لانهم هم الذين اهلكوا انفسهم باصرارهم على الكفر وقيل في معنى الاية ان شعيبا
قال لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تقبلوا نصحي فكيف احزن
عليكم يعني انكم لستم مستحقين بان احزن عليكم فعلى القول الاول انه حصل لشعيب حزن على قومه
وعلى القول الثاني لم يحزن عليهم والله اعلم قوله تعالى **وما ارسلنا في قرية من نبي** فيه اضمار وحذف تقديره

نكذبوه الا اخذنا اهلها بالباسا والضراء قال ابن مسعود الباسا الفقر والضرا المرض وهذا
معنى قول الزجاج فانه قال الباسا كلما نالهم من الشدة في اموالهم والضرا كلما نالهم من الامراض وقيل
الباسا الشدة وضيق العيش والضرا الضر وسوء الحال لعلهم يضرعون يعني انا فعلنا بهم
ذلك لكي يتضرعوا ويتوبوا والتضرع الخضوع والانقياد لامر الله عز وجل والمراد من هذه الاية
ان الله عز وجل لما عرف نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم احوال الانبياء مع اممهم المكذبة وقص عليه من
اخبارهم وعرفه سنته في الامم الذين خلوا من قبله وما صاروا اليه من الهلاك والعذاب عرفه في هذه
الاية انه قد ارسل رسلا الى امم اخر فكذبوا رسلهم فاخذهم بالباسا والضرا فكل ما يعذب كذب رسله
وفيه تخويف وتحذير لكفار قريش وغيرهم من الكفار لينزجروا عما هم عليه من الكفر والتكذيب ثم بين
تعالى انه لا يجري تدبيره في اهل القرى على نمط واحد وسنة واحدة انما يدبرهم بما يكون الى الايمان
اقرب وهو قوله تعالى ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة لان ورود النعمة على البدن والمال
بعد الشدة والضيق يستدعي الانقياد للطاعة والاشتغال بالشكر قال اهل اللغة السيئة
كل ما يسو صاحبه والحسنة كل ما يستحسنه الطبع والعقل فالسيئة والحسنة هنا الشدة والرخا
والمعنى انه تعالى بدل مكان الباسا والضرا النعمة والسعة والخصب والصحة في الابدان فاخبر
الله تعالى في هذه الاية انه ياخذ اهل المعاصي والكفر تارة بالشدة وتارة بالرخا على سبيل الاستدراج
وهو قوله حتى عفوا يعني انه فعل ذلك بهم حتى كثروا وكثرت اموالهم يقال عفا الشعر اذا كثر وطال
قال مجاهد كثرت اموالهم واولادهم وقالوا يعني من غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا الى الرخا والسعة قد
مس اباءنا الضرا والسرا يعني انهم قالوا هكذا عادة الدهر قديما وحديثا ولم يكن ما مسنا
من الشدة والضرا عقوبة من الله على ما نحن عليه فكونوا على ما انتم عليه كما كان اباؤكم من قبل
فانهم لم يتركوا دينهم لما اصابهم ما اصابهم من الضرا والسرا قال الله تعالى فاخذناهم بغتة يعني اخذناهم
فجاة امن ما كانوا ليكون ذلك اعظم لحسرتهم وهم لا يشعرون يعني بنزول العذاب والمراد بذكر هذه
القصة اعتبار من سمعها لينزجر عما هو عليه من الذنوب قوله عز وجل ولو ان اهل القرى امنوا
واتقوا يعني لما بين الله تعالى في هذه الاية الاولى ان الذين عصوا وتمردوا اخذهم بعد ما بين في هذه
الاية انهم لو امنوا يعني بالله وبرسوله واطاعوه فيما امرهم به واتقوا يعني ما نهاهم الله عنه وحرمه عليهم
لفتحنا عليهم بركات من السما والارض فبركات السما المطر وبركات الارض النبات والثمار وجميع
ما فيهما من الخيرات والانعام والارزاق والامن والسلامة من الافات وكل ذلك من فضل الله
واحسانه على عباده واصل البركة ثبوت الخير الالهي في الشي وسمي المطر بركة السما لثبوت البركة
فيه وكذا ثبوت البركة في نبات الارض لانه نشا عن بركات السما وهي المطر وقال البغوي اصل البركة
المواظبة على الشي اي تابعنا عليهم بالمطر من السما والنبات من الارض ورفعنا عنهم القحط والجدب
ولكن كذبوا يعني فعلنا بهم ذلك ليومنوا فما امنوا ولكن كذبوا يعني الرسل فاخذناهم يعني بانواع
العذاب بما كانوا يكسبون يعني اخذناهم بسبب كسبهم الاعمال الخبيثة قوله تعالى افامن اهل
القرى هو استفهام بمعنى الانكار وفيه وعيد وتهديد وزجر والمراد باهل القرى مكة وما حولها وقيل
هو عام في كل اهل القرى الذين كفروا وكذبوا ان ياتيهم باسنا يعني عذابنا بياتا يعني ليلا وهم نايمون
او امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى يعني نهارا لان الضحى صدر النهار وهم يلعبون يعني وهم ساهون

لاهون

لاهون غافلون عما يراد بهم والمقصود من الاية ان الله خوفهم بنزول العذاب وهم في غاية الغفلة
وهو حال النوم بالليل وحال الضحى بالنهار لانه الوقت الذي يغلب على الانسان التشاغل فيه
بامور الدنيا وامور الدنيا كلها لعب ويحتمل ان يكون المراد خوضهم في كفرهم وذلك لعب ايضا لانه
يضرهم ولا ينفع افامنوا مكر الله يعني استدراجه اياهم بما انعم الله عليهم من الدنيا وقيل المراد
به ان ياتيهم عذابه من حيث لا يشعرون وعلى هذا الوجه فيكون بمعنى التحذير وسمي هذا العذاب
مكرا لنزوله وهم في غفلة عنه لا يشعرون به فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون يعني انه لا يامن
ان يكون ما اعطاهم من النعمة مع كفرهم استدراجا الا من خسر في اخراه وهلك مع الهالكين اولم
يهد يعني اولم نبين للذين يرثون الارض من بعد اهلها يعني من بعد هلاك اهلها الذين كانوا
من قبلهم فورثوها عنهم وخلفوهم فيها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم يعني لو نشاء اخذناهم وعاقبناهم
بسبب كفرهم ونطبع اي ونختم على قلوبهم فهم لا يسمعون يعني لا يسمعون موعظة ولا يقبلون الايمان
ونطبع منقطع عما قبله والمعنى ونحن نطبع على قلوبهم ويجوز ان يكون معطوفا على الماضي ولفظه
لفظ المستقبل والمعنى ولو نشاء طبعنا على قلوبهم تلك القرى يعني هذه القرى التي ذكرنا لك يا محمد
امرها وامر اهلها وهي قرية قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب نقص عليك من انبايها
يعني نخبرك عنها وعن اخبار اهلها وما كان من امرهم وامر رسلهم الذين ارسلوا اليهم لتعلم يا محمد انا
لننصر رسلنا والذين امنوا معهم على اعدائنا واعدائهم من اهل الكفر والعناد وكيف اهلكناهم بكفرهم
وبما لقيهم رسلهم وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتحذير لكفار قريش ان يصيبهم مثل ما اصابهم
ولقد جاءتهم يعني لاهل تلك القرى رسلهم بالبينات يعني جاءتهم بالمعجزات الباهرات والبراهين الدالة
على صدقهم فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل اختلف اهل التفسير في معنى ذلك فقيل معناه فما كان
هولا المشركين الذين اهلكناهم من اهل القرى ليومنوا عند ارسالنا اليهم رسلهم بما كذبوا من قبل
وهو يوم اخذ ميثاقهم حين اخرجهم من ظهر ادم عليه السلام فاقروا باللسان واضمروا التكذيب هذا
معنى قول ابن عباس والسدي قال السدي امنوا كرها يوم اخذ الميثاق وقال مجاهد فما كانوا لو
احييناهم ومعاينتهم العذاب ليومنوا بما كذبوا من قبل هلاكهم وقيل معناه فما كانوا ليومنوا عند مجي الرسل
بما سبق لهم في علم الله انهم يكذبون به حين اخرجهم من صلب ادم عليه السلام قال ابي بن كعب كان سبق لهم
في علمه يوم اقروا له بالميثاق انهم لا يومنون وقال الربيع بن انس يحق على العباد ان ياخذوا من العلم ما
ابدى لهم ربهم وان لا يتناولوا علم ما اخفى الله عنهم فان علمه نافذ فيما كان وفيما يكون وفي ذلك قال
تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب
الكافرين قال نفذ علمه فيهم ايهم المطيع في المعاصي حيث خلقهم في صلب ادم عليه السلام قال الطبري
واولى الاقوال بالصواب قول ابي بن كعب والربيع بن انس وذلك ان من سبق في علم الله انه لا يومن به
فلا يومن ابدا وقد كان سبق في علم الله لمن هلك من الامم الذين قص خبرهم في هذه السورة انهم لا
يومنون ابدا فاخبر عنهم انهم لم يكونوا ليومنوا بما هم به مكذبون في سابق علمه قبل مجي عند مجيئهم
اليهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين يعني كما طبع الله على قلوب كفار الامم الخالية واهلكهم
كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب عليهم انهم لا يومنون من قومك وما وجدنا لاكثرهم
من عهد يعني وما وجدنا لاكثر الامم الخالية والقرون الماضية الذين قصصنا خبرهم عليك يا محمد

من وفاء بالعهد الذي عهدناه اليهم واوصيناهم به يوم اخذ الميثاق قال ابن عباس انما اهلك الله
اهل القرى لانهم لم يكونوا حفظوا ما وصاهم به **وان وجدنا اكثرهم لفاسقين** اي ما وجدنا اكثرهم
الا فاسقين خارجين عن طاعتنا وامرنا قوله عز وجل **ثم بعثنا من بعدهم** يعني ثم بعثنا من بعد
الانبيا الذين تقدم ذكرهم وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام **موسى باياتنا**
يعني بحججنا وادلتنا الدالة على صدقه مثل اليد والعصا ونحو ذلك من الايات التي جا بها موسى
عليه السلام **الى فرعون وملايه** قيل ان كل من ملك مصر يسمى فرعون في ذلك الزمان مثل ما كان يسمى
ملك الفرس كسرى وملك الروم قيصر وملك الحبشة النجاشي وكان اسم فرعون الذي ارسل اليه
موسى عليه السلام الوليد بن مصعب بن الريان وكان ملك القبط والملا اشراف قومه وانما خصوا
بالذكر لانه اذا امن الاشراف امن الاتباع **فظلموا بها** يعني فجحدوا بها لان الظلم وضع الشي في غير
موضعه ولما كانت هذه الاية معجزات ظاهرة قاهرة ثم كفروا بها فوضعوا الكفر موضع الايمان **فانظر
كيف كان عاقبة المفسدين** اي انظر يا محمد بعين العقل والبصيرة كيف فعلنا بهم وكيف اهلكناهم
وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين يعني ان موسى عليه السلام لما دخل على فرعون دعاه
الى الله والى الايمان به وقال اني رسول يعني مرسل اليك والى قومك من رب العالمين يعني ان الله
الذي خلق الخلق وهو سيدهم ومالكهم هو الذي ارسلني اليك **حقيق** اي واجب **على ان لا اقول على
الله الا الحق** يعني اني رسول والرسول لا يقول على الله الا الحق في وصفه وتنزيهه وتوحيده وانه
لا اله غيره **قد جئتكم ببينة من ربكم** ببرهان على صدقي فيما ادعي من الرسالة والمراد بالبينة معجزة
وهي العصا واليد البيضا ثم ان موسى عليه السلام لما فرغ من تبليغ رسالته رتب على ذلك الحكم فقال
موسى **فارسل معي بني اسرائيل** يعني خل عنهم واطلقهم من اسرك وكان فرعون قد استعبد بني اسرائيل
واستعملهم في الاعمال الشاقة مثل ضرب اللبن ونقل التراب ونحو ذلك من الاعمال الشاقة **قال**
فرعون **ان كنت جيت باية فات بها ان كنت من الصادقين** يعني ان فرعون قال لموسى عليه السلام
بعد تبليغ الرسالة ان كنت جيت من عند من ارسلك ببينة تدل على صدقك فاتني بها واحضرها
عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك فيما قلت **فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين** اي بين والثعبان
الذكر من الحيات ووصفها هنا بانه ثعبان والثعبان الذكر من الحيات العظيم الضخم ووصفه في اية
اخرى كانها جان والجان الحية الصغيرة والجمع بين هذين الوصفين بانها كانت في عظم الحية كالثعبان
العظيم وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة وهي الجان قال ابن عباس والسدي انه لما القى العصا صارت
حية عظيمة صفرا شعرا فاغرة فاها بين لحييها ثمانون ذراعا وارتفعت من الارض بقدر ميل وقامت
على ذنبها واضعة لحيها الاسفل في الارض ولحيها الاعلى على سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتاخذه
فوثب فرعون على سريره هاربا واحدث وقيل انه احدث في ذلك اليوم اربعماية مرة وقيل انها اخذت
قبة فرعون بين انيابها وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا وقتل بعضهم بعضا فمات منهم في ذلك
اليوم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى انشدك بالذي ارسلك ان تاخذها
وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذها فعادت في يده عصى كما كانت وفي كون الثعبان المبين وجوه
الاول انه تمييز وبيان ذلك عما عملته السحرة من التمويه والتلبيس وبذلك يتميز معجزات الانبيا
عن تمويه السحرة وتخييلهم الوجه الثاني انهم شاهدوا العصى قد انقلبت حية ولم يشتبه ذلك

عليهم

عليهم فلذلك قال ثعبان مبين اي بين الوجه الثالث ان ذلك الثعبان لما كان معجزة لموسى عليه السلام
كان ابانة صدق قول موسى اني رسول من رب العالمين وقوله تعالى **ونزع يده** النزع في اللغة عبارة
عن اخراج الشي عن مكانه والمعنى انه اخرج يده من جيبه او من تحت جناحه **فاذا هي بيضا للناظرين**
قال ابن عباس وغيره اخرج يده من جيبه فراها بيضا من غير سو يعني من غير برص وقيل ان موسى
ادخل يده تحت جيبه ثم نزعها منه وقيل اخرج من تحت ابطه فاذا هي بيضا لها شعاع غلب نور الشمس
وكان موسى عليه السلام ادم اللون ثم ردها الى جيبه ثم اخرجها فاذا هي كما كانت ولما كان البياض
المفرط عيب في الجسد وهو البرص قال الله تعالى في اية اخرى بيضا من غير سو يعني من غير برص والمعنى
فاذا هي بيضا للنظارة ولا تكون بيضا للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة
يتعجب منه **فصل** في بيان المعجزة وكونها دليلا على صدق الرسول اعلم ان الله تبارك
وتعالى كان قادرا على خلق المعرفة والايمان في قلوب عباده ابتدا من غير واسطة ولكن ارسل اليهم
رسلا تعرفهم معالم دينه وجميع تكليفاته وذلك الرسول واسطة بين الله عز وجل وبين عباده
يبلغهم كلامه ويعرفهم احكامه وجايز ان يكون ذلك الواسطة من جنس البشر كالانبيا مع اممهم ولا مانع
لهذا من جهة العقل وان اجاز هذا في دليل العقل وقد جات الرسل عليهم السلام بمعجزات دلت على
صدقهم فوجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجز مع التحدي من النبي قايم مقام قول الله عز وجل
صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه ولان معجز النبي شاهد على صدقه فيما يقوله وسميت المعجزة معجزة
لان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين فضرب منها هو على نوع قدرة البشر ولكن عجزوا
عنه فعجزهم عنه دل على انه من فعل الله ودل على صدق نبيه صلى الله عليه وسلم كتمني الموت في قوله
فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فلما صرفوا عن تمنيه مع قدرتهم عليه علم انه من عند الله ودل على صدق
النبي صلى الله عليه وسلم الضرب الثاني ما هو خارج عن قدرة البشر كاحيا الموتى وقلب العصا حية
واخراج ناقة من صخرة وكلام الشجر والجماد والحيوان ونبع الما من بين الاصابع وغير ذلك من المعجزات
الخارقة للعادات علم ان ذلك من عند الله وان الله عز وجل هو الذي اظهر ذلك المعجز على يد نبيه
ليكون حجة له على صدقه فيما يخبر به عن الله عز وجل وقد ثبت بدليل العقل والبراهين القاطعة ان الله تعالى
قادر على خلق الاشيا وابداعها من غير اصل سبق لها واخراجها من العدم الى الوجود وانه قادر على قلب
الاعيان وخوارق العادات والله اعلم قوله تعالى **قال الملا من قوم فرعون ان هذا** يعني موسى
لساحر عليم يعنون انه ليأخذ باعين الناس حتى يخيل لهم ان العصا صارت حية وترى الشي بخلاف
ما هو عليه كما اراهم يده بيضا وهو ادم اللون وانما قالوا ذلك لان السحر كان هو الغالب في ذلك
الزمان فلما راوا ما يعجز عنه غيره قالوا انه لساحر عليم فان قلت قد اخبر الله في هذه السورة ان هذا
الكلام من قول الملا لفرعون وقال في سورة الشعرا وقال فرعون للملا حوله ان هذا لساحر عليم فكيف
الجمع بينهما قلت لا يمتنع ان يكون قاله فرعون اولا ثم انهم قالوه بعده فاخبر الله عنهم هنا واخبر عن
فرعون في سورة الشعرا وقيل يحتمل ان فرعون قال هذا القول ثم ان الملا من قومه وهم خاصته
سمعوه منه ثم انهم بلغوه الى العامة فاخبر الله عز وجل هنا عن الملا واخبر هناك عن فرعون وقوله
يريد ان يخرجكم من ارضكم يعني يريد موسى ان يخرجكم ايها القبط من ارض مصر **فماذا تامرون**
يعني فاي شي تشيرون ان نفعل به وقيل ان قوله فماذا تامرون من قول الملا كان كلام فرعون ثم

عند قوله يريد ان يخرجكم من ارضكم فقال الملا مجيبين لفرعون فماذا تامرون وانما خاطبوه بلفظ الجمع
وهو واحد على عادة الملوك في التعظيم والتفخيم والمعنى فماذا تامرون ان نفعل به والقول الاول اصح
لسياق الاية التي بعدها وهو قوله تعالى قالوا ارجه واخاه يعني اخر امرهما ولا تعجل فيه فتصير عجلتك
عليك لا لك والارجا التاخير في اللغة وقيل معنى ارجه احبسه واخاه وهذا القول ضعيف لان
الارجا في اللغة هو التاخير لا الحبس ولان فرعون ما يقدر على حبس موسى بعدما ارى من امر العصا
ثم ارى وارسل في المداين جمع مدينة واشتقاقها من مدن بالمكان اي قام فيه يعني مداين صعيد
مصر حاشرين يعني رجالا يحشرون اليك السحرة من جميع مداين الصعيد والمعنى انهم قالوا لفرعون
ارسل الى هذه المداين رجالا من اعوانك وهم الشرط يحشرون اليك من فيها من السحرة وكان رؤسا
السحرة باقصى مداين الصعيد فان غلبهم موسى صدقناه واتبعناه وان غلبوه علمنا انه ساحر
فذلك قوله ياتوك يعني الشرط بكل ساحر وقرى سحار والفرق بين الساحر والسحار هو الماهر الذي
يتعلم منه السحر وقيل الساحر من يكون سحره وقتا دون وقت والسحار الذي يدوم سحره ويعمل في كل وقت
عليم يعني ماهر بصناعة السحر وقال ابن عباس وابن اسحق والسدي ان فرعون لما راى من سلطان
الله وقدرته في العصا قال انا لا نغالب موسى الا بمن هو منه فاتخذ غلمانا من بني اسرايل وبعث الى
مدينة يقال لها الغرما يعلمونهم السحر فعلموهم سحرا كثيرا وواعد فرعون موسى موعدا ثم بعث الى السحرة
فجاوا ومعهم معلمهم فقال فرعون للمعلم ماذا صنعت قال قد علمتهم سحرا لا يطيقه سحر اهل الارض الا ان
يكون امر من السما فانه لا طاقة لهم به ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك ساحرا الا اتى به واختلفوا
في عدد السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط وهما
رئيسا القوم وسبعون من بني اسرايل وقال الكلبي كان الذي يعلمهم رجلين مجوسيين من اهل
نينوى وكانوا سبعين غير رئيسهم وقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر الفا وقال عكرمة كانوا سبعين
الفا وقال محمد بن المنكدر كانوا ثمانين الفا وقال السدي كانوا بضعا وثمانين الفا ويقال رئيس
القوم شمعون وقيل يوحنه قوله عز وجل وجا السحرة فرعون يعني لما اجتمعوا وجاوا الى فرعون
قالوا ان لنا لاجرا يعني جعلا وعطا تكرمنا به ان كنا نحن الغالبين يعني لموسى قال الامام فخر الدين
ولقايل ان يقول كان حق الكلام ان يقول وجا السحرة فرعون فقالوا ان لنا وجوابه هو على تقدير
سايل سال ما قالوا اذ جاوا فاجيب بقوله قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم يعني
قال لهم فرعون لكم الاجر والعطا وانكم لمن المقربين يعني ولكم المنزلة الرفيعة عندي مع الاجر والمعنى
ان فرعون قال للسحرة اني لا اقتصر بكم على الاجر بل ازيدكم عليه وتلك الزيادة اني اجعلكم من المقربين
عندي قال الكلبي تكونون اول من يدخل علي واخر من يخرج من عندي قالوا يعني السحرة يا موسى اما
ان تلقي يعني عصاك واما ان نكون نحن الملقين يعني عصينا وحبالنا في هذه الاية دقيقة لطيفة
وهي ان السحرة راعوا موسى عليه السلام حسن الادب حيث قدموه على انفسهم في الالقا فلا جرم ان
الله عز وجل عوضهم حيث تادبوا مع نبيه موسى صلى الله عليه وسلم ان من الله عليهم بالايمان
والهداية ولما راعوا الادب اولا واظهروا ما يدل على رغبتهم في ذلك قال يعني قال لهم موسى القوا يعني
انتم فقدمهم على نفسه في الالقا فان قلت كيف جاز لموسى ان يامرهم بالالقا وقد علم انه سحر وفعل السحر
كفر قلت ذكر العلما عنه اجوبة احدها ان معناه ان كنتم محقين في فعلكم فالقوا والا فلا تلقوا الجواب

الثاني انما امرهم بالالقا لتظهر معجزته لانه اذا لم يلقوا حبالهم وعصيهم لم تظهر معجزة موسى في عصاه
الجواب الثالث ان موسى علم انهم لا بد ان يلقوا تلك الحبال والعصي وانما وقع التخيير في التقديم
والتاخير فاذن لهم في التقديم لتظهر معجزته ايضا بغلبهم لانه لو القى اولا لم يكن له غلب وظهور عليهم
فلهذا المعنى امرهم بالالقا اولا فلما القوا يعني حبالهم وعصيهم سحروا اعين الناس يعني صرفوا اعين
الناس عن ادراك حقيقة ما فعلوه من التمويه والتخييل وهذا هو السحر وهذا هو الفرق بين السحر
الذي هو فعل البشر وبين معجزة الانبيا التي هي فعل الله وذلك لان السحر قلب الاعين وصرفها
عن ادراك ذلك الشي والمعجزة قلب نفس الشي وحقيقته كقلب عصى موسى عليه السلام حية
تسعى واسترهبوهم يعني ارهبوهم وافزعوهم بما فعلوه من السحر وهو قوله تعالى وجاوا يعني السحرة
بسحر عظيم وذلك انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي حيات كامثال الجبال قد ملات الوادي
يركب بعضها بعضا ويقال انهم طلوا تلك الحبال بالزيبق وجعلوا داخل تلك العصي زيبقا ايضا
والقوها على الارض فلما اثر حر الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض حتى تخيل للناس انها
حيات ويقال ان الارض كانت سعتها ميلا في ميل فصارت كلها حيات وافاعي ففزع الناس من ذلك
واوجس في نفسه خيفة موسى قوله تعالى واوحينا الى موسى ان الق عصاك يعني فالقاها فاذا
هي تلقف تبتلع ما يافكون يعني ما يكذبون فيه السحر لان اصل الافك قلب الشي عن وجهه ومنه قيل
للكذاب افاك لانه يقلب الكلام عن وجهه الصحيح الى الباطل قال المفسرون اوحى الله عز وجل الى
موسى ان لا تخف والق عصاك فالقاها فصارت حية عظيمة حتى سدت الافق قال ابن زيد كان
اجتماعهم بالاسكندرية فيقال بلغ ذنب الحية من ورا البحر ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا فاذا هي
تلقف يعني تبتلع كل شي اتوا به من السحر فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت
الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك المجمع ففزعوا ووقع الزحام عليهم فمات من ذلك
الزحام خمسة وعشرون الفا ثم اخذها موسى فصارت في يده عصى كما كانت اول مرة فلما راى السحرة
ذلك عرفوا انه من امر السما وليس بسحر وعرفوا ان ذلك ليس من قدرة البشر وقوتهم فعند ذلك خروا
سجدا وقالوا امنا برب العالمين وذلك قوله تعالى فوقع الحق يعني فظهر الحق الذي جا به موسى
وبطل ما كانوا يعملون يعني من السحر وذلك ان السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحرا لبقيت حبالنا
وعصينا فلما فقدت وتلاشت في عصى موسى علموا ان ذلك من امر الله وقدرته فغلبوا هنالك
يعني فعند ذلك غلب فرعون وسحرته وجموعه وانقلبوا صاغرين يعني ورجعوا ذليلين مقهورين
والقي السحرة ساجدين يعني ان السحرة لما عاينوا من عظيم قدرة الله ما عاينوا لم يتمالكوا ان
خروا لله ساجدين وذلك ان الله عز وجل الهمهم معرفته والايمان به فقالوا امنا برب
العالمين فقال فرعون اياي تعنون قالوا بل رب موسى وهارون قال مقاتل قال موسى لكبير السحرة
تومن بي ان غلبتك فقال لاتين بسحر لا يغلبه سحر ولين غلبتني لاومنن بك وقيل ان الحبال والعصي
التي كانت مع السحرة كانت حمل ثلثماية بعير فلما ابتلعتها عصى موسى كلها قال بعضهم لبعض هذا
امر خارج عن حد السحر وما هو الا امر من السما فامنوا وصدقوا فان قلت كان يجب ان ياتوا بالايمان
قبل السجود فما فايدة تقديم السجود على الايمان قلت لما قذف الله عز وجل في قلوبهم الايمان
والمعرفة خروا سجدا لله تعالى شكرا على ما هداهم اليه والهمهم به من الايمان بالله وتصديق رسوله

ثم اظهروا بعد ذلك ايمانهم وقيل لما راوا من عظيم قدرة الله وسلطانه في امر العصي وانه ليس يقدر
على ذلك احد من البشر زالت كل شبهة كانت في قلوبهم بادروا الى السجود تعظيما لشانه لما راوا
من عظيم قدرته ثم انهم اظهروا الايمان باللسان قال ابن عباس لما رات السحرة ما رات عرفت ان
ذلك من امر السما وليس بسحر خروا سجدا وقالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون قوله عز
وجل قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم يعني قال فرعون للسحرة امنتم بموسى وصدقتموه قبل
ان امركم بذلك واذن لكم فيه ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة يعني ان هذا الصنع صنعتموه انتم
وموسى في مدينة مصر قبل خروجكم الى هذا الموضع وذلك ان فرعون راى موسى يحدث كبير السحرة
فظن فرعون ان موسى وكبير السحرة قد تواطا عليه وعلى اهل مصر وهو قوله لتخرجوا منها اهلها
وتستولوا عليها انتم فسوف تعلمون فيه وعيد وتهديد يعني فسوف تعلمون ما افعل بكم ثم فسر
ذلك الوعيد فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف وهو ان يقطع احدى اليدين واحدى الرجلين
فيخالف بينهما في القطع ثم لاصلبنكم اجمعين يعني على شاطي نيل مصر قال ابن عباس اول من صلب واول
من قطع الايدي والارجل فرعون قالوا يعني مجيبين لفرعون حين وعد بالقتل انا الى ربنا منقلبون
يعني الى ربنا راجعون وانه هارون في الاخرة وما تنقم منا يعني وما تكره منا وما تطعن علينا وقال
عطا ما لنا عندك من ذنب تعذبنا عليه الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا ثم فزعوا الى
الله تعالى وسالوه الصبر على تعذيب فرعون اياهم فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا اي اصبب
علينا صبرا كاملا تاما ولهذا اتى بلفظ التنكير يعني صبرا واي صبر عظيم وتوفنا مسلمين يعني
واقبضنا على دين الاسلام وهو دين خليلك ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس كانوا في اول
النهار سحرة وفي اخر النهار شهدا قال الكلبي ان فرعون قطع ايديهم وارجلهم وصلبهم وقال غيره انه
لم يقدر عليهم لقوله تعالى لا يصلون اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون قوله تعالى وقال
الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه يعني وقالت جماعة من اشراف قوم فرعون لفرعون اتدع موسى
وقومه من بني اسرائيل ليفسدوا في الارض يعني ارض مصر واراد بالافساد فيها انهم يامرونهم بمخالفة
فرعون وهو قوله ويذرك والهتك يعني وتذره ليذرك ويذر الهتك فلا يعبدك ولا يعبدها قال
ابن عباس كانت لفرعون بقرة وكان يعبدها وكان اذا راى بقرة حسنة امرهم بعبادتها ولذلك اخرج
لهم السامري عجلا وقال السدي كان فرعون قد اتخذ لقومه اصناما وكان يامرهم بعبادتها وقال
لهم انا ربكم ورب هذه الاصنام وذلك قوله انا ربكم الاعلى والاقرب ان يقال ان فرعون كان دهريا
منكرا لوجود الصانع وكان يقول مدبر هذا العالم السفلي الكواكب فاتخذ اصناما على صورة الكواكب
وكان يعبدها ويامر بعبادتها وكان يقول في نفسه انه هو المطاع والمخدوم في الارض فلهذا قال
انا ربكم الاعلى وقرا ابن مسعود وابن عباس والشعبي والضحاك ويذرك والهتك بكسر الالف
ومعناه ويذرك وعبادتك فلا يعبدك لان فرعون كان يعبد ولا يعبد وقيل اراد بالالهة الشمس
والكواكب لانه كان يعبدها قال الشاعر

تزودنا من الكعباء قصرا • فاعجلنا الالاهة ان تؤوبا

اراد بالالاهة الشمس قال يعني فرعون مجيبا لقومه حين قالوا له اتذر موسى وقومه سنقتل ابناءهم
ونستحيي نساءهم يعني نتركهن احياء وذلك ان قوم فرعون لما اراد واهم فرعون على قتل موسى

وقومه او حبس موسى وانزال العذاب بقومه ولم يقدر فرعون ان يفعل بموسى عليه السلام
شيا مما ارادوا به لقوة موسى بما معه من المعجزة عدل الى قومه فقال سنقتل ابناءهم ونستحيي
نساءهم وقال ابن عباس كان قد ترك القتل في بني اسرائيل بعد ما ولد موسى فلما جاءهم موسى بالرسالة
وكان من امره ما كان قال فرعون اعيدوا عليهم القتل فاعادوا القتل على بني اسرائيل والمعنى ان
فرعون قال انما يتقوى موسى بقومه فنحن نسعى في تقليل عدد قومه بالقتل لتقل شوكته ثم
بين فرعون انه قادر على ذلك بقوله وانا فوقهم قاهرون يعني بالغلبة والقدرة عليهم ولما
نزل ببني اسرائيل ما نزل شكوا الى موسى ما نزل بهم قال موسى لقومه يعني لما شكوا اليه استعينوا
بالله واصبروا يعني استعينوا بالله على فرعون وقومه فيما نزل بكم من البلا فان الله متولي
لكم واصبروا على ما نالكم من المكاره في انفسكم وابنائكم ان الارض لله يعني ارض مصر وان كانت
الارض كلها لله تعالى يورثها من يشاء من عباده وهذا اطماع من موسى لبني اسرائيل ان يهلك
فرعون وقومه ويملك بنو اسرائيل ارضهم وبلادهم بعد اهلاكهم وهو قوله والعاقبة للمتقين
يعني ان النصر والظفر للمتقين على عدوهم وقيل اراد الجنة يعني ان عاقبة المتقين الصابرين
الى الجنة قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا قال ابن عباس لما امنت السحرة
تبع موسى ستماية الف من بني اسرائيل والمعنى ان بني اسرائيل لما سمعوا ما قال فرعون ووعدهم
به من القتل مرة ثانية قالوا لموسى قد اوذينا من قبل ان تاتينا يعني بالرسالة وذلك ان بني
اسرائيل كانوا مستضعفين في يد فرعون وقومه وكان يستعملهم في الاعمال الشاقة الى نصف
النهار فلما جا موسى بالرسالة وجرى له ما جرى شدد فرعون في استعمالهم فكان يستعملهم جميع
النهار واعادوا القتل فيهم فقالوا اوذينا من بعد ما جئتنا يعني بالرسالة وظاهر كلامهم يوهم بان بني
اسرائيل كرهوا مجي موسى بالرسالة وذلك كفر والجواب عن هذا الايهام بان موسى عليه السلام
كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من الشدة والمشقة فظنوا ان ذلك يكون على الفور فلما
راوا انه قد زادت الشدة عليهم قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا فمتى يكون
ما وعدتنا به من زوال ما نحن فيه فقال موسى مجيبا لهم عسى ربكم ان يهلك عدوكم يعني فرعون
وقومه ويستخلفكم في الارض يعني ويجعلكم تخلفونهم في ارضهم بعد هلاكهم فينظر كيف تعملون
يعني فيرى ربكم كيف تعملون من بعدهم قال الزجاج فيرى ذلك بوقوع ذلك منهم لان الله تعالى
لا يجازيهم بما يعلمه منهم انما يجازيهم على ما يقع منهم من العمل منهم قوله عز وجل ولقد اخذنا ال فرعون
بالسنين يعني بالجدب والقحط تقول العرب مستهم السنة بمعنى اخذهم الجدب في السنة ويقال
اسنتوا كما يقال اجدبوا قال الشاعر • ورجال مكة مسنتون عجاف • ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
اللهم اجعلها عليهم كسني يوسف ومعنى الاية ولقد اخذنا ال فرعون بالجدب والقحط والجوع
سنة بعد سنة ونقص من الثمرات يعني وبلا والعلات بالافات قال قتادة اما السنون
فلاهل البوادي واما نقص الثمرات فلاهل الامصار لعلهم يذكرون يعني لعلهم يتعظون
فيرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي وذلك لان الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز
وجل من الخير ثم بين الله تعالى انهم عند نزول تلك المحن عليهم والشدة لم يزدادوا الا تمردا
وكفرا فقال تعالى فاذا جاءتهم الحسنة يعني الخصب والسعة والعافية والسلامة

من الآفات **قالوا لنا هذه** اي نحن نستحقون لها ونحن اهلها على العادة التي جرت لنا في سعة
الارزاق وصحة الابدان ولم يروا ذلك من فضل الله عليهم فيشكروه على انعامه **وان تصبهم**
سيئة يعني القحط والجدب والمرض والبلاء وانما يكرهون في انفسهم **يطيروا** يعني يتشاموا
واصله يتطيروا والتطير التشاوم في قول جميع المفسرين **بموسى ومن معه** يعني انهم قالوا انما اصابنا
بلاء الا حين رايناهم وما بذلك الا بشوم موسى وقومه قال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر كان ملك
فرعون اربعماية سنة وعاش ستماية سنة وعشرين سنة لم ير مكروها قط ولو كان حصل له في تلك
المدة جوع يوم او حمى ليلة او وجع ساعة لما ادعى الربوبية قط **الا انما طائرهم عند الله** يعني ان
نصيبهم من الخير والجدب والخير والشر كله من الله قال ابن عباس طائرهم ما قضي لهم وقدر عليهم
من عند الله وفي رواية عنه شومهم عند الله ومعناه انما جاءهم بكفرهم بالله وقيل الشوم العظيم هو
الذي لهم عند الله من عذاب النار **ولكن اكثرهم لا يعلمون** يعني ان ما اصابهم من عند الله تعالى
وانما قال اكثرهم لا يعلمون لان اكثر الخلق يضيفون الحوادث الى الاسباب ولا يضيفونها الى القضا
والقدر قوله تعالى **وقالوا** يعني قوم فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام **مهما تاتنا به من اية**
يعني من عند ربك فهي عندنا سحر وتمويه **لتسحرنا بها** يعني لتصرفنا عما نحن عليه في الدين **فما نحن**
لك بمومنين يعني بمصدقين وكان موسى عليه السلام رجلا حديدا مستجاب الدعوة فدعا عليهم
فاستجاب الله دعاه فقال تعالى **فارسلنا عليهم الطوفان** قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة
ومحمد بن اسحق دخل كلام بعضهم في بعض قالوا لما امنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا ابى هو وقومه
الا الاقامة على الكفر والتمادي في الشر فتابع الله عز وجل عليهم بالايات فاخذهم اولا بالسنين وهو
القحط ونقص الثمرات واراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يومنوا فدعا عليهم موسى وقال
يا رب ان عبدك فرعون علا في الارض وبغى وعتا وان قومه قد نقضوا العهد رب فخذهم بعقوبة
تجعلها عليهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم اية وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهو الما
فارسل الله عليهم المطر وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مختلطة متشبكة فامتلات بيوت
القبط حتى قاموا في الما الى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الما في بيوت بني اسرائيل
شي وركد الما على ارضهم فلم يقدروا على الحرث ولا يعملوا شيا ودام ذلك عليهم سبعة ايام من السبت
الى السبت وقال مجاهد وعطا الطوفان الموت وقال وهب الطوفان الطاعون بلغة اهل اليمن
وقال ابو قلابة الطوفان الجدري وهم اول من عذبوا به فبقي في الارض وقال مقاتل الطوفان الما
طغى فوق حروثهم وفي رواية عن ابن عباس ان الطوفان امر من الله عز وجل طاف بهم فعند ذلك
قالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر نحن نومن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى
عليه السلام ربه فرفع عنهم الطوفان وانبت الله لهم تلك السنة شيا لم ينبته قبل ذلك من الكلا
والزرع والثمر واخصبت بلادهم فقالوا انما كان هذا الما الا نعمة علينا فلم يومنوا واقاموا شهرا
في عافية فبعث الله عليهم الجراد فاكل عامة زرعهم واثمارهم وورق الشجر حتى اكل الابواب وسقوف
البيوت والخشب والثياب والامتعة حتى اكل مسامير الحديد التي في الابواب وغيرها وابتلي الجراد
بالجوع فكان لا يشبع وامتلات دور القبط ولم يصب بني اسرائيل من ذلك شي فعجوا وضجوا وقالوا
يا موسى ادع لنا ربك لين كشفت عنا هذا الرجز لنومنن لك واعطوه عهد الله وميثاقه بذلك

فدعا موسى ربه عز وجل فكشف الله عنهم الجراد بعدما اقام عليهم سبعة ايام من السبت
الى السبت وفي الخبر مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الاعظم ويقال ان موسى عليه السلام خرج
الى الفضا فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد من حيث جا وكان قد بقي من زروعهم وثمارهم
بقية فقالوا قد بقي لنا ما هو كافينا فما نحن بتاركي ديننا فلم يومنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وعادوا
الى اعمالهم الخبيثة فاقاموا شهرا في عافية ثم بعث الله عليهم عز وجل القمل واختلفوا فيه فروى
سعيد بن جبير عن ابن عباس ان القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة وقال مجاهد وقتادة
والسدي والكلبي القمل الدبا وهو صغار الجراد الذي لا اجنحة له وقال ابو عبيدة هو الحمنان وهو
ضرب من الجراد وقال عطا الخراساني هو القمل نفسه وكان الحسن يقرا بفتح القاف وسكون الميم
قال اصحاب الاخبار امر الله عز وجل موسى عليه السلام ان يمشي الى كثيب رمل اعفر بقرية من قرى
مصر تسمى عين الشمس فمشى الى ذلك الكثيب فضربه بعصاه فانهال عليهم القمل فتتبع ما بقي من حروثهم
وزروعهم وثمارهم فاكلها كلها ولحس الارض وكان يدخل تحت ثوب احدهم وجلده فيعضه فاذا اكل
احدهم طعاما امتلا قملا قال سعيد بن المسيب القمل السوس الذي يخرج من الحبوب وكان الرجل منهم
يخرج بعشرة اجربة الى الرحا فلا يرد منها ثلاثة اقفزة فلم يصابوا ببلاء كان عليهم اشد من القمل
واخذت اشعارهم وابشارهم وحواجبهم واشفار عيونهم ولزم جلودهم كانه الجدري عليهم ومنعهم
النوم والقرار فصرخوا بموسى انا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا هذا البلا فدعا موسى ربه فرفع
الله عنهم القمل بعدما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت فنكثوا بعد ذلك ورجعوا الى
اخبث ما كانوا عليه من الاعمال الخبيثة وقالوا ما كنا قط احق ان نستيقن انه ساحر منا اليوم يجعل
الرمل دواب فدعا موسى عليهم بعدما اقاموا شهرا في عافية فارسل الله عليهم الضفادع فامتلا
منها بيوتهم وافنيتهم واطعمتهم وانيتهم فلا يكشف احد اناء ولا طعاما الا وجد فيه الضفادع وكان
الرجل منهم يجلس في الضفادع فتبلغ الى حلقه فاذا اراد ان يتكلم يثب الضفدع فيدخل في فيه وكانت
تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وتطفي نيرانهم وكان احدهم اذا اضطجع ركبته الضفادع
حتى يكون عليه ركاما فلا يستطيع ان ينقلب الى شقه الاخر واذا اراد ان ياكل سبقته الضفدع
الى فيه ولا يعجن احدهم عجينا الا امتلا ضفادع ولا يفتح قدرا الا امتلات ضفادع فلقوا من ذلك
بلاء شديدا وروى عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع برية فلما ارسلها الله عز وجل
على ال فرعون سمعت واطاعت وجعلت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي وعلى النار في التنانير
وهي تفور فاثابها الله عز وجل بحسن طاعتها برد الما فلما راوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى ما لقوه
من الضفادع وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فاخذ موسى عليهم العهود والمواثيق ثم دعا الله
عز وجل فكشف عنهم الضفادع بعدما اقامت سبعا من السبت الى السبت فاقاموا شهرا في عافية
ثم نقضوا العهد وعادوا الى كفرهم فدعا عليهم موسى فارسل الله عز وجل عليهم الدم فسال النيل عليهم
دما وصارت مياههم كلها دما وكلما يستقون من الابار والانهار وجدوه دما عبيطا فشكوا ذلك
الى فرعون وقالوا ليس لنا شراب الا الدم فقال سحركم فقالوا من اين يسحرنا ونحن لا نجد في اوعيتنا شيا
من الما الا دما عبيطا فكان فرعون يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ما
وما يلي القبطي دما ويقومان الى الجرة فيها الما فيخرج للقبطي دما وللاسرائيلي ما حتى ان المراة من ال فرعون

تاتي المرأة من بني اسرائيل حين جهدهم العطش فتقول لها اسقيني من مائك فتصب لها من قربتها
فيصير في الاناء دما حتى كانت تقول اجعليه في فيك ثم مجيه في فمي فتفعل ذلك فيصير دما ثم ان فرعون
اعتراه العطش حتى انه ليضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها دما فمكثوا على
ذلك سبعة ايام لا يشربون الا الدم وقال زيد بن اسلم ان الدم الذي سلطه الله عز وجل عليهم
كان الرعاف فاتوا موسى وشكوا اليه ما يلقون وقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنحن
نؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف ذلك فلم يؤمنوا فذلك قوله تعالى
فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات يعني يتبع
بعضها بعضا وتفصيلها ان كل عذاب كان يقيم عليهم اسبوعا وبين كل عذابين مدة شهر **فاستكبروا**
عن الايمان فلم يؤمنوا **وكانوا قوما مجرمين** يعني آل فرعون قوله تعالى **ولما وقع عليهم الرجز** ولما
نزل بهم العذاب الذي ذكره في الآية المتقدمة من الطوفان وما بعده وقال سعيد بن جبير الرجز
الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس التي تقدمت فنزل بهم الطاعون حتى مات
منهم في يوم واحد سبعون الفا فامسوا وهم لا يتدافنون وعن اسامة بن زيد قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجز ارسل على طائفة من بني اسرائيل او على من كان قبلكم فاذا
سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقوله تعالى
قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك يعني بما اوصاك وقيل بما نباك وقيل بما عهد عندك
من اجابة دعوتك **لئن كشفت عنا الرجز** يعني العذاب الذي وقع بنا **لنؤمنن لك ولنرسلن
معك بني اسرائيل** يعني لنصدقن بما جئت به ولنخلين بني اسرائيل يذهبوا حيث شاؤوا **فلما كشفنا
عنهم الرجز** يعني بدعوة موسى **الى اجل هم بالغوه** يعني الى الوقت الذي اجل لهم وهو وقت اهلاكهم
بالغرق في اليم **اذا هم ينكثون** يعني اذا هم ينقضون العهد الذي التزموه فلم يفوا به واعلم ان ما ذكر الله
تعالى من هذه الآيات هي معجزات في الحقيقة دالة على صدق موسى عليه السلام ووجه دلالته ان
العذاب كان مختصا بآل فرعون دون بني اسرائيل فاختصاصه بالقبطي دون الاسرائيلي معجز وكون
بني اسرائيل في امان وعافية وقوم فرعون في شدة وعذاب وبلاء مع اتحاد المساكن معجز ايضا
فان اعترض معترض وقال ان الله تعالى علم من حال آل فرعون انهم لا يؤمنون بتلك المعجزات
فما الفائدة في تواليها عليهم واظهار الكثير منها فالجواب على مذهب اهل السنة ان الله تعالى
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل واما قول المعتزلة من رعاية المصلحة فلعله
تعالى علم من قوم فرعون ان بعضهم كان يؤمن بتوالي المعجزات وظهورها فلهذا السبب والاها
عليهم والله اعلم بمراده قوله عز وجل **فانتقمنا منهم** يعني كافيناهم عقوبة لهم على سوء صنيعهم
واصل الانتقام في اللغة سلب النعمة بالعذاب فاغرقناهم في اليم والمعنى انه تعالى لما كشف عنهم
العذاب مرات فلم يؤمنوا ولم يرجعوا عن كفرهم فلما بلغوا الاجل الذي اجل لهم انتقم منهم بان اهلكهم
بالغرق فذلك قوله **فاغرقناهم في اليم** يعني البحر واليم الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر
ومعظم مائه قال الازهري اليم معروف لفظة سريانية عربتها العرب ويقع اسم اليم على البحر المالح والبحر
العذب ويدل على ذلك قوله فاقذفيه في اليم والمراد به نيل مصر وهو عذب **بانهم كذبوا بآياتنا**
يعني اهلكناهم واغرقناهم بسبب انهم كذبوا بآياتنا الدالة على وحدانيتنا وصدق نبينا **وكانوا عنها**

يعني عن

يعني عن آياتنا **غافلين** يعني معرضين وقيل كانوا عن حلول النقمة بهم غافلين ولما كان الاعراض عن
الآيات وعدم الالتفات اليها كالغفلة عنها سموا غافلين تجوزا لان الغفلة ليست من فعل
الانسان قوله تعالى **واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون** يعني ومكنا القوم الذين كانوا
يقهرون ويغلبون على انفسهم وهو ان فرعون وقومه كانوا قد تسلطوا على بني اسرائيل فقتلوا
ابناءهم واستحيوا نساءهم فصاروا مستضعفين تحت ايديهم **مشارق الارض ومغاربها** يعني ارض الشام
ومصر واراد بمشارقها ومغاربها جميع جهاتها ونواحيها وقيل اراد بمشارق الارض ومغاربها الارض
المقدسة وهو بيت المقدس وما يليه من المشرق والمغرب وقيل اراد جميع جهات الارض وهو اختيار
الزجاج قال لان داود وسليمان كانا من بني اسرائيل وقد ملكا الارض وقوله **التي باركنا فيها**
يدل على انها الارض المقدسة يعني باركنا فيها بالثمار والاشجار والزروع والخصب والسعة
وتمت كلمة الحسنى على بني اسرائيل يعني وتمت كلمة الله وهي وعدهم بالنصر على عدوهم والتمكين
في الارض من بعدهم وقيل كلمة الله هي قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الآية
والحسنى صفة للكلمة وهي تانيث الاحسن وتمامها انجاز ما وعدهم به من تمكينهم في الارض واهلاك
عدوهم **بما صبروا** يعني انما حصل لهم ذلك التمام وهو ما انعم الله به عليهم من انجاز وعده لهم
بسبب صبرهم على دينهم واذى فرعون **ودمرنا** يعني واهلكنا والدمار الهلاك باستيصال **ما كان
يصنع فرعون وقومه** في ارض مصر من العمارات والبنيان **وما كانوا يعرشون** يسقفون من ذلك
البنيان وقال مجاهد ما كانوا يبنون من البيوت والقصور وقال الحسن ما كانوا يعرشون من
الثمار والاعناب قوله عز وجل **وجاوزنا ببني اسرائيل البحر** يعني وقطعنا ببني اسرائيل البحر بعد
اهلاك فرعون وقومه واغراقهم فيه يقال جاوز الوادي وجاوزه اذا قطعه وخلفه وراءه وقال
الكلبي عبر موسى البحر يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصامه شكرا لله عز وجل **فاتوا
على قوم يعكفون على اصنام لهم** يعني فمر بنو اسرائيل بعد مجاوزة البحر على قوم يعكفون اي يقيمون
ويواظبون على اصنام لهم يعني تماثيل كانوا يعبدونها من دون الله قال ابن جريج تلك الاصنام تماثيل
بقر وذلك اول شان العجل قال قتادة كان اولئك القوم من لخم وكانوا نزولا بالرقة يعني بالرقة
ساحل البحر وقيل كان اولئك الاقوام من الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم **قالوا** يعني
قال بنو اسرائيل لموسى لما راوا ذلك التمثال **يا موسى اجعل لنا الها** يعني تمثالا نعبده ونعظمه **كما لهم
آلهة** يعني كما لهم اصنام يعبدونها ويعظمونها فاجعل لنا انت الها نعبده ونعظمه قال البغوي
ولم يكن ذلك شكا من بني اسرائيل في وحدانية الله تعالى وانما معناه اجعل لنا شيئا نعظمه ونتقرب
بتعظيمه الى الله تعالى وظنوا ان ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم وقال غيره هذه
تدل على غاية جهل بني اسرائيل وذلك انهم توهموا انه يجوز عبادة غير الله بعد ما راوا الآيات الدالة
على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وهي الآيات التي توالت على قوم فرعون حتى اغرقهم الله في
البحر بكفرهم وعبادتهم غير الله فحملهم جهلهم على ان قالوا لنبيهم موسى عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم
آلهة فرد موسى عليه السلام بقوله **قال انكم قوم تجهلون** يعني تجهلون عظمة الله وانه لا يستحق
ان يعبد سواه لانه هو الذي انجاكم من فرعون وقومه فاغرقهم في البحر وانجاكم منه عن ابي واقد الليثي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى غزوة حنين مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها

اسلحتهم يقال لها ذات انواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله هذا كما قال
قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم اخرجه الترمذي
وقوله تعالى ان هولاء متبر ما هم فيه اي مهلك والتتبير الهلاك وباطل ما كانوا يعملون البطلان
عبارة عن عدم الشيء اما بعدم ذاته او بعدم فايدته ونفعه والمراد من بطلان عملهم انه لا يعود
عليهم من ذلك العمل نفع ولا يدفع عنهم ضر لانه عمل لغير الله فكان باطلا لا نفع فيه قال اغير الله
ابغيكم الها لما قال بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الها كما لهم الهة حكم عليهم بالجهالة وقال مجيبا لهم
على سبيل التعجب والانكار عليهم اغير الله ابغيكم الها يعني اطلب لكم وابغي لكم الها وهو فضلكم
على العالمين والمعنى ان الاله ليس شيئا يطلب ويلتمس ويتخير بل الاله هو الذي فضلكم على
العالمين لانه القادر على الانعام والافضال فهذا هو الذي يستحق ان يعبد ويطاع لا عبادة
لا عبادة غيره ومعنى قوله فضلكم على العالمين يعني على عالمي زمانكم وقيل فضلكم بما خصكم به من
الايات الباهرة التي لم تحصل لغيركم وان كان غيركم افضل منهم قوله تعالى واذ انجيناكم من ال فرعون
يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم هذه
الاية تقدم تفسيرها في سورة البقرة والفايدة في ذكرها في هذا الموضع انه تعالى هو الذي انعم عليكم
بهذه النعمة العظيمة فكيف يليق بكم الاشتغال بعبادة غيره حتى تقولوا اجعل لنا الها كما لهم الهة
قوله عز وجل وواعدنا موسى ثلاثين ليلة يعني وواعدنا موسى لمناجاتنا ثلاثين ليلة وهي
ذو القعدة واتممناها بعشر يعني عشر ذي الحجة وهذا قول ابن عباس ومجاهد قال المفسرون
ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل اذا اهلك الله عدوهم فرعون ان ياتيهم بكتاب من عند
الله عز وجل فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما هلك فرعون سال موسى ربه عز وجل ان
ينزل عليه الكتاب الذي وعد به بني اسرائيل فامره ان يصوم ثلاثين يوما فصامها فلما تمت
انكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب وقيل بل اكل من ورق الشجر فقالت الملايكة كنا نشم من فيك
رايحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يصوم عشر ذي الحجة وقال له اما علمت
ان خلوف فم الصايم اطيب عندي من ريح المسك فكانت فتنة بني اسرائيل في تلك العشر التي زادها
الله لموسى وقيل ان الله امر موسى عليه السلام ان يصوم ثلاثين يوما ويعمل فيها ما يتقرب به
الى الله واعطاه الالواح في العشر الذي زاده فلهذا قال واتممناها بعشر وهذا التفصيل الذي
ذكره هنا هو تفصيل ما اجمله في سورة البقرة وهو قوله تعالى واذ واعدنا موسى اربعين ليلة فذكره
هناك على الاجمال وذكره هنا على التفصيل وقوله تعالى فتم ميقات ربه اربعين ليلة يعني فتم
الوقت الذي قدره الله لصوم موسى وعبادته اربعين ليلة لان الميقات هو الوقت الذي قدر ان
يعمل فيه عملا من الاعمال ولهذا قيل مواقيت الحج وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي
يعني كن انت خليفتي فيهم من بعدي حتى ارجع اليك واصلح يعني واصلح امور بني اسرائيل واحملهم على عبادة
الله تعالى وقال ابن عباس يريد الرفق بهم والاحسان اليهم ولا تتبع سبيل المفسدين يعني ولا
تسلك طريق المفسدين في الارض ولا تطعهم والمقصود من هذا الامر التاكيد لان هارون عليه السلام
لم يكن ممن يتبع سبيل المفسدين فهو كقوله ولكن ليطمين قلبي وكقولك للقاعد اقعد يعني دم
على ما انت عليه من القعود وقوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا يعني للوقت الذي وقتنا له ان

ياتي فيه لمناجاتنا وهو قوله وكلمه ربه وفي الاية دليل على ان الله عز وجل كلم موسى عليه السلام واختلف
الناس في كلام الله تعالى فقال الزمخشري كلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام
منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في الالواح هذا كلامه وهذا مذهب المعتزلة ولا شك في
بطلانه وفساده لان الشجرة او ذلك الجرم لا يقول اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري
فثبت بذلك بطلان ما قالوه وذهبت الحنابلة ومن وافقهم الى ان كلام الله حروف واصوات متقطعة
وانه قديم وذهب جمهور المتكلمين الى ان كلام الله تعالى صفة مغايرة لهذه الحروف والاصوات وتلك
الصفة قديمة ازلية والقايلون بهذا القول قالوا ان موسى عليه السلام سمع تلك الصفة
الازلية الحقيقية قالوا كما انه لا يبعد رؤية ذاته وليست جسما ولا عرضا كذلك لا يبعد سماع كلامه
مع ان كلامه ليس بصوت ولا حرف ومذهب اهل السنة وجمهور العلماء من السلف والخلف ان الله
تعالى متكلم بكلام قديم وسكتوا عن الخوض في تاويله وحقيقته قال اهل التفسير والاخبار لما جاء
موسى عليه السلام لميقات ربه تطهر وطهر ثيابه وصام ثم اتى طور سينا وفي القصة ان الله تعالى
انزل ظلة تغشت الجبل على اربع فراسخ من كل ناحية وطرد عنه الشيطان وهوام الارض ونحى عنه
الملكين وكشط له السماء فراى الملايكة قياما في الهوى وراى العرش بارزا وادناه ربه حتى سمع صريف
القلم على الالواح وكلمه الله تبارك وتعالى وناجاه واسمعه كلامه وكان جبريل عليه السلام معه فلم
يسمع كلام الله تعالى به موسى فاستحلى كلام ربه عز وجل واشتاق الى رويته فقال رب ارني انظر
اليك قال الزجاج فيه اختصار تقديره ارني نفسك انظر اليك وقال ابن عباس معناه اعطني
انظر اليك وانما سال موسى عليه السلام الروية مع علمه بان الله تعالى لا يرى في الدنيا لما هاج به
من الشوق وفاض عليه من انوار الجلال واستغرق في بحر المحبة فعند ذلك سال الروية وقيل انما سال
الروية ظنا منه بانه تعالى يرى في الدنيا فقال الله تعالى له قال لن تراني يعني انه ليس لبشر ان يراني
في الدنيا ولا يطيق النظر الي في الدنيا ومن نظر الي في الدنيا مات فقال موسى عليه السلام الهي سمعت
كلامك فاشتقت النظر اليك ولان انظر اليك ثم اموت احب الي من ان اعيش ولا اراك وقال السدي
لما كلم الله تعالى موسى عليه السلام غاص عدو الله ابليس الخبيث في الارض حتى خرج من بين قدمي موسى
فوسوس اليه ان مكلمك شيطان فعند ذلك سال موسى الروية فقال رب ارني انظر اليك قال
يعني قال الله تبارك وتعالى لموسى لن تراني فصل وقد تمسك من نفى الروية من اهل
البدع والخوارج والمعتزلة وبعض المرجية بظاهر هذه الاية وهو قوله تعالى لن تراني قالوا ولن تكون
للتابيد والدوام ولا حجة لهم في ذلك ولا دليل ولا يشهد لهم في ذلك كتاب ولا سنة وما قالوه في ان
لن للتابيد خطا بين ودعوى على اهل اللغة اذ ليس يشهد لما قالوه نص عن اهل اللغة والعربية
ولم يقل به احد منهم ويدل على صحة ذلك قوله تعالى في صفة اليهود ولن يتمنوه ابدا مع انهم يتمنون الموت
يوم القيمة يدل على قوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وقوله يا ليتها كانت القاضية فان قالوا
ان لن معناها تاكيد النفي كلا التي تنفي في المستقبل قلنا ان صح هذا التاويل فيكون معنى لن تراني
محمولا على الدنيا اي لن تراني في الدنيا جمعا بين دلايل الكتاب والسنة فانه قد ثبت في الحديث
الصحيح ان المومنين يرون ربهم عز وجل يوم القيمة في الدار الاخرة وايضا فان موسى عليه السلام
كان عارفا بالله وبما يجب ويجوز ويمتنع على الله عز وجل وفي الاية دليل على انه سال الروية ولو كانت

الرؤية ممتنعة على الله تعالى لما سالها موسى وحيث سالها علمنا ان الرؤية جايزة على الله تعالى وايضا
فان الله عز وجل علق رويته على امر جايز والمعلق على الجايز جايز فيلزم من ذلك كون الرؤية في نفسها
جايزة وانما قلنا ذلك لانه تعالى علق رويته على استقرار الجبل وهو قوله تعالى **ولكن انظر الى الجبل**
فان استقر مكانه فسوف تراني امر جايز الوجود في نفسه واذا كان كذلك ثبت ان رويته جايزة الوجود
لانه استقرار الجبل غير مستحيل عند التجلي اذا جعل الله قوة على ذلك والمعلق بما لا يستحيل لا يكون محالا
والله اعلم بمراده قال وهب ومحمد بن اسحق لما سال موسى عليه السلام ربه عز وجل الرؤية ارسل الله
الضباب والصواعق والرعد والبرق والظلمة حتى احاطت بالجبل الذي عليه موسى اربع فراسخ من كل
جانب وامر الله اهل السموات ان يعترضوا على موسى عليه السلام فمرت به ملئكة السما الدنيا كثيران
البقر يتبع افواههم بالتسبيح والتقديس باصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد فقال موسى رب
اني كنت عن هذا غنيا ثم امر الله تعالى ملئكة السما الثانية ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه
فهبطوا عليه مثال الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع العبد الضعيف موسى بن عمران مما
راى وسمع واقشعرت كل شعرة في راسه وبدنه ثم قال لقد ندمت على مسالتي فهل ينجيني من مكاني
الذي انا فيه شي فقال له خير الملئكة وراسهم يا موسى اصبر لما سالت فقليل من كثير ما رايت ثم امر
الله ملئكة السما الثالثة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه امثال النسور لهم قصف
ورجف ولجب شديد وافواههم تنبع بالتسبيح والتقديس لهم جلب كجلب الجيش العظيم الوانهم كلهب
النار ففزع موسى واشتد فزعه وايس من الحياة فقال له خير الملئكة وراسهم مكانك يا ابن عمران
حتى ترى ما لا تصبر عليه ثم امر الله ملئكة السما الرابعة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه
لا يشبههم شي من الذين مروا قبلهم الوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الابيض اصواتهم عالية بالتسبيح
والتقديس لا يقاربهم شي من اصوات الذين مروا به قبلهم فاصطكت ركبتاه وارعد قلبه واشتد بكاه
فقال له خير الملئكة وراسهم يا ابن عمران اصبر لما سالت فقليل من كثير ما رايت ثم امر الله تعالى ملئكة
السما الخامسة ان اهبطوا الى موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لهم سبعة الوان فلم يستطع موسى
ان يتبعهم بصره فلم ير مثلهم ولم يسمع اصواتهم فامتلا جوفه خوفا واشتد حزنه وكثر بكاه فقال له خير الملئكة
وراسهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه ثم امر الله تعالى ملئكة السما السادسة ان
اهبطوا على موسى فهبطوا عليه وفي يد كل واحد منهم مثل النخلة العظيمة الطويلة نارا اشد ضوا
من الشمس ولباسهم كلهيب النار اذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من الملئكة كلهم يقولون
بشدة اصواتهم سبوح قدوس رب العزة ابدا لا يموت في راس كل ملك منهم اربعة اوجه فلما راهم موسى
رفع صوته يسبح معهم وهو يبكي ويقول يا رب اذكرني ولا تنس عبدك فلا ادري انفلت مما انا فيه ام لا
ان خرجت احترقت وان اقمت مت فقال له كبير الملئكة وراسهم قد اوشكت يا ابن عمران ان يشتد خوفك
وينخلع قلبك فاصبر للذي سالت ثم امر الله تعالى ان يحمل عرشه في ملئكة السما السابعة فلما بدا
نور العرش انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى ورفعت الملئكة اصواتهم جميعا يقولون سبحان
الملك القدوس رب العزة ابدا لا يموت فارتج لشدة اصواتهم واندك كل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف
موسى صعقا على وجهه ليس معه روحه فارسل الله تعالى برحمته الروح فتغشاه وقلب عليه الحجر الذي
كان جلس عليه موسى فصار عليه كهيئة القبة لئلا يحترق موسى واقامه الروح مثل الام فلما اقام موسى

قام يسبح

قام يسبح ويقول امنت بك وصدقت انه لا يراك احد فيحيى ومن نظر الى ملئكتك انخلع قلبه فما اعظم
واعظم ملئكتك انت رب الارباب وملك الملوك واله الالهة العظيم لا يعدلك شي ولا يقوم لك شي رب تبت
اليك الحمد لك لا شريك لك ما اعظمك وما اجلك يا رب العالمين فذلك قوله تعالى **فلما تجلى ربه**
للجبل جعله دكا قال ابن عباس ظهر نور ربه للجبل فصار ترابا واسم الجبل زبير وقال الضحاك اظهر
الله عز وجل من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ما تجلى للجبل من عظمة
الله تعالى الا مثل سم الخياط حتى صار دكا وقال السدى ما تجلى الا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت
عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية وقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الاعلى من
الخنصر فساخ الجبل ذكره البغوى هكذا بغير سند واخرجه الترمذى ايضا عن انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قرا هذه الاية فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال حماد هكذا وامسك سليمان بطرف ابهامه
على انملة اصبعه اليمنى فساخ الجبل وخر موسى صعقا قال الترمذى حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه
الا من حديث حماد بن سلمة ويروى عن سهل بن سعد الساعدى ان الله اظهر من سبعين الف حجاب نورا
قدر الدرهم فجعل الجبل دكا يعني مستويا بالارض وقال ابن عباس جعله ترابا وقال سفيان ساخ الجبل
حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه وقال عطية العوفي صار رملا هايلا وقال الكلبي جعله دكا يعني كسرا
جبالا صغارا وقيل انه صار لعظمة الله تعالى ستة اجبل فوقع ثلاثة بالمدينة وهي احد وورقان ورضوى
ووقع ثلاثة بمكة وهي ثور وثبير وحرا وقوله تعالى **وخر موسى صعقا** قال الحسن وابن عباس يعني
مغشيا عليه وقال قتادة يعني ميتا والاول اصح لقوله فلما افاق والميت لا افاقة له انما يقال افاق
من غشيه قال الكلبي صعق موسى يوم الخميس وهو يوم عرفة واعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر وقال
الواقدى لما خر موسى صعقا قالت ملئكة السماوات ما لابن عمران وسوال الرؤية وفي بعض الكتب
ان ملئكة السموات اتوا موسى وهو في غشيه فجعلوا يركلونه ويقولون يا ابن النسا الحيض اطمعت
في روية رب العزة فلما افاق يعني من غشيه ورجع عقله اليه وعرف انه سال امرا عظيما لا ينبغي له **قال**
سبحانك يعني تنزيها لك من النقايص **تبت اليك** يعني من مسئلة الرؤية بغير اذنك وقيل من سوال
الرؤية في الدنيا وقيل لما كانت الرؤية مخصوصة بمحمد صلى الله عليه وسلم فمنعها قال سبحانك تبت
اليك يعني من سوالي ما ليس لي وقيل لما سال الرؤية ومنعها قال تبت اليك يعني من هذا السوال
وحسنات الابرار سيات المقربين **وانا اول المومنين** يعني بانك لا ترى في الدنيا وقيل انا اول المومنين
يعني من بني اسرايل بقي في الاية سوالات الاول الرؤية عين النظر فكيف قال ارني انظر اليك وعلى هذا
يكون التقدير ارني حتى اراك والجواب ان معنى قوله ارني اجعلني متمكنا من رويتك حتى انظر اليك
واراك السوال الثاني كيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر الي حتى يكون مطابقا لقوله انظر اليك والجواب
ان النظر لما كان مقدمة الرؤية كان المقصود هو الرؤية لا النظر الذي لا روية معه السوال
الثالث كيف اتصل الاستدراك من قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله والجواب ان المقصود منه تعظيم
امر الرؤية وان احدا لا يقوى على روية الله تعالى الا من قواه الله بمعونته وتاييده الا ترى انه لما
ظهر التجلي للجبل اندك وتقطع فهذا هو المراد من هذا لانه يدل على تعظيم امر الرؤية والله اعلم بمراده
قوله عز وجل **قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي** يعني قال الله تعالى لموسى
يا موسى اخترتك واتخذتك صفوة والاصطفا استخلاص الصفوة والاجتبا والمعنى اني فضلتك واجتبيتك

قوله يركلونه يعني
يرفسونه بارجلهم

على الناس وفي هذا تسلية لموسى عليه السلام عن منع الرؤية حين طلبها لان الله تعالى عدد عليه
نعمه التي انعم بها عليه وامره ان يشتغل بشكرها كانه قال له ان كنت منعت من الرؤية التي طلبت فقد
اعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا فلا يضيقن صدرك بسبب منع الرؤية وانظر الى ساير انواع
النعم التي خصصتك بها وهي الاصطفا على الناس برسالاتي وبكلامي يعني من غير واسطة لان غيره
من الرسل سمع كلام الله تعالى بواسطة الملك فان قلت كيف قال اصطفيتك على الناس برسالاتي
مع ان كثيرا من الانبيا قد ساواه في الرسالة قلت ذكر العلما عن هذا السوال جوابين احدهما
ذكره البغوي فقال لما لم تكن الرسالة على العموم في حق الناس كافة استقام قوله اصطفيتك على
الناس وان شاركه فيه غيره كما يقول الرجل للرجل خصصتك بمشورتي وان كان قد شاور غيره
اذا لم تكن المشورة على العموم فيكون مستقيما وفي هذا الجواب نظر لانه نص بجملة من اصطفاه
الله برسالته محمدا صلى الله عليه وسلم ونوح من افضل من موسى عليه السلام فلا يستقيم هذا
الجواب الجواب الثاني ذكره الامام فخر الدين الرازي فقال ان الله تعالى بين انه خصه بمجموع امرين
وهما الرسالة مع الكلام بغير واسطة وهذا المجموع ما حصل لغيره فثبت انه انما حصل التخصيص هاهنا
لانه سمع ذلك الكلام بغير واسطة وانما كان الكلام بغير واسطة سببا لمزيد الشرف بنا على العرف
الظاهر لان من سمع كلام الملك المعظم من فيه كان اعلى واشرف ممن سمعه بواسطة الحجاب والنواب
وهذا الجواب فيه نظر ايضا لان محمدا صلى الله عليه وسلم اصطفاه برسالته وكلمه ليلة المعراج
بغير واسطة وفرض عليه وعلى امته الصلوات وخاطبه بيا محمد يدل عليه قوله فاوحى الى عبده
ما اوحى ورفعه الى حيث سمع صريف الاقلام وهذا كله يدل على مزيد الفضل والشرف على موسى
وغيره من الانبيا فلا يستقيم هذا الجواب ايضا والذي يعتمد في الجواب عن هذا السوال ان الله اصطفى
موسى عليه السلام برسالته وبكلامه على الناس الذين كانوا في زمانه وذلك لانه لم يكن في ذلك الوقت اعلا
منصبا ولا اشرف ولا افضل منه وهو صاحب الشريعة وعليه نزلت التوراة فدل ذلك على انه اصطفاه
على ناس زمانه كما اصطفا قومه على عالمي زمانهم وهو قوله تعالى يا بني اسرايل اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم واني فضلتكم على العالمين قال المفسرون يعني على زمانهم وقوله تعالى **فخذ ما اتيتك** يعني ما
فضلتك وكرمتك به **وكن من الشاكرين** يعني على انعامي عليك وفي القصة ان موسى عليه السلام
كان بعد ما كلمه ربه لا يستطيع احد ان ينظر اليه لما غشي وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات
وقالت له زوجته انا لم ارك منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه فاخذها مثل شعاع الشمس فوضعت
يدها على وجهها وخرت ساجدة وقالت ادع الله ان يجعلني زوجتك في الجنة قال ذلك ان لم تتزوجي
بعدي فان المراة لاخر ازواجها قوله تعالى **وكتبنا له في الالواح** قال ابن عباس يريد الواح التوراة والمعنى
وكتبنا لموسى في الواح التوراة قال البغوي وفي الحديث كانت من سدر الجنة طول اللوح اثني عشر ذراعا
وجا في الحديث خلق الله ادم بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده وقال الحسن كانت
الالواح من خشب وقال الكلبي من زبرجدة خضرا وقال سعيد بن جبير من ياقوتة حمرا وقال ابن جريج
من زمرد امر الله جبريل حتى جابها من جنات عدن وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر
النور وقال الربيع بن انس كانت الالواح من برد وقال وهب امره الله بقطع الالواح من صخرة صما لينها
له فقطعها بيده ثم شقها باصبعه وسمع موسى صرير القلم بالكلمات العشرة وكان ذلك في اول يوم

من ذي

من ذي الحجة وكان طول الالواح عشرة اذرع على طول موسى وقيل ان موسى خر صعقا يوم عرفة واعطاه
الله التوراة يوم النحر وهذا اقرب الى الصحيح واختلفوا في عدد الالواح فروي عن ابن عباس انها كانت
سبعة الواح وروي عنه انها لوحان واختاره الفرا قال وانما جمعت على عادة العرب اطلاق الجمع
على الاثنين وقال وهب كانت عشرة الواح وقال مقاتل كانت تسعة وقال الربيع بن انس نزلت
التوراة وهي وقر سبعين بعيرا يقرا الجزء منها في سنة ولم يقراها الا اربعة نفر موسى ويوشع بن نون
وعزير وعيسى عليهم السلام والمراد بقوله لم يقراها يعني لم يحفظها ويقراها عن ظهر قلبه الا هولا
الاربعة وقال الحسن هذه الاية في التوراة بالف اية يعني قوله وكتبنا له في الالواح **من كل شي**
يعني يحتاج اليه من امر ونهي **موعظة** يعني نهيا عن الجهل وحقيقة الموعظة التذكير والتحذير مما
يخاف عاقبته **وتفصيلا لكل شي** يعني وتبيينا لكل شي من الامر والنهي والحلال والحرام والحدود
والاحكام مما يحتاج اليه من امور الدين روى الطبري بسنده عن وهب بن منبه قال كتب له يعني
في التوراة لا تشرك بي شيا من اهل السما ولا من اهل الارض فان كل ذلك خلقي ولا تحلف باسمي كاذبا
فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ووقر والديك وروى البغوي باسناد الثعلبي عن كعب الاحبار
ان موسى عليه السلام نظر في التوراة فقال اني اجد امة خير الامم اخرجت للناس يامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويومنون بالكتاب الاول والكتاب الاخر ويقاتلون اهل الضلالة حتى يقاتلون
الاعور الدجال رب اجعلهم امتي قال هي امة محمد صلى الله عليه وسلم يا موسى فقال رب اني اجد امة
هم الحمادون رعاة الشمس المحكمون اذا ارادوا امرا قالوا نفعل ان شا الله فاجعلهم امتي قال هي امة محمد
قال رب اني اجد امة ياكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكانوا الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار وهم المستجيبون
والمستجاب لهم الشافعون المشفوع لهم فاجعلهم امتي قال هي امة محمد فقال يا رب اني اجد امة اذا
اشرف احدهم على شرف كبر الله واذا هبطوا واديا حمدوا الله الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيث
ما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالما حيث لا يجدون الما غر محجلين من
اثار الوضو فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة اذا هم احدهم بحسنة ولم يعملها كتبت
له حسنة بمثلها وان عملها كتبت بعشر امثالها الى سبعماية ضعف فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال
رب اني اجد امة مرحومة ضعفا يرثون الكتاب الذين اصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم
سابق بالخيرات فلا اجد احدا منهم الا مرحوما فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة مصاحفها
في صدورهم يلبسون ثياب اهل الجنة يصفون في صلاتهم صفوف الملايكة اصواتهم في مساجدهم كدوي
النحل لا يدخل النار احد منهم ابدا الا من يرى الحساب مثل ما يرى الحجر من ورا الشجر فلما عجب موسى من الخير
الذي اعطاه الله محمدا وامته قال يا ليتني من اصحاب محمد فاوحى الله اليه ثلاث ايات يرضيه بهن
يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي الى قوله ساريكم دار الفاسقين ومن قوم موسى
امة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى كل الرضى وقوله تعالى **فخذها بقوة** اي وقلنا لموسى
ان كتبنا له في الالواح من كل شي فخذها بجد واجتهاد وقيل معناه فخذها بقوة قلب وصحة عزيمة ونية صادقة
لان من اخذ شيا بضعف نية اداه الى الفتور **وامر قومك ياخذوا باحسنها** قال ابن عباس يحلوا
حلالها ويحرموا حرامها ويتدبروا امثالها ويعملوا بمحكمها ويقفوا عند متشابهها وكان موسى اشد عبادة
من قومه فامر بما لم يومروا به وقيل ظاهر قوله وامر قومك ياخذوا باحسنها يدل على ان بين التكاليف

فرقا ليكون في هذا الفصل فائدة وهي ان التكليف كان على موسى اشد لانه تعالى لم يرخص له ما رخص
لغيره من قومه فان قلت ظاهر الاية ياخذوا باحسنها يدل على ان فيها ما ليس بحسن وذلك لم يقل به
احد فما معنى قوله ياخذوا باحسنها قلت ان التكليف كله حسن وبعضه احسن كالقصاص حسن
والعفو عنه احسن وكالانتصار حسن والصبر احسن منه فامروا ان ياخذوا بالاشق على انفسهم
ليكون ذلك اعظم في الثواب وهو كقوله اتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وكقوله الذين يستمعون
القول فيتبعون احسنه وقيل ان الحسن يدخل تحت الواجب والمندوب والمباح والاحسن الاخذ
بالاشد والاشق على النفس وقيل معناه باحسنها بحسنها وكلها حسن وقوله تعالى ساريكم دار
الفاسقين وقال مجاهد يعني مصيركم في الاخرة وقال الحسن وعطا يريد جهنم يحذروا ان يكونوا
مثلهم وقال قتادة سادخلكم الشام فاريكم منازل القرون الماضية الذين خالفوا الله لتعتبروا
بها وقال عطية العوفي يعني دار فرعون وقومه وهي مصر وقال السدي يعني منازل الكفار وقال الكلبي
يعني منازل عاد وثمود والقرون الذين اهلكوا فكانوا يمرون عليهم اذا سافروا قوله عز وجل ساصرف
عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال ابن عباس يريد الذين يتجبرون على عبادي
ويحاربون اوليائي ساصرفهم عن قبول اياتي والتصديق بها حتى يؤمنوا بي عوقبوا بحرمان الهداية
لعنادهم الحق وقال سفيان بن عيينة سامنعهم فهم القران وقيل معناه ساصرفهم عن التفكر في خلق
السموات والارض وما فيهما من الايات والعبر وقيل حكم الاية لاهل مصر خاصة واراد بالايات الايات
التسع التي اعطاها الله موسى والاكثرون على ان الاية عامة وفيها دليل لمذهب اهل السنة
على ان الله تعالى يهدي من يشا ويضل من يشا ويصرف عن اياته وقبول الحق من يشا ويوفق للتفكر
في اياته وقبول الحق من يشا لانه القادر على ما يشا لا يسال عما يفعل وهم يسالون ومعنى الذين يتكبرون
انهم يرون انهم افضل الخلق وان لهم من الحق ما ليس لغيرهم والتكبر على هذه الصفة لا يكون الا لله
تعالى لانه هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لاحد سواه فالتكبر في صفة الله عز وجل صفة مدح
وفي صفة المخلوق صفة ذم لانه تكبر بما ليس له ولا يستحقه وقيل التكبر اظهار كبر النفس على غيرها
فهو صفة ذم في حق جميع العباد وقوله يتكبرون من الكبر لا من التكبر اي يتفعلون التكبر ويرون انهم
افضل من غيرهم فلذلك يتكبرون في الارض بغير الحق بل بالباطل وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها
وان يروا سبيل الرشد يعني طريق الحق والهدى والسداد والصواب لا يتخذوه سبيلا يعني
لا يختاروه لانفسهم طريقا يسلكونه الى الهداية وان يروا سبيل الغي يعني طريق الضلالة يتخذوه
سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا يعني ذلك الذي اختاروه لانفسهم من ترك الرشد واتباع الغي بسبب
انهم كذبوا بايات الله الدالة على توحيده وكانوا عنها غافلين يعني عن التفكر فيها والاتعاظ بها
والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة يعني ولقاء الدار الاخرة التي فيها العقاب والثواب حبطت
اعمالهم يعني بطلت وصارت كان لم تكن والمعنى انه قد يكون في الذين يكذبون بايات الله من يعمل
البر والاحسان والخير فبين الله تعالى بهذه الاية ان ذلك لا ينفعهم مع كفرهم وتكذيبهم بايات
الله وانكارهم الدار الاخرة والبعث هل يجزون الا ما كانوا يعملون يعني هل يجزون في العقبى
الا جزاء العمل الذي كانوا يعملونه في الدنيا قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده يعني من بعد انطلاق
موسى الى الجبل لمناجاة ربه من حليهم يعني التي استعاروه من قوم فرعون وذلك ان بني اسرائيل

كان لهم عيد فاستعاروا من القبط الحلي ليتزينوا به في عيدهم فبقي عندهم الى ان اهلك الله فرعون
وقومه فبقي الحلي لبني اسرائيل ملكا لهم فلذلك قال تعالى من حليهم فلما ابطا موسى عليهم جمع السامري
ذلك الحلي وكان رجلا مطاعا في بني اسرائيل فلذلك قال تعالى واتخذ قوم موسى والمتخذ هو واحد
فنسب الفعل الى الكل لانه كان برضاهم فكانهم اجمعوا عليه وكان السامري رجلا صايغا فصاغ لهم
عجلا جسدا من ذلك الحلي وهو الذهب والفضة والقى في ذلك العجل من تراب اثر فرس جبريل فتحول
عجلا جسدا لحما ودما له خوار وهو صوت البقر وهذا قول ابن عباس والحسن وقتادة وجمهور اهل التفسير
وقيل كان جسدا لا روح فيه وكان يسمع منه صوت وقيل ان ذلك الصوت حفيف الريح وذلك
انه جعله مجوفا ووضع في جوفه انابيب على وضع مخصوص فاذا هبت الريح دخلت في تلك الانابيب
يسمع لها صوت كصوت البقرة والقول الاول اصح انه كان يخور وقيل انه خار مرة واحدة وقيل انه
كان يخور كثيرا وكلما خار سجدوا له واذا سكت رفعوا روسهم قال وهب كان يسمع منه الخوار ولا
يتحرك وقال السدي كان يخور ويمشي الم يروا يعني الذين عبدوا العجل قيل ان بني اسرائيل كلهم عبدوا
العجل الا هارون عليه السلام بدليل قوله واتخذ قوم موسى وهذا يفيد العموم وقيل ان بعضهم
عبد العجل وهو الصحيح واجيب عن قوله واتخذ قوم موسى انه خرج على الاغلب وكذا قوله الم يروا انه
يعني العجل الذي عبدوه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا يعني ان هذا العجل لا يمكنه ان يتكلم بجواب ولا
يهدي الى رشد ولا يقدر على ذلك ومن كان كذلك كان جمادا او حيوانا ناقصا عاجزا وعلى كلا
التقديرين لا يصلح لان يعبد اتخذوه وكانوا ظالمين يعني لانفسهم حيث اعرضوا عن عبادة الله
الذي يضر وينفع واشتغلوا بعبادة العجل الذي لا يضر ولا ينفع ولا يتكلم ولا يهديهم الى رشد وصواب
قوله عز وجل ولما سقط في ايديهم يعني ولما ندموا على عبادة العجل تقول العرب لكل نادم على امر
قد سقط في يده وذلك لان من شان من اشتد ندمه على امر ان يعض يده ثم يضرب على فخذه فتصير
يده مسقوطا فيها لان السقوط عبارة عن النزول من اعلا الى اسفل ورأوا انهم قد ضلوا يعني وتبينوا
انهم على الضلالة في عبادتهم العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا يعني يتب علينا ويتجاوز عنا
لنكونن من الخاسرين يعني الذين خسروا انفسهم بوضعهم العبادة في غير موضعها وهذا الكلام من
اعترف بعظيم ما اقدم عليه من الذنب وندم على ما صدر منه ورغب الى الله تعالى في اقالة عثرته
واعترافهم على انفسهم بالخسران ان لم يغفر لهم ربهم ويرحمهم وهذا كلام التايب النادم على ما فرط
منه وانما قالوا ذلك لما رجع موسى عليه السلام وهو قوله تعالى ولما رجع موسى الى قومه غضبان
اسفا يعني ولما رجع موسى من مناجاة ربه الى قومه من بني اسرائيل رجع غضبان اسفا لان الله
كان قد اخبره انه قد فتن قومه وان السامري قد اضلهم فكان موسى في حال رجوعه غضبان
اسفا قال ابو الدرداء الاسف اشد الغضب وقال ابن عباس والسدي الاسف الحزن والاسيف
الحزين والحزن من الغضب فاذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت واذا جاءك ممن هو فوقك
حزنت فتسمى احدى هاتين الحالتين حزنا والاخرى غضبا فعلى هذا كان موسى عليه السلام غضبان
على قومه لاجل عبادتهم العجل اسفا حزينا لان الله فتنهم وان الله تعالى كان قد اعلمه بذلك فحزن
لاجل ذلك قال يعني موسى بئسما خلفتموني من بعدي اي بئس الفعل فعلتم بعدي اي بعد غيبتي عنكم وهذا
الخطاب يحتمل ان يكون لعبدة العجل من السامري واتباعه او لهارون والمؤمنين من بني اسرائيل

فعلى الاحتمال الاول فى انه خطاب لعباد العجل يكون المعنى بئسما خلفتمونى حيث عبدتم العجل وتركتم عبادة
الله وعلى الاحتمال الثانى وهو ان يكون الخطاب لهارون ومن معه من المومنين يكون المعنى بئسما
خلفتمونى حيث لم تمنعوهم من عبادة غير الله وقد رايتم منى الامر بتوحيد الله واخلاص العبادة له ونفى
الشركاء عنه وحمل بنى اسرايل على ذلك ومن حق الخلفا ان يسيروا بسيرة مستخلفيهم وقوله اعجلتم امر
ربكم يعنى العجلة التقدم بالشى قبل وقته ولذلك صارت مذمومة والسرعة غير مذمومة لانها
عمل الشى فى اول وقته ولقايل ان يقول لو كانت العجلة مذمومة لم يقل موسى عليه السلام وعجلت اليك
رب لترضى ومعنى الاية اعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن اعجلتم وعد ربكم الذى وعدكم من
الاربعين وذلك انهم قدروا انه ان لم يات على راس الثلاثين فقد مات وقيل معناه اعجلتم سخط ربكم
بعبادة العجل وقال الكلبى معناه اعجلتم بعبادة العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم ولما ذكر الله ان موسى
رجع الى قومه غضبان ذكر بعده ما اوجبه الغضب فقال تعالى والقى الالواح يعنى التى فيها التورا
وكان حاملا لها فالقاها من شدة الغضب قالت الرواة واصحاب الاخبار كانت التوراة سبعة اسباع
فلما القى موسى الالواح وتكسرت فرفع منها ستة اسباع وبقى سبع واحد فرفع منها ما كان من اخبار الغيب
وبقى ما فيه المواعظ والاحكام والحلال والحرام وروى ان الله تعالى اخبر موسى بفتنة قومه وعرف موسى
ان ما اخبره الله به حق وصدق ومع ذلك لم يلق التوراة من يده فلما رجع الى قومه وعاين ذلك وشاهده
القى التوراة وهذا كما قيل ليس الخبر كالمعاينة واخذ براس اخيه يجره اليه قيل انه اخذ بشعر راسه
ولحيته من شدة غضبه وقال ابن الانبارى لما رجع موسى ووجد قومه مقيمين على المعصية اكبر ذلك
واستعظمه فاقبل على اخيه هارون يلومه ومد يده الى راسه لشدة موجدته عليه اذ لم يلحق به
فيعرفه خبر بنى اسرايل فيرجع وشيكا فاعلمه هارون انه انما اقام بين اظهرهم خوفا على نفسه من القتل
وهو قوله تعالى قال يعنى هارون ابن ام انما قال هارون لموسى ابن ام وان كان لاب وام ليرققه ويستعطفه
عليه ان القوم يعنى الذين عبدوا العجل استضعفونى استذلونى وقهرونى وكادوا يقتلوننى اى وقاربوا
او هموا ان يقتلوننى فلا تشمت بى الاعدا اصل الشماتة الفرح ببلية من يعاديه ويعاديك يقال
شمت فلان بفلان اذا سر بمكروه نزل به والمعنى لا تسر الاعدا بما تنال منى من مكروه ولا تجعلنى مع القوم
الظالمين يعنى الذين عبدوا العجل قال رب اغفر لى يعنى ان موسى عليه السلام لما تبين له عذر اخيه
هارون قال رب اغفر لى ما صنعت الى اخى هارون يريد ما اظهر من الموجدة عليه فى وقت الغضب
ولاخى يعنى واغفر لاخى هارون ان كان وقع منه تقصير فى الانكار على عبدة العجل وادخلنا يعنى جميعا فى رحمتك
يعنى فى سعة رحمتك وانت ارحم الراحمين وهذا فيه دليل على الترغيب فى الدعا لان من هو ارحم الراحمين
يومل منه الرحمة وفيه تقوية لطمع الداعى فى نجاح طلبته ان الذين اتخذوا العجل يعنى الها عبدوه من
دون الله سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا يعنى سينالهم عقوبة من ربهم وهوان
بسبب كفرهم وعبادتهم العجل وذلك فى عاجل الحياة الدنيا ثم للمفسرين فى هذه الاية قولان احدهما
ان المراد بالذين اتخذوا العجل باشروا عبادته وعلى هذا القول ففى الاية سوال وهو ان اولئك
الاقوام الذين اتخذوا العجل تابوا الى الله بقتلهم انفسهم كما امرهم الله فتاب عليهم فكيف ينالهم الغضب
والذلة مع التوبة والجواب ان ذلك الغضب انما حصل لهم فى الدنيا وهو نفس القتل فكان ذلك
القتل غضبا عليهم والمراد بالذلة هو استسلامهم انفسهم للقتل واعترافهم على انفسهم بالضلال

والخطا

والخطا فان قلت السين فى قوله سينالهم للاستقبال فكيف تكون لما مضى قلت هذا الكلام انما
هو خبر عما اخبر الله به موسى عليه السلام حين اخبره بافتنان قومه واتخاذهم العجل ثم اخبره الله
فى ذلك الوقت انه سينالهم غضب من ربهم وذلة فكان هذا الكلام سابقا لوقوعه وهو القتل
الذى امرهم الله به بعد ذلك وقال ابن جريج وان كان له وجه لكن جميع المفسرين على خلاف القول
الثانى ان المراد بالذين اتخذوا العجل اليهود الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قال
ابن عباس هم الذين ادركوا النبى صلى الله عليه وسلم وآباوهم هم الذين عبدوا العجل واراد
بالغضب عذاب الاخرة وبالذلة فى الدنيا الجزية وقال عطية العوفى سينالهم اولاد الذين
عبدوا العجل وهم الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واراد بالغضب والذلة
ما اصاب بنى النضير وبنى قريظة من القتل والجلا وعلى هذا القول ففى تقدير الاية وجهان الاول
ان العرب تعير الابنا بقبايح افعال الابا كما تفعل ذلك فى المناقب فتقول فعلتم كذا وفعلتم كذا
وانما فعل ذلك من مضى من آبايهم فكذلك ها هنا وصف اليهود الذين كانوا فى زمان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بانهم اتخذوا العجل وان كان اباوهم فعلوا ذلك ثم حكم على اليهود الذين كانوا فى
زمنه بانهم سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا الوجه الثانى ان تكون الاية من
باب حذف المضاف والمعنى ان الذين اتخذوا العجل وباشروا عبادته سينال اولادهم ثم حذف
المضاف لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى وكذلك نجزى المفترين يعنى وكما جزينا هولاء الذين
اتخذوا العجل الها كما نجزى كل من افترى على الله كذبا او عبد غيره قال ابو قلابة هى والله جزا كل مفتر
الى يوم القيمة ان يذله الله وقال سفيان بن عيينة هذا فى كل مبتدع الى يوم القيمة وقال مالك
ابن انس ما من مبتدع الا وهو يجد فوق راسه ذلة ثم قرا هذه الاية قال والمبتدع مفتر فى دين الله
والذين عملوا السيات يعنى عملوا الاعمال السيئة ويدخل فى ذلك كل ذنب كبير وصغير حتى الكفر فما دونه
ثم تابوا من بعدها يعنى ثم رجعوا الى الله من بعد عملهم السيئة وامنوا يعنى وصدقوا بالله تعالى
وانه يقبل توبة التايب ويغفر الذنوب ان ربك يا محمد او يا ايها الانسان التايب من بعدها يعنى من بعد
توبتهم لغفور رحيم يعنى انه تعالى يغفر الذنوب ويرحم التايبين وفى الاية دليل على ان السيات
باسرها صغيرها وكبيرها مشتركة فى التوبة وان الله تعالى يغفرها جميعا بفضله ورحمته وتقدير
الاية ان من اتى بجميع السيات ثم تاب الى الله واخلص التوبة فان الله يغفرها له ويقبل توبته
وهذا من اعظم البشاير للمذنبين التايبين قوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب يعنى
سكن لان السكوت اصله الامساك عن الشى ولما كان السكوت بمعنى السكون استعير فى سكوت
الغضب لان الغضب لا يتكلم لكنه لما كان بفورته دالا على ما فى نفس الغضبان كان بمنزلة الناطق
فاذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة السكوت عما كان متكلما به وقيل معناه ولما سكت عن موسى
الغضب فهو من المقلوب كما تقول ادخلت القلنسوة فى راسى والمعنى ادخلت راسى فى القلنسوة
والقول الاول اصح لانه قول اهل اللغة والتفسير اخذ الالواح يعنى التى القاها قال الامام فخر الدين
وظاهر هذا يدل على ان الالواح لم تتكسر ولم يرفع من التوراة شى وفى نسختها النسخ عبارة عن النقل
والتحويل فاذا نسخت كتابا من كتاب حرفا بحرف فقد نسخت ذلك الكتاب فهو نقلك ما فى الاصل الى الفرع
فعلى هذا قيل اراد بها الالواح لانها نسخت من اللوح المحفوظ وقيل اراد بها النسخة المكتتبة من الالواح

الذي اخذها موسى بعد ما تكسرت وقال ابن عباس وعمرو بن دينار لما القى موسى الالواح فتكسرت صام اربعين يوما فردت عليه في لوحين وفيهما ما في الاولى بعينه فتكون نسختها وعلى قول من قال ان الالواح لم تنكسر واخذها موسى بعينها بعد ما القاها يكون معنى وفي نسختها المكتوب فيها **هدى ورحمة** قال ابن عباس يعني هدى من الضلالة ورحمة من العذاب **للذين هم لربهم يرهبون** يعني للخائفين من ربهم قوله عز وجل **واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا** الاختيار افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشي اذا اخذ خيره وخياره والمعنى واختار موسى من قومه فحذف كلمة من وذلك سائغ في العربية لدلالة الكلام عليه قال اصحاب الاخبار ان موسى عليه السلام لختار من كل سبط من قومه ستة نفر فكانوا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال لمن قعد منكم اجر مثل من خرج فقعد يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وقيل انه لم يجد الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشباب عشرا فاختارهم فاصبحوا شيوخا فامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم ذهب بهم الى ميقات ربه واختلف اهل التفسير في ذلك الميقات فقيل انه الميقات الذي كلمه فيه ربه وسال فيه الروية وذلك انه لما خرج الى طور سينا اخذ معه هولا السبعين فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى احاط بالجبل كله ودخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا وسمعوا الله وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل كذا لا تفعل كذا فلما انكشف الغمام اقبلوا على موسى وقالوا لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهي المراد من الرجفة المذكورة في هذه الاية وقال السدي ان الله امر موسى ان ياتيه في ناس من بني اسرايل يعتذرون اليه من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار موسى من قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم الى ميقات ربه ليعتذروا فلما اتوا ذلك المكان قالوا لن نومن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة فانك قد كلمته فارناه فاخذتهم الصاعقة فماتوا فقام موسى يبكي ويدعوا الله ويقول رب ماذا اقول لبني اسرايل اذا اتيتهم وقد اهلكت خيارهم رب لو شيت اهلكتهم من قبل واياي وقال محمد بن اسحق اختار موسى من بني اسرايل سبعين رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه مما صنعتم وسلوه التوبة على ما تركتم من وراكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم فخرج بهم الى طور سينا لميقات وقته له ربه وكان لا ياتيه الا باذن منه وعلم فقال السبعون فيما ذكر لي حين نعلوا ما امرتم به وخرجوا معه للقاء ربه لموسى اطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال افعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى غشي الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا فكان موسى اذا كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من بني ادم ان ينظر اليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ اليه من امره انكشف عن موسى الغمام فاقبل اليهم فقالوا لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعا فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه ويقول رب لو شيت اهلكتهم من قبل واياي وقال ابن عباس كان الله امر موسى ان يختار من قومه سبعين رجلا فاختار سبعين رجلا فبرز بهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا الله ان قالوا اللهم اعطنا ما لم تعطه احدا قبلنا ولا تعطه احدا بعدنا فكره الله ذلك من دعايه فاخذتهم الرجفة قال رب لو شيت اهلكتهم من قبل واياي وقيل انما اخذتهم الرجفة من اجل انهم ادعوا على موسى انه قتل هارون على سريره فتوفاه الله

فلما

فلما رجع موسى الى بني اسرايل قالوا له انت قتلته حسدتنا على خلقه ولينه وكان هارون حسن الخلق محببا في بني اسرايل فقال لهم موسى اختاروا من شيتم فاختاروا سبعين رجلا فلما انتهوا اليه قالوا يا هارون من قتلك قال ما قتلني احد ولكن الله توفاني فاخذتهم الرجفة فجعل موسى يرجع يمينا وشمالا ويقول يا رب لو شيت اهلكتهم من قبل واياي الاية قال فاحياهم الله عز وجل وقيل انما اخذتهم الرجفة لتركهم فراق عبدة العجل لا انهم كانوا من عبدته قال ابن عباس انما تناولتهم الرجفة لانهم لم يزايلوا القوم حين نصبوا العجل وقد كرهوا ان يجامعوهم عليه قال ابن جريج فلما خرجوا الميقاتنا او الميقات الموعد فلما اخذتهم الرجفة بعد ان خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله ويسالونه ان يكشف الله البلا فلم يستجب لهم علم موسى انهم قد اصابوا من المعصية من اصاب قومهم وقال محمد بن كعب القرظي لم يستجب لهم من اجل انهم لم ينهوهم عن المنكر ولم يامروهم بالمعروف فاخذتهم الرجفة فماتوا ثم احياهم الله وقوله تعالى **فلما اخذتهم الرجفة** اصل الرجفة الاضطراب الشديد الذي يحصل معه التغير او الهلاك ولهذا اختلفوا في تلك الرجفة التي حصلت لهولا هل كان معها موت ام لا فمعظم الروايات التي تقدمت انهم ماتوا بسبب تلك الرجفة وقال وهب بن منبه لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما راوا تلك الهيبة اخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا حتى كادت ان تبين مفاصلهم فلما راى موسى ذلك رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا وزراء على الخير سامعين مطيعين فعند ذلك دعا موسى وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة فاطمانوا وسمعوا كلام الله فذلك قوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة **قال** يعني موسى **رب** اي يا رب **لو شيت اهلكتهم من قبل** يعني من قبل عبادتهم العجل **واياي** وذلك انه خاف ان تتهمه بنو اسرايل وذلك انه خاف ان تتهمه بنو اسرايل على السبعين اذا رجع اليهم وماتوا معه ولم يصدقوه بانهم ماتوا فقال رب لو شيت اهلكتهم من قبل يعني من قبل خروجهم الى الميقات واياي معهم فكان بنو اسرايل يعاينون ذلك ولا يتهموني **اتهلكنا بما فعل السفها منا** قال الفراء ظن موسى انهم هلكوا باتخاذ اصحاب العجل العجل فقال اتهلكنا بما فعل السفها منا يعني عبدة العجل وانما هلكوا بسبب مسالتهم الروية وهو قولهم ارنا الله جهرة وهذا قول الكلبي وجماعة وقال جماعة من اهل العلم لا يجوز ان يظن موسى ان الله تعالى يهلك قوما بذنوب غيرهم ولكن اتهلكنا بما فعل السفها منا استفهام بمعنى الجحد اي لست تفعل ذلك وهذا قول ابن الانباري وقال المبرد هذا الاستفهام استعطاف اي لا تهلكنا **ان هي الا فتنتك** قال الواحدي الكناية في هي تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيد والمعنى ان تلك الفتنة التي وقع فيها السفها لم تكن الا فتنتك اي اختيارك وابتلاوك وهذا تاكيد لقوله اتهلكنا بما فعل السفها منا لان معناه لا تهلكنا بفعلهم فان تلك الفتنة كانت اختبارا منك وابتلاء اضللت بها قوما فافتتنوا وهديت قوما فعصمتهم حتى ثبتوا على دينك وهو المراد من قوله تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء قال الواحدي وهذه الاية من الحجج الظاهرة على القدرية التي لا يبقى لهم معها عذر **انت ولينا** يعني انت ربنا ناصرنا وحافظنا وهذا يفيد الحصر اي لا ولي لنا ولا ناصر ولا حافظ الا انت **فاغفر لنا** سال موسى عليه السلام لنفسه ولقومه الغفران اما لنفسه فلقوله ان هي الا فتنتك وهذا فيه اقدام على الحضرة المقدسة واما لقومه فلقولهم ارنا الله جهرة وفي هذا اقدام على الحضرة المقدسة فلهذا السبب سال موسى الغفران له ولقومه **وارحمنا** اي واشملنا

برحمتك التي وسعت كل شي وانت خير الغافرين يعني ان كل من سواك انما يغفر الذنب طلبا للثنا الجميل
اولدفع ضرر واما انت يارب فتغفر ذنوب عبادك لا لطلب عوض ولا غرض بل لمحض الفضل والكرم
فانت خير الغافرين قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة يعني قال موسى
في دعايه واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي واجعلنا ممن كتبت له حسنة وهي ثوابا لاعمال
الصالحة وفي الاخرة اي واكتب لنا في الاخرة مغفرة لذنوبنا انا هدنا اليك قال ابن عباس انا
تبنا اليك وهذا قول جمهور المفسرين واصل الهود الرجوع برفق قال بعضهم وبه سميت اليهود
وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم فلما نسخت شريعتهم صار اسم ذم وهو لازم لهم قال يعني قال
الله عز وجل لموسى عليه السلام عذابي اصيب به من اشا يعني من خلقي وليس لاحد علي اعتراض
لان الكل ملكي وعبيدي ومن تصرف في خالص ملكه فليس لاحد عليه اعتراض ورحمتي وسعت كل شي
يعني ان رحمته سبحانه وتعالى عمت خلقه كلهم وقال بعضهم هذا من العام اريد به الخاص فرحمة
الله عمت البر والفاجر في الدنيا وهي للمومنين خاصة في الاخرة وقيل للمومنين خاصة في الدنيا
والاخرة ولكن الكافر يرزق ويدفع عنه ببركة المومن لسعة رحمة الله فاذا كان يوم القيمة
وجبت للمومنين خاصة قال جماعة من المفسرين لما نزلت ورحمتي وسعت كل شي تطاول ابليس
اليها وقال انا من ذلك الشي فنزعها الله من ابليس فقال تعالى فساكتبها للذين يتقون
ويوتون الزكاة والذين هم باياتنا يومنون فايس ابليس منها وقالت اليهود نحن نتقي ونوتي
الزكاة ونومن بايات ربنا فنزعها الله من اليهود واثبتها لهذه الامة فقال الذين يتبعون
الرسول النبي الامي الاية وقال نوف البكالي لما اختار موسى من قومه سبعين رجلا قال الله لها
اجعل لك الارض مسجدا وطهورا تصلون حيث ادركتم الصلاة الا مرحاض او حمام او قبر واجعل
السكينة في قلوبكم واجعلكم تقرون التوراة عن ظهر قلوبكم يقراها الرجل والمراة والحر والعبد والصغير
والكبير فقال موسى ذلك لقومه فقالوا لا نريد ان نصلي الا في الكنايس ولا نستطيع حمل السكينة
في قلوبنا ولا نستطيع ان نقرا التوراة عن ظهر قلوبنا ولا نريد ان نقراها الا نظرا قال الله تعالى
فساكتبها للذين يتقون الى قوله اولئك هم المفلحون فجعلها الله لهذه الامة فقال موسى رب
اجعلني نبيهم قال نبيهم منهم قال اجعلني منهم قال انك لن تدركهم قال موسى يارب اتيتك بوفد
بني اسرائيل فجعلت وفادتنا لغيرنا فانزل الله ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون
فرضي موسى اما التفسير فقوله الذين يتقون يعني الشرك وساير ما نهوا عنه لان جميع التكاليف
محصورة في نوعين الاول التروك وهي الاشيا التي يجب على الانسان تركها والاحتراز عنها والاتقا منها
واليه الاشارة الذين يتقون والثاني الافعال المامور بها وتلك الاعمال بدنية او قلبية اما
البدنية فاليه الاشارة بقوله ويوتون الزكاة وهذه وان كانت في حق المال لكن يختص البدن
باخراجها والاعمال القلبية فالايمان والمعرفة واليه الاشارة بقوله والذين هم باياتنا يومنون
قوله عز وجل الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه ذكر الامام فخر الدين في معنى هذه
التبعية وجهين احدهما ان المراد بذلك ان يتبعوه باعتقاد نبوته من حيث وجدوا صفته
في التوراة اذ لا يجوز ان لا يتبعوه في شرايعه قبل ان يبعث الى الخلق قال وفي قوله والانجيل ان
المراد وسيجدونه مكتوبا في الانجيل لان من المحال ان يجدوه فيه قبل ما انزل الله الانجيل الوجه

الثاني ان المراد من لحق من بني اسرائيل زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين تعالى ان
هولا اللاحقين لا يكتب لهم رحمة الاخرة الا اذا اتبعوه قال وهذا القول اقرب لان
اتباعه قبل ان يبعث لا يمكن فتبين بهذه الاية ان هذه الرحمة لا يفوز بها من بني اسرائيل
الا من اتقى واتى الزكاة وامن بالايات في زمن موسى ومن كانت هذه صفته في ايام رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان مع ذلك متبعا للنبي صلى الله عليه وسلم في شرايعه فعلى هذين الوجهين يكون
المراد بقوله الذين يتبعون الرسول من بني اسرائيل خاصة وجمهور المفسرين على خلاف ذلك فانهم
قالوا المراد بهم جميع امته الذين امنوا به واتبعوه سوا كان من بني اسرائيل او غيرهم واجمع المفسرون
على ان المراد بقوله الذين يتبعون الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ووصفه بكونه رسولا لانه الواسطة
بين الله وبين خلقه المبلغ رسالاته واوامره ونواهيه وشرايعه اليهم ثم وصفه بكونه نبيا وهذه ايضا
من اعلا المراتب واشرفها وذلك يدل على انه رفيع القدر والدرجة عند الله المخبر عنه ثم وصفه
بالامي قال ابن عباس هو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يكتب ولا يقرا ولا يحسب قال الزجاج
في معنى الامي هو الذي على صفة امة العرب لان العرب اكثرهم لا يكتب ولا يقرا ولا يحسب فالنبي صلى
الله عليه وسلم كان كذلك فلهذا وصفه الله تعالى بكونه اميا وصح في الحديث انه صلى الله عليه وسلم
قال نحن امة امية لا نكتب ولا نحسب قال اهل التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم كان اميا فهو من
اكبر معجزاته واعظمها وبيانه انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذا الكتاب العظيم الذي اعجز الخلايق
فصاحته وبلاغته وكان يقراه عليهم بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولا تغيير
فدل ذلك على معجزته وتقوية قوله تعالى سنقريك فلا تنسى وقيل انه لو كان يحسن الكتابة ثم اتى
بهذا القران العظيم لكان متهما فيه لاحتمال انه كتبه ونقله عن غيره فلما كان اميا واتى بهذا
الكتاب العظيم الذي فيه علم الاولين والاخرين والمغيبات دل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه
وسلم وايضا فان الكتابة تعين الانسان على الاشتغال بالعلوم وتحصيلها ثم انه اتى بهذه
الشريعة الشريفة والاداب الحسنة مع علوم كثيرة وحقايق دقيقة من غير مطالعة كتب ولا اشتغال
على احد دل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الامي الذي هو منسوب الى
امته كانه لم يخرج بعد عن ما ولدته امه وقيل سمي اميا لانه منسوب الى ام القرى وهي مكة وقوله تعالى الذي
يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يعني يجدون صفته ونعته ونبوته مكتوبة عندهم
يعرفها علماوهم واحبارهم ولكنهم كتموا ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم
وقد حصل لهم ما كانوا خافوه فقد زالت رياستهم ووقعوا في الذل والهوان خ عن عطا بن
يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم في التوراة قال اجل انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القران يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ
ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم
به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وشرح غريب
الفاظه الفظ السي الخلق والغليظ الجافي القاسي وقوله سخاب يقال سخاب بالسين والصاد وهو
الكثير الصياح في الاسواق والاعوجاج ضد الاستقامة واراد بالملة العوجا الكفر والقلب الاغلف

الذي لا يصل اليه شيء ينفعه شبهه بالاغلف كانه في غلاف وروى البغوي بسنده عن كعب الاحبار قال
اني اجد في التوراة مكتوبا محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة
ولكن يعفو ويصفح امته الحمادون يحمدون الله في كل منزلة ويكبرونه على كل نجد يأتزرون على
انصافهم ويوضون اطرافهم صفهم في الصلاة وصفهم في القتال سواء مناديهم ينادي في جو السما
لهم في جوف الليل دوي كدوي النحل مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام وقوله يأمرهم
بالمعروف يعني بالايمان وتوحيد الله وينهاهم عن المنكر يعني عن الشرك بالله وقيل المعروف
ما عرف في الشريعة والسنة والمنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة وقال عطا يأمرهم بالمعروف
بخلع الانداد ومكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر عن عبادة الاوثان وقطع
الارحام ويحل لهم الطيبات يعني بذلك ما كان محرما عليهم في التوراة من الطيبات ونحو لحوم
الابل وشحم الغنم والمعز والبقر وقيل هو ما كانوا يحرمونه على انفسهم في الجاهلية من البحاير والسوائب
والوصايل والحامي وقيل هي المستلذات التي تستطيبها الانفس ويحرم عليهم الخبايث قال ابن عباس
يريد الميتة والدم ولحم الخنزير وقيل هو كل ما يستخبثه الطبع وتستقذره النفس فان الاصل في المضار
الحرمة الا ما له دليل متصل بالحل ويضع عنهم اصرهم يعني ثقلهم واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه
اي يحبسه عن الحركة لثقله والمراد بالاصر هنا العهد والميثاق الذي اخذ على بني اسرايل ان يعملوا بما
في التوراة من الاحكام وكانت تلك شديدة والاغلال التي كانت عليهم يعني ويضع الاثقال
والشدايد التي كانت عليهم في الدين والشريعة وذلك مثل قتل النفس في التوراة وقطع الاعضا
الخاطية وقرض النجاسة عن البدن والثوب بالمقاريض وتعيين القصاص في القتل وتحريم اخذ الدية
وترك العمل في السبت وان صلاتهم لا تجوز الا في الكنايس وتتبع العروق من اللحم وغير ذلك من الشدايد
التي كانت على بني اسرايل شبهت بالاغلال مجازا لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل
وقيل شبهت بالاغلال التي تجمع اليد الى العنق كما ان اليد لا تمتد مع وجود الغل فكذلك لا تمتد الى
الحرام التي نهيت عنه وكانت هذه الاثقال في شريعة موسى عليه السلام فلما جا محمد صلى الله عليه
وسلم نسخ ذلك كله ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة فالذين
امنوا به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وعزروه يعني وقروه وعظموه واصل التعزير المنع والنصرة
وتعزير النبي تعظيمه واجلاله ودفع الاعدا عنه ونحو قوله ونصروه يعني على اعدايه واتبعوا النور
الذي انزل معه يعني القران سمي القران نورا لانه به يستنير قلب المومن فيخرج به من ظلمات الشك
والجهالة الى ضيا اليقين والعلم اوليك هم المفلحون يعني هم الناجون الفايزون بالبداير قوله
تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد
للناس اني رسول الله اليكم جميعا لا الى بعضكم دون بعض ففي الاية دليل على عموم رسالته الى
كافة الخلق لان قوله يا ايها الناس خطاب عام يدخل فيه جميع الناس ثم امره الله عز وجل ان
يقول اني رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه مبعوثا الى جميع الناس ق عن جابر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه
خاصا وبعثت الى كل احمر واسود واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة
وطهورا ومسجدا فايما رجل ادركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب على العدو بين يدي

مسيرة شهر واعطيت وفي رواية اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبيا قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر
وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنايم ولم
تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقوله
في الرواية الاولى وبعثت الى كل احمر واسود قيل اراد بالاحمر العجم وبالاسود العرب وقيل اراد بالاحمر
الانس وبالاسود الجن فعلى هذا تكون رسالته صلى الله عليه وسلم عامة الى كافة الخلق من الانس
والجن م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبيا بست اعطيت
جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنايم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى
الخلق كافة وختم بي النبيون وقوله تعالى الذي له ملك السموات والارض لما امر الله عز وجل رسوله
محمدا صلى الله عليه وسلم بان يقول يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا اردفه بما يدل على
صحة دعواه يعني ان الذي له ملك السموات والارض وهو مدبرهما ومالك امرهما هو الذي
ارسلني اليكم وامرني ان اقول لكم اني رسول الله اليكم جميعا لا اله الا هو يحيي ويميت وصف الله
نفسه بالالهية وانه لا شريك له فيهما وانه القادر على احيا خلقه واماتتهم ومن كان كذلك فهو القادر
على ارسال الرسل الى خلقه فامنوا بالله ورسوله لما امر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بان يقول
للناس اني رسول الله اليكم جميعا امر الله جميع خلقه بالايمان به وبرسوله وذلك لان الايمان بالله
هو الاصل والايمان برسوله فرع عليه فلهذا بدا بالايمان بالله ثم ثنى بالايمان برسوله فقال
فامنوا بالله ورسوله ثم وصفه فقال تعالى النبي الامي وتقدم معناهما الذي يومن بالله وكلماته
قال قتادة يعني اياته وقيل القران وقال مجاهد والسدي اراد بكلماته عيسى بن مريم لانه خلق
بقوله كن فكان وقيل هو على العموم يعني يومن بجميع كلمات الله تعالى واتبعوه يعني واقتدوا
به ايها الناس فيما يامركم به او ينهاكم عنه وقيل المتابعة على قسمين متابعة في الاقوال ومتابعة
في الافعال اما المتابعة في الاقوال بان يمتثل المتابع جميع ما يامره به المتبوع على طريقة الامر والنهي
والترغيب والترهيب واما المتابعة في الافعال بان يقتدي به في جميع افعاله وادابه الا ما خص
رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت الدليل انه من خصايصه فلا متابعة فيه وقوله تعالى
لعلكم تهتدون يعني لكي تهتدوا وترشدوا وتصيبوا الحق والصواب في متابعتكم اياه قوله عز
وجل ومن قوم موسى يعني من بني اسرايل امة اي جماعة يهدون بالحق يعني يهتدون بالحق ويستقيمون
عليه ويعملون به ويرشدون اليه وبه يعدلون يعني وبالحق يحكمون وبالعدل ياخذون ويعطون
وينصفون واختلفوا في هولاء من هم فقيل هم الذين اسلموا من بني اسرايل مثل عبد الله بن سلام
واصحابه فانهم امنوا بموسى والتوراة وامنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران واعترض على هذا
بانهم كانوا قليلين ولفظ الاية يقتضي الكثرة واجيب عنه بانهم لما كانوا من المخلصين في الدين جاز
اطلاق لفظ الامة عليهم كما في قوله ان ابراهيم كان امة وقيل هم قوم بقوا على الدين الحق الذي جا به
موسى عليه السلام قبل التحريف والتبديل ودعوا الناس اليه وقال السدي وابن جريج وجماعة
من المفسرين ان بني اسرايل لما قتلوا انبياهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرا سبط منهم مما
صنعوا واعتذروا وسالوا الله ان يفرق بينهم وان يبعدهم عنهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا
فيه حتى خرجوا من ورا الصين فهم هناك حنفا مسلمون مستقبلون قبلتنا قال ابن جريج قال ابن

عباس ساروا في السرب سنة ونصف رواه الطبري وحكى البغوي عن الكلبي والضحاك والربيع قالوا
هم قوم خلف الصين باقصى الشرق على نهر يجري الرمل يسمى نهر اردان ليس لاحد منهم مال دون صاحبه
يمطرون بالليل ويصحون بالنهار ويزرعون ولا يصل اليهم احد منا وهم على الحق وذكر لنا ان جبريل ذهب
بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا
محمد النبي الامي فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا ان من ادرك منكم احمد فليقرا مني عليه
السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على موسى وعليهم السلام واقراهم عشر سور من القران
نزلت عليه بمكة وامرهم بالصلاة والزكاة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا
ويتركوا السبت وهذه الحكاية ضعيفة من وجوه الاول قولهم ان احدا منا لا يصل اليهم واذا كان
الامر كذلك فمن الذي اوصل خبرهم الينا الوجه الثاني قولهم ان جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه
وسلم اليهم ليلة اسري به وهذا لم يرد بنقل صحيح ولا رواه احد من ايمة الحديث ولا يلتفت الى
قول الاخباريين والقصاص في ذلك الوجه الثالث قولهم انهم تبلغوا النبي صلى الله عليه وسلم
سلام موسى وقد صح في حديث المعراج انه سلم عليه في السما السادسة وايضا قولهم اقراهم عشر
سور وقد نزل عليه بمكة اكثر من ذلك وكان فرض الزكاة بالمدينة فكيف يامرهم بها قبل فريضتها
فاذا ثبت بما ذكرناه بطلان هذه الرواية فالمختار في تفسير هذه الاية انها اما ان تكون نزلت
في قوم كانوا متمسكين بدين موسى قبل التبديل والتغيير ثم ماتوا وهم على ذلك واما ان تكون قد نزلت
في من اسلم من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله واصحابه والله اعلم بمراده
قوله وقطعناهم يعني وفرقنا بني اسرايل اثنتي عشرة اسباطا يعني من اولاد يعقوب لان يعقوب
هو اسرايل واولاده الاسباط وكانوا اثني عشر ولدا امما يعني جماعات وقبايل واوحينا الى موسى
اذ استسقاه قومه يعني في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست يعني انفجرت وقيل عرقت
وبدا الانبجاس منه اي من الحجر اثنتا عشرة عينا يعني لكل سبط عين قد علم كل اناس مشربهم يعني
لا يدخل سبط على سبط في مشربهم وظللنا عليهم الغمام يعني في التيه تقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم
المن يعني الترنجبين والسلوى جنس من الطير جعل الله عز وجل ذلك طعاما لهم في التيه كلوا من
طيبات ما رزقناكم اي وقلنا كلوا وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون في الكلام حذف ترك ذكره
للاستغنا عنه ودلالة الكلام عليه تقديره كلوا من طيبات ما رزقناكم فاجمعوا ذلك وسئموه وقالوا
لن نصبر على طعام واحد وسالوا غيره لان المكلف اذا امر بشي فتركه وعدل عنه الى غيره يكون عاصيا
بفعله ذلك فلهذا قال وما ظلمونا يعني وما ادخلوا علينا في ملكنا وسلطاننا نقصا بمسالتهم ما
سالوه ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني بمخالفتهم ما امروا به وقد تقدم بسط على تفسير هذه الاية
في سورة البقرة وقوله تعالى واذ قيل لهم اي واذكر يا محمد لقومك اذ قيل لهم يعني لبني اسرايل اسكنوا هذه
القرية يعني بيت المقدس وقال في سورة البقرة ادخلوا هذه القرية ولا منافاة بينهما لان كل ساكن
في موضع لا بد له من الدخول اليه وكلوا منها حيث شيتم يعني وكلوا من ثمار القرية وزروعها وحبوبها
وبقولها حيث شيتم واين شيتم قال في البقرة فكلوا بالفا وهنا بالواو والفرق بينهما ان الدخول
حالة مقتضية للاكل عقيب الدخول فحسن دخول الفا التي هي للتعقيب ولما كانت السكنى حالة استمرار
حسن دخول الواو عقيب السكنى فيكون الاكل حاصلا متى شاوا ولهذا قال في سورة البقرة رغدا ولم يقله

هنا

هنا لان الاكل عقيب الدخول الذ واكمل فاما الاكل مع السكنى والاستمرار فليس كذلك فحسن دخول لفظ
رغدا هناك بخلاف هنا وقولوا حطة اي حط عنا ذنوبنا وادخلوا الباب سجدا وقال في سورة البقرة
عكس هذا اللفظ ولا منافاة في ذلك لان المقصود من ذلك تعظيم امر الله واظهار الخضوع والخشوع
له فلم يتفاوت الحال بحسب التقديم والتاخير نغفر لكم خطاياكم يعني نغفر لكم ذنوبكم ولا نواخذكم بها وانما
قال هنا خطيئاتكم وفي البقرة خطاياكم لان المقصود غفران ذنوبهم سوا كانت قليلة او كثيرة اذا اتوا
بالدعا والتضرع سنزيد المحسنين وقال في سورة البقرة وسنزيد بالواو ومعناه انه وعد بشيين
بالغفران وبالزيادة للمحسنين من الثواب واسقاط الواو لا يخل بذلك المعنى لانه استينا فمرتب
على تقدير قول القايل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا قولا غير
الذي قيل لهم يعني فغير الذين ظلموا انفسهم بمخالفة امرنا من بني اسرايل فقالوا غير الذي قيل لهم
وامروا به وذلك انهم امروا ان يقولوا حطة فقالوا حنطة في شعيرة فكان ذلك تبديلهم وتغييرهم فارسلنا
عليهم رجزا من السما يعني بعثنا عليهم من السما عذابا اهلكهم ولا منافاة بين قوله هنا ارسلنا وبين قوله
في البقرة انزلنا لانهما لا يكونان الا من اعلا الى اسفل وقيل بينهما فرق وهو ان الانزال لا يشعر بالكثرة والارسال
يشعر بذلك فكانه تعالى بدا بانزال العذاب قليلا ثم ارسله عليهم كثيرا بما كانوا يظلمون يعني ان ارسال
العذاب عليهم بسبب ظلمهم ومخالفتهم امر الله وقال في البقرة بما كانوا يفسقون والجمع بينهما انهم لما
ظلموا انفسهم بما غيروا وبدلوا فسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله تعالى وقد تقدمت هذه القصة
ايضا في تفسير سورة البقرة قوله عز وجل واسالهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم اي سل يا محمد هولا اليهود الذين هم جيرانك عن حال اهل القرية وهذا
السوال سوال توبيخ وتقريع لا سوال استعلام لانه صلى الله عليه وسلم كان قد علم حال هذه
القرية بوحي الله عز وجل اليه واخباره اياه حالهم وانما المقصود من هذا السوال تقريرا عند
اليهود واقدامهم على الكفر والمعاصي قديما وان اصرارهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وانكار
نبوته ومعجزاته ليس شيا قد حدث الان في زمانه بل اصرارهم على الكفر كان حاصلا في اسلافهم في قديم
الزمان وفي الاخبار بهذه القصة معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا لم يقرا الكتب
القديمة ولم يعرف اخبار الاولين ثم اخبرهم بما جرى لاسلافهم في قديم الزمان وانهم بسبب مخالفتهم
امر الله عز وجل مسخوا قردة واختلفوا في هذه القرية فقال ابن عباس هي ايلة بين مصر والمدينة
والعرب تسمي المدينة قرية وقال الزهري هي طبرية الشام وفي رواية عن ابن عباس قال هي مدين
وقال وهب هي مقنا بين مدين وعينونا التي كانت حاضرة البحر يعني عند القرية التي كانت على
ساحل البحر وقريبة منه اذ يعدون في السبت يعني يتجاوزون حد الله فيه وما امرهم به من تعظيمه
فخالفوا امر الله وصادوا فيه السمك اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا يعني ظاهرة على الماء كثيرة
وقال الضحاك تاتيهم متتابعة يتبع بعضها بعضا وقيل كانت تاتيهم يوم السبت مثل الكباش السمان
البيض ويوم لا يسبتون لا تاتيهم يعني الحيتان كذلك نبلوهم يعني مثل الاختبار الشديد يختبرهم
ونحن اعلم بحالهم بما كانوا يفسقون يعني ان ذلك الابتلا والاختبار بسبب فسقهم وخروجهم عن
طاعة الله وما امروا به قال اهل التفسير ان اليهود امروا بيوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت
فابتلوا به وهو ان الله امرهم بتعظيمه ونهاهم عن العمل فيه وحرم عليهم فيه الصيد فلما اراد الله ان

يبتليهم كانت الحيتان تظهر لهم في يوم السبت ينظرون اليها في البحر فاذا انقضى السبت ذهبت فلم تر الى
السبت المقبل بلاء ابتلوا به فوسوس اليهم الشيطان وقال ان الله لم ينهكم عن الاصطياد انما نهاكم عن
الاكل فاصطادوا وقيل انه وسوس اليهم انكم انما نهيتم عن الاخذ فاتخذوا حياضا على ساحل البحر وسوقوا
اليه الحيتان يوم السبت فاذا كان يوم الاحد خذوها ففعلوا ذلك زمانا ثم انهم تجرؤوا على السبت
وقالوا ما نرى السبت الا قد حل لنا فاصطادوا واكلوا وباعوا فصار اهل القرية احزابا ثلاثا وكانوا
نحو من سبعين الفا فثلث نهوا عن الاصطياد وثلث سكتوا ولم ينهوا وقالوا للناهين لم تعظون قوما
الله مهلكهم وثلث هم اصحاب الخطيئة الذين خالفوا امر الله واصطادوا وباعوا واكلوا فلما لم ينتهوا
عما هم فيه من المعصية قال الناهون لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار للناهين
باب يدخلون ويخرجون به وللعاصين باب ولعنهم داود عليه السلام وكانوا في زمنه فاصبح الناهون
ذات يوم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم شانا لعل الخمر قد غلبتهم فعلوا على الجدار الذي بينهم
فاذا انهم قد مسخوا قردة ففتحوا عليهم الباب ودخلوا عليهم فصارت القردة يعرفون انسابهم من
الناس ولم يعرف الناس انسابهم من القردة فجعلت القردة تاتي انسابها من الناس فتشم ثيابهم فيقول
لهم اهلوهم الم ننهكم فتقول القردة برأسها نعم فنجا الناهون وهلك سائرهم فذلك قوله تعالى
واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم واختلفوا في القائلين هذه المقالة فقال بعض
المفسرين ان اهل القرية افترقوا ثلاث فرق فرقة اعتدت واصابت الخطيئة وفرقة نهتهم عن ذلك
الفعل وفرقة امسكت عن الصيد وسكتت عن موعظة المعتدين وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله
مهلكهم **او معذبهم عذابا شديدا** يعني انهم لاموهم على موعظة قوم يعلمون انهم غير متعظين ولا منزجرين
فقالت الفرقة الناهية للذين لاموهم **قالوا معذرة الى ربكم** يعني ان موعظتنا اياهم معذرة الى ربكم
لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب علينا فموعظتنا لهم لنا عذر عند الله **ولعلهم يتقون** اي
وجائز عندنا ان ينتفعوا بالموعظة فيتقوا الله ويتركوا ما هم فيه من الصيد وقال بعضهم ان اهل
القرية كانوا فرقتين فرقة نهت وزجرت عن السوء وفرقة عملت بالسوء فعلى هذا يكون الذين
قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم الفرقة المعتدية وذلك ان الفرقة الناهية قالوا للفرقة المعتدية
انتهوا قبل ان ينزل بكم عذاب شديد ان لم تنتهوا عما انتم فيه فقالت لهم الفرقة المعتدية لم تعظون قوما
الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا والمعنى فلم تعظوننا وقد علمتم ان الله مهلكنا او منزل بنا عذابه
والقول الاول اصح لانهم لو كانوا فرقتين لكان قولهم معذرة الى ربكم خطابا من الناهية للمعتدين وقوله
تعالى **فلما نسوا ما ذكروا به** اي فلما تركوا ما وعظوا به **انجينا الذين ينهون عن السوء** يعني الفرقة الناهية
واخذنا الذين ظلموا يعني الفرقة المعتدية العاصية **بعذاب بئيس** اي شديد وجيع من الباس
وهو الشدة **بما كانوا يفسقون** يعني انما اخذناهم بالعذاب بسبب فسقهم واعتدائهم وخروجهم عن
طاعتنا روى عكرمة عن ابن عباس قال اسمع الله عز وجل يقول انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا
الذين ظلموا بعذاب بئيس فلا ادري ما فعلت الفرقة الساكتة وجعل يبكي قال عكرمة فقلت له
جعلني الله فداك الا تراهم قد انكروا وكرهوا ما هم عليه وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وان لم
يقل الله انجيتهم لم يقل اهلكتهم قال فاعجبه قولي ورضي به وامر لي ببردين فكسانيهما وقال نجت
الساكتة وقال يمان بن رياب نجت الطائفتان الذين قالوا لم تعظون والذين قالوا معذرة

واهلك

واهلك الله الذين اخذوا الحيتان وهذا قول الحسن وقال ابن زيد نجت الناهية وهلكت الفرقتان
وهذه اشد اية في ترك النهي عن المنكر وقوله تعالى **فلما عتوا عما نهوا عنه** قال ابن عباس ابوا ان
يرجعوا عن المعصية والعتو عبارة عن الاباء والعصيان فلما عتوا عن ترك ما نهوا عنه وتمردوا
في العصيان من اعتدائهم في السبت واستحلالهم ما حرم الله عليهم من صيد السمك في يوم السبت
واكله **قلنا لهم كونوا قردة خاسئين** يعني صاغرين مبعدين من كل خير قال قتادة لما عتوا عما نهوا عنه
مسخهم فصيرهم قردة تتعاوى بعدما كانوا رجالا ونساء وقال ابن عباس جعل الله منهم القردة والخنازير
فزعم ان شباب القوم صاروا قردة وان الشيخة صاروا خنازير وقيل انهم بقوا ثلاثة ايام ينظر الناس
اليهم ثم هلكوا جميعا قوله تعالى **واذ تاذن ربك** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ومعنى تاذن
اذن والايذان الاعلام يعني اعلم ربك وقيل معناه قال ربك وقيل حكم ربك وقيل تالى ربك بمعنى
اقسم ربك لان اللام في قوله ليبعثن جواب القسم لان قوله واذ تاذن جار مجرى القسم لكونه جزما وجواب
القسم ليبعثن عليهم واختلفوا في الضمير عليهم الى من يرجع فقيل يقتضي ان يكون راجعا الى قوله فلما عتوا
عما نهوا قلنا لهم كونوا قردة خاسئين لكن قد علم ان الذين مسخوا لم يبق منهم احد فيحتمل ان يكون المراد الذين
بقوا منهم فالحق الذم بهم وقيل بان المراد سائر اليهود من تقدم منهم لان الذين بقوا من اهل القرية كانوا صالحين
والذين بعثه الله على اليهود بختنصر وسنحاريب وملوك الروم فساموهم سوء العذاب وقيل
المراد بقوله ليبعثن عليهم اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي بعثه الله
عليهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته فالزم من لم يسلم منهم الصغار والذلة والجزية لازمة
لليهود الى يوم القيمة واورد على هذا بان في اخر الزمان يكون لهم عزة وذلك عند خروج الدجال لان
اليهود اتباعه واشياعه واجيب عنه بان ذلك العز الذي يحصل لهم هو في نفسه غاية الذلة لانهم يدعون
الالهية للدجال فيزدادون كفرا الى كفرهم فاذا هلك الدجال اهلكهم المسلمون وقتلوهم جميعا فذلك
سوء الذلة والصغار المشار اليه بقوله **ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب** وهذا
نص في ان هذا العذاب انما يحصل لهم في الدنيا مستمرا عليهم الى يوم القيمة ولهذا فسر هذا العذاب بالاهانة
والذلة واخذ الجزية منهم فاذا افضوا الى الاخرة كان عذابهم اشد واعظم وقوله تعالى **ان ربك
لسريع العقاب** يعني لمن اقام على الكفر ففيه دليل على انه يجمع لهم مع ذلة الدنيا عذاب الاخرة فيكون
العذاب مستمرا عليهم في الدنيا والاخرة ثم ختم الاية بقوله تعالى **وانه لغفور رحيم** يعني لمن امن منهم ورجع
عن الكفر واليهودية ودخل في دين الاسلام قوله عز وجل **وقطعناهم في الارض امما** يعني وفرقنا بني اسرائيل
في الارض جماعات متفرقة فلا تجد بلدا الا وفيه من اليهودية طائفة وجماعة قال ابن عباس في كل ارض
يدخلها قوم من اليهود **منهم الصالحون** يعني من هؤلاء الذين وصفهم الله من بني اسرائيل صالحون وهم من
امن بالله ورسوله وثبت على دينه قبل مبعث عيسى عليه السلام وانما وصفهم بذلك قبل ارتدادهم عن
دينهم وكفرهم بربهم ذكره الطبري فلم يذكر غيره وروى البغوي وغيره من المفسرين عن ابن عباس ومجاهد
ان المراد بالصالحين الذين ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وامنوا به والصحيح ما ذكره الطبري
يدل عليه قوله بعده فخلف من بعدهم خلف والخلف انما كان بعد هؤلاء الذين وصفهم بالصلاح من بني اسرائيل
ومنهم دون ذلك يعني الذين كفروا من بني اسرائيل وبدلوا وغيروا **وبلوناهم** يعني جميعا الصالح وغيره ومعنى
بلوناهم اختبرناهم وامتحناهم **بالحسنات** يعني الخصب والعافية **والسيئات** يعني الجدب والشدة **لعلهم يرجعون** يعني

لكي يرجعون الى طاعة ربهم ويتوبون اليه قال اهل المعاني كل واحد من الحسنات والسيئات اذا فسرنا بالنعم والشدة تدعوا الى طاعة الله تعالى اما النعمة فيزداد عليها شكرا فيرغب في الطاعة واما الشدة فيخاف سوء عاقبتها فيرهب منها قوله تعالى **فخلف من بعدهم** يعني من بعد هولاء الذين وصفناهم **خلف** يعني خلف سوء يعني حدث من بعدهم وتبدل منهم بدل سوء يقال منه سوء خلف صدق بفتح اللام وخلف سوء بسكونها فاكثر ما يقال بالمدح بفتح اللام وفي الذم بسكونها وقد تحرك في الذم وتسكن في المدح قال حسان بن ثابت في المدح • لنا القدم الاولى اليك وخلفنا • لاولنا في طاعة الله تابع •
فسكن اللام في قوله وخلفنا وهو يريد المدح وقال لبيد في الذم
• ذهب الذين يعاش في اكنافهم • وبقيت في خلف كجلد الاجرب •
فسكن اللام وهو يريد الذم واصله من الفساد يقال خلف اللبن اذا فسد وتغير في السقاء ويقال للردى من القول خلف وخلف الشي تغير ومنه خلوف فم الصايم والمعنى جاء من بعد هولاء الذين وصفناهم خلف والخلف القرن الذي يجي بعد قرن كان قبله **ورثوا الكتاب** يعني انتقل اليهم الكتاب عن ابايهم والمراد بالكتاب التوراة **ياخذون عرض هذا الادنى** العرض بالفتح جميع متاع الدنيا كما يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر والعرض بسكون الرا جميع المال سوا الدراهم والدنانير والمعنى انهم كانوا ياخذون الرشى في الاحكام وعلى تبديل الكلام وتغيره وذلك الذي ياخذونه من حكام الدنيا هو الشي التافه الخسيس والحقير لان الدنيا باسرها فانية حقيرة والراغب فيها احقر منها فان اليهود ورثوا التوراة وعلموا ما فيها وضيعوا العمل بما فيها وتركوه واخذوا الرشى في الاحكام ويعلمون انه حرام ثم انهم مع اقدامهم على هذا الذنب العظيم واصرارهم عليه **يقولون سيغفر لنا** يعني ذنوبنا فيتمنون على الله الاماني الباطلة الكاذبة عن شداد بن اوس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله اخرجه الترمذي وقال في قوله صلى الله عليه وسلم دان نفسه حاسبها في الدنيا قبل ان يحاسب يوم القيمة وموضع الاستشهاد من الحديث على الاية قوله وتمنى على الله لان اليهود كانوا يقدمون على الذنوب ويقولون سيغفر لنا وهذا هو التمني بعينه وقوله تعالى **وان ياتهم عرض مثله ياخذوه** وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب والمعنى انهم اذا اتاهم شي من الدنيا اخذوه حلالا كان او حراما ويتمنون على الله المغفرة وان وجدوا من الغد مثله اخذوه قال السدي كانت بنو اسرايل لا يستقضون قاضيا الا ارتشى في الحكم فيقال له ما لك ترتشي فيقول سيغفر لي فيطعن عليه الاخرون فاذا مات او نزع من الحكم وجعل مكانه اخر ممن كان يطعن عليه ارتشى ايضا يقول الله عز وجل وان ياتي الاخرين عرض الدنيا ياخذوه **الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب** يعني الم يوخذ على هولاء المرتشين في احكامهم العهود والمواثيق في الكتاب وهو التوراة **ان لا يقولوا على الله الا الحق** يعني انا اخذنا عليهم الميثاق على ان يقولوا الحق فقالوا الباطل وخالفوا امر الله وهو قولهم سيغفر لنا والمراد من هذا التوبيخ والتقريع لليهود في ادعايهم على الله الباطل قال ابن عباس هو ما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها **ودرسوا ما فيه** يعني ما في الكتاب لانهم دارسون له لم يتركوه ولكن درسوه وضيعوا العمل **والدار الاخرة** يعني وما في الدار الاخرة مما اعد الله لاوليايه واهل طاعته العاملين بما امرهم الله به في كتابه ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يرتشوا في الاحكام **خير للذين يتقون** يعني يتقون الله ويخافون عقابه **افلا يعقلون** يعني

افلا يعقل هولاء الذين يرضون بعرض الدنيا ان ما في الاخرة خير وابقى لانها دار المتقين **والذين يمسكون بالكتاب** يقال مسكت بالشي وتمسكت به واستمسكت به وامتسكت به والمراد بالتمسك بالكتاب العمل بما فيه واحلال حلاله وتحريم حرامه واقامة حدوده والتمسك باحكامه نزلت هذه الاية في حق الذين اسلموا من اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه لانهم تمسكوا بالكتاب الاول ولم يحرفوه ولم يغيروه فادائهم ذلك التمسك الى الايمان بالكتاب الثاني وهو القران **واقاموا الصلاة** يعني وداوموا على اقامتها في مواقيتها وانما افردها بالذكر وان كانت الصلاة داخلة في التمسك بالكتاب تنبيها على عظم قدرها وانها من اعظم العبادات بعد الايمان بالله وبرسوله **انا لا نضيع اجر المصلحين** قوله عز وجل **واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة** يعني واذكر يا محمد اذ قلعنا الجبل فرفعناه فوق بني اسرايل كانه ظلة يعني جعلناه فوقهم كالظلة والظلة كلما علا الانسان كالسقف ونحوه **وظنوا** يعني وعلموا وايقنوا **انه واقع بهم** يعني الجبل **خذوا** يعني وقلنا لهم خذوا واوا ضمار القول كثير في القران وكلام العرب **ما اتيناكم** يعني التوراة **بقوة** يعني بجد واجتهاد **واذكروا ما فيه** يعني واعملوا بما فيه من الاحكام **لعلكم تتقون** قال اصحاب الاخبار ان بني اسرايل لما ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لما فيها من التكاليف الشاقة امر الله جبريل فرفع جبلا عظيما حتى صار على روسهم كالظلة فلما نظروا الى الجبل فوق روسهم خروا ساجدين فسجد كل واحد على خده وحاجبه الايسر وجعل ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوفا ان يسقط عليه ولذلك لا يسجد اليهود الا على شق وجوههم اليسرى قوله تعالى **واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى** الاية عن مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب سيل عن قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم الاية قال سيل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق ادم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هولاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هولاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله النار اخرجه مالك في الموطا وابو داود والترمذي وقال حديث حسن ومسلم ابن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم في هذا الاسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلا قلت ذكر الطبري في بعض طرق هذا الحديث الرجل فقال عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله ادم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيمة وجعل على عيني كل انسان وبيصا من نور ثم عرضهم على ادم فقال اي رب من هولاء قال هولاء ذريتك فراى رجلا منهم فاعجبه وبيص ما بين عينيه فقال يا رب من هذا قال داود قال رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال يا رب زده من عمري اربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انقضى عمر ادم الا الاربعين جاءه ملك الموت فقال ادم اولم يبق من عمري اربعون سنة قال اولم تعطها لابنك داود فجحد ادم فجحدت ذريته ونسي ادم فاكل من الشجرة فنسيت ذريته وخطي فخطيت ذريته اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فاما تفسير الاية فقوله تعالى واذ اخذ ربك يعني واذكر يا محمد اذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم يعني من ظهور بني ادم وانما لم يذكر ظهر ادم وان كان الله اخرج جميع

الذرية من ظهره لان الله تعالى اخرج ذرية ادم بعضهم من ظهر بعض على نحو ما يتوالد الابناء من الاباء
فلذلك قال تعالى من بني ادم من ظهورهم فاستغنى عن ذكر ظهر ادم عليه السلام لما علم انهم كلهم بنوا
ادم واخرجوا من ظهره فترك ذكر ظهر ادم استغناء ثم للعلماء في تفسير هذه الاية مذهبان احدهما
وهو مذهب اهل التفسير والاثر ظاهر ما جاءت به الروايات عن السلف فيما روي عن ابن عباس من
طرق كثيرة وروايات مختلفة رواها عنه الطبري باسانيده فمنها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اخذ الله الميثاق من ظهر ادم بنعمان يعني عرفة فاخرج من صلبه
كل ذرية ذراها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا وقال الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان
تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وعن ابن عباس في هذه الاية قال مسح ربكم ظهر ادم
فخرجت كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة بنعمان هذا الذي وراء عرفة واخذ ميثاقهم الست بربكم
قالوا بلى شهدنا وعن ابن عباس ايضا قال ان اول ما اهبط الله ادم الى الارض اهبطه بدهنا
ارض الهند فمسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو بارئها الى يوم القيمة ثم اخذ عليهم الميثاق واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين زاد في رواية
عنه فجف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة وفي رواية عنه قال لما خلق الله ادم اخذ ميثاقه انه ربه وكتب رزقه
واجله ومصايبه واستخرج ذريته كالذر وكتب اجالهم وارزاقهم ومصايبهم وفي رواية عنه قال ان الله
عز وجل مسح صلب ادم فاستخرج كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة فاخذ منهم الميثاق ان يعبدوه ولا يشركوا
به شيا وتكفل لهم بالارزاق ثم اعادهم في صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد كل من اعطا الميثاق يومئذ فمن
ادرك منهم الميثاق الاخر فوفى به نفعه الميثاق الاول ومن ادرك الميثاق الاخر فلم يف به لم ينفعه الاول ومن مات
صغيرا قبل ان يدرك الميثاق الاخر مات على الميثاق الاول على الفطرة وروى الطبري بسنده عن عبد الله
ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذوا من ظهره كما يوخذ من المشط من الراس فقال لهم
الست بربكم قالوا بلى قالت الملايكة شهدنا ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وقال
ابن عباس اخرج ذرية ادم من ظهره فكلمهم الله وانطقهم فقال الست بربكم قالوا بلى ثم اعادها في صلبه
فليس احد من الخلق الا وقد تكلم فقال ربي الله وان القيمة لن تقوم حتى يولد من كان يومئذ اشهد
على نفسه وقال السدي اخرج الله ادم من الجنة ولم يهبطه من السماء ثم انه مسح صفحة ظهره اليمنى فاخرج
منه كهيئة الذر بيضا فقال ادخلوا الجنة برحمتي ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منه كهيئة الذر سودا
فقال ادخلوا النار ولا ابالي فذلك حين يقول اصحاب اليمين واصحاب الشمال ثم اخذ منهم الميثاق
فقال الست بربكم قالوا بلى فاعطاه طايفة طايعين وطايفة كارهين على وجه التقية زاد في رواية
وذلك حين يقول وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها وقال محمد بن كعب القرظي اقروا له بالايمان
والمعرفة الارواح قبل خلق اجسادها وقال مقاتل مسح صفحة ظهر ادم اليمنى فاخرج منها ذرية بيضا
كهيئة الذر يتحركون ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منها ذرية سودا كهيئة الذر يتحركون فقال يا ادم
هولاء ذريتك ثم قال لهم الست بربكم قالوا فقال للبيض هولاء في الجنة برحمتي وهم اصحاب اليمين وقال
للسود هولاء في النار ولا ابالي وهم اصحاب الشمال ثم اعادهم جميعا في صلب ادم فاهل القبور محبوسون
حتى يخرج اهل الميثاق جميعا وروي ان الله تعالى قال لهم جميعا اعلموا انه لا اله لكم غيري وانا ربكم لا رب
لكم غيري فلا تشركوا بي شيا فاني سانتقم ممن اشرك بي ولم يومن بي واني مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاقي

ومنزل عليكم كتابا فتكلموا جميعا وقالوا شهدنا انك ربنا لا رب لنا غيرك فاخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب
اجالهم وارزاقهم ومصايبهم فنظر اليهم ادم عليه السلام فراى منهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون
ذلك فقال رب هلا سويت بينهم فقال اني احب ان اشكر فلما قررهم بتوحيده واشهد بعضهم على بعض
اعادهم الى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من اخذ منه الميثاق قال الزجاج وجايز ان يكون الله
تعالى جعل لامثال الذر عقلا وفهما تعقل به كما قال في النملة قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم
وكما قال وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وقال ابن الانباري مذهب اصحاب
الحديث وكبرا اهل العلم في هذه الاية ان الله تعالى اخرج ذرية ادم من صلبه واصلاب اولاده وهم
صور الذر واخذ عليهم الميثاق انه خالقهم وانهم مصنوعه فاعترفوا بذلك وقبلوه وذلك بعد ان
ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبال عقولا حتى خوطبوا بقوله يا جبال اوبي معه
وكما جعل للبعير عقلا حتى سجد للنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك للشجرة حتى سمعت لامره وانقادت
ومعنى قوله الست بربكم على هذا التفسير قال الله للذرية الست بربكم فهو ايجاب للربوبية عليهم
قالوا بلى يعني قالت الذرية بلى انت ربنا فهو جواب منهم له واقرار منهم بالربوبية واعتراف على انفسهم
بالعبودية وفي قوله قولان احدهما انهم لما اقروا له بالربوبية قال الله عز وجل للملايكة اشهدوا قالوا
شهدنا على اقرارهم فعلى هذا القول يحسن الوقف على قوله تعالى بلى لان كلام الذرية تم وانقطع وقوله
شهدنا كلام مستانف والقول الثاني ان قوله شهدنا من كلام الذرية والمعنى شهدنا على انفسنا
بهذا الاقرار وعلى هذا لا يحسن الوقف على بلى لتعلقه بما بعده وقوله تعالى ان يقولوا قرى بالتا على
خطاب الذرية معناه لئلا تقولوا يا ايها الذرية يوم القيمة انا كنا عن هذا يعني الميثاق غافلين وقري
بالياء على الغيبة ومعناه لئلا يقولوا اي الذرية انا كنا عن هذا غافلين والمذهب الثاني في معنى هذه
الاية وهو مذهب اهل الكلام والنظر انه تعالى اخرج الذرية وانشاهم بعد ان كانوا نطفا في اصلاب
الاباء وهم اولاد بني ادم فاخرج الذرية الى الدنيا على ترتيبهم في الوجود واشهدهم على انفسهم بما ركب
فيهم من العقول واراهم من عجايب خلقه وغرايب صنعه ودلايل وحدانيته فبهذا الاشهاد صاروا كانهم قالوا
بلى واشهدهم على انفسهم انه لهم وذلك بما ظهر لهم من دلايل اياته وبراهينه التي تضطرهم الى ان
يعلموا انه خالقهم وباريهم وربهم ونافذ الحكم فيهم فلما عرفوا ذلك دعاهم ذلك الى التصديق بوحدانيته
وربوبيته فقالوا بلى شهدنا على انفسنا انك انت ربنا وخالقنا فعلى هذا القول يكون قولهم بلى شهدنا
على انفسنا على المجاز لا على الحقيقة ومثل هذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور في كلام العرب فكل من
بلغ وعقل فقد اخذ عليه الميثاق بما جعل فيه من السبب الذي به يوخذ الميثاق وهو العقل والتكليف
فيكون معنى الاية واذ اخذ ربك من بني ادم ويشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من العقل الذي يكون
به الفهم والتكليف ويترتب على صاحبه الثواب والعقاب يوم القيمة فان قلت فما المختار من هذين
المذهبين في تفسير هذه الاية قلت المذهب الاول هو المختار لانه مذهب جمهور المفسرين من السلف
وورود الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فان قلت اذا كان المختار في تفسير هذه الاية هو
مذهب السلف في ذلك وان الله تعالى اخرج الذرية من ظهر ادم واخذ الميثاق عليهم كما ورد في الحديث
ايضا فكيف يحمل تفسير الفاظ هذه الاية على هذا القول قلت قد صح الحديث بان الله مسح ظهر ادم
فاخرج ذريته واخذ عليهم الميثاق ولا منافاة بين الاية والحديث كما تقدم في تفسير الفاظ الاية

من ان الله اخرج ذرية ادم من ظهره على سبيل التوالد بعضهم من بعض كما في الخارج وكلهم باجمعهم من
ظهر ادم الذي سوا صلبهم فبهذا الطريق امكن الجمع بين الاية والحديث اذ ليس في معنى الفاظ الاية
ما يدل على بطلان ذلك ونفيه وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وصحته فوجب المصير اليه والاخذ
بهما بين الاية والحديث وحكى الواحدي عن صاحب النظم انه قال ليس بين قوله صلى الله عليه وسلم
ان الله مسح ظهر ادم فاخرج منه ذريته وبين الاية اختلاف بحمد الله لانه تعالى اذا اخرجهم من ظهر
ادم فقد اخرجهم من ظهور ذريته لان ذرية ادم كذرية بعضهم من بعض قال وحصل الفايدة بهذا
الفصل انه تعالى اثبت الحجة على كل منفوس ممن بلغ ومن لم يبلغ بالميثاق الذي اخذه عليهم وزاد على
من بلغ منهم الحجة بالايات والدلايل التي نصبها بالرسل المنفذة اليهم مبشرين ومنذرين وبالمواعظ
وقال غيره فايدة اخذ الميثاق عليهم في القدم ان من مات منهم صغيرا ادخل الجنة باقراره بالميثاق
الاول وهذا على قول من يقول ان اطفال المشركين يدخلون الجنة اذا ماتوا صغارا فاما من لا
يحكم لهم بالجنة فانه يقول من كان من اهل الشقاوة من الذرية السودا وانما اقروا بالمعرفة
كرها فانه لم يغن عنهم ذلك شيا ومن بلغ وعقل لم يغن عنه اقراره بالميثاق الاول شيا حتى يومن ويصدق
عند بلوغه وعقله بان الله ربه وخالقه ويصدق رسله فيما جاوا به من عنده وانما فعل ذلك ليلا
يقولوا انا كنا عن هذا الميثاق او الايمان بان الله ربنا غافلين او لئلا يقولوا اخلافهم انما
اشرك اباونا ونحن نسير على اثارهم ظنا منهم ان الحق ما كانوا عليه فان قلت ذلك الميثاق لا يذكره احد
اليوم فكيف يكون حجة عليهم اليوم او فكيف يذكرون يوم القيمة حتى يحتج عليهم به قلت لما اخرج
الذرية من صلب ادم ركب فيهم العقول واخذ عليهم الميثاق فلما اعيدوا الى صلب ادم بطل ما ركب
فيهم فنسوا ذلك والناسي لذلك الميثاق لاقتضا الحكمة الالهية بنسيانهم له ثم ابتداهم بالخطاب على
السنة الرسل واصحاب الشرايع فقام ذلك مقام الذكر اذ الدار دار تكليف وامتحان ولو لم ينسوه
لانتفت المحنة والابتلا والتكليف فقامت الحجة عليهم لامداده بالرسل واعلامهم بجريان اخذ الميثاق
عليهم وبذلك قامت الحجة عليهم ايضا يوم القيمة لاخبار الرسل اياهم بذلك الميثاق في الدنيا
فمن انكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمته الحجة ولا تسقط الحجة عنهم بنسيانهم وعدم حفظهم بعد اخبار الصادق
صاحب الشرع والمعجزات الباهرات وقوله تعالى او تقولوا يعني الذرية انما اشرك اباونا من قبل يعني انما اخذ
الميثاق عليهم لئلا يقول المشركون انما اشرك اباونا من قبل وكنا ذرية من بعدهم يعني وكنا اتباعا لهم فاقتدينا
بهم في الشرك افتهلكنا يعني افتعذبنا بما فعل المبطلون قال المفسرون هذا قطع لعذر الكفار فلا يستطيع
احد منهم من الذرية ان يقول يوم القيمة انما اشرك اباونا من قبل ونقضوا العهد والميثاق وكنا نحن الذرية
من بعدهم فقلدناهم واقتدينا بهم وكنا في غفلة عن هذا الميثاق حتى ختم الرسل وذكرونا به وثبتت الحجة عليهم
بعد للغريوم القيمة وقال الذين حملوا معنى الاية على ان المراد منه مجرد نصب الدلايل واظهارها للعقول انه لا
يجوز لهم ان يقولوا انا اشركنا على سبيل التقليد لابائنا لان نصب ادلة التوحيد قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه
والاقبال على تقليد الاباء في الشرك وقوله تعالى وكذلك نفصل الايات يعني كما بينا لهم في هذه الاية ليتدبرها العباد فيرجعوا الى الحق
والايمان ويرجعوا عن الباطل الكفر الذي هم عليه والمراد من قوله ولعلهم يرجعون يعني من الشرك الى التوحيد وقيل
معناه ولعلهم يرجعون الى الميثاق الاول فيذكرونه ويعملون بموجبه ومقتضاه قوله عز وجل واتل عليهم يعني
واقرا على قومك يا محمد نبا يعني خبر الذي اتيناه اياتنا اختلفوا فيه فقال ابن عباس هو بلعام بن باعورا

وقال

وقال مجاهد بلعام بن باعور وقال عبد الله بن مسعود هو بلعم بن ابر وقال عطية قال ابن عباس انه كان
من بني اسرائيل وفي رواية اخرى عنه انه كان من الكنعانيين من مدينة الجبارين وقال مقاتل هو من مدينة البلقا
وكانت قصته على ما ذكره ابن عباس ومحمد بن اسحق والسدي وغيرهم من اصحاب الاخبار والسير
قالوا ان موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين نزل ارض كنعان من ارض الشام اتى قوم بلعم وكان
عنده اسم الله الاعظم فقالوا له ان موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وانه قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا
ويحلها بني اسرائيل وانت رجل مجاب الدعوة فاخرج وادع الله ان يردهم عنا فقال ويلكم نبي الله ومعه
الملائكة والمؤمنون فكيف ادعو عليهم وانا اعلم من الله ما اعلم واني ان فعلت هذا ذهبت دنياي واخرتي
فراجعوه والحوا عليه فقال حتى اوامر ربي وكان لا يدعو حتى ينظر ما يومر به في المنام فامر في المنام ان لا تدعوا
عليهم فقال لقومه اني قد وامرت ربي فنهاني ان ادعو عليهم فاهدوا له هدية فقبلها ثم راجعوه فقال
حتى اوامر ربي فوامر فلم يحر اليه شي فقال قد وامرت ربي فلم يحر الي شي فقالوا لو كره ربك ان تدعو عليهم
لنهاك كما نهاك اول مرة فلم يزالوا يتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فركب اتانا له متوجها الى جبل يطلعه
على عسكر بني اسرائيل يقال له جبل حسبان فلما سار عليها غير بعيد ربضت فنزل عنها فضربها
فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها حتى اذلقها فاذن الله لها في الكلام فانطقها
له فكلمته حجة عليه فقالت ويحك يا بلعام اتدري اين تذهب الا ترى الملايكة امامي يردوني عن وجهي
هذا ويحك اتذهب الى نبي الله والمؤمنين فتدعو عليهم فلم ينزع فخلى الله سبيل الاتان فانطلقت به
حتى اذا اشرف به على جبل حسبان ومعه قومه فجعل يدعو عليهم فلم يدع عليهم بشي الا صرف الله به لسانه
الى قومه ولا يدعو لقومه بخير الا صرف به لسانه الى بني اسرائيل فقال له قومه يا بلعام اتدري ما تصنع
انما تدعو لهم وتدعوا علينا فقال هذا ما لا املكه هذا شي قد غلب الله عليه واندلع لسانه فوقع على
صدره فقال لقومه قد ذهبت مني الدنيا والاخرة ولم يبق الا المكر والحيلة فسامكر لكم واحتال لكم قال
جملوا النسا وزينوهن واعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى عسكر بني اسرائيل يبعنها فيهم ومروهن ان لا
تمنع امراة نفسها من رجل ارادها فانهم ان زنا رجل واحد منهم كفيتموهم ففعلوا ذلك فلما دخل النسا
العسكر مرت امراة من الكنعانيين اسمها كسبى بنت صور على رجل من عظما بني اسرائيل يقال له زمري بن
شلوم وكان راس سبط شمعون بن يعقوب فقام الى المراة واخذ بيدها حين اعجبه جمالها ثم اقبل بها حتى
وقف على موسى عليه السلام وقال اني لاظنك تقول هذا حرام عليك فقال اجل هي حرام عليك لا تقربها
قال والله لا نطيعك في هذا ثم دخل بها الى قبته فوقع عليها فارسل الله عز وجل الطاعون على بني اسرائيل
في ذلك الوقت وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب امر موسى وكان رجلا قد اعطي بسطة في الخلق
وقوة في البطش وكان غايبا حين صنع زمري بن شلوم ما صنع فجا والطاعون يحوس بني اسرائيل فاخبر الخبر فاخذ
حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ثم خرج بهما
رافعهما الى السما وقد اخذ الحربة بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته واسند الحربة الى لحيته وكان بكر العيزار
وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن عصاك ورفع الطاعون عن بني اسرائيل فحسب من مات منهم في ذلك
الطاعون فيما بين ان اصاب ذلك الرجل المراة الى ان قتله فنحاص فوجدوا قد هلك سبعون الفا في ساعة
واحدة من النهار فمن هنالك يعطي بنو اسرائيل لولد فنحاص من كل ذبيحة يذبحونها القبة والذراع واللحي لاعتماده
بالحربة على خاصرته واخذه اياها بذراعه واسناده اياها الى لحيته ويعطونهم البكر من كل اموالهم لانه كان بكر

العيزار وفي بلعام انزل الله عز وجل واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا الاية وقال مقاتل ان ملك البلقا
قال لبلعام ادع الله على موسى فقال بلعام انه من اهل ديني ولا ادعوا عليه فنصب له خشبة ليصلبه
عليها فلما راى ذلك خرج على اتان له ليدعوا على موسى فلما عاين عسكرهم قامت به الاتان ووقفت
فضربها فقالت لم تضربني فاني مامورة وهذه نار امامي قد منعتني ان امشي فرجع الى الملك فاخبره
بذلك فقال لتدعون عليه او لاصلبنك فدعا على موسى بالاسم الاعظم ان لا يدخل المدينة فاستجيب
له ووقع موسى ومن معه من بني اسرايل في التيه بدعا بلعام عليه فقال موسى يارب باي ذنب وقعنا
في التيه قال بدعا بلعام قال فكما سمعت دعاه علي فاسمع دعاي عليه فدعا موسى عليه ان ينزع
عنه الاسم الاعظم والايمان فنزع الله منه المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره كحمامة بيضا فذلك
قوله تعالى اتيناه اياتنا فانسلخ منها قلت هذه القصة ذكرها جماعة من المفسرين وفيها ان
موسى دعا على بلعام بان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان فان قلت كيف يجوز لموسى عليه السلام
مع علو منصبه في النبوة ان يدعوا على انسان بالكفر بعد الايمان او يرضى له بذلك قلت الجواب
من وجوه احدها منع صحة هذه القصة لانها من الاسرايليات ولا يلتفت الى ما سطره اهل الاخبار
اذا خالف الاصول الوجه الثاني ان سبب وقوع بني اسرايل في التيه هو عبادتهم العجل او قولهم لموسى
عليه السلام اجعل لنا الها وكان ذلك هو سبب وقوعهم في التيه لا دعا بلعام عليهم الوجه الثالث
على تقدير صحة هذه القصة وان موسى عليه السلام دعا على بلعام ان موسى عليه السلام لم يدع
عليه الا بعد ان ثبت عنده ان بلعام كفر وارتد عن الايمان بدعايه على موسى وايثاره الحياة الدنيا
فدعا عليه مقابلة لدعايه عليه والله اعلم بحقيقة ذلك كله والمقصود من ذلك تنزيه منصب
النبوة عما تنقله اصحاب الاخبار في كتبهم من غير نظر فيه ولا بحث عن معناه وقال عبد الله بن عمرو
ابن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم نزلت هذه الاية في امية بن الصلت الثقفي وكانت قصته
انه كان قد قرا الكتب القديمة وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا فرجا ان يكون هو ذلك الرسول فلما
ارسل محمد صلى الله عليه وسلم وشرفه الله بالنبوة حسده وكذبه وكان امية صاحب شعر وحكمة
ومواعظ حسنة فقصد بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر فسال عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال
لو كان نبيا ما قتل اقرباه فلما مات امية اتت اخته فارعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
وفاة اخيها فقالت بينا هو راقد اتاه اثنان فكشفا سقف البيت ونزلا فقعد احدهما عند راسه
والاخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند راسه اوعى قال وعى قال ازكى قال ابى قالت
فسالته عن ذلك فقال خير اريد بي فصرف عني ثم غشي عليه فلما افاق من غشيته قال

كل عيش وان تطاول دهرا ⁂ صاير مرة الى ان يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي ⁂ في قلال الجبال ارعى الوعولا
ان يوم الحساب يوم عظيم ⁂ شاب فيه الصغير يوما ثقيلا

ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انشديني من شعر اخيك فانشدته بعض قصايده فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم امن شعره وكفر قلبه فانزل الله عز وجل واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا
فانسلخ منها الاية وفي رواية عن ابن عباس انها نزلت في البسوس وهو رجل من بني اسرايل وكان قد
اعطي ثلاث دعوات مستجابات وكانت له امراة له منها اولاد فقالت له اجعل لي منها دعوة فقال

لك

لك منها واحدة فما تريدين قالت ادع الله ان يجعلني اجمل امراة في بني اسرايل فدعا لها فصارت
اجمل النسا فلما علمت انه ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب فدعا عليها فصارت
كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجا بنوها الى ابيهم وقالوا ليس لنا على هذا الامر قرار قد صارت
امنا كلبة نباحة والناس يعيرونا بذلك فادع الله ان يردها الى حالها الاول فدعا الله فعادت
كما كانت فذهبت فيها الدعوات جميعا والقولان الاولان اشهر وقال الحسن وابن كيسان
نزلت في منافقي اهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم بنعته وصفته كما يعرفون
ابناهم ثم انكروه وقال قتادة هذا مثل ضربه لمن عرض عليه الهدى فلم يقبله وقوله تعالى اتيناه
اياتنا قال ابن عباس كان يعلم اسم الله الاكبر وقال ابن زيد كان لا يسال الله شيا الا اعطاه وقال السدي
كان يعلم اسم الله الاعظم وفي رواية اخرى عن ابن عباس انه اوتي كتابا وقيل ان الله اتاه حججه وادلته
وهي الايات التي اوتيها فانسلخ منها يعني خرج من الايات التي كان الله اتاه اياها كما تنسلخ الحية من
جلدها وقال ابن عباس نزع منه العلم **فاتبعه الشيطان** يعني لحقه وادركه وصيره الشيطان لنفسه
تابعا في معصية الله يخالف امر ربه ويطيع الشيطان وهواه **فكان من الغاوين** يعني من الهالكين
الضالين بما خالف ربه واطاع هواه وشيطانه قوله تعالى **ولو شينا لرفعناه بها** يعني رفعنا
درجته ومنزلته بتلك الايات التي اوتيها وقال ابن عباس لرفعناه بعمله بها وقال مجاهد وعطا
معناه ولو شينا لرفعنا عنه الكفر وعصمناه بالايات **ولكنه اخلد الى الارض** يعني ولكنه سكن الى
الدنيا ومال اليها ورضي بها واصله من الخلود وهو الدوام والمقام والارض هنا عبارة عن الدنيا
لان الارض عبارة عن المفاوز والقفار وفيها المدن والضياع والمعادن والنبات ومنها يستخرج
ما يعاش به في الدنيا فالدنيا كلها هي الارض **واتبع هواه** يعني انه اعرض عن التمسك بما اتاه الله من
الايات واتبع الهوى فخسر دنياه واخرته ووقع في هاوية الردى والهلاك وهذه الاية من اشد الايات
على العلما الذين يريدون بعلمهم الدنيا وشهوات النفس ويتبعون الهوى وذلك لان الله عز وجل
خص هذا باياته وحكمته وعلمه اسمه الاعظم وجعل دعاه مستجابا ثم انه لما اتبع هواه وركن الى
الدنيا ورضي بها عوضا عن الاخرة نزع عنه ما كان اعطيه وانسلخ من الدين فخسر الدنيا والاخرة
ومن الذي يسلم من الميل الى الدنيا واتباع الهوى الا من عصمه الله بالورع وثبته بالعلم وبصره بعيوب
نفسه عن كعب بن مالك الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذيبان جايعان
ارسلا في غنم بافسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه اخرجه الترمذي ثم ضرب الله عز وجل
مثلا لهذا الرجل الذي اتاه اياته فانسلخ منها واتبع هواه فقال تعالى **فمثله كمثل الكلب ان
تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث** يقال لهث الكلب يلهث اذا ادلع لسانه من العطش وشدة الحر
وعند الاعيا والتعب وهذا مثل ضربه الله عز وجل لمن اتاه اياته وحكمته فتركها وعدل عنها واتبع
هواه وترك اخرته واثر دنياه باخس الحيوانات وهو الكلب في اخس احواله وهي اللهث لان
الكلب في حال لهثه لا يقدر على نفع نفسه ولا ضرها كذلك العالم الذي يتبع هواه لا يقدر على نفع
نفسه ولا ضرها في الاخرة لان التمثيل به على انه يلهث على كل حال ان حملت عليه او تركته كان
لاهثا وذلك عادته وطبيعته وهو مواظبته على اللهث وايضا فكذلك من اتاه الله العلم
والدين واغناه عن التعرض لحطام الدنيا الخسيسة ثم انه مال اليها وطلبها كانت حاله

كحال اللاهث وقيل ان العالم اذا توصل به الى طلب الدنيا فانه يظهر علومه عند اهلها ويدلع لسانه
في تقرير تلك العلوم وبيانها وذلك لاجل ما يحصل عنده من حرارة الحرص وشدة العطش الى
الفوز بمطلوبه من الدنيا فكانت حالته شبيهة بحالة الكلب الذي ادلع لسانه من اللهث في
غير حاجة ولا ضرورة ومعنى ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي ان شددت عليه واهجته
لهث او تركته على حالة لهث لان اللهث طبيعة اصلية فيه فكذلك حال الحريص على الدنيا ان وعظته
فهو حريص لا يقبل الوعظ ولا ينجع فيه وان تركته ولم تعظه فهو حريص ايضا لان الحرص على طلب الدنيا
صار طبيعة له لازمة كما ان اللهث طبيعة لازمة للكلب **ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا**
يعني ان المثل الذي ضربناه للذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فعم
بهذا المثل جميع من كذب بايات الله وجحدها فوجه التمثيل بينهم وبين الكلب اللاهث انهم ان جاءهم
الرسل ليهديهم فلم يهتدوا وان تركوا فلم يهتدوا ايضا بل هم ضلال في كل حال ثم قال تعالى **فاقصص**
القصص وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني فاقصص القصص يا محمد على قومك اخبار
من كفر بايات الله **لعلهم يتفكرون** يعني فيتعظون وقيل هذا المثل لكفار مكة وذلك انهم كانوا يتمنون
هاديا يهديهم ويدعوهم الى طاعة الله فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الله والى طاعته
وهم يعرفونه ويعرفون صدقه فكذبوه ولم يقبلوا منه ثم قال تعالى **ساء مثلا القوم الذين كذبوا**
باياتنا يعني بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا باياتنا **وانفسهم كانوا يظلمون** يعني بتكذيبهم
باياتنا قوله عز وجل **من يهد الله فهو المهتدي** يعني من يرشده الله الى دينه فهو المهتدي
وقيل معناه من يتول الله هدايته وارشاده فهو المهتدي **ومن يضلل** يعني ومن يتول اضلاله
فاولئك هم الخاسرون يعني في الاخرة وفي الاية دليل على ان الله تعالى هو الهادي المضل **ولقد**
ذرانا يعني خلقنا **لجهنم كثيرا من الجن والانس** اخبر الله انه خلق كثيرا من الجن والانس وهم الذين
حقت عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة ومن خلقه للنار فلا حيلة له في الخلاص منها واستدل
البغوي على صحة هذا التاويل بما رواه عن عايشة قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي
من الانصار فقلت يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال
او غير ذلك يا عايشة ان الله خلق للجنة اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابائهم اخرجه مسلم قال
الشيخ محي الدين النواوي في شرح مسلم اجمع من يعتد به من علماء المسلمين ان من مات من اطفال المسلمين
فهو من اهل الجنة لانه ليس مكلفا وتوقف فيهم بعض من لا يعتد به لحديث عايشة هذا واجاب العلماء
عنه بانه صلى الله عليه وسلم نهاها عن المسارعة الى القطع من غير ان يكون عندها دليل قاطع كما
انكر على سعد بن ابي وقاص في قوله اني لاراه مؤمنا فقال او مسلما الحديث ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم
قال هذا قبل ان يعلم ان اطفال المسلمين في الجنة فلما علم قال ذلك واما اطفال المشركين ففيهم ثلاثة
مذاهب قال الاكثرون هم في النار تبعا لابائهم وتوقف طائفة فيه والثالث وهو الصحيح الذي ذهب
اليه المحققون انهم من اهل الجنة ويستدل له باشياء منها حديث ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم
حين راه النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة وحوله اولاد الناس قالوا يا رسول الله واولاد المشركين
قال واولاد المشركين رواه البخاري في صحيحه ومنها قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
ولا يتوجه على المولود التكليف ولا يلزمه قبول قول الرسول حتى يبلغ وهذا متفق عليه والله اعلم

وفي الاية دليل وحجة واضحة لمذهب اهل السنة في ان الله خلق اعمال العباد جميعها خيرها وشرها
لان الله بين بصريح اللفظ انه خلق كثيرا من الجن والانس للنار ولا مزيد على بيان الله عز وجل لان العاقل
لا يختار لنفسه دخول النار فلما عمل بما يوجب عليه دخول النار به علم ان له من يضطره الى ذلك
العمل الموجب لدخول النار وهو الله عز وجل وقيل اللام في لجهنم للعاقبة اي عاقبتهم جهنم ثم
وصفهم فقال تعالى **لهم قلوب لا يفقهون بها** يعني لا يفهمون بها ولا يعقلون بها واصل الفقه في اللغة
الفهم والعلم بالشيء ثم صار علما على اسم العلم في الدين لشرفه على غيره من العلوم يقال فقه الرجل يفقه
فقها اذا فهم ومعنى الاية لهم قلوب لا يتفكرون بها في ايات الله ولا يتدبرونها ولا يعلمون بها الخير
والهدى لاعراضهم عن الحق وتركهم قبوله **ولهم اعين لا يبصرون بها** يعني لا يبصرون بها طريق الحق
والهدى ولا ينظرون بها في ايات الله وادلة توحيده **ولهم اذان لا يسمعون بها** يعني لا يسمعون
ايات القران ومواعظه فيعتبرون بها قال اهل المعاني ان الكفار لهم قلوب يفقهون بها مصالحهم
المتعلقة بالدنيا ولهم اعين يبصرون بها المرئيات واذان يسمعون بها الكلمات وهذا لا شك
فيه ولما وصفهم الله عز وجل بانهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون مع وجود هذه الحواس الدراكة
علم بذلك ان المراد بذلك يرجع الى مصالح وما فيه نفعهم في الاخرة وحاصل هذا الكلام انهم مع وجود
هذه الحواس لا ينتفعون بها فيما ينفعهم في امور الدين والعرب تقول مثل ذلك لمن ترك استعمال
بعض جوارحه فيما لا يصلح له ومنه قول الشاعر وعوراء الكلام صممت عنها واني ان اشا بها سميع
فانه اثبت له صمم مع وجود السمع قال مجاهد لهم قلوب لا يفقهون بها شيئا من امر الاخرة ولهم اعين
لا يبصرون بها الهدى ولهم اذان لا يسمعون الحق بها ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى **اولئك كالانعام**
يعني ان الذين ذراهم لجهنم وهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية انهم كالانعام وهي البهائم التي لا تفهم
ولا تعقل وذلك كان الانسان وسائر الحيوانات مشارك في هذه الحواس الثلاث التي هي القلب والبصر
والسمع وانما فضل الانسان على سائر الحيوان بالعقل والادراك والفهم المؤدي الى معرفة الحق من
الباطل والخير والشر فاذا كان الكافر لا يعرف ذلك ولا يدركه فلا فرق بينه وبين الانعام التي لا
تدرك شيئا ثم قال تعالى **بل هم اضل** يعني بل ان الكفار اضل من الانعام لان الانعام لم تعط القوة
العقلية والانسان قد اعطيها فاذا لم يستعمل العقل فيما ينفعه صار اخس حالا من الحيوان وقيل
ان الانعام مطيعة لله عز وجل والكافر غير مطيع لله عز وجل فصارت الانعام افضل منه ثم قال الله
تعالى **اولئك هم الغافلون** يعني عن ضرب هذه الامثال لهم قوله تعالى **ولله الاسماء الحسنى** قال
مقاتل ان رجلا دعا الله في صلاته ودعا الرحمن فقال بعض مشركي مكة قال ابن الجوزي هو ابو جهل
ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يدعو اثنين فانزل الله هذه
الاية ولله الاسماء الحسنى والحسنى تانيث الاحسن ومعنى الاية ان اسماء الله المقدسة كلها
حسنى وليس المراد ان فيها ما ليس بحسن والمعنى ان الاسماء الحسنى ليست الا لله لان هذا اللفظ
يفيد الحصر وقيل ان الاسماء الفاظ دالة على معان فهي انما تحسن بحسن معانيها ولا معنى للحسن في حق الله
تبارك وتعالى الا ذكره بصفات الكمال ونعوت الجلال وهي محصورة في نوعين احدهما عدم افتقاره
الى غيره والثاني افتقار غيره اليه وانه هو المسمى بالاسماء الحسنى وعن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة والله وتر يحب الوتر

وفي رواية من احصاها في رواية اخرى لله تسعة وتسعون اسما مائة الا واحدا لا يحفظها احد الا دخل
الجنة وهو وتر يحب الوتر قال البخاري احصاها حفظها وفي رواية الترمذي قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة هو الله الذي لا اله الا هو
الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار
القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم
العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم
الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ
المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الاول الاخر
الظاهر الباطن الوالي المتعال البر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط
الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور قال الترمذي
حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ولا نعرفه الا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند اهل الحديث
قال وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا نعلم في كثير من الروايات
ذكر الاسما التي في هذا الحديث قال ابن الاثير وفي رواية ذكرها رزين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوله ولله الاسما الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمايه سيجزون ما كانوا يعملون
فقال ان لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسما الحديث قال الشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله
اتفق العلما على ان هذا الحديث ليس فيه حصر لاسمايه سبحانه وتعالى وليس معناه انه ليس له اسما غير
هذه التسعة والتسعين وانما المقصود من الحديث ان هذه التسعة والتسعين اسما من احصاها
دخل الجنة فالمراد الاخبار عن دخول الجنة باحصايها لا الاخبار بحصر الاسما ولهذا جا في الحديث الاخر
اسالك بكل اسم سميت به نفسك او استاثرت به في علم الغيب عندك وقد ذكر الحافظ ابو بكر بن العربي
المالكي عن بعضهم ان لله الف اسم قال ابن العربي وهذا قليل وقوله صلى الله عليه وسلم من احصاها
دخل الجنة تقدم فيه قول البخاري ان معناه حفظها وهو قول اكثر المحققين ويعضده الرواية الاخرى
من حفظها دخل الجنة وقيل المراد من الاحصا العد اي عدها في الدعا بها وقيل معناه من اطاقها واحسن
المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه وصدق بمعانيها وعمل بمقتضاها دخل الجنة وقيل معنى احصاها
احضر بباله عند ذكرها معناها وتفكر في مدلولها معتبرا متدبرا ذاكرا لها راغبا معظما لها ولمسماها
ومقدسا لذات الله سبحانه وتعالى وان يخطر بباله عند ذكر كل اسم الوصف الدال عليه وقوله ان
الله وتر يحب الوتر الوتر الفرد ومعناه في وصف الله تعالى انه الواحد الذي لا شريك له ولا نظير وفيه
تفضيل الوتر في الاعمال لان اكثر الطاعات وتر وفيه دليل على اشهر اسمايه سبحانه وتعالى الله لاضافة
الاسما اليه فيقال الرؤف والكريم واللطيف من اسما الله ولا يقال من اسما الرؤف والكريم واللطيف الله
وقد قيل ان لفظة الله هو الاسم الاعظم قال ابو القاسم القشيري فيه دليل على ان الاسم هو المسمى اذ لو
كان غيره لكانت الاسما لغيره كقوله تعالى ولله الاسما الحسنى فادعوه بها وقال الامام فخر الدين دلت
الاية على ان الاسم غير المسمى لانها تدل على ان اسما الله كثيرة لان لفظ الاسما لفظ الجمع وهي تفيد
الثلاثة فما فوقها فثبت ان اسما الله كثيرة ولا شك ان الله واحد فلزم القطع بان الاسم غير المسمى وايضا
قوله ولله الاسما الحسنى يقتضي اضافة الاسما الى الله واضافة الشي الى نفسه محال وقال غيره

الاسم عبارة عن اللفظ الدال على الشي المسمى به فهو غيره وقال اهل اللغة انما جعل الاسم تنويها على
المعنى لان المعنى تحت الاسم والتسمية غير الاسم لان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف
ذات الشي والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر قال العلما كما يجب تنزيه الله عن
جميع النقايص فكذلك يجب تنزيه اسمايه ايضا وقوله تعالى فادعوه بها يعني ادعوا الله
باسمايه التي سمى بها نفسه او سماه بها رسوله ففيه دليل على ان اسما الله تعالى توقيفية لا اصطلاحية
ومما يدل على صحة هذا القول ويوكده انه يجوز ان يقال يا جواد ولا يجوز ان يقال يا سخي ويجوز
ان يقال يا عالم ولا يجوز ان يقال يا عاقل ويجوز ان يقال له يا حكيم ولا يجوز ان يقال يا طبيب
وللدعا شرايط منها ان يعرف الداعي معاني الاسما التي يدعو بها ويستحضر في قلبه عظمة المدعو
سبحانه ويخلص النية في دعايه مع كثرة التعظيم والتبجيل والتقديس لله تعالى ويعزم المسالة
مع رجا الاجابة ويعترف لله عز وجل بالربوبية وعلى نفسه بالعبودية فاذا فعل العبد ذلك عظم
موقع الدعا وكان له اثر عظيما وقوله تعالى وذروا الذين يلحدون في اسمايه معنى الالحاد في
اللغة الميل عن القصد والعدول عن الاستقامة وقال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق
المدخل فيه ما ليس منه يقال الحد في الدين والحد اذا عدل عنه ومال الى غيره قال المحققون الالحاد
يقع في اسما الله على وجوه احدها اطلاق اسما الله عز وجل على غيره وذلك ان المشركين سموا
اصنامهم بالالهة واشتقوا لها اسما من اسما الله عز وجل فسموا اللات والعزى ومناة واشتقاق
اللات من الاله والعزى من العزيز ومناة من المنان وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد الوجه
الثاني وهو قول اهل المعاني ان الالحاد في اسما الله هو تسميته بما لم يسم به نفسه ولم يرد فيه نص
من كتاب ولا سنة لان اسما الله كلها توقيفية كما تقدم فلا يجوز فيها غير ما ورد في الشرع بل ندعو الله
باسمايه التي وردت في الدعا والسنة على وجه التعظيم الوجه الثالث مراعاة حسن الادب في الدعا
فلا يجوز ان يقال يا ضار يا مانع يا خالق القردة على الانفراد بل يقال يا ضار يا نافع يا معطي يا مانع
يا خالق الخلق الوجه الرابع ان لا يسمي الله العبد باسم لا يعرف معناه فانه ربما سماه باسم لا يليق اطلاقه
على جلال الله سبحانه وتعالى ولا يجوز ان يسمي به لما فيه من الغرابة وقوله تعالى سيجزون ما كانوا
يعملون يعني في الاخرة ففيه وعيد وتهديد لمن الحد في اسما الله عز وجل ومن خلقنا امة يعني جماعة
وعصابة يهدون بالحق وبه يعدلون قال ابن عباس يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم وهم المهاجرون
والانصار والتابعون لهم باحسان قال قتادة بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا هذه
الاية قال هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون
ق عن معاوية قال وهو يخطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال من امتي امة قايمة
بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى ياتي امر الله وهم على ذلك وفي الاية دليل على انه لا يخلو
زمان من قايم بالحق ويعمل به ويهدي اليه والذين كذبوا باياتنا يريد به جميع المكذبين بايات الله
وهم الكفار وقيل المراد بهم اهل مكة والاول اولى لان صيغة العموم تتناول الكل الا ما دل الدليل
على خروجه منه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الازهري سناخذهم قليلا قليلا من حيث
لا يحتسبون وذلك ان الله تعالى يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به ويركنون اليه ثم ياخذهم على غرتهم
اغفل ما يكونون وقيل معناه سنقربهم الى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم لانهم

كانوا اذا تواجرموا واقدموا على ذنب فتح الله عليهم من ابواب الخير والنعمة في الدنيا فيزدادوا بذلك
تماديا في الغي والضلال ويتدرجون في الذنوب والمعاصي فياخذهم الله اخذة واحدة اغفل ما
يكونون عليه وقال الضحاك معناه كلما جددوا معصية جددنا نعمة وقال الكلبي نزين اعمالهم
ثم نهلكهم بها وقال سفيان الثوري نسبغ عليهم النعم ثم ننسيهم الشكر وروي ان عمر بن الخطاب لما حمل
اليه كنوز كسرى قال اللهم اني اعوذ بك ان اكون مستدرجا فاني سمعتك تقول سنستدرجهم من حيث
لا يعلمون قال اهل المعاني الاستدراج ان يندرج الشي الى الشي في خفية قليلا قليلا ومنه درج الصبي
اذا قارب بين خطاه في المشي ومنه درج الكتاب اذا طواه شيا بعد شي **واملي لهم** يعني واهملهم واطيل
مدة اعمارهم والاملا في اللغة الامهال واطالة المدة والمعنى اني اطيل مدة اعمارهم ليتمادوا في
الكفر والمعاصي ولا اعاجلهم بالعقوبة ولا افتح لهم باب التوبة **ان كيدي متين** يعني ان اخذي شديد
والمتين من كل شي هو القوي الشديد وقال ابن عباس معناه ان مكري شديد قال المفسرون نزلت هذه
الاية في المستهزيين من قريش وذلك ان الله تعالى امهلهم ثم قتلهم في ليلة واحدة وفي هذه الاية
دليل على مسالة القضا والقدر وان الله تعالى يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل وهم
يسالون قوله تعالى **اولم يتفكروا ما بصاحبهم** يعني محمد صلى الله عليه وسلم **من جنة** يعني من جنون
قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قام على الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا
فخذا يا بني فلان يا بني فلان اني لكم نذير مبين وكان يحذرهم باس الله ووقايعه فقال قايلهم ان صاحبكم هذا
لمجنون بات يصوت الى الصباح فانزل الله عز وجل اولم يتفكروا والتفكر التامل واعمال الخاطر في عاقبة
الامر والمعنى اولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة والجنة حالة من الجنون
وادخال لفظة من في قوله من جنة يوجب ان لا يكون به نوع من انواع الجنون وانما نسبوه الى الجنون وهو
بري منه لانهم راوا انه صلى الله عليه وسلم خالفهم في الاقوال والافعال لانه كان معرضا عن الدنيا ولذاتها
مقبلا على الاخرة ونعيمها مشتغلا بالدعا الى الله عز وجل وانذارهم باسه ونقمته ليلا ونهارا من غير
ملال ولا ضجر فعند ذلك نسبوه الى الجنون فبراه الله من الجنون وقال تعالى **ان هو** يعني ما هو **الا نذير مبين**
يحثهم على النظر المودي الى العلم بالوحدانية فقال تعالى **اولم ينظروا** يعني نظر اعتبار واستدلال **في**
ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شي والمقصود التنبيه على ان الدلالة على الوحدانية
ووجود الصانع القديم غير مقصورة على ملك السموات والارض بل كل شي خلقه الله وبراه فيه دليل
على وحدانية الله تعالى واثار قدرته كما قال الشاعر • وفي كل شي له اية تدل على انه واحد •
وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم والمعنى ولعل اجلهم يكون قد اقترب فيموتوا على الكفر قبل ان يومنوا
فيصيروا الى النار واذا كان الامر كذلك وجب على العاقل المبادرة الى التفكر والاعتبار والنظر المودي
الى الفوز بالنعيم المقيم **فباي حديث بعده** يعني بعد القران **يومنون** يعني يصدقون والمعنى فباي
كتاب بعد الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون وليس بعد محمد نبي ولا بعد كتابه كتاب
لانه خاتم الانبيا وكتابه خاتم الكتب لانقطاع الوحي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر علة اعراضهم
عن الايمان فقال تعالى **من يضلل الله فلا هادي له** يعني ان اعراضهم سوء عن الايمان لاضلال الله اياهم
ولو هداهم لامنوا **ويذرهم في طغيانهم يعمهون** يعني ونتركهم في ضلالتهم وتماديهم في الكفر يترددون متحيرين
لا يهتدون سبيلا قوله عز وجل **يسالونك عن الساعة ايان مرساها** قال قتادة قالت قريش لرسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى الساعة فانزل الله هذه الاية وقال
وقال ابن عباس قال جبل بن ابي قشير وسمول بن زيد وهما من اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا كما تقول فانا نعلم متى هي فانزل الله عز وجل يسالونك يا محمد
عن الساعة يعني عن خبر القيامة سميت ساعة لانها تقوم في ساعة غفلة وبغتة ولان حساب
الخلايق ينقضي فيها في ساعة واحدة ايان سوال استفهام عن الوقت الذي تقوم فيه الساعة
ومعناه متى مرساها قال ابن عباس يعني منتهاها متى وقوعها قال والساعة الوقت الذي يموت
الخلايق فيه واصل الارسا الثبات يقال رسا يرسو اذا ثبت **قل** اي قل لهم يا محمد **انما علمها عند ربي** اي
لا يعلم الوقت الذي تقوم فيه الا الله استاثر الله بعلمها فلم يطلع الله احدا ومنه حديث الايمان
والاحسان وسوال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم قال فاخبرني عن الساعة قال ما المسوول
عنها باعلم من السايل قال المحققون وسبب اخفا علم الساعة ووقت قيامها عن العباد ليكونوا
على خوف وحذر منها لانهم اذا لم يعلموا متى يكون ذلك الوقت كانوا على وجل وخوف واشفاق منها
فيكون ذلك ادعى لهم الى الطاعة والتوبة وازجر لهم عن المعصية **لا يجليها لوقتها الا هو** قال
مجاهد لا ياتي بها الا هو وقال السدي لا يرسلها لوقتها الا هو والتجلية اظهار الشي بعد خفايه
والمعنى لا يظهرها لوقتها المعين الا الله ولا يقدر على ذلك غيره **ثقلت في السموات والارض**
يعني ثقل امرها وخفي علمها على اهل السموات والارض وكل شي خفي فهو ثقيل شديد وقال الحسن اذا
جات ثقلت وعظمت على اهل السموات وانما ثقلت عليهم لان فيه فناوهم وموتهم وذلك ثقيل على
القلوب **لا تاتيكم الا بغتة** يعني فجاة على حين غفلة من الخلق **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه
ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه
فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة
القريبة العهد بالنتاج قوله يليط حوضه ويروى يلوط حوضه يعني يطينه ويصلحه يقال لاط
حوضه يليطه ويلوطه اذا طينه واصله من اللصوق والاكلة بضم الهمزة اللقمة وقوله تعالى
يسالونك كانك حفي عنها يعني يسالك قومك عن الساعة كانك حفي بهم بمعنى بار بهم شفيق عليهم
فعلى هذا القول فيه تقديم وتاخير تقديره يسالونك عنها كانك حفي بهم قال ابن عباس يقول
كان بينك وبينهم مودة وكانك صديق لهم قال ابن عباس لما سال الناس محمدا صلى الله عليه وسلم عن
الساعة سالوه سوال قوم كانهم يرون ان محمدا صلى الله عليه وسلم حفي بهم فاوحى الله عز وجل
اليه انما علمها عنده استاثر بعلمها فلم يطلع عليه ملكا ولا رسولا وقيل معناه يسالونك عنها كانك
حفي بها اي عالم بها من قولهم احفيت في المسالة اذا بالغت في السوال عنها حتى علمتها **قل** يعني قل يا محمد
انما علمها عند الله يعني استاثر الله بعلمها فلا يعلم متى الساعة الا الله عز وجل فان قلت قوله
يسالونك عن الساعة ايان مرساها وقوله ثانيا يسالونك كانك حفي عنها فيه تكرار قلت ليس
فيه تكرار لان السوال الاول سوال عن وقت قيام الساعة والسوال الثاني سوال عن احوالها
من ثقلها وشدايدها فلم يلزم التكرار فان قلت عبر عن الجواب في السوال الاول بقوله علمها
عند ربي وعن الجواب في السوال الثاني بقوله علمها عند الله فهل من فرق بين الصورتين في الجوابين قلت

فيه فرق لطيف وهو انه لما كان السوال الاول واقعا عن وقت قيام الساعة عبر عن الجواب فيه بقوله
علم وقت قيامها عند ربي ولما كان السوال الثاني واقعا عن احوالها وشدايدها وثقلها عبر عن
الجواب فيه بقوله علم ذلك عند الله لانه اعظم الاسما **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** يعني لا يعلمون ان علمها
عند الله وانه استاثر بعلم ذلك حتى لا تسالوا عنه وقيل ولكن اكثر الناس لا يعلمون السبب الذي
من اجله اخفى علم وقت قيامها المغيب عن الخلق قوله تعالى **قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا** قال
ابن عباس ان اهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فتشتريه فتربح فيه
عند الغلا وبالارض التي تريد ان تجدب فترحل عنها الى ما قد اخصب فانزل الله قل لا املك لنفسي
اي قل يا محمد لا املك لنفسي اي قل يا محمد لا املك ولا اقدر لنفسي نفعا اي اجتلاب نفع بان اربح فيما
اشتريه ولا ضرا يعني ولا اقدر ان ادفع عن نفسي ضرا نزل بها بان ارتحل الى الارض الخصبة واترك
الجدبة **الا ما شا الله** يعني ان املكه واقدر عليه **ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير** يعني ولو
كنت اعلم وقت الخصب والجدب لاستكثرت من المال **وما مسني السو** يعني الضر والفقر والجوع وقال
ابن جريج معناه لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا من الهدى والضلالة ولو كنت اعلم الغيب يريد وقت الموت
لاستكثرت من الخير يعني من العمل الصالح وقيل ان اهل مكة لما سالوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن
الساعة انزل الله الاية الاولى وهذه الاية ومعناه انا لا ادعي علم الغيب حتى اخبركم عن وقت قيام
الساعة وذلك لما طالبوه بالاخبار عن الغيوب فذكر ان قدرته قاصرة عن علم الغيب فان قلت
قد اخبر صلى الله عليه وسلم عن المغيبات وقد جاءت احاديث في الصحيح بذلك وهو من اعظم معجزاته
صلى الله عليه وسلم فكيف الجمع بينه وبين قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير قلت يحتمل ان
يكون قاله صلى الله عليه وسلم على سبيل التواضع والادب والمعنى لا اعلم الغيب الا ان يطلعني الله عليه
ويقدره لي ويحتمل ان يكون قال ذلك قبل ان يطلعه الله عز وجل على الغيب فلما اطلعه الله اخبر به
كما قال فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول او يكون خرج هذا الكلام مخرج الجواب عن سوالهم
ثم بعد ذلك اظهره الله تعالى على اشيا من المغيبات فاخبر عنها ليكون ذلك معجزة له ودلالة على صحة
نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله وما مسني السو يعني الجنون وذلك انهم نسبوه الى الجنون وقيل معناه
ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من تحصيل الخير واحترزت عن الشر حتى اصير بحيث لا يمسني السو وقيل معناه
ولو كنت اعلم الغيب لاعلمتكم بوقت قيام الساعة حتى تومنوا وما مسني السو يعني قولكم لو كنت نبيا لعلمت
متى تقوم الساعة **ان انا الا نذير** يعني ما انا الا رسول ارسلني الله اليكم انذركم واخوفكم عقابه ان لم
تومنوا **وبشير** يعني وابشر بثوابه **لقوم يومنون** يعني يصدقون قوله عز وجل **هو الذي خلقكم من نفس واحدة**
يعني ادم عليه السلام **وجعل منها زوجها** يعني وخلق منها زوجها حوى وقد تقدم كيفية ما خلق حوى
من ضلع ادم في اول سورة النسا **ليسكن** يعني ليانس بها وياوي **اليها فلما تغشاها** يعني واقعها
كني به عن الجماع احسن كناية لان الغشيان اتيان الرجل المراة وقد غشيها وتغشاها اذا علاها وتجللها
حملت حملا خفيفا يعني النطفة والمني لان اول ما تحمل النطفة وهي خفيفة عليها **فمرت به** يعني انها استمرت
بذلك الحمل فقامت وقعدت وهو خفيف عليها **فلما اثقلت** اي صارت الى حال الثقل وكبر ذلك الحمل ودنت
ولادتها **دعوا الله ربهما** يعني ادم وحوى دعوا الله ربهما **لين اتيتنا صالحا** يعني لين اعطيتنا بشرا
سويا مثلنا **لنكونن من الشاكرين** يعني لك على نعامك علينا قال المفسرون لما اهبط ادم وحوى الى الارض

القيت الشهوة في نفس ادم فاصاب حوى فحملت من ساعتها فلما اثقل الحمل وكبر الولد اتاها ابليس فقال
لها ما الذي في بطنك قالت ما ادري قال اني اخاف ان يكون بهيمة او كلبا او خنزيرا انه يرى في الارض
الا بهيمة او نحوها قالت اني اخاف بعض ذلك قال وما يدريك من اين يخرج امن دبرك او من فيك
او يشق بطنك فيقتلك فخافت حوى من ذلك وذكرته لادم فلم يزالا في غم من ذلك ثم عاد اليها ابليس
فقال لها اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه
عبد الحرث وكان اسم ابليس في الملايكة الحارث فذكرت ذلك حوى لادم فقال لعله صاحبنا الذي قد
علمت فعاودها ابليس فلم يزل بهما حتى غرهما فلما ولدت سمياه عبد الحرث وقال ابن عباس كانت حوى
تلد لادم فيسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت فاتاهما ابليس فقال ان سركما
ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث فولدت فسمياه عبد الحرث فعاش عن سمرة بن جندب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما حملت حوى طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحرث
فسمته فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وامره اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب لا نعرفه
الا من حديث عمر بن ابراهيم عن قتادة وقال وقد رواه بعضهم ولم يرفعه وقوله وذلك وحي الشيطان
يعني من وسوسته وحديثه لا انه امر عظيم مرتين مرة في الجنة ومرة في الارض قال ابن عباس لما
ولدت له اول ولد اتاه ابليس فقال اني سانصح لك في شان ولدك هذا اسميه عبد الحرث وكان اسمه في
السما الحرث فقال ادم اعوذ بالله من طاعتك اني اطعتك في اكل الشجرة فاخرجتني من الجنة فلن اطيعك
فمات ولده ثم ولد له بعد ذلك ولد اخر قال اطعني والا مات كما مات الاول فعصاه فمات ولده فقال
لا ازال اقتلهم حتى تسميه عبد الحرث فلم يزل به حتى سماه عبد الحرث فذلك قوله عز وجل **فلما اتاهما**
صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما قال ابن عباس اشركه في طاعته في غير عبادة ولم يشرك بالله ولكن
اطاعه وقال قتادة اشركا في الاسم ولم يشركا في العبادة وقال عكرمة ما اشرك ادم ولا حوى وكان
لا يعيش لهما ولد فاتاهما الشيطان فقال ان سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث فهو قوله
جعلا له شركا فيما اتاهما وقرى شركا بكسر الشين مع التنوين ومعناه شركة وقال ابو عبيدة معناه
حظا ونصيبا وقرى شركا بضم الشين مع المد جمع شريك يعني ابليس عبر عن الواحد بلفظ الجمع
يعني جعلا له شريكا اذ سميا ولدهما عبد الحرث قال العلما ولم يكن ذلك شركا في العبادة ولا ان الحرث
ربا لهما لان ادم عليه السلام كان نبيا معصوما من الشرك ولكن قصدا بتسميتهما الولد بعبد الحرث
ان الحرث كان سبب نجاة الولد وسلامته وسلامة امه وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به انه
مملوك كما قال الشاعر • واني لعبد الضيف ما دام ثاويا • اخبر عن نفسه انه عبد الضعيف
ما اقام عنده مع بقا الحرية عليه وانما اراد بالعبودية خدمة الضيف والقيام بواجب حقوقه
كما يقوم العبد بواجب حقوق سيده وقد يطلق اسم الرب بغير الف ولام على غير الله كقول يوسف
عليه السلام لعزيز مصر انه ربي احسن مثواي اراد به التربية ولم يرد به انه ربه ومعبوده فكذلك هذا
وانما اخبر عن ادم بقوله جعلا له شركا فيما اتاهما لان حسنات الابرار سيات المقربين ولان منصب
النبوة اشرف المناصب واعلاها فعاتبه الله على ذلك لانه نظر الى السبب ولم ينظر الى المسبب والله
اعلم بمراده وانما اشركا به قال العلما وعلى هذا فقد تم الكلام عند قوله فيما اتاهما ثم ابتدا في الخبر عن
الكفار بقوله **فتعالى الله عما يشركون** نزه نفسه سبحانه وتعالى عن اشراك المشركين من اهل مكة

وغيرهم وهذا على العموم ولو اراد ادم وحوى لقال فتعالى الله عما يشركان على التثنية لا على
الجمع وقال بعض اهل المعاني ولو اريد به ما سبق من معنى الاية فتستقيم ايضا من حيث انه كان الاولى بهما
ان يفعلا ما اتيا به من الاشراك في التسمية وكان الاولى ان يسمياه عبد الله لا عبد الحرث وفي معنى
الاية قول اخر وهو انه راجع الى جميع المشركين من ذرية ادم وهو قول الحسن وعكرمة ومعناه وجعل اولادهما
له شركا فحذف ذكر الاولاد واقامهما مقامهم كما اضاف فعل الابا الى الابنا بقوله ثم اتخذتم العجل واذ قتلتم
نفسا فعيره به لليهود الذين كانوا موجودين زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك من فعل ابائهم وقال
عكرمة خاطب كل واحد من الخلق بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة اي خلق كل واحد من ابيه وجعل
منها زوجها اي وجعل من جنسها زوجها ادمية مثله وهذا قول حسن الا ان القول الاول اصح لانه
قول السلف مثل ابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم من المفسرين وورد الحديث بذلك
عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هم اليهود والنصارى رزقهم الله اولادا فهودوهم ونصروهم وقال
ابن كيسان هم الكفار سموا اولادهم بعبد العزى وعبد شمس وعبد الدار ونحو ذلك وقوله تعالى ايشركون
قرئ بالتاء على خطاب الكفار وقرئ بالياء على الغيبة ما لا يخلق شيئا يعني ابليس والاصنام وهم يخلقون
اي وهم مخلوقون فان قلت كيف وحد يخلق ثم جمع فقال تعالى يخلقون قلت ان لفظ ما يقع على الواحد
والاثنين والجمع فهي من صيغ الوحدان بحسب ظاهر اللفظ ومحتمله للجمع بحسب المانع فوحد قوله
ما لا يخلق رعاية لحكم ظاهر اللفظ وجمع قوله وهم يخلقون رعاية لجانب المعنى فان قلت كيف جمع
بالواو والنون لمن لا يعقل وهو جمع من يعقل من الناس قلت لما اعتقد عابدوا الاصنام انها تعقل وتميز ورد هذا
الجمع بنا على ما يعتقدونه ويتصورونه وقوله تعالى ولا يستطيعون لهم نصرا يعني ان الاصنام لا تقدر
على نصر من اطاعها وعبدها ولا تنصر من عصاها والنصر المعونة على الاعدا والمعنى ان المعبود الذي يجب
عبادته يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضر وهذه الاصنام ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل ان
يعبدها ثم قال تعالى ولا انفسهم ينصرون يعني ولا يقدرون على ان يدفعوا عن انفسهم مكروها فان
من اراد كسرها قدر عليه وهي لا تقدر على دفعه عنها ثم خاطب المؤمنين فقال تعالى وان تدعوهم الى
الهدى يعني وان تدعوا ايها المؤمنون المشركين الى الهدى لا يتبعوكم لان الله تعالى حكم عليهم بالضلالة
فلا يقبلوا الهداية سواء عليكم ادعوتموهم يعني الى الدين والهدى الهداية ام انتم صامتون اي ساكتون
عن دعائهم فهم في كلا الحالين لا يؤمنون وقيل ان الله تعالى لما بين في الاية المتقدمة عجز الاصنام بين
في هذه الاية انه لا علم لها بشيء البتة والمعنى ان هذه الاصنام التي يعبدها المشركون معلوم من حالها انها
لا تضر ولا تنفع ولا تسمع لمن دعاها الى خير وهدى ثم قوى هذا المعنى بقوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
وذلك ان المشركين كانوا اذا وقعوا في شدة وبلاء تضرعوا الى اصنامهم فاذا لم يكن لهم الى الاصنام حاجة
سكتوا وصمتوا فقيل لهم لا فرق بين دعائكم الاصنام او سكوتكم عنها فانها عاجزة في كل حال قوله تعالى
ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم يعني ان الاصنام التي يعبدها هؤلاء المشركون انما هي
مملوكة لله امثالهم وقيل انها مسخرة من الله مثل ما انتم مسخرون مملوكون وقال مقاتل في قوله عباد امثالكم
انها الملائكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة والقول الاول اصح وفيه سؤال وهو انه وصفها بانها
عباد مع انها جماد والجواب ان المشركين لما ادعوا ان الاصنام تضر وتنفع وجب ان يعتقدوا كونها عاقلة
فاهمة فورد هذه الالفاظ على وفق معتقدهم تبكيتا لهم وتوبيخا ولذلك قال فادعوهم فليستجيبوا لكم

الا كنتم

ان كنتم صادقين في كونها الهة وجواب اخر وهو ان هذا اللفظ انما ورد في معرض الاستهزاء بالمشركين والمعنى
ان قصارى هذه الاصنام التي تعبدونها احياء عاقلة على معتقدكم فهم عباد الله امثالكم ولا فضل لهم عليكم
فلم عبدتموهم وجعلتموهم الهة وجعلتم انفسكم لهم عبيدا ثم وصفهم بالعجز فقال الهم ارجل يمشون بها ام
لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها يعني ان قدرة الانسان
المخلوق انما تكون بهذه الجوارح الاربعة فانها الات يستعين بها في جميع اموره والاصنام ليس لها من هذه
الاعضاء والجوارح شيء فهم مفضلون عليهم بهذه الاعضاء لان الرجل الماشية افضل من الرجل العاجزة
عن المشي وكذلك اليد الباطشة افضل من اليد العاجزة عن البطش والعين الباصرة افضل من العين
العاجزة عن الادراك والاذن السامعة افضل من الاذن العاجزة عن السمع فظهر بهذا البيان ان
الانسان افضل من هذه الاصنام العاجزة بكثير بل لا فضل لها البتة لانها حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع
واذا كان الامر كذلك فكيف يليق بالانسان العاقل الافضل ان يشتغل بعبادة الاخس الادون الارذل
الذي لا فضل له البتة ولا يضر ولا ينفع فامتنع بهذه الحجة كون الاصنام الهة ثم قال تعالى قل ادعوا شركاءكم
اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين ادعوا شركاءكم هذه الاصنام التي تعبدونها حتى يتبين عجزها ثم كيدون يعني
انتم وشركاؤكم وهذا متصل بما قبله في استكمال الحجة عليهم لانهم لما قرعوا بعبادة من لا يملك ضرا ولا نفعا
قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان معبودي يملك الضر والنفع فلو اجتهدتم في كيدي لم تصلوا الى ضري لان
الله يدفع عني وقال الحسن كانوا يخوفونه بالهتهم فقال الله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون
اي لا تمهلون واعجلوا في كيدكم انتم وشركاؤكم ان وليي الله يعني ان الذي يتولى حفظي ونصري عليكم هو الله
الذي نزل الكتاب يعني القران والمعنى ان الذي اكرمني بانزال الكتاب علي كذلك يتولى حفظي ونصري وهو
يتولى الصالحين يعني يتولاهم بنصره وحفظه فلا يضرهم عداوة من عاداهم من المشركين وغيرهم ممن اراد بهم
سوءا وكادهم بشر قال ابن عباس يريد بالصالحين الذين لا يعدلون بالله شيئا ولا يعصونه وفي هذا
مدح للصالحين لان من تولاه الله بحفظه فلا يضره شيء قوله عز وجل والذين تدعون من دونه
لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون هذه الاية قد تقدم تفسيرها والفائدة في تكريرها ان
الاية الاولى مذكورة على جهة التقريع والتوبيخ وهذه الاية مذكورة على جهة الفرق بين من تجوز له
العبادة وهو الله الذي يتولى الصالحين بنصره وحفظه وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تكون
معبودة وقوله تعالى خذ العفو العفو هنا الفضل وما جاء بلا كلفة والمعنى اقبل الميسور من اخلاق الناس
واعمالهم من غير تجسيس وذلك مثل قبول الاعتذار منهم وترك البحث عن الاشياء والعفو المساهلة في كل
شيء خ عن عبد الله بن الزبير قال ما نزلت خذ العفو وامر بالعرف الا في اخلاق الناس وفي رواية قال
امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياخذ العفو من اخلاق الناس كذا في جامع الاصول وفي الجمع بين
الصحيحين للحميدي قال امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياخذ العفو من اقوال الناس او الاقال وقال
ابن عباس يعني خذ ما عفا لك من اموالهم مما اتوك به من شيء فخذه وكان هذا قبل ان تنزل براءة بفرائض
الصدقات وتفصيلها وما انتهت اليه وقال السدي خذ العفو اي الفضل من المال نسختها اية الزكاة
وقال الضحاك ما عفي من اموالهم وهذا قبل ان تفرض الصدقة المفروضة وامر بالعرف يعني وامر بكل
ما امرك الله به وهو كل ما عرفته بالوحي من الله عز وجل وكل ما يعرفه الشرع وقال عطا وامر بقول لا اله الا الله
واعرض عن الجاهلين امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصفح عن الجاهلين وهذا قبل ان

يوم قتال الكفار فلما امر بقتالهم صار الامر بالاعراض عنهم منسوخا باية القتال قال بعضهم اول هذه الاية
واخرها منسوخ ووسطها محكم يريد بنسخ اولها اخذ الفضل من الاموال فنسخ بفرض الزكاة والامر
بالعرف محكم والاعراض عن الجاهلين منسوخ باية القتال روي انه لما نزلت هذه الاية قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لجبريل ما هذا قال لا ادري حتى اسال ثم رجع فقال ان ربك يامرك ان تصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ذكره البغوي بغير سند وقال جعفر الصادق امر الله عز وجل نبيه صلى
الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق وليس في القران اية اجمع لمكارم الاخلاق من هذه عن عايشة قالت
لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا في الاسواق ولا يجزي بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويصفح اخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال قوله عز وجل **واما
ينزغنك من الشيطان نزغ** قال ابن زيد لما نزل قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن
الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بالغضب يا رب فانزل الله واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ونزغ الشيطان عبارة عن وساوسه ونخسه في القلب وقيل
النزغ الانزعاج واكثر ما يكون عند الغضب واصله الازعاج بالحركة الى الشر والافساد يقال نزغت
بين القوم اذا افسدت بينهم وقال الزجاج النزغ ادنى حركة تكون ومن الشيطان ادنى وسوسة
والمعنى واما يصيبنك يا محمد ويعرض لك من الشيطان وسوسة او نخسة **فاستعذ بالله** يعني فاستجر
بالله والجا اليه في دفعه عنك **انه سميع** يعني لدعايك **عليم** بحالك وقيل ان الشيطان يجد مجالا
في حمل الانسان على ما لا ينبغي في حالة الغضب والغيظ فامر الله بالالتجا اليه والتعوذ به في تلك
الحالة فهي تجري مجرى العلاج لذلك المرض **فصل** واحتج الطاعنون في عصمة الانبيا
بهذه الاية فقالوا لو كان النبي معصوما لم يكن للشيطان عليه سبيل حتى ينزغ في قلبه ويحتاج الى
الاستعاذة والجواب عنه من وجوه الاول ان معنى الكلام ان حصل في قلبك نزغ من الشيطان
فاستعذ بالله وانه لم يحصل ذلك البتة فهو كقوله لين اشركت وهو بري من الشرك البتة والوجه
الثاني على تقدير انه لو حصل وسوسة من الشيطان لكن الله عز وجل قد عصم نبيه صلى الله عليه
وسلم عن قبولها وثباتها في قلبه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من
احد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملايكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي
الا ان الله اعانني عليه فاسلم فلا يامرني الا بخير قال الشيخ محيي الدين النواوي يروى فاسلم بفتح الميم
وضمها فمن رفع قال معناه فاسلم انا من شره وفتنته ومن فتح قال معناه ان القرين اسلم من الاسلام
يعني صار مومنا لا يامرني الا بخير قال الخطابي الصحيح المختار الرفع ورجح القاضي عياض الفتح قال الشيخ وهو
المختار لقوله فلا يامرني الا بخير قال القاضي عياض واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه
وسلم من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه وفي الحديث اشارة الى التحذير من فتنة القرين ووسوسته
واغوايه اعلمنا انه معنا لنحترز منه بحسب الامكان والله اعلم الوجه الثالث يحتمل ان يكون الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ومعناه واما ينزغنك ايها الانسان من الشيطان نزغ
فاستعذ بالله قوله تعالى **ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف** وقرى طايف **من الشيطان**
وهما لغتان ومعناه الشي يلم بالانسان وقيل بينهما فرق فالطايف ما يطوف حول الانسان والطيف

الوسوسة وقيل الطايف ما طاف به من وسوسة الشيطان والطيف اللمم والمس وقال الازهري
الطيف في كلام العرب الجنون وقيل للغضب طيف لان الغضبان يشبه المجنون وقيل سمي الجنون
والغضب والوسوسة طيفا لانه لمة من الشيطان تشبه لمة الخيال فذكر في الاية الاولى النزغ
وهو اخف من الطيف المذكور في هذه الاية لان حالة الشيطان مع الانبيا اضعف من حالة مع غيرهم
تذكروا يعني عرفوا ما حصل لهم من وسوسة الشيطان وكيده قال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب
الغضب فيذكر الله فيكظم غيظه وقال مجاهد هو الرجل يلم بالذنب فيذكر الله فيقوم ويدعه
فاذا هم مبصرون يعني انهم يبصرون مواقع الخطايا لتذكرهم بالتفكر وقال السدي اذا زلوا تابوا وقال
مقاتل اذا اصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف انه معصية فابصر ونزع عن مخالفة الله عز وجل **واخوانهم**
يعني واخوان الشياطين من المشركين **يمدونهم** اي يمدهم الشيطان **في الغي** وقال الكلبي لكل كافر اخ من الشياطين
يمدونهم اي يطلبون لهم في الاغوا حتى يستمروا عليه وقيل يزيدونهم في الضلالة **ثم لا يقصرون** يعني
لا يكفون عن الضلالة ولا يتركونها وهذا بخلاف حال المومنين المتقين لان المومن اذا اصابه طيف
من الشيطان تذكر وعرف ذلك فنزع عنه وتاب واستغفر والكافر مستمر في ضلالته لا يتذكر ولا يرعوي
وقال ابن عباس لا الانس يقصرون عما يعملون من السيات ولا الشياطين يمسكون عنهم فعلى هذا
القول يحمل قوله لا يقصرون على فعل الانس والشياطين جميعا قوله عز وجل **واذا لم تاتهم باية**
يعني واذا لم تات المشركين يا محمد باية معجزة باهرة **قالوا** يعني قال المشركون **لولا اجتبيتها** يعني افتعلتها
وانشاتها من قبل نفسك واختيارك تقول العرب اجتبيت الكلام اذا اختلقته وافتعلته وقال
الكلبي كان اهل مكة يسالون النبي صلى الله عليه وسلم الايات تعنتا فاذا تاخرت اتهموه وقالوا لولا
اجتبيتها يعني هلا اخذتها وانشاتها من عندك **قل** اي قل يا محمد لهولا المشركين الذين سالوا الايات
انما اتبع ما يوحى الي من ربي يعني القران الذي انزله علي وليس لي ان اقترح الايات والمعجزات **هذا
بصاير من ربكم** يعني هذا القران فيه حجج وبرهان واصل البصاير الابصار وهو ظهور الشي حتى
يبصره الانسان ولما كان القران سببا لبصاير العقول في دلايل التوحيد والنبوة والمعاد اطلق
عليه اسم البصيرة فهو من باب تسمية السبب باسم المسبب **وهدى** يعني وهو هدى **ورحمة** يعني وهو
رحمة من الله **لقوم يومنون** وها هنا لطيفة وهي في الفرق بين هذه المراتب الثلاث وذلك ان الناس
متفاوتون في درجات العلوم فمنهم من بلغ الغاية في علم التوحيد حتى صار كالمشاهد وهم اصحاب
عين اليقين ومنهم من بلغ درجة الاستدلال والنظر وهم اصحاب علم اليقين ومنهم المسلم المستسلم
وهم عامة المومنين وهم اصحاب حق اليقين فالقران في حق الاولين وهم السابقون بصاير وفي
حق القسم الثاني وهم المستدلون هدى وفي حق القسم الثالث وهم عامة المومنين رحمة قوله تعالى
واذا قري القران فاستمعوا له وانصتوا لما ذكر الله تعالى عظم شان القران بقوله هذا بصاير
من ربكم وهدى ورحمة اتبعه بما يجب من تعظيم شانه عند قراته فقال تعالى واذا قري عليكم
ايها المومنون القران فاستمعوا له يعني اصغوا اليه باسماعكم لتفهموا معانيه وتتدبروا مواعظه
وانصتوا عند قراته والانصات السكوت للاستماع يقال نصت وانصت وانتصت بمعنى واحد
واختلف العلما في الحال التي امر الله عز وجل بالاستماع لقارى القران والانصات له اذا قرى
لان قوله فاستمعوا له وانصتوا امر وظاهر الامر للوجوب فمقتضاه ان يكون الاستماع والسكوت

والجنبين وللعلماء في ذلك اقوال القول الاول وهو قول الحسن واهل الظاهر انه يجري هذه الآية على العموم
ففي اي وقت واي موضع قرئ القرآن فيجب على كل احد الاستماع له والسكوت القول الثاني انها نزلت في
تحريم الكلام في الصلاة روي عن ابي هريرة انهم كانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم فامروا بالسكوت والاستماع
لقراءة القرآن وقال عبد الله كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة سلام على فلان وسلام على فلان قال
فجاء القرآن واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا القول الثالث انها نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف
الامام روي عن ابي هريرة قال نزلت هذه الآية في رفع الاصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعن ابن مسعود انه سمع ناسا يقرؤون مع الامام فلما انصرف قال اما آن لكم ان تفقهوا واذا قرئ
القرآن فاستمعوا له وانصتوا كما امركم الله وقال الكلبي كانوا يرفعون اصواتهم في الصلاة حين يسمعون
ذكر الجنة والنار القول الرابع انها نزلت في السكوت عند الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد بن
جبير ومجاهد وعطاء قال مجاهد الانصات للامام يوم الجمعة وقال عطاء وجب الصموت في اثنتين
عند الرجل يقرأ القرآن وعند الامام وهو يخطب وهذا القول قد اختاره جماعة وفيه بعد لان
الآية مكية والخطبة انما وجبت بالمدينة واتفقوا على انه يجب الانصات حال الخطبة بدليل السنة
وهو ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك انصت والامام
يخطب يوم الجمعة فقد لغوت اخرجاه في الصحيحين واختلف العلماء في القراءة خلف الامام فذهب
جماعة الى ايجابها سواء جهر الامام بالقراءة او اسر يروى ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن عباس ومعاذ
وهو قول الاوزاعي واليه ذهب الشافعي وذهب قوم الى انه يقرأ فيما اسر الامام فيه القراءة ولا يقرأ
اذا جهر يروى عن ابن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك
واحمد واسحق وذهب قوم الى انه لا يقرأ سواء اسر الامام او جهر يروى ذلك عن جابر واليه ذهب اصحاب
الرأي حجة من لا يرى القراءة خلف الامام ظاهر هذه الآية وحجة من قال يقرأ في السرية دون الجهرية
قال ان الآية تدل على الامر بالاستماع لقراءة القرآن ودلت السنة على وجوب القراءة خلف الامام
فحملنا مدلول الآية على صلاة الجهرية وحملنا مدلول السنة على صلاة السرية جمعا بين دلائل الكتاب
والسنة وحجة من اوجب القراءة خلف الامام في صلاة السرية والجهرية قال الآية واردة في غير الفاتحة
لان دلائل السنة قد دلت على وجوب قراءة الفاتحة خلف الامام ولم يفرق بين السرية والجهرية قالوا
واذا قرأ الفاتحة خلف الامام يتبع سكتاته ولا ينازعه في القراءة ولا يجهر بالقراءة خلفه ويدل
عليه ما روي عن عبادة بن الصامت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فثقلت عليه
القراءة فلما انصرف قال اراكم تقرؤون وراء امامكم قال قلنا يا رسول الله اي والله قال لا تفعلوا الا بام
القرآن فانه لا صلاة لمن لا يقرأ بها اخرجه الترمذي بطوله واخرجاه في الصحيحين اقصر منه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب م عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج يقولها ثلاثا غير تمام
فقيل لابي هريرة انا نكون وراء الامام قال اقرأ بها في نفسك وذكر الحديث وقوله تعالى **لعلكم ترحمون**
يعني لكي يرحمكم ربكم باتباعكم ما امركم به من اوامره وفرائضه **واذكر ربك في نفسك** الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من امته لانه عام لسائر المكلفين قال ابن عباس يعني بالذكر القراءة
في الصلاة يريد تقرأ سرا في نفسك والفائدة فيه ان انتفاع الانسان بالذكر انما يكمل اذا وقع الذكر

بهذه

بهذه الصفة لان ذكر النفس اقرب الى الاخلاص وابعد عن الرياء وقيل المراد بالذكر في النفس ان يستحضر
في قلبه عظمة المذكور جل جلاله واذا كان الذكر باللسان عاريا عن ذكر القلب كان عديم الفائدة
لان فائدة الذكر حضور القلب واستشعار عظمة المذكور تعالى **تضرعا** يقال ضرع الرجل يضرع
ضراعة اذا خضع وذل واستكان لغيره **وخيفة ودون الجهر من القول** يعني وخوفا والمعنى يتضرع
الي ويخاف من عذابي وقال مجاهد وابن جريج امروا ان يذكروه في الصدور بالتضرع والاستكانة دون
رفع الصوت في الدعاء وها هنا لطيفة وهي ان قوله تعالى واذكر ربك في نفسك فيه اشعار بقرب
العبد من الله عز وجل وهو مقام الرجاء لان لفظ الرب مشعر بالتربية والرحمة والفضل والاحسان
فاذا تذكر العبد انعام الله عليه واحسانه اليه فعند ذلك يقوى مقام الرجاء ثم اتبعه بقوله تضرعا وخيفة
وهذا مقام الخوف فاذا حصل في قلب العبد داعية الخوف والرجاء قوي ايمانه والمستحب ان يكون الخوف
اغلب على العبد في حال صحته وقوته فاذا قارب الموت ودنا اجله فيستحب ان يغلب رجاؤه على
خوفه عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك
فقال ارجو الله يا رسول الله واني اخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب
عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجو وامنه مما يخاف اخرجه الترمذي وقوله تعالى
بالغدو جمع غدوة **والآصال** جمع اصيل وهو ما بين صلاة العصر الى المغرب والمعنى اذكر ربك بالبكر والعشيات
وانما خص هذين الوقتين بالذكر لان الانسان يقوم بالغداة من النوم الذي هو اخو الموت فاستحب
له ان يستقبل حالة الانتباه من النوم وهو وقت الحياة من موت النوم بالذكر ليكون اول اعماله
ذكر الله عز وجل واما وقت الآصال وهو آخر النهار فان الانسان يريد ان يستقبل النوم الذي هو
اخو الموت فيستحب له ان يستقبله بالذكر لانها حالة تشبه الموت ولعله لا يقوم من تلك النومة
فيكون موته على ذكر الله عز وجل وهو المراد من قوله تعالى **ولا تكن من الغافلين** يعني عما يقربك
الى الله عز وجل وقيل ان اعمال العباد تصعد اول النهار وآخره فيصعد عمل الليل عند صلاة الفجر ويصعد
عمل النهار بعد العصر الى المغرب فاستحب له الذكر في هذين الوقتين ليكون ابتداء عمله بالذكر واختتامه
بالذكر وقيل لما كانت الصلاة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر مكروهة استحب للعبد ان يذكر
الله في هذين الوقتين ليكون في جميع اوقاته مشتغلا بما يقربه الى الله تعالى من صلاة او ذكر قوله
عز وجل **ان الذين عند ربك** يعني الملائكة المقربين لما امر الله عز وجل رسوله والمؤمنين بالذكر في حالة
التضرع والخوف اخبر ان الملائكة الذين عنده مع علو مرتبتهم وشرفهم وعصمتهم **لا يستكبرون عن عبادته**
وطاعته لانهم عبيده خاضعين لعظمته وكبريائه عز وجل **ويسبحونه** يعني وينزهونه عن جميع النقائص
ويقولون سبحان الله ربنا **وله يسجدون** لا لغيره فان قلت التسبيح والسجود داخلان في قوله
لا يستكبرون عن عبادته لانهما من جملة العبادة فكيف افردهما بالذكر قلت اخبر الله عز وجل عن
حال الملائكة انهم خاضعين لعظمته لا يستكبرون عن عبادته ثم اخبر عن صفة عبادتهم وانهم يسبحونه
وله يسجدون ولما كانت الاعمال تنقسم الى قسمين اعمال القلوب واعمال الجوارح فاعمال القلوب هي
تنزيه الله عن كل سوء وهو الاعتقاد القلبي عبر عنه بقوله ويسبحونه وعبر عن اعمال الجوارح بقوله وله
يسجدون وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيستحب للقارئ والمستمع ان يسجد عند قوله وله يسجدون
ليوافق الملائكة المقربين في عبادتهم ق عن عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن فيقرأ

سورة فيها سجدة فيسجد ونسجد معه حتى ما يجد بعضنا موضعا لمكان جبهته في غير وقت صلاة م عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي
يقول يا ويلتا امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فابيت فلي النار م عن ثوبان مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليك بكثرة السجود
لله فانك لا تسجد لله سجدة الا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة والله اعلم باسرار كتابه

تفسير سورة الانفال

مدنية كلها الا سبع ايات منها نزلت بمكة وهي من قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الى اخر سبع ايات
والاصح انها نزلت بالمدينة وان كانت الواقعة مكية وهي خمسة وسبعون اية والف وخمس وسبعون
كلمة وخمسة الاف وثمانون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يسئلونك عن الانفال ق عن
سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة الانفال قال نزلت في بدر واختلف اهل التفسير في سبب
نزولها فقال ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله
كذا وكذا ومن اتى مكان كذا فله كذا ومن قتل قتيلا فله كذا فسارع الشباب وبقيت الشيوخ تحت
الرايات فلما فتح الله عليهم جاوا يطلبون ما جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لا
تذهبوا به دوننا ولا تستاثروا به علينا فانا كنا ردا لكم ولو انكشفتم لانكشفتم الينا فتنازعوا فانزل
الله عز وجل يسئلونك عن الانفال الاية قال اهل التفسير وقام ابو اليسر بن عمرو الانصاري اخو بني
سلمة فقال يا رسول الله انك وعدت ان من قتل قتيلا فله كذا وانا قد قتلنا سبعين واسرنا سبعين
وقام سعد بن معاذ فقال والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هولاء زهادة في الاخرة ولا جبن على العدو
ولكن كرهنا ان نعري مصافك فتعطف عليه خيل من المشركين فيصيبونك فاعرض عنهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال سعد يا رسول الله ان الناس كثير والغنيمة دون ذلك فان تعط هولاء الذين
ذكرت لا يبقى لاصحابك كبير شي فنزلت هذه الاية يسئلونك عن الانفال وقال محمد بن اسحق امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بما في العسكر فجمع فاختلف المسلمون فيه فقال من جمعه هو لنا وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم نفل كل امرى ما اصاب وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ولولا نحن ما اصبتموه وقال
الذين يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنا نقدر ان نقاتل العدو ولكنا خفنا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم عزة العدو فقمنا دونه فما انتم باحق منا فنزلت هذه الاية وروى مكحول
عن ابي امامة الباهلي قال سالت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا معشر اصحاب بدر
نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا وجعله الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا على بواء يقول على سواء وكان في ذلك تقوى
الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر جيت بسيف
فقلت يا رسول الله ان الله قد شفى صدري من المشركين او نحو هذا هب لي هذا السيف فقال هذا ليس
لي ولا لك فقلت عسى ان يعطى هذا من لا يبلي بلائي فجاءني الرسول فقال انك سالتني وليس لي وانه قد
صار لي وهو لك فنزلت يسئلونك عن الانفال الاية اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن
صحيح واخرجه مسلم في جملة حديث طويل يتضمن فضايل سعد ولفظ مسلم فيه قال اصاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم غنيمة عظيمة فاذا فيها سيف فاخذته فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقلت

فقلت نفلني هذا السيف فانا من علمت حاله فقال رده حيث اخذته فانطلقت حتى اردت ان
القيه في القبض لامتني نفسي فرجعت اليه فقلت اعطنيه قال فشد على صوته رده من حيث اخذته
فانزل الله عز وجل يسئلونك عن الانفال وقال ابن عباس كانت المغانم لرسول الله صلى الله عليه
وسلم خاصة ليس لاحد فيها شي وما اصاب سرايا المسلمين من شي اتوه به فمن حبس منه ابرة
او سلكا فهو غلول واما التفسير فقوله تعالى يسئلونك عن الانفال اسئلتنا يعني يسئلك اصحابك
يا محمد عن حكم الانفال وعلمها وهو سؤال استفتاء لا سؤال طلب وقال الضحاك وعكرمة هو سؤال
طلب وقوله عن الانفال اي من الانفال وعن بمعنى من وقيل عن صلة اي يسئلونك الانفال
والانفال هي الغنايم في قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة واصله الزيادة سميت الغنايم
انفالا لانها زيادة من الله عز وجل لهذه الامة على الخصوص واكثر المفسرين على انها نزلت في غنايم
بدر وقال عطا هي ما شذ من المشركين الى المسلمين بغير قتال من عبد او امة او متاع فهي للنبي صلى الله
عليه وسلم يصنع فيه ما يشاء قل الانفال لله والرسول اي قل لهم يا محمد ان الانفال حكمها لله ورسوله
يقسمانها كيف شاء واختلف العلماء في حكم هذه الاية فقال مجاهد وعكرمة والسدي هذه الاية منسوخة
نسخها الله بقوله واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول الاية كانت الغنايم لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يقسمها كيف شاء ولمن شاء ثم نسخها الله بالخمس وقال بعضهم هذه الاية ناسخة
من وجه منسوخة من وجه وذلك ان الغنايم كانت حراما على الامم الذين من قبلنا من شرايع انبيايهم
فاباحها الله لهذه الامة بهذه الاية وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا ثم نسخت باية الخمس وقال عبد
الرحمن بن زيد انها محكمة وهي احدى الروايات عن ابن عباس ومعنى الاية على هذا القول قل الانفال
لله وللرسول يضعها حيث امره الله وقد بين الله مصارفها في قوله واعلموا انما غنمتم من شي فان لله
خمسه وللرسول الاية وصح من حديث ابن عمر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فغنمنا
ابلا فاصاب كل واحد منا اثني عشر بعيرا ونفلنا بعيرا بعيرا اخرجاه في الصحيحين فعلى هذا تكون الاية محكمة
وللامام ان ينفل من شاء من الجيش ما شاء قبل التخميس فاتقوا الله يعني اتقوا الله بطاعته واتقوا
مخالفته واتركوا المنازعة والمخاصمة في الغنايم واصلحوا ذات بينكم اي اصلحوا الحال فيما بينكم بترك
المنازعة والمخالفة وتسليم امر الغنايم الى الله ورسوله واطيعوا الله ورسوله فيما يامركم به وينهاكم
عنه ان كنتم مومنين يعني ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده قوله تعالى انما المومنون الذين اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم لما امر الله بطاعته وطاعة رسوله في الاية المتقدمة ثم قال بعده ان كنتم
مومنين لان الايمان يستلزم الطاعة بين في هذه الاية صفات المومنين واحوالهم فقال تعالى انما المو
منون ولفظة انما تفيد الحصر والمعنى ليس المومنون الذين يخالفون الله ورسوله انما المومنون الصادقون
في ايمانهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي خضعت وخافت ورقت قلوبهم وقيل اذا خوفوا بالله
انقادوا وخافوا من عقابه وقال اهل الحقايق الخوف على قسمين خوف العقاب وهو خوف العصاة
وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص لانهم يعلمون عظمة الله عز وجل فيخافونه اشد خوفا واما
العصاة فيخافون عقابه فالمومن اذا ذكر الله وجل قلبه وخافه على قدر مرتبته في ذكر الله عز وجل فان
قلت ان قال تعالى في هذه الاية وجلت قلوبهم بمعنى خافت وقال في اية اخرى وتطمين قلوبهم بذكر الله
فكيف الجمع بينهما قلت لا منافاة بين هاتين الحالتين لان الوجل هو خوف العقاب والاطمينان انما

يكون من ثلج اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف والرجا وقد جمعا في اية واحدة وهي قوله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله والمعنى انه تقشعر جلودهم من خوف عقاب الله ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند ذكر رحمته ورجا ثوابه وهذا حاصله في قلب المومن ثم قال تعالى **وإذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا** يعني واذا قرئ عليهم ايات القران زادتهم تصديقا قاله ابن عباس والمعنى انه كلما جاءهم شي من عند الله امنوا به فيزدادون بذلك ايمانا وتصديقا لان زيادة الايمان بزيادة التصديق وذلك على وجهين الوجه الاول وهو الذي عليه عامة اهل العلم على ما حكاه الواحدي ان كل من كانت الدلايل عنده اكثر واقوى كان ايمانه ازيد لانه عند حصول كثرة الدلايل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فتكون معرفته بالله اقوى فيزداد ايمانا الوجه الثاني وهو انهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله ولما كانت التكاليف متوالية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما تجدد تكليف صدقوا به فيزدادون بذلك الاقرار تصديقا وايمانا ومن المعلومات ان من صدق انسانا في شيين كان اكثر ممن يصدقه في شي واحد فقوله تعالى واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا معناه انه كلما سمعوا اية جديدة اتوا باقرار جديد وتصديق جديد وكان ذلك زيادة في ايمانهم واختلف الناس في ان الايمان هل يقبل الزيادة والنقصان ام لا فالذين قالوا ان الايمان عبارة عن التصديق القلبي قالوا لا يقبل الزيادة لاجماع اهل اللغة على ان الايمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب وذلك لا يقبل الزيادة ومن قال ان الايمان عبارة عن مجموع امور ثلاثة وهي التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح والاركان فقد استدل على ذلك بهذه من وجهين احدهما ان قوله زادتهم ايمانا صريح في ان الايمان يقبل الزيادة ولو كان عبارة عن التصديق بالقلب فقط لما قبل الزيادة واذا قبل الزيادة فقد قبل النقص الوجه الثاني انه ذكر في هذه الاية اوصافا متعددة من احوال المومنين ثم قال تعالى بعد ذلك اوليك هم المومنون حقا وذلك يدل على ان تلك الاوصاف داخلة في مسمى الايمان وروي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحيا شعبة من الايمان اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان الايمان اعلا وادنى واذا كان كذلك كان قابلا للزيادة والنقص قال عمير بن حبيب وكانت له صحبة ان للايمان زيادة ونقصانا قيل له فما زيادته قال اذا ذكرنا الله وحمدناه فذلك زيادته واذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن عدي ان للايمان فرايض وشرايط وشرايع وحدودا وسننا فمن استكملها فقد استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وقوله تعالى **وعلى ربهم يتوكلون** معناه يفوضون جميع امورهم اليه ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه واعلم ان المومن اذا كان واثقا بوعد الله ووعيده كان من المتوكلين عليه لا على غيره وهي درجة عالية ومرتبة شريفة لان الانسان يصير بحيث لا يبقى له اعتماد في شي من اموره الا على الله عز وجل واعلم ان هذه المراتب الثلاث اعني الوجل عند ذكر الله وزيادة الايمان عند تلاوة القران والتوكل على الله من اعمال القلوب ولما ذكر الله تعالى هذه الصفات الثلاث اتبعها بصفتين من اعمال الجوارح فقال تعالى **الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** يعني يقيمون الصلاة المفروضة بحدودها واركانها في اوقاتها وينفقون اموالهم فيما امرهم الله به من الانفاق فيه ويدخل فيه النفقة في الزكاة وفي الحج والجهاد وغير ذلك من الانفاق في انواع البر والقربات ثم قال تعالى **اوليك** يعني من هذه صفتهم **هم المومنون حقا** يعني يقينا لا شك في ايمانهم قال ابن

عباس بريوا من الكفر وقال قتادة استحقوا الايمان واحقه الله لهم وفيه دليل على انه لا يجوز ان يصف احد نفسه بكونه مومنا حقا لان الله انما وصف بذلك اقواما مخصوصين على اوصاف مخصوصة وكل احد لا يتحقق وجود تلك الاوصاف فيه وهذا يتعلق بمسيلة اصولية وهي ان اهل العلم اتفقوا على انه يجوز للرجل ان يقول انا مومن واختلفوا في انه هل يجوز له ان يقول انا مومن حقا ام لا فقال اصحاب ابي حنيفة الاولى ان يقول انا مومن حقا ولا يجوز ان يقول انا مومن ان شا الله واستدلوا على صحة هذا القول بوجوه الاول ان المتحرك لا يجوز ان يقول انا متحرك ان شا الله وكذا القول في القايم والقاعد فكذلك هذه المسالة يجب ان يكون المومن مومنا حقا ولا يجوز ان يقول انا مومن ان شا الله الوجه الثاني انه تعالى قال اوليك هم المومنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مومنين حقا وفي قوله انا مومن ان شا الله تشكيك فيما قطع الله لهم به فذلك لا يجوز وقال اصحاب الشافعي الاولى ان يقول انا مومن ان شا الله واحتجوا لصحة هذا القول بوجوه الاول ان الايمان عندهم عبارة عن الاعتقاد والاقرار والعمل وكون الانسان اتيا بالاعمال الصالحة المقبولة امر مشكوك فيه والشك في احد اجزا الماهية يوجب الشك في الماهية فيجب ان يقول انا مومن ان شا الله وان كان اعتقاده واقراره صحيحا وعند اصحاب ابي حنيفة ان الايمان عبارة عن الاعتقاد وخرج العمل عن مسمى الايمان فلم يزل حصول الشك الوجه الثاني ان قولنا انا مومن ان شا الله ليس هو على سبيل الشك ولكن اذا قال الرجل انا مومن فقد مدح نفسه باعظم المدايح فربما حصل له بذلك عجب فاذا قال ان شا الله زال ذلك العجب وحصل له الانكسار روي ان ابا حنيفة قال لقتادة لم تستثني في ايمانك فقال قتادة اتباعا لابراهيم عليه السلام في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطييتي يوم الدين فقال ابو حنيفة هلا اقتديت به في قوله اولم تومن قال بلى فانقطع قتادة قال بعضهم كان لقتادة ان يقول ان ابراهيم قال بعد قوله بلى ولكن ليطمين قلبي فطلب مزيد الطمانينة الوجه الثالث ان الله تعالى ذكر في اول الاية انما المومنون ولفظة انما تفيد الحصر يعني انما المومنون الذين هم كذا وكذا وذكر بعد ذلك اوصافا خمسة وهي الخوف من الله والاخلاص لله والتوكل على الله والاتيان بالصلاة كما امر الله وايتا الزكاة كذلك ثم قال بعد ذلك اوليك هم المومنون حقا يعني من اتى بمجموع هذه الاوصاف كان مومنا حقا ولا يمكن لاحد ان يقطع بحصول هذه الصفات له فكان الاولى له ان يقول انا مومن ان شا الله وقال ابن نجيح سال رجل الحسن فقال امومن انت فقال الحسن ان كنت سالتني عن الايمان بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا بها مومن وان كنت سالتني عن قوله انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية فلا ادري انا منهم ام لا قال علقمة كنا في سفر فلقينا قوما فقلنا من القوم فقالوا نحن المومنون حقا فلم ندر ما نجيبهم حتى لقينا عبد الله بن مسعود فاخبرناه بما قالوا قال فما رددتم عليهم قلنا لم نرد عليهم شيا قال هلا قلتم لهم امن اهل الجنة انتم ان المومنين هم اهل الجنة وقال سفيان الثوري من زعم انه مومن حقا عند الله ثم لم يشهد انه في الجنة فقد امن بنصف الاية دون النصف الاخر الوجه الرابع ان قولنا انا مومن ان شا الله للتبرك لا للشك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شا الله بكم لاحقون مع العلم القطعي انه لاحق باهل القبور الوجه الخامس ان المومن لا يكون مومنا حقا الا اذا ختم له بالايمان ومات عليه وهذا لا يحصل الا عند الموت فلهذا السبب حسن ان يقال انا مومن ان شا الله فالمراد بصرف هذا الاستثنا الى الخاتمة واجاب اصحاب هذا القول وهم اصحاب الشافعي عن الاستدلال

اصحاب ابي حنيفة بقولهم ان المتحرك لا يجوز ان يقول انا متحرك ان شاء الله ان الفرق بين وصف الانسان
بكونه مومنا وبين وصفه بكونه متحركا ان الايمان يتوقف حصوله على الخاتمة والحركة فعل يقيني فحصل
الفرق بينهما والجواب عن الوجه الثاني وهو قولهم انه تعالى قال اولئك هم المومنون حقا فقد حكم لهم
بكونهم مومنين حقا انه تعالى حكم للموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الاية بكونهم مومنين حقا
اذا اتوا بتلك الاوصاف الخمسة وهذا لا يقدر عليه احد انه ياتي بتلك الاوصاف على الحقيقة
ونحن نقول ايضا ان من اتى بتلك الاوصاف على الحقيقة كان مومنا حقا ولكن لا يقدر على ذلك
احد والله اعلم وقوله تعالى **لهم درجات عند ربهم** يعني لهم مراتب بعضها اعلى من بعض لان المومنين
تتفاوت احوالهم في الاخذ بتلك الاوصاف المذكورة فلهذا تتفاوت مراتبهم في الجنة لان درجات الجنة
على قدر الاعمال قال عطا درجات الجنة يرتقون فيها باعمالهم وقال الربيع بن انس سبعون درجة ما بين
كل درجتين حضر الفرس المضمر سبعين سنة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة
مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام اخرجه الترمذي وله عن ابي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان في الجنة مائة درجة لو ان العالمين اجتمعوا في احداهن لوسعتهم **ومغفرة** يعني ولهم مغفرة لذنوبهم
ورزق كريم يعني ما اعد لهم في الجنة ووصفه بكونه كريما لان منافعه خالصة لهم دائمة عليهم مقرونة بالاكرام
والتعظيم قوله تعالى **كما اخرجك ربك من بيتك بالحق** اختلفوا في الجالب لهذه الكاف ما هو فقال
المبرد تقديره قل الانفال لله والرسول وان كرهوا كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان كرهوا
وقيل معناه امض لامر ربك في الانفال وان كرهوا كما مضيت لامر ربك في الخروج من البيت لطلب
العير وهم كارهون وقيل معناه فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان ذلك خير لكم كما ان اخراج محمد
صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق خير لكم وان كرهه فريق منكم وقيل هو راجع الى قوله لهم درجات عند
ربهم ومغفرة تقديره وعد الله المومنين بالدرجات حق حتى ينجزه الله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك
بالحق والجزا الوعد بالصبر والظفر وقيل هي متعلقة بما بعدها تقديره كما اخرجك ربك من بيتك
بالحق على كره فريق منهم كذلك يكرهون القتال ويجادلونك فيه وقيل الكاف بمعنى على اي امض على
الذي اخرجك ربك من بيتك فانه حق وقيل الكاف بمعنى القسم تقديره والذي اخرجك من بيتك
بالحق وجوابه يجادلونك في الحق وقيل الكاف بمعنى اذ تقديره واذكر يا محمد اذ اخرجك ربك من
بيتك بالحق وقيل المراد بهذا الاخراج اخراجه من مكة الى المدينة للهجرة وقال جمهور المفسرين
المراد بهذا الاخراج هو خروجه من المدينة الى بدر ومعناه كما امرك ربك بالخروج من بيتك بالمدينة
بالحق يعني بالوحي لطلب المشركين **وان فريقا من المومنين لكارهون** يعني للقتال وانما كرهوه
لقلة عددهم وقلة سلاحهم وكثرة عدوهم وكثرة سلاحهم **يجادلونك في الحق** وذلك ان المومنين
لما ايقنوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لو اعلمتنا انا نلقى العدو لتستعد لقتالهم وانما خرجنا لطلب
العير فذلك جدالهم **بعد ما تبين** يعني تبين لهم انك لا تصنع شيا الا بامر ربك وتبين لهم صدقك
في الوعد **كانما يساقون الى الموت** يعني لشدة كراهيتهم القتال **وهم ينظرون** يعني الى الموت شبه
حالهم في فرط فزعهم بحال من يجر الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر اليه ويعلم انه اتيه قوله عز وجل
واذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعني احدى الفرقتين فرقة ابي سفيان مع العير وفرقة ابي جهل
مع النفير **انها لكم** يعني احدى الفرقتين لكم قال ابن عباس وعروة بن الزبير ومحمد بن اسحق والسدي

اقبل ابو سفيان بن حرب من الشام في عير قريش في اربعين راكبا من كفار قريش منهم عمرو بن العاص ومخرمة
ابن نوفل الزهري ومعهم تجارة كبيرة وهي اللطيمة يريد اللطيمة الجمال التي تحمل العطر والبز غير الميرة
حتى اذا كانوا قريبا من بدر بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم فندب اصحابه اليهم فاخبرهم بكثرة المال
وقلة العدد وقال هذه عير قريش فيها اموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فانتدب الناس
فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك انهم لم يظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا فلما سمع
ابا سفيان بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه استاجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه الى مكة وامره
ان ياتي قريشا يستنفرهم ويخبرهم ان محمدا واصحابه قد عرض لعيرهم فخرج ضمضم سريعا الى مكة وكانت عاتكة
بنت عبد المطلب قد رات رويا قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال افزعتها فبعثت الى اخيها العباس
ابن عبد المطلب فقالت يا اخي والله لقد رايت الليلة رويا افظعتني وخشيت ان يدخل على قومك منها
شر ومصيبة قال لها وما رايت قالت رايت راكبا اقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ثم صرخ باعلى
صوته الا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث فارى الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس
يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ بمثلها باعلا صوته الا انفروا يا آل غدر الى
مصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على راس ابي قبيس فصرخ بمثلها ثم اخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوي حتى
اذا كانت باسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار الا ودخلها منها فلقة فقال العباس والله ان
هذه لرويا فاكتميها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة وكان صديقا للعباس فذكر
رويا عاتكة له واستكتمه اياها فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش بمكة
قال العباس فغدوت اطوف بالبيت وابو جهل بن هشام في نفر من قريش يتحدثون برويا عاتكة فقد
اطوف فلما راني ابو جهل قال يا ابا الفضل اذا فرغت من طوافك اقبل الينا قال العباس فلما فرغت
من طوافي اقبلت اليهم حتى جلست معهم فقال لي ابو جهل يا بني عبد المطلب متى حدثت هذه النبية فيكم
قلت وما ذاك قال الرويا التي رات عاتكة قلت وما رات قالت يا بني عبد المطلب ما رضيتم ان
يتنبى رجالكم حتى تتنبا نساوكم لقد زعمت عاتكة في رويا ها انه قال انفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه
الثلاث فان يك ما قالت حقا فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شي نكتب عليكم كتابا انكم
اكذب اهل بيت في العرب قال العباس فوالله ما كان مني اليه من كبير شي الا اني جحدت ذلك وانكرت
ان تكون عاتكة رات شيا ثم تفرقنا فلما امسيت لم تبق امراة من بني عبد المطلب الا اتتني فقلن اقررتم
لهذا الفاسق الخبيث ان يقع في رجالكم حتى تناول النساء وانت تسمع ولم يكن عندك غيرة لشي مما سمعت
قال قلت قد والله فعلت ما كان مني اليه من شي وايم الله لاتعرضن له فان عاد لاكفينه قال فغدوت
في اليوم الثالث من رويا عاتكة وانا حديد مغضب ارى اني قد فاتني منه شي احب ان ادركه منه قال فدخلت
المسجد فرايته فوالله اني لامشي نحوه اتعرضه ليعود لبعض ما قال فاقع به وكان ابو جهل رجلا خفيفا حديد
الوجه حديد اللسان حديد النظر اذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال العباس فقلت في نفسي ماله
لعنه الله اكل هذا فرقا مني ان اشاتمه قال واذا هو قد سمع ما لم اسمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ
ببطن الوادي واقفا على بعيره وقد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش
اللطيمة اللطيمة اموالكم مع ابي سفيان قد عرض لها محمد في اصحابه ولا ارى ان تدركوها الغوث الغوث
قال فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الامر قال فتجهز الناس سراعا ولم يتخلف من اشراف قريش احد

الا ان ابا لهب قد تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما اجتمعت قريش للمسير ذكرت
الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناة من كنانة من الحرب فقالوا نخشى ان يأتونا من خلفنا فكان ذلك
ان يثنيهم فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم وكان من اشراف بني بكر فقال انا جار
لكم من ان تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجت قريش سراعا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
في اصحابه لليال مضت من شهر رمضان حتى بلغ واديا يقال له ذفران فاتاه الخبر عن مسير قريش
ليمنعوا عن عيرهم فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالروحاء اخذ عينا للقوم فاخبره
بخبرهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عينا له من جهينة حليفا للانصار يدعى اريقط فاتاه
بخبر القوم وسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام وقال ان الله
وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريش وكانت العير احب اليهم فاستشار رسول الله صلى الله
عليه وسلم اصحابه في طلب العير وحرب النفير فقام ابو بكر فقال واحسن وقام عمر فقال واحسن ثم قام
المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما امرك الله فنحن معك والله ما نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى
اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما
مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد يعني الحبشة لجالدنا معك من دونه
حتى تبلغه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له خيرا ودعا له بخير وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس وانما يريد الانصار وذلك انهم عدد الناس وانهم حين بايعوه
بالعقبة قالوا يا رسول الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا
نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار
ترى عليها نصرته الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم ان يسير بهم الى عدو من بلادهم
فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله لكأنك تريدنا يا رسول الله
قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا
ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت
بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا احد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وعدوك انا لصبر
عند الحرب صدق في اللقاء ولعل الله عز وجل ان يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسار
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك فقال سيروا على بركة الله وابشروا فان
الله عز وجل قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني انظر الى مصارع القوم عن انس بن مالك ان
عمر بن الخطاب حدثه عن اهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع اهل بدر
بالامس يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى
قال عمر فوالذي بعثه بالحق ما اخطأوا الحدود التي حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فجعلوا في بئر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان
ابن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني قد وجدت ما وعدني الله
حقا فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم اجسادا لا ارواح فيها فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم غير انهم
لا يستطيعون ان يردوا علي شيئا فذلك قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعني طائفة
ابي سفيان مع العير وطائفة ابي جهل مع النفير **وتودون** اي وتريدون وتتمنون **ان غير ذات الشوكة**

تكون

تكون لكم يعني وتتمنون ان العير التي ليس فيها قتال ولا شوكة تكون لكم والشوكة الشدة
والقوة ويقال السلاح **ويريد الله ان يحق الحق** اي يظهر الحق ويعليه **بكلماته** يعني بامره اياكم بالقتال
وقيل بعداته التي سبقت لكم من اظهار الدين واعزازه **ويقطع دابر الكافرين** اي ويستأصلهم حتى
لا يبقى احد منهم **ليحق الحق** يعني ليثبت الاسلام **ويبطل الباطل** يعني ويفني الكفر **ولو كره المجرمون**
يعني المشركين وفي الاية سؤال وهو ان قوله يريد الله ان يحق الحق ثم قال بعده ليحق الحق وهذا تكرير فما معناه
والجواب انه ليس فيه تكرير لان المراد بالاول تثبيت ما وعد في هذه الواقعة من النصرة والظفر بالاعداء
والمراد بالثاني تقوية القرآن والدين واظهار هذه الشريعة لان الذي وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع
قلتهم وقهر الكافرين مع كثرتهم كان سببا لاعزاز الدين وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله ويبطل الباطل يعني
الذي هو الشرك السؤال الثاني الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته فما المراد من تحقيق الحق وابطال الباطل
والجواب ان المراد من تحقيق الحق اظهار كون ذلك الحق حقا والمراد من ابطال الباطل اظهار كون ذلك الباطل
باطلا وذلك باظهار دلائل الحق وتقويته وقمع رؤساء الباطل وقهرهم قوله عز وجل **اذ تستغيثون ربكم**
اي فاذكر يا محمد اذ تستجيرون بربكم من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر وفي المستغيثين قولان احدهما
انه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه قاله الازهري والقول الثاني انه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم له (م) عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال
لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف واصحابه ثلثمائة وبضعة عشر
رجلا فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه يقول اللهم انجز لي ما
وعدتني اللهم آتني ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام لا تعبد في الارض فما زال
يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فاتاه ابو بكر فاخذ رداءه فالقاه على منكبيه
ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كذاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله
عز وجل اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين فامده الله بالملائكة
قال سماك فحدثني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في اثر رجل من المشركين امامه
اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم اذ نظر الى المشرك امامه خر مستلقيا
فنظر اليه فاذا قد حطم انفه وشق وجهه كضربة السيف فاخضر ذلك اجمع فجاء الانصاري فحدث بذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين
واسروا سبعين وقوله تعالى **فاستجاب لكم** يعني فاجاب دعاءكم **اني ممدكم** اصله باني ممدكم اي مرسل اليكم
مددا وردءا لكم **بالف من الملائكة مردفين** يعني يردف بعضهم بعضا بمعنى يتبع بعضهم بعضا روي انه
نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة وميكائيل عليه السلام في خمسمائة في صور الرجال على خيل بلق
عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوها بين اكتافهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ناشد ربه وقال
ابو بكر ان الله منجز لك ما وعدك خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش ثم انتبه
فقال يا ابا بكر اتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع (خ) عن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه اداة الحرب يعني آلة الحرب
قال ابن عباس كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم حمر ولم تقاتل في يوم سوى بدر
من الايام وكانوا يكونون فيما سواه عددا ومددا وروي عن ابي اسيد مالك بن ربيعة وكان

قد شهد بدرا انه قال بعد ما ذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعي بصري لاريتكم الشعب الذي خرجت منه الملايكة وقد تقدم الكلام في سورة آل عمران هل قاتلت الملايكة ام لا والصحيح انهم قاتلوا يوم بدر لما تقدم من حديث ابن عباس في الذي ضربه بالسوط فخطم انفه فشق وجهه وكانوا فيما سوى يوم بدر مددا وعونا وقيل انهم لم يقاتلوا وانما نزلوا ليكثروا سواد المسلمين ويثبتوهم ويدل عليه قوله تعالى **وما جعله الله الا بشرى** يعني وما جعل الله الارداف بالملايكة الا بشرى **ولتطمين به قلوبكم** وهذا الحق انهم ما نزلوا لذلك لا للقتال والصحيح الاول وانهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما سواه من الايام وقوله تعالى **وما النصر الا من عند الله** يعني ان الله هو ينصركم ايها المومنون فثقوا بنصره ولا تتكلوا على قوتكم وشدة باسكم وفيه تنبيه على ان الواجب على العبد المسلم ان لا يتوكل الا على الله في جميع احواله ولا يثق بغيره فان الله تعالى بيده النصر والاعانة **ان الله عزيز** يعني انه تعالى قوي منيع لا يقهره شي ولا يغلبه غالب بل هو يقهر كل شي ويغلبه **حكيم** يعني في تدبيره ونصره ينصر من يشا ويخذل من يشا من عباده قوله تعالى **اذ يغشاكم النعاس امنة منه** اي واذكروا ان نلقي عليكم النعاس وهو النوم الخفيف امنة منه اي امانا من الله لكم من عدوكم ان يغلبكم قال عبد الله بن مسعود النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلاة من الشيطان والفايدة في كون النعاس امنة في القتال ان الخايف على نفسه لا ياخذه النوم فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليل على الامن وازالة الخوف وقيل انهم لما خافوا على انفسهم لكثرة عدوهم وعددهم وقلة المسلمين وقلة عددهم وعددهم وعطشوا عطشا شديدا القى عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم الكلال والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم وكان ذلك النوم نعمة في حقهم لانه كان خفيفا بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله اليهم وقدروا على دفعه عنهم وقيل في كون هذا النوم كان امنة من الله انه وقع عليهم النعاس دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم وحصول النعاس لهذا الجمع العظيم مع وجود الخوف الشديد امر خارج عن العادة فلهذا السبب قيل ان ذلك النعاس كان في حكم المعجزة لانه امر خارق للعادة وقوله تعالى **وينزل عليكم من السما ما** يعني المطر **ليطهركم به** وذلك ان المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب رمل اعفر تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وكان المشركون قد سبقوهم الى ما بدر فنزلوا عليه واصبح المسلمون على غير ما وبعضهم محدث وبعضهم جنب واصابهم العطش فوسوس اليهم الشيطان وقال تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وانتم اوليا الله وقد غلبكم المشركون على الما وانتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف ترجوا ان تظهروا على عدوكم فانزل الله مطرا سال منه الوادي فشرب منه المومنون واغتسلوا وتوضوا وسقوا الركاب وملوا الاسقية واطفا الغبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت انفسهم وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك وكان دليلا على حصول النصر والظفر فذلك قوله تعالى وينزل عليكم من السما ما ليطهركم به يعني من الاحداث والجنابة **ويذهب عنكم رجز الشيطان** يعني وسوسته التي القاها في قلوبكم **وليربط على قلوبكم** يعني بالصبر واليقين والربط في اللغة الشد وكل من صبر على امر فقد ربط نفسه عليه قال الواحدي ويشبه ان تكون لفظة على صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالصبر وما اوقع فيها من اليقين وقيل ان لفظة على ليس بصلة لانها تفيد الاستعلا فيكون المعنى ان القلوب امتلات من ذلك الربط حتى كانه علا عليها وارتفع فوقها **ويثبت به الاقدام** يعني ان ذلك المطر لبد الارض وقوى الرمل حتى تثبت عليه الاقدام وحوافر الدواب وقيل المراد به تثبيت الاقدام بالصبر وقوة القلب لان من يكون ضعيف القلب

لا يثبت

لا يثبت قدمه بل يفر ويهرب عند اللقا وقوله تعالى **اذ يوحي ربك الى الملايكة اني معكم** يعني ان الله تعالى اوحي الى الملايكة الذين امد بهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه اني معكم بالنصر والمعونة **فثبتوا الذين امنوا** اي قووا قلوبهم واختلفوا في كيفية هذه التقوية والتثبيت فقيل كما ان للشيطان قوة في القا الوسوسة في قلب ابن ادم بالشر فكذلك للملك قوة في القا الالهام في قلب ابن ادم بالخير وسمي ما يلقي الشيطان وسوسة وما يلقي الملك لمة والهاما فهذا هو التثبيت وقيل ان ذلك التثبيت هو حضورهم معهم القتال ومعونتهم لهم اي ثبتوهم بقتالكم معهم المشركين وقيل معناه بشروهم بالنصر والظفر فكان الملك يمشي في صورة رجل امام الصف ويقول ابشروا فان الله ناصركم عليهم **سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب** يعني الخوف وكان ذلك نعمة من الله على المومنين حيث القى الرعب والخوف في قلوب الكافرين **فاضربوا فوق الاعناق** قيل هو خطاب مع المومنين فيكون منقطعا عما قبله وقيل هو خطاب مع الملايكة فيكون متصلا بما قبله قال ابن الانباري ما كانت الملايكة تعرف كيف تقاتل بني ادم فعلمهم الله ذلك بقوله فاضربوا فوق الاعناق قال عكرمة يعني الروس لانها فوق الاعناق وقال الضحاك فاضربوا الاعناق وفوق صلة وقيل معناه فاضربوا على الاعناق فتكون فوق بمعنى على **واضربوا منهم كل بنان** يعني كل مفصل وقال ابن عباس يعني الاطراف وهي جمع بنانة وهي اطراف اصابع اليدين سميت بذلك لان بها اصلاح الاحوال التي يمكن الانسان ان يبين ما يريد ان يعمله بيديه وانما خصت بالذكر من دون ساير الاطراف لاجل ان الانسان بها يقاتل وبها يمسك السلاح في الحرب وقيل انه تعالى امرهم بضرب اعلا الجسد وهي الروس وهو اشرف الاعضا وبضرب البنان وهو اضعف الاعضا فيدخل في ذلك كل عضو في الجسد وقيل امرهم بضرب الراس وفيه هلاك الانسان وبضرب البنان وفيه تبطيل حركة الانسان عن الحرب لان بالبنان يتمكن من مسك السلاح وحمله والضرب به فاذا قطع بنانه تعطل عن ذلك كله روي عن ابي داود المازني وكان شهد بدرا قال اني لاتبع رجلا من المشركين لاضربه اذ وقع راسه قبل ان يصل اليه سيفي فعرفت انه قد قتله غيري **وعن** سهل بن حنيف قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى المشرك فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه سيفي **وروى** عكرمة عن ابي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاسلام قد دخل علينا اهل البيت فاسلمت ام الفضل واسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم اسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه وكان عدو الله ابو لهب قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما جا الخبر عن مقتل اصحاب بدر كبته الله واخزاه ووجدنا في انفسنا قوة وعزا قال ابو رافع وكنت رجلا ضعيفا وكنت اعمل القداح وانحتها في حجرة زمزم فوالله اني لجالس انحت القداح وعندي ام الفضل جالسة اذ اقبل الفاسق ابو لهب يجر رجليه حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهري فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم فقال ابو لهب الي يا ابن اخي فعندك الخبر اليقين فجلس اليه والناس قيام عليه فقال ابو لهب يا ابن اخي اخبرني كيف كانت احوال الناس قال لا شي والله ان كان الا ان لقيناهم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا ويا سروننا كيف شاوا وايم الله ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السما والارض والله ما تليق شيا ولا يقوم لها شي **قال** ابو رافع فرفعت طرف الحجرة بيدي ثم قلت تلك والله الملايكة فرفع ابو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة فثاورته فاحتملني فضرب بي الارض ثم برك على صدري وكنت رجلا ضعيفا فقامت اليه ام الفضل بعمود من عمد الحجرة

فضربته بضربة فلقت راسه شجة منكرة وقالت تستضعفه ان غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله
ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذي اسر العباس
ابو اليسر كعب بن عمرو اخو بني سلمة وكان ابو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لابي اليسر كيف اسرت العباس قال يا رسول الله لقد اعانني عليه رجل ما رايته قبل ذلك
ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اعانك عليه ملك كريم وكانت وقعة
بدر في صبيحة يوم الجمعة السابع عشر رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية وقوله تعالى ذلك
يعني الذي وقع من القتل والاسر يوم بدر بانهم شاقوا الله ورسوله يعني بانهم خالفوا الله ورسوله والمشاقة
المخالفة واصلها المجانبة كانهم صاروا في شق وجانب عن شق المومنين وجانبهم وهذا مجاز معناه انهم
شاقوا اوليا الله وهم المومنون او شاقوا دين الله ثم قال تعالى ومن يشاقق الله ورسوله فان الله
شديد العقاب يعني ان الذي نزل بهم في ذلك اليوم من القتل والاسر شي قليل فيما اعد لهم من العقاب
يوم القيمة ثم قال تعالى ذلكم اشارة الى القتل والاسر الذي نزل بهم فذوقوه يعني عاجلا في الدنيا
لان ذلك يسير بالاضافة الى المؤجل الذي اعد الله لهم في الاخرة من العذاب وهو قوله وان للكافرين
عذاب النار يعني في الاخرة عن ابن عباس قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر قيل له عليك
العير ليس دونها شي قال فناداه العباس من وثاقه لا يصلح لك لان الله وعدك احدى الطايفتين وقد
اعطاك الله ما وعدك قال صدقت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا يعني مجتمعين متزاحفين بعضكم الى بعض والتزاحف التداني
في القتال واصل الزحف مشي مع جر الرجل كانبعاث الصبي قبل ان يمشي وسمي مشي الطايفتين بعضهم
الى بعض في القتال زحفا لانه يمشي كل طايفة الى صاحبتها مشيا رويدا وذلك قبل التداني للقتال وقال
ثعلب الزحف المشي قليلا قليلا الى الشي فلا تولوهم الادبار يعني فلا تولوهم ظهوركم منهزمين فان المنهزم
يولي ظهره ودبره ومن يولهم يومئذ دبره يعني ومن ينهزم ويولي دبره يوم الحرب والقتال الا متحرفا لقتال
يعني الا مستطردا الى القتال يري عدوه من نفسه الانهزام وقصده طلب الكرة على العدو والعود اليه وهذا
من احد ابواب الحرب وخدعها ومكايدها او متحيزا الى فية يعني او منضما وصايرا الى جماعة من المومنين
يريدون العود الى القتال فقد باء بغضب من الله يعني من انهزم من المسلمين وقت الحرب الا في هاتين
الحالتين وهي التحرف للقتال والتحيز الى فية من المسلمين فقد رجع بغضب من الله وماواه جهنم وبيس المصير

فصل في حكم هذه الاية اختلف العلما في ذلك فقال ابو سعيد الخدري هذا في اهل بدر خاصة
لانه ما كان يجوز لهم الانهزام يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم ولم يكن لهم فية يتحيزون
اليها دون النبي صلى الله عليه وسلم ولو انحازوا لانحازوا الى المشركين ولانه اول غزاة غزاها رسول
الله صلى الله عليه وسلم بنفسه والمسلمون معه فشدد الله عليهم امر الانهزام وحرمه عليهم يوم بدر
فاما بعد ذلك اليوم فان المسلمين بعضهم فية بعض فيكون الفار متحيزا الى فية فلا يكون فراره كبيرة
وهذا قول الحسن وقتادة والضحاك قال يزيد بن ابي حبيب اوجب الله النار لمن فر يوم بدر فلما كان
يوم احد قال انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ثم كان يوم حنين بعده
فقال تعالى ثم وليتم مدبرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشا وقال عبد الله بن عمر كنا في جيش بعثنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاص الناس حيصة فانهزمنا فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون قال

بل انتم الكرارون انا فية المسلمين قوله فحاص الناس حيصة يعني جالوا جولة يطلبون الفرار من
العدو والمحيص المهرب وقال محمد بن سيرين لما قتل ابو عبيد جا الخبر الى عمر بن الخطاب فقال لو انحاز الي لكنت
له فية انا فية كل مسلم وقال بعضهم حكم الاية عام في حق كل من ولى ظهره منهزما بدليل قوله يا ايها الذين
امنوا هذا خطاب عام فيتناول جميع المومنين وان كانت الاية نزلت في غزاة بدر لكن العبرة بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب وجا في الحديث من الكباير الفرار من الزحف وقال عطا بن ابي رباح هذه الاية منسوخة
بقوله الان خفف الله عنكم فليس لقوم ان يفروا من مثليهم فنسخت بذلك الا في هذه العدة وعلى هذا
اكثر اهل العلم ان المسلمين اذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا منهم ويولوا ظهورهم وان
كان العدو اكثر من المثلين جاز لهم ان يفروا منهم قال ابن عباس من فر من ثلاثة لم يفر ومن فر من اثنين
فقد فر قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم قال مجاهد سبب نزول هذه الاية انهم لما انصرفوا
عن قتال اهل بدر كان الرجل يقول انا قتلت فلانا ويقول الاخر انا قتلت فلانا فنزلت هذه الاية ومعناه
فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم يعني بنصره اياكم وتقويته لكم عليهم وقيل معناه ولكن الله قتلهم بامداده
اياكم بالملايكة قال الزمخشري الفا في قوله فلم تقتلوهم جواب شرط محذوف تقديره وان افتخرتم بقتلهم
انتم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قال اهل التفسير والمغازي لما ندب رسول
الله صلى الله عليه وسلم الناس انطلقوا حتى نزلوا بدرا ووردت عليهم روايا قريش وفيهم اسلم غلام
اسود لبني الحجاج وابو يسار غلام لبني العاص بن سعيد فاخذوهما واتوا بهما الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اين قريش قالا هم ورا الكثيب الذي ترى بالعدوة
القصوى والكثيب العقنقل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير قال ما عددهم قالا
لا ندري قال كم ينحرون كل يوم قالا يوما عشرة ويوما تسعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
القوم ما بين التسعماية الى الالف ثم قال لهما من فيهم من اشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن
ربيعة وابو البختري بن هشام وحكيم بن حزام والحارث بن عامر وطعمة بن عدي والنضر بن الحارث
وابو جهل بن هشام وامية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذه مكة قد القت اليكم افلاذ كبدها فلما اقبلت قريش وراها رسول الله صلى الله عليه
وسلم تصوب من العقنقل وهو الكثيب الى الوادي قال اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلايها
وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام وقال له
خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من حصا
عليه تراب فرمى في وجوه القوم وقال شاهت الوجوه يعني قبحت الوجوه فلم يبق مشرك الا ودخل في
عينيه وفمه ومنخريه من ذلك التراب شي فانهزموا وتبعهم المومنون يقتلونهم وياسرونهم وقال قتادة
وابن زيد ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة
القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا فذلك قوله
عز وجل وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اذ ليس في وسع احد من البشر ان يرمي كفا من حصا في وجوه
جيش فلا يبقى فيهم عين الا وقد دخل فيها من ذلك شي فصورة الرمي صدرت من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتاثيرها صدر من الله عز وجل فلهذا المعنى صح النفي والاثبات وقيل في معنى الاية وما بلغت اذ رميت
ولكن الله بلغ رميك وقيل وما رميت بالرعب في قلوبهم اذ رميت بحصياتك ولكن الله رمى بالرعب

في قلوبهم حين انهزموا وليبلي المومنين منه بلاء حسنا يعني ولينعم على المومنين نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة
والاجر والثواب وهذا اجماع ان البلا هنا بمعنى النعمة ان الله سميع يعني لدعايكم عليم بما حولكم وقوله
تعالى ذلكم يعني الذي ذكرت من امر القتل والرمي والبلا الحسن من الظفر بهم والنصر عليهم فعلنا ذلك
الذي فعلنا وان الله يعني واعلموا ان الله مع ذلك موهن اي مضعف كيد الكافرين يعني مكرهم وكيدهم
قوله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاكم الفتح هذا خطاب مع المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم بدر وذلك ان ابا جهل قال يوم بدر لما التقى الجمعان اللهم اينا كان افجر يعني نفسه
ومحمدا صلى الله عليه وسلم واقطعنا للرحم فاحنه اليوم وقيل انه قال اللهم اينا كان خيرا عندك فانصره
وقيل قال اللهم انصر اهدى الفيتين وخير الفريقين وافضل الجمعين اللهم من كان افجر واقطع للرحم
فاحنه اليوم فانزل الله ان تستفتحوا ومعنى الاية ان تستحكموا الله على اقطع الحزبين للرحم واظلم
الفيتين فينصر المظلوم على الظالم فقد جاكم الفتح يعني جاكم حكم الله بنصره المظلوم على الظالم والمحق
على المبطل والمقطوع على القاطع (ق) عن عبد الرحمن بن عوف قال اني لواقف في الصف يوم بدر فنظرت
عن يميني وعن شمالي فاذا انا بغلامين من الانصار حديثة اسنانهما فتمنيت ان اكون بين اضلع منهما
فغمزني احدهما فقال اي عم هل تعرف ابا جهل قلت نعم فما حاجتك اليه يا ابن اخي قال اخبرت انه يسب
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لين رايته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الاعجل
منا فتعجبت لذلك قال وغمزني الاخر فقال لي مثلها فلم انشب ان نظرت الى ابي جهل يجول في الناس فقلت
الا ترايان هذا صاحبكما الذي تسالاني عنه قال فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال ايكما قتله فقال كل واحد منهما انا قتلته فقال مسحتما سيفيكما
فقالا لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السيفين فقال كلاكما قتله وقضى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفرا (ق) عن
انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع ابو جهل فانطلق ابن مسعود
فوجده قد ضربه ابنا عفرا حتى برد قال فاخذ بلحيته فقال انت ابو جهل وفي كتاب البخاري انت ابا
جهل هكذا قال له انس فقال وهل فوق رجل قتلتموه او قال قتله قومه وفي رواية فقال ابو جهل
فلو غير اكار قتلني عن عبد الله بن مسعود قال مررت فاذا ابو جهل صريع قد ضربت رجله فقلت يا عدو
الله يا ابا جهل قد اخزى الله الاخر قال ولا اهاب عند ذلك فقال اعمد من رجل قتله قومه فضربته بسيف
غير طايل فلم يغن شيا حتى سقط سيفه من يده فضربته حتى برد اخرجه ابو داود واخرجه البخاري مختصرا
قال انه اتى ابا جهل يوم بدر وبه رمق فقال هل اعمد من رجل قتلتموه وقال عكرمة قال المشركون والله
ما نعرف ما جا به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاكم الفتح يعني ان
تستقضوا فقد جاكم القضا وقال السدي والكلبي كان المشركون لما خرجوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
من مكة اخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلا الجندين واهدى الفيتين واكرم الحزبين وافضل
الدينين ففيه نزلت ان تستفتحوا فقد جاكم الفتح يعني ان تستنصروا فقد جاكم النصر وهو على ما سالوه
فكان النصر لاهدى الفيتين وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن اسحق حدثني عبد الله بن
ابي بكر قال قال معاذ بن عمرو بن الجموح لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه امر بابي جهل
ابن هشام ان يلتمس في القتلى وقال اللهم لا يعجزك فلما سمعتها جعلته من شاني فعمدت نحوه فضربته

ضربة

ضربة طرت قدمه بنصف ساقه قال وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من
جنبي واجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومي واني لاسحبها خلفي فلما اذتني جعلت عليها
قدمي ثم تمطيت بها حتى طرحتها ثم مر بابي جهل معوذ ابن عفرا حتى اثبته وتركه وبه رمق
ثم مر به عبد الله بن مسعود قال عبد الله وجدته باخر رمق فعرفته فوضعت رجلي على عنقه ثم قلت
هل اخزاك الله قال وبما ذا اخزاني اعمد من رجل قتلتموه اخبرني لمن الدبرة قلت لله ولرسوله
روي عن ابن مسعود انه قال قال لي ابو جهل لقد ارتقيت يا رويعي مرتقا صعبا ثم احتززت راسه
ثم جيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا راس عدو الله ابي جهل فقال
الله الذي لا اله غيره فقلت نعم والذي لا اله غيره ثم القيته بين يدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فحمد الله وقال ابي بن كعب هذا خطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز
وجل للمسلمين ان تستفتحوا اي تستنصروا فقد جاكم الفتح اي النصر عن خباب بن الارت قال شكونا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو
لنا فقال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يوتى بالمنشار فيوضع على راسه
فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله
هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعا الى حضرموت لا يخاف الا الله والذيب على غنمه ولكنكم تستعجلون
قلت استدل البغوي بهذا الحديث على ما فسره ابي بن كعب للاية وفيه نظر لان هذه الواقعة المذكورة
في الحديث كان بمكة والاية مدنية فلا تعلق للحديث بتفسير الاية والله اعلم ولكن النبي صلى الله
عليه وسلم لما دعا الله ببدر وساله انجاز ما وعده من احدى الطايفتين والح في الدعا والمسالة
حتى سقط رداه قال الله تعالى مجيبا له ان تستفتحوا يعني تطلبوا النصر وانجاز ما وعدكم به فقد
جاكم الفتح يعني فقد حصل لكم ما طلبتم فاشكروا الله على ما انعم به عليكم من اجابة دعايكم وانجاز
ما وعدكم وهذا القول اولى لان قوله فقد جاكم لا يليق الا بالمومنين هذا اذا فسرنا الفتح بالنصر
والظفر على الاعدا اما اذا فسرنا بالقضا والحكم لم يمتنع ان يراد به الكفار اما قوله تعالى وان تنتهوا فهو
خير لكم هذا خطاب للكفار يعني وان تنتهوا عن قتال محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه فهو خير لكم
في الدين والدنيا اما في الدين بان تومنوا به وتكفوا عنه فيحصل لكم بذلك الفوز بالثواب والخلاص
من العقاب واما في الدنيا فهو الخلاص من القتل والاسر وان تعودوا نعد يعني وان تعودوا الى القتال
محمد صلى الله عليه وسلم نعد بتسليطه عليكم ونصره عليكم ولن تغني عنكم فيتكم يعني جماعتكم شيا
يعني لا يغني عنكم شيا ولو كثرت يعني جماعتكم وان الله مع المومنين اي بالنصر لهم عليكم يا معشر الكفار وقوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله يعني في امر الجهاد لان فيه بذل المال والنفس ولا تولوا
عنه يعني عن الرسول صلى الله عليه وسلم لان التولي لا يصح الا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم لا في
حق الله والمعنى لا تعرضوا عنه وعن معونته ونصرته في الجهاد وانتم تسمعون يعني القران يتلى عليكم
ولا تكونوا كالذين قالوا بالسنتهم سمعنا وهم لا يسمعون يعني وهم لا يتعظون ولا ينتفعون لما سمعوا
من القران والمواعظ وهذه صفة المنافقين ان شر الدواب عند الله يعني ان شر من دب على وجه الارض
من خلق الله الصم عن سماع الحق البكم عن النطق به فلا يقولونه الذين لا يعقلون يعني لا يفهمون عن
الله امره ونهيه ولا يعقلونه وانما سماهم دواب لقلة انتفاعهم بعقولهم قال ابن عباس هم نفر من بني عبد

الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوهم جميعا يوم احد وكانوا
اصحاب اللواء ولم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم يعني
سماع تفهم وانتفاع وقبول للحق ويعني ولو علم الله قال الامام فخر الدين ان كان ما كان حاصلا فيجب ان
يعلمه الله فعدم علم الله بوجوده من لوازم عدمه فلا جرم حسن التعبير عن عدمه في نفسه بعدم
علم الله بوجوده وتقدير الكلام لو حصل فيهم خير لاسمعهم الله الحجج والمواعظ سماع تعليم وتفهم ولو اسمعهم
يعني بعد ان علم انه لا خير فيهم لم ينتفعوا بما يسمعون من المواعظ والدلائل لقوله تعالى وهم معرضون يعني
ولتولوا عن سماع الحق وهم معرضون عنه لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره وقيل انهم كانوا يقولون للنبي
صلى الله عليه وسلم احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك بالنبوة فنؤمن لك فقال الله
تعالى ولو احيا لهم قصيا وسمعوا كلامه لتولوا عنه وهم معرضون قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
استجيبوا لله وللرسول يعني اجيبوهما بالطاعة والانقياد لامرهما اذا دعاكم يعني الرسول صلى
الله عليه وسلم انما وحد الضمير في قوله اذا دعاكم لان استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة
لله تعالى وانما يذكر احدهما مع الاخر للتوكيد واستدل اكثر الفقهاء بهذه الاية على ان ظاهر الامر للوجوب
لان كل من امره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بفعل فقد دعاه اليه وهذه الاية تدل على انه لا بد
من الاجابة في كل ما دعا الله ورسوله (خ) عن ابي سعيد بن المعلا قال كنت اصلي في المسجد فدعاني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه ثم اتيته فقلت يا رسول الله اني كنت اصلي فقال الم يقل الله
استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم ذكر الحديث عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج
على ابي بن كعب وهو يصلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابي فالتفت ابي فلم يجبه وصلى ابي وخفف
ثم انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعليك السلام ما منعك يا ابي ان تجيبني اذ دعوتك فقال يا رسول الله اني كنت في الصلا
قال افلم تجد فيما اوحي الله الي استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال بلى ولا اعود ان شا الله
تعالى وذكر الحديث اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قيل هذه الاجابة مختصة بالنبي صلى الله
عليه وسلم فعلى هذا ليس لاحد ان يقطع صلاته لدعا احد اخر وقيل لو دعاه احد لامر مهم لا يحتمل
التاخير فله ان يقطع صلاته وقوله تعالى لما يحييكم يعني اذا دعاكم الى ما فيه حياتكم قال السدي هو
الايمان لان الكافر ميت فيحيى بالايمان وقال قتادة هو القران لان فيه حياة القلوب وفيه النجاة والعصمة
في الدارين وقال مجاهد هو الحق وقال محمد بن اسحق هو الجهاد لان الله اعزه بعد الذل وقيل هي الشهادة
لان الشهدا احيا عند ربهم يرزقون واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه قال ابن عباس يحول بين
المومن وبين الكفر ومعاصي الله ويحول بين الكافر وبين الايمان وطاعة الله وهذا قول سعيد بن جبير
والضحاك ومجاهد وقال السدي يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ان يومن او يكفر الا باذنه
وقد دلت البراهين العقلية على هذا القول لان احوال القلوب اعتقادات ودواعي وتلك الاعتقادات
والدواعي لا بد ان تتقدمها الارادة وتلك الارادة لا بد لها من فاعل مختار وهو الله تعالى فثبت
بذلك ان المتصرف في القلب كيف شا الله تعالى (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث
شا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك عن انس بن مالك

قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلنا يا رسو
الله قد امنا بك وبما جيت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها
كيف شا اخرجه الترمذي وهذا الحديث من احاديث الصفات فيجب على المرء المسلم الايمان به على ما جاء مع
الاعتقاد بالجزم بتنزيه الله تعالى عن الجارحة والجسم وقيل في معنى الاية ان الله عز وجل يحول بين
المرء وقلبه حتى لا يدري ما يصنع ولا يعقل شيا وقيل ان القوم لما دعوا الى القتال والجهاد وكانوا
في غاية الضعف والقلة خافت قلوبهم وضاقت صدورهم فقيل لهم قاتلوا في سبيل الله واعلموا ان
الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف امنا والجبن جراة وقوله تعالى وانه اليه تحشرون يعني في الاخرة
فيجزي كل عامل بعمله فيثيب المحسن ويعاقب العاصي قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا
منكم خاصة لما اخبر الله عز وجل انه يحول بين المرء وقلبه حذر من وقوع الفتن والمعنى واحذروا فتنة
ان نزلت بكم لم تقتصر على الظالم خاصة بل تتعدى اليكم جميعا وتصل الى الصالح والطالح واراد بالفتنة
الابتلا والاختبار وقيل تقديره واتقوا فتنة ان لم تتقوها اصابتكم جميعا الظالم وغير الظالم قال
الحسن نزلت هذه الاية في علي وعمار وطلحة والزبير قال الزبير لقد قرانا هذه الاية زمانا وما ارانا
من اهلها فاذا نحن المعنيون بها يعني ما كان منهم يوم الجمل قال السدي ومقاتل والضحاك وقتادة
هذا في قوم مخصوصين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اصابتهم الفتنة يوم الجمل وقال
ابن عباس امر الله عز وجل المومنين ان لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم
وغير الظالم روى البغوي بسنده عن عدي بن عدي الكندي قال حدثني مولى لنا انه سمع جدي يقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين
ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة والذي
ذكره ابن الاثير في جامع الاصول عن عرس عن عميرة الكندي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا
عملت الخطية في الارض كان من شهدها فانكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن
شهدها اخرجه ابو داود عن جرير بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على ان يغيروا عليهم فلم يغيروا الا اصابهم الله
منه بعقاب قبل ان يموتوا اخرجه ابو داود وقال ابن زيد اراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة
بعضهم بعضا (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد فيها
خير من القايم والقايم فيها خير من الماشي والماشي خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه ومن وجد
ملجا او معاذا فليعذ به فان قلت ظاهر قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
يشمل الظالم وغير الظالم كما تقدم تفسيره فكيف يليق برحمة الله وكرمه ان يوصل الفتنة الى
من لم يذنب قلت انه تعالى مالك الملك وخالق الخلق وهم عبيده وفي ملكه يتصرف فيهم كيف شا لا يسال
عما يفعل وهم يسالون فيحسن ذلك منه على سبيل المالكية او لانه تعالى علم اشتمال ذلك على انواع
من انواع المصلحة والله اعلم بمراده وقوله عز وجل واعلموا ان الله شديد العقاب فيه تحذير ووعيد
لمن واقع الفتنة التي حذره الله منها وقوله عز وجل واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض
لما امر الله المومنين بطاعة الله بطاعة رسوله وحذرهم الفتنة ذكرهم نعمته عليهم فقال تعالى
واذكروا يا معشر المومنين المهاجرين اذ انتم قليل يعني في العدد مستضعفون في الارض يعني في ارض

مكة في ابتداء الاسلام تخافون ان يتخطفكم الناس يعني كفار مكة وقال عكرمة كفار العرب وقال
وهب بن منبه يعني فارس والروم فآواكم يعني الى المدينة وايدكم بنصره يعني وقواكم بالانصار وقال
الكلبي وقواكم يوم بدر بالملئكة ورزقكم من الطيبات يعني الغنايم احلها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم
لعلكم تشكرون يعني تشكرون الله على نعمه عليكم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله
والرسول قال الزهري والكلبي نزلت هذه الاية في ابي لبابة هارون بن عبد المنذر الانصاري من
بني عوف بن مالك وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة احدى وعشرين
ليلة فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على ما صالح عليه اخوانهم بني النضير على ان يسيروا
الي اخوانهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم ذلك
الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة بن عبد المنذر وكان مناصحا
لهم لان ماله وولده وعياله كان عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاهم فقالوا
يا ابا لبابة ما ترى انتنزل على حكم سعد بن معاذ فاشار ابو لبابة بيده الي حلقه يعني انه الذبح فلا
تفعلوا قال ابو لبابة والله ما زالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله ثم
انطلق على وجهه ولم يات رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية من سواري المسجد
وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم خبره قال اما لو جاءني لاستغفرت له فاما اذ فعل ما فعل فاني لا اطلقه حتى يتوب الله عليه فمكث
سبعة ايام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل يا ابا لبابة قد
تيب عليك فقال والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه
فحله بيده ثم قال ابو لبابة ان تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان تصدق به ونزل فيه يا ايها الذين امنوا لا
تخونوا الله والرسول وقال السدي كانوا يسمعون الشي من النبي صلى الله عليه وسلم فيفشونه حتى
يبلغ المشركين فنزلت هذه الاية وقال جابر بن عبد الله ان ابا سفيان خرج من مكة فاتى جبريل النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ان ابا سفيان في مكان كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه
ان ابا سفيان في موضع كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا قال فكتب رجل من المنافقين اليه ان محمدا
يريدكم فخذوا حذركم فانزل الله لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم ومعنى الاية لا تخونوا
الله والرسول ولا تخونوا اماناتكم وانتم تعلمون انها امانة وقيل معناه وانتم تعلمون ان ما فعلتم
من الاساءة الي الخالق خيانة واصل الخيانة من الخون وهو النقص لان من خان شيا فقد انتقصه
والخيانة ضد الامانة وقيل في معنى الاية لا تخونوا الله والرسول فانكم اذا فعلتم ذلك فقد خنتم
اماناتكم وقال ابن عباس معناه لا تخونوا الله بترك فرايضه ولا تخونوا الرسول بترك سنته ولا
تخونوا اماناتكم قال ابن عباس هي ما يخفى عن اعين الناس من فرايض الله تعالى والاعمال التي ايتمن عليها
العباد وقال قتادة اعلموا ان دين الله امانة فادوا الي الله ما ايتمنكم عليه من فرايضه وحدوده
ومن كانت عليه امانة فليؤدها الى من ايتمنه عليها ومنه الحديث عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم اد الامانة الي من ايتمنك ولا تخن من خانك اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن
غريب وقوله عز وجل واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة قيل هذا ايضا نزل في ابي لبابة وذلك لان امواله

واولاده

واولاده كانت في بني قريظة فلذلك قال ما قال خوفا عليهم وقيل انه عام في جميع الناس وذلك
انه لما كان الاقدام على الخيانة في الامانة بسبب حب المال والولد نبه الله تعالى بقوله تعالى واعلموا
انما اموالكم واولادكم فتنة على انه يجب على العاقل ان يحذر من المضار المتولدة من حب المال والولد
لان ذلك يشغل القلب ويصيره محجوبا عن خدمة المولى وهذا من اعظم الفتن روى البغوي
بسنده عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى بصبي فقبله وقال اما انهم مبخلة مجبنة وانهم
لمن ريحان الله واخرج الترمذي عن عمر بن عبد العزيز قال زعمت المراة الصالحة خولة بنت
حكيم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو محتضن احد ابني ابنته وهو يقول
انكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون وانكم لمن ريحان الله قال الترمذي لا نعرف لعمر بن عبد العزيز سماعا
عن خولة قوله لمن ريحان الله اي لمن رزق الله والريحان في الرزق وقوله تعالى وان الله عنده
اجر عظيم يعني لمن ادى الامانة ولم يخن وفيه تنبيه على ان سعادة الاخرة وثواب الله افضل
من سعادة الدنيا ومن المال والولد قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يعني
بطاعته وترك معاصيه يجعل لكم فرقانا يعني يجعل لكم نورا وتوفيقا في قلوبكم تفرقون به بين
الحق والباطل والفرقان اصله الفرق بين الشيئين لكنه ابلغ من اصله لانه يستعمل في الفرق
بين الحق والباطل والحجة والشبهة قال مجاهد يجعل لكم مخرجا في الدنيا والاخرة وقال مقاتل
مخرجا في الدين من الشبهات وقال عكرمة نجاة اي يفرق بينكم وبين ما تخافون وقال محمد بن اسحق
فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ويطفي بطلان من خالفكم وقيل يفرق بينكم وبين الكفار
بان يظهر دينكم ويعليه ويبطل الكفر ويوهنه ويكفر عنكم سياتكم يعني ويمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم
ويغفر لكم ويستر عليكم بان لا يفضحكم في الدنيا ولا في الاخرة والله ذو الفضل العظيم لانه هو الذي
يفعل ذلك بكم فله الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه ومن كان كذلك فانه اذا وعد عباده بشي وفى
به قيل انه يتفضل على الطايعين بقبول الطاعات ويتفضل على العاصين بغفران السيات وقيل
معناه ان بيده الفضل العظيم فلا يطلب من عند غيره قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا لما ذكر
الله تعالى المؤمنين نعمه عليهم بقوله واذكروا اذ انتم قليل فكثركم ذكر نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه
عليه فيما جرى عليه بمكة من قومه لان هذه السورة مدنية وهذه الواقعة كانت بمكة قبل ان يهاجر
الي المدينة والمعنى واذكر يا محمد اذ يمكر بك الذين كفروا وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره
من اهل التفسير قالوا جميعا ان قريشا فرقوا لما اسلمت الانصار ان يتفاقم امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويظهر فاجتمع نفر من كبار قريش في دار الندوة ليتشاوروا في امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان روسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل وابو سفيان وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث
وابو البختري بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وامية بن خلف
واعترضهم ابليس في صورة شيخ فلما راوه قالوا له من انت قال انا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم
فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقالوا ادخل فدخل فقال ابو البختري اما انا
فارى ان تاخذوا محمدا وتحبسوه في بيت مقيدا وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون
منها طعامه وشرابه وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعرا فصرخ عدو الله
ابليس وهو الشيخ النجدي وقال بئس الراي رايتم لئن حبستموه ليخرجن امره من وراء الباب الذي اغلقتم

دونه الى اصحابه فيوشك ان يثبوا عليكم فيقاتلوكم ويأخذوه من ايديكم فقال صدق الشيخ النجدي فقال
هشام بن عمرو من بني عامر بن لوي فقال اما انا فارى ان تحملوه على بعير وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم
ما صنع واين وقع اذا غاب عنكم واسترحتم منه فقال ابليس ما هذا لكم براي تعمدون الى رجل قد افسد
سفهاكم فتخرجوه الى غيركم فيفسدهم الم تروا الى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه واخذ القلوب ما تسمع من
حديثه والله لئن فعلتم ذلك ليذهب وليستميل قلوب قوم اخرين ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم من بلادكم فقال
صدق الشيخ النجدي فقال ابو جهل والله لاشيرن عليكم براي ما اراه غيره اني ارى ان تاخذوا من كل بطن
من قريش شابا نسيبا وسطا فينا ثم نعطي كل فتى سيفا صارما ثم يضربونه جميعا ضربة رجل واحد فاذا
قتلوه تفرق دمه في القبايل كلها ولا اظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها فانهم اذا
ارادوا ذلك قالوا العقل فنودي قريش ديته فقال ابليس اللعين صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا والقول
ما قال لا ارى غيره فتفرقوا على قول ابي جهل وهم مجتمعين عليه فاتى جبريل صلى الله عليه وسلم فاخبره
بذلك وامره ان لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه واذن الله عز وجل له عند ذلك بالخروج الى
المدينة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب ان يبيت في مضجعه وقال له تتشح ببردتي
فانه لن يخلص اليك منهم امر تكرهه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ قبضة من تراب واخذ
الله ابصارهم عنه فخرج وجعل ينثر التراب على روسهم وهو يقرا انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الى قوله فهم
لا يبصرون ومضى الى الغار من ثور هو وابو بكر وخلف عليا بمكة حتى يودي عنه الودايع التي قبلها وكانت
الودايع توضع عنده لصدقه وامانته قالوا وبات المشركون يحرسون عليا وهو على فراش رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحسبون انه النبي صلى الله عليه وسلم فلما اصبحوا ثاروا اليه ليقتلوه فراوا عليا
فقالوا له اين صاحبك قال لا ادري فاقتفوا اثره وارسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار راوا على بابه نسج
العنكبوت فقالوا لو دخله لم يكن نسج العنكبوت على بابه اثر فمكث في الغار ثلاثا ثم خرج الى المدينة
فذلك قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا واصل المكر احتيال في خفية **ليثبتوك** اي ليحبسوك
ويوثقوك لان كل من شد شيا واوثقه فقد اثبته لانه لا يقدر على الحركة **او يقتلوك** يعني كما اشار
عليهم ابو جهل **او يخرجوك** يعني من مكة **ويمكرون** يعني ويحتالون ويدبرون في امرك **ويمكر الله** يعني ويجازيهم
الله جزاء مكرهم فسمي الجزاء مكرا لانه في مقابلته وقيل معناه ويعاملهم الله معاملة مكرهم والمكر هو التدبير وهو
من الله التدبير بالحق والمعنى انهم احتالوا في ابطال امر محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى اظهره وقواه
ونصره فضاع فعلهم وتدبيرهم وظهر فعل الله وتدبيره **والله خير الماكرين** فان قلت كيف قال والله
خير الماكرين ولا خير في مكرهم قلت يحتمل ان يكون المراد والله اقوى الماكرين فوضع خير موضع اقوى وفيه
تنبيه على ان كل مكر يبطل بفعل الله وقيل يحتمل ان يكون المراد ان مكرهم فيه خير بزعمهم فقال تعالى في مقابلته
والله خير الماكرين وقيل ليس المراد التفضيل بل ان فعل الله خير مطلقا قوله عز وجل **واذا تتلى عليهم**
اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشا لقلنا مثل هذا نزلت في النضر بن الحرث بن علقمة من بني عبد الدار
وذلك انه كان يختلف الى ارض فارس والحيرة فيسمع اخبارهم عن رستم واسفنديار واحاديث العجم
وكان يمر باليهود والنصارى اي فيراهم يقرون التوراة والانجيل ويركعون ويسجدون ويبكون
وجا النبي صلى الله عليه وسلم وقد اوحي اليه وهو يقرا ويصلي فقال النضر بن الحرث قد سمعنا يعني مثل الذي
جا به محمد لو نشا لقلنا مثل هذا اقتدرهم الله بقوله الحق الذي لا شبهة فيه بادعايهم الباطل بقولهم لو نشا

لقلنا

لقلنا مثل هذا بعد التحدي وابان عجزهم عن ذلك ولو قدروا ما تخلفوا عنه وهم اهل الفصاحة
وفرسان البلاغة فبان بذلك كذبهم في قولهم لو نشا لقلنا مثل هذا **ان هذا الا اساطير الاولين**
يعني اخبار الماضين قوله تعالى **واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا**
حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم نزلت في النضر بن الحارث ايضا قال ابن عباس لما قص رسول
الله صلى الله عليه وسلم شان القرون الماضية قال النضر بن الحارث لو شيت لقلت مثل هذا
فقال له عثمان بن مظعون اتق الله فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول الحق قال وانا اقول الحق
قال فان محمدا يقول لا اله الا الله قال وانا اقول لا اله الا الله ولكن هذه بنات الله يعني الاصنام
ثم قال اللهم ان كان هذا هو الحق يعني القران الذي جا به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني ان
كان الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم امر التوحيد وادعا النبوة وغير ذلك هو الحق فامطر علينا
حجارة من السما يعني كما امطرت على قوم لوط او ايتنا بعذاب اليم يعني مثل ما عذبت به الامم الماضية
وفي النضر بن الحارث نزل سال سايل بعذاب واقع قال عطا لقد نزل في النضر بن الحارث بضع عشر
اية فحاق به ما سال من العذاب يوم بدر قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم بدر ثلاثة من قريش صبرا طعمة بن عدي وعقبة بن ابي معيط والنضر بن الحارث وروى انس بن
مالك ان الذي قال ذلك ابو جهل ق عن انس قال قال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السما الاية فنزلت وما كان معذبهم وانت فيهم الاية فلما اخرجوه نزلت
وما لهم ان لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام قوله عز وجل **وما كان الله ليعذبهم**
وانت فيهم اختلفوا في معنى هذه الاية فقال محمد بن اسحق هذه الاية متصلة بما قبلها وهي حكاية
عن المشركين وذلك انهم قالوا ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفر ولا يعذب امة ونبيها معها فقال الله
عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكر جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على انفسهم اذ قالوا اللهم ان
كان هذا هو الحق من عندك الاية وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم **وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون**
ثم قال تعالى ردا عليهم **وما لهم ان لا يعذبهم الله** وان كنت بين اظهرهم وان كانوا يستغفرون **وهم**
يصدون عن المسجد الحرام وقال اخرون هذا الكلام مستانف يقول الله عز وجل اخبارا عن نفسه
تعالى وتقدس وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واختلفوا في معناه فقال الضحاك وجماعة تاويلها وما
كان الله ليعذبهم وانت يا محمد مقيم فيهم بين اظهرهم قالوا نزلت هذه الاية على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو مقيم بمكة ثم لما خرج منها بقي بقية من المسلمين يستغفرون فانزل الله وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون ثم لما خرج اوليك المسلمون من بين اظهر الكافرين اذن الله في فتح مكة فهو العذاب الذي
وعدهم وقال ابن عباس لم يعذب الله قرية حتى يخرج نبيها منها والذين امنوا معه ويلحق بحيث امر فقال
الله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم مقيم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني المسلمين فلما
خرجوا قال الله وما لهم ان لا يعذبهم الله وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع الى المشركين وذلك انهم
كانوا يقولون بعد فراغهم من الطواف غفرانك غفرانك وقال يزيد بن رومان قالت قريش اللهم ان
كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما فلما امسوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك
اللهم فقال الله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اي لو استغفروا ولكنهم لم يكونوا يستغفرون
ولو اقروا بالذنب واستغفروا الله لكانوا مومنين وقيل هذا دعا لهم الى الاسلام والاستغفار بهذه

الكلمة كالرجل يقول لعبده لا اعاقبك وانت تطيعني اي اطعني حتى لا اعاقبك وقال مجاهد وعكرمة وهم
يستغفرون اي يسلمون يعني لو اسلموا لما عذبوا وقال ابن عباس وفيهم من سبق له من الله العناية
انه يومن ويستغفر مثل ابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو وحكيم
ابن حزام وغيرهم وقال مجاهد وهم يستغفرون اي وفي اصلابهم من يستغفر وقيل في معنى الاية ان الكفار
لما بالغوا وقالوا ان كان محمد محقا في قوله فامطر علينا حجارة من السما فاخبر الله ان محمدا محق في قوله وانه
مع ذلك لا يمطر على اعدايه ومنكري نبوته حجارة من السما ما دام بين اظهرهم وذلك تعظيما له صلى الله
الله عليه وسلم واورد على هذا انه لما كان اقامته مانعا من نزول العذاب بهم فكيف قال في غير هذه
الاية قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فالجواب ان المراد من العذاب الاول هو عذاب الاستيصال والمراد
من العذاب الثاني وهو قوله يعذبهم الله بايديكم هو عذاب القتل والسبي والاسر وذلك دون عذاب
الاستيصال قال اهل المعاني دلت هذه الاية على ان الاستغفار امان وسلامة من العذاب عن ابي
موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله انزل علي امانين لامتي وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار الى يوم
القيمة اخرجه الترمذي وقوله تعالى وما لهم ان لا يعذبهم الله يعني اي شي يمنعهم من ان يعذبهم الله يعني
يعني بعد خروجك من بين اظهرهم لانه تعالى بين في الاية الاولى انه لا يعذبهم وانت مقيم فيهم وبين في هذه
انه معذبهم ثم اختلفوا في هذا العذاب فقيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل اراد به عذاب الاخرة وقيل
اراد بالعذاب الاول عذاب الاستيصال واراد بهذه الاية العذاب بالسيف وقيل اراد بالعذاب
الاول عذاب الدنيا وبهذا العذاب عذاب الاخرة وقال الحسن الاية الاولى وهو قوله وما كان الله
ليعذبهم منسوخة بقوله وما لهم ان لا يعذبهم الله وفيه بعد لان الاخبار لا يدخلها النسخ ثم بين ما لاجله يعذبهم
فقال تعالى وهم يصدون عن المسجد الحرام يعني وهم يمنعون المومنين عن الطواف بالبيت وذلك حين
صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية وما كانوا اولياه قال
الحسن كان المشركون يقولون نحن اوليا المسجد الحرام فرد الله عليهم بقوله وما كانوا اولياه يعني ليسوا
اوليا المسجد الحرام ان اولياوه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني ولكن اكثر المشركين لا يعلمون
ذلك قوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية لما ذكر الله عز وجل ان الكفار ليسوا
باوليا للبيت الحرام ذكر عقيبه ما هو السبب في ذلك وهو ان صلاتهم عنده كانت مكا وتصدية والمكا في اللغة
الصفير يقال مكا الطير يمكو اذا صفر والمكا اسم طير ابيض يكون بالحجاز له صفير وقيل هو طاير بالريف سمي
بذلك لكثرة مكايه يعني صفيره والتصدية التصفيق وفي اصله واشتقاقه قولان احدهما انه من الصدى
وهو الصوت الذي يرجع من الجبل كالمجيب للمتكلم ولا يرجع قوله الى شي الثاني قال ابو عبيدة اصله تصددا
فابدلت الدال الواحدة يا قال الزهري والمكا والتصدية ليسا بصلاة ولكن الله اخبر انهم جعلوا
مكان الصلاة التي امروا بها المكا والتصدية قال حسان بن ثابت: صلاتهم التصدي والمكا
قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون وقال مجاهد كان نفر
من بني عبد الدار يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف ويستهزون به ويدخلون اصابعهم
في افواههم ويصفقون فالمكا جعل الاصابع في الشدق والتصدية الصفير وقال جعفر بن ربيعة سالت
ابا سلمة بن عبد الرحمن عن قوله الا مكا وتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفرا وقال مقاتل كان النبي صلى

الله

الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قام رجلان عن يمينه يصفران ورجلان عن يساره يصفقان ليخلطوا على
النبي صلى الله عليه وسلم صلاته وهم من بني عبد الدار فعلى قول ابن عباس كان المكاء والتصدية نوع
عبادة لهم وعلى قول غيره كان نوع اذى للنبي صلى الله عليه وسلم وقول ابن عباس اصح لان الله سمى ذلك
صلاة فان قلت كيف سماها صلاة وليس ذلك من جنس الصلاة قلت انهم كانوا يعتقدون ذلك
المكا والتصدية صلاة فخرج ذلك على حسب معتقدهم وفيه وجه اخر وهو ان من كان المكا والتصدية
صلاته فلا صلاة له فهو كقول العرب من كان السخا عيبه فلا عيب له وقال سعيد بن جبير التصدية
صد المومنين عن المسجد الحرام وعن الدين والصلاة فعلى هذا التصدية من الصد وهو المنع وقوله تعالى
فذوقوا العذاب يعني عذاب القتل والاسر في الدنيا وقيل يقال لهم في الاخرة فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون يعني بسبب كفركم في الدنيا قوله عز وجل ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل
الله لما ذكر الله عبادة الكفار البدنية وهي المكا والتصدية ذكر عقيبه عبادتهم المالية التي لا جدوى
لها في الاخرة قال الكلبي ومقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا ابو جهل بن هشام
وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري بن هشام والنضر بن الحارث
وحكيم بن حزام وابي بن خلف وزمعة بن الاسود والحرث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب
وكلهم من قريش فكان يطعم كل واحد منهم الجيش في كل يوم عشر جزور واسلم من هولا العباس بن عبد المطلب
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكيم بن حزام وقال الحكم بن عتيبة نزلت في ابي سفيان بن حرب
حين انفق على المشركين يوم احد اربعين اوقية كل اوقية اثنان واربعون مثقالا وقال ابن ابزى
استاجر ابو سفيان يوم احد الفين ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش
من العرب وقيل استاجر يوم احد الفين من الاحابيش من كنانة فقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل لما اصيب من اصيب من قريش يوم بدر ورجع ابو سفيان بعيره الى مكة مشى عبد الله بن
ابي ربيعة وعكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية في رجال من قريش قد اصيب اباوهم وابناوهم واخوانهم
يوم بدر فكلموا ابا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان
محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا بمن اصيب منا ففيهم
نزلت ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله اي ليصرفوا الناس عن الايمان بالله ورسوله
وقيل ينفقون اموالهم على امثالهم من المشركين ليتقووا بها على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين
فسينفقونها يعني اموالهم في ذلك الوجه ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون يعني ما انفقوا من اموالهم
يكون عليهم حسرة وندامة يوم القيمة لان اموالهم تذهب ويغلبون ولا يظفرون بما يأملون والذين
كفروا يعني منهم لان منهم من اسلم فلهذا قال والذين كفروا يعني من المنفقين اموالهم الى جهنم يحشرون
يعني يساقون الى النار ليميز الله الخبيث من الطيب يعني ليفرق الله بين فريق الكفار وهم الفريق الخبيث
وبين فريق المومنين وهم الفريق الطيب وهذا معنى قول ابن عباس فانه قال يميز اهل السعادة من اهل
الشقاوة وقال ليميز العمل الخبيث من العمل الطيب فيجازي على العمل الخبيث النار وعلى العمل الطيب
الجنة وقيل المراد به انفاق الكفار في سبيل الشيطان وانفاق المومنين في سبيل الله ويجعل الخبيث بعضه
على بعض يعني بعضه فوق بعض فيركمه جميعا يعني يجمعه جميعا ويضم بعضه على بعض حتى يتراكم
فيجعله في جهنم يعني الخبيث اوليك اشارة الى المنفقين في سبيل الشيطان او الى الخبيث هم الخاسرون

يعني انهم خسروا الدنيا والاخرة لانهم اشتروا اموالهم عقاب الاخرة قوله تعالى قل يعني قل يا محمد للذين
كفروا ان ينتهوا يعني عن الشرك يغفر لهم ما قد سلف يعني ما قد مضى من كفرهم وذنوبهم قبل الاسلام
وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين يعني في اهلاك اعدائه ونصر اوليائه ومعنى الاية ان هولاء
الكفار ان انتهوا عن الكفر ودخلوا في الاسلام والتزموا شرائعه غفر الله لهم ما قد سلف من كفرهم
وشركهم وان عادوا الى الكفر واصروا عليه فقد مضت سنة الاولين باهلاك اعدائه ونصر انبيائه
واوليائه واجمع العلما على ان الاسلام يجب ما قبله واذا اسلم الكافر لم يلزمه شي من قضا العبادات
البدنية والمالية وتوساعة اسلامه كيوم ولدته امه يعني بذلك انه ليس عليه ذنب قال
يحيى بن معاذ الرازي توحيد من لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر ارجوا ان لا يعجز عن هدم ما بعده من
ذنب وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال ابن عباس حتى لا يكون شرك وقال الحسن حتى لا يكون بلا ويكون
الدين كله لله يعني تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره وقال قتادة حتى يقال
لا اله الا الله عليها قاتل نبي الله صلى الله عليه وسلم واليها دعا وقال محمد بن اسحق في قوله وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله يعني لا يفتن مومن عن دينه ويكون التوحيد لله خالصا ليس
فيه شرك ويخلع ما دونه من الانداد والشركا فان انتهوا يعني عن الشرك وافتان المومنين وايذائهم
فان الله بما يعملون بصير يعني فان الله لا يخفى عليه شي من اعمال العباد ونياتهم حتى يوصل اليهم
ثوابهم وان تولوا يعني وان اعرضوا عن الايمان واصروا على الكفر وعادوا الى قتال المومنين وايذائهم
فاعلموا يعني ايها المومنون ان الله مولاكم يعني ان الله وليكم وناصركم عليهم وحافظكم نعم المولى ونعم
النصير يعني ان الله هو نعم المولى ونعم النصير قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه
وللرسول الغنم الفوز بالشي يقال غنم يغنم غنما فهو غانم واختلف العلما هل الغنيمة والفي اسمان
لمسمى واحد ام يختلفان فقال عطا بن السايب الغنيمة ما ظهر المسلمون عليه من اموال المشركين فاخذوه
عنوة واما الارض فهي في وقال سفيان الثوري الغنيمة ما اصاب المسلمون من مال الكفار عنوة بقتال
ففيه الخمس واربعة اخماسه لمن شهد الوقعة والفي ما صولحوا عليه بغير قتال فليس فيه خمس هو
لمن سمى الله وقيل الغنيمة ما اخذ من اموال الكفار عنوة عن قهر وغلبة والفي ما يوجف عليه بخيل ولا
ركاب كالعشور والجزية واموال الصلح والمهادنة وقيل ان الفي والغنيمة معناهما واحد وهما اسمان
لشي واحد والصحيح انهما يختلفان فالفي ما اخذ من اموال الكفار بغير ايجاف خيل ولا ركاب والغنيمة
ما اخذ من اموالهم على سبيل القهر والغلبة بايجاف خيل وركاب فذكر الله في هذه الاية حكم الغنيمة
فقال تعالى واعلموا انما غنمتم من شي يعني من اي شي كان حتى الخيط والمخيط فان لله خمسه وللرسول
فذكر اكثر المفسرين والفقها ان قوله لله افتتاح كلام على سبيل التبرك وانما اضافه الى نفسه تعالى
لانه هو الحاكم فيه فيقسمه كيف شا وليس المراد منه ان سهما منه لله مفردا لان الدنيا والاخرة كلها لله وهذا
قول الحسن وقتادة وعطا وابراهيم النخعي قالوا سهم الله وسهم رسوله واحد والغنيمة تقسم خمسة اخماس
اربعة اخماسها لمن قاتل عليها واحرزها والخمس الباقي لخمسة اصناف كما ذكر الله عز وجل للرسول ولذي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وقال ابو العالية يقسم خمس الخمس على ستة اسهم سهم لله عز وجل
فيصرف الى الكعبة والقول الاول اصح ان خمس الغنيمة يقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه
وسلم كان له في حياته واليوم هو لمصالح المسلمين وما فيه قوة الاسلام وهذا قول الشافعي واحمد وروى

الاعمش

الاعمش عن ابراهيم قال كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح
وقال قتادة هو للخليفة وقال ابو حنيفة سهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته مردود في الخمس فيقسم الخمس
على اربعة اصناف المذكورين في الاية وهم ذوو القربى واليتامى والمساكين وابنا السبيل فقوله تعالى ولذي
القربى يعني ان سهما من خمس الخمس لذوي القربى وهم اقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا فيهم
فقال قوم هم جميع قريش وقال قوم هم الذين لا تحل لهم الصدقة وقال مجاهد وعلي بن الحسين هم بنو هاشم
وقال الشافعي رحمه الله هم بنو هاشم وبنو المطلب وليس لبني عبد شمس ولا لبني نوفل منه شي وان كانوا
اخوة ويدل عليه ما روي عن جبير بن مطعم قال مشيت انا وعثمان بن عفان الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله اعطيت بني المطلب وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما بنو المطلب وبنو هاشم شي واحد وفي رواية اعطيت بني المطلب من خمس الخمس وتركتنا وفي رواية
قال جبير ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل شيا اخرجه البخاري وفي رواية ابي
داود ان جبير بن مطعم جا هو وعثمان بن عفان يكلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقسم من
الخمس في بني هاشم وبني المطلب فقلت يا رسول الله قسمت لاخواننا بني المطلب فلم تعطنا شيا وقرابتنا
وقرابتهم واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شي واحد وفي رواية
النسائي قال لما كان يوم خيبر وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذي القربى في بني هاشم وبني المطلب
وترك بني نوفل وبني عبد شمس فانطلقت انا وعثمان بن عفان حتى اتينا النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا
يا رسول الله هولا بنو هاشم لا ننكر فضلهم للموضع الذي وضعك الله به منهم فما بال اخواننا بني المطلب
اعطيتهم وتركتنا وقرابتنا واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وبنو المطلب لا نفترق في
جاهلية ولا اسلام وانما نحن وهم شي واحد وشبك بين اصابعه واختلف اهل العلم في سهم ذي القربى هل
هو ثابت اليوم ام لا فذهب اكثرهم الى انه ثابت فيعطى فقراوهم واغنياوهم من خمس الخمس للذكر مثل حظ
الانثيين وهو قول مالك والشافعي وذهب ابو حنيفة واصحاب الراي الى انه غير ثابت قالوا سهم النبي
صلى الله عليه وسلم وسهم ذوي القربى مردود في الخمس فيقسم خمس الغنيمة على ثلاثة اصناف اليتامى
والمساكين وابن السبيل فيصرف الى فقرا ذوي القربى مع هذه الاصناف دون اغنيائهم وحجة الجمهور ان
الكتاب والسنة يدلان على ثبوت سهم ذوي القربى وكذا الخلفا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانوا يعطون ذوي القربى ولا يفضل فقير على غني لان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى العباس بن عبد
المطلب مع كثرة ماله وكذا الخلفا بعده وكانوا يعطونه والحجة للشافعي بالميراث الذي يستحق
باسم القرابة غير انه يعطون القريب والبعيد قال ويفضل الذكر على الانثى فيعطى الذكر سهمين وللانثى
سهما وقوله تعالى واليتامى جمع يتيم يعني ويعطى من خمس الخمس لليتامى واليتيم الذي له سهم في الخمس هو الفقير
المسلم الذي لا اب له فيعطى مع الحاجة اليه والمساكين وهم اهل الفاقة والحاجة من المسلمين وابن السبيل
وهو المسافر البعيد عن ماله فيعطى من خمس الخمس مع الحاجة اليه فهذا مصرف خمس الغنيمة ويقسم اربعة
اخماسها الباقية بين الغانمين الذين شهدوا الوقعة وحازوا الغنيمة فيعطى للفارس ثلاثة اسهم سهم
له وسهمان لفرسه ويعطى الراجل سهما واحدا لما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم في النفل
للفرس سهمين وللرجل سهما وفي رواية نحوه باسقاط لفظ النفل اخرجه البخاري ومسلم وفي رواية ابي داود ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اسهم للرجل ولفرسه ثلاثة اسهم سهما له وسهمين لفرسه وهذا قول اكثر

اهل العلم واليه ذهب الثوري والاوزاعي ومالك وابن المبارك والشافعي واحمد واسحق وقال ابو حنيفة
للفارس سهمان وللراجل سهم ويرضخ للعبيد والنسوان والصبيان ان احضروا القتال ويقسم العقار
الذي استولى عليه المسلمون كالمنقول وعند ابي حنيفة يتخير الامام في العقار بين ان يقسمه بينهم
وبين ان يجعله وقفا على المصالح وظاهر الاية تدل على انه لا فرق بين العقار والمنقول ومن قتل مشركا
من المسلمين في القتال يستحق سلبه من راس الغنيمة لما روي عن ابي قتادة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه اخرجه الترمذي واخرجه البخاري ومسلم في
حديث طويل والسلب كل ما يكون على المقتول من ملبوس وسلاح والفرس الذي كان راكبه ويجوز للامام
ان ينفل بعض الجيش من الغنيمة لزيادة عنا وبلاء يكون منهم في الحرب يخصهم به من بين سائر الجيش
ثم يجعلهم اسوة الجماعة في سهمان الغنيمة **ق** عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينفل
من يبعث من السرايا لانفسهم خاصة سوى عامة الجيش عن حبيب بن سلمة الفهري قال شهدت رسول
الله صلى الله عليه وسلم نفل الربع في البداة والثلث في الرجعة اخرجه ابو داود واختلف العلماء في ان
النفل من اين يعطى فقال قوم من خمس الخمس من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول سعيد بن
المسيب وبه قال الشافعي وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبادة بن الصامت
قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر وبرة من جنب بعير فقال ايها الناس انه لا يحل لي مما
افاء الله عليكم قدر هذه الا الخمس والخمس مردود عليكم اخرجه النسائي وقال قوم هو من الاربعة الاخماس
بعد افراز الخمس كسهام الغزاة وهو قول احمد واسحق وذهب قوم الى ان النفل من راس الغنيمة قبل
التخميس كالسلب للقاتل واما الفيء وهو ما اصابه المسلمون من اموال الكفار بغير ايجاف خيل ولا
ركاب بان صالحهم على مال يؤدونه وكذا الجزية وما اخذ من اموالهم اذا دخلوا دار الاسلام للتجارة
او يموت في دار الاسلام ولا وارث له فهذا كله فيء ومال الفيء كان خالصا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم في مدة حياته وقال عمر ان الله قد خص لرسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الفيء بشيء لم يخص به
احدا غيره ثم قرا عمر ما افاء الله على رسوله منهم الاية فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة
وكان ينفق على اهله وعياله نفقة سنتهم من هذا المال ثم ما بقي يجعله مجعل مال الله في الكراع والسلاح
واختلف اهل العلم في مصرف الفيء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للائمة بعده وللشافعي
فيه قولان احدهما انه للمقاتلة الذين اثبت اسماؤهم في ديوان الجهاد لانهم هم القائمون مقام النبي صلى
الله عليه وسلم في ارهاب العدو والقول الثاني انه لمصالح المسلمين ويبدا بالمقاتلة فيعطون منه كفايتهم
ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلف اهل العلم في تخميس الفيء فذهب الشافعي الى انه يخمس وخمسه لاهل الخمس
من الغنيمة على خمسة اسهم واربعة اخماسه للمقاتلة وللمصالح وذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل يصرف
جميعه مصرفا واحدا ولجميع المسلمين فيه حق عن مالك بن اوس قال ذكر عمر يوما الفيء فقال ما انا احق
بهذا الفيء منكم وما احد منا احق به من احد الا انا على منازلنا من كتاب الله وقسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم والرجل وقدمه والرجل وبلاؤه والرجل وعياله والرجل وحاجته اخرجه ابو داود واخرج البغوي
بسنده عنه انه سمع عمر بن الخطاب يقول ما على وجه الارض مسلم الا له في هذا الفيء حق الا ما ملكت ايمانكم
وقوله تعالى **ان كنتم آمنتم بالله** يعني واعلموا ايها المؤمنون ان خمس الغنيمة مصروف الى من ذكر في
هذه الاية من الاصناف فاقطعوا عنه اطماعكم واقنعوا باربعة اخماس الغنيمة ان كنتم آمنتم بالله

وصدقتم

وصدقتم بوحدانيته **وما انزلنا على عبدنا** يعني وآمنتم بالمنزل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم
وهذه اضافة تشريف وتعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم والذي انزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم
يسالونك عن الانفال الاية **يوم الفرقان** يعني يوم بدر قال ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر فرق الله
عز وجل فيه بين الحق والباطل **يوم التقى الجمعان** يعني جمع المؤمنين وجمع الكافرين يوم بدر قال عروة بن
الزبير يوم الفرقان يوم فرق الله الحق والباطل وهو يوم بدر وهو اول مشهد شهده رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان راس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة او لسبع عشرة
من رمضان واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون
ما بين الالف والتسعمائة فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين واسر منهم مثل ذلك **والله على
كل شيء قدير** يعني على نصركم ايها المؤمنون مع قلتكم وكثرة اعدائكم قوله تعالى **اذ انتم** اي واذكروا نعمة الله
عليكم يا معشر المسلمين اذ انتم **بالعدوة الدنيا** يعني بشفير الوادي من المدينة والدنيا هنا تانيث الادنى
وهم يعني المشركين **بالعدوة القصوى** يعني بشفير الوادي الاقصى من المدينة مما يلي مكة والقصوى
تانيث الاقصى **والركب اسفل منكم** يعني ابا سفيان واصحابه وهم عير قريش التي خرجوا لاجلها وكانوا في
موضع اسفل من موضع المؤمنين الى ساحل البحر على ثلاثة اميال من بدر **ولو تواعدتم** يعني انتم والمشركون
لاختلفتم في الميعاد وذلك ان المسلمين خرجوا لياخذوا العير وخرج الكفار ليمنعوها من المسلمين فالتقوا
على غير ميعاد والمعنى ولو تواعدتم والكفار على القتال لاختلفتم انتم وهم لقلتكم وكثرة عدوكم **ولكن**
يعني ولكن الله جمعكم على غير ميعاد **ليقضي الله امرا كان مفعولا** يعني من نصر اوليائه واعزاز دينه
وهلاك اعدائه واعداء دينه **ليهلك من هلك عن بينة** يعني ليموت من مات عن بينة راها
وعبرة عاينها وحجة قامت عليه **ويحيى من حي عن بينة** يعني ويعيش من عاش على بينة راها وعبرة
شاهدها وحجة قامت عليه وقال محمد بن اسحق معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه ويؤمن من امن
على مثل ذلك لان الهلاك هو الكفر والحياة هو الايمان ونحوه قال قتادة ليضل من ضل على بينة ويهتدي
من اهتدى على بينة **وان الله لسميع عليم** يعني يسمع دعاكم ويعلم نياتكم ولا تخفى عليه خافية قوله عز
وجل **اذ يريكهم الله** يعني واذكر يا محمد نعمة الله عليك اذ يريك المشركين **في منامك** يعني في نومك **قليلا**
قال مجاهد اراهم الله في منامه قليلا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بذلك وكان تثبيتا
وقال محمد بن اسحق فكان ما اراه الله من ذلك نعمة من نعمه عليهم يشجعهم بها على عدوهم ويكف بها عنهم
ما تخوف عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم وقيل لما ارى الله النبي صلى الله عليه وسلم كفار قريش في منامه
قليلا فاخبر بذلك اصحابه فقالوا رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم حق فصار ذلك سببا لجراتهم
على عدوهم وقوة لقلوبهم وقال الحسن ان هذه الاراءة كانت في اليقظة والمراد من المنام العين
لانها موضع النوم **ولو اراكهم كثيرا لفشلتم** يعني لجبنتم والفشل ضعف مع جبن والمعنى ولو اراكهم
كثيرا فذكرت ذلك لاصحابك لفشلوا وجبنوا عنهم **ولتنازعتم في الامر** يعني اختلفتم في الاقدام
عليهم او الاحجام عنهم وقيل معنى التنازع في الامر هو الاختلاف الذي تكون معه مخاصمة ومجادلة
ومجاذبة كل واحد الى ناحية والمعنى لاضطرب امركم واختلفت كلمتكم **ولكن الله سلم** يعني ولكن الله
سلمكم من التنازع والمخالفة فيما بينكم وقيل معناه ولكن الله سلمكم من الهزيمة والفشل **انه عليم
بذات الصدور** يعني انه تعالى يعلم ما يحصل في الصدور من الجراة والجبن والصبر والجزع وقال ابن

عباس معناه انه عليم بما في صدوركم من الحب لله عز وجل **وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا**
يعني ان الله قلل عدد المشركين في أعين المؤمنين يوم بدر لما التقوا في القتال ليتأكد في اليقظة ما رآه
النبي صلى الله عليه وسلم في منامه واخبر به اصحابه قال ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا حتى قلت
لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال الفا **ويقللكم في أعينهم**
يعني ويقللكم يا معشر المؤمنين في اعين المشركين قال السدي قال ناس من المشركين ان العير قد
انصرفت فارجعوا فقال ابو جهل الآن اذ برز لكم محمد واصحابه فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم انما
محمد واصحابه اكلة جزور يعني لقلتهم في عينه ثم قال فلا تقتلوهم واربطوهم في الحبال يقوله من القدرة
على نفسه والحكمة في تقليل المشركين في اعين المؤمنين تصديق رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم
ويقوى بذلك قلوب المؤمنين وتزداد جرأتهم عليهم ولا يجبنوا عند قتالهم والحكمة في تقليل المؤمنين
في اعين المشركين لئلا يهربوا واذا استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا في الاستعداد والتأهب لقتالهم
فيكون ذلك سببا لظهور المؤمنين عليهم فان قلت كيف يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل قلت
ذلك ممكن في القدرة الالهية فان الله تعالى على ما يشاء قدير ويكون ذلك معجزة للنبي صلى الله
عليه وسلم والمعجزة هي من خوارق العادات فلا ينكر ذلك **ليقضي الله أمرا كان مفعولا** يعني امرا
كائنا من اعلاء كلمة الاسلام ونصر اهله واذلال كلمة الشرك وخذلان اهله فان قلت قد قال
في الآية المتقدمة ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا وقال في هذه الآية ولكن ليقضي الله امرا
كان مفعولا فما معنى هذا التكرار قلت المقصود من ذكره في الآية المتقدمة ليحصل استيلاء المؤمنين
على المشركين على وجه القهر والغلبة ليكون ذلك معجزة دالة على صدق رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمقصود من ذكره في هذه الآية لانه تعالى قلل عدد الفريقين في اعين بعضهم بعضا للحكمة
التي ذكرناها فلذلك قال ليقضي الله امرا كان مفعولا **وإلى الله ترجع الأمور** يعني في الآخرة فيجازي
كل عامل على قدر عمله فالمحسن باحسانه والمسيء باساءته او يغفر قوله تعالى **يا أيها الذين آمنوا**
إذا لقيتم فئة يعني جماعة كافرة **فاثبتوا** يعني لقتالهم ونووا ان يوطنوا انفسهم على لقاء العدو
وقتاله ولا تحدثوها بالتولي **واذكروا الله كثيرا** يعني كونوا ذاكرين الله عند لقاء عدوكم ذكرا كثيرا
بقلوبكم والسنتكم امر الله عباده المؤمنين واولياءه الصالحين بان يذكروه في اشد الاحوال وذلك
عند لقاء العدو وقتاله وفيه تنبيه على ان الانسان لا يجوز ان يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله
وقيل المراد من هذا الذكر هو الدعاء بالنصر على العدو وذلك لا يحصل الا بمعونة الله تعالى فامر الله
عباده ان يسألوه النصر على العدو عند اللقاء ثم قال تعالى **لعلكم تفلحون** يعني وكونوا على رجاء
الفلاح والنصر والظفر فان قلت ظاهر الآية يوجب الثبات على كل حال وذلك يوهم انها ناسخة لآية
التحرف والتحيز قلت المراد من الثبات هو الثبات عند المحاربة والمقاتلة في الجملة وآية التحرف
والتحيز لا يقدح في حصول هذا الثبات في المحاربة بل كان الثبات في المقصود لا يحصل الا بذلك
التحرف والتحيز ثم قال تعالى مؤكدا لذلك **وأطيعوا الله ورسوله** يعني في امر الجهاد والثبات عند
لقاء العدو **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** يعني ولا تختلفوا فان التنازع والاختلاف
يوجب الفشل والضعف والجبن وقوله تعالى وتذهب ريحكم يعني قوتكم وقال مجاهد نصرتكم قال
وذهبت ريح اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم احد وقال السدي جرأتكم وجدكم وقال

مقاتل حدتكم وقال الاخفش وابو عبيدة دولتكم والريح هنا كناية عن نفاذ الامر وجريانه على المراد
تقول العرب هبت ريح فلان اذا اقبل امره على ما يريد وقال قتادة وابن زيد هي ريح النصر ولم يكن
نصر قط الا بريح يبعثها الله تضرب وجوه العدو ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا
واهلكت عاد بالدبور وعن النعمان بن مقرن قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان
اذا لم يقاتل من اول النهار اخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر اخرجه ابو
داود وقوله تعالى **واصبروا** يعني عند لقاء عدوكم ولا تنهزموا عنهم **إن الله مع الصابرين** يعني
بالنصر والمعونة **ق** عن عبد الله بن ابي اوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض ايامه التي
لقي فيها العدو وانتظر حتى اذا مالت الشمس قام فيهم فقال ايها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا
الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم
ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنوا لقاء العدو فاذا لقيتموهم فاصبروا
قوله عز وجل **ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا** يعني فخرا واشرا وقيل البطر الطغيان
في النعمة وذلك ان النعم اذا كثرت من الله على العبد فان صرفها في المفاخرة على الاقران وكاثر
بها ابناء الزمان وانفقها في غير طاعة الرحمن فذلك هو البطر في النعمة وان صرفها في طاعة الله
وابتغاء مرضاته فذلك شكرها وهذا معنى قول الزجاج البطر الطغيان في النعمة وترك شكرها
ورئاء الناس الرياء اظهار الجميل ليراه الناس مع ابطان القبيح والفرق بين الرياء والنفاق ان
النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر والرياء اظهار الطاعة مع ابطان المعصية **ويصدون**
عن سبيل الله اللهم فنصرك الذي وعدتني به قال ابن عباس ان ابا سفيان لما رأى انه قد احرز عيره
ارسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم واموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال ابو
جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق في كل عام قال
فنقيم عليه ثلاثا وننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمور وتعزف علينا القينات وتسمع بنا العرب
فلا يزالون يهابوننا ابدا فامضوا ازادغيره فقال فلما وافوا بدرا سقوا كؤوس الحمام عوضا عن الخمر
وناحت عليهم النوائح مكان القينات فنهى الله عباده المؤمنين ان يكونوا مثلهم والمعنى لا تكونوا ايها
المؤمنون رياء وسمعة ولا لالتماس ما عند الناس ولكن اخلصوا لله عز وجل النية وقاتلوا حسبة
في نصر دينكم ومؤازرة نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا تعملوا الا لذلك ولا تطلبوا غيره فقوله **والله بما**
يعملون محيط فيه وعيد وتهديد يعني انه تعالى عالم بجميع الاشياء لا يخفى عن علمه شيء لانه محيط باعمال
العباد كلها فيجازي المحسنين ويعاقب المسيئين قوله تعالى **وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم**
يعني اذكروا ايها المؤمنون نعمة الله عليكم اذ زين الشيطان يريد ابليس للمشركين اعمالهم الخبيثة
وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم قال بعضهم كانت تزيينه وسوسة القاها في قلوبهم
من غير ان يتحول في صورة غير صورته وقال جمهور المفسرين تصور ابليس في صورة سراقة بن مالك
ابن جعشم وكان تزيينه ان قريشا لما اجتمعت على السير الى بدر ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن الحارث
من الحروب فكاد ذلك ان يثنيهم فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي وكان
من اشراف بني كنانة فقال انا جار لكم فلما اصطف الناس اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة

من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين واقبل جبريل عليه السلام الى ابليس لعنه الله فلما
رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع ابليس يده ثم ولى مدبرا وشيعته فقال الرجل يا سراقة
اتزعم انك جار لنا فقال اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين راى الملائكة
وقوله اني جار لكم يعني مجير لكم من كنانة فلما تراءت الفئتان اي التقى الجمعان راى ابليس الملائكة
قد نزلوا من السماء علم عدو الله ابليس انه لا طاقة له بهم نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم يعني رجع
القهقرى وولى مدبرا هاربا على قفاه وقال الكلبي لما التقى الجمعان كان ابليس في صف المشركين على
صورة سراقة بن مالك بن جعشم وهو اخذ بيد الحرث بن هشام فنكص عدو الله ابليس على عقبيه
فقال له الحرث افرارا من غير قتال وجعل يمسكه فدفع في صدره وانطلق فانهزم الناس فلما قدموا مكة
قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال بلغني انكم تقولون هزمت الناس فوالله ما شعرت
بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فقالوا ما اتيتنا في يوم كذا وكذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان
شيطانا قال الحسن في قوله اني ارى ما لا ترون قال راى ابليس جبريل عليه السلام معتجرا ببرد يمشي
بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وفي يده اللجام يقود الفرس ما ركب وقال قتادة قال ابليس اني ارى
ما لا ترون وصدق وقال اني اخاف الله وكذب ما به مخافة الله ولكن علم انه لا قوة له ولا منعة فاوردهم
واسلمهم وتلك عادة عدو الله ابليس لمن اطاعه اذا التقى الحق والباطل اسلمهم وتبرا منهم وقيل انه خاف
ان يهلك فيمن هلك وقيل خاف ان ياخذه جبريل فيعرفهم حاله فلا يطيعوه وقيل معناه اني اخاف
الله اعلم صدق وعده لاوليائه لانه كان على ثقة من امره وقيل لما راى الملائكة قد نزلت من السماء خاف
ان تكون القيمة والله شديد العقاب قيل معناه اني اخاف الله لانه شديد العقاب فعلى هذا
يكون من تمام قول ابليس وقيل تم كلامه عند قوله اني اخاف الله والله شديد العقاب ابتدا كلام
يقول الله والله شديد العقاب لمن خالف الله وكفر به عن طلحة بن عبيد الله بن كريز ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما راى الشيطان يوما هو فيه اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه في
يوم عرفة وما ذاك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام الا ما راى يوم بدر فانه
قد راى جبريل يزع الملائكة اخرجه مالك في الموطا قوله ولا ادحر هو بالدال والحاء المهملتين من الدحر
وهو الابعاد والطرد مع الاهانة وقوله يزع الملائكة اي يكفهم ويحبسهم لئلا يتقدم بعضهم على بعض
والوازع هو الذي يتقدم ويتاخر في الصف ليصلحه فان قلت كيف يقدر ابليس على ان يتصور بصورة
البشر واذا تشكل بصورة البشر كيف يسمى شيطانا قلت ان الله عز وجل اعطاه قوة واقدره على
ذلك كما اعطى الملائكة قوة واقدرهم على ان يتشكلوا بصور البشر لكن النفس الباطنة لم تتغير فلم يلزم
من تغير الصور الحقيقة قوله عز وجل اذ يقول المنافقون يعني من اهل المدينة والذين في قلوبهم
مرض اي شك وارتياب وهم قوم من اهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يقوى الاسلام في قلوبهم فلم يتمكن
فلما خرج كفار قريش الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم الى بدر فلما نظروا الى قلة المسلمين
ارتابوا وارتدوا وقالوا غر هؤلاء دينهم يعني ان هؤلاء نفر قليلون يقاتلون اضعافهم فقد غرهم دينهم
الاسلام على ذلك وحملهم على قتل انفسهم رجاء الثواب في الاخرة فقتلوا جميعا يوم بدر وقال مجاهد ان
فئة من قريش وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وابو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحرث بن زمعة بن
الاسود بن المطلب وعلي بن امية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على

الارتياب

الارتياب فحبسهم ارتيابهم فلما راوا قلة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غر هؤلاء دينهم
ثم قال تعالى ومن يتوكل على الله يعني ومن يسلم امره الى الله ويثق بفضله ويعول على احسانه فان الله
حافظه وناصره لانه عزيز لا يغلبه شيء حكيم يعني فيما قضى وحكم فيوصل الثواب الى اوليائه والعقاب
الى اعدائه قوله تعالى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يعني ولو عاينت يا محمد وشاهدت اذ تقبض
الملائكة ارواح الذين كفروا عند الموت لرايت امرا عظيما ومنظرا فظيعا وعذابا شديدا ينالهم في
ذلك الوقت يضربون وجوههم وادبارهم اختلفوا في وقت هذا الضرب فقيل هو عند الموت
تضرب الملائكة وجوه الكفار وادبارهم بسياط من نار وقيل ان الذين قتلوا يوم بدر من المشركين
كانت الملائكة تضرب وجوههم وادبارهم وقال ابن عباس كان المشركون اذا اقبلوا بوجوههم الى
المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف واذا ولوا ادبارهم ضربت الملائكة ادبارهم وقال ابن
جريج يريد ما اقبل من اجسادهم وادبر يعني يضربون جميع اجسادهم وذوقوا عذاب الحريق يعني
وتقول لهم الملائكة عند القتل ذوقوا عذاب الحريق قيل كان مع الملائكة مقامع من حديد محمية بالنار
يضربون بها الكفار فتلتهب النار في جراحاتهم وقال ابن عباس تقول لهم الملائكة ذلك بعد الموت
وقال الحسن هذا يوم القيمة تقول لهم الزبانية ذوقوا عذاب الحريق ذلك يعني الذي نزل بكم من القتل
والضرب والحريق بما قدمت ايديكم يعني انما حصل لكم ذلك بسبب ما كسبت ايديكم من الكفر والمعاصي
فان قلت اليد ليست محلا للكفر وانما محله القلب لان الكفر اعتقاد والاعتقاد محله القلب وظاهر
الاية يقتضي ان فاعل هذا الكفر هي اليد وذلك ممتنع قلت اليد هنا عبارة عن القدرة لان اليد
آلة العمل والقدرة هي المؤثرة في العمل فجعل اليد كناية عن القدرة وقوله وان الله ليس بظلام
للعبيد يعني انه تعالى لا يعذب احدا من خلقه الا بجرم اجترمه لانه لا يظلم احدا من خلقه وانما نفى الله
الظلم عن نفسه مع انه يعذب الكافر على كفره والعاصي على عصيانه لانه متصرف في ملكه كيف شاء ومن كان
كذلك استحال نسبة الظلم اليه فلا يتوهم متوهم انه تعالى مع خلقه كفر الكافر وتعذيبه عليه ظلم فلهذا
قال تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد لانهم في ملكه وتحت قدرته فهو يتصرف فيهم كيف شاء قوله تعالى
كداب آل فرعون يعني ان عادة هؤلاء الكفار في كفرهم كعادة آل فرعون في كفرهم فجوزي هؤلاء بالقتل
والاسر يوم بدر كما جوزي آل فرعون بالاغراق واصل الداب في اللغة ادامة العمل يقال فلان يداب
في كذا اذا داوم عليه واتعب نفسه فيه ثم سميت العادة دابا لان الانسان يداوم على عادته ويواظب
عليها قال ابن عباس معناه ان آل فرعون ايقنوا ان موسى عليه السلام نبي من الله تعالى فكذبوه
فكذلك هؤلاء لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق كذبوه فانزل الله بهم عقوبته كما انزل بآل
فرعون والذين من قبلهم يعني من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله يعني ان عادة الامم السالفة
هو كفرهم بآيات الله فاخذهم الله بذنوبهم يعني بسبب كفرهم وذنوبهم ان الله قوي يعني في اخذه
وانتقامه ممن كفر به وكذب رسله شديد العقاب يعني لمن كفر به وكذب رسله ذلك بان الله لم يك
مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم يعني ان الله تعالى انعم على اهل مكة بان اطعمهم
من جوع وامنهم من خوف وبعث اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فما بلوا هذه النعم بان تركوا شكرها
وكذبوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وغيروا ما بانفسهم فسلبهم الله تعالى النعمة واخذهم
بالعقاب قال السدي نعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم انعم به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله

الى الانصار والله سميع يعني لاقرارخالفنه لا يخفى عليه شي من كلامهم عليم يعني بما في صدورهم
من خير او شر فيجازي كل واحد على عمله كدأب آل فرعون يعني عادة هولا الكفار الذين قتلوا يوم بدر غيروا
نعمة الله عليهم كصنيع آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم يعني اهلكنا
بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالحجارة وبعضهم بالريح وبعضهم بالمسخ كذلك اهلكنا
كفار قريش بالسيف واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين يعني الاولين والاخرين فان قلت ما الفائدة
في تكرير هذه الاية مرة ثانية قلت فيها فوائد منها ان الكلام الثاني يجري مجرى التفصيل للكلام
الاول لان الاية الاولى فيها ذكر اخذهم وفي الاية الثانية انهم كذبوا بآيات ربهم ففي الاية الاولى اشارة
الى انهم انكروا بآيات الله وجحدوها وفي الثانية اشارة الى انهم كذبوا بها مع جحودهم لها وكفرهم بها
الفائدة الثالثة ان تكرير هذه القصة للتاكيد وفي قوله كذبوا بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران
النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب قوله تعالى ان شر الدواب عند الله يعني في
علمه وحكمه الذين كفروا فهم لا يؤمنون والمعنى ان شر الدواب من الانس الكفار المصرين على الكفر
نزلت في يهود بني قريظة رهط كعب بن الاشرف الذين عاهدت منهم قيل من صلة يعني الذين
عاهدتهم وقيل هو للتبعيض لان المعاهدة مع بعض القوم وهم الرؤسا والاشراف ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة قال المفسرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاهد يهود بني قريظة
ان لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه فنقضوا العهد واعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال رسول الله صلى
الله عليه وسلم واصحابه ثم قالوا نسينا واخطانا فعاهدهم الثانية فنقضوا العهد ايضا ومالوا
الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فوافقهم على
مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم لا يتقون يعني انهم لا يخافون في نقض العهد لان عادة
من يرجع الى دين وعقل وحزم ان يتقي نقض العهد حتى يسكن الناس الى قوله ويثقون بكلامه فبين
الله عز وجل ان من جمع بين الكفر ونقض العهد انه من شر الدواب فاما تثقفنهم في الحرب يعني فاما
تجدن هولا الذين نقضوا عهدك وتظفر بهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم قال ابن عباس معناه فنكل بهم
من ورائهم وقال سعيد بن جبير انذر بهم من خلفهم واصل التشريد في اللغة التفريق مع اضطراب
ومعنى الاية انك اذا ظفرت بهولا الكفار الذين نقضوا العهد فافعل بهم فعلا من القتل والتنكيل تفرق
به جمع كل ناقض للعهد حتى يخافك من وراهم من اهل مكة واليمن لعلهم يذكرون يعني لعل ذلك الكفار
يمنعهم من نقض العهد واما تخافن يعني وان تعلمن يا محمد من قوم يعني معاهدين خيانة يعني نقضا للعهد
بما يظهر لك من آثار الغدر كما ظهر من بني قريظة والنضير فانبذ اي فاطرح اليهم يعني عهدهم وارم به اليهم
على سوا يعني على طريق ظاهر مستو يعني اعلمهم قبل حربك اياهم انك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى
تكون انت وهم في العلم بنقض العهد سوا فلا يتوهموا انك نقضت العهد اولا بنصب الحرب معهم ان الله
لا يحب الخائنين يعني في نقض العهد عن سليم بن عامر ان رجلا من حمير قال كان بين معاوية وبين الروم
عهد وكان يسير نحو بلادهم ليقرب حتى اذا انقضى العهد غزاهم فجاء رجل على فرس او برذون وهو يقول
الله اكبر الله اكبر وفا لا غدر فاذا هو عمرو بن عبسة فارسل اليه معاوية فساله فقال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي امدها
او ينبذ اليهم على سوا فرجع معاوية اخرجه ابو داود واخرج الترمذي عن سليم بن عامر نفسه بلا زيادة

رجل من حمير وعنده الله اكبر مرة واحدة وفيه جا على دابة او فرس واما حكم الاية فقال اهل العلم اذا
ظهرت آثار نقض العهد ممن عاهدهم الامام من المشركين بامر ظاهر مستفيض استغنى الامام عن نبذ
العهد واعلامهم بالحرب وان ظهرت الخيانة بامارات تلوح وتتضح له من غير امر مستفيض فحينئذ يجب
على الامام ان ينبذ اليهم العهد ويعلمهم بالحرب وذلك لان قريظة كانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه
وسلم ثم اجابوا ابا سفيان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وباصحابه فها هنا يجب على الامام ان ينبذ
اليهم على سوا ويعلمهم بالحرب واما اذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا به فلا حاجة للامام الى نبذ
العهد بل يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم
في ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرعهم الا وجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران
وذلك على اربع فراسخ من مكة وقوله تعالى ولا تحسبن قرئ بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم والمعنى ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا سبقوا يعني فاتوا وانهزموا يوم بدر وقرئ بالياء
على الغيبة ومعناه ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا يعني خلصوا من القتل والاسر يوم بدر انهم
لا يعجزون يعني انهم بهذا السبق لا يعجزون الله من الانتقام منهم اما في الدنيا بالقتل واما في
الاخرة بعذاب النار وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فيمن فاته من المشركين ولم ينتقم منهم
فاعلمه الله انهم لا يعجزون قوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الاعداد اتخاذ الشي لوقت
الحاجة اليه وفي المراد بالقوة اقوال احدها انها جميع انواع الاسلحة والالات التي تكون لكم قوة
في الحرب على قتال عدوكم الثاني انها الحصون والمعاقل الثالث الرمي وقد جات مفسرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم فيما رواه عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على
المنبر يقول واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الا ان القوة الرمي ثلاثا اخرجه مسلم خ عن ابي اسيد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين صففنا لقريش اذا اكثبوكم يعني غشوكم
وفي رواية اكثروكم فارموهم واستبقوا نبلكم وفي رواية اذا اكثبوكم فعليكم بالنبل م عن عقبة بن عامر
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يعجز احدكم ان
يلهو باسهمه م عن فقيم اللخمي قال قلت لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين وانت شيخ كبير يشق
فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اعانه قال قلت وما ذاك قال سمعته
يقول من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا او قد عصى عن ابي نجيح السلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان الله عز وجل ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في عمله الخير والرامي
به والممد به وفي رواية ومنبله فارموا واركبوا وان ترموا احب الي من ان تركبوا كل لهو باطل ليس من اللهو
محمود الا ثلاثة تاديب الرجل فرسه وملاعبته اهله ورميه بقوسه اي نبله فانهن من الحق ومن ترك
الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فانها نعمة تركها او كفرها اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي مختصرا
الى نبله خ عن سلمة بن الاكوع قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من اسلم ينتضلون بالسيوف
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا بني اسمعيل فان اباكم كان راميا ارموا وانا مع بني فلان فامسك
احد الفريقين بايديهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم لا ترمون فقالوا كيف نرمي وانت معهم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ارموا وانا معكم كلكم القول الرابع ان المراد بالقوة جميع ما يتقوى به في الحرب على العدو

فكل ما هو آلة يستعان بها في الجهاد فهو من جملة القوة المأمور باستعدادها وقوله صلى الله عليه وسلم
ألا إن القوة الرمي لا ينفي كون غير الرمي ليس من القوة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وقوله
الندم توبة فهذا لا ينفي اعتبار غيره بل يدل على أن هذا المذكور من أفضل المقصود وأجله فكذا
هاهنا يحمل معنى الآية على الاستعداد للقتال في الحرب وجهاد العدو بجميع ما يمكن من الآلات كالرمي
بالنبل والنشاب والسيف والدرع وتعليم الفروسية كل ذلك مأمور به إلا أنه من فروض الكفايات
وقوله تعالى **ومن رباط الخيل** يعني اقتناءها وربطها للغزو في سبيل الله والارتباط شد الفرس وغيره
بالمكان للحفظ وسمي المكان الذي يخص بإقامة حفظه فيه رباطا والمرابطة إقامة المسلمين بالثغور
للحراسة فيها وربط الخيل للجهاد من أعظم ما يستعان به روي أن رجلا قال لابن سيرين إن فلانا أوصى
بثلث ماله للحصون فقال ابن سيرين يشترى به الخيل ويربطها في سبيل الله وقال عكرمة القوة الحصون
ومن رباط الخيل يعني الإناث ووجه هذا أن العرب تربط الإناث من الخيل بالأفنية للنسل وروي
أن خالد بن الوليد كان لا يركب في القتال إلا الإناث لقلة صهيلها وعن ابن محيريز قال كانت الصحابة
يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف وإناث الخيل عند البيات والغارات وقيل ربط الفحول أولى
من الإناث لأنها أقوى على الكر والفر والعدو فكانت المحاربة عليها أولى من الإناث وقيل إن لفظ
الخيل عام فيتناول الفحول والإناث فأي ذلك ربط بنية الغزاة كان في سبيل الله ق عن عروة
ابن الجعد البارقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيمة
الأجر والغنيمة ق عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل في نواصيها الخير
إلى يوم القيمة خ عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله
إيمانا بالله وتصديقا بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيمة يعني حسنات ق
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل ثلاثة هي لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فأما الذي
هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله زاد في رواية لأهل الإسلام فأطال لها في مرج أو روضة فما أصابت
في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقيها
كان ذلك له حسنات فهي لذلك الرجل أجر ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها
فهي لذلك الرجل ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لأهل الإسلام فهي على ذلك وزر وسئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الحمر فقال ما أنزل علي فيها شيء إلا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الطيل الحبل الطويل الذي تشد به الفرس وفيه الرعي والاستنان الجري
والشرف الشوط الذي تجري فيه الفرس وقوله تغنيا يعني استغناء بها عن الطلب لما في أيدي الناس وأما حق
ظهورها فهو أن يحمل عليها منقطعا إلى أهله وأما حق رقابها فقيل أراد به الإحسان إليها وقيل أراد
به الحمل عليها فعبر بالرقبة عن الذات وقوله نواء لأهل الإسلام النواء المعاداة يقال ناوأت الرجل
مناواة إذا عاديته وقوله تعالى **ترهبون به عدو الله وعدوكم** يعني تخوفون بتلك القوة وبذلك
الرباط عدو الله وعدوكم يعني الكفار من أهل مكة وغيرهم وقال ابن عباس تخوفون به عدو الله وعدوكم
وذلك لأن الكفار إذا علموا أن المسلمين متأهبين للجهاد مستعدين له مستكملين بجميع الأسلحة
وآلات الحرب وإعداد الخيل مربوطة للجهاد خافوهم فلا يقصدون دخول دار الإسلام بل يصير ذلك
سببا لدخول الكفار في الإسلام أو بذل الجزية للمسلمين وقوله تعالى **وآخرين من دونهم** يعني وترهبون

آخرين

آخرين من دونهم اختلف العلماء فيهم فقال مجاهد هم بنو قريظة وقال السدي هم فارس وقال ابن زيد هم
المنافقون لقوله تعالى **لا تعلمونهم** لأنهم معكم يقولون بألسنتهم لا إله إلا الله **الله يعلمهم** يعني أنهم منافقين
وأورد على هذا القول أن المنافقين لا يقاتلون لإظهار كلمة الإسلام فكيف يخوفون بإعداد القوة ورباط
الخيل وأجيب عن هذا الإيراد أن المنافقين إذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة آلاتهم وأسلحتهم كان ذلك
مما يخوفهم ويحزنهم فكان ذلك إرهابهم وقال الحسن هم كفار الجن ورجح هذا القول الطبري قال لأن الله
تعالى قال لا تعلمونهم ولا شك أن المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لعلمهم بأنهم مشركون ولأنهم
حرب للمؤمنين أما الجن فلا يعلمونهم الله يعلمهم يعني يعلم أحوالهم وأماكنهم دونكم ويعضد هذا القول ما روي
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الجن وإن الشيطان لا يخبل أحدا في داره فرس عتيق ذكر هذا الحديث
ابن الجوزي وغيره من المفسرين بغير إسناد وقال الحسن صهيل الخيل يرهب الجن وقوله تعالى **وما تنفقوا
من شيء في سبيل الله** قيل أراد به نفقة الجهاد والغزو وقيل هو عام في كل وجوه الخير والطاعة فيدخل فيه نفقة
الجهاد وغيره **يوف إليكم** يعني أجره في الآخرة ويعجل له عوضه في الدنيا **وأنتم لا تظلمون** يعني وأنتم لا تنقصون
من ثواب أعمالكم شيئا قوله تعالى **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها** لما أمر الله عباده المؤمنين بإعداد القوة
وما يرهب العدو أمرهم بعد ذلك أن يقبلوا منهم الصلح إن مالوا إليه وسألوه فقال تعالى وإن جنحوا للسلم
يعني مالوا إلى السلم يعني المصالحة فاقبلوا منهم الصلح وهو قوله فاجنح لها أي مل إليها يعني إلى المصالحة
وروي عن الحسن وقتادة أن هذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل إنها غير منسوخة لكنها تتضمن
الأمر بالصلح إذا كان فيه مصلحة ظاهرة فإن رأى الإمام أن يصالح أعداءه من الكفار وفيه قوة فلا يجوز أن
يهادنهم سنة كاملة وإن كانت القوة للمشركين جاز أن يهادنهم عشر سنين ولا تجوز الزيادة عليها اقتداء
برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه صالح أهل مكة مدة عشر سنين ثم إنهم نقضوا العهد قبل انقضاء
المدة قوله تعالى **وتوكل على الله** يعني فوض أمرك إلى الله فيما عقدته معهم ليكون عونا لك في جميع أحوالك
إنه هو السميع يعني لأقوالهم **العليم** بأحوالهم قوله عز وجل **وإن يريدوا أن يخدعوك** يعني يغدروا بك
قال مجاهد يعني بني قريظة والمعنى وإن أرادوا بإظهار الصلح خديعتك لتكف عنهم **فإن حسبك الله**
يعني فإن الله كافيك بنصره ومعونته **هو الذي أيدك بنصره** يعني هو قواك وأعانك بنصره يوم بدر
وفي سائر أيامك **وبالمؤمنين** يعني وأيدك بالمؤمنين يعني الأنصار فإن قلت إذا كان الله قد أيده بنصره
فأي حاجة إلى نصر المؤمنين حتى يقول وبالمؤمنين قلت التأييد والنصر من الله عز وجل وحده لكنه
يكون بأسباب باطنة غير معلومة وبأسباب ظاهرة معلومة فأما الذي يكون بالأسباب الباطنة
فهو المراد بقوله هو الذي أيدك بنصره لأن أسبابه باطنة بغير وسائط معلومة وأما الذي يكون بالأسباب
الظاهرة فهو المراد بقوله وبالمؤمنين لأن أسبابه ظاهرة بوسائط وهم المؤمنون والله تعالى هو مسبب
الأسباب وهو الذي أقامهم لنصره ثم بين كيف أيده بالمؤمنين فقال تعالى **وألف بين قلوبهم لو أنفقت
ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم** وذلك أن العرب كان فيهم من الحمية
الشديدة والأنفة العظيمة والأنفس القوية والعصبية والانطواء على الضغينة في أدنى شيء حتى
لو أن رجلا من قبيلة لطم لطمة واحدة قاتل عنه أهل قبيلته حتى يدركوا ثأره لا يكادون يأتلف منهم قلبان
فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وآمنوا به واتبعوه انقلبت تلك الحالة فائتلفت قلوبهم
واستجمعت كلمتهم وزالت حمية الجاهلية من قلوبهم وأبدلت تلك الضغائن والتحاسد بالمودة والمحبة

لله ورسوله وانفقوا على الطاعة وصاروا انصارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واعوانا يقاتلون عنه ويحمونه وهم الاوس والخزرج وكانت بينهم في الجاهلية حروب عظيمة ومعاداة شديدة ثم زالت تلك الحروب وحصلت الالفة والمحبة وهذا مما لا يقدر عليه الا الله عز وجل وصار ذلك معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرة باهرة دالة على صدقه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي وفي الاية دليل على ان القلوب بيد الله يصرفها كيف شا واراد وذلك لان تلك الالفة والمحبة انما حصلت بسبب الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى ختم هذه بقوله **انه عزيز حكيم** يعني انه تعالى قادر قاهر يمكنه التصرف في القلوب فيقلبها من العداوة الى المحبة ومن النفرة الى الالفة وكل ذلك على وجه الحكمة والصو[اب]

قوله تعالى **يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المومنين** روي سعيد بن جبير عن ابن عباس ان هذه الاية نزلت في اسلام عمر بن الخطاب قال سعيد بن جبير اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت هذه الاية فعلى هذا القول تكون الاية مكية كتبت في سورة مدنية بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انها نزلت بالبيدا في غزوة بدر قبل القتال فعلى هذا القول اراد بقوله ومن اتبعك من المومنين يعني في غزوة بدر وقيل اراد بقوله ومن اتبعك من المومنين الانصار لان الآية نزلت بالمدينة وقيل اراد جميع المهاجرين والانصار ومعنى الاية يا ايها النبي حسبك الله وحسب من اتبعك من المومنين وقيل معناه حسبك الله ومتبعوك من المومنين قوله عز وجل **يا ايها النبي حرض المومنين على القتال** يعني حثهم على قتال عدوهم والتحريض في اللغة الحث على الشي بكثرة التزيين وتسهيل الخطب فيه لانه في الاصل ازالة الحرض وهو الهلاك **ان يكن منكم عشرون** يعني رجلا **صابرون** يعني عند اللقا محتسبين انفسهم **يغلبوا مايتين** يعني من عدوهم وظاهر لفظ الاية خبر ومعناه الامر فكانه قال ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في قتال عدوهم حتى يغلبوا مايتين ويدل على ان المراد بهذا الخبر الامر قوله الآن خفف الله عنكم لان النسخ لا يدخل على الاخبار انما يدخل على الامر فدل ذلك على ان الله تعالى اوجب اولا على المومنين هذا الحكم وانما حسن هذا التكليف لان الله وعدهم بالنصر ومن تكفل الله له بالنصر سهل عليه الثبات مع الاعدا **وان يكن منكم ماية يغلبوا الفا من الذين كفروا** فحاصله وجوب ثبات الواحد من المومنين في مقابلة العشرة من الكفار **بانهم قوم لا يفقهون** يعني ان المشركين لا يقاتلون لطلب ثواب وخوف عقاب انما يقاتلون حمية فاذا صدقتموهم في القتال فانهم لا يثبتون معكم **الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان تكن منكم ماية صابرة يغلبوا مايتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله**

عن ابن عباس قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين كتب عليهم ان لا يفر واحد من عشرة ولا عشرون من مايتين ثم نزلت الآن خفف الله عنكم الاية فكتب ان لا يفر ماية من مايتين وفي رواية اخرى عنه قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين شق ذلك على المسلمين فنزلت الآن خفف الله عنكم الاية فلما خفف الله عنهم من العدة نقص عنهم من الصبر بقدر ما خفف عنهم فظاهر هذا ان قوله الآن خفف الله عنكم ناسخ لما تقدم في الاية الاولى وكان هذا الامر يوم بدر فرض الله تعالى على الرجل الواحد من المومنين قتال عشرة من الكافرين فثقل ذلك على المومنين فنزل الآن خفف الله عنكم ايها المومنون وعلم ان فيكم ضعفا يعني في قتال الواحد للعشرة فان تكن منكم ماية صابرة محتسبة يغلبوا مايتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله فرد من العشرة الى اثنين فاذا كان المسلمون على قدر

النصف

النصف من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا فايما رجل فر من ثلاثة فلم يفر ومن فر من اثنين فقد فر **والله مع الصابرين** يعني بالنصر والمعونة قال سفيان قال ابن شبرمة وارى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل ذلك قوله تعالى **ما كان لنبي ان تكون له اسرى** روي عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم بدر وجي بالاسارى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هولا فقال ابو بكر يا رسول الله قومك واهلك استبقهم واستان بهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وقال عمر يا رسول الله كذبوك واخرجوك قدمهم نضرب اعناقهم مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكني من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان هولا ايمة الكفر وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه ثم اضرمه عليهم نارا فقال له العباس قطعتك رحمك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ثم دخل فقال ناس ياخذ بقول ابي بكر وناس يوخذ بقول عمر وقال ناس يوخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن ويشد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا ابا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك مثل موسى قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم الاية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم انتم عالة فلا ينفلتن احد منهم الا بفداء او بضرب عنق قال عبد الله بن مسعود الا سهيل ابن بيضا فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما رايتني في يوم اخوف ان تقع علي الحجارة من السما مني في ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضا قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت واخذ منهم الفدا فلما كان من الغد جيت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر قاعدين يبكيان قلت يا رسو[ل] الله اخبرني من اي شي تبكي انت وصاحبك فان وجدت بكا بكيت وان لم اجد بكا تباكيت لبكايكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض على اصحابك من اخذهم الفدا لقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض الاية اخرج هذا الحديث الترمذي مختصرا وقال في الحديث قصة وهي هذه القصة التي ذكرها البغوي واخرج مسلم في افراده من حديث عمر بن الخطاب قال ابن عباس لما اسروا الاسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر ما ترون في هولا الاسارى فقال ابو بكر يا رسول الله هم بنو العم والعشيرة ارى ان تاخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار فعسى الله ان يهديهم الى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت لا والله يا رسول الله ما ارى الذي راى ابو بكر ولكني ارى ان تمكننا فنضرب اعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكني من فلان نسيبا لعمر فاضرب عنقه فان هولا ايمة الكفر وصناديدها فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جيت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر قاعدين يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرني من اي شي تبكي انت وصاحبك فان وجدت بكا بكيت وان لم اجد بكا تباكيت لبكايكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض على اصحابك من اخذهم الفدا لقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله عز وجل ما كان لنبي ان

تكون له اسرى حتى يثخن في الارض الى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنيمة لهم ذكره الحميدي في مسند
عمر بن الخطاب من افراد مسلم بزيادة فيه اما تفسير الاية فقوله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى يعني ما كان
ينبغي ولا يجب لنبي وقال ابو عبيدة معناه لم يكن لنبي ذلك فلا يكون لك يا محمد والمعنى ما كان لنبي ان يحبس
كافرا قدر عليه وصار في يده اسيرا للفدا والمن والاسرى جمع اسير واسارى جمع الجمع **حتى يثخن في الارض**
الاثخان في كل شي عبارة عن قوته وشدته يقال اثخنه المرض اذا اشتد قوته عليه والمعنى حتى يبالغ في قتل
المشركين ويغلبهم ويقهرهم فاذا حصل ذلك فله ان يقدم على الاسر فيا سر الاسارى **تريدون عرض الدنيا**
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني تريدون ايها المومنون عرض الدنيا باخذكم الفدا من المشركين
وانما سمي منافع الدنيا لانه لا ثبات لها ولا دوام فكانها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الاخرة فانها دائمة
بلا زوال ولا انقطاع لها وقوله تعالى **والله يريد الاخرة** يعني انه تعالى يريد لكم ثواب الاخرة بقهركم
المشركين ونصركم الدين لانها دائمة بلا زوال ولا انقطاع **والله عزيز** لا يقهر ولا يغلب **حكيم** يعني في تدبير
مصالح عباده قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم
انزل الله في الاسارى فاما منا بعد واما فدا فجعل الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين بالخيار
ان شاوا قتلوهم وان شاوا استعبدوهم وان شاوا فادوهم وان شاوا اعتقوهم قال الامام
فخر الدين هذا الكلام يوهم ان قوله فاما منا بعد واما فدا يزيل حكم الاية التي نحن في تفسيرها وليس
الامر كذلك لان كلتي الايتين متوافقتان وكلاهما يدلان على انه لا بد من تقديم الاثخان ثم بعده
اخذ الفدا قال العلما كان الفدا لكل اسير اربعين اوقية والاوقية اربعون درهما فيكون مجموع
ذلك الف وستماية درهم وقال قتادة وكان الفدا يومئذ لكل اسير اربعة الاف اربعة الاف

فصل قد استدل بهذه الاية من يقدح في عصمة الانبيا وبيانه من وجوه الاول ان قوله
ما كان لنبي ان تكون له اسرى صريح في النهي عن اخذ الاسارى وقد وجد ذلك يوم بدر الوجه الثاني
ان الله امر النبي صلى الله عليه وسلم وقومه بقتل المشركين يوم بدر فلما لم يقتلوهم بل اسروهم دل
ذلك على صدور الذنب منهم الوجه الثالث ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم باخذ الفدا وهو محرم وذلك
ذنب الوجه الرابع ان النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر قعدا يبكيان لاجل اخذ الفدا وخوفا العذاب
وقرب نزوله والجواب عن الوجه الاول ان قوله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض
يدل على انه كان له الاسر مشروعا ولكن بشرط الاثخان في الارض وقد حصل لان الصحابة قتلوا يوم
بدر سبعين رجلا من عظما المشركين وصناديدهم واسروا سبعين وليس من شرط الاثخان وقد حصل
في الارض قتل جميع الناس فدلت هذه الاية على جواز الاسر بعد الاثخان مع
والجواب عن الوجه الثاني ان الامر بالقتل انما كان مختصا بالصحابة لاجماع المسلمين ان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يوم بمباشرة قتال الكفار بنفسه واذا ثبت ان الامر بالقتل كان مختصا بالصحابة كان
الذنب صادرا منهم لا من النبي صلى الله عليه وسلم والجواب عن الوجه الثالث وهو ان النبي صلى الله عليه
وسلم حكم باخذ الفدا وهو محرم فنقول لا نسلم ان اخذ الفدا كان محرما واما قوله تعالى تريدون عرض
الدنيا والله يريد الاخرة ففيه عتاب لطيف لغرض اخذ الفدا من الاسارى والمبادرة اليه ولا يدل
ايضا على تحريم الفدا اذ لو كان حراما في علم الله لمنعهم من اخذه مطلقا والجواب عن الوجه الرابع وهو ان
النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر قعدا يبكيان يحتمل ان يكون لاجل بعض الصحابة لما خالف الامر بالقتل
واشتغل بالاسر استوجب بذلك الفعل العذاب فبكى النبي صلى الله عليه وسلم خوفا واشفاقا من نزول

العذاب

العذاب عليهم بسبب ذلك الفعل وهو الاسر واخذ الفدا والله اعلم قوله عز وجل **لولا كتاب من الله
سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم** قال ابن عباس كانت الغنايم محرمة على الانبيا والامم فكانوا
اذا اصابوا مغنما جعلوه للقربان فكانت النار تنزل من السما فتاكله فلما كان يوم بدر اسرع
المومنون في اخذ الغنايم والفدا انزل الله لولا كتاب من الله سبق يعني لولا قضا من الله سبق في
اللوح المحفوظ بانه يحل لكم الغنايم لمسكم فيما فيما اخذتم عذاب عظيم وقال الحسن ومجاهد وسعيد
ابن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب احدا ممن شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقال
ابن جريج لولا كتاب من الله سبق انه لا يضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وانه لا ياخذ قوما
فعلوا اشيا بجهالة لمسكم يعني لاصابكم بسبب ما اخذتم من الفدا قبل ان تومروا به عذاب عظيم قال محمد
ابن اسحق لم يكن من المومنين احد ممن حضر بدرا الا واحب الغنايم الا عمر بن الخطاب فانه اشار على رسول
الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسرى وسعد بن معاذ فانه قال يا رسول الله كان الاثخان في القتل
احب الي من استبقا الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السما ما نجا منه
غير عمر وسعد بن معاذ وقوله تعالى **فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا** يعني فقد احلت لكم الغنايم واخذ
الفدا فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وروي انه لما نزلت هذه الاية الاولى كف اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ايديهم عما اخذوا من الفدا فنزلت فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنايم بهذه
الاية لهذه الامة وكانت قبل ذلك حراما على ساير الامم الماضية صح من حديث جابر بن عبد الله ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال فلم تحل الغنايم لاحد قبلنا ثم احل الله لنا الغنايم ذلك بان الله راي ضعفنا
وعجزنا فاحلها لنا وقوله تعالى **واتقوا الله ان الله غفور رحيم** يعني وخافوا الله ان تعودوا ان
تفعلوا شيا من قبل انفسكم قبل ان تومروا به واعلموا ان الله قد غفر لكم ما اقدمتم عليه من هذا الذنب
ورحمكم وقيل في قوله واتقوا الله اشارة الى المستقبل وقوله ان الله غفور رحيم اشارة الى الحالة
الماضية قوله تعالى **يا ايها النبي قل لمن في ايديكم** نزلت في العباس بن عبد المطلب عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان احد العشرة الذين ضمنوا ان يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة
الى بدر وكان قد خرج ومعه عشرون اوقية من ذهب ليطعم بها اذا جات نوبته فكان يوم الوقعة
ببدر نوبته فاراد ان يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا فلم يطعم شيا وبقيت العشرون اوقية معه فلما
اسر اخذت منه فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تحسب العشرين اوقية من فدايه فابى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال اما شي خرجت به لتستعين به علينا فلا اتركه لك وكلف فدا ابني اخيه
عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث فقال العباس يا محمد تتركني اتكفف قريشا ما بقيت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها اني لا ادري
ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهذا لك ولعبد الله وللفضل وقثم يعني بنيه فقال
العباس وما يدريك يا ابن اخي قال اخبرني به ربي فقال العباس اشهد انك لصادق واشهد ان لا اله
الا الله وانك عبده ورسوله لم يطلع عليه احد الا الله وامر ابني اخيه عقيل ونوفل بن الحرث فاسلما
فذلك قوله تعالى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم **من الاسارى** يعني الذين اسرتموهم واخذتم منهم الفدا
ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يعني ايمانا وتصديقا **يوتكم خيرا مما اخذ منكم** يعني من الفدا **ويغفر لكم**

يعني ما سلف منكم قبل الايمان والله غفور يعني لمن امن وتاب من كفره ومعاصيه رحيم يعني باهل طاعته
قال العباس فابدلني الله خيرا مما اخذ مني عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كثير ادناهم يضرب بعشرين الف
درهم مكان العشرين اوقية واعطاني زمزم وما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من
ربي عز وجل قوله تعالى وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك يعني ان يكفروا بك فقد خانوا الله يعني
فقد كفروا بالله من قبل وقيل معناه وان نقضوا العهد ورجعوا الى الكفر فقد خانوا الله بذلك فامكن
منهم يعني فامكن المؤمنين منهم ببدر حتى قتلوا منهم واسروا منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبي
صلى الله عليه وسلم بانه يتمكن من كل احد يخونه او ينقض عهده والله عليم يعني بما في بواطنهم وضمائرهم
من الايمان والتصديق او الخيانة ونقض عهده حكيم يعني حكم بان يجازي كلا بعمله الخير بالثواب والشر
بالعقاب قوله عز وجل ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله يعني ان الذين امنوا
بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بما جاءهم به وهاجروا يعني وهجروا ديارهم وقومهم
في ذات الله عز وجل وابتغاء رضوانه وهم المهاجرون الاولون وجاهدوا يعني وبذلوا انفسهم في سبيل
الله يعني طاعة الله وابتغاء رضوانه والذين اووا ونصروا يعني اووا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم الانصار اولئك يعني المهاجرين والانصار بعضهم اولياء بعض يعني في العون والنصر دون اقربائهم
من الكفار وقال ابن عباس في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة فكان المهاجرون والانصار يتوارثون
دون اقربائهم وذوي ارحامهم وكان من امن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت
الهجرة فتوارثوا بالارحام حيث ما كانوا وصار ذلك منسوخا بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في
كتاب الله وقوله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا يعني امنوا واقاموا بمكة ما لكم من ولايتهم من شيء يعني
من الميراث حتى يهاجروا يعني الى المدينة وان استنصروكم في الدين يعني ان استنصركم الذين امنوا ولم يهاجروا
فعليكم النصر يعني فعليكم نصرهم واعانتهم الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد فلا تنصروهم عليهم والله
بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض يعني في النصر والمعونة وذلك ان كفار قريش كانوا
معادين لليهود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعا قال ابن عباس يعني في الميراث
يعني ان يرث الكفار بعضهم من بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير قال ابن عباس الا تاخذوا
في الميراث بما امركم به وقال ابن جريج الا تتعاونوا وتتناصروا وقال ابن اسحق جعل الله المهاجرين والانصار
اهل ولاية في الدين دون من سواهم وجعل الكافرين بعضهم اولياء بعض ثم قال تعالى الا تفعلوه وهو ان يتولى
المومن الكافر دون المومنين تكن فتنة في الارض وفساد كبير فالفتنة في الارض هي قوة الكفار والفساد الكبير
هو ضعف المسلمين والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك
هم المومنون حقا يعني لا شك في ايمانهم ولا ريب لانهم حققوا ايمانهم بالهجرة والجهاد وبذل النفس والمال في
نصر الدين لهم مغفرة يعني لذنوبهم ورزق كريم يعني في الجنة فان قلت ما معنى هذا التكرار قلت ليس فيه تكرار
لانه تعالى ذكر في الاية الاولى حكم ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضا ثم ذكر في هذه الاية ما من به عليهم
من المغفرة والرزق الكريم وقيل ان اعادة الشيء مرة بعد اخرى يدل على مزيد الاهتمام به فلما ذكرهم اولا
ثم اعاد ذكرهم ثانيا دل ذلك على تعظيم شانهم وعلو درجاتهم وهذا هو الشرف العظيم لانه تعالى ذكر في
هذه الاية من وجوه المدح ثلاثة انواع احدها قوله اولئك هم المومنون حقا وهذا يفيد الحصر وقوله
تعالى حقا يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محقين في طريق الدين وتحقيق هذا القول ان من فارق اهله وداره

التي نشا فيها وبذل النفس والمال كان مومنا حقا النوع الثاني قوله تعالى لهم مغفرة وتنكير لفظ المغفرة
يدل على ان لهم مغفرة واي مغفرة لا ينالها غيرهم والمعنى لهم مغفرة تامة كاملة ساترة لجميع ذنوبهم النوع
الثالث قوله تعالى ورزق كريم فكل شيء شرف وعظم في بابه قيل له كريم والمعنى ان لهم في الجنة رزقا لا تلحقهم
فيه غصة ولا مشقة ولا تعب وقيل ان المهاجرين كانوا على طبقات فمنهم من هاجر اولا الى المدينة وهم المهاجرون
الاولون ومنهم من هاجر الى ارض الحبشة ثم هاجر الى المدينة فهم اصحاب الهجرتين ومنهم من هاجر بعد صلح
الحديبية وقبل فتح مكة فذكر الله في الاولة اصحاب الهجرة الاولى وذكر في الثانية اصحاب الهجرة الثانية
والله اعلم بمراده وقوله تعالى والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم اختلفوا في قوله من
بعد فقيل من بعد صلح الحديبية وهي الهجرة الثانية وقيل من بعد نزول هذه الاية وقيل من بعد غزوة
بدر والاصح ان المراد به اهل الهجرة الثانية لانها بعد الهجرة الاولى لان الهجرة انقطعت بعد فتح مكة لانها
صارت دار الاسلام بعد الفتح ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية
اخرجاه في الصحيحين وقال الحسن الهجرة غير منقطعة ويجاب عن هذا بان المراد منه الهجرة المخصوصة
من مكة الى المدينة فاما من كان من المومنين في بلد يخاف على اظهار دينه من كثرة الكفار وجب عليه ان
يهاجر الى بلد لا يخاف فيه على اظهار دينه وقوله تعالى فاولئك منكم يعني انهم منكم وانتم منهم لكن فيه دليل
على ان مرتبة المهاجرين الاولين اشرف واعظم من مرتبة المهاجرين بالهجرة الثانية لان الله تعالى الحق المهاجرين
المتاخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم منهم وذلك معرض المدح والشرف ولولا ان المهاجرين الاولين
افضل واشرف لما صح هذا الالحاق وقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله قال ابن
عباس كانوا يتوارثون بالهجرة والاخاء حتى نزلت هذه الاية واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في الميراث
فبين بهذه الاية ان سبب القرابة اقوى واولى من سبب الهجرة والاخاء ونسخ بهذه الاية ذلك التوارث
وقوله في كتاب الله يعني في حكم الله وقيل اراد به في اللوح المحفوظ وقيل اراد به القران وهو ان قسمة المواريث
مذكورة في سورة النساء من كتاب الله وهو القران وتمسك اصحاب ابي حنيفة بهذه الاية في توريث
ذوي الارحام واجاب عنه الشافعي بانه لما قال في كتاب الله كان معناه في حكم الله الذي بينه في سورة النساء
فصارت هذه الاية مقيدة بالاحكام التي ذكرها في سورة النساء من قسمة المواريث واعطاء اهل
الفروض فروضهم وما بقي فللعصبات وقوله تعالى ان الله بكل شيء عليم يعني انه تعالى عالم بكل شيء لا
يخفى عليه خافية والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة التوبة

وهي مدنية باجماعهم قال ابن الجوزي سوى ايتين في اخرها لقد جاءكم رسول من انفسكم فانها نزلت بمكة
وهي مائة وتسع وعشرون اية وقيل مائة وثلاثون اية وهي اربعة الاف وثمان وتسعون كلمة وعشرة الاف
واربعمائة وثمان وثمانون حرفا ولهذه السورة اسماء عشرة سورة التوبة وسورة براءة وهذان
الاسمان مشهوران وهي المقشقشة قاله ابن عمر سميت بذلك لانها تقشقش من النفاق اي تبري
منه وهي المبعثرة لانها تبعثر عن اخبار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها والفاضحة قال ابن عباس
لانها فضحت المنافقين وسورة العذاب قاله حذيفة وهي المخزية لان فيها خزي المنافقين وهي
المدمدمة سميت بذلك لان فيها هلاك المنافقين وهي المشردة سميت بذلك لانها تشرد جموع المنافقين
وتفرقهم وهي المثيرة سميت بذلك لانها اثارت مخازي المنافقين وكشفت عن احوالهم وهتكت استارهم

عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة فقال بل هي الفاضحة ما زالت تقول ومنهم ومنهم
حتى ظنوا ان لا يبقى احد الا ذكر فيها قال قلت سورة الانفال قال نزلت في بدر قال قلت سورة الحشر قال
بل سورة النضير اخرجاه في الصحيحين **فصل** في بيان سبب ترك كتابة التسمية في اول
هذه السورة عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حملكم على ان عمدتم الى الانفال وهي من المثاني والى
براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال
ما حملكم على ذلك فقال عثمان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو
ينزل عليه السور ذوات العدد وكان اذا انزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء
الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا واذا انزلت عليه الآية يقول ضعوا هذه الآية في السورة
الذي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من اوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من اخر القرآن نزولا
وكانت قصتها شبيهة بقصتها وظننت انها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين
لنا انها منها من اجل ذلك قرنت بينهما ولم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال
اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج والشبه الذي بينهما ان في الانفال
ذكر العهود وفي براءة نقضها وكان قتادة يقول هما سورة واحدة وقال محمد بن الحنفية قلت لابي
يعني علي بن ابي طالب لم لا يكتبوا في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال يا بني ان براءة نزلت بالسيف
وان بسم الله الرحمن الرحيم امان وسئل سفيان بن عيينة عن هذا فقال لان التسمية رحمة والرحمة
امان وهذه السورة نزلت في المنافقين وقال المبرد لم تفتتح هذه السورة ببسم الله الرحمن الرحيم
لان التسمية افتتاح للخير واول هذه السورة وعيد ونقض عهود فلذلك لم تفتتح بالتسمية وسئل
ابي بن كعب عن هذا فقال انها نزلت في اخر القرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر في كل
سورة بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم ولم يأمر في براءة بذلك فضمت الى الانفال لشبهها بها وقيل
ان الصحابة اختلفوا في ان سورة الانفال وسورة براءة هل هما سورة واحدة ام سورتان فقال
بعضهم سورة واحدة لانهما نزلتا في القتال ومجموعهما معا مائتان وخمس آيات فكانت هي السورة
السابعة من السبع الطوال وقال بعضهم هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة
تركوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم تنبيها
على من يقول هما سورة واحدة اما التفسير فقوله تعالى **براءة من الله ورسوله** يعني هذه
براءة واصل البراءة في اللغة انقطاع العصمة يقال بريت من فلان ابرا براءة اي انقطعت بيننا
العصمة ولم يبق بيننا علقة وقيل معناه هنا التباعد مما يكره مجاورته قال المفسرون لما خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك فكان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون
ينقضون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله عز وجل بنقض عهودهم
وذلك قوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة الآية ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امر
ونبذ اليهم عهودهم قال الزجاج اي قد برئ الله ورسوله من اعطائهم العهود والوفا بها اذا نكثوا **الى**
الذين عاهدتم من المشركين الخطاب مع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وان كان النبي صلى الله عليه
وسلم هو الذي عاهدهم وعاقدهم لانه تولى عقدهم واصحابه بذلك راضون فكانهم عقدوا وعاهدوا
وقوله تعالى **فسيحوا في الارض** اي فسيروا في الارض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين احدا من

المسلمين واصل السياحة الضرب في الارض والاتساع فيها والبعد عن مواضع العمارة قال ابن الانباري
قوله فسيحوا فيه مضمر اي قل لهم سيحوا وليس هذا باب الامر بل المقصود منه الاباحة والاطلاق والاعلام
بحصول الامان وزوال الخوف يعني سيحوا في الارض وانتم آمنون من القتل والقتال **اربعة اشهر** يعني
مدة اربعة اشهر واختلف العلماء في هذا التاجيل وفي هؤلاء الذين برئ الله ورسوله اليهم من العهود
التي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مجاهد هذا التاجيل من الله للمشركين
فمن كانت مدة عهده اقل من اربعة اشهر رفعه الى اربعة اشهر ومن كانت مدته اكثر حطه الى اربعة
اشهر ومن كان عهده بغير اجل محدود حده باربعة اشهر ثم هو بعد ذلك حرب لله ولرسوله يقتل
حيث ادرك ويوسر الا ان يتوب ويرجع الى الايمان وقيل ان المقصود من هذا التاجيل ان يتفكروا
ويحتاطوا لانفسهم ويعلموا انه ليس لهم بعد هذه المدة الا الاسلام او القتل فيصير هذا داعيا لهم
الى الدخول في الاسلام ولئلا ينسب المسلمون الى الغدر ونكث العهد وكان ابتداء هذا الاجل يوم الحج
الاكبر وانقضاؤه الى عشر من ربيع الاخر فاما من لم يكن له عهد فانما اجله انسلاخ الاشهر الحرم
وذلك خمسون يوما وقال الزهري الاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لان هذه
الآية نزلت في شوال والقول الاول اصوب وعليه الاكثرون قال الكلبي انما كانت الاربعة اشهر لمن
كان له عهد دون الاربعة اشهر فاما من كان عهده اكثر من اربعة اشهر فهذا امر باتمام عهده بقوله
فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم وقيل كان ابتداؤها في العاشر من ذي القعدة واخرها العاشر من ربيع
الاول لان الحج في تلك السنة كان في العاشر من ذي القعدة بسبب النسيء ثم صار في السنة المقبلة في العاشر
من ذي الحجة وفيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الزمان قد استدار الحديث وقال
الحسن امر الله عز وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال من قاتله من المشركين فقال تعالى
قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فكان لا يقاتل الا من قاتله ثم امره بقتال المشركين والبراءة منهم
واجلهم اربعة اشهر فلم يكن لاحد منهم اجل اكثر من اربعة اشهر لا من كان له عهد قبل البراءة ولا من لم
يكن له عهد وكان الاجل لجميعهم اربعة اشهر واحل دماء جميعهم من اهل العهود وغيرهم بعد انقضاء الاجل
وقال محمد بن اسحق ومجاهد وغيرهما نزلت في اهل مكة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عاهد قريشا عام الحديبية على ان يضعوا الحرب عشر سنين يامن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلت بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالوا منهم
واعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي
حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاهم اني ناشد محمدا • حلف ابينا وابيه الاتلدا •
كنت لنا ابا وكنا ولدا • ثمت اسلمنا ولم ننزع يدا • فانصر هداك الله نصرا اعتدا • وادع عباد الله ياتوا مددا •
فيهم رسول الله قد تجردا • في فيلق كالبحر يجري مزبدا • ابيض مثل الشمس يسمو صعدا • ان سيم خسفا وجهه تربدا •
ان قريشا اخلفوك الموعدا • ونقضوا ميثاقك الموكدا • هم بيتونا بالحطيم هجدا • وقتلونا ركعا وسجدا •
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم انصركم وتجهز الى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة
فلما كان سنة تسع اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحج فقيل له المشركون يحضرون ويطوفون
بالبيت عراة فبعث ابا بكر تلك السنة اميرا على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه اربعين آية من صدر
براءة ليقرأها على اهل الموسم ثم بعث بعده عليا على ناقته العضباء ليقرأ على الناس صدر براءة وامره

ان يوذن بمكة ومنى وعرفة ان قد بريت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل مشرك ولا يطوف
بالبيت عريان فرجع ابو بكر فقال يا رسول الله بابي انت وامي انزل في شاني فقال لا ولكن لا ينبغي لاحد ان يبلغ
هذا الا رجل منا اهلي اما ترضى يا ابا بكر انك كنت معي في الغار وانك معي على الحوض قال بلى يا رسول الله
فسار ابو بكر اميرا على الحاج وعلى ابن ابي طالب يوذن ببراة فلما كان قبل يوم التروية بيوم قام ابو بكر
فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم واقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها
في الجاهلية من امر الحج حتى اذا كان يوم النحر قام علي بن ابي طالب فاذن في الناس بالذي امر به وقرا عليهم
اول سورة براة وقال يزيد بن تبيع سالنا عليا باي شي بعثت في الحجة قال بعثت باربع لا يطوف بالبيت
عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله اربعة
اشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مومنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا في الحج ثم حج رسول الله
صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع **ق** عن ابي هريرة ان ابا بكر بعثه في الحجة التي امره رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع في رهط يوذنون في الناس يوم النحر ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف
بالبيت عريان وفي رواية ثم اردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن ابي طالب فامره ان يوذن ببراة قال
ابو هريرة فاذن معنا في اهل منى ببراة ان لا يحج بالبيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي
رواية ويوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاكبر الحج وانما قيل الحج الاكبر من اجل قول الناس العمرة الحج الاصغر قال
فنبذ ابو بكر الى الناس في ذلك فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع
مشرك وانزل الله في العام الذي نبذ فيه ابو بكر الى المشركين يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا
المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله الاية **فصل** وقد يتوهم
متوهم ان في بعث علي بن ابي طالب بقراة اول براة عزل ابي بكر عن الامارة وتفضيله على ابي بكر وذلك جهل
من هذا المتوهم ويدل على ان ابا بكر لم يزل اميرا على الموسم في تلك السنة اول حديث ابي هريرة المتقدم
ان ابا بكر بعثه في رهط يوذنون في الناس الحديث وفي لفظ ابي داود والنسائي قال بعثني ابو بكر فيمن
يوذن يوم النحر بمنى ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فقوله بعثني ابو بكر فيه دليل على
ان ابا بكر كان هو الامير على الناس وهو الذي اقام للناس حجهم وعلمهم مناسكهم واجاب العلما عن بعثة رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليا ليوذن في الناس ببراة لان عادة العرب جرت ان لا يتولى تقرير العهد ونقضه
الا سيد القبيلة وكبيرها او رجل من اقاربه وكان علي بن ابي طالب اقرب الى النبي صلى الله عليه وسلم من ابي
بكر لانه ابن عمه ومن رهطه فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم ليوذن عنه ببراة ازاحة لهذه العلة ليلا
يقولوا هذا على خلاف ما نعرفه من عادتنا في عقد العهود ونقضها وقيل لما خص ابا بكر بتوليته على الموسم
خص عليا بتبليغ هذه الرسالة تطييبا لقلبه ورعاية لجانبه وقيل انما بعث عليا في هذه الرسالة حتى
يصلي خلف ابي بكر ويكون جاريا مجرى التنبيه على امامة ابي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لان النبي
صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر اميرا على الحاج وولاه الموسم وبعث عليا خلفه ليقرا على الناس براة فكان
ابو بكر الامام وعلي الموتم وكان ابو بكر الخطيب وعلي المستمع وكان ابو بكر المتولي امر الموسم والامير على الناس
فلم يكن ذلك لعلي فدل ذلك على تقدم ابي بكر على علي وفضله عليه والله اعلم وقوله تعالى **واعلموا انكم
غير معجزي الله** يعني ان هذا الامهال ليس لعجز عنكم ولكن لمصلحة ولطف بكم ليتوب تايب وقيل معناه فسيحوا
في الارض اربعة اشهر عالمين انكم لا تعجزون الله بل هو يعجزكم ويأخذكم لانكم في ملكه وقبضته وتحت قهره

وسلطانه وقيل معناه انما امهلكم هذه المدة لانه لا يخاف الفوت ولا يعجزه شي **وان الله مخزي الكافرين**
يعني بالقتل والعذاب في الاخرة قوله عز وجل **واذان من الله ورسوله** الاذان في اللغة الاعلام ومنه
الاذان للصلاة لانه اعلام بدخول وقتها والمعنى واعلام صادر من الله ورسوله واصل **الى الناس
يوم الحج الاكبر** اختلفوا في يوم الحج الاكبر فروى عكرمة عن ابن عباس انه يوم عرفة ويروى ذلك عن
ابن عمر وابن الزبير وهو قول عطا وطاوس ومجاهد وسعيد بن المسيب وعلي بن ابي طالب قال
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الاكبر فقال يوم النحر اخرجه الترمذي وقال
ويروى موقوفا عليه وهو اصح وعن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجمرات
في الحجة التي حج فيها فقال اي يوم هذا فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الاكبر اخرجه ابو داود ويروى
ذلك عن عبد الله بن ابي اوفى والمغيرة بن شعبة وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير والسدي
وروى ابن جريج عن مجاهد ان يوم الحج الاكبر حين الحج ايام منى كلها وكان سفيان الثوري يقول يوم الحج
الاكبر ايام منى كلها لان اليوم قد يطلق ويراد به الحين والزمان كقولك يوم صفين ويوم الجمل لان
الحروب دامت في هذه الايام ويطلق عليها يوم واحد وقال عبد الله بن الحرث بن نوفل يوم الحج الاكبر
الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن سيرين لانه اجتمع حج المسلمين وعيد اليهود
وعيد النصارى وعيد المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده فعظم ذلك اليوم عند المومنين والكافرين
واختلفوا لم سمي الحج الاكبر فقال مجاهد الحج الاكبر القران لانه قرن بين الحج والعمرة وقيل الحج الاكبر لاجتماع
اعياد جميع الملل في ذلك اليوم وقال الزهري والشعبي وعطا الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة وانما قيل
لها الاصغر لنقصان اعمالها عن الحج وقيل سمي الحج الاكبر لموافقة حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة
الوداع وكان ذلك اليوم يوم الجمعة وودع الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وذكر في خطبته ان
الزمان قد استدار وابطل النسي وجميع احكام الجاهلية وقيل الحج الاكبر لاجتماع اعياد جميع الملل في
ذلك اليوم وقوله تعالى **ان الله بري من المشركين ورسوله** فيه حذف والتقدير واذان من الله
ورسوله بان الله بري من المشركين وانما حذفت الباء لدلالة الكلام عليه وفي رفع رسوله وجوه
الاول انه رفع بالابتدا وخبره مضمر التقدير ان الله بري من المشركين ورسوله ايضا بري الثاني تقديره
بري الله ورسوله من المشركين الثالث ان الله في محل الرفع بالابتدا وبري خبره ورسوله عطف على
المبتدا الاول فان قلت ما فرق بين قوله براة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين
وبين قوله ان الله بري من المشركين ورسوله فما فايدة هذا التكرار قلت المقصود من الاية الاولى
البراة من العهد ومن الاية الثانية البراة التي هي نقيض الموالاة الجارية مجرى الزجر والوعيد والذي
يدل على صحة هذا الفرق انه قال في الاولى براة من الله ورسوله الى يعني بريا اليهم وفي الثانية
بري منهم وقوله تعالى **فان تبتم** يعني فان رجعتم عن شرككم وكفركم **فهو خير لكم** يعني من الاقامة على الشرك
وهذا ترغيب من الله في التوبة والاقلاع عن الشرك الموجب لدخول النار **وان توليتم** يعني اعرضتم
عن الايمان والتوبة من الشرك **فاعلموا انكم غير معجزي الله** فيه وعيد عظيم واعلام لهم بان الله تعالى
قادر على انزال العذاب بهم وهو قوله **وبشر الذين كفروا بعذاب اليم** يعني في الاخرة ولفظ البشارة هنا
انما ورد على سبيل الاستهزا كما يقال تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم قوله تعالى **الا الذين عاهدتم من
المشركين** هذا الاستثنا راجع الى قوله تعالى براة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين

الا من عهد الذين عاهدتهم من المشركين وهم بنو ضميرة حي من كنانة امر الله تعالى رسوله صلى الله
عليه وسلم باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة اشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقضوا العهد
وهو قوله **ثم لم ينقصوكم شيا** يعني من عهودهم التي عاهدتموهم عليها **ولم يظاهروا** يعني ولم يعاونوا **عليكم
احدا** من عدوكم وقال صاحب الكشاف وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب
للمسلمين ومعناه براة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا في الارض الا
الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم **فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم** والاستثنا بمعنى الاستدراك كانه قيل
بعد ان امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر **ان
الله يحب المتقين** يعني ان قضية التقوى تقتضي ان لا يسوى بين الفتيلين يعني الوفا بالعهد والناكث
والغادر فيه قوله عز وجل **فاذا انسلخ الاشهر الحرم** يعني فاذا انقضت الاشهر الحرم ومضت وهي رجب
وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال مجاهد ومحمد بن اسحق هي شهور العهد سميت حرما لحرمة نقض العهد
فيها فمن كان له عهد فعهده اربعة اشهر ومن لا عهد له فاجله الى انقضا المحرم وذلك خمسون يوما
وقيل انما قيل لها حرم لان الله حرم على المومنين دما المشركين والتعرض لهم فان قلت على هذا القول هذه
المدة وهي الخمسون يوما بعض الاشهر الحرم والله تعالى يقول فاذا انسلخ الاشهر قلت لما كان هذا القدر من
الاشهر متصلا بما مضى اطلق عليه اسم الجمع والمعنى فاذا امضت المدة المضروبة التي يكون معها انسلاخ الاشهر
الحرم **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** يعني في الحل والحرم وهذا امر اطلاق يعني اقتلوهم في اي وقت واي
مكان وجدتموهم **وخذوهم** يعني واسروهم **واحصروهم** اي واحبسوهم وقال ابن عباس يريد ان تحصنوا فاحصروهم
وامنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف في بلاد الاسلام **واقعدوا لهم كل مرصد** يعني على كل
طريق والمرصد الموضع الذي يقعد فيه للعدو من رصدت الشي ارصده اذا ترقبته والمعنى كونوا لهم رصدا حتى
تاخذوهم من اي وجه توجهوا وقيل معناه اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها **فان تابوا** يعني من الشرك
ورجعوا الى الايمان **واقاموا الصلاة** يعني واتموا اركان الصلاة المفروضة **واتوا الزكاة** الواجبة عليهم
طيبة بها انفسهم **فخلوا سبيلهم** يعني الي الدخول الي مكة والتصرف في بلادهم **ان الله غفور** يعني لمن تاب ورجع
من الشرك الى الايمان ومن المعصية الى الطاعة **رحيم** يعني باوليائه واهل طاعته قال الحسين بن الفضل نسخت
هذه الاية كل اية فيها ذكر الاعراض عن المشركين والصبر على اذى الاعدا قوله تعالى **وان احد من المشركين
استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله** يعني وان استامنك يا محمد احد من المشركين الذي امرتك بقتالهم وقتلهم
بعد انسلاخ الاشهر الحرم ليسمع كلام الله الذي انزله عليك وهو القران فاجره حتى يسمعه ويعرف ماله من الثواب
ان امن وما عليه من العقاب ان اصر على الشرك **ثم ابلغه مامنه** يعني ان لم يسلم ابلغه الى الموضع الذي يامن
فيه وهو دار قومه وان قاتلك بعد ذلك وقدرت عليه فاقتله **ذلك بانهم قوم لا يعلمون** اي لا يعلمون دين
الله وتوحيده فهم يحتاجون الى سماع كلام الله عز وجل قال الحسن هذه الاية محكمة الى يوم القيمة **كيف
يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله** هذا على وجه التعجب ومعناه الجحد اي لا يكون لهم عهد عند
الله ولا عند رسوله وهم يغدرون وينقضون العهد ثم استثنى فقال تعالى **الا الذين عاهدتم عند المسجد
الحرام** قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم اهل مكة الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
الحديبية وقال السدي ومحمد بن عباد ومحمد بن اسحق هم بنو جذيمة وبنو الديل قبايل من بني بكر الذين كانوا دخلوا
في عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية وقال مجاهد هم اهل العهد من خزاعة **فما استقاموا لكم** يعني على العهد

فاستقيموا

فاستقيموا لهم يعني ما اقاموا على العهد ثم انهم لم يستقيموا ونقضوا العهد واعانوا بني بكر على خزاعة فضرب
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح اربعة اشهر يختارون من امرهم اما ان يسلموا واما ان يلحقوا
باي بلاد شاوا فاسلموا بعد الاربعة اشهر والصواب من ذلك قول من قال انهم من قبايل بني بكر وهم خزيمة
وبنو مدلج من ضميرة وبنو الديل وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية ولم يكن نقض العهد
الا قريش وبنو الديل من بني بكر فامر باتمام العهد وذلك قبل فتح مكة لان بعد الفتح كيف يقول لشي قد مضى
فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وانما هم الذين قال الله عز وجل فيهم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم
ينقصوكم شيا كما نقصكم قريش ولم يظاهروا عليكم احدا كما ظاهرت قريش بني بكر على خزاعة وهم حلفا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى **ان الله يحب المتقين** يعني انه تعالى يحب الذين يوفون بالعهد اذا
عاهدوا ويتقون نقضه **كيف وان يظهروا عليكم** قيل هذا مردود على الاية الاولى تقديره كيف يكون لهم
عهد وان يظهروا عليكم **لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة** وقال الاخفش معناه كيف لا تقتلونهم وهم ان يظهروا
عليكم اي يظفروا بكم ويغلبوكم ويعلوا عليكم لا يرقبوا اي لا يحفظوا وقيل معناه لا ينتظروا وقيل معناه لا يراعوا
فيكم إلًّا قال ابن عباس يعني قرابة وقيل رحما وهذا معنى قول ابن عباس ايضا وقال قتادة الال الحلف وقال
السدي هو العهد وكذلك الذمة وانما كرر للتاكيد او لاختلاف اللفظين وقال ابو مجلز ومجاهد الال
هو الله عز وجل ومنه قول ابي بكر الصديق لما سمع كلام مسيلمة الكذاب ان هذا الكلام لم يخرج من إلّ يعني
من الله وعلى هذا القول يكون معنى الاية لا يرقبون الله فيكم ولا يحفظونه ولا يراعونه ولا ذمة يعني
ولا يحفظون عهدا **يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم** يعني يطيعونكم بالسنتهم بخلاف ما في قلوبهم **واكثرهم
فاسقون** فان قلت ان الموصوفين بهذه الصفة كفار والكفر اخبث واقبح من الفسق فكيف وصفهم بالفسق
في معرض الذم وما الفايدة في قوله واكثرهم فاسقون مع ان الكفار كلهم فاسقون قلت قد يكون الكافر
عدلا في دينه وقد يكون فاسقا خبيث الفسق في دينه فالمراد بوصفهم بكونهم فاسقين لانهم نقضوا العهد
وبالغوا في العداوة فوصفهم بكونهم فاسقين مع كفرهم فيكون ابلغ في الذم وانما كان اكثرهم ولم يقل كلهم فاسقين
لان منهم من وفى بالعهد ولم ينقضه واكثرهم نقضوا العهد فلهذا قال تعالى واكثرهم فاسقون وقوله تعالى
اشتروا بايات الله ثمنا قليلا يعني استبدلوا بايات القران والايمان بها عرضا قليلا من متاع الدنيا
وذلك انهم لما نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب اكلة اطعمهم
ابو سفيان بن حرب ذمهم الله بذلك قال مجاهد اطعم ابو سفيان حلفاه وترك حلفا رسول الله صلى الله
عليه وسلم **فصدوا عن سبيله** يعني ومنعوا الناس عن الدخول في دين الله قال ابن عباس وذلك ان
اهل الطايف امدوهم بالاموال ليقووهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم **انهم سا ما كانوا يعملون**
يعني من الشرا ونقضهم العهد ومنعهم الناس عن الدخول في دين الاسلام **لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة**
يعني ان هولا المشركين لا يراعون في مومن عهدا ولا ذمة اذا قدروا عليه قتلوه فلا تبقوا انتم عليهم كما لم
يبقوا عليكم اذا ظهروا عليكم **واوليك هم المعتدون** يعني في نقض العهد قوله عز وجل **فان تابوا** يعني
فان رجعوا عن الشرك او الى الايمان وعن نقض العهد الى الوفا به **واقاموا الصلاة** يعني المفروضة عليهم
بجميع حدودها واركانها **واتوا الزكاة** يعني وبذلوا الزكاة المفروضة عليهم طيبة بها انفسهم **فاخوانكم
في الدين** يعني اذا فعلوا ذلك فهم اخوانكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم **ونفصل الايات لقوم يعلمون** يعني ونبين
حجج ادلتنا ونوضح بيان اياتنا لمن يعلم ذلك ويفهمه قال ابن عباس حرمت هذه الاية دما اهل القبلة وقال

ابن مسعود امرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك فلا صلاة له وقال ابن زيد افترضت الزكاة والصلاة
جميعا لم يفرق بينهما وابى ان يقبل الصلاة الا بالزكاة وقال يرحم الله ابابكر ما كان افقهه يعني بذلك ما ذكره
ابو بكر في حق من منع الزكاة وهو قوله والله لا افرق بين شيئين جمع الله بينهما يعني الصلاة والزكاة ق
عن ابي هريرة قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب
لابي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا
لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل
فقال ابو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا
كانوا يؤدونها وفي رواية عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها
فقال عمر فوالله ما هو الا ان رايت ان الله شرح صدر ابي بكر للقتال فعرفت انه الحق عن انس قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله
وذمة رسوله وقوله عز وجل **وان نكثوا ايمانهم** يعني وان نقضوا عهودهم **من بعد عهدهم** يعني من بعد
ما عاهدوكم عليه ان لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم **وطعنوا في دينكم** يعني وعابوا دينكم
الذي انتم عليه وقدحوا فيه وثلبوه وفي هذا دليل على ان الذمي اذا طعن في دين الاسلام وعابه ظاهرا لا يبقى
له عهد والمراد بهؤلاء الذين نقضوا العهد كفار قريش وهو قوله تعالى **فقاتلوا ائمة الكفر** يعني رؤس
المشركين وقادتهم قال ابن عباس نزلت في ابي سفيان بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وابي جهل
وابنه عكرمة وسائر رؤسا قريش وهم الذين نقضوا عهدهم وهموا باخراج الرسول وقيل اراد جميع الكفار وانما
ذكر الائمة لانهم الرؤسا والقادة ففي قتالهم قتال الاتباع وقال مجاهد هم فارس والروم وقال حذيفة بن
اليمان ما قوتل اهل هذه الاية بعد ولم يات اهلها ولعل حذيفة اراد بذلك الذين يظهرون مع الدجال
من اليهود فانهم ائمة الكفر في ذلك الزمان والله اعلم بمراد حذيفة وقوله تعالى **انهم لا ايمان لهم** يعني جمع
يمين اي لا عهد لهم وقيل معناه انهم لا وفا لهم بالعهد وقرئ لا ايمان لهم بكسر الهمزة ومعناه لا دين لهم ولا
تصديق وقيل هو من الامان اي اقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تؤمنوهم **لعلهم ينتهون** اي لكي ينتهوا عن
الطعن في دينكم ويرجعون عن الكفر الى الايمان ثم حض المؤمنين على جهاد الكفار وبين السبب في ذلك
فقال تعالى **الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم** نقضوا عهودهم وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية
واعانوا بني بكر على خزاعة **وهموا باخراج الرسول** يعني من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة **وهم بدؤكم**
يعني بالقتال **اول مرة** يعني يوم بدر وذلك انهم قالوا لا ننصرف حتى نستاصل محمدا واصحابه وقيل اراد
به انهم بدؤا بقتال خزاعة حلفا رسول الله صلى الله عليه وسلم **اتخشونهم** يعني اتخافونهم ايها المؤمنون
فتتركون قتالهم **فالله احق ان تخشوه** يعني في ترك القتال **ان كنتم مؤمنين** يعني ان كنتم مصدقين
بوعد الله ووعيده قوله تعالى **قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم** يريد بالتعذيب القتل يعني يقتلهم الله
بايديكم فان قلت كيف الجمع بين قوله يعذبهم الله بايديكم وبين قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم قلت
المراد بقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم عذاب الاستيصال يعني وما كان الله ليستاصلهم بالعذاب
جميعا وانت فيهم والمراد بقوله قاتلوهم يعني الذين نقضوا وبدؤا بالقتال فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين بقتال من قاتلهم او نقض عهدهم والفرق بين العذابين ان عذاب الاستيصال يتعدى الى
المذنب وغير المذنب والى المخالف والموافق وعذاب القتل لا يتعدى الا الى المذنب المخالف وقوله تعالى

ويخزهم

ويخزهم يعني ويذلهم بالقهر والاسر وينزل بهم الذل والهوان **وينصركم عليهم** يعني بان يظفركم بهم **ويشف
صدور قوم مؤمنين** يعني ويبرئ داء قلوبهم مما كانوا ينالونه من الاذى منهم ومن المعلوم ان من طال تاذيه
من خصمه ثم مكنه الله منه فانه يفرح بذلك ويعظم سروره ويصير ذلك سببا لقوة اليقين وثبات العزيمة
قال مجاهد والسدي اراد صدور خزاعة حلفا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث اعانت قريش بنوا
بكر على خزاعة حتى فتكوا فيهم ثم شفى الله صدور خزاعة من بني بكر حتى اخذوا ثارهم منهم بالنبي صلى
الله عليه وسلم واصحابه **ويذهب غيظ قلوبهم** يعني ويذهب وجد قلوبهم بما نالوه من بني بكر وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ارفعوا السيف الا خزاعة من بني بكر الى العصر ذكره
البغوي بغير سند ثم قال تعالى **ويتوب الله على من يشا** وهذا كلام مستانف ليس له تعلق بالاول
والمعنى ويهدي الله من يشا الى الاسلام فيمن عليه بالتوبة عن الشرك والكفر وهداه الى الاسلام كما فعل
الله بابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو فهولا كانوا من ائمة الكفر ورؤسا المشركين ثم من
الله عز وجل بالاسلام يوم فتح مكة فاسلموا **والله عليم** يعني بسرائر عباده ومن سبقت له العناية الازلية
بالسعادة فيتوب عليه ويهديه الى الاسلام **حكيم** يعني في جميع افعاله قوله عز وجل **ام حسبتم ان
تتركوا** هذا من الاستفهام المعترض في وسط الكلام ولذلك ادخلت فيه ام لتفرق بينه وبين الاستفهام
المبتدا والمعنى اظننتم ايها المؤمنون ان تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم يعني بالعلم المعلوم لان وجود الشي يلزمه معلوم الوجود عند
الله لا جرم جعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده قال الامام فخر الدين الرازي ونقل الواحدي عن
الزجاج اي العلم الذي يجازى عليه لانه انما يجازى على ما عملوا **ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله
ولا المؤمنين وليجة** قال الفرا الوليجة البطانة من المشركين يتخذونهم يفشون اليهم اسرارهم
وقال قتادة وليجة يعني خيانة وقال الضحاك الخديعة وقال عطا اوليا يعني لا تتخذوا المشركين
اوليا من دون الله ورسوله والمؤمنين وقال ابو عبيدة كل شي ادخلته في شي ليس منه فهو وليجة
والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة من الولوج فوليجة الرجل من يختصه بدخيلة امره دون الناس
وقال الراغب الوليجة كل ما يتخذه الانسان معتمدا عليه وليس من قولهم فلان وليجة في القوم اذا دخل
فيهم وليس منهم والمقصود من هذا نهي المؤمنين من موالاة المشركين وان يفشوا اليهم اسرارهم **والله خبير
بما تعملون** يعني موالاة المشركين او اخلاص العمل لله وحده قوله تعالى **ما كان للمشركين ان يعمروا مسجد
الله** يعني به المسجد الحرام وقرئ مساجد الله على الجمع والمراد به المسجد الحرام ايضا وانما ذكره بلفظ الجمع لانه
قبلة المساجد كلها وسبب نزول هذه الاية ان جماعة من رؤسا كفار قريش اسروا يوم بدر ومنهم العباس بن
عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عليهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعيروهم بالشرك وجعل علي بن ابي طالب يوبخ العباس بسبب قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة
الرحم فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقيل له وهل لكم محاسن قال نعم نحن افضل
منكم نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني يعني الاسير فنزلت هذه الاية ما كان للمشركين
اي ما ينبغي للمشركين ان يعمروا مساجد الله اوجب الله على المسلمين منعهم من ذلك لان المساجد انما تعمر
لعبادة الله تعالى وحده فمن كان كافرا بالله فليس له ان يعمر مساجد الله واختلفوا في المراد بالعمارة على
قولين احدهما ان المراد بالعمارة العمارة المعروفة من بنا المساجد وتشييدها ومرمتها عند خرابها

قف علي قوله بغير اذن

فيمنع منه الكافر حتى لو اوصى ببناء مسجد لم تقبل وصيته والقول الثاني ان المراد بالعمارة دخول المسجد والقعود فيه فيمنع الكافر من دخول المسجد بغير اذن مسلم حتى لو دخل بغير اذن مسلم عزر وان دخل باذن لم يعزر ويدل على جواز دخول الكافر المسجد بالاذن ان النبي صلى الله عليه وسلم شد ثمامة بن اثال الى سارية من سواري المسجد وهو كافر والاولى تعظيم المساجد ومنعهم من دخولها وقوله تعالى **شاهدين على انفسهم بالكفر** يعني لا يدخلون المساجد في حال كونهم شاهدين وقيل تقديره وهم شاهدون فلما حذفت وهم نصب قال ابن عباس شهادتهم على انفسهم بالكفر سجودهم للاصنام وذلك ان كفار قريش كانوا قد نصبوا اصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا شوطا سجدوا للاصنام فلم يزدادوا بذلك من الله الا بعدا وقال الحسن انهم لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شهادة عليهم بالكفر وقال السدي شهادتهم على انفسهم بالكفر هو ان النصراني يسال من انت فيقول نصراني واليهودي يقول يهودي والمشرك يقول مشرك وقال ابن عباس في رواية عنه شاهدين على رسولهم بالكفر لانه من انفسهم **اولئك حبطت اعمالهم** يعني الاعمال التي عملوها في حال الكفر من اعمال البر مثل اقراء الضيف وسقي الحاج وفك العاني لانها لم تكن لله فلم يكن لها تاثير مع الكفر **وفي النار هم خالدون** يعني من مات منهم على كفره قوله عز وجل **انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة واتى الزكاة** لما بين الله عز وجل ان الكافر ليس له ان يعمر مساجد الله بين في هذه الاية من هو المستحق لعمارة المساجد وهو من امن بالله فان الايمان شرط فيمن يعمر المسجد لان المسجد عبارة عن الموضع الذي يعبد الله فيه فمن لم يكن مؤمنا بالله امتنع ان يعمر موضعا يعبد الله فيه واليوم الاخر يعني وامن باليوم الاخر وانه حق كائن لان عمارة المسجد لاجل عبادة الله وجزاء الجزاء انما يكون في الاخرة فمن انكر الاخرة لم يعبد الله ولم يعمر له مسجدا فان قلت لم لم يذكر الايمان برسول الله مع ان الايمان به شرط في صحة الايمان قلت ان الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم داخل في الايمان بالله فان من امن بالله واليوم الاخر فقد امن برسول الله لانه جهته عرف الايمان بالله واليوم الاخر لانه هو الداعي الى ذلك وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا انما ادعى النبوة طلبا للرياسة والملك فلذلك قال انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر وترك ذكر الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل انه تعالى ذكر بعد الايمان بالله واليوم الاخر اقام الصلاة وايتاء الزكاة وكان ذلك مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن اقام الصلاة واتى الزكاة فقد امن برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان الاعتبار باقامة الصلاة وايتاء الزكاة في عمارة المساجد ان الانسان اذا عمر المسجد لازمه لاقامة الصلاة فيه ولا يشتغل بعمارة المساجد الا اذا كان مؤديا للزكاة لان الزكاة واجبة وعمارة المساجد نافلة ولا يشتغل الانسان بالنافلة الا بعد كمال الفريضة الواجبة عليه وقوله تعالى **ولم يخش الا الله** يعني ولم يخف في الدين غير الله ولم يترك امر الله لخشية الله **فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين** وعسى من الله واجب يعني واولئك هم المهتدون المتمسكون بطاعة الله التي تؤدي الى الجنة عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان فان الله عز وجل يقول انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد او راح اعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا او راح النزل ما يهيا للضيف عند نزوله بالقوم

ق وعن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتا في الجنة وفي رواية بنى الله له مثله وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا صغيرا كان او كبيرا بنى الله له بيتا في الجنة اخرجه الترمذي عن عمرو بن عبسة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا ليذكر الله فيه بنى الله له بيتا في الجنة اخرجه النسائي قوله تعالى **اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام** الاية عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام وقال الاخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر الى اخرها وقال ابن عباس قال العباس حين اسر يوم بدر لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج فانزل الله هذه الاية واخبر ان عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك بالله وان الايمان والجهاد مع نبيه خير مما هم عليه وقال الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي نزلت في علي بن ابي طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة افتخروا فقال طلحة انا صاحب البيت بيدي مفاتيحه وقال العباس وانا صاحب السقاية والقيام عليها وقال علي ما ادري ما تقولون لقد صليت الى القبلة ستة اشهر قبل الناس وانا صاحب الجهاد فانزل الله هذه الاية اجعلتم سقاية الحاج والسقاية مصدر كالرعاية والحماية وهي سقي الحاج وكان العباس بن عبد المطلب بيده سقاية الحاج وكان يليها في الجاهلية فلما جاء الاسلام واسلم العباس اقره رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارة المسجد الحرام يعني بناءه وتشييده ومرمته **كمن امن بالله واليوم الاخر** فيه حذف تقديره كايمان من امن بالله واليوم الاخر **وجاهد في سبيل الله** اي وجهاد من جاهد في سبيل الله وقيل السقاية والعمارة بمعنى الساقي والعامر تقديره اجعلتم ساقي الحاج وعامر المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله **لا يستوون عند الله** يعني لا يستوي حال هؤلاء الذين امنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله بحال من سقى الحاج وعمر المسجد الحرام على شركه وكفره لان الله لا يقبل عملا الا مع الايمان به **والله لا يهدي القوم الظالمين** عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستسقى فقال العباس يا فضل اذهب الى امك فات رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها فقال اسقني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يجعلون ايديهم فيه قال اسقني فشرب منه ثم اتى زمزم وهم يستقون ويعملون فيها فقال اعملوا فانكم على عمل صالح ثم قال لولا ان تغلبوا لنزلت حتى اضع الحبل على هذه يعني عاتقه م عن بكر بن عبد الله المزني قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فاتاه اعرابي فقال ما لي ارى بني عمكم يسقون العسل واللبن وانتم تسقون النبيذ امن حاجة بكم ام من بخل فقال ابن عباس الحمد لله ما بنا من حاجة ولا بخل انما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه اسامة فاستسقى فاتيناه باناء من نبيذ فشربه وسقى فضله اسامة فقال احسنتم واجملتم كذا فاصنعوا فلا نريد تغيير ما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم النبيذ تمر ينقع في الماء غدوة ويشرب عشيا او ينقع عشيا ويشرب غدوة وهذا حلال فان غلا وحمض حرم قوله عز وجل **الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله**

يعني ان من كان موصوفا بهذه الصفات يعني الايمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس كان اعظم درجة عند الله ممن افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام والمراد بذكر القسم المرجوح لبيان فضل القسم الراجح على الاطلاق على من سواهم والمراد بالدرجة المنزلة والرفعة عند الله في الاخرة واولئك يعني من هذه صفته هم الفائزون يعني بسعادة الدنيا والاخرة يبشرهم ربهم يعني يخبرهم ربهم والبشارة الخبر السار الذي يفرح الانسان عند سماعه وتستنير بشرة وجهه عند سماع ذلك الخبر السار ثم ذكر فذلك الذي بشرهم به فقال تعالى برحمة منه ورضوان وهذا اعظم البشارات لان الرحمة والرضوان من الله عز وجل على العبد نهاية مقصودة وجنات لهم فيها نعيم مقيم يعني ان نعيم الجنة دايم غير منقطع ابدا خالدين فيها يعني في الجنات وفي النعيم ابدا يعني لا انقطاع له ان الله عنده اجر عظيم يعني لمن عمل بطاعته وجاهد في سبيله قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباكم واخوانكم اولياء قال مجاهد هذه الاية متصلة بما قبلها نزلت في قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة وقال ابن عباس لما امر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة الى المدينة فمنهم من تعلق به اهله واولاده يقولون ننشدك بالله ان تضيعنا فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل نزلت في التسعة الذين ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بمكة فنهى الله المومنين عن موالاتهم وانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباكم واخوانكم اولياء يعني بطانة واصدقاء تفشون اليهم اسراركم وتوثرون المقام معهم على الهجرة قال بعضهم حمل هذه الاية على ترك الهجرة مشكل لان هذه السورة نزلت بعد الفتح وهي من اخر القران نزولا والاقرب ان يقال ان الله تعالى لما امر المومنين بالتبري من المشركين قالوا كيف يمكن ان يقاطع الرجل اباه واخاه وابنه فذكر الله ان مقاطعة الرجل اهله واقاربه في الدين واجبة فالمومن لا يوالي الكافر وان كان اباه واخاه وابنه وهو قوله تعالى ان استحبوا الكفر على الايمان يعني ان اختاروا الكفر واقاموا عليه وتركوا الايمان بالله ورسوله ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون يعني ومن يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد فقد ظلم نفسه بمخالفة امر الله واختيارا للكفار على المومنين ولما نزلت هذه الاية قال الذين اسلموا ولم يهاجروا ان نحن هاجرنا ضاعت اموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا ارحامنا فانزل الله تعالى قل اي قل يا محمد لهولاء الذين قالوا هذه المقالة ان كان اباوكم وابناوكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وقرئ على الجمع وعشيراتكم العشيرة هم الادنون من اهل الانسان الذين يعاشرونه دون غيرهم واموال اقترفتموها يعني اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها يعني بفراقكم لها ومساكن ترضونها يعني تستوطنونها راضين بسكناها احب اليكم من الله ورسوله يعني احب اليكم من الهجرة الى الله ورسوله وجهاد في سبيله فبين الله تعالى انه يجب تحمل جميع المضار في الدنيا ليبقى الدين سليما واخبر انه ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيا وية عندكم اولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله فتربصوا اي فانتظروا حتى ياتي الله بامره يعني بقضائه وهذا امر تهديد وتخويف وقال مجاهد ومقاتل يعني بفتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني الخارجين عن طاعته وفي هذه دليل على انه اذا وقع تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا قوله عز وجل لقد نصركم الله النصر المعونة على الاعداء باظهار المسلمين عليهم في مواطن كثيرة يعني اماكن كثيرة والمراد به غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر في الصحيحين من حديث زيد بن ارقم

تسع عشرة غزوة زاد بريدة في حديثه قاتل في ثمان منهن وقيل ان جميع غزواته وسراياه وبعوثه سبعون وقيل ثمانون وهو قوله لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين يعني ونصركم الله في يوم حنين ايضا فاعلم الله انه هو الذي يتولى نصر المومنين في كل موقف وموطن ومن يتولى الله نصره فلا غالب له وحنين اسم واد قريب من الطايف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا وقال عروة هو الى جنب ذي المجاز وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وقد بقيت عليه ايام من شهر رمضان فخرج الى حنين لقتال هوازن وثقيف في اثني عشر الفا عشرة الاف من المهاجرين والانصار والفان من الطلقاء وقال عطاء كانوا ستة عشر الفا وقال الكلبي كانوا عشرة الاف وكانوا يومئذ اكثر ما كانوا قط وكان المشركون اربعة الاف من هوازن وثقيف وكان على هوازن مالك بن عوف النضري وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل فلما التقى الجمعان قال رجل من الانصار يقال له سلمة بن سلامة بن وقيش لن نغلب اليوم عن قلة فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلوا الى كلمة الرجل وفي رواية فلم يرض الله قوله ووكلهم الى انفسهم وذكر ابن الجوزي عن سعيد بن المسيب ان القايل لذلك ابو بكر الصديق وحكى ابن جرير الطبري ان القايل لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد هذه الكلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بعد لانه صلى الله عليه وسلم كان في جميع احواله متوكلا على الله عز وجل لا يلتفت الى كثرة عدد ولا الى غيره بل نظره الى ما ياتي من عند الله عز وجل من النصر والمعونة قالوا فلما التقى الجمعان اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن الذراري ثم تنادوا يا حماة السواد اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون وقال قتادة ذكر لنا ان الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس فلما انجفل القوم هربوا ق عن ابي اسحق قال جاء رجل الى البراء فقال اكنتم وليتم يوم حنين يا ابا عمارة فقال اشهد على نبي الله صلى الله عليه وسلم ما ولى ولكنه انطلق اخفاء من الناس وحسر الى هذا الحي من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق نبل كانها رجل من جراد فانكشفوا فاقبل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو سفيان بن الحرث يقود به بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب اللهم نزل نصرك زاد ابو خيثمة ثم صفهم قال البراء كنا والله اذا احمر الباس نتقي به وان الشجاع منا الذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم ولمسلم عن ابي اسحق قال قال رجل للبراء بن عازب يا ابا عمارة فررتم يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج شبان اصحابه واخفاؤهم حسرا ليس عليهم سلاح او كثير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن وبني نصر فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطئون فاقبلوا هناك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب يقود به فنزل واستنصر وقال انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب ثم صفهم وروى شعبة عن ابي اسحق قال قال البراء ان هوازن كانوا قوما رماة ولما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فاقبل المسلمون على الغنايم فاستقبلونا بالسهام فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفروا له ولكنه انطلق اخفاء من الناس الاخفاء جمع خفيف وهم المسرعون من الناس الذين ليس لهم ما يعوقهم والحسر جمع حاسر وهو الذي لا درع عليه يقال اذا رمي القوم باسرهم الى جهة ولحذه رمينا رشقا والرجل من الجراد القطعة الكبيرة منه وقوله كنا اذا احمر الباس يعني اذا اشتد الحرب والباس بالباء الموحدة من تحت الشدة والخوف قال الكلبي كان حول رسول

الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة من المسلمين وانهزم سائر الناس وقال غيره لم يبق مع النبي صلى الله
عليه وسلم يومئذ غير عمه العباس بن عبد المطلب وابن عمه ابي سفيان بن الحرث وايمن بن ام ايمن قتل
يوم حنين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا ايمن اخو اسامة بن زيد لامه امهما بركة
مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته م عن العباس بن عبد المطلب قال شهدت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت انا وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضا اهداها له فروة
بن نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه
وسلم يركض بغلته قبل الكفار قال العباس وانا اخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم اكفها
ارادة ان لا تسرع وابو سفيان اخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي عباس ناد اصحاب السمرة فقال العباس وكان رجلا صيتا فقلت باعلى صوتي اين
اصحاب السمرة قال فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقرة على اولادها فقالوا يا لبيك
يا لبيك قال فاقتتلوا والكفار والدعوة في الانصار يقولون يا معشر الانصار ثم قصرت الدعوة
على بني الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها الى
قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس قال ثم اخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد قال فذهبت انظر فاذا القتال
على هيئته فيما ارى قال فوالله ما هو الا ان رماهم بحصياته فما زلت ارى حدهم كليلا وامرهم
مدبرا قوله حمي الوطيس اي اشتد الحرب قال الخطابي هذه الكلمة لم تسمع قبل ان يقولها النبي صلى الله
عليه وسلم من العرب وهي مما اقتضبه وانشاه والوطيس في اللغة التنور وقوله حدهم كليلا يعني
لا يقطع شيا وعن سلمة بن الاكوع قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا قال فلما
غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل به
وجوههم وقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الا ملا عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا
مدبرين فهزمهم الله وقسم غنايمهم بين المسلمين اخرجه مسلم بزيادة فيه قال سعيد بن جبير امد
الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة الاف من الملايكة مسومين وروي ان رجلا من بني نصر يقال له
شجرة قال للمومنين بعد القتال اين الخيل البلق والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا نراكم فيكم الا كهيئة
الشامة وما كان قتلنا الا بايديهم فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملايكة وروي
ان رجلا من المشركين قال يوم حنين لما التقينا واصحاب محمد لم يقفوا لنا حلب شاة ان كشفناهم فبينا
نحن نسوقهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضا فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا
عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا اكتافنا
فكانت اياها واختلفوا هل قاتلت الملايكة يوم حنين على قولين والصحيح انها لم تقاتل الا يوم بدر
وانما كانت الملايكة يوم حنين مددا وعونا وذكر البغوي ان الزهري قال بلغني ان شيبة بن عثمان
قال استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وانا اريد قتله بطلحة بن عثمان وعثمان
ابن طلحة وكانا قد قتلا يوم احد فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ما في نفسي فالتفت الي وضرب
في صدري وقال اعيذك بالله يا شيبة فارعدت فرايصي فنظرت اليه وهو احب الي من سمعي وبصري

فقلت

فقلت اشهد انك رسول الله وقد اطلعك الله على ما في نفسي فلما هزم الله المشركين وولوا مدبرين انطلقوا
حتى اتوا اوطاس وبها عيالهم واموالهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الاشعريين يقال
له ابو عامر وامره على الجيش فسار الى اوطاس فاقتتلوا بها وقتل دريد بن الصمة وهزم الله المشركين
وسبى المسلمون عيال المشركين وهرب اميرهم مالك بن عوف النصري فاتى الطايف فتحصن بها واخذ
ماله واهله فيمن اخذ وقتل ابو عامر امير المسلمين قال الزهري اخبرني سعيد بن المسيب انهم اصابوا
يومئذ ستة الاف سبي ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى الطايف فحاصرهم بقية ذلك الشهر
فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم واتى الجعرانة فاحرم منها بعمرة وقسم بها غنايم حنين
واوطاس وتالف اناسا منهم ابو سفيان بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فاعطاهم
ق عن انس بن مالك ان ناسا من الانصار قالوا يوم حنين حين افا الله على رسوله من اموال هوازن
ما افا فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي رجالا من قريش المائة من الابل فقالوا يغفر الله لرسول
الله يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمايهم قال انس فحدث ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قولهم فارسل الى الانصار فجمعهم في قبة من ادم ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال حديث بلغني عنكم فقال له فقهاء الانصار اما ذوو راينا يا رسول الله
لم يقولوا شيا واما اناس منا حديثة اسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا
تقطر من دمايهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني اعطي رجالا حديثي عهد بكفر اتالفهم افلا ترضون
ان يذهب الناس بالاموال وترجعون الى رحالكم برسول الله فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به
قالوا بلى يا رسول الله قد رضينا قال فانكم ستجدون بعدي اثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله
على الحوض قالوا سنصبر زاد في رواية قال انس فلم نصبر ق عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال لما افا الله
على رسوله يوم حنين قسم في الناس في المولفة قلوبهم فلم يعط الانصار شيا فكانهم وجدوا اذ لم يصبهم
ما اصاب الناس فخطبهم فقال يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله
بي وعالة فاغناكم الله بي كلما قال شيا قالوا الله ورسوله امن قال فما يمنعكم ان تجيبوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم كلما قال شيا قالوا الله ورسوله امن قال لو شيتم قلتم جيتنا كذا وكذا اترضون ان يذهب
الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي الى رحالكم لولا الهجرة لكنت امرا من الانصار ولو سلك الناس
واديا او شعبا لسلكت وادي الانصار وشعبهم الانصار شعار والناس دثار م عن رافع بن خديج
قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بن حرب وصفوان بن امية وعيينة بن حصن
والاقرع بن حابس مائة من الابل واعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس

اتجعل نهبي ونهب العبيد • بين عيينة والاقرع
فما كان حصن ولا حابس • يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امري منهما • ومن تخفض اليوم لا يرفع

قال فاتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة خ عن المسور ومروان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسالوه ان يرد عليهم اموالهم وسبيهم فقال لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان معي من ترون واحب الحديث الي اصدقه فاختاروا احدى الطايفتين اما المال واما
السبي وقد كنت استانيت بكم وفي رواية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضعة عشر

ليلة حين قفل من الطايف فلما تبين لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم غير راد عليهم الا احدى الطايفتين
فقالوا انا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله بما هو اهله ثم قال
اما بعد فان اخوانكم هولاء جاوا تايبين واني قد رايت ان ارد عليهم سبيهم فمن احب منكم ان يطيب ذلك
لهم فليفعل فقال الناس قد طيبنا ذلك لهم يا رسول الله فقال لهم في ذلك انا لا ندري من اذن منكم ممن
لم ياذن فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاوكم امركم فرجع الناس فكلمهم عرفاوهم ثم رجعوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم قد طيبوا واذنوا فهذا الذي بلغنا من سبي هوازن وانزل الله عز
وجل في قصة حنين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين **اذ اعجبتكم كثرتكم** يعني حتى قلتم لن
نغلب اليوم عن قلة **فلم تغن عنكم** كثرتكم **شيا** يعني ان الظفر بالعدو ليس بكثرة العدد ولكن انما يكون بنصر
الله ومعونته **وضاقت عليكم الارض بما رحبت** يعني بسعتها وفضايها **ثم وليتم مدبرين** يعني منهزمين
ثم انزل الله سكينته يعني بعد الهزيمة والسكينة والامنة فعلية من السكون وذلك ان الانسان
اذا خاف رجف فواده فلا يزال متحركا واذا امن سكن فواده وثبت فلما كان الامن موجبا للسكون
جعل لفظ السكينة كناية عن الامن وقوله تعالى **على رسوله وعلى المومنين** انما كان انزال السكينة
على المومنين لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان ساكن القلب ليس عنده اضطراب كما حصل للمومنين من
الهزيمة والاضطراب في هذه الواقعة ثم من الله عليهم بانزال السكينة عليهم حتى رجعوا الى قتال
عدوهم بعد الهزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت لم يفر **وانزل جنودا لم تروها** يعني الملايكة
لتثبيت المومنين وتشجيعهم وتخذيل المشركين وتجبينهم لا للقتال لان الملايكة لم تقاتل الا يوم بدر **وعذب
الذين كفروا** يعني بالقتل والاسر وسبي العيال وسلب الاموال **وذلك جزا الكافرين** يعني في الدنيا ثم
اذا افضوا الى الاخرة كان لهم عذابا اشق من ذلك العذاب واعظم **ثم يتوب الله من بعد ذلك
على من يشا** يعني فيهديه الى الاسلام كما فعل بمن بقي من هوازن حيث اسلموا وقدموا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم تايبين فمن عليهم واطلق سبيهم **والله غفور** لمن تاب **رحيم** بعباده قوله تعالى **يا ايها
الذين امنوا انما المشركون نجس** قيل اراد بالمشركين عبدة الاصنام دون غيرهم من اصناف الكفار
وقيل بل اراد جميع اصناف الكفار عبدة الاصنام وغيرهم من اليهود والنصارى والمجوس الشرك القذر
من الناس وغيرهم وقيل النجس الخبيث واراد بهذه النجاسة نجاسة الحكم لا نجاسة العين سموا انجاسا
على الذم لان الفقها اتفقوا على طهارة ابدانهم وقيل هم انجاس العين كالكلب والخنزير حتى قال الحسن
ابن صالح من مس مشركا فليتوضا ويروى عن الزيدية من الشيعة والقول الاول اصح وقال قتادة سماهم
نجسا لانهم يجنبون فلا يغتسلون ويحدثون فلا يتوضون **فلا يقربوا المسجد الحرام** والمراد منعهم من
دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام ويوكد هذا قوله تعالى سبحان الذي اسرى
بعبده ليلا من المسجد الحرام اراد به الحرم لانه اسري به صلى الله عليه وسلم من بيت ام هاني قال العلما
وجملة بلاد الاسلام في حق الكفار ثلاثة اقسام احدها الحرم فلا يجوز للكافر ان يدخله بحال ذميا
كان او مستامنا لظاهر هذه الاية وبه قال الشافعي واحمد ومالك فلو جا رسول من دار الكفر والامام
في الحرم فلا ياذن له في دخول الحرم بل يخرج اليه بنفسه او يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وجوز
ابو حنيفة واهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم القسم الثاني من بلاد الاسلام الحجاز وحده ما بين اليمامة
وبين اليمن وبين نجد والمدينة الشريفة قيل نصفها تهامي ونصفها حجازي وقيل كلها حجازي وقال

ابن الكلبي

ابن الكلبي حد الحجاز ما بين جبلي طي وطريق العراق سمي حجازا لانه حجز بين تهامة ونجد وقيل لانه حجز بين
نجد والسراة وقيل لانه حجز بين نجد وتهامة والشام قال الحربي وتبوك من الحجاز فيجوز للكافر دخول
ارض الحجاز بالاذن ولكن لا يقيم فيها اكثر من مقام المسافر وهو ثلاثة ايام م عن عمر انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا اترك فيها الا
مسلما زاد في رواية لغير مسلم واوصى فقال اخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك ابو
بكر واجلاهم عمر في خلافته واجل لمن يقدم تاجرا ثلاثا عن ابن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الشيطان قد ييس ان يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم قال سعيد
ابن عبد العزيز جزيرة العرب ما بين الوادي الى اقصى اليمن الى تخوم العراق الى البحر وقال غيره حد
جزيرة العرب من اقصى عدن ابين الى ريف العراق في الطول ومن جدة وما والاها من ساحل البحر الى اطراف
الشام عرضا والقسم الثالث ساير بلاد الاسلام فيجوز للكافر ان يقيم فيها بعهد وامان وذمة ولكن
لا يدخلون المساجد الا باذن مسلم وقوله تعالى **بعد عامهم هذا** يعني العام الذي حج فيه ابو بكر
الصديق بالناس وفيه نادى علي ببراة وان لا يحج بعد العام مشرك وهو سنة تسع من الهجرة **وان
خفتم عيلة** يعني فقرا وفاقة وذلك ان اهل مكة كانت معايشهم من التجارات وكان المشركون يجلبون
الى مكة الطعام ويتجرون فلما منعوا من دخول الحرم خاف اهل مكة الفقر وضيق العيش فذكروا ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل وان خفتم عيلة **فسوف يغنيكم الله من فضله**
قال عكرمة فاغناهم الله بان انزل المطر مدرارا وكثر خيرهم وقال مقاتل اسلم اهل جدة وصنعا
وجرش من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة الى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون وقال الضحاك وقتادة
عوضهم الله منها الجزية فاغناهم بها **ان شا** قيل انما اشترط المشية في الغنى المطلوب ليكون الانسان
دايم التضرع والابتهال الى الله تعالى في طلب الخيرات ودفع الافات وان يقطع العبد امله من كل احد
الا من الله عز وجل فانه هو القادر على كل شي وقيل ان المقصود من ذكر هذا الشرط تعليم رعاية الادب
كما في قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله **ان الله عليم** يعني بما يصلحكم **حكيم** يعني انه تعالى لا يفعل
شيا الا عن حكمة وصواب فمن حكمه ان منع المشركين من دخول الحرم واوجب الجزية والذل والصغار
على اهل الكتاب فقال تعالى **قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر** قال مجاهد نزلت
الاية حين امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الروم فغزى بعد نزولها غزوة تبوك وقال الكلبي
نزلت في قريظة والنضير من اليهود فصالحهم فكانت اول جزية اصابها اهل الاسلام واول ذل
اصاب اهل الكتاب بايدي المسلمين وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه المومنين
والمعنى قاتلوا ايها المومنون الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر فان قلت اليهود والنصارى
يزعمون انهم يومنون بالله واليوم الاخر فكيف اخبر الله عنهم انهم لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر
قلت ان ايمانهم بالله ليس كايمان المومنين وذلك ان اليهود يعتقدون التجسيم والتشبيه والنصارى
يعتقدون الحلول ومن اعتقد ذلك فليس يومن بالله وقيل من اعتقد ان العزير ابن الله والمسيح
ابن الله فليس بمومن بالله بل هو مشرك بالله وقيل من كذب رسولا من رسل الله فليس يومن بالله
واليهود والنصارى يكذبون اكثر الانبيا فليسوا بمومنين بالله واما ايمانهم باليوم الاخر فليس
كايمان المومنين وذلك انهم يعتقدون بعثة الارواح دون الاجساد ويعتقدون ان اهل الجنة

لا ياكلون نيها ولا يشربون ولا ينكحون ومن اعتقد ذلك فلينس ايمانه كايمان المومنين وان زعم انه مومن

وقوله تعالى **ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله** يعني ولا يحرمون الخمر والخنزير وقيل معناه انهم لا يحرمون

ما حرم الله في القران ولا ما حرم رسوله في السنة وقيل معناه لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل

حرفوهما واتوا باحكام من قبل انفسهم **ولا يدينون دين الحق** يعني ولا يعتقدون صحة الاسلام الذي

هو دين الحق وقيل الحق هو الله تعالى ومعناه ولا يدينون دين الله ودينه الاسلام بدليل قوله ان الدين

عند الله الاسلام وقيل معناه ولا يدينون دين اهل الحق وهم المسلمون ولا يطيعون الله كطاعتهم

من الذين اوتوا الكتاب يعني اعطوا الكتاب وهم اليهود والنصارى **حتى يعطوا الجزية** وهي ما يعطي

المعاهد من اهل الكتاب على عهده وهي الخراج المضروب على رقابهم سميت جزية للاجتزاء بها في حقن

دمائهم **عن يد** يعني عن قهر وغلبة يقال لكل من اعطى شيا كرها من غير طيب نفس اعطى عن يد قال ابن عباس

يعطونها بايديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم وقيل يعطونها نقدا لا نسية وقيل يعطونها مع اقرارهم

بانعام المسلمين عليهم بقبولها منهم **وهم صاغرون** من الصغار وهو الذل والاهانة يعني يعطون

الجزية وهم اذلا مقهورون وقال عكرمة يعطون الجزية وهم قيام والقابض جالس وقال ابن عباس توخذ الجزية

من احدهم وتوطا عنقه وقال الكلبي اذا اعطى يصفع قفاه وقيل هو ان يوخذ بلحيته ويضرب في لهزمته ويقال

ادّ حق الله يا عدو الله وقال الشافعي الصغار هو جريان احكام المسلمين عليهم **فصل** في بيان

حكم الاية اجمعت الامة على جواز اخذ الجزية من اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى اذا لم يكونوا

عربا واختلفوا في الكتابي العربي وفي غير اهل الكتاب من كفار العجم فذهب الشافعي الى ان الجزية على الاديان

لا على الانساب فيوخذ من اهل الكتاب عربا كانوا او عجما ولا يوخذ من عبدة الاوثان بحال واحتج بما

روي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى اكيدر دومة فاخذ وه فاتوا به فحقن

دمه وصالحه على الجزية اخرجه ابو داود وقال الشافعي وهو رجل من العرب يقال انه من غسان واخذ

من اهل ذمة اليمن وعامتهم عرب وذهب مالك والاوزاعي الى ان الجزية توخذ من جميع الكفار الا المرتد

وقال ابو حنيفة توخذ من اهل الكتاب على العموم وتوخذ من مشركي العجم ولا توخذ من مشركي العرب

وقال ابو يوسف لا توخذ من العربي كتابيا كان او مشركا وتوخذ من العجمي كتابيا كان او مشركا واما المجوس

فاتفقت الصحابة على جواز الاخذ منهم ويدل عليه ما روي عن بجالة بن عبدة ويقال عبيد لم يكن عمر اخذ

الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها من مجوس هجر

اخرجه البخاري عن جعفر بن محمد عن ابيه ان عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال ما ادري كيف اصنع في امرهم فقال

عبد الرحمن بن عوف اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة اهل الكتاب

اخرجه مالك في الموطا عن ابن شهاب قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ الجزية من مجوس

البحرين وان عمر اخذها من مجوس فارس وان عثمان بن عفان اخذها من البربر اخرجه مالك في الموطا وفي

امتناع عمر عن اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذها منهم دليل

على ان راي الصحابة كان على انها لا توخذ من كل مشرك وانما توخذ من اهل الكتاب واختلفوا في ان

المجوس هل هم من اهل الكتاب فروي عن علي بن ابي طالب انه قال كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسري

على كتابهم فرفع من بين اظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائحهم ومناكحتهم بخلاف اهل الكتاب واما من دخل في

دين اليهود والنصارى من غيرهم من المشركين نظر فان كان قد دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل يقرون

بالجزية وتحل مناكحتهم وذبائحهم وان دخلوا في دينهم بعد النسخ بمجي محمد صلى الله عليه وسلم ونسخ شريعتهم

بشريعته فلا يقرون بالجزية ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم ومن شككنا في امرهم انهم هل دخلوا فيه بعد

النسخ او قبله يقرون بالجزية تغليبا لحقن الدم ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم تغليبا للتحريم فمنهم نصارى

العرب من تنوخ وبهرا وبني تغلب اقرهم عمر بالجزية وقال لا تحل لنا ذبائحهم واما الصابية والسامرة فسبيلهم

سبيل اهل الكتاب فهم في اهل الكتاب كاهل البدع في المسلمين واما قدر الجزية فاقلها دينار ولا يجوز

ان ينقص عنه ويقبل الدينار من الغني والفقير والمتوسط ويدل عليه ما روي عن معاذ بن جبل ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وجهه الى اليمن امره ان ياخذ من كل حالم يعني محتلم دينارا او عدله من

المعافري ثياب تكون باليمن اخرجه ابو داود فالنبي صلى الله عليه وسلم امره ان ياخذ من كل محتلم وهو البالغ

دينارا فلم يفرق بين الغني والفقير والمتوسط وفيه دليل على انه لا توخذ الجزية من الصبيان والنسا

وانما توخذ من الاحرار البالغين وذهب قوم الى ان على الموسر اربعة دنانير وعلى المتوسط دينارين وعلى

كل فقير دينارا وهو قول اصحاب الراي ويدل عليه ما روي عن اسلم ان عمر بن الخطاب ضرب الجزية على اهل

الذهب اربعة دنانير وعلى اهل الورق اربعين درهما مع ذلك ارزاق المسلمين وضيافة ثلاثة ايام

اخرجه مالك في الموطا قال اصحاب الشافعي اقل الجزية دينار ولا يزاد على الدينار الا بالتراضي فاذا

رضي اهل الذمة بالزيادة ضربنا على المتوسط دينارين وعلى الغني اربعة دنانير قال العلما انما

اقر اهل الكتاب على دينهم الباطل بخلاف اهل الشرك حرمة لابايهم الذين انقرضوا على الدين من شريعة

التوراة والانجيل قبل النسخ والتبديل وايضا فان بايديهم كتبا قديمة فربما تفكروا فيها فيعرفون

صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته فامهلوا لهذا المعنى وليس المقصود من اخذ الجزية من

اهل الكتاب اقرارهم على كفرهم بل المقصود من ذلك حقن دمائهم وامهالهم رجا ان يعرفوا الحق فيرجعوا

اليه بان يومنوا ويصدقوا اذا راوا محاسن الاسلام وقوة دلايله وكثرة الداخلين فيه قوله عز وجل

وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم الاية لما ذكر

في الاية المتقدمة ان اليهود والنصارى لا يومنون بالله ولا يدينون دين الحق بينه في هذه الاية

واخبر عنهم انهم اثبتوا لله ولدا ومن جوز ذلك على الله فقد اشرك به لانه لا فرق بين من يعبد صنما

وبين من يعبد المسيح فقد بان بهذا انهم لا يومنون بالله ولا يدينون دين الحق وقد تقدم سبب اخذ

الجزية منهم وابقاؤهم على هذا الشرك وهو حرمة الكتب القديمة التي بايديهم ولعلهم يتفكرون فيها ويعرفون

الحق فيرجعون اليه روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم

جماعة من اليهود سلام بن مشكم والنعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف نتبعك

وقد تركت قبلتنا وكنت لا تزعم ان عزيرا ابن الله فانزل الله هذه الاية وكان عبيد بن عمير انما قال

هذه المقالة رجل واحد من اليهود واسمه فنحاص بن عازورا وهو الذي قال ان الله فقير ونحن اغنيا

فعلى هذين القولين لهذه المقالة جماعة من اليهود او واحد وانما نسب ذلك الى اليهود في وقالت

اليهود جريا على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد تقول العرب فلان يركب الخيل وانما

يركب فرسا واحدا منها وتقول العرب فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا واحدا منهم وروى عطية

العوفي عن ابن عباس انه قال انما قالت اليهود ذلك من اجل ان عزيرا كان فيهم وكانت التوراة عندهم

والتابوت فيهم فاضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم التابوت وانساهم التوراة ونسخها

من صدورهم فدعا الله عزير وابتهل اليه ان يرد اليه التوراة فبينما هو يصلي مبتهلا الى الله عز وجل نزل
نور من السماء فدخل جوفه فعادت اليه فاذن في قومه وقال يا قوم قد اتاني الله التوراة وردها اليّ فعلقوا
به يعلمهم ثم مكثوا ما شا الله ثم ان التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما راوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم
عزير على ما في التابوت فوجدوه مثله فقالوا ما اوتي عزير هذا الا انه ابن الله وقال الكلبي ان بخت نصر
لما غزا بيت المقدس وظهر على بني اسرايل وقتل من قرا التوراة وكان عزير اذ ذاك صغيرا فلم يقتله
لصغره فلما رجع بنو اسرايل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرا التوراة بعث الله عزيرا ليجدد لهم التوراة
ويكون لهم اية بعدما اماته الله ماية سنة قال فاتى ملك باناء فيه ما فشرب منه فمثلت له التوراة
في صدره فلما اتاهم قال انا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التوراة فكتبها لهم
من صدره ثم ان رجلا منهم قال ان ابي حدثني عن جدي ان التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم
فانطلقوا معه حتى اخرجوها فعارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر حرفا فقالوا ان الله لم
يقذف التوراة في قلب عزير الا انه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فعلى هذين القولين
ان هذا القول كان فاشيا في اليهود جميعا ثم انه انقطع ودرس فاخبر الله عنهم واظهره الله عليهم ولا
عبرة بانكار اليهود ذلك فان خبر الله عز وجل اصدق واثبت من انكارهم واما قول النصارى المسيح
ابن الله فكان السبب فيه انهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام احدى وثمانين سنة
يصلون الى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال
له بولص قتل جماعة من اصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا
والنار مصيرنا فنحن مغبونون ان دخلنا النار ودخلوا الجنة فاني ساحتال واضلهم حتى يدخلوا النار
معنا ثم انه عمد الى فرس كان يقاتل عليه فعرقبه واظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على راسه
ثم انه اتى الى النصارى فقالوا له من انت قال انا عدوكم بولص قد نوديت من السما انه ليست لك توبة
حتى تتنصر وقد تبت واتيتكم فادخلوه الكنيسة ونصروه ودخل بيتا فيها فلم يخرج منه سنة حتى تعلم
الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت ان الله قد اقبل توبتك فصدقوه واحبوه وعلا شانه فيهم ثم انه
عمد الى ثلاثة رجال اسم الواحد نسطور والاخر يعقوب والاخر ملكا فعلم نسطور ان عيسى ومريم والاله
ثلاثة وعلم يعقوب ان عيسى ليس بانسان ولكنه ابن الله وعلم ملكا ان عيسى هو الله لم يزل ولا يزال فلما
استمكن ذلك منهم دعا كل واحد منهم في الخلوة وقال له انت خالصتي وادع الناس لما علمتك
وامره ان يذهب الى ناحية من البلاد ثم قال لهم اني رايت عيسى في المنام وقد رضي عني فقال لكل واحد
منهم اني ساذبح نفسي تقربا الى عيسى ثم ذهب الى المذبح فذبح نفسه وتفرق اوليك الثلاثة فذهب
واحد الى الروم وواحد الى بيت المقدس والاخر الى ناحية اخرى واظهر كل واحد منهم مقالته ودعا الناس اليها
فتبعه على ذلك طوايف من الناس فتفرقوا واختلفوا ووقع القتال فكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله قال
الامام فخر الدين بعد ان حكى هذه الحكاية والاقرب عندي ان يقال لعله ورد لفظ الابن في الانجيل على
سبيل التشريف كما ورد لفظ الخليل في حق ابراهيم على سبيل التشريف فبالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة
الحقيقية والجهال قبلوا ذلك منهم فنشا هذا المذهب الفاسد في اتباع عيسى عليه السلام والله اعلم
بحقيقة الحال ذلك قولهم بافواههم يعني انهم يقولون ذلك القول بالسنتهم من غير علم يرجعون اليه
قال اهل المعاني لم يذكر الله قولا مقرونا بالافواه والالسن الا كان ذلك القول زورا وكذبا لا حقيقة له

يضاهئون قال ابن عباس يشابهون والمضاهاة المشابهة وقال مجاهد يواطئون وقال الحسن
يوافقون قول الذين كفروا من قبل قال قتادة والسدي معناه ضاهت النصارى قول اليهود من قبلهم
فقالوا المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله وقال مجاهد معناه يضاهئون قول المشركين
من قبل لان المشركين كانوا يقولون ان الملايكة بنات الله وقال الحسن شبه الله كفر اليهود والنصارى
بكفر الذين مضوا من الامم الخالية الكافرة وقال القتيبي يريد ان من كان في عصر النبي صلى الله
عليه وسلم من اليهود والنصارى يقولون ما قال اولوهم قاتلهم الله قال ابن عباس لعنهم الله وقال
ابن جريج قتلهم الله وقيل ليس هو على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى التعجب اي حقا ان يقال لهم هذا القول
تعجبا من بشاعة قولهم كما يقال لمن فعل فعلا يتعجب منه قاتله الله ما اعجب فعله انى يوفكون يعني انى يصرفون
عن الحق بعد وضوح الدليل في اقامة الحجة بان الله واحد احد فجعلوا له ولدا تعالى الله عن ذلك علوا
كبيرا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله لا يتعجب من شي ولكن هذا الخطاب على عادة العرب في مخاطبتهم
فالله تعالى عجب نبيه صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق واصرارهم على الباطل قوله تعالى اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله يعني اتخذ اليهود والنصارى علماهم وقراءهم والاحبار العلما من اليهود
والرهبان اصحاب الصوامع من النصارى اربابا من دون الله يعني انهم اطاعوهم في معصية الله تعالى
وذلك انهم احلوا لهم اشيا وحرموا عليهم اشيا من قبل انفسهم فاطاعوهم فيها فاتخذوهم كالارباب لانهم
عبدوهم واعتقدوا فيهم الالهية عن عدي بن حاتم قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من
ذهب فقال يا عدي اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرا في سورة براة اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله قال اما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا احلوا لهم شيا استحلوه واذا حرموا
عليهم شيا حرموه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال عبد الله بن المبارك وهل بدل الدين الا الملوك
واحبار سو ورهبانها والمسيح ابن مريم يعني اتخذوه الها وذلك لانهم اعتقدوا فيه النبوة والحلول
اعتقدوا فيه الالهية وما امروا يعني وما امروا في الكتب الالهية المنزلة عليهم وعلى السنة انبيايهم الا ليعبدوا
الها واحدا لانه هو المستحق للعبادة لا غيره لا اله الا هو سبحانه عما يشركون اي تعالى الله وتنزه عن
ان يكون له شريك في العبادة والاحكام او ان يكون له شريك في الالهية يستحق التعظيم والاجلال يريدون
يعني يريد روسا اليهود والنصارى ان يطفيوا نور الله بافواههم يعني يريدون هولا ابطال دين الله الذي
جا به محمد صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم اياه وقيل المراد من النور الدلايل الدالة على صحة نبوته صلى الله عليه
وسلم وهي امور احدها المعجزات الباهرات الخارقة للعادة التي ظهرت على يده صلى الله عليه وسلم الدالة
على صدقه وثانيها ان دينه الذي امر به وهو دين الاسلام ليس فيه شي سوى تعظيم الله والثنا عليه والانقياد
لامره ونهيه واتباع طاعته والامر بعبادته والتبري من كل معبود سواه فهذه امور نيرة ودلايل واضحة
في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فمن اراد ابطال ذلك بكذب وتزوير فقد خاب سعيه وبطل عمله
ثم ان الله تعالى وعد نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بمزيد النصر واعلا الكلمة واظهار الدين بقوله ويابى
الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون يعني ويابى الله الا ان يعلي دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث
به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ولو كره الكافرون قوله عز وجل هو الذي ارسل رسوله يعني ان الله الذي
يابى الا ان يتم نوره هو الذي ارسل رسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى يعني بالقران الذي انزله عليه
وجعله هاديا اليه ودين الحق يعني دين الاسلام ليظهره اي ليعليه على الدين كله يعني على ساير الاديان

وقال ابن عباس الهاء في ليظهره عائدة الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ليعلمه شرائع الدين كلها ويظهره
عليها حتى لا يخفى عليه شيء منها وقال غيره من المفسرين الهاء راجعة الى الدين الحق والمعنى ليظهر دين الاسلام
على الاديان كلها وهو ان لا يعبد الله الا به قال ابو هريرة والضحاك وذلك عند نزول عيسى عليه السلام
فلا يبقى اهل دين الا دخلوا في الاسلام ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة في حديث نزول
عيسى عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وسلم ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام عن المقداد
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على وجه الارض بيت مدر ولا وبر الا ادخله الله كلمة
الاسلام اما بعز عزيز او بذل ذليل اما ان يعزهم فيجعلهم من اهله فيعزوا به واما ان يذلهم فيدينون له اخرجه
البغوي بغير سند م عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار
حتى تعبد اللات والعزى فقلت يا رسول الله ان كنت لاظن حين انزل الله تعالى هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ان ذلك تام قال انه سيكون ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحا
طيبة يتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون الى دين ابائهم قال
الشافعي فقد اظهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم على الاديان بان ابان لكل من سمعه انه الحق وما خالفه
من الاديان باطل قال واظهره بان جماع الشرك دينان دين اهل الكتاب ودين الاميين فقهر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الاميين حتى دانوا بالاسلام طوعا وكرها وقتل اهل الكتاب وسبى حتى دان
بعضهم بالاسلام واعطى بعضهم الجزية صاغرون وجرى عليهم حكمه فهذا ظهوره على الدين كله ولو كره
المشركون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان قد تقدم معنى الاحبار والرهبان
وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى وفي قوله ان كثيرا دليل على ان الاقل من الاحبار والرهبان
لم يأكلوا اموال الناس بالباطل ولعلهم الذين كانوا اقبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عن اخذ الاموال
بالاكل في قوله تعالى ليأكلون اموال الناس بالباطل لان المقصود الاعظم من جمع المال الاكل فسمي الشيء باسم
ما هو اعظم مقاصده واختلفوا في السبب الذي من اجله اكلوا اموال الناس بالباطل فقيل انهم كانوا ياخذون
الرشا من سفلتهم في تخفيف الشرائع والمسامحة في الاحكام وقيل انهم كانوا يكتبون بايديهم كتبا يحرفونها
ويبدلونها ويقولون هذه من عند الله ويأخذون بها ثمنا قليلا وهي الماكل التي كانوا يصيبونها من سفلتهم
على تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته من كتبهم لانهم كانوا يخافون لو امنوا به وصدقوه لذهب
عنهم تلك الماكل وقيل ان التوراة كانت مشتملة على ايات دالة على نعت النبي صلى الله عليه وسلم فكان
الاحبار والرهبان يذكرون في تاويلها وجوها فاسدة باطلة ويحرفون معانيها طلبا للرياسة واخذ
الاموال ومنع الناس عن الايمان به وذلك قوله تعالى ويصدون عن سبيل الله يعني ويمنعون
الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والدخول في دين الاسلام والذين يكنزون الذهب
والفضة اصل الكنز في اللغة جمع المال بعضه على بعض وحفظه ومال مكنوز اي مجموع واختلفوا
في المراد بهؤلاء الذين ذمهم الله بسبب كنز الذهب والفضة فقيل هم اهل الكتاب قاله معاوية بن ابي
سفيان لان الله تعالى وصفهم بالحرص الشديد على اخذ اموال الناس بالباطل ثم وصفهم بالبخل الشديد
وهو جمع المال ومنع اخراج الحقوق الواجبة منه وقال ابن عباس والسدي نزلت في مانعي الزكاة من المسلمين
وذلك انه لما ذكر قبح طريقة الاحبار والرهبان في الحرص على اخذ الاموال بالباطل حذر المسلمين من ذلك
وذكر وعيد من جمع المال ومنع حقوق الله منه وقال ابو ذر نزلت في اهل الكتاب وفي المسلمين ووجه

هذا القول ان الله وصف اهل الكتاب بالحرص على اخذ المال بالباطل ثم ذكر بعده وعيد من جمع
المال ومنع الحقوق الواجبة فيه سواء كان من اهل الكتاب او من المسلمين خ عن زيد بن وهب قال
مررت بالربذة فاذا بابي ذر فقلت ما انزلك هذا المنزل قال كنت في الشام فاختلفت انا
ومعاوية في هذه الاية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية
نزلت في اهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه في ذلك كلام فكتب الى عثمان يشكوني
فكتب الي عثمان ان اقدم المدينة فقدمتها فكثر علي الناس حتى كانهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك
لعثمان فقال ان شئت تنحيت فكنت قريبا فذلك الذي انزلني هذا المنزل ولو امروا علي حبشيا لسمعت
واطعت واختلف العلماء في معنى الكنز فقيل هو كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤد زكاته روي عن ابن
عمر انه قال له اعرابي اخبرني عن قول الله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في
سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم قال ابن عمر من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له هذا كان قبل ان تنزل
الزكاة فلما انزلت جعلها الله طهرا للاموال اخرجه البخاري وفي رواية مالك عن عبد الله بن دينار
قال سمعت عبد الله بن عمر وهو يسأل عن الكنز ما هو فقال هو المال الذي لا تؤدى منه الزكاة وروى
الطبري بسنده عن ابن عمر قال كل مال اديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تؤد زكاته
فهو الكنز الذي ذكره الله في القران يكوى به صاحبه وان لم يكن مدفونا وروي عن علي بن ابي طالب
قال اربعة الاف فما دونها نفقة وما فوقها كنز وقيل الكنز كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه اليه
روى الطبري بسنده عن ابي امامة قال توفي رجل من اهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال النبي
صلى الله عليه وسلم كية ثم توفي اخر فوجد في مئزره ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان كان
هذا في اول الاسلام قبل ان تفرض الزكاة فكان يجب على كل من فضل معه شيء من المال اخراجه لاحتياج
غيره اليه فلما فرضت الزكاة نسخ ذلك الحكم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية والذين يكنزون
الذهب والفضة كبر ذلك على المسلمين فقال عمر انا افرج عنكم فانطلق فقال يا نبي الله انه كبر
على اصحابك هذه الاية فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب ما بقي من اموالكم وانما فرض المواريث
وذكر كلمة لتكون لمن بعدكم قال فكبر عمر ثم قال له الا اخبرك بخير ما يكنز المرء المراة الصالحة اذا نظر اليها
سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته اخرجه ابو داود عن ثوبان قال لما نزلت والذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
اسفاره فقال بعض اصحابه انزلت في الذهب والفضة فلو علمنا اي المال خير اتخذناه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم افضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة صالحة تعين المؤمن على ايمانه
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن والصحيح من هذه الاقوال القول الاول وهو ما ذكرنا عن ابن
عمر ان كل مال اديت زكاته فليس بكنز ولا يحرم على صاحبه اكتنازه وان كثر وان كل مال لم تؤد زكاته
فصاحبه معاقب عليه وان قل اذا كان مما تجب فيه الزكاة ويستحق على منع الزكاة الوعيد من الله
الا ان يتفضل الله عز وجل عليه بعفوه وغفرانه ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم
القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره كلما بردت
اعيدت له في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما

الى النار قيل يا رسول الله فالابل قال ولا صاحب ابل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها
الا اذا كان يوم القيمة بطح لها بقاع قرقر اوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطاه باخفافها
وتعضه بافواهها كلما مر عليه اولاها رد عليه اخراها في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى
يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله فالبقر والغنم قال
ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي حقها الا اذا كان يوم القيمة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيا ليس
فيها عقصا ولا جلحا ولا عضبا تنطحه بقرونها وتطاه باظلافها كلما مر عليه اولاها رد عليه اخراها
في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار
اخرجه مسلم بزيادة فيه قوله كلما ردت اعيدت له هكذا هو في بعض نسخ صحيح مسلم ردت بضم
الراء وفي بعضها بردت بالبا وهذا هو الصواب والرواية الاولى هي رواية الجمهور قوله حلبها
هو بفتح اللام على المشهور وحكى اسكانها وهو ضعيف قوله بقاع قرقر هو المستوى من الارض الواسع
الاملس والعقصا هي الشاة الملتوية القرنين وانما استثناها لانها لا تولم بنطحها وكذا الجلحا
وهي الشاة التي لا قرن لها وكذا العضبا وهي الشاة المكسورة القرن خ عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم
القيمة ثم ياخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتاهم
الله من فضله هو خيرا لهم الاية الشجاع الحية والاقرع صفة له بطول العمر لان من طال عمره تمزق شعره
وذهب وهي صفة اخبث الحيات والزبيبتان هما الزبدتان في الشدقين واللهزمتان عظمان ناتيان
في اللحيين تحت الاذنين قوله تعالى ولا ينفقونها في سبيل الله يعني ولا يؤدون زكاتها وانما قال ينفقونها
ولم يقل ينفقونهما لانه رد الكناية الى المال المكنوز وهو اعيان الذهب والفضة وقيل رد الكناية الى
الفضة لانها اغلب اموال الناس فبشرهم بعذاب اليم يعني للكافرين الذين لا يؤدون زكاة اموالهم
ق عن ابي ذر قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما راني قال هم الاخسرون
ورب الكعبة قال فجيت حتى جلست فلم اتقار حتى قمت فقلت يا رسول الله فداك ابي وامي من هم قال هم
الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل
ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها الا جاءت يوم القيمة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها
وتطاه باظلافها كلما نفدت اخراها عادت اليه اولاها حتى يقضى بين الناس هذا لفظ مسلم ووافقه
البخاري في موضعين وقوله تعالى يوم يحمى عليها يعني على الكنوز فتدخل النار فيوقد عليها حتى تبيض
من شدة الحرارة في نار جهنم فتكوى بها جباههم يعني بالكنوز حيا تريها وجنوبهم وظهورهم قال ابن
مسعود لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على
حدته قال بعض العلما انما خص هذه الاعضا الثلثة من بين سائر الاعضا لان الغني صاحب المال اذا راى
السايل فطلب منه شيا فتبدو منه اثار الكراهة والمنع فعند ذلك يقطب وجهه ويكلح وتجتمع اسارير
وجهه فيتجعد جبينه ثم ان كرر السايل الطلب ناى بجانبه عنه ومال عن جهته وتركه جانبا ثم ان كرر الطلب
والح في السوال ولاه ظهره واعرض عنه واستقبل جهة اخرى وهي النهاية في الرد والغاية في المنع الدال
على كراهة العطا والبذل وهذا داب مانعي البر والاحسان وعادة البخلا فلذلك خص هذه الاعضا
الثلاثة بالكي يوم القيمة وهو قوله هذا ما كنزتم لانفسكم اي يقال لهم ذلك يوم القيمة فذوقوا

ما كنتم تكنزون اي فذوقوا عذاب ما كنزتم في الدنيا من الاموال ومنعتم حق الله منها ق عن الاحنف
ابن قيس قال قدمت المدينة فبينا انا في حلقة فيها ملا من قريش اذ جا رجل خشن الثياب خشن الجسد
خشن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي احدهم
حتى يخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل قال فوضع القوم روسهم
فما رايت احدا منهم رجع اليه شيا قال فادبر فاتبعته حتى جلس الى سارية فقلت ما رايت هولا الا كرهوا ما
قلت لهم فقال ان هولا لا يعقلون شيا هذا لفظ مسلم وفيه زيادة لم نذكرها زاد البخاري فقلت من هذا
قال ابو ذر قال فقمت اليه فقلت ما شي سمعتك تقول قبيل فقال ما قلت الا شيا سمعته من نبيهم صلى
الله عليه وسلم قوله عز وجل ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا وهي المحرم وصفر وربيع الاول
وربيع الاخر وجمادى الاول وجمادى الاخر ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة
وهذه شهور السنة القمرية التي هي مبنية على سير القمر في المنازل وهي شهور العرب التي تعتد بها المسلمون
في صيامهم ومواقيت حجهم واعيادهم وسائر امورهم واحكامهم وايام هذه الشهور ثلثمائة وخمسة وخمسون
يوما والسنة الشمسية عبارة عن دور الشمس في الفلك دورة تامة وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوما
وربع يوم فتنقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة ايام فبسبب هذا النقصان تدور السنة
الهلالية فيقع الصوم والحج تارة في الشتا وتارة في الصيف قال المفسرون وسبب نزول هذه الاية من اجل
النسي الذي كانت العرب تفعله في الجاهلية فكان يقع حجهم تارة في وقته وتارة في المحرم وتارة في صفر وتارة
في غيره من الشهور فاعلم الله عز وجل ان عدد شهور سنة المسلمين التي تعبدوا بها اثنا عشر شهرا على منازل
القمر وسيره فيها وهو قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله يعني في علمه وحكمه اثنى عشر شهرا في كتاب الله
يعني في اللوح المحفوظ الذي كتب فيه جميع احوال الخلق وما ياتون وما يذرون وقيل اراد بكتاب الله القران
لان فيه ايات تدل على الحساب ومنازل القمر وقيل اراد بكتاب الله الحكم الذي اوجبه وامر عباده بالاخذ
يوم خلق السموات والارض يعني ان هذا الحكم حكم به وقضاه يوم خلق السموات والارض ان السنة اثنى
عشر شهرا منها يعني من الشهور اربعة حرم وهي رجب فرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثلاثة متوالية
وانما سميت حرما لان العرب في الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى لو ان احدهم لقي قاتل ابيه وابنه
واخيه في هذه الاشهر لم يهجه ولما جا الاسلام لم يزدها الا حرمة وتعظيما ولان الحسنات والطاعات
فيها تتضاعف وكذلك السيات ايضا اشد من غيرها فلا يجوز انتهاك حرمة الاشهر الحرم ذلك الدين القيم
يعني ذلك الحساب المستقيم والعدد الصحيح المستوى فالدين هنا بمعنى الحساب ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم الكيس من دان نفسه يعني حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت وقيل اراد بالدين القيم الحكم الذي
لا يغير ولا يبدل والقيم هنا بمعنى الدايم الذي لا يزول فالواجب على المسلمين الاخذ بهذا الحساب
والعدد في صومهم وحجهم واعيادهم وبياعاتهم واجال ديونهم وغير ذلك من سائر احكام المسلمين المرتبة على
المشهور ق عن ابي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات
والارض السنة اثنى عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي
بين جمادى وشعبان اي شهر هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال اليس
ذا الحجة قلنا بلى قال اي بلد هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال
اليس البلد الحرام قلنا بلى قال اي يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه

فقال اليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا
في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسالكم عن اعمالكم الا فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض الا ليبلغ
الشاهد الغايب فلعل بعض من يبلغه ان يكون اوعى له من بعض من سمعه ثم قال الا هل بلغت قلنا نعم قال
اللهم اشهد وقوله تعالى **فلا تظلموا فيهن انفسكم** قيل الكناية في فيهن ترجع الى جميع الاشهر اي لا تظلموا انفسكم
في جميع اشهر السنة بفعل المعاصي وترك الطاعات لان المقصود منع الانسان من الاقدام على المعاصي
والفساد مطلقا في جميع الاوقات الى الممات وقيل ان الكناية ترجع الى الاشهر الحرم وهو قول اكثر المفسرين
وقال قتادة العمل الصالح اعظم اجرا في الاشهر الحرم والظلم فيهن اعظم فيما سواهن وان كان الظلم على كل
حال عظيما وقال ابن عباس لا تظلموا فيهن انفسكم يريد استحلال الحرام والغارة فيهن قال محمد بن اسحق
ابن يسار لا تجعلوا حلالها حراما ولا حرامها حلالا كفعل اهل الشرك وهو النسيء وقيل ان الانفس مجبولة
بطبعها على الظلم والفساد والامتناع عنه على الاطلاق شاق على النفس لا جرم ان خص بعض الاوقات
بمزيد التعظيم والاحترام ليمتنع الانسان في تلك الاوقات من فعل الظلم والقبايح والمنكرات فربما
تركها في باقي الاوقات فتصير هذه الاوقات الشريفة والاشهر المحرمة المعظمة سببا لترك الظلم وفعل
المعاصي في غيرها من الاشهر فهذا وجه الحكمة في تخصيص بعض الاشهر على بعض بمزيد التشريف والتعظيم
وكذلك الامكنة ايضا وقوله تعالى **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة** يعني قاتلوا المشركين باجمعكم
مجتمعين على قتالهم كما انهم يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى تعاونوا وتناصروا على قتالهم ولا تتخاذلوا
ولا تتدابروا ولا تفشلوا ولا تجبنوا عن قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين في مقاتلة اعدائكم من
المشركين واختلف العلماء في تحريم القتال في الاشهر الحرم فقال قوم كان كبيرا حراما ثم نسخ بقوله وقاتلوا
المشركين كافة يعني في الاشهر الحرم وفي غيرهن وهو قول قتادة وعطا الخراساني والزهري وسفيان
الثوري قالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطايف وحاصرهم في شوال
وبعض ذي القعدة وقال اخرون انه غير منسوخ قال ابن جريج حلف بالله عطا بن ابي رباح ما يحل للناس
ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم وما نسخت الا ان يقاتلوا فيها **واعلموا ان الله مع المتقين** يعني بالنصر
والمعونة على اعدائهم قوله تعالى **انما النسيء زيادة في الكفر** النسيء في اللغة عبارة عن التاخير في الوقت
ومنه النسيئة في البيع ومعنى النسيء المذكور في الاية هو تاخير شهر حرام الى شهر اخر وذلك ان العرب في
الجاهلية كانت تعتقد حرمة الاشهر الحرم وتعظيمها وكان ذلك مما تمسكت به من ملة ابراهيم صلى الله
عليه وسلم وكانت عامة معايش العرب من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة اشهر
متوالية وربما وقعت حروب في بعض الاشهر الحرم فكانوا يكرهون تاخير حربهم الى الاشهر الحلال فنسؤا يعني
اخروا تحريم شهر الى شهر اخر فكانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر فيستحلون المحرم ويحرمون صفر فاذا احتاجوا
الى تاخير تحريم صفر اخروه الى ربيع الاول فكانوا يصنعون هكذا يؤخرون شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم
على السنة كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر
عامين وكذا في باقي شهور السنة فوافقت حجة ابي بكر في السنة التاسعة قبل حجة الوداع في السنة الثانية
من ذي القعدة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع فوافق حجه في شهر ذي الحجة
وهو شهر الحج المشروع فوقف بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس في اليوم العاشر بمنى واعلمهم ان اشهر
النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الامر الى ما وضع الله عليه حساب الاشهر يوم خلق السموات

والارض

والارض وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض الحديث
المتقدم وامرهم بالمحافظة على ذلك لئلا يتبدل في مستانف الايام واختلفوا في اول من نسا النسيء فقال
ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد اول من نسا بنو مالك بن كنانة وكان يليه ابو ثمامة جنادة بن
عوف بن امية الكناني قال الكلبي اول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يكون
على الناس في الموسم فاذا هم الناس بالصدر قام فخطب الناس فيقول لا مرد لما قضيت انا الذي لا اعاب
ولا اجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسالونه ان ينسيهم شهرا يغزون فيه فيقول ان صفر في هذا
العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة من الرماح وان قال حلال عقدوا
اوتار القسي وركبوا الاسنة في الرماح واغاروا وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جنادة بن
عوف وهو الذي ادرك النبي صلى الله عليه وسلم قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هو رجل من بني كنانة
يقال له القلمس قال شاعرهم ومنا ناسي الشهر القلمس وكانوا يفعلون ذلك اذا اجتمعت العرب في الموسم
وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ان اول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والذي
صح من حديث ابي هريرة وعائشة ان عمرو بن لحي اول من سيب السوايب وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم
رايت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار فهذا ما ورد في تفسير النسيء الذي ذكره الله في قوله انما النسيء
زيادة في الكفر يعني زيادة كفر على كفرهم وسبب هذه الزيادة انهم امروا بايقاع كل فعل في وقته من الاشهر
الحرم ثم انهم بسبب اغراضهم الفاسدة اخروه الى وقت اخر بسبب ذلك النسيء فاوقعوه في غير وقته من
الاشهر الحرم فكان ذلك الفعل زيادة في كفرهم **يضل به الذين كفروا** قرئ يضل بفتح اليا وكسر الضاد
ومعناه يضل بالنسيء الذين كفروا اتباعهم من الناس وهم ايضا ضلال في انفسهم وقرئ يضل بضم اليا
وفتح الضاد ومعناه ان كبراءهم اضلوهم وحملوهم عليه وقرئ يضل به الذين كفروا بضم اليا وكسر الضاد
ومعناه يضل الله به الذين كفروا او يضل به الشيطان الذين كفروا بتزيين ذلك لهم وقيل معناه يضل
به الذين كفروا اتباعهم والاخذين بافعالهم وهذا الوجه اقوى الوجهين في تفسير قراءة من قرا يضل
بضم اليا وكسر الضاد **يحلونه عاما ويحرمونه عاما** يعني يحلون ذلك الانساء عاما ويحرمونه عاما
والمعنى يحلون الشهر المحرم عاما فيجعلونه حلالا ليغيروا فيه ويحرمونه عاما فيجعلونه محرما فلا يغيروا
فيه **ليواطيوا** يعني ليوافقوا **عدة ما حرم الله** يعني انهم ما احلوا شهرا من الحرم الا حرموا مكانه شهرا
من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا من الحرم لاجل ان يكون عدد الاشهر الحرم اربعة
كما حرم الله فيكون ذلك موافقة في العدد لا في الحكم فذلك قوله تعالى **فيحلوا ما حرم الله زين لهم**
سوء اعمالهم قال ابن عباس زين لهم الشيطان هذا العمل **والله لا يهدي القوم الكافرين** يعني انه تعالى
لا يرشد من هو كافر اثيم لما سبق له في الازل انه من اهل النار قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا ما لكم**
اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض نزلت هذه الاية في الحث على غزوة تبوك وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطايف امر بالجهاد لغزوة الروم وكان ذلك في زمان عسرة
من الناس وشدة من الحر حين طاب الظلال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى
بغيرها حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا
بعيدا ومفازا وعددا كثيرا فجلى للمسلمين امرهم ليتاهبوا اهبة عدوهم فشق عليهم الخروج
وتثاقلوا فانزل الله عز وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم يعني قال لكم

رسول الله صلى الله عليه وسلم انفروا في سبيل الله اي اخرجوا الى الجهاد يقال استنفر الامام الناس اذا حثهم على
الخروج الى الجهاد ودعاهم اليه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واذا استنفرتم فانفروا والاسم النفير اثاقلتم اي
تثاقلتم وتباطأتم عن الخروج الى الغزو الى الارض يعني ولزمتم ارضكم ومساكنكم وانما استثقل ذلك الغزو لشدة الزمان
وضيق الوقت وشدة الحر وبعد المسافة والحاجة الى كثرة الاستعداد من العدد والزاد وكان ذلك الوقت وقت
ادراك ثمار المدينة وطيب ظلالها وكان العدو كثيرا فاستثقل الناس تلك الغزوة فعاتبهم الله بقوله ارضيتم
بالحياة الدنيا من الاخرة يعني ارضيتم بخفض العيش وزهرة الدنيا ودعتها من نعيم الاخرة فما متاع الحياة
الدنيا في الاخرة الا قليل يعني ان لذات الدنيا ونعيمها فان زايل ينفد عن قليل ونعيم الاخرة باق على الابد
فلهذا السبب كان متاع الدنيا قليلا بالنسبة الى نعيم الاخرة وفي الاية دليل على وجوب الجهاد في كل حال
وفي كل وقت لان الله تعالى نص على ان تثاقلهم عن الجهاد امر منكر فلو لم يكن الجهاد واجبا لما عاتبهم على ذلك
التثاقل ويوكد هذا الوعيد المذكور في الاية الاتية وهي قوله الا تنفروا يعني ان لم تنفروا ايها المومنون الى
من استنفركم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذبكم عذابا اليما يعني في الاخرة لان العذاب الاليم لا يكون
الا في الاخرة وقيل ان المراد به احتباس المطر في الدنيا قال نجدة بن نفيع سالت ابن عباس عن هذه الاية فقال
استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا من احياء العرب فتثاقلوا فامسك الله عنهم المطر فكان ذلك عذابهم
ويستبدل قوما غيركم يعني خيرا منكم واطوع قال سعيد بن جبير هم ابناء فارس وقيل هم اهل اليمن وفيه تنبيه على
ان الله عز وجل قد تكفل بنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه فان سارعوا معه الى الخروج الى حيث استنفروا
حصلت النصرة بهم ووقع اجرهم على الله عز وجل وان تثاقلوا وتخلفوا عنه حصلت النصرة بغيرهم وحصلت العتبى
لهم ولئلا يتوهموا ان اعزاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته لا تحصل الا بهم وهو قوله تعالى ولا تضروه شيئا
قيل الضمير راجع الى الله تعالى يعني ولا تضروا الله شيئا لانه غني عن العالمين وانما تضرون انفسكم بترككم الجهاد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ولا تضروا محمدا
صلى الله عليه وسلم شيئا فان الله ناصره على اعدائه ولا يخذله والله على كل شيء قدير يعني انه تعالى قادر على
كل شيء فهو ينصر نبيه ويعز دينه قال الحسن وعكرمة هذه الاية منسوخة بقوله وما كان المومنون لينفروا كافة
وقال الجمهور هذه الاية محكمة لانها خطاب لقوم استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا كما ينقل عن
ابن عباس وعلى هذا التقدير فلا نسخ قوله عز وجل الا تنصروه فقد نصره الله يعني الا تنصروا محمدا صلى
الله عليه وسلم ايها المومنون هذا خطاب لمن تثاقل عن الخروج معه الى تبوك فاعلم الله عز وجل انه هو المتكفل
بنصر رسوله واعزاز دينه واعلاء كلمته اعانوه او لم يعينوه وانه قد نصره عند قلة الاولياء وكثرة الاعداء فكيف
به اليوم وهو في كثرة من العدد والعدد اذ اخرجه الذين كفروا يعني انه تعالى نصره في الوقت الذي اخرجه كفار
مكة من مكة حين مكروا به واراد قتله ثاني اثنين يعني هو واحد اثنين والمعنى نصره الله صلى الله عليه وسلم وابو
بكر الصديق اذ هما في الغار يعني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر في الغار والغار نقب عظيم يكون
في الجبل وهذا الغار هو في جبل ثور وهو قريب من مكة اذ يقول لصاحبه لا تحزن يعني يقول رسول الله
لابي بكر الصديق لا تحزن وذلك ان ابا بكر خاف من الطلب ان يعلموا بمكانهم فجزع من ذلك فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا يعني بالنصر والمعونة قال الشعبي عاتب الله عز وجل اهل الارض
جميعا في هذه الاية غير ابا بكر وقال الحسين بن الفضل من قال ان ابا بكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فهو كافر لانكاره نص القران وفي سائر الصحابة اذا انكر يكون مبتدعا ولا يكون كافرا عن ابن عمر

ان رسول

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر انت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب ق عن ابي بكر الصديق قال نظرت الى اقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا
فقلت يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه ابصرنا تحت قدميه فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله
ثالثهما قال الشيخ محيي الدين النووي معناه ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد وهو داخل في قوله
تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه بيان عظيم توكل النبي صلى الله عليه وسلم حتى
في هذا المقام وفيه فضيلة لابي بكر وهي من اجل مناقبه والفضيلة من اوجه منها اللفظة الدالة على ان الله ثالثهما
ومنها بذله نفسه ومفارقته اهله وماله ورياسته في طاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وملازمته النبي صلى الله عليه وسلم ومعاداة الناس فيه ومنها جعله نفسه وقاية عنه وغير ذلك روي
عن عمر بن الخطاب انه ذكر عنده ابو بكر فقال وددت ان عملي كله مثل عمله يوما واحدا من ايامه وليلة واحدة
من لياليه اما ليلته فليلة سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فلما انتهيا اليه قال والله لا
تدخله حتى ادخل قبلك فان كان فيه شيء اصابني دونك فدخل فكسحه ووجد في جانبه ثقبا فشق ازاره
وسدها به وبقي منها ثقبان فالقمهما رجليه ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ووضع راسه في حجره ونام فلدغ ابو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك مخافة ان ينتبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك يا ابا
بكر قال لدغت فداك ابي وامي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ثم انتقض عليه وكان
سبب موته واما يومه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لا نودي الزكاة فقال لو
منعوني عقالا لجاهدتهم عليه فقلت يا خليفة رسول الله تالف الناس وارفق بهم فقال لي اجبار في الجاهلية وخوار
في الاسلام انه قد انقطع الوحي وتم الدين اينقص وانا حي اخرجه في جامع الاصول ولم يرقم عليه علامة لاحد قال
البغوي وروي انه حين انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة
خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك يا ابا بكر فقال اذكر الطلب فامشي خلفك ثم اذكر الرصد فامشي
بين يديك فلما انتهينا الى الغار قال مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الغار فدخل فاستبراه ثم قال انزل
يا رسول الله فنزل وقال له ان اقتل فانا رجل واحد من المسلمين وان قتلت هلكت الامة ذكر
سياق حديث الهجرة وهو من افراد البخاري عن عايشة قالت لم اعقل ابوي الا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا
يوم الا ياتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية فلما ابتلي المسلمون خرج ابو بكر
مهاجرا نحو ارض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال اين تريد يا ابا
بكر فقال ابو بكر اخرجني قومي فاريد ان اسيح في الارض فاعبد ربي فقال ابن الدغنة فان مثلك يا ابا بكر
لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق فانا لك جار فارجع
واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة في اشراف كفار قريش فقال ان ابا بكر لا
يخرج مثله ولا يخرج اتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوايب الحق فلم
تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وفي رواية فانفذت قريش جوار ابن الدغنة وامنوا ابا بكر وقالوا لابن الدغنة
مر ابا بكر فليعبد ربه في داره وليصل فيها وليقرا ما شاء ولا يوذينا بذلك ولا يستعلن فانا نخشى ان يفتن
نساءنا وابناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث ابو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته
ولا يقرا في غير داره ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه فيتقصف عليه نساء المشركين وابناؤهم

يعجبون منه وينظرون اليه وكان ابو بكر رجلا بكا لا يملك عينيه اذا قرا القران فافزع ذلك اشراف قريش
من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا اجرنا ابا بكر بجوارك على ان يعبد ربه
في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفنا داره فاعلن بالصلاة والقراة وانا قد خشينا ان يفتن
نسانا وابنانا فانهه فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره فليفعل وان ابى الا ان يعلن بذلك
فسله ان يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان قالت
عايشة فاتى ابن الدغنة الى ابي بكر فقال قد علمت الذي عاقدت لك عليه فاما ان تقتصر على
ذلك واما ان ترجع الي ذمتي فاني لا احب ان تسمع العرب اني اخفرت في رجل عقدت له فقال ابو بكر
فاني ارد اليك جوارك وارضى بجوار الله والنبي صلى الله عليه وسلم يوميذ بمكة فقال النبي صلى الله عليه
وسلم للمسلمين اني رايت دار هجرتكم سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع
عامة من كان بارض الحبشة الى المدينة وتجهز ابو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
على رسلك فاني ارجو ان يوذن لي فقال ابو بكر وهل ترجو ذلك بابي انت قال نعم فحبس ابو بكر نفسه على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلف راحلتين كانتا عنده من ورق السمر وهو الخبط اربعة اشهر
قال ابن شهاب قال عروة قالت عايشة فبينما نحن يوما جلوس في بيت ابي بكر في نحر الظهيرة قال قايل
هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن ياتينا فيها فقال ابو بكر فدا له ابي وامي
ما جا به في هذه الساعة الا امر قالت فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذن فاذن له فدخل
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر اخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك بابي انت وامي يا رسول
الله قال فاني قد اذن لي في الخروج قال ابو بكر الصحابة بابي انت وامي يا رسول الله فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم نعم قال ابو بكر فخذ بابي انت يا رسول الله احدى راحلتي هاتين فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالثمن قالت فجهزناهما احث الجهاز ووضعنا لهما سفرة في جراب فقطعت اسما
بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق قالت ثم لحق رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر بغار في جبل ثور فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الرحمن بن ابي بكر
وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبايت فلا يسمع امرا يكادان به
الا وعاه حتى ياتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى ابي بكر منحة من غنم
فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشا فيبيتان في رسل حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل
ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رجلا من بني الديل
وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية وقد غمس حلفا في ال العاص بن وايل السهمي
وهو على دين كفار قريش فامناه فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما
صبح ثلاث فارتحلا وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الديلي فاخذ بهم طريق السواحل وفي رواية
طريق الساحل قال ابن شهاب فاخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن اخي سراقة بن جعشم ان اباه
اخبره انه سمع سراقة بن جعشم يقول جانا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله او اسره فبينما انا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج اقبل رجل
منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة اني قد رايت انفا اسودة بالساحل اراها محمدا واصحابه
قال سراقة فعرفت انهم هم فقلت له انهم ليسوا بهم ولكنك رايت فلانا وفلانا انطلقوا باعيننا ثم

لبثت

لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فامرت جاريتي ان تخرج بفرسي وهي من ورا اكمة فتحبسها
علي واخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الارض وخفضت عاليه حتى اتيت فرسي فركبتها
فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فاهويت الى كنانتي فاستخرجت
منها الازلام فاستقسمت بها اضرهم ام لا فخرج الذي اكره فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي
حتى اذا سمعت قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يكثر الالتفات ساخت
يدا فرسي في الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت
قايمة اذا لاثر يديها غبار ساطع في السما مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذي اكره
فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسي حتى جيتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم
ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية واخبرتهم ما
يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزاني فلم يسالاني الا ان قال اخف عنا ما استطعت
فسالته ان يكتب لي كتاب امن فامر عامر بن فهيرة فكتب لي رقعة من ادم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ابن شهاب عن عروة بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين
كانوا تجارا قافلين من الشام فكسى الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر ثياب بياض وسمع
المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة فينتظرونه
حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما اطالوا انتظارهم فلما اووا الى بيوتهم اوفى رجل من يهود على
اطم من اطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مبيضين يزول بهم السراب
فلم يملك اليهودي ان قال باعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون فثار المسلمون
الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في
بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام ابو بكر للناس وجلس رسول الله صلى
الله عليه وسلم صامتا فطفق من جا من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي ابا بكر
حتى اصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل ابو بكر حتى ظلل عليه بردايه فعرف الناس
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف
بضع عشرة ليلة واسس المسجد الذي اسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي
فيه يوميذ رجال من المسلمين وكان مربدا للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين في حجر سعد بن زرارة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته هذا ان شا الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا بل نهبه لك يا رسول الله ثم بناه مسجدا فطفق
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن • هذا الحمال لا حمال خيبر
• هذا ابر ربنا واطهر • ويقول • اللهم ان الاجر اجر الاخرة • فارحم الانصار والمهاجرة • فتمثل بشعر رجل من المسلمين
لم يسم لي قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذه
الابيات اخرجه البخاري بطوله شرح غريب الفاظ الحديث قولها لم اعقل ابوي الا وهما يدينان الدين يعني انهما
كانا ينقادان الى الطاعة وبرك الغماد بفتح البا من برك وكسر الغين المعجمة اسم موضع بينه وبين مكة خمس
ليال مما يلي ساحل البحر الى المدينة من بلاد غفار وقيل هو قليب ما لبني ثعلبة قوله تكسب المعدوم فيه قولان

احدهما انه لقوة سعده وحظه من الدنيا لا يتعذر عليه كسب كل شي حتى المعدوم الذي يتعذر كسبه على غيره
والقول الثاني انه يملك الشي المعدوم المتعذر لمن لا يقدر عليه فنفيه وصفه بالاحسان والكرم والكل
ما يثقل حمله من حقوق الناس وصلة الارحام والقيام بامر العيال وقرا الضيف ونوايب الحق ما ينوب
الانسان من المغارم وقضا الحقوق لمن يقصده انا لك جار اي حام وناصر ومدافع عنك والاستعلان
والاعلان اظهار الخفي وقوله تتقصف الناس عليه يعني ازدحموا عليه والذمة العهد والامان واخفارها
نقضها والملابة الجبل والحرة الارض التي يعلوها حجارة سود يقال افعل الشي على رسلك بكسر الرا
اي على هينتك والراحلة البعير القوي على الحمل والسير والظهيرة وقت شدة الحر والنطاق حبل او نحوه
تشد به المراة وسطها وترفع ثوبها من تحته فتعطف طرفا من اعلاه الي اسفله لئلا يصل الي الارض وقوله
ثقف لقن يقال ثقف الرجل ثقافة اذا صار حاذقا فطنا واللقن السريع الفهم والادلاج بتخفيف
الدال السير اول الليل وبتشديدها سير اخره والمنحة الشاة ذات اللبن والرسل بكسر الرا وسكون
السين هو اللبن يقال نعق الراعي بالغنم اذا دعاها لتجتمع اليه والغلس ظلام اخر الليل والحديث
تقدم شرحه في الحديث ومن الماهر بالهداية والمراد به هداية الطريق فهو الدليل وقد غمس حلفا يقال
غمس فلان حلفا في ال فلان اذا اخذ بنصيب من عقدهم وحلفهم والاسودة الاشخاص والاكمة التل
المرتفع من الارض يقال قرب الفرس يقرب تقريبا اذا عدا عدوا دون الاسراع والكنانة هي الجعبة التي
تجعل فيها السهام والازلام القداح التي كانوا يستقسمون بها عند طلب الحوايج كالقادر والمختار
الغبار يقال ما رزات فلانا شيا اي ما اصبت منه شيا والمراد انهم لم ياخذوا منه شيا وقوله اوفى اي اشرف
واطلع والاطم البنا المرتفع كالحصن وقوله مبيضين هو بكسر اليا اي هم ذو ثياب بيض والمربد الموضع الذي
يوضع فيه التمر كالبيدر وقوله هذا الحمال هو بالحا المهملة يعني هذا الحمل والمحمول من اللبن ابر عند الله
واطهر وابقى ذخرا وادوم منفعة في الاخرة لا حمال خيبر يعني ما يحمل من خيبر من التمر والزبيب والطعام المحمول
منها والمعنى ان ذلك الحمل الذي نحمله من اللبن لاجل عمارة المسجد افضل عند الله مما يحمل من خيبر وقد
روي هذا الحمال بالجيم من الحمل والرواية الاولى اشهر واكثر والله اعلم قال الزهري لما دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم وابو بكر الغار ارسل الله تعالى زوجا من حمام حتى باضا في اسفل النقب ونسجت العنكبوت
بيتا وقيل انبتت يمامة على فم الغار فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعل الطلب يضربون
يمينا وشمالا حول الغار يقولون لو دخلا هذا الغار لتكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت ووجدت
في بعض التفاسير شعرا وقد نسبه الي ابي بكر الصديق وهو قوله

قال النبي ولم تجزع يوقرني ... ونحن في سدف في ظلمة الغار
لا تخش شيئا فان الله ثالثنا ... وقد تكفل لي منه باظهار
وانما كيد من تخشى بوادره ... كيد الشياطين قد كادت لكفار
والله مهلكهم طرا بما صنعوا ... وجاعل المنتهى منهم الي النار

وقوله تعالى **فانزل الله سكينته عليه** يعني فانزل الله الطمانينة والسكون على رسوله محمد صلى
الله عليه وسلم وقال ابن عباس على ابي بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليه السكينة من قبل ذلك
فصل في الوجوه المستنبطة من هذه الاية الدالة على فضل ابي بكر الصديق رضي الله عنه
منها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اختفى في الغار من الكفار كان مطلعا على باطن ابي بكر الصديق

في ستره واعلانه وانه من المؤمنين الصادقين الصديقين المخلصين فاختار صحبته في ذلك المكان
المخوف لعلمه بحاله ومنها ان هذه الهجرة كانت باذن الله تعالى فخص الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم
ابا بكر دون غيره من اهله وعشيرته وهذا التخصيص يدل على شرف ابي بكر وفضله على غيره ومنها ان الله
عاتب اهل الارض بقوله الا تنصروه فقد نصره الله سوى ابي بكر الصديق وهذا دليل على فضله ومنها
ان ابا بكر لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر بل كان ملازما له وهذا دليل صدق
محبته وصحة محبته له ومنها مواساته للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار وبذل نفسه له وفي هذا دليل
على فضله ومنها ان الله تعالى جعله ثاني رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله ثاني اثنين اذ هما في الغار وفي
هذا نهاية الفضيلة لابي بكر وقد ذكر بعض العلما ان ابا بكر كان ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
في اكثر الاحوال فمنها ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا الخلق الي الايمان بالله فكان ابو بكر اول من امن
ثم دعا ابو بكر الي الايمان بالله ورسوله فاستجاب له عثمان وطلحة والزبير فامنوا على يد ابي بكر ثم حملهم
الي النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقف في موقف من غزواته الا وابو بكر معه
في ذلك الموقف ومنها انه لما مرض صلى الله عليه وسلم قام مقامه في الامامة فكان ثانيه ومنها انه
ثانيه في تربته وفي هذا دليل على فضل ابي بكر ومنها ان الله تعالى نص على صحبة ابي بكر دون غيره بقوله
اذ يقول لصاحبه لا تحزن ومنها ان الله تعالى كان ثالثهما ومن كان الله معه دل على فضله وشرفه
على غيره ومنها انزال السكينة على ابي بكر واختصاصه بها دليل على فضله والله اعلم وقوله تعالى **وايده
بجنود لم تروها** يعني وايد النبي صلى الله عليه وسلم بانزال الملايكة ليصرفوا وجوه الكفار وابصارهم عن
رويته وقيل القى الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا وقال مجاهد والكلبي اعانه بالملايكة يوم بدر فاخبر
الله تعالى انه نصره وصرف عنه كيد الاعدا وهو في الغار في حال القلة والخوف ثم نصره بالملايكة يوم بدر
وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني كلمة الشرك فهي سفلى الي يوم القيمة **وكلمة الله هي العليا والله
عزيز حكيم** قال ابن عباس هي قول لا اله الا الله فهي باقية الي يوم القيمة عالية وقيل ان كلمة الذين كفروا
هي ما كانوا قدروها فيما بينهم من الكيد بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه وكلمة الله هي ما وعده بالنصر
والظفر بهم فكان ما وعده الله تعالى حقا وصدقا قوله تعالى **انفروا خفافا وثقالا** يعني انفروا على
الصفة التي يخف عليكم الجهاد وعلى الصفة التي يثقل عليكم وهذان الوصفان يدخل تحتهما اقسام كثيرة
فلهذا اختلفت عبارات المفسرين فيهما فقال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة يعني شبابا
وشيوخا قال ابن عباس نشاطا وغير نشاط وقال عطية العوفي ركبانا ومشاة وقال ابو صالح خفافا من
المال يعني فقرا وثقالا يعني اغنيا وقال ابن زيد الخفيف الذي لا ضيعة له والثقيل الذي له الضيعة
يكره ان يدع ضيعته ويروى عن ابن عباس قال خفافا اهل الميسرة من المال وثقالا اهل العسرة وقيل
خفافا يعني من السلاح مقلين منه وثقالا يعني مستكثرين منه وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل اصحاء ومرضى
وقيل عزابا ومتاهلين وقيل خفافا من الحاشية والاتباع وثقالا مستكثرين منهم وقيل خفافا يعني مسرعين
في الخروج الي الغزو ساعة سماع النفير وثقالا يعني بعد التروي فيه والاستعداد له والصحيح ان هذا عام
لان هذه الاحوال كلها داخلة تحت قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا يعني على اي حال كنتم فيها فان قلت
فعلى هذا يلزم الجهاد لكل احد حتى المريض والزمن والفقير وليس الامر كذلك فما معنى هذا الامر قلت
من العلما من حمله على الوجوب ثم انه نسخ قال ابن عباس نسخت هذه الاية بقوله وما كان المؤمنون

ليس لها كافة وقال السدي نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية ومنهم من حمل هذا الامر على الندب
قال مجاهد ان ابا ايوب الانصاري شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف
عن غزوة غزاها المسلمون بعده فقيل له في ذلك فقال سمعت الله عز وجل يقول انفروا خفافا وثقالا لا
ولا اجدني الا خفيفا او ثقيلا وقال الزهري خرج سعيد بن المسيب وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك
عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وقال
صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا قد سقط حاجباه على عينيه من اهل دمشق على راحلته
يريد الغزو فقلت يا عم انت معذور عند الله فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا
الا انه من يحبه يبتليه والصحيح هو القول الاول وانها منسوخة وان الجهاد من فروض الكفايات
ويدل عليه ان هذه الايات نزلت في غزوة تبوك وان النبي صلى الله عليه وسلم خلف في المدينة في تلك
الغزاة النساء وبعض الرجال فدل ذلك على ان الجهاد من فروض الكفايات ليس على الاعيان والله
اعلم وقوله تعالى وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله فيه قولان الاول ان الجهاد انما يجب على
من له مال يتقوى به على تحصيل الات الجهاد ونفس سليمة قوية صالحة للجهاد فيجب عليه فرض الجهاد
والقول الثاني ان من كان له مال وهو مريض او مقعد او ضعيف لا يصلح للحرب فعليه الجهاد بماله بان
يعطيه غيره ممن يصلح للجهاد فيغزو بماله فيكون مجاهدا بماله دون نفسه ذلكم خير لكم يعني ذلكم
الجهاد خير لكم من القعود والتثاقل عنه وقيل معناه ان الجهاد خير حاصل لكم ثوابه ان كنتم تعلمون يعني
ان ثواب الجهاد خير لكم من القعود عنه ثم نزل في المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك قوله عز وجل لو كان عرضا قريبا فيه اضمار تقديره لو كان ما تدعوهم اليه عرضا يعني
غنيمة سهلة قريبة المتناول والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا ومتاعها يقال الدنيا عرض حاضر
ياكل منه البر والفاجر وسفرا قاصدا يعني سهلا قريبا لاتبعوك يعني لخرجوا معك ولكن بعدت عليهم
الشقة اي المسافة والشقة السفر البعيد لانه يشق على الانسان سلوكها ومعنى الاية لو كان العرض
قريبا والغنيمة سهلة والسفر قاصدا لاتبعوك طمعا في تلك المنافع التي تحصل لهم ولكن لما كان السفر
بعيدا وكانوا يستعظمون غزو الروم لا جرم انهم تخلفوا لهذا السبب ثم اخبر الله تعالى عنهم انه اذا رجع
من هذا الجهاد انهم يحلفون بالله وهو قوله وسيحلفون بالله يعني المنافقين الذين تخلفوا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزاة لو استطعنا لخرجنا معكم يعني الى هذه الغزوة يهلكون انفسهم
يعني بسبب هذه الايمان الكاذبة والنفاق وفيه دليل على ان الايمان الكاذبة تهلك صاحبها والله
يعلم انهم لكاذبون يعني في ايمانهم وايمانهم وهو قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم لانهم كانوا مستطيعين الخروج
قوله عز وجل عفا الله عنك لم اذنت لهم قال الطبري هذا عتاب من الله عز وجل عاتب به نبيه محمدا
صلى الله عليه وسلم في اذنه لمن اذن له في التخلف عنه من المنافقين حين شخص الى تبوك لغزو الروم والمعنى
عفا الله عنك يا محمد ما كان منك في اذنك لهؤلاء المنافقين الذين استاذنوك في ترك الخروج معك الى تبوك
قال عمرو بن ميمون الاودي اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء اذنه
للمنافقين واخذه الفداء من اسارى بدر فعاتبه الله كما تسمعون وقال سفيان بن عيينة انظر الى هذا
اللطف بداه بالعفو قبل ان يعيره بالذنب فصل استدل بهذه الاية من يرى جواز صدور
الذنوب من الانبياء وبيانه من وجهين احدهما انه تعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعي سابقة الذنب

الوجه

الوجه الثاني انه تعالى قال لم اذنت لهم وهذا استفهام معناه الانكار والجواب عن الاول انا لا نسلم
ان قوله تعالى عفا الله عنك يوجب صدور الذنب بل نقول ان ذلك يدل على المبالغة في التعظيم
والتوقير فهو كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظما له عفا الله عنك ما صنعت في امري رضي الله عنك
ما جوابك عن كلامي وعافاك الله وغفر لك كل هذه الالفاظ في ابتداء الكلام وافتتاحه تدل على تعظيم
المخاطب به قال علي بن الجهم يخاطب المتوكل
عفا الله عنك الا حرمة ... تجود بفضلك يا ابن العلا
الم تر عبدا عدا طوره ... ومولى عفا ورشيدا هدى
اقلني اقالك من لم يزل ... يقيك ويصرف عنك الردى
والجواب عن الثاني انه لا يجوز ان يكون المراد بقوله لم اذنت لهم الانكار عليه وبيانه اما ان يكون قد صدر عنه ذنب
في هذه الواقعة او لا فان كان قد صدر عنه ذنب فذكر الذنب بعد العفو لا يليق فقوله عفا الله عنك
يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه وان لم يكن قد صدر عنه ذنب
امتنع الانكار عليه فثبت بهذا ان هذا الانكار ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم وقال القاضي عياض
في كتابه الشفا الجواب عن قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فانه امر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم
فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله تعالى عليه معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا
من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل
ما يشاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله فاذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم
يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر
بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم
ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا
الله عنك اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي انها تكرمة وقال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله
واعزك وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله وقيل معناه ادام الله لك العفو لم اذنت لهم يعني في
التخلف عنك وهذا يحمل على ترك الاولى والاكمل لا سيما وهذه كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح
الدنيا حتى يتبين لك الذين صدقوا يعني في اعتذارهم وتعلم الكاذبين يعني فيما يعتذرون به
قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت براءة قوله تعالى
لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي في ان يجاهدوا وانما
حسن هذا الحذف لظهوره والله عليم بالمتقين يعني الذين يتقون مخالفته ويسارعون الى طاعته
انما يستاذنك يعني في التخلف عن الجهاد معك يا محمد من غير عذر الذين لا يؤمنون بالله واليوم
الاخر يعني المنافقين لقوله وارتابت قلوبهم يعني شكت قلوبهم في الايمان وانما اضاف الشك
والارتياب الى القلب لانه محل المعرفة والايمان ايضا فاذا دخله الشك كان ذلك نفاقا فهم في ريبهم
يترددون يعني ان المنافقين متحيرين لا مع الكفار ولا مع المؤمنين وقد اختلف علماء الناسخ والمنسوخ
في هذه الايات فقيل انها منسوخة بالاية التي في سورة النور وهو قوله تعالى انما يستاذنك الذين
يؤمنون بالله واليوم الاخر فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم وقيل انها محكمات كلها
ووجه الجمع بين هذه الايات ان المؤمنين كانوا يسارعون الى طاعة الله وجهاد عدوهم من غير استئذان
فاذا عرض لاحدهم عذر استاذن في التخلف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا في الاذن لهم بقوله
تعالى فاذن لمن شئت منهم واما المنافقون فكانوا يستاذنون في التخلف من غير عذر فعيرهم الله بهذا .

الاستيذان لكونه بغير عذر ولو ارادوا الخروج يعني الى الغزو معكم لاعدوا له عدة لتهيوا له بالاعداد
الات السفر والات القتال من الكراع والسلاح ولكن كره الله انبعاثهم يعني خروجهم الى الغزو معكم فثبطهم
يعني منعهم وحبسهم عن الخروج معكم والمعنى ان الله تعالى كره خروج المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فصرفهم عنه وها هنا يتوجه سوال وهو ان خروج المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما ان يكون فيه مصلحة او مفسدة فان كان فيه مصلحة فلم قال ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وان
كان فيه مفسدة فلم عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم في اذنه لهم بالقعود والجواب عن هذا السوال
ان خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة عظيمة بدليل انه تعالى اخبر بتلك
المفسدة بقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا بقي فلم عاتب الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله
لم اذنت لهم فنقول انه صلى الله عليه وسلم اذن لهم قبل تمام الفحص واكمال التامل والتدبر في حالهم فلهذا
السبب قال تعالى لم اذنت لهم وقيل انما عاتبه لاجل انه اذن لهم قبل ان يوحى اليه في امرهم بالقعود وقيل
اقعدوا مع القاعدين معناه انهم لما استاذنوا في القعود قيل لهم اقعدوا مع القاعدين وهم النساء
والصبيان والمرضى واهل الاعذار ثم اختلفوا في القايل من هو فقيل قاله بعضهم لبعض اقعدوا مع القاعدين
وقيل القايل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك لهم على سبيل الغضب لما استاذنوه
في القعود فقال لهم اقعدوا مع القاعدين فاغتنموا ذلك وقعدوا وقيل ان القايل ذلك هو الله تعالى
بان القى في قلوبهم القعود لما كره انبعاثهم مع المسلمين الى الجهاد ثم بين تعالى ما في خروجهم من المفاسد فقال
تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا يعني لو خرج هولا المنافقون معكم الى الغزو ما زادوكم الا فسادا
وشرا واصل الخبال الاضطراب ومرض يوثر في العقل كالجنون قال بعض النحاة هذا من الاستثنا المنقطع
والمعنى لو خرجوا فيكم ما زادوكم قوة لكن خبالا والمراد به هنا الافساد وايقاع الجبن والفشل بين المومنين
بتهويل الامر وشدة السفر وكثرة العدو وقلتهم ولاوضعوا خلالكم يعني ولاسرعوا فيكم وساروا بينكم
بالقا النميمة والاحاديث الكاذبة فيكم يبغونكم الفتنة يعني يطلبون لكم ما تفتنون به وذلك انهم
يقولون للمومنين لقد جمع لكم كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وانكم ستهزمون منهم وسيظهرون عليكم ونحو ذلك
من الاحاديث الكاذبة التي تجبن وقيل معناه يطلبون لكم العيب والشر وفيكم سماعون لهم قال مجاهد
وفيكم عيون لهم يودون اليهم اخباركم وما يسمعون منكم وهم الجواسيس قال قتادة وفيكم مطيعون لهم يسمعون
كلام المنافقين ويطيعونهم وذلك بانهم يلقوا اليهم انواعا من الشبهات الموجبة لضعف القلب فيقبلوها
منهم فان قلت كيف يجوز ان يكون في المومنين المخلصين من يسمع ويطيع للمنافقين قلت يحتمل ان يكون
بعض المومنين لهم اقارب من اكابر المنافقين وروسايهم فاذا قالوا قولا ربما اثر ذلك القول في قلوب
ضعفة المومنين في بعض الاحوال والله عليم بالظالمين وهذا وعيد وتهديد للمنافقين الذين يلقون
الفتن والشبهات بين المومنين وقوله تعالى لقد ابتغوا الفتنة من قبل يعني لقد طلبوا صد اصحابك يا محمد
عن الدين وردهم الى الكفار وتخذيل الناس عنك قبل هذا اليوم كما فعل عبد الله بن ابي ابن سلول يوم احد
حين انصرف باصحابه عنكم وقلبوا لك الامور يعني واجالوا فيك وفي امرك وفي ابطال دينك الراي وبالغوا
في تخذيل الناس عنك وقصدهم تشتيت امرك حتى جاء الحق يعني النصر والظفر وظهر امر الله وهم كارهون
يعني ذلك قوله عز وجل ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني نزلت في الجد بن قيس وكان من المنافقين وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز الى غزوة تبوك قال للجد بن قيس يا ابا وهب هل لك في جلاد بني الاصفر

يعني الروم

يعني الروم تتخذ منهم سراري ووصفا فقال الجد يا رسول الله لقد عرف قومي اني رجل مغرم بالنسا واني اخشى
ان رايت بنات بني الاصفر ان لا اصبر عنهن ائذن لي في القعود ولا تفتني بهن واعينك بمالي قال ابن عباس
اعتل الجد بن قيس ولم تكن به علة الا النفاق فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد اذنت
لك فانزل الله عز وجل فيه ومنهم يعني ومن المنافقين من يقول ائذن لي يعني في التخلف والقعود في المدينة
ولا تفتني يعني ببنات بني الاصفر وهم الروم الا في الفتنة سقطوا يعني انهم وقعوا في الفتنة العظمى
وهي النفاق ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين
يعني يوم القيمة يحيط بهم ويجمعهم فيها قوله تعالى ان تصبك حسنة تسوهم يعني ان تصبك يا محمد
حسنة من نصر وغنيمة يحزن المنافقين وان تصبك مصيبة يعني من هزيمة وشدة يقولوا يعني
المنافقين قد اخذنا امرنا يعني اخذنا امرنا بالجد والحزم في القعود عن الغزو من قبل يعني من قبل
هذه المصيبة ويتولوا وهم فرحون يعني مسرورون بما نالك من المصيبة وسلامتهم منها قل لن
يصيبنا الا ما كتب الله لنا يعني قل يا محمد لهولا الذين يفرحوا بما يصيبك من المصايب والمكروه لن
يصيبنا الا ما قدره الله لنا وعلينا وكتبه في اللوح المحفوظ لان القلم جف بما هو كاين الى يوم القيمة
من خير وشر فلا يقدر احد ان يدفع عن نفسه مكروها نزل به او يجلب لنفسه نفعا ان اراده ما لم
يقدر له هو مولانا يعني ان الله هو ناصرنا وحافظنا وهو اولى بنا من انفسنا في الموت والحياة وعلى
الله فليتوكل المومنون يعني في جميع امورهم قل هل تربصون بنا يعني قل يا محمد لهولا المنافقين هل تنتظرون
بنا ايها المنافقون الا احدى الحسنيين يعني اما النصر والغنيمة واما الشهادة والمغفرة وذلك
ان المسلم اذا ذهب الى الغزو والجهاد في سبيل الله اما ان يغلب عدوه فيفوز بالنصر والغنيمة
والاجر العظيم في الاخرة واما ان يقتل في سبيل الله فتحصل له الشهادة وهي الغاية القصوى ويدل
على ذلك ما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله وفي رواية تضمن الله لمن
خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن ان ادخله الجنة
او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نايلا ما نال من اجر او غنيمة اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى
ونحن نتربص بكم يعني ونحن ننتظر بكم احدى السوتين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده يعني فيهلككم
كما اهلك من كان قبلكم من الامم الخالية او بايدينا يعني او يصيبكم بايدي المومنين بان يظفرنا بكم
ويظهرنا عليكم فتربصوا انا معكم متربصون قال الحسن فتربصوا مواعيد الشيطان انا متربصون
مواعيد الله من اظهار دينه واستيصال من خالفه قل انفقوا طوعا او كرها نزلت في الجد بن قيس
المنافق وذلك انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القعود عنه وقال انا اعطيكم مالي فانزل
الله ردا عليه قل اي قل يا محمد لهذا المنافق وامثاله في المنافق انفقوا طوعا او كرها يعني انفقوا طايعين
من قبل انفسكم او مكرهين بالانفاق بالزام الله ورسوله اياكم بالانفاق لن يتقبل منكم لان هذا
الانفاق انما وقع لغير الله وهذه الاية وان كانت خاصة في انفاق المنافقين فهي عامة في حق كل
من انفق ماله لغير وجه الله بل انفقه ريا وسمعة فانه لا يقبل منه ثم علل سبب منع القبول
بقوله انكم اي لانكم كنتم قوما فاسقين والمراد بالفسق هنا الكفر ويدل عليه قوله تعالى وما
منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي المانع من قبول نفقاتهم هو كفرهم
بالله ورسوله ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى جمع كسلان يعني متثاقلين في الاتيان الى

الصلاة وذلك لانهم لا يرجون على فعلها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا ولذلك ذمهم مع فعلها ولا ينفقون
الا وهم كارهون لانهم كانوا يعتقدون الانفاق في سبيل الله مغرما ومنع ذلك الانفاق مغنما فلا تعجبك يا محمد
اموالهم ولا اولادهم وهذا الخطاب وان كان مختصا بالنبي صلى الله عليه وسلم الا ان المراد به جميع المومنين
والمعنى فلا تعجبوا باموال المنافقين واولادهم والاعجاب السرور بالشي مع نوع من الافتخار به مع الاعتقاد انه
ليس لغيره مثله وهذا يدل على استغراق النفس بذلك الشي ويكون سببا لانقطاعه عن الله عز وجل فينبغي
للانسان ان لا يعجب بشي من امور الدنيا ولذاتها فان العبد اذا كان من الله عز وجل في استدراج كثر ماله
وولده فكثر اعجابه بماله وولده فيبطر ويكفر نعمة الله عليه ولهذا قال تعالى انما يريد الله ليعذبهم بها
في الحياة الدنيا فان قلت كيف يكون المال والولد عذابا في الدنيا وفيهما اللذة والسرور في الدنيا قلت
قال مجاهد وقتادة في الاية تقديم وتاخير تقديرها فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحياة الدنيا انما يريد
الله ليعذبهم بها في الاخرة وقيل ان سبب كون المال والولد عذابا في الدنيا هو ما يحصل من المتاعب والمشاق
في تحصيلهما فاذا حصلا ازداد التعب وتحمل المشاق في حفظهما ويزداد الحزن والغم بسبب المصايب الواقعة
فيهما فعلى هذا القول لا حاجة الى التقديم والتاخير في نظم الاية واورد على هذا القول بان هذا التعذيب
حاصل لكل احد من بني ادم مومنهم وكافرهم فما فايدة تخصيص المنافقين بهذا التعذيب في الدنيا واجيب
عن هذا الايراد بان المنافقين مخصوصون بزيادة من هذا التعذيب وهو ان المومن قد علم انه مخلوق
للاخرة وانه يثاب بالمصايب الحاصلة له في الدنيا فلم يكن المال والولد في حقه عذابا في الدنيا واما
المنافق فانه لا يعتقد كون الاخرة وانه ليس له فيها ثواب فيبقى ما يحصل له في الدنيا من التعب والمشقة
والغم والحزن على المال والولد عذابا عليه في الدنيا فثبت بهذا الاعتبار ان المال والولد عذابا على المنافق
في الدنيا دون المومن وقيل ان تعذيبهم بها في الدنيا اخذ الزكاة منهم والنفقة في سبيل الله غير مثابين
على ذلك وربما قتل الولد في الغزو فلا يثاب لان الولد المنافق على قتل ولده وذهاب ماله وقيل يعذبهم بالتعب
في جمعه وحفظه والكره في انفاقه والحسرة على تخليفه عند من لا يحمده ثم يقدم في الاخرة على ملك لا يعذره
وتزهق انفسهم اي وتخرج انفسهم وهم كافرون والمعنى انهم يموتون على الكفر فتكون عاقبتهم بعد عذاب
الدنيا عذاب الاخرة قوله عز وجل ويحلفون بالله يعني المنافقين انهم لمنكم يعني على دينكم وملتكم وما هم
منكم يعني انهم كاذبين في ايمانهم ولكنهم قوم يفرقون يعني انهم يخافون ان تظهروا على ما هم عليه من النفاق لو
يجدون ملجا يعني حرزا وحصنا ومعقلا يلجون اليه وقيل لو وجدوا مهربا لهربوا اليه وقيل لو يجدون قوما
يامنون عندهم على انفسهم منكم لصاروا اليهم ولفارقوكم او مغارات يعني غيرانا في الجبال جمع مغارة وهي
الموضع الذي يغور فيه الانسان اي يستتر او مدخلا يعني موضع دخول يدخلون فيه وهو السرب في الارض
كنفق اليربوع وقال الحسن وجها يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لولوا اليه والمعنى انهم
لو وجدوا مكانا بهذه الصفة او على احد هذه الوجوه الثلاثة وهي شر الامكنة واضيقها لولوا اليه اي
لرجعوا اليه وتحرزوا فيه وهم يجمحون يعني وهم يسرعون الى ذلك المكان والمعنى ان المنافقين لشدة بغضهم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين لو قدروا ان يهربوا منكم الى احد هذه الامكنة لصاروا اليه لشدة
بغضهم اياكم قوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات نزلت في ذي الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير
وهو اصل الخوارج ق عن ابي سعيد الخدري قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما اتاه
ذو الخويصرة رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك من يعدل

اذالم

اذا لم اعدل وفي رواية قد خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب ايذن لي فيه فاضرب عنقه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم زاد في رواية
يقرؤن القران لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام وفي رواية من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقال الكلبي
قال رجل من المنافقين يقال له ابو الجواظ لم يقسم بالسوية فنزلت هذه الاية وقال قتادة ذكر لنا ان
رجلا من اهل البادية حديث عهد باعرابية اتى نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهبا وفضة
فقال يا محمد والله لين كان الله امرك ان تعدل فما عدلت فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم ويلك فمن ذا
يعدل عليك بعدي وقال ابن زيد قال المنافقون والله ما يعطيها محمد الا من احب ولا يوثر بها الا هواه
فانزل الله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات يعني من المنافقين من يعيبك في قسم الصدقات وفي تفريقها
ويطعن عليك في امرها يقال همزه ولمزه بمعنى واحد اي اعابه فان اعطوا منها يعني من الصدقات
رضوا يعني رضوا عنك في قسمتها وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون يعني وان لم تعطهم منها عابوا
عليك وسخطوا ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله يعني ولو ان المنافقين الذين عابوا عليك رضوا
بما قسم الله لهم وقنعوا بما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله اي كافينا الله سيوتينا الله من
فضله ورسوله يعني ما نحتاج اليه انا الى الله راغبون يعني في ان يوسع علينا من فضله فيغنينا
عن الصدقة وعن غيرها من اموال الناس وجواب لو محذوف تقديره لكان خيرا لهم واعود عليهم قوله
عز وجل انما الصدقات للفقرا والمساكين الاية اعلم ان المنافقين لما لمزوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعابوه في قسم الصدقات بين الله عز وجل في هذه الاية ان المستحقين للصدقات هولاء
الاصناف الثمانية ومصرفها اليهم ولا تعلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها بشي ولم ياخذ لنفسه
منها شيا فلم يلمزونه ويعيبون عليه فلا مطعن لهم فيه بسبب قسم الصدقات عن زياد بن الحرث الصدائي
قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فاتاه رجل فقال اعطني من الصدقة فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو فجزاها ثمانية اجزا
فان كنت من تلك الاجزا اعطيتك حقك اخرجه ابو داود فصل في بيان حكم هذه الاية وفيه
مسايل المسيلة الاولى في بيان وجه الحكمة في ايجاب الزكاة على الاغنيا وصرفها الى المحتاجين من الناس
وذلك من وجوه الوجه الاول ان المال محبوب بالطبع وسببه ان القدرة صفة من صفات الكمال وصفة
الكمال محبوبة لذاتها والمال سبب لتحصيل تلك القدرة فكان المال محبوبا بالطبع واذا استغرق القلب
في حب المال اشتغل به عن حب الله عز وجل وعن الاشتغال بالطاعات المقربة الى الله فاقتضت الحكمة
الالهية بايجاب الزكاة في ذلك المال توجب قسوة القلب وحب الدنيا والميل الى شهواتها ولذاتها
فاوجب الله تعالى الزكاة ليقل ذلك المال الذي هو سبب لقساوة القلب الوجه الثالث سبب وجوب
الزكاة امتحان العبد المومن لان التكاليف البدنية غير شاقة على العبد واخراج المال مشق على النفس
فاوجب الله عز وجل الزكاة على العباد ليمتحن باخراج الزكاة المطيع المخرج لها طيبة بها نفسه من العاصي
المانع لها الوجه الرابع ان المال مال الله والاغنيا خزان الله والفقرا عيال الله فامر الله تعالى خزانه
الذين هم اغنيا بدفع طايفة من ماله الى عياله فيثيب العبد المومن المطيع المسارع الى امتثال الامر المشفق
على عياله ويعاقب العبد العاصي المانع لعياله ماله ق عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان الخازن المسلم الامين الذي ينفذ وربما قال يعطي ما امر به فيعطيه كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه

الى الذى امر الله به احد المنفعة فهي الوجه الخامس ان الفقرا ربما تعلقت قلوبهم بالاموال التى بايدى الاغنيا
فاوجب الله عز وجل نصيبا للفقرا فى ذلك المال تطييبا لقلوبهم الوجه السادس ان المال الفاضل عن
حاجة الانسان الاصلية اذا امسك بقى معطلا عن المقصود الذى لاجله خلق المال فامر بدفع الزكاة الى
الفقرا حتى لا يصير ذلك المال معطلا بالكلية المسئلة الثانية الاية تدل على انه لا حق لاحد فى الصدقات
الا لهولا الاصناف الثمانية وذلك مجمع عليه لان كلمة انما تفيد الحصر وذلك لانها مركبة من ان وما
فكلمة ان للاثبات وكلمة ما للنفي فعند اجتماعهما يفيد الحكم المذكور وصرفه عما عداه فدل بذلك
على ان الصدقات لا تنصرف الا الى الاصناف الثمانية المسئلة الثالثة فى بيان الاصناف الثمانية
فالصنف الاول الفقرا والثانى المساكين وهم المحتاجون الذين لا يفي خرجهم بدخلهم ثم اختلف العلما فى
الفرق بين الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهري الفقير الذى لا يسئل
والمسكين السائل قال ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم الى الدرهم والتمرة الى التمرة ولكن الفقير من
انقى نفسه وثيابه لا يقدر على شي يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف وقال قتادة الفقير المحتاج
الزمن والمسكين الصحيح المحتاج وقال الشافعي الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا زمنا كان
او غير زمن والمسكين من له مال او حرفة ولكن لا يقع منه موقعا لكفايته سائلا كان او غير سائل فالمسكين
عنده احسن حالا من الفقير وقال ابو حنيفة واصحاب الراي الفقير احسن حالا من المسكين ومن
الناس من قال لا فرق بين الفقير والمسكين حجة الشافعي ومن وافقه ان الله تعالى حكم بصرف الصدقات
الى هولا الاصناف الثمانية دفعا لحاجتهم وتحصيلا لمصلحتهم فبدا بالفقرا وانما يبدا بالاهم فالاهم
فلولم تكن حاجتهم اشد من حاجة المساكين لما بدا بهم واصل الفقير المكسور الفقار قال لبيد

لما راى لبد النسور تطايرت ٭ رفع القوادم كالفقير الاعزل

قال ابن الاعرابي الفقير فى هذا البيت المكسور الفقار فثبت بهذا ان الفقير انما سمي فقيرا لزمانته
وحاجة شديدة وتمنعه الزمانة من التقلب فى الكسب ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من
الفقر وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني فى زمرة المساكين يوم القيمة رواه الترمذي
من حديث انس فلو كان المسكين اسوا حالا من الفقير لما تعوذ من الفقر وسال المسكنة فثبت بهذا ان المسكين
احسن حالا من الفقير ولان الله تعالى قال اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فاثبت لهم ملكا
مع اسم المسكنة لان السفينة من سفن البحر تساوى دنانير كثيرة ولان الغني والفقر ضدان والمسكنة
قسم ثالث بينهما فثبت بهذا ان الفقير اشد حالا من المسكين وحجة ابى حنيفة ومن وافقه على ان المسكين
اسوا حالا من الفقير قوله او مسكينا ذا متربة وصف المسكين بكونه ذا متربة وهو الذى لصق جلده بالتراب
وهذا يدل على غاية الضر والشدة ولان الله تعالى جعل الكفارات للمساكين فلو لم يكن المسكين اشد
حاجة من غيره لما جعلها له واحتج ايضا بقول الراعي

اما الفقير الذى كانت حلوبته ٭ وفق العيال فلم يترك له سبد

واحتج ايضا بقول الاصمعي وابى عمرو بن العلا ان الفقير الذى له ما ياكل والمسكين الذى لا شي له وكذا
قال القتيبي الفقير الذى له البلغة من العيش والمسكين الذى لا شي له وقيل الفقير الذى له المسكن
والخادم والمسكين الذى لا ملك له وقيل ان كل محتاج الى شي فهو فقير اليه وان كان غنيا قال الله تعالى
انتم الفقرا الى الله فاثبت لهم اسم الفقر مع وجدان المال والجواب عن هذه الحجج اما قوله او مسكينا ذا

مترتبة

متربة فهي حجة لمذهب الشافعي لانه قيد المسكين المذكور هنا بكونه ذا متربة فدل على انه قد يوجد مسكين
لا بهذه الصفة والا لم يبق لهذا القيد فايدة والجواب عن جعل الكفارات للمساكين انه هو الفقير الذى
لصق جلده بالتراب من شدة المسكنة والجواب عن الاستدلال ببيت الراعي انه ذكر الفقير وحده
فكل فقيرا فرد بالاسم جاز اطلاق المسكين عليه فسقط الاستدلال به واما الروايات المذكورة فهي
معارضة بما تقدم من الروايات عن ابن عباس وغيره من المفسرين وفى الجملة ان الفقر والمسكنة
عبارتان عن شدة الحاجة وضعف الحال فالفقير هو الذى كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين هو
الذى ضعفت نفسه وسكنت عن الحركة فى طلب القوت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذى مرة سوى اخرجه النساي وابو داود وله فى رواية
اخرى ولا لذى مرة قوى عن عبيد الله بن عدي قال اخبرني رجلان انهما اتيا النبي صلى الله عليه
وسلم وهو فى حجة الوداع وهو يقسم الصدقة فسالاه منها فرفع فينا النظر وخفضه فرانا جلدين
فقال ان شيتما اعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب اخرجه ابو داود والنساي واخرجه الشافعي
ولفظه ان رجلين اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالاه عن الصدقة فقال ان شيتما اعطيتكما
ولا حظ فيها لغني ولا لذى قوة مكتسب واختلف العلما فى حد الغني الذى يمنع من اخذ الصدقة
فقال الاكثرون حده ان يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة وهو قول مالك والشافعي وقال اصحاب
الراي حده ان يملك مايتى درهم وقال قوم من ملك خمسين درهما او قيمتها لا تحل له الصدقة
لما روي عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال الناس وله ما يغنيه
جا يوم القيمة ومسالته فى وجهه خموش او خدوش او كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه قال
خمسون درهما او قيمتها من الذهب اخرجه ابو داود والترمذي والنساي وهذا قول الثوري
وابن المبارك واحمد واسحق وقالوا لا يجوز ان يعطى الرجل اكثر من خمسين درهما من الزكاة وقيل اربعون درهما
لما روي عن ابى سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال وله قيمة اوقية فقد الحف
اخرجه ابو داود وكانت الاوقية فى ذلك الزمان اربعون درهما الصنف الثالث قوله والعاملين
عليها وهم السعاة الذين يتولون جباية الصدقات وقبضها من اهلها ووضعها فى وجهها فيعطون
من مال الصدقات بقدر اجور اعمالهم سوا كانوا فقرا او اغنيا وهذا قول ابن عمر وبه قال الشافعي وقال
مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات وظاهر اللفظ مع مجاهد الا ان الشافعي يقول هو
اجرة عمل فيتقدر بقدر العمل والصحيح ان الهاشمي والمطلبي لا يجوز ان يكون عاملا على الصدقات لما روي
عن ابى رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من بنى مخزوم على الصدقة فاراد ابو رافع
ان يتبعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل لنا الصدقة وان مولى القوم منهم اخرجه الترمذي
والنساي الصنف الرابع قوله تعالى والمولفة قلوبهم وهم قسمان قسم مسلمون وقسم كفار فاما قسم
المسلمين فقسمان القسم الاول هم قوم من اشراف العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من
الصدقات يتالفهم بذلك كما اعطى عيينة بن بدر بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس
السلمي فهولا اسلموا وكانت نيتهم قوية فى الاسلام وهم اشراف قومهم مثل عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم تالفا لقومهم وترغيبا لامثالهم فى الاسلام فيجوز للامام
ان يعطي امثال هولا من خمس الغنيمة والفي من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله

صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم من ذلك ومن الصدقات ايضا القسم الثاني من مولفة المسلمين وهم قوم
من المسلمين يكونوا بازا قوم من الكفار في موضع لا تبلغهم جيوش المسلمين الا بكلفة كبيرة ومونة عظيمة
وهولا الذين بازايهم من المسلمين لا يجاهدونهم اما لضعف نيتهم او لضعف حالهم فيجوز للامام ان يعطيهم
من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المولفة قلوبهم ومن هولا قوم بازا جماعة من مانعي الزكاة
ياخذون منهم الزكاة ويحملونها الى الامام فيعطيهم الامام من سهم المولفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل
الله روي ان عدي بن حاتم جا ابا بكر بثلثمائة من الابل من صدقات قومه فاعطاه ابو بكر منها ثلاثين بعيرا
اما مولفة الكفار فهم قوم يخشى شرهم او يرجى اسلامهم فيجوز للامام ان يعطي من يخاف شره او يعطيه رجا
اسلامه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس كما اعطى صفوان بن امية لما كان
يرى من ميله الى الاسلام اما اليوم فقد اعز الله الاسلام ولله الحمد على ذلك واغناه ان يتالف عليه
احد من المشركين فلا يعطى مشرك تالفا بحال وقد قال بهذا كثير من اهل العلم وراوا ان المولفة منقطعة
وسهمهم ساقط يروى ذلك عن ابن عمر وعكرمة وهو قول الشعبي وبه قال مالك والثوري واصحاب الراي
واسحق بن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت لم يسقط يروى ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وابي جعفر
محمد بن علي وابي ثور وقال احمد يعطون ان احتاج المسلمون الى ذلك الصنف الخامس قوله تعالى **وفي الرقاب**
قال الزجاج فيه حذف تقديره وفي فك الرقاب وفي تفسير الرقاب اقوال الاول ان سهم الرقاب موضوع في
المكاتبين فيدفع اليهم ليعتقوا به وهو مذهب الشافعي وهو قول اكثر الفقها منهم سعيد بن جبير والنخعي
والزهري والليث بن سعد ويدل عليه ايضا قوله تعالى واتوهم من مال الله الذي اتاكم القول الثاني
وهو مذهب مالك واحمد واسحق ان سهم الرقاب موضوع لعتق الرقاب فيشترى به عبيد ويعتقون
ويدل عليه ما روي عن ابن عباس انه قال لا باس ان يعتق الرجل من الزكاة القول الثالث وهو مذهب
ابي حنيفة واصحابه انه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة ولكن يعطى منها في عتق رقبة ويعان بها مكاتب لان
قوله وفي الرقاب يقتضي التبعيض القول الرابع وهو قول الزهري ان سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين
ونصف يشترى به عبيد ممن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون من الزكاة قال اصحابنا الاحوط في
سهم الرقاب ان يدفع الى السيد باذن المكاتب ويدل عليه انه تعالى اثبت الصدقات للاصناف الاربعة
المتقدمة بلام التمليك فقال انما الصدقات للفقرا وقال في الصنف الخامس وفي الرقاب فلا بد لهذا
الفرق من فايدة وهي ان الاصناف الاربعة المتقدم ذكرها يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفوا
ذلك فيما شاوا واما الرقاب فيوضع نصيبهم في تخليص رقابهم من الرق ولا يدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف
فيه وكذا القول في الغارمين فيصرف نصيبهم في قضاء ديونهم وفي الغزاة يصرف نصيبهم فيما يحتاجون
اليه في الغزو وكذا في ابن السبيل فيصرف اليه ما يحتاج في سفره الى بلوغ غرضه الصنف السادس قوله
تعالى **والغارمين** اصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق وسمي الدين غرما لكونه شاقا على الانسان والمراد
بالغارمين هنا المديونون وهم قسمان قسم ادانوا لانفسهم في غير معصية فيعطون من مال الصدقات
بقدر ديونهم اذا لم يكن لهم مال يفي بديونهم فانه كان عندهم وفا فلا يعطون وقسم ادانوا في المعروف
واصلاح ذات البين فيعطون من مال الصدقات ما يقضون به ديونهم وان كانوا اغنيا لما روي
عن عطا بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز
في سبيل الله او لعامل عليها او لغارم او لرجل اشتراها بماله او لرجل كان له جار مسكين فتصدق على

المسكين

المسكين فاهدى المسكين للغني اخرجه ابو داود مرسلا لان عطا لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ورواه
معمر عن زيد بن اسلم عن عطا بن يسار عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم متصلا بمعناه اما من
كان دينه في معصية فلا يعطى من الصدقات شي السابع قوله تعالى **وفي سبيل الله** يعني وفي النفقة
في سبيل الله واراد به الغزاة فلهم سهم من مال الصدقات فيعطون اذا ارادوا الخروج الى الغزو
ما يستعينون به على امر الجهاد من النفقة والكسوة والسلاح والحمولة فيعطون ذلك وان كانوا
اغنيا لما تقدم من حديث عطا وابي سعيد الخدري ولا يعطى من سهم سبيل الله لمن اراد الحج عند
اكثر اهل العلم وقال قوم يجوز ان يصرف سهم سبيل الله الى الحج يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول
الحسن واليه ذهب احمد بن حنبل واسحق بن راهويه وقال بعضهم ان اللفظ عام فلا يجوز قصره
على الغزاة فقط ولهذا اجاز بعض الفقها صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى
وبنا الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك قال لان قوله وفي سبيل الله عام في الكل
فلا يختص بصنف دون غيره والقول الاول هو الصحيح لاجماع الجمهور عليه الصنف الثامن قوله
تعالى **وابن السبيل** يعني المسافر من بلد الى بلد والسبيل الطريق سمي المسافر ابن السبيل لملازمته
الطريق قال الشاعر ۵ انا ابن الحرب ربتني وليدا الى ان شبت واكتهلت لداتي ۵ فكل من يريد
سفرا مباحا ولم يكن له ما يقطع به مسافة سفره فيعطى من الصدقات ما يكفيه لمونة سفره سوا
كان له مال في البلد الذي يقصده او لم يكن له وقال قتادة ابن السبيل هو الضعيف وقال فقها العراق ابن
السبيل هو الحاج المنقطع وقوله تعالى **فريضة من الله** يعني ان هذه الاحكام التي ذكرها في هذه الاية
فريضة واجبة من الله وقيل فرض الله هذه الاشيا فريضة **والله عليم** يعني بمصالح خلقه **حكيم** يعني فيما فرض
لهم لا يدخل في حكمه وتدبيره نقص ولا خلل المسيلة الرابعة في احكام متفرقة تتعلق بالزكاة اتفق العلما ان
المراد بقوله انما الصدقات للفقرا الزكاة المفروضة بدليل قوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم واختلفوا
في كيفية قسمها وفي جواز صرفها الى بعض الاصناف دون بعض فذهب جماعة من الفقها الى انه لا يجوز صرفها
كلها الى بعض الاصناف مع وجود الباقين وهو قول عكرمة واليه ذهب الشافعي قال الشافعي يجب ان يقسم
زكاة ماله على الموجودين من الاصناف الستة الذين سهمانهم ثمانية قسمة على السوا لان سهم المولفة ساقط
وسهم العامل ساقط اذا قسم زكاته بنفسه ثم حصة كل صنف من الاصناف الستة لا يجوز ان تصرف الى اقل
من ثلاثة منهم ان وجد منهم ثلاثة او اكثر فلو فاوت بين اوليك الثلاثة جاز فان لم يجد في بعض الاصناف
الا واحدا دفع حصة ذلك الصنف اليه ما لم يخرج عن حد الاستحقاق فان انتهت حاجته وفضل شي رده
الى الباقين وذهب جماعة من العلما الى انه لو صرف الكل الى صنف واحد من هذه الاصناف او الى شخص واحد
منهم جاز لان الله تعالى انما سمى هذه الاصناف الثمانية اعلاما منه ان الصدقة لا تخرج عن هذه الثمانية
لا ايجابا منه لقسمتها بينهم جميعا وهذا قول عمر وابن عباس وبه قال سعيد بن جبير وعطا واليه ذهب سفيان
الثوري واصحاب الراي واحمد بن حنبل قال احمد يجوز ان يضعها في صنف واحد وتفريقها اولى وقال ابراهيم النخعي
ان كان المال كثيرا يحتمل الاجزا قسمه على الاصناف وان كان قليلا وضعه في صنف واحد وقال مالك يتحرى
موضع الحاجة منهم ويقدم الاولى فالاولى من اهل الخلة والحاجة فان راى الخلة في الفقرا عاما قدمهم وان راها
في عام في صنف اخر حولها اليهم وكل من دفع اليه شيا من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق فلا يزيد الفقير
على قدر غناه وهو ما يحتاج اليه فان تحصل ادنى اسم الغنى فلا يعطى بعده شي وان كان محترفا لكنه لا يجد الحرفة

فيعطى قدر ما يحصل به الترفه فالاعتبار عند الشافعي بما يدفع الحاجة من غير حد وقال احمد لا يعطى الفقير
اكثر من خمسين درهما وقال ابو حنيفة اكره ان يعطى رجل واحد من الزكاة مائتي درهم فان اعطيته اجزا فان اعطا
من يظنه فقيرا فبان انه غني فهل يجزي فيه قولان ولا يجوز ان يعطى صدقته لمن تلزمه نفقته وبه قال مالك
والثوري وقال ابو حنيفة والشافعي لا يعطي والديه ولا ولده وان سفل ولا زوجته ويعطي من عداهم وتحرم
الصدقة على ذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب فلا يدفع اليهم من الزكاة شي لقوله صلى الله عليه
وسلم انا وبنو المطلب شي واحد لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وتحرم الصدقة على موالي بني هاشم وبني
المطلب لقوله صلى الله عليه وسلم موالي القوم منهم وقال مالك لا يحرم واختلفوا في نقل الصدقة عن
بلد المال الى بلد اخر مع وجود المستحقين في بلد المال فكرهه اكثر اهل العلم لتعلق قلوب فقراء ذلك البلد
بذلك المال ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ واعلمهم ان الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم
ترد في فقرائهم الحديث بطوله في الصحيحين واتفقوا على انه اذا نقل المال الى بلد اخر واداه الى فقراء ذلك
البلد سقط عنه الفرض الا ما حكي عن عمر بن عبد العزيز فانه رد صدقة حملت من خراسان الى الشام
فردها الى مكانها من خراسان والله اعلم قوله تعالى **ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن**
نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون رسوله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويقولون ما لا ينبغي فقال
بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد وهو من المنافقين بل
نقول ما شئنا ثم ناتيه وننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول فانما محمد اذن اي اذن سامعة كلما
يقال له يقبله وقيل معنى هو اذن اي ذو اذن سامعة وقال محمد بن اسحق نزلت في رجل من المنافقين
يقال له نبتل بن الحرث وكان ارمش شاين الشعر احمر العينين اسفع الخدين مشوه الخلقة وقد قال فيه النبي
صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث وكان ينم حديث النبي صلى الله
عليه وسلم الى المنافقين فقيل له لا تفعل ذلك فقال انما محمد اذن من حدثه شيا صدقه فنقول ما شئنا
ثم ناتيه ونحلف له فيصدقنا فانزل الله هذه الاية ومقصود المنافقين بقولهم هو اذن انه ليس بعيد
غور بل هو سليم سريع الاغترار بكل ما يسمع فاجاب الله عنه تعالى بقوله **قل اذن خير لكم** يعني هو اذن
لكنه اذن خير لكم كقولك رجل صدق وشاهد عدل والمعنى انه مستمع خير وصلاح لا مستمع شر وفساد وقري
اذن خير مرفوعين منونين ومعناه يستمع منكم ويصدقكم خير لكم من ان يكذبكم ولا يقبل قولكم ثم وصف الله
تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله **يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين** يعني انه يصدق المؤمنين ويقبل
قولهم ولا يقبل قول المنافقين وانما عدى الايمان بالله بالبا والايمان للمؤمنين باللام لان الايمان بالله
هو نقيض الكفر فلا يتعدى الا بالبا فيقال امنت بالله والايمان للمؤمنين معناه تصديق المؤمنين فيما
يقولونه فلا يتعدى الا باللام ومنه قولك ما انت بمؤمن لنا وقوله امنتم له **ورحمة** اي وهو رحمة **للذين امنوا منكم**
وانما قال منكم لان المنافقين كانوا يزعمون انهم مؤمنين فبين الله تعالى انه رحمة للمؤمنين المخلصين لا للمنافقين
وقيل في كونه صلى الله عليه وسلم رحمة لانه يجري احكام الناس على الظاهر ولا ينقب عن احوالهم ولا يهتك
اسرارهم **والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم** يعني في الاخرة قوله عز وجل **يحلفون بالله لكم
ليرضوكم** قال قتادة والسدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس بن سويد ووديعة بن ثابت فوقعوا
في رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام من
الانصار اسمه عامر بن قيس فحقروه وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام من قولهم وقال والله ان

ما يقول

ما يقول محمد حق وانتم شر من الحمير ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره فدعاهم فسالهم فانكروا وحلفوا
ان عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبة فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول اللهم
صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل والكلبي نزلت في رهط من المنافقين
تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم اتوه يعتذرون ويحلفون فانزل الله
هذه الاية والمعنى يحلفون لكم ايها المؤمنون يعني المنافقين ليرضوكم يعني فيما بلغكم عنهم من اذى رسول
الله صلى الله عليه وسلم **والله ورسوله احق ان يرضوه** اختلفوا في معنى هذا الضمير الى ماذا يعود
فقيل الضمير عائد على الله تعالى لان في رضى الله رضى رسوله صلى الله عليه وسلم والمعنى والله احق ان
يرضوه بالتوبة والاخلاص وقيل يجوز ان يكون المراد يرضوهما فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر وقيل
معناه والله احق ان يرضوه وكذلك رسوله **ان كانوا مومنين** يعني ان كان هولا المنافقين مصدقين
بوعد الله ووعيده في الاخرة قوله تعالى **الم يعلموا** قال اهل المعاني الم تعلم خطاب لمن علم شيا ثم نسيه او
انكره فيقال له الم تعلم انه كان كذا وكذا ولما طال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهر المومنين
والمنافقين وعلمهم من احكام الدين ما يحتاجون اليه فخاطب المنافقين بقوله الم يعلموا يعني من شرايع
الدين التي علمهم رسولنا **انه من يحادد الله ورسوله** يعني انه من يخالف الله ورسوله واصل المحادة
في اللغة المخالفة والمجانبة والمعاداة واشتقاقه من الحديد يقال حاد فلان فلانا اذا صار في غير حده
وخالفه في امره وقيل معنى يحادد الله ورسوله اي يحارب الله ورسوله ويعاند الله ورسوله **فان له نار
جهنم** اي فحق ان له نار جهنم **خالدا فيها** يعني على الدوام **ذلك الخزي العظيم** يعني ذلك الخلود في
نار جهنم هو الفضيحة العظيمة قوله عز وجل **يحذر المنافقون** يعني يخشى المنافقون **ان تنزل عليهم
سورة** يعني على المومنين **تنبيهم** يعني تخبر المومنين **بما في قلوبهم** يعني بما في قلوب المنافقين من الحسد
والعداوة للمومنين وذلك ان المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون المومنين بسو ويسترونه ويخافون
الفضيحة ونزول القران في شانهم قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة
يعني انها فضحت المنافقين وبعثرت عن اخبارهم واثارتها وحفرت عن مخازيهم ومثالبهم وقال ابن عباس
انزل الله ذكر سبعين رجلا من المنافقين باسمايهم واسما ابايهم ثم نسخ ذكر الاسما رحمة منه على المومنين
لئلا يعير بعضهم بعضا لان اولادهم كانوا مومنين **قل استهزءوا** امر تهديد فهو كقوله اعملوا ما شئتم
ان الله مخرج اي مظهر **ما تحذرون** والمعنى ان الله يظهر الى الوجود ما كان المنافقون يسترونه ويخفونه
عن المومنين قال ابن كيسان نزلت هذه الاية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به اذا علاها وتنكروا له في ليلة مظلمة فاخبر جبريل
رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد اضمروا وامره ان يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم وكان معه
عمار بن ياسر يقود ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه
رواحلهم فضربها حذيفة حتى نحاهم عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم اعرف
منهم احدا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال
حذيفة هلا بعثت اليهم من يقتلهم فقال اكره ان تقول العرب لما ظفر باصحابه اقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله
بالدبيلة م عن قيس بن عبادة قال قلت لعمار ارايتكم قتالكم ارايا رايتموه فان الراي يخطي ويصيب ام عهدا
عهده اليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا لم يعهده

الى الناس كافة وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في امتي قال شعبة واحسبه قال حدثني
حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في امتي اثني عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون
ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم يكفيكهم الدبيلة سراج من نار يظهر في اكتافهم حتى ينجم من صدورهم
وقوله تعالى **ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب** الاية وسبب نزولها على ما قال زيد بن اسلم
ان رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك ما لقرائنا هؤلاء ارغبنا بطونا واكذبنا السنة
واجبننا عند اللقاء فقال له عوف كذبت ولكنك منافق ولاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه قال زيد قال عبد
الله بن عمر فنظرت اليه يعني الى المنافق متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة
يقول انما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبالله وآياته ورسوله كنتم
تستهزؤن ما يزيده قال محمد بن اسحق الذي قال هذه المقالة فيما بلغني وديعة بن ثابت اخو
بني امية بن زيد بن عمرو بن عوف وقال قتادة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك
وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا يرجوا هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات
هيهات فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم احبسوا
على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله انما كنا نخوض ونلعب فانزل الله فيهم ما تسمعون
وقال الكلبي ومقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من
المنافقين اثنان يستهزئان بالقرآن والرسول والثالث يضحك قيل كانوا يقولون ان محمدا
يزعم انه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما ابعده من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه نزل
في اصحابنا قرآن انما هو قوله وكلامه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا
فدعاهم وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب ومعنى الاية ولئن سالت يا محمد هؤلاء
المنافقين عما يقولون فيما بينهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعله
الركب يقطعون الطريق بالحديث واللعب واصل الخوض الدخول في مائع كالماء والطين ثم كثر استعماله
حتى صار يستعمل في كل دخول فيه تلويث واذى **قل** اي قل يا محمد لهؤلاء المنافقين **أبالله وآياته ورسوله كنتم
تستهزؤن** فيه توبيخ وتقريع للمنافقين وانكار عليهم والمعنى كيف تقدمون على ايقاع الاستهزاء بالله
يعني بفرائض الله وحدوده واحكامه والمراد بآياته كتابه وبرسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
ويحتمل ان المنافقين لما قالوا كيف يقدر محمد على اخذ حصون الشام قال بعض المسلمين الله يعينه
على ذلك فذكر بعض المنافقين كلاما يشعر بالقدح في قدرة الله وانما ذكروا ذلك على طريق الاستهزاء
قوله عز وجل **لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم** يعني قل لهؤلاء المنافقين لا تعتذروا بالباطل ومعنى
الاعتذار محو اثر الموجدة من قلب المعتذر اليه وقيل معنى العذر قطع اللائمة عن الجاني قد كفرتم بعد
ايمانكم يعني ان الاستهزاء بالله كفر والاقدام عليه يوجب الكفر فلهذا قال تعالى لا تعتذروا قد
كفرتم بعد ايمانكم فان قلت كيف قال قد كفرتم بعد ايمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين قلت
معناه اظهرتم الكفر بعد ما كنتم قد اظهرتم الايمان وذلك ان المنافقين كانوا يكتمون الكفر ويظهرون
الايمان فلما حصل ذلك الاستهزاء منهم وهو كفر قيل لهم قد كفرتم بعد ايمانكم وقيل معناه قد كفرتم عند
المؤمنين بعد ان كنتم عندهم مؤمنين وقوله تعالى **ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم**

كانوا

كانوا مجرمين ذكر المفسرون ان الطائفتين كانوا ثلاثة فالواحد طائفة والاثنان طائفة والعرب
توقع لفظ الجمع على الواحد فلهذا اطلق لفظ الطائفة على الواحد قال محمد بن اسحق الذي عفي
عنه رجل واحد وهو مخشي بن حمير الاشجعي يقال انه هو الذي كان يضحك ولا يخوض وقيل انه كان يمشي
مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع فكان ذنبه اخف فلما نزلت الاية تاب من نفاقه ورجع الى الاسلام
وقال اللهم اني لا ازال اسمع آية تقرأ اعنى بها تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي
قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة ولم يعرف احد
من المسلمين مصرعه وقوله تعالى **المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض** يعني انهم على امر واحد ودين
واحد مجتمعون على النفاق والاعمال الخبيثة كما يقول الانسان لغيره انا منك وانت مني اي امرنا واحد
لا مباينة فيه **يامرون بالمنكر** يعني يامر بعضهم بعضا بالشرك والمعصية وتكذيب الرسول صلى الله عليه
وسلم **وينهون عن المعروف** يعني عن الايمان والطاعة وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم **ويقبضون
ايديهم** يعني عن الانفاق في سبيل الله وفي كل خير **نسوا الله فنسيهم** هذا الكلام لا يمكن اجراؤه على ظاهره
لانا لو حملناه على النسيان الحقيقي لم يستحقوا ذما عليه لان النسيان ليس في وسع البشر دفعه وايضا
فان النسيان في حق الله تعالى محال فلا بد من التاويل وقد ذكروا فيه وجهين الاول معناه انهم تركوا امره
حتى صاروا بمنزلة الناسين له فجازاهم بان صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته فخرج على مزاوجة الكلام
فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها الوجه الثاني ان النسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله وعبادته
ترك الله ذكرهم فيمن ذكرهم بالرحمة والاحسان فجعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من ترك شيئا لم
يذكره وقيل لما تركوا طاعة الله والايمان به تركهم من توفيقه وهدايته في الدنيا ومن رحمته في العقبى **ان
المنافقين هم الفاسقون** يعني هم الخارجون من الطاعة **وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار**
يقال وعده بالخير وعدا ووعده بالشر وعيدا فالوعد يكون في الخير والشر **نار جهنم خالدين فيها** فيه
حذف تقديره بان يصلوها خالدين يعني مقيمين فيها **هي حسبهم** يعني هي كافيتهم جزاء على كفرهم ونفاقهم
وتركهم الايمان والطاعة **ولعنهم الله** يعني وابعدهم من رحمته وطردهم عن بابه **ولهم عذاب مقيم** اي دائم
لا ينقطع فان قلت قوله خالدين فيها بمعنى ولهم عذاب مقيم وهذا تكرار فما معناه قلت ليس ذلك
تكرارا وبيان الفرق من وجهين الاول ان معناه ولهم نوع آخر من العذاب المقيم سوى الصلي بالنار ولقائل
ان يقول هذا التاويل مشكل لانه تعالى قال في النار هي حسبهم وذلك يمنع من ضم شيء آخر الى عذاب النار
واجيب عن هذا الاشكال بان قوله هي حسبهم وذلك يمنع من ضمهم في الايلام ولا يمتنع ان يحصل نوع
آخر من العذاب من غير جنس النار كالزمهرير ونحوه ويكون ذلك زيادة في عذابهم الوجه الثاني ان العذاب
المقيم هو العذاب المعجل لهم في الدنيا وهو ما يقاسونه من خوف اطلاع المسلمين عليهم وما هم فيه من النفاق
وكشف فضائحهم وهذا هو العذاب المقيم وقوله تعالى **كالذين من قبلكم** هذا رجوع من الغيبة الى خطاب
الحضور والكاف في كالذين للتشبيه والمعنى فعلتم كافعال الذين من قبلكم شبه فعل المنافقين بفعل
الكفار الذين كانوا من قبلهم في الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض الايدي عن فعل الخير والطاعة وقيل
انه تعالى شبه المنافقين في عدولهم عن طاعة الله واتباع امره لاجل طلب الدنيا بمن قبلهم من الكفار ثم وصف
الكفار بانهم كانوا اشد من هؤلاء المنافقين قوة واكثر اموالا واولادا فقال تعالى **كانوا اشد منكم قوة** يعني
بطشا ومنعة **واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم** يعني فتمتعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع الشهوات

ورضوا بها عوضا عن الاخرة والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان وقدر له من خير كما يقال قسم له
فاستمتعتم بخلاقكم وهذا خطاب للحاضرين يعني فتمتعتم ايها المنافقون والكافرون بخلاقكم كما
استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم فان قلت فما الفائدة في ذكر الاستمتاع بالخلاق في حق الاولين مرة
ثم ذكره في حق المنافقين ثانيا ثم اعاد ذكره من حق الاولين ثم ذكره في حق المنافقين ثم اعاد ذكره في حق
الاولين ثالثا قلت فائدته ان يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا وشهواتها
ورضاهم بها وتركوا النظر فيما يصلحهم في الدار الاخرة ثم شبه حال المخاطبين من المنافقين والكفار
بحال من تقدمهم ثم رجع الى ذكر حال الاولين ثالثا وهذا كما يريد ان يبكت بعض الظلمة على قبح ظلمه فيقول
له انت مثل فرعون كان يقتل بغير حق ويعذب بغير جرم وانت تفعل مثل ما كان فعل فالتكرير هنا للتاكيد
وخضتم كالذي خاضوا معطوف على ما قبله ومستند اليه يعني وسلكتم في فعلكم مثل ما سلكوا في اتباع
الباطل والكذب على الله وتكذيب رسله والاستهزاء بالمومنين اولئك حبطت اعمالهم يعني بطلت
اعمالهم في الدنيا والاخرة يعني ان اعمالهم لا تنفعهم في الدنيا ولا في الاخرة بل يعاقبون عليها واولئك
هم الخاسرون والمعنى انه كما بطلت اعمال الكفار الماضين وخسروا بطل اعمالكم ايها المنافقون وتخسرون
وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر
وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقوله تعالى
الم ياتهم رجع من الخطاب الى الغيبة يعني الم يات هولاء المنافقين والكفار وهو استفهام بمعنى التقرير اي
قد اتاهم نبا يعني خبر الذين من قبلهم يعني الامم الماضية الذين خلوا من قبلهم كيف اهلكناهم حين خالفوا
امرنا وعصوا رسلنا ثم ذكرهم فقال تعالى قوم نوح يعني انهم اهلكوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح العقيم
وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلكوا بسلب النعمة وكان هلاك نمرود ببعوضة واصحاب مدين
وهم قوم شعيب اهلكوا بعذاب يوم الظلة والموتفكات يعني المنقلبات التي جعل الله عاليها سافلها
وهي مداين قوم لوط وانما ذكر الله هذه الطوائف الستة لان اثارهم باقية وبلادهم بالشام والعراق
واليمن وكل ذلك قريب من ارض العرب فكانوا يمرون عليهم ويعرفون اخبارهم اتتهم رسلهم بالبينات يعني
بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوه وخالفوا امرنا كما فعلتم ايها الكفار والمنافقون
فاحذروا ان يصيبكم مثل ما اصابهم فتعجل لكم النقمة كما عجلت لهم فما كان الله ليظلمهم يعني بتعجيل العقوبة
لهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني ان الذي استحقوه من العقوبة بسبب ظلمهم انفسهم قوله عز وجل
والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض لما وصف الله المنافقين بالاعمال الخبيثة والاحوال الفاسدة
ثم ذكر بعده ما اعد لهم من انواع الوعيد في الدنيا والاخرة عقبه بذكر اوصاف المومنين واعمالهم الحسنة
وما اعد لهم من انواع الكرامات والخيرات في الدنيا والاخرة فقال تعالى والمومنون والمومنات بعضهم
اولياء بعض يعني الموالاة في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة فان قلت انه تعالى قال في وصف
المنافقين بعضهم من بعض وقال في وصف المومنين بعضهم اولياء بعض فما الفائدة في ذلك قلت لما
كان نفاق الاتباع وكفرهم انما حصل بتقليد المتبوعين وهم الرؤساء والاكابر وحصل بمقتضى الطبيعة
ايضا قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المومنين بتسديد الله وتوفيقه
وهدايته لا بمقتضى الطبيعة وهوى النفس وصفهم بان بعضهم اولياء بعض فظهر الفرق بين الفريقين
وظهرت الفائدة وقوله تعالى يامرون بالمعروف يعني بالايمان بالله ورسوله واتباع امره والمعروف

كل ما عرف

كل ما عرف في الشرع من خير وبر وطاعة وينهون عن المنكر يعني عن الشرك والمعصية والمنكر كل ما ينكره الشرع
وينفر منه الطبع وهذا في مقابلة ما وصف به المنافقون وضده ويقيمون الصلاة يعني الصلاة
المفروضة ويتمون اركانها وحدودها ويوتون الزكاة يعني الواجبة عليهم وهو في مقابلة ويقبضون
ايديهم ويطيعون الله ورسوله يعني فيما يامرهم به وهو في مقابلة نسوا الله فنسيهم اولئك يعني
المومنين والمومنات الموصوفين بهذه الصفات سيرحمهم الله لما ذكر الله ما وعد به المنافقين من
العذاب في نار جهنم ذكر ما وعد به المومنين من الرحمة والرضوان وما اعد لهم في الجنات والسين
في سيرحمهم للمبالغة والتوكيد ان الله عزيز حكيم وهذا يوجب المبالغة في الترغيب والترهيب
لان العزيز هو الذي لا يمتنع عليه شي اراده فهو قادر على ايصال الرحمة لمن اراد وايصال العقوبة
لمن اراد والحكيم هو الذي يدبر عباده على ما يقتضيه العدل والانصاف وعد الله المومنين والمومنات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها لما ذكر الله في الايات المتقدمة وعيد المنافقين وما
اعد لهم في نار جهنم من العذاب ذكر في هذه الاية ما وعد به المومنين من الخير والثواب والمراد بالجنات
التي تجري من تحتها الانهار البساتين التي يتحير في حسنها الناظر لانه تعالى قال ومساكن طيبة في جنات
عدن والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه فتكون مساكنهم في جنات عدن ومناظرهم الجنات
التي هي البساتين فتكون جنات عدن هي المساكن التي يسكنونها والجنات الاخرى هي البساتين التي يتنزهون
فيها فهذه فائدة المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه والفرق بينهما ومساكن طيبة يعني ومنازل
يسكنونها طيبة في جنات عدن يعني في بساتين خلد واقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به روى
الطبري بسنده عن عمران بن حصين وابي هريرة قالا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه
الاية ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصر من لولوة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمرا
في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضرا في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون
على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام في
كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المومن من القوة في غداة ما ياتي على ذلك كله اجمع وروى بسنده
عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن داره يعني دار الله التي لم ترها عين ولم
تخطر على قلب بشر وهي مسكنه ولا يسكنها معه من بني ادم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء
يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك هكذا رواه الطبري فان صحت هذه الرواية فلا بد من تاويلها
فقوله عدن داره يعني دار الله هو من باب حذف المضاف تقديره عدن دار الله التي اعدها لاوليائه
واهل طاعته والمقربين من عباده عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة
انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء
على وجهه في جنة عدن اخرجه البخاري ومسلم وقال عبد الله بن مسعود عدن بطنان الجنة يعني
وسطها وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة
الاف باب لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وقال عطاء بن السائب عدن نهر في الجنة خيامه على حافتيه
وقال مقاتل والكلبي عدن اعلا درجة في الجنة فيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة بها وهي مغطاة
من حين خلقها الله حتى ينزلها اهلها الانبيا والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها
قصور الدر والياقوت والذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الابيض قال الامام

نزل الدين حاصل هذا الكلام ان في جنات عدن قولين احدهما انه اسم علم لموضع معين في الجنة وهذه
الاخبار والاثار تقوي هذا القول قال صاحب الكشاف وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد
الرحمن عباده والقول الثاني انه صفة للجنة قال الازهري العدن ماخوذ من قولك عدن بالمكان
اذا اقام به يعدن عدونا فبهذا الاشتقاق قالوا الجنات كلها جنات عدن وقوله تعالى **ورضوان
من الله اكبر** يعني ان رضوان الله الذي ينزله عليهم اكبر من كل ما سلف ذكره من نعيم الجنة **ذلك هو
الفوز العظيم** اشارة الى ما تقدم ذكره من نعيم الجنة والرضوان **ق** عن ابي سعيد الخدري ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا
وسعديك والخير في يديك فيقول رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا
من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واي شيء افضل من ذلك فيقول احل عليكم
رضواني فلا اسخط بعده عليكم ابدا قوله تعالى **يا ايها النبي جاهد الكفار** يعني بالسيف والمحاربة
والقتال **والمنافقين** يعني وجاهد المنافقين واختلفوا في صفة جهاد المنافقين وسبب هذا الاختلاف
ان المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الاسلام ولما كان الامر كذلك لم تجز مجاهدته بالسيف
والقتال لاظهاره الاسلام فقال ابن عباس امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالسيف
والمنافقين باللسان واذهاب الرفق عنهم وهذا قول الضحاك ايضا وقال ابن مسعود بيده فان لم
يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه وقال الحسن وقتادة باقامة
الحدود عليهم يعني اذا تعاطوا اسبابها وهذا القول فيه بعد لان اقامة واجبة على من ليس بمنافق
فلا تعلق لاقامة الحدود على المنافق وانما قال الحسن وقتادة ذلك لان غالب من كان يتعاطى اسباب
الحدود فتقام عليهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين قال الطبري واولى الاقوال قول ابن
مسعود لان الجهاد عبارة عن بذل الجهد وقد دلت الاية على وجوب جهاد المنافقين وليس في الاية
ذكر كيفية ذلك الجهاد فلا بد من دليل منفصل وقد دلت الدلايل المنفصلة ان الجهاد مع الكفار انما
يكون بالسيف ومع المنافقين باظهار الحجة عليهم تارة وبترك الرفق بهم تارة وبالانتهار تارة وهذا
قول ابن مسعود **واغلظ عليهم** يعني واشدد عليهم بالجهاد والارهاب **وماواهم جهنم وبيس المصير**
يعني ان جهنم مسكنهم وبيس المصير مصيرهم اليها فان قلت كيف ترك النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين
بين اظهر اصحابه مع علمه بهم وبحالهم قلت انما امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بقتال من اظهر
كلمة الكفر واقام على اظهارها فاما من تكلم بالكفر في السر فاذا اطلع عليه انكره ورجع عنه وقال
اني مسلم فانه يحكم باسلامه في الظاهر في حقن دمه وماله وولده وان كان معتقدا غير ذلك في الباطن
لان الله تعالى امر باجرا الاحكام على الظاهر فلذلك اجرى النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين على ظواهرهم
ووكل سرايرهم الى الله لانه العالم باحوالهم وسيجازيهم في الاخرة بما يستحقونه قوله عز وجل **يحلفون
بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم** اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الاية
فقال عروة بن الزبير نزلت في الجلاس بن سويد اقبل هو وابن امراته مصعب من قبا فقال الجلاس ان كان
ما جا به محمد حقا لنحن شر من حمرنا هذه التي نحن عليها فقال مصعب اما والله يا عدو الله لاخبرن رسول
الله صلى الله عليه وسلم بما قلت وخفت ان ينزل في القران او ان تصيبني قارعة او ان اخلط بخطيته
فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اقبلت انا والجلاس من قبا فقال كذا وكذا ولولا

مخافة

مخافة ان اخلط بخطيئته او تصيبني قارعة ما اخبرتك قال فدعا الجلاس فقال له يا جلاس اقلت
ما قال مصعب فحلف ما قال فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا الاية وروي عن مجاهد نحوه
وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل حجرة فقال انه سياتيكم انسان
فينظر اليكم بعيني الشيطان فاذا جا فلا تكلموه فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدعاه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال علام تشتمني انت واصحابك فانطلق الرجل فجا باصحابه فحلفوا بالله ما
قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فانزل الله يحلفون بالله ما قالوا ثم نعتهم جميعا الى اخر الاية وقال
قتادة ذكر لنا ان رجلين اقتتلا احدهما من جهينة والاخر من غفار وكانت جهينة حلفا الانصار
فظهر الغفاري على الجهني فقال عبد الله بن ابي بن سلول للاوس انصروا اخاكم فوالله ما مثلنا ومثل
محمد الا كما قال القايل سمن كلبك ياكلك وقال لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى
بها رجل من المسلمين الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فساله فحلف بالله ما قاله فانزل
الله هذه الاية هذه روايات الطبري وذكر البغوي عن الكلبي قال نزلت في الجلاس بن سويد وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين وسماهم رجسا وعابهم
فقال الجلاس لين كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
المدينة اتاه عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله علي فامرهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي
لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر ثم قام عامر فحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله وما كذبت
عليه ثم رفع عامر يديه الى السما فقال اللهم انزل على نبيك تصديق الصادق منا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمومنون امين فنزل جبريل عليه السلام قبل ان يتفرقا بهذه الاية حتى بلغ
فان يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله اسمع الله قد عرض علي التوبة صدق
عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
منه ثم تاب وحسنت توبته فذلك قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد
اسلامهم يعني اظهروا كلمة الكفر بعد الاسلام وتلك الكلمة هي سب النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هي كلمة
الجلاس بن سويد لين كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير وقيل هي كلمة ابن ابي بن سلول لين رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل وستاتي القصة في موضعها في سورة المنافقين ان شا الله تعالى وقوله تعالى **وهموا بما لم
ينالوا** قال مجاهد هم الجلاس بقتل الذي سمع مقالته خشية ان يفشيها عليه وقيل هم عبد الله بن ابي بن سلول
وكان الذي هم به قوله لين رجعنا الى المدينة فلم ينله وقيل هم اثنا عشر من المنافقين بقتل رسول الله صلى الله
عليه وسلم توقفوا على العقبة وقت رجوعه من تبوك ليقتلوه فجا جبريل عليه السلام فاخبره وامره ان يرسل
اليهم من يضرب وجوه رواحلهم فارسل حذيفة لذلك وقال السدي قال المنافقون اذا رجعنا الى المدينة
عقدنا على راس عبد الله بن ابي بن سلول تاجا فلم يصلوا اليه **وما نقموا منهم الا ان اغناهم الله
ورسوله من فضله** يعني وما انكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضل
ان المنافقين عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر النبي صلى الله عليه وسلم ان نقموا عليه وقيل انهم بطروا
النعمة فنقموا اشرا وبطرا وقال ابن قتيبة معناه ليس ينقمون شيا ولا يعرفون من الله الا الصنع وهذا
كقول الشاعر ما نقم الناس من امية الا انهم يحلمون ان غضبوا وهذا ليس مما ينقم وانما اراد ان الناس

لا ينقمون عليهم شيا فهو كقول النابغة ، ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ، بهن فلول من قراع الكتائب ،
اي ليس فيهم قال الكلبي كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش فلما قدم النبي
صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنايم فعلى هذا القول يكون الكلام عاما وقال عروة كان الجلاس قتل له مولى
فامر له النبي صلى الله عليه وسلم بديته فاستغنى وقال قتادة كانت لعبد الله بن ابي دية فاخرجها رسول
الله صلى الله عليه وسلم له وقال عكرمة ان مولى لبني عدي قتل رجلا من الانصار فقضى له النبي صلى
الله عليه وسلم بالدية اثني عشر الفا وفيه نزلت وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله
فان يتوبوا يك خيرا لهم يعني فان يتوبوا من كفرهم ونفاقهم يكن ذلك خيرا لهم في العاجل والاجل
وان يتولوا يعني وان يعرضوا عن الايمان والتوبة ويصروا على النفاق والكفر يعذبهم الله عذابا
اليما في الدنيا يعني بالخزي والاذلال والاخرة اي ويعذبهم في الاخرة بالنار وما لهم في الارض من ولي ولا
نصير يعني وليس لهم احد يمنعهم من عذاب الله وينصرهم في الدنيا والاخرة قوله تعالى ومنهم من عاهد
الله لئن اتانا من فضله لنصدقن الاية روى البغوي بسنده الثعلبي عن ابي امامة الباهلي قال جا
ثعلبة بن حاطب الانصاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني
مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تودي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم اتاه
بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله اما لك في رسول الله اسوة
حسنة والذي نفسي بيده لو اردت ان تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم اتاه بعد ذلك فقال
يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت
عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها وهي تنمي كما ينمو الدود فكان يصلي مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الظهر والعصر ويصلي في غنمه ساير الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار
لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة ايضا حتى لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا
كان يوم جمعة خرج يتلقى الناس يسالهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم
فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنما ما يسعها واد فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة فانزل الله اية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجلا من بني سليم ورجلا من جهينة وكتب لهما اسنان الصدقة وكيف ياخذان وقال لهما مرا
على ثعلبة بن حاطب وبرجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقراه
كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى تفرغا
ثم عودا الي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما
راياها قالا ما هذا عليك قال خذاه فان نفسي بذلك طيبة فمرا على الناس واخذا الصدقات ثم رجعا
الى ثعلبة فقال اروني كتابكما فقراه فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية اذهبا حتى اري
راي قال فاقبلا فلما راهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل ان يكلما يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة
يا ويح ثعلبة ثم دعا للسلمي بخير فاخبراه بالذي صنع ثعلبة فانزل الله ومنهم من عاهد الله لئن اتانا
من فضله لنصدقن الاية الى قوله وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب
ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى اتاه فقال ويحك يا ثعلبة لقد انزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى

النبي صلى الله عليه وسلم فساله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل
يحثي على راسه التراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فلما ابى
ان يقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاتى ابا بكر فقال اقبل صدقتي فقال ابو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه فانا لا اقبلها
فقبض ابو بكر ولم يقبلها منه فلما ولي عمر اتاه فقال اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا ابو بكر انا لا اقبلها منك فلم يقبلها ثم ولي عثمان فاتاه فلم يقبلها منه وهلك في خلافة
عثمان واخرجه الطبري ايضا بسنده قال بعض العلما انما لم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
صدقة ثعلبة لان الله تعالى منعه من قبولها منه مجازاة على اخلافه ما عاهد الله عليه واهانة له على قوله
انما هي جزية او اخت الجزية فلما صدر هذا القول منه ردت صدقته عليه اهانة له وليعتبر غيره به
فلا يمتنع من بذل الصدقة عن طيب نفس باخراجها ويرى انها واجبة عليه وانه يثاب على اخراجها ويعاقب
على منعها وقال ابن عباس ان ثعلبة اتى مجلسا من مجالس الانصار فاشهدهم لئن اتاني الله من فضله اتيت
منه كل ذي حق حقه وتصدقت منه ووصلت القرابة فمات ابن عم له فورث منه مالا فلم يف بما عاهد
الله عليه فانزل الله فيه هذه الاية وقال الحسن ومجاهد نزلت في ثعلبة ومعتب بن قشير وهما من بني
عمرو بن عوف خرجا على ملا قعود فقالا لئن رزقنا الله من فضله لنصدقن فلما رزقهما الله بخلا به وقال
ابن السايب ان حاطب بن ابي بلتعة كان له مال بالشام فابطا عليه فجهد لذلك جهدا شديدا فحلف
بالله لئن اتاني الله من فضله يعني ذلك المال لاصدقن منه ولاصلن فلما اتاه ذلك لم يف بما عاهد
الله عليه فنزلت هذه الاية وحاصله ان ظاهر الاية يدل على ان بعض المنافقين عاهد الله لئن
اتاه من فضله ليصدقن وليفعلن فيه افعال الخير والبر والصلة فلما اتاه الله من فضله ما سال
لم يف بما عاهد الله عليه ومعنى الاية ومن المنافقين من اعطى الله عهدا لئن رزقنا من فضله بان
يوسع علينا في الرزق لنصدقن يعني لنتصدقن ولنخرجن من ذلك المال صدقة ولنكونن من
الصالحين يعني ولنعملن في ذلك المال ما يعمله اهل الصلاح باموالهم من صلة الارحام والانفاق
في سبيل الله وجميع وجوه البر والخير واخراج الزكاة وايصالها الى اهلها والصالح ضد المفسد
والمفسد هو الذي يبخل بما يلزمه في حكم الشرع وقيل ان المراد بقوله لنصدقن في اخراج الزكاة الواجبة
وقوله ولنكونن من الصالحين اشارة الى كل ما يفعله اهل الصلاح على الاطلاق من جميع اعمال البر والطاعة
فلما اتاهم من فضله بخلوا به يعني فلما رزقهم الله فلم يفعلوا من اعمال البر شيا وتولوا يعني عما عاهدوا
الله عليه وهم معرضون يعني عن العهد فاعقبهم نفاقا في قلوبهم يعني فاعقبهم الله نفاقا بان صيرهم
منافقين يقال اعقبت فلانا ندامة اذا صيرت عاقبة امره ذلك وقيل معناه انه تعالى عاقبهم بنفاق
قلوبهم الى يوم يلقونه يعني انه تعالى حرمهم التوبة الى يوم القيمة فيوافونه على النفاق فيجازيهم عليه
بما اخلفوا الله ما وعدوه يعني الصدقة والانفاق في سبيله وبما كانوا يكذبون يعني في قولهم
لنصدقن ولنكونن من الصالحين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اية المنافق
ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خلة وفي رواية
خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد اخلف

وَاذا خاصم فجر قال الشيخ محيي الدين النواوي هذا الحديث مما عده جماعة من العلما مشكلا من حيث ان
هذه الخصال قد توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك وقد اجمع العلما على ان من كان مصدقا
بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق يخلد في النار فان اخوة يوسف عليهم
السلام جمعوا هذه الخصال وكذا قد توجد لبعض السلف والبعض العلما بعض هذا او كله قال الشيخ
هذا الشيخ رحمه الله اشكال ولكن اختلف العلما في معناه فالذي قاله المحققون والاكثرون وهو الصحيح
المختار ان معناه ان هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها يشبه المنافقين في هذه الخصال
ويتخلق باخلاقهم فان النفاق هو اظهار ما يبطن خلافه وهذا موجود في صاحب هذه الخصال
فيكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا انه منافق في
الاسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكفار المخلد
في الدرك الاسفل من النار وقوله صلى الله عليه وسلم كان منافقا خالصا معناه كان شديد الشبه
بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض العلما وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه
فاما من ندر ذلك منه فليس داخلا فيه هذا هو المختار في معنى الحديث وقال جماعة من العلما
المراد به المنافقين الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فانهم حدثوا في ايمانهم فكذبوا وايتمنوا
على دينهم فخانوا ووعدوا في امر الدين ونصره واخلفوا وفجروا في خصوماتهم وهذا قول سعيد بن جبير
وعطا بن ابي رباح ورجع اليه الحسن البصري بعد ان كان على خلافه وهو مروي عن ابن عباس وابن
عمر ورواياه ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض واليه مال اكثر ايمتنا وحكى الخطابي
قولا اخر ان معناه التحذير للمسلم ان يعتاد هذه الخصال وحكى ايضا عن بعضهم ان الحديث ورد في رجل
بعينه منافق وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجههم بصريح القول فيقول فلان منافق وانما يشير
اشارة كقوله صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام يفعلون كذا والله اعلم وقال الامام فخر الدين الرازي
ظاهر هذه الاية يدل على ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم ان يبالغ في الاحتراز
عنه فاذا عاهد الله امرا فليجتهد في الوفا به وقوله تعالى **الم يعلموا** يعني هولا المنافقين **ان الله يعلم سرهم**
يعني ما انطوى عليه صدورهم من النفاق **ونجواهم** يعني ويعلم ما يفاوض به بعضهم بعضا فيما بينهم والنجو
هو الحديث بين القوم والمعنى انهم يعلمون ان الله يعلم جميع احوالهم لا يخفى عليه شي منها **وان الله علام
الغيوب** وهذا مبالغة في العلم يعني ان الله تعالى عالم بجميع الاشيا فكيف تخفى عليه احوالهم قوله عز
وجل **الذين يلمزون المطوعين من المومنين في الصدقات** الاية **ق** عن ابي مسعود البدري قال لما
نزلت اية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجا رجل فتصدق بشي كثير فقالوا مرائي وجا رجل فتصدق بصاع
فقالوا ان الله لغني عن صاع هذا فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المومنين في الصدقات والذين
لا يجدون الا جهدهم الاية قال ابن عباس وغيره من المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث
على الصدقة فجا عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال يا رسول الله مالي ثمانية الاف جيتك
باربعة الاف فاجعلها في سبيل الله وامسكت اربعة الاف لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بارك الله فيك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امراتين
يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين الف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة
وسق من تمر وجا ابو عقيل الانصاري واسمه الحبحاب بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت ليلتي اجر بالجرير

الماحتى نلت صاعين من تمر فامسكت احدهما لعيالي واتيتك بالاخر فامره رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان ينثره في الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا ريا وان الله
ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر نفسه ليعطى من الصدقة فانزل الله تعالى
الذين يلمزون يعني يعيبون المطوعين يعني المتبرعين من المومنين يعني عبد الرحمن بن عوف وعاصم
ابن عدي في الصدقات والتطوع التنفل بما ليس بواجب عليه **والذين لا يجدون الا جهدهم** يعني
ابا عقيل الانصاري والجهد بالضم الطاقة وهي لغة اهل الحجاز وبالفتح لغة غيرهم وقيل الجهد بالضم
الطاقة وبالفتح المشقة وقد يكون القليل من المال الذي ياتي به فيتصدق به اكثر موقعا عند الله
تعالى من الكثير الذي ياتي به فيتصدق به لان الغني اخرج ذلك المال الكثير عن قدرة وهذا الفقير
الذي اخرج القليل انما اخرجه عن ضعف وجهد وقد يوثر المحتاج الى المال لغيره رجا ما عند الله تعالى
كما قال تعالى ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة **فيسخرون منهم** يعني انه تعالى جازاهم على
سخريتهم ثم وصف ذلك وهو قوله **ولهم عذاب اليم** يعني في الاخرة قوله تعالى **استغفر لهم او لا تستغفر
لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم** قال المفسرون لما نزلت الايات المتقدمة في المنافقين
وبيان نفاقهم وظهر للمومنين جاوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه ويقولون استغفر
لنا فنزلت استغفر لهم او لا تستغفر لهم يا محمد وهذا الكلام خرج مخرج الامر ومعناه الخبر تقديره استغفر
لهم يا محمد او لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم وانما خص السبعين من العدد في الذكر لان العرب كانت تستكثر
السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه لما صلى الله عليه وسلم لما صلى على عمه حمزة رضي الله
عنه سبعين تكبيرة ولان احاد السبعين سبعة وهو عدد شريف فان السموات سبع والارضين سبع
والايام سبع والاقاليم سبع والبحار سبع والنجوم السيارة سبع فلهذا خص السبعين بالذكر
للمبالغة في الياس من طمع المغفرة لهم قال الضحاك لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله قد رخص لي فسازيدن على السبعين لعل الله ان يغفر لهم فانزل الله سوا عليهم
استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم **ق** عن ابن عمر قال لما توفي عبد الله يعني ابن ابي بن سلول
جا ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله ان يعطيه قميصه يكفن فيه اباه ثم ساله
ان يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فاخذ بثوب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله عز وجل فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة
وسازيد على السبعين قال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز
وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون
زاد في رواية فترك الصلاة عليهم وقوله تعالى **ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله** يعني ان هذا الفعل
من الله وهو ترك عفوه عنهم وترك المغفرة لهم من اجل انهم اختاروا الكفر على الايمان **والله لا يهدي
القوم الفاسقين** يعني والله لا يوفق للايمان به وبرسوله من اختار الكفر والخروج عن طاعة الله
وطاعة رسوله قوله عز وجل **فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله** يعني فرح المتخلفون عن
غزوة تبوك والمخلف المتروك بمقعدهم يعني بقعودهم في المدينة خلاف رسول الله يعني بعده
وعلى هذا المعنى خلاف بمعنى خلف فهو اسم للجهة المعينة لان الانسان اذا توجه الى قدامه

ثم تركه خلفه فقد تركه بعده وقيل بمعناه مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى تبوك
وذلك انهم اقاموا بالمدينة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد امرهم بالخروج الى الجهاد فاختاروا القعود
مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في
سبيل الله والمعنى انهم فرحوا بسبب التخلف وكرهوا الخروج الى الجهاد وذلك ان الانسان يميل بطبعه
الى ايثار الراحة والقعود مع الاهل والولد ويكره اتلاف النفس والمال وقوله تعالى وقالوا لا
تنفروا في الحر وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فاجاب الله عن هذا بقوله قل نار جهنم اشد حرا لو
كانوا يفقهون يعني قل يا محمد لهولاء الذين اختاروا الراحة والقعود وخلافك عن الجهاد في الحر ان نار
جهنم التي توعدهم في الاخرة هي اشد حرا من حر الدنيا لو كانوا يعلمون قال ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم امر الناس ان ينبعثوا معه وذلك في الصيف فقال رجال يا رسول الله الحر
شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفروا في الحر فقال الله عز وجل قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون فامره
الله بالخروج فليضحكوا قليلا يعني فليضحك هولاء الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرحين قليلا في الدنيا الفانية بمقعدهم خلافه وليبكوا كثيرا يعني ضحكهم في الدنيا وهذا وان ورد
بصيغة الامر الا ان معناه الاخبار والمعنى انهم وان فرحوا وضحكوا طول اعمارهم في الدنيا فهو قليل بالنسبة
الى بكايهم في الاخرة لان الدنيا فانية والاخرة باقية والمنقطع الفاني بالنسبة الى الدايم الباقي قليل
جزاء بما كانوا يكسبون يعني ان ذلك البكا في الاخرة جزا لهم على ضحكهم واعمالهم الخبيثة في الدنيا خ عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وروى
البغوي بسنده عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس ابكوا
فان لم تستطيعوا فتباكوا فان اهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كانها
جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدما فتقرح العيون فلو ان سفنا اجريت فيها لجرت قوله تعالى فان
رجعك الله يعني فان ردك الله يا محمد من غزاتك هذه الى طايفة منهم يعني الى المتخلفين عنك وانما قال
منهم لانه ليس كل من تخلف بالمدينة عن غزوة تبوك كان منافقا فان منهم اصحاب الاعذار فقل لن تخرجوا معي
ابدا يعني فقل يا محمد لهولاء الذين طلبوا الخروج وهم مقيمون على نفاقهم لن تخرجوا معي ابدا الا الى غزوة ولا الى
سفر ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة يعني انكم رضيتم بالتخلف عن غزاة
تبوك فاقعدوا مع الخالفين يعني مع المتخلفين النسا والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى وقال
ابن عباس مع الذين تخلفوا بغير عذر وقيل مع المخالفين يقال صاحب خالف اذا كان مخالفا كثير الخلاف
وفي الاية دليل على ان الرجل اذا ظهر منه مكر وخداع وبدعة يجب الانقطاع عنه وترك مصاحبته لان
الله تعالى منع المنافقين من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد مشعرا باظهار نفاقهم
وذمهم وطردهم وابعادهم لما علم من مكرهم وخداعهم اذا خرجوا الى الغزوات قوله عز وجل ولا تصل على
احد منهم مات ابدا الاية قال قتادة بعث عبد الله بن ابي بن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو مريض ليأتيه قال فنهاه عمر عن ذلك فاتاه نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه نبي الله
صلى الله عليه وسلم قال اهلكك حب اليهود فقال يا نبي الله اني لم ابعث اليك لتؤنبني ولكن بعثت اليك
لتستغفر لي وسأله قميصه ان يكفن فيه فاعطاه اياه واستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات
فكفن في قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث في جلده ودلاه في قبره فانزل الله ولا تصل على احد

منهم مات

منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الاية خ عن عمر بن الخطاب قال لما مات عبد الله بن ابي بن سلول دعي له
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فقلت
يا رسول الله اتصلي على ابن ابي بن سلول وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا اعدد عليه قوله فتبسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اخر عني يا عمر فلما اكثرت عليه قال اني خيرت فاخترت لو
اني اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت الايتان من براءة ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم
على قبره الى قوله وهم فاسقون قال فعجبت بعد من جراتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ
والله ورسوله اعلم واخرجه الترمذي وزاد فيه فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على
منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله ق عن جابر قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله
ابن ابي بعدما ادخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونفث فيه من ريقه والبسه قميصه
فالله اعلم قال وكان كسا عباسا قميصا قال سفيان وقال ابو هارون وكان على رسول الله
قميصان فقال له ابن عبد الله يا رسول الله البس ابي قميصك الذي على جلدك قال سفيان
فيرون ان النبي صلى الله عليه وسلم البس عبد الله قميصه مكافاة لما صنع وفي رواية عن جابر قال
لما كان يوم بدر اتي باسارى واتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له
قميصا فوجدوا قميص عبد الله بن ابي يقدر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم اياه فلذلك
نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذي البسه فصل وقد وقع في هذه الاحاديث
التي تتضمن قصة موت عبد الله بن ابي بن سلول المنافق صورة اختلاف في الروايات ففي حديث ابن
عمر المتقدم ان ابنه عبد الله بن عبد الله جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ان
يعطيه قميصه ليكفنه فيه وان يصلي عليه فاعطاه قميصه وصلى عليه وفي حديث عمر بن الخطاب
من افراد البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعي ليصلي عليه وفي حديث جابر ان النبي صلى
الله عليه وسلم اتاه بعد ما ادخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونفث عليه من ريقه
والبسه قميصه ووجه الجمع بين هذه الروايات انه صلى الله عليه وسلم اعطاه قميصه فكفن فيه
ثم انه صلى عليه وليس في حديث جابر ذكر الصلاة عليه فالظاهر والله اعلم انه صلى عليه اولا كما في
حديث ابن عمر وعمر ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه ثانيا بعد ما ادخل حفرته فاخرجه منها
ونزع عنه القميص الذي اعطاه وكفن فيه لينفث عليه من ريقه ثم انه صلى الله عليه وسلم البسه قميصه
بيده الكريمة فعل هذا كله بعبد الله بن ابي تطييبا لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا صالحا مسلما
مخلصا واما قول قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاده في مرضه وامره ان يستغفر له وان
يعطيه قميصه وان يصلي عليه فاعطاه قميصه واستغفر له وصلى عليه ونفث في جلده ودلاه في حفرته
فهذه جمل من القول ظاهرها الترتيب وما المراد بهذا الترتيب توفيقا بين الاحاديث فيكون
قوله ونفث في جلده ودلاه في قبره جملة منقطعة عما قبلها يعني انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك
بعد ما اعطاه القميص وبعد ان صلى عليه والله اعلم وقال القرطبي في شرح صحيح مسلم لعبد
الله ابن ابي بن سلول كان سيد الخزرج في اخر جاهليتهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف اليه
الخزرج وغيرهم حسده وناصبه العداوة غير ان الاسلام غلب عليه فنافق فكان راسا في المنافقين

واعظمهم نفاقا واشدهم كفرا وكان المنافقون كثيرا حتى لقد روي عن ابن عباس انه قال كانوا ثلثمائة رجل ومائة وسبعين امراة وكان ولده عبد الله يعني ولد عبد الله بن ابي من فضلاء الصحابة واصدقهم اسلاما واكثرهم عبادة واشرحهم صدرا وكان ابر الناس بابيه ومع ذلك فقد قال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انك لتعلم اني من ابر الناس لابي وان امرتني ان اتيك براسه فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نعفو عنه وكان من احرص الناس على اسلام ابيه وعلى ان ينتفع من بركات النبي صلى الله عليه وسلم بشيء ولذلك لما مات ابوه سال النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه فينال من بركته فاعطاه وساله ان يصلي عليه فصلى عليه كل ذلك اكراما لابنه عبد الله واسعافا له ولطلبته وقول عمر اتصلي عليه وقد نهاك الله ان تصلي عليه يحتمل ان يكون قبل نزول ولا تصل على احد منهم مات ابدا ويظهر من هذا السياق ان عمر وقع في خاطره ان الله نهاه عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الالهام والتحديث الذي شهد له به النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون فهمه من سياق قوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم وهذان التاويلان فيهما بعد قال القرطبي والذي يظهر لي والله اعلم ان البخاري ذكر هذا الحديث من رواية ابن عباس عن عمر لما مات عبد الله بن ابي بن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر وثبت اليه الحديث الى قوله فصلى عليه ثم انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى انزلت عليه الايتان من براءة فقال القرطبي وهذا سياق حسن وترتيب متقن ليس فيه شيء من الاشكال المتقدم فهو اولى وقوله صلى الله عليه وسلم سازيد على السبعين وعد بالزيادة ونحوها لفظا في حديث ابن عباس عن عمر فان فيه لو اعلم اني ان زدت على السبعين غفر له لزدت وهذا تقييد لذلك الوعد المطلق فان الاحاديث يفسر بعضها بعضا ويقيد بعضها بعضا فلذلك قال لو اعلم اني ان زدت على السبعين غفر له لزدت فقد علم ان الله لا يغفر له وقوله صلى الله عليه وسلم اني خيرت مشكل مع قوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية وهذا يفهم منه النهي عن الاستغفار لمن مات كافرا وهو متقدم على الاية التي فيها التخيير والجواب عن هذا الاشكال ان المنهي عنه استغفار لمن تحقق موته على الكفر والشرك واما استغفاره لاوليك المنافقين المخير فيهم فهو قد علم صلى الله عليه وسلم انه لا يقع ولا ينفع وغايته ان وقع كان تطييبا لقلوب الاحياء من قراباتهم فانفصل الاستغفار المنهي عنه من المخير فيه فارتفع الاشكال بحمد الله والله اعلم وقال الشيخ محيي الدين النواوي انما اعطاه قميصه ليكفنه فيه تطييبا لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا صالحا وقد سال ذلك فاجابه اليه وقيل بل اعطاه مكافاة لعبد الله بن ابي المنافق الميت لانه البس العباس حين اسر يوم بدر قميصا وفي هذا الحديث بيان مكارم اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الايذاء له وقابله بالحسنى والبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر له قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال البغوي قال سفيان بن عيينة كانت له يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب ان يكافيه بها ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم فيما فعل بعبد الله بن ابي فقال صلى الله عليه وسلم وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله والله اني كنت ارجو ان يسلم به الف من قومه فيروى انه اسلم الف من قومه لما راوه يتبرك بقميص النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى **ولا تقم على قبره** يعني لا تقف عليه ولا تتولى دفنه من قولهم قام فلان بامر فلان اذا كفاه امره وناب عنه فيه **انهم كفروا بالله**

ورسوله

ورسوله وماتوا وهم فاسقون وهذا تعليل لسبب المنع من الصلاة عليه والقيام على قبره ولما نزلت هذه الاية ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره بعدها فان قلت الفسق ادنى حالا من الكفر ولما ذكر في تعليل هذا النهي كونهم كافرا فيدخل تحته الفسق وغيره فما الفائدة في وصفهم فاسقين بعد وصفهم بالكفر قلت ان الكافر قد يكون عدلا في نفسه بان يؤدي الامانة ولا يضمر لاحد سوءا وقد يكون خبيثا في نفسه كثير الكذب والمكر والخداع واضمار السوء للغير وهذا امر مستقبح عند كل احد ولما كان المنافق بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله تعالى بكونهم فاسقين بعد ان وصفهم بالكفر **ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون** الكلام على هذه الاية في مقامين المقام الاول في وجه التكرار والحكمة فيه ان تجدد النزول له شان في تقرير ما نزل اولا وتاكيده وارادة ان يكون المخاطب به على بال ولا يغفل عنه ولا ينساه وان يعتقد ان العمل به مهم وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه وهو ان اشد الاشياء جذبا للقلوب والخواطر الاشتغال بالاموال والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير منه مرة بعد اخرى وبالجملة فالتكرير يراد به التاكيد والمبالغة في التحذير من ذلك الشيء الذي وقع الاهتمام به وقيل ايضا انما كرر هذا المعنى لانه اراد بالاية الاولى قوما من المنافقين كان لهم اموال واولاد عند نزولها وبالاية الاخرى اقواما اخرين منهم المقام الثاني في وجه بيان ما حصل من التفاوت في الالفاظ في هاتين الايتين وذلك انه تعالى قال في الاية الاولى فلا تعجبك بالفاء وقال هنا ولا تعجبك بالواو والفرق بينهما انه عطف الاية الاولى على قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين للانفاق لشدة المحبة للاموال والاولاد فحسن العطف عليه بالفاء في قوله فلا تعجبك واما هذه الاية فلا تعلق لها بما قبلها فلهذا اتى بحرف الواو وقال تعالى في الاية الاولى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم واسقط حرف لا هنا فقال واولادهم والسبب فيه ان حرف لا دخلت هناك لزيادة التاكيد فيدل على انهم كانوا معجبين بكثرة الاموال والاولاد وكان اعجابهم باولادهم اكثر وفي اسقاط حرف لا هنا دليل على انه لا تفاوت بين الامرين وقال تعالى في الاية الاولى انما يريد الله ليعذبهم بحرف اللام وقال هنا ان يعذبهم بحرف ان والفايدة فيه التنبيه على ان التعليل في احكام الله محال وانه اينما ورد حرف لام فمعناه ان كقوله وما امروا الا ليعبدوا الله معناه وما امروا الا ان يعبدوا الله وقال تعالى في الاية الاولى في الحياة الدنيا وقال هنا في الدنيا والفايدة في اسقاط لفظ الحياة تنبيها على ان الحياة الدنيا بلغت في الخسة الى حيث انها لا تستحق ان تذكر ولا تسمى حياة بل يجب الاقتصار عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيها على كمال دناءتها فهذه جمل في ذكر الفرق بين هذه الالفاظ والله اعلم بمراده واسرار كتابه قوله عز وجل **واذا انزلت سورة** يحتمل ان يراد بالسورة بعضها لان اطلاق لفظ الجمع على البعض جائز ويحتمل ان يراد جميع السورة فعلى هذا المراد بالسورة سورة براءة لانها مشتملة على الامر بالايمان والامر بالجهاد وان اي بان **امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله** فان قلت كيف يامرهم بالايمان مع كونهم مؤمنين فهو من باب تحصيل الحاصل قلت معناه الامر بالدوام على الايمان والجهاد في المستقبل وقيل ان الامر بالايمان يتوجه على كل احد في كل ساعة وقيل ان هذا الامر وان كان ظاهره العموم لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون والمعنى ان اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله وانما قدم الامر بالايمان على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يفيد اصلا فكانه قيل للمنافقين الواجب عليكم ان تؤمنوا بالله اولا وتجاهدوا مع رسوله ثانيا حتى يفيدكم ذلك الجهاد فائدة يرجع عليكم نفعها في الدنيا

والاخرة وقوله تعالى استأذنك اولوا الطول منهم قال ابن عباس يعني اهل الغنى وهم اهل القدرة
والثروة والسعة من المال وقيل هم رؤسا المنافقين وكبراؤهم وفي تخصيص اولي الطول بالذكر قولان
احدهما ان الذم لهم الزم لكونهم قادرين على اهبة السفر والجهاد والقول الثاني انما خص اولوا الطول
بالذكر لان العاجز عن السفر والجهاد لا يحتاج الى الاستيذان وقالوا يعني اولوا الطول ذرنا نكن مع
القاعدين يعني في البيوت من النسا والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى رضوا بان يكونوا مع
الخوالف قيل الخوالف النسا اللواتي يتخلفن في البيوت فلا يخرجن منها والمعنى رضوا بان يكونوا في
تخلفهم عن الجهاد كالنسا وقيل خوالف جمع خالفة وهم ادنيا الناس وسفلتهم يقال فلان خالفة قومه اذا
كان دونهم وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون يعني وختم على قلوب هؤلا المنافقين فهم لا يفقهون مراد
الله في الامر بالجهاد قوله تعالى لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي
ان تخلف هؤلا ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم يعني الرسول والمؤمنين واولئك لهم الخيرات
يعني منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات
حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون اي الفائزون بالمطالب قوله تعالى اعد
الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات
مراد الله في الامر بالجهاد قوله تعالى وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني وجاء المعذرون
من الاعراب البوادي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه في التخلف عن الغزو معه قال
الضحاك هم رهط عامر بن الطفيل جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه دفاعا
عن انفسهم فقالوا يا نبي الله ان نحن غزونا معك تغير اعراب طي على حلايلنا واولادنا ومواشينا
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انباني الله من اخباركم وسيغني الله عنكم وقيل هم نفر من
بني غفار رهط خفاف بن ايما بن رحضة وقيل هم من اسد وغطفان وقال ابن عباس هم الذين تخلفوا
بعذر فاذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الاية وجاء المعذرون اي المقصرون يعني انهم
قصروا ولم يبالغوا فيما اعتذروا به والمعذر من يرى ان له عذرا ولا عذر له وقيل ان الاصل في هذا اللفظ
عند النحاة المعتذرون ادغمت التاء في الذال لقرب مخرجهما والاعتذار في كلام العرب على قسمين يقال
اعتذر اذا كذب في عذره ومنه قوله تعالى يعتذرون اليكم فرد الله عليهم بقوله قل لا تعتذروا وقد
ذلك على فساد عذرهم وكذبهم فيه ويقال اعتذر اذا اتى بعذر صحيح ومنه قول لبيد ومن يبك حولا
كاملا فقد اعتذر يعني فقد جاء بعذر صحيح وقيل هو من التعذير الذي هو التقصير يقال عذر تعذيرا
اذا قصر ولم يبالغ فعلى هذا المعنى يحتمل انهم كانوا صادقين في اعتذارهم وانهم كانوا كاذبين ومن المفسرين
من قال انهم كانوا صادقين بدليل انه تعالى لما ذكرهم قال بعده وقعد الذين كذبوا الله ورسوله فلما
فصل بينهم وميزهم عن الكاذبين دل ذلك على انهم ليسوا كاذبين ويروى عن ابي عمرو بن العلا انه لما قيل
له هذا الكلام فقال ان اقواما تكلفوا عذرا بباطل فهم الذين عناهم الله تعالى بقوله وجاء المعذرون
وتخلف آخرون لا لعذر ولا لشبهة عذر جراة على الله فهم المراد بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسو
وهم منافقوا الاعراب الذين ما جاؤا وما اعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله يعني في ادعايهم
الايمان سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم يعني في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار وانما قال منهم
لانه تعالى علم ان منهم من سيؤمن ويخلص في ايمانه فاستثناهم الله من المنافقين الذين اصروا على الكفر

والنفاق وماتوا عليه قوله عز وجل ليس على الضعفا لما ذكر الله تعالى المنافقين الذين تخلفوا عن
الجهاد واعتذروا باعذار باطلة عقبه بذكر اصحاب الاعذار الحقيقية الصحيحة وعذرهم واخبر
ان فرض الجهاد عنهم ساقط فقال تعالى ليس على الضعفا والضعيف هو الصحيح في بدنه العاجز عن
الغزو وتحمل مشاق السفر والجهاد مثل الشيوخ والصبيان والنسا ومن خلق في اصل الخلقة ضعيفا
نحيفا ويدل على ان هؤلا الاصناف هم الضعفا ان الله عطف عليهم المرضى فقال تعالى ولا على المرضى
والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فاما المرضى فيدخل فيهم اهل العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا
بمرض يمنعه من التمكن من الجهاد والسفر للغزو ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون يعني الفقرا العاجزين
عن اهبة الغزو والجهاد فلا يجدون الزاد والراحلة والسلاح ومونة السفر لان العاجز عن
نفقة الغزو معذور حرج اي ليس على هؤلا الاصناف الثلاثة حرج اي اثم في التخلف عن الغزو قال
الامام فخر الدين الرازي ليس في الاية انه يحرم عليهم لان الواحد من هؤلا لو خرج ليعين المجاهدين
بمقدار القدرة اما بحفظ متاعهم او بتكثير سوادهم بشرط ان لا يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم فان
ذلك طاعة مقبولة ثم انه تعالى شرط على الضعفا في جواز التخلف عن الغزو شرطا معينا وهو قوله
تعالى اذا نصحوا لله ورسوله ومعناه انهم اذا اقاموا في البلد واحترزوا عن افشا الاراجيف
واثارة الفتن وسعوا في ايصال الخير الى اهل المجاهدين الذين خرجوا الى الغزو وقاموا بمصالح بيوتهم
واخلصوا الايمان والعمل لله وتابعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فالجملة هذه الامور تجري مجرى
النصح لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل اي ليس على من احسن فنصح لله ولرسوله في تخلفه
عن الجهاد بعذر قد اباحه الشارع طريق يتطرق عليه فيعاقب عليه والمعنى انه سد باحسانه طريق
العقاب عن نفسه ويستنبط من قوله ما على المحسنين من سبيل ان كل مسلم يشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله مخلصا من قلبه بان ما عليه سبيل في نفسه وما له الا ما اباحه الشرع بدليل منفصل
والله غفور يعني لمن تخلف عن الجهاد بعذر ظاهر اباحه الشرع رحيم يعني انه تعالى رحيم بجميع عباده
قال قتادة نزلت هذه الاية في عايذ بن عمرو واصحابه وقال الضحاك نزلت في عبد الله بن ام مكتوم
وكان ضرير البصر ولما ذكر الله عز وجل هذه الاقسام الثلاثة من المعذورين اتبعه بذكر قسم رابع وهو
قوله تعالى ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم يعني ولا حرج ولا اثم في التخلف عنك على الذين اذا ما اتوك
يعني يسئلونك الحملان ليبلغوا الى غزو عدوك وعدوهم في الجهاد معك يا محمد قال ابن اسحق نزلت في
البكايين وكانوا سبعة ونقل الطبري عن محمد بن كعب وغيره قالوا جا ناس من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يستحملونه فقال لا اجد ما احملكم عليه فانزل الله هذه الاية وهم سبعة نفر
من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير ومن بني واقف حرمي بن عمير ومن بني مازن بن النجار عبد الرحمن بن كعب
يكنى ابا ليلى ومن بني المعلى سلمان بن صخر ومن بني حارثة عبد الرحمن بن زيد ابو عبلة وهو الذي تصدق
بعرضه فقبل الله منه ذلك ومن بني سلمة عمرو بن غنمة وعبد الله بن عمرو المزني وقال البغوي هم سبعة
نفر سموا البكايين معقل بن يسار وصخر بن خنسا وعبد الله بن كعب الانصاري وعلبة بن زيد الانصاري
وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل المزني قال اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا رسول الله ان الله عز وجل قد ندبنا الى الخروج معك فاحملنا فقال لا اجد ما احملكم عليه
وقال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وكانوا ثلاثة اخوة معقل وسويد والنعمان بنو مقرن وقيل نزلت

في الوبا ضربني سارية ويحتمل انها نزلت في كل من ذكر قال ابن عباس سالوه ان يحملهم على الدواب وقيل
بل سالوه ان يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا اجد
ما احملكم عليه تولوا وهم يبكون ولذلك سموا البكائين فذلك قوله تعالى **قلت لا اجد ما احملكم**
عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع قال صاحب الكشاف هو كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض
دمعها لان العين جعلت كانها كلها دمع فايض ومن للبيان كقولك افديك من رجل **حزنا الا يجدوا**
ما ينفقون يعني على انفسهم في الجهاد **انما السبيل** لما قال الله تعالى ما على المحسنين من سبيل قال
في حق من يعتذر ولا عذر له انما السبيل يعني انما يتوجه الطريق بالعقوبة **على الذين يستاذنونك**
يا محمد في التخلف عنك والجهاد معك **وهم اغنيا** يعني قادرين على الخروج معك **رضوا بان يكونوا مع**
يعني رضوا بالدناة والضعة والانتظام في جملة الخوالف وهم النسا والصبيان والقعود معهم
وطبع الله على قلوبهم يعني ختم عليها **فهم لا يعلمون** ما في الجهاد من الخير في الدنيا والاخرة اما في
الدنيا بالفوز بالغنيمة والظفر بالعدو واما في الاخرة فالثواب والنعيم الدايم الذي لا ينقطع
قوله تعالى **يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم** يعني يعتذر هولا المنافقون المتخلفون عنك يا محمد
وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم ويحتمل انهم اعتذروا اليه والى المومنين فلهذا قال
تعالى يعتذرون اليكم يعني بالاعذار الباطلة الكاذبة اذا رجعتم يعني من سفركم اليهم **قل** اي قل لهم
يا محمد **لا تعتذروا** قال البغوي روي ان المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين
فقال الله تعالى قل لا تعتذروا **لن نومن لكم** يعني لن نصدقكم فيما اعتذرتم به **قد نبانا الله من**
اخباركم يعني قد اخبر الله فيما سلف من اخباركم **وسيرى الله عملكم ورسوله** يعني في المستانف
اتتوبون من نفاقكم ام تقيمون عليه وقيل يحتمل انهم وعدوا بان ينصروا المومنين في المستقبل فلهذا
قال وسيرى الله عملكم ورسوله هل تفون بما قلتم ام لا **ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة**
فينبيكم يعني فيخبركم **بما كنتم تعملون** لانه هو المطلع على ما في ضمايركم من الخيانة والكذب واخلاف الوعد
قوله عز وجل **سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم** يعني اذا رجعتم من سفركم **اليهم** يعني الى المتخلفين بالمدينة
من المنافقين **لتعرضوا عنهم** يعني لتصفحوا عنهم ولا تونبوهم ولا توبخوهم بسبب تخلفهم **فاعرضوا عنهم** يعني
فدعوهم وما اختاروا لانفسهم من النفاق وقيل يريد ترك الكلام يعني لا تكلموهم ولا تجالسوهم فلما قدم
النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم قال اهل المعاني ان هولا المنافقين
طلبوا اعراض الصفح فاعطوا اعراض المقت ثم ذكر العلة في سبب الاعراض عنهم فقال تعالى **انهم رجس**
يعني ان بواطنهم خبيثة نجسة واعمالهم قبيحة **وماويهم** يعني في الاخرة **جهنم جزاء بما كانوا يكسبون** يعني من
الاعمال الخبيثة في الدنيا قال ابن عباس نزلت في الجد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا
من المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت في عبد الله بن ابي
حلف للنبي صلى الله عليه وسلم بالله الذي لا اله الا هو انه لا يتخلف عنه بعدها وطلب من النبي صلى الله
عليه وسلم ان يرضى عنه فانزل الله عز وجل هذه الاية والتي بعدها **يحلفون لكم لترضوا عنهم** يعني
يحلف لكم هولا المنافقون لترضوا عنهم **فان ترضوا عنهم** يعني فان رضيتم عنهم ايها المومنون بما حلفوا
لكم وقبلتم عذرهم **فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين** يعني لانه تعالى يعلم ما في قلوبهم من النفاق
والشك فلا يرضى عنهم ابدا قوله تعالى **الاعراب اشد كفرا ونفاقا** نزلت في سكان البادية يعني اهل

البدو واشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر قال اهل اللغة يقال رجل عربي اذا كان نسبه في العرب وجمعه
العرب ورجل اعرابي اذا كان بدويا يطلب مساقط الغيث والكلاء ويجمع الاعرابي على الاعراب والاعاريب
فمن استوطن القرى والمدن العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم الاعراب فالاعرابي اذا قيل له يا عربي
فرح بذلك والعربي اذا قيل له يا اعرابي غضب فالعرب افضل من الاعراب لان المهاجرين والانصار
وعلما الدين من العرب والسبب في كون الاعراب اشد كفرا ونفاقا بعدهم عن مجالسة العلما وسماع
القران والسنن والمواعظ وهو قوله تعالى **واجدر** يعني واخلق واحرى **ان لا يعلموا** اي بان لا يعلموا
حدود ما انزل الله على رسوله يعني الفرايض والسنن والاحكام **والله عليم** يعني بما في قلوب
عباده **حكيم** فيما فرض من فرايضه واحكامه **ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما** يعني لا يرجو على
انفاقه ثوابا ولا يخاف على امساكه عقابا انما ينفق خوفا اورياء والمغرم التزام ما لا يلزم والمعنى
ان من الاعراب من يعتقد ان الذي ينفقه في سبيل الله غرامة لانه ينفق ذلك خوفا من المسلمين
او مراياة لهم ولم يرد بذلك الانفاق وجه الله وثوابه **ويتربص** يعني وينتظر **بكم الدواير** يعني بالدواير
تقلب الزمان وصروفه التي تاتي مرة بالخير ومرة بالشر قال يمان بن رباب يعني تقلب الزمان فيموت
الرسول ويظهر المشركون **عليهم دايرة السوء** يعني بل ينقلب عليهم الزمان ويدور السوء والبلاء والحزن
ولا يرون في محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ودينه الا ما يسوءهم **والله سميع** يعني لاقوالهم **عليم** يعني بما
يخفون في ضمايرهم من النفاق والغش وارادة السوء للمومنين نزلت هذه الاية في اعراب اسد وغطفان
وتميم ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى **ومن الاعراب من يومن بالله واليوم الاخر** قال مجاهد هم
بنو مقرن من مزينة وقال الكلبي هم اسلم وغفار وجهينة **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ارايتم ان كان جهينة ومزينة واسلم وغفار خيرا من بني تميم وبني اسد وبني عبد الله بن غطفان
ومن بني عامر بن صعصعة فقال رجل خابوا وخسروا قال نعم هم خير من بني تميم وبني اسد وبني عبد الله
ابن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة وفي رواية ان الاقرع بن حابس قال للنبي صلى الله عليه وسلم
انما تابعك سراق الحجيج من اسلم وغفار ومزينة واحسبه قال وجهينة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ارايت ان كان اسلم وغفار ومزينة واحسب قال وجهينة خيرا من بني تميم وبني عامر واسد وغطفان
قال خابوا وخسروا قال نعم **ق** عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسلم سالمها الله وغفار غفر
الله لها زاد مسلم في رواية له اما اني لم اقلها لكن الله قالها **ق** عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم قريش والانصار وجهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار موالي ليس لهم مولى دون الله ورسوله
وقوله تعالى **ويتخذ ما ينفق قربات عند الله** جمع قربة اي يطلب بما ينفق القربة الى الله تعالى **وصلوات**
الرسول يعني ويرغبون في دعا النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل
ابي اوفى **الا انها قربة لهم** يحتمل ان يعود الضمير في انها الى صلوات الرسول ويحتمل ان يعود الى الانفاق
وكلاهما قربة عند الله وهذه شهادة من الله تعالى للمومن المتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته
قربات عند الله وصلوات الرسول له مقبولة عند الله لان الله اكد ذلك بحرف التنبيه وهو قوله
الا وبحرف التحقيق وهو قوله انها قربة لهم **سيدخلهم الله في رحمته** وهذه النعمة هي اقصى مرادهم **ان الله**
غفور للمومنين المنفقين في سبيله **رحيم** يعني بهم حيث وفقهم لهذه الطاعات قوله عز وجل **والسابقون**

الاولون من المهاجرين والانصار اختلف العلما في السابقين الاولين فقال سعيد بن المسيب وقتادة
وابن سيرين وجماعة هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطا بن ابي رباح هم اهل بدر وقال الشعبي
هم اهل بيعة الرضوان وكانت بيعة الرضوان بالحديبية وقال محمد بن كعب القرظي هم جميع الصحابة
لانهم حصل لهم السبق بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حميد بن زياد قلت يوما لمحمد بن
كعب القرظي الا تخبرني عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم واردت الفتن فقال
ان الله قد غفر لجميعهم محسنهم ومسيئهم واوجب لهم الجنة في كتابه فقلت له في اي موضع اوجب لهم الجنة
فقال سبحان الله الا تقرا والسابقون الاولون الى اخر الاية فاوجب الله الجنة لجميع اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم وزاد في رواية في قوله والذين اتبعوهم باحسان قال شرط في التابعين شرطا وهو ان
يتبعوهم في افعالهم الحسنة دون السيئة قال حميد فكاني لم اقرا هذه الاية قط واختلف العلما في
اول الناس اسلاما بعد اتفاقهم على ان خديجة اول الخلق اسلاما واول من صلى مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال بعض العلما اول من امن بعد خديجة علي بن ابي طالب وهذا قول جابر بن عبد الله
واختلفوا في سنه وقت اسلامه فقيل كان ابن عشر سنين وقيل اقل من ذلك وقيل اكثر وقيل كان بالغا
والصحيح انه لم يكن بالغا وقت اسلامه وقال بعضهم اول من اسلم بعد خديجة ابو بكر الصديق وهذا
قول ابن عباس والنخعي والشعبي وقال الزهري وعروة بن الزبير اول من اسلم بعد خديجة زيد بن حارثة
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسحق بن ابراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الروايات فيقول
اول من اسلم من الرجال ابو بكر ومن النسا خديجة ومن الصبيان علي بن ابي طالب ومن العبيد زيد بن
حارثة رضي الله عنهم فهولا الاربعة سباق الخلق الى الاسلام قال ابن اسحق فلما اسلم ابو بكر اظهر
اسلامه ودعا الناس الى الله والى رسوله وكان رجلا محببا سهلا وكان انسب قريش لقريش واعلمها
بما كان فيها وكان رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال قومه ياتونه ويالفونه لعلمه
وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من يثق به من قومه فاسلم على يده عثمان بن عفان والزبير
ابن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله فجا بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاسلموا على يديه وصلوا معه فكان هولا الثمانية النفر اول من سبق الى الاسلام ثم تتابع الناس بعدهم
في الدخول الى الاسلام واما السابقون من الانصار فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة العقبة وهي الاولى وكانوا ستة نفر اسعد بن زرارة وعوف بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر
وجابر بن عبد الله بن رياب ثم اصحاب العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر رجلا ثم اصحاب
العقبة الثالثة وكانوا سبعين رجلا منهم البرا بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر وسعد بن
عبادة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة فهولا سباق الانصار ثم بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم مصعب بن عمير الى اهل المدينة يعلمهم القران فاسلم على يده خلق كثير من الرجال والنسا والصبيان
من اهل المدينة وذلك قبل ان يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقيل ان المراد بالسابقين
الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة والذي يدل عليه ان الله تعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين بماذا
سبقوا فبقي اللفظ مجملا فلما قال تعالى من المهاجرين والانصار وصفهم بكونهم مهاجرين وانصارا فوجب
صرف اللفظ المجمل اليه وهو الهجرة والنصرة وايضا فان الهجرة طاعة عظيمة ومرتبة عالية من حيث
ان الهجرة امر شاق على النفس لمفارقة الوطن والعشيرة وكذلك النصرة فانها مرتبة عالية ومنقبة

شريفة

شريفة لانهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدايه واووه وواسوه واووا اصحابه وواسوهم فلذلك
اثنى الله عز وجل عليهم ومدحهم فقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار **والذين اتبعوهم
باحسان** قيل بقية المهاجرين والانصار سوى السابقين الاولين فعلى هذا القول يكون الجميع من الصحابة
وقيل هم الذين سلكوا سبيل المهاجرين والانصار في الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيامة وقال عطا
هم الذين يذكرون المهاجرين والانصار فيترحمون عليهم ويدعون لهم ويذكرون محاسنهم **ق** عن عمران
ابن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران
فلا ادري اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثا **ق** عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا اصحابي فلو ان احدا وفي رواية احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اراد بالقرن
في الحديث الاول اصحابه والقرن الامة من الناس يقارب بعضهم بعضا واختلفوا في مدته من الزمان
فقيل من عشر سنين الى عشرين وقيل من مائة الى مائة وعشرين سنة والمد المذكور في الحديث الثاني هو
ربع صاع والنصيف نصفه والمعنى لو ان احدا عمل مهما قدر عليه من اعمال البر والانفاق في سبيل الله
ما بلغ هذا القدر اليسير التافه من اعمال الصحابة وانفاقهم لانهم انفقوا وبذلوا الجهود في وقت الحاجة
وقوله تعالى **رضي الله عنهم ورضوا عنه** يعني رضي الله اعمالهم ورضوا عنه بما جازاهم عليها من الثواب
وهذا لفظ عام يدخل فيه كل الصحابة **واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك
الفوز العظيم** قوله تعالى **وممن حولكم من الاعراب منافقون** ذكر جماعة من المفسرين من المتاخرين كالبغوي
والواحدي وابن الجوزي انهم من اعراب مزينة وجهينة واشجع وغفار واسلم وكانت منازلهم حول المدينة
يعني ومن هولا الاعراب منافق وما ذكره مشكل لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهولا القبايل ومدحهم فان
صح نقل المفسرين فيحمل قوله تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون على القليل لان لفظة من للتبعيض
ويحمل دعا النبي صلى الله عليه وسلم لهم على الاكثر والاغلب وبهذا يمكن الجمع بين قول المفسرين وقول النبي صلى
الله عليه وسلم فيه واما الطبري فانه اطلق القول ولم يعين احدا من القبايل المذكورة في تفسير هذه الاية
بل قال في تفسير هذه الاية ومن القوم الذين حول مدينتكم ايها المومنون من الاعراب منافقون ومن اهل مدينتكم
ايضا امثالهم اقوام منافقون وقال البغوي **ومن اهل المدينة** من الاوس والخزرج منافقون **مردوا على النفاق**
فيه تقديم وتاخير تقديره وممن حولكم من الاعراب ومن اهل المدينة منافقون مردوا على النفاق يعني مرنوا
عليه يقال تمرد فلان على ربه اذا عتا وتجبر ومنه الشيطان المارد وتمرد في معصيته اي مرن وثبت عليها
واعتادها ولم يتب منها قال ابن اسحق لجوا فيه وابوا غيره وقال ابن زيد اقاموا عليه ولم يتوبوا منه
لا تعلمهم يعني انهم بلغوا في النفاق الى حيث انك لا تعلمهم يا محمد مع صفا خاطرك واطلاعك على الاسرار **نحن نعلمهم**
يعني لكن نحن نعلمهم لانه لا يخفى علينا خافية وان دقت **سنعذبهم مرتين** اختلف المفسرون في العذاب الاول مع
اتفاقهم على ان العذاب الثاني هو عذاب القبر بدليل قوله **ثم يردون الى عذاب عظيم** وهو عذاب النار في الاخرة
فثبت بهذا ان الله تعالى يعذبهم ثلاث مرات مرة في الدنيا ومرة في القبر ومرة في الاخرة اما المرة
الاولى وهي التي اختلفوا فيها فقال الكلبي والسدي قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا في يوم جمعة فقال
اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج من المسجد ناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني هو عذاب
القبر فان صح هذا القول فيحتمل ان يكون بعد ان اعلمه الله حالهم وسماهم له لان الله تعالى قال لا تعلمهم
نحن نعلمهم ثم بعد ذلك اعلمه بهم وقال مجاهد العذاب الاول هو القتل والسبي وهذا القول ضعيف لان احكام

الاسلام في الظاهر كانت جارية على المنافقين ثم يقتلوا ولم يسلبوا وعن مجاهد رواية اخرى انهم عذبوا بالجوع
مرتين وقال قتادة المرة الاولى هي الدبيلة في الدنيا وقد جا تفسيرها في الحديث بانها خراج من نار يظهر في
اكتافهم حتى ينجم من صدورهم يعني يخرج من صدورهم وقال ابن زيد الاولى هي المصايب في الاموال والاولاد
في الدنيا والاخرى عذاب الاخرة وقال ابن عباس الاولى اقامة الحدود عليهم في الدنيا والاخرى عذاب القبر
وقال ابن اسحق الاولى هي ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه كرها غير حسبة والاخرى عذاب
القبر وقيل احدهما ضرب الملايكة وجوههم وادبارهم عند قبض ارواحهم والاخرى عذاب القبر وقيل الاولى
احراق مسجدهم مسجد الضرار والاخرى احراقهم بنار جهنم وقوله ثم يردون الى عذاب عظيم يعني عذاب
جهنم يخلدون فيه قوله عز وجل **وآخرون اعترفوا بذنوبهم** فيهم قولان احدهما انهم قوم من المنافقين
تابوا من نفاقهم واخلصوا ووجه هذا القول ان قوله وآخرون عطف على قوله وممن حولكم من الاعراب
منافقون والعطف يوهم ذلك ويعضده ما نقله الطبري عن ابن عباس انه قال هم الاعراب والقول الثاني
وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت في جماعة من المسلمين من اهل المدينة تخلفوا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك واختلف المفسرون في عددهم فروي عن ابن عباس انهم كانوا
عشرة منهم ابو لبابة وروي عنه انهم كانوا خمسة احدهم ابو لبابة وقال سعيد بن جبير وزيد بن اسلم كانوا
ثمانية احدهم ابو لبابة وقال قتادة والضحاك كانوا سبعة احدهم ابو لبابة وقيل كانوا ثلاثة ابو لبابة
ابن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حذام وذلك انهم تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك ثم ندموا بعد ذلك وتابوا وقالوا نكون في الظلال ومع النسا ورسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه في الجهاد واللاوا فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب من المدينة
قالوا والله لنوثقن انفسنا بالسواري فلا يطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي
يطلقنا ويعذرنا فربطوا انفسهم في سواري المسجد فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بهم
فراهم فقال من هولا فقالوا هولا تخلفوا عنك فعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون انت الذي تطلقهم
وترضى عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر
باطلاقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فانزل الله عز وجل هذه الاية فارسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليهم فاطلقهم وعذرهم فلما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك
خذها فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امرت ان اخذ من
اموالكم شيا فانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة تطهرهم الاية وقال قوم نزلت هذه الاية في ابي
لبابة خاصة واختلفوا في ذنبه الذي تاب منه فقال مجاهد نزلت في ابي لبابة حين قال لبني قريظة ان
نزلتم على حكمه فهو الذبح واشار الى حلقه فندم على ذلك وربط نفسه بسارية وقال والله لا احل نفسي
ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام لا يذوق طعاما ولا شرابا
حتى خر مغشيا عليه فانزل الله هذه الاية فقيل له قد تيب عليك فقال والله لا احل نفسي حتى يكون
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يحلني فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فحله بيده فقال ابو لبابة
يا رسول الله ان من توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي كله صدقة الى الله
والى رسوله فقال يجزيك الثلث يا ابا لبابة قالوا جميعا فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث
اموالهم وترك لهم الثلثين لان الله تعالى قال خذ من اموالهم ولم يقل خذ اموالهم ولان لفظة من تقتضي

التبعيض

التبعيض قال الحسن وقتادة وهولا سوى الثلاثة الذين خلفوا وسياتي خبرهم واما تفسير الاية فقوله تعالى
وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال اهل المعاني الاعتراف عبارة عن الاقرار بالشي ومعناه انهم اقروا بذنوبهم وفيه
دقيقة وهي انهم لم يعتذروا عن تخلفهم باعذار باطلة كغيرهم من المنافقين ولكن اعترفوا على انفسهم
بذنوبهم وندموا على ما فعلوا فان قلت الاعتراف بالذنب هل يكون توبة ام لا قلت مجرد الاعتراف بالذنب
لا يكون توبة فاذا اقترن بالاعتراف الندم على الماضي من الذنب والعزم على تركه في المستقبل فيكون
ذلك الاعتراف والندم توبة وقوله تعالى **خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا** قيل اراد بالعمل الصالح اقرارهم
بالذنب وتوبتهم منه والعمل السيء هو تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل العمل الصالح
هو خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ساير الغزوات والسيء هو تخلفهم عنه في غزوة تبوك
وقيل ان الصالح يعم جميع اعمال البر والطاعة والسيء ما كان ضده فعلى هذا تكون الاية في حق جميع
المسلمين والحمل على العموم اولى وان كان السبب مخصوصا بمن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك وروى الطبري عن ابي عثمان قال ما في القران اية ارجى عندي لهذه الامة من قوله وآخرون
اعترفوا بذنوبهم الاية فان قلت قد جعل كل واحد من العمل الصالح والسيء مخلوطا فما المخلوط به قلت ان
الخلط عبارة عن الجمع المطلق فاما قولك خلطته فانما يحسن في الموضع الذي يمتزج كل واحد من الخليطين
بالاخر ويتغير به عن صفته الاصلية كقولك خلطت الما باللبن وخلطت الما واللبن فتنوب الواو عن البا
فيكون معنى الاية على هذا خلطوا عملا صالحا باخر سيء ذكره غالب المفسرين وانكره الامام فخر الدين الرازي
وقال اللايق بهذا الموضع الجمع المطلق لان العمل الصالح والعمل السيء اذا حصلا معا بقي كل واحد منهما
على حاله كما هو مذهبنا فان القول بالاحباط باطل فالطاعة تبقى موجبة للمدح والثواب والمعصية
تبقى موجبة للذم والعقاب فقوله تعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فيه تنبيه على نفي القول بالمخالطة
وانه بقي كل واحد منهما كما كان من غير ان يتاثر احدهما بالاخر فليس الا الجمع المطلق وقال الواحدي العرب
تقول خلطت الما باللبن وخلطت الما واللبن كما تقول جمعت زيدا وعمرا والواو في الاية احسن من البا
لانه اريد معنى الجمع لا حقيقة الخلط الا ترى ان العمل الصالح لا يختلط بالسيء كما يختلط الما باللبن لكن قد
يجمع بينهما وقوله تعالى **عسى الله ان يتوب عليهم** قال ابن عباس وجمهور المفسرين عسى من الله واجب والدليل
عليه قوله تعالى فعسى الله ان ياتي بالفتح وقد فعل ذلك وقال اهل المعاني لفظة عسى هنا تفيد الطمع
والاشفاق لانه ابعد من الاتكال والاهمال وقيل ان الله تعالى لا يجب عليه شيا بل كل ما يفعله على سبيل
التفضل والتطول والاحسان فذكر لفظة عسى التي هي للترجي والطمع حتى يكون العبد بين الترجي والاشفاق
ولكن هو نيل ما يرجوه منه اقرب لانه ختم الاية بقوله **ان الله غفور رحيم** وهذا يفيد انجاز الوعد
قوله تعالى **خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** قال ابن عباس لما اطلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابا لبابة وصاحبيه انطلق ابو لبابة وصاحباه فاتوا باموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا خذ من اموالنا وتصدق بها عنا وصل علينا يقولون استغفر لنا وطهرنا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا اخذ شيا منها حتى اومر به فانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة الاية وهذا قول زيد
ابن اسلم وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك ثم اختلف العلما في المراد بهذه الصدقة فقال بعضهم هو راجع
الى هولا الذين تابوا وذلك انهم بذلوا اموالهم صدقة فاوجب الله تعالى اخذها وصار ذلك معتبرا في كمال
توبتهم لتكون جارية مجرى الكفارة واصحاب هذا القول يقولون ليس المراد بها الصدقة الواجبة

وقال بعضهم ان الزكاة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم عن الغزو وحسن اسلامهم بذلوا الزكاة
امر الله رسوله ان ياخذها منهم وقال بعضهم ان الاية كلام مبتدا والمقصود منها ايجاب اخذها من الاغنيا
ودفعها الى الفقرا وهذا قول اكثر الفقها واستدلوا بها على ايجاب اخذ الزكاة اما حجة اصحاب القول
الاول فانهم قالوا ان الايات لابد وان تكون منتظمة متناسبة فلو حملناها على اخذ الزكاة الواجبة لم
يبق لهذه الاية تعلق بما قبلها ولا بما بعدها ولان جمهور المفسرين ذكروا في سبب نزولها انها نزلت في
شان التايبين واما اصحاب القول الاخير فانهم قالوا المناسبة حاصلة ايضا على هذا التقدير وذلك
لانهم لما تابوا واخلصوا واقروا ان السبب الموجب للتخلف سوحب المال فامروا باخراج الزكاة التي هي طهرة
فلما اخرجوها علم صحة قولهم وصحة توبتهم ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فان قالوا ان الزكاة
قدر معلوم لا يبلغ ثلث المال وقد اخذ منهم ثلث اموالهم قلنا لا يمنع هذا صحة ما قلناه لانهم رضوا ببذل
الثلث من اموالهم فلا يكونوا راضين باخراج الزكاة وهذا اولى ثم في هذه الاية احكام الاول قوله تعالى خذ
من اموالهم الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم اي خذ يا محمد من اموالهم صدقة فكان النبي صلى الله عليه
وسلم ياخذها منهم ايام حياته ثم اخذها الايمة من بعده فيجوز للامام او نايبه ان ياخذ الزكاة من الاغنيا
ويدفعها الى الفقرا الحكم الثاني قوله من اموالهم ولفظة من تقتضي التبعيض وهذا البعض الماخوذ غير
معلوم ولا مقدر بنص القران فلم يبق الا الصدقة التي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدرها ووصفها
في اخذ الزكاة الحكم الثالث ظاهر قوله خذ من اموالهم صدقة يفيد العموم فتجب الزكاة في جميع المال حتى
في الديوان وفي مال الركاز الحكم الرابع ظاهر قوله تطهرهم ان الزكاة انما وجبت لتكون طهرة من الاثام
وصدور الاثام لا يمكن حصولها الا من البالغ دون الصبي فوجب ان تجب الزكاة في مال البالغ دون الصبي
وهذا قول ابي حنيفة اجاب اصحاب الشافعي بانه لا يلزم من انتفا سبب معين انتفا الحكم مطلقا وللعلما
في قوله تطهرهم اقوال الاول ان معناه خذ يا محمد من اموالهم صدقة فانها تطهرهم باخذها من دنس الاثام
القول الثاني ان يكون تطهرهم متعلقا بالصدقة فتقديره خذ من اموالهم صدقة فانها طهر لهم وانما حسن
جعل الصدقة مطهرة ما جا ان الصدقة اوساخ الناس فاذا اخذت الصدقة فقد اندفعت تلك الاوساخ
فكان ذلك الاندفاع جاريا مجرى التطهير فعلى هذا القول يكون قوله تعالى وتزكيهم بها منقطعا عن قوله تطهرهم
ويكون التقدير خذ يا محمد من اموالهم صدقة تطهرهم تلك الصدقة وتزكيهم انت بها القول الثالث ان تجعل
التاني قوله تطهرهم وتزكيهم بواسطة تلك الصدقة القول الرابع ان معناه تطهرهم من ذنوبهم وتزكيهم
يعني ترفع منازلهم من منازل المنافقين الى منازل الابرار المخلصين وقيل معنى وتزكيهم اي تنمي اموالهم ببركة
اخذها منهم الحكم الخامس قوله تعالى **وصل عليهم** يعني ادع لهم واستغفر لهم لان اصل الصلاة في اللغة الدعا
قال الشافعي السنة للامام اذا اخذ الصدقة ان يدعو للمتصدق فيقول اجرك الله فيما اعطيت وبارك
لك فيما ابقيت وقال بعضهم يجب على الامام ان يدعو للمتصدق وقال بعضهم يستحب ذلك وقيل يجب
في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع وقيل يجب على الامام ويستحب للفقير ان يدعو للمعطي
وقال بعضهم يستحب ان يقول اللهم صل على فلان ويدل عليه ما روي عن عبد الله بن ابي اوفى وكان من اصحاب
الشجرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقة قال اللهم صل عليهم فاتاه ابي بصدقة
فقال اللهم صل على ال ابي اوفى اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى **ان صلاتك** وقرى صلواتك على الجمع **سكن
لهم** يعني ان دعاك رحمة لهم وقال ابن عباس طمانينة وسكن لهم وقيل ان الله قد قبل منهم وقال ابو عبيدة

تثبيت

تثبيت لقلوبهم وقيل ان السكن ما سكنت اليه والمعنى ان صلواتك توجب سكون نفوسهم اليها وان الله قد قبل
توبتهم او قبل زكاتهم **والله سميع** يعني لاقوالهم او لدعايك لهم **عليم** يعني بنياتهم **الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة
عن عباده** هذه صيغة استفهام الا ان المقصود منه التقرير فبشر الله عز وجل هولا التايبين بقبول توبتهم
وصدقاتهم ومعنى الاية الم يعلم هولا الذين تابوا ان الله يقبل التوبة الصادقة والصدقة الخالصة
وقيل ان المراد بهذه الاية غير التايبين ترغيبا لهم في التوبة وبذل الصدقات وذلك انها لما نزلت توبة
هولا التايبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هولا كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم
اليوم فانزل الله هذه الاية ترغيبا لهم في التوبة وقوله تعالى عن عباده قيل لا فرق بين قوله عن عباده
او من عباده اذ لا فرق بين قولك اخذت هذا العلم عنك او منك وقيل بينهما فرق ولعل عن في هذا
الموضع ابلغ لان فيه تبشيرا بقبول التوبة مع تسهيل سبيلها وقوله تعالى **وياخذ الصدقات** يعني
يقبلها ويثيب عليها وانما ذكر لفظ الاخذ ترغيبا في بذل الصدقة واعطايها الفقرا وقيل معنى اخذ
الصدقات تضمنه الجزا عليها ولما كان هو المجازي عليها والمثيب بها اسند الاخذ الى نفسه وان كان
الفقير او السايل هو الاخذ لها وفي هذا تعظيم امر الصدقات وتشريفها وان الله يقبلها من عبده
المتصدق **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق احد بصدقة من كسب طيب
ولا يقبل الله الا الطيب الا اخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون اعظم من
الجبل كما يربي احدكم فلوه او فصيله لفظ مسلم وفي لفظ البخاري من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا
يصعد الى الله وفي رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي
احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل اخرجه الترمذي ولفظه ان الله يقبل الصدقة وياخذها بيمينه فيربيها
لاحدكم كما يربي احدكم فلوه حتى اللقمة لتصير مثل احد وتصديق ذلك في كتاب الله الم يعلموا ان الله هو
يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات ويمحق الله الربا ويربي الصدقات وقوله من كسب طيب
اي حلال وذكر اليمين والكف في الحديث كناية عن قبول الصدقة وان الله تعالى قد قبلها من المعطي
لان من عادة الفقير والسايل اخذ الصدقة بكفه اليمين فكان المتصدق قد وضع صدقته في القبول
والاثابة وقوله فتربو اي تكبر يقال ربا الشي يربو اذا زاد وكبر والفلو بضم الفا وفتحها لغتان المهر
اول ما يولد والفصيل ولد الناقة الى ان ينفصل عنها وقوله تعالى **وان الله هو التواب الرحيم** تاكيد
لقوله تعالى الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وتبشير لهم بان الله هو التواب الرحيم قوله
عز وجل **وقل اعملوا** اي قل يا محمد لهولا التايبين اعملوا يعني لله بطاعته واداء فرايضه **فسيرى الله عملكم**
فيه ترغيب عظيم للمطيعين ووعيد عظيم للمذنبين فكانه قال اجتهدوا في العمل في المستقبل فان الله
يرى اعمالكم ويجازيكم عليها **ورسوله والمومنون** يعني ويرى رسول الله والمومنون اعمالكم ايضا اما
روية الرسول صلى الله عليه وسلم باطلاع الله اياه على اعمالهم واما روية المومنين فبما يقذف الله
عز وجل في قلوبهم من محبة الصالحين وبغض المفسدين **وستردون الى عالم الغيب والشهادة** يعني
وسترجعون يوم القيمة الى من يعلم سركم وعلانيتكم ولا يخفى عليه شي من بواطنكم وظواهركم **فينبيكم**
اي فيخبركم **بما كنتم تعملون** يعني في الدنيا من خير او شر فيجازيكم على اعمالكم قوله تعالى **واخرون مرجون**
اي موخرون والارجا التاخير **لامر الله** يعني لحكم الله فيهم قال بعضهم ان الله تعالى قسم المتخلفين على
ثلاثة اقسام اولهم المنافقون وهم الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه والقسم الثاني التايبون

وبهم الذين سارعوا الى التوبة بعد ما اعترفوا بذنوبهم وتم ابو لبابة واصحابه فقبل الله توبتهم والقسم
الثالث موقوفون ومؤخرون الى ان يحكم الله فيهم وهم المراد بقوله وآخرون مرجون لامر الله والفرق
بين القسم الثاني والقسم الثالث ان القسم الثاني سارعوا الى التوبة فقبل الله توبتهم والقسم الثالث
توقفوا ولم يسارعوا الى التوبة فاخر الله امرهم ثم نزلت هذه الاية في الثلاثة الذين تخلفوا وهم
كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وستاتي قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين
خلفوا وذلك انهم لم يبالغوا في التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه فوقفهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى الناس عن كلامهم وكانوا من اهل بدر فجعل بعض الناس يقولون
هلكوا وبعضهم يقول عسى الله ان يتوب عليهم ويغفر لهم وهو قوله تعالى اما يعذبهم واما يتوب
عليهم يعني ان امرهم الى الله ان شاء عذبهم بسبب تخلفهم وان شاء غفر لهم وعفى عنهم والله عليم يعني بما في
قلوبهم حكيم يعني فيما يقضي عليهم قوله عز وجل والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا نزلت في جماعة
من المنافقين بنوا مسجدا يضارون به مسجد قبا وكانوا اثنى عشر رجلا من اهل النفاق وديعة بن ثابت
وخذام بن خالد ومن داره اخرج هذا المسجد وثعلبة بن حاطب وجارية بن عمرو وابناه مجمع وزيد ومعتب
ابن قشير وعباد بن حنيف اخو سهل بن حنيف وابو حبيبة بن الازعر ونبتل بن الحرث وبجاد بن عثمان
ويخرج بنوا هذا المسجد ضرارا يعني مضارة للمؤمنين وكفرا يعني ليكفروا فيه بالله ورسوله وتفريقا بين
المؤمنين لانهم كانوا جميعا يصلون في مسجد قبا فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيؤدي ذلك
الى الاختلاف وافتراق الكلمة وكان يصلي بهم فيه مجمع بن جارية وكان شابا يقرأ القرآن ولم يدر ما ارادوا
بحيثيانه فلما فرغوا من بنايه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله
انا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب ان تاتينا وتصلي
لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله
اتيناكم فصلينا فيه وقوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني انهم بنوا هذا المسجد
للضرار والكفر وبنوه ارصادا يعني انتظارا واعدادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني من قبل
بناء هذا المسجد وهو ابو عامر الراهب والد حنظلة غسيل الملائكة وكان ابو عامر قد ترهب في الجاهلية
ولبس المسوح وتنصر فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال له ابو عامر ما هذا الدين الذي
جئت به قال النبي صلى الله عليه وسلم جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال ابو عامر فانا عليها فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم انك لست عليها قال ابو عامر بلى ولكنك ادخلت في الحنيفية ما ليس منها فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية فقال ابو عامر امات الله الكاذب منا
طريدا وحيدا غريبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم امين وسماه ابا عامر الفاسق فلما كان يوم احد
قال ابو عامر الفاسق للنبي صلى الله عليه وسلم لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك
الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يئس ابو عامر وخرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان
استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فاتي بجند من الروم
فاخرج محمدا واصحابه فبنوا مسجد الضرار الى جنب مسجد قبا فذلك قوله تعالى وارصادا يعني انتظارا
لمن حارب الله ورسوله يعني ابا عامر الفاسق ليصلي فيه اذا رجع من الشام من قبل يعني ان ابا عامر الفاسق
حارب الله ورسوله من قبل بنا مسجد الضرار وليحلفن يعني الذين بنوا ان اردنا يعني ما اردنا ببنائه الا

الحسنى

الحسنى يعني الا الفعلة الحسنى وهي الرفق بالمسلمين والتوسعة على اهل الضعف والعجز عن الصلاة
في مسجد قبا او مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والله يشهد انهم لكاذبون يعني في قيلهم وحلفهم
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما انصرف من تبوك راجعا نزل بذي اوان وهو موضع قريب من
المدينة فاتاه المنافقون وسالوه ان ياتي مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم فانزل الله عز
وجل هذه الاية واخبره خبر مسجد الضرار وما هموا به فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك
ابن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشيا فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله
فاهدموه واحرقوه فخرجوا مسرعين حتى اتوا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال
مالك انظروني حتى اخرج اليكم بنار فدخل اهله فاخذ من سعف النخل فاشعله ثم خرجوا يشتدون
حتى دخلوا المسجد وفيه اهله فاحرقوه وهدموه وتفرق عنه اهله وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ
ذلك الموضع كناسة تلقى فيها الجيف والنتن والقمامة ومات ابو عامر الراهب بالشام غريبا وحيدا وروي
ان بني عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قبا اتوا عمر بن الخطاب في خلافته فسالوه ان ياذن لمجمع بن جارية ان يؤمهم
في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين اليس هو امام مسجد الضرار فقال مجمع يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد
صليت فيه واني لا اعلم ما اضمروا عليه ولو علمت ما صليت معهم فيه وكنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا
لا يقرؤون فصليت بهم ولا احسب الا انهم يتقربون الى الله ولم اعلم ما في انفسهم فعذره عمر وصدقه وامره بالصلاة
في مسجد قبا قال عطاء لما فتح الله على عمر بن الخطاب الامصار امر المسلمين ان يبنوا المساجد وامرهم ان لا يبنوا
في موضع واحد مسجدين يضار احدهما الاخر قوله تعالى لا تقم فيه ابدا قال ابن عباس معناه لا تصل فيه
ابدا منع الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي في مسجد الضرار لمسجد اسس على التقوى اللام فيه
لام الابتداء وقيل لام القسم تقديره والله لمسجد اسس يعني بني اصله ووضع اساسه على تقوى الله عز وجل
من اول يوم يعني من اول يوم بني ووضع اساسه وكان ذلك الباني على التقوى احق ان تقوم فيه يعني مصليا
واختلفوا في المسجد الذي اسس على التقوى فقال ابن عمر وزيد بن ثابت وابو سعيد الخدري هو مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعني مسجد المدينة ويدل له ما روي عن ابي سعيد الخدري قال دخلت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه فقلت يا رسول الله اي المسجدين اسس على التقوى قال فاخذ
كفا من حصباء فضرب به الارض ثم قال هو مسجدكم هذا المسجد المدينة اخرجه مسلم وعن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي ق وعن عبد الله
ابن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة عن ام سلمة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان قوائم منبري هذا رواتب في الجنة اخرجه النسائي قوله رواتب
يعني ثوابت يقال رتب بالمكان اذا اقام فيه وثبت وفي رواية عن ابن عباس وعروة ابن الزبير وسعيد بن
جبير وقتادة انه مسجد قبا ويدل عليه سياق الاية وهو قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا ويدل
على انهم اهل قبا ما روي عن ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في اهل قبا فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله
يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الاية فيهم اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث
غريب هكذا ذكره صاحب جامع الاصول من رواية ابي داود والترمذي موقوفا على ابي هريرة ورواه البغوي
من طريق ابي داود مرفوعا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الاية في اهل قبا فيه رجال
يحبون ان يتطهروا قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الاية ومما يدل على فضل مسجد قبا ما روي

عن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور قبا او ياتي قبا راكبا وماشيا زاد في رواية فيصلي فيه ركعتين وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياتي مسجد قبا كل سبت راكبا وماشيا وكان ابن عمر يفعله اخرج الرواية الاولى والزيادة البخاري ومسلم واخرج الرواية الثانية البخاري عن سهل بن حنيف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حتى ياتي هذا المسجد مسجد قبا فيصلي فيه كان له كعدل عمرة اخرجه النساي عن اسيد بن ظهير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة في مسجد قبا كعمرة اخرجه الترمذي وقوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا يعني من الاحداث والجنابات وساير النجاسات وهذا قول اكثر المفسرين قال عطا كانوا يستنجون بالما ولا ينامون بالليل على الجنابة عن ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في اهل قبا فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالما فنزلت هذه الاية فيهم اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب هكذا ذكره صاحب جامع الاصول موقوفا على ابي هريرة ورفعه البغوي وغيره فقالوا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكره وروى الطبري بسنده عن عويم بن ساعدة وكان من اهل بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قبا اني اسمع الله عز وجل قد احسن عليكم الثنا في الطهور فما هذا الطهور قالوا يا رسول الله ما نعمل شيا الا ان جيرانا لنا من اليهود رايناهم يغسلون ادبارهم من الغايط فغسلنا كما غسلوا وعن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قبا ان الله قد احسن عليكم الثنا في الطهور فما تصنعون قالوا انا نغسل عنا اثر الغايط والبول وقال الامام فخر الدين الرازي المراد من هذه الطهارة طهارة الذنوب والمعاصي وهذا القول متعين لوجوه الاول ان التطهير من الذنوب هو المؤثر في القرب من الله عز وجل واستحقاق ثوابه ومدحه الوجه الثاني ان الله تعالى وصف اصحاب مسجد الضرار بمضارة المسلمين والتفريق بينهم والكفر بالله وكون هولا يعني اهل قبا بالضد من صفاتهم وما ذاك الا لكونهم مبرئين من الكفر والمعاصي وهي الطهارة الباطنة الوجه الثالث ان طهارة الظاهر انما تحصل لها اثر عند الله اذا حصلت الطهارة الباطنة من الكفر والمعاصي وقيل يحتمل انه محمول على كلا الامرين يعني طهارة الباطن من الكفر والنفاق والمعاصي وطهارة الظاهر من الاحداث والنجاسات بالما والله يحب المطهرين فيه مدح لهم وثنا عليهم والرضى عنهم بما اختاروه لانفسهم من المداومة على محبة الطهارة قوله تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان يعني طلب ببنايه المسجد الذي بناه تقوى الله ورضاه والمعنى ان الباني لما بنى ذلك البنا كان قصده تقوى الله وطلب رضاه وثوابه خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار الشفا هو الشفير وشفا كل شي حرفه ومنه يقال اشفى على كذا اذا دنا منه وقرب ان يقع فيه والجرف المكان الذي اكل الما تحته فهو الى السقوط قريب قال ابو عبيد الجرف هو الهوة وما يجرفه السيل من الاودية فينجرف بالما فيبقى واهيا هار اي هاير وهو الساقط فهو من هار يهور فهو هاير وقيل هو من هار يهار اذا انهدم وسقط وهو الذي تداعى بعضه في اثر بعض كما يهار الرمل والشي الرخو فانهار به يعني سقط بالباني في نار جهنم والمعنى ان بنا هذا المسجد الضرار كالبنا على شفير جهنم يتهور باهله فيها وهذا مثل ضربه الله للمسجدين مسجد الضرار ومسجد التقوى مسجد قبا او مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فمعنى المثل افمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير ام من اسس دينه على اضعف القواعد واقلها بقا وثباتا وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل بنا على غير اساس ثابت وهو شفا جرف هار واذا كان كذلك كان اسرع الى السقوط في نار جهنم ولان

الباني

الباني الاول قصد ببنايه تقوى الله ورضوانه فكان بناوه اشرف البنا والباني الثاني قصد ببنايه الكفر والنفاق واضرار المسلمين فكان بناوه اخس البنا وكان عاقبته الى نار جهنم قال ابن عباس صيرهم نفاقهم الى النار وقال قتادة والله ما تناهى بناوهم حتى وقع في النار ولقد ذكر لنا انه حفرت بقعة منه فروي الدخان يخرج منه وقال جابر بن عبد الله رايت الدخان يخرج من مسجد الضرار لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة يعني شكا ونفاقا في قلوبهم والمعنى ان ذلك البنيان صار سببا لحصول الريبة في قلوبهم لان المنافقين فرحوا ببنا مسجدهم فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه ثقل ذلك عليهم وازدادوا غما وحزنا وبغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سبب الريبة في قلوبهم وقيل انهم كانوا يحسبون انهم محسنين في بنايه كما حبب العجل الى بني اسرايل فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه بقوا شاكين مرتابين لاي سبب امر بتخريبه وقال السدي لا يزال هدم بنيانهم ريبة اي حرارة وغيظا في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم اي يجعل قلوبهم قطعا وتفرق اجزا اما بالسيف واما بالموت والمعنى ان هذه الريبة باقية في قلوبهم الى ان يموتوا عليها والله عليم يعني باحوالهم واحوال جميع عباده حكيم يعني فيما حكم به عليهم قوله عز وجل ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية قال محمد بن كعب القرظي لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شيت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا اذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة قال ابن عباس بالجنة قال اهل المعاني لا يجوز ان يشتري الله شيا في الحقيقة لان المشتري انما يشتري ما لا يملك والاشيا كلها ملك الله عز وجل ولهذا قال الحسن انفسنا هو خلقها واموالنا هو رزقنا اياها لكن جرى هذا مجرى التلطف في الدعا الى الطاعة والجهاد وذلك لان المومن اذا قاتل في سبيل الله حتى يقتل او انفق ماله في سبيل الله عوضه الله الجنة في الاخرة جزا لما فعل في الدنيا فجعل ذلك استبدالا واشترا فهذا معنى اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والمراد بالاموال انفاقها في سبيل الله وفي جميع وجوه البر والطاعات يقاتلون في سبيل الله هذا تفسير لتلك المبايعة وقيل فيه معنى الامر اي قاتلوا في سبيل الله فيقتلون ويقتلون يعني فيقتلون اعدا الله ويقتلون في طاعة الله وسبيله وعدا عليه حقا يعني ذلك الوعد بان لهم الجنة وعدا على الله حقا في التوراة والانجيل والقران يعني ان هذا الوعد الذي وعده الله للمجاهدين في سبيله قد اثبته في التوراة والانجيل كما اثبته في القران وفيه دليل على ان الامر بالجهاد موجود في جميع الشرايع ومكتوب على جميع اهل الملل ومن اوفى بعهده من الله يعني لا احد اوفى بالعهد من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به يعني فاستبشروا ايها المومنون بهذا البيع الذي بايعتم الله به وذلك يعني هذا البيع هو الفوز العظيم لانه رابح في الاخرة قال عمر بن الخطاب ان الله بايعك وجعل الصفقتين لك وقال الحسن اسمعوا الى بيعة رابحة بايع الله بها كل مومن وعنه قال ان الله تعالى اعطاك الدنيا فاشترى الجنة ببعضها وقال قتادة ثامنهم فاغلى لهم قوله تعالى التايبون قال الفرا استونف لفظا لتايبين بالرفع لتمام الاية الاولى وانقطاع الكلام وقال الزجاج التايبون رفع بالابتدا وخبره مضمر المعنى التايبون لهم الجنة ايضا من لم يجاهد غير معاند ولا قاصد لترك الجهاد فله الجنة ايضا وهذا وجه حسن كانه وعد بالجنة جميع المومنين

كما قال وكلا وعد الله الحسنى ومن جعله تابعًا للاول كان الموعد بالجنة خاصًا لمجا هدين الموصوفين
بهذه الصفات فيكون رفع التايبون على المدح يعني على المومنين المذكورين في قوله تعالى ان الله
اشترى واما التفسير فقوله تعالى التايبون يعني تابوا من الشرك وبريوا من النفاق وجميع المعاصي
لان لفظ التايبين لفظ عموم فيتناول الكل واعلم ان التوبة المقبولة انما تحصل بحصول اربعة
امور اولها احتراق القلب عند صدور المعصية وثانيها الندم على فعلها فيما مضى وثالثها
العزم على تركها في المستقبل ورابعها ان يكون الحامل له على التوبة طلب رضوان الله وعبوديته
فان كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح الناس له ودفع مذمتهم فليس بمخلص في توبته **العابدون**
يعني المطيعين لله الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم وقيل هم الذين اتوا بالعبادة على اقصى
وجوه التعظيم لله تعالى ونية ان تكون العبادة خالصة لله تعالى **الحامدون** يعني الذين يحمدون
الله على كل حال في السراء والضراء روى البغوى بغير سند عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من يدعى الى الجنة يوم القيمة الذين يحمدون الله في السراء والضراء وقيل هم يحمدون الله ويقومون
بشكره على جميع نعمه دنيا واخرى **السايحون** قال ابن مسعود وابن عباس هم الصايمون قال
سفيان بن عيينة انما سمي الصايم سايحًا لتركه اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح وقال
الازهري قيل للصايم سايح لان الذي يسيح في الارض متعبدًا لا زاد معه فكان ممسكًا عن الاكل وكذلك
الصايم ممسك عن الاكل وقيل اصل السياحة استمرار الذهاب في الارض كالما الذي يسيح والصايم مستمر
على فعل الطاعة وترك المنهي وقال عطا السايحون هم الغزاة المجاهدون في سبيل الله ويدل عليه
ما روي عن عثمان بن مظعون قال قلت يا رسول الله ايذن لنا في السياحة فقال ان سياحة امتي
الجهاد في سبيل الله ذكره البغوى بغير سند وقال عكرمة السايحون هم طلبة العلم لانهم ينتقلون
من بلد الى بلد في طلبه وقيل ان السياحة لها اثر عظيم في تهذيب النفس وتحسين اخلاقها لان السايح
لا بد ان يلقى انواعًا من الضر والبوس ولا بد له من الصبر عليها ويلقى العلما والصالحين في سياحته
فيستفيد منهم وتعود عليه من بركتهم ويرى العجايب واثار قدرة الله تعالى فيتفكر في ذلك فيدل على
وحدانية الله تعالى وعظيم قدرته **الراكعون الساجدون** يعني المصلين وانما عبر عن الصلاة
بالركوع والسجود لانه معظم اركانها وبهما يتميز المصلي عن غير المصلي بخلاف حالة القيام والقعود
لا يتماحالة المصلي وغيره **الامرون بالمعروف** يعني يامرون الناس بالايمان بالله وحده **والناهون
عن المنكر** يعني الشرك بالله وقيل انهم يامرون الناس بالحق في اديانهم واتباع الرشد والهدى والعمل الصالح
وينهونهم عن كل فعل وقول نهى الله عباده عنه او نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحسن
اما انهم لم يامروا الناس بالمعروف حتى كانوا من اهله ولم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه واما دخول
الواو في والناهون عن المنكر فان العرب تعطف بالواو على السبعة ومنه قوله تعالى وثامنهم كلبهم
وقوله في صفة الجنة وفتحت ابوابها وقيل فيه وجه اخر وهو ان الموصوفين بهذه الصفات الست
هم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر فعلى هذا يكون قوله التايبون الى قوله الساجدون
مبتدا خبره هم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر **والحافظون لحدود الله** قال ابن عباس يعني
القايمين بطاعة الله وقال الحسن الحافظون لفرايض الله وهم اهل الوفا ببيعة الله وقيل
هم المودون فرايض الله المنتهون الى امره ونهيه فلا يضيعون شيا من العمل الذي الزمهم به ولا يرتكبون

بهما

٤١٠

منهيًا نهاهم عنه **وبشر المومنين** يعني وبشر يا محمد المصدقين بما وعدهم الله به اذا وفوا الله تعالى بعهده
فانه موف لهم بما وعدهم من ادخالهم الجنة وقيل وبشر من فعل هذه الافعال التسع وهي قوله التايبون
الى اخر الاية فان له الجنة وان لم يغزوا قوله عز وجل **ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين
ولو كانوا اولي قربى** الاية اختلف اهل التفسير في سبب نزول هذه الاية فقال قوم في شان ابي
طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم ووالد علي كرم الله وجهه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد
ان يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك ما روي عن سعيد بن المسيب عن ابيه المسيب بن حزن
قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل وعبد
الله بن ابي امية بن المغيرة فقال اي عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل
وعبد الله بن ابي امية اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها
عليه ويعودان لتلك المقالة حتى قال ابو طالب اخر ما كلمهم انا على ملة عبد المطلب وابى ان يقول
لا اله الا الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل الله
ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى وانزل الله في ابي طالب انك
لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا اخرجاه في الصحيحين فان قلت فقد استبعد بعض العلما
نزول هذه الاية في شان ابي طالب وذلك ان وفاته كانت بمكة اول الاسلام ونزول هذه السورة
بالمدينة وهي من اخر القران نزولا قلت الذي نزل في ابي طالب قوله تعالى انك لا تهدي من احببت
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك كما في الحديث فيحتمل انه صلى الله عليه
وسلم كان يستغفر له في بعض الاوقات الى ان نزلت هذه الاية ومنع من الاستغفار والله اعلم
بمراده واسرار كتابه **م** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه عند الموت قل
لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيمة فابى فانزل الله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي
من يشا الاية وفي رواية قال لولا تعيرني العرب قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقررت
بها عينك فانزل الله الاية **ق** عن ابي سعيد الخدري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
عنده عمه ابو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيمة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه
يغلي منه ام دماغه وفي رواية يغلي منه دماغه من حرارة نعليه **ق** عن العباس بن عبد المطلب عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ما اغنيت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لك
قال هو في ضحضاح من نار ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار وفي رواية قال قلت يا رسول
الله ان عمك ابا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار
فاخرجته الى ضحضاح وقال ابو هريرة وبريدة لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة اتى قبر امه
فوقف حتى حميت الشمس رجا ان يوذن فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين الاية وروى الطبري بسنده عن بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة اتى رسم
قال واكثر ظني انه قال قبر فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا فقلنا يا رسول الله انا راينا
ما صنعت قال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم
يوذن لي فما رؤي باكيا اكثر من يوميذ وحكى ابن الجوزي عن بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبر
امه فتوضا وصلى ركعتين ثم بكى فبكى الناس لبكايه ثم انصرف اليهم فقالوا ما ابكاك قال مررت بقبر امي

فصليت ركعتين ثم استاذنت ربي ان استغفر لها فنهيت فبكيت ثم عدت فصليت ركعتين واستاذنت
ربي ان استغفر لها فزجرت زجرا فابكاني ثم دعا براحلته فركبها فما سار الا هنية حتى قامت الناقة لثقل
الوحي فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى الاية م عن ابي هريرة
قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر امه فبكى وابكى من حوله فقال استاذنت ربي في ان استغفر لها فلم يوذن
لي واستاذنته في ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكركم الموت وقال قتادة قال النبي
صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لابي كما استغفر ابراهيم لابيه فانزل الله هذه الاية وروى الطبري بسنده
عنه قال ذكر لنا ان رجالا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله ان من ابائنا من كان يحسن
الجوار ويصل الارحام ويفك العاني ويوفي بالذمم افلا نستغفر لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى
والله لاستغفرن لابي كما استغفر ابراهيم لابيه فانزل الله عز وجل ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين الاية ثم عذر الله ابراهيم فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها
اياه الاية عن علي بن ابي طالب قال سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له اتستغفر
لابويك وهما مشركان فقال استغفر ابراهيم لابيه وهو مشرك فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية اخرجه النسائي والترمذي وقال
حديث حسن واخرجه الطبري وقال فيه فانزل الله عز وجل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا
عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه الاية ومعنى الاية ما كان ينبغي للنبي
والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين وليس لهم ذلك لان الله تعالى لا يغفر للمشركين فلا يجوز ان يطلب
منه ما لا يفعله ففيه النهي عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا اولي قربى لان النهي عن الاستغفار للمشركين
عام فيستوي فيه القريب والبعيد ثم ذكر الله عز وجل سبب المنع فقال تعالى من بعد ما تبين لهم انهم
اصحاب الجحيم يعني تبين لهم انهم ماتوا على الشرك فهم من اصحاب الجحيم وايضا فقد قال تعالى ان الله
لا يغفر ان يشرك به والله لا يخلف الميعاد اما قوله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة
وعدها اياه فمعناه وما كان طلب ابراهيم لابيه المغفرة من الله الا من اجل موعده وعد ابراهيم اياه
ان يستغفر له رجاء اسلامه قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما انزل الله خبرا عن ابراهيم انه قال
سلام عليك ساستغفر لك ربي سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان فقلت اتستغفر لابويك
وهما مشركان فقال اولم يستغفر ابراهيم لابويه فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل
الله عز وجل قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم الى قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك يعني ان ابراهيم
ليس بقدوة في هذا الاستغفار لانه انما استغفر لابيه وهو مشرك لمكان الوعد الذي وعده رجاء ان يسلم
فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه فعلى هذا الهاء في اياه راجعة الى ابراهيم والوعد كان من ابيه وذلك
ان ابا ابراهيم وعد ابراهيم ان يسلم فقال ابراهيم ساستغفر لك ربي يعني اذا اسلمت وقيل الهاء راجعة
الى اب ابراهيم وذلك ان ابراهيم وعد اباه ان يستغفر له رجاء السلامة ويؤكد هذا قوله ساستغفر
لك ربي ويدل عليه ايضا قراءة الحسن وعدها اباه بالباء الموحدة فلما تبين له انه عدو لله تبرا
منه يعني فلما ظهر لابراهيم وبان له ان اباه عدو لله يعني لموته على الكفر تبرا منه عند ذلك وقيل يحتمل
ان الله اوحى الى ابراهيم ان اباه عدو لله فتبرا منه وقيل لما تبين له في الاخرة انه عدو لله تبرا منه ويدل
على ذلك ما روي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه السلام اباه آزر يوم

القيمة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له ابراهيم الم اقل لك لا تعصني فيقول ابوه فاليوم لا اعصيك
فيقول ابراهيم يا رب انك وعدتني ان لا تخزيني يوم يبعثون فاي خزي اخزى من ابي الابعد فيقول الله
تعالى اني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا ابراهيم ما تحت رجليك فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ فيوخذ
بقوائمه فيلقى في النار اخرجه البخاري زاد غيره فيتبرا منه يومئذ القترة غبرة يعلوها سواد والذيخ
بذال معجمة ثم ياء مثناة من تحت ثم خاء معجمة وهو ذكر الضباع والانثى ذيخة وقوله تعالى ان ابراهيم
لاواه حليم جاء في الحديث ان الاواه الخاشع المتضرع وقال ابن مسعود الاواه الكثير الدعاء وقال
ابن عباس رضي الله عنهما هو المومن التواب وقال الحسن وقتادة الاواه الرحيم بعباد الله وقال
مجاهد الاواه الموقن وقال كعب الاحبار هو الذي يكثر التاوه وكان ابراهيم صلى الله عليه وسلم يكثر
ان يقول اوه من النار قبل ان لا ينفع اوه وقال عقبة بن عامر الاواه الكثير الذكر لله عز وجل وقال سعيد
ابن جبير هو المسبح وعنه انه المعلم للخير وقال عطا هو الراجع عما يكره الله الخائف من النار وقال ابو
عبيدة هو المتاوه شفقا وفرقا المتضرع يقينا ولزوما للطاعة قال الزجاج انتظم في قول ابي عبيدة
جميع ما قيل في الاواه واصله من التاوه وهو ان يسمع للصدر صوت بتنفس الصعداء والفعل منه اوه وهو
قول الرجل عند شدة خوفه وحزنه اوه والسبب فيه ان عند الحزن تحمى الروح داخل القلب ويشتد حرها
فالانسان يخرج ذلك النفس المحترق في القلب ليخف بعض ما به من الحزن والشدة واما الحليم فمعناه
ظاهر وهو الصفوح عمن سبه واتاه بمكروه ثم يقابله بالاحسان واللطف كما فعل ابراهيم مع ابيه
حين قال له لئن لم تنته لارجمنك فاجابه ابراهيم بقوله سلام عليك ساستغفر لك ربي وقال ابن
عباس الحليم السيد وانما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذين الوصفين وهو شدة الرقة
والخوف والوجل والشفقة على عباد الله فبين الله تعالى انه مع هذه الصفات الجميلة الحميدة تبرا
من ابيه لما ظهر له اصراره على الكفر فاقتدوا انتم به في هذه الحالة ايضا وقوله تعالى وما كان الله ليضل
قوما بعد اذ هداهم يعني وما كان الله ليقضي عليكم بالضلال بسبب استغفاركم لموتاكم المشركين بعد
اذ رزقكم الهداية ووفقكم للايمان به وبرسوله وذلك انه لما منع المومنين من الاستغفار للمشركين
وكانوا قد استغفروا لهم قبل المنع خافوا ما صدر منهم فاعلمهم ان ذلك ليس بضائرهم حتى يبين لهم ما يتقون
يعني ما ياتون وما يذرون وهو ان يتقدم اليهم بالنهي عن ذلك الفعل فاما قبل النهي فلا حرج عليهم في فعله
وقيل ان جماعة من المسلمين كانوا قد ماتوا قبل النهي عن الاستغفار للمشركين فلما منعوا من ذلك وقع
في قلوب المومنين خوف على من مات على ذلك فانزل الله عز وجل هذه الاية وبين انه لا يواخذهم بعمل
الا بعد ان يبين انه يجب عليهم ان يتقوه ويتركوه قال مجاهد بيان الله للمومنين في ترك الاستغفار
للمشركين خاصة وبيانه لهم في معصيته وطاعته عامة وقال الضحاك وما كان الله ليعذب قوما
حتى يبين لهم ما ياتون وما يذرون وقال مقاتل والكلبي هذا في امر المنسوخ وذلك ان قوما قدموا
على النبي صلى الله عليه وسلم واسلموا قبل تحريم الخمر وصرف القبلة الى الكعبة فرجعوا الى قومهم وهم على
ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة الى الكعبة ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت
الى المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت الى الكعبة فقالوا يا رسول الله قد كنت على دين ونحن
على غيره فنحن ضلال فانزل الله وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم يعني وما كان الله ليبطل عمل
قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يبين لهم الناسخ ان الله بكل شيء عليم يعني انه تعالى عليم بما خالط نفوسكم

من الخوف عند ما نهاكم عن الاستغفار للمشركين وتعلم ما يبيح لكم من اوامره ونواهيه ان الله له ملك السموات
والارض يعني انه تعالى هو القادر على ملك السموات والارض وما فيهما عبيده وملكه يحكم فيهم بما شاء يحيي
ويميت يعني انه يحيي من يشاء على الايمان ويميته عليه ويحيي من يشاء على الكفر ويميته عليه لا اعتراض لاحد
عليه في حكمه وعبيده وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يعني انه تعالى هو وليكم وناصركم ليس لكم
غيره يمنعكم من عدوكم وينصركم عليهم قوله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية
تاب الله بمعنى تجاوز وصفح عن النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى توبته عليه باذنه للمنافقين بالتخلف
عنه في غزوة تبوك وهو كقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فهو من باب ترك الافضل لا انه ذنب يوجب عقابا
وقال اصحاب المعاني هو مفتاح كلام للتبرك فهو كقوله تعالى فان لله خمسه ومعنى هذا ان ذكر النبي بالتوبة
عليه تشريف للمهاجرين والانصار في ضم توبتهم الى توبة النبي صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم
الله في قوله فان لله خمسه وللرسول فهو تشريف له واما معنى توبة الله على المهاجرين والانصار فلاجل
ما وقع في قلوبهم من الميل الى القعود عن غزوة تبوك لانها كانت في وقت شديد وربما وقع في قلوب بعضهم
انا لا نقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم ما وقع في قلوبهم من هذه
الخواطر والوساوس النفسانية وقيل ان الانسان لا يخلو من زلات وتبعات في مدة عمره اما من باب
الصغائر واما من باب ترك الافضل ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه لما تحملوا مشاق هذا
السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدائد التي حصلت لهم في ذلك السفر غفر الله لهم وتاب عليهم
لاجل ما تحملوه من الشدائد العظيمة في تلك الغزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم وانما ضم ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تنبيها على عظم مراتبهم في الدين وانهم قد بلغوا الى الرتبة التي لاجلها ضم
ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم الذين اتبعوه في تلك الغزوة من المهاجرين والانصار وقد
ذكر بعض العلماء ان النبي صلى الله عليه وسلم سار الى تبوك في سبعين الفا ما بين راكب وماش من المهاجرين
والانصار وغيرهم من سائر القبائل في ساعة العسرة يعني في وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها
والعسرة الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش الذي سار يسمى جيش العسرة
لانه كان عليهم عسرة في الظهر والزاد والماء قال الحسن كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه
بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير وكان
النفر منهم يخرجون وما معهم الا التمرات اليسيرة بينهم فاذا بلغ الجوع من احدهم اخذ التمرة فلاكها حتى يجد
طعمها ثم يخرجها من فيه ويعطيها صاحبه ثم يشرب عليها جرعة من الماء كذلك حتى تاتي على اخرهم ولا يبقى
من التمرة الا النواة فمضوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على صدقهم ويقينهم رضي الله عنهم وقال عمر بن
الخطاب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه
عطش حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على
كبده وحتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن ان رقبته ستنقطع فقال ابو بكر الصديق
يا رسول الله ان الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيرا فادع الله قال اتحب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى
الله عليه وسلم فلم يرجعهما حتى قالت السماء فاظلت ثم اسكبت فملؤوا ما معهم من الاوعية ثم ذهبنا ننظر
فلم نجدها جاوزت العسكر اسنده الطبري عن عمر كذلك من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم يعني من
بعد ما قارب ان تميل قلوب بعضهم عن الحق من اجل المشقة والشدة التي نالتهم والزيغ في اللغة الامالة

وقيل

وقيل هم بعضهم ان يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم عند تلك المشقة التي نالتهم لكنهم صبروا
واحتسبوا وندموا على ما خطر في قلوبهم فلاجل ذلك قال الله تعالى ثم تاب عليهم يعني انه علم اخلاص
نيتهم وصدق توبتهم فرزقهم الانابة والتوبة فان قلت قد ذكر التوبة اولا ثم ذكرها ثانيا فما فائدة
التكرار قلت انه تعالى ذكر التوبة اولا قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطييبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد
ذلك واردفه بذكر التوبة مرة اخرى تعظيما لشانهم وليعلموا انه تعالى قد قبل توبتهم وعفا عنهم ثم
اتبعه بقوله انه بهم رؤوف رحيم تاكيدا لذلك ومعنى الرؤوف في صفة الله تعالى انه الرفيق بعباده لانه
لم يحملهم ما لا يطيقون من العبادات وبين الرؤوف والرحيم فرق لطيف وان تقاربا في المعنى قال الخطابي
قد تكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة ولا تكاد الرافة تكون في الكراهة قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين
خلفوا هذا معطوف على ما قبله تقديره لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار وعلى الثلاثة
الذين خلفوا وفائدة هذا العطف بيان قبول توبتهم وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة
ابن الربيع وكلهم من الانصار وهم المرادون بقوله تعالى واخرون مرجون لامر الله وفي معنى خلفوا قولان
احدهما انهم خلفوا عن توبة ابي لبابة واصحابه وذلك انهم لم يخضعوا كما خضع ابو لبابة واصحابه
فتاب الله على ابي لبابة واصحابه واخر امر هؤلاء الثلاثة مدة ثم تاب عليهم بعد ذلك والقول الثاني
انهم خلفوا عن غزوة تبوك ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها واما حديث توبة كعب بن مالك
وصاحبيه فقد روي عن ابن شهاب الزهري قال اخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ان
عبد الله بن كعب كان قائد كعب من بنيه حين عمي قال وكان اعلم قومه واوعاهم لاحاديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك غير اني تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب احدا تخلف عنها انما خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد
شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما احب ان لي بها مشهد
بدر وان كانت بدر اذكر في الناس وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة
تبوك اني لم اكن قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين
قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى
كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا
واستقبل عدوا كثيرا فجلا للمسلمين امرهم ليتاهبوا اهبة غزوهم واخبرهم بوجههم الذي يريد والمسلمون
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل
يريد ان يتغيب الا ظن ان ذلك سيخفى ما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وانا اليهما اصعر فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
معه فطفقت اغدو لكي اتجهز معهم فارجع ولم اقض شيئا واقول في نفسي انا قادر على ذلك اذا اردت
فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون
ولم اقض من جهازي شيئا ثم غدوت فرجعت ولم اقض شيئا فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى اسرعوا وتفارط
فهممت ان ارتحل فادركهم فيا ليتني فعلت ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت اذا خرجت في الناس بعد خروج رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحزنني اني لا ارى لي اسوة الا رجلا مغموصا عليه في النفاق او رجلا ممن عذر الله

حـ اي بعد

من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما
فعل كعب بن مالك فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه فقال معاذ بن جبل
بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما
هو كذلك راى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ابا خيثمة فاذا هو
ابو خيثمة الانصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون قال كعب فلما بلغني ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرني بثي فطفقت اتذكر الكذب واقول بما اخرج
من سخطه غدا واستعين على ذلك بكل ذي راي من اهلي فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
اظل قادما زاح عني الباطل حتى عرفت اني لن انجو منه بشي ابدا فاجمعت صدقه وصبح رسول الله صلى
الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدا بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل
ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم علانيتهم
وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت
امشي حتى جلست بين يديه فقال ما خلفك الم تكن قد ابتعت ظهرك قلت يا رسول الله اني والله لو
جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرايت اني ساخرج من سخطه بعذر لقد اعطيت جدلا ولكني والله
لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله ان يسخطك علي ولئن حدثتك
حديث صدق تجد علي فيه اني لارجو فيه عقبى الله وفي رواية عفو الله عز وجل والله ما كان لي من عذر
والله ما كنت قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا
فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك
اذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت في ان لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر
اليه المتخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوالله ما زالوا
يؤنبونني حتى اردت ان ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكذب نفسي قال ثم قلت هل لقي هذا
معي من احد قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك قلت من هما قالوا
مرارة بن الربيع العامري وهلال بن امية الواقفي قال فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما
اسوة قال فمضيت حين ذكروهما لي قال ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ايها الثلاثة
من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا الناس او قال تغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الارض فما هي بالارض
التي اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان واما انا
فكنت اشب القوم واجلدهم فكنت اخرج فاشهد الصلاة واطوف في الاسواق فلا يكلمني احد واتي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فاقول في نفسي هل حرك شفتيه
برد السلام ام لا ثم اصلي قريبا منه واسارقه النظر فاذا اقبلت على صلاتي نظر الي فاذا التفت نحوه اعرض عني
حتى اذا طال علي ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط ابي قتادة وهو ابن عمي واحب الناس
الي فسلمت عليه فوالله ما رد السلام فقلت يا ابا قتادة انشدك بالله هل تعلمني احب الله ورسوله قال
فسكت فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله اعلم ففاضت عيناي وتوليت
حتى تسورت الجدار فبينا انا امشي في سوق المدينة اذا نبطي من نبط اهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه
بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس يشيرون له الي حتى جاءني فدفع الي كتابا من

ملك

ملك غسان وكنت كاتبا فقرأته فاذا فيه اما بعد فانه قد بلغنا ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله
بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قراتها وهذه ايضا من البلاء فتيممت بها التنور
فسجرتها حتى اذا مضت اربعون من الخمسين واستلبث الوحي واذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتيني
فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك ان تعتزل امراتك قال فقلت اطلقها ام ماذا افعل قال
لا بل اعتزلها فلا تقربها قال وارسل الى صاحبي مثل ذلك قال فقلت لامراتي الحقي باهلك فكوني عندهم
حتى يقضي الله في هذا الامر قال فجاءت امراة هلال بن امية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله ان هلال بن امية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه قال لا ولكن لا يقربك
فقالت انه والله ما به من حركة الى شي والله ما زال يبكي منذ كان من امره ما كان الى يومه هذا قال فقال
لي بعض اهلي لو استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امراتك فقد اذن لامراة هلال بن امية
ان تخدمه قال فقلت لا استاذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني ما يقول لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا استاذنته فيها وانا رجل شاب قال فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا
خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين على ظهر بيت من بيوتنا فبينا
انا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت سمعت
صوت صارخ اوفى على سلع يقول باعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر قال فخررت ساجدا وعلمت ان قد جاء فرج
قال واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس
يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الي فرسا وسعى ساع من اسلم قبلي واوفى على الجبل وكان
الصوت اسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما اياه ببشارته
والله ما املك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت اتام رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتلقاني الناس فوجا فوجا يهنوني بالتوبة ويقولون ليهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد
فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني
والله ما قام رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك قال
قلت امن عندك يا رسول الله ام من عند الله فقال بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا سر استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك قال فلما جلست بين يديه قلت
يا رسول الله ان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم امسك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فاني امسك سهمي الذي بخيبر قال وقلت يا رسول الله
ان الله انما انجاني بالصدق وان من توبتي ان لا احدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت احدا من
المسلمين ابلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم احسن مما ابلاني
الله والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا واني لارجو ان
يحفظني الله فيما بقي قال فانزل الله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه
في ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض
بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما انعم الله علي من نعمة قط بعد ان
هداني للاسلام اعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا اكون كذبته فاهلك كما هلك

الذين كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين انزل الوحي شر ما قال لاحد فقال الله سبحانه وتعالى يحلفون
بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون
لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب كنا خلفنا ايها الثلاثة
عن امر اولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وارجأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا حتى قضى الله تعالى فيه بذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة
الذين خلفوا وليس الذي ذكر مما خلفنا عن الغزو وانما هو تخليفه ايانا وارجاؤه امرنا عمن حلف له
واعتذر اليه وفي رواية نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامي وكلام صاحبي فلم ينه عن كلام احد من المتخلفين
غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال علي الامر وما من شيء اهم الي من ان اموت فلا يصلي علي النبي
صلى الله عليه وسلم او يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني احد
منهم ولا يسلم علي ولا يصلي علي قال وانزل الله عز وجل توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقي الثلث
الاخر من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند ام سلمة وكانت ام سلمة محسنة في شاني معتنية
بامري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة تيب على كعب قالت افلا ارسل اليه فابشره قال
اذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر
اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا اخرجه البخاري ومسلم **شرح** غريب هذا الحديث
قوله حين تواثقنا على الاسلام التواثق تفاعل من الميثاق وهو العهد والراحلة الجمل والناقة القويان
على الحمل والسفر وقوله ورى بغيرها يقال ورى عن الشيء اذا اخفاه واظهر غيره والمفازة البرية
القفر سميت بذلك تفاؤلا بالفوز والنجاة منها قوله فجلاها يعني بالتخفيف يعني كشف لهم مقصدهم واظهر
لهم والاهبة الجهاز وما يحتاج اليه المسافر قوله وانا اليها اصعر هو بالعين المهملة اي اميل والصعر الميل قوله
وتفارط الغزو اي تباعد ما بيني وبين الجيش من المسافة وطفق مثل جعل والمغموص المعيب المشار اليه
بالعيب يقال فلان ينظر الى عطفيه اذا كان معجبا بنفسه يقال زال به السراب هو ما يظهر للانسان
في البرية في وقت الهاجرة كانه ماء والمبيض بكسر الياء لابس البياض كن ابا خيثمة معناه انت ابو خيثمة وقيل
معناه اللهم اجعله ابا خيثمة اي ليوجد هذا الشخص ابا خيثمة حقيقة والذي لمزه المنافقون يعني
عابوه واحتقروه والقافل الراجع من سفره الى وطنه قوله حضرني بثي البث اشد الحزن كانه لشدته
يظهر ببينه صاحبه اي يظهره زاح عني الباطل اي زال وذهب عني واجمعت صدقه اي عزمت عليه لقد
اعطيت جدلا اي فصاحة وقوة في الكلام بحيث اخرج عن عهدة ما اردت بما شئت من الكلام والمغضب
بفتح الضاد هو الغضبان قوله فما زالوا يؤنبونني اي يلومونني اشد اللوم قوله حتى تنكرت في نفسي
الارض فما هي بالارض التي اعرف معناه تغير علي كل شيء من الارض وتوحشت علي وصارت كانها ارض لم اعرفها
وقوله فاما صاحباي فاستكانا يعني خضعا وسكنا قوله تسورت حائط ابي قتادة اي علوته وصعدت
سوره وهو اعلاه والانباط الفلاحون والزراعون وهم من العجم والروم والمضيعة مفعلة من الضياع
والاطراح قوله فتيممت بها التنور فسجرتها اي فقصدت بالصحيفة التي ارسل بها ملك غسان فاحرقتها
في التنور وسلع جبل بالمدينة معروف وقوله فانطلقت اتأمم يعني اقصد رسول الله صلى الله عليه
وسلم والفوج الجماعة من الناس يقال برق وجهه اذا لمع وظهر عليه امارات الفرح والسرور قوله انخلع
من مالي اي اخرج منه جميعه واتصدق به كما يخلع الانسان قميصه قوله ما علمت احدا من المسلمين ابلاه

في صدق

في صدق الحديث احسن مما ابلاني الابلاء والابتلاء يكون في الخير وفي الشر والاطلاق كان في الشر غالبا فاذا اريد
به الخير قيد كما قيده هنا بقوله احسن مما ابلاني اي انعم علي قوله الا اكون كذبته هذا هو في جميع روايات الحديث
بزيادة لفظة لا قال العلماء لفظة لا زائدة ومعناه ان اكون كذبته وقوله فاهلك هو بكسر اللام وارجاؤه
امرنا تاخيره وقوله في الرواية الاخرى يحطمكم الناس اي يطؤوكم ويزدحمون عليكم واصل الحطم الكسر
وقوله سائر الليل يعني باقي الليل وقوله واذن بتوبة الله علينا اي اعلم والايذان الاعلام والله اعلم
وقوله عز وجل **حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت** يعني بما اتسعت والرحب سعة المكان والمعنى
انه ضاق عليهم المكان بعد ان كان واسعا **وضاقت عليهم انفسهم** يعني من شدة الغم والحزن ومجانبة
الناس اياهم وترك كلامهم **وظنوا** يعني وايقنوا وعلموا **ان لا ملجا** يعني لا مفزع ولا مفر **من الله الا اليه** ولا
عاصم من عذابه الا هو **ثم تاب عليهم** فيه اضمار وحذف تقديره وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه
فرحمهم ثم تاب عليهم وانما حسن هذا الحذف لدلالة الكلام عليه وقوله ثم تاب عليهم تاكيد لقبول
توبتهم لانه قد تقدم ذكر توبتهم في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما تقدم بيانه وانه عطف على
قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا وقوله **ليتوبوا**
معناه ان الله تاب عليهم في الماضي ليكون ذلك داعيا الى التوبة في المستقبل ويداوموا عليها وقيل
ان اصل التوبة الرجوع ومعناه ثم تاب عليهم ليرجعوا الى حالهم الاول وعادتهم في الاختلاط بالناس
ومكالمتهم فتسكن نفوسهم بذلك **ان الله هو التواب** يعني على عباده **الرحيم** وفيه دليل على ان قبول التوبة
لمحض الرحمة والكرم والفضل والاحسان وانه لا يجب على الله تعالى شيء قوله عز وجل **يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله** يعني في مخالفة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم **وكونوا مع الصادقين** يعني
مع النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين من المنافقين الذين قعدوا
في البيوت وتركوا الغزو وقال سعيد بن جبير مع الصادقين يعني ابا بكر وعمر وقال ابن جريج مع المهاجرين
وقال ابن عباس مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم واعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه
الى تبوك باخلاص نية وقيل كونوا مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب فلم يعتذروا بالاعذار الباطلة
الكاذبة وهذه الاية تدل على فضيلة الصدق لان الصدق يهدي الى الجنة والكذب الى الفجور كما ورد
في الحديث وقال ابن مسعود الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صاحبه شيئا ثم لا ينجز له اقرؤوا
ان شئتم وكونوا مع الصادقين وروي ان ابا بكر الصديق احتج بهذه الاية على الانصار في يوم السقيفة
وذلك ان الانصار قالوا لنا امير ومنكم امير فقال ابو بكر يا معشر الانصار ان الله تعالى يقول في كتابه
للفقراء المهاجرين الى قوله اولئك هم الصادقون من هم قالت الانصار انتم هم فقال ابو بكر ان الله تعالى يقول
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فامركم ان تكونوا معنا ولم يامرنا ان نكون معكم نحن
الامراء وانتم الوزراء وقيل مع بمعنى من والمعنى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين قوله تعالى
ما كان لاهل المدينة يعني لساكني المدينة من المهاجرين والانصار **ومن حولهم من الاعراب** يعني سكان
البوادي مزينة وجهينة واشجع واسلم وغفار وقيل هو عام في كل الاعراب لان اللفظ عام وحمله على العموم
اولى **ان يتخلفوا عن رسول الله** يعني اذا غزا وهذا ظاهره خبر ومعناه النهي اي ليس لهم ان يتخلفوا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم **ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه** يعني ليس لهم ان يكرموا
انفسهم عما يختار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرضاه لنفسه ولا يختاروا لانفسهم الخفض والدعة

ويتركوا مصاحبته والجهاد معه في حالة الشدة والمشقة وقال الحسن لا يرغبوا بانفسهم ان يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مشقة السفر ومقاساة ذلك بانهم لا يصيبهم في سفرهم وغزواتهم ظمأ اي عطش ولا نصب اي تعب ولا مخمصة اي مجاعة شديدة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار يعني ولا يضعون قدما على الارض يكون ذلك القدم سببا لغيظ الكفار وغمهم وحزنهم ولا ينالون من عدو نيلا يعني اسرا او قتلا او هزيمة او غنيمة ونحو ذلك قليلا كان او كثيرا الا كتب لهم به عمل صالح يعني الا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح قد ارتضاه الله لهم وقبله منهم ان الله لا يضيع اجر المحسنين يعني ان الله لا يدع محسنا من خلقه قد احسن في عمله واطاعه فيما امره به او نهاه عنه الا يجازيه على احسانه وعمله الصالح وفي الاية دليل على ان من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله وكذا القول في قصد المعصية فان حركته فيها كلها سيئات الا ان يغفرها الله بفضله وكرمه واختلف العلما في حكم هذه الاية فقال قتادة هذه خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه لم يكن لاحد ان يتخلف عنه الا بعذر فاما غيره من الائمة والولاة فيجوز لمن شاء من المومنين ان يتخلفوا عنه اذا لم يكن للمسلمين اليه ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت الاوزاعي وابن المبارك وابن جابر وسعيد بن العزيز يقولون في هذه الاية انها لاول هذه الامة واخرها فعلى هذا تكون هذه الاية محكمة لم تنسخ وقال ابن زيد هذا حين كان اهل الاسلام قليلا فلما كثروا نسخها الله عز وجل واباح التخلف لمن شاء بقوله وما كان المومنون لينفروا كافة ونقل الواحدي عن عطية انه قال وما كان لهم ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم وامرهم وقال الواحدي هذا هو الصحيح لانه تتعين الطاعة والاجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر وكذا غيره من الائمة والولاة اذا ندبوا او عينوا لانا لو سوغنا للمندوب ان يتقاعد ولم يختص بذلك بعض دون بعض لادى ذلك الى تعطيل الجهاد والله اعلم وقوله عز وجل ولا ينفقون يعني في سبيل الله نفقة صغيرة ولا كبيرة يعني تمرة فما دونها او اكثر منها حتى علاقة سوط ولا يقطعون واديا يعني ولا يجاوزون في مسيرهم واديا مقبلين او مدبرين فيه الا كتب لهم يعني كتب الله لهم اثارهم ومظاهرهم ونفقاتهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون قال الواحدي معناه باحسن ما كانوا يعملون قال الامام فخر الدين فيه وجهان الاول ان الاحسن من صفة فعلهم وفيها الواجب والمندوب والمباح فالله تعالى يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح والثاني ان الاحسن صفة للجزا اي يجزيهم جزا هو احسن من اعمالهم واجل وافضل وهو الثواب وفي الاية دليل على فضل الجهاد وانه من احسن اعمال العباد ق عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله او الغدوة خير من الدنيا وما عليها وفي رواية وما فيها ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله الا جا يوم القيمة كهيئته يوم كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا ان اشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله ابدا ولكن لا اجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم

لعله جبير

ان

ان يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت اني اغزو في سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ مسلم وللبخاري بمعناه ق عن ابي سعيد قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي الناس افضل قال مومن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال ثم رجل في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من شره خ عن ابي عبس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات م عن ابي مسعود الانصاري البدري قال جا رجل بناقة مخطومة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيمة سبعماية ناقة مخطومة عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة في سبيل الله كتب له سبعماية ضعف اخرجه الترمذي والنسائي قوله عز وجل وما كان المومنون لينفروا كافة الاية قال عكرمة لما نزلت هذه الاية ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله قال ناس من المنافقين هلك من تخلف فنزلت هذه الاية وما كان المومنون لينفروا كافة قال ابن عباس انها ليست في الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين اجدبت بلادهم فكانت القبيلة منهم تقبل باسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويعتلوا بالاسلام وهم كاذبون فضيقوا على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واجهدوهم فانزل الله عز وجل يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم انهم ليسوا بمومنين فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عشايرهم وحذر قومهم ان يفعلوا فعلهم فذلك قوله ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وفي رواية اخرى عن ابن عباس انه قال كان ينطلق من كل حي من العرب عصابة فياتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسالونه عما يريدون من امر دينهم ويتفقهون في دينهم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ما تامرنا ان نفعله واخبرنا عما نقول لعشايرنا اذا انطلقنا اليهم فيامرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله ويبعثهم الى قومهم بالصلاة والزكاة فكانوا اذا اتوا قومهم نادوا ان من اسلم فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليفارق اباه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم بما يحتاجون اليه من امر الدين وينذرون قومهم اذا رجعوا اليهم ويدعونهم الى الاسلام وينذرونهم النار ويبشرونهم بالجنة وقال مجاهد ان ناسا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا في البوادي فاصابوا من الناس معروفا ومن الخصب ما ينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا وقد تركتم اصحابكم وجيتمونا فوجدوا في انفسهم تحرجا واقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة يبتغون الخير وقعد طايفة ليتفقهوا في الدين وليسمعوا ما انزل الله ولينذروا قومهم من الناس اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون وقال ابن عباس ما كان المومنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة يعني عصبة يعني السرايا ولا يسيروا الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قران تعلمه القاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الله قد انزل على نبيكم بعدكم قرانا وقد تعلمناه فتمكث السرايا يتعلمون ما انزل الله على نبيهم بعدهم ويبعث سرايا اخر فذلك قوله ليتفقهوا في الدين يقول ليتعلموا ما انزل الله على نبيهم ويعلموا السرايا اذا رجعت اليهم لعلهم يحذرون نقل هذه الاقوال كلها الطبري واما تفسير الاية فيمكن ان يقال انها من بقية احكام الجهاد ويمكن ان يقال انها كلام مبتدا لا تعلق لها

بالجهاد فعلى الاحتمال الاول فقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج الى الغزو لم يتخلف عنه
الا منافق او صاحب عذر فلما بالغ الله في الكشف عن عيوب المنافقين وفضحهم في تخلفهم عن غزوة
تبوك قال المومنون والله لا نتخلف عن شي من الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية
يبعثها فلما قدم المدينة وبعث السرايا نفر المسلمون جميعا الى الغزو وتركوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحده فنزلت هذه الاية فيكون المعنى ما كان ينبغي للمومنين ولا يجوز لهم ان ينفروا بكليتهم الى الجهاد
ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يجب ان ينقسموا قسمين فطايفة يكونوا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم وطايفة ينفروا الى الجهاد ولان ذلك الوقت كانت الحاجة داعية الى انقسام اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قسمين قسم للجهاد وقسم لتعلم العلم والتفقه في الدين لان الاحكام
والشرايع كانت تتجدد شيا بعد شي فالملازمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم يحفظون ما نزل من الاحكام
وما تجدد من الشرايع فاذا قدم الغزاة اخبروهم بذلك فيكون معنى الاية وما كان المومنون لينفروا كافة
فلولا يعني فهلا نفر من كل فرقة طايفة للجهاد وقعد طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم الذين
نفروا الى الجهاد اذا رجعوا اليهم من غزوهم لعلهم يحذرون يعني مخالفة امر الله وامر رسوله وهذا معنى
قول قتادة وقيل ان التفقه صفة للطايفة النافرة قال الحسن ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله
من الظهور على المشركين والنصرة ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ومعنى ذلك ان الفرقة النافرة اذا
شاهدوا نصر الله لهم على اعدايهم وان الله يريد اعلا دينه وتقوية نبيه صلى الله عليه وسلم وان الفية
القليلة قد غلبت جمعا كثيرا فاذا رجعوا من ذلك النفير الى قومهم من الكفار انذروهم بما شاهدوا من
دلايل النصر والفتح والظفر لعلهم يحذرون فيتركوا الكفر والنفاق واورد على هذا القول بان هذا
النوع لا يعد فقها في الدين ويمكن ان يجاب عنه بانهم اذا علموا ان الله ينصرهم ويقويهم على عدوهم
كان ذلك زيادة في ايمانهم فيكون ذلك فقها في الدين واما الاحتمال الثاني وهو ان يقال ان هذه
الاية كلام مبتدا لا تعلق لها بالجهاد وهو ما ذكرناه عن مجاهد ان ناسا من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم خرجوا الى البوادي فاصابوا معروفا ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم
الا وقد تركتم صاحبكم وجيتمونا فوجدوا في انفسهم من ذلك حرجا فاقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية والمعنى هلا نفر من كل فرقة طايفة وتقعد طايفة
ليتفقهوا في الدين ويبلغوا ذلك الى النافرين لينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون يعني باس
الله ونقمته اذا خالفوا امره وفي الاية دليل على انه يجب ان يكون المقصود من العلم والفقه دعوة الخلق
الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصراط المستقيم فكل من تفقه وتعلم لهذا المقصد كان على المنهج
القويم والصراط المستقيم ومن عدل عنه وتعلم العلم لطلب الدنيا كان من الاخسرين اعمالا الاية وعن
معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما
انا قاسم ويعطي الله ولن تزال امر هذه الامة مستقيما حتى تقوم الساعة وحتى ياتي امر الله ق
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية
خيارهم في الاسلام اذا فقهوا عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد اشد
على الشيطان من الف عابد اخرجه الترمذي واصل الفقه في اللغة الفهم يقال فقه الرجل اذا فهم وفقه
فقاهة اذا صار فقيها وقيل الفقه هو التوصل الى علم غايب بعلم شاهد فهو اخص من العلم وفي

الاصطلاح ان الفقه عبارة عن العلم باحكام الشرع واحكام الدين وذلك ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية
ففرض العين معرفة احكام الطهارة واحكام الصلاة والصوم فعلى كل مكلف معرفة ذلك قال النبي صلى الله عليه
وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ذكره البغوي بغير سند وكذلك كل عبارة وجبت على المكلف بحكم الشرع يجب
عليه معرفة علمها مثل علم الزكاة اذا صار له مال تجب في مثله الزكاة وعلم احكام الحج اذا وجب عليه واما فرض
الكفاية من الفقه فهو ان يتعلم حتى يبلغ رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا واذا قعد اهل بلد عن تعلمه عصوا جميعا
واذا قام به من كل بلد واحد فتعلم حتى بلغ درجة الفتوى سقط الفرض عن الباقين وعليهم تقليده فيما يقع لهم
من الحوادث عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم
اخرجه الترمذي مع زيادة فيه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد
كفضلي على ادناكم اخرجه الترمذي مع زيادة فيه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك
طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة اخرجه الترمذي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع اخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قايمة او فريضة عادلة اخرجه
ابو داود الاية المحكمة هي التي لا اشتباه فيها ولا اختلاف في حكمها او ما ليس بمنسوخ والسنة القايمة هي
المستمرة الدايمة التي العمل بها متصل لا يترك والفريضة العادلة هي التي لا جور فيها ولا حيف في قضايها
قال الفضيل بن عياض عالم عامل معلم يدعا عظيما في ملكوت السما اخرجه الترمذي موقوفا وقال الشافعي
طلب العلم افضل من صلاة النافلة قوله تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
امروا بقتال الاقرب اليهم في الدار والنسب قال ابن عباس مثل قريظة والنضير وخيبر ونحوها وقال ابن عمر هم
الروم لانهم كانوا سكان الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وقال بعضهم هم الديلم وقال ابن زيد كان
الذين يلونهم من كفار العرب فقاتلوهم حتى فرغ منهم امر بقتال اهل الكتاب وجهادهم حتى يسلموا او يعطوا
الجزية نقل بعض العلماء انه قال نزلت هذه الاية قبل الامر بقتال المشركين كافة فلما نزلت وقاتلوا المشركين
كافة صارت ناسخة لقوله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال المحققون من العلماء لا وجه للنسخ لانه تعالى
لما امرهم بقتال المشركين كافة ارشدهم الطريق الاصوب الاصلح وهو انهم يبدوا بقتال الاقرب فالاقرب حتى
يصلوا الى الابعد فالابعد وبهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لان قتالهم دفعة واحدة لا
يتصور ولهذا السبب قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا قومه ثم انتقل منهم الى قتال ساير العرب ثم الى
قتال اهل الكتاب وهم قريظة والنضير وخيبر وفدك ثم انتقل الى غزوة الروم في الشام فكان فتح الشام
في زمن الصحابة ثم انهم انتقلوا الى العراق ثم بعد ذلك الى ساير الامصار لانه اذا قاتل الاقرب تقوى بما يناله
منهم من الغنايم على الابعد وقوله وليجدوا فيكم غلظة يعني شدة وقوة وشجاعة والغلظة ضد الرقة
وقال الحسن صبرا على جهادهم واعلموا ان الله مع المتقين يعني بالعون والنصر قوله عز وجل واذا ما انزلت
سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا يعني واذا انزل الله سورة من سور القران فمن المنافقين
من يقول يعني يقول بعضهم لبعض ايكم زادته يعني نزول السورة ايمانا يعني تصديقا ويقينا وانما يقول
ذلك المنافقون استهزاء وقيل يقول ذلك المنافقون لبعض المومنين فقال الله تعالى فاما الذين
امنوا فزادتهم ايمانا يعني تصديقا ويقينا وقربة من الله وتعني الزيادة ضم شي الى جنسه مما شوهد في صفة
المومنون اذا اقروا بنزول سورة من القران عن ثقة واعترفوا انها من عند الله عز وجل زادتهم ذلك الاقرار

والاعتراف ايمانا وقد تقدم بسط الكلام على زيادة الايمان في اول سورة الانفال وهم يستبشرون يعني المؤمنين يفرحون بنزول القران شيا بعد شي لانهم كلما نزل ازدادوا ايمانا وذلك يوجب مزيد الثواب في الاخرة وكما تحصل الزيادة في الايمان بسبب نزول القران كذلك تحصل الزيادة في الكفر وهو قوله تعالى واما الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق سمي الشك في الدين مرضا لانه فساد في القلب يحتاج الى علاج كالمرض في البدن اذا حصل يحتاج الى العلاج فزادتهم يعني نزول السورة من القران رجسا الى رجسهم يعني كفرا الى كفرهم وذلك كلما جحدوا انزول سورة او استهزوا بها ازدادوا كفرا مع كفرهم الاول وسمي الكفر رجسا لانه اقبح الاشيا واصل الرجس في اللغة الشي المستقذر وماتوا يعني هولاء المنافقين وهم كافرون يعني وهم جاحدون لما انزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم قال مجاهد في هذه الاية الايمان يزيد وينقص وكان عمر ياخذ بيد الرجل والرجلين من اصحابه ويقول تعالوا حتى تزدادوا ايمانا وقال علي بن ابي طالب ان الايمان يبدو لمظة بيضا في القلب فكلما ازداد الايمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله وان النفاق يبدو لمظة سودا في القلب فكلما ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب كله وايم الله لو شققتم عن قلب مومن لوجدتموه ابيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه اسود قوله تعالى اولا يرون قري بالتا على خطاب المومنين وقري باليا على انه خبر عن المنافقين المذكورين في قوله واما الذين في قلوبهم مرض انهم يفتنون يعني يبتلون في كل عام مرة او مرتين يعني بالامراض والشدايد وقيل بالقحط والجدب وقيل بالغزو والجهاد وقيل انهم يفتضحون باظهار نفاقهم وقيل انهم منافقون ثم يومنون ثم ينافقون وقيل انهم ينقضون عهدهم في السنة مرة او مرتين ثم لا يتوبون يعني من النفاق ونقض العهد ولا يرجعون الى الله ولا هم يذكرون يعني ولا يتعظون بما يرون من صدق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين واذا ما انزلت سورة يعني فيها عيب المنافقين وتوبيخهم نظر بعضهم الى بعض يريدون بذلك الهرب يقول بعضهم لبعض اشارة هل يراكم من احد يعني هل احد من المومنين يراكم ان قمتم من مجلسكم فان لم يرهم احد خرجوا من المسجد وان علموا ان احدا يراهم اقاموا ولبثوا على تلك الحال ثم انصرفوا يعني عن الايمان بتلك السورة النازلة وقيل انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها ما يكرهون صرف الله قلوبهم يعني عن الايمان وقال الزجاج اضلهم الله مجازاة على فعلهم ذلك بانهم قوم لا يفقهون يعني لا يفهمون عن الله دينه ولا شيا فيه نفعهم قوله عز وجل لقد جاءكم رسول من انفسكم هذا خطاب للعرب يعني لقد جاءكم ايها العرب رسول من انفسكم تعرفون نسبه وحسبه وانه ولد اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شي من ولاد الجاهلية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح هكذا ذكره الطبري وذكر البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح اهل الجاهلية شي ما ولدني الا نكاح كنكاح اهل الاسلام قال قتادة جعله من انفسهم فلا يحسدونه على ما اعطاه الله من النبوة والكرامة قال بعض العلما في تفسير قول ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم يعني من مضريها وربيعيها ويمانيها فاما مضر وربيعة فهم من ولد معد ابن عدنان واليه تنتسب قريش وبنو اسمهم واما نسبه الى عرب اليمن وهم القحاطنة فان امنة لها نسب في الانصار وان كانت قريشية والانصار اصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان بن سبا فعلى هذا القول يكون المقصود من قوله لقد جاءكم رسول من انفسكم ترغيب العرب في نصره والايمان به فان شرفهم بشرفه وعزهم

بعزته

بعزته وفخرهم بفخره فانه من عشيرتكم تعرفونه بالصدق والامانة والصيانة والعفاف وطهارة النسب والاخلاق الحميدة وقرا ابن عباس والزهري من انفسكم بفتح الفا ومعناه من اشرفكم وافضلكم خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه م عن واثلة بن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ان قريشا جلسوا فتذاكروا احسابهم بينهم فجعلوا مثلك كمثل نخلة في كبوة من الارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خير فريقهم وخير الفريقين ثم خير القبايل فجعلني في خير قبيلة ثم خير البيوت فجعلني في خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا اخرجه الترمذي وقيل ان قوله لقد جاءكم رسول من انفسكم عام فيحمل على العموم اولي فيكون المعنى على هذا القول لقد جاءكم يا ايها الناس رسول من انفسكم يعني من جنسكم بشر مثلكم اذ لو كان من الملايكة لضعفت قوى البشر عن سماع كلامه والاخذ عنه وقوله تعالى عزيز عليه ما عنتم اي شديد عليه عنتكم يعني مكروهكم وقيل ليشق عليه ضلالكم حريص عليكم يعني حريص على ايمانكم وايصال الخيرات اليكم وقال قتادة حريص على هدايتكم وان يهديكم الله بالمومنين رووف رحيم يعني انه صلى الله عليه وسلم رووف بالمطيعين رحيم بالمذنبين ق عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله رووفا رحيما قال الحسين بن الفضل لم يجمع الله لاحد من انبيايه بين اسمين من اسمايه الا للنبي صلى الله عليه وسلم فسماه رووفا رحيما وقال ان الله بالناس لرووف رحيم قوله تعالى فان تولوا يعني فان اعرض هولا الكفار والمنافقون عن الايمان بالله ورسوله وناصبوك الحرب فقل حسبي الله يعني يكفيني الله وينصرني الله عليكم لا اله الا هو عليه توكلت يعني لا على غيره وبه وثقت وهو رب العرش العظيم انما خص العرش بالذكر لانه اعظم المخلوقات فيدخل ما دونه في الذكر فيكون المعنى وهو رب العرش العظيم فما دونه او يكون خصه بالذكر تشريفا له كما يقال بيت الله روي عن ابي بن كعب انه قال هاتان الايتان لقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخر السورة اخر القران نزولا وفي رواية عنه قال احدث القران عهدا بالله هاتان الايتان لقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخر الايتين والله اعلم

تفسير سورة يونس عليه السلام

نزلت بمكة الا ثلاث ايات وهي قوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك الى اخر ثلاث ايات قاله ابن عباس وبه قال قتادة وفي رواية اخرى عن ابن عباس ان فيها من المدني في قوله ومنهم من يومن بالله ومنهم من لا يومن به الاية وقال مقاتل هي مكية الا ايتين وهي قل بفضل الله وبرحمته والتي تليها وهي ماية وتسع ايات والف وثمانماية واثنان وثلاثون كلمة وتسعة الاف وتسعة وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الر قال ابن عباس والضحاك معناه انا الله ارى وقال ابن عباس في رواية اخرى عنه الر وحم ونون حروف الرحمن مقطعة وبه قال سعيد بن جبير وسالم بن عبد الله وقال قتادة الر اسم من اسما القران وقيل هو اسم للسورة وقد تقدم الكلام في معنى الحروف المقطعة في اول سورة البقرة بما فيه كفاية تلك ايات الكتاب يعني المراد من لفظ تلك الاشارة الى الايات الموجودة في هذه السورة ويكون التقدير تلك الايات هي ايات الكتاب وهو القران الذي انزله الله اليك يا محمد وذلك ان الله وعده ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الما ولا تغيره الدهور وقيل ان لفظ تلك

اشارة الى ما تقدم في هذه السورة من ايات القران والمعنى ان تلك الايات هي ايات الكتاب الحكيم
وفيه قول اخر ان المراد بايات الكتاب الكتب التي قبل القران حكاه الطبري عن قتادة وروي عن مجاهد
انها التوراة والانجيل فعلى هذا القول يكون التقدير ان الايات المذكورة في هذه السورة هي الايات
المذكورة في التوراة والانجيل والمراد من الايات القصص المذكورة في هذه السورة ومذكورة في تلك
الكتب وهذا وان كان وجه فهو ضعيف لان التوراة والانجيل لم يجر لهما ذكر قريب حتى يشار اليهما
وقيل المراد من الايات حروف الهجا التي منها الر سميت ايات لانها افتتاح السورة وسر القران **الحكيم**
يعني المحكم بالحلال والحرام والحدود والاحكام فعيل بمعنى مفعول وقيل الحكيم بمعنى الحاكم فعيل بمعنى فاعل
لان القران حاكم يميز بين الحق والباطل ويفصل الحلال من الحرام وقيل حكيم بمعنى المحكوم فعيل بمعنى مفعو[ل]
قال الحسن حكم بالعدل والاحسان وايتا ذي القربى وقيل ان الحكيم هو الذي يفعل الحكمة والصواب
فمن حيث انه يدل على الاحكام صار كانه هو الحكيم في نفسه قوله تعالى **اكان للناس عجبا** سبب نزول
هذه الاية قال ابن عباس ان الله عز وجل لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا انكرت العرب ذلك
ومن انكر منهم وقال المشركون الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا مثل محمد فقال الله اكان للناس عجبا
ان اوحينا الى رجل منهم وقال وما ارسلنا قبلك الا رجالا والهمزة في اكان همزة الاستفهام ومعناه
الانكار والتوبيخ والمعنى لا يكون ذلك عجبا ان اوحينا الى رجل منهم والعجب حالة تعتري الانسان عند
روية شي على خلاف العادة وقيل العجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشي ولهذا قال بعض
الحكما العجب ما لا يعرف سببه والمراد بالناس هنا اهل مكة وبالرجل محمد صلى الله عليه وسلم منهم يعني من اهل
مكة من قريش يعرفون نسبه وصدقه وامانته **ان انذر الناس** يعني خوفهم بعقاب الله ان اصروا على الكفر
والمعنى والانذار اخبار مع تخويف كما ان البشارة اخبار مع سرور وهو قوله تعالى **وبشر الذين امنوا ان لهم**
قدم صدق عند ربهم اختلفت عبارات المفسرين واهل اللغة في معنى قدم صدق فقال ابن عباس اجرا
حسنا بما قدموا من اعمالهم وقال الضحاك ثواب صدق وقال مجاهد الاعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقتهم
وتسبيحهم وقال الحسن عمل صالح اسلفوه يقدمون عليه وفي رواية اخرى عن ابن عباس انه قال سبقت لهم السعادة
في الذكر الاول يعني في اللوح المحفوظ وقال زيد بن اسلم هو شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة
وقيل لهم منزلة رفيعة عند ربهم واضيف القدم الى الصدق وهو نعته كقولهم مسجد الجامع وصلاة الاولى وحب
الحصيد والفايدة في هذه الاضافة التنبيه على زيادة الفضل ومدح القدم لان كل شي اضيف الى الصدق
فهو ممدوح ومثله في مقعد صدق ومدخل صدق وقال ابو عبيدة كل سابق في خير او شر فهو عند العرب قدم يقال
لفلان قدم في الاسلام وقدم في الخير ولفلان عندي قدم صدق وقدم سو قال حسان بن ثابت
لنا القدم العليا اليك وخلفنا لاولنا في طاعة الله تابع ۔ وقال الليث وابو الهيثم القدم السابقة والمعنى
انه قد سبق لهم عند الله خير قال ذو الرمة ۔ وانت امرو من اهل بيت ذوابة لهم قدم معروفة ومفاخر ۔
والسبب في اطلاق لفظ القدم على هذه المعاني ان السعي والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمي المسبب باسم
السبب كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد قال ذو الرمة ۔ لكم قدم لا ينكر الناس انها مع الحسب العادي طمت على البحر ۔
معناه سابقة عظيمة لا ينكرها الناس وقال اخر ۔ صل لذي العرش واتخذ قدما تنجيك يوم العثار والزلل ۔
وقوله تعالى **قال الكافرون ان هذا لسحر مبين** وقرى لساحر مبين وفيه حذف تقديره اكان للناس عجبا ان
اوحينا الى رجل منهم فلما جاهم بالوحي وانذرهم قال الكافرون ان هذا الساحر يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم

واما

واما نسبوه الى السحر لما اتاهم بالمعجزات الباهرات التي لا يقدر احد من البشر على مثلها ومن قرا السحر فانهم عنوا
به القران المنزل عليه وانما نسبوه الى السحر لان فيه الاخبار بالبعث والنشور وكانوا ينكرون ذلك قوله
عز وجل **ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش** تقدم تفسير
هذا في سورة الاعراف بما فيه كفاية وقوله تعالى **يدبر الامر** قال مجاهد يقضيه وحده وقيل معنى التدبير تنزيل
الامور في مراتبها وعلى احكام عواقبها وقيل انه تعالى يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة وهو النظر في ادبار
الامور وعواقبها لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي وقيل معناه انه تعالى يدبر احوال الخلق واحوال ملكوت
السموات والارض فلا يحدث حدث في العالم العلوي ولا في العالم السفلي الا بارادته وتدبيره وقضائه
وحكمته **ما من شفيع الا من بعد اذنه** يعني لا يشفع عنده شافع يوم القيمة الا من بعد ان ياذن له في الشفاعة
لانه عالم بمصالح عباده وهو اعلم بالصواب والحكمة في تدبيرهم فلا يجوز لاحد ان يسال له ما ليس له به علم فاذا اذن
له في الشفاعة كان له ان يشفع فيمن ياذن له فيه وفيه رد على كفار قريش في قولهم ان الاصنام تشفع لهم عند
الله يوم القيمة فاخبر الله انه لا يشفع احد عنده الا باذنه لان له التصرف المطلق في جميع العالم **ذلكم الله**
ربكم يعني الذي خلق هذه الاشيا ودبرها هو ربكم وسيدكم لا رب لكم سواه **فاعبدوه** اي فاجعلوا عبادتكم
له لا لغيره لانه المستحق للعبادة بما انعم عليكم من النعم العظيمة **افلا تذكرون** يعني افلا تتعظون وتعتبرون
بهذه الدلايل والايات التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى قوله تعالى **اليه مرجعكم جميعا** يعني الى ربكم
الذي خلق جميع المخلوقات مصيركم جميعا ايها الناس يوم القيمة والمرجع بمعنى الرجوع **وعد الله حقا**
يعني وعدكم الله ذلك وعدا حقا **انه يبدا الخلق ثم يعيده** اي يحييهم ابتداء ثم يميتهم ثم يحييهم وهذا معنى
قول مجاهد فانه قال يحييه ثم يميته ثم يحييه وفي هذه الاية دليل على امكان الحشر والنشر والمعاد وصحة
وقوعه ورد على منكري البعث ووقوعه لان القادر على خلق هذه الاجسام المولفة والاعضا المركبة
على غير مثال سبق قادر على اعادتها بعد تفريقها بالموت والبلا فيركب تلك الاجزا المتفرقة تركيبا ثانيا
ويخلق الانسان الاول مرة اخرى وكما لم يمتنع تعلق هذه النفس بالبدن في المرة الاولى لم يمتنع تعلقها بالبدن
مرة اخرى فاذا ثبت القول بصحة المعاد والبعث بعد الموت كان المقصود منه ايصال الثواب للمطيع والعقاب
للعاصي وهو قوله تعالى **ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط** يعني بالعدل لا ينقص من
اجورهم شي **والذين كفروا لهم شراب من حميم** هو ماء حار انتهى حره **وعذاب اليم بما كانوا يكفرون** قوله عز وجل
هو الذي جعل الشمس ضيا يعني ذات ضيا **والقمر نورا** اي ذا نور واختلف اصحاب الكلام في ان الشعاع الفايض
من الشمس هل هو جسم او عرض والحق انه عرض وهو كيفية مخصوصة فالنور اسم لاصل هذه الكيفية والضو
اسم لهذه الكيفية اذا كانت كاملة تامة قوية فلهذا اختص الشمس بالضيا لانه اقوى واكمل من النور وخص
القمر بالنور لانه اضعف من الضيا ولانهما لو تساويا لم يعرف الليل من النهار فدل ذلك على ان الضيا المختص
بالشمس اكمل واقوى من النور المختص بالقمر **وقدره منازل** قيل الضمير في وقدره يرجع الى الشمس والقمر والمعنى قدر
لهما منازل وقدر لسيرهما منازل لا يجاوزانها في السير ولا يقصران عنها وانما وحد الضمير في وقدره للايجاز
فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر فهو كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وقيل الضمير في وقدره يرجع الى القمر
وحده لان سير القمر في المنازل اسرع وبه يعرف انقضا الشهور والسنين وذلك لان الشهور المعتبرة في الشرع
مبنية على روية الاهلة والسنة المعتبرة في الشرع هي السنة القمرية لا الشمسية ومنازل القمر ثمانية وعشرون
منزلا وهي الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة

والصرفة والسماك والعوا والغفر والزبانا والقلب والاكليل والشولة والنعايم والبلده وسعد الذابح
وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرع الدلو المقدم وفرع الدلو الموخر وبطن الحوت فهذه منازل
القمر وهي مقسومة على اثنى عشر برجا وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبلة والميزان
والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت لكل برج منزلان وثلث منزل وينزل القمر كل ليلة منزلا منها
الى انقضا ثمانية وعشرين ليلة ثم يستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وان كان تسعا وعشرين اختفى
ليلة واحدة لتعلموا عدد السنين يعني قدر هذه المنازل لتعلموا بها عدد السنين ووقت دخولها
وانقضايها والحساب يعني ولتعلموا حساب الشهور والايام والساعات ونقصانها وزيادتها ما خلق الله
ذلك الا بالحق يعني للحق واظهار قدرته ودلايل وحدانيته ولم يخلق ذلك باطلا ولا عبثا نفصل الايات
لقوم يعلمون يعني نبين دلايل التوحيد بالبراهين القاطعة لقوم يستدلون بها على قدرة الله ووحدانيته
ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون تقدم تفسير هذه
الاية في نظايرها ان الذين لا يرجون لقانا يعني لا يخافون لقانا يوم القيمة فهم مكذبون بالثواب
والعقاب والرجا يكون بمعنى الخوف تقول العرب فلان لا يرجو فلانا بمعنى لا يخافه ومنه قوله تعالى
ما لكم لا ترجون لله وقارا ومنه قول ابي ذويب الهذلي اذا لسعته النحل لم يرج لسعها اي لم يخفه والرجا
يكون بمعنى الطمع فيكون المعنى لا تطمعون في ثوابنا ورضوا بالحياة الدنيا يعني اختاروها وعملوا في
طلبها فهم راضون بزينة الدنيا وزخرفها واطمانوا بها يعني وسكنوا اليها مطمينين فيها وهذه الطمانينة
التي حصلت في قلوب الكفار من الميل الى الدنيا ولذاتها ازالت عن قلوبهم الوجل والخوف فاذا سمعوا الانذار
والتخويف لم يصل ذلك الى قلوبهم والذين هم عن اياتنا غافلون قيل المراد بالايات ادلة التوحيد وقال
ابن عباس عن اياتنا يعني عن محمد صلى الله عليه وسلم والقران غافلون اي معرضون اوليك ماواهم
النار بما كانوا يكسبون يعني من الكفر والتكذيب والاعمال الخبيثة قوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم يعني يهديهم ربهم الى الجنات ثوابا لهم بايمانهم واعمالهم الصالحة وقال
يهديهم على الصراط الى الجنة يجعل لهم نورا وقال قتادة بلغنا ان المومن اذا خرج من قبره تصور له عمله في
صورة حسنة فيقول له من انت فيقول انا عملك فيكون له نورا وقايدا الى الجنة والكافر بالضد فلا يزال
به عمله حتى يدخله النار وقال ابن الانباري يجوز ان يكون المعنى ان الله يزيدهم هداية بخصايص ولطايف
وبصاير ينور بها قلوبهم ويزيل بها الشكوك ويجوز ان يكون المعنى ويثبتهم على الهداية وقيل معناه بايمانهم
يهديهم ربهم لدينه اي بتصديقهم هداهم تجري من تحتهم الانهار يعني بين ايديهم ينظرون اليها من اعالي اسرتهم
وقصورهم وهو كقوله قد جعل ربك تحتك سريا لم يرد به انه تحتها وهي قاعدة عليه بل اراد بين يديها وقيل
تجري بامرهم في جنات النعيم يعني ذلك لهم في جنات النعيم دعواهم فيها اي قولهم وكلامهم فيها وقيل الدعوى
بمعنى الدعا اي دعاوهم فيها سبحانك اللهم وهي كلمة تنزيه لله من كل سو ونقيصة قال اهل التفسير
هذه الكلمة علامة بين اهل الجنة والخدم في الطعام فاذا ارادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فاتوهم
في الوقت بما يشتهون على الموايد كل مايدة ميل في ميل على كل مايدة سبعون الف صحيفة في كل صحيفة
لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما اعطاهم فذلك قوله
واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وقيل ان المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال اهل الجنة بالتسبيح
والتحميد والتقديس لله عز وجل والثنا عليه بما هو اهله وفي هذا الذكر سرورهم وابتهاجهم وكمال

لذتهم ويدل عليه ما روي عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اهل الجنة ياكلون فيها
ولا يشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون قالوا فما بال الطعام قال جشا ورشح كرشح
المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفي رواية التسبيح والحمد اخرجه مسلم قوله جشا اي
يخرج ذلك الطعام جشا وعرق وقوله تعالى وتحيتهم فيها سلام يعني يحيي بعضهم بعضا بالسلام وقيل
يحييهم الملايكة بالسلام وقيل تاتيهم الملايكة من عند ربهم بالسلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
قد ذكرنا ان جماعة من المفسرين حملوا التسبيح والتحميد على احوال اهل الجنة بسبب الماكول والمشروب
وانهم اذا اشتهوا شيا قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشي واذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين
فترفع الموايد عند ذلك وقال الزجاج اعلم ان اهل الجنة يبتدون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون
بشكره والثنا عليه وقيل انهم يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك كما
ذكر في الحديث قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر يعني ولو يعجل الله للناس اجابة دعايهم في الشر فيما
لهم فيه مضرة ومكروه في نفس او مال قال ابن عباس هذا في قول الرجل لاهله وولده عند الغضب لعنكم
الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعا الرجل على نفسه واهله وماله بما يكره ان يستجاب له فيه استعجالهم
بالخير يعني كما يستعجل لهم بالخير وكما يجوز ان يعجل لهم اجابة دعايهم بالخير لقضي اليهم اجلهم يعني لفرغ
من هلاكهم وماتوا جميعا والتعجيل تقديم الشي قبل وقته والاستعجال طلب العجلة وقال ابن قتيبة ان الناس
عند الغضب والضجر قد يدعون على انفسهم واهليهم واولادهم بالموت وتعجيل البلا كما يدعون بالرزق
والرحمة واعطا السول يقول لو اجابهم الله اذا دعوه بالشر الذي يستعجلونه به استعجالهم بالخير لقضي
اليهم اجلهم يعني لفرغ من هلاكهم ولكن الله عز وجل بفضله وكرمه يستجيب للداعي بالخير ولا يستجيب
له في الشر وقيل ان هذه الاية نزلت في النضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السما فعلى هذا يكون المعنى ولو يعجل الله للكافرين العذاب كما عجل لهم خير الدنيا
من المال والولد لعجل قضا اجالهم ولهلكوا جميعا ويدل على صحة هذا القول قوله تعالى فنذر الذين
لا يرجون لقانا يعني فندع الذين لا يخافون عقابنا ولا يومنون بالبعث بعد الموت في طغيانهم يعني في
تمردهم وعتوهم يعمهون يعني يترددون ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اتخذ
عندك عهدا لن تخلفنيه فانما انا بشر اغضب كما يغضب البشر فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته
فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة واجعل ذلك كفارة له يوم القيمة قوله عز
وجل واذا مس الانسان الضر اي الشدة والجهد والمراد بالانسان في هذه الاية الكافر دعانا لجنبه اي على
جنبه مضطجعا او قاعدا او قايما يريد جميع حالاته لان الانسان لا ينفك عن احدى هذه الحالات الثلاث
والمعنى ان المضرور لا يزال داعيا في كل حالاته الى ان ينكشف ضره سوا كان مضطجعا او قاعدا او قايما وقال
الزجاج وجايز ان يكون المعنى اذا مس الانسان الضر لجنبه او مسه قايما وهذا القول فيه بعد لان ذكر
الدعا الى هذه الاحوال اقرب من ذكر الضر فلما كشفنا عنه ضره يعني فلما ازلنا عنه ما نزل به من الضر
ودفعناه عنه مر يعني على طريقته الاولى قبل مس الضر كان لم يدعنا فيه حذف تقديره كانه لم يدعنا وانما
اسقط الضمير على سبيل التخفيف الى ضر مسه والمعنى انه استمر على حالته الاولى قبل ان يمسه الضر ونسي ما
كان فيه من الجهد والبلا والضيق والفقر كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعني مثل ما زين لهذا الكافر
هذا العمل القبيح كذلك زين للمسرفين والمزين هو الله لانه مالك الملك والخلق كلهم عبيده يتصرف فيهم كيف

يئا وقيل المزين هو الشيطان وذلك باقدار الله اياه على ذلك والمسرف هو المجاوز الحد في كل شيء وانما سمي الكافر مسرفا لانه اتلف نفسه وضيعها في عبادة الاصنام واتلف ماله وضيعه في البحاير والسوايب وما كانوا ينفقونه على الاصنام وسدنتها يعني خدامها وقال ابن جريج في قوله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعني من الدعا عند المصيبة وترك الشكر عند الرخا وقيل كما زين لكم اعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم اعمالهم بيان مقصود الاية وهو ان الانسان قليل الصبر عند نزول البلا قليل الشكر عند حصول النعما والرخا فاذا مسه الضر اقبل على الدعا والتضرع في جميع حالاته مجتهدا في الدعا طالبا من الله ازالة ما نزل به من المحنة والبلا فاذا كشف الله ذلك عنه اعرض عن الشكر ورجع الى ما كان عليه اولا وهذه حالة الغافل الضعيف اليقين فاما المومن العاقل فانه بخلاف ذلك فيكون صابرا عند البلا شاكرا لله عند الرخا والنعما كثير التضرع والدعا في اوقات الراحة والرفاهية وها هنا مقام اعلى من هذا وهو ان المومن اذا ابتلي ببلية او نزل به مكروه يكون مع صبره على ذلك راضيا بقضا الله غير معرض بالقلب عنه بل يكون شاكرا لله عز وجل في جميع احواله ويعلم العبد المومن ان الله تبارك وتعالى مالك الملك على الاطلاق وحكيم في جميع افعاله وله التصرف في خلقه بما يشا ويعلم انه ان بقي عليه تلك المحنة فهو عدل وان ازالها عنه فهو فضل قوله تعالى **ولقد اهلكنا القرون من قبلكم** يعني اهلكنا الامم الماضية من قبلكم يخوف بذلك كفار مكة **لما ظلموا** يعني لما اشركوا **وجاتهم رسلهم بالبينات** يعني فكذبوهم **وما كانوا ليومنوا** يعني هذه الامم برسلهم ويصدقوهم بما جاوا به من عند الله **كذلك نجزي القوم المجرمين** يعني كما اهلكنا الامم الخالية لما كذبوا رسلهم كذلك نهلككم ايها المشركون بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم **ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم** الخطاب لاهل مكة الذين ارسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ثم جعلناكم ايها الناس خلفا في الارض من بعد القرون الماضية الذين اهلكناهم **لننظر كيف تعملون** يعني خيرا او شرا فنعاملكم على حسب اعمالكم والنظر هنا بمعنى العلم يريد ليختبر اعمالكم وهو يعلم ما يكون قبل ان يكون قال اهل المعاني معنى النظر هو طلب العلم وجاز في وصف الله تعالى لاظهار العدل لانه تعالى يعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا ذكره الواحدي والرازي م عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النسا اخرجه مسلم قوله فاتقوا الدنيا معناه احذروا فتنة الدنيا واحذروا فتنة النسا قوله عز وجل **واذا تتلى عليهم اياتنا بينات** يعني واذا قرئ على هولا المشركين ايات كتابنا الذي انزلناه اليك يا محمد بينات يعني واضحات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك **قال الذين لا يرجون لقانا** يعني قال هولا المشركون الذين لا يخافون عقابنا ولا يرجون ثوابنا لانهم لا يومنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث فانه لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا **ايت بقران غير هذا او بدله** قال قتادة قال ذلك مشركو مكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبد الله بن ابي امية المخزومي والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن ابي قيس العامري والعاص بن عمرو بن هشام قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد ان نومن بك فات بقران ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وان لم ينزله الله عليك فقل انت من عند نفسك او بدله فاجعل مكان اية عذاب اية رحمة ومكان حرام حلالا ومكان حلال حراما قال الامام فخر الدين الرازي اعلم ان اقدام الكفار على هذا الالتماس يحتمل وجهين احدهما انهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية

والاستهزا

والاستهزا وهو قولهم لو جيتنا بقران غير هذا القران او بدلته لامنا بك وغرضهم السخرية والاستهزا الثاني ان يكونوا قالوا ذلك على سبيل التجربة والامتحان حتى انه لو فعل ذلك علموا انه كان كاذبا في قوله ان هذا القران نزل عليه من عند الله ومعنى قوله ايت بقران غير هذا او بدله يحتمل ان ياتي بقران اخر مع وجود هذا القران والتبديل لا يكون الا مع وجوده وهو ان يبدل بعض اياته بغيرها كما طلبوه ولما سالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم امره الله ان يجيبهم بقوله **قل** اي قل يا محمد لهولا **ما يكون لي ان ابدله من تلقا نفسي** يعني ان هذا الذي طلبتموه من التبديل لقران الي وما ينبغي لي ان اغيره من قبل نفسي ولم اومر **ان اتبع الا ما يوحى الي** يعني فيما امركم به او انهاكم عنه وما اخبركم الا ما يخبرني الله به وان الذي اتيتكم به هو من عند الله لا من عندي **قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم** اي قل لهم يا محمد اني اخشى من الله ان خالفت امره او غيرت احكام كتابه او بدلته فعصيته بذلك ان يعذبني بعذاب عظيم في يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت قوله تعالى **قل** اي يا محمد لهولا المشركين الذين طلبوا منك تغيير القران وتبديله **لو شا الله ما تلوته عليكم** يعني لو شا الله لم ينزل علي هذا القران ولم يامرني بقراته عليكم **ولا ادراكم به** قال ابن عباس ولا اعلمكم به وقيل ولا ادراكم الله به ولا اعلمكم به **فقد لبثت فيكم عمرا من قبله** يعني فقد مكثت فيكم قبل ان يوحى الي هذا القران مدة اربعين سنة لم اتكم بشي ووجه هذا الاحتجاج ان كفار مكة كانوا قد شاهدوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وعلموا احواله وانه كان اميا لم يطالع كتابا ولا تعلم من احد مدة عمره قبل الوحي وذلك اربعين سنة ثم بعد الاربعين جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفايس العلوم واخبار الماضين وفيه من الاحكام والاداب ومكارم الاخلاق والفصاحة والبلاغة ما اعجز العلما والفصحا والبلغا عن معارضته فكل من له عقل سليم وفهم ثاقب يعلم ان هذا لم يحصل الا بوحي من الله تعالى لا من عند نفسه وهو قوله **افلا تعقلون** يعني ان هذا القران من عند الله اوحاه الي لا من قبل نفسي ق عن ابن عباس قال انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربعين فمكث ثلاث عشرة ثم امر بالهجرة فهاجر الى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضو ولا يرى شيا سبع سنين وثمان سنين يوحى اليه واقام بالمدينة عشرا وتوفي وهو ابن خمس وستين سنة اخرجاه في الصحيحين ق عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة اخرجاه في الصحيحين م عن انس قال توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين وابو بكر وهو ابن ثلاث وستين وعمر وهو ابن ثلاث اخرجه مسلم ق عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن قال سمعت انس بن مالك يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان ربعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ازهر اللون ليس بالابيض الامهق ولا بالادم ليس بجعد قطط ولا سبط رجل انزل عليه وهو ابن اربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه الوحي وبالمدينة عشرا وتوفاه الله على راس ستين سنة وليس في راسه ولحيته عشرون شعرة بيضا اخرجاه في الصحيحين قال الشيخ محيي الدين النواوي ورد في عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات احداها انه صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ستين سنة والثانية خمس وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهي اصحها واشهرها رواها مسلم من حديث انس وعايشة وابن عباس واتفق العلما على ان اصحها ثلاث وستون وتاولوا الباقي عليه فرواية ستين اقتصر فيها على العقود وترك الكسر ورواية الخمس متاولة ايضا وحصل فيها اشتباه قوله يسمع الصوت يعني صوت الهاتف من الملايكة ويرى الضو يعني نور الملايكة او نور ايات الله

حتى راى الملك بعينه وشافهه بالوحي من الله عز وجل وقوله لبثت بالابيض لا بهق المراد به التشديد بالبياض كلون الجص وهو كريه المنظر وربما توهم الناظر انه برص والمراد انه كان ازهر اللون بين البياض والسمرة قوله عز وجل **فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا** يعني فزعم ان له شريكا وولدا والمعنى اني لم افتر على الله كذبا ولم اكذب عليه في قولي ان هذا القران من عند الله وانتم قد افتريتم على الله الكذب فزعمتم ان له شريكا وولدا والله منزه عن الشريك والولد وقيل معناه ان هذا القران لو لم يكن من عند الله لما كان احد في الدنيا اظلم على نفسه من حيث افتريته على الله ولما كان هذا القران من عند الله اوحاه الي وجب ان يقال ليس احد في الدنيا اجهل ولا اظلم على نفسه منكم من حيث انكرتم ان يكون هذا القران من عند الله فقد كذبتم باياته وهو قوله **او كذب باياته** يعني جحد بكون القران من الله وانكر دلايل التوحيد **انه لا يفلح المجرمون** يعني المشركين وهذا وعيد وتاكيد لما سبق **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم** يعني ويعبد هولاء المشركين الاصنام التي لا تضرهم ان عصوها وتركوا عبادتها ولا تنفعهم ان عبدوها لانها حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع ولان العبادة اعظم انواع التعظيم فلا تليق الا بمن يضر وينفع ويحيي ويميت وهذه الاصنام جماد وحجارة لا تضر ولا تنفع **ويقولون هولاء** يعني الاصنام التي يعبدونها **شفعاونا عند الله** قال اهل المعاني توهموا ان عبادتها اشد في تعظيم الله من عبادتهم اياه وقالوا لسنا باهل ان نعبد الله ولكن نشتغل بعبادة هذه الاصنام فانها تكون شافعة لنا عند الله ومنه قوله اخبارا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفي هذه الشفاعة قولان احدهما انهم يزعمون انها تشفع لهم في الاخرة قال ابن جريج عن ابن عباس والثاني انها تشفع لهم في الدنيا في اصلاح معايشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون بعثا بعد الموت **قل** اي قل لهم يا محمد **اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض** يعني اتخبرون الله ان له شريكا ولا يعلم الله لنفسه شريكا في السموات ولا في الارض وهذا على طريق الالزام والمقصود نفي علم الله بذلك الشفيع وانه لا وجود له البتة لانه لو كان موجودا لعلمه الله وحيث لم يكن معلوما لله وجب ان لا يكون موجودا ومثل هذا مشهور في العرف فان الانسان اذا اراد نفي شيء حصل في نفسه يقول ما علم الله ذلك مني مقصوده انه ما حصل ذلك الشيء منه قط ولا وقع **سبحانه وتعالى عما يشركون** نزه الله تعالى نفسه عن الشركاء والاضداد والانداد وتعالى ان يكون شريك في السموات والارض ولا يعلمه قوله تعالى **وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا** يعني فتفرقوا الى مومن وكافر يعني كانوا جميعا على الدين الحق وهو دين الاسلام ويدل على ذلك ان ادم عليه السلام وذريته كانوا على دين الاسلام الى ان قتل قابيل هابيل ثم اختلفوا وقيل بقوا على ذلك الى زمن نوح عليه السلام ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وقيل انهم كانوا على دين الاسلام وقت خروج نوح ومن معه من السفينة ثم اختلفوا بعد ذلك وقيل كانوا على دين الاسلام من عهد ابراهيم الخليل عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحي فعلى هذا القول يكون المراد من الناس في قوله وما كان الناس الا امة واحدة العرب خاصة وقيل كان الناس امة واحدة يعني في الكفر وهذا القول منقول عن جماعة من المفسرين ويدل عليه قوله في سورة البقرة فبعث الله النبيين وتقريره انه لا مطمع في ان يصير الناس على دين واحد فانهم كانوا اولا على الكفر وانما اسلم بعضهم ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل كان الناس امة واحدة وليس في الاية ما يدل على اي دين كانوا من ايمان او كفر فهو موقوف على دليل من خارج وقيل معناه انهم كانوا في اول الخلق على الفطرة السليمة الصحيحة ثم اختلفوا في الاديان واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه والمراد بالفطرة في الحديث فطرة الاسلام وقوله تعالى **ولولا كلمة سبقت من ربك** يعني

انه تعالى

انه تعالى جعل لكل امة اجلا وقضى بذلك في سابق الازل قال الكلبي هي امهاله هذه الامة وانه لا يهلكهم بالعذاب **لقضي بينهم** يعني بنزول العذاب وتعجيل العقوبة للمكذبين لكان ذلك فصلا بينهم **فيما فيه يختلفون** وقال الحسن لولا كلمة سبقت من ربك يعني مضت في حكمة الله انه لا يقضي عليهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب دون يوم القيمة لقضي بينهم في الدنيا فادخل المومنين الجنة باعمالهم وادخل الكافرين النار بكفرهم ولكن سبق من الله الاجل فجعل موعدهم يوم القيمة وقيل سبق من الله ان لا ياخذ احدا الا بعد اقامة الحجة عليه وقيل الكلمة التي سبقت من الله هي قوله ان رحمتي سبقت غضبي ولولا رحمته لعجل لهم العقوبة في الدنيا ولكن اخرهم برحمته الى يوم القيمة ثم يقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون يعني في الدنيا **ويقولون** يعني كفار مكة **لولا انزل عليه اية من ربه** يعني هلا انزل على محمد ما نقترحه عليه من الايات **فقل** اي قل لهم يا محمد **انما الغيب لله** يعني ان الذي سالتموني من الغيب وانما الغيب لله لا يعلم احد ذلك الا هو والمعنى لا يعلم احد متى نزول الاية الا هو **فانتظروا** يعني نزولها **اني معكم من المنتظرين** وقيل معناه فانتظروا قضاء الله بيننا باظهار الحق على المبطل اني معكم من المنتظرين قوله عز وجل **واذا اذقنا الناس رحمة** يعني رخاء ونعمة **من بعد ضراء مستهم** يعني من بعد شدة وبلاء وضيق في العيش اصابهم والمراد بالناس هنا كفار مكة وذلك ان الله حبس عنهم المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والقحط ثم ان الله تعالى رحمهم فانزل عليهم المطر الكثير حتى اخصبت البلاد وعاش الناس بعد ذلك القحط فلم يتعظوا بذلك بل رجعوا الى الفساد والكفر والمكر وهو قوله **اذا لهم مكر في اياتنا** قال مجاهد اي تكذيب واستهزاء وقال مقاتل بن حيان لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون سقينا بنوء كذا وكذا ويدل على صحة هذا القول ما روي عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال اصبح من عبادي مومن وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مومن بي كافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مومن بالكوكب اخرجاه في الصحيحين قوله على اثر سماء اي مطر كان وقع في الليل وسمي المطر سماء لانه ينزل من السماء والانواء عند العرب هي منازل القمر اذا طلع نجم سقط نظيره وكانوا يعتقدون في الجاهلية انه لا بد عنده من وجود مطر او ريح كما يزعم المنجمون ايضا فمن العرب من يجعل ذلك التاثير للطالع لانه ناء اي ظهر وطلع ومنهم من ينسبه للغارب فنفى النبي صلى الله عليه وسلم صحة ذلك ونهى عنه وكفر معتقده اذا اعتقدوا ان النجم فاعل ذلك التاثير واما من يجعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة واما من اسند ذلك الى العادة التي يجوز انخرامها فقد كرهه قوم وحرمه قوم ومنهم من تاول الكفر كفر نعمة والله اعلم وسمى تكذيبهم بايات الله مكرا لان المكر عبارة عن صرف الشيء من وجهه الظاهر بنوع من الحيلة وكان كفار مكة يحتالون في دفع ايات الله بكل ما يقدرون من المكاسب **قل الله اسرع مكرا** اي قل لهم يا محمد الله اعجل عقوبة واشد اخذا واقدر على الجزاء وان عذابه في هلاككم اسرع اليكم مما ياتي منكم في دفع الحق واطلاق الواقع نعمة الله بالمكر انما هو بمكرهم بمكر اشد منه وهو امهالهم الى يوم القيمة **ان رسلنا يكتبون ما تمكرون** يعني الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون ويحفظون عليهم اعمالهم القبيحة السيئة الى يوم القيمة حتى يفتضحون ويجزون على مكرهم قوله تعالى **هو الذي يسيركم في البر والبحر** يعني والله الذي يسيركم ويحملكم في البر على ظهر الدواب وفي البحر في الفلك وقيل معناه والله الهادي لكم الى السير في البر والبحر طلبا للمعاش وهو المهيئ لكم اسباب السير في البر والبحر **حتى اذا كنتم في الفلك** يعني في السفن ولفظة الفلك تطلق على

الواحد والجمع وتقديرها مختلفات فان اريد به الواحد كان كبنا قفل وان اريد به الجمع كان كبنا حمر والمراد به هنا الجمع لقوله تعالى وجرين بهم يعني وجرت السفن بركابها فان قلت ما فايدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة قلت قال صاحب الكشاف المقصود منه المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم مزيد الانكار والتقبيح وقال غيره ان مخاطبة الله لعباده هو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فهو بمنزلة الخبر عن الغايب وكل من اقام الغايب مقام المخاطب حسن منه ان يرده الى الغايب وقيل ان الالتفات في الكلام من الغيبة الى الحضور وبالعكس هو من فصيح كلام العرب بريح طيبة يعني وجرت السفن بريح طيبة ساكنة وفرحوا بها يعني وفرح ركبان الفلك بتلك الريح الطيبة لان الانسان اذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة للمقصود وحصل له النفع التام والمسرة العظيمة بذلك جاتها ريح عاصف قيل الضمير في جاتها يرجع الى الريح فيكون المعنى جات الريح الطيبة ريح عاصف شديدة فاقلبتها وقيل الضمير في جاتها يرجع الى الفلك يعني جات الفلك ريح عاصف يقال ريح عاصف وعاصفة ومعنى عصفت الريح اشتدت واصل العصف السرعة وانما قال عاصف لانه اراد ذات عصوف او لاجل ان لفظ الريح قد يذكر وجاءهم الموج من كل مكان يعني وجا ركبان السفينة الموج وهو ما ارتفع وعلا من غوارب الماء في البحر وقيل هو شدة حركة الماء واختلاطه وظنوا انهم احيط بهم يعني وظنوا ان الهلاك قد احاط بهم واحدق وقيل المراد من الظن اليقين اي وايقنوا انه الهلاك وقيل بل المراد منه المقاربة من الهلاك والدنو منه والاشراف عليه دعوا الله مخلصين له الدين يعني انهم اخلصوا في الدعا لله عز وجل ولم يدعوا احدا سواه من الهتهم وقيل في معنى الاخلاص العلم الحقيقي لا اخلاص ايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة انه لا ينجيهم من جميع الشدايد والبلايا الا الله تعالى فكانوا اذا في شدة وضر وبلا اخلصوا الله الدعا لين انجيتنا اي قايلين لين انجيتنا يا ربنا من هذه يعني من هذه الشدايد التي نحن فيها وهي الريح العاصفة والامواج الشديدة لنكونن من الشاكرين يعني من الشاكرين لك على انعامك علينا بخلاصنا مما نحن فيه من هذه الشدة فلما انجاهم يعني فلما انجا الله هولا الذين ظنوا انه احيط بهم من الشدة التي كانوا فيها اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يعني انهم اخلفوا الله ما وعدوه وبغوا في الارض فتجاوزوا فيها الى غير ما امر الله به من الكفر والعمل بالمعاصي على ظهرها واصل البغي مجاوزة الحد قال صاحب المفردات والبغي على ضربين احدهما محمود وهو مجاوزة العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع والثاني مذموم وهو مجاوزة الحق الى الباطل او الى الشبهة قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى قد يكون بحق وهو استيلا المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم يعني ان وبال بغيكم راجع عليكم متاع الحياة الدنيا قيل هو كلام مبتدا والمعنى ان بغي بعضكم على بعض هو متاع الحياة الدنيا لا يصلح لزاد الاخرة وقيل هو كلام متصل بما قبله والمعنى يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم لا يتهيا ان يبغي بعضكم على بعض الا اياما قليلة وهي مدة حياتكم مع قصرها في سرعة انقضايها فالبغي من منكرات الذنوب العظام قال بعضهم لو بغى جبل على جبل لاندك الباغي وقد نظم بعضهم هذا المعنى شعرا وكان المامون يتمثل به

يا صاحب البغي ان البغي مصرعه ... فارجع فخير مقال المرء اعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل ... لاندك منه اعاليه واسفله

وقوله تعالى

وقوله تعالى ثم الينا مرجعكم يعني يوم القيمة فننبيكم اي فنخبركم بما كنتم تعملون يعني في الدنيا من البغي والمعاصي فنجازيكم عليها قوله عز وجل انما مثل الحياة الدنيا يعني في فنايها وزوالها كما انزلناه من السما يعني المطر فاختلط به اي بالمطر نبات الارض قال ابن عباس نبت بالما من كل لون مما ياكل الناس يعني من الحبوب والثمار والانعام يعني ومما ياكل الانعام من الحشيش ونحوه حتى اذا اخذت الارض زخرفها يعني حسنها ونضارتها وبهجتها واظهرت الوان زهرها من ابيض واحمر واصفر وغير ذلك من الزهور وازينت يعني وتزينت وظن اهلها يعني اهل تلك الارض انهم قادرون عليها يعني على جدادها وقطافها وحصادها رد الكناية الى الارض والمراد النبات اذ كان مفهوما وقيل رده الى الثمرة والغلة وقيل الى الزينة اتاها امرنا يعني قضاؤنا باهلاكها ليلا او نهارا يعني في الليل او النهار فجعلناها حصيدا يعني محصودة مقطوعة كان لم تغن بالامس يعني كان لم تكن تلك الاشجار والنبات والزروع نابتة قايمة على ظهر الارض واصله من غني فلان بالمكان اذا اقام به وهذا مثل ضربه الله تعالى للمتشبث بالدنيا الراغب في زهرتها وحسنها وذلك انه تعالى لما قال يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا اتبعه بهذا المثل لمن بغى في الارض وتجبر فيها وركن الى الدنيا واعرض عن الاخرة لان النبات في اول بروزه من الارض ومبدا خروجه يكون ضعيفا فاذا نزل عليه المطر واختلط به قوي وحسن واكتسى كمال الرونق والزينة وهو المراد من قوله حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت يعني بالنبات والزخرف عبارة عن كمال حسن الشي فجعلت الارض اخذة زخرفها على التشبيه بالعروس اذا اكتست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من حمرة وخضرة وصفرة وبياض ولا شك ان الارض متى كانت على هذه الصفة فانه يفرح بها صاحبها ويعظم رجاوه في الانتفاع بها وبما فيها ثم ان الله تعالى ارسل على هذه الارض صاعقة او بردا او ريحا فجعلها حصيدا كان لم تغن من قبل قال قتادة ان المتشبث بالدنيا ياتيه امر الله وعذابه اغفل ما يكون ووجه التمثيل ان غاية هذه الحياة الدنيا التي ينتفع بها المرء كغاية هذا النبات التي لما عظم الرجا في الانتفاع به وقع الناس منه ولان المتمسك بالدنيا اذا نال منها بغيته اتاه الموت بغتة فسلبه مما هو فيه من نعيم الدنيا ولذاتها وقيل يحتمل ان يكون ضرب هذا المثل لمن ينكر المعاد بعد الموت وذلك لان الزرع اذا انتهى وتكامل في الحسن الى الغاية القصوى اتاه افة فتلف بالكلية ثم ان الله تعالى قادر على اعادته كما كان اول مرة فضرب الله تعالى هذا المثل ليدل على ان من قدر على اعادة ذلك النبات بعد التلف كان قادرا على اعادة الاموات احيا في الاخرة ليجازيهم على اعمالهم فيثيب الطايع ويعاقب العاصي كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون يعني كما بينا لكم مثل الحياة الدنيا وعرفناكم حكمها كذلك نبين حججنا وادلتنا لمن تفكر واعتبر ليكون ذلك موجبا وسببا لزوال الشك والشبهة من القلوب قوله تعالى والله يدعوا الى دار السلام لما ذكر الله زهرة الحياة الدنيا وانها فانية زايلة لا محالة دعا الى داره دار السلام قال قتادة الله هو السلام وداره الجنة فعلى هذا السلام اسم من اسما الله عز وجل ومعناه انه تعالى سلم من جميع النقايص والعيوب والفنا والتغير وقيل انه تعالى يوصف بالسلام لان الخلق سلموا من ظلمه وقيل انه يوصف بالسلام بمعنى ذو السلام اي لا يقدر على تخليص العاجز من المكاره والافات الا هو وقيل دار السلام اسم للجنة وهو جمع سلامة والمعنى ان من دخلها فهو سلم من جميع الافات كالموت والمرض والمصايب والحزن والغم والتعب والنكد وقيل سميت الجنة دار السلام لان الله تعالى يسلم على اهلها او تسلم الملايكة عليهم وقيل ان من كمال رحمة الله وجوده وكرمه على عباده ان دعاهم الى جنته التي هي دار السلام وفيه دليل على ان فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان العظيم لا يدعوا الا الى عظيم ولا يصف

الاعظيما وقد وصف الله الجنة في ايات كثيرة من كتابه **ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم** يعني والله يهدي من يشا
من خلقه الى صراط المستقيم وهو دين الاسلام عم بالدعوة اولا اظهارا للحجة وخص بالهداية ثانيا استغنا عن الخلق
واظهار للقدرة فحصلت المغايرة بين الدعوتين **خ** عن جابر قال جات ملايكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو
نايم فقال بعضهم انه نايم وقال بعضهم العين نايمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم مثلا فاضربوا له مثلا
فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مادبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة ومن لم
يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة فقالوا اولوها يفقهها فقال بعضهم العين نايمة والقلب يقظان
فالدار الجنة والداعي محمد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن يعصي محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس
وفي رواية قال جابر خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزد قال الحميدي وذكر ابو مسعود اوله فقال
خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رايت في المنام كان جبريل عند راسي وميكائيل عند رجلي
يقول احدهما لصاحبه اضرب له مثلا وذكره عن النواس بن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله ضرب مثلا صراطا مستقيما على كتفي الصراط زوران لهما ابواب مفتحة على الابواب ستور وداع يدعوا
على راس الصراط وداع يدعوا من فوقه والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشا الى صراط مستقيم والابواب
التي على كنفي الصراط حدود الله فلا يقع احد في حدود الله حتى يكشف الستر والذي يدعوا من فوقه واعظ ربه
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله عز وجل **للذين احسنوا الحسنى** قال ابن عباس للذين شهدوا
ان لا اله الا الله الجنة وقيل معناه للذين احسنوا عبادة الله في الدنيا من خلقه واطاعوه فيما امرهم به ونهاهم
عنه الحسنى قال ابن الانباري الحسنى في اللغة تانيث الاحسن والعرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة
والخصلة المرغوب فيها وقيل معناه للذين احسنوا المثوبة الحسنى **وزيادة** اختلف اهل التفسير في معنى
هذه الحسنى وهذه الزيادة على اقوال القول الاول ان الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر الى وجه الله
الكريم وهذا قول جماعة من الصحابة منهم ابو بكر الصديق وحذيفة وابو موسى الاشعري وعبادة بن الصامت
وهو قول الحسن وعكرمة والضحاك ومقاتل والسدي ويدل على صحة هذا المنقول والمعقول اما
المنقول فما روي عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول تبارك
وتعالى تريدون شيا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف
الحجاب فما اعطوا شيا احب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى زاد في رواية ثم تلا هذه الاية للذين
احسنوا الحسنى وزيادة اخرجه مسلم وروى الطبري بسنده عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه الله وبه عن ابي بن كعب انه سال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة
النظر الى وجه الله وبه عن ابي موسى الاشعري قال اذا كان يوم القيمة بعث الله الى اهل الجنة مناديا ينادي
هل انجزكم الله ما وعدكم فينظرون الى ما اعد الله لهم من الكرامات فيقولون نعم فيقول الله للذين احسنوا
الحسنى وزيادة النظر الى وجه الرحمن تبارك وتعالى وفي رواية رفعه ابو موسى قال عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله يبعث يوم القيمة وذكره بمعناه عن ابي بكر الصديق للذين احسنوا الحسنى
وزيادة قال النظر الى وجه الله وبه عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال
لهم قد بقي من حقكم شي لم تعطوه قال فيتجلى لهم جل وعز قال فيصغر عندهم كل شي اعطوه ثم قال للذين
احسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه ربهم فهذه الاخبار والاثار قد دلت

على ان المراد بهذه الزيادة هي النظر الى وجه الله تبارك وتعالى واما المعقول فنقول ان الحسنى لفظة مفردة
دخل عليها حرف التعريف فانصرف الى المعهود السابق وهو الجنة في قوله والله يدعوا الى دار السلام فثبت
بهذا ان المراد من لفظة الحسنى هي الجنة واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد من الزيادة امرا مغايرا لكل
ما في الجنة من النعيم والا لزم التكرار واذا كان كذلك وجب حمل هذه الزيادة على روية الله
تعالى وتبارك ومما يؤيد ذلك قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فاثبت لاهل الجنة
امرين احدهما النضارة وهو حسن الوجوه وذلك من نعيم الجنة والثاني النظر الى الله تعالى وايات
القران يفسر بعضها بعضا فوجب حمل الحسنى على الجنة ونعيمها وحمل الزيادة على روية الله تعالى
وقالت المعتزلة لا يجوز حمل هذه الزيادة على الروية لان الدلايل العقلية دلت على ان روية الله تعالى
ممتنعة ولان الزيادة يجب ان تكون من جنس المزيد عليه وروية الله ليست من جنس نعيم الجنة ولان الاخبار
التي تمسكتم بها توجب التشبيه ولان جماعة من المفسرين حملوا هذه الزيادة على غير الروية فانتفى ما قلتم
اجاب اصحابنا عن هذه الاعتراضات بان الدلايل العقلية قد دلت على امكان وقوع روية الله
في الاخرة واذا لم يوجد في العقل ما يمنع من روية الله وجات الاحاديث الصحيحة باثبات الروية وجب
المصير اليها واجراوها على ظواهرها من غير تشبيه ولا احاطة واجيب عن قولهم بان الزيادة يجب
ان تكون من جنس المزيد عليه فنقول المزيد عليه اذا كان مقدرا بمقدار معين كانت الزيادة من جنسه
واما لم تكن بمقدار معين وجب ان تكون الزيادة مخالفة له فالمذكور في الاية لفظ الحسنى وهي الجنة ونعيمها
غير مقدر بقدر معين وجب ان الزيادة عليها شيا مغايرا لنعيم الجنة وذلك المغاير هو الروية
واجيب عن قولهم بان جماعة من المفسرين حملوا الزيادة على غير الروية فمعارض بقول جماعة من
المفسرين بان الزيادة هي الروية والمثبت مقدم على النافي والله اعلم القول الثاني في معنى هذه
الزيادة ما روي عن علي بن ابي طالب انه قال الزيادة غرفة من لولوة واحدة لها اربعة ابواب القول
الثالث ان الحسنى واحدة الحسنات والزيادة التضعيف الى تمام العشرة الى سبعماية قال ابن
عباس هو مثل قوله ولدينا مزيد يقول نجزيهم بعملهم ونزيدهم من فضله قال قتادة كان الحسن يقول
الزيادة بالحسنة عشرة امثالها الى سبعماية ضعف القول الرابع ان الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة
مغفرة من الله ورضوان قاله مجاهد القول الخامس قول ابن زيد ان الحسنى هي الجنة والزيادة ما
اعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم به يوم القيمة وقوله تعالى **ولا يرهق وجوههم** يعني ولا يغشى وجوه اهل
الجنة **قتر** اي كابة ولا كسوف ولا غبار وقال ابن عباس هو سواد الوجوه **ولا ذلة** يعني ولا هوان قال ابن
ابي ليلى هذا بعد نظرهم الى ربهم تبارك وتعالى **اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون** يعني ان هولا
الذين وصفت صفتهم هم اصحاب الجنة لا غيرهم وهم فيها مقيمون لا يخرجون منها ابدا قوله تعالى **والذين
كسبوا السيات جزا سيية بمثلها** اعلم انه لما شرح الله تعالى احوال المسلمين وما اعد لهم من الكرامة
شرح في هذه الاية حال من اقدم على السيات والمراد بهم الكفار فقال تعالى والذين كسبوا السيات
يعني والذين عملوا الكفر والمعاصي جزا سيية بمثلها يعني فلهم جزا السيية التي عملوها مثلها من العقاب
والمقصود من هذا التقييد التنبيه على الفرق بين الحسنات والسيات لان الحسنات يضاعف ثوابها
لعاملها من الواحدة الى العشرة الى السبعماية الى اضعاف كثيرة وذلك تفضلا منه وتكرما واما السيات فانه
يجازي عليها بمثلها عدلا منه سبحانه وتعالى **وترهقهم ذلة** قال ابن عباس تغشاهم ذلة وشدة وقيل تغشاهم

ذلة وهوان بعقاب الله اياهم ما لهم من الله من عاصم يعني ما لهم مانع يمنعهم من عذاب الله اذا نزل بهم
كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما يعني كانما البست وجوههم سوادا من الليل المظلم اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا الحشر الجمع من كل جانب وناحية الى موضع واحد
والمعنى ويوم نجمع الخلائق جميعا لموقف الحساب وهو يوم القيمة ثم نقول للذين اشركوا مكانكم اي الزموا
مكانكم واثبتوا فيه حتى تسالوا وفي هذا وعيد وتهديد للعابدين والمعبودين انتم وشركاؤكم يعني انتم
ايها المشركون والاصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله فزيلنا بينهم يعني فرقنا بين العابدين والمعبودين
وميزنا بينهم وانقطع ما كان بينهم من التواصل في الدنيا فان قلت قوله فزيلنا بينهم جاء على لفظ الماضي
بعد قوله ثم نقول للذين اشركوا وهو منتظر في المستقبل فما وجهه قلت السبب فيه ان الذي حكم الله فيه
بانه سيكون صار كالكائن الان اما قوله وقال شركاؤهم يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله
وانما سماهم شركاؤهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم او لانه تعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله
مكانكم فقد صاروا شركاء في هذا الخطاب ما كنتم ايانا تعبدون يعني المعبودون من العابدين فان قلت
كيف صدر هذا الكلام عن الاصنام وهي جماد لا روح فيها ولا عقل لها قلت يحتمل ان الله خلق لها في ذلك
اليوم الحياة والعقل والنطق حتى قدرت على هذا الكلام فان قلت اذا احياهم الله في ذلك اليوم فهل
يفنيهم او يبقيهم قلت الكل محتمل ولا اعتراض على الله في شيء من افعاله واحوال القيمة غير معلومة
الا ما دل عليه الدليل من كتاب وسنة فان قلت ان الاصنام قد انكرت ان الكفار كانوا يعبدونها
وقد كانوا يعبدونها قلت قد تقدمت هذه المسالة وجوابها في تفسير سورة الانعام ونقول هنا
قال مجاهد يكون في يوم القيمة ساعة فيها شدة تنصب لهم الالهة التي كانوا يعبدونها من دون الله
فتقول الالهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم انكم تعبدوننا فيقولون والله اياكم كنا نعبد
فتقول لهم الالهة فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين والمعنى قد علم الله وكفى
به شهيدا انا ما علمنا انكم كنتم تعبدوننا وما كنا عن عبادتكم ايانا من دون الله الا غافلين لا نشعر بذلك
اما قوله تعالى هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت فهو كالتتمة للاية المتقدمة والمعنى ان في ذلك المقام
او في ذلك الموقف او في ذلك الوقت على معنى استعارة اطلاق اسم المكان على الزمان في قوله تبلوا قرات
قرئ تتلوا بتائين ولها معنيان احدهما انه من تلاه اذا اتبعه اي تتبع كل نفس ما اسلفت لان العمل هو الذي
يهدي النفس الى الثواب او العقاب الثاني ان يكون من التلاوة والمعنى ان كل نفس تقرا صحيفة عملها من
خير او شر وقرئ تبلوا بالتاء والباء ومعناه تخبر وتعلم والبلو الاختبار ومعناه اختبارها ما اسلفت انه
ان قدم خيرا او شرا قدم عليه وجوزي به وردوا الى الله مولاهم الحق الرد عبارة عن صرف الشيء الى الموضع
الذي جاء منه والمعنى وردوا الى ما يظهر لهم من الله الى الله الذي هو مالكهم ومتولي امورهم فان قلت قد قال الله
تعالى في اية اخرى وان الكافرين لا مولى لهم فما الفرق قلت المولى في اللغة يطلق على المالك ويطلق على الناصر
فمعنى المولى هنا المالك ومعنى المولى هناك الناصر فحصل الفرق بين الايتين وضل عنهم ما كانوا يفترون
يعني وبطل وذهب ما كانوا يكذبون فيه في الدنيا وهو قولهم ان هذه الاصنام تشفع لنا قوله عز وجل
قل من يرزقكم من السماء والارض اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من يرزقكم من السماء يعني المطر والارض يعني
النبات امن يملك السمع والابصار يعني ومن اعطاكم هذه الحواس التي تسمعون بها وتبصرون
بها ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي يعني انه تعالى يخرج الانسان حيا من النطفة وهي ميتة

وكذلك

وكذلك الطير من البيضة وكذلك يخرج النطفة الميتة من الانسان الحي ويخرج البيضة الميتة من الطائر
الحي وقيل معناه انه يخرج المومن من الكافر والكافر من المومن والقول الاول اقرب الى الحقيقة ومن يدبر
الامر يعني ان مدبر امر السموات وما فيها ومدبر امر الارض وما فيها هو الله تعالى وكذلك قوله فسيقولون الله
يعني انهم يعترفون بان فاعل هذه الاشياء هو الله واذا كانوا يقرون بذلك فقل لهم يا محمد افلا تتقون يعني
افلا تخافون عقابه حيث تعبدون هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شيء من هذه الامور فذلكم
الله ربكم الحق يعني فذلكم الذي يفعل هذه الاشياء ويقدر عليها هو الله ربكم الحق الذي يستحق العبادة
لا هذه الاصنام فماذا بعد الحق الا الضلال يعني اذا ثبت بهذه البراهين الواضحة والدلائل القطعية
ان الله هو الحق وجب ان يكون ما سواه ضلالا وباطلا فانى تصرفون يعني اذا عرفتم هذا الامر الظاهر
الواضح فكيف تستجيزون العدول عن الحق الى الضلال الباطل كذلك اي كما ثبت انه ليس بعد الحق الا
الضلال كذلك حقت اي وجبت كلمة ربك في الازل على الذين فسقوا انهم لا يومنون قيل المراد بكلمة الله
قضاؤه عليهم في اللوح المحفوظ انهم لا يومنون وقضاء الله لا يرد ولا يدفع قل هل من شركائكم اي قل يا محمد لهؤلاء
المشركين هل من شركائكم يعني هذه الاصنام التي تزعمون انها الهة من يبدؤا الخلق يعني من يقدر على ان ينشئ الخلق
على غير مثال سبق ثم يعيده اي ثم يعيده بعد الموت كهيئته اول مرة وهذا السؤال استفهام انكار فقل انت يا محمد
الله يبدؤا الخلق ثم يعيده يعني الله هو القادر على ابتداء الخلق واعادته فانى توفكون يعني فانى تصرفون عن
قصد السبيل والمراد من هذا التعجب من حالهم كيف تركوا هذا الامر الواضح وعدلوا عنه الى غيره قل اي قل
يا محمد هل من شركائكم من يهدي الى الحق يعني هل من هذه الاصنام من يقدر على ان يرشد الى الحق فاذا قالوا
لا ولا بد لهم من ذلك قل اي قل لهم انت الله يهدي للحق يعني ان الله هو الذي يرشد الى الحق لا غيره افمن
يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى يعني ان الله هو الذي يهدي الى الحق فهو احق
بالاتباع لا هذه الاصنام التي لا تهتدي الا ان تهدى فان قلت الاصنام جماد لا تتصور هدايتها ولا ان
تهدى فكيف قال الا ان يهدى قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال وجوها الاول ان معنى الهداية في حق
الاصنام الانتقال من مكان الى مكان فيكون المعنى انها لا تنتقل من مكان الى مكان الا ان تحمل وتنقل
فتبين بهذا عجز الاصنام الوجه الثاني ان ذكر الهداية في حق الاصنام على وجه المجاز وذلك ان المشركين
لما اتخذوا الاصنام الهة وانزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر عمن يسمع ويعقل ويعلم
ووصفها بهذه الصفة وان كان الامر ليس كذلك الوجه الثالث يحتمل ان يكون المراد من قوله هل من شركائكم
من يبدؤا الخلق ثم يعيده الاصنام والمراد من قوله هل من شركائكم من يهدي الى الحق رؤساء الكفر والضلالة
فالله تعالى هدى الخلق الى الدين بما ظهر من الدلائل الدالة على وحدانيته واما رؤساء الضلالة فانهم
لا يقدرون على هداية غيرهم الا اذا هداهم الله الى الحق فكان اتباع دين الله والتمسك بهدايته اولى من
اتباع غيره وقوله تعالى فما لكم كيف تحكمون قال الزجاج فما لكم كلام تام كانه قيل لهم اي شيء لكم في عبادة هذه
الاصنام ثم قال كيف تحكمون يعني على اي حال تحكمون وقيل معناه كيف تقضون لانفسكم بالجور حين تزعمون
ان مع الله شريكا وقيل معناه بئسما حكمتم اذ جعلتم لله شريكا من ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية
وما يتبع اكثرهم الا ظنا يعني وما يتبع اكثر هؤلاء المشركين الا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته بل هم في شك منه
وريبة قيل المراد باكثر الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن في دعواهم ان الاصنام تشفع لهم وقيل المراد
بالاكثر الرؤساء ان الظن لا يغني من الحق شيئا يعني ان الشك لا يغني من اليقين شيئا ولا يقوم مقامه وقيل

في الاية ان قولهم ان الاصنام الهة وانها تشفع لهم ظن منهم لم يرد به كتاب ولا رسول ان الظن لا يغني من الحق شيا يعني لا يدفع عنهم من عذاب الله شيا ان الله عليم بما كانوا يفعلون يعني من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين قوله تعالى وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله يعني وما كان ينبغي لهذا القران ان يختلق ويفتعل لان معنى الافترا الاختلاق والمعنى ليس وصف القران وصف شي يمكن ان يفترى به على الله لان المفترى هو الذي ياتي به البشر وذلك ان كفار مكة زعموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم اتى بهذا القران من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق فاخبر الله عز وجل ان هذا القران وحي انزله الله عليه وانه مبرا عن الافترا والكذب وانه لا يقدر عليه احد الا الله ثم ذكر ما يوكد هذا بقوله ولكن تصديق الذي بين يديه يعني ولكن الله انزل هذا القران مصدقا لما قبله من الكتب التي انزلها على انبيايه كالتوراة والانجيل وتقرير هذا ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يقرو ولا يكتب ولم يجتمع باحد من العلما ثم انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذا القران العظيم المعجز وفيه اخبار الاولين وقصص الماضين وكان ذلك موافقا لما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة قبله ولو لم يكن كذلك لقدحوا فيه لعداوة اهل الكتاب له ولما لم يقدح فيه احد من اهل الكتاب علم بذلك ان ما فيه من القصص والاخبار مطابقة لما في التوراة والانجيل مع القطع بانه ما علم ما فيها فثبت بذلك انه وحي من الله انزله عليه وانه مصدق لما بين يديه وانه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى قوله ولكن تصديق الذي بين يديه يعني من اخبار الغيوب الاتية فانها جات على وفق الخبر وتفصيل الكتاب يعني وتبيين ما في الكتاب من الحلال والحرام والفرايض والاحكام لا ريب فيه من رب العالمين يعني ان هذا القران لا شك فيه انه من رب العالمين وانه ليس مفترى على الله ولانه لا يقدر احد من البشر على الاتيان بمثله وهو قوله تعالى ام يقولون افتراه يعني ام يقول هولا المشركون افترى محمد هذا القران واختلقه من قبل نفسه وهو استفهام انكار وقيل ام بمعنى الواو اي ويقولون افتراه قل اي قل لهم يا محمد ان كان الامر كما تقولون فاتوا بسورة مثله يعني بسورة شبيهة به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم فانتم عرب مثلي في الفصاحة والبلاغة قلت قال تعالى في سورة البقرة فاتوا بسورة من مثله وقال هنا فاتوا بسورة مثله فما فايدة ذلك وما الفرق بينهما قلت لما كان محمد صلى الله عليه وسلم اميا لم يقرا ولم يكتب واتى بهذا القران العظيم كان معجزا في نفسه فقيل لهم فاتوا بسورة من مثله اي من انسان امي مثل محمد صلى الله عليه وسلم يساويه في عدم الكتابة والقراة بسورة تساوي سور القران في الفصاحة والبلاغة وهو المراد بقوله بسورة مثله يعني ان السورة في نفسها معجزة فان الخلق لو اجتمعوا على ذلك لم يقدروا عليه وهو المراد من قوله وادعوا من استطعتم من دون الله يعني وادعوا للاستعانة على ذلك من استطعتم من خلقه ان كنتم صادقين يعني في قولكم ان محمدا افتراه ثم قال تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه يعني القران اي كذبوا بما لم يعلموه قال عطا يريد انه ليس خلق يحيط بجميع علوم القران وقيل معناه بل كذبوا بما في القران من ذكر الجنة والنار والحشر والقيمة والثواب والعقاب مما لم يحيطوا بعلمه لانهم كانوا ينكرون ذلك كله وقيل انهم لما سمعوا ما في القران من القصص واخبار الامم الخالية ولم يكونوا سمعوها قبل ذلك انكروها لجهلهم فرد الله عليهم بقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه لان القران العظيم مشتمل على علوم كثيرة لا يقدر احد على استيعابها وتحصيلها ولما ياتهم تاويله يعني انهم كذبوا به ولم ياتهم بعد بيان ما يوول اليه ذلك الوعيد الذي يوعدهم الله في القران به من العقوبة والمعنى انهم لم يعلموا ما يوول اليه عاقبة امرهم وقيل معناه انهم لم يعلموه تنزيلا ولا علموه تاويلا فكذبوا به وذلك لانهم

جهلوا

جهلوا القران وعلمه وعلم تاويله كذلك كذب الذين من قبلهم يعني كما كذب هولا بالقران كذلك كذبت الامم الماضية انبيايهم فيما وعدوهم به فانظر كيف كان عاقبة الظالمين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي فانظر يا محمد كيف كان عاقبة من ظلم من الامم كذلك عاقبة من كذبك من قومك ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لكل فرد من الناس والمعنى فانظر ايها الانسان كيف كان عاقبة من ظلم فاحذر ان تفعل مثل فعله قوله عز وجل ومنهم من يومن به يعني ومن قومك يا محمد من سيومن بالقران ومنهم من لا يومن به لعلم الله السابق فيه انه لا يومن وربك اعلم بالمفسدين يعني الذين لا يومنون وان كذبوك يعني وان كذبك قومك يا محمد فقل اي فقل لهم لي عملي يعني الطاعة وجزا ثوابها ولكم عملكم يعني الشرك وجزا عقابه انتم بريون مما اعمل وانا بري مما تعملون قيل المراد منه الزجر والردع وقال مقاتل والكلبي هذه الاية منسوخة باية السيف قال الامام فخر الدين الرازي وهو بعيد لان شرط الناسخ ان يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول الاية اختصاص كل واحد بافعاله وبثمرات افعاله من الثواب والعقاب واية القتال ما رفعت شيا من مدلولات هذه الاية فكان القول بالنسخ باطلا ومنهم يعني ومن هولا المشركين من يستمعون اليك يعني باسماعهم الظاهرة ولا ينفعهم لشدة بغضهم وعداوتهم لك افانت تسمع الصم يعني كما انك لا تقدر على اسماع الاصم وكذلك لا تقدر على اسماع من اصم الله سماع قلبه ولو كانوا لا يعقلون يعني الله صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعوا فلم يومنوا لذلك فهم بمنزلة الجهال اذ لم ينتفعوا بما سمعوا وهم ايضا كالصم الذين لا يعقلون شيا ولا يفهمونه لعدم التوفيق ومنهم من ينظر اليك يعني بابصارهم الظاهرة افانت تهدي العمي يريد عمي القلب ولو كانوا لا يبصرون لان الله اعمى بصاير قلوبهم فهم لا يبصرون بها شيا من الهدى وفي هذه تسلية من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انك لا تقدر ان تسمع من سلبته السمع ولا تقدر ان تهدي من سلبته البصر ولا تقدر ان توفقك للايمان من حكمت عليه ان لا يومن ان الله لا يظلم الناس شيا ولكن الناس انفسهم يظلمون قال العلما لما حكم الله عز وجل على اهل الشقاوة بالشقاوة لقضايه وقدره السابق فيهم اخبر في هذه الاية ان تقدير الشقاوة عليهم ما كان ذلك ظلما منه لانه يتصرف في ملكه كيف يشا والخلق كلهم عبيده وكل من تصرف في ملكه لا يكون ظالما وانما قال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضا الله وقدره فيهم قوله تعالى ويوم يحشرهم يعني واذكر يا محمد يوم نجمع هولا المشركين لموقف الحساب واصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم عن مكانهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يعني كانهم لم يلبثوا في الدنيا الا قدر ساعة من النهار وقيل معناه كانهم لم يلبثوا في قبورهم الا قدر ساعة من النهار والوجه الاول اولى لان حال المومن والكافر سوا في عدم المعرفة بمقدار لبثهم في القبور الى وقت الحشر فتعين حمله على اختصاص حال الكفار وهو انهم لما لم ينتفعوا باعمارهم في الدنيا استقلوها والمومن لما انتفع بعمره في الدنيا لم يستقله وسبب استقلال الكفار مدة مقامهم في الدنيا انهم لما ضيعوا اعمارهم في طلب الدنيا والحرص على ما فيها ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان وجود ذلك كالعدم فلذلك استقلوه وقيل انهم لما شاهدوا اهوال يوم القيمة وطال عليهم استقلوا مدة مقامهم في الدنيا لان مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم في الاخرة قليل جدا يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا اذا اخرجوا من قبورهم كما كانوا يتعارفون في الدنيا ثم تنقطع المعرفة بينهم اذا عاينوا اهوال يوم القيمة وفي بعض الاثار ان الانسان يوم القيمة يعرف من بجنبه ولا يقدر ان يكلمه هيبة وخشية وقيل ان احوال يوم القيمة مختلفة ففي بعضها يعرف بعضهم بعضا وفي بعضها ينكر بعضهم بعضا لهول ما يعاينون في ذلك اليوم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله

يعني من باع آخرته الباقية بدنياه الفانية فقد خسر لانه آثر الفاني على الباقي **وما كانوا مهتدين** يعني الى
ما يصلحهم وينجيهم من هذه الخسارة **او نتوفينك** قبل ان نريك ذلك الوعد في الدنيا فانك ستراه في
الآخرة وهو قوله **فالينا مرجعهم** يعني في الآخرة وفيه دليل على ان الله يري رسوله صلى الله عليه وسلم انواعا
من عذاب الكافرين وذلهم وخزيهم في حال حياته في الدنيا وقد اراه ذلك في يوم بدر وغيره من الايام وسيريه
ما اعد لهم من العذاب في الآخرة بسبب كفرهم وتكذيبهم **ثم الله شهيد على ما يفعلون** فيه وعيد وتهديد
لهم يعني ان الله تعالى شاهد على افعالهم التي فعلوها في الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيمة قوله عز وجل **ولكل**
امة رسول لما بين الله عز وجل حال محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه بين ان حال الانبياء مع اممهم كذلك
فقال تعالى ولكل امة يعني قد خلت وتقدمت قبلكم رسول يعني مبعوثا اليهم يدعوهم الى الله والى طاعته والايمان
به **فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط** في هذا الكلام اضمار تقديره فاذا جاءهم رسولهم وبلغهم ما ارسل
به اليهم فكذبه قوم وصدقه آخرون قضي بينهم بالقسط يعني حكم بينهم بالعدل وفي وقت هذا القضاء والحكم
بينهم قولان احدهما انه في الدنيا وذلك ان الله تعالى ارسل الى كل امة رسولا لتبليغ الرسالة واقامة الحجة
وازالة العذر فاذا كذبوا رسولهم وخالفوا امر الله قضي بينهم وبين رسولهم في الدنيا فيهلك الكافرين
وينجي رسوله والمومنين ويكون ذلك عدلا لا ظلما لان قبل مجي الرسول لا يكون ثوابا ولا عقابا والقول الثاني
ان وقت القضاء في الآخرة وذلك ان الله اذا جمع الامم يوم القيمة للحساب والقضاء بينهم والفصل
بين المومن والكافر والطايع والعاصي جي بالرسل لتشهد عليهم والمراد من ذلك المبالغة في اظهار العدل
وهو قوله **وهم لا يظلمون** يعني من جزاء اعمالهم شيا ولكن يجازى كل احد على قدر عمله وقيل معناه انهم لا
يعذبون بغير ذنب ولا يواخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سياتهم **ويقولون** يعني هولاء
الكفار **متى هذا الوعد** يعني الذي تعدنا به يا محمد من نزول العذاب وقيل قيام الساعة وانما قالوا
ذلك على وجه التكذيب والاستبعاد **ان كنتم صادقين** يعني فيما تعدونا به وانما قالوا بلفظ الجمع
لان كل امة قالت لرسولها كذلك او يكون المعنى ان كنتم صادقين انت واتباعك يا محمد وذكروه بلفظ
الجمع على سبيل التعظيم **قل** اي قل لهم يا محمد **لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا** يعني لا املك لنفسي دفع ضر او
جلب نفع ولا اقدر على ذلك **الا ما شاء الله** يعني ان اقدر عليه واملكه والمعنى ان انزال العذاب على
الاعداء واظهار النصر للاولياء وعلم قيام الساعة لا يقدر عليه الا الله فتعيين الوقت الى الله تعالى بحسب
مشيئته ثم اذا حضر ذلك الوقت الذي وقته الله لحدوث هذه الاشيا فانه يحدث لا محالة وهو قوله تعالى
لكل امة اجل اي مدة مضروبة ووقت معين **اذا جاء اجلهم** يعني اذا انقضت مدة اعمارهم **فلا يستاخرون**
ساعة ولا يستقدمون يعني لا يتاخرون عن ذلك الاجل الذي اجل لهم ولا يتقدمونه **قل** اي قل يا محمد
لهولاء المشركين من قومك **ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا** يعني ليلا يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل
والتبيت فيه ان الانسان في الليل لا يكون الا في البيت غالبا فجعل الله هذا اللفظ كناية عن الليل
او نهارا يعني في النهار **ماذا يستعجل منه المجرمون** يعني ما الذي يستعجل من نزول العذاب وقد وقعوا فيه
وحقيقة المعنى انهم كانوا يستعجلون بنزول العذاب كما اخبر الله عنهم بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم فاجابهم الله بقوله ماذا يستعجل منه المجرمون
يعني اي شي يعلم المجرمون ما يطلبون ويستعجلون كما يقول الرجل لغيره وقد فعل فعلا قبيحا ماذا جنيت
على نفسك **اثم اذا ما وقع** يعني اذا ما نزل العذاب ووقع **امنتم به** يعني امنتم بالله وقت نزول العذاب

ووقت

ووقت الياس وقيل معناه صدقتم بالعذاب عند نزوله ودخلت همزة الاستفهام على ثم للتوبيخ والتقريع
الآن فيه اضمار تقديره يقال لهم الآن تومنون حين وقع العذاب **وقد كنتم به تستعجلون** يعني تكذيبا
واستهزاء **ثم قيل للذين ظلموا** يعني ظلموا انفسهم بسبب شركهم وكفرهم بالله **ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون**
الا بما كنتم تكسبون يعني في الدنيا من الاعمال قوله تعالى **ويستنبئونك احق هو** يعني ويستخبرونك يا محمد
احق ما تعدنا به من نزول العذاب وقيام الساعة **قل اي وربي** اي قل لهم يا محمد نعم وربي **انه لحق** يعني ان الذي
اعدكم به حق لا شك فيه **وما انتم بمعجزين** يعني بفائتين من العذاب لان من عجز عن شي فقد فاته **ولو ان**
لكل نفس ظلمت يعني اشركت **ما في الارض** يعني من شي **لافتدت به** يعني يوم القيمة والافتدا بمعنى البدل
بما ينجوا به من العذاب الا انه لا ينفعه الفدا ولا يقبل منه **واسروا الندامة** يعني يوم القيمة وانما جا بلفظ
الماضي والقيمة من الامور المستقبلة لان احوال يوم القيمة لما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلها
كالماضي والاسرار يكون بمعنى الاخفا وبمعنى الاظهار فهو من الاضداد فلهذا اختلفوا في قوله واسروا
الندامة فقال ابو عبيدة معناه واظهروا الندامة لان ذلك اليوم ليس يوم تصبر وتصنع وقيل
معناه اخفوا يعني اخفا الروسا الندامة من الضعفا والاتباع خوفا من ملامتهم اياهم وتعييرهم لهم **لما**
راوا العذاب يعني حين عاينوا العذاب وابصروه **وقضي بينهم بالقسط** يعني وحكم بينهم بالعدل
وقيل بين المومنين والكافرين وقيل بين الروسا والاتباع وقيل بين الكفار لاحتمال ان بعضهم قد ظلم بعضا
فيوخذ للمظلوم من الظالم وهو قوله تعالى **وهم لا يظلمون** يعني الحكم لهم وعليهم بان يخفف من عذاب المظلوم
ويشدد في عذاب الظالم **الا ان لله ما في السموات والارض** يعني ان كل شي في السموات والارض لله ملك له
لا يشركه فيه غيره فليس للكافر شي يفتدي به من عذاب الله يوم القيمة لان الاشيا كلها لله وهو ايضا
ملك لله فكيف يفتدي من هو مملوك لغيره بشي لا يملكه **الا ان وعد الله حق** يعني ما وعد الله به على لسان
نبيه صلى الله عليه وسلم من ثواب الطايع وعقاب العاصي حق لا شك فيه **ولكن اكثرهم لا يعلمون** يعني
حقيقة ذلك **هو يحيي ويميت** يعني ان الذي يملك ما في السموات والارض قادر على الاحيا والاماتة لا يتعذر
عليه شي مما اراد **واليه ترجعون** بعد الموت للجزا قوله عز وجل **يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من**
ربكم قيل اراد بالناس قريشا وقيل هو على العموم وهو الاصح وهو اختيار الطبري قد جاءتكم موعظة من ربكم يعني
القران والوعظ زجر مقترن بتخويف وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وقيل الموعظة
الانابة عما يدعوا الى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة والقران داع الى كل خير وصلاح بهذا الطريق **وشفا**
لما في الصدور يعني ان القران دوا وشفا لما في القلوب من دا الجهل وذلك ان دا الجهل اضر للقلب من دا
المرض للبدن وامراض القلب هي الاخلاق الذميمة والعقايد الفاسدة والجهالات المهلكة فالقران
مزيل لهذه الامراض كلها لان فيه المواعظ والزجر والتخويف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير
فهو الدوا والشفا لهذه الامراض القلبية وانما خص الصدر بالذكر لانه موضع القلب وغلافه وهو اعز موضع
في بدن الانسان لمكان القلب فيه **وهدى** يعني وهو هدى من الضلالة **ورحمة للمومنين** يعني ونعمة على
المومنين لانهم هم الذين انتفعوا بالقران دون غيرهم **قل بفضل الله وبرحمته** الباء في بفضل الله متعلق
بمضمر استغني عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاءتكم موعظة من ربكم والفضل هنا بمعنى الافضال
ويكون معنى الاية على هذا يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفا لما في الصدور وهو القران بافضال
الله عليكم ورحمته بكم وارادته الخير لكم ثم قال تعالى **فبذلك فليفرحوا** اشار بذلك الى القران لان المراد

بالموعظة والشفا القران فترك اللفظ واشار الي المعنى وقيل فبذلك اشارة الي الفضل والرحمة والمعنى
فبذلك التطول والانعام فليفرحوا قال الواحدي الفا في قوله فليفرحوا زايدة كقول الشاعر •
• واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي • الفا في قوله فاجزعي زايدة وقال صاحب الكشاف في معنى الاية بفضل
الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فافرحوا والتكرير للتاكيد والتقدير ايجاب اختصاص الفضل والرحمة
بالفرح دون ما عداهما من فوايد الدنيا فحذف احدى الفعلين لدلالة المذكور عليه والفا داخلة بمعنى
الشرط كانه قيل ان فرحوا بشي فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما والفرح لذة في القلب لادراك
المحبوب والمشتهى يقال فرحت بكذا اذا ادركت الماثول ولذلك اكثر ما يستعمل الفرح في اللذات البدنية
الدنيوية واستعمل هنا فيما يرغب فيه من الخيرات ومعنى الاية ليفرح المومنون بفضل الله ورحمته
فان ما اتاهم الله من المواعظ وشفا ما في الصدور وثلج اليقين بالايمان وسكون النفس اليه **هو خير**
مما يجمعون يعني من متاع الدنيا ولذاتها الفانية هذا مذهب اهل المعاني في هذه الاية واما مذهب
المفسرين فغير هذا فان ابن عباس والحسن وقتادة قالوا فضل الله الاسلام ورحمته القران وقال
ابو سعيد الخدري فضل الله القران ورحمته ان جعلنا من اهله وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته
تزيينه في قلوبنا وقيل فضل الله الاسلام ورحمته الجنة وقيل فضل الله القران ورحمته السنن فعلى
هذا الباء في بفضل الله تتعلق بمحذوف يفسره ما بعده تقديره قل فليفرحوا بفضل الله وبرحمته **قل اراي**
قل يا محمد لكفار مكة **ارايتم ما انزل الله لكم من رزق** يعني من زرع وضرع عبر عما في الارض بالانزال لان
جميع ما في الارض من خير ورزق فانما هو من بركات السما **فجعلتم منه** يعني من ذلك الرزق **حراما وحلالا**
يعني ما حرموه على انفسهم في الجاهلية من الحرث والانعام كالبحيرة والسايبة والوصيلة والحام قال
الضحاك هو قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا **قل آلله اذن لكم** يعني قل لهم يا محمد الله
اذن لكم في هذا التحريم والتحليل **ام على الله تفترون** يعني بل انتم على الله تكذبون في ادعايكم ان الله
امرنا بهذا **وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة** يعني اذا لقوه يوم القيمة ايحسبون
انه لا يواخذهم ولا يجازيهم على اعمالهم فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع والوعيد العظيم لمن يفتري على
الله الكذب **ان الله لذو فضل على الناس** يعني ببعثة الرسل وانزال الكتب لبيان الحلال والحرام
ولكن اكثرهم لا يشكرون يعني لا يشكرون الله على ذلك الفضل والاحسان قوله تعالى **وما تكون في**
شان وما تتلوا منه من قران الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والشان الخطب والحال والامر
الذي يتفق ويصلح ولا يقال الا فيما يعظم من الاحوال والامور والجمع الشوون تقول العرب ما شان
فلان اي ما حاله والشان اسم اذا كان بمعنى الخطب والحال ويكون مصدرا اذا كان معناه القصد
والذي في هذه الاية يجوز ان يكون المراد به الاسم قال ابن عباس قال معناه وما تكون يا محمد في شان
يريد من اعمال البر وقال الحسن في شان من شان الدنيا وحوايجك ويجوز ان يكون المراد منه القصد
يعني قصد الشي وما تتلوا منه من قران اختلفوا في الضمير في قوله منه الي ماذا يعود فقيل يعود الي الشان لان تلاوة
القران شان من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو اعظم شانه فعلى هذا يكون داخلا تحت قوله وما
تكون في شان الا انه تعالى خصه بالذكر لشرفه وعلو مرتبته وقيل انه راجع الي القران لانه قد تقدم ذكره
في قوله قل بفضل الله وبرحمته فعلى هذا يكون المعنى وما تتلوا من القران من قران يعني من سورة وشي
منه لان اسم القران يطلق على جميعه وقيل الضمير في منه راجع الي الله والمعنى وما تتلوا من الله من قران

نازل عليك واما قوله تعالى ولا تعملون من عمل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته داخلون فيه ومرادون
به لان من المعلوم انه اذا خوطب رييس قوم وكبيرهم كان القوم داخلين في ذلك الخطاب ويدل عليه قوله ولا
تعملون من عمل على صيغة الجمع فدل على انهم داخلون في الخطاب بين الاولين وقوله تعالى **الا كنا عليكم شهودا**
يعني شاهدين لاعمالكم وذلك لان الله تعالى شاهد على كل شي وعالم بكل شي لانه لا محدث ولا خالق ولا موجد
الا الله تعالى فكل ما يدخل في الوجود من احوال العباد واعمالهم الظاهرة والباطنة داخل في علمه وشاهد
عليه **اذ تفيضون فيه** يعني انه تعالى شاهد عليكم حين تدخلون وتخوضون في ذلك العمل والافاضة الدخول
في العمل على جهة الانصباب اليه والانبساط فيه وقال ابن الانباري معناه اذ تدفعون فيه وتنبسطون في
وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج اذ تنتشرون فيه يقال افاض القوم في الحديث اذا انتشروا فيه
وما يعزب عن ربك يعني وما يبعد وما يغيب عن ربك يا محمد من عمل خلقه شي لانه عالم به وشاهد عليه
واصل العزوب البعد يقال منه كلا عازب اذا كان بعيد المطلب **من مثقال ذرة** يعني وزن ذرة والمثقال
الوزن والذرة النملة الصغيرة الحمرا وهي خفيفة الوزن جدا **في الارض ولا في السما** فان قلت لم قدم ذكر
الارض على السما هنا وقدم ذكر السما على الارض في سورة سبا فما فايدة ذلك قلت كان حق السما ان تقدم
على الارض كما في سورة سبا الا انه تعالى لما ذكر في هذه الاية شهادته على اهل الارض واحوالهم واعمالهم ثم وصل
ذلك بقوله وما يعزب عن ربك حسن تقديم الارض على السما في هذه المواضع لهذه الفايدة **ولا اصغر**
من ذلك يعني من الذرة **ولا اكبر** يعني منها **الا في كتاب مبين** يعني في اللوح المحفوظ قوله عز وجل **الا ان**
اوليا الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اعلم انا نحتاج اولا في تفسير هذه الاية ان نبين من يستحق
اسم الولاية ومن هو الولي فنقول اختلف العلما فيمن يستحق هذا الاسم فقال ابن عباس في هذه الاية هم
الذين يذكر الله لرويتهم وروى الطبري بسنده عن سعيد بن جبير مرسلا قال سيل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن اوليا الله من اوليا الله فقال هم الذين اذا روا ذكر الله وقال ابن زيد هم الذين امنوا وكانوا يتقون
ولن يقبل الايمان الا بالتقوى وقال قوم هم المتحابون في الله ويدل على ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لاناسا ما هم بانبيا ولا شهدا يغبطهم الانبيا والشهدا
يوم القيمة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام بينهم
ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا
حزن الناس وقرا هذه الاية الا ان اوليا الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اخرجه ابو داود عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيمة اين المتحابون بجلالي اليوم
اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي اخرجه مسلم عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال الله تعالى المتحابون بجلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهدا اخرجه الترمذي
وروى البغوي بسنده عن ابي مالك الاشعري قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لله عبادا
ليسوا بانبيا ولا شهدا يغبطهم النبيون والشهدا بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيمة قال وفي ناحية
القوم اعرابي فجثى على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا يا رسول الله عنهم من هم قال فرايت في وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم البشر فقال هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى لم يكن بينهم ارحام يتواصلون
بها ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لولو قدام الرحمن
يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله

تعالى ان اوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكري واذكر بذكرهم هكذا ذكره البغوي بغير سند وروى الطبري بسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله عبادا يغبطهم الانبيا والشهدا قيل من هم يا رسول الله لعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله من غير اموال ولا انساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الا ان اوليا الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الغبطة نوع من الحسد الا ان الحسد مذموم والغبطة محمودة والفرق بين الحسد والغبطة ان الحاسد يتمنى زوالها على المحسود من النعمة ونحوها والغبطة هو ان يتمنى الغابط مثل تلك النعمة التي هي على المغبوط من غير زوالها عنه قال ابو بكر الاصم اوليا الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله والدعوة اليه واصل الولي من الولاء وهو القرب والنصرة فولي الله هو الذي يتقرب الى الله بكل ما افترض الله عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق القلب في نور معرفة جلال الله فان راى راى دلايل قدرة الله وان سمع سمع ايات الله وان نطق نطق بالثنا على الله وان تحرك تحرك في طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يقربه الى الله لا يفتر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه صفة اوليا الله واذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه قال الله تعالى الله ولي الذين امنوا وقال المتكلمون ولي الله من كان اتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون اتيا بالاعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة واليه الاشارة بقوله **الذين امنوا وكانوا يتقون** وهو ان الايمان مبني على جميع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو ان يتقي العبد كل ما نهى الله عنه وقوله تعالى لا خوف عليهم يعني في الاخرة اذا خاف غيرهم ولا هم يحزنون يعني على شي فاتهم من نعيم الدنيا ولذا انها قال بعض المحققين زوال الخوف والحزن عنهم انما يحصل لهم في الاخرة لان الدنيا لا تخلوا من هم وغم وانكاد وحزن قال بعض العارفين ان الولاية عبارة عن القرب من الله ودوام الاشتغال بالله واذا كان العبد بهذه الحالة فلا يخاف من شي ولا يحزن على شي لان مقام الولاية والمعرفة يمنعه من ان يخاف او يحزن واما قوله الذين امنوا وكانوا يتقون فقد تقدم تفسيره وانه صفة لاوليا الله وقوله تعالى **لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة** اختلفوا في هذه البشرى فروي عن عبادة بن الصامت قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي الرويا الصالحة يراها المومن او ترى له اخرجه الترمذي وله عن رجل من اهل مصر قال سالت ابا الدردا عن هذه الاية لهم البشرى في الحياة الدنيا قال ما سالني عنها احد منذ سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها قال ما سالني عنها احد غيرك منذ انزلت هي الرويا الصالحة يراها المسلم او ترى له قال الترمذي حديث حسن خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبق بعدي من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرويا الصالحة ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكد رويا المومن تكذب ورويا المومن جزء من ستة واربعين جزا من النبوة لفظ البخاري ولمسلم اذا اقترب الزمان لم تكد رويا المسلم تكذب واصدقكم رويا اصدقكم حديثا ورويا المسلم جزء من خمسة واربعين جزا من النبوة والرويا ثلاث فالرويا الصالحة بشرى من الله ورويا تحزين من الشيطان ورويا مما يحدث المرء نفسه قال بعض العلما ووجه هذا القول وهو انا اذا حملنا قوله لهم البشرى على الرويا الصالحة الصادقة فظاهر هذا النص يقتضي ان لا يحصل هذه الحالة الا لهم وذلك لان ولي الله هو الذي يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله عز وجل ومن كان كذلك فانه عند النوم لا يبقى في قلبه غير ذكر الله ومعرفته ومن المعلوم ان معرفة الله في القلب لا تفيد الا الحق والصدق فاذا راى الولي رويا

اورثيت له

اورثيت له كانت تلك الرويا بشرى من الله عز وجل لهذا الولي قال الخطابي في هذه الاحاديث توكيد لامر الرويا وتحقيق منزلتها وانما كانت جزا من اجزا النبوة في حق الانبيا دون غيرهم وكان الانبيا عليهم السلام يوحى اليهم في منامهم كما يوحى اليهم في اليقظة قال الخطابي قال بعض العلما معنى الحديث ان الرويا تاتي على موافقة النبوة لا انها جزا من النبوة قال الخطابي وغيره في معنى قوله الرويا جزء من ستة واربعين جزا من النبوة اقام النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك ستة اشهر يرى في المنام الوحي فهي جزء من ستة واربعين جزا وقيل ان المنام فعل ان يكون فيه اخبار بالغيب وهو احدى ثمرات النبوة وهو يسير في جنب النبوة لانه لا يجوز ان يبعث الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ليشرع الشرايع ويبين الاحكام ولا يخبر بغيب ابدا فاذا وقع لاحد في المنام الاخبار بغيب يكون هذا القدر جزء من النبوة لا انه نبي واذا وقع ذلك لاحد في المنام يكون صدقا والله اعلم وقيل في تفسير الاية ان المراد بالبشرى في الحياة الدنيا هي الثنا الحسن وفي الاخرة الجنة ويدل على ذلك ما روي عن ابي ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المومن اخرجه مسلم قال الشيخ محيي الدين النواوي قال العلما معنى هذه البشرى المعجلة دليل على رضى الله عنه ومحبته له الى الخلق كما قال ثم يوضع له القبول في الارض هذا كله اذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم والا فالتعرض مذموم قال بعض المحققين اذا اشتغل العبد بالله عز وجل استنار قلبه وامتلا نورا فيفيض من ذلك النور الذي في قلبه على وجهه فتظهر عليه اثار الخشوع والخضوع فيحبه الناس ويثنوا عليه فتلك عاجل بشراه بمحبة الله له ورضوانه عليه وقال الزهري وقتادة في تفسير البشرى هي نزول الملايكة بالبشارة من الله عند الموت ويدل عليه قوله تعالى تتنزل عليهم الملايكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقال عطا عن ابن عباس البشرى في الدنيا عند الموت تاتيهم الملايكة بالبشارة وفي الاخرة عند خروج نفس المومن تعرج بها الى الله تعالى وتبشره برضوان الله تعالى قال الحسن هي ما بشر الله به المومنين في كتابه من جنته وكريم ثوابه ويدل عليه قوله **لا تبديل لكلمات الله** يعني لا خلف لوعد الله الذي وعد اولياه واهل طاعته في كتابه وعلى السنة رسله ولا تغيير لذلك الوعد **ذلك هو الفوز العظيم** يعني ما وعدهم به في الاخرة **ولا يحزنك قولهم** يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا يحزنك يا محمد قول هولاء المشركين لك ولا يهمك تخويفهم اياك **ان العزة لله جميعا** يعني ان القهر والغلبة والقدرة لله جميعا هو المتفرد بها دون غيره وهو ناصرك عليهم والمنتقم منهم قال سعيد بن المسيب ان العزة لله جميعا وهو الذي يعز من يشا ويذل من يشا وقيل ان المشركين كانوا يتعززون بكثرة اموالهم واولادهم وعبيدهم فاخبر الله ان جميع ذلك لله وفي ملكه فهو قادر على ان يسلبهم جميع ذلك ويذلهم بعد العز **هو السميع** يعني لاقوالكم ودعايكم **العليم** يعني بجميع احوالكم لا تخفى عليه خافية قوله تعالى **الا ان لله من في السموات ومن في الارض** الا كلمة تنبيه معناه انه لا ملك لاحد في السموات ولا في الارض الا لله عز وجل فهو يملك من في السموات ومن في الارض فان قلت قال تعالى في الاية التي قبل هذه الا ان لله ما في السموات بلفظة ما وقال في هذه الاية بلفظة من فما فايدة ذلك قلت ان لفظة ما تدل على من لا يعقل ولفظة من تدل على من يعقل فمجموع الايتين يدل على ان الله عز وجل يملك جميع كل شي في السموات وفي الارض من العقلا وغيرهم وهم عبيده وفي ملكه وقيل ان لفظة من لمن يعقل فيكون المراد بمن في السموات الملايكة العقلا ومن في الارض الانس والجن وهم العقلا ايضا وانما خصهم بالذكر لشرفهم واذا كان هولا العقلا المميزون في ملكه وتحت قدرته فالجمادات بطريق الاولى ان يكونوا ملكه اذا

ثبت هذا فتكون الاصنام التي يعبدها المشركون ايضا في ملكه وتحت قبضته وقدرته ويكون ذلك
قدحا في جعل الاصنام شركا لله معبودة دون الله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركا لفظة
ما استفهامية معناه واي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركا والمقصود تقبيح فعلهم يعني انهم ليسوا
على شيء لانهم يعبدونها على انها شركا الله يشفعون لهم وليس الامر على ما يظنون وهو قوله تعالى ان يتبعون
الا الظن يعني ان فعلهم ذلك ظنا منهم انها تشفع لهم وانها تقربهم الي الله وذلك ظنا منهم لا حقيقة له
وان هم الا يخرصون يعني انهم يكذبون في دعواهم ذلك قوله عز وجل هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا
فيه والنهار مبصرا يعني هو الله ربكم الذي خلق لكم الليل راحة لتسكنوا فيه وليزول التعب والكلال بالسكون
فيه واصل السكون الثبوت بعد الحركة والنهار مبصرا يعني وجعل النهار مضيا لتهتدوا فيه لحوايجكم واسباب
معاشكم اضاف الابصار الي النهار وانما يبصر فيه وليس النهار مما يبصر ولكن لما كان مفهوما في كلام العرب
معناه خاطبهم بلغتهم وما يفهمونه قال جرير، لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى، ونمت وما ليل المطي بنايم،
فاضاف النوم الى الليل ووصفه به وانما عنى نفسه وانه لم يكن نايما هو ولا بعيره وهذا من باب نقل
الاسم من المسبب الي السبب قال قطرب تقول العرب اظلم الليل واظلم النهار بمعنى صار ذا ظلمة وذا ضيا
ان في ذلك لايات لقوم يسمعون يعني يسمعون سمع اعتبار وتدبر فيعلمون بذلك ان الذي خلق هذه
الاشيا كلها هو الاله المعبود المنفرد بالوحدانية في الوجود قالوا يعني المشركين اتخذ الله ولدا يعني به
قولهم الملايكة بنات الله سبحانه نزه الله نفسه عن اتخاذ الولد هو الغني يعني انه تعالى هو الغني عن
جميع خلقه فكيف يليق بجلاله اتخاذ الولد وانما يتخذ الولد من هو محتاج اليه والله تعالى هو الغني المطلق
وجميع الاشيا محتاجة الي الله وهو غني عنها له ما في السموات وما في الارض يعني انه مالك في السموات وما في
الارض وكلهم عبيده وفي قبضته وتصرفه وهو محدثه وخالقه ولما نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد
عطف على من قال ذلك بالانكار والتوبيخ والتقريع فقال تعالى ان عندكم من سلطان بهذا يعني انه
لا حجة عندكم على هذا القول البتة ثم بالغ في الانكار عليهم بقوله اتقولون على الله ما لا تعلمون يعني اتقولون
على الله قولا لا تعلمون حقيقته وصحته وتضيفون اليه ما لا يجوز اضافته اليه جهلا منكم بما تقولون بغير
حجة ولا برهان قل ان الذين يفترون على الله الكذب اي قل يا محمد لهولا الذين يختلقون على الله الكذب
فيقولون عليه الباطل ويزعمون ان له ولدا لا يفلحون يعني لا يسعدون وان اغتروا بطول السلامة والبقا
في النعمة والمعنى ان قايل هذا القول لا ينجح في سعيه ولا يفوز بمطلوبه بل خاب وخسر قال الزجاج هذا
وقف تام يعني على قوله لا يفلحون ثم ابتدا فقال تعالى متاع في الدنيا وفيه اضمار تقديره لهم متاع في
الدنيا يتمتعون به مدة اعمارهم وانقضا اجالهم في الدنيا وهي ايام يسيرة بالنسبة الي طول مقامهم
في العذاب وهو قوله تعالى ثم الينا مرجعهم يعني بعد الموت ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون
يعني ذلك العذاب بسبب ما كانوا يجحدون في الدنيا نعمة الله عليهم ويصفونه بما لا يليق بجلاله قوله
تعالى واتل عليهم نبا نوح لما ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة احوال كفار قريش وما كانوا عليه
من الكفر والعناد شرع بعد ذلك في بيان قصص الانبيا وما جرى لهم مع اممهم ليكون في ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اسوة بما سلف من الانبيا وتسلية له ليخف عليه ما يلقى من اذى قومه وان الكفار
من قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الامم الماضية من العذاب والهلاك في الدنيا كان
ذلك سببا لخوف قلوبهم وداعيا لهم الي الايمان ولما كانت قوم نوح اول الامم هلاكا واعظم كفرا وجحودا

فذكر

فذكر الله قصصهم وانه اهلكهم بالغرق ليصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال تعالى واتل عليهم نبا نوح يعني
واقرا على قومك يا محمد خبر نوح اذ قال لقومه يا قوم وهم بنو قابيل ان كان كبر يعني ثقل عليكم مقامي يعني فيكم وقيل
معناه ان كان ثقل وشق عليكم طول مقامي فيكم وذلك انه عليه السلام اقام فيهم الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم
الي الله تعالى ويذكرهم بايات الله وهو قوله وتذكيري بايات الله يعني ووعظي بايات الله وحججه وبيناته
فعزمتم على قتلي وطردي فعلى الله توكلت يعني فهو حسبي وثقتي فاجمعوا امركم يعني فاحكموا امركم واعزموا
عليه قال الفرا الاجماع الاعداد والعزيمة على الامر قال ابن الانباري المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير
لا تدعوا من امركم شيا الا احضرتموه وشركاكم يعني وادعوا شركاكم يعني الهتكم فاستعينوا بها ليجمع معكم وتعينكم
على مطلوبكم وانما حثهم على الاستعانة بالاصنام بنا على مذهبهم واعتقادهم على انها تضر وتنفع مع اعتقاده
انها جماد لا تضر ولا تنفع فهو كالتسكيف والتوبيخ لهم ثم لا يكن امركم عليكم غمة يعني لا يكن امركم خفيا مبهما ولكن
ليكن امركم ظاهرا منكشفا من قولهم غم الهلال فهو مغموم اذا خفي والتبس على الناس ثم اقضوا الي ثم امضوا الي بما في
انفسكم من مكروه وما توعدوني به من قتل وطرد وافرغوا منه تقول العرب قضى فلان اذا مات ومضى وقيل معناه
ثم اقضوا ما انتم قاضون ولا تنظرون اي ولا تؤخروني ولا تمهلون بعد اعلامكم اياي ما انتم عليه وهذا الكلام
من نوح عليه السلام على طريق التعجيز لهم اخبر الله عز وجل عن نوح انه كان قد بلغ الغاية في التوكل على الله وانه كان
واثقا بنصره اياه غير خايف من كيدهم علما منه بانهم والهتهم ليس لهم نفع ولا ضر وان مكرهم لا يصل اليه فان توليتم يعني
اعرضتم عن قولي وقبول نصحي فما سالتكم من اجر يعني من جعل وعوض على تبليغ الرسالة فاذا لم ياخذ على تبليغ الدعوة
الي الله شيا كان اقوى تاثيرا في النفس ان اجري الا على الله اي ما ثوابي وجزاي على تبليغ الرسالة الا على الله وامرت
ان اكون من المسلمين يعني اني امرت بدين الاسلام وانا ماض فيه غير تارك له سوا قبلتموه او لم تقبلوه وقيل
معناه وامرت ان اكون من المستسلمين لامر الله ولكل مكروه يصل الي منكم لاجل هذه الدعوة فكذبوه يعني فكذبوا
نوحا عليه السلام فنجيناه ومن معه في الفلك يعني السفينة وجعلناهم خلايف يعني وجعلنا الذين
نجيناهم معه في الفلك سكان الارض بعد الهالكين واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة
المنذرين اي فانظر يا محمد او يا ايها الانسان كيف كان اخر امر من انذرتهم الرسل فلم يومنوا ولم يقبلوا ذلك ثم
بعثنا من بعده يعني من بعد نوح رسلا الى قومهم لم يسم هاهنا من كان بعد نوح من الرسل وقد كان بعد نوح هود
وصالح وغيرهما من الرسل فجاوهم بالبينات يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التي
تدل على صدقهم فما كانوا ليومنوا بما كذبوا به من قبل يعني ان اوليك الاقوام والامم التي جاتهم الرسل
جروا على منهاج قوم نوح في التكذيب ولم يزجرهم ما جاءت به الرسل ولم يرجعوا عما هم فيه من الكفر والتكذيب
كذلك نطبع على قلوب المعتدين يعني كمثل اغراقنا قوم نوح بسبب تكذيبهم نوحا كذلك نختم على قلوب
من اعتدى وسلك سبيلهم في التكذيب قوله عز وجل ثم بعثنا من بعدهم يعني من بعد الرسل موسى وهارون
الى فرعون وملايه يعني اشراف قومه باياتنا فاستكبروا يعني عن الايمان بما جاء به موسى وهارون وكانوا
قوما مجرمين يعني مستكسبين للاثم فلما جاءهم الحق من عندنا يعني فلما جا فرعون وقومه الحق الذي جا
به موسى من عند الله قالوا ان هذا لسحر مبين يعني ان هذا الذي جا به موسى سحر مبين يعرفه كل احد قال
موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا فيه حذف تقديره اتقولون للحق لما جاكم هو سحر اسحر هذا فحذف
السحر الاول اكتفا بدلالة الكلام عليه ثم قال اسحر هذا وهو استفهام على سبيل الانكار يعني انه ليس بسحر
ثم احتج على صحة قوله فقال ولا يفلح الساحرون يعني ان حاصل السحر تمويه وتخييل وصاحب ذلك لا يفلح ابدا

قالوا يعني قال قوم فرعون لموسى أجئتنا لتلفتنا يعني لتصرفنا وتلوينا عما وجدنا عليه آباءنا يعني من الدين
وتكون لكما الكبرياء يعني الملك والسلطان في الأرض يعني في أرض مصر والخطاب لموسى وهارون قال الزجاج
سمي الملك كبرياء لأنه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا وما نحن لكما بمؤمنين يعني بمصدقين وقال فرعون ائتوني بكل
ساحر عليم يعني أن فرعون أراد أن يعارض معجزة موسى عليه السلام بأنواع من التلبيس ليظهر أن ما أتى به موسى
سحر فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون إنما أمرهم موسى بإلقاء ما معهم من الحبال والعصي التي فيها
سحرهم ليظهر الحق ويبطل الباطل ويتبين أن ما أتوا به فاسد فلما ألقوا يعني ما معهم من الحبال والعصي قال موسى ما
جئتم به السحر يعني الذي جئتم به هو السحر الباطل وهذا على سبيل التوبيخ لهم إن الله سيبطله يعني يهلكه
ويظهر فضيحة صاحبه إن الله لا يصلح عمل المفسدين يعني لا يقويه ولا يكمله ولا يحسنه ويحق الله الحق
يعني ويظهر الله الحق ويقويه ويعليه بكلماته يعني بوعده الصادق لموسى أنه يظهره وقيل بما سبق من قضائه
وقدره لموسى أنه يغلب السحرة ولو كره المجرمون قوله تعالى فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه لما ذكر الله عز
وجل ما أتى به موسى عليه السلام من المعجزات العظيمة الباهرة أخبر الله تعالى أنه مع مشاهدة هذه المعجزات
ما آمن لموسى إلا ذرية من قومه وإنما ذكر الله هذا تسلية لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لأنه كان كثير الاهتمام
بإيمان قومه وكان يغتم بسبب إعراضهم عن الإيمان به واستمرارهم على الكفر والتكذيب فبين الله تعالى أن له
أسوة بالأنبياء عليهم السلام لأن الذي جاء به موسى عليه السلام من المعجزات كان أمرا عظيما ومع ذلك فما
آمن له إلا ذرية والذرية اسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس الذرية القليل وقيل المراد به التصغير
وقلة العدد واختلفوا في هاء الكناية في قومه فقيل إنها راجعة إلى موسى وأراد بهم قوم موسى وهم بنو إسرائيل
الذين كانوا بمصر من أولاد يعقوب قال مجاهد هم أولاد الذين أرسل إليهم موسى من بني إسرائيل هلك
الآباء وبقي الأبناء وقيل هم قوم نجوا من قتل فرعون وذلك أن فرعون لما أمر بقتل أبناء بني إسرائيل كانت
المرأة من بني إسرائيل إذا ولدت ابنا وهبته لقبطية خوفا عليه من القتل فنشأوا بين القبط فلما كان اليوم
الذي غلب موسى السحرة آمنوا به وقال ابن عباس ذرية من قومه يعني من بني إسرائيل وقيل إنها راجعة إلى
فرعون يعني الذرية من قوم فرعون روى عطية عن ابن عباس قال هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا
منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازنه وامرأة خازنه وماشطته وقال الفراء سموا ذرية لأن آباءهم
كانوا من القبط من آل فرعون وأمهاتهم من بني إسرائيل فكان الرجل يتبع أمه وأخواله في الإيمان وذلك كما يقال
لأولاد فارس الذين دخلوا إلى اليمن الأبناء لأن أمهاتهم من غير جنس الآباء على خوف من فرعون وملئهم
الملأ الأشراف فعلى هذا يكون معنى الآية على خوف من فرعون ومن أشرافهم وهم ملأ الذرية لأنه كان آباؤهم
من القبط وأمهاتهم من بني إسرائيل وقيل أراد بالملأ ملأ فرعون وإنما قال وملئهم بالجمع وفرعون واحد على سبيل
التفخيم له أن يفتنهم أي يصرفهم ويصدهم عن الإيمان وإنما قال أن يفتنهم فلم يقل يفتنوهم لأن قوم فرعون
كانوا على مراده وتابعين لأمره وإن فرعون لعال في الأرض يعني أنه لغالب قاهر متكبر فيها وإنه لمن المسرفين
يعني المجاوزين الحد لأنه كان عبدا فادعى الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب لبني إسرائيل وقال موسى يعني
لقومه يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا يعني فبه ثقوا ولأمره فسلموا فإنه ناصركم ومهلك
أعدائه إن كنتم مسلمين يعني إن كنتم مستسلمين لأمره وقيل إنما أعاد إن كنتم مسلمين بعد قوله إن كنتم آمنتم
بالله يعني إن كنتم موصوفين بالإيمان القلبي وبالإسلام الظاهر ودلت الآية على أن التوكل على الله والتفويض
لأمره من كمال الإيمان وأن من كان يؤمن بالله فلا يتوكل إلا على الله لا غيره فقالوا يعني قال قوم موسى مجيبين له

على الله توكلنا يعني عليه اعتمدنا لا على غيره ثم دعوا ربهم فقالوا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين
يعني لا تظهرهم علينا ولا تهلكنا بذنوبهم فيظنوا أنا كنا لم نكن على الحق فيزدادوا طغيانا وكفرا وقال مجاهد
لا تعذبنا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق لما عذبوا ويظنوا أنهم خير منا فيفتتنوا بذلك
وقيل معناه لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين يعني وخلصنا برحمتك من
أيدي قوم فرعون الكافرين لأنهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم في الأعمال الشاقة قوله عز وجل وأوحينا إلى
موسى وأخيه هارون أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا يعني اتخذا لقومكما بيوتا للصلاة فيها يقال تبوأ فلان
لنفسه بيتا إذا اتخذه مباءة أي وطنا والمعنى اجعلا بمصر لقومكما بيوتا ترجعون إليها للصلاة والعبادة
واجعلوا بيوتكم قبلة اختلف أهل التفسير في معنى هذه البيوت والقبلة فمنهم من قال أراد بالبيوت المساجد
التي يصلى فيها وفسروا القبلة بالجانب الذي يستقبل في الصلاة فعلى هذا يكون معنى الكلام واجعلوا بيوتكم
مساجد تستقبلونها لأجل الصلاة وقيل معناه اجعلوا بيوتكم إلى القبلة واختلفوا في هذه القبلة فظاهر القرآن
لا يدل على تعيينها إلا أنه قد نقل عن ابن عباس أنه قال كانت الكعبة قبلة لموسى ومن معه ونقل مجاهد أيضا قال
ابن عباس قالت بنو إسرائيل لموسى لا نستطيع أن نظهر صلاتنا مع الفراعنة فأذن الله لهم أن يصلوا في بيوتهم
وأن يجعلوا بيوتهم قبل القبلة وقيل كانت القبلة إلى جهة بيت المقدس وقيل أراد مطلق البيوت وعلى هذا
يكون معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة أي متقابلة يعني يقابل بعضها بعضا وقيل معناه واجعلوا في بيوتكم قبلة
تصلون إليها فإن قلت إنه تعالى خص موسى وهارون بالخطاب في أول الآية بقوله وأوحينا إلى موسى وهارون
أن تبوءا لقومكما ثم إنه عم هذا الخطاب فقال اجعلوا بيوتكم قبلة فما السبب فيه قلت إنه تعالى أمر موسى وهارون
بأن يتبوءا لقومهما للعبادة وذلك مما يختص به الأنبياء فخصا بالخطاب لذلك ثم لما كانت العبادة عامة
تجب على الكافة عم الجميع بالخطاب فقال واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة يعني في بيوتكم وذلك حين
خاف موسى ومن آمن معه من بني إسرائيل من فرعون وقومه إذا صلوا في الكنائس والبيع الجامعة أن يؤذوهم
فأمرهم الله أن يصلوا في بيوتهم خفية من فرعون وقومه وقيل كانت بنو إسرائيل لا يصلون إلا في الكنائس الجامعة
وكانت ظاهرة فلما أرسل موسى أمر فرعون بتخريب تلك الكنائس ومنعهم من الصلاة فيها فأمروا أن يتخذوا
مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفا من فرعون وقيل إن الله لما أرسل موسى وهارون وأظهرهما على فرعون
أمرهما باتخاذ المساجد ظاهرة على رغم الأعداء وتكفل الله لهم بصونهم من شرهم وقوله وأقيموا الصلاة
وبشر المؤمنين يعني بأنه لا يصل إليهم مكروه قوله تعالى وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة
وأموالا في الحياة الدنيا لما أتى موسى بالمعجزات الباهرات ورأى أن القوم مصرون على الكفر والعناد
والإنكار لما جاءه أخذ في الدعاء عليهم ومن حق من يدعو على الغير أن يذكر أولا سبب إقدامه على الجرائم
التي كانت سبب إصراره على ما يوجب الدعاء عليه ولما كان سبب كفرهم وعنادهم حب الدنيا وزينتها
لا جرم أن موسى لما أخذ في الدعاء قدم هذه المقدمة فقال ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في
الحياة الدنيا والزينة عبارة عما يتزين به كاللباس والدواب والغلمان وأثاث البيت الفاخرة والأشياء
الجميلة والمال ما زاد على هذه الأشياء من الصامت ونحوه ثم قال ربنا ليضلوا عن سبيلك اختلفوا
في هذه اللام فقال الفراء هي لام كي فعلى هذا يكون المعنى ربنا إنك جعلت هذه الأموال سببا لضلالهم
لأنهم بطروا وطغوا في الأرض واستكبروا عن الإيمان وقال الأخفش إنما هي لما يؤول إليه الأمر والمعنى أنك
آتيت فرعون وملأه زينة فيضلوا فعلى هذا هي لام العاقبة يعني فكان عاقبتهم الضلال وقال ابن الأنباري

هي لام الدعاء وهي لام مكسورة تجزم المستقبل وتفتح بها الكلام فيكون المعنى ربنا انك ابتليتهم بالضلال
عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم الطمس ازالة اثر الشيء بالمحو ومعنى اطمس على اموالهم ازل صورها
وهيأتها وقال مجاهد اهلكها وقال اكثر المفسرين امسخها وغيرها عن هيئتها قال قتادة بلغنا ان اموالهم
وحروثهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة وقال محمد بن كعب القرظي صار سكرهم حجارة وكان الرجل مع اهله
في فراشه فصارا حجرين والمراة قائمة تخبز صارت حجارة وهذا فيه ضعف لان موسى عليه السلام دعا على
اموالهم ولم يدع على انفسهم بالمسخ وقال ابن عباس بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها
صحاحا وانصافا واثلاثا وقيل ان عمر بن عبد العزيز دعا بخريطة فيها شي من بقايا آل فرعون فاخرج
منها البيضة منقوشة وهي حجارة والجوزة منقوشة وهي حجارة وقال السدي مسخ الله اموالهم حجارة
النخل والثمار والدقيق والاطعمة وهذا الطمس هو احد الآيات التسع التي اوتيها موسى عليه السلام واشدد
على قلوبهم يعني اربط على قلوبهم واطبع عليها وقسها حتى لا تلين ولا تنشرح للايمان ومعنى الشد على القلوب
الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان قال الواحدي وهذا دليل على ان الله يفعل ذلك لمن يشا ولولا
ذلك لما جسر موسى عليه السلام على هذا السؤال فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم يعني الغرق قاله
ابن عباس وقال ابن عباس في رواية اخرى عنه قال موسى قبل ان ياتي فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا
يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله له فحال بين فرعون وبين الايمان حتى ادركه الغرق فلم
ينفعه الايمان قال بعض العلما انما دعا موسى عليه السلام عليهم بهذا الدعا لما علم انه سابق في علم الله
وقدره فيهم انهم لا يؤمنون وذلك ان الله كتب عليهم في الازل انهم لا يؤمنون فوافق دعا موسى ما قدر
وقضي عليهم قال الله عز وجل لموسى وهارون قد اجيبت دعوتكما انما نسب الدعا اليهما وان الداعي
هو موسى وحده لان هارون عليه السلام كان يؤمن والتامين دعا لانه طلب وسؤال ايضا ومعناه
اللهم استجب فصار بذلك شريك موسى في الدعا فلذلك قال تعالى قد اجيبت دعوتكما فاستقيما
يعني على تبليغ الرسالة وامضيا لامري الى ان ياتيهم العذاب ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون يعني
ولا تسلكا طريق الذين يجهلون حقيقة وعدي فان وعدي لا خلف فيه ووعدي نازل بفرعون وقومه
فلا تستعجلا قيل كان بين دعا موسى عليه السلام وبين الاجابة اربعين سنة قال الامام فخر الدين واعلم
ان هذا النهي لا يدل على ان ذلك قد صدر من موسى وهارون كما ان قوله لئن اشركت ليحبطن عملك لا يدل
على صدور الشرك منه قوله عز وجل وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي وقطعنا ببني اسرائيل البحر وعبرنا
اياه حتى جاوزوه وعبروه فاتبعهم فرعون وجنوده يعني لحقهم وادركهم بغيا وعدوا اي ظلما وعدوانا
وقيل البغي الاستعلا بغير حق والعدو الظلم وقيل بغيا في القول وعدوا في الفعل قال اهل التفسير اجتمع
يعقوب وبنوه الى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرج مع موسى من مصر في الوقت الذي امروا ان يخرج فيه
ويسر لهم اسباب الخروج وكان فرعون غافلا عنهم فلما سمع بخروجهم ومفارقتهم مملكته خرج بجنوده في طلبهم فلما
ادركهم فرعون قالوا لموسى اين المخلص والمخرج البحر امامنا وفرعون من ورائنا وقد كنا نلقى من فرعون البلا العظيم
فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وكشف عن وجه
الارض وايبس لهم البحر فلحقهم فرعون وكان على حصان ادهم وكان معه في عسكره ثمانمائة الف حصان على
لون حصانه سوى ساير الالوان وكان تقدمهم جبريل وهو على فرس انثى وديق وميكائيل يسوقهم حتى لا يشذ منهم
احد فلما خرج آخر بني اسرائيل من البحر دنا جبريل بفرسه فلما وجد الحصان ريح الانثى لم يملك فرعون من امره

شيا

شيا نزل البحر ومعه جنوده حتى اذا اكتملوا جميعا في البحر وهم اولهم بالخروج انطبق البحر عليهم فلما ادرك فرعون
الغرق اتى بكلمة الاخلاص ظنا منه انها تنجيه من الهلاك وهو قوله حتى اذا ادركه الغرق قال يعني فرعون
امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين قال ابن عباس لم يقبل الله ايمانه عند
نزول العذاب به وقد كان في مهل قال العلما ان الايمان والتوبة عند معاينة الملائكة والعذاب غير
مقبولة ويدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقيل انه قال هذه الكلمة ليتوسل
بها الى دفع ما نزل به من البلية الحاضرة ولم يكن قصده بها الاقرار بوحدانية الله والاعتراف له بالربوبية
لاجرم لم ينفعه ما قاله في ذلك الوقت وقيل ان فرعون كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع الخالق
سبحانه وتعالى فلهذا قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل فلم ينفعه ذلك لحصول الشك
في ايمانه ولما رجع فرعون الى الايمان والتوبة حين اغلق بابها بحضور الموت ومعاينة الملائكة قيل
الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين يعني الان تتوب وقد اضعت التوبة في وقتها واثرت
دنياك الفانية على الاخرة الباقية والمخاطب لفرعون بهذا هو جبريل عليه السلام وقيل ان القائل
هو الله تعالى عرف فرعون قبح صنعه وما كان عليه من الفساد في الارض ويدل على هذا القول قوله فاليوم
ننجيك ببدنك والقول الاول اشهر ويعضد هذا القول ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لما اغرق الله فرعون قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل قال جبريل يا محمد
فلو رايتني وانا اخذ من حال البحر فادسه في فيه مخافة ان تدركه الرحمة اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن وفي رواية اخرى عنه عن عدي بن ثابت وعطا بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر
احدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر ان جبريل جعل يدس في في فرعون الطين خشية ان يقول لا اله
الا الله فيرحمه الله او خشية ان يرحمه الله اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

فصل

في الكلام على هذا الحديث لانه في الظاهر مشكل فيحتاج الى بيان وايضاح فنقول قد ورد هذا الحديث
من طريقين مختلفين عن ابن عباس ففي الطريق الاول علي بن زيد بن جدعان وان كان قد ضعفه يحيى بن
معين وغيره فانه كان شيخا نبيلا صدوقا ولكنه كان سيء الحفظ ويغلط وقد احتمل الناس حديثه
وانما يخشى من حديثه ما لم يتابع عليه او خالف فيه الثقات وكلاهما منتف في هذا الحديث لان في الطريق الاخر
شعبة عن عدي بن ثابت عن سعيد بن جبير وهذا الاسناد على شرط البخاري ورواه ايضا شعبة عن عطا
ابن السايب عن سعيد بن جبير وعطا بن السايب ثقة قد اخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وان كان عطا قد
تكلم فيه من قبل اختلاطه فانما يخاف منه ما انفرد به او خولف فيه وكلاهما منتف فقد علم بهذا ان لهذا الحديث
اصلا وان رواته ثقات ليس فيهم متهم وان كان فيهم من هو سيء الحفظ فقد تابعه عليه غيره فان قلت
ففي الحديث الثاني شك في رفعه لانه قال فيه ذكر احدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت ليس يشك في
رفعه انما هو جزم بان احد الرجلين رفعه وشك شعبة في تعيينه هل هو عطا بن السايب او عدي بن
ثابت وكلاهما ثقة فاذا رفعه احدهما وشك في تعيينه لم يكن هذا علة في الحديث وقوله من حال
البحر اي من طين البحر كما في الرواية الاخرى

فصل

ووجه اشكاله ما اعترض عليه الامام فخر الدين
الرازي في تفسيره فقال هل ان جبريل اخذ يملا فمه بالطين لئلا يتوب غضبا عليه الجواب الاقرب انه لا يصح
لانه في تلك الحال التكليف هل كان باقيا او لا فان كان باقيا لم يجز لجبريل ان يمنعه من التوبة بل يجب عليه ان
يعينه على التوبة وان كان التكليف زايلا عن فرعون في ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب

الى جبريل فايدة وايضا لو منعه من التوبة لكان قد رضي ببقائه على الكفر كفر وايضا فكيف يليق بجلال الله ان يامر جبريل بان يمنعه من الايمان فلو قيل ان جبريل فعل ذلك من عند نفسه لا بامر الله فهذا يبطله قول جبريل وما نتنزل الا بامر ربك فهذا اوجه الاشكال الذي اورد الامام على هذا الحديث في كلام اكثر من هذا والجواب عن هذا الاعتراض ان الحديث قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا اعتراض عليه لاحد واما قول الامام ان التكليف هل كان باقيا في تلك الحال اولا فان كان باقيا لم يجز لجبريل ان يمنعه من التوبة فان هذا القول لا يستقيم على اصل المثبتين للقدر القايلين بخلق الافعال وان الله يضل من يشاء ويهدي من يشا وهذا قول اهل السنة المثبتين للقدر فانهم يقولون ان الله يحول بين الكفار والايمان ويدل على ذلك قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وقوله وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم وقال تعالى ونقلب افيدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة فاخبر الله تعالى انه قلب افيدتهم على تركهم الايمان به اول مرة وهكذا فعل بفرعون منعه من الايمان عند الموت جزا على تركه الايمان اولا فدس الطين في فم فرعون من جنس الطبع والختم على القلب ومنع الايمان وصرف الكافر عنه وذلك جزا على كفره السابق وهذا قول طايفة من المثبتين للقدر القايلين بخلق الافعال لله ومن المنكرين لخلق الافعال من اعترف ايضا بان الله تعالى يفعل هذا عقوبة للعبد على كفره السابق فيحسن منه ان يضله ويطبع على قلبه ويمنعه من الايمان فاما قصة جبريل مع فرعون فانها من هذا الباب فانه غاية ما يقال فيه ان الله منع فرعون من الايمان وحال بينه وبينه عقوبة له على كفره السابق ورده للايمان لما جاءه واما فعل جبريل من دس الطين في فيه فانما فعل ذلك بامر الله لا من تلقا نفسه فاما قول الامام لم يجز لجبريل ان يمنعه من التوبة بل يجب عليه ان يعينه عليها وعلى كل طاعة هذا اذا كان تكليف جبريل كتكليفنا ويجب عليه ما يجب علينا واما اذا كان جبريل انما يفعل ما امره الله به والله تعالى هو الذي منع فرعون من الايمان وجبريل منفذ لامر الله فكيف لا يجوز له منع من منعه الله من التوبة وكيف يجب عليه اعانة من لم يعنه الله بل قد حكم عليه واخبر انه لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم حين لا ينفعه الايمان وقد يقال ان جبريل اما ان يتصرف بامر الله فلا يفعل الا ما امره الله به واما ان يفعل ما يشا من تلقا نفسه لا بامر الله وعلى التقديرين فلا يجب عليه اعانة فرعون على التوبة ولا يحرم عليه منعه منها لانه انما يجب عليه فعل ما امر به ويحرم عليه فعل ما نهي عنه والله تعالى لم يخبر انه امره باعانة فرعون ولا حرم عليه منعه من التوبة وليست الملايكة مكلفين كتكليفنا وقوله وان كان التكليف زايلا عن فرعون في ذلك الوقت فحينيذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فايدة فجوابه ان يقال ان للناس في تعليل افعال الله قولان احدهما ان افعاله لا تعلل وعلى هذا التقدير فلا يرد هذا السوال اصلا وقد زال الاشكال والقول الثاني ان افعاله تعالى لها غاية بحسب المصالح لاجلها فعلها وكذا اوامره ونواهيه لها غايات محمودة محبوبة لاجلها امر بها ونهى عنها وعلى هذا التقدير قد يقال لما قال فرعون امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل فقد علم جبريل انه ممن حق عليه كلمة العذاب وان ايمانه لا ينفعه فدس الطين في فيه ليحقق معاينته للموت فلا تكون تلك الكلمة نافعة له فانه وان كان قد قالها في وقت لا ينفعه فدس الطين في فيه تحقيقا لهذا المنع والفايدة فيه تعجيل ما قد مضى عليه وسد الباب عنه سدا محكما بحيث لا يبقى للرحمة فيه منفذ فلا يبقى من عمره زمن يتسع للايمان فان موسى لما دعا ربه بان فرعون لا يومن حتى يرى العذاب الاليم والايمان عند روية العذاب غير نافع فاجاب الله دعاه فلما قال فرعون تلك الكلمة عند معاينة الغرق استعجل

جبريل

جبريل فدس الطين في فيه لييأس من الحياة ولا تنفعه تلك الكلمة وتتحقق اجابة الدعوة التي وعد الله موسى بقوله قد اجيبت دعوتكما فيكون سعي جبريل في تكميل ما سبق في حكم الله انه يفعله فيكون سعي جبريل في مرضات الله تعالى منفذا لما امر به وقدره وقضاه على فرعون وقوله لو منعه من التوبة لكان قد رضي ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر فجوابه ما تقدم ان الله يفعل ما يشا يضل من يشا ويهدي من يشا وجبريل انما يتصرف بامر الله ولا يفعل الا ما امره الله واذا كان جبريل قد فعل ما امر الله به ونفذه فانما رضي بالامر الا بالمامور به فاي كفر يكون هنا وايضا فان الرضا بالكفر انما يكون كفرا في حقنا لانا مامورون بازالته بحسب الامكان فاذا اقررنا الكافر على كفره ورضينا به كان كفرا في حقنا لمخالفتنا ما امرنا به واما من ليس مامورا كامرنا ولا مكلفا كتكليفنا بل يفعل ما يامره به ربه فاذا انفذ ما امر به لم يكن رضي بالكفر ولا يكون كفرا في حقه وعلى هذا التقدير فان جبريل لما دس الطين في في فرعون كان ساخطا لكفره غير راض به والله تعالى خالق افعال العباد خيرها وشرها وهو غير راض بالكفر فغاية امر جبريل مع فرعون بان يكون منفذا لقضا الله وقدره في فرعون من الكفر وهو ساخط له غير راض به وقوله كيف يليق بجلال الله ان يامر جبريل بان يمنعه من الايمان فجوابه ان الله يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل وقوله وان قيل ان جبريل انما فعل ذلك من عند نفسه لا بامر الله فجوابه انما فعل ذلك بامر الله منفذا لامر الله والله اعلم قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك اي نلقيك على نجوة من الارض وهي المكان المرتفع قال اهل التفسير لما اغرق الله تعالى فرعون وقومه اخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه قالت بنوا اسرائيل ما مات فرعون وانما قالوا ذلك لعظمته عندهم وما حصل في قلوبهم من الرعب لاجله فامر الله عز وجل البحر فالقى فرعون على الساحل احمر قصيرا كانه ثور فراه بنوا اسرائيل فعرفوه فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا ابدا ومعنى قوله ببدنك يعني بنفسك وانت جسد لا روح فيه وقيل هذا الخطاب على سبيل التهكم والاستهزاء كانه قيل له ننجيك ولكن هذه النجاة انما تحصل لبدنك لا لروحك وقيل اراد بالبدن الدرع وكان لفرعون درع من ذهب مرصع بالجوهر يعرف به فلما راوه في درعه ذلك عرفوه لتكون لمن خلفك اية يعني عبرة وموعظة وذلك انهم ادعوا ان مثل فرعون لا يموت فاظهره الله لهم حتى يشاهدوه ويتوهمت لتزول الشبهة من قلوبهم ويعتبروا به لانه كان في غاية العظمة فصار الى نهاية الخسة والذلة ملقى على الارض لا يهابه احد وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا صدق يعني اسكناهم مكان صدق وانزلناهم منزل صدق بعد خروجهم من البحر واغراق عدوهم فرعون والمعنى انزلناهم منزلا محمودا صالحا وانما وصف المكان بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيا اضافته الى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه ان الشي اذا كان كاملا صالحا لا بد ان يصدق الظن فيه وفي المراد بالمكان الذي بوؤا قولان احدهما انه مصر فيكون المراد ان الله اورث بني اسرائيل جميع ما كان تحت ايدي فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره والقول الثاني انه ارض الشام والمقدس والاردن لانها بلاد الخصب والخير والبركة ورزقناهم من الطيبات يعني تلك المنافع والخيرات التي رزقهم الله تعالى فما اختلفوا حتى جاءهم العلم يعني فما اختلف هولا الذين فعلنا لهم هذا الفعل من بني اسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك انهم كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مقرين به مجمعين على نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فامن به بعضهم كعبد الله بن سلام واصحابه وكفر به بعضهم بغيا وحسدا فعلى هذا المعنى يكون المراد من العلم المعلوم والمعنى فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا يعلمونه حقا فوضع العلم مكان المعلوم وقيل المراد من العلم القران

النازل على محمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه علما لانه سبب العلم وتسمية السبب بالمسبب مجاز مشهور وفي
كون القران سببا لحدوث الاختلاف وجهان الاول ان اليهود كانوا يخبرون بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم
وصفته ونعته ويفتخرون بذلك على المشركين فلما بعث كذبوه بغيا وحسدا وايثارا لبقا الرياسة لهم
فامن به طايفة قليلة وكفر به غالبهم والوجه الثاني ان اليهود كانوا على دين واحد قبل نزول القران فلما انزل
على محمد صلى الله عليه وسلم فامن به طايفة وكفر به اخرون وقوله تعالى ان ربك يعني يا محمد يقضي بينهم يوم
القيمة فيما كانوا فيه يختلفون يعني من امر الدين ونبوتك في الدنيا فيدخل من امن بك الجنة ومن كذبك
وجحد نبوتك النار قوله عز وجل فان كنت في شك مما انزلنا اليك الشك في موضوع اللغة خلاف اليقين والشك
اعتدال النقيضين عند الانسان لوجود امارتين او لعدم الامارة والشك ضرب من الجهل وهو اخص منه
فكل شك جهل وليس كل جهل شكا فاذا قيل فلان يشك في هذا الامر فمعناه انه توقف فيه حتى يتبين له فيه الصواب
او خلافه وظاهر هذا الخطاب في قوله فان كنت في شك للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فان كنت يا محمد في شك
مما انزلنا اليك يعني من حقيقة ما اخبرناك به وانزلناه يعني القران فاسال الذين يقرؤن الكتاب
من قبلك يعني علما اهل الكتاب يخبرونك انك مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وانك نبي يعرفونك بصفتك
عندهم وقد توجه هاهنا سوال واعتراض وهو ان يقال هل شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما انزل اليه
او في نبوته حتى يسال اهل الكتاب عن ذلك واذا كان شاكا في نبوة نفسه كان غيره اولى بالشك منه قلت
الجواب عن هذا السوال والاعتراض ما قاله القاضي عياض في كتابه الشفا فانه اورد هذا السوال ثم
قال احذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس او غيره من اثبات شك
النبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم جملة بل قد قال
ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسال ونحوه عن سعيد بن جبير والحسن البصري وحكي عن
قتادة انه قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسال وعامة المفسرين على هذا ثم كلام
القاضي عياض رحمه الله ثم اختلفوا في معنى الاية ومن المخاطب بهذا الخطاب على قولين احدهما ان الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد به غيره فهو كقوله لين اشركت ليحبطن عملك ومعلوم ان النبي
صلى الله عليه وسلم لم يشرك فثبت ان المراد به غيره ومن امثلة العرب اياك اعني واسمعي يا جاره فعلى هذا
يكون معنى الاية قل يا محمد يا ايها الانسان الشاك ان كنت في شك مما انزلنا اليك على لسان رسولنا محمد صلى
الله عليه وسلم فاسال الذين يقرؤن الكتاب يخبرونك بصحته ويدل على صحة هذا التاويل قوله تعالى في اخر
هذه السورة قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الاية فبين ان المذكور في هذه الاية على سبيل الرمز
هم المذكورون في هذه الاية على سبيل التصريح وايضا لو كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكا في نبوته لكان غيره اولى
بالشك في نبوته وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية معاذ الله من ذلك وقيل ان الله تعالى علم ان النبي
صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فيكون المراد بهذا التهييج فانه صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذا الكلام
فانه يقول لا اشك يا رب ولا اسال اهل الكتاب بل اكتفي بما انزلته علي من الدلايل الظاهرة وقال الزجاج
ان الله خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله فان كنت في شك وهو شامل للخلق فهو كقوله يا ايها النبي
اذا طلقتم النسا وهذا وجه حسن لكن فيه بعد وهو ان يقال متى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
داخلا في هذا الخطاب كان الاعتراض موجودا والسوال وارد وقيل ان لفظة ان في قوله فان كنت في شك
للنفي ومعناه وما انت في شك مما انزلنا اليك حتى تسال فلا تسال ولين سالت لازددت يقينا والقول

الثاني

الثاني وهو ان يقال ان هذا الخطاب ليس هو للنبي صلى الله عليه وسلم البتة ووجه هذا القول ان الناس
كانوا في زمانه على ثلاث فرق فرقة له مصدقون وبه مومنون وفرقة على الضد من ذلك والفرقة الثالثة
المتوقفون في امره الشاكون فيه فخاطبهم الله عز وجل بهذا الخطاب فقال تعالى فان كنت ايها الانسان
في شك مما انزلنا اليك من الهدى على لسان محمد فسال اهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وانما وحد
الله الضمير في قوله فان كنت وهو يريد الجمع لانه خطاب لجنس الانسان كما في قوله يا ايها الانسان ما غرك
بربك الكريم لم يرد في الاية انسانا بعينه بل اراد الجمع واختلفوا في المسيول عنه في قوله تعالى فاسال الذين
يقرؤن الكتاب من قبلك من هم فقال المحققون من اهل التفسير هم الذين امنوا من اهل الكتاب كعبد الله
ابن سلام واصحابه لانهم هم الموثوق باخبارهم وقيل المراد به كل اهل الكتاب سواء مومنهم وكافرهم لان المقصود
من هذا السوال الاخبار بصحة نبوة محمد صلى الله وانه مكتوب عندهم صفته ونعته فاذا اخبروا بذلك
فقد حصل المقصود والاول اصح قال الضحاك يعني اهل التقوى واهل الايمان من اهل الكتاب ممن
ادرك النبي صلى الله عليه وسلم لقد جاءك الحق من ربك هذا كلام مبتدا منقطع عما قبله وفيه معنى القسم
تقديره اقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بانك رسول الله حقا وان اهل الكتاب يعلمون صحة ذلك
فلا تكونن من الممترين يعني من الشاكين في صحة ما انزلنا اليك ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله
يعني بدلايله وبراهينه الواضحة فتكون من الخاسرين يعني الذين خسروا انفسهم واعلم ان هذا كله
على ما تقدم من ان ظاهره خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ممن عنده شك وارتياب فان
النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتاب ولم يكذب بايات الله فثبت بذلك ان المراد غيره والله اعلم
قوله تعالى ان الذين حقت عليهم يعني وجبت عليهم كلمة ربك يعني حكم ربك وهو قوله خلقت هولا للنار
ولا ابالي وقال قتادة سخط ربك وقيل لعنة ربك وقيل هو ما قدره عليهم وقضاه في الازل انهم لا يومنون
ولو جاءتهم كل اية فانهم لا يومنون بها حتى يروا العذاب الاليم فحينيذ لا ينفعهم الايمان لان الله تعالى قد
حكم عليهم وصرفهم عن الايمان فلا ينفعهم شي قوله عز وجل فلولا يعني فهلا كانت قرية وقيل معناه فما كانت
قرية وقيل لم تكن قرية لان في الاستفهام معنى الجحد والمراد اهل كانت قرية امنت يعني عند معاينة العذاب
فنفعها ايمانها يعني في حال الياس الا قوم يونس هذا استثنا منقطع يعني لكن قوم يونس فانهم نفعهم
ايمانهم في ذلك الوقت وهو قوله لما امنوا يعني لما اخلصوا الايمان كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة
الدنيا ومتعناهم الى حين يعني الى وقت انقضا اجالهم واختلفوا هل راوا العذاب عيانا ام لا فقال بعضهم
راوا دليل العذاب فامنوا وقال الاكثرون انهم راوا العذاب عيانا بدليل قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي
والكشف لا يكون الا بعد الوقوع او اذا قرب وقوعه

ذكر القصة في ذلك على ما ذكره عبد
الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم قالوا ان قوم يونس كانوا بقرية نينوى من ارض الموصل وكانوا
اهل كفر وشرك فارسل الله عز وجل اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان بالله وترك عبادة الاصنام
فدعاهم فابوا عليه فقيل له اخبرهم ان العذاب مصبحهم الى ثلاث فاخبرهم بذلك فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا
قط فانظروا فان بات فيكم الليلة فليس بشي وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان جوف الليل
خرج يونس من بين اظهرهم فلما اصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق روسهم قال ابن عباس ان العذاب كان
اهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه الا قدر ثلثي ميل فلما دعوا كشف الله عنهم وقال مقاتل قدر ميل
وقال سعيد بن جبير غشي قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر وقال وهب غامت السما غيما اسود هايلا

يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت اسطحتهم فلما راوا ذلك ايقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم
يونس فلم يجدوه فقذف الله في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصحرا بانفسهم ونسايهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا
المسوح واظهروا الايمان والتوبة وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب فحن البعض الى البعض
فحنت الاولاد الى الامهات والامهات الى الاولاد وعلت الاصوات وعجوا جميعا الى الله وتضرعوا اليه وقالوا
امنا بما جا به يونس وتابوا الى الله واخلصوا النية فرحمهم ربهم فاستجاب دعاهم وكشف ما نزل بهم من
العذاب بعدما اظلهم وكان ذلك اليوم يوم عاشورا وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم
ان ترادوا المظالم فيما بينهم حتى ان كان الرجل لياتي الى الحجر وقد وضع اساس بنيانه عليه فيقلعه فيرده وروى
الطبري بسنده عن ابي الجلد جيلان قال لما غشي قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمايهم فقالوا
له انه قد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها
فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا الى حين وقال الفضيل بن عياض انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت
وجلت وانت اعظم واجل فافعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله قالوا وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب
فلم ير شيا فقيل له ارجع الى قومك قال وكيف ارجع اليهم فيجدوني كذابا وكان من كذب ولا بينة له قتل فانصرف
اليهم مغاضبا فالتقمه الحوت وستاتي القصة في سورة والصافات ان شا الله فان قلت كيف كشف العذاب
عن قوم يونس بعدما نزل بهم وقبل توبتهم ولم يكشف العذاب عن فرعون حين امن ولم يقبل توبته قلت اجاب
العلما عن هذا باجوبة احدها ان ذلك كان خاصا بقوم يونس والله يفعل ما يشا ويحكم ما يريد الجواب الثاني
ان فرعون ما امن الا بعدما باشره العذاب وتوقف الياس من العذاب وقوم يونس دنا منهم العذاب
فلم ينزل بهم ولم يباشرهم فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجوا العافية والجواب الثالث ان الله عز وجل صدق
نياتهم في التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون انه ما صدق في ايمانه ولا اخلص فلم يقبل منه والله اعلم قوله تعالى
ولو شا ربك لامن من في الارض كلهم جميعا يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو شا ربك
يا محمد لامن بك وصدقك من في الارض كلهم جميعا ولكنه لا يشا ان يصدقك ويومن بك الا من سبقت له السعادة
في الازل قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص ان يومن به جميع الناس ويتابعوه على
الهدى فاخبر الله عز وجل انه لا يومن الا من سبق له من الله السعادة في الذكر الاول ولم يضل الا من سبق له
من الله الشقا في الذكر الاول وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان حريصا على ايمانهم كلهم فاخبر
انه لا يومن به الا من سبقت له العناية الازلية فلا تتعب نفسك على ايمانهم وهو قوله افانت تكره الناس
حتى يكونوا مومنين يعني ليس ايمانهم اليك حتى تكرههم عليه او تحرص عليه انما ايمان المومن واضلال الكافر
بمشية الله وقضايه وقدره ليس لاحد ذلك سواه وما كان لنفس ان تومن الا باذن الله يعني وما كان
ينبغي لنفس خلقها الله ان تومن وتصدق الا بقضا الله لها بالايمان فان هدايتها الى الله هو الهادي
المضل وقال ابن عباس يعني باذن الله بامر الله وقال عطا بمشية الله ويجعل فزي بالنون على سبيل
التعظيم اي ونجعل نحن وقري بالياء ومعناه ويجعل الله الرجس يعني العذاب وقال ابن عباس يعني السخط
على الذين لا يعقلون يعني لا يفهمون عن الله امره ونهيه قوله عز وجل قل انظروا اي قل يا محمد لهولا المشركين
الذين يسالونك الايات انظروا يعني انظروا بقلوبكم نظر اعتبار وتفكر وتدبر ماذا في السموات والارض
يعني ماذا خلق الله في السموات والارض من الايات الدالة على وحدانيته ففي السموات الشمس والقمر وهما دليلان
على الليل والنهار والنجوم سخرها طالعة وغاربة وانزال المطر من السما وفي الارض الجبال والبحار والمعادن

والانهار والاشجار والنبات كل ذلك ايات دالات على وحدانية الله وانه خالقها كما قال الشاعر
وفي كل شي له اية تدل على انه واحد وما تغني الايات والنذر يعني الرسل عن قوم لا يومنون وهذا في حق
اقوام علم الله انهم لا يومنون بما سبق لهم في الازل من الشقا فهل ينتظرون يعني مشركي مكة الا مثل ايام
الذين خلوا من قبلهم يعني من مضى قبلهم من الامم السالفة المكذبة للرسل قال قتادة يعني وقايع الله
في قوم نوح وعاد وثمود والعرب تسمي العذاب اياما والنعم اياما كقوله وذكرهم بايام الله والمعنى فهل
ينتظر هولا المشركين من قومك يا محمد الا يوما يعاينون فيه العذاب مثل ما فعلنا بالامم السالفة المكذبة
اهلكناهم جميعا فان كانوا ينتظرون ذلك العذاب قل فانتظروا يعني قل لهم يا محمد فانتظروا العذاب
اني معكم من المنتظرين يعني هلاككم قال الربيع بن انس خوفهم عذابه ونقمته ثم اخبرهم انه اذا وقع ذلك
بهم انجى الله رسله والذين امنوا معهم من ذلك العذاب وهو قوله تعالى ثم ننجي رسلنا والذين امنوا يعني من
الهلاك والعذاب كذلك حقا علينا ننجي المومنين يعني كما انجينا رسلنا والذين معهم من الهلاك كذلك
ننجيك يا محمد والذين امنوا معك وصدقوك من الهلاك والعذاب قال بعض المتكلمين المراد بقوله حقا
علينا الوجوب لان تخليص الرسول والمومنين من العذاب واجب واجيب عن هذا بانه حق واجب بحيث
الوعد والحكم لا انه واجب بسبب الاستحقاق لانه قد ثبت ان العبد لا يستحق على خالقه شي قوله تعالى
قل يا ايها الناس الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد لهولا الذين ارسلتك اليهم فشكوا في امرك
فلم يومنوا بك ان كنتم في شك من ديني يعني الذي ادعوكم اليه وانما حصل الشك لبعضهم في امره صلى الله
عليه وسلم لما راى الايات التي كانت تظهر على يد النبي صلى الله عليه وسلم فحصل لهم الاضطراب والشك
فقال ان كنتم في شك من ديني الذي ادعوكم اليه فلا ينبغي لكم ان تشكوا فيه لانه دين ابراهيم عليه السلام
وانتم من ذريته وتعرفونه ولا تشكون فيه وانما ينبغي لكم ان تشكوا في عبادتكم لهذه الاصنام التي لا اصل
لها البتة فان اصررتم على ما انتم عليه فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله يعني هذه الاوثان
وانما وجب تقديم هذا النفي لان العبادة هي غاية التعظيم للمعبود فلا تليق لاخس الاشيا وهي الحجارة
لا تنفع لمن عبدها ولا تضر لمن تركها ولكن تليق العبادة لمن بيده النفع والضر وهو قادر على الاماتة
والاحيا وهو قوله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم والحكمة في وصف الله عز وجل في هذا المقام بهذه
الصفة لان الذي يستحق العبادة فاعبده انا وانتم هو الذي خلقكم اولا ولم تكونوا اشيا ثم يميتكم ثانيا ثم
يحييكم بعد الموت ثانيا فاكتفى بذكر الوفاة تنبيها على الباقي وقيل لما كان الموت اشد الاشيا على النفس
ذكره في هذا المقام ليكون اقوى في الزجر والردع وقيل انهم لما استعجلوا بطلب العذاب فاجابهم بقوله ولكن
اعبد الله الذي هو قادر على اهلاككم ونصري عليكم وامرت ان اكون من المومنين يعني وامرني ربي ان اكون
من المصدقين بما جا من عنده وقيل لما ذكر العبادة وهي من اعمال الجوارح اتبعه بذكر الايمان لانه من اعمال
القلوب وان اقم وجهك للدين حنيفا الواو في قوله وان واو عطف معناه وامرت ان اقم وجهك يعني
اقم نفسك على دين الاسلام حنيفا يعني مستقيما عليه غير معوج عنه الى دين اخر وقيل معناه اقم عملك
على الدين الحنيف وقيل اراد بقوله وان اقم وجهك للدين صرف نفسه بكليته الى طلب الدين الحنيف
غير مايل عنه ولا تكونن من المشركين ولا تكونن ممن يشرك في عبادة ربه غيره فيهلك وقيل ان النهي عن عبادة
الاوثان قد تقدم في الاية المتقدمة فوجب حمل هذا النهي على معنى زايد وهو ان من عرف الله عز وجل
وعرف جميع اسمايه وصفاته وانه المستحق للعبادة لا غيره فلا ينبغي له ان يلتفت الى غيره بالكلية وهذا

هو الذي تسميه اصحاب القلوب بالشرك الخفي **ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك** يعني ان عبدته ودعوته
ولا يضرك يعني ان تركت عبادته **فانك اذا من الظالمين** يعني لنفسك لانك وضعت العبادة في غير موضعها
وهذا الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يدع
من دون الله شيا البتة فيكون المعنى لا تدع ايها الانسان من دون الله ما لا ينفعك الاية قوله عز وجل
وان يمسسك الله بضر يعني وان يصبك الله بشدة وبلا **فلا كاشف له** يعني لذلك الضر الذي
انزله بك **الا هو وان يردك بخير** يعني بسعة ورخا **فلا راد لفضله** يعني فلا دافع لرزقه **يصيب به** يعني
بكل واحد من الضر والخير **من يشاء من عباده** وقيل انه تعالى لما ذكر الاوثان وبين انها لا تقدر على ضر ولا
نفع بين تعالى انه هو القادر على ذلك كله وان الجميع الكائنات محتاجة اليه وجميع الممكنات مستندة اليه
لانه هو القادر على كل شي وانه ذو الجود والكرم والرحمة فلهذا المعنى ختم الاية بقوله **وهو الغفور الرحيم**
وفي الاية لطيفة اخرى وهي ان الله تعالى رجح جانب الخير على جانب الشر وذلك انه تعالى لما ذكر امساس
الضر بين انه لا كاشف له الا هو وذلك يدل على انه تعالى يزيل جميع المضار ويكشفها لان الاستثناء من
النفي اثبات ولما ذكر الخير قال فيه فلا راد لفضله يعني جميع الخيرات منه فلا يقدر احد على ردها لانه
هو الذي يفيض جميع الخيرات على عباده وعضده بقوله وهو الغفور يعني الساتر لذنوب عباده الرحيم
يعني بهم قوله تعالى **قل يا ايها الناس قد جاكم الحق من ربكم** يعني القران والاسلام وقيل الحق هو محمد صلى الله
عليه وسلم جا بالحق من عند الله عز وجل **فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه** لان نفع ذلك يرجع اليه
ومن ضل فانما يضل عليها اي على نفسه لانه وباله راجع اليه فمن حكم الله له بالاهتدا في الازل انتفع ومن
حكم عليه بالضلال ضل ولم ينتفع بشي ابدا **وما انا عليكم بوكيل** يعني وما انا عليكم بحفيظ عليكم اعمالكم
قال ابن عباس هذه الاية منسوخة باية السيف **واتبع ما يوحى اليك** يعني الامر
الذي يوحيه الله اليك يا محمد **واصبر** يعني على اذى من خالفك من
كفار قومك **حتى يحكم الله** يعني بنصرك عليهم واظهار دينك **وهو**
خير الحاكمين يعني انه تعالى حكم بنصر نبيه واظهار دينه وبقتل
المشركين واخذ الجزية من اهل الكتاب وفيها ذلهم
وصغارهم اخر تفسير سورة يونس
والله اعلم بمراده
واسرار كتابه
انتهى